﴿فهرسة الجزء التاسع من تاريخ الكامل للعلامة ابن الاثير الجزرى﴾

لابى

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿فهرسة كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للامام المسعودى الذى بالهامش﴾

﴿الجزء التاسع﴾

من تاريخ الكامل للعلامة أبى الحسن على بن
أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن
الاثير الجزرى الملقب بعز
الدين رحمه الله
آمين

﴿وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر﴾
﴿للامام أبى الحسن على بن الحسين المسعودى رحمه الله﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ثم دخلت سنة سبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر اقطاع مؤيد الدولة همذان﴾

فى هذه السنة أرسل الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عباد الى عضد الدولة بهمذان رسولا من عند أخيه مؤيد الدولة يبذل له الطاعة والموافقة فالتقاه عضد الدولة بنفسه وأكرمه واقطع أخاه مؤيد الدولة همذان وغيرها وأقام عند عضد الدولة الى ان عاد الى بغداد فرده الى مؤيد الدولة فاقطعه اقطاعا كثيرة وسير معه عسكرا يكون عند مؤيد الدولة فى خدمته

﴿ذكر قتل أولاد حسنويه سوى بدر﴾

لما خلع عضد الدولة على بدر وأخويه عاصم وعبد الملك وفضل بدرا عليهما وولاه الاكراد حسده أخواه فشقا العصا وخرجا عن الطاعة واستمال عاصم جماعة الاكراد المخالفين فاجتمعوا عليه فسير اليه عضد الدولة عسكرا فأوقعوا بعاصم ومن معه فانهزموا وأسر عاصم وأدخل همذان على جمل ولم يعرف له خبر بعد ذلك اليوم وقتل أولاد حسنويه الا بدرا فانه ترك على حاله وأقر على عمله وكان عاقلا لبيبا حازما كريما حليما وسيرد من أخباره ما يعلم به ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ملك عضد الدولة قلعة سندة وغيرها﴾

وفيها استولى عضد الدولة على قلاع أبى عبد الله المرى بنواحى الجبل وكان منزله بسندة وله فيها مساكن نفيسة وكان قديم البيت فقبض عليه وعلى أولاده واعتقلهم فبقوا كذلك الى ان اطلقهم الصاحب بن عباد فيما بعد واستخدم ابنه أباطاهر واستكتبه وكان حسن الخط واللفظ

﴿ذكر الحرب بين عسكر العزيز وابن جراح وعزل قسام عن دمشق﴾

فى هذه السنة سيرت العساكر من مصر لقتال المفرج بن جراح وسبب ذلك أن ابن جراح عظم شأنه بأرض فلسطين وكثر جمعه وقويت شوكته وبالغ هو فى العيث والفساد وتخريب البلاد فجهز العزيز بالله العساكر وسيرها وجعل عليها القائد بلتكين التركى فسار الى الرملة واجتمع اليه من

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

وغلب على المأمون الفضل ابن سهل حتى ضايقه فى جارية أراد شراءها فقتله وادعى قوم ان المأمون دس عليه من قتله ثم سلم عليه الوزراء بعد ذلك منهم أحمد بن خالد الاحول وعمرو بن مسعدة وأبو عبادة وكل هؤلاء سلم عليهم برسم الوزارة ومات عمرو بن مسعدة سنة سبع عشرة ومائتين فعرض لماله ولم يعرض لمال وزير غيره وغلب على المأمون آخرا الفضل بن مروان ومحمد بن يزداذ وفى خلافته قبض على بن موسى الرضا مسموما بطوس ودفن هنالك وهجا المأمون ابراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة عمه وكان المأمون يظهر التشيع وابن شكلة التسنن فقال المأمون

اذا المرجى سرك ان تراه
يموت لحينه من قبل موته
فجدد عنده ذكرى على
وصل على النبى وآل بيته

فاجابه ابراهيم رادا عليه

اذا الشيعى جمجم فى مقال
فسرك أن يبوح بذات نفسه
فصل على النبى وصاحبيه
وزيريه وجاريه برمسه

ولابراهيم بن المهدى مع المأمون أخبار حسان هى موجودة فى كتاب الاخبار لابراهيم بن المهدى (ودخل) أبودلف القاسم بن عيسى العجلى على المأمون فقال له ياقاسم ما أحسن أبياتك فى صفة الحرب ولذاذتك بها وزهدك فى المغنيات قال ياأمير المؤمنين أى أبيات هى قال قولك

لسل السيوف وشق الصفوف
ونقض التراب وضرب القلل

قال ثم ماذا ياقاسم قال

ولبس العجاجة والخافقات
تريك المنايا برؤس القلل
وقد كشفت عن سناها هناك
كأن عليهم شروق الطفل
خروس نطوق اذا استنطقت
جهول يطيش على من جهل
اذا اخطبت أخذت مهرها
وزير السعافط بين القلل
ألذ وأشهى من المسمعات
وشرب المدامة فى يوم طل
انا ابن الحسام وترب الصفاح
وترب المنون وترب الاجل

ثم قال ياأمير المؤمنين هذه لذتى مع أعدائك وقوتى مع أوليائك ويدى معك ولئن استلذ مستلذ شيأ من يد المعاقرة ملت الى المقادمة والمحاربة قال ياقاسم اذا كان هذا النمط من الاشعار شأنك واللذة لذتك فاذا تركت للوسنان ما خلفت واظهرت له من قليل ما نثرت قال ياأمير المؤمنين وأى أشعارى قال حيث تقول

العرب من قيس وغيرها جمع كثير وكان مع ابن جراح جمع يرمون بالنشاب ويقاتلون قتال الترك فالتقوا ونشبت الحرب بينهما وجعل بلتكين كمينا فخرج على عسكر ابن جراح من وراء ظهورهم عند اشتداد الحرب فانهزموا وأخذتهم سيوف المصريين ومضى ابن جراح منهزما الى انطاكية فاستجار بصاحبها فاجاره وصادف خروج ملك الروم من القسطنطينية فى عساكر عظيمة يريد بلاد الاسلام فخاف ابن جراح وكاتب بكجور بحمص والتجأ اليه وأما عسكر مصر فانهم نازلوا دمشق مخادعين لقسام لم يظهروا له الا انهم جاؤا لاصلاح البلد وكف الايدى المتطرقة الى الاذى وكان القائد أبو محمود قد مات سنة سبعين وهو والى البلد ولا حكم له وانما الحكم لقسام فلما مات قام بعده فى الولاية جيش بن الصمصامة وهو ابن أخت أبى محمود فخرج الى بلتكين وهو يظن انه يريد اصلاح البلد فأمره ان يخرج هو ومن معه وينزلوا بظاهر البلد ففعلوا وحذر قسام وأمر من معه بمباشرة الحرب فقاتلوا دفعات عدة فقوى عسكر بلتكين ودخلوا أطراف البلد وملكوا الشاغور وأحرقوا ونهبوا فاجتمع مشايخ البلد عند قسام وكلموه فى ان يخرجوا الى بلتكين ويأخذوا أمانا لهم وله فانخذل وذل وخضع بعد تجبره وتكبره وقال افعلوا ماشئتم وعاد أصحاب قسام اليه فوجدوه خائفا ملقيا بيده فاخذ كل لنفسه وخرج شيوخ البلد الى بلتكين فطلبوا منه الامان لهم ولقسام فأجابهم اليه وقال أريد أن أتسلم البلد اليوم فقالوا افعل ما تؤمر فأرسل واليا يقال له ابن خطلخ ومعه خيل ورجل وكان مبدأ هذه الحرب والحصر فى المحرم سنة سبعين لعشر بقين منه والدخول الى البلد لثلاث بقين منه ولم يعرض لقسام ولا لاحد من أصحابه وأقام قسام فى البلد يومين ثم استتر فأخذ كل ما فى داره وما حولها من دور أصحابه وغيرهم ثم خرج الى الخيام فقصد حاجب بلتكين وعرفه نفسه فأخذه وحمله الى بلتكين فحمله بلتكين الى مصر فاطلقه العزيز واستراح الناس من تحكمه عليهم وتغلبه بمن تبعه من الاحداث من أهل العيث والفساد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها توفى على بن محمد الاحدب المزور وكان يكتب على خط كل واحد فلا يشك المكتوب عنه انه خطه وكان عضد الدولة اذا أراد الايقاع بين الملوك أمره أن يكتب على خط بعضهم اليه فى الموافقة على من يريد افساد الحال بينهما ثم يتوصل ليصل المكتوب اليه فيفسد الحال وكان هذا الاحدب ربما ختمت يده لهذا السبب وفيها زادت الفرات زيادة عظيمة جاوزت المألوف وغرق كثير من الغلات وتمردت الصراة وخربت قناطرها العتيقة والجديدة وأشفى أهل الجانب الغربى من بغداد على الغرق وبقيت الزيادة بها وبدجلة ثلاثة أشهر ثم نقصت وفيها زفت ابنة عضد الدولة الى الخليفة الطائع ومعها من الجواهر شئ لا يحصى وفيها ورد على عضد الدولة هدية من صاحب اليمن فيها قطعة واحدة من عنبر وزنها ستة وخمسون رطلا وحج بالناس أبو الفتح أحمد ابن عمر بن يحيى العلوى وخطب بمكة والمدينة للعزيز بالله صاحب مصر العلوى وفيها توفى أبو بكر أحمد بن على الرازى امام الفقهاء الحنفية فى زمانه وطلب ليلى قضاء القضاة فامتنع وهو من أصحاب الكرخى وفيها توفى الزبير بن عبد الواحد بن موسى أبو يعلى البغدادى سمع البغوى وابن صاعد وسافر الى أصبهان وخراسان واذربيجان وغيرها وسمع فيها الكثير وتوفى بالموصل هذه السنة ومحمد بن جعفر بن الحسين بن محمد أبو بكر المفيد المعروف بغندر توفى بمفازة بخارا وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس وأبو محمد على بن الحسن الاصبهانى والحسن بن بشر الآمدى وفيها توفى القائد أبو محمود ابراهيم بن جعفر والى دمشق للعزيز وقام بعده جيش بن الصمصامة

﴿ثم دخلت سنة احدى وسبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر عزل ابن سيمجور عن خراسان﴾

فى هذه السنة عزل أبو الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان واستعمل عوضه حسام الدولة أبو العباس تاش وكان سبب ذلك ان الامير نوح بن منصور لما ملك خراسان وما وراء النهر وهو صبى استوزر أبا الحسين العتبى فقام فى حفظ الدولة القيام المرضى وكان محمد ابن سيمجور قد استوطن خراسان وطالت أيامه فيها فلا يطيع الا فيما يريد فعزله أبو الحسين العتبى عنها واستعمل مكانه حسام الدولة أبا العباس تاش وسيره من بخارا الى نيسابور فى هذه السنة فاستقربها ودبر خراسان ونظر فى أمورها واطاعه جندها

﴿ذكر استيلاء عضد الدولة على جرجان﴾

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة استولى عضد الدولة على بلاد جرجان وطبرستان وأجلى عنها صاحبها قابوس بن وشمكير وسبب ذلك ان عضد الدولة لما استولى على بلاد أخيه فخر الدولة انهزم فخر الدولة فلحق بقابوس كما ذكرناه وبلغ ذلك عضد الدولة فأرسل الى قابوس يبذل له الرغائب من البلاد والاموال والعهود وغير ذلك ليسلم اليه أخاه فخر الدولة فامتنع قابوس من ذلك ولم يجب اليه فجهز عضد الدولة أخاه مؤيد الدولة وسيره ومعه العساكر والاموال والعدد الى جرجان وبلغ الخبر قابوس فسار اليه فلقيه بنواحى استراباذ فاقتتلوا من بكرة الى الظهر فانهزم قابوس وأصحابه فى جمادى الاولى وقصد قابوس بعض قلاعه التى فيها ذخائره وأمواله فأخذ ما أراد وسار نحو نيسابور فلما وردها لحق به فخر الدولة وانضم اليهما من تفرق من أصحابهما وكان وصولهم اليها عند ولاية حسام الدولة أبى العباس تاش خراسان فكتب حسام الدولة الى الامير أبى القاسم نوح بن منصور يعرفه خبر وصولهما وكتبا أيضا الى نوح يعرفانه حالهما ويستنصرانه على مؤيد الدولة فوردت كتب نوح على حسام الدولة يأمره باجلال محلهما واكرامهما وجمع العساكر والمسير معهما واعادتهما الى ملكهما وكتب وزيره أبو الحسين بذلك أيضا

﴿ذكر مسير حسام الدولة وقابوس الى جرجان﴾

فلما وردت الكتب من الامير نوح على حسام الدولة بالمسير بعساكر خراسان جميعها مع فخر الدولة وقابوس جمع العساكر وحشد فاجتمع بنيسابور عساكر سدت الفضاء وسار وانحو جرجان فنازلوها وحصروها وبها مؤيد الدولة ومعه من عساكره وعساكر أخيه عضد الدولة جمع كثير الا انهم لا يقاربون عساكر خراسان فحصرهم حسام الدولة شهرين يغاديهم القتال ويراوحهم وضاقت الميرة على أهل جرجان حتى كانوا يأكلون نخالة الشعير معجونة بالطين فلما اشتد عليهم الامر خرجوا من جرجان فى شهر رمضان على عزم صدق القتال اما لهم واما عليهم فلما رآهم أهل خراسان ظنوها كما تقدم من الدفعات يكون قتال ثم تحاجز فالتقوا واقتتلوا القتال الشديد فرأوا الامر خلاف ما ظنوه وكان مؤيد الدولة قد كاتب بعض قواد خراسان يسمى فائق الخاصة واطمعه ورغبه فأجابه الى الانهزام عند اللقاء وسيرد من أخبار فائق هذا ما يعرف به محله من الدولة فلما خرج مؤيد الدولة هذا اليوم حمل عسكره على فائق وأصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعه الناس وثبت فخر الدولة وحسام الدولة فى القلب واشتد القتال الى آخر النهار فلما رأوا تلاحق الناس فى الهزيمة لحقوا بهم وغنم أصحاب مؤيد الدولة منهم ما لا يعلم الا الله تعالى وأخذوا من الاقوات شيأ كثيرا وعاد حسام الدولة وفخر الدولة وقابوس الى نيسابور وكتبوا الى بخارا

أيها الراقد المؤرق عينى ثم هنيئا لك الرقاد اللذيذ علم الله ان قلبى مما * قد جنت وجنتاك فيه وقيذ
قال يا أمير المؤمنين سهرة بعد سهرة غلبت وذلك متقدم وهذا ظن متأخر قال يا قاسم ما أحسن ما قال صاحب هذين البيتين

أذم لك الايام فى ذات بيننا
وما لليالى فى الذى بيننا عذر
اذا لم يكن بين المحبين زورة
سوى ذكر شئ قد مضى درس الفكر

فقال أبو دلف ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين هذا السيد الهاشمى والملك العباسى قال وكيف أدتك الفطنة ولم تداخلك الظنة حتى تحققت انى صاحبهما ولم يداخلك الشك فيهما قال يا أمير المؤمنين انما الشعر بساط صوف فمن خاط الشعر بنقى الصوف ظهر رونقه عند التصنيف ونار ضوءه عند التأليف وكان المأمون يقول يغتفر كل شئ الا القدح فى الملك وافشاء السر والتعريض للحرم وقال المأمون أخر الحرب ما استطعت فان لم تجد منها بدا فاجعلها فى آخر النهار وذكر انه من كلام أنوشروان وكان المأمون يقول أعيت الحيلة فى الامر اذا أقبل ان يدبر واذا أدبر أن يقبل ولما أتى الملك للمأمون قال هذا جسيم لولا أنه عديم وهذا ملك لولا ان بعده هلك وهذا سرور لولا أنه غرور وهذا يوم لو كان يوثق بعده وكان المأمون يقول البشر منظر مونق وخلق مشرق

بالخبر فأتاهم الجواب يمنيهم ويعدهم بانفاذ العساكر والعود الى جرجان والرى وأمر الامير نوح سائر العساكر بالمسير الى نيسابور فأتوها من كل حدب ينسلون فاجتمع بظاهر نيسابور من العساكر أكثر من المرة الاولى وحسام الدولة ينتظر تلاحق الامداد ليسير بهم فأتاهم الخبر بقتل الوزير أبى الحسين العتبى فتفرق ذلك الجمع وبطل ذلك التدبير وكان سبب قتله ان أبا الحسن بن سيمجور وضع جماعة من المماليك على قتله فوثبوا به فقتلوه فلما قتل كتب الرضى نوح بن منصور الى حسام الدولة يستدعيه الى بخارا ليدبر دولته ويجمع ما انتشر منها بقتل أبى الحسين فسار عن نيسابور اليها وقتل من ظفر به من قتلة أبى الحسين وكان قتله سنة اثنتين وسبعين

﴿ذكر قتل الامير أبى القاسم أمير صقلية وهزيمة الفرنج﴾

فى هذه السنة فى ذى القعدة سار الامير أبو القاسم أمير صقلية من المدينة يريد الجهاد وسبب ذلك ان ملكا من ملوك الفرنج يقال له بردويل خرج فى جموع كثيرة من الفرنج الى صقلية فحصر قلعة مالطة وملكها وأصاب سريتين للمسلمين فسار الامير أبو القاسم بعساكره ليرحله عن القلعة فلما قاربها خاف وجبن فجمع وجوه أصحابه وقال لهم انى راجع من مكانى هذا فلا تكسروا على رأيى فرجع هو وعساكره وكان اسطول الكفار يساير المسلمين فى البحر فلما رأوا المسلمين راجعين ارسلوا الى بردويل ملك الروم يعلمونه ويقولون له ان المسلمين خائفون منك فالحق بهم فانك تظفر فجرد الفرنجى عسكره من أثقالهم وسار جريدة وجد فى السير فأدركهم فى العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين فتعبأ المسلمون للقتال واقتتلوا واشتدت الحرب بينهم فحمل طائفة من الفرنج على القلب والاعلام فشقوا العسكر ووصلوا اليها وقد تفرق كثير من المسلمين عن أميرهم واختل نظامهم فوصل الفرنج اليه فأصابته ضربة على أم رأسه فقتل وقتل معه جماعة من أعيان الناس وشجعانهم ثم ان المنهزمين من المسلمين رجعوا مصممين على القتال ليظفروا أو يموتوا واشتد حينئذ الامر وعظم الخطب على الطائفتين فانهزم الفرنج أقبح هزيمة وقتل منهم نحو أربعة آلاف قتيل وأسر من بطارقتهم كثير وتبعوهم الى أن أدركهم الليل وغنموا من أموالهم كثيرا وأفلت ملك الفرنج هاربا ومعه رجل يهودى كان خصيصا به فوقف فرس الملك فقال له اليهودى اركب فرسى فان قتلت فأنت لولدى فركبه الملك وقتل اليهودى فنجا الملك الى خيامه وبها زوجته وأصحابه فأخذهم وعاد الى رومية ولما قتل الامير أبو القاسم كان معه ابنه جابر فقام مقام أبيه ورحل بالمسلمين لوقتهم ولم يمكنهم من اتمام الغنيمة فتركوا كثيرا منها وسأله أصحابه أن يقيم الى ان يجمع السلاح وغيره ويعمر به الخزائن فلم يفعل وكانت ولاية أبى القاسم على صقلية اثنتى عشرة سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام وكان عادلا حسن السيرة كثير الشفقة على رعيته والاحسان اليهم عظيم الصدقة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولا عقارا فانه كان قد وقف جميع أملاكه على الفقراء وأبواب البر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة وقع حريق بالكرخ ببغداد فاحترق فيها مواضع كثيرة هلك فيها خلق كثير من الناس وبقى الحريق اسبوعا وفيها قبض عضد الدولة على القاضى أبى على المحسن بن على التنوخى وألزمه منزله وعزله عن اعماله التى كان يتولاها وكان حنفى المذهب شديد التعصب على الشافعى يطلق لسانه فيه قاتله الله وفيها افرج عضد الدولة عن أبى اسحق ابراهيم بن هلال الصابى الكاتب وكان القبض عليه سنة سبع وستين وكان سبب قبضه انه كان يكتب عن بختيار كتبا فى معنى

وزراع للقلوب ومحل مألوف وفضل منتشر وثناء بسط وتحف الاحرار وذرع رحيب وأول الحسنات وذريعة الى الجاه وأحمد للشيم وباب لرضا العامة ومفتاح لمحبة القلوب وكان المأمون يقول سادة الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الآخرة الانبياء وان الرزق الواسع لمن لا يستمتع منه بمنزلة طعام على هراب النحل لو كان طريقا ما سلكته ولو كان قميصا ما لبسته (وحضر) المأمون املاكا لبعض أهل بيته فسأله من حضر ان يخطب فقال الحمد لله المحمود الله والصلاة على المصطفى رسول الله وخير ما عمل به كتاب الله قال الله تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ولو لم يكن فى المناكحة آية محكمة ولا سنة متبعة الا ما جعل الله وذلك من تأليف البعيد والقريب لسارع اليه الموفق المصيب وبادر اليه العاقل النجيب وفلان من قد عرفتموه فى نسب لم تجهلوه خطب اليكم فتاتكم فلانة وبذل من الصداق كذا وكذا فشفعوا شافعنا وأنكحوا خاطبنا وقولوا خيرا تحمدوا عليه وتؤجروا وأقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم (وذكر) ثمامة بن أشرس قال كنا يوما عند المأمون فدخل يحيى بن أكثم وكان قد ثقل عليه موضع منه فتذاكرنا شيأ من الفقه فقال يحيى فى مسئلة

الخلاف الواقع بينه وبين عضد الدولة فكان ينصح صاحبه فيما كتبه عن الخليفة الطائع الى عضد الدولة في المعنى وقد لقب عز الدولة بشاهنشاه فتزحزح له عن سنن المساواة فنقم عليه عضد الدولة ذلك وهذا من أعجب الاشياء فانه كان ينبغي ان يعظم في عينه لنصحه لصاحبه فلما أطلقه أمره بعمل كتاب يتضمن اخبارهم ومحاسنها فعمل التاجي في دولة الديلم وفيها أرسل عضد الدولة القاضي أبا بكر محمد بن الطيب الاشعري المعروف بابن الباقلاني الى ملك الروم في جواب رسالة وردت منه فلما وصل الى الملك قيل له ليقبل الارض بين يديه فلم يفعل فقيل لا سبيل الى الدخول الا مع تقبيل الارض فأصر على الامتناع فعمل الملك بابا صغيرا يدخل منه القاضي منحنيا ليوهم الحاضرين انه قبل الارض فلما رأى القاضي الباب علم ذلك فاستدبره ودخل منه فلما جازه استقبل الملك وهو قائم فعظم عندهم محله وفيها فتح المارستان العضدي غربي بغداد ونقل اليه جميع ما يحتاج اليه من الادوية وفي هذه السنة توفي الامام أبو بكر أحمد بن ابراهيم بن اسمعيل الاسمعيلي الجرجاني الفقيه الشافعي وكان عالما بالحديث وغيره من العلوم والامام محمد بن أحمد ابن عبد الله بن محمد أبو زيد المروزي الفقيه الشافعي الزاهد روى صحيح البخاري عن الفربري وتوفي في رجب وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي شيخ الصوفية في وقته صحب الجريري وابن عطاء وغيرهما وفيها توفي أبو الحسن علي بن ابراهيم الصوفي المعروف بالحصري

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر ولاية بكجور دمشق﴾

قد ذكرنا سنة ست وستين ولاية بكجور حمص لابي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان فلما وليها عمرها وكان بلد دمشق قد خربه العرب وأهل العيث والفساد مدة تحكم قسام عليها وانتقل أهله الى اعمال حمص فعمرت وكثر أهلها والغلات فيها ووقع الغلاء والقحط بدمشق فحمل بكجور الاقوات من حمص اليها وتردد الناس في حمل الغلات وحفظ الطرق وحماها وكاتب العزيز بالله بمصر وتقرب اليه فوعده ولاية دمشق فبقي كذلك الى هذه السنة ووقعت وحشة بين سعد الدولة أبي المعالي بن سيف الدولة وبين بكجور فأرسل سعد الدولة يأمره بان يفارق بلده فأرسل بكجور الى العزيز بالله يطلب نجاز ما وعده من امارة دمشق وكان الوزير ابن كلس يمنع العزيز من ولايته الى هذه الغاية وكان القائد بلتكين قد ولي دمشق بعد قسام كما ذكرناه وهو مقيم بها فاجتمع المغاربة بمصر على الوثوب بالوزير ابن كلس وقتله فدعته الضرورة الى ان يستحضر بلتكين من دمشق فأمره العزيز باحضاره وتسليم دمشق الى بكجور فقال ان بكجور ان وليها عصى فيها فلم يصغ الى قوله وأرسل الى بلتكين يأمره بقصد مصر وتسليم دمشق الى بكجور ففعل ذلك ودخلها في رجب من هذه السنة واليا عليها فأساء السيرة الى أصحاب الوزير ابن كلس والمتعلقين به حتى انه صلب بعضهم وفعل مثل ذلك في أهل البلد وظلم الناس وكان لا يخلو من أخذ مال وقتل وصلب وعقوبة فبقي كذلك الى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة وسنذكر هناك عزله ان شاء الله تعالى

﴿ذكر وفاة عضد الدولة﴾

في هذه السنة في شوال اشتدت علة عضد الدولة وهو ما كان يعتاده من الصرع فضعفت قوته عن دفعه فخنقه فمات منه ثامن شوال ببغداد وحمل الى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام فدفن به وكانت ولايته بالعراق خمس سنين ونصفا ولما توفي جلس ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار

دارت هذا قول عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عمر وجابر قلت أخطؤا كلهم وأغفلوا وجه الدلالة فاستعظم مني ذلك وأكبره وقال يا أمير المؤمنين ان هذا يخطئ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم فقال المأمون سبحان الله أكذا يا ثمامة قلت يا أمير المؤمنين ان هذا لا يبالي ما قال ولا ما شنع به ثم اقبلت عليه فقلت ألست تزعم أن الحق في واحد عند الله عز وجل قال نعم قلت فزعمت ان تسعة أخطؤا وأصاب العاشر وقلت انا أخطأ العاشر فما أنكرت قال فنظر المأمون الي وتبسم وقال لم يعلم أبو محمد أنك تجيب هذا الجواب قال يحيى وكيف ذلك قلت ألست تقول ان الحق في واحد قال بلى قلت فقول يخلي الله عز وجل هذا الحق من قائل يقول به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قلت أفليس من يخالفه ولم يقل به فقد أخطأ عندك الحق قال نعم قلت وقد دخلت فيما عبت وقلت بما أنكرت وبه شنعت وأنا أوضح دلالة منك لاني خطأتهم في الظاهر وكل مصيب عند الله الحق وانما خطأتهم عند الخلاف وأدتني الدلالة الى قول بعضهم فخطأت من خالفني وأنت خطأت من خالفك في الظاهر وعند الله عز وجل (وقدم) وفد الكوفة الى

للعزاء فأتاه الطائع لله معزيا وكان عمر عضد الدولة سبعا وأربعين سنة وكان قد سير ولده شرف الدولة أبا الفوارس الى كرمان مالكا لها قبل أن يشتد مرضه وقيل انه لما احتضر لم ينطلق لسانه الا بتلاوة ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وكان عاقلا فاضلا حسن السياسة كثير الاصابة شديد الهيبة بعيد الهمة ثاقب الرأي محبا للفضائل وأهلها باذلا في مواضع العطاء مانعا في أماكن الحزم ناظرا في عواقب الامور وقيل لما مات عضد الدولة بلغ خبره بعض العلماء وعنده جماعة من أعيان الفضلاء فتذاكروا الكلمات التي قالها الحكماء عند موت الاسكندر وقد ذكرتها في أخباره فقال بعضهم لو قلتم انتم مثلها لكان ذلك يؤثر عنكم فقال أحدهم لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها وأعطاها فوق قيمتها وطلب الربح فيها فخسر روحه فيها وقال الثاني من استيقظ للدنيا فهذا نومه ومن حلم فيها فهذا انتباهه وقال الثالث ما رأيت عاقلا في عقله ولا غافلا في غفلته مثله لقد كان ينقض جانبا وهو يظن انه مبرم ويغرم وهو يظن انه غانم وقال الرابع من جد للدنيا هزلت به ومن هزل راغبا عنها جدت له وقال الخامس ترك هذا الدنيا شاغرة ورحل عنها بلا زاد ولا راحلة وقال السادس ان ماء أطفأ هذه النار لعظيم وان ريحا زعزعت هذا الركن لعصوف وقال السابع انما سلبك من قدر عليك وقال الثامن اما انه لو كان معتبرا في حياته لما صار عبرة في مماته وقال التاسع الصاعد في درجات الدنيا الى استفال والنازل في دركاتها الى تعال وقال العاشر كيف غفلت عن كيد هذا الامر حتى نفذ فيك وهلا اتخذت دونه جنة تقيك ان في ذلك لعبرة للمعتبرين وانك لآية للمستبصرين وبنى على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم سورا وله شعر حسن فمن شعره لما أرسل اليه أبو تغلب بن حمدان يعتذر من مساعدته بختيار ويطلب الامان فقال عضد الدولة

أأفاق حين وطئت ضيق خناقه * يبغي الامان وكان يبغي صارما
فلأركبن عزيمة عضدية * تاجية تدع الانوف رواغما

وقال أبياتا منها بيت لم يفلح بعده وهي هذه

ليس شرب الكاس الا في المطر * وغناء من جوار في السحر
غانيات سالبات للنهى * ناغمات في تضاعيف الوتر
مبرزات الكاس من مطلعها * ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

وهذا البيت هو المشار اليه وحكي عنه انه كان في قصره جماعة من الغلمان يحمل اليهم مشاهراتهم من الخزانة فأمر أبا نصر خواشاذه ان يتقدم الى الخازن بأن يسلم جامكية الغلمان الى نقيبهم في شهر قد بقي منه ثلاثة أيام قال أبو نصر فانسيت ذلك أربعة أيام فسألني عضد الدولة عن ذلك فقلت انسيته فاغلظ لي فقلت أمس استهل الشهر والساعة نحمل المال وما ههنا ما يوجب شغل القلب فقال المصيبة بما لا تعلمه من الغلط أكثر منها في التفريط ألا تعلم انا اذا أطلقنا لهم مالهم قبل محله كان الفضل لنا عليهم فاذا أخرنا ذلك عنهم حتى استهل الشهر الآخر حضروا عند عارضهم وطالبوه فيعدهم فيحضرونه في اليوم الثاني فيعدهم ثم يحضرونه في اليوم الثالث ويبسطون ألسنتهم فتضيع المنة وتحصل الجراءة ونكون الى الخسارة أقرب منا الى الربح وكان لا يعول في الامور الا على الكفاة ولا يجعل للشفاعات طريقا الى معارضة من ليس من جنس الشافع ولا فيما يتعلق به حكي عنه ان مقدم جيشه اسفار بن كردويه شفع في بعض أبناء العدول ليتقدم الى

بغداد فوقفوا للمأمون فاعرض عنهم فقال شيخ منهم أمير المؤمنين يدك أحق يد بتقبيل لعلوها في المكارم وبعدها من المآثم وأنت يوسفي العفو في قلة التثريب من أرادك بسوء جعله الله حصيد سيفك وطريد خوفك وذليل دولتك فقال يا عمرو نعم الخطيب خطيبهم اقض حوائجهم (وذكر ثمامة) ابن اشرس قال بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب الى قول ماني ويقول بالنور والظلمة من أهل البصرة فأمر بحملهم اليه بعد ان سموا واحدا واحدا فلما جمعوا نظر اليهم طفيلي فقال ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع فدخل في وسطهم ومضى معهم ولا يعلم بشأنهم حتى صار بهم الموكلون الى السفينة فقال الطفيلي نزهة لا شك فيها فدخل معهم السفينة فما كان باسرع من ان جيء بالقيود فقيد القوم والطفيلي معهم فقال الطفيلي بلغ من تطفيلي الى القيود ثم أقبل على الشيوخ فقال فديتكم ايش أنتم قالوا بل ايش أنت ومن أنت من اخواننا قال والله ما أدري غير اني رجل طفيلي خرجت في هذا اليوم من منزلي فلقيتكم فرأيت منظرا جميلا وعوارض حسنة وبزة ونعمة فقلت شيوخ وكهول وشباب جمعوا لوليمة فدخلت في وسطكم وحاذيت بعضكم كأني في جملة أحدكم فصرتم الى هذا الزورق فرأيته قد فرش بهذا الفرش ومهد

القاضي ليسمع تزكيته ويعدله فقال ليس هذا من اشغالك انما الذي يتعلق بك الخطاب فى زيادة قائد ونقل مرتبة جندى وما يتعلق بهم وأما الشهادة وقبولها فهى الى القاضي وليس لنا ولا لك الكلام فيه ومتى عرف القضاة من انسان ما يجوز معه قبول شهادته فعلوا ذلك بغير شفاعة وكان يخرج فى ابتداء كل سنة شيأ كثيرا من الاموال للصدقة والبر فى سائر بلاده ويأمر بتسليم ذلك الى القضاة ووجوه الناس ليصرفوه الى مستحقيه وكان يوصل الى العمال المتعطلين ما يقوم بهم ويحسابهم به اذا عملوا وكان محبا للعلوم وأهلها مقربا لهم محسنا اليهم وكان يجالس معهم يعارضهم فى المسائل فقصده العلماء من كل بلد وصنفوا له الكتب ومنها الايضاح فى النحو والحجة فى القرآآت والملكى فى الطب والتاجى فى التاريخ الى غير ذلك وعمل المصالح فى سائر البلاد كالبيمارستانات والقناطر وغير ذلك من المصالح العامة الا انه أحدث فى آخر أيامه رسوما جائرة فى المساحة والضرائب على بيع الدواب وغيرها من الامتعة وزاد على ما تقدم ومنع من عمل الثلج والقز وجعلهما متجرا للخاص وكان يتوصل الى اخذ المال بكل طريق ولما توفى عضد الدولة قبض على نائبه ابى الريان من الغد فأخذ من كمه رقعة فيها

أيا واثقا بالدهر عند انصرافه * رويدك انى بالزمان أخو خبر

ويا شامتا مهلا فكم ذى شماتة * تكون له عقبى بقاصمة الظهر

ذكر ولاية صمصام الدولة العراق وملك اخيه شرف الدولة بلاد فارس

لما توفى عضد الدولة اجتمع القواد والامراء على ولده ابى كاليجار المرزبان فبايعوه وولوه الامارة ولقبوه صمصام الدولة فلما ولى خلع على أخويه ابى الحسين أحمد وأبى طاهر فيروزشاه وأقطعهما فارس وأمرهما بالجد فى السير ليسبقا أخاهما شرف الدولة أبا الفوارس شيرزيل الى شيراز فلما وصلا الى ارجان أتاهما خبر وصول شرف الدولة الى شيراز فعادا الى الاهواز وكان شرف الدولة بكرمان فلما بلغه خبر وفاة ابيه سار مجدا الى فارس فملكها وقبض على نصر بن هرون النصرانى وزير ابيه وقتله لانه كان يسىء صحبته أيام أبيه وأصلح أمر البلاد وأطلق الشريف أبا الحسين محمد ابن عمر العلوى والنقيب أبا أحمد الموسوى والد الشريف الرضى والقاضى أبا محمد بن معروف وأبا نصر خواشاذه وكان عضد الدولة حبسهم وأظهر مشاققة أخيه صمصام الدولة وقطع خطبته وخطب لنفسه وتلقب بتاج الدولة وفرق الاموال وجمع الرجال وملك البصرة وأقطعها أخاه أبا الحسين فبقى كذلك ثلاث سنين الى ان قبض عليه شرف الدولة على ما نذكره ان شاء الله تعالى فلما سمع صمصام الدولة بما فعله شرف الدولة سير اليه جيشا واستعمل عليهم الامير أبا الحسن بن دبعش حاجب عضد الدولة فجهز تاج الدولة عسكرا واستعمل عليهم الامير ابا الاعز دبيس بن عفيف الاسدى فالتقيا بظاهر قرقوب واقتتلوا فانهزم عسكر صمصام الدولة وأسر دبعش فاستولى حينئذ أبو الحسين بن عضد الدولة على الاهواز وأخذ ما فيها وفى رامهرمز وطمع فى الملك وكانت الوقعة فى ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة

ذكر قتل الحسين بن عمران بن شاهين

فى هذه السنة قتل الحسين بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة قتله أخوه ابو الفرج واستولى على البطيحة وكان سبب قتله انه حسده على ولايته ومحبة الناس له فاتفق أن اختالهما مرضت فقال أبو الفرج لاخيه الحسين ان اختنا مشفية فلو عدتها ففعل وسار اليها ورتب أبو الفرج فى الدار نفرا يساعدونه على قتله فلما دخل الحسين الدار تخلف عنه أصحابه ودخل أبو الفرج معه

وسلالا فقلت نزهة يمضون اليها الى بعض القصور والبساتين ان هذا اليوم ورأيت سفرا مملوءة وجربا مباركا فابتهجت سرورا اذ جاء هذا الموكل بكم فقيدكم وقيدنى معكم فورد على ما قد أزال عقلى فاخبرونى ما الخبر فضحكوا منه وتبسموا وفرحوا به وسروا ثم قالوا الآن قد حصلت فى الاحصاء وأوثقت فى الحديد وأما نحن فمانية فمنز بنا الى المأمون وسندخل اليه ويسائلنا عن أحوالنا ويستكشفنا عن مذهبنا ويدعونا الى التوبة والرجوع عنه بامتحاننا بضروب من المحن منها اظهار صورة مانى لنا ويأمرنا ان نتفل عليها ونتبرأ منها ويأمرنا بذبح طائر ماء وهو الدرج فمن أجابه الى ذلك نجا ومن تخلف عنه قتل فاذا دعيت وامتحنت فأخبر عن نفسك واعتقادك على حسب ما تؤديك الدلالة الى القول به وأنت زعمت انك طفيلى والطفيلى يكون معه مداخلات وأخبار فاقطع سفرنا هذا الى مدينة بغداد بشىء من الحديث وأيام الناس فلما وصلوا الى بغداد ودخلوا على المأمون جعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه فيخبره بالاسلام فيمتحنه ويدعوه الى البراءة من مانى ويظهر له صورته ويأمره ان يتفل عليها والبراءة منها

وبيده سيفه فلما خلا به قتله ووقعت الصيحة فصعد الى السطح وأعلم العسكر بقتله ووعدهم الاحسان فسكنوا وبذل لهم المال فأقروه فى الامر وكتب الى بغداد يظهر الطاعة ويطلب تقليده الولاية وكان متهورا جاهلا

ذكر عود ابن سيمجور الى خراسان

لما عزل أبو الحسن بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان ووليها أبو العباس سار ابن سيمجور الى سجستان فأقام بها فلما انهزم أبو العباس عن جرجان على ما ذكرناه ورأى الفتنة قد رفعت رأسها سار عن سجستان نحو خراسان واقام بقهستان فلما سار أبو العباس الى بخارا وخلت منه خراسان كاتب ابن سيمجور فائقا يطلب موافقته على الاستيلاء على خراسان فأجابه الى ذلك واجتمعا بنيسابور واستوليا على تلك النواحى وبلغ الخبر الى أبى العباس فسار عن بخارا فى جمع كثير الى مرو وترددت الرسل بينهم فاصطلحوا على ان تكون نيسابور وقيادة الجيوش لابى العباس وتكون بلخ لفائق وتكون هراة لابى على بن أبى الحسن بن سيمجور وتفرقوا على ذلك وقصد كل واحد منهم ولايته

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة توفى نقيب النقباء أبو تمام الزينبى وولى النقابة بعده ابنه أبو الحسن وتوفى محمد بن جعفر المعروف بزوج الحرة فى صفر ببغداد وتوفى فى جمادى الاولى منصور بن أحمد بن هرون الزاهد وهو ابن خمس وستين سنة

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة

ذكر موت مؤيد الدولة وعود فخر الدولة الى مملكته

فى هذه السنة فى شعبان توفى مؤيد الدولة أبو منصور بويه بن ركن الدولة بجرجان وكانت علته الخوانيق وقال له الصاحب بن عباد لو عهدت الى أحد فقال انا فى شغل عن هذا ولم يعهد بالملك الى أحد وكان عمره ثلاثا وأربعين سنة وجلس صمصام الدولة للعزاء ببغداد فأتاه الطائع لله معزيا فلقيه فى طيارة ولما مات مؤيد الدولة تشاوروا أكابر دولته فيمن يقوم مقامه فأشار الصاحب اسمعيل بن عباد باعادة فخر الدولة الى مملكته اذ هو كبير البيت ومالك تلك البلاد قبل مؤيد الدولة ولما فيه من آيات الامارة والملك فكتب اليه واستدعاه وهو بنيسابور وأرسل الصاحب اليه واستخلفه لنفسه واقام فى الوقت خسرو فيروز بن ركن الدولة ليسكن الناس الى قدوم فخر الدولة فلما وصلت الاخبار الى فخر الدولة سار الى جرجان فلقيه العسكر بالطاعة وجلس فى دست ملكه فى رمضان بغير منة لأحد فسبحان من اذا أراد أمرا كان ولما عاد الى مملكته قال له الصاحب يا مولانا قد بلغك الله وبلغنى فيك ما أملته ومن حقوق خدمتى لك اجابتى الى ترك الجندية وملازمة دارى والتوفر على أمر الله فقال لا تقل هذا فأريد الملك الا لك ولا يستقيم لى أمر الا بك واذا كرهت ملابسة الامور كرهتها انا ايضا وانصرفت فقبل الارض وقال الامر لك فاستوزره وأكرمه وعظمه وصدر عن رأيه فى جليل الامور وصغيرها وسيرت الخلع من الخليفة الى فخر الدولة والعهد واتفق فخر الدولة وصمصام الدولة فصارا يدا واحدة

ذكر عزل أبى العباس عن خراسان وولاية ابن سيمجور

لما عاد أبو العباس عن بخارا الى نيسابور كما ذكرناه استوزر الامير نوح عبد الله بن عزير وكان ضدا لابى الحسين العتبى وأبى العباس فلما ولى الوزارة بدأ بعزل أبى العباس عن خراسان واعادة

وغير ذلك فيأبون فيمرهم على السيف حتى بلغ الى الطفيلى بعد فراغه من العشرة وقد استوعبوا عدة القوم فقال المأمون للموكلين من هذا قالوا والله ما ندرى غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المأمون ما خبرك قال يا أمير المؤمنين امرأتى طالق ان كنت اعرف من أقوالهم شيأ وانما انا رجل طفيلى وقص عليه خبره من أوله الى آخره فضحك المأمون ثم أظهر له الصورة فلعنها وتبرأ منها وقال أعطونيها حتى اسلح عليها والله ما أدرى مانى ايهوديا كان أم مسلما فقال المأمون يؤدب على فرط تطفله ومخاطرته بنفسه (وكان) ابراهيم بن المهدى قائما بين يدى المأمون فقال يا أمير المؤمنين هب لى ذنبه واحدثك بحديث عجيب فى التطفيل عن نفسى قال قل يا ابراهيم قال يا أمير المؤمنين خرجت يوما فمررت فى سكك بغداد متطرفا حتى انتهيت الى موضع فشممت رائحة أبازير من جناح فى دار عالية وقدور قد فاح قتارها فتاقت نفسى اليها فوقفت على خياط فقلت لمن هذه الدار فقال لرجل من التجار من البزازين قلت ما اسمه قال فلان بن فلان فرفعت طرفى الى الجناح فاذا فيه شباك فنظرت الى كف قد خرج من الشباك وعصم ما رأيت أحسن منه قط فشغلنى يا أمير المؤمنين حسن الكف

فبقيت باهتا قد ذهل عقلي ثم قلت للخياط هو ممن يشرب النبيذ فقال نعم

أبي الحسن بن سيمجور الهافكتب من بخراسان من القواد اليه يسألونه ان يقرأبا العباس على عمله فلم يجبهم الى ذلك فكتب أبو العباس الى فخر الدولة بن بويه يستمده فامده بمال كثير وعسكر فاقاموا بنيسابور وأتاهم أبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق معاضدا لهم على ابن سيمجور وكان أبو العباس حينئذ بمرو فلما سمع أبو الحسن بن سيمجور وفائق بوصول عسكر فخر الدولة الى نيسابور قصدوهم فانحاز عسكر فخر الدولة وابن عبد الرزاق وأقاموا ينتظرون أبا العباس ونزل ابن سيمجور ومن معه بظاهر نيسابور ووصل أبو العباس فيمن معه واجتمع بعسكر الديلم ونزل بالجانب الآخر وجرى بينهم حروب عدة أيام وتحصن ابن سيمجور بالبلد وأنفذ فخر الدولة الى أبي العباس عسكرا آخر أكثر من ألفي فارس فلما رأى ابن سيمجور قوة أبي العباس انحاز عن نيسابور فسار عنها ليلا وتبعه عسكر أبي العباس فغنموا كثيرا من أموالهم ودوابهم واستولى أبو العباس على نيسابور وراسل الامير نوح بن منصور يستميله ويستعطفه ولج ابن عزير في عزله ووافقه على ذلك والدة الامير نوح وكانت تحكم في دولة ولدها وكانوا يصدرون عن رأيها فقال بعض أهل العصر في ذلك

شيآن يعجز ذو الرياضة عنهما * رأى النساء وامرة الصبيان

أما النساء فميلهن الى الهوى * وأخو الصبا يجري بغير عنان

﴿ ذكر انهزام ابي العباس الى جرجان ووفاته ﴾

لما انهزم ابن سيمجور أقام ابو العباس بنيسابور يستعطف الامير نوحا ووزيره ابن عزير وترك اتباع ابن سيمجور واخراجه من خراسان فتراجع الى ابن سيمجور أصحابه المنهزمون وعادت قوته وأتته الامداد من بخارا وكاتب شرف الدولة أبا الفوارس بن عضد الدولة وهو بفارس يستمده فأمده بألفي فارس مراغمة لعمه فخر الدولة فلما كثف جمعه قصد أبا العباس فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا الى آخر النهار فانهزم أبو العباس وأصحابه وأسر منهم جماعة كثيرة وقصد أبو العباس جرجان وبها فخر الدولة فاكرمه وعظمه وترك له جرجان ودهستان واستراباذ صافية له ولمن معه وسار عنها الى الري وأرسل اليه من الاموال والآلات ما يجل عن الوصف وأقام أبو العباس بجرجان هو وأصحابه وجمع العساكر وسار نحو خراسان فلم يصل اليها وعاد الى جرجان وأقام بها ثلاث سنين ثم وقع بها وباء شديد ومات فيه كثير من أصحابه ثم مات هو أيضا وكان موته سنة سبع وسبعين وقيل انه مات مسموما وكان أصحابه قد أساؤا السيرة مع أهل جرجان فلما مات ثار بهم أهلها ونهبوهم وجرت بينهم وقعة عظيمة أجلت عن هزيمة الجرجانية وقتل منهم خلق كثير وأحرقت دورهم ونهبت أموالهم وطلب مشايخهم الامان فكفوا عنهم وتفرق أصحابه فسار أكثرهم الى خراسان واتصلوا بأبي علي بن أبي الحسن بن سيمجور وكان حينئذ صاحب الجيش مكان أبيه وكان والده قد توفي فجأة وهو يجامع بعض حظاياه فمات على صدرها فلما مات قام بالامر بعده ابنه أبو علي واجتمع اخوته على طاعته منهم أخوه أبو القاسم وغيره فنازعه فائق الولاية وسنذكر ذلك سنة ثلاث وثمانين عند ملك الترك بخارا ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر قتل أبي الفرج محمد بن عمران وملك أبي المعالي ابن أخيه الحسن ﴾

في هذه السنة قتل أبو الفرج محمد بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة وولي أبو المعالي ابن أخيه الحسن وسبب قتله ان أبا الفرج قدم الجماعة الذين ساعدوه على قتل اخيه ووضع من حال مقدمي القواد فجمعهم المظفر بن علي الحاجب وهو أكبر قواد أبيه عمران وأخيه الحسن وحذرهم عاقبة أمرهم فاجتمعوا على قتل أبي الفرج فقتله المظفر وأجلس أبا المعالي مكانه وتولى تدبيره

والمعصم عن رائحة القدور وأحسب ان عنده اليوم دعوة ولا ينادم الا نجارا مثله فانا كذلك اذ اقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال لي الخياط هذان منادماه قلت ما اسماهما وما كناهما فقال فلان وفلان فحركت دابتي حتى دخلت بينهما وقلت جعلت فداكما قد استبطأكما أبو فلان أعزه الله وسايرتهما حتى انتهينا الى الباب فقدماني فدخلت ودخلا فلما رآني صاحب المنزل لم يشك الا أني منهما بسبيل فرحب وأجلسني في أجل موضع فجيء يا أمير المؤمنين بالمائدة وعليها خبز نظيف وأتينا بتلك الالوان فكان طعمها اطيب من رائحتها فقلت في نفسي هذه الالوان قد أكلتها وبقي الكف والمعصم ثم رفع الطعام فغسلنا أيدينا ثم صرنا الى مجلس المنادمة فاذا أنبل مجلس وأجل فرش وجعل صاحب المجلس يلطف بي ويقبل علي بالحديث والرجلان لا يشكان انه مني بسبيل وانما كان ذلك الفعل منه بي لما ظن اني منهما بسبيل حتى اذا شربنا أقداحا خرجت علينا جارية تتثنى كأنها غصن بان فسلمت غير خجلة وهيئت لها وسادة

وأتى بعود فوضع في حجرها فجسته فتبينت الحذق في جسها ثم اندفعت تغني

توجها الطرف في فا[..] لم تخدها * فصار مكان الوهم من نظري أثر وصافحها كفي فآلم كفها

بنفسه وقتل كل من كان يخافه من القواد ولم يترك معه الا من يثق به وكان أبو المعالي صغيرا

﴿ ذكر استيلاء المظفر على البطيحة ﴾

لما طالت أيام علي المظفر بن علي الحاجب وقوي أمره طمع في الاستقلال بأمر البطيحة فوضع كتابا عن لسان صمصام الدولة اليه يتضمن التعويل عليه في ولاية البطيحة وسلمه الى ركابي غريب وأمره ان يأتيه اذا كان القواد والاجناد عنده ففعل ذلك وأتاه وعليه أثر الغبار وسلم اليه الكتاب فقبله وفضه وقرأه بحضرة من الاجناد وأجاب بالسمع والطاعة وعزل أبا المعالي وجعله مع والدته وأجرى عليهما جراية ثم أخرجهما الى واسط وكان يصلهما بنفقاته واستبد بالامر وأحسن السيرة وعدل في الناس مدة ثم انه عهد الى ابن أخته أبي الحسن علي بن نصر الملقب بمهذب الدولة وكان يلقب حينئذ بالامير المختار وبعده الى أبي الحسن علي بن جعفر وهو ابن أخته الاخرى وانقرض بيت عمران بن شاهين وكذلك الدنيا دول وما أشبه حاله بحال باذ فانه ملك وانتقل الملك الى ابن أخته ممهد الدولة ابن مروان

﴿ ذكر عصيان محمد بن غانم ﴾

وفيها عصى محمد بن غانم البرزيكاني بناحية كوردر من أعمال قم على فخر الدولة وأخذ بعض غلات السلطان وامتنع بحصن الهفتجان وجمع البرزيكاني الى نفسه فسارت اليه العساكر في شوال لقتاله فهزمها وأعيدت اليه من الري مرة أخرى فهزمها فأرسل فخر الدولة الى أبي النجم بدر بن حسنويه ينكر ذلك عليه ويأمره باصلاح الحال معه ففعل وراسله فاصطلحوا أول سنة أربع وسبعين وبقي الى سنة خمس وسبعين فسار اليه جيش لفخر الدولة فقاتله فاصابه طعنة وأخذ أسيرا فمات من طعنته

﴿ ذكر انتقال بعض صنهاجة من افريقية الى الاندلس وما فعلوه ﴾

في هذه السنة انتقل أولاد زيري بن مناد وهم زاوي وجلالة وماكسن اخوة بلكين الى الاندلس وسبب ذلك انهم وقع بينهم وبين أخيهم حماد حروب وقتال على بلاد بينهم فغلبهم حماد فتوجهوا الى طنجة ومنها الى قرطبة فاتاهم محمد بن ابي عامر وسر بهم وأجرى عليهم الوظائف وأكرمهم وسألهم عن سبب انتقالهم فاخبروه وقالوا انما اخترناك على غيرك واحببنا ان نكون معك نجاهد في سبيل الله فاستحسن ذلك منهم ووعدهم ووصلهم فأقاموا أياما ثم دخلوا عليه وسألوه اتمام ما وعدهم به من الغزو فقال انظروا ما أردتم من الجند نعطيكم فقالوا ما يدخل معنا بلاد العدو غيرنا الا الذين معنا من بني عمنا وصنهاجة وموالينا فاعطاهم الخيل والسلاح والاموال وبعث معهم دليلا وكان الطريق ضيقا فأتوا أرض جليقية فدخلوها ليلا وكمنوا في بستان بالقرب من المدينة وقتلوا كل من به وقطعوا أشجاره فلما أصبحوا خرج جماعة عن البلد فضربوا عليهم وأخذوهم وقتلوهم جميعهم فرجعوا وتسامع العدو فركبوا في أثرهم فلما أحسوا بذلك كمنوا وراء ربوة فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم وضربوا في ساقتهم وكبروا فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا أن العدد كثير فانهزموا وتبعهم صنهاجة فقتلوا خلقا كثيرا وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا الى قرطبة فعظم ذلك عند ابن أبي عامر ورأى من شجاعتهم ما لم يره من جند الاندلس فاحسن اليهم وجعلهم بطانته

﴿ ذكر غزو ابن أبي عامر الى الفرنج بالاندلس ﴾

لما رأى أهل الاندلس فعل صنهاجة حسدوهم ورغبوا في الجهاد وقالوا للمنصور بن أبي عامر لقد

فمن لمس كفي في أناملها عقر ومرت بقلبي خاطرا فجرحتها ولم أر شيأ قط يجرحه الفكر فهيجت والله يا أمير المؤمنين على بلابلي وطربت لحسن غنائها وحذقها ثم اندفعت تغني

أشرت اليها هل علمت مودتي فردت بطرف العين اني على العهد فحدت عن الاظهار عمدا لسرها وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت السلاح وجاءني من الطرب ما لا أملك معه النفس ولا الصبر واندفعت تغني

أليس عجيبا أن بيتا يضمني وأياك لا نخلو ولا نتكلم سوى أعين تشكو الهوى بجفونها وترجيع أحشاء على النار تضرم اشارة أفواه وغمز حواجب وتكسير اجفان وكف يسلم

فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء وأصابتها معنى الشعر وأنها لم تخرج من الفن الذي ابتدأته فقلت بقي عليك يا جارية شيء فغضبت وضربت بعودها الارض ثم قالت

متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء فندمت على ما كان مني ورأيت القوم قد تغيروا فقلت أليس ثم عود قالوا بلى ياسيدنا فاتيت

نشطنا هؤلاء للغزو وجمع الجيوش الكثيرة من سائر الاقطار وخرج الى الجهاد وكان رأى فى منامه تلك الليالى كأن رجلا أعطاه الاسبراج فأخذه من يده وأكل منه فعبره على ابن أبى جمعة فقال له اخرج الى بلد اليون فانك ستفتحها فقال من أين أخذت هذا فقال لان الاسبراج يقال له فى المشرق الهليون فتلك الرؤيا قال لك هاليون فخرج اليها ونازلها وهى من أعظم مدائنهم واستمد أهلها الفرنج فأمدوهم بجيوش كثيرة واقتتلوا ليلا ونهارا فكثر القتل فيهم وصبرت صنهاجة صبرا عظيما ثم خرج قومص كبير من الفرنج لم يكن لهم مثله فجال بين الصفوف وطلب البراز فبرز اليه جلالة بن زيرى الصنهاجى فحمل كل واحد منهما على صاحبه فطعنه الفرنجى فمال عن الطعنة وضربه بالسيف على عاتقه فابان عاتقه فسقط الفرنجى الى الارض وحمل المسلمون على النصارى فانهزموا الى بلادهم وقتل منهم مالا يحصى وملك المدينة وغنم ابن أبى عامر غنيمة عظيمة لم يرمثلها واجتمع من السبى ثلاثون ألفا وأمر بالقتلى فنضد بعضها على بعض وأمر مؤذنا فاذن فوق القتلى المغرب وخرب مدينة قامونة ورجع سالما هو وعساكره

﴿ذكر وفاة يوسف بلكين وولاية ابنه المنصور﴾

فى هذه السنة لسبع بقين من ذى الحجة توفى يوسف بلكين بن زيرى صاحب افريقية بوارقلين وسبب مضيه اليها ان خزرون الزناتى دخل سجلماسة وطرد عنها نائب يوسف بلكين ونهب مافيها من الاموال والعدد وتغلب على فارس زيرى بن عطية الزناتى فرحل يوسف اليها فاعتل فى الطريق بقولنج وقيل خرج فى يده بثرة فمات منها فأوصى بولاية ابنه المنصور وكان المنصور بمدينة أشير فجلس للعزاء بابيه وأتاه أهل القيروان وسائر البلاد يعزونه بأبيه ويهنونه بالولاية فاحسن الى الناس وقال لهم ان أبى يوسف وجدى زيرى كانا يأخذان الناس بالسيف وانا لا آخذهم الا بالاحسان واست ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب يعنى ان الخليفة بمصر لا يقدر على عزله بكتاب ثم سار الى القيروان وسكن برقادة وولى الاعمال واستعمل الامراء وأرسل هدية عظيمة الى العزيز بالله بمصر قيل كانت قيمتها ألف ألف دينار ثم عاد الى اشير واستخلف على جباية الاموال بالقيروان والمهدية وجميع افريقية انسانا يقال له عبد الله بن الكاتب

﴿ذكر امر باذ الكردى خال بنى مروان وملكه الموصل﴾

فى هذه السنة قوى أمر باذ الكردى واسمه أبو عبد الله الحسين بن دوستك وهو من الاكراد الحميدية وكان ابتداء أمره أنه كان يغزو بثغور ديار بكر كثيرا وكان عظيم الخلقة له بأس وشدة فلما ملك عضد الدولة الموصل حضر عنده فلما رأى عضد الدولة خافه وقال ما أظنه يبقى على فهرب حين خرج من عنده وطلبه عضد الدولة بعد خروجه ليقبض عليه وقال له باس وشدة وفيه شر ولا يجوز الابقاء على مثله فاخبر بهرب به فكف عن طلبه وحصل بثغور ديار بكر واقام بها الى ان استفحل أمره وقوى وملك ميافارقين وكثيرا من ديار بكر بعد موت عضد الدولة ووصل بعض أصحابه الى نصيبين فاستولى عليها فجهز صمصام الدولة اليه العساكر مع أبى سعد بهرام بن أردشير فواقعه فانهزم بهرام وأسر جماعة من أصحابه وقوى أمر باذ فأرسل صمصام الدولة اليه أبا القاسم سعد بن محمد الحاجب فى عسكر كثير فالتقوا باجلايا على خابور الحسينية من بلد كواشى واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم سعد وأصحابه واستولى باذ على كثير من الديلم فقتل وأسر ثم قتل الاسرى صبرا وفى هذه الوقعة يقول أبو الحسين البشنوى

يا جلايا جلونا عنه غمغمة * ونحن فى الروع جلاؤن للكرب

ما أردت واندفعت أغنى

ما المنازل لا يجبن حزبنا * اصمن أم بعد المدى فيلمينا

بعود فاصلحت من شأنه راحوا العشية روحة مذكورة ان متن متن وان حيين حيينا فاستتممته جيدا حتى خرجت الجارية فأكبت على رجلى تقبلها وهى تقول المعذرة والله لك ياسيدى فما سمعت من يغنى هذا الصوت مثلك وقام مولاها وكل من كان عنده فصنعوا كصنعها وطرب القوم واستحثوا الشرب فشربوا بالطاسة ثم اندفعت اغنى

أبالله هل تمسين لا تذكرينى * وقد سجمت عيناى من ذكرك الدما
الى الله أشكو بخلها وسماحتى * لها عسل منى وتبذل علقما
فردى مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما
الى الله أشكو أنها أجنبية * وانى لها بالود ما عشت مكرما

فجاء من طرب القوم يا أمير المؤمنين ما خشيت أن يخرجوا من عقولهم فامسكت ساعة حتى اذا هدأ القوم اندفعت أغنى الثالثة

هذا محبك مطوى على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده

يعنى باذا وسنذكر سببه سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ان شاء الله تعالى ولما هزم باذ الديلم وسعدا وفعل بهم ما تقدم ذكره سبقه سعد فدخل الموصل وسار باذ فى أثره فثار العامة بسعد لسوء سيرة الديلم فيهم فنجا منهم بنفسه ودخل باذ الى الموصل واستولى عليها وقويت شوكته وحدث نفسه بالتغلب على بغداد وازالة الديلم عنها وخرج من حد المتطرفين وصار فى عداد أصحاب الاطراف فخافه صمصام الدولة وأهمه أمره وشغله عن غيره وجمع العساكر ليسيرها اليه فانقضت السنة وقد حدثنى بعض أصدقائنا من الاكراد الحميدية ممن يعتنى باخبار باذ أن باذا كنيته أبو شجاع واسمه باذ وان أبا عبد الله هو الحسين بن دوستك هو أخو باذ وكان ابتداء أمره أنه كان يرعى الغنم وكان كريما جوادا وكان يذبح الغنم التى له ويطعم الناس فظهر عنه اسم الجود فاجتمع عليه الناس وصار يقطع الطريق وكلما حصل له شئ أخرجه فكثر جمعه وصار يغزو ثم انه دخل أرمينية فملك مدينة ارجيش وهى أول مدينة ملكها فقوى بها وسار منها الى ديار بكر فملك مدينة آمد ثم ملك مدينة ميافارقين وغيرها من ديار بكر وسار الى الموصل فملكها كما ذكرناه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة استعمل العزيز بالله الخليفة العلوى على دمشق وأعمالها بكجور التركى مولى قرعويه احد غلمان سيف الدولة بن حمدان وكان له حمص فسار منها الى دمشق وظلم أهلها وعسفهم وأساء السيرة فيهم وقد ذكرناه سنة اثنتين وسبعين مستقصى وفيها وزر أبو محمد على بن العباس بن فسانجس لشرف الدولة وفيها فى ربيع الاول انقض كوكب عظيم اضاءت له الدنيا وسمع له مثل دوى الرعد الشديد وفيها غلت الاسعار بالعراق وما يجاوره من البلاد وعدمت الاقوات فمات كثير من الناس جوعا وفيها وزر أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان لصمصام الدولة وفيها ورد القرامطة الى قريب بغداد وطمعوا فى موت عضد الدولة فصولحوا على مال أخذوه وعادوا وفيها فى جمادى الآخرة توفى سعيد بن سلام أبو عثمان المغربى بنيسابور ومولده بالقيروان ودخل الشام فصحب الشيوخ منهم أبو الخير الاقطع وغيره وكان من أرباب الاحوال

﴿ثم دخلت سنة اربع وسبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر عود الديلم الى الموصل وانهزام باذ﴾

لما استولى باذ الكردى على الموصل أهم صمصام الدولة ووزيره ابن سعدان بامره فوقع الاختيار على انفاذ زيار بن شهراكويه وهو أكبر قوادهم فأمره بالمسير الى قتاله وجهزه وبالغ فى أمره وأكثر معه الرجال والعدد والاموال وسار الى باذ فخرج اليهم ولقيهم فى صفر من هذه السنة فاجلت الوقعة عن هزيمة باذ وأصحابه وأسر كثير من عسكره وأهله وحملوا الى بغداد فشهروا بها وملك الديلم الموصل وأرسل زيار عسكرا مع سعد الحاجب فى طلب باذ فسلكوا على جزيرة ابن عمر وأرسل عسكرا آخر الى نصيبين فاختلفوا على مقدميهم فلم يطاوعوهم على المسير اليه وكان باذ بديار بكر قد جمع خلقا كثيرا فكتب وزير صمصام الدولة الى سعد الدولة ابن سيف الدولة بن حمدان وبذل له تسليم ديار بكر اليه فسير اليها جيشا فلم يكن لهم قوة باصحاب باذ فعادوا الى حلب وكانوا قد حصروا ميافارقين فلما شاهد سعد ذلك من عسكره أعمل الحيلة فى قتل باذ فوضع رجلا على ذلك فدخل الرجل خيمة باذ ليلا وضربه بالسيف وهو يظن انه يضرب رأسه فوقعت الضربة على ساقه فصاح وهرب ذلك الرجل فمرض باذ من تلك الضربة وأشفى على الموت وكان قد جمع معه من الرجال خلقا كثيرا فراسل زيارا وسعدا يطلب الصلح فاستقر الحال بينهم واصطلحوا على

يا من رأى كلفا مستهترا أسفا * كانت منيته فى عينه ويده

فجعلت الجارية يا أمير المؤمنين تصيح السلاح هذا والله الغناء يا مولاى وسكر القوم وخرجوا من عقولهم وكان صاحب المنزل جيد الشراب ونديما دونه فأمر غلمانه مع غلمانهم بحفظهم وصرفهم الى منازلهم وخلوت معه فشربنا اقداحا ثم قال ياسيدى ذهب والله ما خلا من أيامى باطلا اذ كنت لا اعرفك فمن انت يا مولاى ولم يزل يلح على حتى أخبرته فقبل رأسى وقال ياسيدى وانى اعجب ان يكون هذا الادب الا لمثلك واذا أنا منذ اليوم مع الخلافة ولا أعلم وسألنى عن قصتى وكيف حملت نفسى على ما فعلته فاخبرته خبر الطعام والكف والمعصم فقال يا فلانة لجارية له قولى لفلانة تنزل فجعل ينزل الى جواريه واحدة واحدة فأنظر الى كفها وأقول ليس هى حتى قال والله ما بقى غير أمى وأختى ولا نزلنهما اليك فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت له جعلت فداك ابدأ بالاخت قبل الام فعسى ان تكون صاحبتى فقال صدقت ففعل فلما رأيت كفها ومعصمها قلت هى هى جعلت فداك فأمر غلمانه من فوره فصاروا الى عشرة مشايخ من جلة جيرانهم فاحضروا وجىء ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم ثم قال هذه أختى فلانة وأنا أشهدكم انى قد زوجتها من سيدى

ان تكون ديار بكر لباذ والنصف من طور عبدين أيضا وانحدر زيار الى بغداد وأقام سعد بالموصل

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة تلد أبو طريف عليان بن ثمال الخفاجى حماية الكوفة وهى أول امارة بنى ثمال وفيها خطب أبو الحسين بن عضد الدولة بالاهواز لفخر الدولة وخطب له أبو طاهر بن عضد الدولة بالبصرة ونقشا اسمه على السكة وفيها خطب لصمصام الدولة بعمان وكانت لشرف الدولة ونائبه بها استاذهرمز فصار مع صمصام الدولة فلما بلغ الخبر الى شرف الدولة أرسل اليه جيشا فانهزم استاذهرمز وأخذ أسيرا وعادت عمان الى شرف الدولة وحبس استاذهرمز فى بعض القلاع وطولب بمال كثير وفيها توفى على بن كامة مقدم عسكر ركن الدولة وفيها أفرج شرف الدولة عن أبى منصور بن صالحان واستوزره وقبض على وزيره أبى محمد بن فسانجس وفيها أرسل شرف الدولة رسولا الى القرامطة فلما عاد قال ان القرامطة سألونى عن الملك فأخبرتهم بحسن سيرته فقالوا من ذلك أنه استوزر ثلاثة فى سنة لغير سبب فلم يغير شرف الدولة بعد هذا على وزيره أبى منصور بن صالحان وفى هذه السنة توفى أبو الفتح محمد بن الحسين الازدى الموصلى الحافظ المشهور وقيل فى سنة تسع وستين وكان ضعيفا فى الحديث

﴿ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر الفتنة ببغداد﴾

فى هذه السنة جرت فتنة ببغداد بين الديلم وكان سببها ان أسفار بن كردويه وهو من أكابر القواد استنفر من صمصام الدولة واستمال كثيرا من العسكر الى طاعة شرف الدولة واتفق رأيهم على ان يولوا الامير بهاء الدولة ابا نصر بن عضد الدولة العراق نيابة عن أخيه شرف الدولة وكان صمصام الدولة مريضا فتمكن أسفار من الذى عزم عليه وأظهر ذلك وتأخر عن الدار وراسله صمصام الدولة يستميله ويسكنه فازداده الاتمادنا فلما رأى ذلك من حاله راسل الطائع يطلب منه الركوب معه وكان صمصام الدولة قد ابل من مرضه فامتنع الطائع من ذلك فشرع صمصام الدولة واستمال فولاذ زماندار وكان موافقا لاسفار الا انه كان يأنف من متابعته لكبر شأنه فلما راسله صمصام الدولة أجابه واستحلفه على ما أراد وخرج من عنده وقاتل اسفار فهزمه فولاذ وأخذ الامير أبو نصر أسيرا واحضر عند أخيه صمصام الدولة فرق له وعلم انه لا ذنب له فاعتقله مكرما وكان عمره حينئذ خمس عشرة سنة وثبت أمر صمصام الدولة وسعى اليه بابن سعدان الذى كان وزيره فعزله وقيل انه كان هواه معهم فقتل ومضى أسفار الى الاهواز واتصل بالامير أبى الحسين بن عضد الدولة وخدمه وسار باقى العسكر الى شرف الدولة

﴿ذكر اخبار القرامطة﴾

فى هذه السنة ورد اسحق وجعفر الهجريان وهما من الستة القرامطة الذين يلقبون بالسادة فملكا الكوفة وخطبا لشرف الدولة فانزعج الناس لذلك لما فى النفوس من هيبتهم وباسهم وكان لهم من الهيبة ما ان عضد الدولة وبختيار اقطعاهم الكثير وكان نائبهم ببغداد الذى يعرف بأبى بكر بن شاهويه يتحكم تحكم الوزراء فقبض عليه صمصام الدولة فلما ورد القرامطة الكوفة كتب اليهما صمصام الدولة يتلطفهما ويسألهما عن سبب حركتهما فذكرا أن قبض نائبهم هو السبب فى قصدهم بلاده وبثا أصحابهما وجبيا المال ووصل ابو قبس الحسن بن المنذر الى الجامعين وهو من أكابرهم فارسل صمصام الدولة العساكر ومعهم العرب فعبروا الفرات اليه وقاتلوه فانهزم

ابراهيم بن المهدى وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم فرضيت وقبلت النكاح ودفعت اليها البدرة الواحدة وفرقت الاخرى على المشايخ وقلت لهم اعذروا بهذا الذى حضر فى الوقت فقبضوها وانصرفوا ثم قال ياسيدى امهدلك بعض البيوت تنام مع أهلك فاحشمنى والله يا أمير المؤمنين ما رأيت من كرمه وسعة صدره فقلت بل أحضر عمارية وأحملها الى منزلى فقال افعل ما شئت فاحضرت عمارية وحملتها الى منزلى فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل الى من الجهاز ما ضاق عنه بعض دورى فتعجب المأمون من كرم ذلك الرجل وأطلق الطفيلى وأجازه بجائزة حسنة وأمر ابراهيم باحضار ذلك الرجل فصار بعد من خواص المأمون وأهل مودته ولم يزل معه على أفضل الاحوال السارة فى المنادمة وغيرها (وذكر) المبرد وثعلب قال كان كلثوم العتابى واقفا بباب المأمون فجاء يحيى بن أكثم فقال له العتابى ان رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بمكانى قال لست بحاجب قال قد علمت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير طريقى قال ان الله قد ألحقك بجاه ونعمة منه فهما مقيمان عليك بالزيادة ان شكرت وبالتغيير ان كفرت وأنا لك اليوم خير منك لنفسك أدعوك لما فيه زيادة

عنهم وأسر أبو قبس وجماعة من قوادهم فقتلوا فاعاد القرامطة وسيروا جيشا آخر فى عدد كثير وعدة فالتقواهم وعساكر صمصام الدولة بالجامعين أيضا فاجلت الوقعة عن هزيمة القرامطة وقتل مقدمهم وغيره وأسر جماعة ونهب سوادهم فلما بلغ المنهزمون الى الكوفة رحل القرامطة وتبعهم العسكر الى القادسية فلم يدركوهم وزال من حينئذ ناموسهم

﴿ذكر الافراج عن ورد الرومى وما صار أمره اليه ودخول الروس فى النصرانية﴾

فى هذه السنة افرج صمصام الدولة عن ورد الرومى وقد تقدم ذكر حبسه فلما كان الآن افرج عنه وأطلقه وشرط عليه اطلاق عدد كثير من أسارى المسلمين وان يسلم اليه سبعة حصون من بلد الروم برساتيقها وان لا يقصد بلاد الاسلام لا هو ولا أحد من أصحابه ما عاش وجهزه بما يحتاج اليه من مال وغيره فسار الى بلاد الروم واستمال فى طريقه خلقا كثيرا من البوادى وغيرهم وأطمعهم فى العطاء والغنيمة وسار حتى نزل بملطية فتسلمها وقوى بها وبما فيها من مال وغيره وقصد ورديس بن لاون فتراسلا واستقر الامر بينهما على ان تكون قسطنطينية وما جاورها من شمالى الخليج لورديس وهذا الجانب من الخليج لورد وتحالفا واجتمعا فقبض ورديس على ورد وحبسه ثم انه ندم فاطلقه عن قريب وعبر ورديس الخليج وحصر القسطنطينية وبها الملكان ابنا ارمانوس وهما بسيل وقسطنطين وضيق عليهما فراسلا ملك الروسية واستنجداه وزوجاه بأخت لهما فامتنعت من تسليم نفسها الى من يخالفها فى الدين فتنصر وكان هذا أول النصرانية بالروس وتزوجها وسار الى لقاء ورديس فاقتتلوا وتحاربوا فقتل ورديس واستقر الملكان فى ملكهما وراسلا وردا وأقراه على ما بيده فبقى مدة مديدة ومات قيل انه مات مسموما وتقدم بسيل فى الملك وكان شجاعا عادلا حسن الرأى ودام ملكه وحارب البلغار خمسا وثلاثين سنة وظفر بهم واجلى كثيرا منهم من بلادهم واسكنها الروم وكان كثير الاحسان الى المسلمين والميل اليهم

﴿ذكر ملك شرف الدولة الاهواز﴾

فى هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من فارس يطلب الاهواز وأرسل الى أخيه أبى الحسين وهو بها يطيب نفسه ويعده الاحسان وان يقره على ما بيده من الاعمال واعلمه ان مقصده العراق وتخليص أخيه الامير أبى نصر من محبسه فلم يثق أبو الحسين الى قوله وعزم على منعه وتجهز لذلك فاتاه الخبر بوصول شرف الدولة الى ارجان ثم الى رامهرمز فتسلل أجناده الى شرف الدولة ونادوا بشعاره فهرب أبو الحسين نحو الرى الى عمه فخر الدولة فبلغ أصبهان وأقام بها واستنصر عمه فاطلق له مالا ووعده بنصره فلما طال عليه الامر قصد التغلب على أصبهان ونادى بشعار أخيه شرف الدولة فثار به جندها وأخذوه أسيرا وسيروه الى الرى فحبسه عمه وبقى محبوسا الى ان مرض عمه فخر الدولة مرض الموت فلما اشتد مرضه أرسل اليه من قتله وكان يقول شعرا فمن قوله

هب الدهر أرضانى وأعتب صرفه * وأعقب بالحسنى وفك من الاسر
فمن لى بأيام الشباب التى مضت * ومن لى بما قد فات فى الحبس من عمرى

وأما شرف الدولة فانه سار الى الاهواز وملكها وأرسل الى البصرة فملكها وقبض على أخيه أبى طاهر وبلغ الخبر الى صمصام الدولة فراسله فى الصلح فاستقر الامر على ان يخطب لشرف الدولة بالعراق قبل صمصام الدولة ويكون صمصام الدولة نائبا عنه ويطلق أخاه الامير بهاء الدولة أبا نصر ويسيره اليه وصلح الحال واستقام وكان قواد شرف الدولة يحبون الصلح لاجل العود الى أوطانهم

نعمتك وأنت تأبى ذلك ولكل شىء زكاة وزكاة الجاه بذله للمستعين فدخل يحيى فأخبر المأمون بالخبر فادخل اليه العتابى وفى المجلس اسحق بن ابراهيم الموصلى فأمره بالجلوس وأقبل يسأله عن أحواله وشأنه فيجيبه بلسان ناطق فاستظرفه المأمون وأخذ فى مداعبته فظن الشيخ انه قد استخف به فقال يا أمير المؤمنين الايناس قبل الابساس فاشتبه عليه قوله فنظر الى اسحق ثم قال نعم ألف دينار فاتى بها فوضعت بين يدى العتابى ثم دعا الى المفاوضة وأغرى المأمون اسحق بالعبث به فاقبل اسحق يعارضه فى كل باب يذكره ويزيد عليه فعجب منه وهو لا يعلم أنه اسحق ثم قال أياذن أمير المؤمنين فى مسئلة هذا الرجل عن اسمه ونسبه فقال العتابى من أنت وما اسمك قال أنا من الناس واسمى كل بصل فقال له العتابى أما النسبة فقد عرفت وأما الاسم فنكر وما كل بصل من الاسماء فقال له اسحق ما أقل انصافك وما كلثوم والبصل اطيب من الثوم قال العتابى قاتلك الله ما أملحك ما رأيت كالرجل حلاوة أفياذن أمير المؤمنين فى صلته بما وصلنى به فقد والله غلبنى فقال له المأمون بل ذلك موفر عليك وأمر له بمثله فانصرف اسحق الى منزله ونادمه بقية يومه وكان العتابى من أرض جند قنسرين والعواصم وسكن الرقة من ديار مصر وكان

وخطب لشرف الدولة بالعراق وسيرت اليه الخلع والالقاب من الطائع لله الى ان عادت الرسل الى شرف الدولة ليحلفوه الفت اليه البلاد مقاليدها كواسط وغيرها وكاتبه القواد بالطاعة فعاد عن الصلح وعزم على قصد بغداد والاستيلاء على الملك ولم يحلف لاخيه وكان معه الشريف أبو الحسن محمد بن عمر يشير عليه بقصد العراق ويحثه عليه ويطمعه فيه فوافقه على ذلك وسنذكر باقى خبره سنة ست وسبعين ان شاء الله تعالى

﴿ذكر انهزام عساكر المنصور من صاحب سجلماسة﴾

قد ذكرنا استيلاء خزرون وزيرى الزناتيين على سجلماسة وفاس وموت يوسف بلكين لما قصدهما فلما مات تمكنا من تلك البلاد فلما استقر المنصور سير جيشا كثيفا اليهما ليردهما الى طاعته فلما صار الجيش قريب فاس خرج اليهم صاحبها زيرى بن عطية الزناتى المعروف بالقرطاس فى عساكره فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عسكر المنصور وقتل منهم خلق كثير وأسر جماعة كثيرة وثبت قدمه فى ولايته

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة خرج بعمان طائر من البحر كبيراً أكبر من الفيل ووقف على تل هناك وصاح بصوت عال ولسان فصيح قد قرب قد قرب ثلاثا ثم غاص فى البحر فعل ذلك ثلاثة أيام ثم غاب ولم ير بعد ذلك وفيها جدد صمصام الدولة ببغداد على الثياب الابريسم والقطن المبيعة ضريبة مقدارها عشر الثمن فاجتمع الناس فى جامع المنصور وعزموا على قطع الصلاة وكاد البلد يفتن فاعفوا من ذلك وفيها توفى ابن مؤيد الدولة ابن بويه فجلس صمصام الدولة للعزاء فأتاه الطائع لله معزيا وفيها توفى أبو على الحسن بن الحسين بن أبى هريرة الفقيه الشافعى المشهور وأبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله الداركى وكان رئيس أصحاب الشافعى بالعراق وتوفى فى شوال وله نيف وسبعون سنة وأبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح الفقيه المالكى ومولده سنة سبع وثمانين ومائتين وسئل ان يلى قضاء القضاة فامتنع والوليد بن أحمد بن محمد بن الوليد ابو العباس الزوزنى الصوفى المحدث كان من العلماء فى الحقائق وله تصانيف حسنة

﴿ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر ملك شرف الدولة العراق وقبض صمصام الدولة﴾

فى هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من الاهواز الى واسط فملكها فأرسل اليه صمصام الدولة أخاه ابا نصر يستعطفه باطلاقه وكان محبوسا عنده فلم يتعطف له واتسع الخرق على صمصام الدولة وشغب عليه جنده فاستشار أصحابه فى قصد أخيه والدخول فى طاعته فنهوه عن ذلك وقال بعضهم الرأى أننا نصعد الى عكبرا لنعلم بذلك من هو لنا ممن هو علينا فان رأينا عدتنا كثيرة قاتلناهم وأخرجنا الاموال وان عجزنا سرنا الى الموصل فهى وسائر بلاد الجبل لنا فيقوى أمرنا ولا بد ان الديلم والاتراك تجرى بينهم منافسة ومحاسدة ويحدث اختلال فنبلغ الغرض وقال بعضهم الرأى اننا نسير الى قرميسين نكاتب عمك فخر الدولة ونستنجده ونسير على طريق خراسان وأصبهان الى فارس فنتغلب عليها على خزائن شرف الدولة وذخائره فاهنالك ممانع ولا مدافع فاذا فعلنا ذلك لا يقدر شرف الدولة على المقام بالعراق فيعود حينئذ يقع الصلح فاعرض صمصام الدولة عن الجميع وسار فى طيار الى أخيه شرف الدولة فى خواصه فوصل الى أخيه شرف الدولة فلقيه وطيب قلبه فلما خرج من عنده قبض عليه وأرسل الى بغداد من يحتاط

من العلم والقراءة والادب والمعرفة والترسل وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الاشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان وملوكية المجالسة وبراعة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ وصحة القريحة على مالم يكن كثير من الناس فى عصره مثله * وذكر انه قال كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه وجليسه كله ونظم فى ذلك شعرا فقال

لسان الفتى كاتبه
وو جه الفتى حاجبه
وندمانه كله
وكل له واجبه

وذكر عنه انه قال اذا وليت عملا فانظر من كاتبك فانما يعرف مقدارك من بعد عنك بكاتبك واستعقل حاجبك فانما يقضى عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك واستكرم واستظرب جليسك ونديمك فانما يؤذن للرجل بمن معه (وقد فاخر) كاتب نديما فقال الكاتب انا معونة وأنت مؤنة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا للشدة وأنت للذة وأنا للحرب وأنت للسلم فقال النديم أنا للنعمة وأنت للنقمة وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأجلس وتحتشم وأنا مؤنس تدأب لحاجتى وتشقى بما فيه سعادتى وأنا شريك وأنت معين وأنا تابع وأنت قرين وانما سميت نديما للندم على مفارقتى * وللعتابى أخبار حسان وتصنيفات ملاح فى ذكرها خروج عما اليه قصدنا ونحوه

على

على دار المملكة وسار فوصل الى بغداد فى شهر رمضان فنزل بالشفيعى وأخوه صمصام الدولة معه تحت الاعتقال وكانت امارته بالعراق ثلاث سنين واحد عشر شهرا

﴿ذكر الفتنة بين الاتراك والديلم﴾

فى هذه السنة جرت فتنة بين الديلم والاتراك الذين مع شرف الدولة ببغداد وسببها ان الديلم اجتمعوا مع شرف الدولة فى خلق كثير بلغت عدتهم خمسة عشر ألف رجل وكان الاتراك فى ثلاثة آلاف فاستطال عليهم الديلم فجرت منازعة بين بعضهم فى دار واصطبل ثم صارت الى المحاربة فاستظهر الديلم لكثرتهم وارادوا اخراج صمصام الدولة واعادته الى ملكه وبلغ شرف الدولة الخبر فوكل بصمصام الدولة من يقتله ان هم الديلم باخراجه ثم ان الديلم لما استظهروا على الاتراك تبعوهم فتشوشت صفوفهم فعادت الاتراك عليهم من امامهم وخلفهم فانهزموا وقتل منهم زيادة على ثلاثة آلاف ودخل الاتراك البلد فقتلوا من وجدوه منهم ونهبوا أموالهم وتفرق الديلم فبعضهم اعتصم بشرف الدولة وبعضهم سار عنه فلما كان الغد دخل شرف الدولة بغداد والديلم المعتصمون به معه فخرج الطائع لله واقيه وهناه بالسلامة وقبل شرف الدولة الارض وأخذ الديلم يذكرون صمصام الدولة فقيل لشرف الدولة اقتله والا ملكوه الامر ثم ان شرف الدولة صلح بين الطائفتين وحالف بعضهم لبعض وحمل صمصام الدولة الى فارس فاعتقل فى قلعة هناك فرد شرف الدولة على الشريف محمد بن عمر جميع أملاكه وزاده عليها وكان خراج أملاكه كل سنة ألفى ألف وخمسمائة ألف درهم ورد على النقيب أبى أحمد الموسوى املاكه وأقر الناس على مراتبهم ومنع الناس من السعايات ولم يقبلها فأمنوا وسكنوا ووزر له أبو منصور بن صالحان

﴿ذكر ولاية مهذب الدولة البطيحة﴾

فى هذه السنة توفى المظفر بن على وولى بعده ابن أخته أبو الحسن على بن نصر بالعهد المذكور وكتب الى شرف الدولة يبذل له الطاعة ويطلب التقليد فأجيب الى ذلك ولقب بمهذب الدولة فاحسن السيرة وبذل الخير والاحسان فقصده الناس وأمن عنده الخائف وصارت البطيحة معقلا لكل من قصدها واتخذها الاكابر وطنا وبنوا فيها الدور الحسنة ووسعهم بره واحسانه وكاتبه ملوك الاطراف وكاتبوه وزوجه بهاء الدولة ابنته وعظم شأنه الى ان قصده القادر بالله فحماه وبقى عنده الى ان أتته الخلافة على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة توفى أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفى المنجم لعضد الدولة وكان مولده بالرى سنة احدى وتسعين ومائتين وفيها كان بالموصل زلزلة شديدة تهدم بها كثير من المنازل وهلك كثير من الناس وفيها اقتل المنصور بن يوسف صاحب افريقية عبد الله الكاتب وقام على ولاية الاعمال بافريقية عوضه يوسف بن أبى محمد وكان والى قفصة قبل ذلك وفيها كان بالعراق غلاء شديد جلا لشدته أكثر أهله وفيها توفى أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخى الازرق الانبارى الكاتب وأحمد بن الحسين بن على أبو حامد المروزى ويعرف بابن الطبرى الفقيه الحنفى تفقه ببغداد على أبى الحسن الكرخى وولى قضاء القضاة بخراسان ومات فى صفر وكان عابدا مجتهدا ثقة واسحق بن المقتدر بالله أبو محمد والد القادر ومولده سنة سبع عشرة وثلثمائة وصلى عليه ابنه القادر وهو حينئذ أمير وأبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى النحوى صاحب الايضاح قيل كان معتزليا وقد جاوز تسعين سنة وأبو أحمد محمد بن أحمد بن الحسين بن

عمنا وانما ذكرنا عنه هذه الفصول لتغلغل الكلام بنا اليها وتشعبه نحوها

(وحكى) الجوهرى عن العتبى عن عياش الزبدى قال رفع رجل قصة الى المأمون وسأله أن يأذن له فى الدخول عليه والاستماع منه فأذن له فدخل فسلم فقال له المأمون تكلم بحاجتك قال أخبر أمير المؤمنين ان مصائب الدهر وأعاجيب الايام قصدتنى فأخذت منى ما كانت الدنيا أعطتنى فلم تبق لى ضيعة الا خربت ولا نهر الا أبدى ولا منزل الا تهدم ولا مال الا ذهب وقد أصبحت لا أملك سبدا ولا لبدا وعلى دين كثير ولى عيال اطفال وصبية صغار وأنا شيخ كبير قد قعدت بى المطالب وكبرت عنى المكاسب وبى حاجة الى نظر أمير المؤمنين وعطفه قال فبينما هو فى الكلام اذ ضرط فقال وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدهر ومحنته ولا والله ما ظهر منى قط الا فى موضعه فقال المأمون لجلسائه ما رأيت قط أقوى قلبا ولا أربط جأشا ولا أشد نفسا من هذا الرجل ثم أمر له بخمسين ألف درهم * قال أبو العتاهية وجه الى المأمون يوما فصرت اليه فألفيته مطرقا متفكرا مغموما فأحجمت فاطرق مليا ثم رفع رأسه فقال يا اسمعيل شأن النفس المال وحب الاستطراف والانس بالوحدة كما تأنس

الغطريف الجرجانى توفى فى رجب وهو عالى الاسناد فى الحديث

﴿ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر الحرب بين بدر بن حسنويه وعسكر شرف الدولة﴾

فى هذه السنة جهز شرف الدولة عسكرا كثيفا مع قراتكين الجهشيارى وهو مقدم عسكره وكبيرهم وأمرهم بالمسير الى بدر بن حسنويه وقتاله وسبب ذلك ان شرف الدولة كان حنقا على بدر لانحرافه عنه وميله الى عمه فخر الدولة فلما استقر ملكه ببغداد واطاعه الناس شرع فى أمر بدر وكان قراتكين قد جاوز الحد فى التحكم والادلال وحماية الناس على نواب شرف الدولة فرأى ان يخرجه فى هذا الوجه فان ظفر ببدر شفى غيظه منه وان ظفر به بدر استراح منه فساروا نحو بدر وتجهز بدر وجمع العساكر وتلاقيا على الوادى بقرميسين فلما اقتتلوا انهزم بدر حتى توارى عنه وظن قراتكين وأصحابه انه مضى على وجهه فنزلوا عن خيولهم وتفرقوا فى خيامهم فلم يلبثوا الا ساعة حتى كر بدر راجعا اليهم وأكب عليهم وأعجلهم من الركوب وقتل منهم مقتلة عظيمة واحتوى على جميع ما فى عسكرهم ونجا قراتكين فى نفر من غلمانه فبلغ جسر النهروان واقام به حتى اجتمع اليه المنهزمون ودخل بغداد واستولى بدر بعد ذلك على اعمال الجبل وما والاها وقويت شوكته واما قراتكين فانه لما عاد من الهزيمة زاد ادلاله وتجنيه واغرى العسكر بالشغب والتوثب على الوزير أبى منصور بن صالحان فاقوه عما يكره فلاطفهم ودفعهم واصلح شرف الدولة بين الوزير وبين قراتكين وشرع فى اعمال الحيلة على قراتكين فلم تمض غير ايام حتى قبض عليه وعلى جماعة من أصحابه وكتابه وأخذ أموالهم وشغب الجند لاجله فقتله شرف الدولة فسكنوا وقدم عليهم طغان الحاجب فصلحت طاعته

﴿ذكر مسير المنصور بن يوسف لحرب كتامة﴾

فى هذه السنة جمع المنصور صاحب افريقية عساكره وسار الى كتامة قاصدا حربها وسبب ذلك ان العزيز بالله العلوى بمصر كان قد أرسل داعيا له الى كتامة يقال له أبو الفهم واسمه حسن بن نصر يدعوهم الى طاعته وغرضه ان تميل كتامة اليه ويرسل اليه جندا يقاتلون المنصور ويأخذون افريقية منه لما رأى من قوته فدعاهم أبو الفهم فكثر تبعه وقاد الجيوش وعظم شأنه وعزم المنصور على قصده فأرسل الى العزيز بمصر يعرفه الحال فأرسل العزيز رسولين الى المنصور ينهاه عن التعرض لابى الفهم وكتامة وأمرهما ان يسيرا الى كتامة بعد الفراغ من رسالة المنصور فلما وصلا الى المنصور وابلغاه رسالة العزيز اغلظ القول لهما وللعزيز أيضا واغلظا له فأمرهما بالمقام عنده بقية شعبان ورمضان ولم يتركهما يمضيان الى كتامة وتجهز لحرب كتامة وأبى الفهم وسار بعد عيد الاضحى فقصد مدينة ميلة واراد قتل أهلها وسبى نسائهم وذراريهم فخرجوا اليه يتضرعون ويبكون فعفا عنهم وخرب سورها وسار منها الى كتامة والرسولان معه فكان لا يمر بقصر ولا منزل الا هدمه حتى بلغ مدينة سطيف وهى كرسى عزهم فاقتتلوا عندها قتالا عظيما فانهزمت كتامة وهرب أبو الفهم الى جبل وعر فيه ناس من كتامة يقال لهم بنو ابراهيم فأرسل اليهم المنصور يتهددهم ان لم يسلموه فقالوا هو ضيفنا ولا نسلمه ولكن ارسل أنت اليه فخذه ونحن لا نمنعه فارسل فأخذه وضربه ضربا شديدا ثم قتله وسلخه وأكلت صنهاجة وعبيد المنصور لحمه وقتل معه جماعة من الدعاة ووجوه كتامة وعاد الى اشير ورد الرسولين الى العزيز فاخبراه بما فعل بأبى الفهم وقالا جئنا من عند شياطين يأكلون الناس فارسل العزيز الى

بالالف قالت أجل يا أمير المؤمنين ولى من هذا بيت شعر قال وما هو قالت لا تصلح النفس اذ كانت مطرقة * الا التنقل من حال الى حال قال أحسنت زدنى فقالت لا أقدر على ذلك وأنسته بقية يومه وأمر لى بمال فانصرفت (ويحكى) أن المأمون أمر بعض خواصه من خدمه أن يخرج فلا يرى أحدا فى الطريق الا أتى به كائنا من كان من رفيع أو خسيس فأتاه برجل من العامة فدخل وعنده المعتصم أخوه ويحيى بن أكثم ومحمد بن عمر الرومى وقد طبخ كل واحد منهم قدرا فقال محمد بن ابراهيم الطاهرى هؤلاء من خواص أمير المؤمنين فاجبهم عما يسألون فقال المأمون الى أين خرجت فى هذا الوقت وقد بقى عليك من الليل ثلاث ساعات فقال غرنى القمر وسمعت تكبيرا فلم اشك انه أذان فقال له المأمون اجلس فجلس فقال له المأمون قد طبخ كل واحد منا قدرا هو ذا يقدم اليك من كل واحد منها قدرا فأخبر عن فضائلها وما ترى من طيبها فقال هاتوا فقدمت فى طبق كبير كلها موضوعة عليه لا يميز بينها ولكل واحدة ممن طبخها علامة فبدأ فذاق قدر طبخها المأمون فقال زه واكل منها ثلاث لقمات وقال أما هذه فكأنها مسكة وطباخها حكيم نظيف ظريف مليح ثم ذاق قدر المعتصم فقال هذه والله فكأنها والاولى من يد واحدة خرجتا وبحكمة طبختا ثم ذاق قدر حمر الرومى فقال وهذه

المنصور يطيب قلبه وأرسل اليه هدية ولم يذكر له أبا الفهم

﴿ذكر معاودة باذ القتال﴾

فى هذه السنة تجدد لباذ الكردى طمع فى بلاد الموصل وغيرها وسبب ذلك ان سعدا الحاجب الذى تقدم ذكره توفى بالموصل فسير اليها شرف الدولة أبا نصر خواشاذه وجهز اليه العساكر وكتب يستمد من شرف الدولة العساكر والاموال فتأخرت الاموال عنه فاحضر العرب من بنى عقيل وأقطعهم البلاد ليمنعوا عنها وانحدر باذ فاستولى على طور عبدين ولم يقدر على النزول الى الصحراء وأوصل اخاه فى عسكر فقاتلوا العرب فقتل أخوه وانهزم عسكره وأقام بعضهم مقابل بعض فبينما هم كذلك اتاهم الخبر بموت شرف الدولة فعاد خواشاذه الى الموصل واظهر موته واقامت العرب بالصحراء تمنع باذا من النزول اليها وباذ بالجبل وكان خواشاذه يصلح امره ليعاود حرب باذ فأتاه ابراهيم وأبو الحسين ابنا ناصر الدولة على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة جلس الطائع لله لشرف الدولة جلوسا عاما وحضره اعيان الدولة وخلع عليه وحلف كل واحد منهما لصاحبه وفيها ولد الامير أبو على الحسن بن فخر الدولة فى رجب وفيها سار الصاحب ابن عباد الى طبرستان فأصلحها ونفى المتغلبين عنها وفتح عدة حصون منها حصن فريم وعاد فى سنته وفيها عصى الامير أبو منصور بن كور بكنج صاحب قزوين على فخر الدولة فلاطفه فخر الدولة وبذل له الامان والاحسان فعاد الى طاعته وفيها فى رمضان حدثت فتنة شديدة بين الديلم والعامة بمدينة الموصل قتل فيها مقتلة عظيمة ثم أصلح الحال بين الطائفتين وفيها تأخر المطر حتى انتصف كانون الثانى وغلت الاسعار بالعراق وما يجاوره من البلاد واستسقى الناس مرتين فلم يسقوا حتى جاء المطر سابع عشر كانون الثانى وزال القنوط وتتابعت الامطار

﴿ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر القبض على شكر الخادم﴾

فى هذه السنة قبض شرف الدولة على شكر الخادم وكان أخص الناس عند والده عضد الدولة وأقربهم اليه يرجع الى قوله ويعول عليه وكان سبب قبضه انه كان أيام والده يقصد شرف الدولة ويؤذيه وهو الذى تولى ابعاده الى كرمان من بغداد وقام بأمر صمصام الدولة فحقد عليه شرف الدولة ذلك فلما ملك شرف الدولة العراق اختفى شكر فطلبه أشد الطلب فلم يوجد وكان له جارية حبشية قد تزوجها فطلبها اليه فأقامت عنده مدة تخدمه وكان قد علق بقلبها غيره فصارت تأخذ المأكول وغيره وتحمله الى حيث شاءت فأحس بها شكر فلم يحتملها فضربها فخرجت غضبى الى باب دار شرف الدولة فاخبرت بحال شكر فأخذه وأحضر عند شرف الدولة فأراد قتله فشفع فيه نحرير الخادم فوهبه له واستأذنه فى الحج فأذن له فسار الى مكة ثم منها الى مصر فنال هناك منزلة كبيرة وسيرد خبره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عزل بكجور عن دمشق﴾

فى هذه السنة عزل بكجور عن دمشق وسبب ذلك انه أساء السيرة فى دمشق وفعل الاعمال الذميمة وكان الوزير يعقوب بن كلس بمصر فاعتقد يسئ الرأى فيه وانضاف الى ذلك ما فعله بأصحابه بدمشق على ما ذكرناه فلما بلغه فعله بدمشق تحرك فى عزله وقبح ذكره عند العزيز بالله فاجابه الى ذلك فجهزت العساكر من مصر مع القائد منير الخادم فساروا الى الشام فجمع بكجور العرب

قدر طباخ ابن طباخ جاد ما احكمه ثم ذاق قدر يحيى ابن أكثم فأعرض بوجهه وقال شه هذه والله جعل طباخها فيها مكان بصلها خرا فضحك القوم وذهب بهم الضحك وقعد يحادثهم ويطايبهم ويتلهى ويطايبوا معه فلما برق الفجر قال له المأمون لا يخرجن منك ما كنا فيه وعلم انه علمهم فوصله باربعة آلاف دينار وقسط له على أصحاب القدور وقال اياك ان تعود الى الخروج فى مثل هذا الوقت مرة أخرى فقال لا اعدمكم الله الطبيخ ولا اعدمنى الخروج فسألوه عن تجارته وعرفوا منزله وجعل فى خدمة المأمون وخدمة الجميع وصار فى جملتهم (وحدث) أبو عباد الكاتب وكان خاصا بالمأمون قال قال لى المأمون ما اعيانى الاجواب ثلاثة أنفس صرت الى أم ذى الرياستين اعزيها عنه فقلت لا تأسى عليه ولا تجزعى لفقده فان الله قد اخلف عليك منى ولدا يقوم لك مقامه فهما كنت تنبسطين اليه فيه فلا تنقبضين عنى منه فبكت ثم قالت يا أمير المؤمنين وكيف لا احزن على ولد اكسبنى ولدا مثلك واتيت برجل قد تنبأ فقلت له من أنت قال موسى بن عمران عليه السلام فقلت ويحك ان موسى بن عمران عليه السلام كانت له آيات ودلالات بان بها أمره

وغيرها وخرج فلقى العسكر المصرى عند داريا وقاتلهم فاشتد القتال بينهم فانهزم بكجور وعسكره وخاف من وصول نزال والى طرابلس وكان قد كوتب من مصر بمساعدة منير فلما انهزم بكجور خاف ان يجئ نزال فيؤخذ فأرسل يطلب الامان ليسلم البلد اليهم فأجابوه الى ذلك فجمع ماله جميعه وسار واخفى اثره لئلا يغدر المصريون به وتوجه الى الرقة فاستولى عليها وتسلم منير البلد ففرح أهله وسرهم ولايته وسنذكر سنة احدى وثمانين باقى اخباره وقتله ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ظفر الاصفر بالقرامطة﴾

فى هذه السنة جمع انسان يعرف بالاصفر من بنى المنتفق جمعا كثيرا وكان بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة قتل فيها مقدم القرامطة وانهزم أصحابه وقتل منهم وأسر كثير وسار الاصفر الى الاحساء فتحصن منه القرامطة فعدل الى القطيف فاخذ ما كان فيها من عبيدهم وأموالهم ومواشيهم وسار بها الى البصرة

﴿ذكر نكتة حسنة﴾

فى هذه السنة اهدى الصاحب ابن عباد أول المحرم الى فخر الدولة دينارا وزنه ألف مثقال وكان على أحد جانبيه مكتوب

وأحمر يحكى الشمس شكلا وصورة * فأوصافه مشتقة من صفاته
فان قيل دينار فقد صدق اسمه * وان قيل ألف كان بعض سماته
بديع ولم يطبع على الدهر مثله * ولا ضربت اضرابه لسراته
فقد ابرزته دولة فلكية * اقام بها الاقبال صدر قناته
وصار الى شاهانشاه انتسابه * على انه مستصغر لعفاته
يخبر ان يبقى سنين كوزنه * لتستبشر الدنيا بطول حياته
تأنق فيه عبده وابن عبده * وغرس أياديه وكافى كفاته

وكان على الجانب الآخر سورة الاخلاص ولقب الخليفة الطائع لله ولقب فخر الدولة واسم جرجان لانه ضرب بها * قوله دولة فلكية يعنى ان لقب فخر الدولة كان فلك الامة وقوله وكافى كفاته فان الصاحب كان لقبه كافى الكفاة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة تتابعت الامطار وكثرت البروق والرعود والبرد الكبار وسالت منه الاودية وامتلأت الانهار والآبار ببلاد الجبل وخربت المساكن وامتلأت الاقنية طينا وحجارة وانقطعت الطرق وفيها عصى نصر بن الحسن بن الفيرزان بالدامغان على فخر الدولة واجتاز به أحمد بن سعيد الشيبى الخراسانى مقبلا من الرى ومعه عسكر من الديلم لمحاربته فلما رأى الجد فى أمره راسل فخر الدولة وعاود طاعته فأجابه الى قبول ذلك منه اقره على حاله وفيها توفى الامير أبو على ابن فخر الدولة فى رجب وفيها وقع الوباء بالبصرة والبطائح من شدة الحر فمات خلق كثير حتى امتلأت منهم الشوارع وفى شعبان كثرت الرياح العواصف وجاءت وقت العصر خامس شعبان ريح عظيمة بفم الصلح فهدمت قطعة من الجامع واهلكت جماعة من الناس وغرقت كثيرا من السفن الكبار المملوءة واحتملت زورقا منحدرا فيه دواب وعدة من السفن وألقت الجميع على مسافة من موضعها وفيها توفى أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب المفيد كان محدثا مكثرا ومولده سنة أربع وثمانين ومائتين وأبو حامد محمد بن محمد بن أحمد بن اسحق الحاكم

الفى عصاه فابتلعت كيد السحرة ومنها اخراجه يده من جيبه وهى بيضاء وجعلت اعدد عليه ما أتى به موسى بن عمران عليه السلام من دلائل النبوة وقلت له لو اتيتنى بشئ واحد من علاماته أو آية من آياته كنت أول من آمن بك والا قتلتك فقال صدقت الا انى اتيت بهذه العلامات لما قال فرعون أنا ربكم الاعلى فان قلت أنت كذلك اتيتك من العلامات بمثل ما أتيته به والثالثة ان أهل الكوفة اجتمعوا يشكون عاملا كنت أحمد مذهبه وأرتضى سيرته فوجهت اليهم انى اعلم سيرة هذا الرجل وأنا عازم على القعود لكم فى غداة غد فاختاروا رجلا يتولى المناظرة عنكم فانا اعلم بكثرة كلامكم فقالوا امافينا من نرتضيه لمناظرة أمير المؤمنين الا رجل أطروش فان صبر أمير المؤمنين عليه تفضل بذلك فوعدتهم الصبر عليه وحضروا من الغد فأمرت بالرجال فدخلوا والاطروش فلما مثل بين يدى امرته بالجلوس ثم قلت له ماتشكو من عاملكم فقال يا أمير المؤمنين هو شر عامل فى الارض أما فى أول سنة وليناه فانا بعنا أثاثنا وعقارنا وفى السنة الثانية بعنا ضياعنا وذخائرنا وفى السنة الثالثة خرجنا عن بلدنا فاستغثنا بأمير المؤمنين ليرحم شكوانا ويتطول علينا بالامر بصرفه عنا فقلت له كذبت لا امان لك

النيسابورى فى ربيع الاول وهو صاحب التصانيف المشهورة

﴿ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر سمل صمصام الدولة﴾

كان نحرير الخادم يشير على شرف الدولة بقتل أخيه صمصام الدولة وشرف الدولة يعرض عن كلامه فلما اعتل شرف الدولة واشتدت علته الح عليه نحرير وقال له الدولة معه على خطر فان لم تقتله فاسمله فأرسل فى ذلك محمدا الشيرازى الفراش فمات شرف الدولة قبل ان يصل الفراش الى صمصام الدولة فلما وصل الفراش الى القلعة التى بها صمصام الدولة لم يقدم على سمله فاستشار أبا القاسم العلاء بن الحسن الناظر هناك فأشار بذلك فسمله وكان صمصام الدولة يقول ما اعمانى الا العلاء لانه أمضى فى حكم سلطان قد مات

﴿ذكر وفاة شرف الدولة وملك بهاء الدولة﴾

فى هذه السنة مستهل جمادى الآخرة توفى الملك شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة مستسقيا وحمل الى مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام فدفن به وكانت امارته بالعراق سنتين وثمانية أشهر وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة وخمسة أشهر ولما اشتدت علته سير ولده ابا على الى بلاد فارس واصحبه الخزائن والعدد وجماعة كثيرة من الاتراك فلما أيس أصحابه منه اجتمع اليه أعيانهم وسألوه ان يملك أحدا فقال انا فى شغل عما تدعوننى اليه فقالوا له ليأمر أخاه بهاء الدولة أبا نصر ان ينوب عنه الى ان يعافى ليحفظ الناس لئلا تثور فتنة ففعل ذلك وتوقف بهاء الدولة ثم أجاب اليه فلما مات جلس بهاء الدولة فى المملكة وقعد للعزاء وركب الطائع لله أمير المؤمنين الى العزاء فى الزبزب فتلقاه بهاء الدولة وقبل الارض بين يديه وانحدر الطائع لله الى داره وخلع على بهاء الدولة خلع السلطنة واقر بهاء الدولة أبا منصور بن صالحان على وزارته

﴿ذكر مسير الامير أبى على بن شرف الدولة الى فارس وما كان منه مع صمصام الدولة﴾

لما اشتد مرض شرف الدولة جهز ولده الامير أبا على وسيره الى فارس ومعه والدته وجواريه وسير معه من الاموال والجواهر والسلاح أكثرها فلما بلغ البصرة أتاهم الخبر بموت شرف الدولة فسير ما معه فى البحر الى ارجان وسار هو مجدا الى ان وصل اليها واجتمع معه من بها من الاتراك وسار وانحو شيراز وكاتبهم متوليها وهو أبو القاسم العلاء بن الحسن بالوصول اليها ليسلمها اليهم وكان المرتبون فى القلعة التى بها صمصام الدولة وأخوه أبو طاهر قد أطلقوهما وهما فولاذ وسار والى سيراف واجتمع على صمصام الدولة كثير من الديلم وسار الامير أبو على الى شيراز ووقعت الفتنة بها بين الاتراك والديلم وخرج الامير أبو على من داره الى معسكر الاتراك فنزل معهم واجتمع الديلم وقصدوا ليأخذوه ويسلموه الى صمصام الدولة فرأوه قد انتقل الى الاتراك فكشفوا القناع ونابذوا الاتراك وجرى بينهم قتال عدة أيام ثم سار أبو على والاتراك الى فسا فاستولوا عليها وأخذوا ما بها من مال وقتلوا من بها من الديلم وأخذوا أموالهم وسلاحهم فقووا بذلك وسار أبو على الى أرجان وعاد الاتراك الى شيراز فقاتلوا صمصام الدولة ومن معه من الديلم ونهبوا البلد وعادوا الى أبى على بارجان وأقاموا معه مديدة ثم وصل رسول من بهاء الدولة الى أبى على وأدى الرسالة وطيب قلبه ووعده ثم انه راسل الاتراك سرا واستمالهم الى نفسه ولطمعهم فحسنوا لابى على المسير الى بهاء الدولة فسار اليه فلقيه بواسط منتصف جمادى الآخرة سنة ثمانين وثلثمائة فانزله واكرمه وتركه عدة أيام وقبض عليه ثم قتله بعد ذلك بيسير وتجهز بهاء الدولة

بل هو رجل أحمدت سيرته ومذهبه وارتضيت دينه وطريقته واخترته لكم لمعرفتى بكثرة سخطكم على عمالكم قال يا أمير المؤمنين صدقت وكذبت أنا ولكن هذا العامل الذى ارتضيت دينه وأمانته وعدله وانصافه كيف خصصتنا به هذه السنين دون البلاد حتى يشملهم من انصافه وعدله مثل الذى شملنا فقلت له قم فى غير حفظ الله فقد عزلته عنكم * وكان يحيى بن اكثم يقول كان المأمون يجلس للمناظرة فى الفقه يوم الثلاثاء فاذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات ادخلوا حجرة مفروشة وقيل لهم انزعوا اخفافكم ثم احضرت الموائد وقيل لهم اصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء ومن خفه ضيق فلينزعه ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها فاذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنون منه ويناظرهم أحسن مناظرة وانصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين فلا يزالون كذلك الى ان تزول الشمس ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون قال فانه يوما جالس اذ دخل عليه على بن صالح الحاجب فقال يا أمير المؤمنين رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة ويطلب الدخول للمناظرة فقلت انه بعض الصوفية فاردت بان اشير ان لا يؤذن له

للمسير الى الاهواز اقصد بلاد فارس

﴿ذكر الفتنة ببغداد بين الاتراك والديلم﴾

وفي هذه السنة أيضا وقعت الفتنة ببغداد بين الاتراك والديلم واشتد الامر ودام القتال بينهم خمسة أيام وبهاء الدولة في داره يراسلهم في الصلح فلم يسمعوا قوله وقتل بعض رسله ثم انه خرج الى الاتراك وحضر القتال معهم فاشتد حينئذ الامر وعظم الشر ثم انه شرع في الصلح ورفق بالاتراك وراسل الديلم فاستقر الحال بينهم وحلف بعضهم لبعض وكانت مدة الحرب اثنى عشر يوما ثم ان الديلم تفرقوا فمضى فريق بعد فريق واخرج بعضهم وقبض على البعض فضعف أمرهم وقويت شوكة الاتراك واشتدت حالهم

﴿ذكر مسير فخر الدولة الى العراق وما كان منه﴾

وفي هذه السنة سار فخر الدولة بن ركن الدولة من الري الى همذان عازما على قصد العراق والاستيلاء عليها وكان سبب حركته ان الصاحب ابن عباد كان يحب العراق لا سيما بغداد ويؤثر التقدم بها ويرصد أوقات الفرصة فلما توفي شرف الدولة علم ان الفرصة قد امكنت فوضع على فخر الدولة من يعظم عنده ملك العراق ويسهل أمرها عليه ولم يباشر هو ذلك خوفا من خطر العاقبة الى ان قال له فخر الدولة ما عندك في هذا الامر فأحال على ان سعادته تسهل كل صعب وعظم البلاد فتجهز وسار الى همذان واتاه بدر بن حسنويه وقصده دبيس بن عفيف الاسدي فاستقر الامر على ان يسير الصاحب ابن عباد وبدر الى العراق على الجادة ويسير فخر الدولة على خوزستان فلما سار الصاحب حذر فخر الدولة من ناحيته وقيل له ربما استماله اولاد عضد الدولة فاستعاده اليه وأخذه معه الى الاهواز فملكها واساء السير مع جندها وضيق عليهم ولم يبذل المال فخابت ظنون الناس فيه واستشعر منه أيضا عسكره وقالوا هكذا يفعل بنا اذا تمكن من ارادته فتخاذلوا وكان الصاحب قد أمسك نفسه تأثرا بما قيل عنه من اتهامه فالامور بسكونه غير مستقيمة فلما سمع بهاء الدولة بوصولهم الى الاهواز سير اليهم العساكر والتقوا هم وعساكر فخر الدولة فاتفق ان دجلة الاهواز زادت ذلك الوقت زيادة عظيمة وانفتحت البثوق منها فظنها عسكر فخر الدولة مكيدة فانهزموا فقلق فخر الدولة من ذلك وكان قد استبد برأيه فعاد حينئذ الى رأي الصاحب فأشار ببذل المال واستصلاح الجند وقال له ان الرأي في مثل هذه الاوقات اخراج المال وترك مضايقة الجند فان أطلقت المال ضمنت لك حصول اضعافه بعد سنة فلم يفعل ذلك وتفرق عنه كثير من عسكر الاهواز واتسع الخرق عليه وضاقت الامور به فعاد الى الري وقبض في طريقه على جماعة من القواد الرازيين وملك أصحاب بهاء الدولة الاهواز

﴿ذكر هرب القادر بالله الى البطيحة﴾

في هذه السنة هرب القادر بالله من الطائع لله الى البطيحة فاحتمى فيها وكان سبب ذلك ان اسحق ابن المقتدر والد القادر لما توفي جرى بين القادر وبين أخت له منازعة في ضيعة وطال الامر بينهما ثم ان الطائع لله مرض مرضا أشفي منه ثم ابل فسعت اليه بأخيها القادر وقالت له انه شرع في طلب الخلافة عند مرضك فتغير رأيه فيه فانفذ أبا الحسن بن النعمان وغيره للقبض عليه وكان بالحريم الطاهري فاصعدوا في الماء اليه وكان القادر قد رأى في منامه كأن رجلا يقرأ عليه الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فهو يحكي هذا المنام لاهله ويقول انا خائف من طالب يطلبني ووصل أصحاب الطائع

فبدأ المأمون فقال أئذن له فدخل عليه رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله في يده فوقف على طرف البساط فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال له المأمون وعليك السلام فقال اتأذن في الدنو منك قال ادن فدنا ثم قال اجلس فجلس ثم قال اتأذن في كلامك فقال تكلم بما تعلم ان لله فيه رضا قال أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت قد جلسته اباجتماع من المسلمين عليك ورضا منك أم بالمغالبة لهم بالقوة عليهم بسلطانك قال لم اجلسه باجتماع منهم ولا بمغالبة لهم وانما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلي أحمده المسلمون اما على رضا واما على كره فعقد لي ولآخر معي ولاية هذا الامر بعده في اعناق من حضره من المسلمين فأخذ على من حضر بيت الله الحرام من الحاج البيعة لي ولآخر معي فاعطوا ذلك اما طائعين واما كارهين فمضى الذي عقد له معي على هذا السبيل التي مضى عليها فلما صار الى علمت اني أحتاج الى اجتماع كلمة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها على الرضا ثم نظرت فرأيت أني متى تخليت عن المسلمين اضطرب حبل الاسلام وانتقضت اطرافه وغلب الهرج والفتنة ووقع التنازع فتعطلت احكام الله سبحانه وتعالى ولم يحج أحد بيته ولم يجاهد في سبيله ولم يكن له

لله

الله اليه واستدعوه فأراد لبس ثيابه فلم يمكنوه من مفارقتهم فأخذه النساء منهم قهرا وخرج عن داره واستتر ثم سار الى البطيحة فنزل على مهذب الدولة فأكرم نزله ووسع عليه وحفظه وبالغ في خدمته ولم يزل عنده الى أن أتته الخلافة فلما وليها جعل علامته حسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ذكر عود بني حمدان الى الموصل﴾

في هذه السنة ملك أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان الموصل وسبب ذلك انهما كانا في خدمة شرف الدولة ببغداد فلما توفي وملك بهاء الدولة استأذنا في الاصعاد الى الموصل فأذن لهما فأصعدا ثم علم القواد الغلط في ذلك فكتب بهاء الدولة الى خواشاذه وهو يتولى الموصل يأمره بدفعهما عنها فأرسل اليهما خواشاذه يأمرهما بالعود عنه فأعادجوابا جميلا وجدا في السير حتى نزلا بالدير الاعلى بظاهر الموصل وثار أهل الموصل بالديلم والاتراك فنهبوهم وخرجوا الى بني حمدان وخرج الديلم الى قتالهم فهزمهم المواصلة وبنو حمدان وقتل منهم خلق كثير واعتصم الباقون بدار الامارة وعزم أهل الموصل على قتلهم والاستراحة منهم فمنعهم بنو حمدان عن ذلك وسير واخواشاذه ومن معه الى بغداد وأقاموا بالموصل وكثر العرب عندهم

﴿ذكر خلاف كتامة على المنصور﴾

وفي هذه السنة خرج انسان آخر من كتامة يقال له أبو الفرج لا يعرف من أي موضع هو وزعم ان أباه ولد القائم العلوي جد المعز لدين الله فعمل أكثر مما عمله أبو الفهم واجتمعت اليه كتامة واتخذ البنود والطبول وضرب السكة وجرت بينه وبين نائب المنصور وعساكره بمدينة ميلة وسطيف حروب كثيرة ووقعات متعددة فسار المنصور اليه في عساكره وزحف هو الى المنصور في عساكر كتامة فكان بينهما حرب شديدة فانهزم أبو الفرج وكتامة وقتل منهم مقتلة عظيمة واختفى أبو الفرج في غار في جبل فوثب عليه غلامان كانا له فأخذاه وأتيا به المنصور فسره ذلك وقتله شر قتلة وشحن المنصور بلاد كتامة بالعساكر وبث عماله فيها ولم يدخلها عامل قبل ذلك فجبوا أموالها وضيقوا على أهلها ورجع المنصور الى مدينة أشير فأتاه سعيد بن خزرون الزناتي وكان أبوه قد تغلب على سجلماسة سنة خمس وستين وثلثمائة وصار في طاعة المنصور واختص به وعلت منزلته عنده فقال له المنصور يوما يا سعيد هل تعرف أحدا أكرم مني وكان قد وصله بمال كثير فقال نعم أنا أكرم منك فقال المنصور وكيف ذلك قال لانك جدت علي بالمال وأنا جدت عليك بنفسي فاستعمله المنصور على طبنة وزوج ابنه ببعض بنات سعيد فلامه على ذلك بعض أهله فقال كان أبي وجدي يستتبعانهم بالسيف وأما أنا فمن رماني برمح رميته بكيس حتى تكون مودتهم طبعا واختيارا ورجع سعيد الى أهله وبقي الى سنة احدى وثمانين ثم عاد الى المنصور زائرا فاعتل سعيد اياما وتوفي أول رجب ثم قدم فلفل بن سعيد على المنصور فأحسن اليه وحمل اليه مالا كثيرا فرده الى طبنة ولاية ابيه

﴿ذكر خلاف عم المنصور عليه﴾

وفي هذه السنة أيضا خالف ابو البهار عم المنصور بن يوسف بلكين صاحب افريقية عليه لشيء جرى عليه من المنصور ولم يحمله له لعزة نفسه فسار المنصور اليه بتاهرت ففارقها عمه الى الغرب بمن معه من أهلها وأصحابه ودخل عسكر المنصور تاهرت فانتهبوها ثم طلب أهلها الامان فامنهم ثم سار في طلب عمه حتى جاوز تاهرت سبع عشرة مرحلة ولقي العسكر شدة وقصد عمه زيري بن عطية

سلطان يجمعهم ويسوسهم وانقطعت السبل ولم يؤخذ لمظلوم من ظالم فقمت بهذا الامر حياطة للمسلمين ومجاهدا لعدوهم وضابطا لسبلهم وآخذا على أيديهم الى أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم عليه على الرضا به فاسلم الامر اليه وأكون كرجل من المسلمين وأنت أيها الرجل رسولي الى جماعة المسلمين فمتى اجتمعوا على رجل ورضوا به خرجت اليه من هذا الامر فقال السلام عليكم ورحمة الله وقام فأمر المأمون علي بن صالح بان ينفذ في طلبه من يعرف مقصده ففعل ذلك ثم رجع وقال وجهت يا أمير المؤمنين الى مسجد فيه خمسة عشر رجلا فقالوا له لقيت الرجل فقال نعم قالوا فما قال لك قال ما قال لي الا خيرا ذكر أنه ناظر في أمور المسلمين الى أن تأمن سبلهم ويقوم بالحج والجهاد في سبيل الله ويأخذ للمظلوم من الظالم ولا يعطل الاحكام فاذا رضي المسلمون برجل سلم الامر اليه وخرج اليه منه قالوا ما نرى بهذا بأسا وافترقوا فاقبل المأمون على يحيى فقال كفينا مؤنة هؤلاء بايسر الخطب فقلت الحمد لله الذي ألهمك يا أمير المؤمنين الصواب والسداد في القول (قال المسعودي) وكان يحيى قد ولي قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه وبين المأمون فرفع الى المأمون انه أفسد أولادهم بكثرة لواطه فقال المأمون لو طعنوا عليه في أحكامه

صاحب فاس فاكرمه واعلى محله وبقى جنده يغيرون على نواحي المنصور وفي سنة احدى وثمانين وثلثمائة قصدوا النواحي المجاورة لفاس فاوقعوا بأصحاب المنصور بها واستولوا عليها ثم ندم أبو البهار فسار الى المنصور معتذرا مما جرى منه فقبله المنصور واحسن اليه وأكرمه وحمل اليه كل ما يحتاج اليه من مال وغيره

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على أبي الحسن محمد بن عمر العلوي الكوفي وكان قد عظم شأنه مع شرف الدولة واتسع جاهه وكثرت أمواله فلما ولي بهاء الدولة سعى به أبو الحسن المعلم اليه واطمعه في أمواله وملكه وعظم ذلك عنده وقبض عليه وفيها أسقط بهاء الدولة ما كان يؤخذ من المراعي من سائر السواد وفيها ولد الامير أبو طالب رستم بن فخر الدولة وفيها خرج ابن الجراح الطائي على الحجاج بين سميرا وفيد ونازلهم فصالحوه على ثلثمائة ألف درهم وشيء من الثياب فأخذها وانصرف وفيها بني جامع القطيعة ببغداد وفيها توفي محمد بن أحمد بن العباس بن أحمد بن جلاد أبو العباس السلمي النقاش كان من متكلمي الاشعرية وعنه أخذ أبو علي بن شاذان الكلام وكان ثقة في الحديث

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثلثمائة﴾

﴿ذكر قتل باذ﴾

في هذه السنة قتل باذ الكردي صاحب ديار بكر وكان سبب قتله ان أبا طاهر والحسين ابني حمدان لما ملكا بلاد الموصل طمع فيها باذ وجمع الاكراد فأكثر وممن أطاعه الاكراد البشنوية أصحاب قلعة فنك وكانوا كثيرا ففي ذلك يقول الحسين البشنوي الشاعر لبني مروان يعتد عليهم بنجدتهم خالهم باذا من قصيدة

البشنوية أنصار لدولتكم * وليس في ذا خفا في العجم والعرب

أنصار باذ بارجيش وشيعته * بظاهر الموصل الحدباء في العطب

بباجلايا جلونا عنه غمغمة * ونحن في الروع جلاؤن للكرب

وكاتب أهل الموصل فاستمالهم فأجابه بعضهم فسار اليهم ونزل بالجانب الشرقي فضعفا عنه وراسلا أبا الذواد محمد بن المسيب أمير بني عقيل واستنصراه فطلب منهما جزيرة ابن عمر ونصيبين وبلدا وغير ذلك فأجاباه الى ما طلب واتفقوا وسار اليه أبو عبد الله بن حمدان وأقام أبو طاهر بالموصل يحارب باذا فلما اجتمع أبو عبد الله وأبو الذواد سارا الى بلد وعبرا دجلة وصارا مع باذ على أرض واحدة وهو لا يعلم فأتاه الخبر بعبورهما وقد قارباه فأراد الانتقال الى الجبل لئلا يأتيه هؤلاء من خلفه وأبو طاهر من أمامه فاختلط أصحابه وأدركه الحمدانية فناوشوهم القتال وأراد باذ الانتقال من فرس الى آخر فسقط واندقت ترقوته فأتاه ابن أخته أبو علي بن مروان وأراده على الركوب فلم يقدر فتركوه وانصرفوا واحتموا بالجبل ووقع باذ بين القتلى فعرفه بعض العرب فقتله وحمل رأسه الى بني حمدان وأخذ جائزة سنية وصلبت جثته على دار الامارة فثار العامة وقالوا رجل غاز لا يحل فعل هذا به وظهر منهم محبة كثيرة له وأنزلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه

﴿ذكر ابتداء دولة بني مروان﴾

لما قتل باذ سار ابن أخته أبو علي بن مروان في طائفة من الجيش الى حصن كيفا وهو على دجلة وهو من أحصن المعاقل وكان به امرأة باذ وأهله فلما بلغ الحصن قال لزوجة خاله قد أنفذني

قبل ذلك منهم قالوا يا أمير المؤمنين قد ظهرت منه الفواحش وارتكاب الكبائر واستفاض ذلك عنه وهو القائل يا أمير المؤمنين في صفة الغلمان وطبقاتهم ومراتبهم في أوصافهم فقال المأمون وما الذي قال فدفعت اليه القصة فيها جمل مما رمي به وحكي عنه في هذا المعنى وهو قوله

اربعة تفتن الحاظهم

فعين من يعشقهم ساهره

فواحد دنياه في وجهه

منافق ليست له آخره

وآخر دنياه مقبوحة

من خلفه آخرة وافره

وثالث قد حاز كليهما

قد جمع الدنيا مع الآخره

ورابع قد ضاع ما بينهم

ليست له دنيا ولا آخره

فانكر المأمون ذلك في الوقت واستعظمه وقال أيكم سمع هذا منه قالوا هذا مستفاض من قوله فينا يا أمير المؤمنين فأمر باخراجهم عنه وعزل يحيى عنهم وفي يحيى وما كان عليه بالبصرة يقول ابن أبي نعيم

يا ليت يحيى لم يلده أكثمه

ولم تطأ أرض العراق قدمه

ألوط قاض في العراق نعلمه

أي دواة لم يلقها قلمه

وأي شعب لم يلجه ارقمه

وضرب الدهر ضربانه فاتصل يحيى بالمأمون ونادمه ورخص له في أمور كثيرة فقال له يوما يا أبا محمد من الذي يقول قاض يرى الحد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس قال ذلك ابن أبي نعيم يا أمير المؤمنين وهو القائل أميرنا يرتشي وحاكمنا * يلوط والرأس شر ما راس

خالي

خالي اليك في مهم فظنته حقا فلما صعد اليها أعلمها بهلاكه وأطمعها في التزوج بها فوافقته على ملك الحصن وغيره ونزل وقصد حصنا حصنا حتى ملك ما كان لخاله وسار الى ميافارقين وسار اليه أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا حمدان طمعا فيه ومعهما رأس باذ فوجدا أبا علي قد أحكم أمره فتصافوا واقتتلوا وظفر أبو علي وأسر أبا عبد الله بن حمدان فأكرمه وأحسن اليه ثم أطلقه فسار الى أخيه أبي طاهر وهو بآمد يحصرها فأشار عليه بمصالحة ابن مروان فلم يفعل واضطر أبو عبد الله الى موافقته وسارا الى ابن مروان فواقعاه فهزمهما وأسر أبا عبد الله أيضا فأساء اليه وضيق عليه الى ان كاتبه صاحب مصر وشفع اليه فاطلقه ومضى الى مصر وتقلد منها ولاية حلب وأقام بتلك الديار الى ان توفي وأما أبو طاهر فانه لما وصل الى نصيبين قصده أبو الذواد فأسره وعليا ابنه والمزعفر امير بني نمير وقتلهم صبرا وأقام ابن مروان بديار بكر وضبطها وأحسن الى أهلها وألان جانبه لهم فطمع فيه أهل ميافارقين فاستطالوا على أصحابه فامسك عنهم الى يوم العيد وقد خرجوا الى المصلى فلما تكاملوا في الصحراء وافى الى البلد وأخذ أبا الصقر شيخ البلد فالقاه من على السور وقبض على من كان معه وأخذ الاكراد ثياب الناس خارج البلد وأغلق أبواب البلد وأمر أهله أن ينصرفوا حيث شاؤا ولم يمكنهم من الدخول فذهبوا كل مذهب وكان قد تزوج ست الناس بنت سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان فأتته من حلب فعزم على زفافها بآمد فخاف شيخ البلد واسمه عبد البر ان يفعل بهم مثل فعله باهل ميافارقين فاحضر ثقاته وحلفهم على كتمان سره وقال لهم قد صح عزم الامير على ان يفعل بكم مثل فعله بأهل ميافارقين وهو يدخل من باب الماء ويخرج من باب الجهاد فقفوا له في الدركاه وانثروا عليه هذه الدراهم ثم اعتمدوا بها وجهه فانه سيغطيه بكمه فاضربوه بالسكاكين في مقتله ففعلوا وجرت الحال كما وصف وتولى قتله انسان يقال له ابن دمنة كان فيه اقدام وجراءة فاختبط الناس وماجوا فرمى برأسه اليهم فأسرعوا السير الى ميافارقين وحدث جماعة من الاكراد نفوسهم بملك البلد فاستتر بهم مستحفظ ميافارقين لاسراعهم وقال ان كان الامير حيا فادخلوا معه وان كان قتل فاخوه مستحق لموضعه فما كان بأسرع من ان وصل ممهد الدولة أبو منصور بن مروان أخو أبي علي الى ميافارقين ففتح له باب البلد فدخله وملكه ولم يكن له فيه الا السكة والخطبة لما نذكره وأما عبد البر فاستولى على آمد وزوج ابن دمنة الذي قتل أبا علي ابنته فعمل له ابن دمنة دعوة وقتله وملك آمد وعمر البلد وبنى لنفسه قصرا عند السور وأصلح أمره مع ممهد الدولة وهادى ملك الروم وصاحب مصر وغيرهما من الملوك وانتشر ذكره وأما ممهد الدولة فانه كان معه انسان من أصحابه يسمى شروة حاكما في مملكته وكان لشروة غلام قد ولاه الشرطة وكان ممهد الدولة يبغضه ويريد قتله ويتركه احتراما لصاحبه ففطن الغلام لذلك فافسد ما بينهما فعمل شروة طعاما بقلعة الهتاخ وهي اقطاعه ودعا اليها ممهد الدولة فلما حضر عنده قتله وذلك سنة اثنتين وأربعمائة وخرج من الدار الى بني عم ممهد الدولة فقبض عليهم وقيدهم واظهر ان ممهد الدولة أمره بذلك ومضى الى ميافارقين وبين يديه المشاعل ففتحوا له ظنا منهم أنه ممهد الدولة فملكها وكتب الى أصحاب القلاع يستدعيهم وأنفذ انسانا الى أرزن ليحضر متوليها ويعرف بخواجه أبي القاسم فسار خواجه نحو ميافارقين ولم يسلم القلعة الى القاصد اليه فلما توسط الطريق سمع بقتل ممهد الدولة فعاد الى ارزن وأرسل الى اسعرد فاحضر أبا نصر بن مروان أخا ممهد الدولة وكان أخوه قد أبعده عنه وكان يبغضه لمنام رآه وهو انه رأى كأن الشمس سقطت في حجره فنازعه أبو نصر عليها وأخذها فأبعده لهذا وتركه

قاض يرى الحد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس

ما أحسب الجور ينقضي وعلى ال

أمة وال من آل عباس

فاطرق المأمون خجلا ساعة ثم رفع رأسه وقال ينفى ابن أبي نعيم الى السند وكان يحيى اذا ركب مع المأمون في سفر ركب معه بمنطقة وقباء وسيف بمعاليق وساسية واذا كان الشتاء ركب في أقبية الخز وقلانس السمور والسروج المكشوفة وبلغ من اذاعته ومجاهرته باللواط ان المأمون أمره ان يفرض لنفسه فرضا يركبون بركوبه وينصرفون في أموره ففرض أربعمائة غلام مردا اختارهم حسان الوجوه فافتضح بهم وقال في ذلك راشد بن اسحق يذكر ما كان من أمر يحيى في الفرض

خليلي انظرا متعجبين

لاظرف منظر مقلته عيني

لفرض ليس يقبل فيه الا

أسيل الخد حلو المقلتين

والا كل أشقر اكثمي

قليل نبات شعر العارضين

يقدم دون موقف صاحبيه

بقدر جماله وبقبح ذين

يقودهم الى الهيجاء قاض

شديد الطعن بالرمح الرديني

اذا شهد الوغى منهم شجاع * تجدل الجبين واليدين يقودهم على علم وحلم *

تاسع

وصار الشيخ مضنيا عليه * بصرعه يجوز الركبتين يغادرهم الى الاذقان صرعى

بأسعرد مضيقا عليه فلما استدعاه خواجه قال له دبير تفلح قال نعم وكان شروة قد أنفذ الى أبي نصر فوجدوه فلما سار الى أرزن فعلم حينئذ انتقاض أمره وكان مروان والد ممهد الدولة قد أضر وهو بأرزن عند قبر ابنه أبي علي هو وزوجته فأحضر خواجه أبا نصر عندهما وحلفه على القبول منه والعدل وأحضر القاضي الشهود على اليمين وملكه ارزن ثم ملك سائر بلاد ديار بكر فدامت أيامه وأحسن السيرة وكان مقصد العلماء من سائر الآفاق وكثروا ببلاده وممن قصده أبو عبد الله الكازروني وعنه انتشر مذهب الشافعي بديار بكر وقصده الشعراء وأكثروا مدحه وأجزل جوائزهم وبقي كذلك من سنة اثنتين وأربعمائة الى سنة ثلاث وخمسين فتوفي فيها وكان عمره نيفا وثمانين سنة وكانت الثغور معه آمنة وسيرته في رعيته أحسن سيرة فلما مات ملك بلاده ولده

﴿ذكر ملك آل المسيب الموصل﴾

لما انهزم أبو طاهر بن حمدان من أبي علي بن مروان كما ذكرناه سار الى نصيبين في قلة من أصحابه وكانوا قد تفرقوا فطمع فيه أبو الذواد محمد بن المسيب أمير بني عقيل وكان صاحب نصيبين حينئذ كما ذكرناه فثار بأبي طاهر فأسره وأسر ولده وعدة من قوادهم وقتلهم وسار الى الموصل فملكها وأعمالها وكاتب بهاء الدولة يسأله ان ينفذ اليه من يقيم عنده من أصحابه يتولى الامور فسير اليه قائدا من قواده وكان بهاء الدولة قد سار من العراق الى الاهواز على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأقام نائب بهاء الدولة وليس له من الامر شيء ولا يحكم الا فيما يريده أبو الذواد وسيرد من ذكره وذكر عقبه ما نقف عليه ان شاء الله تعالى

﴿ذكر مسير بهاء الدولة الى الاهواز وما كان منه ومن صمصام الدولة﴾

في هذه السنة سار بهاء الدولة عن بغداد الى خوزستان عازما على قصد فارس واستخلف ببغداد أبا نصر خواشاذه ووصل الى البصرة ودخلها وسار عنها الى خوزستان فأتاه نعي أخيه أبي طاهر فجلس للعزاء به ودخل ارجان فاستولى عليها وأخذ ما فيها من الاموال فكان ألف ألف دينار وثمانية ألف ألف درهم ومن الثياب والجواهر ما لا يحصى فلما علم الجند بذلك شغبوا شغبا متتابعا فأطلقت تلك الاموال كلها لهم ولم يبق منها الا القليل ثم سارت مقدمته وعليها أبو العلاء بن الفضل الى النوبندجان وبها عساكر صمصام الدولة فهزمهم وبث أصحابه في نواحي فارس فسير اليهم صمصام الدولة عسكرا وعليهم فولاذ زماندار فواقعهم فانهزم أبو العلاء وعاد مهزوما وكان سبب الهزيمة انه كان بين العسكرين وادو عليه قنطرة وكان أصحاب أبي العلاء يعبرون القنطرة ويغيرون على اثقال الديلم عسكر صمصام الدولة فوضع فولاذ كمينا عند القنطرة فلما عبر أصحاب بهاء الدولة خرجوا عليهم فقتلوهم جميعهم وراسل فولاذ أبا العلاء وخدعه ثم سار اليه وكبسه فانهزم من بين يديه وعاد الى أرجان مهزوما وغلت الاسعار بها ولما بلغ الخبر الى صمصام الدولة سار عن شيراز الى فولاذ وترددت الرسل في الصلح فتم على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وارجان ولبهاء الدولة خوزستان والعراق وأن يكون لكل واحد منهما اقطاع في بلد صاحبه وحلف كل واحد منهما لصاحبه وعاد بهاء الدولة الى الاهواز ولما سار بهاء الدولة عن بغداد ثار العيارون بجانبي بغداد ووقعت الفتن بين أهل السنة والشيعة وكثر القتل بينهم وزالت الطاعة وأحرق عدة محال ونهبت الاموال وأخربت المساكن ودام ذلك عدة شهور الى ان عاد بهاء الدولة الى بغداد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على وزيره أبي منصور بن صالحان واستوزر أبا نصر سابور بن

ليوم سلامة لا يوم حين
وكلهم جريح الحصيتين
وفيه يقول راشد أيضا
وكنا نرجي ان نرى العدل ظاهرا
فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها
وقاضي قضاة المسلمين يلوط

وكان يحيى بن أكثم بن عمرو ابن أبي رباح من أهل خراسان من مدينة مرو وكان رجلا من بني تميم وسخط عليه المأمون في سنة خمس عشرة ومائتين وذلك بمصر وبعث به الى العراق مغضوبا عليه وله مصنفات في الفقه وفي فروعه واصوله وكتاب أورده على العراقيين سماه بكتاب التنبيه وبينه وبين أبي سليمان أحمد بن أبي دواد بن على مناظرات كثيرة وفي خلافة المأمون كانت وفاة أبي عبد الله محمد ابن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف الشافعي في رجب ليلة الجمعة وذلك سنة أربع ومائتين ودفن صبيحة الليلة وهو ابن أربع وخمسين سنة وصلى عليه السري بن الحكم أمير مصر يومئذ كذلك ذكر عكرمة ابن محمد بن بشر عن الربيع ابن سليمان المؤذن وذكر أيضا محمد بن سفيان بن سعيد المؤذن وغيرهما عن الربيع بن سليمان مثل

ذلك ودفن الشافعي بمصر نحو قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم وبين

أردشير قبل مسيره الى خوزستان وكان المدبر لدولة بهاء الدولة أبا الحسن المعلم واليه الحكم وفيها توفي أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس وزير العزيز صاحب مصر وكان كامل الاوصاف متمكنا من صاحبه فلما مرض عاده العزيز صاحب مصر وقال وددت انك تباع فابتاعك بملكي فهل من حاجة توصي بها فبكى وقبل يده ووضعها على عينه وقال أما فيما يخصني فانك أرعى لحقي من أن أوصيك بمخلفي ولكن فيما يتعلق بدولتك سالم الحمدانية ما سالموك واقنع منهم بالدعوة وان ظفرت بالمفرج فلا تبق عليه فلما مات حزن العزيز عليه وحضر جنازته وصلى عليه وألحده بيده في قصره وأغلق الدواوين عدة أيام واستوزر بعده أبا عبد الله الموصلي ثم صرفه وقلد عيسى بن نسطورس النصراني فمال الى النصارى وولاهم واستناب بالشام يهوديا يعرف بمنشا ففعل مع اليهود مثل ما فعل عيسى بالنصارى وجرى على المسلمين تحامل عظيم وفيها في ربيع الاول قلد الشريف أبو أحمد والد الرضي نقابة العلويين والمظالم وامارة الحج وحج بالناس أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله العلوي نيابة عن النقيب أبي أحمد الموسوي وفيها توفي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الفقيه الحنفي ومولده سنة عشرين وثلثمائة وفيها توفي عبد الله محمد بن عبد البر النمري بالاندلس والد الامام أبي عمر بن عبد البر

﴿ثم دخلت سنة احدى وثمانين وثلثمائة﴾

﴿ذكر القبض على الطائع لله﴾

في هذه السنة قبض على الطائع لله قبضه بهاء الدولة وهو الطائع لله أبو بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع لله بن جعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بن المتوكل وكان سبب ذلك أن الامير بهاء الدولة قلت عنده الاموال فكثر شغب الجند فقبض على وزيره سابور فلم يغن عنه ذلك شيأ وكان أبو الحسن بن المعلم قد غلب على بهاء الدولة وحكم في مملكته فحسن له القبض على الطائع واطمعه في ماله وهون عليه ذلك وسهله فاقدم عليه بهاء الدولة وأرسل الى الطائع وسأله الاذن في الحضور في خدمته ليجدد العهد به فأذن له في ذلك وجلس له كما جرت العادة فدخل بهاء الدولة ومعه جمع كثير فلما دخل قبل الارض وأجلس على كرسي فدخل بعض الديلم كأنه يريد يقبل يد الخليفة فجذبه فانزله عن سريره والخليفة يقول انا لله وانا اليه راجعون وهو يستغيث ولا يلتفت اليه وأخذ ما في دار الخليفة من الذخائر فمشوا به في الحال ونهب الناس بعضهم بعضا وكان من جملتهم الشريف الرضي فبادر بالخروج فسلم وقال أبياتا من جملتها

من بعدما كان رب الملك مبتسما * الي أدنوه في النجوى ويدنيني
أمسيت أرحم من قد كنت اغبطه * لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني * يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني
هيهات أغتر بالسلطان ثانية * قد ضل ولاج أبواب السلاطين

ولما حمل الطائع الى دار بهاء الدولة أشهد عليه بالخلع وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور وستة أيام وحمل الى القادر بالله لما ولي الخلافة فبقي عنده الى أن توفي سنة ثلاث وتسعين ليلة الفطر وصلى عليه القادر بالله وكبر عليه خمسا وكان مولده سنة سبع عشرة وثلثمائة وكان أبيض مربوعا حسن الجسم وكان أنفه كبيرا جدا وكان شديد القوة كثير الاقدام اسم أمه عتب وعاشت الى ان أدركت أيامه ولم يكن له من الحكم في ولايته ما يعرف به حال يستدل به على سيرته

﴿ذكر خلافة القادر بالله﴾

قبورهم وعند رأسه عمود من الحجر كبير وكذلك عند رجليه وعلى العالي الذي عند رأسه حفر قد كتب فيه في ذلك الحجر هذا قبر محمد بن ادريس الشافعي امين الله وما ذكرنا فمشهور بمصر والشافعي يتفق نسبه مع بني هاشم وبني أمية في عبد مناف لانه من ولد المطلب بن عبد مناف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن وبنو المطلب كهاتين وأشار باصبعيه مضمومتين وقد كانت قريش حاصرت بني المطلب مع بني هاشم في الشعب (وحدثني) فقير بن مسكين عن المزني بهذا وكان فقير يحدث عن المزني وكان سماعنا من فقير بن مسكين بمدينة اسوان بصعيد مصر قال قال المزني دخلت على الشافعي غداة وفاته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت من الدنيا راحلا ولاخواني مفارقا وبكاس المنية شاربا ولا أدري الى الجنة تصير روحي فاهنيها أم الى النار فأعزيها وأنشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي
جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وفي هذه السنة التي مات فيها الشافعي وهي سنة أربع ومائتين مات أبو داود سليمان بن داود الطيالسي وهو ابن

لما قبض على الطائع لله ذكر بهاء الدولة من يصلح للخلافة فاتفقوا على القادر بالله وهو أبو العباس أحمد بن اسحق بن المقتدر بن المعتضد وأمه أم ولد اسمها دمنة وقيل تمنى وكان بالبطيحة كما ذكرناه فأرسل اليه بهاء الدولة خواص أصحابه ليحضروه الى بغداد ليتولى الخلافة فانحدروا اليه وشغب الديلم ببغداد ومنعوا من الخطبة فقيل على المنبر اللهم اصلح عبدك وخليفتك القادر بالله ولم يذكروا اسمه وأرضاهم بهاء الدولة ولما وصل الرسل الى القادر بالله كان تلك الساعة يحكي مناما رآه تلك الليلة وهو ما حكاه هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة قال كنت احضر عند القادر بالله كل أسبوع مرتين فكان يكرمني فدخلت عليه يوما فوجدته قد تاهب تأهبا لم تجر به عادته ولم أر منه ما ألفته من اكرامه واختلفت بي الظنون فسألته عن سبب ذلك فان كان لزلة مني اعتذرت عن نفسي فقال بل رأيت البارحة في منامي كأن نهركم هذا نهر الصليق قد اتسع فصار مثل دجلة دفعات فسرت على حافته متعجبا منه ورأيت قنطرة عظيمة فقلت من قد حدث نفسه بعمل هذه القنطرة على هذا البحر العظيم ثم صعدتها وهي محكمة فبينا انا عليها أتعجب منها اذ رأيت شخصا قد تأملني من ذلك الجانب فقال أتريد ان تعبر قلت نعم فمد يده حتى وصلت اليه فأخذني وعبرني فهالني وتعاظمني فعله قلت من أنت قال علي بن أبي طالب وهذا الامر صائر اليك ويطول عمرك فيه فأحسن الى ولدي وشيعتي فما انتهى القادر الى هذا القول حتى سمعنا صياح الملاحين وغيرهم وسألنا عن ذلك واذا هم الواردون اليه لاصعاده ليتولى الخلافة فخاطبته بامرة المؤمنين وبايعته وقام مهذب الدولة بخدمته أحسن قيام وحمل اليه من المال وغيره ما يحمله كبار الملوك للخلفاء وشيعه فسار القادر بالله الى بغداد فلما دخل جبل انحدر بهاء الدولة وأعيان الناس لاستقباله وساروا في خدمته فدخل دار الخلافة ثاني عشر رمضان وبايعه بهاء الدولة والناس وخطب له ثالث عشر رمضان وجدد أمر الخلافة وعظم ناموسها وسيرد من اخباره ان شاء الله تعالى ما يعلم به ذلك وحمل اليه بعض ما نهب من دار الخلافة وكانت مدة مقامه في البطيحة سنتين وأحد عشر شهرا ولم يخطب له في جميع خراسان كانت الخطبة فيها للطائع لله

(ذكر ملك خلف بن أحمد كرمان)

في هذه السنة أنفذ خلف بن أحمد صاحب سجستان وهو ابن بانو بنت عمرو بن الليث الصفار ابنه عمرا الى كرمان فملكها وكان سبب ذلك انه كان لما قوي أمره وجمع الاموال الكثيرة حدثته نفسه بملك كرمان ولم يتهيأ له ذلك لهدنة كانت بينه وبين عضد الدولة فلما مات عضد الدولة وملك شرف الدولة واستقر أمره وانتظم وأمن جانبه لم يتحرك بشيء من ذلك فلما توفي شرف الدولة واضطرب ملوك بني بويه ووقع الخلف بين صمصام الدولة وبهاء الدولة قوي طمعه وانتهز الفرصة وجهز ولده عمرا وسيره في عسكر كثير الى كرمان وبها قائد يقال له تمرتاش كان قد استعمله شرف الدولة فلم يشعر تمرتاش الا وعمرو قد قاربه فلم يكن له وان معه حيلة الا الدخول الى بردسير وحملوا ما أمكنهم حمله وغنم عمرو الباقي وملك كرمان ما عدا بردسير وصادر الناس وجبى الاموال فلما وصل الخبر الى صمصام الدولة وهو صاحب فارس جهز العساكر وسيرها الى تمرتاش وقدم عليهم قائدا يقال له أبو جعفر وأمره بالقبض على تمرتاش عند الاجتماع به لانه اتهمه بالميل الى أخيه بهاء الدولة فسار أبو جعفر فلما اجتمع بتمرتاش أنزله عنده بعلة الاجتماع على ما يفعلانه وقبض عليه وحمله الى شيراز فسار أبو جعفر بالعسكر جميعه يقصد عمرو بن خلف ليحاربه فالتقوا بدارزين واقتتلوا فانهزم أبو جعفر والديلم وعادوا على طريق جيرفت وبلغ الخبر الى صمصام الدولة

واصحابه

احدى وتسعين سنة وفيها مات هشام بن محمد الكلبي (وادعى) رجل النبوة بالبصرة أيام المأمون فحمل اليه موثقا بالحديد فمثل بين يديه فقال أنت نبي مرسل قال أما الساعة فأنا موثق قال ويلك من غرك قال أبهذا تخاطب الانبياء أما والله لولا أني موثق لأمرت جبريل ان يدمدمها عليكم قال له المأمون والموثق لا يجاب له دعوة قال الانبياء خاصة اذا قيدت لا يرتفع دعاؤها فضحك المأمون وقال من قيدك قال هذا الذي بين يديك قال فنحن نطلقك وتأمر جبريل ان يدمدمها فان اطاعك آمنا بك وصدقناك فقال صدق الله اذ يقول فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ان شئت فافعل فأمر باطلاقه فلما وجد راحة العافية قال يا جبريل ومد بها صوته ابعثوا من شئتم فليس بيني وبينكم الآن خبر غيري يملك الاموال وأنا لا شيء معي ما يذهب لكم الا الصبيان فأمر باطلاقه والاحسان اليه (وحدث) ثمامة بن اشرس قال شهدت مجلسا للمأمون وقد أتي برجل ادعى أنه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ما سمعت بأجرأ على الله من هذا قلت ان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في كلامه قال شأنك وإياه قلت يا هذا ان ابراهيم عليه السلام كانت له براهين قال وما براهينه قلت اضرمت له النار وألقي فيها فكانت عليه بردا وسلاما

وأصحابه فانزعجوا لذلك ثم اجمعوا أمرهم على انفاذ العباس بن أحمد في عسكر أكثر من الاول فسيروه في عدد كثير وعدة ظاهرة فسار حتى بلغ عمرا فالتقوا بقرب السيرجان واقتتلوا فكانت الهزيمة على عمرو بن خلف وأسر جماعة من قواده وأصحابه وكان هذا في المحرم سنة اثنتين وثمانين وعاد عمرو الى أبيه بسجستان مهزوما فلما دخل عليه لامه ووبخه ثم حبسه أياما ثم قتله وتولى غسله والصلاة عليه ودفنه في القلعة فسبحان الله ما كان أقسى قلب هذا الرجل مع علمه ومعرفته ثم ان صمصام الدولة عزل العباس عن كرمان واستعمل عليها استاذ هرمز فلما وصل الى كرمان خافه خلف بن أحمد فكاتبه في تجديد الصلح واعتذر عن فعله فاستقر الصلح وانفذ خلف قاضيا كان بسجستان يعرف بأبي يوسف كان له قبول عند العامة والخاصة ووضع عليه انسانا يكون معه وأمره ان يسقيه سما اذا صار عند استاذ هرمز ويعود مسرعا ويشيع بان استاذ هرمز قتله فسار أبو يوسف الى كرمان فصنع له استاذ هرمز طعاما فحضره وأكل منه فلما عاد الى منزله سقاه ذلك الرجل سما فمات منه وركب جمازة وسار مجدا الى خلف فجمع له خلف وجوه الناس ليسمعوا له فذكر ان استاذ هرمز قتل القاضي أبا يوسف وبكى خلف واظهر الجزع عليه ونادى في الناس بغزو كرمان وأخذ بثار أبي يوسف فاجتمع الناس واحتشدوا فسيرهم مع ولده طاهر فوصلوا الى نرماسير وبها عسكر الديلم فهزموهم وأخذوا البلاد منهم ولحق الديلم بجيرفت فاجتمعوا بها وجاءوا ابردسير من يحميها وهي أصل بلاد كرمان ومصرها فقصدها طاهر وحصرها ثلاثة أشهر فضاق بأهلها وكتبوا الى استاذ هرمز يعلمونه حالهم وانه ان لم يدركهم سلموا البلد فركب الخطر وسار مجدا في مضايق وجبال وعرة حتى أتى بردسير فلما وصل اليها رحل طاهر ومن معه عنها وعادوا الى سجستان واستقرت كرمان للديلم وكان ذلك سنة أربع وثمانين وثلثمائة

(ذكر عصيان بكجور على سعد الدولة بن حمدان وقتله)

لما وصل بكجور الى الرقة منهزما من عساكر مصر بدمشق وأقام على ما ذكرناه واستولى على الرحبة وما يجاور الرقة راسل الملك بهاء الدولة بن بويه بالانضمام اليه وكاتب أيضا باذ الكردي المتغلب على ديار بكر والموصل بالمسير اليه وراسل سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب بان يعود الى طاعته على قاعدته الاولى ويقطعه منه مدينة حمص كما كانت له فليس فيهم من أجابه الى شيء مما طلب فبقي في الرقة يراسل جماعة رفقاء من مماليك سعد الدولة ويستميلهم فأجابوه الى الموافقة على قصد بلد سعد الدولة وأخبروه انه مشغول بلذاته وشهواته عن تدبير الملك فأرسل حينئذ بكجور الى العزيز بالله صاحب مصر يطمعه في حلب ويقول له انها دهليز العراق ومتى أخذت كان ما بعدها أسهل منها ويطلب الانجاد بالعساكر فأجابه العزيز الى ذلك وأرسل الى نزال والي طرابلس والى ولاة غيرها من البلاد الشامية يأمرهم بتجهيز العساكر مع نزال الى بكجور والتصرف على ما يأمرهم به من قتال سعد الدولة وقصد بلاده وكتب عيسى بن نسطورس النصراني وزير العزيز الى نزال يأمره بمدافعة بكجور واطماعه في المسير اليه فاذا تورط في قصد سعد الدولة تخلى عنه وكان السبب في فعل عيسى هذا ببكجور انه كان بينه وبين بكجور عداوة مستحكمة وولي الوزارة بعد وفاة ابن كلس فكتب الى نزال ما ذكرناه فلما وصل أمر العزيز الى نزال بانجاد بكجور كتب اليه يعرفه ما أمر به من نجدته بنفسه وبالعساكر معه وقال له بكجور مسيرك عن الرقة يوم كذا ومسيري أنا عن طرابلس يوم كذا ويكون اجتماعنا على حلب يوم كذا وتابع رسله اليه بذلك فسار مغترا بقوله الى بالس فامتنعت عليه فحصرها خمسة أيام فلم يظفر بها

فنحن نضرم لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك بردا وسلاما كما كانت عليه آمنا بك وصدقناك قال هات ما هو ألين علي من هذا قلت فبراهين موسى عليه السلام قال وما هي قلت ألقى العصا فاذا هي حية تسعى تلقف ما يأفكون وضرب بها البحر فانفلق وبياض يده من غير سوء قال هذا أصعب ولكن هات ما هو ألين من هذا قلت فبراهين عيسى عليه السلام قال وما براهينه قلت احياء الموتى فقطع الكلام في براهين عيسى وقال جئت بالطامة الكبرى دعني من براهين هذا قلت فلابد من براهين قال ما معي من هذا شيء قلت لجبريل انكم توجهوني الى شياطين فاعطوني حجة اذهب بها والا لم اذهب فغضب جبريل عليه السلام علي وقال جئت بالشر من ساعة اذهب أولا فانظر ما يقول لك القوم فضحك المأمون وقال هذا من الانبياء التي تصلح للمنادمة وفي سنة ثمان وتسعين ومائة خلع المأمون أخاه القاسم بن الرشيد من ولاية العهد وفي سنة تسع وتسعين ومائة خرج أبو السرايا السري بن منصور الشيباني بالعراق واشتد أمره ومعه محمد بن ابراهيم بن اسمعيل ابن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب وهو ابن طباطبا ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي رحمهم الله ووثب

فسار عنها وبلغ الخبر بمسير بكجور الى سعد الدولة فسار عن حلب ومعه لؤلؤ الكبير مولى أبيه سيف الدولة وكتب الى بكجور يستميله ويدعوه الى الموافقة ورعاية حق الرق والعبودية ويبذل له ان يقطعه من الرقة الى حمص فلم يقبل منه ذلك وكان سعد الدولة قد كاتب الوالى بانطاكية لملك الروم يستنجده فسير اليه جيشا كثيرا من الروم وكاتب أيضا من مع بكجور من العرب يرغبهم فى الاقطاع والعطاء الكثير والعفو عن مساعدتهم بكجور فمالوا اليه ووعدوه الهزيمة بين يديه فلما التقى العسكران اقتتلوا واشتد القتال فلما اختلط الناس فى الحرب وشغل بعضهم ببعض عطف العرب على سواد بكجور فنهبوه واستأمنوا الى سعد الدولة فلما رأى بكجور ذلك اختار من شجعان أصحابه أربعمائة رجل وعزم على ان يقصد موقف سعد الدولة ويلقى نفسه عليه فاما له واما عليه فهرب واحد ممن حضر الحال الى لؤلؤ الكبير وعرفه ذلك فطلب لؤلؤ من سعد الدولة ان يتحرك من موقفه ويقف مكانه فأجابه الى ذلك بعد امتناع فحمل بكجور ومن معه فوصلوا الى موقف لؤلؤ بعد قتال شديد عجب الناس منه واستعظموه كلهم فلما رأى لؤلؤا ألقى نفسه عليه وهو يظنه سعد الدولة وضربه على رأسه فسقط الى الارض فظهر حينئذ سعد الدولة وعاد الى موقفه ففرح به أصحابه وقويت نفوسهم وأحاطوا ببكجور وصدقوه القتال فمضى منهزما هو وعامة أصحابه وتفرقوا وبقى منهم معه سبعة أنفس وكثر القتل والاسر فى الباقين ولما طال الشوط ببكجور ألقى سلاحه وسار فوقف فرسه فنزل عنه وسار راجلا فلحقه نفر من العرب فأخذوا ما عليه وقصد بعض العرب فنزل عليه وعرفه نفسه وضمن له حمل بعير ذهبا ليوصله الى الرقة فلم يصدقه لبخله المشهور عنه فتركه فى بيته وتوجه الى سعد الدولة فعرفه ان بكجور عنده فحكمه سعد الدولة فى مطالبه فطلب مائتى فدان ملكا ومائة ألف درهم ومائة جمل تحمل له حنطة وخمسين قطعة ثيابا فأعطاه ذلك أجمع وزيادة وسير معه سرية فتسلموا بكجور وأحضروه عند سعد الدولة فلما رآه أمر بقتله فقتل ولقى عاقبة بغيه وكفره احسان مولاه فلما قتله سعد الدولة سار الى الرقة فنازلها وبها سلامة الرشيقى ومعه أولاد بكجور وأبو الحسن على ابن الحسين المغربى وزير بكجور فسلموا البلد اليه بامان وعهود أكدوها وأخذوها عليه لاولاد بكجور وأموالهم وللوزير المغربى وسلامة الرشيقى ولاموالهم فلما خرج أولاد بكجور باموالهم رأى سعد الدولة ما معهم فاستعظمه واستكثره وكان عنده القاضى ابن ابى الحصين فقال سعد الدولة ما كنت أظن ان بكجور يملك هذا جميعه فقال له القاضى لم لا تأخذه فهولك لانه مملوك لا يملك شيأ ولا حرج عليك ولا حنث فلما سمع هذا أخذ المال جميعه وقبض عليهم وهرب الوزير المغربى الى مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام وكتب أولاد بكجور الى العزيز يسألونه الشفاعة فيهم فأرسل اليه يشفع فيهم ويأمره أن يسيرهم الى مصر ويتهدده ان لم يفعل فأهان الرسول وقال له قل لصاحبك أنا سائر اليه وسير مقدمته الى حمص ليلحقهم

﴿ذكر وفاة سعد الدولة بن حمدان﴾

فلما برز سعد الدولة ليسير الى دمشق لحقه قولنج فعاد الى حلب ليتداوى فزال ما به وعوفى وعزم على العود الى معسكره وحضر عنده احدى سراريه فواقعها فسقط عنها وقد فلج وبطل نصفه فاستدعى الطبيب فقال له أعطنى يدك لآخذ مجسك فأعطاه اليسرى فقال أعطنى اليمين فقال لا تركت لى اليمين يمينا يعنى نكثه بأولاد بكجور هو الذى أهلكه وقد ذكر ذلك وندم عليه حيث لم تنفعه الندامة وعاش بعد ذلك ثلاثة أيام ومات بعد أن عهد الى ولده أبى الفضائل ووصى الى لؤلؤ

بالبصرة على بن محمد بن على البصرة وفى هذه السنة مات أبو طباطبا الذى كان يدعو اليه أبو السرايا وهو محمد بن ابراهيم المقدم ذكره وظهر فى هذه السنة باليمن وهى سنة تسع وتسعين ومائة ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد وظهر فى أيام المأمون بمكة ونواحى الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين رحمهم الله وذلك فى سنة مائتين ودعا لنفسه واليه دعت السمطية من فرق الشيعة وقالت بامامته وقد افترقوا فرقا فمنهم من غلا ومنهم من قصر وسلك طريق الامامية وقد ذكرنا فى كتاب المقالات فى أصول الديانات وفى كتاب أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة فى الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بنى العباس ومن ظهر فى أيامهم من الطالبيين وقيل ان محمد بن جعفر دعا فى بدء أمره وعنفوان شبابه الى محمد ابن ابراهيم بن طباطبا صاحب أبى السرايا فلما مات ابن طباطبا وهو محمد ابن ابراهيم بن الحسن ابن الحسن دعا لنفسه وتسمى بأمير المؤمنين غير محمد بن جعفر وكان يسمى بالديباجة لحسنه وبهائه وما كان عليه من البهاء والكمال وكان له بمكة ونواحيها

به وبسائر أهله فلما توفى قام أبو الفضائل وأخذ له لؤلؤ العهد على الاجناد وتراجعت العساكر الى حلب وكان الوزير أبو الحسن المغربى قد سار من مشهد على عليه السلام الى العزيز بمصر وأطمعه فى حلب فسير جيشا وعليهم منجوتكين احد امرائه الى حلب فسار اليها فى جيش كثيف فحصرها وبها أبو الفضائل ولؤلؤ فكتبا الى بسيل ملك الروم يستنجدانه وهو يقاتل البلغار فأرسل بسيل الى نائبه بانطاكية يأمره بانجاد أبى الفضائل فسار فى خمسين ألفا حتى نزل على الجسر الجديد بالعاصى فلما سمع منجوتكين الخبر سار الى الروم ليلقاهم قبل اجتماعهم بأبى الفضائل وعبر اليهم العاصى وأوقعوا بالروم فهزموهم وولوا الادبار الى انطاكية وكثر القتل فيهم وسار منجوتكين الى انطاكية فنهب بلدها وقراها وأحرقها وانفذ أبو الفضائل الى بلد حلب فنقل ما فيه من الغلال وأحرق الباقى اضرارا بعساكر مصر وعاد منجوتكين الى حلب فحصرها فأرسل لؤلؤ الى أبى الحسن المغربى وغيره وبذل لهم مالا ليردوا منجوتكين عنهم هذه السنة بعلة تعذر الاقوات ففعلوا ذلك وكان منجوتكين قد ضجر من الحرب فأجابهم اليه وسار الى دمشق ولما بلغ الخبر الى العزيز غضب وكتب بعود العسكر الى حلب وابعاد المغربى وانفذ الاقوات من مصر فى البحر الى طرابلس ومنها الى العسكر فنازل العسكر حلب وأقاموا عليها ثلاثة عشر شهرا فقلت الاقوات بحلب وعاد الى مراسلة ملك الروم والاعتضاد به وقال له متى أخذت حلب أخذت انطاكية وعظم عليك الخطب وكان قد توسط بلاد البلغار فعاد وجد فى السير وكان الزمان ربيعا وعسكر مصر قد أرسل الى منجوتكين يعرفه الحال وأتته جواسيسه بمثل ذلك فأخرب ما كان بناه من سوق وحمام وغير ذلك وسار كالمنهزم عن حلب ووصل ملك الروم فنزل على باب حلب وخرج اليه أبو الفضائل ولؤلؤ وعادا الى حلب ورحل بسيل الى الشأم ففتح حمص وشيزر ونهبها وسار الى طرابلس فنازلها فامتنعت عليه وأقام عليها نيفا وأربعين يوما فلما أيس منها عاد الى بلاد الروم ولما بلغ الخبر الى العزيز عظم عليه ونادى فى الناس بالنفير لغزو الروم وبرز من القاهرة وحدث به امراض منعته وأدركه الموت على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عزل المنصور صاحب افريقية نائبه فى البلاد يوسف واستعمل بعده على البلاد أبا عبد الله محمد بن أبى العرب وفيها توفى القائد جوهر بعد عزله وهذا جوهر هو الذى فتح مصر للمعز العلوى وفيها قبض بهاء الدولة على وزيره أبى نصر سابور بالاهواز واستوزر أبا القاسم عبد العزيز ابن يوسف وفيها أيضا قبض بهاء الدولة على أبى نصر خواشاذه وأبى عبد الله بن طاهر بعد عوده من خوزستان وكان سبب قبضهما ان أبا نصر كان شحيحا فلم يواصل ابن المعلم بخدمه وهدايا فشرع فى القبض عليه وفيها هرب فولاذ زماندر من عند صمصام الدولة الى الرى وكان سبب هربه انه تحكم على صمصام الدولة تحكما عظيما أنف منه فاراد القبض عليه فعلم به فهرب منه وفيها كتب أهل الرحبة الى بهاء الدولة يطلبون انفاذ من يسلمون اليه الرحبة فأنفذ خمارتكين الحفصى الى الرحبة فتسلمها وسار منها الى الرقة وبها بدر غلام سعد الدولة بن حمدان فجرت بينهما وقعات فلم يظفر بها وبلغه اختلاف ببغداد فعاد فخرج عليه بعض العرب فأخذوه أسيرا ثم افتدى منهم بمال كثير وفيها حلف بهاء الدولة للقادر بالله على الطاعة والقيام بشروط البيعة وحلف له القادر بالوفاء والخلوص وأشهد عليه انه قلده ما وراء بابه وفيها كثرت الفتن بين العامة ببغداد وزالت هيبة السلطنة وتكرر الحريق فى المحال واستمر الفساد وفيها توفى قاضى القضاة عبيد الله

وحمله معه الى جرجان مات محمد بن جعفر بها فدفن بها وقد أتينا على كيفية وفاته وما كان من أمره وغيره من آل أبى طالب فى كتابنا حدائق الاذهان فى أخبار آل أبى طالب ومقاتلهم فى بقاع الارض وظهر فى أيام المأمون أيضا بالمدينة الحسن بن الحسين بن على ابن على بن الحسين بن على وهو المعروف بابن الافطس وقيل انه دعا فى بدء أمره الى ابن طباطبا فلما مات ابن طباطبا دعا الى نفسه والقول بامامته وسار الى مكة فأتى الناس وهم بمنى وعلى الحاج داود ابن عيسى بن موسى الهاشمى فهرب داود ومضى الناس الى عرفة ودفعوا الى مزدلفة بغير انسان عليهم من ولد العباس وقد كان ابن الافطس وافى الموقف بالليل ثم صار الى المزدلفة والناس بغير امام فصلى بالناس ثم مضى الى منى فنحر ودخل مكة وجرد البيت مما عليه من الكسوة الا القباطى البيض فقط وفى سنة مائتين ظهر حماد المعروف بالكبدعوس بن السرايا فأتى به الحسن ابن سهل فقتله وصلبه على الجسر ببغداد وقد أتينا فى كتابنا فى أخبار الزمان على خبر أبى السرايا وخروجه وما كان منه فى خروجه وقتله عبدوس بن أبى خالد ومن كان معه من قواد الابناء واستباحة

ابن أحمد بن معروف أبو محمد ومولده سنة ست وثلثمائة وكان فاضلا فيفا نزها وكان معتزليا ومحمد ابن ابراهيم بن على بن عاصم بن زاذان أبو بكر المعروف بابن المقرى الاصبهانى وله ست وتسعون سنة وهو راوى مسند أبى يعلى الموصلى عنه

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة﴾

﴿ذكر عود الديلم الى الموصل﴾

كان بهاء الدولة قد أنفذ أبا جعفر الحجاج بن هرمز فى عسكر كثير الى الموصل فملكها آخر سنة احدى وثمانين فاجتمعت عقيل وأميرهم أبو الذواد محمد بن المسيب على حربه فجرى بينهم عدة وقائع ظهر من أبى جعفر فيها بأس شديد حتى انه كان يضع له كرسيا بين الصفين ويجلس عليه فهابه العرب واستمد من بهاء الدولة عسكرا فأمده بالوزير أبى القاسم على بن احمد وكان مسيره أول هذه السنة فلما وصل الى العسكر كتب بهاء الدولة الى أبى جعفر بالقبض عليه فعلم أبو جعفر انه ان قبض عليه اختلف العسكر وظفر به العرب فتراجع فى أمره وكان سبب ذلك ان ابن المعلم كان عدوا له فسعى به عند بهاء الدولة فأمر بقبضه وكان بهاء الدولة اذنا يسمع ما يقال له ويفعل به وعلم الوزير الخبر فشرع فى صلح أبى الذواد وأخذ رهائنه والعود الى بغداد فأشار عليه أصحابه باللحاق بأبى الذواد فلم يفعل أنفة وحسن عهد فلما وصل الى بغداد رأى ابن المعلم قد قبض وقتل وكفى شره ولما أتاه خبر قبض ابن المعلم وقتله ظهر عليه الانكسار فقال له خواصه ما هذا الهم وقد كفيت شر عدوك فقال ان ملكا قرب رجلا كما قرب بهاء الدولة ابن المعلم ثم فعل به هذا لحقيق بأن تخاف ملابسته وكان بهاء الدولة قد أرسل الشريف أبا أحمد الموسوى رسولا الى أبى الذواد فأسره العرب ثم أطلقوه فورد الى الموصل وانحدر الى بغداد

﴿ذكر تسليم الطائع الى القادر وما فعله معه﴾

فى هذه السنة فى رجب سلم بهاء الدولة الطائع لله الى القادر بالله فأنزله حجرة من خاص حجره ووكل به من ثقات خدمه من يقوم بخدمته وأحسن ضيافته وكان يطلب الزيادة فى الخدمة كما كان أيام الخلافة فيأمر له بذلك حكى عنه أن القادر بالله أرسل اليه طيبا فقال من هذا يتطيب أبو العباس يعنى القادر فقالوا نعم فقال قولوا له عنى فى الموضع الفلانى كندوج فيه مما كنت أستعمله فليرسل الى بعضه ويأخذ الباقى لنفسه ففعل ذلك وأرسل اليه يوما القادر بالله عدسية فقال ما هذا فقالوا عدس وسلق فقال أوقد أكل أبو العباس من هذا قالوا نعم قال قولوا له عنى لما أردت أن تأكل عدسية لم اختفيت فما كانت العدسية تعوزك ولم تقلدت هذا الامر فأمر حينئذ القادر ان يفرد له جارية من طباخاته تطبخ له ما يلتمسه كل يوم فأقام على هذا الى ان توفى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة قبض بهاء الدولة على أبى الحسن بن المعلم وكان قد استولى على الامور كلها وخدمه الناس كلهم حتى الوزراء فأساء السيرة مع الناس فشغب الجند فى هذا الوقت وشكوا منه وطلبوا منه تسليمه اليهم فراجعهم بهاء الدولة ووعدهم كف يده عنهم فلم يقبلوا منه فقبض عليه وعلى جميع أصحابه فظن ان الجند يرجعون فلم يرجعوا فسلمه اليهم فسقوه السم مرتين فلم يعمل فيه شيئا فخنقوه ودفنوه وفيها فى شوال تجددت الفتنة بين أهل الكرخ وغيرهم واشتد الحال فركب أبو الفتح محمد بن الحسن الحاجب فقتل وصلب فسكن البلد وفيها غلت الاسعار ببغداد فبيع الرطل الخبز بأربعين درهما وفيها قبض بهاء الدولة على وزيره أبى القاسم على بن احمد

المذكور

عسكره (قال المسعودى) وفى سنة مائتين بعث المأمون رجاء بن أبى الضحاك وياسر الخادم الى على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين الرضا لاشخاصه فحمل اليه مكرما وفيها أمر المأمون باحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفا ووصل الى المأمون على بن موسى الرضا وهو بمدينة مرو فأنزله المأمون أحسن انزال وأمر المأمون بجمع خواص الاولياء وأخبرهم أنه نظر فى ولد العباس وولد على رضى الله عنهم فلم يجد فى وقته أحدا أفضل ولا أحق بالامر من على بن موسى الرضا فبايع له بولاية العهد وضرب اسمه على الدنانير والدراهم وزوج محمد بن على بن موسى الرضا بابنته أم الفضل وأمر بازالة السواد من اللباس والاعلام ونمى ذلك الى من بالعراق من ولد العباس فأعظموه اذ علموا أن فى ذلك خروج الامر عنهم وحج بالناس ابراهيم بن موسى بن جعفر أخو الرضا بأمر المأمون واجتمع من بمدينة السلام من ولد العباس على خلع المأمون ومبايعة ابراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة فبويع له يوم الخميس لخمس خلون من المحرم سنة اثنتين ومائتين وقيل ان ذلك فى سنة ثلاث ومائتين وفى سنة اثنتين ومائتين قتل الفضل بن سهل فى حمام غيلة

المذكور وكان سبب قبضه ان بهاء الدولة اتهمه بمكاتبة الجند فى أمر ابن المعلم واستوزر أبا نصر ابن سابور وأبا منصور بن صالحان جمع بينهما فى الوزارة وفيها قبض صمصام الدولة على وزيره أبى القاسم العلاء بن الحسن بشيراز وكان غالبا على أمره وبقى محبوسا الى سنة ثلاث وثمانين فأخرجه صمصام الدولة واستوزره وكان يدبر الامر مدة حبسه أبو القاسم المدلجى وفيها نازل ملك الروم بأرمينية وحصر خلاط وملازكرد وارجيش فضعفت نفوس الناس عنه ثم هادنه أبو على الحسن بن مروان مدة عشر سنين وعاد ملك الروم وفيها فى شوال ولد الامير أبو الفضل بن القادر بالله وفيها سار بغراخان ايلك ملك الترك بعساكره الى بخارا فسير اليه الامير نوح بن منصور جيشا كثيرا فلقيهم ايلك وهزمهم فعادوا الى بخارا مفلولين وهو فى أثرهم فخرج نوح بنفسه وسائر عسكره ولقيه فاقتتلوا قتالا شديدا أجلت المعركة عن هزيمة ايلك فعاد منهزما الى بلاساغون وهى كرسى مملكته وفيها توفى أبو عمرو محمد بن العباس بن حسنويه الخزاز ومولده سنة خمس وتسعين ومائتين

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة﴾

﴿ذكر خروج أولاد بختيار﴾

فى هذه السنة ظهر أولاد بختيار من محبسهم واستولوا على القلعة التى كانوا معتقلين بها وكان سبب حبسهم ان شرف الدولة أحسن اليهم بعد والده وأطلقهم وأنزلهم بشيراز وأقطعهم فلما مات شرف الدولة حبسوا فى قلعة ببلاد فارس فاستمالوا مستحفظها ومن معه من الديلم فأفرجوا عنهم وأنفذوا الى أهل تلك النواحى وأكثرهم رجالة فجمعوهم تحت القلعة وعرف صمصام الدولة الحال فسير أبا على بن أستاذ هرمز فى عسكر فلما قاربهم تفرق من معهم من الرجالة وتحصن بنو بختيار وكانوا ستة ومن معهم من الديلم بالقلعة وحصرهم أبو على وراسل أحد وجوه الديلم وأطمعه فى الاحسان فأصعدهم الى القلعة سرا فملكوها وأخذوا أولاد بختيار أسرى فأمر صمصام الدولة بقتل اثنين منهم وحبس الباقين ففعل ذلك بهم

﴿ذكر ملك صمصام الدولة خوزستان﴾

فى هذه السنة ملك صمصام الدولة خوزستان وكان سبب نقض الصلح أن بهاء الدولة سير أبا العلاء عبد الله بن الفضل الى الاهواز وتقدم اليه بأن يكون مستعدا لقصد بلاد فارس وأعلمه انه يسير اليه العساكر متفرقين فاذا اجتمعوا عنده سار بهم الى بلاد فارس بغتة فلا يشعر صمصام الدولة الا وهم معه فى بلاده فسار أبو العلاء ولم يتهيأ لبهاء الدولة امداده بالعساكر وظهر الخبر فجهز صمصام الدولة عسكره وسيرهم الى خوزستان وكتب أبو العلاء الى بهاء الدولة بالخبر ويطلب امداده بالعساكر فسير اليه عسكرا كثيرا ووصلت عساكر فارس فلقيهم أبو العلاء فانهزم هو وأصحابه وأخذ أسيرا وحمل الى صمصام الدولة فألبس ثيابا مصبغة وطيف به وسألت فيه والدة صمصام الدولة فلم يقتله واعتقله ولما سمع بهاء الدولة بذلك أزعجه وأقلقه وكانت خزانته قد خلت من الاموال فأرسل وزيره أبا نصر بن سابور الى واسط ليحصل ما أمكنه وأعطاه رهونا من الجواهر والاعلاق النفيسة ليقترض عليها من مهذب الدولة صاحب البطيحة فلما وصل الى واسط تقرب منها الى مهذب الدولة وترك ما معه من الرهون بحاله وأرسل بهاء الدولة ورهنها واقترض عليها

﴿ذكر ملك الترك بخارا﴾

فى هذه السنة ملك مدينة بخارا شهاب الدولة هرون بن سليمان ايلك المعروف ببغراخان التركى

وذلك بمدينة سرخس من بلاد خراسان وذلك فى دار المأمون فى مسيره الى العراق وقبض على بن موسى الرضا بطوس لعنب أكله وأكثر منه وقيل انه كان مسموما وذلك فى صفر سنة ثلاث ومائتين وصلى عليه المأمون وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل سبع وأربعين سنة وستة أشهر وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة وكان المأمون زوج ابنته أم حبيبة لعلى ابن موسى الرضا فكانت احدى الاختين تحت محمد ابن على بن موسى والاخرى تحت أبيه على بن موسى واضطربت بغداد فى أيام ابراهيم بن المهدى وثارت الزويضية وسموا أنفسهم المطوعة وهم رؤساء العامة والتوابع ولما قرب المأمون من مدينة السلام صلى ابراهيم بن المهدى بالناس فى يوم النحر واختفى فى يوم الثانى من النحر وذلك فى سنة ثلاث ومائتين فخلعه أهل بغداد وكان دخول المأمون بغداد سنة أربع ومائتين ولباسه الخضرة ثم غير ذلك وعاد الى لباس السواد وذلك حين قدم طاهر بن الحسين من الرقة اليه وفى سنة احدى ومائتين كان القحط العظيم ببلاد المشرق والوباء بخراسان وغيرها وفيها كان خروج بابك الخرمى ببلاد البذين فى أصحاب جاويذان بن شهرك وقد قدمنا ذكر بلاد بابل وهى البذين من اذربيجان والران والبيلقان فيما سلف

وكان له كاشغر وبلاد ساغون الى حد الصين وكان سبب ذلك ان أبا الحسن بن سيمجور لما مات ولى ابنه أبو على خراسان بعده كاتب الامير الرضى نوح بن منصور يطلب ان يقره على ما كان أبوه يتولاه فأجيب الى ذلك وحملت اليه الخلع وهو لا يشك انها له فلما بلغ الرسول طريق هراة عدل اليها وبها فائق وأوصل الخلع والعهد بخراسان اليه فعلم أبو على أنهم مكروا به وان هذا دليل سوء يريدونه به فلبس فائق الخلع وسار عن هراة نحو أبي على فبلغه الخبر فسار جريدة في نخبة أصحابه وطوى المنازل حتى سبق خبره فأوقع بفائق فيما بين بوشنج وهراة فهزم فائقا وأصحابه وقصدوا مرو الروذ وكتب أبو على الى الامير نوح يجدد طلب ولاية خراسان فأجابه الى ذلك وجمع له ولاية خراسان جميعها بعد ان كانت هراة لفائق فعاد أبو على الى نيسابور ظافرا وجبى أموال خراسان فكتب اليه نوح يستنزله عن بعضها ليصرفه فى أرزاق جنده فاعتذر اليه ولم يفعل وخاف عاقبة المنع فكتب الى بغراخان المذكور يدعوه الى ان يقصد بخارا ويملكها على السامانية وأطمعه فيهم واستقر الحال بينهما على ان يملك بغراخان ما وراء النهر كله ويملك أبو على خراسان فطمع بغراخان فى البلاد وتجددت له اليها حركة واما فائق فانه أقام بمرو الروذ حتى انجبر كسره واجتمع اليه أصحابه وسار نحو بخارا من غير اذن فارتاب الامير نوح له فسير اليه الجيوش وأمرهم بمنعه فلما لقوه قاتلوه فانهزم فائق وأصحابه وعاد على عقبيه وقصد ترمذ فكتب الامير نوح الى صاحب الجوزجان من قبله وهو أبو الحرث أحمد بن محمد الفريغوني وأمره بقصد فائق فجمع جمعا كثيرا وسار نحوه فأوقع بهم فائق فهزمهم وغنم أموالهم وكاتب أيضا بغراخان يطمعه فى البلاد فسار نحو بخارا وقصد بلاد السامانية فاستولى عليها شيأ بعد شيء فسير اليه نوح جيشا كثيرا واستعمل عليهم قائدا كبيرا من قواده اسمه أنج فلقيهم بغراخان فهزمهم وأسر أنج وجماعة من القواد فلما ظفر بهم قوى طمعه فى البلاد وضعف نوح وأصحابه وكاتب الامير نوح أبا على بن سيمجور يستنصره ويأمره بالقدوم اليه بالعساكر فلم يجبه الى ذلك ولا لبى دعوته وقوى طمعه فى الاستيلاء على خراسان وسار بغراخان نحو بخارا فلقيه فائق واختص به وصار فى جملته ونازلوا بخارا فاختفى الامير نوح وملكها بغراخان ونزلها وخرج نوح منها مستخفيا فعبر النهر الى آمل الشط وأقام بها ولحق به أصحابه فاجتمع عنده منهم جمع كثير وأقاموا هناك وتابع نوح كتبه الى أبي على ورسله يستنجده ويخضع له فلم يصغ الى ذلك واما فائق فانه استأذن بغراخان فى قصد بلخ والاستيلاء عليها فأمره بذلك فسار نحوها ونزلها

﴿ذكر عود نوح الى بخارا وموت بغراخان﴾

لما نزل بغراخان بخارا وأقام بها استوخمها فلحقه مرض ثقيل فانتقل عنها نحو بلاد الترك فلما فارقها ثار أهلها بساقة عسكره فقتلوا بهم وغنموا أموالهم ووافقهم الاتراك الغزية على النهب والقتل لعسكر بغراخان فلما سار بغراخان عن بخارا أدركه أجله فمات ولما سمع الامير نوح بمسيره عن بخارا بادر اليها فيمن معه من أصحابه فدخلها وعاد الى دار ملكه وملك آبائه وفرح أهلها به وتباشروا بقدومه واما بغراخان فانه لما مات عاد أصحابه الى بلادهم وكان دينا خيرا عادلا حسن السيرة محبا للعلماء وأهل الدين مكرما لهم وكان يحب ان يكتب عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى أمر الترك بعده ايلك خان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة كثر شغب الديلم على بهاء الدولة ونهبوا دار الوزير أبي نصر بن سابور واختفى منهم

من هذا الكتاب عنده ذكرنا لجبل الفتح والباب والأبواب ونهر الرأس وجريانه نحو بلاد اليدين وبث المأمون عيونه فى طلب ابراهيم بن المهدى وقد علم باختفائه فيها فظفر به لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة سبع ومائتين فى زى امرأة ومعه امرأتان أخذه حارس بن أسود فى الدرب المعروف بالطويل ببغداد فادخل الى المأمون فقال هيه يا ابراهيم فقال يا أمير المؤمنين ولى الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناوله الزمان واستولى عليه الاغترار عامدته من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو كما جعل كل ذى ذنب دونى فان تعاقب فبحقك وان تعف فبفضلك قال بل العفو يا ابراهيم فكبر ثم خر ساجدا فأمر المأمون فصيرت التى كانت عليه على صدره ليرى الناس الحال التى أخذ عليها ثم أمر به فصير فى دار الحرس أياما ينظر الناس اليه ثم حول الى أحمد بن خالد ثم رضى عنه من بعد أن كان وكل به فقال ابراهيم فى ذلك من كلمة له

ان الذى قسم المكارم حازها
من صلب آدم للامام السابع

جمع القلوب عليك جامع أهلها * وجرى ودادك كل خير جامع فبذلت أعظم مايقوم بحمله * واستعفى

واستعفى ابن صالحان من الانفراد بالوزارة فاعفى واستوزر أبا القاسم على بن أحمد ثم هرب وعاد سابور الى الوزارة بعد ان أصلح الديلم وفيها جلس القادر بالله لاهل خراسان بعد عودهم من الحج وقال لهم فى معنى الخطبة له وحملوا رسالة وكتبا الى صاحب خراسان فى المعنى وفيها عقد النكاح للقادر على بنت بهاء الدولة بصداق مبلغه مائة ألف دينار وكان العقد بحضرته والولى النقيب أبو أحمد الحسين بن موسى والد الرضا وماتت قبل النقلة وفيها كان بالعراق غلاء شديد بيعت الكارة الدقيق بمائتين وستين درهما والكر الحنطة بستة آلاف وستمائة درهم غياثية وفيها بنى أبو نصر سابور بن اردشير ببغداد دار العلم ووقف فيها كتبا كثيرة على المسلمين المنتفعين بها وفيها توفى أبو الحسن على بن محمد بن سهل الماسرجسى الفقيه الشافعى شيخ أبي الطيب الطبرى بنيسابور وأبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الشاعر وأبو طالب عبد السلام بن الحسن المأمونى وهو من أولاد المأمون وكان فاضلا حسن الشعر

﴿ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلثمائة﴾

﴿ذكر ولاية محمود بن سبكتكين خراسان واجلاء أبي على عنها﴾

فى هذه السنة ولى الامير نوح محمود بن سبكتكين خراسان وكان سبب ذلك ان نوحا لما عاد الى بخارا على ما تقدم ذكره سقط فى يد أبي على وندم على ما فرط فيه من ترك معونته عندما جنه اليه واما فائق فانه لما استقر نوح ببخارا حدث نفسه بالمسير اليه والاستيلاء عليه والحكم فى دولته فسار عن بلخ الى بخارا فلما علم نوح بذلك سير اليه الجيوش لترده عن ذلك فلقوه واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم فائق وأصحابه ولحقوا بأبي على ففرح بهم وقوى جنانه بقربهم واتفقوا على مكاشفة الامير نوح بالعصيان فلما فعلوا ذلك كتب الامير نوح الى سبكتكين وهو حينئذ بغزنة يعرفه الحال ويأمره بالمسير اليه لينجده وولاه خراسان وكان سبكتكين فى هذه الفتن مشغولا بالغزو غير ملتفت الى ماهم فيه فلما أتاه كتاب نوح ورسوله أجابه الى ما أراد وسار نحوه جريدة واجتمع به وقررا بينهما ما يفعلانه وعاد سبكتكين فجمع العساكر وحشد فلما بلغ أبا على وفائقا الخبر جمعا وراسلا فخر الدولة بن بويه يستنجدانه ويطلبان منه عسكرا فأجابهما الى ذلك وسير اليهما عسكرا كثيرا وكان وزيره الصاحب بن عباد هو الذى قرر القاعدة فى ذلك وسار سبكتكين من غزنة ومعه ولده محمود نحو خراسان وسار نوح فاجتمع هو وسبكتكين فقصدوا أبا على وفائقا فالتقوا بنواحى هراة واقتتلوا فانحاز دارا بن قابوس بن وشمكير من عسكر أبي على الى نوح ومعه أصحابه فانهزم أصحاب أبي على وركبهم أصحاب سبكتكين يأسرون ويقتلون ويغنمون وعاد أبو على وفائق نحو نيسابور وأقام سبكتكين ونوح بظاهر هراة حتى استراحوا وساروا نحو نيسابور فلما علم بهم أبو على سار هو وفائق نحو جرجان وكتبا الى فخر الدولة بخبرهما فأرسل اليهما الهدايا والتحف والاموال وأنزلهما بجرجان واستولى نوح على نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين ولقبه سيف الدولة ولقب أباه سبكتكين ناصر الدولة فأحسنا السيرة وعاد نوح الى بخارا وسبكتكين الى هراة وأقام محمود بنيسابور

﴿ذكر عود الاهواز الى بهاء الدولة﴾

فى هذه السنة ملك بهاء الدولة الاهواز وكان سببه أنه انفذ عسكرا اليها عدتهم سبعمائة رجل وقدم عليهم طغان التركى فلما بلغوا السوس رحل عنها أصحاب صمصام الدولة فدخلها عسكر بهاء الدولة وانتشروا فى أعمال خوزستان وكان أكثرهم من الترك فعلت كلمتهم على الديلم وتوجه

وسع النفوس من الفعال البارع وعفوت عمن لم يكن عن مثله عفو ولم يشفع اليك بشافع

وانحدر المأمون الى فم الصلح فى شعبان سنة تسع ومائتين وأملك بخديجة ابنة الحسن بن سهل التى تسمى بوران ونثر الحسن فى ذلك من الاموال مالم ينثره ولم يفعله ملك قط فى جاهلية ولا فى اسلام وذلك انه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع باسماء ضياع وأسماء جوار وصفات دواب وغير ذلك فكانت البندقة اذا وقعت فى يد الرجل فتحها فقرأ ما فيها فيجد على قدر اقباله وسعوده فيها فيمضى الى الوكيل الذى نصب لذلك فيقول له ضيعة يقال لها فلانة الفلانية من طسوج كذا من رستاق كذا وجارية يقال لها فلانة الفلانية ودابة صفتها كذا ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر وأنفق على المأمون وقواده وعلى جميع أصحابه ومن كان معه من جنوده أيام مقامه عنده على المكارين والجمالين والملاحين وكل من ضمه العسكر من تابع ومتبوع مرتزق وغيره فلم يكن أحد من الناس يشترى شيأ فى عسكر المأمون مما يطعم ولا مما تعتلفه البهائم فلما أراد المأمون ان يصعد فى دجلة الى مدينة السلام قال للحسن حوائجك يا أبا محمد قال نعم يا أمير المؤمنين

صمصام الدولة الى الاهواز ومعه عساكر الديلم وتميم وأسد فلما بلغ تستر رحل ليلا ليكبس الاتراك من عسكر بهاء الدولة فضل الادلاء فى الطريق فأصبح على بعد منهم ورآهم طلائع الاتراك فعادوا بالخبر فحذروا واجتمعوا واصطفوا وجعل مقدمهم واسمه طغان كمينا فلما التقوا واقتتلوا خرج الكمين على الديلم فكانت الهزيمة وانهزم صمصام الدولة ومن معه من الديلم وكانوا ألوفا كثيرة واستأمن منهم أكثر من ألفى رجل وغنم الاتراك من أثقالهم شيئا كثيرا وضرب طغان للمستأمنة خيما يسكنونها فلما نزلوا اجتمع الاتراك وتشاوروا وقالوا هؤلاء أكثر من عدتنا ونحن نخاف أن يثوروا بنا واستقر رأيهم على قتلهم فلم يشعر الديلم الا وقد ألقيت الخيام عليهم ووقع الاتراك فيهم بالعمد حتى أتوا عليهم فقتلوا كلهم وورد الخبر على بهاء الدولة وهو بواسط قد اقترض مالا من مهذب الدولة فلما سمع ذلك سار الى الاهواز وكان طغان والاتراك قد ملكوها قبل وصوله اليها وأما صمصام الدولة فانه لبس السواد وسار الى شيراز فدخلها فغيرت والدته ما عليه من السواد وأقام فتجهز للعود الى أخيه بهاء الدولة بخوزستان

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة عقد النكاح لمهذب الدولة على ابنة بهاء الدولة وللامير أبى منصور بن بويه بن بهاء الدولة على ابنة مهذب الدولة وكان الصداق من كل جانب مائة ألف دينار وفيها قبض بهاء الدولة على أبى نصر خواشاذه وفيها عاد الحجاج من الثعلبية ولم يحج من العراق والشام احد وسبب عودهم ان الاصيفر أمير العرب اعترضهم وقال ان الدراهم التى أرسلها السلطان عام أول كانت نقرة مطلية وأريد العوض فطالت المخاطبة والمراسلة وضاق الوقت على الحجاج فرجعوا وفيها توفى أبو القاسم النقيب الزينبى وولى النقابة بعده ابنه أبو الحسن وفيها ولى نقابة الطالبيين أبو الحسن النهرسابسى وعزل عنها أبو أحمد الموسوى وكان ينوب عنه فيها ابناه المرتضى والرضا وفيها توفى عبد الله بن محمد بن نافع بن مكرم أبو العباس البشتى الزاهد وكان من الصالحين حج من نيسابور ماشيا وبقى سبعين سنة لا يستند الى حائط ولا الى مخدة وعلى بن الحسين ابن حمويه بن زيد أبو الحسين الصوفى سمع الحديث وحدث وصحب أبا الخير الاقطع وغيره وعلى ابن عيسى بن على بن عبد الله أبو الحسن النحوى المعروف بالرمانى ومولده سنة ست وتسعين ومائتين روى عن ابن دريد وغيره وله تفسير كبير ومحمد بن العباس بن أحمد بن القزاز أبو الحسن سمع الكثير وكتب الكثير وخطه حجة فى صحة النقل وجودة الضبط وأبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى الكاتب والمحسن بن على بن محمد بن أبى الفهم أبو على التنوخى القاضى ومولده سنة سبع وعشرين وثلثمائة وكان فاضلا وفيها توفى أبو اسحق ابراهيم بن هلال الصابى الكاتب المشهور وكان عمره احدى وتسعين سنة وكان قد زمن وضاقت به الامور وقلت عليه الاموال وفيها اشتد أمر العيارين ببغداد ووقعت الفتنة بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة واحترق كثير من المحال ثم اصطلحوا

❁ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلثمائة❁

❁(ذكر عود أبى على الى خراسان)❁

لما عاد الامير نوح الى بخارا وسبكتكين الى هراة وبقى محمود بنيسابور طمع أبو على وفائق فى خراسان فسار محمود عن جرجان الى نيسابور فى ربيع الاول فلما بلغ محمودا خبرهما كتب الى أبيه بذلك وبرز وفنزل بظاهر نيسابور وأقام ينتظر المدد فأعجلاه قصد ليه فاقتتلا وكان فى قلة من

الرجال

سألك ان تحفظ على مكانى اليه سنة فقالت فى ذلك الشعراء فأكثرت واطنبت الخطباء فى ذلك وتكلمت فما استظرف مما قيل فى ذلك من الشعر قول محمد ابن حازم الباهلى

بارك الله للحسن ولبوران فى الختن
يا ابن هرون قد ظفر ت ولكن ببنت من

فلما نمى هذا الشعر الى المأمون قال والله ماندرى خيرا أراد أم شرا ودخل ابراهيم بن المهدى يوما على المأمون بعد مدة من الظفر به فقال ان هذين يحملانى على قتلك يعنى المعتصم أخاه والعباس بن المأمون فقال ما أشارا عليك الا بما يشار به على مثلك ولكن تدع ما تخاف لما ترجوا وأنشد

رددت مالى ولم تبخل على به وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فبؤت منها وما كافيتها بيد هما الحياتان من موت ومن عدم
البر وطأ منك العذر عندك لى فيما أتيت ولم تعذل ولم تلم
وقام عذرك بى فاحتج عندك لى مقام شاهد عدل غير متهم

ولابراهيم اخبار حسان وأشعار ملاح وما كان من أمره فى حال اختفائه فى سويقة غالب ببغداد وتنقله من موضع الى موضع بها وخبره فى الليلة التى قبض عليه فيها قد

الرجال فانهزم عنهما نحو أبيه وغنم أصحابهما منه شيئا كثيرا وأشار أصحاب أبى على عليه باتباعه واعجاله والده عن الجمع والاحتشاد فلم يفعل وأقام بنيسابور وكاتب الامير نوحا يستميله ويستقيل من عثرته وزلته وكذلك كاتب سبكتكين بمثل ذلك واحال بما جرى على فائق فلم يجيباه الى ما أراد وجمع سبكتكين العساكر فأتوه على كل صعب وذلول وسار نحو أبى على فالتقوا بطوس فى جمادى الآخرة فاقتتلوا عامة يومهم وأتاهم محمود بن سبكتكين فى عسكر ضخم من ورائهم فانهزموا وقتل من أصحابهم خلق كثير ونجا أبو على وفائق فقصدا أبيورد فتبعهما سبكتكين واستخلف ابنه محمودا بنيسابور فقصدا مرو ثم آمل الشط وراسلا الامير نوحا يستعطفانه فأجاب أبا على الى ما طلب من قبول عذره ان فارق فائقا ونزل بالجرجانية ففعل ذلك فحذره فائق وخوفه من مكيدتهم ومكرهم فلم يلتفت لأمر يريده الله عز وجل ففارق فائقا وسار نحو الجرجانية فنزل بقرية بقرب خوارزم تسمى هزاراسف فأرسل اليه أبو عبد الله خوارزمشاه من أقام له ضيافة ووعده انه يقصده ليجتمع به فسكن الى ذلك فلما كان الليل أرسل اليه خوارزمشاه جماعة من عسكره فأحاطوا به وأخذوه أسيرا فى رمضان من هذه السنة فاعتقله فى بعض دوره وطلب أصحابه فأسر أعيانهم وتفرق الباقون وأما فائق فانه سار الى ايلك خان بما وراء النهر فأكرمه وعظمه ووعده ان يعيده الى قاعدته وكتب الى نوح يشفع فى فائق وان يولى سمرقند فأجابه الى ذلك وأقام بها

❁(ذكر خلاص أبى على وقتل خوارزمشاه)❁

لما أسر أبو على بلغ خبره الى مأمون بن محمد والى الجرجانية فقلق لذلك وعظم عليه وجمع عساكره وسار نحو خوارزمشاه وعبر الى كاث وهى مدينة خوارزمشاه فحصروها وقاتلوها وفتحوها عنوة وأسروا أبا عبد الله خوارزمشاه واحضروا أبا على ففكوا عنه قيده وأخذوه وعادوا الى الجرجانية واستخلف مأمون بخوارزم بعض أصحابه وصارت فى جملة ما بيده وأحضر خوارزمشاه وقتله بين يدى أبى على بن سيمجور

❁(ذكر قبض أبى على بن سيمجور وموته)❁

لما حصل أبو على عند مأمون بن محمد بالجرجانية كتب الى الامير نوح يشفع فيه ويسأل الصفح عنه فأجيب الى ذلك وأمر أبا على بالمسير الى بخارا فسار اليها فيمن بقى معه من أهله وأصحابه فلما بلغوا بخارا لقيهم الامراء والعساكر فلما دخلوا على الامير نوح أمر بالقبض عليهم وبلغ سبكتكين ان ابن عزيز وزير الامير نوح يسعى فى خلاص أبى على فأرسل اليه يطلب أبا على اليه فسلمه فمات فى حبسه سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان ذلك خاتمة أمره وآخر حال بيت سيمجور وجزاء الكفران احسان مولاهم تبارك الحى الدائم الباقى الذى لا يزول ملكه وكان ابنه أبو الحسن قد لحق بفخر الدولة بن بويه فأحسن اليه وأكرمه فسار عنه سرا الى خراسان لهوى كان له بها وظن ان أمره يخفى فظهر حاله فأخذ أسيرا وحبس عند والده وأما أبو القاسم أخو أبى على فانه أقام فى خدمة سبكتكين مدة يسيرة ثم ظهر منه خلاف الطاعة وقصد نيسابور فلم يتم له ما أراد وعاد محمود بن سبكتكين اليه فهرب منه وقصد فخر الدولة وبقى عنده وسيرد باقى أخباره ان شاء الله تعالى

❁(ذكر وفاة الصاحب بن عباد)❁

فى هذه السنة مات الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عباد وزير فخر الدولة بالرى وكان واحد زمانه علما وفضلا وتدبيرا وجودة رأى وكرما عالما بأنواع العلوم عارفا بالكتابة وموادها ورسائله مشهورة

أثنينا على جميعها فيما حمينا من كتبنا التى كتابنا هذا تال لها وقد صنف يوسف بن ابراهيم الكاتب صاحب ابراهيم بن المهدى كتبا منها كتابه فى أخبار المتطببين مع الملوك فى المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك وكتابه المعروف بكتاب ابراهيم ابن المهدى فى أنواع الاخبار وغير ذلك من كتبه ومن أحسن ما اختير من أخبار ابراهيم فى حال تنقله واختفائه ببغداد خبره مع المزين وهوان المأمون لما دخل بغداد على ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من بث العيون طلبا لابراهيم بن المهدى وجعل لمن دل عليه جعلا خطيرا من المال قال ابراهيم فخرجت فى يوم صائف فى وقت الظهر لا أدرى أين أتوجه فصرت الى زقاق لا منفذ له فرأيت أسود على باب دار فصرت اليه وقلت له أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح بابه فدخلت الى بيت فيه حصير نظيف ووسادة جلد نظيفة ثم تركنى وأغلق الباب فى وجهى ومضى فتوهمته قد سمع الجعالة فى وانه خرج ليدل على فبينما أنا كذلك اذ أقبل ومعه طبق عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديد وآنية وجرة نظيفة وكيزان نظاف كل ذلك جديد وقال لى جعلنى الله فداك انى حجام وانى أعلم أنك تتقذر ما أتولاه فشأنك بما لم تقع عليه يدى وكانت بى

مدونة وجمع من الكتب مالم يجمعه غيره حتى انه كان يحتاج فى نقلها الى أربعمائة جمل ولما مات
وزر بعده لفخر الدولة أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبى الملقب بالكافى ولما حضره الموت قال
لفخر الدولة قد خدمتك خدمة استفرغت فيها وسعى وسرت سيرة جلبت لك حسن الذكر فان
اجريت الامور على ما كانت عليه نسب ذلك الجميل اليك وتركت انا وان عدلت عنه كنت انا
المشكور ونسبت الطريقة الثانية اليك وقدح ذلك فى دولتك فكان هذا نصحه له الى ان مات
فلما توفى انفذ فخر الدولة من احتاط على ماله وداره ونقل جميع ما فيها اليه فقبح الله خدمة الملوك
هذا فعلهم مع من نصح لهم فكيف مع غيره ونقل الصاحب بعد ذلك الى أصبهان وكثير ما بين فعل
فخر الدولة مع ابن عباد وبين العزيز بالله العلوى مع وزيره يعقوب بن كلس وقد تقدم وكان
الصاحب ابن عباد قد أحسن الى القاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى وقدمه وولاه قضاء الرى
واعمالها فلما توفى قال عبد الجبار لا أرى الترحم عليه لانه مات عن غير توبة ظهرت منه فنسب
عبد الجبار الى قلة الوفاء ثم ان فخر الدولة قبض على عبد الجبار وصادره فباع فى جملة ما باع ألف
طيلسان وألف ثوب صوف رفيع فلم لا نظر لنفسه وتاب عن أخذ مثل هذا وادخاره من غير حله ثم
ان فخر الدولة قبض على أصحاب ابن عباد وابطل كل مسامحة كانت منه وقررهو ووزراؤه
المصادرات فى البلاد فاجتمع له منها شئ كثير ثم تمزق بعد وفاته فى اقرب مدة وحصل بالوزر وسوء
الذكر

﴿ ذكر ايقاع صمصام الدولة بالاتراك ﴾

فى هذه السنة أمر صمصام الدولة بقتل من بفارس من الاتراك فقتل منهم جماعة وهرب الباقون
فعاثوا فى البلاد وانصرفوا الى كرمان ثم منها الى بلاد السند واستأذنوا ملكها فى دخول بلاده
فأذن لهم وخرج الى تلقيهم ووافق أصحابه على الايقاع بهم فلما رآهم جعل أصحابه صفين فلما حصل
الاتراك فى وسطهم اطبقوا عليهم وقتلوهم فلم يفلت منهم الا نفر جرحى وقعوا بين القتلى وهربوا
تحت الليل

﴿ ذكر وفاة خواشاذه ﴾

فى هذه السنة توفى أبو نصر خواشاذه بالبطائح وكان قد هرب اليها بعد ان قبض وكاتبه بهاء الدولة
وفخر الدولة وصمصام الدولة وبدر بن حسنويه كل منهم يستدعيه ويبذل له ما يريده وقال له فخر
الدولة لملك تسىء الظن بما قدمته فى خدمة عضد الدولة وما كنا لنؤاخذك بطاعة من قدمك
ومناصحته وقد علمت ما عاملته مع الصاحب ابن عباد وتركنا ما فعله معنا فعزم على قصده فادركه
أجله قبل ذلك وتوفى وكان من أعيان قواد عضد الدولة

﴿ ذكر عود عسكر صمصام الدولة الى الاهواز ﴾

فى هذه السنة جهز صمصام الدولة عسكره من الديلم وردهم الى الاهواز مع العلاء بن الحسن
واتفق ان طغان نائب بهاء الدولة بالاهواز توفى وعزم من معه من الاتراك على العود الى بغداد
وكتب من هناك الى بهاء الدولة بالخبر فاقلقه ذلك وازعجه فسير أبا كاليجار المرزبان بن شهفيروز
الى الاهواز نائبا عنه وانفذ أبا محمد الحسن بن مكرم الى الفتكين وهو برامهرمز قد عاد من بين
يدى عسكر صمصام الدولة اليها يأمره بالمقام بموضعه فلم يفعل وعاد الى الاهواز فكتب الى أبى محمد
ابن مكرم بالنظر فى الاعمال وسار بعدهم بهاء الدولة نحو خوزستان فكاتبه العلاء وسلك طريق
اللين والخداع ثم سار على نهر المسرقان الى ان حصل بخان طوق ووقعت الحرب بينه وبين أبى محمد
ابن مكرم والفتكين وزحف الديلم بين البساتين حتى دخلوا البلد وانزاح عنه ابن مكرم والفتكين

فقمت فطبخت لنفسى قدرا ما أذكر انى أكلت أطيب منها ثم قال لى بعد
حاجة شديدة الى الطعام
ذلك هل لك فى النبيذ
فقلت ما أكره ذلك ففعل
مثل فعله فى الطعام وأتانى
بكل شئ نظيف لم يمس
شيأ منه بيد ثم قال لى بعد
ذلك أتأذن لى جعلنى الله
فداك أن أقعد ناحية منك
فآتى بنبيذ فأشرب منه
سرورا بك قال فقلت افعل
ذلك فلما شرب ثلاثا دخل
خزانة له وأخرج منها عودا
وقال ياسيدى ليس من قدرى
أن أسألك أن تغنى ولكن
قد وجبت عليك حرمتى
فان رأيت ان تشرف
عبدك بان تغنيه قال فقلت
وكيف توهمت على انى
أحسن الغناء فقال متعجبا
ياسبحان الله أنت أشهر من
أن لا أعرفك أنت ابراهيم
ابن المهدى الذى قد جعل
المأمون لمن دل عليك مائة
ألف درهم قال فلما قال لى
ذلك تناولت العود فلما
هممت بالغناء قال ياسيدى
أتجعل ما تغنيه ما أقترحه
عليك قلت هات فاقترح
ثلاثة أصوات أتقدم فيها
كل من غنى قلت هبك
عرفتنى هذه الاصوات من
اين لك قال أنا أخدم
ابراهيم بن اسحق الموصلى
وكثيرا ما كنت اسمعه يذكر
المحسنين وما يجيدونه ولم
أتوهم أنى أسمع ذلك منك
فى منزلى فغنيته وانست به
واستطرقته فلما كان الليل خرجت من عنده وقد كنت حملت معى خريطة فيها دنانير فقلت له خذها

وكتبا

وكتبا الى بهاء الدولة يشيران عليه بالعبور اليها فتوقف عن ذلك ووعدهما به وسير اليهما ثمانين
غلاما من الاتراك فعبروا وحملوا على الديلم من خلفهم فافرج لهم الديلم فلما توسطوا بينهم أطبقوا
عليهم فقتلوهم فلما عرف بهاء الدولة ذلك ضعفت نفسه وعزم على العود ولم يظهر ذلك فأمر
باسراج الخيل وحمل السلاح ففعل ذلك وسار نحو الاهواز يسيرا ثم عاد الى البصرة فنزل
بظاهرها فلما عرف ابن مكرم خبر بهاء الدولة عاد الى عسكر مكرم وتبعهم العلاء والديلم فاجلوهم
عنها فنزلوا براملان بين عسكر مكرم وتستر وتكررت الوقائع بين الفريقين مدة وكان بيد الاتراك
أصحاب بهاء الدولة من تستر الى رامهرمز ومع الديلم منها الى ارجان وأقاموا ستة اشهر ثم رجعوا
الى الاهواز ثم عبر بهم النهر الى الديلم واقتتلوا نحو شهرين ثم رحل الاتراك وتبعهم العلاء
فوجدهم قد سلكوا طريق واسط فكف عنهم وأقام بعسكر مكرم

﴿ ذكر حادثة غريبة بالاندلس ﴾

فى هذه السنة سير المنصور محمد بن أبى عامر أمير الاندلس لهشام المؤيد عسكرا الى بلاد الفرنج
للغزاة فنالوا منهم وغنموا وأوغلوا فى ديارهم وأسروا غرسية وهو ملك الفرنج ابن ملك من ملوكهم
يقال له شانجة وكان من أعظم ملوكهم وأمنعهم وكان من القدر أن شاعر المنصور يقال له أبو
العلاء صاعد بن الحسن الربعى قد قصده من بلاد الموصل وأقام عنده وامتدحه قبل هذا التاريخ
فلما كان الآن أهدى أبو العلاء الى المنصور ايلا وكتب معه أبياتا منها

ياحرز كل مخوف وامان كل مشرد ومعز كل مذلل
جدواك ان تخصص به فلاهله * وتعم بالاحسان كل مؤمل

يقول فيها

مولاى مؤنس غربتى متخطفى * من ظفر أيامى ممنع معقلى
عبد رفعت بضبعه وغرسته * فى نعمة أهدى اليك بايل
سميته غرسية وبعثته * فى حبله ليتاح فيه تفاؤلى
فلئن قبلت فتلك اسنى نعمة * اسدى بها ذو نعمة وتطول

فسمى هذا الشاعر الايل غرسية تفاؤلا بأسر ذلك غرسية فكان أمره فى اليوم الذى أهدى فيه
الايل فانظر الى هذا الاتفاق ما أعجبه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة ورد الوزير أبو القاسم على بن أحمد الابرقوهى من البطيحة الى بهاء الدولة بعد عوده
من خوزستان وكان قد التجأ الى مهذب الدولة فأرسل بهاء الدولة يطلبه ليستوزره فحضر عنده
فلم يتم له ذلك فعاد الى البطيحة وكان الفاضل وزير بهاء الدولة معه بواسط فلما علم الحال استأذن فى
الاصعاد الى بغداد فأذن له فاصعد فعاد بهاء الدولة وطلبه ليرجع اليه فغالطه ولم يعد وفى هذه
السنة فى ذى الحجة توفى أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن شاهين الواعظ مولده
فى صفر سنة سبع وتسعين ومائتين وكان مكثرا من الحديث ثقة وفيها فى ذى القعدة توفى الامام
أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى المعروف بالدارقطنى الامام المشهور وفيها فى ربيع
الاول توفى محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمى من ولد على بن المهدى بالله وكان منحرفا عن على بن
أبى طالب عليه السلام وكان خبيث اللسان يتقى سفهه ومن جيد شعره

فى وجه انسانة كلفت بها * أربعة ما اجتمعن فى أحد

فاصرفها فى بعض مؤونتك ولك عندنا مزيد ان شاء الله تعالى فقال ما أعجب هذا
والله عزمت على انى أعرض
عليك جملة عندى وأسألك
ان تتفضل بقبولها ثم
اجللتك عن ذلك فامتنع
من قبول شئ ومضى حتى
دلنى على الموضع الذى
احتجت اليه وانصرف
وكان آخر العهد به وفى سنة
ست ومائتين وذلك فى
خلافة المأمون مات يزيد
ابن هارون بن زادان
الواسطى وله تسع وثمانون
سنة وكان مولده سنة
سبع عشرة ومائة وهو مولى
بنى سليم وكان أبوه يخدم فى
مطبخ زياد بن أبيه وعبيد
الله بن زياد ومصعب بن
الزبير والحجاج بن يوسف
وهذا عمدة اهل الحديث
فى علمهم وعظيم من
عظمائهم وكانت وفاته
بواسط العراق وفيها مات
جرير بن خزيمة بن حازم
وشبية بن سوار المدنى
والحجاج بن محمد الاعور
الفقيه وعبد الله بن نافع
الصائغ المدنى مولى لبنى
مخزوم ووهب بن جرير
ومؤمل بن اسمعيل
وروح بن عبادة وفيها
مات الهيثم بن عدى وكان
يضمر عليه نسبه وله يقول
القائل

اذا نسبت عديا فى بنى ثعل
فقدم الدال قبل العين فى
النسب

وفى سنة تسع ومائتين
مات الواقدى وهو محمد بن عمر بن واقد مولى لبنى هاشم وهو صاحب السير والمغازى وقد ضعفت فى الحديث وذكر ابن أبى

الوجه بدر والصدغ غالية * والريق خمر والثغر من برد

وفيها توفي يوسف بن عمر بن مسرور أبو الفتح القواس الزاهد في ربيع الاول وله خمس وخمسون سنة

﴿ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلثمائة﴾

﴿ذكر وفاة العزيز بالله وولاية ابنه الحاكم وما كان من الحروب الى ان استقر أمره﴾

في هذه السنة توفي العزيز أبو منصور نزار بن المعز أبي تميم معد العلوي صاحب مصر لليلتين بقيتا من رمضان وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر ونصف بمدينة بلبيس وكان برز اليها للغزو الروم فلحقه عدة امراض منها النقرس والحصى والقولنج فاتصلت به الى ان مات وكانت خلافته احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفا ومولده بالمهدية من افريقية وكان اسمر طويلا أصهب الشعر عريض المنكبين عارفا بالخيل والجوهر قيل انه ولى عيسى بن نسطورس النصراني كتابته واستناب بالشام يهوديا اسمه منشا فاعتز بهما النصارى واليهود وآذوا المسلمين فعمد أهل مصر وكتبوا قصة وجعلوها في يد صورة عملوها من قراطيس فيها بالذي أعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس وأذل المسلمين بك الا كشفت ظلامتي وأقعدوا تلك الصورة على طريق العزيز والرقعة بيدها فلما رآها أمر بأخذها فلما قرأ ما فيها ورأى الصورة من قراطيس علم ما أريد بذلك فقبض عليهما وأخذ من عيسى ثلثمائة ألف دينار ومن اليهود شيأ كثيرا وكان يحب العفو ويستعمله فمن حلمه انه كان بمصر شاعر اسمه الحسن بن بشر الدمشقي وكان كثير الهجاء فهجا يعقوب بن كلس وزير العزيز وكاتب الانشاء من جهته أبا نصر عبد الله الحسين القيرواني فقال

قل لابي نصر صاحب القصر * والمتأتي لنقض ذا الامر

انقض عرى الملك للوزير تفز * منه بحسن الثناء والذكر

وأعط وامنع ولا تخف أحدا * فصاحب القصر ليس في القصر

وليس يدري ماذا يراد به * وهو اذا ما درى فما يدري

فشكاه ابن كلس الى العزيز وأنشده الشعر فقال له هذا شيء اشتركنا فيه في الهجاء فشاركني في العفو عنه ثم قال هذا الشاعر أيضا وعرض بالفضل القائد

تنصر فالتنصر دين حق * عليه زماننا هذا يدل

وقل بثلاثة عزوا وجلوا * وعطل ما سواهم فهو عطل

فيعقوب الوزير أب وهذا الـ * ـعزيز ابن وروح القدس فضل

فشكاه أيضا الى العزيز فامتعض منه الا انه قال اعف عنه فعفا عنه ثم دخل الوزير على العزيز فقال لم يبق للعفو عن هذا معنى وفيه غض من السياسة ونقض لهيبة الملك فانه قد ذكرك وذكرني وذكر ابن زبارج نديمك وسبك بقوله

زبارجي نديم * وكلسي وزير نعم على قدر الكلـ * ـب يصلح الساجور

فغضب العزيز وأمر بالقبض عليه فقبض عليه لوقته ثم بدا للعزيز اطلاقه فأرسل اليه يستدعيه وكان للوزير عين في القصر فاخبره بذلك فأمر بقتله فقتل فلما وصل رسول العزيز في طلبه أراه رأسه مقطوعا فعاد اليه فاخبره فاغتم له ولما مات العزيز ولي بعده ابنه أبو علي المنصور ولقب الحاكم بأمر الله بعهد من أبيه فولي وعمره احدى عشرة سنة وستة أشهر وأوصى العزيز الى ارجوان الخادم وكان يتولى أمر داره وجعله مدبر دولة ابنه الحاكم فقام بأمره وبايع له وأخذ له

الازهر قال حدثني أبو سهل الداري عمن حدثه عن الواقدي قال كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لانهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة فلو احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم قال فكتبت الى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علي لما حضر فوجه الي كيسا مختوما ذكر أنه فيه ألف درهم فما استقر قراري اذ كتب الي الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صاحبي فوجهت اليه الكيس بحاله وخرجت الى المسجد فاقمت فيه ليلي مستحييا من امرأتي فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه فبينا أنا كذلك اذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي أصدقني عما فعلته فيما وجهت اليك فعرفته الخبر على جهته فقال انك وجهت الي وما أملك على الارض الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أسأله المواساة فوجه بكيسي بخاتمي قال فتواسينا الالف اثلاثا ثم انا أخرجنا الى المرأة قبل ذلك مائة درهم ونمى الخبر

البيعة على الناس وتقدم الحسن بن عمار شيخ كتامة وسيدها وحكم في دولته واستولى عليها وتلقب بأمين الدولة وهو أول من تلقب في دولة العلويين المصريين فأشار عليه ثقاته بقتل الحاكم وقالوا لا حاجة الى من يتعبدنا فلم يفعل احتقارا له واستصغارا لسنه وانبسطت كتامة في البلاد وحكموا فيها ومدوا أيديهم الى أموال الرعية وحريمهم وأرجوان مقيم مع الحاكم في القصر يحرسه واتفق معه شكر خادم عضد الدولة وقد ذكرنا قبض شرف الدولة عليه ومسيره الى مصر فلما اتفقا وصارت كلمتهما واحدة وكتب ارجوان الى منجوتكين يشكو ما يتم عليه من ابن عمار فتجهز وسار من دمشق نحو مصر فوصل الخبر الى ابن عمار فاظهر ان منجوتكين قد عصى على الحاكم وندب العساكر الى قتاله وسير اليه جيشا كثيرا وجعل عليهم أبا تميم سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي فسار واليه فلقوه بعسقلان فانهزم منجوتكين وأصحابه وقتل منهم ألفا رجل وأسر منجوتكين وحمل الى مصر فابقى عليه ابن عمار واطلقه استمالة للمشارقة بذلك واستعمل ابن عمار على الشام أبا تميم الكتامي واسمه سليمان بن جعفر فسار الى طبرية فاستعمل على دمشق أخاه عليا فامتنع أهلها عليه فكاتبهم أبو تميم يتهددهم فخافوا وأذعنوا بالطاعة واعتذروا من فعل سفهائهم وأخرجوا الى علي فلم يعبأ بهم وركب ودخل البلد فاحرق وقتل وعاد الى معسكره وقدم عليهم أبو تميم فاحسن اليهم وآمنهم واطلق المحبسين ونظر في أمر الساحل واستعمل أخاه عليا على طرابلس وعزل عنها جيش ابن الصمصامة الكتامي فمضى الى مصر واجتمع مع ارجوان على الحسن بن عمار فانتهز ارجوان الفرصة ببعد كتامة عن مصر مع ابي تميم فوضع المشارقة على الفتك بمن بقي بمصر منهم وبابن عمار معهم فبلغ ذلك ابن عمار فعمل على الايقاع بارجوان وشكر العضدي فاخبرهما بذلك عيون لهما على ابن عمار بذلك فاحتاطا ودخلا قصر الحاكم باكين وثارت الفتنة واجتمعت المشارقة ففرق فيهم المال وواقعوا ابن عمار ومن معه فانهزم واختفى فلما ظفر ارجوان اظهر الحاكم واجلسه وجدد له البيعة وكتب الى وجوه القواد والناس بدمشق بالايقاع بأبي تميم فلم يشعر الا وقد هجموا عليه ونهبوا خزائنه فخرج هاربا وقتلوا من كان عنده من كتامة وعادت الفتنة بدمشق واستولى الاحداث ثم ان ارجوان أذن للحسن بن عمار في الخروج من استتاره وأجراه على اقطاعه وأمره باغلاق بابه وعصى أهل صور وأمروا عليهم رجلا ملاحا يعرف بالعلاقة وعصى أيضا المفرج بن دغفل بن الجراح ونزل على الرملة وعاث في البلاد واتفق ان الدوقس صاحب الروم نزل على حصن افامية فاخرج ارجوان جيش بن الصمصامة في عسكر ضخم فسار حتى نزل بالرملة فاطاعه واليها وظفر فيها بابي تميم فقبض عليه وسير عسكرا الى صور وعليهم أبو عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان فغزاها برا وبحرا فأرسل العلاقة الى ملك الروم يستنجده فسير اليه عدة مراكب مشحونة بالرجال فالتقوا بمراكب المسلمين على صور فاقتتلوا وظفر المسلمون وانهزم الروم وقتل منهم جمع فلما انهزموا انخذل أهل صور وضعفت نفوسهم فملك البلد أبو عبد الله بن حمدان ونهبه وأخذت الاموال وقتل كثير من جنده وكان أول فتح كان على يد ارجوان وأخذ العلاقة أسيرا فسيره الى مصر فسلخ وصلب بها واقام بصور وسار جيش بن الصمصامة لقصد المفرج بن دغفل فهرب من بين يديه وأرسل يطلب العفو فامنه وسار جيش أيضا الى عسكر الروم فلما وصل الى دمشق تلقاه اهلها مذعنين فاحسن الى رؤساء الاحداث واطلق المؤن واباح دم كل مغربي يتعرض لاهلها فاطمأنوا اليه وسار الى افامية فصاف الروم عندها فانهزم هو وأصحابه ما عدا بشارة الاخشيدي فانه ثبت في خمسمائة فارس ونزل الروم الى سواد المسلمين يغنمون ما فيه والدوقس واقف على رابية وبين يديه

الى المأمون فدعاني فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد ألفا دينار وللمرأة ألف دينار وقبض الواقدي وهو ابن سبع وسبعين سنة وفيها كانت وفاة يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ببغداد وصلى عليه المأمون وقد أتينا على خبره فيما سلف من كتبنا وفيها مات أزهر السمان وكان صديقا لابي جعفر المنصور في أيام بني أمية وكانا قد سافرا جميعا وسمعا الحديث وكان المنصور يألفه ويأنس اليه ويكبر عنده فلما افضت الخلافة اليه أشخص اليه من البصرة فسأله المنصور عن زوجته وبناته وكان يعرفهن بأسمائهن وأظهر بره واكرامه ووصله بأربعة آلاف درهم وأمره أن لا يقدم اليه مستميحا فلما كان بعد حول صار اليه فقال له ألم آمرك أن لا تصير الى مستميحا فقال له ما صرت اليك الا مسلما ومجددا بك عهدا قال ما أرى الامر كما ذكرت فأمر له بأربعة آلاف درهم وأمره أن لا يصير اليه مسلما ولا مستميحا فلما كان بعد سنة صار اليه فقال اني لم أقدم عليك للامرين اللذين نهيتني عنهما وانما بلغني أن علة عرضت لامير المؤمنين فاتيته عائدا فقال ما أظنك أتيت الا مستوصلا فأمر له بأربعة آلاف

ولده وعدة غلمان فقصده كردي يعرف بأحمد بن الضحاك من أصحاب بشارة ومعه نخشت فطعنه الدوقس مستأمنا فلم يحترز منه فلما دنا منه حمل عليه وضربه بالخشت فقتله فصاح المسلمون قتل عدو الله وعادوا ونزل النصر عليهم فانهزمت الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة وصار جيش الى باب انطاكية يغنم ويسبي ويحرق وعاد الى دمشق فنزل بظاهرها وكان الزمان شتاء فسأله أهل دمشق ليدخل البلد فلم يفعل ونزل ببيت لهيا واحسن السيرة في أهل دمشق واستخص رؤساء الاحداث واستصحب جماعة منهم وجعل يبسط الطعام كل يوم لهم ولمن يجيء معهم من أصحابهم فكان يحضر كل انسان منهم في جمع من أصحابه وأشياعه وأمرهم اذا فرغوا من الطعام ان يحضروا الى حجرة له يغسلون أيديهم فيها فغبر على ذلك برهة من الزمان فأمر أصحابه ان رؤساء الاحداث اذا دخلوا الحجرة لغسل أيديهم ان يغلقوا باب الحجرة عليهم ويضعوا السيف في أصحابهم فلما كان الغد حضروا الطعام وقام الرؤساء الى الحجرة فأغلقت الابواب عليهم وقتل من أصحابهم نحو ثلاثة آلاف رجل ودخل دمشق فطافها فاستغاث الناس وسألوه العفو فعفا عنهم وأحضر اشراف اهلها وقتل رؤساء الاحداث بين أيديهم وسير الاشراف الى مصر وأخذ أموالهم ونعمهم ثم مرض بالبواسير وشدة الضربان فمات وولي بعده ابنه محمد وكانت ولايته هذه تسعة أشهر ثم ان ارجوان بعد هذه الحادثة راسل بسيل ملك الروم وهادنه عشر سنين واستقامت الامور على يد ارجوان وسير أيضا جيشا الى برقة وطرابلس الغرب ففتحها واستعمل عليها أنسا الصقلبي ونصح الحاكم وبالغ في ذلك ولازم خدمته فثقل مكانه على الحاكم فقتله سنة تسع وثمانين وكان خصيا أبيض وكان لارجوان وزير نصراني اسمه فهد بن ابراهيم فاستوزره الحاكم ثم ان الحاكم رتب الحسين بن جوهر موضع ارجوان ولقبه قائد القواد ثم قتل الحسين بن عمار المقدم ذكره ثم قتل الحسين بن جوهر ولم يزل يقيم الوزير بعد الوزير ويقتلهم ثم جهز بارختكين للمسير الى حلب وحصرها وسير معه العساكر الكثيرة فسار عنها فخافه حسان بن المفرج الطائي فلما رحل من غزة الى عسقلان كمن له حسان ووالده واوقعا به وبمن معه وأسراه وقتلاه وقتل من الفريقين قتلى كثير وحصر الرملة ونهبوا النواحي وكثر جمعهما وملكوا الرملة وما والاها فعظم ذلك على الحاكم وارسل يعاتبهما وسبق السيف العذل فارسلا الى الشريف أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي الحسني أمير مكة وخاطباه بأمير المؤمنين وطلباه اليهما ليبايعاه بالخلافة فحضر واستناب بمكة وخوطب بالخلافة ثم ان الحاكم راسل حسانا وأباه وضمن لهما الاقطاع الكثيرة والعطاء الجزيل واستمالهما فعدلا عن أبي الفتوح ورداه الى مكة وعادا الى طاعة الحاكم ثم ان الحاكم جهز عسكرا الى الشام واستعمل عليهم علي بن جعفر بن فلاح فلما وصل الى الرملة ازاح حسان بن المفرج وعشيرته عن تلك الارض وأخذ ما كان له من الحصون بجبل الشراة واستولى على أمواله وذخائره وسار الى دمشق واليا عليها فوصل اليها في شوال سنة تسعين وثلثمائة واما حسان فانه بقي شريدا نحو سنتين ثم ارسل والده الى الحاكم فأمنه واقطعه فسار حسان اليه بمصر فاكرمه واحسن اليه وكان المفرج والد حسان قد توفي مسموما وضع الحاكم عليه من سقاه فمات فضعف أمر حسان على ما ذكرناه

﴿ذكر استيلاء عسكر صمصام الدولة على البصرة﴾

في هذه السنة سار قائد كبير من قواد صمصام الدولة اسمه لشكرستان الى البصرة فأجلى عنها نواب بهاء الدولة وسبب ذلك ان الاتراك لما عادوا عن العلاء كما ذكرناه كان هذا لشكرستان مع

درهم فلما كان بعد الحول ألح عليه بناته وزوجته وقلن له أمير المؤمنين صديقك فارجع اليه فقال ويحكن ماذا أقول له وقد قلت له أتيتك مستمنحا ومسلما وعائدا ماذا أقول في هذه المرة وبم أحتج فأبوا على الشيخ الا الالحاح فخرج فأتى المنصور وقال لم آتك مسترفدا ولا زائرا ولا عائدا وانما جئت لسماع حديث كنا سمعناه جميعا في بلد كذا من فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه اسم من أسماء الله تعالى من سأل الله به لم يرده ولم يخيب دعوته فقال له المنصور لا تروه فاني قد جربته فليس هو بمستجاب وذلك اني مذ جئتني أسأل الله به أن لا يردك الي وها أنت ترجع لا تنفك من قولك مسلما أو عائدا أو زائرا ووصله باربعة آلاف درهم وقال له قد أعيتني فيك الحيلة فصر الي متى شئت وفي سنة تسع ومائتين ركب المأمون الى المطبق بالليل حتى قتل ابن عائشة وهو رجل من ولد العباس بن عبد المطلب واسمه ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام أخي أبي العباس والمنصور وقتل معه محمد بن ابراهيم الافريقي وغيره وابن عائشة هذا أول عباسي صلب في الاسلام وتمثل المأمون حين قتله بقول الشاعر

اذا النار في أحجارها مستكنة * متى ما يهجها قادح تتضرم

العلاء فأتاهم من الديلم الذين مع بهاء الدولة أربعمائة رجل مستأمنين فأخذهم لشكرستان وسار بهم وبمن معه الى البصرة فكثر جمعه فنزلوا قريب البصرة بين البساتين يقاتلون أصحاب بهاء الدولة ومال اليهم بعض أهل البصرة وقدمهم أبو الحسن بن أبي جعفر العلوي وكانوا يحملون اليهم الميرة وعلم بهاء الدولة بذلك فانفذ من يقبض عليهم فهرب كثير منهم الى لشكرستان فقوي بهم وجمعوا السفن وجاؤه فيها ونزلوا الى البصرة فقاتلوا أصحاب بهاء الدولة بها وأخرجوهم عنها وملك لشكرستان البصرة وقتل من أهلها كثيرا وهرب كثير منهم وأخذ كثيرا من أموالهم فكتب بهاء الدولة الى مهذب الدولة صاحب البطيحة يقول أنت أحق بالبصرة فسير اليها جيشا مع عبد الله بن مرزوق فاجلى لشكرستان عن البصرة وقيل انه سار عن البصرة بغير حرب ودخلها ابن مرزوق وقيل انما فارقها بعد ان حارب فيها وضعف عن المقام بين يديه وصفت البصرة لمهذب الدولة ثم ان لشكرستان عمل على العود الى البصرة فهجم عليها في السفن ونزل أصحابه بسوق الطعام واقتتلوا فاستظهر لشكرستان وكاتب بهاء الدولة يطلب المصالحة ويبذل الطاعة ويخطب له بالبصرة فأجابه مهذب الدولة الى ذلك وأخذ ابنه رهينة وكان لشكرستان يظهر طاعة صمصام الدولة وبهاء الدولة ومهذب الدولة وعسف أهل البصرة مدة فنفروا ثم انه أحسن اليهم وعدل فيهم فعادوا

﴿ذكر ولاية المقلد الموصل﴾

في هذه السنة ملك المقلد بن المسيب مدينة الموصل وكان سبب ذلك ان أخاه أبا الذواد توفي هذه السنة فطمع المقلد في الامارة فلم تساعده عقيل على ذلك وقلدوا أخاه عليا لانه أكبر منه فشرع المقلد واستمال الديلم الذين كانوا مع أبي جعفر الحجاج بالموصل فمال اليه بعضهم وكتب الى بهاء الدولة يضمن منه البلد بألفي ألف درهم كل سنة ثم حضر عند أخيه علي وأظهر له ان بهاء الدولة قد ولاه الموصل وسأله مساعدته على أبي جعفر لانه قد منعه عنها فساروا ونزلوا على الموصل فخرج اليهم كل من استماله المقلد من الديلم وضعف الحجاج وطلب منهم الامان فامنوه وواعدهم يوما يخرج اليهم فيه ثم انه انحدر في السفن قبل ذلك اليوم فلم يشعروا به الا بعد انحداره فتبعوه فلم ينالوا منه شيأ ونجاه الله منهم وسار الى بهاء الدولة ودخل المقلد البلد واستقر الامر بينه وبين أخيه على ان يخطب لهما ويقدم علي لكبره ويكون له معه نائب يجبي المال واشتركا في البلد والولاية وسار علي الى البر وأقام المقلد وجرى الامر على ذلك مدة ثم تشاجروا واختصموا وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى وكان المقلد يتولى حماية غربي الفرات من أرض العراق وكان له ببغداد نائب فيه تهور فجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة فكتب الى المقلد يشكو فانحدر من الموصل في عساكره وجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة حرب انهزموا فيها وكتب الى بهاء الدولة يعتذر وطلب انفاذ من يعقد عليه ضمان القصر وغيره وكان بهاء الدولة مشغولا بمن يقاتله من عسكر أخيه فاضطر الى المغالطة ومد المقلد يده وأخذ الاموال فبرز نائب بهاء الدولة ببغداد وهو حينئذ أبو علي بن اسمعيل وخرج الى حرب المقلد فبلغ الخبر اليه فانفذ أصحابه ليلا فاقتتلوا وعادوا الى المقلد فلما بلغ الخبر الى بهاء الدولة بمجيء أصحاب المقلد الى بغداد أنفذ أبا جعفر الحجاج الى بغداد وأمره بمصالحة المقلد والقبض على أبي علي بن اسمعيل فسار الى بغداد في آخر ذي الحجة فلما وصل اليها راسله المقلد في الصلح فاصطلحا على ان يحمل الى بهاء الدولة عشرة آلاف دينار ولا يأخذ من البلاد الا رسم الحماية ويخطب لابي جعفر بعد بهاء الدولة وان يخلع على المقلد الخلع السلطانية

وكان رجل من ولد العباس بن علي بن أبي طالب ذو مال وثروة وعز ومنعة وفهم وبلاغة وهو العباس ابن العباس العلوي بمدينة السلام وكان المعتصم يشنأه لحال كانت بينهما فكمن في نفس المأمون أنه شانئ لدولته مائق لآبائه فلما كان في تلك الليلة لحق العباس المأمون على الجسر فقال له المأمون مازلت تنتظرها حتى وقعت فقال أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ولكني ذكرت قول الله عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه فحسن موقع ذلك منه ولم يزل يسايره حتى بلغ المطبق فلما قتل ابن عائشة قال يأذن أمير المؤمنين في الكلام قال تكلم قال الله الله في الدماء فان الملك اذا ضري بها لم يصبر عنها ولم يبق على أحد قال لو سمعت هذا الكلام منك قبل أن أركب ما ركبت ولا سفكت دما وأمر له بثلثمائة ألف درهم وقد أتينا على خبر ابن عائشة هذا وما أراد من الايقاع بالمأمون وما كان من أمره في كتابنا في أخبار الزمان وفي سنة احدى عشرة ومائتين مات أبو عبيدة العمري معمر بن المثنى وكان يرى رأي الخوارج وبلغ نحوا من مائة سنة ولم يحضر جنازته أحد من الناس بالمصلى حتى اكترى لها من يحملها ولم يكن يسلم عليه

ويلقب بحسام الدولة ويقطع الموصل والكوفة والقصر والجامعين واستقر الامر على ذلك وجلس القادر بالله له ولم يف المقلد من ذلك بشئ الا بحمل المال واستولى على البلاد ومد يده فى المال وقصده المتصرفون والاماثل وعظم قدره وقبض أبو جعفر على أبى على ثم هرب أبو على نائب بهاء الدولة واستتر وسار الى البطيحة مستتراه ملتجئا الى مهذب الدولة

﴿ذكر وفاة المنصور بن يوسف وولاية ابنه باديس﴾

فى هذه السنة توفى المنصور بن يوسف بلكين أمير افريقية أوائل ربيع الاول خارج صبرة ودفن بقصره وكان ملكا كريما شجاعا حازما ولم يزل مظفرا منصورا حسن السيرة محبا للعدل والرعية أوسعهم عدلا وأسقط البقايا عن أهل افريقية وكانت مالا جليلا ولما توفى ولى بعده ابنه باديس ويكنى أبا مناد فلما استقر فى الامر سار الى سردانية وأتاه الناس من كل ناحية للتعزية والتهنئة وأراد بنو زيرى أعمام أبيه ان يخالفوا عليه فمنعهم أصحاب أبيه وأصحابه وكان مولد باديس سنة أربع وسبعين وثلثمائة وأتته الخلع والعهد بالولاية من الحاكم بأمر الله من مصر فقرئ العهد وبايع للحاكم هو وجماعة بنى عمه والاعيان من القواد وفيها ثار على باديس رجل صنهاجى اسمه خليفة بن مبارك فأخذ وحمل الى باديس فأركب حمارا وجعل خلفه رجل أسود يصفعه وطيف به ولم يقتل احتقارا به وسجن وفيها استعمل باديس عمه حماد بن يوسف بلكين على اشير واقطعه اياها وأعطاه من الخيل والسلاح والعدد شيأ كثيرا فخرج اليها وهذا حماد هو جد بنى حماد الذين كانوا ملوك افريقية والقلعة المنسوبة اليهم مشهورة بافريقية ومنهم أخذها عبد المؤمن بن على

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة قبض بهاء الدولة على الفاضل وزيره وأخذ ماله واستوزر بهاء الدولة سابور بن اردشير فاقام نحو شهرين وفرق الاموال ووقع بها القواد فقصد البضعف بهاء الدولة ثم هرب الى البطيحة وبقى منصب الوزارة فارغا واستوزر أبو العباس بن سرجس وفيها استكتب القادر بالله أبا الحسن على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان وفيها توفى أحمد بن ابراهيم بن محمد بن اسحق أبو حامد بن أبى اسحق المزكى النيسابورى فى شعبان وكان اماما ومولده سنة ثلاث وعشرين وفيها توفى على بن عمر بن محمد بن الحسن أبو اسحق الحميرى المعروف بالسكرى وبالحربى وبالكيال ومولده سنة ست وتسعين ومائتين وفيها توفى أبو الاغر دبيس بن عفيف الاسدى بخوزستان وأبو طالب محمد بن على بن عطية المكى صاحب قوت القلوب روى أنه صنف قوت القلوب وكان قوته عروق البردى

﴿ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلثمائة﴾

﴿ذكر موت الامير نوح بن منصور وولاية ابنه منصور﴾

فى هذه السنة توفى الامير الرضا نوح بن منصور السامانى فى رجب واختل بموته ملك آل سامان وضعف أمرهم ضعفا ظاهرا وطمع فيهم أصحاب الاطراف فزال ملكهم بعد مدة يسيرة ولما توفى قام بالملك بعده ابنه أبو الحرث منصور بن نوح وبايعه الامراء والقواد وسائر الناس وفرق فيهم بقايا الاموال فاتفقوا على طاعته وقام بأمر دولته وتدبيرها بكتوزون ولما بلغ خبر موته الى ايلك خان سار الى سمرقند وانضم اليه فائق الخاصة فسيره جريدة الى بخارا فلما سمع بمسيره الامير منصور تحير فى أمره واعجله عن التجهز فسار عن بخارا وقطع النهر ودخل فائق بخارا وأظهر انه انما قصد المقام بخدمة الامير منصور ورعاية لحق اسلافه عليه اذ هم مولاهم وأرسل اليه مشايخ

بخارا

شريف ولا وضيع الا تكلم فيه وله مصنفات حسان فى أيام العرب وغيرها منها كتاب المثالب يذكر فيه العرب وفسادها ويرميهم بمساوى الناس ذكره ولا يحسن وصفه وكان أبو نواس كثير العبث به وكان أبو عبيدة يقعد فى مسجد البصرة الى سارية من سواريه فكتب أبو نواس عليها فى غيبته

صلى الاله على لوط وشيعته
أبا عبيدة قل بالله آمينا

فلما جاء أبو عبيدة الى تلك السارية رأى ذلك فقال هذا فعل الماجن اللواط أبى نواس حكوه وان كان فيه صلاة على نبى وفى هذه السنة وهى سنة احدى عشرة ومائتين مات أبو العتاهية اسمعيل ابن القاسم متنسكا لابسا للصوف وكان له مع الرشيد أخبار من ذلك ما قدمناه ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ومنها أن الرشيد أمر ذات يوم بحمله وأمر أن لا يكلم فى طريقه ولا يعلم ما يراد منه فلما صار فى بعض الطريق كتب بعض من معه فى الطريق انما يراد قتلك فقال أبو العتاهية

ولعل ما تخشاه ليس بكائن
ولعل ما ترجوه سوف يكون
ولعل ما هونت ليس بهين
ولعل ما شددت سوف يهون

وحج فى بعض الحجج مع الرشيد فنزل الرشيد يوما عن راحلته ومشى ساعة ثم أعيا فقال هل لك يا أبا العباس أن تستند الى هذا الميل فلما قعد الرشيد قال له يا أبا العتاهية حركناه فقال

ألا يا طالب الدنيا * دع الدنيا لشانيكا
وما تصنع بالدنيا * وظل الميل يكفيكا

بخارا ومقدميهم فى العود الى بلده وملكه وأعطاه من نفسه ما يطمئن اليه من العهود والمواثيق فعاد اليها ودخلها وولى فائق أمره وحكم فى دولته وولى بكتوزون امرة الجيوش بخراسان وكان محمود بن سبكتكين حينئذ مشغولا بمحاربة أخيه اسمعيل على ما نذكره ان شاء الله تعالى وسار بكتوزون الى خراسان فوليها واستقرت القواعد بها

﴿ذكر موت سبكتكين وملك ولده اسمعيل﴾

وفى هذه السنة توفى ناصر الدولة سبكتكين فى شعبان وكان مقامه ببلخ وقد ابتنى بها دورا ومساكن فمرض وطال مرضه واتراح الى هواء غزنة فسار عن بلخ اليها فمات فى الطريق فنقل ميتا الى غزنة ودفن فيها وكان مدة ملكه نحو عشرين سنة وكان عادلا خيرا كثير الجهاد حسن الاعتقاد ذا مروأة تامة وحسن عهد ووفاء لاجرم بارك الله فى بيته ودام ملكهم مدة طويلة جازت مدة ملك السامانية والسلجوقية وغيرهم وكان ابنه محمود أول من لقب بالسلطان ولم يلقب به أحد قبله ولما حضرته الوفاة عهد الى ولده اسمعيل بالملك بعده فلما مات بايع الجند لاسمعيل وحلفوا له وأطلق لهم الاموال وكان أصغر من أخيه محمود فاستضعفه الجند فاشتطوا فى الطلب حتى أفنى الخزائن التى خلفها أبوه

﴿ذكر استيلاء أخيه محمود بن سبكتكين على الملك﴾

لما توفى سبكتكين وبلغ الخبر الى ولده يمين الدولة محمود بنيسابور جلس للعزاء ثم أرسل الى أخيه اسمعيل يعزيه بأبيه ويعرفه ان أباه انما عهد اليه لبعده عنه ويذكره ما يتعين من تقديم الكبير ويطلب منه الوفاق وانفاذ ما يخصه من تركة أبيه فلم يفعل وترددت الرسل بينهما فلم تستقر القاعدة فسار محمود عن نيسابور الى هراة عازما على قصد أخيه بغزنة واجتمع بعمه بغراجق بهراة فساعده على أخيه اسمعيل وسار نحو بست وبها أخوه نصر فتبعه وأعانه وسار معه الى غزنة وبلغ الخبر الى اسمعيل وهو ببلخ فسار عنها مجدا فسبق أخاه محمودا اليها وكان الامراء الذين مع اسمعيل كاتبوا أخاه محمودا يستدعونه ووعدوه الميل اليه فجد فى المسير والتقى هو واسمعيل بظاهر غزنة واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم اسمعيل وصعد الى قلعة غزنة فاعتصم بها فحصره أخوه محمود واستنزله بامان فلما نزل اليه أكرمه وأحسن اليه وأعلى منزلته وشركه فى ملكه وعاد الى بلخ واستقامت الممالك له وكانت مدة ملك اسمعيل سبعة أشهر وهو فاضل حسن المعرفة له نظم ونثر وخطب فى بعض الجمعات فكان يقول بعد الخطبة للخليفة رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين

﴿ذكر وفاة فخر الدولة بن بويه وملك ابنه مجد الدولة﴾

فى هذه السنة توفى فخر الدولة أبو الحسن على بن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه بقلعة طبرك فى شعبان وكان سبب ذلك أنه أكل لحما مشويا وأكل بعده عنبا فأخذه المغس ثم اشتد مرضه فمات منه فلما مات كانت مفاتيح الخزائن بالرى عند أم ولده مجد الدولة فطلبوا له كفنا فلم يجدوه وتعذر النزول الى البلد لشدة شغب الديلم فاشتروا له من قيم الجامع ثوبا كفنوه فيه وزاد شغب الجند فلم يمكنهم دفنه فبقى حتى أنتن ثم دفنوه وحين توفى قام بملكه بعده ولده مجد الدولة أبو طالب رستم وعمره أربع سنين أجلسه الامراء فى الملك وجعلوا أخاه شمس الدولة بهمذان وقرميسين الى حدود العراق وكان المرجع الى والدة أبى طالب فى تدبير الملك وعن رأيها يصدرون وبين يديها فى مباشرة الاعمال أبو طاهر صاحب فخر الدولة وأبو العباس الضبى الكافى

ولابى العتاهية أخبار وأشعار كثيرة حسان قد قدمنا فيما سلف من كتبنا جملا مما اختير من شعره وما انتخب من قوافيه وكذلك قدمنا من ذلك لمعا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار بنى العباس ومما استحسن من ذلك قوله

أحمد قال لى ولم يدر ما بى
أتحب الغداة عتبة حقا
فتنفست ثم قلت نعم حبا
جرى فى العروق عرقا فعرقا
ليتنى مت فاسترحت فانى
أبدا ما حييت منها ملقى
لا أرانى أبقى ومن يلق مالا
قيت من لوعة الهوى ليس يبقى
فاحتسب صحبتى وقل رحمه الله
على صاحب لنا مات عشقا
أنا عبد لها وان كنت لا أر
زق منها والحمد لله عتقا

ومما استحسن من شعره أيضا قوله

يا عتب ما لى ولك
يا ليتنى لم أرك
ملكتنى فانتهكى
ما شئت أن تنتهكى
أبيت ليلى ساهرا
أرعى نجوم الفلك
مفترشا جمر الغضى
ملتحفا بالحسك

ومن قوافيه الغريبة وأشعاره المستحسنة قوله

أخلاى بى شجو وليس بكم شجو * وكل امرئ عن شجو صاحبه خلو
رأيت الهوى جمر الغضى غير أنه * على جمره فى صدر صاحبه حلو

﴿ذكر وفاة مأمون بن محمد وولاية ابنه على﴾

وفيها توفى مأمون بن محمد صاحب خوارزم والجرجانية فلما توفى اجتمع أصحابه على ولده على وبايعوه واستقر له ما كان لابيه وراسل يمين الدولة محمود بن سبكتكين وخطب اليه أخته فزوجه واتفقت كلمتهما وصارا يدا واحدة الى ان مات على وقام بعده أخوه أبو العباس مأمون بن مأمون واستقر فى الملك فارسل الى يمين الدولة يخطب أخته أيضا فاجابه الى ذلك وزوجه فداما أيضا على الاتفاق والاتحاد مدة وسيرد من أخباره معه سنة سبع وأربعمائة ان شاء الله تعالى ما نقف عليه

﴿ذكر وفاة العلاء بن الحسن وما كان بعده﴾

فى هذه السنة توفى أبو القاسم العلاء بن الحسن نائب صمصام الدولة بخوزستان وكان موته بعسكر مكرم وكان شهما شجاعا حسن التدبير ونفذ صمصام الدولة أبا على بن أستاذهرمز ومعه المال ففرقه فى الديلم وسار الى جنديسابور فدفع أصحاب بهاء الدولة عنها وجرت له معهم وقائع كثيرة كان الظفر فيها له وأزاح الاتراك عن خوزستان وعادوا الى واسط وخلت لابى على البلاد ورتب العمال وجبى الاموال وكاتب أتراك بهاء الدولة واستمالهم فأتاه بعضهم فاحسن اليهم واستمر حال أبى على فى اعمال خوزستان ثم ان أبا محمد بن مكرم والاتراك عادوا من واسط واستعد أبو على للحرب وجرى بينهم وقائع ولم يكن للاتراك قوة على الديلم فعزموا على العود الى واسط ثانيا واتفق مسير بهاء الدولة من البصرة الى القنطرة البيضاء وكان ما نذكره ان شاء الله

﴿ذكر القبض على على بن المسيب وما كان بعد ذلك﴾

فى هذه السنة قبض المقلد على أخيه على وكان سبب ذلك ما ذكرناه من الاختلاف الواقع بين أصحابهما بالموصل واشتغل المقلد بما ذكرناه بالعراق فلما خلا وجهه وعاد الى الموصل عزم على الانتقام من أصحاب أخيه ثم خافه وعمل الحيلة فى قبض أخيه فاحضر عسكره من الديلم والاكراد وأعلمهم انه يريد قصد دقوقا وحلفهم على الطاعة وكانت داره ملاصقة دار أخيه فنقب فى الحائط ودخل اليه وهو سكران فاخذه وأدخله الخزانة وقبض عليه وأرسل الى زوجته يأمرها بأخذ ولديه قرواش وبدران واللحاق بتكريت قبل ان يسمع أخوه الحسن الخبر ففعلت ذلك وخلصت وكانت فى الحلة التى له على أربعة فراسخ من تكريت وسمع الحسن الخبر فبادر الى الحلة لينقض أولاد أخيه فيجدهم وأقام المقلد بالموصل يستدعى رؤساء العرب ويخلع عليهم واجتمع عنده زهاء الفى فارس وصار الحسن فى حلل أخيه ومعه أولاد أخيه على وحرمه ويستنفرهم على المقلد واجتمع معهم نحو عشرة آلاف وراسل المقلد يؤذنه بالحرب فسار عن الموصل وبقى بينهم منزل واحد ونزل بازاء العاث بحضره وجوه العرب واختلفوا عليه فمنهم من أشار بالحرب منهم رافع بن محمد بن مقن ومنهم من أشار بالكف عن القتال وصلة الرحم منهم غريب بن محمد بن مقن وتنازع هو وأخوه فبينماهم فى ذلك قيل لهما ان أخت المقلد رهيلة بنت المسيب تريد لقاءك وقد جاءتك فركب وخرج اليها فلم تزل معه حتى أطلق أخاه عليا ورد اليه ماله ومثله معه وأنزله فى خيم ضربها له فسر الناس بذلك وتفانوا وعاد الى حلته وعاد المقلد الى الموصل وتجهز للمسير الى أبى الحسن على بن مزيد الاسدى لانه تعصب لاخيه على وقصد ولاية المقلد الاذى فسار اليه ولما خرج على من محبسه اجتمع العرب اليه وأشاروا عليه بقصد أخيه المقلد فسار الى الموصل وبها أصحاب المقلد وامتنعوا عليه فافتتحها فسمع المقلد بذلك فعاد اليه واجتاز فى طريقه بحلة أخيه الحسن فخرج اليه ورأى كثرة عسكره فخاف على أخيه على منه

اذاب الهوى جسمى
هوى صادقا الا يداخله زهو
وانى لناتى الطرف من غير خلتى
ومالى سواها من حديث ولا لهو
لها دون اخوانى وأهل مودتى
من الود منى فضلة ولها العفو
ومما انتخب من شعره واستحسنه الناس من قوله قوله
بالهف نفسى على الذى اجتنبت
بأى جرم ترونها عتبت
تبارك الله بئس ما صنعت
بى فى هواها وبئس ما ارتكبت
أتيتها زائرا فما انحرفت
على اذ جئتها وما احتسبت
كم من ديون والله يعلمها
لنا عليها لم تقض اذ وجبت
ما وهبت لى من فضلها عدة
الا استردت جميع ما وهبت
فأى خير وأى منفعة
لذات دل تريق ما حلبت
الله بينى وبين ظالمتى
طلبت منها وصالها فأبت
ماذا عليها لو انها بعثت
منها رسولا الى أو كتبت
رغبت فى وصلها وقد زهدت
عتبة فى وصلنا وما رغبت
وكان أبو العتاهية قبيح الوجه مليح الحركات حلو الانشاد شديد الطرب
ومن مليح شعره قوله
من لم يذق اصابة قطعها * فلقد أحببت بطعمها علما * انى مضت مودتى سكا * فرأيته قد عدتها جرما فأشار

فاشار عليه بالوقوف ليصلح الامر وسار الى أخيه على وقال له ان الاعور يعنى المقلد قد أتاك بحده وحديده وأنت غافل وأمره بافساد عسكر المقلد فكتب اليهم فظفر المقلد بالكتب فاخذها وسار مجدا الى الموصل فخرج اليه أخواه على والحسن وصالحاه ودخل الموصل وهما معه ثم خاف على فهرب من الموصل ليلا وتبعه الحسن وترددت الرسل بينهم فاصطلحوا على ان يدخل أحدهما البلد فى غيبة الآخر وبقوا كذلك الى سنة تسع وثمانين ومات على سنة تسعين وقام الحسن مقامه فقصده المقلد ومعه بنو خفاجة فهرب الحسن الى العراق وتبعه المقلد فلم يدركه فعاد ولما استقر أمر المقلد بعد أخيه على سار الى بلد على بن مزيد الاسدى فدخله ثانية والتجأ ابن مزيد الى مهذب الدولة فتوسط ما بينه وبين المقلد واصلح الامر معه وسار المقلد الى دقوقا فملكها

﴿ذكر ملك جبرئيل دقوقا﴾

فى هذه السنة ملك جبرئيل بن محمد دقوقا وهذا جبرئيل كان من الرجالة الفرس ببغداد وخدم مهذب الدولة بالبطيحة فهم بالغزو وجمع جمعا كثيرا واشتروا السلاح وسار فاجتاز فى طريقه بدقوقا فوجد المقلد بن المسيب يحاصرها فاستغاث أهلها بجبرئيل فحماهم ومنع عنهم وكان بدقوقا رجلان نصرانيان قد تمكنا فى البلد وحكما فيه واستعبدا أهله فاجتمع جماعة من المسلمين الى جبرئيل وقالوا له انك تريد الغزو ولست تدرى انبلغ غرضا أم لا وعندنا من هذين النصرانيين من قد تعبدنا وحكم علينا فلو أقمت عندنا وكفيتنا أمرهما ساعدناك على ذلك فأقام وقبض عليهما وأخذ مالهما وقوى أمره فملك البلد فى شهر ربيع الاول وثبت قدمه وأحسن معاملة أهل البلد وعدل فيهم وبقى مدة على اختلاف الاحوال ثم ملكها المقلد وملكها بعده محمد بن عناز ثم أخذها بعده قرواش ثم انتقلت الى فخر الدولة أبى غالب فعاد هذا جبرئيل حينئذ الى دقوقا واجتمع مع أمير من الاكراد يقال له موصك بن جكويه ودفعا عمال فخر الدولة عنها وأخذاها فقصدها بدران بن المقلد وغلبهما وأخذها منهما

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة خرج أبو الحسن على بن مزيد عن طاعة بهاء الدولة فسير اليه عسكرا فهرب من بين أيديهم الى مكان لا يقدرون على الوصول اليه فيه ثم أرسل بهاء الدولة وأصلح حاله معه وعاد الى طاعته وفيها توفى أبو الوفاء محمد بن المهندس الحاسب وفيها فى المحرم توفى عبيد الله بن محمد ابن حمران أبو عبد الله العكبرى المعروف بابن بطة الحنبلى وكان مولده فى شوال سنة أربع وثلثمائة وكان زاهدا عابدا عالما ضعيفا فى الرواية وفيها فى ذى القعدة توفى أبو الحسن محمد بن أحمد بن اسمعيل المعروف بابن سمعون الواعظ الزاهد له كرامات وكان مولده سنة ثلثمائة وفيها تاسع ذى الحجة توفى الحسن بن عبد الله بن سعيد أبو أحمد العسكرى الراوية العلامة صاحب التصانيف الكثيرة فى الادب واللغة والامثال وغيرها

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلثمائة﴾

﴿ذكر عود أبى القاسم السيمجورى الى نيسابور﴾

قد ذكرنا مسير أبى القاسم بن سيمجور أخى أبى على الى جرجان ومقامه بها فلما مات فخر الدولة أقام عند ولده مجد الدولة واجتمع عنده جماعة كثيرة من أصحاب أخيه وكان قد أرسل الى شمس المعالى يستدعيه من نيسابور ليسلمها اليه فسار اليه حتى وافى جرجان فلما بلغها رأى أبا القاسم قد سار عنها فعاد شمس المعالى الى نيسابور وكتب فائق من بخارا الى أبى القاسم يغريه

اعمى ولكن الهوى اعمى
ان الذى لم يدر ما كافى
ليرى على وجهى به وسما
وله أشعار خرج فيها عن العروض مثل قوله
هم القاضى بيت يطرب
قال القاضى لما عوتب
ما فى الدنيا الا مذنب
هذا عذر القاضى واقلب
وزنه فعلن أربع مرات
وقد قال قوم ان العرب لم تقل على وزن هذا شعرا ولا ذكره الخليل ولا غيره من العروضيين (قال المسعودى) وقد زاد جماعة من الشعراء على الخليل بن أحمد فى العروض من ذلك المديد وهو ثلاثة أعاريض وستة ضروب عند الخليل وفيه عروض رابع وضربان محدثان فالضرب الاول من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر
ما لعينى لا تنام
دمعها سح سجام
والضرب الثانى من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر
بالبكر لا تتوا
ليس هذا حين ونا
وغير ذلك مما ذكرناه وتكلموا فيه وذكروا فى هذا المعنى من الزيادات مما قد أتينا على وصفه وقدمنا من ذكره فى كتابنا فى أخبار الزمان وقد صنف أبو العباس عبد الله بن محمد الناشى الكاتب الانبارى عن الخليل بن أحمد عن تقليد العرب الى باب التعسف والنظر ونصب العلل عن أوضاع

بيكتوزون وأمره بقصد خراسان واخراج بكتوزون عنها العداوة بينهما فسار أبو القاسم عن جرجان نحو نيسابور وسير سرية الى اسفراين وبها عسكر لبكتوزون فقاتلوهم واجلوهم عن اسفراين واستولى أصحاب أبى القاسم عليها وسار أبو القاسم الى نيسابور فالتقى هو وبكتوزون بظاهرها فى ربيع الاول واقتتلوا واشتد القتال بينهم فانهزم أبو القاسم وقتل من أصحابه وأسر خلق كثير وسار أبو القاسم الى قهستان وأقام بها حتى اجتمع اليه أصحابه وسار الى بوشنج واحتوى عليها وتصرف فيها فسار اليه بكتوزون وترددت الرسل بينهما حتى اصطلحا وتصاهرا وعاد بكتوزون الى نيسابور

﴿ ذكر استيلاء محمود بن سبكتكين على نيسابور وعودهم عنها ﴾

لما فرغ محمود من أمر أخيه وملك غزنة وعاد الى بلخ رأى بكتوزون قد ولى خراسان على ما ذكرناه فأرسل الى الامير منصور بن نوح يذكر طاعته والمحاماة عن دولته ويطلب خراسان فأعاد الجواب يعتذر عن خراسان ويأمره بأخذ ترمذ وبلخ وما وراءها من أعمال بست وهراة فلم يقنع بذلك وأعاد الطلب فلم يجبه الى ذلك فلما تيقن المنع سار الى نيسابور وبها بكتوزون فلما بلغه خبر مسيره نحوه رحل عنها فدخلها محمود وملكها فلما سمع الامير منصور بن نوح سار عن بخارا نحو نيسابور فلما علم محمود بذلك سار عن نيسابور الى مرو الروذ ونزل عند قنطرة راعول ينتظر ما يكون منهم

﴿ ذكر عود قابوس الى جرجان ﴾

فى هذه السنة عاد شمس المعالى قابوس بن وشمكير الى جرجان وملكها ولما ملك فخر الدولة بن بويه جرجان والرى اراد أن يسلم جرجان الى قابوس فرده عن ذلك الصاحب بن عباد وعظمها فى عينه فاعرض عن الذى اراده ونسى ما كان بينهما من الصحبة بخراسان وانه بسببه خرجت البلاد عن يد قابوس والملك عقيم وقد ذكرنا كيف أخذت منه ومقامه بخراسان وانفاذ ملوك السامانية الجيوش فى نصرته مرة بعد أخرى فلم يقدر الله تعالى عود ملك اليه ولما ولى سبكتكين خراسان اجتمع به ووعده أن يسير معه الجيوش ليرده الى مملكته فمضى الى بلخ ومرض ومات فلما كانت هذه السنة بعد موت فخر الدولة سير شمس المعالى قابوس الاصبهبد شهريار بن شهروين الى جبل شهريار وعليه رستم بن المرزبان خال مجد الدولة بن فخر الدولة فاقتتلا فانهزم رستم واستولى اصبهبد على الجبل وخطب لشمس المعالى وكان باتى ابن سعيد بناحية الاستندارية وله ميل الى شمس المعالى فسار الى آمل وبها عسكر لمجد الدولة فطردهم عنها واستولى عليها وخطب لقابوس وكتب اليه بذلك ثم ان أهل جرجان كتبوا الى قابوس يستدعونه فسار اليهم من نيسابور وسار اصبهبد وباتى ابن سعيد الى جرجان وبها عسكر لمجد الدولة فالتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر مجد الدولة الى جرجان فلما بلغوها صادفوا مقدمة قابوس قد بلغتها فايقنوا بالهلاك وانهزموا من أصحاب قابوس هزيمة ثانية وكانت قرحا على قرح ودخل شمس المعالى جرجان فى شعبان من هذه السنة وبلغ المنهزمون الرى فجهزت العساكر من الرى نحو جرجان فساروا وحصروها فغلت الاسعار بالبلد وضاقت الامور بالعسكر أيضا وتوالت عليهم الامطار والرياح فاضطروا الى الرحيل فتبعهم شمس المعالى فلحقهم وواقعهم فاقتتلوا وانهزم عسكر الرى وأسر من أعيانهم جماعة كثيرة وقتل أكثر منهم فاطلق شمس المعالى الاسرى واستولى على تلك الاعمال ما بين جرجان واستراباذ ثم ان الاصبهبد حدث نفسه بالاستقلال والتفرد عن قابوس واغتر بما اجتمع عنده من الاموال والذخائر فسارت اليه العساكر من الرى وعليها المرزبان خال مجد الدولة فهزموا أصبهبد وأسروه ونادوا بشعار شمس المعالى لوحشة كانت عند المرزبان من مجد الدولة وكتب الى شمس المعالى بذلك وانضافت مملكة الجبل جميعها الى ممالك جرجان وطبرستان فولاها شمس المعالى ولده منوجهر ففتح الرويان وسالوس وراسل قابوس يمين الدولة محمودا وهاداه وصالحه واتفقا على ذلك

الجدل كان ذلك له لازما واما أورده كاسرا والناشى اشعار كثيرة حسان منها قصيدة واحدة نحو من أربعة آلاف بيت قافية واحدة نونية منصوبة يذكر فيها أهل الآراء والنحل والمذاهب والملل واشعار كثيرة ومصنفات واسعة فى أنواع من العلوم فما جورى فيه قوله حين سار من العراق الى مصر وبها كانت وفاته وذلك فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين على حسب ما قدمنا ذكره

يا ديار الاحباب هل من مجيب
عنك يشفى غليل نائى المزار
ما أجابت ولكن الصمت منها
فيه للسائلين طول اعتبار
ان تكن أوحشت فبعد أنيس
أو خلت منهم فبعد قرار
قد لهونا بها زمانا وحينا
ووصلنا الاسحار بالاسحار
واغتبقنا على صبوح ولهو
وحنين النايات والاوتار
بين ورد ونرجس وخزامى
وبنفس وسوسن وبهار
وأقاح وكل صنف من النو
ر الشهى الجنى والجلنار
فرمتنا الايام أحسن ما كنا
على حين غفلة واغترار
فافترقنا من بعد طول اجتماع
وتأينا بعد اقتراب الديار

وفى سنة اثنتى عشرة ومائتين نادى منادى المأمون برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدمه على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم فى أشياء من التلاوة انها مخلوقة وغير ذلك وتنازع الناس

﴿ ذكر مسير بهاء الدولة الى واسط وما كان منه ﴾

فى هذه السنة عاد أبو على بن اسمعيل الى طاعة بهاء الدولة وهو بواسط فوزر له ودبر أمره وأشار عليه بالمسير الى أبى محمد بن مكرم ومن معه من الجند ومساعدتهم ففعل ذلك وسار على كره وضيق فنزل بالقنطرة البيضاء وثبت أبو على بن استاذ هرمز وعسكره وجرى لهم معه وقائع كثيرة وضاق الامر ببهاء الدولة وتعذرت عليه الاقوات فاستمد بدر بن حسنويه فانفذ اليه شيأ أقام ببعض ما يريده وأشرف بهاء الدولة على الخطر وسعى اعداء أبى على بن اسمعيل به حتى كاد يبطش به فتمهد من أمر ابنى بختيار وقتل صمصام الدولة ما يأتى ذكره وأتاه الفرج من حيث لم يحتسب وصلح امر أبى على عنده واجتمعت الكلمة عليه وسيأتى شرح ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر قتل صمصام الدولة ﴾

فى هذه السنة فى ذى الحجة قتل صمصام الدولة بن عضد الدولة وسبب ذلك ان جماعة كثيرة من الديلم استوحشوا من صمصام الدولة لانه أمر بعرضهم واسقاط من ليس بصحيح النسب فاسقط منهم مقدار ألف رجل فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون واتفق ان أبا القاسم وأبا نصر ابنى عز الدولة بختيار كانا مقبوضين فخدعا الموكلين بهما فى القلعة فافرجوا عنهما فجمعا لفيفا من الاكراد واتصل خبرهما بالذين استوحشوا من الديلم فأتوهم وقصدوا الى ارجان فاجتمعت عليهما العساكر وتحير صمصام الدولة ولم يكن عنده من يدبره وكان أبو جعفر استاذ هرمز مقيما بنسا فأشار عليه بعض من عنده بتفريق ما عنده من المال فى الرجال والمسير الى صمصام الدولة وأخذه الى عسكره بالاهواز وخوف ان لم يفعل ذلك فشح بالمال فثار به الجند ونهبوا داره وهربوا فاختفى فأخذوا وأتى به الى ابنى بختيار فحبس ثم احتال فنجا واما صمصام الدولة فانه اشار عليه أصحابه بالصعود الى القلعة التى على باب شيراز والامتناع بها الى ان يأتى عسكره ومن يمنعه فأراد الصعود اليها فلم يمكنه المستحفظ بها وكان معه ثلثمائة رجل فقالوا له الرأى اننا نأخذك ونسير الى أبى على بن استاذ هرمز وأشار بعضهم بقصد الاكراد وأخذهم والتقوى بهم ففعل ذلك وخرج معهم بخزائنه وأمواله فنهبوه وأرادوا أخذه فهرب وسار الى الدودمان على مرحلتين من شيراز وعرف أبو نصر بن بختيار الخبر فبادر الى شيراز ووثب رئيس الدودمان واسمه طاهر بصمصام الدولة وأخذه وأتاه أبو نصر بن بختيار وأخذه منه فقتله فى ذى الحجة فلما حمل رأسه اليه قال هذه سنة سنها أبوك يعنى ما كان من قتل عضد الدولة بختيار وكان عمر صمصام الدولة خمسا وثلاثين سنة وسبعة أشهر ومدة امارته بفارس تسع سنين وثمانية أيام وكان كريما حليما وأما والدته فسلمت الى بعض قواد الديلم فقتلها وبنى عليها دكة فى داره فلما ملك بهاء الدولة فارس أخرجها ودفنها فى تربة بنى بويه

﴿ ذكر هرب ابن الوثاب ﴾

فى هذه السنة هرب أبو عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب من الاعتقال فى دار الخلافة وكان هذا الرجل يقرب بالنسب من الطائع فلما خلع الطائع هرب هذا وصار عند مهذب الدولة فأرسل القادر بالله فى أمره فاخرجه فسار الى المدائن وأتى خبره الى القادر فأخذه وحبسه فهرب هذه

فى السبب الذى من أجله أمر بالنداء فى أمر معاوية فقيل فى ذلك أقاويل منها ان بعض سماره حدث بحديث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفى وقد ذكر هذا الخبر ابن بكار فى كتابه فى الاخبار المعروفة بالموفقيات التى صنفها للموفق وهو ابن الزبير قال سمعت المدائنى يقول قال مطرف بن المغيرة بن شعبة وفدت مع أبى المغيرة الى معاوية فكان أبى يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف الى فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب بما يرى منه اذ جاء ذات ليلة فامسك عن العشاء فرأيته مغتما فانتظرته ساعة وظننت انه لشئ حدث فينا أو فى عملنا فقلت له مالى أراك مغتما منذ الليلة قال يا بنى انى جئت من عند أخبث الناس قلت له وما ذاك قال قلت له وقد خلوت به انك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا فانك قد كبرت ولو نظرت الى اخوتك من بنى هاشم فوصلت ارحامهم فوالله ما عندهم اليوم شئ تخافه فقال لى هيهات هيهات ملك اخو تيم فعدل وفعل ما فعل فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل أبو بكر ثم ملك أخو عدى فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل عمر ثم ملك

لسنة ومضى الى كيلان وادعى انه هو الطائع لله وذكر من أمور الخلافة ما كان يعرفه وزوجه محمد بن العباس مقدم كيلان وشد منه وأقام له الدعوة وأطاعه أهل نواح أخر وأد واليه العشر على عادتهم وورد من هؤلاء القوم جماعة يحجون فاحضرهم القادر وكشف لهم حاله وكتب على أيديهم كتبا في المعنى فلم يقدح ذلك فيه وكان أهل كيلان يرجعون الى القاضي ابى القاسم بن كج فكوتب من بغداد في المعنى فكشف لهم الامر فاخرجوا أبا عبد الله عنهم

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة عظم أمر بدر بن حسنويه وعلا شأنه ولقب من ديوان الخليفة ناصر الدين والدولة وكان كثير الصدقات بالحرمين ويكثر الخرج على العرب بطريق مكة ليكفوا عن أذى الحجاج ومنع أصحابه من الفساد وقطع الطريق فعظم محله وسار ذكره وفيها نظر أبو على بن أبي الريان في الوزارة بواسط وفيها مات أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الجكار

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر القبض على الامير منصور بن نوح وملك أخيه عبد الملك ﴾

في هذه السنة قبض الامير منصور بن نوح بن منصور الساماني صاحب بخارا وما وراء النهر وملك أخوه عبد الملك وسبب قبضه ما ذكرناه من قصد محمود بن سبكتكين بكتوزون بخراسان وعوده عن نيسابور الى مرو الروذ فلما نزلها سار بكتوزون الى الامير منصور وهو بسرخس فاجتمع به فلم ير من اكرامه وبره ما كان يؤمله فشكا ذلك الى فائق فقابله فائق بأضعاف شكواه فاتفقا على خلعه من الملك واقامة أخيه مقامه وأجابهما الى ذلك جماعة من أعيان العسكر فاستحضره بكتوزون بعلة الاجتماع لتدبير ما هم بصدده من أمر محمود فلما اجتمعوا به قبضوا عليه وأمر بكتوزون من سمله فاعماه ولم يراقب الله ولا احسان مواليه وأقاموا أخاه عبد الملك مقامه في الملك وهو صبي صغير وكانت مدة ولاية منصور سنة وسبعة أشهر وماج الناس بعضهم في بعض وأرسل محمود الى فائق وبكتوزون يلومهما ويقبح فعلهما وقويت نفسه على لقائهما وطمع في الاستقلال بالملك فسار عنهما عازما على القتال

﴿ ذكر استيلاء يمين الدولة محمود بن سبكتكين على خراسان ﴾

لما قبض الامير منصور سار محمود نحو فائق وبكتوزون ومعهما عبد الملك بن نوح فلما سمعوا بمسيره ساروا اليه فالتقوا بمرو آخر جمادى الاولى واقتتلوا أشد قتال رآه الناس الى الليل فانهزم بكتوزون وفائق ومن معهما فأما عبد الملك وفائق فانهما لحقا ببخارا وقصد بكتوزون نيسابور وقصد أبو القاسم بن سيمجور قهستان فرأى محمود ان يقصد بكتوزون وأبا القاسم ويعجلهما عن الاجتماع والاحتشاد فسار الى طوس فهرب منه بكتوزون الى نواحي جرجان فأرسل محمود خلفه أكبر قواده وأمرائه وهو ارسلان الجاذب في عسكر جرار فاتبعه حتى ألحقه بجرجان وعاد فاستخلفه محمود على طوس وسار الى هراة فلما علم بكتوزون بمسير محمود عن نيسابور عاد اليها فملكها فقصده محمود فاجفل من بين يديه اجفال الظليم واجتاز بمرو فنهبها وسار عنها الى بخارا واستقر ملك محمود بخراسان فأزال عنها اسم السامانية وخطب فيها للقادر بالله وكان الى هذا الوقت لا يخطب له فيها انما كان يخطب للطائع لله واستقل بملكها منفردا وتلك سنة الله تعالى يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وولى محمود قيادة جيوش خراسان أخاه نصرا وجعله بنيسابور على ما كان يليه آل سيمجور للسامانية وسار هو الى بلخ مستقر والده فاتخذها دار ملك

لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل وعمل به فوالله ما غدا أن هلك فهلك أخونا عثمان فلك رجل وذكره وذكر ما فعل وان أخاهاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات أشهد أن محمدا رسول الله فاي عمل يبقى مع هذا الا أم لك والله الا دفنا دفنا وان المأمون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على ان أمر بالنداء على حسب ما وصفنا وانشئت الكتب الى الآفاق بلعنه على المنابر فاعظم الناس ذلك وأكبروه واضطربت العامة فاشير عليه بترك ذلك فاعرض عما كان هم به وفي خلافة المأمون كانت وفاة أبي عاصم النبيل وهو الضحاك ابن مخلد بن سنان الشيباني وذلك في سنة اثنتي عشرة ومائتين وفيها مات محمد بن يوسف الفاريابي وفي سنة خمس عشرة ومائتين وذلك في خلافة المأمون مات هوذة بن خليفة بن عبد الله بن أبي بكر ويكنى بابي الاشهب ببغداد وهو ابن سبعين سنة ودفن بباب البردان في الجانب الشرقي وفيها مات محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس ابن مالك الانصاري وفيها مات اسحق بن الطباع بأذنة من الثغر الشامي ومعاوية بن عمرو ويكنى بأبي عمرو وقبض ابن عقبة ويكنى بأبي عامر من بني عامر بن صعصعة وفي سنة سبع عشرة ومائتين دخل المأمون مصر وقتل بها عبدوس وكان قد تغلب واتفق

وأتق أصحاب الاطراف بخراسان على طاعته كافل فريغون أصحاب الجوزجان ونحن نذكرهم ان شاء الله تعالى وكالشار الشاه صاحب غرشستان ونحن نذكر ههنا اخبار هذا الشار فاعلم ان هذا اللقب وهو الشار لقب كل من يملك بلاد غرشستان ككسرى للفرس وقيصر للروم والنجاشي للحبشة وكان الشار أبو نصر قد اعتزل الملك وسلمه الى ولده الشاه وفيه لوثة وهوج واشتغل والده أبو نصر بالعلوم ومجالسة العلماء ولما عصا أبو على بن سيمجور على الامير نوح أرسل الى غرشستان من حصرها واجلى عنها الشاه الشار ووالده أبا نصر فقصدا حصنا منيعا في آخر ولايتهما فتحصنا به الى ان جاء سبكتكين الى نصرة الامير نوح فنزلا اليه واعاناه على أبي على وعادا الى ملكهما فلما ملك الآن يمين الدولة محمود خراسان اطاعاه وخطبا له ثم ان يمين الدولة بعد هذا أراد الغزوة الى الهند فجمع لها وتجهز وكتب الى الشاه الشار يستدعيه ليشهد معه غزوته فامتنع وعصى فلما فرغ من غزوته سير اليه الجيوش ليملكوا بلاده فلما دخلوا البلاد طلب والده أبو نصر الامان فأجيب الى ذلك وحمل الى يمين الدولة فاكرمه واعتذر أبو نصر بعقوق ولده وخلافه عليه فامره بالمقام بهراة متوسعا عليه الى ان مات سنة اثنتين واربعمائة وأما ولده الشاه فانه قصد ذلك الحصن الذي احتمى به على ابي على فأقام به ومعه أمواله وأصحابه فحصره عسكر يمين الدولة في حصنه ونصبوا عليه المجانيق وألحوا عليه بالقتال ليلا ونهارا فانهدمت اسوار حصنه وتسلق العسكر اليه فلما أيقن بالعطب طلب الامان والعسكر يقاتله فلم يزل كذلك حتى أخذ أسيرا وحمل الى يمين الدولة فضرب تأديبا له ثم أودع السجن الى أن مات وكان موته قبل موت والده ورأيت عدة مجلدات من كتاب التهذيب للازهري في اللغة بخطه وعليه ما هذه نسخته يقول محمد بن أحمد بن الازهري قرأ على الشار أبو نصر هذا الجزء من أوله الى آخره وكتبه بيده صح فهذا يدل على اشتغاله وعلمه بالعربية فان من يصحب مثل الازهري ويقرأ كتابه التهذيب يكون فاضلا

﴿ ذكر انقراض دولة السامانية وملك الترك ما وراء النهر ﴾

في هذه السنة انقرضت دولة آل سامان على يد محمود بن سبكتكين وايلك الخان التركي واسمه أبو نصر أحمد بن على ولقبه شمس الدولة فأما محمود فانه ملك خراسان كما ذكرناه وبقي بيد عبد الملك بن نوح ما وراء النهر فلما انهزم من محمود قصد بخارا واجتمع بها هو وفائق وبكتوزون وغيرهما من الامراء والاكابر فقويت نفوسهم وشرعوا في جمع العساكر وعزموا على العود الى خراسان فاتفق ان مات فائق وكان موته في شعبان من هذه السنة فلما مات ضعفت نفوسهم ووهنت قوتهم فانه كان هو المشار اليه من بينهم وكان خصيا من موالي نوح بن نصر وبلغ خبرهم الى ايلك الخان فسار في جمع الاتراك الى بخارا وأظهر لعبد الملك المودة والموالاة والحمية له فظنوه صادقا ولم يحترسوا منه وخرج اليه بكتوزون وغيره من الامراء والقواد فلما اجتمعوا قبض عليهم وسار حتى دخل بخارا يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة من هذه السنة فلم يدر عبد الملك ما يصنع لقلة عدده فاختفى ونزل ايلك الخان دار الامارة وبث الطلب والعيون على عبد الملك حتى ظفر به فاودعه بأوزكند فمات بها وكان آخر ملوك السامانية وانقضت دولتهم على يده كأن لم تغن بالامس كذأب الدول قبلها ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار وحبس معه أخوه أبو الحرث منصور ابن نوح الذي كان في الملك قبله وأخواه أبو ابراهيم اسمعيل وأبو يعقوب ابنا نوح وأعمامه أبو زكريا وأبو سليمان وغيرهم من آل سامان وافرد كل واحد منهم في حجرة وكانت دولتهم قد

عليها وفي سنة ثمان عشرة ومائتين غزا المأمون أرض الروم وقد كان شرع في بناء الطوانة مدينة من مدنهم على فم الدرب مما يلي طرسوس وعمد الى سائر حصون الروم ودعاهم الى الاسلام وخيرهم بين الاسلام والجزية والسيف وذال النصرانية فاجابه خلق من الروم الى الجزية (قال المسعودي) وأخبرنا القاضي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زيد الدمشقي بدمشق قال لما توجه المأمون غازيا ونزل البديدون جاءه رسول ملك الروم فقال له ان الملك يخيرك بين أن يرد عليك نفقتك التي انفقتها في طريقك من بلدك الى هذا الموضع وبين ان يخرج كل أسير من المسلمين في بلد الروم بغير فداء ولا درهم ولا دينار وبين ان يعمر لك كل بلد للمسلمين مما خربت النصرانية ويرده كما كان وترجع عن غزاتك فقام المأمون ودخل خيمة فصلى ركعتين واستخار الله عز وجل وخرج فقال للرسول قل له أما قولك ترد على نفقتي فاني سمعت الله تعالى يقول في كتابه حاكيا عن بلقيس واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون وأما قولك انك تخرج كل اسير من المسلمين في بلد الروم فما في يدك الا أحد رجلين اما رجل طلب الله عز وجل والدار

انتشرت وطبقت كثيرا من الارض من حدود حلوان الى بلاد الترك بما وراء النهر وكانت من
أحسن الدول سيرة وعدلا وهذا عبد الملك هو عبد الملك بن نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد
ابن اسمعيل كلهم ملكوا وكان منهم من ليس مذكورا فى هذا النسب عبد الملك بن نوح بن نصر
ملك قبل أخيه منصور بن نوح المذكور وكان منهم أيضا منصور بن نوح بن منصور أخو عبد الملك
هذا الاخير الذى زال الملك فى ولايته ولى قبله

(ذكر ملك بهاء الدولة فارس وخوزستان)

فى هذه السنة دخل الديلم الذين مع أبى على بن استاذ هرمز بالاهواز فى طاعة بهاء الدولة وكان
سبب ذلك ان ابنى بختيار لما قتلا صمصام الدولة كما تقدم وملكا بلاد فارس كتبا الى أبى على بن
استاذ هرمز بالخبر ويذكران تعويلهما عليه واعتضادهما به ويأمرانه بأخذ اليمين لهما على من
معه من الديلم والمقام بمكانه والجد بمحاربة بهاء الدولة فخافهما أبو على لما كان اسلفه اليهما من قبل
أخويهما وأسرهما فجمع الديلم الذين معه وأخبرهم الحال واستشارهم فيما يفعل فأشاروا بطاعة
ابنى بختيار ومقاتلة بهاء الدولة فلم يوافقهم على ذلك ورأى أن يراسل بهاء الدولة ويستميله ويحلفه
لهم فقالوا انا نخاف الاتراك وقد عرفت ما بيننا وبينهم فسكت عنهم وتفرقوا وراسل بهاء الدولة
يستميله ويبذل له وللديلم الامان والاحسان وترددت الرسل وقال بهاء الدولة ان ثارى وثاركم عند
من قتل أخى فلا عذر لكم فى التخلف عن الاخذ بثاره واستمال الديلم فأجابوه الى الدخول فى طاعته
وانفذوا جماعة من اعيانهم الى بهاء الدولة فحلفوه واستوثقوا منه وكتبوا الى أصحابهم المقيمين
بالسوس بصورة الحال وركب بهاء الدولة من الغد الى باب السوس رجاء ان يخرج من فيه الى
طاعته فخرجوا اليه فى السلاح وقاتلوه قتالا شديدا لم يقاتلوا مثله فضاق صدره فقيل له ان
هذه عادة الديلم ان يشتد قتالهم عند الصلح لئلا يظن بهم ثم كفوا عن القتال وأرسلوا من يحلفه
لهم ونزلوا الى خدمته واختلط العسكران وساروا الى الاهواز فقرر أبو على بن اسمعيل أمورها
وقسم الاقطاعات بين الاتراك والديلم ثم ساروا الى رامهرمز فاستولوا عليها وعلى ارجان وغيرها
من بلاد خوزستان وسار أبو على بن اسمعيل الى شيراز فنزل بظاهرها فخرج اليه ابنا بختيار فى
أصحابهما فحاربوه فلما اشتدت الحرب مال بعض من معهما اليه ودخل بعض أصحابه البلد ونادوا
بشعار بهاء الدولة وكان النقيب أبو أحمد الموسوى بشيراز قد وردها رسولا من بهاء الدولة الى
صمصام الدولة فلما قتل صمصام الدولة كان بشيراز فلما سمع النداء بشعار بهاء الدولة ظن ان الفتح
قد تم فقصد الجامع وكان يوم الجمعة وأقام الخطبة لبهاء الدولة ثم عاد ابنا بختيار واجتمع اليهما
أصحابهما فخاف النقيب فاختفى وحمل فى سلة الى أبى على بن اسمعيل ثم ان أصحاب ابنى بختيار
قصدوا أبا على وأطاعوه فاستولى على شيراز وهرب ابنا بختيار فأما أبو نصر فانه لحق ببلاد الديلم
وأما الثانى وهو أبو القاسم فلحق ببدر بن حسنويه ثم قصد البطيحة ولما ملك أبو على شيراز كتب
الى بهاء الدولة بالفتح فسار اليها ونزلها فلما استقر بها أمر بنهب قرية الدودمان واحراقها وقتل كل من
كان بها من أهلها فاستأصلهم واخرج أخاه صمصام الدولة وجدد أكفانه وحمل الى التربة بشيراز
فدفن بها وسير عسكرا مع أبى الفتح استاذ هرمز الى كرمان فملكها وأقام بها نائبا عن بهاء الدولة الى
ههنا آخر ما فى ذيل الوزير أبى شجاع رحمه الله

(ذكر مسير باديس الى زناتة)

فى هذه السنة منتصف صفر أمر باديس بن المنصور صاحب افريقية نائبه محمد بن أبى العرب

الآخرة فقد صار الى ما أراد وأما رجل يطلب الدنيا فلا فك الله أسره وأما قولك انك تدمر كل بلد
للمسلمين قد خربته الروم
فلو أنى قلعت أقصى حجر
فى بلاد الروم ما اعتضت
بامرأة عثرت عثرة فى حال
أسرها فقالت وامحمداه
وامحمداه يدالى صاحبك
فليس بينى وبينه الا
السيف يا غلام اضرب
الطبل فرحل فلم يثن عن
غزاته حتى فتح خمسة عشر
حصنا وانصرف من غزاته
فنزل على عين البديدون
المعروفة بالقشيرة على
حسب ما قدمنا فى هذا
الكتاب فأقام هنالك حتى
ترجع رسله من الحصون
فوقف على العين ومنع
الماء فأعجبه بردمائها
وصفاؤه وبياضه وطيب
حسن الموضع وكثرة
الخضرة فأمر بقطع خشب
طوال وأمر به فبسط على
العين كالجسر وجعل
فوقه كالازج من الخشب
وورق الشجر وجلس تحت
الكنيسة التى قد عقدت
له والماء تحته وطرح فى
الماء درهم صحيح فقرأ
كتابته وهو فى قرار الماء
لصفاء الماء ولم يقدر أحد
يدخل يده فى الماء من
شدة برده فبينا هو كذلك
اذ لاحت سمكة نحو الذراع
كأنها سبيكة فضة فجعل ان
يخرجها سيفا فبدر بعض
الفراشين فأخذها وصعد
فلما صارت على حرف العين
أو على الخشب الذى عليه المأمون اضطربت وافلتت من يد الفراش فوقعت فى الماء كالحجر فنضح من الماء

بالتجهز

بالتجهز والاستكثار من العساكر والعدد والمسير الى زناتة وسبب ذلك ان عمه يطوفت كتب
اليه يعلمه أن زيرى بن عطية الملقب بالقرطاس وقد تقدم ذكره نزل عليه بتاهرت محاربا فأمر
محمدا بالتجهز اليه فسار فى عساكر كثيرة حتى وصل الى أشير وبها حماد بن يوسف عم باديس كان قد
اقطعه اياها باديس فرحل حماد معه فوصل الى تاهرت واجتمعا بيطوفت وبينهم وبين زيرى بن
عطية مرحلتان فزحفوا اليه فكانت بينهما حروب عظيمة وكان أكثر عسكر حماد يكرهونه لقلة
عطائه فلما اشتد القتال انهزموا وتبعهم جميع العسكر فأراد محمد بن أبى العرب أن يرد الناس فلم يقدر
على ذلك وتمت الهزيمة وملك زيرى بن عطية مالهم وعددهم ورجعت العساكر الى أشير وبلغ خبر
الهزيمة الى باديس فرحل فلما قارب طبنة بعث فى طلب فلفل بن سعيد فخاف فأرسل يعتذر اليه
وطلب عهدا باقطاع مدينة طبنة فكتب له وسار باديس فلما ابعد قصد فلفل مدينة طبنة وغاب
على ما حولها وقصد باغاية فحصرها وباديس سائر الى أشير فلما سمع زيرى بن عطية بانه قد
قرب منه رحل الى تاهرت فقصده باديس فسار زيرى الى العرب فلما سمع باديس برحيله استعمل عمه
يطوفت على أشير وأعطاه أموالا وعددا وعاد الى أشير فبلغه ما فعل فلفل بن سعيد فأرسل اليه
العساكر وبقى يطوفت ومعه أعمامه وأولاد أعمامه فلما ابعد عنهم باديس عصوا وخالفوا عليه
منهم ماكسن وزاوى وغيرهما وقبضوا على يطوفت وأخذوا جميع ما معه من المال فهرب من
ايديهم وعاد الى باديس وأما فلفل بن سعيد فانه لما وصل اليه العسكر المسير الى قتاله لقيهم وقاتلهم
وهزمهم وقتل فيهم وسار يطلب القيروان فسار عند ذلك باديس الى باغاية فلقيه أهلها فعرفوه
ما قاسوه من قتال فلفل وأنه حصرهم خمسة وأربعين يوما فشكرهم ووعدهم الاحسان وسار
يطلب فلفلا فوصل الى مرمجنة وسار فلفل اليه فى جمع كثير من البربر وزناتة ومعه كل من
فى نفسه حقد على باديس وأهل بيته فالتقوا بوادى اغلان وكان بينهم حرب عظيمة لم يسمع بمثلها
وطال القتال بينهم وصبر الفريقان ثم أنزل الله تعالى نصره على باديس وصنهاجة وانهزم البربر
وزناتة هزيمة قبيحة وانهزم فلفل فابعد فى الهزيمة وقتل من زويلة تسعة آلاف قتيل سوى من
قتل من البربر وعاد باديس الى نصره وفرح أهل القيروان لانهم خافوا أن يأتيهم فلفل ثم ان
عمومة باديس اتصلوا بفلفل وصاروا معه على باديس فلما سمع باديس بذلك سار اليهم فلما وصل
نصر الافريقى وصله ان عمومته فارقوا فلفلا ولم يبق معه سوى ماكسن بن زيرى وذلك أول سنة
تسعين وثلثمائة

(ذكر ملك الحاكم طرابلس الغرب وعودها الى باديس)

كان لباديس نائب بطرابلس الغرب فكاتب الحاكم بأمر الله بمصر وطلب ان يسلم اليه
طرابلس ويلتحق به فارسل اليه الحاكم يانس الصقلى وكان خصيصا بالحاكم وهو المتولى لبلاد
برقة فوصل يانس وتسلم طرابلس وأقام بها وذلك سنة تسعين فارسل باديس الى يانس يسأله عن
سبب وصوله الى طرابلس وقال له ان كان الحاكم استعملك عليها فارسل العهد لاقف عليه فقال
يانس انما ارسلنى معينا ونجدة ان احتيج الى ومثلى لا يطالب منه عهد بولاية بمحلى من دولة الحاكم
فسير اليه جيشا فلقيهم يانس خارج طرابلس فقتل فى المعركة وانهزم أصحابه ودخلوا طرابلس
فتحصنوا بها وكان قد قتل منهم فى المعركة كثير ونزل عليهم الجيش وحصرهم وأرسلوا الى الحاكم
يستمدونه فجهز جيشا اليهم مع يحيى بن على الاندلسى وسيرهم الى طرابلس واطلق لهم مالا على برقة
فلم يجد يحيى فيها مالا فاختلت حاله فسار الى فلفل وكان قد دخل الى طرابلس واستولى عليها فاقام

على صدر المأمون ونحره وترقوته فبلت ثوبه ثم انحدر الفراش ثانية فأخذها ووضعها بين يدى المأمون
فى منديل تضطرب فقال
المأمون تقلى الساعة ثم
أخذته رعدة من ساعته
فلم يقدر يتحرك من مكانه
فغطى باللحف والدواويج
وهو يرتعد كالسعفة
ويصيح البرد البرد ثم حول
الى المضرب ودثر وأوقد
النيران حوله وهو يصيح
البرد البرد ثم أتى بالسمكة
وقد فرغ من قليها فلم يقدر
على الذوق منها وشغله
ما هو فيه عن تناول شئ
منها ولما اشتد به الامر
سأل المعتصم بختيشوع
وابن ماسويه فى ذلك
الوقت عن المأمون وهو
فى سكرات الموت وما الذى
يدل عليه علم الطب من
أمره وهل يمكن برؤه
وشفاؤه فتقدم ابن ماسويه
فأخذ احدى يديه
وبختيشوع الاخرى وأخذ
المجسة من كلتا يديه
فوجدا نبضه خارجا عن
الاعتدال منذرا بالفناء
والانحلال والتزقت
أيديهما بشرته لعرق
كان يظهر منه من سائر
جسده كالزيت أو كلعاب
بعض الافاعى فأخبر
المعتصم بذلك فسألهما عن
ذلك فانكرا معرفته وانهما
لم يجداه فى شئ من الكتب
وأنه دال على انحلال
الجسد وأفاق المأمون من
غشيته وفتح عينيه من
رقدته فأمر باحضار ناس من الروم فسألهم عن اسم الموضع والعين فاحضر له عدة من الاسارى والادلة وقيل لهم فسروا هذا

تفسيره مدرجليك فلما سمعها اضطرب من هذا الفال وتطير به وقال سلوهم

معه فيها واستوطنها من ذلك الوقت وسنذكر باقى خبرهم سنة ثلاث وتسعين وفى سنة احدى وتسعين سارما كسن بن زيرى عم أبى باديس الى أشير وبها ابن أخيه حماد بن يوسف بلكين فكان بينهما حرب شديدة قتل فيها ما كسن وأولاده محسن و باديس وحباسة وتوفى زيرى بن عطية بعد قتل ما كسن بتسعة أيام

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عاشر ربيع الاول انقض كوكب عظيم ضحوة نهار وفيها عمل أهل باب البصرة يوم السادس والعشرين من ذى الحجة زينة عظيمة وفرحا كثيرا وكذلك عملوا ثامن عشر المحرم مثل ما يعمل الشيعة فى عاشوراء وسبب ذلك ان الشيعة بالكرخ كانوا ينصبون القباب وتعلق الثياب للزينة اليوم الثامن عشر من ذى الحجة وهو يوم الغدير وكانوا يعملون يوم عاشوراء من المأتم والنوح واظهار الحزن ماهو مشهور فعمل أهل باب البصرة فى مقابل ذلك بعد يوم الغدير بثمانية أيام مثلهم وقالوا هو يوم دخل النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه الغار وعملوا بعد عاشوراء بثمانية أيام مثل ما يعملون يوم عاشوراء وقالوا هو يوم قتل مصعب بن الزبير وتوفى هذه السنة أحمد بن محمد بن عيسى أبو محمد السرخسى المقرى الفقيه الشافعى وهو من أصحاب أبى اسحق المروزى وله رواية للحديث أيضا وكان شيخ خراسان فى زمانه وقرأ القرآن على ابن مجاهد والادب على ابن الانبرى ومات وله ست وتسعون سنة وعبد الله بن محمد بن اسحق بن سليمان أبو القاسم البزاز المعروف بابن حبابة وكان شيخ الحنابلة فى زمانه

﴿ثم دخلت سنة تسعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر خروج اسمعيل بن نوح وماجرى له بخراسان﴾

فى هذه السنة خرج أبو ابراهيم اسمعيل بن نوح من محبسه وكان قد حبسه ايلك الخان لما ملك بخارا مع جماعة من أهله وسبب خلاصه انه كان تأتيه جارية تخدمه وتتعرف أحواله فلبس ما كان عليها وخرج فظنه الموكلون الجارية فلما خرج استخفى عند عجوز من أهل بخارا فلما سكن الطلب عنه سار من بخارا الى خوارزم وتلقب المنتصر واجتمع اليه بقايا القواد السامانية والاجناد فكثف جمعه وسير قائدا من أصحابه فى عسكر الى بخارا فبيت من بها من أصحاب ايلك الخان فهزمهم وقتل منهم وكبس جماعة من أعيانهم مثل جعفر تكين وغيره وتبع المنهزمين نحو ايلك الخان الى حدود سمرقند فلقى هناك عسكرا جرارا جعلهم ايلك الخان يحفظون سمرقند فانضاف اليهم المنهزمون ولقوا عسكر المنتصر فانهزم أيضا عسكر ايلك الخان وتبعهم عسكر المنتصر فغنموا أثقالهم فصلحت أحوالهم بها وعادوا الى بخارا فاستبشر أهلها بعود السامانية ثم ان ايلك جمع الترك وقصد بخارا فانحاز من بها من السامانية وعبروا النهر الى آمل الشط فضاقت عليهم فساروا هم والمنتصر نحو أبيورد فملكها وجبوا أموالها وساروا نحو نيسابور وبها منصور بن سبكتكين نائبا عن أخيه محمود فالتقوا بربى نيسابور فى ربيع الآخر فاقتتلوا فانهزم منصور وأصحابه وقصدوا هراة وملك المنتصر نيسابور وكثر جمعه وبلغ يمين الدولة الخبر فسار مجدا نحو نيسابور فلما قاربها سار عنها المنتصر الى أسفراين فلما أزعجه الطلب سار نحو شمس المعالى قابوس بن وشمكير ملتجئا اليه ومتكثرا به فأكرم مورده وحمل اليه شيأ كثيرا وأشار على المنتصر بقصد الرى اذ كانت ليس بها من يذب عنها لاشتغال أصحابها باختلافهم ووعده بأن ينجده بعسكر جرار مع أولاده فقبل مشورته وسار نحو الرى فنازلها فضعف من بها عن مقاومته الا انهم حفظوا البلد منه

الاسم القشيرة فقيل له ماسم الموضع بالعربية فقالوا الرقة وكان فيما عمل من مولد المأمون أنه يموت بالموضع المعروف بالرقة وكان المأمون كثيرا ما يحيد عن المقام بمدينة الرقة فرقا من الموت فلما سمع هذا من الروم علم أنه الموضع الذى وعد فيه فيما تقدم من مولده وان فيه وفاته وقيل ان اسم البديدون تفسيره مدرجليك والله أعلم بكيفية ذلك فاحضر المعتصم الاطباء حوله يؤمل خلاصه مما هو فيه فلما ثقل قال أخرجونى أشرف على عسكرى وأنظر الى رجالى وأتبين ملكى وذلك فى الليل فاخرج فاشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته وما قد وقد من النيران فقال يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ثم رد الى مرقده وأجلس المعتصم رجلا يشهده لما ثقل فرفع الرجل صوته ليقولها فقال له ابن ماسويه لاتصح فوالله مايفرق بين ربه وبين مانى فى هذا الوقت ففتح عينيه من ساعته وبهما من العظم والكبر والاحمرار مالم ير مثله قط وأقبل يحاول البطش بيديه بابن ماسويه ورام مخاطبته فعجز عن ذلك فرمى بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه دموعا

فانطلق لسانه من ساعته وقال يامن لايموت ارحم من يموت وقضى من ساعته وذلك فى يوم الخميس لثلاث عشرة   ودسوا

ليلة بقيت من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين وحمل الى طرسوس فدفن بها على خسب ماقدمنا فى أول هذا

ودسوا الى أعيان عسكره كأبى القاسم بن سيمجور وغيره وبذلوا لهم الاموال ليردوه عنهم ففعلوا ذلك وصغروا أمر الرى عنده وحسنوا له العود الى خراسان فسار نحو الدامغان وعاد عنه عسكر قابوس ووصل المنتصر الى نيسابور فى آخر شوال سنة احدى وتسعين وثلاثمائة فجبى له الاموال بها فارسل اليه يمين الدولة جيشا فلقوه فانهزم المنتصر وسار نحو ابيورد وقصد جرجان فرده شمس المعالى عنها فقصد سرخس وجبى أموالها وسكنها فسار اليه منصور بن سبكتكين من نيسابور فالتقوا بظاهر سرخس واقتتلوا فانهزم المنتصر وأصحابه وأسر أبو القاسم على بن محمد بن سيمجور وجماعة من أعيان عسكره وحملوا الى المنصور فسيرهم الى غزنة وذلك فى ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وسار المنتصر تائها حتى وافى الاتراك الغزية ولهم ميل الى آل سامان فحركتهم الحمية واجتمعوا معه وساروا بهم نحو ايلك الخان وكان ذلك فى شوال سنة ثلاث وتسعين فلقيهم ايلك بنواحى سمرقند فهزموه واستولوا على أمواله وسواده وأسروا جماعة من قواده وعادوا الى أوطانهم واجتمعوا على اطلاق الاسرى تقربا الى ايلك الخان بذلك فعلم المنتصر فاختار من أصحابه جماعة يثق بهم وسار بهم فعبر النهر ونزل بآمل الشط فلم يقبله مكان وكلما قصد مكانا رده أهله خوفا من معرته فعاد وعبر النهر الى بخارا وطلب والى ايلك الخان فلقيه واقتتلوا فانهزم المنتصر الى دبوسية وجمع بها ثم عاودهم فهزمهم وخرج اليه خلق كثير من فتيان سمرقند وصار وافى جملته وحمل له أهلها مالا وغيره والآلات والثياب والدواب وغير ذلك فلما سمع ايلك الخان بحاله جمع الاتراك وسار اليه فى قضه وقضيضه والتقوا بنواحى سمرقند واشتدت الحرب بينهم فانهزم ايلك الخان وكان ذلك فى شعبان سنة أربع وتسعين وغنموا أمواله ودوابه وعاد ايلك الخان الى بلاد الترك فجمع وحشد وعاد الى المنتصر فوافق عوده تراجع الغزية الذين كانوا مع المنتصر الى أوطانهم وقد زحف جمعه فاقتتلوا بنواحى اسروشنة فانهزم المنتصر وأكثر الترك فى أصحابه القتل وسار المنتصر منهزما حتى عبر النهر وسار الى الجوزجان فنهب أموالها وسار يطلب مرو فسير يمين الدولة العساكر ففارق مكانه وساروهم فى أثره حتى أتى بسطام فارسل اليه قابوس عسكرا أزعجه عنها فلما ضاقت عليه المذاهب عاد الى ماوراء النهر فعبر أصحابه وقد ضجروا وسئموا من السهر والتعب والخوف ففارقه كثير منهم الى بعض أصحاب ايلك الخان فاعلموهم بمكانه فلم يشعر المنتصر الا وقد أحاطت به الخيل من كل جانب فطاردهم ساعة ثم ولاهم الدبر وسار فنزل بحلة من العرب فى طاعة يمين الدولة وكان يمين الدولة قد أوصاهم بطلبه فلما رأوه أمهلوه حتى أظلم الليل ثم وثبوا عليه فاخذوه وقتلوه وكان ذلك خاتمة أمره وانما أوردت حادثة هذه السنة لترد متتابعة فلو تفرقت فى السنين لم تعلم على هذه الصورة لقلتها

﴿ذكر محاصرة يمين الدولة سجستان﴾

فى هذه السنة سار يمين الدولة الى سجستان وصاحبها خلف بن أحمد فحصره بها وكان سبب ذلك ان يمين الدولة لما اشتغل بالحروب التى ذكرناها سير خلف بن أحمد ابنه طاهرا الى قهستان فملكها ثم سار منها الى بوشنج فملكها وكانت هى وهراة لبغراجق عم يمين الدولة فلما فرغ يمين الدولة من تلك الحروب استأذنه عمه فى اخراج طاهر بن خلف من ولايته فاذن له فى ذلك فسار اليه فلقيه طاهر بنواحى بوشنج فاقتتلوا فانهزم طاهر ولج بغراجق فى طلبه فعطف عليه طاهر فقتله ونزل اليه وأخذ رأسه فلما سمع يمين الدولة بقتل عمه عظم عليه وكبر لديه وجمع عساكره وسار نحو خلف بن أحمد فتحصن منه خلف بحصن اصبهبذ وهو حصن يناطح النجوم علوا وارتفاعا فحصره

الكتاب (قال المسعودى) وللمأمون أخبار حسان ومعان وسير ومجالسات وأشعار وأخلاق جميلة قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن ذكرها وفى المأمون يقول أبو سعيد المخزومى

هل رأيت النجوم اغنت عن المأ
مون شيأ وملكه المأنوس
خلفوه بعرصتى طرسوس
مثل ماخلفوا أباه بطوس

وكان المأمون كثيرا ماينشد هذه الابيات

ومن لايزل عرضا للمنو
ن يتركنه ذات يوم عميدا
فان هن اخطأنه مرة
فيوشك مخطئها ان يعودا
فبينا تحيد وتخطينه
قصدن فاعجلنه ان يحيدا

(ذكر خلافة المعتصم)

وبويع المعتصم فى اليوم الذى كانت فيه وفاة المأمون على عين البديدون وهو يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين واسمه محمد بن هارون ويكنى بأبى اسحق وكان بينه وبين العباس بن المأمون فى ذلك الوقت تنازع فى المجلس ثم انقاد العباس الى بيعته والمعتصم يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة

وشهرين وامه امولدية اسمها مارية بنت شبيب وقيل أنه بويع سنة تسع عشرة وتوفى بسر من رأى سنة سبع وعشرين وهو

ابن ست وأربعين سنة وعشرة أشهر فكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وقبره بالجوسق على ما ذكرنا

فيه وضيق عليه فذل وخضع وبذل أموالا جليلة لينفس عن خناقه فاجابه يمين الدولة الى ذلك وأخذ رهنه على المال

﴿ذكر قتل ابن بختيار بكرمان واستيلاء بهاء الدولة عليها﴾

في هذه السنة في جمادى الآخرة قتل الامير أبو نصر بن بختيار الذي كان قد استولى على بلاد فارس وسبب قتله انه لما انهزم من عسكر بهاء الدولة بشيراز سار الى بلاد الديلم وكاتب الديلم بفارس وكرمان من هناك يستميلهم وكاتبوه واستدعوه فسار الى بلاد فارس واجتمع عليه جمع كثير من الزط والديلم والاتراك وتردد في تلك النواحي ثم سار الى كرمان فلم يقبله الديلم الذين بها وكان المقدم عليهم أبو جعفر ابن استاذهرمز فجمع وقصد أبا جعفر فالتقيا فانهزم أبو جعفر الى السيرجان ومضى ابن بختيار الى جيرفت فملكها وملك أكثر كرمان فعظم الامر على بهاء الدولة فسير اليه الموفق على بن اسمعيل في جيش كثير وسار مجدا حتى أطل على جيرفت فاستأمن اليه من بها من أصحاب ابن بختيار ودخلها فانكر عليه من معه من القواد سرعة سيره وخوفوه عاقبة ذلك فلم يصغ اليهم وسأل عن حال ابن بختيار فاخبر أنه على ثمانية فراسخ من جيرفت فاختار ثلاثمائة رجل من شجعان أصحابه وسار بهم وترك الباقين مع السواد بجيرفت فلما بلغ ذلك المكان لم يجده ودل عليه فلم يزل يتبعه من منزل الى منزل حتى لحقه بدارزين فسار ليلا وقدر وصوله اليه عند الصبح فادركه فركب ابن بختيار واقتتلوا قتالا شديدا وسار الموفق في نفر من غلمانه فاتى ابن بختيار من ورائه فانهزم ابن بختيار وأصحابه ووضع فيهم السيف فقتل منهم الخلق الكثير فغدر بابن بختيار بعض أصحابه وضربه بلت فألقاه وعاد الى الموفق ليخبره بقتله فارسل معه من ينظر اليه فرآه وقد قتله غيره وحمل رأسه الى الموفق وأكثر الموفق القتل في أصحاب ابن بختيار واستولى على بلاد كرمان واستعمل عليها أبا موسى سياهجيل وعاد الى بهاء الدولة فخرج بنفسه واقيه وأكرمه وعظمه ثم قبض عليه بعد أيام ومن أعجب ما يذكر ان الموفق أخبره منجم انه يقتل ابن بختيار يوم الاثنين فلما كان قبل الاثنين بخمسة أيام قال للمنجم قد بقي خمسة أيام وليس لنا علم به فقال له المنجم ان لم تقتله فاقتلني عوضه والا فاحسن الي فلما كان يوم الاثنين أدركه وقتله وأحسن الى المنجم احسانا كثيرا

﴿ذكر القبض على الموفق أبي علي بن اسمعيل﴾

قد ذكرنا مسيره الى قتال ابن بختيار وقتله ابن بختيار فلما عاد أكرمه بهاء الدولة ولقيه بنفسه فاستعفى الموفق من الخدمة فلم يعفه بهاء الدولة فالح كل واحد منهما فاشار أبو محمد بن مكرم على الموفق بترك ذلك فلم يقبل فقبض عليه بهاء الدولة وأخذ أمواله وكتب الى وزيره سابور ببغداد بالقبض على انساب الموفق فعرفهم ذلك سرا فاحتالوا لنفوسهم وهربوا واستعمل بهاء الدولة أبا محمد بن مكرم على عمان ثم ان بهاء الدولة قتل الموفق سنة أربع وتسعين وثلثمائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة استعمل بهاء الدولة أبا علي الحسن بن استاذهرمز على خوزستان وكانت قد فسدت أحوالها بولاية أبي جعفر الحجاج لها ومصادرته لاهلها فعمرها أبو علي ولقبه بهاء الدولة عميد الجيوش وحمل الى بهاء الدولة منها أموالا جليلة مع حسن سيرة في أهلها وعدل وفيها ظهر في سجستان معدن الذهب فكانوا يحفرون التراب ويخرجون منه الذهب الاحمر وفيها توفي الشريف أبو الحسن محمد بن عمر العلوي ودفن بالكرخ وعمره خمس وسبعون سنة وهو مشهور

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه﴾

واستوزر المعتصم محمد بن عبد الملك الى آخر أيامه وغلب عليه ابن أبي دواد ولم يزل محمد بن عبد الملك في أيام المعتصم والواثق الى أن ولي المتوكل وكان في نفسه عليه شيء فقتله وسنذكر لمعا من مقتله فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار المتوكل وان كنا قد أتينا على ذلك ملخصا في الكتاب الاوسط وكان المعتصم يحب العمارة ويقول ان فيها أمورا محمودة فأولها عمران الارض التي يحيى بها العالم وعليها يزكو الخراج وتكثر الاموال وتعيش البهائم وترخص الاسعار ويكثر الكسب ويتسع المعاش وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك اذا وجدت موضعا متى انفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة احدى عشر درهما فلا تؤامرني فيه وكان المعتصم ذا بأس وشدة في قلبه فذكر أحمد بن أبي دواد وكان به انسا قال فلما انكر المعتصم نفسه وقوته دخلت عليه يوما وعنده ابن ماسويه فقام المعتصم فقال لي لا تبرح حتى اخرج اليك فقلت ليحيى بن ماسويه ويحك اني أرى أمير المؤمنين قد حال لونه ونقصت قوته وذهبت

سورته فكيف تراه أنت قال هو والله زبرة من زبر الحديد الآن في يديه فأسا يضرب بها تلك الزبرة

بكثرة المال والعقار والقاضي أبو الحسن بن قاضي القضاة أبي محمد بن معروف والقاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا المعروف بابن طرار الجريري بفتح الجيم منسوب الى محمد بن جرير الطبري لانه كان يتفقه على مذهبه وكان عالما بفنون العلوم كثير الرواية والتصنيف فيها

﴿ثم دخلت سنة احدى وتسعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر قتل المقلد وولاية ابنه قرواش﴾

في هذه السنة قتل حسام الدولة المقلد بن المسيب العقيلي غيلة قتله مماليك له ترك وكان سبب قتله ان هؤلاء الغلمان كانوا قد هربوا منه فتبعهم وظفر بهم فقتل منهم وقطع وأعاد الباقين فخافوه على نفوسهم فاغتنم بعضهم غفلته وقتله بالانبار وكان قد عظم أمره وراسل وجوه العساكر ببغداد وأراد التغلب على الملك فاتاه الله من حيث لا يشعر ولما قتل كان ولده الاكبر قرواش غائبا وكانت أمواله وخزائنه بالانبار فخاف نائبه عبد الله بن ابراهيم بن شهرويه بادرة الجند فراسل أبا منصور بن قراد اللديد وكان بالسندية فاستدعاه اليه وقال له أنا أجعل بينك وبين قرواش عهدا وأزوجه ابنتك وأقاسمك على ما خلفه أبوه وتساعده على عمه الحسن ان قصده وطمع فيه فاجابه الى ذلك وحمى الخزائن والبلد وأرسل عبد الله الى قرواش يحثه على الوصول فوصل وقاسمه على المال وأقام قراد عنده ثم ان الحسن بن المسيب جمع مشايخ عقيل وشكا قرواشا اليهم وما صنع مع قراد فقالوا له خوفه منك حمله على ذلك فبذل من نفسه الموافقة له والوقوف عند رضاه وسفر المشايخ بينهما فاصطلحا واتفقا على أن يسير الحسن الى قرواش شبه المحارب ويخرج هو وقراد لقتاله فاذا لقي بعضهم بعضا عادوا جميعا على قراد فاخذوه فسار الحسن وخرج قرواش وقراد لقتاله فلما تراءى الجمعان جاء بعض أصحاب قراد اليه فاعلمه الحال فهرب على فرس له وتبعه قرواش والحسن فلم يدركاه وعاد قرواش الى بيت قراد فاخذ ما فيه من الاموال التي أخذها من قرواش وهي بحالها وسار قرواش الى الكوفة فأوقع بخفاجة عندها وقعة عظيمة فساروا بعدها الى الشام فأقاموا هناك حتى أحضرهم أبو جعفر الحجاج على ما نذكره ان شاء الله

﴿ذكر البيعة لولي العهد﴾

في هذه السنة في ربيع الاول أمر القادر بالله بالبيعة لولده أبي الفضل بولاية العهد وأحضر حجاج خراسان وأعلمهم ذلك ولقبه الغالب بالله وكان سبب البيعة ان أبا عبد الله بن عثمان الواثقي من ولد الواثق بالله أمير المؤمنين كان من أهل نصيبين فقصد بغداد ثم سار عنها الى خراسان وعبر النهر الى هرون بن ايلك بغراخان وصحبه الفقيه أبو الفضل التميمي وأظهر انه رسول من الخليفة الى هرون يأمره بالبيعة لهذا الواثقي فانه ولي عهد فاجابه خاقان الى ذلك وبايع له وخطب له ببلاده واتفق عليه فبلغ ذلك القادر فعظم عليه وراسل خاقان في معناه فلم يصغ الى رسالته فلما توفي هرون خاقان وولي بعده أحمد قراخان كاتبه الخليفة في معناه فامر بابعاده فحينئذ بايع الخليفة لولده بولاية العهد وأما الواثقي فانه خرج من عند أحمد قراخان وقصد بغداد فعرف بها وطلب فهرب منها الى البصرة ثم الى فارس وكرمان ثم الى بلاد الترك فلم يتم له ما أراد وراسل الخليفة الملوك يطلبه فضاقت عليه الارض وسار الى خوارزم وأقام بها ثم فارقها فاخذه يمين الدولة محمود ابن سبكتكين فحبسه في قلعة الى ان توفي بها

﴿ذكر استيلاء طاهر بن خلف على كرمان وعوده عنها﴾

في هذه السنة سار طاهر بن خلف بن أحمد صاحب سجستان الى كرمان طالبا ملكها وكان سبب

فقلت وكيف ذاك قال كان قبل ذلك اذا أكل السمك اتخذ له صباغا من الخل والكراويا والكمون والسذاب والكرفس والخردل فأكله بذلك الصباغ فدفع أذى السمك واضراره بالعصب واذا أكل الرؤس اتخذت له أصباغ تدفع أذاها وتلطفها وكان في أكثر أموره يلطف غذاءه ويكثر مشورتي فصار اليوم اذا انكرت عليه شيئا خالفني وقال آكل هذا على رغم أنف ابن ماسويه قال وهو خلف الستر يسمع ما نحن فيه فقلت ويحك يا يحيى أدخل اصبعك في عينيه قال جعلت فداك ما أقدر أراه ولا أجترئ عليه في خلاف فلما فرغ من كلامه خرج علينا المعتصم فقال لي ما الذي كنت فيه مع ابن ماسويه قلت ناظرته يا أمير المؤمنين في لونك الذي أراه حائلا وفي قلة طعمك الذي قد هد جوارحي وأنحل جسمي قال فما قال لك قلت شكا انك كنت تقبل ما يشير به عليك وكنت ترى في ذلك على ما تحب وانك الآن تخالفه قال فما قلت له أنت قال فجعلت أصرف الكلام قال فضحك وقال هذا بعد ما دخل في عيني أو قبل ذلك قال فارفضضت عرقا وعلمت انه قد سمع ما كنا

مسيره اليها أنه كان قد خرج عن طاعة أبيه وجرى بينهما حروب كان الظفر فيها لابيه ففارق سجستان وسار الى كرمان وبها عسكر بهاء الدولة وهى له على ماذكرناه فاجتمع من بها من العساكر الى المقدم عليهم ومتولى أمر البلاد وهو أبو موسى سياهجيل فقالوا له ان هذا الرجل قد وصل وهو ضعيف والرأى ان نبادره قبل أن يقوى أمره ويكثر جمعه فلم يفعل واستهان به فكثر جمع طاهر وصعد الى الجبال وبها قوم من العصاة على السلطان فاحتمى بهم وقوى فنزل الى جيرفت فملكها وملك غيرها وقوى طمعه فى الباقى فقصده أبو موسى والديلم فهزمهم وأخذ بعض مابقى بايديهم فكاتبوا بهاء الدولة فسير اليهم جيشا عليهم أبو جعفر بن استاذ هرمز فسار الى كرمان وقصدهم وبها طاهر فجرى بين طلائع العسكرين حرب وعاد طاهر الى سجستان وفارق كرمان فلما بلغ سجستان أطلق المأسورين ودعاهم الى قتال أبيه معه وحلف لهم أنهم اذا انصروه وقاتلوا معه أطلقهم ففعلوا ذلك وقاتل أباه فهزمه وملك طاهر البلاد ودخل أبوه الى حصن له منيع فاحتمى به وأحب الناس طاهرا لحسن سيرته وسوء سيرة والده وأطلق طاهر الديلم ثم ان أباه راسل أصحابه ليفسدهم عليه فلم يفعلوا فعدل الى مخادعته وراسله يظهر له الندم على ما كان منه ويستميله بأنه ليس له ولد غيره وانه يخاف أن يموت فيملك بلاده غير ولده ثم استدعاه اليه جريدة ليجتمع به ويعرفه أحواله فتواعدا تحت قلعة خلف فأتاه ابنه جريدة ونزل هو اليه كذلك وكان قد كمن بالقرب منه كمينا فلما لقيه اعتنقه وبكى خلف وصاح فى بكائه فخرج الكمين وأسروا طاهرا فقتله أبوه بيده وغسله ودفنه ولم يكن له ولد غيره فلما قتل طمع الناس فى خلف لانهم كانوا يخافون ابنه لشهامته وقصده حينئذ محمود بن سبكتكين فملك بلاده على مانذكره وأما العتبى فذكر فى سبب فتحها غير هذا وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة ثار الاتراك ببغداد بنائب السلطان وهو أبو نصر سابور فهرب منهم ووقعت الفتنة بين الاتراك والعامة من أهل الكرخ وقتل بينهم قتلى كثيرة ثم ان أهل السنة من أهل بغداد ساعدوا الاتراك على أهل الكرخ فضعفوا عن الجميع فسعى الاشراف فى اصلاح الحال فسكنت الفتنة وفيها ولد الامير أبو جعفر عبد الله بن القادر وهو القائم بأمر الله وفيها فى ربيع الاول توفى أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى وكان فاضلا عالما بعلوم الاسلام وبالمنطق وكان يجلس للتحديث وروى الناس عنه وفيها توفى القاضى أبو الحسن الجزرى وكان على مذهب داود الظاهرى وكان يصحب عضد الدولة قديما وفيها توفى أبو عبد الله الحسين بن الحجاج الشاعر بطريق النيل وحمل الى بغداد وديوانه مشهور وفيها توفى بكران بن أبى الفوارس خال الملك جلال الدولة بواسط وفيها توفى جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات المعروف بابن حنزابة الوزير ومولده سنة ثمان وثلاثمائة وكان سار الى مصر فولى وزارة كافور وروى حديثا كثيرا

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر وقعة ليمين الدولة بالهند ﴾

فى هذه السنة أوقع يمين الدولة محمود بن سبكتكين بجيبال ملك الهند وقعة عظيمة وسبب ذلك انه لما اشتغل بامر خراسان وملكها وفرغ منها ومن قتال خلف بن أحمد وخلا وجهه من ذلك أحب ان يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين فثنى عنانه نحو تلك البلاد فنزل على مدينة برشور وأتاه عدو الله جيبال ملك الهند فى عساكر كثيرة فاختار يمين الدولة من عساكره

والمطوعة

فيه ورأى ماقد اخلني فقال يغفر الله لك يا أحمد لقد فرحت بما ظننت انه أحزنك اذا سمعته وعلمت أنه نوع من أنواع الانبساط والبسط وكان المعتصم يأنس بعلى بن الجنيد الاسكافى وكان عجيب الصورة عجيب الحديث فيه سلامة أهل السواد فقال المعتصم يوما لمحمد بن حماد اذهب بالغداة الى على بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزاملنى فأتاه فقال ان أمير المؤمنين يأمرك ان تزامله فتهيأ لشروط من زاملة الخلفاء فقال على بن الجنيد وكيف اتهيأ أهى لى رأسا غير رأسى اشترى لحية غير لحيتى أأزيد فى قامتى انا متهيئ وفضلة قال الست تدرى بعد ماشروط من زاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال على بن الجنيد وماهى هات يامن تدرى قال له ابن حماد وكان اديبا ظريفا وكان يرسم الحجاب شرط المعادلة الامتناع بالحديث والمذاكرة والمناولة وأن لايبزق ولايسعل ولايتنحنح ولايتمخط وأن يتقدم الرئيس فى الركوب اشفاقا عليه من الميل وان يتقدمه فى النزول حتى لم يفعل المعادل هذا كان سواء والمثقلة الرصاص التى تعدل بها القبة واحدا وليس له ان ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة حال من هو معه وماهو راكبه لانهما اذا ناما جميعا فالجانب لايشعر به كان فى ذلك مالاخفاء به وعلى بن الجنيد ينظر

والمطوعة خمسة عشر ألفا وسار نحوه فالتقوا فى المحرم من هذه السنة فاقتتلوا وصبر الفريقان فلما انتصف النهار انهزم الهند وقتل فيهم مقتلة عظيمة وأسر جيبال ومعه جماعة كثيرة من أهله وعشيرته وغنم المسلمون منهم أموالا جليلة وجواهر نفيسة وأخذ من عنق عدو الله جيبال قلادة من الجوهر العديم النظير قومت بمائتى ألف دينار وأصيب أمثالها فى أعناق مقدمى الاسرى وغنموا خمسمائة ألف رأس من العبيد وفتح من بلاد الهند بلادا كثيرة فلما فرغ من غزواته أحب ان يطلق جيبال ليراه الهنود فى شعار الذل فأطلقه بمال قرره عليه فأدى المال ومن عادة الهند انهم من حصل منهم فى أيدى المسلمين اسيرا لم ينعقد له بعدها رياسة فلما رأى جيبال حاله بعد خلاصه حلق رأسه ثم ألقى نفسه فى النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة

﴿ ذكر غزوة اخرى الى الهند أيضا ﴾

فلما فرغ يمين الدولة من أمر جيبال رأى ان يغزو غزوة أخرى فسار نحو ويهند فأقام عليها محاصرا لها حتى فتحها قهرا وبلغه ان جماعة من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد فسير اليهم طائفة من عسكره فأوقعوا بهم وأكثروا القتل فيهم ولم ينج منهم الا الشريد الفريد وعاد الى غزنة سالما ظافرا

﴿ ذكر الحرب بين قرواش وعسكر بهاء الدولة ﴾

فى هذه السنة سير قرواش بن المقلد جمعا من عقيل الى المدائن فحصروها فسير اليهم أبو جعفر نائب بهاء الدولة جيشا فأزالوهم عنها فاجتمعت عقيل وأبو الحسن مزيد فى بنى أسد وقويت شوكتهم فخرج الحجاج اليهم واستنجد خفاجة وأحضرهم من الشأم فاجتمعوا معه واقتتلوا بنواحى باكرم فى رمضان فانهزمت الديلم والاتراك وأسر منهم خلق كثير واستبيح عسكرهم فجمع أبو جعفر من عنده من العسكر وخرج الى بنى عقيل وابن مزيد فالتقوا بنواحى الكوفة واشتد القتال بينهم فانهزمت عقيل وابن مزيد وقتل من أصحابهم خلق كثير وأسر مثلهم وسار الى حلل ابن مزيد فأوقع بمن فيها فانهزموا أيضا فنهبت الحلل والبيوت والاموال ورأوا فيها من العين والمصاغ والثياب مالايقدر قدره ولما سار أبو جعفر عن بغداد اختلت الاحوال بها وعاد أمر العيارين ظهر واشتد الفساد وقتلت النفوس ونهبت الاموال وأحرقت المساكن فبلغ ذلك بهاء الدولة فسير الى العراق لحفظه أبا على بن أبى جعفر المعروف باستاذ هرمز ولقبه عميد الجيوش وأرسل الى أبى جعفر الحجاج وطيب قلبه ووصل أبو على الى بغداد فأقام السياسة ومنع المفسدين فسكنت الفتنة وآمن الناس وفيها توفى محمد بن محمد بن جعفر أبو بكر الفقيه الشافعى المعروف بابن الدقاق صاحب الاصول

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ﴾

﴿ ذكر ملك يمين الدولة سجستان ﴾

فى هذه السنة ملك يمين الدولة محمود بن سبكتكين سجستان وانتزعها من يد خلف بن أحمد قال العتبى وكان سبب أخذها أن يمين الدولة لما رحل عن خلف بعد ان صالحه كما تقدم ذكره سنة تسعين عهد خلف الى ولده طاهر وسلم اليه مملكته وانعكف هو على العبادة والعلم وكان عالما فاضلا محبا للعلماء وكان قصده أن يوهم يمين الدولة أنه ترك الملك وأقبل على طلب الآخرة ليقطع طمعه عن بلاده فلما استقر طاهر فى الملك عق أباه واهمل أمره فلاطفه أبوه ورفق به ثم انه تمارض فى حصنه المذكور واستدعى ولده ليوصى اليه فحضر عنده غير محتاط ونسى اساءته

اليه فلما أكثر عليه فى هذا الوصف والشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول اهل السواد آه حرها اذهب له فقل له مايزاملك الا من أمه زانية وهو كشخان فرجع ابن حماد فقال للمعتصم ماقال فضحك المعتصم وقال جئنى به فجاءه فقال ياعلى أبعث اليك تزاملنى فلاتفعل فقال ان رسولك هذا الجاهل الازعر جاءنى بشروط حسان الشاشى وخالويه المحاكى فقال لاتبزق ولا تفعل كذا وافعل كذا وجعل يمطط فى كلامه ويترفع من صاداته ويشير بيديه ولايسعل ولايعطس وهذا لايقوم لى ولا أقدر عليه فان رضيت ان أزاملك فان جاءنى الفساء فسوت عليك وضرطت واذا جاءك أنت فأده فافسو وأضرط والافليس بينى وبينك عمل فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملنى على هذه الشريطة قال نعم وكرامة فزامله فى قبة على بغل فسار ساعة وتوسطا البر فقال على ياأمير المؤمنين حضر ذلك المتاع فما ترى قال ذلك اليك اذا شئت قال فحضر ابن حماد فامر المعتصم باحضاره فقال له على تعال حتى أسارك فلما دنا منه فساو ناوله كمه وقال أجد دبيب شئ فى كمى فانظر ماهو فادخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال ما أرى شيأ ولكنى لم أعلم أن فى جوف ثيابك كنيفا والمعتصم قد غطى

فلما صار عنده قبض عليه وحبسه وبقى فى السجن الى ان مات فيه واظهر عنه أنه قتل نفسه ولما
سمع عسكر خاف وصاحب جيشه بذلك تغيرت نياتهم فى طاعته وكرهوه وامتنعوا عليه فى مدينته
واظهروا طاعة يمين الدولة وخطبوا له وأرسلوا اليه يطلبون من يتسلم المدينة ففعل وملكها
واحتوى عليها فى هذه السنة وعزم على قصد خاف وأخذ ما بيده والاستراحة من مكره فسار
اليه وهم فى حصن الطاق وله سبعة أسوار محكمة يحيط بها خندق عميق عريض لا يخاض
الا من طريق على جسر يرفع عند الخوف فنازله وضايقه فلم يصل اليه فأمر بطم الخندق ليمكن
العبور اليه فقطعت الاخشاب وطم بها وبالتراب فى يوم واحد مكانا يعبرون فيه ويقاتلون منه
وزحف الناس ومعهم الفيول واشتدت الحرب وعظم الامر وتقدم أعظم الفيول الى باب السور
فاقتلعه بنابه وألقاه وملكه أصحاب يمين الدولة وتأخر أصحاب خاف الى السور الثانى فلم يزل
أصحاب يمين الدولة يدفعونهم عن سور سور فلما رأى خاف اشتداد الحرب وان اسواره تملك عليه
وان أصحابه قد عجزوا وان الفيلة تحطم الناس طار قلبه خوفا وفرقا فارسل يطلب الامان فاجابه
يمين الدولة الى ما طلب وكف عنه فلما حضر عنده أكرمه واحترمه وأمره بالمقام فى أى البلاد شاء
فاختار أرض الجوزجان فسير اليها فى هيئة حسنة فاقام بها نحو أربع سنين ونقل الى يمين الدولة
عنه أنه راسل ايلك الخان يغريه بقصد يمين الدولة فنقله الى جردين واحتاط عليه هناك الى ان
أدركه أجله فى رجب سنة تسع وتسعين فسلم يمين الدولة جميع ما خلفه الى ولده أبى حفص وكان
خلف مشهورا بطلب العلم وجمع العلماء وله كتاب صنفه فى تفسير القرآن من أكبر الكتب

﴿ذكر الحرب بين عميد الجيوش أبى على وبين أبى جعفر الحجاج﴾

فى هذه السنة كانت الحرب بين أبى على بن أبى جعفر استاذ هرمز وبين أبى جعفر الحجاج وسبب
ذلك ان أبا جعفر كان نائبا عن بهاء الدولة بالعراق فجمع وغزا واستناب بعده عميد الجيوش أبا على
فاقام أبو جعفر بنواحى الكوفة ولم يستقر بينه وبين أبى على صلح وكان أبو جعفر قد جمع جمعا من
الديلم والاتراك وخفاجة فجمع أبو على أيضا جمعا كثيرا وسار اليه والتقوا بنواحى النعمانية
فاقتتلوا قتالا عظيما وأرسل أبو على بعض عسكره فأتوا أبا جعفر من ورائه فانهزم أبو جعفر ومضى
منهزما فلما أمن أبو على سار من العراق بعد الهزيمة الى خوزستان وبلغ السوس وأتاه الخبر ان أبا
جعفر قد عاد الى الكوفة فرجع الى العراق وجرى بينه وبين أبى جعفر منازعات ومراجعات
الى أن آل الامر الى الحرب فاستنجد كل واحد منهم بنى عقيل وبنى خفاجة وبنى أسد فبينما هم
كذلك أرسل بهاء الدولة الى عميد الجيوش أبى على يستدعيه فسار اليه الى خوزستان لاجل أبى
العباس بن واصل صاحب البطيحة

﴿ذكر عصيان سجستان وفتحها ثانية﴾

لما ملك يمين الدولة سجستان عاد عنها واستخلف عليها أميرا كبيرا من أصحابه يعرف بقنجى
الحاجب فاحسن السيرة فى أهلها ثم ان طوائف من أهل العيث والفساد قدموا عليهم رجلا
يجمعهم وخالفوا على السلطان فسار اليهم يمين الدولة وحصرهم فى حصن ارك ونشبت الحرب
فى ذى الحجة من هذه السنة فظهر عليهم وظفر بهم وملك حصنهم وأكثر القتل فيهم وانهزم
بعضهم فسير فى آثارهم من يطلبهم فادركوهم فأكثروا القتل فيهم حتى خلت سجستان منهم
وصفت له واستقر ملكها عليه فاقطعها أخاه نصرا مضافة الى نيسابور

﴿ذكر وفاة الطائع لله﴾

الضحك كل مذهب ثم جعل يفسو فساء متصلا ثم قال لابن حماد قلت لى لا تسعل
فيه بكمه وقد ذهب به
ولا تبزق ولا تمخط فلم أفعل
ولكنى أخرأ عليك قال
فاتصل فساؤه والمعتصم
يخرج رأسه من العمارية
ثم قال للمعتصم قد ضجت
القدر وأريد أخرى فقال
المعتصم ورفع صوته
حين كثر ذلك عليه ويلك
يا غلام الارض الساعة
أموت ودخل على بن
الجنيد الاسكافى يوما على
المعتصم فقال له بعد أن
ضاحكه وزهاله يا على مالى
لا أراك ويلك أنسيت
الصحبة وما حفظت المودة
فقال له حينئذ بالغ الكلام
الذى أريد أن أقوله قلته
أنت ما أنت الا ابليس
فضحك ثم قال لا تجىء نى
قال اه كم أجىء فلا أصل
أنت اليوم نبيل فكانك
من بنى مار بنو بنو ماوية
اناس من أهل السواد
يضرب بهم أهل السواد
الامثال لكبرهم فى نفوسهم
فقال له المعتصم هذا
سندان التركى وأشار الى
غلام على رأسه بيده مذبة
وقال له يا سندان اذا حضر
على فأعلمنى وان أعطاك
رقعة فأوصلها الى وان
حملك رسالة فأخبرنى بها
قال نعم يا سيدى وانصرف
فأقام أياما ثم جاء يطلب
سندان فقالوا هو نائم
فانصرف ثم عاد فقالوا هو
داخل ولا تصل اليه فانصرف وعاد فقالوا هو عند أمير المؤمنين فاحتال حتى دخل عند المعتصم من

فى هذه السنة فى شوال منها توفى الطائع لله المخلوع بن المطيع لله وحضر الاشراف والقضاة
وغيرهم دار الخلافة للصلاة عليه والتعزية وصلى عليه القادر بالله وكبر عليه خمسا وتكلمت
العامة فى ذلك فقيل ان هذا مما يفعل بالخلفاء وشيع جنازته ابن حاجب النعمان ورثاه
الشريف الرضى فقال

ما بعد يومك ما يسلو به السالى ❊ ومثل يومك لم يخطر على بالى
وهى طويلة

﴿ذكر وفاة المنصور بن أبى عامر﴾

فى هذه السنة توفى أبو عامر محمد بن أبى عامر المعافرى الملقب بالمنصور أمير الاندلس مع المؤيد
هشام بن الحاكم وقد تقدم ذكره عند ذكر المؤيد وكان أصله من الجزيرة الخضراء من بيت
مشهور بها وقدم قرطبة طالبا للعلم وكانت له همة فتعلق بوالدة المؤيد فى حياة أبيه المستنصر فلما
ولى هشام كان صغيرا فتكفل المنصور لوالدته القيام بأمره واخماد الفتن الثائرة عليه واقرار
الملك عليه فولته أمره وكان شهما شجاعا قوى النفس حسن التدبير فاستمال العساكر وأحسن
اليهم فقوى أمره وتلقب بالمنصور وتابع الغزوات الى الفرنج وغيرهم وسكنت البلاد معه فلم
يضطرب منها شىء وكان عالما محبا للعلماء يكثر مجالستهم ويناظرهم وقد أكثر العلماء ذكر مناقبه
وصنفوا لها تصانيف كثيرة ولما مرض كان متوجها الى الغزو فلم يرجع ودخل بلاد العدو
فنال منهم وعاد وهو مثقل فتوفى بمدينة سالم وكان قد جمع الغبار الذى وقع على درعه فى غزواته
شيأ صالحا فامر ان يجعل فى كفنه تبركا به وكان حسن الاعتقاد والسيرة عادلا كانت أيامه
أعياد النضارتها وأمن الناس فيها رحمه الله وله شعر جيد وكانت أمه تميمية ولما مات ولى بعده
ابنه المظفر أبو مروان عبد الملك فجرى مجرى أبيه

﴿ذكر محاصرة فلفل مدينة قابس وما كان منه﴾

فى هذه السنة سار يحيى بن على الاندلسى وفلفل من طرابلس الى مدينة قابس فى عسكر كبير
فحصروها ثم رجعوا الى طرابلس ولما رأى يحيى بن على ما هو عليه من قلة المال واختلال حاله
وسوء مجاورة فلفل وأصحابه له رجع الى مصر الى الحاكم بعد ان أخذ فلفل وأصحابه خيولهم وما
اختاروه من عددهم بين الشراء والغصب فاراد الحاكم قتله ثم عفا عنه وأقام فلفل بطرابلس الى
سنة أربعمائة فمرض وتوفى وولى أخوه ورو فاطاعته زناتة واستقام أمره فرحل باديس الى
طرابلس لحرب زناتة فلما بلغهم رحيله فارقوها وملكها باديس ففرح أهلها وأرسل ورو وأخو
فلفل الى باديس يطلب أن يكون هو ومن معه من زناتة فى أمانه ويدخلون فى طاعته ويجعلهم
عمالا كسائر عماله فأمنهم وأحسن اليهم وأعطاهم نفزاوة وقسطيلة على ان يرحلوا من اعمال
طرابلس ففعلوا ذلك ثم ان خزرون بن سعيد أخا ورو جاء الى باديس ودخل فى طاعته وفارق أخاه
فاكرمه باديس وأحسن اليه ثم ان أخاه خالف على باديس وسار الى طرابلس فحصرها وسار اليه
خزرون ليمنعه عن حصارها وكان ذلك سنة ثلاث وأربعمائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى رمضان طلع كوكب كبير له ذؤابة وفى ذى القعدة انقض كوكب كبير أيضا
كضوء القمر عند تمامه وانمحق نوره وبقى جرمه يتموج وفيها اشتدت الفتنة ببغداد وانتشر
العيارون والمفسدون فبعث بهاء الدولة عميد الجيوش أبا على بن استاذ هرمز الى العراق ليدبر
أمره فوصل الى بغداد فزينت له وقمع المفسدين ومنع السنية والشيعة من اظهار مذاهبهم ونفى

جهة أخرى فضاحكه ساعة وعاتبه وقال له يا على ألك حاجة قال نعم
يا أمير المؤمنين ان رأيت
سندان التركى فأقره منى
السلام فضحك وقال ما حاله
قال حاله انك جعلت بينى
وبينك انسانا رأيتك قبل
أن أراه وقد اشتقت اليه
فأسألك ان تبلغه منى السلام
فغلب المعتصم الضحك
وجمع بينه وبين سندان
وأكد عليه فى مراعاة أمره
فكان لا يمنع منه وعبر
المعتصم من سر من رأى
من الجانب الغربى يذلك
فى يوم مطير وقد تبع ذلك
ليلة مطيرة وانفرد من
أصحابه واذا حمار قد زلق
ورمى بما عليه من الشوك
وهو الشوك الذى توقد به
التنانير بالعراق وصاحبه
شيخ ضعيف واقف ينتظر
انسانا يمر فيعينه على حمله
فوقف عليه وقال ما لك
يا شيخ قال فديتك حمارى
وقع عنه هذا الحمل وقد
بقيت أنتظر انسانا يعيننى
على حمله فذهب المعتصم
ليخرج الحمار من الطين
فقال جعلت فداك تفسد
ثيابك هذه وطيبك الذى
أشمه من أجل حمارى
هذا قال لا عليك فنزل
واحتمل الحمار بيد واحدة
وأخرجه من الطين فبهت
الشيخ وجعل ينظر اليه
ويتعجب ويترك الشغل
بحماره ثم شد عنان فرسه
فى وسطه وأهوى الى
الشوك وهو حزمتان فحملهما فوضعهما على الحمار ثم دنا من غدير فغسل يديه واستوى على فرسه فقال الشيخ السوادى

بعد ذلك ابن المعلم فقيه الامامية فاستقام البلد وفيها فى ذى الحجة ولد الامير أبو على الحسن بن بهاء الدولة وهو الذى ملك الامر وتلقب بشرف الدولة وفيها هرب الوزير أبو العباس الضبى وزير مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه من الرى الى بدر بن حسنويه فاكرمه وقام بالوزارة بعده الخطير أبو على وفيها ولى الحاكم بأمر الله على دمشق وقيادة العساكر الشامية أبا محمد الاسود واسمه تموصلت فقدم اليها ونزل فى قصر الامارة فأقام واليا عليها سنة وشهرين ومن أعماله فيها أنه أطاف انسانا مغربيا وشهره ونادى عليه هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ثم أخرجه عنها وفيها توفى عثمان بن جنى النحوى مصنف اللمع وغيرها ببغداد وله شعر بارد والقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى بالرى وكان اماما فاضلا ذا فنون كثيرة والوليد بن بكر بن مخلد الاندلسى الفقيه المالكى وهو محدث مشهور وفيها توفى أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامى الشاعر البغدادى ومن شعره يصف الدرع وهى هذه الابيات

يارب سابغة حبتنى نعمة * كافأتها بالسوء غير مفند
أضحت تصون عن المنايا مهجتى * وظللت أبذلها لكل مهند

وله من أحسن المديح فى عضد الدولة

وكنت وعزمى والظلام وصارمى * ثلاثة أشباح كما اجتمع النسر
وبشرت آمالى بملك هو الورى * ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

وقدم الموصل فاجتمع بالخالديين من الشعراء منهم أبو الفرج الببغاء وأبو الحسين التلعفرى فامتحنوه وكان صبيا فبرز عند الامتحان وفيها توفى محمد بن العباس الخوارزمى الاديب الشاعر وكان فاضلا وتوفى بنيسابور وفيها توفى محمد بن عبد الرحمن بن زكريا أبو طاهر المخلص المحدث المشهور وأول سماعه سنة اثنتى عشرة وثلثمائة

﴿ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر استيلاء أبى العباس على البطيحة﴾

فى هذه السنة فى شعبان غلب أبو العباس بن واصل على البطيحة واخرج منها مهذب الدولة وكان ابتداء حال أبى العباس انه كان ينوب عن طاهر بن زيرك الحاجب فى الجهبذة وارتفع معه ثم اشفق منه ففارقه وسار الى شيراز واتصل بخدمة فولاذ وتقدم عنده فلما قبض على فولاذ عاد أبو العباس الى الاهواز بحال سيئة فخدم فيها ثم اصعد الى بغداد فضاق الامر عليه فخرج منها وخدم أبا محمد بن مكرم ثم انتقل الى خدمة مهذب الدولة بالبطيحة فجرد معه عسكرا وسيره الى حرب لشكرستان حين استولى على البصرة ومضى الى سيراف وأخذ ما بها لابى محمد بن مكرم من سفن ومال وأتى أسافل دجلة فغلب عليها وخلع طاعة مهذب الدولة فأرسل اليه مهذب الدولة مائة سميرية فيها مقاتلة فغرق بعضها وأخذ أبو العباس ما بقى منها وعدل الى الابلة فهزم أبا سعد بن ماكولا وهو يصحب لشكرستان فانهزم أيضا لشكرستان من بين يديه واستولى ابن واصل على البصرة ونزل دار الامارة وأمن الديلم والاجناد وقصد لشكرستان مهذب الدولة فأعاده الى قتال أبى العباس فى جيش فلقيه أبو العباس وقاتله فانهزم لشكرستان وقتل كثير من رجاله واستولى أبو العباس على ثقله وأمواله واصعد الى البطيحة وأرسل الى مهذب الدولة يقول له قد هزمت جندك ودخلت بلدك فخذ لنفسك فسار مهذب الدولة الى بشامنى وصار عند أبى شجاع فارس ابن مردان وابنه صدقة فغدر به وأخذ أمواله فاضطر الى الهرب وسار الى واسط فوصلها على أقبح

رضى الله عنك وقال بالنبطية اسعل فرمى باجوافنا وتفسير ذلك فديتك يا شاب وأقبلت الخيول فقال لبعض خاصته أعط هذا الشيخ أربعة آلاف درهم وكن معه حتى تجاوز به أصحاب المسالح وتبلغ به قريته وفى سنة تسع عشرة ومائتين كانت وفاة أبى نعيم الفضل ابن دكين مولى طلحة بن عبد الله بالكوفة وبشر بن غياث المريسى وعبد الله بن رجاء العراقى وفيها ضرب المعتصم أحمد بن حنبل ثمانية وثلاثين سوطا ليقول بخلق القرآن وفى هذه السنة وهى سنة تسع عشرة ومائتين قبض محمد بن على ابن موسى بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وذلك لخمس خلون من ذى الحجة ودفن ببغداد فى الجانب الغربى بمقابر قريش مع جده موسى بن جعفر وصلى عليه الواثق وقبض وهو ابن خمس وعشرين سنة وقبض أبوه على بن موسى الرضا ومحمد ابن سبع سنين وثمانية أشهر وقيل غير ذلك وقيل ان أم الفضل بنت المأمون لما قدمت معه من المدينة الى المعتصم سمته وانما ذكرنا من أمره ما وصفنا لان أهل الامامة اختلفوا فى مقدار سنه عند وفاة أبيه وقد أتينا على ما قيل فى ذلك فى رسالة البيان فى أسماء الائمة وما قالت فى ذلك الشيعة من القطعية وفى هذه السنة وهى سنة تسع عشرة ومائتين أخاف المعتصم محمد بن القاسم بن

صورة فخرج اليه أهلها فلقوه وأصعدت زوجته ابنة الملك بهاء الدولة الى بغداد واصعد مهذب الدولة اليها فلم يمكن من الوصول اليها وأما ابن واصل فانه استولى على أموال مهذب الدولة وبلاده وكانت عظيمة ووكل بدار زوجته ابنة بهاء الدولة من يحرسها ثم جمع كل ما فيها وأرسله الى أبيها واضطرب عليه أهل البطائح واختلفوا فسير سبعمائة فارس الى الجازرة لاصلاحها فقاتلوهم أهلها فظفروا بالعسكر وقتلوا فيهم كثيرا وانتشر الامر على أبى العباس بن واصل فعاد الى البصرة خوفا ان ينتشر الامر عليه بها وترك البطائح شاغرة ليس فيها أحد يحفظها ولما سمع بهاء الدولة بحال أبى العباس وقوته خافه على البلاد فسار من فارس الى الاهواز لتلافى أمره واحضر عنده عميد الجيوش من بغداد وجهز معه عسكرا كثيفا وسيرهم الى أبى العباس فأتى الى واسط وعمل ما يحتاج اليه من سفن وغيرها وسار الى البطائح وفرق جنده فى البلاد لتقرير قواعدها وسمع أبو العباس بمسيره اليه فاصعد اليه من البصرة وأرسل يقول له ما أحوجك تتكلف الانحدار وقد أتيتك فخذ لنفسك ووصل الى عميد الجيوش وهو على تلك الحال من تفرق العسكر عنه فلقيه فيمن معه بالصليق فانهزم عميد الجيوش ووقع من معه بعضهم على بعض ولقى عميد الجيوش شدة الى ان وصل الى واسط وذهب ثقله وخيامه وخزائنه فاخبره خازنه أنه قد دفن فى الخيمة ثلاثين ألف دينار وخمسين ألف درهم فانفذ احضرها فقوى بها ونذكر باقى خبر البطائح سنة خمس وتسعين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة قلد بهاء الدولة النقيب ابا أحمد الموسوى والد الشريف الرضى نقابة العلويين بالعراق وقضاء القضاة والحج والمظالم وكتب عهده بذلك من شيراز ولقب الطاهر ذا المناقب فامتنع الخليفة من تقليده قضاء القضاة وامضى ما سواه وفيها اخرج الاصيفر المنتفقى على الحاج وحصرهم بالبطانية وعزم على أخذهم وكان فيهم أبو الحسن الرفاء وأبو عبد الله الدجاجى وكانا يقرآن القرآن بأصوات لم يسمع مثلها فحضرا عند الاصيفر وقرآ القرآن فترك الحجاج وعاد وقال لهما قد تركت لكما ألف ألف دينار

﴿ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر عود مهذب الدولة الى البطيحة﴾

قد ذكرنا انهزام عميد الجيوش من أبى العباس بن واصل فلما انهزم أقام بواسط وجمع العساكر عازما على العود الى البطائح وكان أبو العباس قد ترك بها نائبا له فلم يتمكن من المقام بها ففارقها الى صاحبه فأرسل عميد الجيوش اليها نائبا من أهل البطائح فعسف الناس وأخذ الاموال ولم يلتفت الى عميد الجيوش فأرسل الى بغداد وأحضر مهذب الدولة وسير معه العساكر فى السفن الى البطيحة فلما وصلها لقيه أهل البلاد وسروا بقدومه وسلموا اليه جميع الولايات واستقر عليه لبهاء الدولة كل سنة خمسون ألف دينار ولم يعرض اليه ابن واصل فاشتغل عنه بالتجهيز الى خوزستان وحفر نهرا الى جانب النهر العضدى بين البصرة والاهواز وكثر ماؤه وكان قد اجتمع عنده جمع كثير من الديلم وأنواع الاجناد ولما كثر ماله وذخائره وما استولى عليه من البطيحة قوى طمعه فى الملك وسار هو وعسكره الى الاهواز فى ذى القعدة فجهز اليه بهاء الدولة جيشا فى الماء فالتقوا بنهر السدرة فاقتتلوا وخاتلهم أبو العباس وسار الى الاهواز وتبعه من كان قد لقيه من العسكر فالتقوا بظاهر الاهواز وانضاف الى عسكر بهاء الدولة العساكر التى بالاهواز فاستظهر أبو العباس عليهم ورحل بهاء الدولة الى قنطرة أربق عازما على المسير الى فارس ودخل أبو العباس

على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رحمهم الله وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع ونهاية الوصف فلما خاف على نفسه هرب فصار الى خراسان فتنقل من مواضع كثيرة من كورها كمرو وسرخس والطالقان ونسا فكانت له هناك حروب وكوائن وانقاد اليه والى امامته خلق كثير من الناس ثم حمله عبد الله بن طاهر الى المعتصم فحبسه فى ازج اتخذه فى بستان بسر من رأى وقد تنوزع فى محمد بن القاسم فمن قائل يقول انه قتل بالسم ومنهم من يقول ان ناسا من شيعته من الطالقان أتوا ذلك البستان فتاقوا للخدمة فيه من غرس وزراعة واتخذوا سلالم من الحبال واللبود والطالقانية ونقبوا الازج وأخرجوه فذهبوا به فلم يعرف له خبر الى هذه الغاية وقد انقاد الى امامته خلق كثير من الزيدية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ومنهم خلق كثير يزعمون أن محمدا لم يمت وأنه حى يرزق وأنه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جورا وأنه مهدى هذه الامة وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان وقول هؤلاء فى محمد بن القاسم نحو قول رافضة الكيسانية فى محمد بن الحنفية ونحو من قول الواقفية فى موسى بن جعفر وهم الممطورة بهذا تعرف هذه

الى دار المملكة وأخذ ما فيها من الامتعة والاثاث المتخلف عن بهاء الدولة الا انه لم يمكنه المقام لان بهاء الدولة كان قد جهز عسكرا ليسير في البحر الى البصرة فخاف أبو العباس من ذلك وراسل بهاء الدولة وصالحه وزاد في اقطاعه وحلف كل واحد منهما لصاحبه وعاد الى البصرة وحمل معه كل ما أخذه من دار بهاء الدولة ودور الاكابر والقواد والتجار

﴿ذكر غزوة بهاطية﴾

في هذه السنة غزا يمين الدولة بهاطية من أعمال الهند وهي وراء المولتان وصاحبها يعرف ببحيرا وهي مدينة حصينة عالية السور يحيط بها خندق عميق فامتنع صاحبها بها ثم انه خرج الى ظاهرها فقاتل المسلمين ثلاثة أيام ثم انهزم في الرابع وطلب المدينة ليدخلها هو وأصحابه فسبقهم المسلمون الى باب البلد فملكوه عليهم وأخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم فقتل المقاتلة وسبيت الذرية وأخذت الاموال وأما بحيرا فانه لما عاين الهلاك أخذ جماعة من ثقاته وسار الى رؤس تلك الجبال فسير اليه يمين الدولة سرية فلم يشعر بهم بحيرا الا وقد أحاطوا به وحكموا السيوف في أصحابه فلما أيقن بالعطب أخذ خنجرا معه فقتل به نفسه وأقام يمين الدولة ببهاطية حتى أصلح أمرها ورتب قواعدها وعاد عنها الى غزنة واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعلمه ولقي في عوده شدة شديدة من الامطار وكثرتها وزيادة الانهار فغرق منه ومن عسكره شئ عظيم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة كان بافريقية غلاء شديد بحيث تعطلت المخابز والحمامات وهلك الناس وذهبت الاموال من الاغنياء وكثر الوباء فكان يموت كل يوم ما بين خمسمائة الى سبعمائة وفيها وصل قرواش وأبو جعفر الحجاج الى الكوفة فقبضا على أبي علي عمر بن محمد بن عمر العلوي وأخذ منه قرواش مائة ألف دينار وحمله معه الى الانبار وفيها توفي اسحق بن حمدان بن محمد بن نوح أبو ابراهيم المهابي وفيها توفي محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن أبي اسمعيل العلوي الهمذاني الفقيه الشافعي رحمه الله تعالى

﴿ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر غزوة المولتان﴾

في هذه السنة غزا السلطان يمين الدولة المولتان وكان سبب ذلك ان واليها أبا الفتوح نقل عنه خبث اعتقاده ونسب الى الالحاد وأنه قد دعا أهل ولايته الى ما هو عليه فاجابوه فرأى يمين الدولة ان يجاهده ويستنزله عما هو عليه فسار نحوه فرأى الانهار التي في طريقه كثيرة الزيادة عظيمة المد وخاصة سيحون فانه منع جانبه من العبور فأرسل الى اندبال يطلب اليه ان يأذن له في العبور ببلاده الى المولتان فلم يجبه الى ذلك فابتدأ به قبل المولتان وقال نجمع بين غزوتين لانه لا غزو الا التعقيب فدخل بلاده وجاسها وأكثر القتل فيها والنهب لاموال أهلها والاحراق لابنيتها ففر اندبال من بين يديه وهو في أثره كالشهاب في أثر الشيطان من مضيق الى مضيق الى ان وصل الى قشمير ولما سمع أبو الفتوح بخبر اقباله اليه علم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه فنقل أمواله الى سرنديب وأخلى المولتان فوصل يمين الدولة اليها ونازلها فاذا أهلها في ضلالهم يعمهون فحصرهم وضيق عليهم وتابع القتال حتى افتتحها عنوة وألزم أهلها عشرين ألف درهم عقوبة لعصيانهم

﴿ذكر غزوة كواكير﴾

ثم سار عنها الى قلعة كواكير وكان صاحبها يعرف ببيدا وكان بها ستمائة صنم فافتتحها وأحرق

الطائفة من بين فرق الشيعة وقد أتينا على وصف قولهم في المقالات في أصول الديانات ووصف قول غلاتهم من العلوية وغيرهم من المحمدية وسائر فرق أهل الباطل ممن قال بتنقل الارواح في أنواع الاشخاص من بهم الحيوان وغيره في كتابنا المترجم بكتاب سر الحياة وكان المعتصم يحب جمع الاتراك وشراءهم من أيدي مواليهم فاجتمع له منهم أربعة آلاف فألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة وأبانهم بالزي عن سائر جنوده وقد كان اصطنع قوما من حوف مصر من حوف اليمن وحوف قيس فسماهم المغاربة واستفذ رجال خراسان من الفراغنة وغيرهم من الاشروسنية فكثر جيشه وكانت الاتراك تؤذي العوام بمدينة السلام بجريها الخيول في الاسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمة لامرأة أو شيخ كبير أو صبي أو ضرير فعزم المعتصم على النقلة منهم وأن ينزل في فضاء من الارض فنزل البراذان على أربعة فراسخ من بغداد فلم يستطب هواءها ولا اتسع له فضاؤها فلم يزل يتنقل ويتفر المواضع والاماكن الى دجلة وغيرها حتى انتهى الى الموضع المعروف بالقاطول

الاصنام فهرب صاحبها الى قلعته المعروفة بكالنجار فسار خلفه اليها وهو حصن كبير يسع خمسمائة ألف انسان وفيه خمسمائة فيل وعشرون ألف دابة وفي الحصن ما يكفي الجميع مدة فلما قاربها يمين الدولة وبقي بينهما سبعة فراسخ رأى من الغياض المانعة من سلوك الطريق ما لا حد عليه فأمر بقطعها ورأى في الطريق واديا عظيم العمق بعيد القعر فأمر ان يطم منه مقدار ما يسع عشرين فارسا فطموه بالجلود المملوءة ترابا ووصل الى القلعة فحصرها ثلاثة وأربعين يوما وراسله صاحبها في الصلح فلم يجبه ثم بلغه عن خراسان اختلاف بسبب قصد ايلك الخان لها فصالح ملك الهند على خمسمائة فيل وثلاثة آلاف منا فضة ولبس خلعة يمين الدولة بعد ان استعفى من شد المنطقة فانه اشتد عليه فلم يجبه يمين الدولة الى ذلك فشد المنطقة وقطع اصبعه الخنصر وأنفذها الى يمين الدولة توثقة فيما يعتقدونه وعاد يمين الدولة الى خراسان لاصلاح ما اختلف فيها وكان عازما على الوغول في بلاد الهند

﴿ذكر عبور عسكر ايلك الخان الى خراسان﴾

كان يمين الدولة لما استقر له ملك خراسان وملك ايلك الخان ما وراء النهر قد راسله ووافقه وتزوج ابنته وانعقدت بينهما مصاهرة ومصالحة فلم تزل السعاة حتى أفسدوا ذات بينهما وكتم ايلك الخان ما في نفسه فلما سار يمين الدولة الى المولتان اغتنم ايلك الخان خلو خراسان فسير سباشي تكين صاحب جيشه في هذه السنة الى خراسان في معظم جنده وسير أخاه جعفر تكين الى بلخ في عدة من الامراء وكان يمين الدولة قد جعل بهراة أميرا من أكابر أمرائه يقال له ارسلان الجاذب وأمره اذا ظهر عليه مخالف ان ينحاز الى غزنة فلما عبر سباشي تكين الى خراسان سار ارسلان الى غزنة وملك سباشي هراة وأقام بها وأرسل الى نيسابور من استولى عليها واتصلت الاخبار بيمين الدولة وهو بالهند فرجع الى غزنة لا يلوي على دار ولا يركن الى قرار فلما بلغها فرق في عساكره الاموال وقواهم وأصلح ما أراد اصلاحه واستمد الاتراك الخلجية فجاءه منهم خلق كثير وسار بهم نحو بلخ وبها جعفر تكين أخو ايلك الخان فعبر الى ترمذ ونزل يمين الدولة ببلخ وسير العساكر الى سباشي تكين بهراة فلما قاربوه سار نحو مرو ليعبر النهر فلقيه التركمان الغزية فقاتلوه فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم سار نحو ابيورد لتعذر العبور عليه فتبعه عسكر يمين الدولة كلما رحل نزلوا حتى ساقه الخوف من الطلب الى جرجان فأخرج عنها ثم عاد الى خراسان فعارضه يمين الدولة فمنعه عن مقصده واسر أخو سباشي تكين وجماعة من قواده ونجا هو في خف من أصحابه فعبر النهر وكان ايلك الخان قد عبر أخاه جعفر تكين الى بلخ ليلفت يمين الدولة عن طلب سباشي فلم يرجع وجعل دأبه اخراج سباشي من خراسان فلما أخرجه عنها عاد الى بلخ فانهزم من كان بها مع جعفر تكين وسلمت خراسان ليمين الدولة

﴿ذكر الحرب بين عسكر بهاء الدولة والاكراد﴾

في هذه السنة سير عميد الجيوش عسكرا الى البندنيجين وجعل المقدم عليهم قائدا كبيرا من الديلم فلما وصلوا اليها سار اليهم جمع كثير من الاكراد فاقتتلوا فانهزم الديلم وغنم الاكراد رحالهم ودوابهم ووجد المقدم عليهم من ثيابه فأخذ قميصا من رجل سوادي وعاد راجلا حافيا ولم يكن مقامهم غير أيام قليلة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قلد الشريف الرضي نقابة الطالبيين بالعراق ولقب بالرضي ذي الحسبين ولقب

فاستطاب الموضع وكان هناك قرية يسكنها خلق من الجرامقة وناس من النبط على النهر المعروف بالقاطول آخذا من دجلة فبنى هنالك قصرا وبنى الناس وانتقلوا عن مدينة السلام وخلت من السكان الا اليسير وكان فيما قاله بعض العيارين في ذلك معيرا للمعتصم بانتقاله عنهم

أيا ساكن القاطول بين الجرامقة
تركت ببغداد الكباش البطارقة

ونالت من المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة أرضه وتأذوا بالبالي في ذلك يقول بعض من كان في الجيش

قالوا لنا ان بالقاطول مشتانا
فنحن نأمل صنع الله مولانا
الناس يأتمرون الرأي بينهم
والله في كل يوم محدث شانا

ولما تأذى المعتصم بالموضع وتعذر البناء فيه خرج يتقرى المواضع فانتهى الى موضع سامرا وكان هنالك للنصارى دير عادي فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع فقال يعرف بسامرا قال له المعتصم وما معنى سامرا قال نجدها في الكتب السالفة والامم الماضية انها مدينة سام بن نوح قال له المعتصم ومن أي بلاد هي والام تضاف قال من بلاد طيرهان واليها تضاف فنظر المعتصم الى فضاء واسع تسافر فيه الابصار وهواء طيب وأرض صحيحة فاستمراها واستطاب

أخوه المرتضى ذا المجدين فعل ذلك بهاء الدولة وفيها توفي أبو أحمد عبد الرحيم بن علي بن المرزبان الاصبهاني قاضي خراسان وكان اليه أمر البيمارستان ببغداد وفيها مستهل شعبان طلع كوكب كبير يشبه الزهرة عن يسرة قبلة العراق له شعاع على الارض كشعاع القمر وبقي الى منتصف ذي القعدة وغاب وفيها توفي أبو سعد اسمعيل بن أحمد بن ابراهيم بن اسمعيل الاسماعيلي الامام الفقيه الشافعي بجرجان في ربيع الآخر ومحمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده أبو عبد الله الحافظ الاصبهاني المشهور له التصانيف المعروفة

﴿ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر هزيمة ايلك الخان﴾

لما انهزم عين الدولة عساكر ايلك الخان من خراسان راسل ايلك الخان قدرخان بن بغرخان ملك الختن لقرابة بينهما وذكر له حاله واستعان به واستنصره واستنفر الترك من اقاصي بلادها وسار نحو خراسان واجتمع هو وايلك الخان فعبرا النهر وبلغ الخبر عين الدولة وهو بطخارستان فسار وسبقهما الى بلخ واستعد للحرب وجمع الترك الغزية والخلج والهند والافغانية والغزنوية وخرج عن بلخ فعسكر على فرسخين بمكان فسيح يصلح للحرب وتقدم ايلك الخان وقدرخان في عساكرهما فنزلوا بازائه واقتتلوا يومهم ذلك الى الليل فلما كان الغد برز بعضهم الى بعض واقتتلوا واعتزل عين الدولة الى نشز مرتفع ينظر الى الحرب ونزل عن دابته وعفر وجهه على الصعيد تواضعا لله تعالى وسأله النصر والظفر ثم نزل وحمل في فيلته على قلب ايلك الخان فأزاله عن مكانه ووقعت الهزيمة فيهم وتبعهم أصحاب عين الدولة يقتلون ويأسرون ويغنمون الى ان عبروا بهم النهر واكثر الشعراء تهنئة عين الدولة بهذا الفتح

﴿ذكر غزوه الى الهند﴾

فلما فرغ عين الدولة من الترك سار نحو الهند للغزاة وسبب ذلك ان بعض أولاد ملوك الهند يعرف بنواسه شاه كان قد أسلم على يده واستخلفه على بعض ما افتتحه من بلادهم فلما كان الآن بلغه انه ارتد عن الاسلام ومالأ أهل الكفر والطغيان فسار اليه مجدا فخين قارب فر الهندي من بين يديه واستعاد عين الدولة تلك الولاية واعادها الى حكم الاسلام واستخلف عليها بعض أصحابه وعاد الى غزنة

﴿ذكر حصر أبي جعفر الحجاج بغداد﴾

في هذه السنة جمع أبو جعفر الحجاج جمعا كثيرا وأمده بدر بن حسنويه بجيش كثير فسار بالجميع وحصر بغداد وسبب ذلك ان أبا جعفر كان نازلا على فلج حامي طريق خراسان وكان فلج مباينا لعميد الجيوش فاجتمع الذلك فتوفي فلج هذه السنة فجعل عميد الجيوش على حماية الطريق أبا الفتح بن عناز وكان عدو البدر بن حسنويه فحقد ذلك بدر فاستدعى أبا جعفر الحجاج وجمع له جمعا كثيرا منهم الامير هندي بن سعدي وأبو عيسى شاذي بن محمد وورام بن محمد وغيرهم وسيرهم الى بغداد وكان الامير أبو الحسن علي بن مزيد الاسدي قد عاد من عند بهاء الدولة بخوزستان مغضبا فاجتمع معهم فزادت عدتهم على عشرة آلاف فارس وكان عميد الجيوش عند بهاء الدولة لقتال أبي العباس بن واصل فسار أبو جعفر ومن اجتمع معه الى بغداد ونزلوا على فرسخ منها واقاموا شهرا وببغداد جمع من الاتراك ومعهم أبو الفتح بن عناز فحفظوا البلد فبينما هم كذلك أتاهم خبر انهزام أبي العباس وقوة بهاء الدولة ففت ذلك في اعضاد أبي جعفر ومن معه فتفرقوا فعاد

ابن

هواءها وأقام هنالك ثلاثا يتصيد في كل يوم فوجد نفسه تتوق الى الغذاء وتطلب الزيادة على العادة الجارية فعلم أن ذلك لتأثير الهواء والتربة فلما استطاب الموضع دعا بأهل الدير فاشترى منهم أرضهم بأربعة آلاف دينار وارتاد لبناء قصره موضعا فيها فأسس بنيانه وهو الموضع المعروف بالوزيرية بسر من رأى والبها يضاف التين الوزيري وهو أعذب الاتيان وأرقها قشرا وأصغرها حبا لا يبلغه تين الشام ولا تين أهلان وحلوان فارتفع البنيان وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الامصار ونقل اليها من سائر البقاع أنواع الغروس والأشجار فجعل للاتراك قطائع متميزة وجاورهم بالفراغنة والاشروسنية وغيرهم من مدن خراسان على قدر قربهم منهم في بلادهم وأقطع اشناس التركي وأصحابه من الاتراك الموضع المعروف بكرخ سامرا ومن الفراغنة من أنزلهم الموضع المعروف بالعمري والجسر واختطت الخطط واقتطعت القطائع والشوارع والدروب وأفرد أهل كل صنعة بسوق وكذلك التجار فبنى الناس وارتفع البنيان وشيدت الدور والقصور وكثرت العمارة واستنبطت المياه وجرت من دجلة وغيرها وتسامع الناس أن دار ملك قد اتخذت فقصدوها وجهزوا اليها

ابن مزيد الى بلده وسار أبو جعفر وأبو عيسى الى حلوان وراسل أبو جعفر في اصلاح حاله مع بهاء الدولة فأجابه الى ذلك فحضر عنده بتستر فلم يلتفت اليه لئلا يستوحش عميد الجيوش

﴿ذكر قصد بدر ولاية رافع بن مقن﴾

كان أبو الفتح بن عناز التجأ الى رافع بن محمد بن مقن ونزل عليه حين أخذ بدر بن حسنويه منه حلوان وقرميسين فأرسل بدر الى رافع يذكره مودة أبيه وحقوقه عليه ويعتب عليه حيث آوى خصمه ويطلب اليه ان يبعده ليدوم له على العهد والود القديم فلم يفعل رافع ذلك فارسل بدر جيشا الى اعمال رافع بالجانب الشرقي من دجلة فنهبوها وقصدوا داره بالمطيرة فنهبوها واحرقوها وساروا الى قلعة البردان وهي لرافع أيضا ففتحوها ونهبوا وأحرقوا ما كان بها من الغلات وطموا بئرها فسار أبو الفتح الى عميد الجيوش ببغداد فخلع عليه واكرمه ووعده نصره

﴿ذكر قتل أبي العباس بن واصل﴾

في هذه السنة قتل أبو العباس بن واصل صاحب البصرة وقد تقدم ذكر ابتداء حاله وارتفاعه واستيلائه على البطيحة وما أخذه من الاموال وما هزم من جيوش السلطان وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه فلما عظم أمره سار بهاء الدولة من فارس الى الاهواز ليحفظ خوزستان منه وكان في البطائح مقابل عميد الجيوش فلما فرغ منه سار الى الاهواز وبها بهاء الدولة فملكها على ما ذكرناه وعاد عنها على صلح مع بهاء الدولة الى البصرة وقد ذكرناه أيضا ثم تجدد ما أوجب عوده الى الاهواز فعاد اليها في جيشه وبهاء الدولة مقيم بها فلما قاربها رحل بهاء الدولة عنها القلة عسكره وتفرقهم بعضهم بفارس وبعضهم بالعراق وقطع قنطرة اربق وبقي النهر يحجز بين الفريقين فاستولى أبو العباس على الاهواز وأتاه مدد من بدر بن حسنويه ثلاثة آلاف فارس فقوي بهم وعزم بهاء الدولة على العود الى فارس فمنعه أصحابه فاصلح أبو العباس القنطرة وجرى بين العسكرين قتال شديد دام الى العصر ثم عبر أبو العباس على القنطرة بعد أن أصلحها والتقى العسكران واشتد القتال فانهزم أبو العباس وقتل من أصحابه كثير وعاد الى البصرة مهزوما منتصف رمضان سنة ست وتسعين وثلثمائة فلما عاد منهزما جهز بهاء الدولة اليه العساكر مع وزيره أبي غالب فسار اليه ونزل عليه محاصرا له وجرى بين العسكرين القتال وضاق الامر على الوزير وقل المال عنده واستمد بهاء الدولة فلم يمده ثم ان أبا العباس جمع سفنه وعساكره واصعد الى عسكر الوزير وهجم عليه فانهزم الوزير وكاد يتم على الهزيمة فاستوقفه بعض الديلم وثبته وحملوا على أبي العباس فانهزم هو وأصحابه وأخذ الوزير سفنه فاستأمن اليه كثير من أصحابه ومضى أبو العباس منهزما وركب مع حسان بن ثمال الخفاجي هاربا الى الكوفة ودخل الوزير البصرة وكتب الى بهاء الدولة بالفتح ثم ان أبا العباس سار من الكوفة وقطع دجلة ومضى عازما على اللحاق ببدر بن حسنويه فبلغ خانقين وبها جعفر بن العوام في طاعة بدر فانزله واكرمه وأشار عليه بالمسير في وقته وحذره الطلب فاعتل بالتعب وطلب الاستراحة ونام وبلغ خبره الى أبي الفتح بن عناز وهو في طاعة بهاء الدولة وكان قريبا منهم فسار اليهم بخانقين وهو بها فحصره وأخذه وسار به الى بغداد فسيره عميد الجيوش الى بهاء الدولة فلقيهم في الطريق قاصد من بهاء الدولة يأمره بقتله فقتل وحمل رأسه الى بهاء الدولة وطيف به بخوزستان وفارس وكان بواسط عاشر صفر

﴿ذكر مسير عميد الجيوش الى حرب بدر وصلحه معه﴾

كان في نفس بهاء الدولة على بدر بن حسنويه حقد لما اعتمده في بلاده لاشتغاله عنه بأبي العباس

من أنواع الامتعة وسائر ما ينتفع به الناس وغيرهم من الحيوان وكثر العيش واتسع الرزق وشملهم الاحسان وعمهم العدل وكان بدء ما وصفنا فيها فعله المعتصم سنة احدى وعشرين ومائتين واشتد أمر بابك وسار عساكره نحو تلك الامصار فدق العساكر وكثر الجيوش فسير اليه المعتصم بالجيوش وعليها الافشين وكثرت حروبه واتصلت وضاق بابك في بلاده حتى انفض جمعه وقتل رجاله وامتنع بالجبل المعروف بالبذ من أرض الران وهي بلاد بابك وبه يعرف الى هذا الوقت فلما استشعر بابك ما نزل به وأشرف عليه هرب من موضعه وزال عن مكانه فتنكر هو وأخوه وولده وأهله ومن تبعه من خواصه وقد تزيا بزي السفر وأهل التجارة والقوافل فنزل موضعا من بلاد أرمينية على بعض المياه وبالقرب منهم راعي غنم فابتاعوا منه شاة وساموا شراء شيء من الزاد لهم فمضى من فوره الى سهل ابن سنباط فاخبره الخبر وقال هو بابك لا شك فيه وقد كان الافشين لما هرب بابك من موضعه وزال عن جبله خشي أن يعتصم ببعض الجبال المنيعة أو يتحصن ببعض القلاع أو ينضاف الى بعض الامم القاطنة ببعض تلك الديار فيكثر جمعه وينضاف اليه فلال عسكره فيرجع الى ما كان من أمره فأخذ الطرق وكاتب البطارقة

ابن واصل فلما قتل أبو العباس أمر بهاء الدولة عميد الجيوش بالمسير الى بلاده واعطاه مالا أنفقه فى الجند فجمع عسكرا وسار يريد بلاده فنزل جنديسابور فأرسل اليه بدر انك لم تقدر على ان تأخذ ما تغلب عليه بنو عقيل من أعمالكم وبينهم وبين بغداد فرسخ حتى صالحتهم فكيف تقدر على أخذ بلادى وحصونى منى ومعى من الاموال ماليس معك مثلها وانا معك بين أمرين ان حاربتك فالحرب سجال ولا نعلم لمن العاقبة فان انهزمت أنا لم ينفعك ذلك لانى أحتمى بقلاعى ومعاقلى وانفق أموالى واذا عجزت فأنا رجل صحراوى صاحب عمد أبعد ثم اقرب وان انهزمت أنت لم تجتمع وتاتى من صاحبك العسف والرأى ان أحمل اليك مالا ترضى به صاحبك وتصطلح فأجابه الى ذلك وصالحه وأخذ منه ما كان أخرجه على تجهيز الجيش وعاد عنه

﴿ذكر الحرب بين قرواش وأبى على بن ثمال الخفاجى﴾

فى المحرم جرت وقعة بين معتمد الدولة أبى المنيع قرواش بن المقلد العقيلى وبين أبى على بن ثمال الخفاجى وكان سببها ان قرواش جمع جمعا كثيرا وسار الى الكوفة وأبو على غائب عنها فدخلها ونزل بها وعرف أبو على الخبر فسار اليه فالتقوا واقتتلوا فانهزم قرواش وعاد الى الانبار مفلولا وملك أبو على الكوفة وأخذ أصحاب قرواش فصادرهم

﴿ذكر خروج أبى ركوة على الحاكم بمصر﴾

فى هذه السنة ظفر الحاكم بأبى ركوة ونحن نذكرها هنا خبره أجمع كان أبو ركوة اسمه الوليد وانما كنى أبا ركوة لركوة كان يحملها فى اسفاره سنة الصوفية وهو من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان ويقرب فى النسب من المؤيد هشام بن الحاكم الاموى صاحب الاندلس وان المنصور ابن أبى عامر لما استولى على المؤيد واخفاه عن الناس تتبع أهله ومن يصلح منهم للملك فطلبه فقتل البعض وهرب البعض وكان أبو ركوة ممن هرب وعمره حينئذ قد زاد على العشرين سنة وقصد مصر وكتب الحديث ثم سار الى مكة واليمن وعاد الى مصر وعاد بها الى القائم فأجابه بنو قرة وغيرهم وسبب اجابتهم ان الحاكم بأمر الله كان قد أسرف فى مصر فى قتل القواد وحبسهم وأخذ أموالهم وسائر القبائل معه فى ضنك وضيق ويودون خروج الملك عن يده وكان الحاكم فى الوقت الذى دعا أبو ركوة بنى قرة قد آذاهم وحبس منهم جماعة من أعيانهم وقتل بعضهم فلما دعاهم أبو ركوة انقادوا له وكان بين بنى قرة وبين زناتة حروب ودماء فاتفقوا على الصلح ومنع أنفسهم من الحاكم فقصد بنى قرة وفتح مكتبا يعلم الصبيان الخط وتظاهر بالدين والنسك وأمهم فى صلواتهم فشرع فى دعوتهم الى ما يريد فأجابوه وبايعوه واتفقوا عليه وعرفهم حينئذ نفسه وذكر لهم ان عندهم فى الكتب أنه يملك مصر وغيرها ووعدهم ومناهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا فاجتمعت بنو قرة وزناتة على بيعته وخاطبوه بالامامة وكانوا بنواحى برقة فلما سمع الوالى ببرقة خبره كتب الى الحاكم ينهيه اليه ويستأذنه فى قصدهم واصلاحهم فأمره بالكف عنهم واطراحهم ثم ان أبا ركوة جمعهم وسار الى برقة واستقر بينهم أن يكون الثلث من الغنائم له والثلثان لبنى قرة وزناتة فلما قاربها خرج اليه واليها فالتقوا فانهزم عسكر الحاكم وملك ابو ركوة برقة وقوى هو ومن معه بما أخذوا من الاموال والسلاح وغيره ونادى بالكف عن الرعية والنهب وأظهر العدل وأمر بالمعروف فلما وصل المنهزمون الى الحاكم عظم عليه الامر وأهمته نفسه وملكه وعاود الاحسان الى الناس والكف عن اذاهم وندب عسكرا نحو خمسة آلاف فارس وسيرهم وقدم عليهم قائدا يعرف بينال الطويل وسيره فبلغ ذات الحمام وبينها وبين

بلاد أرمينية وأذربيجان والران والبيلقان وضمن فى ذلك الرغائب فلما سمع سهل

فى الحصون والمواضع من ابن سنباط من الراعى ما أخبره به سار من فوره فيمن حضر من عدده وأصحابه حتى أتى الموضع الذى به بابك فترجل له ودنا منه وسلم عليه بالملك وقال له أيها الملك قم الى قصرك الذى فيه وليك وموضع يمنعك فيه الله من عدوك فسار معه الى أن أتى قلعته وأجلسه على سريره ورفع منزلته ووطأه منزلة ومن معه وقدمت المائدة وقعد يأكل معه فقال له بابك بجهله وقلة معرفته بما هو فيه وما دفع اليه أمثلك يأكل معى فقام سهل عن المائدة وقال اخطأت أيها الملك وأنت أحق من احتمل عبده اذ كانت منزلتى ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك وجاءه بحداد وقال له مد رجليك أيها الملك وأوثقه بالحديد فقال له بابك أغدرا يا سهل قال يا ابن الخبيثة انما أنت راعى غنم وبقر ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات وقيد من كان معه وأرسل الى الافشين يخبره الخبر وأن الرجل عنده فسرح اليه الافشين أربعة آلاف فارس عليهم الحديد وعليهم خليفة يقال له بوماده فتسلمه ومن معه وأتى به الى الافشين ومعه ابن سنباط فرفع الافشين منزلة سهل وخلع عليه وحمله وتوجه وقاد بين يديه وأسقط عنه الخراج

برقة مفازة فيها منزلان لا يلحق السالك الماء الا فى آبار عميقة بصعوبة وشدة فسير أبو ركوة قائدا فى ألف فارس وأمرهم بالمسير الى ينال ومن معه ومطاردتهم قبل الوصول الى المنزلين المذكورين وأمرهم اذا عادوا أن يغوروا الآبار ففعلوا ذلك وعادوا فحينئذ سار أبو ركوة فى عساكره ولقيهم وقد خرجوا من المفازة على ضعف وعطش فقاتلهم فاشتد القتال فحمل ينال على عسكر أبى ركوة فقتل منهم خلقا كثيرا وأبو ركوة واقف لم يحمل هو ولا عسكره فاستأمن اليه جماعة كثيرة من كنامة لما نالهم من الاذى والقتل من الحاكم وأخذوا الامان لمن بقى من أصحابهم ولحقهم الباقون فحمل حينئذ بهم على عساكر الحاكم فانهزمت وأسر ينال وقتل وأسر أكثر عسكره وقتل منهم خلق كثير وعاد الى برقة وقد امتلأت أيديهم من الغنائم وانتشر ذكره وعظمت هيبته وأقام ببرقة وترددت سراياه الى الصعيد وأرض مصر وقام الحاكم من ذلك وقعد وسقط فى يده وندم على ما فرط وفرح جند مصر وأعيانها وعلم الحاكم ذلك فاشتد قلقه وأظهر الاعتذار عن الذى فعله وكتب الناس الى أبى ركوة يستدعونه وممن كتب اليه الحسين بن جوهر المعروف بقائد القواد فسار حينئذ عن برقة الى الصعيد وعلم الحاكم فاشتد خوفه وبلغ الامر به كل مبلغ وجمع عساكره واستشارهم وكتب الى الشام يستدعى العساكر فجاءته وفرق الاموال والدواب والسلاح وسيرهم وهم اثنا عشر ألف رجل بين فارس وراجل سوى العرب واستعمل عليهم الفضل بن عبد الله فلما قاربوا أبا ركوة لقيهم فى عساكره ورام مناجزة المصريين والفضل يحاجزه ويدافع ويراسل أصحاب أبى ركوة يستميلهم ويبذل لهم الرغائب فأجابه قائد كبير من بنى قرة يعرف بالماضى وكان يطالعه باخبار القوم وما هم عازمون فيدبر الفضل أمره على حسب ما يعلمه منه وضاقت الميرة على العساكر فاضطر الفضل الى اللقاء فالتقوا واقتتلوا بكوم شريك فقتل بين الفريقين قتلى كثيرة ورأى الفضل من جمع أبى ركوة ما هاله وخاف المناجزة فعاد الى عسكره وراسل بنو قرة العرب الذين فى عسكر الحاكم يستدعونهم اليهم ويذكرونهم أعمال الحاكم بهم فأجابوهم واستقر الامر أن يكون الشام للعرب ويصير لابى ركوة ومن معه مصر وتواعدوا ليلة يسير فيها أبو ركوة الى الفضل فاذا وصل اليه انهزمت العرب ولا يبقى دون مصر مانع فكتب الماضى الى الفضل بذلك فلما كان ليلة الميعاد جمع الفضل رؤساء العرب ليفطروا عنده وأظهر انه صائم وطاولهم الحديث وتركهم فى خيمة واعتزلهم ووصى أصحابه بالحذر ورام العرب العود الى خيامهم فمطلهم وطاولهم ثم أحضر الطعام وأحضرهم فأكلوا وتحدثوا وسير الفضل سرية الى طريق أبى ركوة فلقوا العسكر الوارد من عنده فاقتتلوا ووصل الخبر الى العسكر وارتج وأراد العرب الركوب فمنعهم وأرسل الى أصحابهم من العرب فأمرهم بالركوب والقتال ولم يكن عندهم علم بما فعل رؤساؤهم فركبوا واشتد القتال ورأى بنو قرة الامر على خلاف ما قرروه ثم ركب الفضل ومعه رؤساء العرب وقد فاتهم ما عزموا عليه فباشروا الحرب وغاصوا فيها ورد أبو ركوة مدد الاصحابه فلما رآه الفضل رد أصحابه وعاد الى المدافعة وجهز الحاكم عسكرا آخر أربعة آلاف فارس وعبروا الى الجيزة فسمع أبو ركوة بهم فسار مجدا فى عسكره ليوافقهم عند مصر وضبط الطرق لئلا يسمع الفضل ولم يمكن الماضى ان يكاتبه فساروا وأرسل اليه من الطريق يعرفه الخبر وقطع أبو ركوة مسيرة خمس ليال فى ليلتين وكبسوا عسكر الحاكم بالجيزة وقتلوا نحو ألف فارس وخاف أهل مصر ولم يبرز الحاكم من قصره وأمر الحاكم من عنده من العساكر بالعبور الى الجيزة ورجع أبو ركوة فنزل عند الهرمين ثم انصرف من يومه وكتب الحاكم الى الفضل كتابا ظاهرا يقول فيه ان أبا ركوة انهزم من

فأطلقه وأطلقت الطيور الى المعتصم وكتب اليه بالفتح فلما وصل اليه

ذلك ضج الناس بالتكبير وعمهم الفرح وأظهروا السرور وبثت الكتب الى الامصار بالفتح وقد كان اقفى عساكر السلطان فسار الافشين ببابك وتنقل بالعساكر حتى أتى سر من رأى وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتلقى الافشين هرون بن المعتصم وأهل بيت الخلافة ورجال الدولة ونزل بالموضع المعروف بالقاطول على خمس فراسخ من سامرا وبعث اليه بالفيل الاشهب وكان قد حمله بعض ملوك الهند الى المأمون وكان فيلا عظيما قد جلل بالديباج الاحمر والاخضر وأنواع الحرير الملون ومعه ناقة عظيمة نجيبة قد جللت بما وصفنا وحمل الى الافشين دراعة من الديباج الاحمر منسوجة بالذهب قد رصع صدرها بأنواع الياقوت والجوهر ودراعة دونها وقلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سفاسك بألوان مختلفة وقد نظم على القلنسوة كثيرا من اللؤلؤ والجوهر وألبس بابك الدراعة وألبس أخوه الاخرى وجعلت القلنسوة على رأس بابك وعلى رأس أخيه نحوها وقدم اليه الفيل والى أخيه الناقة فلما رأى صورة الفيل

استعظمه وقال ما هذه الدابة العظيمة واستحسن الدراعة وقال هذه كرامة ملك عظيم جليل الى أسير فقيد العز ذليل اخطأتم

الجدود وتورطته المحن ان الفرجة تقتضى ترحه وضرب له المصاف صفين

الاقدار وزالت عنه
فى الخيل والرجل والسلاح
والحديد والرايات والبنود
من القاطول الى سامرا
مدد واحد متصل غير
منفصل وبابك على الفيل
وأخوه وراءه على الناقة
والفيل يخطر بين الصفين
به وبابك ينظر الى ذات
اليمين وذات الشمال ويميز
الرجال والعدد ويظهر
الاسف والحنين على
مافاته من سفك دمائهم
غير مستعظم لما يرى من
كثرتهم وذلك يوم الخميس
لليلتين خلتا من صفر سنة
ثلاث وعشرين ومائتين
ولم ير الناس مثل ذلك
اليوم ولا مثل تلك الزينة
ودخل الافشين على المعتصم
فرفع منزلته وأعلى مكانه
وأتى ببابك فطوف به بين
يديه فقال له المعتصم أنت
بابك فلم يجب وكررها عليه
مرارا وبابك ساكت فمال
اليه الافشين وقال الويل
لك أمير المؤمنين يخاطبك
وأنت ساكت فقال نعم أنا
بابك فسجد المعتصم عند
ذلك وأمر بقطع يديه ورجليه
(قال المسعودى) ورأيت
فى كتاب أخبار بغداد لما
وقف بابك بين يديه لم
يكلمه طويلا ثم قال له
أنت بابك قال نعم أنا عبدك
وغلامك وكان اسم بابك
الحسين واسم أخيه عبد
الله قال جردوه فسلبه الخدام ما عليه من الزينة وقطعت يمينه وضرب بها وجهه وفعل مثل ذلك

عساكرنا ليقرأه على القواد وكتب اليه سرا يعلمه الحال فأظهر الفضل البشارة بانهزام أبى ركوة تسكينا للناس ثم سار أبو ركوة الى موضع يعرف بالسبخة كثير الاشجار وتبعه الفضل وكمن أبو ركوة بين الاشجار وطارد عسكر الفضل ورجع عسكره القهقرى ليستجروا عسكر الفضل ويخرج الكمين عليهم فلما رأى الكمناء رجوع عسكر أبى ركوة ظنوها الهزيمة لاشك فيها فولوا يتبعونهم وركبهم أصحاب الفضل وعلوهم بالسيوف فقتل منهم ألوف كثيرة وانهزم أبو ركوة ومعه بنو قرة وساروا الى حلالهم فلما بلغوها انبطهم الماضى عنه فقالوا له قد قاتلنا معك ولم يبق فينا قتال فخذ لنفسك وانج فسار الى بلد النوبة فلما بلغ الى حصن يعرف بحصن الجبل للنوبة أظهر أنه رسول من الحاكم الى ملكهم فقال له صاحب الحصن الملك عليل ولا بد من استخراج أمره فى مسيرك اليه وبلغ الفضل الخبر فأرسل الى صاحب القلعة بالخبر على حقيقته فوكل به من يحفظه وأرسل الى الملك بالحال وكان ملك النوبة قد توفى وملك ولده فأمر بأن يسلم الى نائب الحاكم فتسلمه رسول الفضل وسار به فلقيه الفضل وأكرمه وأنزله فى مضاربه وحمله الى مصر فأشهر بها وطيف به وكتب أبو ركوة الى الحاكم رقعة يقول فيها يا مولانا الذنوب عظيمة وأعظم منها عفوك والدماء حرام مالم يحللها سخطك وقد أحسنت وأسأت وما ظلمت الا نفسى وسوء عملى أوبقنى وأقول

فررت فلم يغن الفرار ومن يكن * مع الله لم يعجزه فى الارض هارب
ووالله ما كان الفرار لحاجة * سوى فزع الموت الذى أنا شارب
وقد قادنى جرمى اليك برمتى * كما خر ميت فى رحا الموت سارب
وأجمع كل الناس أنك قاتلى * فيا رب ظن ربه فيك كاذب
وما هو الا الانتقام وينتهى * وأخذك منه واجب لك واجب

ولما طيف به ألبس طرطورا وجعل خلفه قرد يصفعه كان معلما بذلك ثم حمل الى ظاهر القاهرة ليقتل ويصلب فتوفى قبل وصوله فقطع رأسه وصلب وبالغ الحاكم فى اكرام الفضل الى حد أنه عاده فى مرضة مرضها دفعتين فاستعظم الناس ذلك ثم انه عمل فى قتل الفضل لما عوفى فقتله

﴿ذكر القبض على مجد الدولة وعوده الى ملكه﴾

فى هذه السنة قبضت والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب الرى وبلد الجبل عليه وكان سبب ذلك ان الحكم كان اليها فى جميع أعمال ابنها فلما وزر له الخطير أبو على بن على بن القاسم استمال الامراء ووضعهم عليها والشكوى عليها وخوف ابنها منها فصار كالمحجور عليه فخرجت من الرى الى القلعة فوضع عليها من يحفظها فعملت الحيلة حتى هربت الى بدر بن حسنويه واستعانت به فى ردها الى الرى وجاءها ولدها شمس الدولة وعساكر همذان وسار معهما بدر الى الرى فحصروها وجرى بين الفريقين قتال كثير مدة ثم استظهر بدر ودخل البلد وأسر مجد الدولة فقيدته والدته وسجنته بالقلعة وأجلست أخاه شمس الدولة فى الملك وصار الامر اليها وعاد بدر الى بلده وبقى شمس الدولة فى الملك نحو سنة فرأت والدته منه تنكرا وتغيرا وان أخاه مجد الدولة ألين عريكة وأسلم جانبا فأعادته الى الملك وسار شمس الدولة الى همذان وكره بدر هذه الحالة الا أنه اشتغل بولده هلال عن الحركة فيها وصارت هى تدبر الامر وتسمع رسائل الملوك وتعطى الاجوبة وأرسل شمس الدولة الى بدر يستمده فسير اليه جندا فأخذهم وسار بهم الى قم فحصروها فمنعها أهلها ثم ان العساكر دخلوا أطرافها واشتغلوا بالنهب فأكب عليهم العامة وقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل وانهزم الباقون الى معسكرهم ثم قبض هلال بن بدر على أبيه

فتفرق

بيساره وثلث برجليه وهو يتمرغ فى النطع فى دمه وقد كان تكلم بكلام كثير

يرغب فى أموال عظيمة
قبله فلم يلتفت الى قوله
وأقبل يضرب بما بقى من
زنديه وجهه وأمر المعتصم
السياف أن يدخل السيف
بين ضلعين من أضلاعه
أسفل من القلب ليكون
أطول لعذابه ففعل ثم أمر
بحز لسانه وصلب أطرافه
مع جسده ثم حمل الرأس
الى مدينة السلام ونصب
على الجسر وحمل الى
خراسان بعد ذلك يطاف
به كل مدينة من مدنها
وكورها لما كان فى نفوس
الناس من استفحال أمره
وعظم شأنه وكثرة جنوده
وأشرافه على ازالة ملك
وقلب ملة وتبديلها وحمل
أخوه عبد الله مع الرأس
الى مدينة السلام ففعل
به اسحق بن ابراهيم ما فعل
بأخيه بابك بسامرا وصلب
جثة بابك على خشبة
طويلة فى أقاصى سامرا
وموضعه مشهور الى هذه
الغاية يعرف بكنيسة بابك
وان كانت سامرا فى هذا
الوقت ممن خلا ساكنها
وبان عنها قاطنها الا يسيرا
من الناس فى بعض
المواضع بها ولما قتل بابك
وأخوه وكان من أمره
ما تقدم ذكره قام فى مجلس
المعتصم الخطباء فتكلموا
وقالت الشعراء فممن قام
فى ذلك اليوم ابراهيم بن
المهدى فقال شعرا بدلا من الخطبة وهو
يا أمين الله ان الحمد لله كثيرا * هكذا النصر فلا زا * ل لك النصر وزيرا

فتفرق ذلك الجمع كله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة اشتد الغلاء بالعراق فضج العامة وشغب الجند وكانت فتنة وفيها توفى عبد الصمد الزاهد ودفن عند قبر أحمد وكان غاية فى الزهد والورع وفيها هبت على الحجاج ريح سوداء بالثعلبية أظلمت لها الارض ولم ير الناس بعضهم بعضا وأصابهم عطش شديد ومنعهم ابن الجراح الطائى من المسير ليأخذ منهم مالا فضاق الوقت عليهم فعادوا ولم يحجوا وفيها مات على بن أحمد أبو الحسن الفقيه المالكى المعروف بابن القصاب

﴿ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر غزوة بهيم نغر﴾

لما فرغ يمين الدولة من الغزوة المتقدمة وعاد الى غزنة واستراح هو وعسكره استعد لغزوة أخرى فسار فى ربيع الآخر من هذه السنة فانتهى الى شاطئ نهر هندمند فلاقاه هناك ابرهمن بال ابن اندبال فى جيوش الهند فاقتتلوا مليا من النهار وكادت الهند تظفر بالمسلمين ثم ان الله تعالى نصر عليهم فظفر بهم المسلمون فانهزموا على أعقابهم وأخذهم المسلمون بالسيف وتبع يمين الدولة أثر ابرهمن بال حتى بلغ قلعة بهيم نغر وهى على جبل عال وكان الهند قد جعلوها خزانة لصنمهم الاعظم فينقلون اليها أنواع الذخائر قرنا بعد قرن وأعلاق الجواهر وهم يعتقدون ذلك دينا وعبادة فاجتمع فيها على طول الازمان مالم يسمع بمثله فنازلهم يمين الدولة وحصرهم وقاتلهم فلما رأى الهنود كثرة جمعه وحرصهم على القتال وزحفهم اليهم مرة بعد أخرى خافوا وجبنوا وطلبوا الامان وفتحوا باب الحصن وملك المسلمون القلعة وصعد يمين الدولة اليها فى خواص أصحابه وثقاته فأخذ منها من الجواهر ما لا يحد ومن الدراهم تسعين ألف ألف درهم شاهية ومن الاوانى الذهبيات والفضيات سبعمائة ألف وأربعمائة منا وكان فيها بيت مملوء من فضة طوله ثلاثون ذراعا وعرضه خمسة عشر ذراعا الى غير ذلك من الامتعة وعاد الى غزنة بهذه الغنائم ففرش تلك الجواهر فى صحن داره وكان قد اجتمع عنده رسل الملوك فأدخلهم اليه فرأوا مالم يسمعوا بمثله

﴿ذكر حال أبى جعفر بن كاكويه﴾

هو أبو جعفر بن دشمنزيار وانما قيل كاكويه لانه كان ابن خال والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه وكاكويه هو الخال بالفارسية وكانت والدة مجد الدولة قد استعملته على أصبهان فلما فارقت ولدها فسد حاله فقصد الملك بهاء الدولة وأقام عنده مدة ثم عادت والدة مجد الدولة الى ابنها بالرى فهرب أبو جعفر وسار اليها فأعادته الى أصبهان واستقر فيها قدمه وعظم شأنه وسيأتى من أخباره ما يعلم به صحة ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول وقع ثلج كثير ببغداد وواسط والكوفة والبطائح الى عبادان وكان ببغداد نحو ذراع وبقى فى الطرق نحو عشرين يوما وفيها وقعت الفتنة ببغداد فى رجب وكان أولها ان بعض الهاشميين من باب البصرة أتى ابن المعلم فقيه الشيعة فى مسجده بالكرخ فآذاه ونال منه فثار به أصحاب ابن المعلم واستنفر بعضهم بعضا وقصدوا أبا حامد الاسفراينى وابن الاكفانى فسبوهما وطلبوا الفقهاء ليوقعوا بهم فهربوا وانتقل أبو حامد الاسفراينى الى دار القطن وعظمت الفتنة ثم ان السلطان أخذ جماعة وسجنهم فسكنوا وعاد أبو حامد الى مسجده

وعلى الاعداء اعطيت من الله ظهيرا

هناك الله الملك الفتح يسيرا * فهو فتح لم ير الناس له قط نظيرا *

واخرج ابن المعلم من بغداد فشفع فيه علي بن مزيد فأعيد وفيها وقع الغلاء بمصر واشتد وعظم الامر وعدمت الاقوات ثم تعقبه وباء كثير أفنى كثيرا من أهلها وفيها زلزلت الدينور زلزلة شديدة خربت المساكن وهلك خلق كثير من أهلها وكان الذين دفنوا ستة عشر ألفا سوى من بقي تحت الهدم ولم يشاهد وفيها أمر الحاكم بأمر الله صاحب مصر بهدم بيعة قمامة وهي بالبيت المقدس وتسميها العامة القيامة وفيها الموضع الذي دفن فيه المسيح عليه السلام فيما يزعمه النصارى واليها يحجون من أقطار الارض وأمر بهدم البيع في جميع مملكته فهدمت وأمر اليهود والنصارى اما أن يسلموا أو يسيروا الى بلاد الروم ويلبسوا الغيار فأسلم كثير منهم ثم أمر بعمارة البيع ومن اختار العود الى دينه عاد فارتد كثير من النصارى وفيها توفي أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبي وزير مجد الدولة ببروجرد وكان سبب مجيئه اليها ان أم مجد الدولة بن بويه اتهمته أنه سم أخاه فمات فلما توفي أخوه طلبت منه مائتي دينار لتنفقها في مأتمه فلم يعطها فأخرجته فقصد بروجرد وهي من أعمال بدر بن حسنويه فبذل بعد ذلك مائتي ألف دينار ليعود الى عمله فلم يقبل منه فأقام بها الى ان توفي وأوصى ان يدفن بمشهد الحسين عليه السلام فقيل للشريف أبي أحمد والد الشريف الرضي ان يبيعه بخمسمائة دينار موضع قبره فقال من يريد جوار جدي لا يباع وأمر ان يعمل له قبر وسير معه من أصحابه خمسين رجلا فدفنه بالمشهد وتوفي بعده بيسير ابنه أبو القاسم سعد وأبو عبد الله الجرجاني الحنفي بعد ان فلج وأبو الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالببغاء الشاعر وديوانه مشهور والقاضي أبو عبد الله الضبي بالبصرة والبديع أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني صاحب المقامات المشهورة وله شعر حسن وقرأ الادب على أبي الحسين بن فارس مصنف المجمل وتوفي أبو بكر أحمد بن علي بن لال الفقيه الشافعي الهمذاني بنواحي عكا بالشام كان انتقل الى هناك

﴿ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلثمائة﴾

﴿ذكر ابتداء حال صالح بن مرداس﴾

لما قتل عيسى بن خلاط أبا علي بن ثمال بالرحبة وملكها أقام فيها مدة ثم قصده بدران بن المقلد العقيلي فأخذ الرحبة منه وبقيت لبدران وأمر الحاكم بأمر الله نائبه بدمشق لؤلؤا البشاري بالمسير اليها فقصد الرقة أولا وملكها ثم سار الى الرحبة وملكها ثم عاد الى دمشق وكان بالرحبة رجل من أهلها يعرف بابن محكان فملك البلد واحتاج الى من يجعله ظهره ويستعين به على من يطمع فيه فكاتب صالح بن مرداس الكلابي فقدم عليه وأقام عنده مدة ثم ان صالحا تغير عن ذلك فسار الى ابن محكان وقاتله على البلد وقطع الاشجار ثم تصالحا وتزوج ابنة ابن محكان ودخل صالح البلد الا انه كان أكثر مقامه بالحلة ثم ان ابن محكان راسل أهل عانة وأطاعوه ونقل أهله وماله اليهم وأخذ رهائنهم ثم خرجوا عن طاعته وأخذوا ماله واستعادوا رهائنهم وردوا أولاده فاجتمع ابن محكان وصالح على قصد عانة فسارا اليها فوضع صالح على ابن محكان من يقتله فقتل غيلة وسار صالح الى الرحبة فملكها وأخذ أموال ابن محكان وأحسن الى الرعية واستمر على ذلك الا ان الدعوة للمصريين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قتل أبو علي بن ثمال الخفاجي وكان الحاكم بأمر الله صاحب مصر قد ولاه الرحبة فسار اليها فخرج اليه عيسى بن خلاط العقيلي فقتله وملك الرحبة ثم ملكها بعده غيره فصار

وجزى الافشين عبد الله خيرا وحبورا
فلقد لاقى به بابك يوما قمطريرا
ذاك مولاك الذي ألفيته جلدا صبورا
لك حتى ضرج السيف له خدا نضيرا
ضربة أبقت على الدهر له في الوجه نورا

وتوج الافشين بتاج من الذهب مرصع بالجوهر واكليل ليس فيه من الجوهر الا الياقوت الاحمر والزمرذ الاخضر قد شبك بالذهب وألبس وشاحين وزوج المعتصم الحسن ابن الافشين بأترجة بنت اشناس وزفت اليه وأقيم لهما عرس يجاوز المقدار في البهاء والجمال وكانت توصف بالجمال والكمال ولما كان من ليلة الزفاف ما عم سروره خواص الناس وكثيرا من عوامهم قال المعتصم أبياتا يصف حسنهما وجمالهما واجتماعهما وهي

زفت عروس الى عروس
بنت رئيس الى رئيس
أيهما كان ليت شعري
أجل في الصدر والنفوس
أصاحب المذهب المحلى
أم ذي الوشاحين والشموس

وفي هذه السنة وهي سنة ثلاث وعشرين خرج توفل ملك الروم في عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الامم حتى نزل على مدينة زبطرة

امرها

من الثغر الجوزي فافتتحها بالسيف وقتل الصغير والكبير وأغار على

أمرها الى صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب وفيها صرف أبو عمر بن عبد الواحد الهاشمي عن قضاء البصرة وكان قد علا اسناده في رواية السنن لابي داود السجستاني ومن طريقه سمعناه وولي القضاء بعده أبو الحسن بن أبي الشوارب فقال العصفري الشاعر

عندي حديث ظريف * بمثله يتغنى * من قاضيين يعزى * هذا وهذا يهنا
فذا يقول اكرهونا * وذا يقول استرحنا * ويكذبان ونهذي * فمن يصدق منا

وفيها توفي أبو داود بن سليمان بن جعفر ودفن عند قبر النذور بنهر المعلى وقبته مشهورة وأبو محمد النامي الفقيه الشافعي وهو القائل

يا ذا الذي قاسمني في البلا * فاختار ان يسكنه أولا
ما وطنت نفسي ولكنها * تسري اليكم منزلا منزلا

﴿ثم دخلت سنة أربعمائة﴾

﴿ذكر وقعة نارين بالهند﴾

في هذه السنة تجهز يمين الدولة الى الهند عازما على غزوها فسار اليها واخترقها واستباحها ونكس اصنامها فلما رأى ملك الهند انه لا قوة له به راسله في الصلح والهدنة على مال يؤديه وخمسين فيلا وان يكون له في خدمته ألفا فارس لا يزالون فقبض منه ما بذله وعاد عنه الى غزنة

﴿ذكر الخلف بين بدر بن حسنويه وابنه هلال﴾

في هذه السنة كانت حرب بين بدر بن حسنويه الكردي وبين ابنه هلال وكان سبب الوحشة بينهما ان أم هلال كانت من الشاذنجان فاعتزلها أبوه عند ولادته فنشأ هلال مبعدا عنه لا يميل اليه وكانت نعمة بدر لابنه الآخر أبي عيسى فلما كان في بعض الايام خرج هلال مع أبيه متصيدا فرأيا سبعا وكان بدر اذا رأى سبعا قتله بيده فتقدم هلال الى الاسد بغير اذن أبيه فقتله فاغتاظ أبوه وقال كأنك قد فتحت فتحا وأي فرق بين السبع والكلب ورأى ابعاده عنه لشدته فأقطعه الصامغان وسهل ذلك على هلال لينفرد بنفسه عن أبيه فأول ما فعله انه أساء مجاورة ابن الماضي صاحب شهرزور وكان موافقا لابيه بدر فنهى بدر ابنه هلالا عن معارضته فلم يسمع قوله وأرسل الى ابن الماضي يتهدده فأعاد بدر مراسلة ابنه في معناه وتهدده ان تعرض لشيء هو له فكان جواب نهيه انه جمع عسكره وحصر شهرزور وفتحها وقتل ابن الماضي وأهله وأخذ أموالهم فورد على بدر من ذلك ما أزعجه وأقلقه وأظهر السخط على هلال وشرع هلال يفسد جند أبيه ويستميلهم ويبذل لهم فكثر أصحاب هلال لاحسانه اليهم وبذله المال لهم وأعرض الناس عن بدر لامساكه المال فسار كل واحد منهما الى صاحبه فالتقيا على باب الدينور فلما تراءى الجمعان انحازت الاكراد الى هلال فأخذ بدر أسيرا وحمل الى ابنه فأشير على هلال بقتله وقالوا لا يجوز ان تستبقيه بعدما أوحشته فقال ما بلغ من عقوقي له ان اقتله وحضر عند أبيه وقال له أنت الامير وأنا مدبر جيشك فخادعه أبوه بأن قال له لا يسمعن هذا منك أحد فيكون هلاكنا جميعا وهذه القلعة لك والعلامة في تسليمها كذا وكذا واحفظ المال الذي بها فانك الامير ما دام الناس يظنون بقاءك وأريد ان تفرد لي قلعة أتفرغ فيها للعبادة ففعل ذلك وأعطاه جملة من المال فلما استقر بدر بالقلعة عمرها وحصنها وراسل أبا الفتح بن عناز وأبا عيسى شاذي بن محمد وهو بأسداباد يقول لكل واحد منهما ليقصد أعمال هلال ويشعثها فسار أبو الفتح الى قرميسين فملكها وسار أبو عيسى الى سابورخواست فنهب حلل هلال ومضى الى نهاوند وبها أبو بكر بن رافع فاتبعه هلال

بلاد ملطية فضج الناس في الامصار واستغاثوا في المساجد والديار فدخل ابراهيم بن المهدي على المعتصم فأنشده قائما قصيدة طويلة يذكر فيها ما نزل بهن ويحثه على الجهاد فيها

يا غارة الله قد عاينت فانتهكي
هتك النساء وما منهن يرتكب
هب الرجال على أجرامها قتلت
ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

وابراهيم بن المهدي أول من قال في شعره يا غارة الله فخرج المعتصم من فوره نافرا عليه دراعة من الصوف بيضاء وقد تعمم بعمامة الغزاة فعسكر غربي دجلة وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ونصبت الاعلام على الجسر ونودي في الامصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين فسارت اليه العساكر والمطوعة من سائر الاسلام وجعل على مقدمته اشناس التركي ويتلوه محمد بن ابراهيم وعلى ميسرته جعفر بن دينار وعلى ساقته بغا الكبير وعلى القلب عجيف وسار المعتصم من الثغور الشامية ودخل

من درب السلامة ودخل الافشين من درب الحرث ودخل الناس من سائر

البها ووضع السيف فى الديلم فقتل منهم أربعمائة نفس منهم تسعون أميرا واستلم ابن رافع أبا
عيسى الى هلال فعفا عنه ولم يؤاخذه على فعله وأخذه معه وأرسل بدر الى الملك بهاء الدولة
يستنجده فجهز فخر الملك أبا غالب فى جيش وسيره الى بدر فسار حتى وصل الى سابور خواست
فقال هلال لابى عيسى شاذى قد جاءت عساكر بهاء الدولة فما الرأى قال الرأى ان تتوقف عن
لقائهم وتبذل لبهاء الدولة الطاعة وترضيه بالمال فان لم يجيبوك فضيق عليهم وانصرف بين
أيديهم فانهم لا يستطيعون المطاولة ولا تظن هذا العسكر كمن لقيته بباب نهاوند فان أولئك
ذللهم أبوك على ممر السنين فقال غششتنى ولم تنصحنى وأردت بالمطاولة ان يقوى أبى وأضعف
أنا وقتله وسار ليكبس العسكر ليلا فلما وصل اليهم وقع الصوت فركب فخر الملك فى العساكر
وجعل عند أثقالهم من يحميها وتقدم الى قتال هلال فلما رأى هلال صعوبة الامر ندم وعلم ان أبا
عيسى بن شاذى نصحه فندم على قتله ثم أرسل الى فخر الملك يقول له اننى ما جئت لقتال وحرب
انما جئت لاكون قريبا منك وانزل على حكمك فترد العسكر عن الحرب فاننى أدخل فى الطاعة
فمال فخر الملك الى هذا القول وأرسل الرسول الى بدر ليخبره بما جاء به فلما رأى بدر الرسول سبه
وطرده وأرسل الى فخر الملك يقول له ان هذا مكر من هلال لما رأى ضعفه والرأى ان لا تنفس
خناقه فلما سمع فخر الملك الجواب قويت نفسه وكان يتهم بدرا بالميل الى ابنه وتقدم الى الجيش
بالحرب فقاتلوا فلم يكن باسرع من ان أتى بهلال أسيرا فقبل الارض وطلب ان لا يسلمه الى أبيه
فأجابه الى ذلك وطلب علامته بتسليم القلعة فاعطاهم العلامة فامتنعت أمه ومن بالقلعة من
التسليم وطلبوا الامان فامنهم فخر الملك وصعد القلعة ومعه أصحابه ثم نزل منها وسلمها الى بدر وأخذ
ما فيها من الاموال وغيرها وكانت عظيمة قيل كان بها أربعون ألف بدرة دراهم وأربعمائة
بدرة ذهبا سوى الجواهر النفيسة والثياب والسلاح وغير ذلك وأكثر الشعراء من ذكر هذا
فممن قال مهيار

فظنوك تعبأ بحمل العراق * كأن لم يروك حملت الجبالا
ولو لم تكن فى العلو السماء * لما كان غنمك منها هلالا
سريت اليه فكنت السرار * له ولبدر أبيه كمالا

وهى كثيرة

﴿ذكر عود المؤيد الى امارة الاندلس وما كان منه﴾

قد ذكرنا سبب خلعه وحبسه فلما كان هذه السنة أعيد الى خلافته واسمه هشام بن الحاكم بن
عبد الرحمن الناصر وكان عوده تاسع ذى الحجة وكان الحكم فى دولته هذه الى واضح العامرى
وادخل أهل قرطبة اليه فوعدهم ومناهم وكتب الى البربر الذين مع سليمان بن الحاكم بن
سليمان بن عبد الرحمن الناصر ودعاهم الى طاعته والوفاء ببيعته فلم يجيبوه الى ذلك فامر اجناده
وأهل قرطبة بالحذر والاحتياط فاحبه الناس ثم نقل اليه ان نفرا من الامويين بقرطبة قد
كاتبوا سليمان وواعدوه ليكون بقرطبة فى السابع والعشرين من ذى الحجة ليسلموا اليه البلد
فاخذهم وحبسهم فلما كان الميعاد قدم البربر الى قرطبة فركب الجند وأهل قرطبة وخرجوا
اليهم مع المؤيد فعاد البربر وتبعهم عساكره فلم يلحقوهم وترددت الرسل بينهم فلم يتفقوا على شئ ثم
ان سليمان والبربر راسلوا ملك الفرنج يستمدونه وبذلوا له تسليم حصون كان المنصور بن أبى
عامر قد فتحها منهم فارسل ملك الفرنج الى المؤيد يعرفه الحال ويطلب منه تسليم هذه الحصون
لئلا يمد سليمان بالعساكر فاستشار أهل قرطبة فى ذلك فأشاروا بتسليمها اليه خوفا من ان يمدوا

الدروب فلم يكن يحصى الناس العدد ولا يضبطون كثرة فمن مكثر ومقلل فالمكثر يقول خمسمائة
ألف والمقلل مائتى ألف
ولقى ملك الروم الافشين
فحاربه فهزمه الافشين
وقتل أكثر بطارقته
وأصحابه وحماه رجل من
المتنصرة يقال له نصير فى
خلق من أصحابه وقد كان
الافشين قصر عن أخذ
الملك فى ذلك اليوم حين
ولى وقال هو ملك والملوك
تبقى بعضها على بعض
وفتح المعتصم حصونا كثيرة
ونزل على مدينة عمورية
ففتحها الله على يديه وخرج
لاوى البطريق منها
وسلمها اليه وأسر البطريق
الكبير منها وهو ماطس
وقتل منها ثلاثين ألفا وأقام
عليها أربعة أيام يهدم
ويحرق وأراد المسير الى
القسطنطينية والنزول
على خليجها والحيلة فى
فتحها برا وبحرا فأتاه
ما أزعجه وأزاله عما كان
عزم عليه من أمر العباس
ابن المأمون وان ناسا قد
بايعوه وانه كاتب طاغية
الروم فاعجل المعتصم فى
مسيره وحبس العباس
وشيعته وفى هذه السنة
مات العباس بن المأمون
وفى سنة خمس وعشرين
ادخل المازيار بن مازن
ابن بندارهرمس صاحب
جبال طبرستان الى سامرا
فأقر على الافشين أنه بعثه
على الخروج والعصيان لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس

سليمان واستقر الصلح فى المحرم سنة احدى وأربعمائة فلما أيس البربر من انجاد الفرنج رحلوا
فنزلوا قريبا من قرطبة فى صفر سنة احدى وأربعمائة وجمعت خيلهم تغير يمينا وشمالا وخربوا
البلاد وعمل المؤيد وواضح العامرى سورا وخندقا على قرطبة أمام السور الكبير ثم نازل
سليمان قرطبة خمسة وأربعين يوما فلم يملكها فانتقل الى الزهراء وحصرها وقاتل من بها ثلاثة
أيام ثم ان بعض الموكلين بحفظه سلم اليه الباب الذى هو موكل بحفظه فصعد البربر السور وقاتلوا
من عليه حتى ازالوهم وملكوا البلد عنوة وقتل أكثر من به من الجند وصعد أهله الجبل واجتمع
الناس بالجامع فأخذهم البربر وذبحوهم حتى النساء والصبيان والقوا النار فى الجامع والقصر
والديار فاحترق أكثر ذلك ونهبت الاموال ثم ان واضحا كاتب سليمان يعرفه انه يريد الانتقال
عن قرطبة سرا ويشير عليه بمنازلتها بعد مسيره عنها وعلم الخبر الى المؤيد فقبض عليه وقتله واشتد
الامر بقرطبة وعظم الخطب وقلت الاقوات وكثر الموت وكانت الاقوات عند البربر اقل منها
بالبلد لانهم كانوا قد خربوا البلاد وجلا أهل قرطبة وقتل المؤيد كل من مال الى سليمان ثم ان
البربر وسليمان لازموا الحصار والقتال لاهل قرطبة وضيقوا عليهم وفى مدة هذا الحصار ظهر
بطليطلة عبيد الله بن محمد بن عبد الجبار وبايعه أهلها فسير اليهم المؤيد جيشا فحصروهم فعادوا
الى الطاعة وأخذ عبيد الله أسيرا وقتل فى شعبان سنة احدى وأربعمائة ثم ان أهل قرطبة قاتلوا
فى بعض الايام البربر فقتل منهم خلق كثير وغرق فى النهر مثلهم فرحلوا عنها وساروا الى اشبيلية
فحصروها فأرسل المؤيد اليها جيشا فحماها ومنع البربر عنها وراسل سليمان نائب المؤيد
بسرقسطة وغيرها يدعوهم اليه فأجابوه وأطاعوه فسار البربر وسليمان عن اشبيلية الى قلعة
رباح فملكوها وغنموا ما فيها واتخذوها دارا ثم عادوا الى قرطبة فحصروها وقد خرج كثير من
أهلها وعساكرها من الجوع والخوف واشتد القتال عليها وملكها سليمان عنوة وقهرا وقتلوا
من وجدوا فى الطرق ونهبوا البلد واحرقوه فلم تحص القتلى لكثرتهم ونزل البربر فى الدور التى
لم تحرق فنال أهل قرطبة من ذلك ما لم يسمع بمثله وأخرج المؤيد من القصر وحمل الى سليمان
ودخل سليمان قرطبة منتصف شوال سنة ثلاث وأربعمائة وبويع له بها ثم ان المؤيد جرى له
مع سليمان أقاصيص طويلة ثم خرج الى شرق الاندلس من عنده وكان ممن قتل فى هذا الحصر
أبو الوليد بن الفرضى مظلوما رحمه الله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أرسل الحاكم بأمر الله من مصر الى المدينة ففتح بيت جعفر الصادق وأخرج منه
مصحف وسيف وكساء وقعب وسرير وفيها نقص الماء بدجلة حتى اصلحت ما بين أوانا وقريب
بغداد حتى جرت السفن فيها وفيها مرض أبو محمد بن سهلان فاشتد مرضه فنذر ان عوفى بنى
سورا على مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام فعوفى فأمر ببناء سور عليه فبنى فى هذه السنة
تولى بناءه أبو اسحق الارجانى وفيها ولد عدنان بن الشريف الرضى وفيها توفى النقيب أبو
أحمد الموسوى والد الرضى بعد ان أضر ووقف بعض أملاكه على البر وصلى عليه ابنه الاكبر
المرتضى ودفن بداره ثم نقل الى مشهد الحسين عليه السلام وكان مولده سنة أربع وثلثمائة وفيها
توفى أيضا أبو جعفر الحجاج بن هرمز بالاهواز وعمدة الدولة أبو اسحق بن معز الدولة بن بويه بمصر
وفيها مرض الخليفة القادر بالله واشتد مرضه فارجف عليه فجلس للناس وبيده القضيب
ودخل اليه أبو حامد الاسفراينى فقال لابن حاجب النعمان اسأل أمير المؤمنين ان يقرأ شيأ من

وقبض على الافشين قبل قدوم المازيار بسامرا بيوم وأقر عليه كاتب يقال له سابور فضرب المازيار
بسوط حتى مات بعد أن
شهر وصلب الى جانب
بابك وقد كان المازيار
رغب المعتصم فى أموال
كثيرة يحملها ان هو من
عليه بالبقاء فأبى قبول ذلك
وتمثل

ان الاسود أسود الغيل همتها
يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

ومالت خشبة مازيار الى
خشبة بابك فتدانت
اجسامهما وقد كان صلب
فى ذلك الموضع باطس
بطريق عمورية وقد انحنت
نحوهما اخشبته ففى ذلك
يقول أبو الهمام لهما

ولقد شفا الاحشاء من برحائها
اذ صار بابك جار مازيار
ثانيه فى كبد السماء ولم يكن
لاثنين ثان اذ هما فى الغار
فكأنما انحنيا لكيما يطويا
عن باطس خبرا من الاخبار

ومات الافشين فى الحبس
بعد أن جمع بينه وبين
مازيار فأقر عليه وأخرج
الافشين ميتا فصلب
بباب العامة واحضرت
اصنام زعموا انها كانت
حملت اليه فأقيمت
عليه وأضرمت النار
فأتت على الجميع وفى سنة
ست وعشرين ومائتين مات أبو دلف العجلى وكان سيد أهله ورئيس عشيرته من عجل وغيرها من ربيعة وكان شاعرا مجيدا شجاعا

القرآن ليسمع الناس قراءته فقرأ الذي لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم الآيات الثلاث وفيها توفي أبو العباس النامي الشاعر وأبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب الشاعر صاحب الطريقة المشهورة في التجنيس فن شعره

يا أيها السائل عن مذهبي * لتقتدي فيه بمنهاجي
منهاجي العدل وقمع الهوى * فهل لمنهاجي من هاجي

﴿ثم دخلت سنة احدى وأربعمائة﴾

﴿ذكر غزوة يمين الدولة بلاد الغور وغيرها﴾

بلاد الغور تجاور غزنة وكان الغور يقطعون الطريق ويخيفون السبيل وبلادهم جبال وعرة ومضائق غلقة وكانوا يحتمون بها ويعتصمون بصعوبة مسالكها فلما كثر ذلك منهم أنف يمين الدولة محمود بن سبكتكين أن يكون مثل أولئك المفسدين جيرانه وهم على هذه الحال من الفساد والكفر فجمع العساكر وسار اليهم وعلى مقدمته التونتاش الحاجب صاحب هراة وارسلان الجاذب صاحب طوس وهما أكبر أمرائه فسارا فيمن معهما حتى انتهوا الى مضيق قد شحن بالمقاتلة فتناوشوا الحرب وصبر الفريقان فسمع يمين الدولة الحال فجد في السير اليهم وملك عليهم مسالكهم فتفرقوا وساروا الى عظيم الغورية المعروف بابن سوري فانتهوا الى مدينته التي تدعى اهنكران فبرز من المدينة في عشرة آلاف مقاتل فقاتلهم المسلمون الى أن انتصف النهار فرأوا أشجع الناس وأقواهم على القتال فأمر يمين الدولة ان يولوهم الادبار على سبيل الاستدراج ففعلوا فلما رأى الغورية ذلك ظنوه هزيمة فاتبعوهم حتى أبعدوا عن مدينتهم فحينئذ عطف المسلمون عليهم ووضعوا السيوف فيهم فابادوهم قتلا وأسرا وكان في الاسرى كبيرهم وزعيمهم ابن سوري ودخل المسلمون المدينة وملكوها وغنموا ما فيها وفتحوا تلك القلاع والحصون التي لهم جميعها فلما عاين ابن سوري ما فعل المسلمون بهم شرب سما كان معه فمات وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وأظهر يمين الدولة في تلك الاعمال شعار الاسلام وجعل عندهم من يعلمهم شرائعه وعاد ثم سار الى طائفة أخرى من الكفار فقطع عليهم مفازة من رمل ولحق عساكره عطش شديد كادوا يهلكون فلطف الله سبحانه وتعالى بهم وأرسل عليهم مطرا سقاهم وسهل عليهم السير في الرمل فوصل الى الكفار وهم جمع عظيم ومعهم ستمائة فيل فقاتلهم أشد قتال صبر فيه بعضهم لبعض ثم ان الله نصر المسلمين وهزم الكفار وأخذ غنائمهم وعاد سالما مظفرا منصورا

﴿ذكر الحرب بين أيلك الخان وبين أخيه﴾

وفي هذه السنة سار أيلك الخان في جيوش قاصدا قتال أخيه طغان خان فلما بلغ يوزكند سقط من الثلج ما منعهم من سلوك الطرق فعاد الى سمرقند وكان سبب قصده ان أخاه أرسل الى يمين الدولة يعتذر ويتنصل من قصد أخيه أيلك الخان بلاد خراسان ويقول انني ما رضيت ذلك منه ويلزم أخاه وحده الذنب وتبرأ هو منه فلما علم أخوه أيلك الخان ذلك ساءه وحمله على قصده

﴿ذكر الخطبة للمصريين العلويين بالكوفة والموصل﴾

في هذه السنة أيضا خطب قرواش بن المقلد أمير بني عقيل للحاكم بأمر الله العلوي صاحب مصر بأعماله كلها وهي الموصل والانبار والمدائن والكوفة وغيرها وكان ابتداء الخطبة بالموصل الحمد لله الذي انجلت بنوره غمرات العصب وانهدت بقدرته اركان النصب وأطلع بنوره شمس الحق

من

بطلا مغنيا مصيبا وهو القائل

يوما تراني على طمر * ترهبني الاجبل الرواسي ويوم لهو أحث كاسا *
وخلف اذني قضيب آسي

(وذكر) أن أبا دلف طعن فارسا فنفذت الطعنة الى أن وصل السنان آخر كان خلفه فقتلهما ففي ذلك يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم الهياج ولا تراه كليلا
لا تعجبوا فلو ان طول قناته * ميل اذا نظم الفوارس ميلا

(وذكر) عيسى بن أبي دلف ان أخاه دلف وكان يكنى أبوه أبا دلف كان ينتقص عليا ويضع منه ومن شيعته وينسبهم الى الجهل وانه قال يوما وهو في مجلس أبيه ولم يكن أبوه حاضرا انهم يزعمون ان لا ينتقص عليا أحد الا كان لغير رشدة وأنتم تعلمون غيرة الامير وانه لا يتهيأ الطعن على أحد من حرمه وأنا أبغض عليا قال فما كان بأوشك من ان خرج أبو دلف فلما رأيناه قمنا له فقال قد سمعت ما قاله دلف والحديث لا يكذب والخبر الوارد في هذا المعنى لا يختلف هو والله لزنية وحيضة وذلك اني كنت عليلا فبعثت الى أختي جارية لها كنت بها معجبا فلم أتمالك أن وقعت عليها وكانت حائضا فعلقت به فلما ظهر حملها وهبتها الى فبلغ من عداوة دلف هذا لابيه ونصبه ومخالفته له لان الغالب على أبيه التشيع والميل الى علي ان شنع عليه بعد وفاته وهو ما حدث به

من العرب فأرسل القادر بالله أمير المؤمنين القاضي أبا بكر بن الباقلاني الى بهاء الدولة يعرفه ذلك وان العلويين والعباسيين انتقلوا من الكوفة الى بغداد فاكرم بهاء الدولة القاضي أبا بكر وكتب الى عميد الجيوش يأمره بالمسير الى حرب قرواش واطلق له مائة ألف دينار ينفقها في العسكر وخلع على القاضي أبي بكر وولاه قضاء عمان والسواحل وسار عميد الجيوش الى حرب قرواش فارسل يعتذر وقطع خطبة العلويين وأعاد خطبة القادر بالله

﴿ذكر الحرب بين بني مزيد وبين دبيس﴾

كان أبو الغنائم محمد بن مزيد مقيما عند بني دبيس في جزيرتهم بنواحي خوزستان لمصاهرة بينهم فقتل أبو الغنائم أحد وجوههم ولحق بأخيه أبي الحسن علي بن مزيد فتبعوه فلم يدركوه وانحدر اليهم سند الدولة أبو الحسن بن مزيد في ألفي فارس واستنجد عميد الجيوش فانحدر اليه بجلافي زبزبة في ثلاثين ديلميا وسار ابن مزيد اليهم فلقيهم واقتتلوا فقتل أبو الغنائم وانهزم أبو الحسن بن مزيد فوصل الخبر بهزيمته الى عميد الجيوش وهو منحدر فعاد

﴿ذكر وفاة عميد الجيوش وولاية فخر الملك العراق﴾

في هذه السنة توفي عميد الجيوش أبو علي بن أستاذ هرمز ببغداد وكانت ولايته ثمان سنين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوما وكان عمره تسعا وأربعين سنة وتولى تجهيزه ودفنه الشريف الرضي ودفنه بمقابر قريش ورثاه الرضي وغيره وكان أبوه أبو جعفر أستاذ هرمز من حجاب عضد الدولة وجعل عضد الدولة عميد الجيوش في خدمة ابنه صمصام الدولة فلما قتل اتصل بخدمة بهاء الدولة فلما استولى الخراب على بغداد وظهر العيارون وانحلت الامور بها أرسله اليها فاصلح الامور وقمع المفسدين وقتلهم فلما مات استعمل بهاء الدولة مكانه بالعراق فخر الملك أبا غالب فاصعد الى بغداد فلقيه الكتاب والقواد وأعيان الناس وزينوا له البلاد ووصل بغداد في ذي الحجة ومدحه مهيار وغيره من الشعراء ومن محاسن أعمال عميد الجيوش انه حمل اليه مال كثير قد خلفه بعض التجار المصريين وقيل له ليس للميت وارث فقال لا يدخل خزانة السلطان ما ليس لها يترك الى ان يصح خبره فلما كان بعد مدة جاء أخ للميت بكتاب من مصر بانه مستحق للتركة فقصد باب عميد الجيوش ليوصل الكتاب فرآه يصلي على روشن داره فطنه بعض الحجاب فاوصل الكتاب اليه فقضى حاجته فلما علم التاجر أن الذي أخذ الكتاب كان عميد الجيوش عظم الامر عنده فأظهر ذلك فاستحسنه الناس ولما وصل التاجر الى مصر أظهر الدعاء له فضج الناس بالدعاء له والثناء عليه فبلغه الخبر فسره ذلك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة اشتد الغلاء بخراسان جميعها وعدم القوت حتى أكل الناس بعضهم بعضا فكان الانسان يصيح الخبز الخبز ويموت ثم تبعه وباء عظيم حتى عجز الناس عن دفن الموتى وفيها مات أبو الفتح محمد بن عناز بحلوان وكانت امارته عشرين سنة وقام بعده ابنه أبو الشوك فسيرت اليه العساكر من بغداد لقتاله ولقيهم أبو الشوك وقاتلهم قتالا شديدا وانهزم أبو الشوك الى حلوان واقام بها الى أن أصلح حاله مع الوزير أبي غالب لما قدم العراق وفيها توفي أبو عبد الله محمد بن مقن ابن مقلد بن جعفر بن عمرو بن المهيا العقيلي وفي مقلد يجتمع آل المسيب وآل مقن وكان عمره مائة وعشر سنين وكان بخيلا شديد البخل وشهد مع القرامطة أخذ الحجر الاسود وفيها توفي الامير أبو نصر أحمد بن أبي الحرث محمد بن فريغون صاحب الجوزجان وكان صهر يمين الدولة على أخته وكان هو وأبوه قبله يحبون العلماء ويحسنون اليهم وفيها انقض كوكب كبير لم ير أكبر منه

الفرهيساني قال حدثنا دلف بن أبي دلف قال رأيت في المنام آتيا أتاني فقال لي أجب الامير فقمت معه فأدخلني دارا وحشة وعرة وأصعدني على درج منها ثم ادخلني غرفة في حيطانها اثر الرماد واذا به عريان واضع رأسه بين ركبتيه فقال كالمستفهم دلف قلت دلف فانشأ يقول

فلو أنا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعده عن كل شي

ثم قال افهمت قلت نعم وانتبهت * وفي خلافة المعتصم وذلك سنة أربع وعشرين ومائتين مات جماعة من نقلة الاخبار وعلية أصحاب الحديث منهم عمرو بن مرزوق الباهلي المصري وأبو النعمان حازم ومحمد بن الفضل السدوسي وأبو أيوب سليمان بن حرب الواشحي البصري من الازد وسعد بن الحكم بن أبي مريم البصري وأحمد ابن عبد الله العراني وسليمان الشاذكوني وعلي ابن المدني وفي سنة تسع وعشرين ومائتين مات بشر الحافي ببغداد وكان من مرو وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي بالبصرة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وعبد الله بن عبد الوهاب الجمحي وابراهيم بن بشار الرمادي وقيل ان فيها كانت وفاة محمد بن كثير العبدي والصحيح ان وفاته كانت في سنة ثلاث

وفيها زادت دجلة أحدى وعشرين ذراعا وغرق كثير من بغداد والعراق وتفجرت البثوق ولم يحج هذه السنة من العراق أحد وفيها توفي ابراهيم بن محمد بن عبيد أبو مسعود الدمشقي الحافظ سافر الكثير في طلب الحديث وله عناية بصحيحي البخاري ومسلم وتوفي أيضا خلف بن محمد بن علي ابن حمدون أبو محمد الواسطي كان فاضلا وله أطراف الصحيحين أيضا

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك يمين الدولة قصدار﴾

في هذه السنة استولى يمين الدولة على قصدار وملكها وسبب ذلك ان ملكها كان قد صالحه على قطيعة يؤديها اليه ثم قطعها اغترارا بحصانة بلده وكثرة المضائق في الطريق واحتمى بايلك الخان وكان يمين الدولة يريد قصدها فيتقي ناحية ايلك الخان فلما فسد ذات بينهما صمم العزم وقصدها وتجهز وأظهر انه يريد هراة فسار من غزنة في جمادى الاولى فلما استقل على الطريق سار نحو قصدار فسبق خبره وقطع تلك المضائق والجبل فلم يشعر صاحبها الا وعسكر يمين الدولة قد أحاط به ليلا فطلب الامان فأجابه وأخذ منه المال الذي كان قد اجتمع عنده واقره على ولايته وعاد

﴿ذكر اسر صالح بن مرداس وملكه حلب وملك أولاده﴾

في هذه السنة كانت وقعة بين أبي نصر لؤلؤ صاحب حلب وبين صالح بن مرداس وكان ابن لؤلؤ من موالي سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان فقوي على ولد سعد الدولة وأخذ البلد منه وخطب للحاكم صاحب مصر ولقبه الحاكم مرتضى الدولة ثم فسد ما بينه وبين الحاكم فطمع فيه ابن مرداس وبنو كلاب وكانوا يطالبونه بالصلات والخلع ثم انهم اجتمعوا هذه السنة في خمسمائة فارس ودخلوا مدينة حلب فأمر ابن لؤلؤ باغلاق الابواب والقبض عليهم فقبض على مائة وعشرين رجلا منهم صالح بن مرداس وحبسهم وقتل مائتين وأطلق من لم يفكر به وكان صالح قد تزوج بابنة عم له تسمى جابرة وكانت جميلة فوصفت لابن لؤلؤ فخطبها الى ابن اخوتها وكانوا في حبسه فذكر واله ان صالحا قد تزوجها فلم يقبل منهم وتزوجها ثم أطلقهم وبقي صالح بن مرداس في الحبس فتوصل حتى صعد من السور وألقى نفسه من أعلى القلعة الى تلها واختفى في مسيل ماء ووقع الخبر بهربه فارسل ابن لؤلؤ الخيل في طلبه فعادوا ولم يظفروا به فلما سكن عنه الطلب سار بقيده ولبنة حديد في رجليه حتى وصل قرية تعرف بالياسرية فرأى ناسا من العرب فعرفوه وحملوه الى أهله بمرج دابق فجمع ألفي فارس فقصد حلب وحاصرها اثنين وثلاثين يوما فخرج اليه ابن لؤلؤ فقاتله فهزمهم صالح واسر ابن لؤلؤ وقيده بقيده الذي كان في رجله ولبنته وكان لابن لؤلؤ أخ فنجا وحفظ مدينة حلب ثم ان ابن لؤلؤ بذل لابن مرداس مالا على ان يطلقه فلما استقر الحال بينهما أخذ رهائنه وأطلقه فقالت أم صالح لابنها قد أعطاك الله مالا كنت تؤمله فان رأيت ان تتم صنيعك باطلاق الرهائن فهو المصلحة فانه ان أراد الغدر بك لا يمنعه من عندك فاطلقهم فلما دخل البلد حمل ابن لؤلؤ اليه أكثر مما استقر وكان قد تقرر عليه مائتا ألف دينار ومائة ثوب واطلاق كل اسير عنده من بني كلاب فلما انفصل الحال ورحل صالح اراد ابن لؤلؤ قبض غلامه فتح وكان دزدار القلعة لانه اتهمه بالممالاة على الهزيمة وكان خلاف ظنه فاطلع على ذلك غلاما له اسمه سرور وأراد أن يجعله مكان فتح فاعلم سرور بعض اصدقائه يعرف بابن غانم وسبب اعلامه انه حضر عنده وكان يخاف ابن لؤلؤ لكثرة ماله فشكا الى سرور ذلك فقال له سيكون أمر تأمن معه فسأله فكتمه فلم يزل يخدعه حتى أعلمه الخبر وكان بين ابن غانم وبين فتح

وعشرين ومائتين (قال المسعودي) وفي سنة سبع وعشرين كانت وفاة المعتصم على دجلة في قصره المعروف بالخاقاني يوم الخميس لثماني عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول وقيل لساعتين من ليلة الخميس وهو ابن ثمان وأربعين سنة وقيل ست وأربعين سنة على ما قدمنا في انقضاء صدر هذا الباب وكان مولده بالخلد ببغداد سنة ثمان وسبعين ومائة في الشهر الثامن من السنة وهو ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات وللمعتصم أخبار حسان وما كان من أمره في فتح عمورية وما كان من حروبه قبل الخلافة في اسفاره نحو الشام ومصر وغير ذلك وما كان منه بعد الخلافة وما حكي عنه من حسن السيرة واستقامة الطريقة ابن دواد القاضي ويعقوب ابن الليث الكندي في لمع أوردها في رسالته المترجمة بسبيل الفضائل قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا في أخبار الزمان والكتاب الاوسط وقد ذكرنا في هذا المعاني منبهة على ما سلف وباعثة على درس ما تقدم

﴿ذكر خلافة الواثق﴾

وبويع هرون بن محمد ابن هرون الواثق ويكنى بأبي جعفر وأمه أم ولد رومية وتسمى قراطيس وذلك في اليوم الذي كانت فيه وفاة المعتصم وهو يوم الخميس لثماني عشرة

مودة فصعد اليه بالقلعة متنكرا فاعلمه الخبر وأشار عليه بمكاتبة الحاكم صاحب مصر وأمر ابن لؤلؤ أخاه أبا الجيش بالصعود الى القلعة بحجة افتقاد الخزائن فاذا صار فيها قبض على فتح وارسل الى فتح يعلمه انه يريد افتقاد الخزائن ويأمره بفتح الابواب فقال فتح انني قد شربت اليوم دواء واسأل تأخير الصعود في هذا اليوم فانني لا اثق في فتح الابواب لغيري وقال للرسول اذا لقيته فاردده فلما علم ابن لؤلؤ الحال أرسل والدته الى فتح ليعلم سبب ذلك فلما صعدت اليه اكرمها وأظهر لها الطاعة فعادت وأشارت على ابنها بترك محاققته ففعل وارسل اليه يطلب جوهرا كان له بالقلعة فغالطه فتح ولم يرسله فسكت على مضض لعلمه ان المحاققة لا تفيد لحصانة القلعة وأشارت والدة ابن لؤلؤ عليه بان يتمارض ويظهر شدة المرض ويستدعي فتحا لينزل اليه ليجعله وصيا فاذا حضر قبضه ففعل ذلك فلم ينزل فتح واعتذر وكاتب الحاكم وأظهر طاعته وخطب له وأظهر العصيان على استاذه وأخذ من الحاكم صيدا وبيروت وكل ما في حلب من الاموال وخرج ابن لؤلؤ من حلب الى انطاكية وبها الروم فاقام عندهم وكان صالح بن مرداس قد مالأ فتحا على ذلك فلما عاد عن حلب استصحب معه والدة ابن لؤلؤ ونساءه وتركهن بمنبج وتسلم حلب نواب الحاكم وتنقلت بأيديهم حتى صارت بيد انسان من الحمدانية يعرف بعزيز الملك فقدمه الحاكم واصطنعه وولاه حلب فلما قتل الحاكم وولي الظاهر عصى عليه فوضعت ست الملك أخت الحاكم فراشا له على قتله فقتله وكان للمصريين بالشام نائب يعرف بانوشتكين البربري وبيده دمشق والرملة وعسقلان وغيرها فاجتمع حسان أمير بني طي وصالح بن مرداس أمير بني كلاب وسنان بن عليان وتحالفوا واتفقوا على أن يكون من حلب الى عانة لصالح ومن الرملة الى مصر لحسان ودمشق لسنان فسار حسان الى الرملة فحصرها وبها أنوشتكين فسار عنها الى عسقلان واستولى عليها حسان ونهبها وقتل أهلها وذلك سنة أربع عشرة وأربعمائة أيام الظاهر لاعزاز دين الله خليفة مصر وقصد صالح حلب وبها انسان يعرف بابن ثعبان يتولى امرها للمصريين وبالقلعة خادم يعرف بموصوف فأما أهل البلد فسلموه الى صالح لاحسانه اليهم ولسوء سيرة المصريين معهم وصعد ابن ثعبان الى القلعة فحصره صالح بالقلعة فغار الماء الذي بها فلم يبق لهم ما يشربون فسلم الجند القلعة اليه وذلك سنة أربع عشرة وملك من بعلبك الى عانة وأقام بحلب ست سنين فلما كانت سنة عشرين وأربعمائة جهز الظاهر صاحب مصر جيشا وسيرهم الى الشام لقتال صالح وحسان وكان مقدم العسكر أنوشتكين البربري فاجتمع صالح وحسان على قتاله فاقتتلوا بالاقحوانة على الاردن عند طبرية فقتل صالح وولده الاصغر ونفذ رأسهما الى مصر ونجا ولده أبو كامل نصر بن صالح فجاء الى حلب وملكها وكان لقبه شبل الدولة فلما علمت الروم بانطاكية الحال تجهزوا الى حلب في عالم كثير فخرج أهلها فحاربوهم فهزموهم ونهبوا أموالهم وعادوا الى انطاكية وبقي شبل الدولة مالكا لحلب الى سنة تسع وعشرين وأربعمائة فارسل اليه الدزبري العساكر المصرية وصاحب مصر حينئذ المستنصر بالله فلقيهم عند حماة فقتل في شعبان وملك الدزبري حلب في رمضان سنة تسع وعشرين وملك الشام جميعه وعظم أمره وكثر ماله وأرسل يستدعي الجند الاتراك من البلاد فبلغ المصريين عنه انه عازم على العصيان فتقدموا الى أهل دمشق بالخروج عن طاعته ففعلوا فسار عنها نحو حلب في ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وتوفي بعد ذلك بشهر واحد وكان أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب بمعز الدولة بالرحبة فلما بلغه موت الدزبري جاء الى حلب فملكها تسليما من أهلها وحصر امرأة الدزبري وأصحابه

ليلة خلت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين وبويع وهو ابن احدى وثلاثين سنة وتسعة أشهر وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما وقيل انه توفي يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وهو ابن أربع وثلاثين سنة ووزيره محمد بن عبد الملك وعلى حسب ما قدمنا في أيام المعتصم من هذا الكتاب والتواريخ متباينة في مقادير أعمارهم وأيامهم في الزيادة والنقصان

﴿ذكر لمع من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه﴾

كان الواثق كثير الاكل والشرب واسع المعروف متعطفا على أهل بيته متفقد الرعيته وسلك في المذهب مذهب أبيه وعمه من القول بالعدل وغلب عليه أحمد بن أبي دواد ومحمد بن عبد الملك الزيات فكان لا يصدر الا عن رأيهما ولا يعاب عليهما فيما رأيا وقلدهما الأمر وفوض اليهما ملكه (وذكر) أبو تمام حبيب ابن أوس الطائي الجاسمي نسبة الى جاسم وهي قرية من أعمال دمشق بين بلاد الاردن ودمشق بموضع يعرف بالجولان ويعرف بجاسم على أميال من الجابية وبلاد نوى من مراعي أيوب عليه السلام قال خرجت في أيام الواثق الى سر من رأى فلما قربت منها لقيني اعرابي فأردت أن اعلم خبر العسكر منه فقلت

بنى عامر قلت كيف علمك بعسكر أمير المؤمنين قال قتل أرضاعا لها قلت

بالقلعة احد عشر شهرا وملكها فى صفر سنة أربع وثلاثين فبقى فيها الى سنة أربعين فأنفذ المصريون الى محاربته أبا عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان فخرج أهل حلب الى حربه فهزمهم واختنق منهم بالباب جماعة ثم انه رحل عن حلب وعاد الى مصر وأصابهم سيل ذهب بكثير من دوابهم وأثقالهم فأنفذ المصريون الى قتال معز الدولة خادما يعرف برفق فخرج اليه فى أهل حلب فقاتلوه فانهزم المصريون وأسر رفق ومات عندهم وكان أسره سنة احدى وأربعين فى ربيع الاول ثم ان معز الدولة بعد ذلك أرسل الهدايا الى المصريين وأصلح أمره معهم ونزل لهم عن حلب فأنفذوا اليها أبا على الحسن بن على بن ملهم واقبوه مكين الدولة فتسلمها من ثمال فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين وسار ثمال الى مصر فى ذى الحجة وسار أخوه أبو ذؤابة عطية بن صالح الى الرحبة وأقام ابن ملهم بحلب فجرى بين بعض السودان واحداث حلب حرب وسمع ابن ملهم ان بعض أهل حلب قد كاتب محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح يستدعونه ليسلموا البلد اليه فقبض على جماعة منهم وكان منهم رجل يعرف بكامل بن نباتة فخاف فجلس يبكى وكان يقول لكل من سأله عن بكائه ان أصحابنا الذين أخذوا قد قتلوا وأخاف على الباقين فاجتمع أهل البلد واشتدوا وراسلوا محمودا وهو منهم على مسير يوم يستدعونه وحصروا ابن ملهم وجاء محمود وحصره معهم فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين ووصلت الاخبار الى مصر فسيروا ناصر الدولة أبا على بن ناصر الدولة بن حمدان فى عسكر بعد اثنين وثلاثين يوما من دخول محمود حلب فلما قارب البلد خرج محمود عن حلب الى البرية واختفى الاحداث جميعهم وكان عطية بن صالح نازلا بقرب البلد وقد كره فعل محمود ابن أخيه فقبض ابن ملهم على مائة وخمسين من الاحداث ونهب وسط البلد وأخذ أموال الناس وأما ناصر الدولة فلم يمكن أصحابه من دخول البلد ونهبه وسار فى طلب محمود فالتقيا بالفنيدق فى رجب فانهزم أصحاب ابن حمدان وثبت هو فجرح وحمل الى محمود أسيرا فأخذه وسار الى حلب فملكها وملك القلعة فى شعبان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وأطلق ابن حمدان فسار هو وابن ملهم الى مصر فجهز المصريون معز الدولة ثمال ابن صالح الى ابن أخيه فحصره فى حلب فى ذى الحجة من السنة فاستنجد محمود خاله منيع بن شبيب ابن وثاب النميرى صاحب حران فجاء اليه فلما بلغ ثمالا مجيئه سار عن حلب الى البرية فى المحرم سنة ثلاث وخمسين وعاد منيع الى حران فعاد ثمال الى حلب وخرج اليه محمود ابن أخيه فاقتتلوا وقاتل محمود قتالا شديدا ثم انهزم محمود فمضى الى أخواله بنى نمير بحران وتسلم ثمال حلب فى ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين وخرج الى الروم فغزاهم ثم توفى بحلب فى ذى القعدة سنة أربع وخمسين وكان كريما حليما وأوصى بحلب لاخيه عطية بن صالح فملكها ونزل به قوم من التركمان مع ابن خان التركمانى فقوى بهم فأشار أصحابه بقتلهم فأمر أهل البلد بذلك فقتلوا منهم جماعة ونجا الباقون فقصدوا محمودا بحران واجتمعوا معه على حصار حلب فحصرها وملكها فى رمضان سنة أربع وخمسين وقصد عمه عطية الرقة فملكها ولم يزل بها حتى أخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ثلاث وستين وسار عطية الى بلد الروم فمات بالقسطنطينية سنة خمس وستين وأرسل محمود التركمان مع أميرهم ابن خان الى ارتاح فحصرها وأخذها من الروم سنة ستين وسار محمود الى طرابلس فحصرها وأخذ من أهلها مالا وعاد وأرسله محمود فى رسالة الى السلطان ألب أرسلان ومات محمود فى حلب سنة ثمان وستين فى ذى الحجة ووصى بها بعده لابنه مشيب فلم ينفذ أصحابه وصيته لصغره وسلموا البلد الى ولده الاكبر واسمه نصر وجده لامه الملك

يا أعرابى ممن أنت قال من
ما تقول فى أمير المؤمنين
قال وثق بالله فكفاه
أشجى القاصية وقدم
العادية ورغب عن كل
ذى جناية قلت فما تقول
فى أحمد بن أبى دواد قال
هضبة لا ترام وجبل لا يضام
تشحذ له المدى وتنصب
له الحبائل حتى اذا أقبل
كان قد وثب وثبة الذئب
وختل ختلة الضب قلت
فما تقول فى محمد بن عبد
الملك الزيات قال وسع
الدانى شره ووصل الى
البعيد ضره له فى كل يوم
صريع لا يرى فيه أثر ناب
ولا مخلاب قلت فما تقول
فى عمرو بن فرج قال ضخم
نهم استعذب الدم بنصبه
القوم ترسا للدعاء قلت فما
تقول فى الفضل بن مروان
قال رجل نبش بعدما قبر
ليس تعد له حياة فى الاحياء
وعليه خفة الموتى قلت
فما تقول فى الوزير قال
تخاله كبش الزنادقة أما
تراه اذا أخمله الخليفة سمن
ورتع واذا هزه امطر فأمرع
قلت فما تقول فى أحمد بن
الخصيب قال ذاك أكل أكلة
نهم فرق زرقة بشم قلت
فما تقول فى ابراهيم أخيه
قال أموات غير أحياء وما
يشعرون أيان يبعثون
قلت فما تقول فى أحمد بن
اسرائيل قال لله دره أى

فاعل هو وأى صابر هو وأعد الصبر دثارا والجود شعارا وأهون عليه بهم قلت فما تقول فى المعلى بن أيوب قال

ذاك رجل خير نصيح السلطان عفيف اللسان سلم من القوم وسلموا

العزيز ابن الملك جلال الدولة بن بويه وتزوجها عند دخولهم مصر لما ملك طغرلبك العراق وكان نصر يدمن شرب الخمر فحمله السكر على ان خرج الى التركمان الذين ملكوا أباه البلد وهم بالحاضر يوم الفطر فلقوه وقبلوا الارض بين يديه فسبهم وأراد قتلهم فرماه أحدهم بنشابة فقتله وملك أخوه سابق وهو الذى كان أبوه أوصى له بحلب فلما صعد القلعة استدعى أحمد شاه مقدم التركمان وخلع عليه وأحسن اليه وبقى فيها الى سنة اثنتين وسبعين فقصده تتش بن ألب أرسلان فحصره بحلب أربعة أشهر ونصفا ثم رحل عنه ونازله شرف الدولة فأخذ البلد منه على ما نذكره ان شاء الله تعالى فهذه جميع أخبار بنى مرداس أتيت بها متتابعة لئلا تجهل اذا تفرقت

﴿ ذكر قتل جماعة من خفاجة ﴾

لما فتح الملك نخر الدولة دير العاقول أتاه سلطان وعلوان ورجب أولاد ثمال الخفاجى ومعهم أعيان عشائرهم وضمنوا حماية سقى الفرات ودفع عقيل عنها وساروا معه الى بغداد فأكرمهم وخلع عليهم وأمرهم بالمسير مع ذى السعادتين الحسن بن منصور الى الانبار فسار واقاما ثم صاروا بنواحى الانبار فسدوا وعاثوا فقبض ذو السعادتين على نفر منهم ثم أطلقهم واستحلفهم على الطاعة والكف عن الاذى فأشار كاتب نصرانى من أهل دقوقا على سلطان بن ثمال بالقبض على ذى السعادتين وأن يظهر أن عقيلا قد أغاروا فاذا خرج عسكر ذى السعادتين انفرد به فأخذه فوصل الى ذى السعادتين الخبر ثم ان سلطانا أرسل اليه يقول له ان عقيلا قد قاربوا الانبار ويطلب منه انفاذ العسكر فقال ذو السعادتين أنا أركب وآخذ العساكر ثم دافعه الى ان فات وقت المسير فانتقض على سلطان ما دبره فأرسل يقول قد أخذت جماعة من عقيل ثم ان ذا السعادتين صنع طعاما كثيرا وحضر عنده سلطان وكاتبه النصرانى وجماعة من أعيان خفاجة فأمر أصحابه بقتل كثير منهم وقبض على سلطان وكاتبه وجماعة ونهب بيوتهم وما فيها وحبس سلطانا ومن معه ببغداد حتى شفع فيهم أبو الحسن بن مزيد وبذل مالا عنهم فأطلقوا وذكر ابن نباته وغيره هذه الحادثة

﴿ ذكر القدح فى نسب العلويين المصريين ﴾

فى هذه السنة كتب ببغداد محضر يتضمن القدح فى نسب العلويين خلفاء مصر وكتب فيه المرتضى وأخوه الرضى وابن البطحاوى العلوى وابن الازرق الموسوى والزكى أبو يعلى عمر ابن محمد ومن القضاة والعلماء ابن الاكفانى وابن الخرزى وأبو العباس الابيوردى وأبو حامد الاسفراينى والكشفلى والقدورى والصيمرى وأبو عبد الله بن البيضاوى وأبو الفضل النسوى وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم وقد ذكرنا الاختلاف فيهم عند ابتداء دولتهم سنة ست وتسعين ومائتين

﴿ ذكر أخذ بنى خفاجة الحجاج ﴾

فى هذه السنة سارت خفاجة الى واقصة وتز حوا ماء البركة والريان والقوا فيهما الحنظل ووصل الحجاج من مكة الى العقبة فلقيهم خفاجة ومنعوهم الماء ثم قاتلوهم فلم يكن فيهم امتناع وأكثروا القتل وأخذوا الاموال ولم يسلم من الحاج الا اليسير فبلغ الخبر فخر الملك الوزير ببغداد فسير العساكر فى أثرهم وكتب الى أبى الحسن على بن مزيد يأمره بطلب العرب والاخذ منهم بثار الحاج والانتقام فسار خلفهم فلحقهم وقد قاربوا البصرة فأوقع بهم فقتل منهم وأسر جماعة كثيرا وأخذ من أموال الحاج ما رآه وكان الباقى قد أخذه العرب وتفرقوا وأرسل الاسرى وما

منه قلت فما تقول فى ابراهيم
ابن رباح قال ذاك رجل
أوثقه كرمه وأسلمه فضله
وله دعاء لا يسلمه ورب
لا يخذله وفوقه خليفة
لا يظلمه قلت فما تقول فى
الحسن ابنه قال ذاك عود
نضار غرس فى منابت الكرم
حتى اذا اهتز حصدوه قلت
فما تقول فى نجاح بن سلمة
قال لله دره أى طالب وتر
ومدرك ثار يلتهب كأنه
شعلة نار له من الخليفة فى
الاحيان جلسة تزيل نعما
وتحل نقما قلت يا أعرابى
أين منزلك حتى آتيك
قال اللهم غفرا ما لى منزل
أنا أشتمل النهار وألتحف
الليل فحيثما أدركنى
الرقاد رقدت قلت فكيف
رضاك عن أهل العسكر
قال ان أعطونى لم أحمدهم
وان ضيعونى لم أذمهم وانى
كما قال هذا الغلام الطائى
وما أبالى وخير القول أصدقه
حقنت لى ماء وجهى أو
حقنت دمى
قلت فأنا قائل هذا الشعر
قال أئنك أنت الطائى
قلت نعم قال لله أبوك وأنت
القائل
ما جود كفك ان جادت
وان بخلت
من ماء وجهى وقد أخلقته
عوض
قلت نعم قال أنت أشعر

أهل زمانك وفى رواية أخرى ليست فى الكتاب

قلت أنشدني شيأ من شعرك فانشدني أقول وجنح الدجا ملبد * والليل من كل فج يد ونحن ضجيعان في مجسد *

استرده من امتعة الحاج الى الوزير فحسن موقعه منه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة توفي أبو الحسن بن اللبان الفرضي في ربيع الاول وتوفي في شهر رمضان عثمان ابن عيسى أبو عمرو الباقلاني العابد وكان مجاب الدعوة رحمة الله عليه

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر قتل قابوس ﴾

في هذه السنة قتل شمس المعالي قابوس بن وشمكير وكان سبب قتله انه كان مع كثرة فضائله ومناقبه عظيم السياسة شديد الاخذ قليل العفو يقتل على الذنب اليسير فضجر أصحابه منه واستطالوا أيامه واتفقوا على خلعه والقبض عليه وكان حينئذ غائبا عن جرجان فلم يخف عليه الامر فلم يشعر ذات ليلة الا وقد أحاط العسكر بباب القلعة التي كان بها وانتهبوا أمواله ودوابه وأرادوا استنزاله من الحصن فقاتلهم هو ومن معه من خواصه وأصحابه فعادوا ولم يظفروا به ودخلوا جرجان واستولوا عليها وعصوا عليه بها وبعثوا الى ابنه منوجهر وهو بطبرستان يعرفونه الحال ويستدعونه ليولوه أمرهم فاسرع السير نحوهم خوفا من خروج الامر عنه فالتقوا واتفقوا على طاعته ان هو خلع أباه فأجابهم الى ذلك على كره وكان أبوه شمس المعالي قد سار نحو بسطام عند حدوث هذه الفتنة لينظر فيما تسفر عنه فأخذوا منوجهر معهم عازمين على قصد والده وازعاجه من مكانه فسار معهم مضطرا فلما وصل الى أبيه أذن له وحده دون غيره فدخل عليه وعنده جمع من أصحابه المحامين عنه فلما دخل عليه تشاكيا ما هما فيه وعرض عليه منوجهر أن يكون بين يديه في قتال أولئك القوم ودفعهم وان ذهبت نفسه فرأى شمس المعالي ضد ذلك وسهل عليه حيث صار الملك الى ولده فسلم اليه خاتم الملك ووصاه بما يفعله واتفقا على ان ينتقل هو الى قلعة جناشك يتفرغ للعبادة الى أن يأتيه اليقين وينفرد منوجهر بتدبير الملك وسار الى القلعة المذكورة مع من اختاره لخدمته وسار منوجهر الى جرجان وتولى الملك وضبطه ودارى أولئك الاجناد وهم نافرون خائفون من شمس المعالي ما دام حيا فشاروا واحتالون ويجيلون الرأي حتى دخلوا الى منوجهر وخوفوه من أبيه مثل ما جرى لهلال بن بدر مع أبيه وقالوا له مهما كان والدك في الحياة لا نأمن نحن ولا أنت واستأذنوه في قتله فلم يرد عليهم جوابا فمضوا اليه الى الدار التي هو فيها وقد دخل الى الطهارة متخففا فأخذوا ما عنده من كسوة وكان الزمان شتاء وكان يستغيث أعطوني ولو جل دابة فلم يفعلوا فمات من شدة البرد وجلس ولده للعزاء ولقب القادر بالله منوجهر فلك المعالي ثم ان منوجهر راسل يمين الدولة ودخل في طاعته وخطب له على منابر بلاده وخطب اليه أن يزوجه بعض بناته ففعل فقوي جنانه وشرع في التدبير على أولئك الذين قتلوا أباه فأبادهم بالقتل والتشريد وكان قابوس غزير الادب وافر العلم له رسائل وشعر حسن وكان عالما بالنجوم وغيرها من العلوم فمن شعره

قل للذي بصروف الدهر عيرنا * هل عاند الدهر الا من له خطر

أما ترى البحر يطفو فوقه جيف * وتستقر بأقصى قعره الدرر

فان تكن نشبت أيدي الخطوب بنا * ومسنا من توالي صرفها ضرر

ففي السماء نجوم غير ذي عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر

﴿ ذكر موت ايلك الخان وولاية أخيه طغان خان ﴾

فلله ما ضمن المجسد

فيا غد ان كنت بي محسنا

فلا تدن من ليلتي يا غد

ويا ليلة الوصل لا تنفدي

كما ليلة الهجر لا تنفد

فقلت لله أبوك وردد ته

مني حتى لقيت ابن أبي دواد وحدثته بخبره فأوصله الى الواثق فأمر له بألف دينار وأخذ له من سائر الكتاب وأهل الدولة ما أغناه به وأغنى عقبه بعده وهذا الخبر فخرجه عن أبي تمام فان كان صادقا فيما قال ولا أراه فقد أحسن الاعرابي في الوصف وان كان أبو تمام هو الذي صنعه وعزاه الى هذا الاعرابي فقد قصر في نظمه اذ كانت منزلته أكبر من هذا * وكانت وفاة أبي تمام بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين وكان خليعا ماجنا وربما أداه ذلك الى ترك موجبات فرضه تماجنا لا اعتقادا (وحدث) محمد ابن يزيد المبرد عن الحسن بن رجاء قال صار الي أبو تمام وأنا بفارس فأقام عندي مقاما طويلا وبلغني الي من غير وجه أنه لا يصلي فوكلت به من يراعيه ويتفقده أوقات الصلاة فوجدت الامر على

ما اتصل بي عنه فعاتبته على فعله ذلك فكان من جوابه أن قال لم انشط للشخوص اليك من مدينة السلام

في

وأتجشم هذه الطرقات الشاقة واكسل عن ركعات لا مؤنة علي فيها لو كنت أعلم ان ان

في هذه السنة توفي أيلك الخان وهو يتجهز للعود الى خراسان ليأخذ بثاره من يمين الدولة وكاتب قدرخان وطغان خان ليساعداه على ذلك فلما توفي ولي بعده أخوه طغان فراسل يمين الدولة وصالحه وقال له المصلحة للاسلام والمسلمين ان تشتغل انت بغزو الهند وأشتغل انا بغزو الترك وان يترك بعضنا بعضا فوافق ذلك هواه فأجابه اليه وزال الخلاف واشتغلا بغزو الكفار وكان ايلك الخان خيرا عادلا حسن السيرة محبا للدين وأهله معظما للعلم وأهله محسنا اليهم

﴿ ذكر وفاة بهاء الدولة وملك سلطان الدولة ﴾

في هذه السنة خامس جمادى الآخرة توفي بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة بن بويه وهو الملك حينئذ بالعراق وكان مرضه تتابع الصرع مثل مرض أبيه وكان موته بارجان وحمل الى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام فدفن عند أبيه عضد الدولة وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر ونصفا وملكه أربعا وعشرين سنة ولما توفي ولي الملك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع وسار من أرجان الى شيراز وولي أخاه جلال الدولة أبا طاهر بن بهاء الدولة البصرة وأخاه أبا الفوارس كرمان

﴿ ذكر ولاية سليمان الاندلس الدولة الثانية ﴾

في هذه السنة ملك سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الاموي ولقب المستعين وهذه غير ولايته منتصف شوال على ما ذكرناه سنة أربعمائة وبايعه الناس وخرج أهل قرطبة اليه يسلمون عليه فانشد متمثلا

اذا ما رأوني طالعا من ثنية * يقولون من هذا وقد عرفوني

يقولون لي اهلا وسهلا ومرحبا * ولو ظفروا بي ساعة قتلوني

وكان سليمان أديبا شاعرا بليغا وأريق في أيامه دماء كثيرة لا تحد وقد تقدم ذكر ذلك سنة أربعمائة وكان البربر هم الحاكمون في دولته لا يقدر على خلافهم لانهم كانوا عامة جنده وهم الذين قاموا معه حتى ملكوه وقد تقدم ذكر ذلك

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة خلع سلطان الدولة على أبي الحسن علي بن مزيد الاسدي وهو أول من تقدم من أهل بيته وفيها قلد الرضي الموسوي صاحب الديوان المشهور نقابة العلويين ببغداد وخلع عليه سواد وهو أول طالبي خلع عليه السواد وفيها توفي أبو بكر الخوارزمي واسمه محمد بن موسى الفقيه الحنفي وأبو الحرث محمد بن محمد بن عمر العلوي نقيب الكوفة وكان يسير بالحاج عشر سنين وأبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان الفقيه الحنبلي وله تصانيف في الفقه والقاضي أبو بكر محمد بن الطيب المتكلم الاشعري وكان مالكي المذهب رثاه بعضهم فقال

انظر الى جبل تمشي الرجال به * وانظر الى القبر ما يحوي من الصلف

وانظر الى صارم الاسلام منغمدا * وانظر الى درة الاسلام في الصدف

وفيها قتل أبو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضي الاندلسي بقرطبة قتله البربر

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر فتح يمين الدولة ناردين ﴾

في هذه السنة سار يمين الدولة الى الهند في جمع عظيم وحشد كثير وقصد واسطة البلاد من الهند فسار شهرين حتى قارب مقصده ورتب أصحابه وعساكره فجمع عظيم الهند به جمع من

صلاها ثوابا أو على من تركها عقابا قال فهممت والله بقتله ثم تخوفت ان يصرف الامر الى غير جهته وهو القائل

وأحق الانام ان يقضى الدين امرؤ كان للاله غريما

وهذا قول مباين لدليل العقل والناس في أبي تمام في طرفي نقيض متعصب له يعظمه أكثر من حقه ويتجاوز به في الوصف ويرى ان شعره فوق كل شعر ومنحرف له معاند فهو ينفي عنه حسنه ويعيب مختاره ويستقبح المعاني الظريفة التي سبق اليها وتفرد بها (وذكر) عبد الله بن الحسن بن سعدان عن المبرد قال كنت في مجلس القاضي أبي اسحق واسمعيل بن اسحق وحضر جماعة سماهم منهم الحارثي الذي قال فيه علي بن الجهم الشامي لم يطلعا الا بدة الحارثي وكوكب الذنب فجرى ذلك الشعر وان كان الكلام تسلسل الى ذكر أبي تمام وشعره وأن الحارثي انشد لابي تمام معاتبة أحسن فيها وأن المبرد استحسان يستعيد الحارثي الشعر ويكتبه منه لاجل القاضي قال

ابن سعدان فاعلمت المبرد أني احفظ الشعر فانشدته اياه فاستحسنه واستعاده مني مرارا حتى حفظه مني وهو

جعلت فداك عبد الله عبدى * تعقب النأى عنه والبعاد
لهلمه من الفتيان بيض * فضواحق الصداقة والوداد

عنده من قواده وأصحابه وبرز الى جبل هناك صعب المرتقى ضيق المسالك فاحتمى به وطاول المسلمين وكتب الى الهنود يستدعيهم من كل ناحية فاجتمع عليه منهم كل من يحمل سلاحا فلما تكاملت عدته نزل من الجبل وتصاف هو والمسلمون واشتد القتال وعظم الامر ثم ان الله تعالى منح المسلمين أكتافهم فهزموهم وأكثروا القتل فيهم وغنموا ما معهم من مال وفيل وسلاح وغير ذلك ووجد فى بيت بدّ عظيم حجر منقور دلت كتابته على انه مبنى منذ أربعين ألف سنة فعجب الناس لقلة عقولهم فلما فرغ من غزوته عاد الى غزنة وأرسل الى القادر بالله يطلب منه منشورا وعهدا بخراسان وما بيده من الممالك فكتب له ذلك ولقب نظام الدين

﴿ذكر ما فعله خفاجة دفعة أخرى﴾

فى هذه السنة جاء سلطان بن ثمال واستشفع بأبى الحسن بن مزيد الى فخر الملك ليرضى عنه فأجابه الى ذلك فأخذ عليه العهود بلزوم ما يحمد أمره فلما خرج وصلت الاخبار بأنهم نهبوا سواد الكوفة وقتلوا طائفة من الجند وأتى أهل الكوفة مستغيثين فسير فخر الملك اليهم عسكرا وكتب الى ابن مزيد وغيره بمحاربتهم فسار اليهم وأوقع بهم بنهر الرمان وأسر محمد بن ثمال وجماعة معه ونجا سلطان وأدخل الاسرى الى بغداد مشهورين وحبسوا وهب على المنهزمين من بنى خفاجة ريح شديدة حارة فقتلت منهم نحو خمسمائة رجل وأفلت منهم جماعة ممن كانوا أسروا من الحجاج وكانوا يرعون ابلهم وغنمهم فعادوا الى بغداد فوجد بعضهم نساءهم قد تزوجن وولدن واقتسمت تركاتهم

﴿ذكر استيلاء طاهر بن هلال على شهرزور﴾

قد ذكرنا حال شهرزور وأن بدر بن حسنويه سلمها الى عميد الجيوش فجعل فيها نوابه فلما كان الآن سار طاهر بن هلال بن بدر الى شهرزور وقاتل من بها من عسكر فخر الملك وأخذها منهم فى رجب فلما سمع الوزير الخبر أرسل الى طاهر يعاتبه ويأمره باطلاق من أسر من أصحابه ففعل ولم تزل شهرزور بيد طاهر الى ان قتله أبو الشوك وأخذها منه وجعلها لاخيه مهلهل

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة سار أبو الحسن على بن مزيد الاسدى الى أبى الشوك على عزم محاربته فاصطلحا من غير حرب وتزوج ابنه أبو الاغر دبيس بن على بأخت أبى الشوك وفيها توفى القاضى أبو الحسن على بن سعيد الاصطخرى وهو شيخ من شيوخ المعتزلة ومشهوريهم وكان عمره قد زاد على ثمانين سنة وله تصانيف فى الرد على الباطنية

﴿ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة﴾

﴿ذكر غزوة تانيشر﴾

قد ذكر ليمين الدولة ان بناحية تانيشر فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة فى الحرب وان صاحبها غال فى الكفر والطغيان والعناد للمسلمين فعزم على غزوه فى عقر داره وان يذيقه شربة من كاس قتاله فسار فى الجنود والعساكر والمتطوعة فلقى فى طريقه أودية بعيدة القعر وعرة المسالك وقفارا فسيحة الاقطار والاطراف بعيدة الاكناف والماء بها قليل فلقوا شدة وقاسوا مشقة الى ان قطعوها فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهرا شديد الجرية صعب المخاضة وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه يمنع من عبوره ومعه عساكره وفيلته التى كان يدل بها فأمر يمين الدولة شجعان عسكره بعبور النهر واشغال الكافر بالقتال ليتمكن باقى العسكر من العبور ففعلوا ذلك

دعوتهم عليك وكنت ممن يعينه على النقر الجياد
قال وسألت عن أبى تمام والبحترى أيهما أشعر فقال لابى تمام استخراجات لطيفة ومعان ظريفة وجيده أجود من شعر البحترى ومن شعر من تقدمه من المحدثين وشعر البحترى أحسن استواء من أبى تمام لان البحترى يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طاعن أو عيب عائب وأبو تمام يقول البيت النادر ويتبعه البيت السخيف وما أشبهه الا بغائص البحر يخرج الدرة والمخشلبة فى نظام واحد وانما يؤتى هو وكثير من الشعراء من البخل باشعارهم والا فلو أسقط من شعره على كثرة عدده ما انكر منه لكان أشعر نظرائه فدعانى هذا القول منه الى أن قرأت عليه شعر أبى تمام وأسقطت خواطئه وكل ما ذم من شعره وأفردت جيده ووجدت ما يتمثل به ويجرى على ألسنة العامة وكثير من الخاصة مائة وخمسين بيتا ولا اعرف شاعرا جاهليا ولا اسلاميا يتمثل له بهذا المقدار من الشعر ثم قال المبرد وبالبحترى يختم الشعر وانشدنى له بيتين زعم المبرد انهما لو اضيفا الى شعر زهير لجازا فيه وهما
وما سفه السفيه وان تعدى *

بانجح فيك من حلم الحليم
متى احفظت ذا كرم تخطى * اليك ببعض افعال اللئيم

وقاتلوا الهنود وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر فى المخاضات وقاتلوهم من جميع جهاتهم الى آخر النهار فانهزم الهند وظفر المسلمون وغنموا ما معهم من أموال وفيلة وعادوا الى غزنة موفورين ظافرين

﴿ذكر قتل بدر بن حسنويه واطلاق ابنه هلال وقتله﴾

فى هذه السنة قتل بدر بن حسنويه أمير الجبل وكان سبب قتله أنه سار الى الحسين بن مسعود الكردى ليملك عليه بلاده فحصره بحصن كوسجد فضجر أصحاب بدر منه لهجوم الشتاء فعزموا على قتله فأتاه بعض خواصه وعرفه ذلك فقال من هم الكلاب حتى يفعلوا ذلك وأبعدهم فعاد اليه فلم يأذن له فقال من وراء الخركاه الذى أعلمتك قد قوى العزم عليه فلم يلتفت اليه وخرج فجلس على تل فثاروا به فقتله طائفة منهم تسمى الجورقان ونهبوا عسكره وتركوه وساروا فنزل الحسين ابن مسعود فرآه ملقى على الارض فأمر بتجهيزه وحمله الى مشهد على عليه السلام ليدفن فيه ففعل ذلك وكان عادلا كثير الصدقة والمعروف كبير النفس عظيم الهمة ولما قتل هرب الجورقان الى شمس الدولة أبى طاهر بن فخر الدولة بن بويه فدخلوا فى طاعته وكان طاهر بن هلال ابن بدر هاربا من جده بنواحى شهرزور فلما عرف بقتله بادر يطلب ملكه فوقع بينه وبين شمس الدولة حرب فأسر طاهر وحبس وأخذ ما كان قد جمعه بعد أن ملك نائبا عن أبيه هلال وكان عظيما وحمله الى همذان وسار اللرية والشاذنجان الى أبى الشوك فدخلوا فى طاعته وحين قتل كان ابنه هلال محبوسا عند الملك سلطان الدولة كما ذكرنا فلما قتل بدر استولى شمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه على بعض بلاده فلما علم سلطان الدولة بذلك أطلق هلالا وجهزه وسير معه العساكر ليستعيد ما ملكه شمس الدولة من بلاده فسار الى شمس الدولة فالتقيا فى ذى القعدة واقتتل العسكران فانهزم أصحاب هلال وأسر هو وقتل أيضا وعادت العساكر التى كانت معه الى بغداد على أسوأ حال وكان ممن أسر معه أبو المظفر أنوشتكين الاعراجى وكان فى مملكة بدر سابور خواست والدينور وبروجرد ونهاوند واسداباذ وقطعة من اعمال الاهواز وما بين ذلك من القلاع والولايات

﴿ذكر الحرب بين على بن مزيد وبين بنى دبيس﴾

فى هذه السنة فى المحرم كانت الحرب بين أبى الحسن على بن مزيد الاسدى وبين مضر ونبهان وحسان وطراد بنى دبيس وسببها انهم كانوا قد قتلوا أبا الغنائم بن مزيد أخا أبى الحسن فى حرب بينهم وقد تقدم ذكرها وحالت الايام بينه وبين الاخذ بثاره فلما كان الآن تجهز لقصدهم وجمع العرب والشاذنجان والجوانية وغيرهما من الاكراد وسار اليهم فلما قرب منهم خرجت زوجته ابنة دبيس وقصدت أخاها مضر بن دبيس ليلا وقالت له قد أتاكم ابن مزيد فيما لا قبل لكم به وهو يقنع منكم بابعاد نبهان قاتل أخيه فأبعدوه وقد تفرقت هذه العساكر فأجابها أخوها مضر الى ذلك وامتنع أخوه حسان فلما سمع ابن مزيد بما فعلته زوجته أنكره وأراد طلاقها فقالت له خفت ان أكون فى هذه الحرب بين فقد أخ حميم أو زوج كريم ففعلت ما فعلت رجاء الصلاح فزال ما عنده منها وتقدم اليهم وتقدموا اليه بالحلل والبيوت فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال لما بين الفريقين من الذحول فظفر ابن مزيد بهم وهزمهم وقتل حسان ونبهان ابنى دبيس واستولى على البيوت والاموال ولحق من سلم من الهزيمة بالحويزة ولما ظفر بهم رأى عندهم مكاتبات فخر الملك يأمرهم بالجد فى أمره ويعدهم النصرة فعاتبه على ذلك

قال وكان مما ذكرنا من شعر البحترى فى هذا المجلس وقدمه محمد بن يزيد على نظرائه فى قوله فى بنى صاعد بن مخلد
واذا رأيت مخايل ابنى صاعد
ادت اليك مخايل ابنى مخلد
كالفرقدين اذا تأمل ناظر
لم يعل موضع فرقد من فرقد
وقوله
من شاكر عنى الخليفة للذى
أولاه من بر ومن احسان
حتى لقد أفضلت من افضاله
ورأيت نهج الجود حيث يرانى
أغنت يداه يدى وشرد جوده
بخلى فأفقرنى كما اغنانى
ووثقت بالخلق الجميل معجلا
منه واعطيت الذى اعطانى
وقوله
وددت بياض السيف يوم لقيتنى
مكان بياض الشيب كان بمفرقى
وقوله
دنوت تواضعا وعلوت قدرا
فشأناك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تسامى
ويدنو الضوء منها والشعاع
وقوله فى الفتح بن خاقان وقد نزل الى أسد فقتله
حملت عليه السيف لا عزمك انثنى
ولا يدك ارتدت ولا حده نبا
فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وصمم لما لم يجد منك مهربا
وكنت متى تجمع يمينك والعلا *

لدى ضيغم لم تبق للسيف مضربا

وقوله مازال صرف الدهر يؤبس صفقتى * حتى رهنت على المشيب

وحصل بينهما نفرة ودعت فخر الملك الضرورة الى تقليد ابن مزيد الجزيرة الدبيسية واستثنى مواضع منها الطيب وقرقوب وغيرهما وبقي أبو الحسن هناك الى جمادى الاولى ثم ان مضر ابن دبيس جمع جمعا وكبس أبا الحسن ليلا فهرب في نفر يسير واستولى مضر على حلله وأمواله وكل ماله ولحق أبو الحسن ببلد النيل منهزما

﴿ذكر ملك شمس الدولة الري وعوده عنها﴾

لما ملك شمس الدولة بن فخر الدولة ولاية بدر بن حسنويه وأخذ ما في قلاعه من الاموال عظم شأنه واتسع ملكه فسار الى الري وبها أخوه مجد الدولة فرحل عن الري ومعه والدته الى دنباوند وخرجت عساكر الري الى شمس الدولة مذعنة بالطاعة ودخل الري وملكها وخرج منها يطلب أخاه ووالدته فشغب الجند عليه وزاد خطبهم وطالبوه مطالبات اتسع الخرق بها فعاد الى همذان وأرسل الى أخيه ووالدته يأمرهما بالعود الى الري فعادا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في شعبان توفي أبو الحسن أحمد بن علي البتي الكاتب الشاعر ومن شعره في تكة

لم لا أتيه ومضجعي * بين الروادف والخصور
واذا نسجت فانني * بين الترائب والنحور
ولقد نشأت صغيرة * بأكف ربات الخدور

وله نوادر كثيرة منها انه شرب فقاعا في دار فخر الملك فلم يستطبه فجلس مفكرا فقال له الفقاعي في أي شيء تفكر فقال في دقة صنعتك كيف أمكنك الخراء في هذه الكيزان الضيقة كلها وفي رمضان منها قتل القاضي أبو القاسم يوسف بن أحمد بن كج الفقيه وكان من أئمة أصحاب الشافعي وكان قاضي الدينور قتله طائفة من عامتها خوفا منه وتوفي أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن نباتة السعدي الشاعر والقاضي أبو محمد بن الاكفاني قاضي بغداد وولي بعده قضاء القضاة أبو الحسن بن أبي الشوارب البصري وتوفي أبو أحمد عبد السلام بن الحسن البصري الاديب وأبو القاسم هبة الله ابن عيسى كاتب مهذب الدولة بالبطيحة وهو من الكتاب المفلقين ومكاتباته مشهورة وكان ممدحا وممن مدحه ابن الحجاج وتوفي أيضا عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس أبو سعيد الادريسي الاستراباذي الحافظ نزيل سمرقند وهو مصنف تاريخ سمرقند وتوفي أيضا الحاكم أبو عبد الله محمد ابن عبد الله النيسابوري صاحب التصانيف الحسنة المشهورة وأبو الحسن بن عياض وكان يلقب الناصر وكان يتولى الاهواز وقام ولده بتكين مقامه وأبو علي الحسين بن الحسين بن حمكان الهمذاني الفقيه الشافعي وكان اماما عالما

﴿ثم دخلت سنة ست وأربعمائة﴾

﴿ذكر الفتنة بين باديس وعمه حماد﴾

في هذه السنة ظهر الاختلاف بين الامير باديس صاحب افريقية وعمه حماد حتى آل الامر بينهما الى الحرب التي لا بقيا بعدها وسبب ذلك أن باديس ابلغ عن عمه حماد قوارص وأمورا أنكرها فاغضى عليها حتى كثر ذلك عليه وكان لباديس ولد اسمه المنصور أراد أن يقدمه ويجعله ولي عهده فأرسل الى عمه حماد يقول له بأن يسلم بعض ما بيده من الاعمال التي اقطعه الى نائب ابنه المنصور وهي مدينة تيجس وقصر الافريقي وقسنطينة وسير الى تسليم ذلك هاشم بن جعفر وهو من كبار قوادهم وسير معه عمه ابراهيم ليمنع أخاه حمادا من أمر ان أراده فسارا الى أن قاربا

حمادا

شبابي
وقوله في المنتصر
وان عليا الاولى بكم
وأزكى يدا عندكم من عمر
وكان له فضله والحجو
ل يوم البراذين قبل الغرر
وقوله
تعيب الغانيات على شيبي
ومن لي أن أمتع بالمشيب
ثم ذكر انتقاض الصلح بين
عشيرته فقال
اذا ما الجرح رم على فساد
تبين فيه تفريط الطبيب
وللسهم الشديد أخف عبأ
على الرامي من السهم المصيب
وقوله
وما منع الفتح بن خاقان نيله
ولكنها الايام تعطي وتحرم
سحاب خطاني جوده وهو
مسبل
وبحر عداني فيضه وهو مفعم
أأشكو نداه بعد أن وسع
الورى
ومن ذا يذم الغيث الا مذمم
وذكر محمد بن الازهر قال
كان ابراهيم بن المدبر مع محله
في العلم والادب والمعرفة
يسيء الرأي في أبي تمام
ويحلف أنه لا يحسن شيأ
قط فقلت له يوما ما تقول في
قوله
غدا الشيب مختطا بفودي
خطة
سبيل الردى منها الى النفس
مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى * وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع

ولكنه في القلب أسود أسفع * ونحن نرجيه على الكره والرضا
وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

حمادا ففارق ابراهيم هاشما وتقدم الى أخيه حماد فلما وصل اليه حسن له الخلاف على باديس ووافقه على ذلك وخلعا الطاعة وأظهرا العصيان وجمعا الجموع الكثيرة فكانوا ثلاثين ألف مقاتل فبلغ ذلك باديس فجمع عساكره وسار اليهما ورحل حماد وأخوه ابراهيم الى هاشم بن جعفر والعسكر الذين معه وهو بقلعة شقنبارية فكان بينهم حرب انهزم ابن جعفر ولجأ الى باجة وغنم حماد ماله وعدده فرحل باديس الى مكان يسمى قبر الشهيد فأتاه جمع كثير من عسكر عمه حماد ووصلت كتب حماد وابراهيم الى باديس أنهما ما فارقا الجماعة ولا خرجا عن الطاعة فكذبهما ما ظهر من أفعالهما من سفك الدماء وقتل الاطفال واحراق الزروع والمساكن وسبي النساء ووصل حماد الى باجة فطلب أهلها منه الامان فأمنهم واطمأنوا الى عهده فدخلها يقتل وينهب ويحرق ويأخذ الاموال وتقدم باديس اليه بعساكره فلما كان في صفر سنة ست وأربعمائة وصل حماد الى مدينة أشير وهي له وفيها نائبه واسمه خلف الحميري فمنعه خلف من دخولها وصار في طاعة باديس فسقط في يد حماد فانها كانت معوله لحصانتها وقوتها ووصل باديس الى مدينة المسيلة ولقيه أهلها وفرحوا به وسير جيشا الى المدينة التي أحدثها حماد فخربوها الا انهم لم يأخذوا مال أحد وهرب الى باديس جماعة كثيرة من جند القلعة التي له وفيها أخوه ابراهيم فأخذ ابراهيم ابناءهم وذبحهم على صدور أمهاتهم فقيل انه ذبح بيده منهم ستين طفلا فلما فرغ من الاطفال قتل الامهات وتقارب باديس وحماد والتقوا مستهل جمادى الاولى واقتتلوا أشد قتال وأعظمه ووطن أصحاب باديس أنفسهم على الصبر أو الموت لما كان حماد يفعله لمن يظفر به واختلط الناس بعضهم ببعض وكثر القتل ثم انهزم حماد وعسكره لا يلوي على شيء وغنم عسكر باديس أثقاله وأمواله وفي جملة ما غنم منه عشرة آلاف درقة مختارة لمط ولولا اشتغال العسكر بالنهب لاخذ حماد أسيرا وسار حتى وصل الى قلعته تاسع جمادى الاولى وجاء الى مدينة دكمة فتجنى على أهلها فوضع السيف فيهم فقتل ثلثمائة رجل فخرج اليه فقيه منها وقال له يا حماد اذا لقيت الجيوش انهزمت واذا فاتتك الجموع فررت وانما قدرتك وسلطانك على أسير لا قدرة له عليك فقتله وحمل جميع ما في المدينة من طعام وملح وذخيرة الى القلعة التي له وسار باديس خلفه وعزم على المقام بناحيته وأمر بالبناء وبذل الاموال لرجاله فاشتد ذلك على حماد وأنكر رجاله وضعفت نفسه وتفرق عنه أصحابه ثم مات وروبن سعيد الزناتي المتغلب على ناحية طرابلس واختلفت كلمة زناتة فمالت فرقة مع أخيه خزرون وفرقة مع ابن وروفاشتد ذلك أيضا على حماد وكان يطمع أن زناتة تغلب على بعض البلاد فيضطر باديس الى الحركة اليهم

﴿ذكر وفاة باديس وولاية ابنه المعز﴾

لما كان يوم الثلاثاء سلخ ذي القعدة سنة ست وأربعمائة أمر باديس بعرض العساكر فرأى ما سره وركب آخر النهار ونزل ومعه جماعة من أصحابه ففارقوه الى خيامهم فلما كان نصف الليل توفي وخرج الخادم في الوقت الى حبيب بن أبي سعيد وباديس بن أبي حمامة وأيوب بن يطوفت وهم أكبر قواده فاعلمهم بوفاته وكان بين حبيب وباديس بن حمامة عداوة فخرج حبيب مسرعا الى باديس وخرج باديس اليه أيضا فالتقيا في الطريق فقال كل واحد منهما لصاحبه قد عرفت الذي بيننا والاولى ان نتفق على اصلاح هذا الخلل فاذا انقضى رجعنا الى المنافسة فاجتمعا مع أيوب وقالوا ان العدو قريب منا وصاحبنا بعيد منا ومتى لم نقدم رأسا نرجع اليه في أمورنا لم نأمن العدو ونحن نعلم ميل صنهاجة الى المعز وغيرهم الى كرامت بن المنصور أخي

وفيه يقول
فان ترم عن عمر تداعى به
المدى
فخانك حتى لم تجد فيه منزعا
فما كنت الا السيف لاقى
ضريبة
فقطعها ثم انثنى فتقطعا
وفيه يقول
شرف على أول الزمان
وانما
شرف المناسب ما يكون
كريما
وفيه يقول
اذا أحسن الاقوام أن
يتطاولوا
بلا نعمة أحسنت أن تتطولا
وفيه يقول
مطر لي الحياة والمال
لا أل
فالك الا مستوهبا أو وهوبا
واذا ما أردت كنت رشاء
واذا ما أردت كنت قليبا
والقائل
خشعوا لصولتك التي
عودتهم
كالموت يأتي ليس فيه عثار
فالمشي همس والنداء اشارة
خوف انتقامك والحديث
سرار
أيامنا معقودة أطرافها
بك والليالي كلها أسحار
تبدي عقابك للعصاة
وتغتدي
رفقا الى زوارك الزوار
وفيه يقول
اذا أوهدت أرضا كان فيها
رضاك فلا تحن الى رباها * قال فوالله لكأني أغريت ابن المدبر بأبي تمام حتى سبه ولعنه فقلت اذا فعلت ذلك لقد حدثني عمر

بادیس فاجتمعوا على تولية كرامت ظاهرا فاذا وصلوا الى موضع الامن ولوا المعز بن باديس وينقطع الشر فأحضروا كرامت وبايعوه وولوه فى الحال واصبحوا وليس عند أحد من العسكر خبر من ذلك وعزموا أن يقولوا للناس بكرة ان باديس قد شرب دواء فلما اصبحوا أغلق أهل مدينة المحمدية أبوابها وكانوا نودى فيهم بموت باديس فشاع الخبر وخاف الناس خوفا عظيما واضطربوا لموته واظهروا ولاية كرامت فلما رأى ذلك عبيد باديس ومن معهم انكروه فخلا حبيب باكابرهم وعرفهم الحال فسكنوا ومضى كرامت الى مدينة أشير ليجمع صنهاجة وتلكاتة وغيرهم واعطوهم من الخزائن مائة ألف دينار وأما المعز فانه كان عمره ثمان سنين وستة أشهر وأياما تقريبا الان مولده كان فى جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ولما وصل اليه الخبر بموت أبيه اجلسه من عنده للعزاء ثم ركب فى الموكب وبايعه الناس فكان يركب كل يوم ويطعم الناس كل يوم بين يديه وأما العساكر فانهم رحلوا من مدينة المحمدية الى المعز وحملوا باديس فى تابوت بين يدى العسكر والطبول والبنود على رأسه والعساكر تتبعه ميمنة وميسرة وكان وصولهم الى المنصورية رابع المحرم سنة سبع وأربعمائة ووصلوا الى المهدية والمعز بها ثامن المحرم فركب المعز ووقف حبيب يعلمه بهم ويذكر له أسماءهم ويعرفه بقوادهم وأكابرهم فرحل المعز من المهدية فوصل الى المنصورية منتصف المحرم وهذا المعز أول من حمل الناس بافريقية على مذهب مالك وكان الاغلب عليهم مذهب أبى حنيفة وأما كرامت فانه لما وصل الى مدينة أشير اجتمع عليه قبائل صنهاجة وغيرهم فأتاه حماد فى ألف وخمسمائة فارس فتقدم اليه كرامت بسبعة آلاف مقاتل فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فرجع بعض أصحاب كرامت الى بيت المال فانتهبوه وهربوا فتمت الهزيمة عليه وعلى أصحابه ووصل الى مدينة أشير فأشار عليه قاضيها واعيان أهلها بالمقام ومنع حماد عنها ففعل ونازلهم حماد وطلب كرامت ليجتمع به فخرج اليه فاعطاه مالا وأذن له فى المسير الى المعز وقتل حماد من أهل أشير كثيرا حيث أشاروا على كرامت بحفظ البلد ومنع حماد منه ووصل كرامت الى المعز فى المحرم هذه السنة فاكرمه واحسن اليه وفى آخر ذى الحجة سير الحاكم الخلع من مصر الى المعز ولقبه شرف الدولة ولم يذكر ما كان منه الى الشيعة من القتل والاحراق وسار المعز الى حماد لثمان بقين من صفر سنة ثمان وأربعمائة بالعساكر لمنعه عن البلاد فانه كان يحاصر باغاية وغيرها فلما قاربه رحل عن باغاية والتقوا آخر ربيع الاول فاقتتلوا قتالا كان الاساءة حتى انهزم حماد وأصحابه ووضع أصحاب المعز فيهم السيف وغنموا ما لهم من عدد ومال وغير ذلك فنادى المعز من أتى برأس فله أربعة دنانير فأتى بشئ كثير وأسر ابراهيم أخو حماد ونجا حماد وقد أصابته جراحة وتفرق عنه أصحابه ورجع المعز وورد رسول من حماد اليه يعتذر ويقر بالخطا ويسأل العفو فأجابه المعز ان كنت على ما قلته فأرسل ولدك القائد الينا واستعمل المعز على جميع العرب المجاورة لابراهيم عمه كرامت فعاد جواب حماد انه اذا وصله كتاب أخيه ابراهيم بالعلامات التى بينهم أنه قد أخذ له عهد المعز بعث ولده القائد أو حضر هو بنفسه فحضر ابراهيم وأخذ العهود على المعز وأرسل اليه يعرفه ذلك ويشكر المعز على احسانه اليه ووصل المعز الى قصره آخر جمادى الاولى ولما وصل اطلق عمه ابراهيم وخلع عليه واعطاه الاموال والدواب وجميع ما يحتاج اليه فلما سمع حماد ذلك أرسل ولده القائد الى المعز وكان وصوله للنصف من شعبان فأكرمه واعطاه شيأ كثيرا وأقطعه المسيلة وطبنة وغيرهما وعاد الى أبيه فى شهر رمضان ورضى الصلح وحلف عليه واستقرت الامور بينهما

الراوية أن أباه وجهه به الى ابن الاعرابى يقرأ عليه أشعار هذيل فعرت بها

ابن أبى الحسين الطوسى
اراجيز فأنشدته ارجوزة
لأبى تمام لم أنسبها اليه
وهى
وعاذل عذلته من عذله
فظن أنى جاهل من جهله
ما غبن المغبون مثل عقله
من لك يوما بأخيك كله
لبست ريبه انى فدعنى ابله
ومالك فى كبره ونبله
وسوقة فى قوله وفعله
بذلت مدحى فيه باغى بذله
فجز حبل املى من وصله
من بعد ما استعذبنى بمطله
ثم اعتدى معتديا بجهله
ذاعنق فى الجهل لم يخله
يلحظنى فى جده وهزله
يعجب من تعجبى من بخله
لحظ الاسير حلقات كبله
حتى كأنى جئته بعذله
يا واحدا منفردا بعدله
أكسبته المال فلا تمله
ما يصنع الغمد بغير نصله
والمدح ذم لم يكن فى أهله
فقال لابنه اكتبها فكتبها
على ظهر كتاب من كتبه
فقلت له جعلت فداك انها
لأبى تمام فقال خرق خرق
وهذا من ابن المدبر قبيح من
عمله لان الواجب أن
لا يدفع احسان محسن
عدوا كان أو صديقا وأن
تؤخذ الفائدة من الوضيع
والرفيع فقد روى عن أمير
المؤمنين أنه قال الحكمة
ضالة المؤمن فخذ ضالتك
ولو من أهل الشرك * وقد
ذكر عن بزرجمهر وكان من حكماء الفرس وقد قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار ملوك ساسان وهم الفرس الثانية أنه قال أخذت من كل شئ أحسن ما فيه

وتصاهروا وزوج المعز أخته بعبد الله بن حماد فازدادوا اتفاقا وأمنا وكان بافريقية والغرب غلاء بسبب الجراد واختلاف الملوك ولما استقر الصلح والاتفاق سير المعز الجيوش الى القبائل من البربر وغيرهم فان الحروب بينهم كانت بسبب الاختلاف كثيرة والدماء مسفوكة فلما رأوا عساكر السلطان رجعوا الى السكون وترك الحرب ومن أبى قوتل فقتل المفسدون وأصلح ما بين القبائل ووصل من جزيرة الاندلس زاوى بن زيرى بن مناد عم أبى المعز وأهله وولده وحشمه وكان قد أقام بالاندلس مدة طويلة وقد ذكرنا سبب دخوله الاندلس وملك بالاندلس غرناطة وقاسى حروبا كثيرة ووصل معه من الاموال والعدد والجواهر شئ كثير لا يحد فأكرمهم المعز وحمل لهم شيأ عظيما واقامات زائدة واقاموا عنده كان ينبغى ان يكتب وفاة باديس وما بعده سنة سبع وأربعمائة وانما أتبعنا بعض أخبارهم بعضا

﴿ذكر غزوة محمود الى الهند﴾

فى هذه السنة غزا محمود بن سبكتكين الهند على عادته فضل أدلاؤه الطريق ووقع هو وعسكره فى مياه افاضت من البحر فغرق كثير ممن معه وخاض الماء بنفسه أياما حتى تخلص وعاد الى خراسان

﴿ذكر قتل فخر الملك ووزارة ابن سهلان﴾

وفيها قبض سلطان الدولة على نائبه بالعراق ووزيره فخر الملك أبى غالب وقتل سلخ ربيع الاول وكان عمره اثنتين وخمسين سنة واحد عشر شهرا وكان نظره بالعراق خمس سنين وأربعة شهور واثنى عشر يوما وكان كافيا حسن الولاية والآثار ووجد له ألف ألف دينار عينا سوى ما نهب وسوى الاعراض وكان قبضه بالاهواز ولما مات نقل الى مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام فدفن هناك قيل كان ابن علمكار وهو من كبار قوادهم قد قتل انسانا ببغداد فكانت زوجته تكتب الى فخر الملك أبى غالب تتظلم منه ولا يلتفت اليها فلقيته يوما وقالت له تلك الرقاع التى كنت اكتبها اليك صرت اكتبها الى الله تعالى فلم يمض على ذلك غير قليل حتى قبض هو وابن علمكار فقال له فخر الملك قد برز جواب رقاع تلك المرأة ولما قبض فخر الملك استوزر سلطان الدولة أبا محمد الحسن بن سهلان فلقب عميد أصحاب الجيوش وكان مولده برامهرمز فى شعبان سنة احدى وستين وثلثمائة

﴿ذكر قتل طاهر بن هلال بن بدر﴾

فى هذه السنة اطلق شمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه طاهر بن هلال بن بدر واستحلفه على الطاعة له واجتمع معه طوائف فقوى بهم وحارب أبا الشوك فهزمه وقتل سعدى أخو أبى الشوك ثم انهزم أبو الشوك منه مرة ثانية ومضى منهزما الى حلوان وبذل له أبو الحسن بن مزيد الاسدى المعاونة فلم يكن فيه معاودة الحرب وأقام طاهر بالنهروان وصالح أبا الشوك وتزوج أخته فلما أمنه طاهر وثب عليه أبو الشوك فقتله بثار أخيه سعدى وحمله أصحابه فدفنوه بمشهد باب التبن

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها توفى الشريف الرضى محمد بن الحسين بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر أبو الحسن صاحب الديوان المشهور وشهد جنازته الناس كافة ولم يشهدها أخوه لانه لم يستطع ان ينظر الى جنازته فأقام بالمشهد الى أن أعاده الوزير فخر الملك الى داره ورثاه كثير من الشعراء منهم أخوه المرتضى فقال

يا للرجال لفجعة جذمت يدى * ووددت انها ذهبت على براسى

حتى من الكلب والهرة
والخنزير والغراب قيل
ما اخذت من الكلب قال
ألفه لاهله وذبه عن
صاحبه قيل فما أخذت
من الغراب قال شدة حذره
قيل فمن الخنزير قال بكوره
فى حوائجه قيل فمن الهرة
قال حسن نغمتها وتملقها
لاهلها عند المسئلة ومن
عاب مثل هذه الاشعار
التى ترتاح لها القلوب
وتحرك بها النفوس وتصغى
اليها الاسماع وتشحذ بها
الاذهان ويعلم كل من له
قريحة وفضل ومعرفة أن
قائلها قد بلغ فى الاجادة بعد
غاية واقصى نهاية فانما
غض من نفسه وطعن على
معرفته واختياره (وقد
روى) عن ابن عباس انه
قال الهوى اله معبود
واحتج بقوله تعالى أفرأيت
من اتخذ الهه هواه * ولابى
تمام أشعار حسان ومعان
لطاف واستخراجات بديعة
(وحكى) عن بعض العلماء
بالشعر أنه سئل عن أبى تمام
فقال كانه جمع شعر العالم
فانتخب جوهره وقد كان
أبو تمام ألف كتابا وسماه
الحماسة وفى الناس من
يسميه كتاب الحبية انتخب
فيه شعر الناس ظهر بعد
وفاته وقد صنف أبو بكر
الصولى كتابا جمع فيه أخبار
أبى تمام وشعره وتصرفه
فى أنواع علومه ومذاهبه واستدل الصولى على

مازالت آبى وردها حتى أتت * فحسوتها فى بعض ما أنا حاسى
ومطلتها زمنا فلما صممت * لم يثنها مطلى وطول مكاسى
لاتنكروا من فيض دمعى عبرة * فالدمع خير مساعد ومواسى
واها لعمرك من قصير طاهر * ولرب عمر طال بالارجاس

وفيها توفى أبو طالب أحمد بن بكر العبدى النحوى مصنف شرح الايضاح وأبو أحمد عبد السلام بن أبى مسلم الفرضى والامام أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الاسفراينى امام أصحاب الشافعى وكان يحضر درسه أربعمائة متفقه وكان يدرس بمسجد عبد الله بن المبارك بقطيعة الفقهاء وكان عمره احدى وستين سنة وأشهرا وفيها توفى أبو جعفر استاذ هرمز بن الحسن والد عميد الجيوش بشيراز وكان عمره مائة وخمس سنين وتوفى شهاب الدولة أبو درع رافع بن محمد بن مقرن وله شعر حسن منه

مازلت أبكى فى الديار تأسفا * لبين خليل أو فراق حبيب
فلما عرفت الربع لاشك انه * هو الربع فاضت مقلتى بغروب
وجربت دهرى ناسيا فوجدته * أخاغير لاتنقضى وخطوب
وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد * من الناس خدنا حافظا للمغيب
ولم يبق منهم حافظ لذمامه * ولاناصر يرعى جوار قريب

وفيها توفى الشار أبو نصر الذى كان صاحب غرشستان من خراسان فى قبض يمين الدولة وقد ذكرنا سبب ذلك وفيها فى صفر قلد الشريف المرتضى أبو القاسم أخو الرضى نقابة العلويين والحج والمظالم بعد موت أخيه الرضى وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أهل الكرخ وبين أهل باب الشعير ونهبوا القلائين فانكر فخر الملك على أهل الكرخ ومنعوا من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح وفيها وقع بالبصرة وماجاورها وباء شديد عجز الحفارون عن حفر القبور وفيها فى حزيران جاء مطر شديد فى بلاد العراق وكثير من البلاد

﴿ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل خوارزمشاه وملك يمين الدولة خوارزم وتسليمها الى التونتاش﴾

فى هذه السنة قتل خوارزمشاه أبو العباس مأمون بن مأمون وملك يمين الدولة خوارزم وسبب ذلك ان أبا العباس كان قد ملك خوارزم والجرجانية كما ذكرناه وخطب الى يمين الدولة فزوجه أخته ثم ان يمين الدولة أرسل اليه يطلب أن يخطب له على منابر بلاده فأجابه الى ذلك وأحضر أمراء دولته واستشارهم فى ذلك فأظهروا الامتناع ونهوه عنه وتهددوه بالقتل ان فعله فعاد الرسول وحكى ليمين الدولة ماشاهده ثم ان أمراءه خافوه حيث ردوا أمره فقتلوه غيلة ولم يعلم قاتله وأجلسوا مكانه أحد أولاده وعلموا أن يمين الدولة يسوءه ذلك وربطا لهم بثأره فتعاهدوا على مقاتلته ومقارعته واتصل الخبر بيمين الدولة فجمع العساكر وسار نحوهم فلما قاربهم جمعهم صاحب جيشهم ويعرف بالبتكين البخارى وأمرهم بالخروج الى لقاء مقدمة يمين الدولة والايقاع بمن فيها من الاجناد فساروا معه وقاتلوا مقدمة يمين الدولة واشتد القتال بينهم واتصل الخبر بيمين الدولة فتقدم نحوهم فى سائر جيوشه فلحقهم وهم فى الحرب فثبت الخوارزمية الى ان انتصف النهار وأحسنوا القتال ثم انهم انهزموا وركبهم أصحاب يمين الدولة يقتلون ويأسرون ولم يسلم الا القليل ثم ان البتكين ركب سفينة لينجو فيها فجرى بينه وبين من معه منافرة فقاموا

عليه

ماوصف عن أبى تمام بما يوجد من شعره من ذلك قوله فى صفة الخمر جهمية الاوصاف الا انهم *
قد لقبوها جوهر الاشياء
وقد رثته الشعراء بعد وفاته والادباء من اخوانه منهم الحسن بن وهب الكاتب وكان شاعرا ظريفا له حظ فى المنثور والمنظوم فقال

سقى بالموصل الجدث الغريبا
سحائب ينتحبن له نحيبا
اذا أطللنه أطللن فيه
شعيب المزن يتبعها شعيبا
ولطمت البروق به خدودا
وشققت الرعود لها جيوبا
فان تراب ذاك القبر يحوى
حبيبا كان يدعى لى حبيبا
لبيبا شاعرا فطنا أديبا
أصيل الرأى فى الجلى أريبا
اذا شاهدته رواك فيما
يسرك رقة منه وطيبا
أبا تمام الطائى ماذا
لقينا بعدك العجب العجيبا
فقدناك فقدنا علقا لانرانا
نصيب له مدى الدنيا ضريبا
وكنت أخا لنا أبدى الينا
ضمير الود والنسب القريبا
فلما بنت كدرت الليالى
قريب الدار والاقصى الغريبا
فأبدى الدهر أقبح صفحتيه
ووجها كالحاجهما قطوبا

عليه وأوثقوه وردوا السفينة الى ناحية يمين الدولة وسلموه اليه فاخذه وسائر القواد المأسورين معه وصلبهم عند قبر أبى العباس خوارزمشاه وأخذ الباقين من الاسرى فسيرهم الى غزنة فوجا بعد فوج فلما اجتمعوا بها أفرج عنهم وأجرى لهم الارزاق وسيرهم الى أطراف بلاده من أرض الهند يحمونها من الاعداء ويحفظونها من أهل الفساد وأخذ خوارزم واستناب بها حاجبه التونتاش

﴿ذكر غزوة قشمير وقنوج وغيرهما﴾

فى هذه السنة غزا يمين الدولة بلاد الهند بعد فراغه من خوارزم فسار منها الى غزنة ومنها الى الهند عازما على غزو قشمير اذ كان قد استولى على بلاد الهند مابينه وبين قشمير وأتاه من المتطوعة نحو عشرين ألف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد وسار اليها من غزنة ثلاثة أشهر سيرا دائما وعبر نهر سيحون وجيلوم وهما نهران عميقان شديدا الجرية فوطئ أرض الهند وأتاه رسل ملوكها بالطاعة وبذل الاتاوة فلما بلغ درب قشمير أتاه صاحبها وأسلم على يده وسار بين يديه الى مقصده فبلغ ماجون فى العشرين من رجب وفتح ماحولها من الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن هودب وهو آخر ملوك الهند فنظر هودب من أعلى حصنه فرأى من العساكر ماهاله وأرعبه وعلم أنه لاينجيه الا الاسلام فخرج فى نحو عشرة آلاف ينادون بكلمة الاخلاص طلبا للخلاص فقبله يمين الدولة وسار عنه الى قلعة كلجند وهو من أعيان الهند وشياطينهم وكان على طريقه غياض ملتفة لايقدر السالك على قطعها الا بمشقة فسير كلجند عساكره وفيوله الى أطراف تلك الغياض يمنعون من سلوكها فترك يمين الدولة عليهم من يقاتلهم وسلك طريقا مختصرة الى الحصن فلم يشعروا به الا وهو معهم فقاتلهم قتالا شديدا فلم يطيقوا الصبر على حد السيوف فانهزموا وأخذهم السيف من خلفهم ولقوا نهرا عميقا بين أيديهم فاقتحموه فغرق أكثرهم وكان القتلى والغرقى قريبا من خمسين ألفا وعمد كلجند الى زوجته فقتلها ثم قتل نفسه بعدها وغنم المسلمون أمواله وملكوا حصونه ثم سار نحو بيت متعبد لهم وهو مهرة الهند وهو من أحصن الابنية على نهر ولهم به من الاصنام كثير منها خمسة أصنام من الذهب الاحمر مرصعة بالجواهر وكان فيها من الذهب ستمائة ألف وتسعون ألفا وثلثمائة مثقال وكان بها من الاصنام المصوغة من النقرة نحو مائتى صنم فأخذ يمين الدولة ذلك جميعه وأحرق الباقى وسار نحو قنوج وصاحبها راجيال فوصل اليها فى شعبان فرأى صاحبها قد فارقها وعبر الماء المسمى كنك وهو ماء شريف عندهم يرون انه من الجنة وان من غرق نفسه فيه طهر من الآثام فاخذها يمين الدولة وأخذ قلاعها وأعمالها وهى سبع على الماء المذكور وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم يذكرون أنها عمرت من مائتى ألف سنة الى ثلثمائة ألف كذبا منهم وزورا ولما فتحها اباحها عسكره ثم سار الى قلعة البراهمة فقاتلوه وثبتوا فلما عضهم السلاح علموا انهم لاطاقة لهم فاستسلموا للسيف فقتلوا ولم ينج منهم الا الشريد ثم سار نحو قلعة آسى وصاحبها جندبال فلما قاربها هرب جندبال وأخذ يمين الدولة حصنه ومافيه ثم سار الى قلعة شروه وصاحبها جندرآى فلما قاربه نقل ماله وفيوله نحو جبال هنالك منيعة يحتمى بها وعمى خبره فلم يدر اين هو فنازل يمين الدولة حصنه فافتتحه وغنم مافيه وسار فى طلب جندرآى جريدة وقد بلغه خبره فلحق به فى آخر شعبان فقاتله فقتل أكثر جند جندرآى وأسر كثيرا منهم وغنم مامعه من مال وفيل وهرب جندرآى فى نفر من أصحابه فنجا وكان السبى فى هذه الغزوة كثيرا حتى ان أحدهم كان يباع بأقل من عشرة دراهم ثم عاد الى غزنة ظافرا ولما عاد من هذه الغزوة أمر ببناء جامع غزنة فبنى بناء لم يسمع بمثله ووسع فيه وكان جامعها القديم

فأحر بأن يطيب الموت فيه * وأحر بعيشنا أن لا يطيبا والحسن أشعار حسان ومعان جياد منها قوله

أبت مقلتاك لفرط الحزن
عليك الرقاد وبرد الوسن
وحق لعينيك أن لاتناما
وقلبك مختلس مرتهن
وبين الجوانح داء دفين
لعمرك مستتر قد كمن
نجى الهموم وقرن الكلوم
ووهى الحلوم وبعد الوطن
شديد النفار كثير العثار
خليع العذار يجر الرسن
أفى كل يوم تطيل الوقوف
تناجى الديار وتبكى الدمن
وتستخبر الدار عن أهلها
وتذرى الدموع على من ظعن
كأنك لم ترفيما مضى
من الدهر ذا صبوة مفتتن
عذرتك أيام شرخ الشباب
وفرعك فرع نضير الغصن
فأما وقد زال ظل الشباب عنك وولى كأن لم يكن
وألبسك الشيب بعد الشباب
قناع بياض كلون القطن
وصرت قذى فى عيون الحسان
يخنك عهدا وان لم تخن
ويصدفن عنك اذا رمتهن * وكنت لهن زمانا سكن
فمالك عذر وأنت امرؤ * عاقبه رشدك طب فطن
وفى خلافة الواثق مات

صغيرا وأنفق ما غنمه فى هذه الغزاة فى بنائه

﴿ذكر حال ابن فولاذ﴾

فى هذه السنة عظمت شوكة ابن فولاذ وكبر شأنه وكان ابتداء أمره انه كان وضيعا فتحجب فى دولة بنى بويه وعلا صيته وارتفع قدره واجتمع اليه الرجال فلما كان الآن طلب من مجد الدولة ووالدته أن يقطعاه قزوين لتكون له ولمن معه من الرجال فلم يفعلا واعتذرا اليه فقصد أطراف ولاية الرى وأظهر العصيان وجعل يفسد ويغير ويقطع السبيل وملك ما يليه من القرى فعجزا عنه فاستعانا بأصبهبذ المقيم بفريم فأتاهما فى رجال الجبل وجرى بينهم وبين ابن فولاذ عدة حروب وجرح ابن فولاذ وولى منهزما حتى بلغ الدامغان فأقام حتى عاد أصحابه اليه ورجع أصبهبذ الى بلاده وكتب ابن فولاذ الى منوجهر بن قابوس يطلب أن ينفذ له عسكرا ليملك البلاد ويقيم له الخطبة فيها ويحمل اليه المال فأنفذ له ألفى رجل فسار بهم حتى نزل بظاهر الرى وأعاد الاغارة ومنع الميرة عنها فضاقت الاقوات بها فاضطر مجد الدولة ووالدته الى مداراته وأعطائه ما يلتمسه فاستقر بينهم أن يسلما اليه مدينة أصبهان فسار اليها وأعاد عسكر منوجهر اليه وزال الفساد وعاد الى طاعة مجد الدولة

﴿ذكر ابتداء الدولة العلوية بالاندلس وقتل سليمان﴾

وفى هذه السنة ولى الاندلس على بن حمود بن أبى العيش بن ميمون بن أحمد بن على بن عبد الله بن عمر ابن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام وقيل فى نسبه غير ذلك مع الاتفاق على صحة نسبه الى أمير المؤمنين على عليه السلام وكان سبب ذلك ان الفتى خيران العامرى لم يكن راضيا بولاية سليمان بن الحاكم الاموى لانه كان من أصحاب المؤيد على ما ذكرناه قبل فلما ملك سليمان قرطبة انهزم خيران فى جماعة كثيرة من الفتيان العامريين فتبعهم البربر وواقعوهم فاشتد القتال بينهم وجرح خيران عدة جراحات وترك على انه ميت فلما فارقوه قام يمشى فأخذه رجل من البربر الى داره بقرطبة وعالجه فبرأ وأعطاه مالا وخرج منها سرا الى شرق الاندلس فكثر جمعه وقويت نفسه وقاتل من هناك من البربر وملك المرية واجتمع اليه الاجناد وأزال البربر عن البلاد المجاورة له فغلظ أمره وعظم شأنه وكان على بن حمود بمدينة سبتة بينه وبين الاندلس عدوة المجاز وكان أخوه القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء مستوليا عليها وبينهما المجاز وسبب ملكهما أنهما كانا من جملة أصحاب سليمان بن الحاكم فقودهما على المغاربة ثم ولاهما هذه البلاد وكان خيران يميل الى دولة المؤيد ويرغب فيها ويخطب له على منابر بلاده التى استولى عليها لانه كان يظن حياته حيث فقد من القصر فحدث لعلى بن حمود طمع فى ملك الاندلس لما رأى من الاختلاف فكتب الى خيران يذكر له ان المؤيد كان كتب له بولاية العهد وان الاخذ بثأره ان هو قتل فدعا لعلى بن حمود بولاية العهد وكان خيران يكاتب الناس ويأمرهم بالخروج على سليمان فوافقه جماعة منهم عامر بن فتوح وزير المؤيد وهو بمالقة وكاتبوا على بن حمود وهو بسبتة ليعبر اليهم ليقوموا معه ويسيروا الى قرطبة فعبر الى مالقة فى سنة خمس وأربعمائة فخرج عنها عامر بن فتوح وسلمها اليه ودعا بولاية العهد وسار خيران ومن أجابه اليه فاجتمعوا بالمنكب وهى ما بين المرية ومالقة سنة ست وأربعمائة وقرروا ما يفعلونه وعادوا يتجهزون لقصد قرطبة فتجهزوا وجمعوا من أطاعهم وساروا الى قرطبة وبايعوا عليا على طاعة المؤيد الاموى فلما بلغوا غرناطة وافقهم أميرها وسار معهم الى قرطبة فخرج سليمان والبربر

اليهم

على بن الجعد مولى بنى مخزوم وكان من علية أصحاب الحديث وأهل النقل وذلك فى سنة ثلاثين ومائتين وفى سنة احدى وثلاثين ومائتين قتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعى فى المحنة على القرآن (قال المسعودى) وكان يحضر مجلس الواثق فتى برسم الندماء يقوم قائما لصغر سنه ولم يكن لذلك يلحق فى الجلوس بمراتب ذوى الاسنان وكان ذكيا مأذونا له فى الافاضة مع الجلساء فى كل ما يعرض لهم الكلام فيه والتكلم بما يسنح ويختلج فى صدره من مثل سائر وبيت نادر وحديث ممتع وجواب مسرع قال وكان الواثق من شدة الشهوة للطعام والنهمة فيه على الحالة المشهورة المتعالية فقال لهم الواثق يوما ما تختارون من النقل فبعض قال نبات السكر وبعض قال رمان وبعض قال تفاح وبعض قال قصب السكر ينضح بماء الورد وبعض أخرجته الفلسفة الى النقيض فقال ملح يغلى وبعض قال صبر يحمى بعذاب النبيذ ويحلى على سورة الشراب وحرارة النقل قال ما صنعتم شيئا ولكن ما تقول أنت يا غلام قال خشكنانج مشبر فوافق ذلك ما فى نفس الواثق وقال أصبت وأحسنت بارك الله لك وكان ذلك أول جلوسه وقيل ان أبا جعفر محمد بن

اليهم فالتقوا واقتتلوا على عشرة فراسخ من قرطبة ونشب القتال بينهم فانهزم سليمان والبربر وقتل منهم خلق كثير وأخذ سليمان أسيرا فحمل الى على بن حمود ومعه أخوه وأبوه الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ودخل على بن حمود قرطبة فى المحرم سنة سبع ودخل خيران وغيره الى القصر طمعا فى أن يجدوا المؤيد حيا فلم يجدوه ورأوا شخصا مدفونا فنبشوه وجمعوا له الناس وأحضروا بعض فتيانه الذين رباهم وعرضوه عليه فتأمله وفتش اسنانه لانه كان له سن سوداء كان يعرفها ذلك الفتى فاجمع هو وغيره على أنه المؤيد خوفا على أنفسهم من على فأخبروا خيران انه المؤيد وكان ذلك الفتى يعلم ان المؤيد حى فأخذ على بن حمود سليمان وقتله سابع المحرم سنة سبع وقتل أباه وأخاه ولما احضر أبوه بين يدى على بن حمود قال له يا شيخ قتلتم المؤيد فقال والله ما قتلناه وانه لحى فحينئذ أسرع فى قتله وكان شيخا صالحا منقبضا لم يتدنس بشىء من أحوال ابنه واستولى على بن حمود على قرطبة ودعا الناس الى بيعته فبويع واجتمع له الملك ولقب المتوكل على الله ثم ان خيران أظهر الخلاف عليه لاشياء منها انه كان طامعا ان يجد المؤيد فلم يجده ومنها انه نقل اليه ان عليا يريد قتله فخرج عن قرطبة وأظهر الخلاف عليه

﴿ذكر ظهور عبد الرحمن الاموى﴾

لما خالف خيران عليا أرسل يسأل عن بنى أمية فدل على عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الاموى وكان قد خرج من قرطبة مستخفيا ونزل بجيان وكان أصلح من بقى من بنى أمية فبايعه خيران وغيره ولقبوه المرتضى وراسل خيران منذر بن يحيى التجيبى أمير سرقسطة والثغر الاعلى وراسل أهل شاطبة وبلنسية وطرطوشة والبونت فأجابوا كلهم الى بيعته والخلاف على على بن حمود فاتفق عليه أكثر الاندلس واجتمعوا بموضع يعرف بالرياحين فى الاضحى سنة ثمان وأربعمائة ومعهم الفقهاء والشيوخ وجعلوا الخلافة شورى وأصفقوا على بيعته وساروا معه الى صنهاجة والنزول على غرناطة وأقبل المرتضى على أهل بلنسية وشاطبة وأظهر الجفاء لمنذر بن يحيى التجيبى ولخيران ولم يقبل عليهما فندما على ما كان منهما وسار حتى وصل الى غرناطة فوصل اليها ونزل عليها وقاتلوها أياما قتالا شديدا فقاتلهم أهل غرناطة وأميرهم زاوى بن زيرى الصنهاجى وانهزم المرتضى وعسكره واتبعهم صنهاجة يقتلون ويأسرون وقتل المرتضى فى هذه الهزيمة وعمره أربعون سنة وهو أصغر من أخيه هشام وسار أخوه هشام الى البونت وأقام بها الى ان خوطب بالخلافة ولم يزل على بن حمود بعد هذه الهزيمة يقصد بلاد خيران والعامريين مرة بعد أخرى

﴿ذكر قتل على بن حمود العلوى﴾

فلما كان فى ذى القعدة سنة ثمان وأربعمائة تجهز على بن حمود للمسير الى جيان لقتال من بها من عسكر خيران فلما كان الثامن والعشرون منه برزت العساكر الى ظاهر قرطبة بالبنود والطبول ووقفوا ينتظرون خروجه فدخل الحمام ومعه غلمانه فقتلوه فلما طال على الناس انتظاره بحثوا عن أمره فدخلوا عليه فرأوه مقتولا فعاد العسكر الى البلد وكان لقبه المتوكل على الله وقيل الناصر لدين الله وكان أسمر أعين أكحل خفيف الجسم طويل القامة حازما عازما عادلا حسن السيرة وكان قد عزم على اعادة أموال أهل قرطبة اليهم التى أخذها البربر فلم تطل أيامه وكان يحب المدح ويجزل العطاء عليه ثم ولى بعده أخوه القاسم وهو أكبر من على بعدة أعوام وكان عمر على ثمانيا وأربعين سنة بنوه يحيى وادريس وأمه قرشية وكنيته أبو الحسن وكانت

على بن موسى الرضا عليهم الرضوان توفى فى خلافة الواثق وقد بلغ من السن ما قدمناه فى خلافة المعتصم من هذا الكتاب وقيل انه كتب الى الواثق يا أمير المؤمنين ليس من أحد وان ساعدته المقادير بمستخلص غضارة عيش الا من خلال مكروه ومن ترك معاجلة الدرك انتظار مؤاجلة الاشياء سلبته الايام فرصته فان شرط الزمان الآفات وحكم الدهر السلب وفى سنة ثلاثين ومائتين وذلك فى خلافة الواثق توفى عبد الله بن طاهر فى ربيع الاول من هذه السنة وفيه يقول الشاعر وقت كون عبد الله بن طاهر بمصر

يقول اناس ان مصر بعيدة … وما بعدت مصر وفيها ابن طاهر
وأبعد من مصر رجال تراهم … بحضرتنا معروفهم غير حاضر
عن الخير موتى ما تبالى أزرتهم … على طمع أم زرت أهل المقابر

وكان الواثق محبا للنظر مكرما لاهله مبغضا للتقليد وأهله محبا للاشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة والمتطببين فجرى بحضرته أنواع من علومهم فى الطبيعيات وما بعد ذلك من الالهيات فقال لهم الواثق قد أحببت أن أعلم كيفية ادراك معرفة الطب ومأخذ

ولايته سنة وتسعة أشهر

﴿ذكر ولاية القاسم بن حمود العلوي بقرطبة﴾

قد ذكرنا قتل أخيه علي بن حمود سنة سبع وأربعمائة فلما قتل بايع الناس أخاه القاسم ولقب المأمون فلما ولي واستقر ملكه كاتب العامريين واستمالهم وأقطع زهيرا جيان وقلعة رباح وبياسة وكاتب خيران واستعطفه فلجأ اليه واجتمع به ثم عاد عنه الى المرية وبقي القاسم مالكا بقرطبة وغيرها الى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وكان وادعا يحب العافية فأمن الناس معه وكان يتشيع الا انه لم يظهر شيأ من ذلك فسار عن قرطبة الى اشبيلية فخالفه يحيى بن أخيه فيها

﴿ذكر دولة يحيى بن علي بن حمود وما كان منه ومن عمه﴾

لما سار القاسم بن حمود عن قرطبة الى اشبيلية سار ابن أخيه يحيى بن علي من مالقة الى قرطبة فدخلها بغير مانع فلما تمكن بقرطبة دعا الناس الى بيعته فاجابوه فكانت البيعة مستهل جمادى الاولى من سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ولقب بالمعتلي وبقي بقرطبة يدعى له بالخلافة وعمه القاسم باشبيلية يدعى له بالخلافة الى ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وأربعمائة فسار يحيى عن قرطبة الى مالقة ووصل الخبر الى عمه فركب وجد في السير ليلا ونهارا الى ان وصل الى قرطبة فدخلها ثامن عشر ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وكان مدة مقامه باشبيلية قد استمال العساكر من البربر وقوي بهم وبقي القاسم بقرطبة شهورا ثم اضطرب أمره بها وسار ابن أخيه يحيى بن علي الى الجزيرة الخضراء وغلب عليها وبها أهل عمه وماله وغلب أخوه ادريس بن علي صاحب سبتة على طنجة وهي كانت عدة القاسم التي يلجأ اليها ان رأى ما يخاف بالاندلس فلما ملك ابنا أخيه بلاده طمع فيه الناس وتسلط البربر على قرطبة فاخذوا أموالهم فاجتمع أهلها وبرزوا الى قتاله عاشر جمادى الاولى سنة أربع عشرة فاقتتلوا قتالا شديدا ثم سكنت الحرب وأمن بعضهم بعضا الى منتصف جمادى الاولى من السنة والقاسم بالقصر يظهر التودد لاهل قرطبة وأنه معهم وباطنه مع البربر فلما كان يوم الجمعة منتصف جمادى الآخرة صلى الناس الجمعة فلما فرغوا تنادوا السلاح السلاح فاجتمعوا ولبسوا السلاح وحفظوا البلد ودخلوا قصر الامارة فخرج عنها القاسم واجتمع معه البربر وقاتلوا أهل البلد وضيقوا عليهم وكانوا أكثر من أهله فبقوا كذلك نيفا وخمسين يوما والقتال متصل فخاف أهل قرطبة وسألوا البربر في أن يفتحوا لهم الطريق ويؤمنوهم على أنفسهم وأهليهم فأبوا الا ان يقتلوهم فصبروا حينئذ على القتال وخرجوا من البلد ثاني عشر شعبان وقاتلوهم قتال مستقتل فنصرهم الله على البربر ومن بغي عليه لينصرنه الله وانهزم البربر هزيمة عظيمة ولحق كل طائفة منهم ببلد فاستولوا عليه وأما القاسم بن حمود فانه سار الى اشبيلية وكتب الى أهلها في اخلاء ألف دار ليسكنها البربر فعظم ذلك عليهم وكان بها ابناه محمد والحسن فثار بهما أهلها فأخرجوهما عنهم ومن معهما وضبطوا البلد وقدموا على أنفسهم ثلاثة من شيوخهم وكبرائهم وهم القاضي أبو القاسم محمد بن اسمعيل بن عباد اللخمي ومحمد بن بريم الالهاني ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدي وكانوا يدبرون أمر البلد والناس ثم اجتمع ابن بريم والزبيدي وسألوا ابن عباد أن ينفرد بتدبير أمورهم فامتنع وألحوا عليه فلما خاف على البلد بامتناعه أجابهم الى ذلك وانفرد بالتدبير وحفظ البلد فلما رأى القاسم ذلك سار في تلك البلاد ثم انه نزل بشريش فزحف اليه يحيى بن أخيه علي ومعه جمع من البربر فحصروه ثم أخذوه أسيرا فحبسه يحيى فبقي في حبسه الى ان توفي يحيى وملك أخوه ادريس فلما ملك قتله وقيل بل مات

اصوله أذلك من الحس أم من القياس والسنة أم يدرك من جهة العقل أم علم ذلك وطريقه بعلم عندكم من جهة السمع كما يذهب اليه جماعة من أهل الشريعة وقد كان ابن بختيشوع وابن ماسويه وميخائيل فيمن حضر وقيل ان حنين بن اسحق وسلمويه فيمن حضر في هذا المجلس فقال منهم قائل زعم طوائف من الاطباء وكثير من متقدميهم أن الطريق الذي يدرك به الطب هو التجربة فقط وحدوه بأن يتكرر الحس على محسوس واحد في أحوال متغايرة فيوجد بالحس في آخر الاحوال كما يوجد في أولها والحافظ لذلك المجرب وزعموا أن التجربة ترجع الى مباد أربعة هن لها أوائل ومقدمات وبها علمت وصحت واليها تنقسم التجربة فصارت بذلك أجزاءها فزعموا أن قسما من تلك الاقسام طبيعي وهو ما تفعله الطبيعة في الصحيح والمريض من الرعاف والعرق والاسهال والقيء التي تعقب في المشاهدة منفعة أو ضررا وقسما اراديا وهو ما يقع من قبل النفس الناطقة وذلك كمثل منام يراه الانسان وهو أن يرى كأنه عالج مريضا به علة مشاهدة معقولة بشئ من الاشياء معروف فيبرأ ذلك المريض من مرضه أو يخطر مثل ذلك بباله في حال فكره فيتردد

حتف أنفه وحمل الى ابنه محمد وهو بالجزيرة الخضراء فدفنه وكانت مدة ولاية القاسم بقرطبة مذ تسمى بالخلافة الى أن أسره ابن أخيه ستة أعوام وبقي محبوسا ست عشرة سنة الى ان قتل سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وكان له ثمانون سنة وله من الولد محمد والحسن أمهما أميرة بنت الحسن بن القاسم المعروف بقنون بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكان أسمر أعين أكحل مصفر اللون طويلا خفيف العارضين

﴿ذكر عود بني أمية الى قرطبة وولاية المستظهر﴾

لما انهزم البربر والقاسم بن علي من أهل قرطبة على ما ذكرناه اتفق رأي أهل قرطبة على رد بني أمية فاختاروا عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الاموي فبايعوه بالخلافة ثالث عشر رمضان من سنة أربع عشرة وأربعمائة وعمره حينئذ اثنتان وعشرون سنة وتلقب بالمستظهر بالله فكانت ولايته شهرا واحدا وسبعة عشر يوما وقتل وكان سبب قتله انه أخذ جماعة من اعيان قرطبة فحبسهم لميلهم الى سليمان بن المرتضى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الناصر وأخذ أموالهم فسعوا عليه من السجن وألبوا الناس فاجابهم صاحب الشرطة وغيره واجتمعوا وقصدوا السجن فاخرجوا من فيه وكان ممن وافقهم على ذلك أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن الاموي في جماعة كثيرة فظفروا بالمستظهر فقتلوه في ذي القعدة ولم يعقب وكنيته أبو المطرف وأمه أم ولد وكان أبيض أشقر أعين شثن الكفين رحب الصدر وكان أديبا خطيبا بليغا رقيق الطبع له شعر جيد وكان وزيره أبا محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم وكان سليمان بن المرتضى قد مات قبل قتله بعشرة أيام

﴿ذكر ولاية محمد بن عبد الرحمن﴾

لما قتل المستظهر بايع الناس بقرطبة محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر وكنيته أبو عبد الرحمن الاموي في ذي القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة وخطبوا له بالخلافة ولقبوه المستكفي بالله وكان همه لا يعدو فرجه وبطنه وليس له هم ولا فكر في سواهما وبقي بها ستة عشر شهرا وأياما وثار عليه أهل قرطبة في ربيع الاول سنة ست عشرة وأربعمائة فخلعوه وخرج عن قرطبة ومعه جماعة من أصحابه حتى صار الى أعمال مدينة سالم فضجر منه بعض أصحابه فشوى له دجاجة وعمل فيها شيأ من البيش فأكلها فمات في ربيع الآخر من هذه السنة وكان في غاية التخلف وله أخبار يقبح ذكرها وكان ربعة أشقر أزرق مدور الوجه ضخم الجسم وكان عمره نحو خمسين سنة ولما توفي اعاد أهل قرطبة دعوة المعتلي بالله يحيى بن علي بن حمود العلوي بها

﴿ذكر عود يحيى العلوي الى قرطبة وقتله﴾

لما مات أبو عبد الرحمن الاموي وصح عند أهل قرطبة خبر موته سعى بعض أهلها ليحيى بن علي بن حمود العلوي ليعيدوه الى الخلافة وكان بمالقة يخطب لنفسه بالخلافة فكتبوا اليه وخاطبوه بالخلافة وخطبوا له في رمضان سنة ست عشرة وأربعمائة فأجابهم الى ذلك وأرسل اليهم عبد الرحمن بن عطاف اليفرني واليا عليهم ولم يحضر هو باختياره فبقي عبد الرحمن فيها الى محرم سنة سبع عشرة فسار اليه مجاهد وخيران العامريان في ربيع الاول منها في جيش كثير فلما قاربوا قرطبة ثار أهلها بعبد الرحمن فاخرجوه وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة ونجا الباقون وأقام خيران ومجاهد بها نحو شهر ثم اختلفا فخاف كل واحد منهما صاحبه فعاد خيران عن

ويغلب ظنه بعطبه فيجربه بأن يفعله كما يرى في منامه فيجده كما يرى أو يخالف ذلك ويفعله مرارا فيجده كذلك وقسما هو نقل وهو على ثلاثة أقسام اما أن ينقل الدواء الواحد من مرض الى مرض يشبهه وذلك كالنقلة من ورم الحمرة الى الورم المعروف بالنملة واما من عضو الى عضو يشبهه وذلك كالنقلة من السفرجل الى الزعرور في علاج انطلاق البطن وكل ذلك لا يعمل به عندهم الا بالتجربة وذهب طائفة أخرى منهم الى أن الحيلة في تقريب أمر صناعة الطب وتسهيلها أن ترد أشخاص من العلل ومولداتها الى الاصول الحاصرة الجامعة لها اذا كان لا غاية لتولدها وأن يستدل على الدواء من نفس الطبيعة والمرض الحاضر الموجود في الحال والوقت دون الاسباب الفاعلة التي عدمت ودون الازمان والاوقات والاسباب والعادات ومعرفة طبائع الاعضاء وحدودها وألزموا التحفظ بكل ما يكون في كل علة وجدت أو لم توجد وبرهنوا بأن زعموا أن من المعلومات الظاهرة التي لا ريب فيها أن الضدين لا يجوز اجتماعهما في حال وأن وجود أحدهما ينفي الآخر في الحال لا محالة قالوا وليس هذا كشئ ظاهر يستدل به على كل شئ خفي والشئ الظاهر يحتمل الوجود فيختلف الاستدلال فيكون القطع

قرطبة لسبع بقين من ربيع الآخر من السنة الى المرية وبقي بها الى سنة ثمان عشرة وتوفى وقيل سنة تسع عشرة وصارت المرية بعده لصاحبه زهير العامري نخالف حبوس بن ماكسن الصنهاجي البربري وأخوه على طاعة يحيى بن على العلوي وبقي مجاهد مدة ثم سار الى دانية وقطعت خطبة يحيى منها وأعيدت خطبة الاموبين على ماذكره فيما بعد ان شاء الله وبقي يتردد عليها بالعساكر واتفق البربر على طاعته وسلموا اليه ما بأيديهم من الحصون والمدن فقوى وعظم شأنه وبقي كذلك مدة ثم سار الى قرمونة فأقام بها محاصر الاشبيلية طامعا في أخذها فأتاه الخبر يوما ان خيلا لاهل اشبيلية قد أخرجها القاضي أبو القاسم بن عباد الى نواحي قرمونة فركب اليهم واقيهم وقد كمنوا له فلم يكن باسرع من ان قتل وذلك في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة وخلف من الولد الحسن وادريس لام ولد وكان اسمر اعين أكحل طويل الظهر قصير الساقين وقور اهينا لينا وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وأمه بربرية

﴿ذكر أخبار أولاد يحيى وأولاد أخيه وغيرهم وقتل ابن عمار﴾

نذكرها هنا ما كان من أخبار أولاده وأولاد أخيه وغيرهم من العلويين متتابعا لئلا ينقطع الكلام وليأخذ بعضه ببعض لما قتل يحيى بن على رجع أبو جعفر أحمد بن أبي موسى المعروف بابن بقية ونجا الخادم الصقلبي وهما مدبرا دولة العلويين فأتيا مالقة وهي دار ملكهم فخاطبا أخاه ادريس بن على وكان له سبتة وطنجة وطلباه فأتى الى مالقة وبايعوه بالخلافة على أن يجعل حسن ابن يحيى المقتول مكانه بسبتة فأجابهما الى ذلك فبايعاه وسار حسن بن يحيى ونجا الى سبتة وطنجة وتلقب ادريس بالمتأيد بالله فبقى كذلك الى سنة ثلاثين أو احدى وثلاثين وأربعمائة فسير القاضي أبو القاسم بن عباد ولده اسمعيل في عسكر ليتغلب على تلك البلاد فأخذ قرمونة وأخذ أيضا اشبونة واستجة فأرسل صاحبها الى ادريس والى باديس بن حبوس صاحب صنهاجة فأتاه صاحب صنهاجة بنفسه وأمده ادريس بعسكر يقوده ابن بقية مدبر دولته فلم يجسروا على اسمعيل بن عباد فعادوا عنه فسار اسمعيل مجدا ليأخذ على صنهاجة الطريق فادركهم وقد فارقهم عسكر ادريس قبل ذلك بساعة فأرسلت صنهاجة من ردهم فعادوا وقاتلوا اسمعيل بن عباد فلم يلبث أصحابه ان انهزموا وأسلموه فقتل وحمل رأسه الى ادريس وكان ادريس قد أيقن بالهلاك وانتقل عن مالقة الى جبل يحتمي به وهو مريض فلما أتاه الرأس عاش بعده يومين ومات وترك من الولد يحيى ومحمدا وحسنا وكان يحيى بن على المقتول قد حبس ابني عمه محمدا والحسن ابني القاسم ابن حمود بالجزيرة فلما مات ادريس أخرجهما الموكل بهما ودعا الناس اليهما فبايعهما السودان خاصة قبل الناس لميل أبيهما اليهم فملك محمد الجزيرة ولم يتسم بالخلافة وأما الحسن بن القاسم فانه تنسك وترك الدنيا وحج وكان ابن بقية قد أقام يحيى بن ادريس بعد موت والده بمالقة فسار اليها نجا الصقلبي من سبتة هو والحسن بن يحيى فهرب ابن بقية ودخلها الحسن ونجا فاستمالا ابن بقية حتى حضر فقتله الحسن وقتل ابن عمه يحيى بن ادريس وبايعه الناس بالخلافة ولقب بالمستنصر بالله ورجع نجا الى سبتة وترك مع الحسن المستنصر نائبا له يعرف بالشطيفي فبقى حسن كذلك نحوا من سنتين ثم مات سنة أربع وثلاثين وأربعمائة فقيل ان زوجته ابنة عمه ادريس سمته أسفا على أخيها يحيى فلما مات المستنصر اعتقل الشطيفي ادريس ابن يحيى وسار نجا من سبتة الى مالقة وعزم على محو أمر العلويين وأن يضبط البلاد لنفسه وأظهر البربر على ذلك فعظم عندهم فقتلوه وقتلوا الشطيفي وأخرجوا ادريس بن يحيى وبايعوه بالخلافة

على ما يوجبه غير بين وهذا قول جماعة من حذاق المتطببين وأهل التقدم في اليونانيين مثل ماسوس وساساليس وغيرهما وهم قوم يعرفون بأصحاب الطب الجبلي قال الواثق لهم جميعا فأخبروني عن جمهورهم الاعظم الام يذهبون في ذلك فقالوا القياس قال وكيف ذلك قالوا جميعا زعمت هذه الطائفة أن الطريق والقانون الى معرفة الطب مأخوذ من مقدمات أولية فمنها معرفة طبائع الابدان والاعضاء وأفعالها ومنها معرفة الابدان في الصحة والمرض ومعرفة الاهوية واختلافها والاعمال والصنائع والعادات والاطعمة والاشربة والاسفار ومعرفة قوى الامراض وقالوا ثبت في الشاهد أن الحيوان يختلف في صورته وطباعه وكذلك أعضاؤه مختلفة في طباعها وصورها وأن الاجساد الحيوانية تتغير بالاهوية المحيطة بها وبالحركة والسكون والاغذية من المأكول والمشروب والنوم واليقظة واستفراغ ما يخرج من الجسد واحتباسه ومن الاعراض النفسانية من الغم والحزن والغضب والهم قالوا والغرض بالطب هو تدبير الاجسام وحفظ الصحة الموجودة في البدن الصحيح واجتلابها للعليل فالواجب أن يكون حفظ الصحة انما هو بمعرفة الاسباب المصححة فالواجب على الطبيب لا محالة من

وتسمى بالعالي وكان كثير الصدقة يتصدق كل جمعة بخمسمائة دينار ورد كل مطرود عن وطنه واعاد عليهم أملاكهم وكان متأدبا حسن اللقاء له شعر جيد الا أنه كان يصحب الارذال ولا يحجب نساءه عنهم وكل من طلب منهم حصنا من بلاده اعطاه فاخذ منه صنهاجة عدة حصون وطلبوا وزيره ومدبر أمره صاحب أبيه موسى بن عفان ليقتلوه فسلمه اليهم فقتلوه وكان قد اعتقل ابنى عمه محمدا والحسن ابني ادريس بن على في حصن ايرش فلما رأى ثقته بايرش اضطراب آرائه خالف عليه وبايع ابن عمه محمد بن ادريس بن على وثار بادريس بن يحيى من عنده من السودان وطلبوا محمدا فجاء اليهم فسلم اليه ادريس الامر وبايع له سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فاعتقله محمد وتلقب بالمهدي وولى أخاه الحسن عهده ولقبه السامي وظهرت من المهدي شجاعة وجراءة فهابه البربر وخافوه فراسلوا الموكل بادريس بن يحيى فأجابهم الى اخراجه وأخرجه وبايع له وخطب له بسبتة وطنجة بالخلافة وبقي الى ان توفى سنة ست وأربعين ثم ان المهدي رأى من أخيه السامي ما أنكره فنفاه عنه فسار الى العدوة الى جبل غمارة وأهلها ينقادون للعلويين ويعظمونهم فبايعوه ثم ان البربر خاطبوا محمد بن القاسم بالجزيرة واجتمعوا اليه وبايعوه بالخلافة وتسمى بالمهدي أيضا فصار الامر في غاية الاخلوقة والفضيحة أربعة كلهم يسمى أمير المؤمنين في رقعة من الارض مقدارها ثلاثين فرسخا فرجعت البرابر عنه وعاد الى الجزيرة فمات بعد أيام فولى الجزيرة ابنه القاسم ولم يتسم بالخلافة وبقي محمد بن ادريس بمالقة الى ان مات سنة خمس وأربعين وكان ادريس بن يحيى المعروف بالعالي عند بني يفرن بتاكرنا فلما توفى محمد بن ادريس بن على قصد ادريس بن يحيى مالقة فملكها ثم انتقلت الى صنهاجة

﴿ذكر ولاية هشام الاموي قرطبة﴾

لما قطعت دعوة يحيى بن على العلوي عن قرطبة سنة سبع عشرة وأربعمائة على ما ذكرناه قبل اجمع أهلها على خلع العلويين لميلهم الى البربر واعادة الخلافة بالاندلس الى بني أمية وكان رأسهم في ذلك أبا الحزم جهور بن محمد بن جهور فراسلوا أهل الثغور والمتغلبين هناك في هذا فاتفقوا معهم فبايعوا أبا بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الاموي وكان مقيما بالبنت مذ قتل أخوه المرتضى فبايعوه في ربيع الاول سنة ثمان عشرة وتلقب بالمعتد بالله وكان أسن من المرتضى ونهض الى الثغور وتردد فيها وجرى له هناك فتن واضطراب شديد من الرؤساء الى ان اتفق أمرهم على ان يسير الى قرطبة دار الملك فسار اليها ودخلها ثامن ذي الحجة سنة عشرين وبقي بها حتى خلع ثاني ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وكان سبب خلعه ان وزيره ابا عاصم سعيدا القزاز لم يكن له قديم رياسة وكان يخالف الوزراء المتقدمين ويتسبب الى أخذ أموال التجار وغيرهم وكان يصل البربر ويحسن اليهم ويقربهم فنفر عنه أهل قرطبة فوضعوا عليه من قتله فلما قتلوه استوحشوا من هشام فخلعوه بسببه فلما خلع هشام قام أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر وتسور القصر مع جماعة من الاحداث ودعا الى نفسه فبايعه من سواد الناس كثير فقال له بعض أهل قرطبة نخشى عليك ان تقتل في هذه الفتنة فان السعادة قد ولت عنكم فقال بايعوني اليوم واقتلوني غدا فانفذ أهل قرطبة واعيانهم اليه والى المعتد بالله يأمرونهما بالخروج عن قرطبة فودع المعتد أهله وخرج الى حصن محمد بن الشور بجبل قرطبة فبقي معه الى أن غدر أهل الحصن بمحمد بن الشور فقتلوه وأخرجوا المعتد الى حصن آخر حبسوه فيه فاحتال في الخروج منه ليلا وسار الى سليمان بن هود الجذامي فاكرمه وبقي

هذه المقدمات التي قد صحت اذا أراد علاج المريض النظر في طبائع الامراض والابدان والاغذية والعادات والازمان والاوقات الحاضرة والاسباب ليستدل بجميع ذلك وهذا يا أمير المؤمنين قول ابقراط وجالينوس فمن تقدم وتأخر عنهم قالوا وقد اختلفت هذه الطائفة في كثير من الاغذية والادوية مع اتفاقهم على ما وصفنا وذلك لاختلافهم في كيفية الاستدلال فمنهم من زعم أنه يستدل على طبيعة الشئ من الاغذية والادوية بطعمه أو ريحه أو لونه أو قوامه أو فعله وتأثيره في الجسد وزعموا أن الوثيقة في الاستدلال بالاجزاء اذا كانت الالوان والارايح وسائر ما ذكرنا من أفعال الطبائع الاربع كما أن الاسخان والتبريد والتليين فعل لها وزعمت طائفة اخرى منهم أن اصح الشهادات واثبت القضايا في الحكم على طبيعة الدواء والغذاء ما أخذ من فعله في الجسد دون الطعم والرائحة وما سوى ذلك فان الاستدلال بما سوى الفعل والتأثير لا يقطع به ولا يعول على طبيعة الدواء المفرد والمركب قال الواثق ... من بين الجماعة ما أول آلات الغذاء من الانسان قال أول آلات الغذاء الفم وفيه الاسنان والاسنان اثنتان وثلاثون سنا منها في اللحى الاعلى ستة عشر سنا وفي اللحى الاسفل

عنده الى ان مات فى صفر سنة ثمان وعشرين ودفن بناحية لاردة وهو آخر ملوك بنى أمية بالاندلس وأما أمية فانه اختفى بقرطبة فنادى أهل قرطبة بالاسواق والارباض ان لا يبقى أحد من بنى أمية بها ولا يتركهم عنده أحد فخرج أمية فيمن خرج وانقطع خبره مدة ثم أراد العود اليها فعاد طمعا فى أن يسكنها فارسل اليه شيوخ قرطبة من منعه عنها وقيل قتل وغيب وذلك فى جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين ثم انحل عقد الجماعة وانتشر وافترقت البلاد على ما نذكره

﴿ ذكر تفرق ممالك الاندلس ﴾

ثم ان الاندلس اقتسمه أصحاب الاطراف والرؤساء فتغلب كل انسان على شئ منه فصار وامثل ملوك الطوائف وكان ذلك أضر شئ على المسلمين فطمع بسببه العدو الكافر خذله الله فيهم ولم يكن لهم اجتماع الى أن ملكه امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين على ما نذكره ان شاء الله فاما قرطبة فاستولى عليها أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور المقدم ذكره وكان من وزراء الدولة العامرية قديم الرياسة موصوفا بالدهاء والعقل ولم يدخل فى شئ من الفتن قبل هذا بل كان يتصاون عنها فلما خلا له الجو وأمكنته الفرصة وثب عليها فتولى أمرها وقام بحمايتها ولم ينتقل الى رتبة الامارة ظاهرا بل دبرها تدبيرا لم يسبق اليه وأظهر انه حام للبلد الى ان يجئ من يستحقه ويتفق عليه الناس فيسلمه اليه ورتب البوابين والحشم على أبواب قصور الامارة ولم يتحول هو عن داره اليها وجعل ما يرتفع من الاموال السلطانية بايدى رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم وصير أهل الاسواق جندا وجعل أرزاقهم ربح أموال تكون بايديهم دينا عليهم فيكون الربح لهم ورأس المال باقيا عليهم وكان يتعهدهم فى الاوقات المتفرقة لينظر كيف حفظهم لها وفرق السلاح عليهم فكان أحدهم لا يفارقه سلاحه حتى يعجل حضوره ان احتاج اليه وكان جهور يشهد الجنائز ويعود المرضى ويحضر الافراح على طريقة الصالحين وهو مع ذلك يدبر الامر تدبير الملوك وكان مأمون الجانب وأمن الناس فى أيامه وبقى كذلك الى أن مات فى صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وقام بأمرها بعده ابنه أبو الوليد محمد بن جهور على هذا التدبير الى ان مات فغلب عليها الامير الملقب بالمأمون صاحب طليطلة فدبرها الى ان مات بها وأما اشبيلية فاستولى عليها القاضى أبو القاسم محمد بن اسمعيل بن عباد اللخمى وهو من ولد النعمان ابن المنذر وقد ذكرنا سبب ذلك فى دولة يحيى بن على بن حمود قبل هذا وفى هذا الوقت ظهر أمر المؤيد هشام بن الحاكم وكان قد اختفى وانقطع خبره وكان ظهوره بمالقة ثم سار منها الى المرية فخافه صاحبها زهير العامرى فاخرجه منها فقصد قلعة رباح فاطاعه أهلها فسار اليهم صاحبه اسمعيل بن ذى النون وحاربهم فضعفوا عن مقاومته فاخرجوه فاستدعاه القاضى أبو القاسم محمد بن اسمعيل بن عباد اليه باشبيلية وأذاع أمره وقام بنصره وكان رؤساء الاندلس فى طاعته فاجابه الى ذلك صاحب بلنسية ونواحيها وصاحب قرطبة وصاحب دانية والجزائر وصاحب طرطوشة وأقروا بخلافته وخطبوا له وجددت بيعته بقرطبة فى المحرم سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثم ان ابن عباد سير جيشا الى زهير العامرى لانه لم يخطب للمؤيد فاستنجد زهير حبوس بن ماكسن الصنهاجى صاحب غرناطة فسار اليه بجيشه فعادت عساكر ابن عباد ولم يكن بين العسكرين قتال وأقام زهير فى بياسة وعاد حبوس الى مالقة فمات فى رمضان من هذه السنة وولى بعده ابنه باديس واجتمع هو وزهير ليتفقا كما كان زهير وحبوس فلم تستقر بينهما قاعدة واقتتلا فقتل زهير وجمع كثير من أصحابه أواخر سنة تسع وعشرين ثم فى سنة احدى

وثلاثين

كذلك ومن ذلك أربعة فى كل واحد من اللحيين عراض محددة الاطراف تسميها الاطباء من اليونانيين القواطع وذلك أنها يقطع ما يحتاج الى قطعه من الاطعمة اللينة كما يقطع هذا النوع من المأكل بالسكين وهى الثنايا والرباعيات ومن جنبى هذه الاربعة فى كل واحد من اللحيين سنان رؤسهما حادة وأصولهما عريضة وهى الانياب وبها يكسر كل ما يحتاج الى تكسيره من الاشياء الصلبة مما يؤكل وعن جنبى النابين فى كل واحد من اللحيين خمس اسنان أخر عوارض خشن وهى الاضراس ويسميها اليونانيون الطواحن لانها تطحن ما يحتاج الى طحنه مما يؤكل وكل واحد من الثنايا والرباعيات والانياب له أصل واحد وأما الاضراس فما كان منها فى اللحى الاعلى فله ثلاثة أصول خلا الضرسين الاقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول أربعة وما كان من الاضراس فى اللحى الاسفل فلكل واحد منها أصلان خلا الضرسين الاقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول ثلاثة وانما احتيج الى كثرة أصول الاضراس دون سائر الاسنان لشدة قوة العمل بها وخصت العليا منها بالزيادة فى الاصول لتعلقها باعلى الفم قال الواثق أحسنت فيما ذكرت من هذه الآلات فصنف

وثلاثين التقى عسكر ابن عباد وعليهم ابنه اسمعيل مع باديس بن حبوس وعسكر ادريس العلوى على ما ذكرناه عند اخبار العلويين فيما تقدم الا انهم اقتتلوا قتالا شديدا فقتل اسمعيل ثم مات بعده أبوه القاضى أبو القاسم سنة ثلاث وثلاثين وولى بعده ابنه أبو عمرو عباد بن محمد ولقب بالمعتضد بالله فضبط ما ولى وأظهر قضاة المؤيد هذا قول ابن أبى الفياض فى المؤيد وقال غيره ان المؤيد لم يظهر خبره منذ عدم من قرطبة عند دخول على بن حمود اليها وقتله سليمان وانما كان هذا من تمويهات ابن عباد وحيله ومكره وأعجب من اختفاء حال المؤيد ثم تصديق الناس ابن عباد فيما أخبر به من حياته أن انسانا حصريا ظهر بعد موت المؤيد بعشرين سنة وادعى انه المؤيد فبويع بالخلافة وخطب له على منابر جميع بلاد الاندلس فى أوقات متفرقة وسفكت الدماء بسببه واجتمعت العساكر فى أمره ولما أظهر ابن عباد موت هشام المؤيد واستقل باسم اشبيلية وما انضاف اليها بقى كذلك الى ان مات من ذبحة لحقته لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة احدى وستين وأربعمائة وولى بعده ابنه أبو القاسم محمد بن عباد ابن القاضى أبى القاسم ولقب بالمعتمد على الله فاتسع ملكه وشمخ سلطانه وملك كثيرا من الاندلس وملك قرطبة أيضا وولى عليها ابنه الظافر بالله فبلغ خبر ملكه لها الى يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة فحسده عليها فضمن له جرير بن عكاشة ان يحمل ملكها له وسار الى قرطبة وأقام بها يسعى فى ذلك وهو ينتهز الفرصة فاتفق ان فى بعض الليالى جاء مطر عظيم ومعه ريح شديدة ورعد وبرق فثار جرير فيمن معه ووصل الى قصر الامارة فلم يجد من يمانعه فدخل صاحب الباب الى الظافر وأعلمه فخرج بمن معه من العبيد والحرس وكان صغير السن وحمل عليهم ودفعهم عن الباب ثم انه عثر فى بعض كراته فسقط فوثب بعض من يقاتله وقتله ولم يبلغ الخبر الى الاجناد وأهل البلد الا والقصر قد ملك وتلاحق بجرير أصحابه وأشياعه وترك الظافر ملقى على الارض عريانا فمر عليه بعض أهل قرطبة فابصره على تلك الحال فنزع رداءه والقاه عليه وكان أبوه اذا ذكره يتمثل

ولم أدر من ألقى عليه رداءه * على أنه قد سل عن ماجد محض

ولم يزل المعتمد يسعى فى أخذها حتى عاد ملكها وترك ولده المأمون فيها فأقام بها حتى أخذها جيش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وقتل فيها بعد حروب كثيرة يأتى ذكرها ان شاء الله تعالى سنة أربع وثمانين وأخذت اشبيلية من أبيه المعتمد فى السنة المذكورة وبقى محبوسا فى اغمات الى ان مات بها رحمه الله وكان هو وأولاده جميعهم الرشيد والمأمون والراضى والمعتمد وأبوه وجده علماء فضلاء شعراء وأما بطليوس فقام بها سابور الفتى العامرى وتلقب بالمنصور ثم انتقلت بعده الى أبى بكر محمد بن عبد الله بن سلمة المعروف بابن الافطس أصله من بربر مكناسة لكنه ولد أبوه بالاندلس ونشؤا بها وتخلقوا باخلاق أهلها وانتسبوا الى تجيب وشاكلهم الملك فلما توفى صارت بعده الى ابنه أبى محمد عمر بن محمد واتسع ملكه الى أقصى المغرب وقتل صبرا مع ولدين له عند تغلب أمير المسلمين على الاندلس وأما طليطلة فقام بأمرها ابن يعيش فلم تطل مدته وصارت رياسته الى اسمعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن ذى النون ولقبه الظافر بحول الله وأصله من البربر وولد بالاندلس وتأدب بآداب أهلها وكان مولد اسمعيل سنة تسعين وثلثمائة وتوفى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وكان عالما بالادب وله شعر جيد وصنف كتابا فى الآداب والاخبار وولى بعده ابنه يحيى فاشتغل بالخلاعة والمجون وأكثر من اداة الافرنج ومصانعتهم ليتشاغل باللعب وامتدت يده الى أموال الرعية ولم تزل الفرنج تأخذ حصونه شيأ بعد شئ حتى

لى كتابا تذكر فيه جميع ما يحتاج الى معرفته من ذلك فصنف له كتابا جعله ثلاث مقالات يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء والمسهل وآلات الجسد (وقد ذكر) أن الواثق سأل حنينا فى هذا المجلس وفى غيره عن مسائل كثيرة وأن حنينا أجاب عن ذلك وصنف فى كل ذلك كتابا ترجمه بكتاب المسائل الطبيعية يذكر فيه أنواعا من العلوم فكان مما سأل الواثق حنينا من المسائل وقيل بل أحضر له نديما من ندمائه فكان يسأله بحضرته والواثق يسمع ويتعجب مما يورده السائل الى أن قال فما الاشياء المغيرة للهواء قال حنين خمس وهى أوقات السنة وطلوع الكواكب وغروبها والرياح والبلدان والبحار * قال السائل فكم هى أوقات السنة قال أربع الربيع والصيف والخريف والشتاء فمزاج الربيع معتدل فى الحرارة والرطوبة ومزاج الصيف حار يابس ومزاج الخريف بارد يابس ومزاج الشتاء بارد رطب * قال السائل أخبرنى عن كيفية تغيير الكواكب للهواء قال ان الشمس متى قربت منها أو قربت هى من الشمس كان الهواء ازيد سخونة وخاصة كلما كانت اعظم ومتى بعدت الشمس أو بعدت هى من الشمس كان الهواء ازيد بردا قال أخبرنى عن كمية أعداد الرياح قال أربع الشمال

أخذت طليطلة في سنة سبع وسبعين وأربعمائة وصار هو ببلنسية وأقام بها الى ان قتله القاضي ابن جحاف الاحنف وفيه يقول الرئيس أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر

أيها الاحنف مهلا * فلقد جئت عويصا
اذ قتلت الملك يحيى * وتقمصت القميصا
رب يوم فيه تجزى * لا تجد فيه محيصا

وأما سرقسطة والثغر الاعلى فكان بيد منذر بن يحيى التجيبي ثم توفي وولي بعده ابنه يحيى ثم صارت بعده لسليمان بن أحمد بن محمد بن هود الجذامي وكان يلقب بالمستعين بالله وكان من قواد منذر على مدينة لاردة وله وقعة مشهورة بالفرنج بطليطلة سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ثم توفي وولي بعده ابنه المقتدر بالله وولي بعده ابنه يوسف بن أحمد المؤتمن ثم ولي بعده ابنه أحمد المستعين بالله على لقب جده ثم ولي بعده ابنه عبد الملك عماد الدولة ثم ولي بعده ابنه المستنصر بالله وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمسمائة فصارت بلادهم جميعها لابن تاشفين ورأيت بعض أولادهم بدمشق سنة تسعين وخمسمائة وهو فقير جدا وهو قيم الربوة فسبحان من لا يزول ولا تغيره الدهور وأما طرطوشة فوليها لبيب الفتى العامري وأما بلنسية فكان بها المنصور أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن المنصور بن أبي عامر المعافري ثم انضاف اليه المرية وما كان اليها وبعده ابنه محمد ودام فيها الى أن غدر به صهره المأمون بن اسمعيل بن ذي النون وأخذ منه رياسة بلنسية في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة فانتزح الى المرية وأقام بها الى أن خلع على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأما السهلة فملكها عبود بن رزين وأصله بربري ومولده بالاندلس فلما هلك ولي بعده ابنه عبد الملك وكان أديبا شاعرا ثم ولي بعده ابنه عز الدولة ومنه ملكها الملثمون وأما دانية والجزائر فكانت بيد الموفق أبي الحسن مجاهد العامري وسار اليه من قرطبة الفقيه أبو محمد عبد الله المعيطي ومعه خلق كثير فأقامه مجاهد شبه خليفة يصدر عن رأيه وبايعه في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعمائة فأقام المعيطي بدانية مع مجاهد ومن انضم اليه نحو خمسة أشهر ثم سار هو ومجاهد في البحر الى الجزائر التي في البحر وهي ميورقة بالياء ومنورقة بالنون ويابسة ثم بعث المعيطي بعد ذلك مجاهدا الى سردانية في مائة وعشرين مركبا بين كبير وصغير ومعه ألف فرس ففتحها في ربيع الاول سنة ست وأربعين وأربعمائة وقتل بها خلقا كثيرا من النصارى وسبى منهم فسار اليه الفرنج والروم من البر في آخر هذه السنة فأخرجوه منها ورجع الى الاندلس والمعيطي قد توفي فغاص مجاهد في تلك الفتن الى ان توفي وولي بعده ابنه علي بن مجاهد وكانا جميعا من أهل العلم والمحبة لاهله والاحسان اليهم وجلباهم من اقاصي البلاد وأدنياهم ثم مات ابنه علي فولي بعده ابنه أبو عامر ولم يكن مثل أبيه وجده ثم ان دانية وسائر بلاد بني مجاهد صارت الى المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وأما مرسية فوليها بنو طاهر واستقامت رياستها لابي عبد الرحمن منهم المدعو بالرئيس ودامت رياسته الى ان أخذها منه المعتمد بن عباد على يد وزيره أبي بكر بن عمار المهري فلما ملكها عصى على المعتمد فيها فوجه اليه عسكرا مقدمهم أبو محمد عبد الرحمن بن رشيق القشيري فحصروه وضيقوا عليه حتى هرب منها فلما دخلها القشيري عصى فيها أيضا على المعتمد الى ان دخل في طاعة الملثمين وبقي أبو عبد الرحمن بن طاهر بمدينة بلنسية الى أن مات بها سنة سبع وخمسمائة ودفن بمرسية وقد نيف على تسعين سنة وأما المرية فملكها خيران

والجنوب والصبا والدبور فأما قوة الشمال فباردة يابسة وأما الجنوب فحارة رطبة وأما الصبا والدبور فمعتدلان غير أن الصبا اميل الى الحرارة واليبس والدبور اميل الى البرودة والرطوبة من الصبا * قال فأخبرني عن احوال البلدان في ذلك قال هي أربعة الاول الارتفاع والثاني الانخفاض والثالث مجاورة الجبال والبحار والرابع طبيعة تربة الارض والنواحي أربع وهي الجنوب والشمال والمشرق والمغرب فناحية الجنوب اسخن وناحية الشمال ابرد وأما ناحيتا المشرق والمغرب فمعتدلتان واختلاف البلدان بارتفاعها يجعلها ابرد وانخفاضها يجعلها اسخن والبلدان تختلف بحسب مجاورة الجبال لها لان الجبل متى كان من البلد في ناحية الجنوب جعل ذلك البلد ازيد بردا لانه يستره من الرياح الجنوبية وانها تهب فيه الريح الشمالية فقط ومتى كان الجبل من البلد في ناحية الشمال جعل ذلك البلد اسخن * قال فأخبرني عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار كيف اختلفت قال حين ان كان البحر من البلد في ناحية الجنوب فان ذلك البلد يسخن ويرطب وان كان في ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد * قال السائل فأخبرني عن البلدان كيف اختلفت

العامري وتوفي كما ذكرنا ووليها بعده زهير العامري واتسع ملكه الى شاطبة الى ما يجاور عمل طليطلة ودام الى ان قتل كما تقدم وصارت مملكته الى المنصور أبي الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر فولي بعده ابنه محمد فلما توفي عبد العزيز ببلنسية أقام ابنه محمد بالمرية وهو يدبر بلنسية فانتهز الفرصة فيها المأمون يحيى بن ذي النون وأخذها منه وبقي بالمرية الى ان أخذها منه صهره ذو الوزارتين أبو الاحوص المعتصم معن بن صمادح التجيبي ودانت له لورقة وبياسة وجيان وغيرها الى ان توفي سنة ثلاث وأربعين وولي بعده ابنه أبو يحيى محمد بن معن وهو ابن أربع عشرة سنة فكفله عمه أبو عتبة بن محمد الى أن توفي سنة ست وأربعين فبقي أبو يحيى مستضعفا لصغره وأخذت بلاده البعيدة عنه ولم يبق له غير المرية وما يجاورها فلما كبر أخذ نفسه بالعلوم ومكارم الاخلاق فامتد صيته واشتهر ذكره وعظم سلطانه والتحق بأكابر الملوك ودام بها الى ان نازله جيش الملثمين فمرض في اثناء ذلك وكان القتال تحت قصره فسمع يوما صياحا وغلبة فقال نغص علينا كل شئ حتى الموت وتوفي في مرضه ذلك لثمان بقين من ربيع الاول سنة أربع وثمانين وأربعمائة ودخل أولاده وأهله البحر في مركب الى بجاية قاعدة مملكة بني حماد من افريقية وملك الملثمون المرية وما معها واما مالقة فملكها بنو علي بن حمود فلم تزل في مملكة العلويين يخطب لهم فيها الى ان أخذها منهم ادريس بن حبوس صاحب غرناطة سنة سبع وأربعين وانقضى أمر العلويين بالاندلس واما غرناطة فملكها حبوس بن ماكسن الصنهاجي ثم مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة وولي بعده ابنه باديس فلما توفي ولي بعده ابن أخيه عبد الله بن بلكين وبقي الى أن ملكها منه الملثمون في رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة وانقرضت دول جميعهم وصارت الاندلس جميعها للملثمين وملكهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين واتصلت مملكته من المغرب الاقصى الى آخر بلاد المسلمين بالاندلس (نعود الى سنة سبع وأربعمائة)

﴿ ذكر الحرب بين سلطان الدولة وأخيه أبي الفوارس ﴾

قد ذكرنا ان الملك سلطان الدولة لما ملك بعد أبيه بهاء الدولة ولى أخاه أبا الفوارس بن بهاء الدولة كرمان فلما وليها اجتمع اليه الديلم وحسنوا له محاربة أخيه وأخذ البلاد منه فتجهز وتوجه الى شيراز فلم يشعر سلطان الدولة حتى دخل أبو الفوارس الى شيراز فجمع عساكره وسار اليه فحاربه فانهزم أبو الفوارس وعاد الى كرمان فتبعه اليها فخرج منها هاربا الى خراسان وقصد يمين الدولة محمود بن سبكتكين وهو ببست فأكرمه وعظمه وحمل اليه شيئا كثيرا وأجلسه فوق دارا بن قابوس بن وشمكير فقال دارا نحن أعظم محلا منهم لان أباه وأعمامه خدموا آبائي فقال محمود لكنهم أخذوا الملك بالسيف أراد بهذا نصرة نفسه حيث أخذ خراسان من السامانية ووعد محمود انه ينصره ثم ان أبا الفوارس باع جوهرتين كانتا على جبهة فرسه بعشرة آلاف دينار فاشتراهما محمود وحملهما اليه وقال له من غلطكم تتركون هذا على جبهة الفرس وقيمتهما خمسون ألف دينار ثم ان محمودا سير جيشا مع أبي الفوارس الى كرمان مقدمهم أبو سعد الطائي وهو من أعيان قواده فسار الى كرمان فملكها وقصد بلاد فارس وقد فارقها سلطان الدولة الى بغداد فدخل شيراز فلما سمع سلطان الدولة عاد الى فارس فالتقوا هناك واقتتلوا فانهزم أبو الفوارس وقتل كثير من أصحابه وعادوا بأسوأ حال وملك سلطان الدولة بلاد فارس وهرب أبو الفوارس سنة ثمان وأربعمائة الى كرمان فسير سلطان الدولة الجيوش في أثره فأخذوا كرمان منه فلحق بشمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب همذان ولم يمكنه العود الى يمين الدولة لانه أساء السيرة مع أبي

بحسب طبيعة تربتها قال ان كانت أرضها حجرية جعلت ذلك البلد ابرد وأخف وان كانت طينيا جعلته ابرد وارطب * قال فلم اختلف الهواء من قبل البحار قال اذا جاورت نقائع ماء أو جيفا أو بقولا عفنة أو غير ذلك مما يتعفن تغير هواؤها * فلما كثر هذا الكلام من السائل والمجيب اضجر ذلك الواثق فقطع ذلك وأجاز كل واحد ممن حضر * ثم أمرهم أن يخبر كل واحد منهم عما حضره في الزهد في هذا العالم الذي هو عالم الدثور والفناء والغرور فذكر كل واحد منهم ما سنح له من الاخبار عن زهد الفلاسفة من اليونانيين والحكماء المتقدمين كسقراط وديوجانس * قال الواثق قد أكثرتم فيما وصفتم وقد أحسنتم الحكاية فيما ذكرتم فليخبرني كل واحد عن أحسن ما سمع من نطق الحكماء الذين حضروا وفاة الاسكندر وقد جعل في التابوت الاحمر فقال بعضهم يا أمير المؤمنين كل ما ذكروه حسن وأحسن ما نطق به من حضر ذلك المشهد من الحكماء ديوجانس وقد قيل انه لبعض حكماء الهند فقال ان الاسكندر امس انطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه امس وأخذ هذا المعنى من قول الحكيم أبو العتاهية حيث قال

كفى حزنا بدفنك ثم اني * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

سعد الطائي ثم فارق شمس الدولة ولحق بمهذب الدولة صاحب البطيحة فأكرمه وأنزله داره وأنفذ اليه أخوه جلال الدولة من البصرة مالا وثيابا وعرض عليه الانحدار اليه فلم يفعل وترددت الرسل بينه وبين سلطان الدولة فأعاد اليه كرمان وسيرت اليه الخلع والتقليد بذلك وحملت اليه الاموال فعاد اليها

﴿ذكر قتل الشيعة بافريقية﴾

فى هذه السنة فى المحرم قتلت الشيعة بجميع بلاد افريقية وكان سبب ذلك أن المعز بن باديس ركب ومشى فى القيروان والناس يسلمون عليه ويدعون له فاجتاز بجماعة فسأل عنهم فقيل هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر وعمر فقال رضى الله عن أبى بكر وعمر فانصرفت العامة من فورها الى درب المقلى من القيروان وهو تجتمع به الشيعة فقتلوا منهم وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم طمعا فى النهب وانبسطت أيدى العامة فى الشيعة وأغراهم عامل القيروان وحرضهم وسبب ذلك أنه كان قد أصلح أمور البلد فبلغه ان المعز بن باديس يريد عزله فأراد فساده فقتل من الشيعة خلق كثير وأحرقوا بالنار ونهبت ديارهم وقتلوا فى جميع افريقية واجتمع جماعة منهم الى قصر المنصور قريب القيروان فتحصنوا به فحصرهم العامة وضيقوا عليهم فاشتد عليهم الجوع فأقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم ولجأ من كان منهم بالمهدية الى الجامع فقتلوا كلهم وكانت الشيعة تسمى بالمغرب المشارقة نسبة الى أبى عبد الله الشيعى وكان من المشرق وأكثر الشعراء ذكر هذه الحادثة فمن فرح مسرور ومن باك حزين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول احترقت قبة مشهد الحسين والاروقة وكان سببه انهم أشعلوا شمعتين كبيرتين فسقطتا فى الليل على التأزير فاحترق وتعدت النار وفيه أيضا احترق نهر طابق ودار القطن وكثير من باب البصرة واحترق جامع سر من رأى وفيها تشعث الركن اليمانى من البيت الحرام وسقط حائط بين يدى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم ووقعت القبة الكبيرة على الصخرة بالبيت المقدس وفيها كانت فتنة كبيرة بين أهل السنة والشيعة بواسط فانتصر أهل السنة وهرب وجوه الشيعة والعلويين الى على بن مزيد فاستنصروه وفيها فى رجب مات محمد بن أحمد بن القاسم بن اسمعيل أبو الحسين الضبى القاضى المعروف بابن المحاملى وكان من أعيان الفقهاء الشافعية وكبار المحدثين مولده سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ومحمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم أبو عمر البسطامى الواعظ الفقيه الشافعى ولى قضاء نيسابور

﴿ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة﴾

﴿ذكر خروج الترك من الصين وموت طغان خان﴾

فى هذه السنة خرج الترك من الصين فى عدد كثير يزيدون على ثلثمائة ألف خركاه من أجناس الترك منهم الخطابية الذين ملكوا ما وراء النهر وسيرد خبر ملكهم ان شاء الله تعالى وكان سبب خروجهم ان طغان خان لما ملك تركستان مرض مرضا شديدا وطال به المرض فطمعوا فى البلاد لذلك فساروا اليها وملكوا بعضها وغنموا وسبوا وبقى بينهم وبين بلاساغون ثمانية أيام فلما بلغه الخبر كان بها مريضا فسأل الله تعالى أن يعافيه لينتقم من الكفرة ويحمى البلاد منهم ثم يفعل به بعد ذلك ما أراد فاستجاب الله له وشفاه فجمع العساكر وكتب الى سائر بلاد الاسلام يستنفر الناس فاجتمع اليه من المتطوعة مائة ألف وعشرون ألفا فلما بلغ الترك خبر عافيته

فاشتد بكاء الواثق وعلا نحيبه وبكى كل من حضر من الناس ثم قام من فوره ذلك وهو يقول

وصروف الدهر فى تقديره
خلقت فيها انخفاض وانحدار
بينما المرء على اعلائها
اذ هوى فى هوة منها انحدار
انما منعة قوم ساعة
وحياة المرء ثوب مستعار

(قال المسعودى) وللواثق أخبار حسان مما كان فى أيامه من الاحداث وما كان يجرى من المباحثة فى مجالسه الذى عقده للنظر بين الفقهاء والمتكلمين فى أنواع العلوم من العقليات والسمعيات فى جميع الفروع والاصول وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب فى باب خلافة القاهر بن المعتضد جملا من الاخبار فى أخلاق الخلفاء من بنى العباس لمعنى أوجب ايرادها فى باب خلافة القاهر * واعتل الواثق فصلى بالناس يوم النحر أحمد بن أبى دواد وكان قاضى القضاة فدعا فى خطبته للواثق فقال اللهم اشفه مما ابتليته وقد قدمنا فيما سلف من أخباره فى هذا الكتاب فاغنى ذلك عن اعادته

﴿ذكر خلافة المتوكل على الله﴾

وبويع جعفر بن محمد بن هرون ولقب بالمنتصر بالله فلما كان فى اليوم الثانى لقبه أحمد بن أبى دواد المتوكل على الله وذلك فى اليوم الذى مات فيه الواثق أخوه وهو يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين

وجمعه

وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا الى بلادهم فسار خلفهم نحو ثلاثة أشهر حتى أدركهم وهم آمنون لبعد المسافة فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتى ألف رجل وأسر نحو مائة ألف وغنم من الدواب والخركاهات وغير ذلك من الاوانى الذهبية والفضية ومعمول الصين مالا عهد لاحد بمثله وعاد الى بلاساغون فلما بلغها عاوده مرضه فمات منه وكان عادلا خيرا دينا يحب العلم وأهله ويميل الى أهل الدين ويصلهم ويقربهم وما أشبه قصته بقصة سعد بن معاذ الانصارى وقد تقدمت فى غزوة الخندق وقيل كانت هذه الحادثة مع أحمد بن على قراخان أخى طغان خان وانها كانت سنة ثلاث وأربعمائة

﴿ذكر ملك أخيه أرسلان خان﴾

لما مات طغان خان ملك بعده أخوه أبو المظفر أرسلان خان ولقبه شرف الدولة فخالف عليه قدرخان يوسف بن بغراخان هرون بن سليمان الذى ملك بخارا وقد تقدم ذكره وكان ينوب عن طغان خان بسمرقند فكاتب يمين الدولة يستنجده على ارسلان خان فعقد على جيحون جسرا من السفن وضبطه بالسلاسل فعبر عليه ولم يكن يعرف هناك قبل هذا وأعانه على أرسلان خان ثم ان يمين الدولة خافه فعاد الى بلاده فاصطلح قدرخان وأرسلان خان على قصد بلاد يمين الدولة واقتسامها وسارا الى بلخ وبلغ الخبر الى يمين الدولة فقصدهما واقتتلوا وصبر الفريقان ثم انهزم الترك وعبروا جيحون فكان من غرق منهم أكثر ممن نجا وورد رسول متولى خوارزم الى يمين الدولة يهنئه بالفتح عقيب الوقعة فقال له من أين علمتم فقال من كثرة القلانس التى جاءت على الماء وعبر يمين الدولة فشكا أهل تلك البلاد الى قدرخان ما يلقون من عسكر يمين الدولة فقال قد قرب الامر بيننا وبين عدونا فان ظفرنا منعنا عنكم وان ظفر عدونا فقد استرحتم منا ثم اجتمع هو وقدرخان وأكلا طعاما وكان قدرخان عادلا حسن السيرة كثير الجهاد فمن فتوحه ختن وهى بلاد بين الصين وتركستان وهى كثيرة العلماء والفضلاء وبقى كذلك الى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة فتوفى فيها وكان يديم الصلاة فى الجماعة ولما توفى خلف ثلاث بنين منهم أبو شجاع ارسلان خان وكان له كاشغر وختن وبلاساغون وخطب له على منابرها وكان لقبه شرف الدولة ولم يشرب الخمر قط وكان دينا مكرما للعلماء وأهل الدين فقصدوه من كل ناحية فوصلهم وأحسن اليهم وخلف أيضا بغراخان بن قدرخان وكان له طراز واسبيجاب فقدم أخوه ارسلان وأخذ مملكته فصار بافانهزم ارسلان خان وأخذ أسيرا فاودعوه الحبس وملك بلاده ثم ان بغراخان عهد بالملك لولده الاكبر واسمه حسين جغرى تكين وجعله ولى عهده وكان لبغراخان امرأة له منها ولد صغير فغاظها ذلك فعمدت اليه وسمته فمات هو وعدة من أهله وخنقت أخاه ارسلان خان ابن قدرخان وكان ذلك سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وقتلت وجوه أصحابه وملكت ابنه واسمه ابراهيم وسيرته فى جيش الى مدينة تعرف ببرسخان وصاحبها يعرف بينالتكين فظفر به ينالتكين وقتله وانهزم عسكره الى أمه واختلف أولاد بغراخان فقصدهم طفغاج خان صاحب سمرقند

﴿ذكر ملك طفغاج خان وولده﴾

وكان طفغاج خان أبو المظفر ابراهيم بن نصر ايلك يلقب عماد الدولة وكان بيده سمرقند وفرغانة وكان أبوه زاهدا متعبدا وهو الذى ملك سمرقند فلما مات ورثه ابنه طفغاج وملك بعده وكان طفغاج متدينا لا يأخذ مالا حتى يستفتى الفقهاء فورد عليه أبو شجاع العلوى الواعظ وكان زاهدا فوعظه وقال له انك لا تصلح للملك فاغلق طفغاج بابه وعزم على ترك الملك فاجتمع عليه أهل البلد

ويكنى بأبى الفضل وبويع له وهو ابن سبع وعشرين سنة وأشهر وقتل وهو ابن احدى وأربعين سنة وتسعة أشهر وتسع ليال وأمه أم ولد خوارزمية يقال لها شجاع وقتل ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

ولما افضت الخلافة الى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة فى الجدال والترك لما كان عليه الناس فى أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث واظهار السنة والجماعة واظهر لباس ثياب الملحم وفضل ذلك على سائر الثياب واتبعه من فى داره على لبس ذلك وشمل الناس لبسه وبالغوا فى ثمنه اهتماما بعمله واصطناع الجيد منها لمبالغة الناس فيها وميل الراعى والرعية اليها فالباقى فى أيدى الناس الى هذه الغاية من تلك الثياب يعرف بالمتوكلية وهى نوع من ثياب الملحم نهاية فى الحسن والصبغ وجودة الصنع * وكانت أيام المتوكل أحسن أيام وانضرها من استقامة الملك وشمول الناس بالامن والعدل ولم يكن المتوكل ممن يوصف فى عطائه وبذله بالجود ولا بتركه وامساكه بالبخل ولم يكن أحد ممن سلف من خلفاء

وقالوا قد اخطأ هذا والقيام بامورنا متعين عليك فعند ذلك فتح بابه ومات سنة ستين وأربعمائة وكان السلطان ألب ارسلان قد قصد بلاده ونهبها أيام عمه طغرلبك فلم يقابل الشر بمثله وأرسل رسولا الى القائم بأمر الله سنة ثلاث وخمسين ينهيه بعوده الى مستقره ويسأل التقدم الى ألب ارسلان بالكف عن بلاده فأجيب الى ذلك وأرسل اليه الخلع والالقاب ثم فلج سنة ستين وكان فى حياته قد جعل الملك فى ولده شمس الملك فقصده أخوه طغان خان بن طفغاج وحصره بسمرقند فاجتمع أهلها الى شمس الملك وقالوا له قد خرب أخوك ضياعنا وأفسدها ولو كان غيره لساعدناك ولكنه أخوك فلا ندخل بينكما فوعدهم المناجزة وخرج من البلد نصف الليل فى خمسمائة غلام معدين وكبس أخاه وهو غير محتاط فظفر به فهزمه وكان هذا وأبوه ماحيين ثم قصده هرون بغراخان بن يوسف قدرخان وطغرل قراخان وكان طفغاج قد استولى على ممالكهما وقاربا سمرقند فلم يظفرا بشمس الملك فصالحاه وعاد افصارت الاعمال المتاخمة لجيحون لشمس الملك وأعمال الخاهر فى أيديهما والحد بينهما خجندة وكان السلطان ألب ارسلان قد تزوج ابنة قدرخان وكانت قبله عند مسعود بن محمود بن سبكتكين وتزوج شمس الملك ابنة ألب ارسلان وزوج بنت عمه عيسى خان من السلطان ملكشاه وهى خاتون الجلالية أم الملك محمود الذى ولى السلطنة بعد أبيه وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى ثم اختلف ألب ارسلان وشمس الملك وسنذكره سنة خمس وستين عند قتل ألب ارسلان ثم مات شمس الملك فولى بعده أخوه خضرخان ثم مات فولى ابنه أحمد خان وهو الذى قبض عليه ملكشاه ثم أطلقه وأعاده الى ولايته سنة خمس وثمانين وسنذكره هناك ان شاء الله تعالى ثم ان جنده ثاروا به فقتلوه وملك بعده محمود خان وكان جده من ملوكهم وكان أصم فقصده طغانخان بن قراخان صاحب طراز فقتله واستولى على الملك واستناب بسمرقند أبا المعالى محمد بن زيد العلوى البغدادى فولى ثلاث سنين ثم عصى عليه فحاصره طغانخان وأخذه وقتله وقتل خلقا كثيرا معه ثم خرج طغانخان الى ترمذ يريد خراسان فلقيه سلطان سنجر وظفر به وقتله وصارت أعمال ماوراء النهر له فاستناب بها محمد خان بن كمشتكين بن ابراهيم بن طفغاجخان فأخذها منه عمرخان وملك سمرقند ثم هرب من جنده وقصد خوارزم فظفر به السلطان سنجر فقتله وولى سمرقند محمد خان وولى بخارا محمد تكين بن طغانتكين

﴿ذكر كاشغر وتركستان﴾

واما كاشغر وهى مدينة تركستان فانها كانت لارسلانخان بن يوسف قدرخان كما ذكرنا ثم صارت بعده لمحمود بغراخان صاحب طراز والشاش خمسة عشر شهرا ثم مات فولى بعده طغرلخان بن يوسف قدرخان فاستولى على الملك وملك بلاساغون وكان ملكه ست عشرة سنة ثم توفى وملك ابنه طغرلتكين وأقام شهرين ثم أتى هرون بغراخان أخو يوسف طغرلخان بن طفغاج بغراخان وعبر كاشغر وقبض على هرون وأطاعه عسكره وملك كاشغر وختن وما يتصل به الى بلاساغون وأقام مالكا تسعا وعشرين سنة وتوفى سنة ست وتسعين وأربعمائة فولى ابنه أحمد بن ارسلانخان وأرسل رسولا الى الخليفة المستظهر بالله يطلب منه الخلع والالقاب فأرسل اليه ما طلب ولقبه نور الدولة

﴿ذكر وفاة مهذب الدولة وحال البطيحة بعده﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى توفى مهذب الدولة أبو الحسن على بن نصر ومولده سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وهو الذى نزل عليه القادر بالله وكان سبب موته انه افتصد فانتفخ ساعده ومرض

بنى العباس ظاهر فى مجلسه اللعب والمضاحك والهزل ممن قد استفاض فى الناس تركه الا المتوكل فانه السابق الى ذلك والمحدث له وأحدث أشياء من نوع ما ذكر فاتبعه فيها الاغلب من خواصه وأكثر رعيته فلم يكن فى وزرائه والمتقدمين من كتابه وقواده من يوصف بجود ولا أفضال أو يتعالى عن مجون وطرب * وكان الفتح بن خاقان التركى مولاه اغلب الناس عليه وأقربهم منه وأكثرهم تقدما عنده ولم يكن الفتح مع هذه المنزلة من الخلافة ممن يرجى فضله ويخاف شره وكان له نصيب من العلم ومنزلة من الادب وألف كتابا فى الادب ترجمه بكتاب البستان * وأحدث المتوكل فى أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيرى والكمين والاروقة وذلك أن بعض سماره حدثه فى بعض الليالى أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بنى نصر أحدث بنيانا فى دار قراره وهى الحيرة على صورة الحرب وهيئته للهجته بها وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها فى سائر أحواله فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر والكمان ميمنة وميسرة ويكون فى البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه وفى اليمين منهما خزانة الكسوة وفى الشمال ما احتيج اليه من الشراب والرواق قد

منه

منه واشتد مرضه فلما كان قبل وفاته بثلاثة أيام تحدث الجند باقامة ولده أبى الحسين أحمد مقامه فبلغ ابن أخت مهذب الدولة وهو أبو محمد عبد الله بن بنى فاستدعى الديلم والاتراك ورغبهم ووعدهم واستحلفهم لنفسه وقرر معهم القبض على أبى الحسين بن مهذب الدولة وتسليمه اليه فمضوا اليه ليلا وقالوا له أنت ولد الامير ووارث الامر من بعده فلو قمت معنا الى دار الامارة ليظهر أمرك وتجتمع الكلمة عليك لكان حسنا فخرج من داره معهم فلما فارقها قبضوا عليه وحملوه الى أبى محمد فسمعت والدته فدخلت الى مهذب الدولة قبل موته بيوم فاعلمته الخبر فقال أى شئ أقدر أعمل وأنا على هذه الحال وتوفى من الغد وولى الامر أبو محمد وتسلم الاموال والبلد وأمر بضرب أبى الحسين بن مهذب الدولة فضرب ضربا شديدا توفى منه بعد ثلاثة أيام من موت أبيه وبقى أبو محمد أميرا الى منتصف شعبان وتوفى بالذبحة وكان قد قال قبل موته رأيت مهذب الدولة فى المنام وقد أمسك حلقى ليخنقنى ويقول قتلت ابنى أحمد وقابلت نعمتى عليك بذلك فمات بعد أيام فكان ملكه أقل من ثلاثة أشهر فلما توفى اتفق الجماعة على تأمير أبى عبد الله الحسين بن بكر الشرابى وكان من خواص مهذب الدولة فصار أمير البطيحة وبذل للملك سلطان الدولة بذولا فأقره عليها وبقى الى سنة عشر وأربعمائة فسير اليه سلطان الدولة صدقة بن فارس المازيارى فملك البطيحة واسر أبا عبد الله الشرابى فبقى عنده أسيرا الى ان توفى صدقة وخلص على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر وفاة على بن مزيد وامارة ابنه دبيس﴾

فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى أبو الحسن على بن مزيد الاسدى وقام بعده ابنه نور الدولة أبو الاغر دبيس وكان أبوه قد جعله ولى عهده فى حياته وخلع عليه سلطان الدولة وأذن فى ولايته فلما توفى والده اختلفت العشيرة على دبيس فطلب أخوه المقلد بن أبى الحسن على الامارة وسار الى بغداد وبذل للاتراك بذولا كثيرة ليعاضدوه فسار معه منهم جمع كثير وكبسوا دبيسا بالنعمانية ونهبوا حلته فانهزم الى نواحى واسط وعاد الاتراك الى بغداد وقام الاثير الخادم بأمر دبيس حتى ثبت قدمه ومضى المقلد أخوه الى بنى عقيل ونذكر باقى أخباره موضعها ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ضعف أمر الديلم ببغداد وطمع فيهم العامة فانحدروا الى واسط فخرج اليهم عامتها واتراكها فقاتلوهم فدفع الديلم عن أنفسهم وقتلوا من اتراك واسط وعامتها خلقا كثيرا وعظم أمر العيارين ببغداد فأفسدوا ونهبوا الاموال وفيها توفى الحاجب أبو طاهر سباشى المشطب وكان كثير المعروف وأبو الحسن الهمانى وكان متولى البصرة وغيرها وهو الذى مدحه مهيار بقوله * استنجد الصبر فيكم وهو مغلوب * وفيها قدم سلطان الدولة بغداد وضرب الطبل فى أوقات الصلاة الخمس ولم تجر به عادة انما كان عضد الدولة يفعل ذلك فى أوقات ثلاث صلوات وفيها هرب ابن سهلان من سلطان الدولة الى هيت وأقام عند قرواش وولى سلطان الدولة موضعه أبا القاسم جعفر بن أبى الفرج بن فسانجس ومولده ببغداد سنة خمس وخمسين وثلثمائة وفيها كانت ببغداد فتنة بين أهل الكرخ من الشيعة وبين غيرهم من أهل السنة اشتدت وفيها استتاب القادر بالله المعتزلة والشيعة وغيرهما من أرباب المقالات المخالفة لما يعتقده من مذاهبهم ونهى عن المناظرة فى شئ منها ومن فعل ذلك نكل به وعوقب

عم فضاؤه الصدر والكمين والابواب الثلاثة على الرواق فسمى هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيرى والكمين اضافة الى الحيرة واتبع الناس المتوكل فى ذلك ائتماما بفعله واشتهر الى هذه الغاية وبايع لبنيه الثلاثة محمد المنتصر بالله وأبى عبد الله المعتز بالله والمستعين بالله وفى ذلك يقول ابن المدبر فى ذكره لهذه البيعة

بايعت مثل بيعة الشجرة * فيها الكل الخلائق الخيره

أكدها جعفر وصيرها * الى بنيه الثلاثة البرره

وفى ذلك يقول على بن الجهم

قل للخليفة جعفر ياذا الندى * وابن الخلائف والائمة والهدى

لما اردت صلاح دين محمد * وليت عهد المسلمين محمدا

وثنيت بالمعتز بعد محمد * وجعلت ثالثهم أعز مؤيدا

وكان استخلاف المتوكل على الله بعد أن استخلف أبو العباس السفاح بمائة سنة وبعد موت العباس ابن عبد المطلب بمائتى سنة وقد قيل غير ذلك والله أعلم على تفاوت التواريخ فى كمية أوقاتهم وعدد سنيهم والزيادة فى الايام والشهور والنقصان عن مدة ملكهم وقد كان سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات بعد خلافته بأشهر فقبض أمواله وجميع ما كان له وقلده مكانه

﴿ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة﴾

﴿ذكر ولاية ابن سهلان العراق﴾

في هذه السنة عرض سلطان الدولة على الرخجي ولاية العراق فقال ولاية العراق تحتاج الى من فيه عسف وخرق وليس غير ابن سهلان وانا اخلفه هنا فولاه سلطان الدولة العراق في المحرم فسار من عند سلطان الدولة فلما كان ببعض الطريق ترك ثقله والكتاب وأصحابه وسار جريدة في خمسمائة فارس مع طراد بن دبيس الاسدي يطلب مهارش ومضر ابني دبيس وكان مضر قد قبض قديما عليه بأمر فخر الملك فكان يبغضه لذلك وأراد ان يأخذ جزيرة بني أسد منه ويسلمها الى طراد فلما علم مضر ومهارش قصده لهما سارا عن المذار فتبعهما والحر شديد فكاد يهلك هو ومن معه عطشا وكان من لطف الله به ان بني أسد اشتغلوا بجمع أموالهم وابعادها وبقي الحسن بن دبيس فقاتل قتالا شديدا وقتل جماعة من الديلم والاتراك ثم انهزموا ونهب ابن سهلان أموالهم وصان حرمهم ونساءهم ولما نزل في خيمته قال الآن ولدتني أمي وبذل الامان لمهارش ومضر وأهلهما وأشرك بينهما وبين طراد في الجزيرة ورحل وانكر على سلطان الدولة فعله ذلك ووصل الى واسط والفتن بها قائمة فأصلحها وقتل جماعة من أهلها وورد عليه الخبر باشتداد الفتن ببغداد فسار اليها فدخلها أواخر شهر ربيع الآخر فهرب منه العيارون ونفى جماعة من العباسيين وغيرهم ونفى أبا عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وانزل الديلم أطراف الكرخ وباب البصرة ولم يكن قبل ذلك ففعلوا من الفساد ما لم يشاهد مثله فمن ذلك ان رجلا من المستورين اغلق بابه عليه خوفا منهم فلما كان أول يوم من شهر رمضان خرج لحاجته فرآهم على حال عظيم من شرب الخمر والفساد فأراد الرجوع الى بيته فأكرهوه على الدخول معهم الى دار نزلوها وألزموه بشرب الخمر فامتنع فصبوها في فيه قهرا وقالوا له قم الى هذه المرأة فافعل بها فامتنع فألزموه فدخل معها الى بيت في الدار وأعطاها دراهم وقال هذا أول يوم في رمضان والمعصية فيه تتضاعف وأحب ان تخبريهم انني قد فعلت فقالت لا كرامة ولا عزازة أنت تصون دينك عن الزنا وانا أريد ان اصون امانتي في هذا الشهر عن الكذب فصارت هذه الحكاية سائرة في بغداد ثم ان أبا محمد بن سهلان افسد الاتراك والعامة فانحدر الاتراك الى واسط فلقوا بها سلطان الدولة فشكوا اليه فسكنهم ووعدهم الاصعاد الى بغداد واصلاح الحال واستحضر سلطان الدولة ابن سهلان فخافه ومضى الى بني خفاجة ثم أصعد الى الموصل فأقام بها مدة ثم انحدر الى الانبار ومنها الى البطيحة فأرسل سلطان الدولة الى البطيحة رسولا يطلبه من الشرابي فلم يسلمه فسير اليها عسكرا فانهزم الشرابي وانحدر ابن سهلان الى البصرة فاتصل بالملك جلال الدولة وكان الرخجي قد خرج مع ابن سهلان الى الموصل ففارقه بها واصلح حاله مع سلطان الدولة وعاد اليه

﴿ذكر غزوة يمين الدولة الى الهند والافغانية﴾

في هذه السنة سار يمين الدولة الى الهند غازيا واحتشد وجمع واستعد وأعد اكثر مما تقدم وسبب هذا الاهتمام أنه لما فتح قنوج وهرب صاحبها منه ويلقب راي قنوج ومعنى راي هو لقب الملك كقيصر وكسرى فلما عاد الى غزنة أرسل بيدا اللعين وهو أعظم ملوك الهند مملكة وأكثرهم جيشا وتسمى مملكته كجوراهة رسلا الى راي قنوج واسمه راجيبال يوبخه على انهزامه واسلام بلاده للمسلمين وطال الكلام بينهما وآل أمرهما الى الاختلاف وتأهب كل واحد منهما لصاحبه وسار اليه فالتقوا واقتتلوا فقتل راجيبال وأتى القتل على أكثر جنوده فازداد بيدا بما

أبا الوزير وقد كان ابن الزيات اتخذ للمصادرين والمغضوب عليهم تنورا من الحديد رؤس مساميره الى داخل قائمة مثل رؤس المسال في أيام وزارته للمعتصم والواثق فكان يعذب الناس فيه فأمر المتوكل بادخاله في ذلك التنور فقال محمد بن عبد الملك الزيات للموكل به أن يأذن له في دواة وبطاقة ليكتب فيهما ما يريد فاستأذن المتوكل في ذلك فأذن له فكتب

هي السبيل فمن يوم الى يوم * كأنه ما تريك العين في النوم

لا تجزعن رويدا انها دول * دنيا تنقل من قوم الى قوم

قال وتشاغل المتوكل في ذلك اليوم فلم تصل الرقعة اليه فلما كان الغد قرأها فأمر باخراجه فوجده ميتا وكان حبسه في ذلك التنور الى ان مات أربعين يوما وكان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا وهو القائل في تحريض المأمون على ابراهيم بن المهدي حين خرج عليه

ألم تر أن الشيء للشيء علة * يكون له كالنار تقدح بالزند

كذلك جربنا الامور وانما * يدلك ما قد كان قبل على البعد

وظني بابراهيم أن فكاكه * سيبعث يوما مثل أيامه النكد

تذكر أمير المؤمنين قيامه * وأيامه في الهزل منه وفي الجد

اذا اهتز أعواد المنابر باسمه * تغنى بليلى أو بمية أو هند

في شعر طويل جدا ومن شعره قوله في مرثية

اتفق

اتفق له شرا وعتوا وبعد صيته في الهند وعلوا وقصده بعض ملوك الهند الذي ملك يمين الدولة بلاده وهزمه واباد اجناده وصار في جملته وخدمه والتجأ اليه فوعده باعادة ملكه اليه وحفظ ضالته عليه واعتذر بهجوم الشتاء وتتابع الانداء فنمت هذه الاخبار الى يمين الدولة فأزعجته وتجهز للغزو وقصد بيدا وأخذ ملكه منه وسار عن غزنة وابتدأ في طريقه بالافغانية وهم كفار يسكنون الجبال ويفسدون في الارض ويقطعون الطريق بين غزنة وبينه فقصد بلادهم وسلك مضايقها وفتح مغالقها وخرب عامرها وغنم أموالهم وأكثر القتل فيهم والاسر وغنم المسلمون من أموالهم الكثير ثم استقل على المسير وبلغ الى مكان لم يبلغه فيما تقدم من غزواته وعبر نهر كنك ولم يعبره قبلها فلما جازه رأى قفلا قد بلغت عدة أحمالهم ألف عدد فغنمها وهي من العود والامتعة الفائقة وجد به السير فأتاه في الطريق خبر ملك من ملوك الهند يقال له بروجيبال قد سار من بين يديه ملتجئا الى بيدا ليحتمي به عليه فطوى المراحل فلحق بروجيبال ومن معه رابع عشر شعبان وبينه وبين الهنود نهر عميق فعبر اليهم بعض أصحابه وشغلهم بالقتال ثم عبر هو وباقي العسكر اليهم فاقتتلوا عامة نهارهم وانهزم بروجيبال ومن معه وكثر فيهم القتل والاسر وأسلموا أموالهم وأهليهم فغنمها المسلمون وأخذوا منهم الكثير من الجواهر وأخذ ما يزيد على مائتي فيل وسار المسلمون يقتصون آثارهم وانهزم ملكهم جريحا وتحير في أمره وأرسل الى يمين الدولة يطلب الامان فلم يؤمنه ولم يقنع منه الا بالاسلام وقتل من عساكره ما لا يحصى وسار بروجيبال ليلحق ببيدا فانفرد به بعض الهنود فقتله فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم الى يمين الدولة يبذلون له الطاعة والاتاوة وسار يمين الدولة بعد الوقعة الى مدينة باري وهي من أحصن القلاع والبلاد وأقواها فرآها من سكانها خالية وعلى عروشها خاوية فأمر بهدمها وتخريبها وعشر قلاع معها متناهية الحصانة وقتل من أهلها خلقا كثيرا وسار يطلب بيدا الملك فلحقه وقد نزل الى جانب نهر وأجرى الماء من بين يديه فصار وحلا وترك عن يمينه وشماله طريقا يبسا يقاتل منه اذا أراد القتال وكان عدة من معه ستة وخمسين ألف فارس ومائة ألف وأربعة وثمانين ألف راجل وسبعمائة وستة وأربعين فيلا فأرسل يمين الدولة طائفة من عسكره للقتال فأخرج اليهم بيدا مثلهم ولم يزل كل عسكر يمد أصحابه حتى كثر الجمعان واشتد الضرب والطعان فأدركهم الليل وحجز بينهم فلما كان الغد بكر يمين الدولة اليهم فرأى الديار منهم بلاقع وركب كل فرقة منهم طريقا مخالفا للطريق الاخرى ووجد خزائن الاموال والسلاح بحالها فغنموا الجميع واقتفى آثار المنهزمين فلحقوهم في الغياض والآجام وأكثروا فيهم القتل والاسر ونجا بيدا فريدا وحيدا وعاد يمين الدولة الى غزنة منصورا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قبض سلطان الدولة على وزيره ابن فسانجس واخوته وولي وزارته ذا السعادتين أبا غالب الحسن بن منصور ومولده بسيراف سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة وفيها توفي الغالب بالله ولي عهد أبيه القادر بالله في شهر رمضان وتوفي أيضا أبو أحمد عبد الله بن محمد بن أبي علان قاضي الاهواز ومولده سنة احدى وعشرين وثلثمائة وله تصانيف حسنة وكان معتزليا وفي هذه السنة مات عبد الغني بن سعيد بن بشر بن مروان الحافظ المصري صاحب المؤتلف والمختلف ومولده سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وتوفي رجاء بن عيسى بن محمد أبو العباس الانصناوي وانصنا من قرى مصر وهو من الفقهاء المالكية وسمع الحديث الكثير

للمعتصم بالله

وظل له سيف النبي كأنما * مدامعه من شدة الحزن تذرف

حمائله والبرد تشهد أنه * هو الطيب الاولى الذي كان يعرف

أقول ومن حق الذي قلت أنني * أقول وأني بعد ذاك وأحلف

لما هاب أهل الظلم مثلك سائسا * ولا أنصف المظلوم مثلك منصف

وقد أتينا على أخباره وما استحسن من أشعاره في الكتاب الاوسط فكانت أيام أبي الوزير في الوزارة يسيرة وقد كان اتخذ للوزارة محمد بن الفضل الجرجاني ثم صرفه فاستكتب عبيد الله بن يحيى سنة ست وثلاثين ومائتين الى أن قتل وقد أتينا في الكتاب الاوسط على أخباره واتصاله بالمتوكل وأخبار الفتح بن خاقان (وذكر) محمد بن يزيد المبرد قال ذكرت للمتوكل منازعة جرت بينه وبين الفتح بن خاقان في تأويل آية وتنازع الناس في قراءتها فبعث الى محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان الهاشمي وكانت اليه البصرة فحملني اليه مكرما فلما اجتزت بناحية النعمان بين واسط وبغداد ذكر لي أن بدير هرقل جماعة من المجانين يعالجون فلما حاذيته دعتني نفسي الى دخوله فدخلته ومعي شاب ممن يرجع الى دين وأدب فاذا أنا بمجنون من

﴿ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة﴾

فى هذه السنة قبض الملك جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة على وزيره أبى سعد عبد الواحد بن على بن ماكولا وكان ابن عمه أبو جعفر محمد بن مسعود كاتبا فاضلا وكان يعرض الديلم لعضد الدولة ولابى سعد شعر منه

وان لقانى للشجاع لهين * ولكن حمل الضيم منه شديد
اذا كان قلب القرن ينبو عن الوغى * فان جنانى جلمد وحديد

وفيها توفى وثاب بن سابق النميرى صاحب حران وأبو الحسن بن أسد الكاتب وأبو بكر محمد بن عبد السلام الهاشمى القاضى بالبصرة وأبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمى الفقيه الحنبلى البغدادى عم أبى محمد قال أبو الفضل سمعت أبا الحسن بن القصاب الصوفى قال دخلت أنا وجماعة الى البيمارستان ببغداد فرأينا شابا مجنونا شديد الهوس فولعنا به فرد بفصاحة وقال انظروا الى شعور مطررة وأجساد معطرة وقد جعلوا اللهو صناعة واللعب بضاعة وجانبوا العلم رأسا فقلت أتعرف شيأ من العلم فنسأل قال نعم ان عندى علما جما فاسألونى فقال بعضنا من الكريم فى الحقيقة قال من رزق أمثالكم وأنتم لا تساوون ثومة فأضحكنا فقال آخر من أقل الناس شكرا فقال من عوفى من بلية ثم رآها فى غيره فترك الاعتبار فان الشكر عليها واجب فأبكانا بعد أن أضحكنا فقلنا ما الظرف قال خلاف ما أنتم عليه ثم قال اللهم ان لم ترد عقلى فرد يدى لاصفع كل واحد منهم صفعة فتركناه وانصرفنا وفيها مات الاصيفر المنتفق الذى كان يؤذى الحاج فى طريقهم وأبو بكر أحمد ابن موسى بن مردويه الحافظ الاصبهانى وعبد الصمد بن بابك أبو القاسم الشاعر قدم على الصاحب بن عباد فقال أنت ابن بابك فقال أنا ابن بابك فاستحسن قوله

﴿ثم دخلت سنة احدى عشرة وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل الحاكم وولاية ابنه الظاهر﴾

فى هذه السنة ليلة الاثنين لثلاث بقين من شوال فقد الحاكم بأمر الله أبو على المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز العلوى صاحب مصر بها ولم يعرف له خبر وكان سبب فقده أنه خرج يطوف ليلة على رسمه وأصبح عند قبر الفقاعى وتوجه الى شرقى حلوان ومعه ركابيان فأعاد أحدهما مع جماعة من العرب الى بيت المال وأمر لهم بجائزة ثم عاد الركابى الآخر وذكر انه خلفه عند العين والمقصبة وبقى الناس على رسمهم يخرجون كل يوم يلتمسون رجوعه الى سلخ شوال فلما كان ثالث ذى القعدة خرج مظفر الصقلبى صاحب المظلة وغيره من خواص الحاكم ومعهم القاضى فبلغوا حلوان ودخلوا فى الجبل فبصروا بالحمار الذى كان عليه راكبا وقد ضربت يداه بسيف فأثر فيهما وعليه سرجه ولجامه فاتبعوا الاثر فانتهوا به الى البركة التى شرقى حلوان فرأوا ثيابه وهى سبع قطع صوف وهى مزررة بحالها لم تحل وفيها أثر السكاكين فعادوا ولم يشكوا فى قتله وقيل كان سبب قتله أن أهل مصر كانوا يكرهونه لما يظهر منه من سوء أفعاله فكانوا يكتبون اليه الرقاع فيها سبه وسب أسلافه والدعاء عليه حتى انهم عملوا من قراطيس صورة امرأة وبيدها رقعة فلما رآها ظن انها امرأة تشتكى فأمر بأخذ الرقعة منها فقرأها وفيها كل لعن وشتيمة قبيحة وذكر حرمه بما يكره فأمر بطلب المرأة فقيل انها من قراطيس فأمر باحراق مصر ونهبها ففعلوا ذلك وقاتل أهلها أشد قتال وانضاف اليهم فى اليوم الثالث الاتراك والمشارقة فقويت شوكتهم وأرسلوا الى الحاكم يسألونه الصفح ويعتذرون فلم يقبل فصاروا الى التهديد فلما رأى قوتهم أمر

بالكف

المجانين قدنا الى فقلت ما يقعدك

ان وصفونى فناحل الجسد
أو فتشونى فأبيض الكبد
أضعف وجدى وزادنى سقمى
أن لست أشكو الهوى الى أحد
وضعت كفى على فؤادى من
حر الاسى وانطويت فوق يدى
آه من الحب آه من كبدى
ان لم أمت فى غد فبعد غد
كأن قلبى اذا تذكرهم
فريسة بين ساعدى أسد
فقلت أحسنت لله درك زدنى فانشأ يقول
ما أقتل البين للنفوس وما
أوجع فقد الحبيب للكبد
عرضت نفسى من البلاء لما
أسرف فى مهجتى وفى جلدى
يا حسرتى أن أموت معتقلا
بين اعتلاج الهموم والكمد
فى كل يوم يفيض معوله
عينى لعضو يموت فى جسدى
فقلت أحسنت لافض فوك زدنى فانشأ يقول
الله يعلم أننى كمد
لا أستطيع أبث ما أجد
نفسان لى نفس تضمنها
بلد وأخرى حازها بلد
وأرى المقيمة ليس ينفعها
صبر وليس يعينها جلد
وأظن غائبتى كشاهدتى
بمكانها تجد الذى أجد

فقلت والله أحسنت فاستزدته فقال أراك كلما أنشدتك استزدتنى وما

بالكف عنهم وقد احرق بعض مصر ونهب بعضها وتتبع المصريون من أخذ نساءهم وأبناءهم فابتاعوا ذلك بعد ان فضحوهن فازداد غيظهم منه وحنقهم عليه ثم انه أوحش أخته وأرسل اليها مراسلات قبيحة يقول فيها بلغنى ان الرجال يدخلون اليك وتهددها بالقتل فأرسلت الى قائد كبير من قواد الحاكم يقال له ابن دواس وكان أيضا يخاف الحاكم تقول له انى أريد ان ألقاك فحضرت عنده وقالت له قد جئت اليك فى أمر تحفظ فيه نفسك ونفسى وأنت تعلم ما يعتقده أخى فيك وانه متى تمكن منك لا يبقى عليك وانا كذلك وقد انضاف الى هذا ما تظاهر به مما يكرهه المسلمون ولا يصبرون عليه وأخاف ان يثوروا به فيهلك هو ونحن معه وتنقلع هذه الدولة فأجابها الى ما تريد فقالت انه يصعد الى هذا الجبل غدا وليس معه غلام الا الركابى وصبى وينفرد بنفسه فتقيم رجلين تثق بهما يقتلانه ويقتلان الصبى وتقيم ولده بعده وتكون أنت مدبر الدولة وأزيد فى أقطاعك مائة ألف دينار فأقام رجلين وأعطتهما هى ألف دينار ومضيا الى الجبل وركب الحاكم على عادته وسار منفردا اليه فقتلاه وكان عمره ستا وثلاثين سنة وتسعة أشهر وولايته خمسا وعشرين سنة وعشرين يوما وكان جوادا بالمال سفاكا للدماء قتل عددا كثيرا من أماثل دولته وغيرهم فكانت سيرته عجيبة منها انه أمر فى صدر خلافته بسب الصحابة رضى الله عنهم وان تكتب على حيطان الجوامع والاسواق وكتب الى سائر عماله بذلك وكان ذلك سنة خمس وتسعين وثلثمائة ثم أمر بعد ذلك بمدة بالكف عن السب وتأديب من يسبهم أو يذكرهم بسوء ثم أمر فى سنة تسع وتسعين بترك صلاة التراويح فاجتمع الناس بالجامع العتيق وصلى بهم امام جميع رمضان فأخذه وقتله ولم يصل أحد التراويح الى سنة ثمان وأربعمائة فرجع عن ذلك وأمر باقامتها على العادة وبنى الجامع براشدة وأخرج الى الجوامع والمساجد من الآلات والمصاحف والستور والحصر ما لم ير الناس مثله وحمل أهل الذمة على الاسلام أو المسير الى مأمنهم أو لبس الغيار فأسلم كثير منهم ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقاه فيقول له انى أريد العود الى دينى فيأذن له ومنع النساء من الخروج من بيوتهن وقتل من خرج منهن فشكى اليه من لا قيم لها يقوم بأمرها فأمر الناس أن يحملوا كل ما يباع فى الاسواق الى الدروب ويبيعوه على النساء وأمر من يبيع أن يكون معه شبه المغرفة بساعد طويل يمده الى المرأة وهى من وراء الباب وفيه ما تشتريه فاذا رضيت وضعت الثمن فى المغرفة وأخذت ما فيها لتراها فنال الناس من ذلك شدة عظيمة ولما فقد الحاكم ولى الامر بعده ابنه أبو الحسن على ولقب الظاهر لاعزاز دين الله وأخذت له البيعة ورد النظر فى الامور جميعها الى الوزير أبى القاسم على بن أحمد الجرجراى

﴿ذكر ملك مشرف الدولة العراق﴾

فى هذه السنة فى ذى الحجة عظم أمر أبى على مشرف الدولة بن بهاء الدولة وخوطب بأمير الامراء ثم ملك العراق وأزال عنه أخاه سلطان الدولة وكان سببه ان الجند شغبوا على سلطان الدولة ومنعوه من الحركة وأراد ترتيب أخيه مشرف الدولة فى الملك فأشير على سلطان الدولة بالقبض عليه فلم يمكنه ذلك وأراد سلطان الدولة الانحدار الى واسط فقال الجند اما أن تجعل عندنا ولدك أو أخاك مشرف الدولة فراسل أخاه بذلك فامتنع ثم أجاب بعد معاودة ثم انهما اتفقا واجتمعا ببغداد واستقر بينهما انهما لا يستخدمان ابن سهلان وفارق سلطان الدولة بغداد وقصد الاهواز واستخلف أخاه مشرف الدولة على العراق فلما انحدر سلطان الدولة ووصل الى تستر استوزر ابن سهلان فاستوحش مشرف الدولة فأنفذ سلطان الدولة وزيره ابن سهلان ليخرج أخاه

ذاك الا لفرط أدب وفراق تبجن فانشدنى أنت أيضا فقلت للذى معى أنشده فأنشأ يقول

عذل وبين وتوديع ومرتحل
أى العيون على ذا ليس تنهمل
تالله ما جلدى من بعدهم جلد
ولا اختزان دموعى عنهم بخل
بلى وحرمة ما ألقين من خبل
قلبى اليهن مشتاق وما رحلوا
وددت أن البحار السبع لى مدد
وأن جسمى دموع كلها همل
وأن لى بدلا من كل جارحة
فى كل جارحة يوم النوى مقل
لا در در النوى لو صادفت جبلا
لانهد منها وشيكا ذلك الجبل
الهجر والبين والواشون والابل
طلائع يتراءى أنها الاجل
فقال المجنون أحسنت وقد حضرنى فى معنى ما أنشدت الى شعر أفانشده قلت هات فأنشأ يقول
ترحلوا ثم نيطت دونهم سجف
لو كنت أملكهم يوما لما رحلوا
يا حادى العيس مهلا كى نودعها
رفقا قليلا ففى توديعها الاجل
انى على العهد لم انقض مودتهم

ماراعنى اليوم شئ غير فقدهم * حتى استقلت وسارت بالدمى الابل

فليت شعري وطال الدهر ماذا فعلوا قال المبرد فقال الفتى الذي معي ماتوا فقال المجنون آه آه ان ماتوا فسوف أموت

مشرف الدولة من العراق فجمع مشرف الدولة عسكرا كثيرا منهم أتراك واسط وأبو الاغر دبيس بن علي بن مزيد والتقى ابن سهلان عند واسط فانهزم ابن سهلان وتحصن بواسط وحاصره مشرف الدولة وضيق عليه فغلت الاسعار حتى بلغ الكر من الطعام ألف دينار قاسانية وأكل الناس الدواب حتى الكلاب فلما رأى ابن سهلان ادبار أموره سلم البلد واستحلف مشرف الدولة وخرج اليه وخوطب حينئذ مشرف الدولة بشاهنشاه وكان ذلك في آخر ذي الحجة ومضت الديلم الذين كانوا بواسط في خدمته وسار واممه فخاف لهم وأقطعهم واتفق هو وأخوه جلال الدولة أبو طاهر فلما سمع سلطان الدولة ذلك سار عن الاهواز الى ارجان وقطعت خطبته من العراق وخطب لاخيه ببغداد آخر المحرم سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وقبض على ابن سهلان وكحل ولما سمع سلطان الدولة بذلك ضعفت نفسه وسار الى الاهواز في أربعمائة فارس فقلت عليهم الميرة فنهبوا السواد في طريقهم فاجتمع الاتراك الذين بالاهواز وقاتلوا أصحاب سلطان الدولة ونادوا بشعار مشرف الدولة وسار وامنها فقطعوا الطريق على قافلة وأخذوها وانصرفوا

﴿ذكر ولاية الظاهر لاعزاز دين الله﴾

لما قتل الحاكم على ما ذكرناه بقي الجند خمسة أيام ثم اجتمعوا الى أخته واسمها ست الملك وقالوا قد تأخر مولانا ولم تجر عادته بذلك فقالت قد جاءتني رقعته بانه يأتي بعد غد فتفرقوا وبعثت الاموال الى القواد على يد ابن دواس فلما كان اليوم السابع ألبست أبا الحسن علي ابن أخيها الحاكم أفخر الملابس وكان الجند قد حضر والميعاد فلم يرعهم الا وقد أخرج أبو الحسن وهو صبي والوزير بين يديه فصاح يا عبيد الدولة مولاتنا تقول لكم هذا مولاكم أمير المؤمنين فسلموا عليه فقبل ابن دواس الارض والقواد الذين أرسلت اليهم الاموال ودعواله فتبعهم الباقون ومشوا معه ولم يزل راكبا الى الظهر فنزل ودعا الناس من الغد فبايعوا له ولقب الظاهر لاعزاز دين الله وكتبت الكتب الى البلاد بمصر والشأم بأخذ البيعة له وجمعت أخت الحاكم الناس ووعدتهم وأحسنت اليهم ورتبت الامور ترتيبا حسنا وجعلت الامر بيد ابن دواس وقالت له انا نريد ان نرد جميع أحوال المملكة اليك ونزيد في اقطاعك ونشرفك بالخلع فاختر يوما يكون لذلك فقبل الارض ودعا وظهر الخبر به بين الناس ثم أحضرته وأحضرت القواد معه وأغلقت أبواب القصر وأرسلت اليه خادما وقالت له قل للقواد ان هذا قتل سيدكم واضربه بالسيف ففعل ذلك وقتله فلم يختلف رجلان وباشرت الامور بنفسها وقامت هيبتها عند الناس واستقامت الامور وعاشت بعد الحاكم أربع سنين وماتت

﴿ذكر الفتنة بين الاتراك والاكراد بهمذان﴾

في هذه السنة زاد شغب الاتراك بهمذان على صاحبهم شمس الدولة بن فخر الدولة وكان قد تقدم ذلك منهم غير مرة وهو يحلم عنهم بل يعجز فقوى طمعهم فزادوا في التوثب والشغب وأرادوا اخراج القواد القوهية من عنده فلم يجبهم الى ذلك فعزموا على الايقاع بهم بغير أمره فاعتزل الاكراد مع وزيره تاج الملك أبي نصر بن بهرام الى قلعة برجين فسار الاتراك اليهم فحصروهم ولم يلتفتوا الى شمس الدولة فكتب الوزير الى أبي جعفر بن كاكويه صاحب أصبهان يستنجده وعين له ليلة يكون قدوم العساكر اليه فيها بغتة ليخرج هو أيضا تلك الليلة ليكبسوا الاتراك ففعل أبو جعفر ذلك وسير ألفي فارس وضبطوا الطرق لئلا يسبقهم الخبر وكبسوا الاتراك سحرا على غفلة

وسقط ميتا فما برحت حتى غسل وكفن وصليت عليه ودفنته ووردت سر من رأى فأدخلت على المتوكل وقد عمل فيه الشراب فسئلت عن بعض ما وردت له فأجبت وبين يدي المتوكل البحتري الشاعر فابتدأ ينشده قصيدة يمدح بها المتوكل وفي المجلس أبو العتاهية الصيمري فأنشد البحتري قصيدته التي أولها

عن أي ثغر تبتسم * وبأي طرف تحتكم

حسن يضيء بحسنه * والحسن أشبه بالكرم

قل للخليفة جعفر المتوكل ابن المعتصم * المرتضى ابن المجتبي والمنعم ابن المنتقم

أما الرعية فهي من * أثمان عدلك في حرم

يا باني المجد الذي * قد كان قوض فانهدم

اسلم لدين محمد * فاذا سلمت فقد سلم

نلنا الهدى بعد العمى * بك والغنى بعد العدم

فلما انتهى مشى القهقرى للانصراف فوثب أبو العنبس فقال يا أمير المؤمنين تأمر برده فقد والله عارضته في قصيدته هذه فأمر برده فأخذ أبو العنبس ينشد شيأ لولا أن في تركه بتر الخبر لما ذكرناه وهو

من أي سلخ تلتقم * وبأي كف تلتطم

ونزل

أدخلت رأس البحتري * أبي عبادة في الرحم ووصل ذلك بما أشبهه من الشتم فضحك المتوكل

ونزل الوزير والقوهية من القلعة فوضعوا فيهم السيف فأكثروا القتل وأخذوا المال ومن سلم من الاتراك نجا فقيرا وفعل شمس الدولة بمن عنده في همذان كذلك وأخرجهم فمضى ثلثمائة منهم الى كرمان وخدموا أبا الفوارس بن بهاء الدولة صاحبها

﴿ذكر القبض على أبي القاسم المغربي وابن فهد﴾

في هذه السنة قبض معتمد الدولة قرواش بن المقلد على وزيره أبي القاسم المغربي وعلى أبي القاسم سليمان بن فهد بالموصل وكان ابن فهد يكتب في حداثته بين يدي الصابي وخدم المقلد بن المسيب وأصعد الى الموصل واقتنى بها ضياعا ونظر فيها لقرواش فظلم أهلها وصادرهم ثم سخط قرواش عليهما فحبسهما وطولب سليمان بالمال فادعى الفقر فقتل وأما المغربي فانه خدع قرواشا ووعده بمال له في الكوفة وبغداد فأمر بحمله وترك وفي قرواش وابن فهد والبرقعيدي وأبي جابر يقول الشاعر وهو ابن الزمكدم مادحا لابن قرواش هاجيا للباقين

وليل كوجه البرقعيدي ظلمة * وبرد أغانيه وطول قرونه

سريت ونومي فيه نوم مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه

على أولق فيه التفات كأنه * أبو جابر في خطبه وجنونه

الى ان بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وهذه الابيات قد أجمع أهل البيان على انها غاية في الجودة لم يقل خير منها في معناها

﴿ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن معن﴾

في هذه السنة في ربيع الاول اجتمع غريب بن معن ونور الدولة دبيس بن علي بن مزيد الاسدي وأتاهم عسكر من بغداد فقاتلوا قرواشا ومعه رافع بن الحسين عند كرخ سر من رأى فانهزم قرواش ومن معه وأسر في المعركة ونهبت خزائنه وأثقاله واستجار رافع بغريب وفتحوا تكريت عنوة وعاد عسكر بغداد اليها بعد عشرة أيام ثم ان قرواشا خلص وقصد سلطان بن الحسين بن ثمال أمير خفاجة فسار اليهم جماعة من الاتراك فعاد قرواش انهزم ثانيا هو وسلطان وكانت الوقعة بينهم غربي الفرات ولما انهزم قرواش مد نواب السلطان أيديهم الى أعماله فأرسل يسأل الصفح عنه ويبذل الطاعة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها أغارت زناتة بافريقية على دواب المعز بن باديس صاحب البلاد ليأخذوها فخرج اليهم عامل مدينة قابس فقاتلهم فهزمهم وفيها في ربيع الآخر نشأت سحابة بافريقية أيضا شديدة البرق والرعد فأمطرت حجارة كثيرة ما رأى الناس أكبر منها فأهلك كل من أصابه شيء منها وفيها توفي أبو بكر محمد بن عمر العنبري الشاعر وديوانه مشهور ومن قوله

ذنبي الى الدهر أني لم أمد يدي * في الراغبين ولم أطلب ولم أسل

واني كلما نابت نوائبه * ألفيتني بالرزايا غير محتفل

﴿ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وأربعمائة﴾

﴿ذكر الخطبة لمشرف الدولة ببغداد وقتل وزيره أبي غالب﴾

في هذه السنة في المحرم قطعت خطبة سلطان الدولة من العراق وخطب لمشرف الدولة فطلب الديلم من مشرف الدولة ان ينحدر الى بيوتهم بخوزستان فأذن لهم وأمر وزيره أبا غالب بالانحدار معهم فقال له اني ان فعلت خاطرت بنفسي ولكن أبذلها في خدمتك ثم انحدر في العساكر فلما

حتى استلقى على قفاه وفحص برجله اليسرى وقال يدفع الى أبي العنبس عشرة آلاف درهم فقال الفتح ياسيدي البحتري الذي هجي وأسمع المكروه ينصرف خائبا قال ويدفع الى البحتري عشرة آلاف درهم قال ياسيدي وهذا البصري الذي اشخصناه من بلده لا يشركهم فيما حصلوه قال ويدفع اليه عشرة آلاف درهم فانصرفنا كلنا في شفاعة الهزل ولم ينفع البحتري جده واجتهاده وحزمه ثم قال المتوكل لابي العنبس أخبرني عن حمارك ووفاته وما كان من شعره في الرؤيا التي أريتها قال نعم يا أمير المؤمنين كان اعقل من القضاة ولم يكن له جرية ولا زلة فاعتل على غفلة فمات منها فرأيته فيما يرى النائم فقلت له يا حماري ألم أبرد لك الماء وأنق لك الشعير وأحسن اليك جهدي فلم مت على غفلة وما خبرك قال نعم لما كان في اليوم الذي وقفت على فلان الصيدلاني تكلمه في كذا وكذا مرت بي أتان حسناء فرأيتها فأخذت بمجامع قلبي فعشقتها واشتد وجدي بها فمت كمدا متأسفا فقلت له يا حماري فهل قلت في ذلك شعرا قال نعم وأنشدني

هام قلبي بأتان * عند باب الصيدلاني

تيمتني يوم رحنا * بثناياها الحسان

وصل الى الاهواز نادى الديلم بشعار سلطان الدولة وهجموا على أبي غالب فقتلوه فسار الاتراك الذين كانوا معه الى طراد بن دبيس الاسدي بالجزيرة التي لبني دبيس ولم يقدروا ان يدفعوا عنه فكانت وزارته ثمانية عشر شهرا وثلاثة أيام وعمره ستين سنة وخمسة أشهر فأخذ ولده أبو العباس وصودر على ثلاثين ألف دينار فلما بلغ سلطان الدولة قتله اطمأن وقويت نفسه وكان قد خافه وأنفذ ابنه أبا كاليجار الى الاهواز فملكها

﴿ذكر وفاة صدقة صاحب البطيحة﴾

في هذه السنة مرض صدقة صاحب البطيحة فقصدها أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين في صفر ليملكها وكان أبو الهيجاء بعد موت أبيه قد تفرق في البلاد تارة بمصر وتارة عند بدر بن حسنويه وتارة بينهما فلما ولي الوزير أبو غالب انفق عليه لادب كان فيه فكاتبه بعض أهل البطيحة ليسلموا اليه فسار اليهم فسمع به صدقة قبل موته بيومين فسير اليه جيشا فقاتلوه فانهزم أبو الهيجاء وأخذ أسيرا فأراد استبقاءه فمنعه سابور بن المرزبان بن مروان وقتله بيده ثم توفي صدقة بعد قتله في صفر فاجتمع أهل البطيحة على ولاية سابور بن المرزبان فولوهم وكتب الى مشرف الدولة يطلب أن يقرر عليه ما كان على صدقة من الحمل ويستعمل على البطيحة فأجابه الى ذلك وزاد في القرار عليه واستقر في الامر ثم ان أبا نصر شيرزاد بن الحسن بن مروان زاد في المقاطعة فلم يدخل سابور في الزيادة فولي أبو نصر البطيحة وسار اليها وفارقها سابور الى جزيرة بني دبيس واستقر أبو نصر في الولاية وأمنت به الطرق

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة توفي علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المشهور واليه انتهى الخط ودفن بجوار أحمد بن حنبل وكان يقص بجامع بغداد ورثاه المرتضى وقيل كان موته سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وفيها حج الناس من العراق وكان قد انقطع سنة عشر وسنة احدى عشرة فلما كان هذه السنة قصد جماعة من أعيان خراسان السلطان محمود بن سبكتكين وقالوا انت أعظم ملوك الاسلام وأثرك في الجهاد مشهور والحج قد انقطع كما ترى والتشاغل به واجب وقد كان بدر بن حسنويه وفي أصحابك كثير أعظم منه يسير الحاج بتدبيره وماله عشرين فاجعل لهذا الامر حظا من اهتمامك فتقدم الى أبي محمد الناصحي قاضي قضاة بلاده بأن يسير بالحاج وأعطاه ثلاثين ألف دينار يعطيها للعرب سوى النفقة في الصدقات ونادى في خراسان بالتأهب للحج فاجتمع خلق عظيم وساروا وحج بهم أبو الحسن الاقساسي فلما بلغوا فيد حصرهم العرب فبذل لهم الناصحي خمسة آلاف دينار فلم يقنعوا وصمموا العزم على أخذ الحاج وكان مقدمهم رجلا يقال له حمار بن عدي بضم العين من بني نبهان فركب فرسه وعليه درع وسلاحه وجال جولة يرهب بها وكان من سمرقند شاب يوصف بجودة الرمي فرماه بسهم فقتله وتفرق أصحابه وسلم الحاج فحجوا وعادوا سالمين وفيها ناظر أبو جعفر السمناني الحسبة والمواريث ببغداد والموتى وتوفي هذه السنة أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الماليني الصوفي بمصر في شوال وهو من المكثرين في الحديث ومحمد بن أحمد بن محمد بن رزق البزاز المعروف بابن رزقويه شيخ الخطيب أبي بكر ومولده سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان فقيها شافعيا وأبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي الصوفي النيسابوري صاحب طبقات الصوفية وأبو علي الحسن بن علي الدقاق النيسابوري الصوفي شيخ أبي القاسم القشيري وأبو الفتح بن أبي الفوارس

وبخد ذي دلال * مثل خد الشنغراني فهامت ولو عشت اذا طال هواني قال فقلت يا جاري قد ما

الشنغراني فقال هذا من غريب الحمير فطرب المتوكل وأمر الملهين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار وفرح في ذلك اليوم فرحا وسرورا لم ير مثله وزاد في تكرمة أبي العنبس وجائزته (وحدث) أبو عبد الله محمد بن عرفة النحوي قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال قال المتوكل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ما يقول ولد أبيك في العباس بن عبد المطلب قال وما يقول ولد أبي يا أمير المؤمنين في رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه فأمر له بمائة ألف درهم وانما أراد أبو الحسن طاعة الله على بنيه فعرض وقد كان سعي بأبي الحسن علي ابن محمد الى المتوكل وقيل له ان في منزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته فوجه اليه ليلا من الاتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره فوجد في بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر ولا بساط في البيت الا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجها الى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد فأخذ على ما وجد عليه وحمل الى المتوكل في جوف الليل فمثل بين يديه (ثم

﴿ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة﴾

﴿ذكر الصلح بين سلطان الدولة ومشرف الدولة﴾

في هذه السنة اصطلح سلطان الدولة وأخوه مشرف الدولة وحلف كل واحد منهما لصاحبه وكان الصلح بسعي من أبي محمد بن مكرم ومؤيد الملك الرخجي وزير مشرف الدولة على أن يكون العراق جميعه لمشرف الدولة وفارس وكرمان لسلطان الدولة

﴿ذكر قتل المعز وزيره وصاحب جيشه﴾

في هذه السنة قتل المعز بن باديس صاحب افريقية وزيره وصاحب جيشه أبا عبد الله محمد بن الحسن وسبب ذلك انه أقام سبع سنين لم يحمل الى المعز من الاموال شيئا بل يجبيها ويرفعها عنده وطمع طمعا عظيما لا يصبر على مثله بكثرة أتباعه ولان أخاه عبد الله بطرابلس الغرب مجاور لزناتة وهم أعداء دولته فصار المعز لا يكاتب ملكا ولا يراسله الا ويكتب أبو عبد الله معه عن نفسه فعظم ذلك على المعز فقتله (يحكي عن أبي عبد الله) انه قال سهرت ليلة أفكر في شيء أحدثه في الناس وأخرجه عليهم من الخدم التي التزمتها فنمت فرأيت عبد الله بن محمد الكاتب وكان وزير ابا باديس والد هذا المعز وكان عظيم القدر والمحل وهو يقول لي اتق الله أبا عبد الله في الناس كافة وفي نفسك خاصة فقد أسهرت عينيك وأبرمت حافظيك وقد بدا لي منك ما خفي عليك وعن قليل ترد على ما وردنا وتقدم على ما قدمنا فاكتب عني ما أقول فاني لا أقول الا حقا فأملى علي هذه الابيات

> وليت وقد رأيت مصير قوم * هم كانوا السماء وكنت أرضا
> سموا درج العلا حتى اطمأنوا * وهت بهم فعاد الرفع خفضا
> وأعظم اسوة لك بي لاني * ملكت ولم أعش طولا وعرضا
> فلا تغتر بالدنيا وأقصر * فان أوان أمرك قد تقضى

قال فانتبهت مرعوبا ورسخت الابيات في حفظي فلم يبق بعد هذا المنام غير شهرين حتى قتل ولما وصل خبر قتله الى أخيه عبد الله بطرابلس بعث الى زناتة فعاهدهم وأدخلهم مدينة طرابلس فقتلوا من كان فيها من صنهاجة وسائر الجيش وأخذوا المدينة فلما سمع المعز ذلك أخذ أولاد عبد الله ونفرا من أهلهم فحبسهم ثم قتلهم بعد أيام لان نساء المقتولين بطرابلس استغاثوا الى المعز في قتلهم فقتلهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها كان بافريقية غلاء شديد ومجاعة عظيمة لم يكن مثلها في تعذر الاقوات الا انه لم يمت فيها أحد بسبب الجوع ولم يجد الناس كبير مشقة وفيها في شهر رمضان استوزر مشرف الدولة أبا الحسين ابن الحسن الرخجي ولقب مؤيد الملك وامتدحه مهيار وغيره من الشعراء وبنى مارستانا بواسط وأكثر فيه من الادوية والاشربة ورتب له الخزان والاطباء ووقف عليه الوقوف الكثيرة وكان يعرض عليه الوزارة فيأباها فلما قتل أبو غالب ألزمه بها مشرف الدولة فلم يقدر على الامتناع وفيها توفي أبو الحسن علي بن عيسى السكري شاعر السنة ومولده ببغداد في صفر سنة سبع وخمسين وثلثمائة وكان قد قرأ الكلام على القاضي أبي بكر الباقلاني وانما سمي شاعر السنة لانه أكثر مدح الصحابة ومناقضات شعراء الشيعة وفيها توفي أبو علي عمر بن محمد بن عمر العلوي وأخذ السلطان ماله جميعه وفيها توفي أبو عبد الله بن المعلم فقيه الامامية ورثاه المرتضى

والمتوكل يشرب وفي يده كاس فلما رآه اعظمه وأجلسه الى جنبه ولم يكن في منزله شيء مما قيل فيه ولا حالة يتعلل عليه بها

فناوله المتوكل الكاس الذي في يده فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني منه فعافاه وقال أنشدني شعرا أستحسنه فقال اني لقليل الرواية للاشعار فقال لابد أن تنشدني فأنشده

> باتوا على قلل الاجبال تحرسهم
> غلب الرجال فما اغنتهم القلل
> واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم
> فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
> ناداهم صارخ من بعد ما قبروا
> أين الاسرة والتيجان والحلل
> أين الوجوه التي كانت منعمة
> من دونها تضرب الاستار والكلل
> فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
> تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
> قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا
> فأصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا
> وطالما عمروا دورا لتحصنهم
> ففارقوا الدور والاهلين وانتقلوا
> وطالما كنزوا الاموال وادخروا
> خلفوها على الاعداء وارتحلوا
> أضحت منازلهم قفرا معطلة * وساكنوها الى الاجداث قد رحلوا

﴿ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربعمائة﴾

﴿ذكر استيلاء علاء الدولة على همذان﴾

فى هذه السنة استولى أبو جعفر بن كاكويه على همذان وملكها وكذلك غيرها مما يقاربها وسبب ذلك ان فرهاذ بن مرداويج الديلمى مقطع بروجرد قصده سماء الدولة أبو الحسن بن شمس الدولة بن بويه صاحب همذان وحصره فالتجأ فرهاذ الى علاء الدولة فحماه ومنع عنه وسارا جميعا الى همذان فحصراها وقطعا الميرة عنها فخرج اليهما من بها من العسكر فاقتتلوا فرحل علاء الدولة الى جرباذقان فهلك من عسكره ثلثمائة رجل من شدة البرد فسار اليه تاج الملك القوهى مقدم عسكر همذان فحصره بها فصانع علاء الدولة الاكراد الذين مع تاج الملك فرحلوا عنه فخلص من الحصار وشرع يتجهز ليعاود حصار همذان فاكثر من الجموع وسار اليها فلقيه سماء الدولة فى عساكره ومعه تاج الملك فاقتتلوا فانهزم عسكر همذان ومضى تاج الملك الى قلعة فاحتمى بها وتقدم علاء الدولة الى سماء الدولة فترجل له وخدمه وأخذه وأنزله فى خيمته وحمل اليه المال وما يحتاج اليه وسار وهو معه الى القلعة التى بها تاج الملك فحصره وقطع الماء عن القلعة فطلب تاج الملك الامان فامنه فنزل اليه ودخل معه همذان وملك علاء الدولة همذان سار الى الدينور فملكها ثم الى سابور خواست فملكها أيضا وجمع تلك الاعمال وقبض على أمراء الديلم الذين بهمذان وسجنهم بقلعة عند اصبهان وأخذ أموالهم واقطاعهم وأبعد كل من فيه شر من الديلم وترك عنده من يعلم انه لا شر فيه وأكثر القتل فقامت هيبته وخافه الناس وضبط المملكة وقصد حسام الدولة أبا الشوك فأرسل اليه مشرف الدولة يشفع فيه فعاد عنه

﴿ذكر وزارة أبى القاسم المغربى لمشرف الدولة﴾

فى هذه السنة قبض مشرف الدولة على وزيره مؤيد الملك الرخجى فى شهر رمضان وكانت وزارته سنتين وثلاثة أيام وكان سبب عزله ان الاثير الخادم تغير عليه لانه صادر ابن شعيا اليهودى على مائة ألف دينار وكان متعلقا بالاثير فسعى وعزله واستوزر بعده أبا القاسم الحسين بن على بن الحسين المغربى ومولده بمصر سنة سبعين وثلثمائة وكان أبوه من أصحاب سيف الدولة بن حمدان فسار الى مصر فتولى بها فقتله الحاكم فهرب ولده أبو القاسم الى الشام وقصد حسان بن المفرج بن الجراح الطائى وحمله على مخالفة الحاكم والخروج عن طاعته ففعل ذلك وحسن له أن يبايع أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوى أمير مكة فاجابه اليه واستقدمه الى الرملة وخوطب بأمير المؤمنين فانفذ الحاكم الى حسان مالا جليلا وأفسد معه حال أبى الفتوح فأعاد حسان الى وادى القرى وسار أبو الفتوح منه الى مكة ثم قصد أبو القاسم العراق واتصل بفخر الملك فاتهمه القادر بالله لانه من مصر فابعده فخر الملك فقصد قرواشا بالموصل وكتب له ثم عاد عنه وتنقلت به الحال الى ان وزر بعد مؤيد الملك الرخجى وكان خبيثا محتالا حسودا اذا دخل عليه ذو فضيلة سأله عن غيرها ليظهر للناس جهله وفيها فى المحرم قدم مشرف الدولة الى بغداد ولقيه القادر بالله فى الطيار وعليه السواد ولم يلق قبله أحدا من ملوك بنى بويه وفيها قتل أبو محمد بن سهلان قتله نبكير بن عياض عند ايذج

﴿ذكر الفتنة بمكة﴾

فى هذه السنة كان يوم النفر الاول يوم الجمعة فقام رجل من مصر باحدى يديه سيف مسلول وفى الاخرى دبوس بعد ما فرغ الامام من الصلاة فقصد ذلك الرجل الحجر الاسود كأنه يستلمه

قال فاشفق من حضر على وظنوا أن بادرة تبدر منه اليه قال والله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا حتى بلت دموعه لحيته وبكى من حضره ثم أمر برفع الشراب ثم قال له يا أبا الحسن أعليك دين قال نعم أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها اليه ورده الى منزله من ساعته مكرما * قال وكانت وفاة محمد بن سماعة القاضى صاحب محمد بن الحسن وصاحب أبى حنيفة فى خلافة المتوكل وذلك فى سنة ثلاثين ومائتين وهو ابن مائة سنة صحيح الجسم والعقل والحواس يفتض الابكار ويركب الخيل التى تقطف وتعنق لم ينكر من نفسه شيأ وحكى ابنه سماعة بن محمد قال قال لى أبى محمد بن سماعة وجدت فى حياة سوار بن عبد الله قاضى المنصور كتابا له بخطه أراه من شعره أو أبيات استحسنها وهى

سلبت عظامى لحمها فتركتها
عوارى فى اجلادها تتكسر
وأخليت منها مخها فكأنها
قوارير فى أجوافها الريح تصفر
اذا سمعت ذكر الفراق ترعدت
فرائصها من خوف ماتحذر
خذى بيدى ثم ارفعى الثوب وانظرى
ضنى جسدى لكننى أتستر

ولمحمد بن سماعة تصنيفات حسان فى الفقه وروايات عن محمد بن الحسن وغيره منها كتاب نوادر المسائل

فضرب الحجر ثلاث ضربات بالدبوس وقال الى متى يعبد الحجر الاسود ومحمد وعلى فليمنعنى مانع من هذا فانى أريد أهدم البيت فخاف أكثر الحاضرين وتراجعوا عنه وكاد يفلت فثار به رجل فضربه بخنجر فقتله وقطعه الناس وأحرقوه وقتل ممن اتهم بصاحبته جماعة وأحرقوا وثارت الفتنة وكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين رجلا غير ما اختفى منهم وألح الناس ذلك اليوم على المغاربة والمصريين بالنهب والسلب وعلى غيرهم فى طريق منى الى البلد فلما كان الغد ماج الناس واضطربوا وأخذوا أربعة من أصحاب ذلك الرجل فقالوا نحن مائة رجل فضربت أعناق هؤلاء الاربعة وتقشر بعض وجه الحجر من الضربات فأخذ ذلك الفتات وعجن بلك وأعيد الى موضعه

﴿ذكر فتح قلعة من الهند﴾

فى هذه السنة أوغل يمين الدولة محمود بن سبكتكين فى بلاد الهند فغنم وقتل حتى وصل الى قلعة على رأس جبل منيع ليس له مصعد الا من موضع واحد وهى كبيرة تسع خلقا وبها خمسمائة فيل وفى رأس الجبل من الغلات والمياه وجميع ما يحتاج الناس اليه فحصرهم يمين الدولة وأدام الحصار وضيق عليهم واستمر القتال فقتل منهم كثير فلما رأوا ما حل بهم اذعنوا له وطلبوا الامان فامنهم وأقر ملكهم فيها على خراج يأخذه منه وأهدى له هدايا كثيرة منها طائر على هيئة القمرى من خاصيته اذا أحضر الطعام وفيه سم دمعت عيناه هذا الطائر وجرى منها ماء وتحجر فاذا حك وجعل على الجراحات الواسعة ألحمها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها توفى القاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى الرازى صاحب التصانيف المشهور فى الكلام وغيره وكان موته بمدينة الرى وقد جاوز تسعين سنة وأبو عبد الله الكشفلى الفقيه الشافعى وأبو جعفر محمد بن أحمد الفقيه الحنفى النسفى وكان زاهدا مصنفا وهلال بن محمد بن جعفر أبو الفتح الحفار ومولده سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وكان عالما بالحديث عالى الاسناد

﴿ثم دخلت سنة خمس عشرة وأربعمائة﴾

﴿ذكر الخلف بين مشرف الدولة والاتراك وعزل الوزير المغربى﴾

فى هذه السنة تأكدت الوحشة بين الاثير عنبر الخادم ومعه الوزير ابن المغربى وبين الاتراك فاستأذن الاثير والوزير ابن المغربى الملك مشرف الدولة فى الانتزاح الى بلد يأمنان فيه على أنفسهما فقال انا أسير معكما فسار واجميعا ومعهم جماعة من مقدمى الديلم الى السندية وبها قرواش فانزلهم ثم ساروا كلهم الى اوانا فلما علم الاتراك ذلك عظم عليهم وانزعجوا منه وارسلوا المرتضى وأبا الحسن الزينبى وجماعة من قواد الاتراك يعتذرون ويقولون نحن العبيد فكتب اليهم أبو القاسم المغربى اننى تأملت مالكم من الجامكيات فاذا هى ستمائة ألف دينار وعملت دخل بغداد فاذا هو أربعمائة ألف دينار فان اسقطتم مائة ألف دينار تحملت بالباقى فقالوا نحن نسقطها فاستشعر منهم أبو القاسم المغربى فهرب الى قرواش فكانت وزارته عشرة أشهر وخمسة أيام فلما أبعد خرج الاتراك فسألوا الملك والاثير الانحدار معهم فاجابهم الى ذلك وانحدروا جميعهم

﴿ذكر الفتنة بالكوفة ووزارة أبى القاسم المغربى لابن مروان﴾

فى هذه السنة وقعت فتنة بالكوفة بين العلويين والعباسيين وسببها أن المختار أبا على بن عبيد الله العلوى وقعت بينه وبين الزكى أبى على النهرسابسى وبين أبى الحسن على بن أبى طالب بن عمر

عن محمد بن الحسن ألوف أوراق * وفى هذه السنة وهى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين مات يحيى بن معين * وفى سنة خمس وثلاثين ومائتين مات أبو بكر بن أبى شيبة والقواريرى وكانا من علية أصحاب الحديث وحفاظهم وفيها مات اسحق بن ابراهيم بن مصعب وكان على بغداد وولى مكانه وله أخبار حسان قد أتينا على غررها فى كتابنا أخبار الزمان (ومن ظريف أخباره) والمستحسن مما كان فى أيامه وسيره ببغداد ما حدث به عنه موسى بن صالح بن سيح بن عميرة الاسدى أنه رأى فى منامه كأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول له أطلق القاتل فارتاع لذلك روعا عظيما ونظر فى الكتب الواردة لاصحاب الحبوس فلم يجد فيها ذكر قاتل فأمر باحضار السندى وعباس فسألهما هل رفع اليهما أحد ادعى عليه بالقتل فقال له العباس نعم وقد كتبنا بخبره فأعاد النظر فوجد الكتاب فى أضعاف القراطيس واذا الرجل قد شهد عليه بالقتل وأقر به فأمر اسحق باحضاره فلما دخل عليه ورأى ما به من الارتياع قال له ان صدقتنى أطلقتك فابتدأ يخبره بخبره وذكر أنه كان هو وعدة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة ويستحلون كل محرم وانه كان اجتماعهم فى منزل بمدينة أبى جعفر المنصور يعتكفون فيه على كل بلية

ما بينه فاعتضد المختار بالعباسيين فساروا الى بغداد وشكوا ما يفعل بهم النهرسابسى فتقدم الخليفة القادر بالله بالاصلاح بينهم مراعاة لابى القاسم الوزير المغربى لان النهرسابسى كان صديقه وابن أبى طالب كان صهره فعادوا واستعان كل فريق بخفاجة فاعان كل فريق من الكوفيين طائفة من خفاجة فجرى بينهم قتال فظهر العلويون وقتل من العباسيين ستة نفر وأحرقت دورهم ونهبت فعادوا الى بغداد ومنعوا من الخطبة يوم الجمعة وثاروا وقتلوا ابن أبى العباس العلوى وقالوا ان أخاه كان فى جملة الفتكة بالكوفة فبرز أمر الخليفة الى المرتضى بأمره بصرف ابن أبى طالب عن نقابة الكوفة وردها الى المختار فانكر الوزير المغربى ما يجرى على صهره ابن أبى طالب من العزل وكان عند قرواش بسر من رأى فاعترض أرجاء كانت للخليفة بدرزيجان وأرسل الخليفة القاضى أبا جعفر السمنانى فى رسالة الى قرواش يأمره بابعاد المغربى عنه ففعل فسار المغربى الى ابن مروان بديار بكر وغضب الخليفة على النهرسابسى وبقى تحت السخط الى سنة ثمان عشرة وأربعمائة فشفع فيه الاتراك وغيرهم فرضى عنه وحلفه على الطاعة فخاف

﴿ ذكر وفاة سلطان الدولة وملك ولده أبى كاليجار وقتل ابن مكرم ﴾

فى هذه السنة فى شوال توفى الملك سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة أبى نصر بن عضد الدولة بشيراز وكان عمره اثنين وعشرين سنة وخمسة أشهر وكان ابنه أبو كاليجار بالاهواز فطلبه الاوحد أبو محمد بن مكرم ليملك بعد أبيه وكان هواه معه وكان الاتراك يريدون عمه أبا الفوارس بن بهاء الدولة صاحب كرمان فكاتبوه يطلبونه اليهم أيضا فتأخر أبو كاليجار عنها فسبقه عمه أبو الفوارس اليها فملكها وكان أبو المكارم بن أبى محمد بن مكرم قد أشار على أبيه لما رأى الاختلاف أن يسير الى مكان يأمن فيه على نفسه فلم يقبل قوله فسار وتركه وقصد البصرة فقدم أبوه حيث لم يكن معه فقال له العادل أبو منصور بن مافنة المصلحة أن تقصد سيراف وتكون مالك أمرك وابنك أبو القاسم بعمان فتحتاج الملوك اليك فركب سفينة ليمضى اليها فاصابه برد فبطل عن الحركة وأرسل العادل بن مافنة الى كرمان لاحضار أبى الفوارس فسار اليه العادل وأبلغه رسالة ابن مكرم باستدعائه فسار مجدا ومعه العادل فوصلوا الى فارس وخرج ابن مكرم يلقى أبا الفوارس ومعه الناس فطالبه الاجناد بحق البيعة فاحالهم على ابن مكرم فتضجر ابن مكرم فقال له العادل الرأى أن تبذل مالك وأموال الناس حتى تمشى الامور فانتهره فسكت وتلوم ابن مكرم بايصال المال الى الاجناد فشكوه الى أبى الفوارس فقبض عليه وعلى العادل بن مافنة ثم قتل ابن مكرم واستبقى ابن مافنة فلما سمع ابنه أبو القاسم بقتله صار مع الملك أبى كاليجار وأطاعه وتجهز أبو كاليجار وقام بامره أبو مزاحم صندل الخادم وكان مربيه وساروا بالعساكر الى فارس فسير عمه أبو الفوارس عسكرا مع وزيره أبى منصور الحسن أبى على الفسوى لقتاله فوصل أبو كاليجار والوزير متهاون به لكثرة عسكره فأتوه وهو نائم وقد تفرق عسكره فى البلد يبتاعون ما يحتاجون اليه وكان جاهلا بالحرب فلما شاهدوا اعلام أبى كاليجار شرع الوزير يرتب العسكر وقد داخلهم الرعب فحمل عليهم أبو كاليجار وهم على اضطراب فانهزموا وغنم أبو كاليجار وعسكره أموالهم ودوابهم وكل مالهم فلما انتهى خبر الهزيمة الى عمه أبى الفوارس سار الى كرمان وملك أبو كاليجار بلاد فارس ودخل شيراز

﴿ ذكر عود أبى الفوارس الى فارس واخراجه عنها ﴾

ولما ملك أبو كاليجار بلاد فارس ودخل شيراز جرى على الديلم الشيرازية من عسكره

فلما كان فى هذا اليوم جاءتهم عجوز كانت تختلف اليهم للفساد ومعها جارية بارعة الجمال فلما توسطت الجارية الدار صرخت صرخة فبادرت اليها من بين أصحابى فأدخلتها بيتا وسكنت روعها وسألتها عن قصتها فقالت الله الله فى فان هذه العجوز خدعتنى وأعلمتنى أن فى خزانتها حقا لم ير مثله فشوقتنى الى النظر الى ما فيه فخرجت معها واثقة بقولها فهجمت بى عليكم وجدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمى فاطمة وأبى الحسن بن على فاحفظوهم فى قال الرجل فضمنت خلاصها وخرجت الى أصحابى فعرفتهم فكانى أغريتهم بها وقالوا لما قضيت حاجتك منها اردت صرفنا عنها وبادروا اليها وقمت دونها أمنع عنها فتفاقم الامر بيننا الى أن نالتنى جراح فعمدت الى أشدهم كان فى أمرها وأكلبهم على هتكها فقتلته ولم أزل أمنع عنها الى أن خلصتها سالمة وتخلصت الجارية آمنة مما خافته على نفسها فأخرجتها من الدار فسمعتها تقول سترك الله كما سترتنى وكان لك كما كنت لى وسمع الجيران الضجة فتبادروا الينا والسكين فى يدى والرجل يتشحط فى دمه فرفعت على هذه الحالة فقال لى اسحق قد عرفت لك ما كان من حفظك المرأة ووهبتك لله ورسوله قال فوحق من وهبتنى له لا عاودت معصية

ما أخرجهم عن طاعته وغنوا معه انهم كانوا قاتلوا مع عمه وكان جماعة من الديلم بمدينة فسا فى طاعة أبى الفوارس وهم يريدون أن يصلحوا حالهم مع أبى كاليجار ويصيروا معه فارسل اليهم الديلم الذين بشيراز يعرفونهم ما يلقون من الاذى ويأمرونهم بالتمسك بطاعة أبى الفوارس ففعلوا ذلك ثم ان عسكر أبى كاليجار طالبوه بالمال وشغبوا عليه فاظهر الديلم الشيرازية ما فى نفوسهم من الحقد فعجز عن المقام معهم فسار عن شيراز الى النوبندجان ولقى شدة فى طريقه ثم انتقل عنها لشدة حرها وخامة هوائها ومرض أصحابه فاتى شعب بوان فأقام به فلما سار عن شيراز أرسل الديلم الشيرازية الى عمه أبى الفوارس يحثونه على المجئ اليهم ويعرفونه بعد أبى كاليجار عنهم فسار اليهم فسلموا اليه شيراز وقصد الى أبى كاليجار بشعب بوان ليحاربه ويخرجه عن البلاد فاختار العسكران الصلح فسفروا فيه فاستقر لابى الفوارس كرمان وفارس ولابى كاليجار خوزستان وعاد أبو الفوارس الى شيراز وسار أبو كاليجار الى أرجان ثم ان وزير أبى الفوارس خبط الناس وأفسد قلوبهم وصادرهم واجتاز به مال لابى كاليجار والديلم الذين معه فأخذه فحينئذ حث العادل بن مافنة صندلا الخادم على العود الى شيراز وكان قد فارق بها نعمة عظيمة وصار مع أبى كاليجار وكان الديلم يطيعونه فعادت الحال الى أشد ما كانت عليه فسار كل واحد من أبى كاليجار وعمه أبى الفوارس الى صاحبه والتقوا واقتتلوا فانهزم ابو الفوارس الى دارابجرد وملك أبو كاليجار فارس وعاد أبو الفوارس فجمع الاكراد فاكثر فاجتمع معه منهم نحو عشرة آلاف مقاتل فالتقوا بين البيضاء واصطخر فاقتتلوا أشد من القتال الاول فعاود أبو الفوارس الهزيمة فسار الى كرمان واستقر ملك أبى كاليجار بفارس سنة سبع عشرة وأربعمائة وكان أهل شيراز يكرهونه

﴿ ذكر خروج زناتة والظفر بهم ﴾

فى هذه السنة خرج بافريقية جمع كثير من زناتة فقطعوا الطريق وأفسدوا بقسطيلية ونفزاوة وأغاروا وغنموا واشتدت شوكتهم وكثر جمعهم فسير اليهم المعز بن باديس جيشا جريدة وأمرهم أن يجدوا السير ويسبقوا أخبارهم ففعلوا ذلك وكتموا خبرهم وطووا المراحل حتى أدركوهم وهم آمنون من الطلب فوضعوا فيهم السيف فقتل منهم خلق كثير وعلق خمسمائة رأس فى أعناق الخيول وسيرت الى المعز وكان يوم دخولها يوما مشهودا

﴿ ذكر عود الحجاج على الشأم وما كان من الظاهر اليهم ﴾

فى هذه السنة عاد الحجاج من مكة الى العراق على الشأم لصعوبة الطريق المعتاد وكانوا لما وصلوا الى مكة بذل لهم الظاهر العلوى صاحب مصر أموالا جليلة وخلعا نفيسة وتكلف شيأ كثيرا وأعطى لكل رجل فى الصحبة جملة من المال ليظهر لاهل خراسان ذلك وكان على تسيير الحجاج الشريف أبو الحسن الاقساسى وعلى حجاج خراسان حسنك نائب يمين الدولة بن سبكتكين فعظم ما جرى على الخليفة القادر بالله وعبر حسنك دجلة عند أوانا وسار الى خراسان وتهدد القادر بالله ابن الاقساسى فمرض فمات ورثاه المرتضى وغيره وأرسل الى يمين الدولة فى المعنى فسير يمين الدولة الخلع التى خلعت على صاحبه حسنك الى بغداد فاحرقت

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة تزوج السلطان مشرف الدولة بابنة علاء الدولة بن كاكويه وكان الصداق خمسين ألف دينار وتولى العقد المرتضى وفيها قلد القاضى أبو جعفر السمنانى قضاء الرصافة وباب الطاق

ولا دخلت فى ريبة حتى ألقى الله فأخبره اسحق بالرؤيا التى رآها وأن الله لم يضيع له ذلك وعرض عليه برا واسعا فأبى قبول شئ من ذلك * وفى سنة تسع وثلاثين ومائتين رضى المتوكل عن أبى محمد يحيى ابن اكثم الصيفى فأشخص الى سر من رأى وولى قضاء القضاة وسخط على أحمد ابن أبى دواد وولده أبى الوليد محمد بن أحمد وكان على القضاء وأخذ من أبى الوليد مائة ألف وعشرين ألف دينار وجوهرا بأربعين ألف دينار واحدر الى بغداد وقد كان أبو عبد الله أحمد بن أبى دواد فلج بعد موت عدوه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوما وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين وفى سنة أربعين ومائتين كانت وفاة أبى عبد الله أحمد بن أبى دواد بعد وفاة أبى الوليد محمد بن أحمد بعشرين يوما وكان ممن أدى الله الخير على يديه على ما اشتهر من أمره وسهل الله سبيله اليه وحبب اليه المعروف وفعله (وذكر) أن المعتصم كان بالجوسق يوما مع ندمائه وقد عزم على الاصطباح وأمر كل واحد منهم أن يطبخ قدرا اذ بصر بسلامة غلام ابن أبى دواد فقال هذا غلام ابن أبى دواد يتعرف خبرنا والساعة يأتى فيقول فلان الهاشمى وفلان القرشى وفلان الانصارى وفلان العربى فيعطلنا بحوائجه عما عزمنا عليه وأنا أشهدكم أنى لا أقضى اليوم له حاجة فلم يكن بين قوله وبين استئذان الاتباع لابى عبد الله

وفيها توفى أبو الحسن على بن محمد السمسمى الاديب وابن الدقاق النحوى وأبو الحسين بن بشران المحدث وعمره سبع وثمانون سنة والقاضى أبو محمد بن أبى حامد المروروذى قاضى البصرة بها وأبو الفرج أحمد بن عمر المعروف بابن المسلمة الشاهد وهو جد رئيس الرؤساء وأحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم أبو الحسن المحاملى الفقيه الشافعى تفقه على أبى حامد وصنف المصنفات المشهورة وعبيد الله بن عمر بن على بن محمد بن الاشرس أبو القاسم المقرى الفقيه الشافعى

﴿ثم دخلت سنة ست عشرة وأربعمائة﴾

﴿ذكر فتح سومنات﴾

فى هذه السنة فتح يمين الدولة فى بلاد الهند عدة حصون ومدن وأخذ الصنم المعروف بسومنات وهذا الصنم كان أعظم أصنام الهند وهم يحجون اليه كل ليلة خسوف فيجتمع عنده ما ينيف على مائة ألف انسان وتزعم الهنود أن الارواح اذا فارقت الاجساد اجتمعت اليه على مذهب التناسخ فينشئها فيمن شاء وان المد والجزر الذى عنده انما هو عبادة البحر على قدر استطاعته وكانوا يحملون اليه كل علق نفيس ويعطون سدنته كل مال جزيل وله من الموقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية وقد اجتمع فى البيت الذى هو فيه من نفيس الجوهر ما لا يحصى قيمته ولاهل الهند نهر كبير يسمى كنك يعظمونه غاية التعظيم ويلقون فيه عظام من يموت من كبرائهم ويعتقدون أنها تساق الى جنة النعيم وبين هذا النهر وبين سومنات نحو مائتى فرسخ وكان يحمل من مائه كل يوم الى سومنات ما يغسل به ويكون عنده من البرهميين كل يوم ألف رجل لعبادته وتقديم الوفود اليه وثلثمائة رجل يحلقون رؤس زواره ولحاهم وثلثمائة رجل وخمسمائة أمة يغنون ويرقصون على باب الصنم ولكل واحد من هؤلاء شئ معلوم كل يوم وكان يمين الدولة كلما فتح من الهند فتحا وكسر صنما يقول الهنود ان هذه الاصنام قد سخط عليها سومنات ولو أنه راض عنها لاهلك من قصدها بسوء فلما بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه واهلاكه ظنا منه ان الهنود اذا فقدوه ورأوا كذب ادعائهم الباطل دخلوا فى الاسلام فاستخار الله تعالى وسار عن غزنة عاشر شعبان من هذه السنة فى ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى المطوعة وسلك سبيل الملتان فوصلها منتصف شهر رمضان وفى طريقه الى الهند برية قفر لا ساكن فيها ولا ماء ولا ميرة فتجهز هو وعسكره على قدرها ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل تحمل الماء والميرة وقصد انهلوارة فلما قطع المفازة رأى فى طرفها حصونا مشحونة برجال وعندها آبار قد غوروها ليتعذر عليه حصرها فيسر الله تعالى فتحها عند قربه منها بالرعب الذى قذفه فى قلوبهم وتسلمها وقتل سكانها وأهلك أوثانها وامتار وامنها الماء وما يحتاجون اليه وسار الى انهلوارة فوصلها مستهل ذى القعدة فرأى صاحبها المدعو بهيم قد أجفل عنها وتركها وأمعن فى الهرب وقصد حصنا له يحتمى به فاستولى يمين الدولة على المدينة وسار الى سومنات فلقى فى طريقه عدة حصون فيها كثير من الاوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات على ما سوّل لهم الشيطان فقاتل من بها وفتحها وخربها وكسر أصنامها وسار الى سومنات فى مفازة قفرة قليلة الماء فلقى فيها عشرين ألف مقاتل من سكانها لم يدينوا للملك فأرسل اليهم السرايا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا مالهم وامتاروا من عندهم وساروا حتى بلغوا دبولوارة وهى على مرحلتين من سومنات وقد ثبت أهلها له ظنا منهم أن سومنات يمنعهم ويدفع عنهم فاستولى عليها وقتل رجالها وغنم أموالها وسار عنها الى سومنات فوصلها يوم الخميس منتصف ذى القعدة فرأى حصنا حصينا مبنيا على ساحل البحر بحيث تبلغه أمواجه

الاهنية فقال لجلسائه كيف ترون قولى قالوا فلا تأذن له قال سؤال الكم حمى سنة اهون على من ذلك ودخل فما هو الا أن سلم وجلس وتكلم حتى أسفر وجه المعتصم وضحكت اليه جوارحه ثم قال له يا أبا عبد الله قد طبخ كل واحد من هؤلاء قدرا وقد جعلناك حكما فى طبخها قال فلتحضر ثم آكل ثم أحكم بعلم فحملت اليه القدور ووضعت بين يديه فجعل يأكل من أول قدر أكلا تاما فقال له المعتصم هذا ظلم قال وكيف ذلك قال لانى أراك قد امعنت فى هذا اللون وستحكم لصاحبه قال يا أمير المؤمنين على أن آكل من هذه القدور كلها كما أكلته من هذا القدر فتبسم له المعتصم وقال له شأنك اذا فأكل كما قال ثم قال أما هذه فقد أحسن طابخها اذ أكثر فلفلها وأقل كمونها وأما هذه فقد أجاد طابخها اذ أكثر خلها وأقل زيتها وأما هذه فقد طيبها طابخها باعتدال توابلها وأما هذه فقد حذق من عملها بقلة مائها وكثرة مرقها حتى وصف القدور بصفات سر أهلها بها ثم أكل مع القوم كما أكلوا أنظف أكل وأحسنه مرة يحدثهم بأخبار الاكلة فى صدر الاسلام معاوية بن أبى سفيان وعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف وسليمان بن عبد الملك ومرة يحدثهم عن أكله دهره مثل سردة التمار ودورق القصاب وحاتم الكيال وامحق وأهله

وأهله على الاسوار يتفرجون على المسلمين واثقين أن معبودهم يقطع دابرهم ويهلكهم فلما كان الغد وهو الجمعة زحف وقاتل من به فرأى الهنود من المسلمين قتالا لم يعهدوا مثله ففارقوا السور فنصب المسلمون عليه السلاليم وصعدوا اليه وأعلنوا بكلمة الاخلاص وأظهروا شعار الاسلام فحينئذ اشتد القتال وعظم الخطب وتقدم جماعة الهنود الى سومنات فعفروا له خدودهم وسألوه النصر وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض فلما كان الغد بكر المسلمون اليهم وقاتلوهم فأكثروا فى الهنود القتل وأجلوهم عن المدينة الى بيت صنمهم سومنات فقاتلوا على بابه أشد قتال وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخل الى سومنات فيعتنقونه ويبكون ويتضرعون اليه ويخرجون فيقاتلون الى أن يقتلوا حتى كاد الفناء يستوعبهم فبقى منهم القليل فدخلوا البحر الى مركبين لهم لينجوا فيهما فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضا وغرق بعض وأما البيت الذى فيه سومنات فهو مبنى على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص وسومنات من حجر طوله خمسة أذرع ثلاثة مدورة ظاهرة وذراعان فى البناء وليس بصورة مصورة فأخذه يمين الدولة فكسره وأحرق بعضه وأخذ بعضه معه الى غزنة فجعله عتبة الجامع وكان بيت الصنم مظلما وانما الضوء الذى عنده من قناديل الجوهر الفائق وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مائتا من كلما مضى طائفة معلومة من الليل حركت السلسلة فيصوت الجرس فيقوم طائفة من البرهميين الى عبادتهم وعنده خزانة فيها عدة من الاصنام الذهبية والفضية وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجوهر كل واحد منها منسوب الى عظيم من عظمائهم وقيمة ما فى البيوت يزيد على عشرين ألف ألف دينار فأخذ الجميع وكانت عدة القتلى تزيد على خمسين ألف قتيل ثم ان يمين الدولة ورد عليه الخبر أن بهيم صاحب انهلوارة قد قصد قلعة تسمى كندهة فى البحر بينها وبين البر من جهة سومنات أربعون فرسخا فسار اليها يمين الدولة من سومنات فلما حاذى القلعة رأى رجلين من الصيادين فسألهما عن خوض البحر هنالك فعرفاه أنه يمكن خوضه لكن ان تحرك الهواء يسيرا غرق من فيه فاستخار الله تعالى وخاضه هو ومن معه فخرجوا سالمين فرأوا بهيم وقد فارق قلعته وأخلاها فعاد عنها وقصد المنصورة وكان صاحبها قد ارتد عن الاسلام فلما بلغه خبر مجئ يمين الدولة فارقها واحتمى بغياض أشبة فقصده يمين الدولة من موضعين فأحاط به وبمن معه فقتلوا أكثرهم وغرق منهم كثير ولم ينج منهم الا القليل ثم سار الى بهاطية فأطاعه أهلها ودانوا له فرحل الى غزنة فوصلها عاشر صفر من سنة سبع عشرة وأربعمائة

﴿ذكر وفاة مشرف الدولة وملك أخيه جلال الدولة﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول توفى الملك مشرف الدولة أبو على بن بهاء الدولة بمرض حاد وعمره ثلاث وعشرون سنة وثلاثة أشهر وملكه خمس سنين وخمسة وعشرون يوما وكان كثير الخير قليل الشر عادلا حسن السيرة وكانت والدته فى الحياة وتوفيت سنة خمس وعشرين ولما توفى مشرف الدولة خطب ببغداد بعد موته لاخيه أبى طاهر جلال الدولة وهو بالبصرة وطلب الى بغداد فلم يصعد اليها وانما بلغ الى واسط وأقام بها ثم عاد الى البصرة فقطعت خطبته وخطب لابن أخيه الملك أبى كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة فى شوّال وهو حينئذ صاحب خوزستان والحرب بينه وبين عمه أبى الفوارس صاحب كرمان بفارس فلما سمع جلال الدولة بذلك أصعد الى بغداد فانحدر عسكرها ليردوه عنها فلقوه بالسيب من أعمال النهروان فردوه فلم يرجع فرموه بالنشاب ونهبوا بعض خزائنه فعاد الى البصرة وأرسلوا الى الملك أبى كاليجار ليصعد الى بغداد

الحامى فلما رفعت الموائد قال له المعتصم ألك حاجة يا أبا عبد الله قال نعم يا أمير المؤمنين قال اذكرها فان أصحابنا يريدون أن يتشاغلوا قال نعم يا أمير المؤمنين رجل من أهلك وطئه الدهر فغير حاله وخشن معيشته قال ومن هو قال سليمان بن عبد الله النوفلى قال قدر له ما يصلحه قال خمسين ألف درهم قال انفذت ذلك له قال وحاجة أخرى قال وما هى قال ضياع ابراهيم بن المعتمر تردها له قال قد فعلت قال وحاجة أخرى قال قد فعلت قال فوالله ما خرج حتى سأل ثلاث عشرة حاجة لا يرده عن شئ منها حتى قام خطيبا فقال يا أمير المؤمنين عمرك الله طويلا فبعمرك تخصب جنات رعيتك ويلين عيشهم وتثمر أموالهم ولا زلت ممتعا بالسلامة محبوا بالكرامة مرفوعا عنك حوادث الايام وغيرها ثم انصرف فقال المعتصم هذا والله الذى يتزين بمثله ويبتهج بقربه ويعتد به ألوف من جنسه أما رأيتم كيف دخل وكيف سلم وكيف تكلم وكيف أكل وكيف وصف القدور ثم انبسط فى الحديث وكيف طاب أكلنا ما يرد هذا عن حاجة الا اللئيم الاصل خبيث الفرع والله لو سألنى فى مجلسى هذا ما قيمته عشرة آلاف ألف درهم ما رددته عنها وأنا أعلم أنه يكسبنى فى الدنيا حمدا وفى الآخرة ثوابا * وفى أحمد بن أبى دواد يقول الطائى

لقد أنسى مساوى كل دهر

ايملكوه فوعدهم الاصعاد ولم يمكنه لاجل صاحب كرمان ولما أصعد جلال الدولة كان وزيره أبا سعد بن ماكولا

﴿ذكر ملك نصر الدولة بن مروان مدينة الرها﴾

وفى هذه السنة ملك نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر مدينة الرها وكان سبب ملكها ان الرها كانت لرجل من بنى نمير يسمى عطيرا وفيه شر وجهل واستخلف عليها نائبا له اسمه أحمد بن محمد فأحسن السيرة وعدل فى الرعية فمالوا اليه وكان عطير يقيم بحلته ويدخل البلد فى الاوقات المتفرقة فرأى ان نائبه يحكم فى البلد ويأمر وينهى فحسده فقال له يوما قد أكلت مالى واستوليت على بلدى وصرت الامير وأنا النائب فاعتذر اليه فلم يقبل عذره وقتله فأنكرت الرعية قتله وغضبوا على عطير وكاتبوا نصر الدولة بن مروان ليسلموا اليه البلد فسير اليهم نائبا كان له بآمد يسمى زنك فتسلمها وأقام بها ومعه جماعة من الاجناد ومضى عطير الى صالح بن مرداس وسأله الشفاعة له الى نصر الدولة فشفع فيه فأعطاه نصف البلد ودخل عطير الى نصر الدولة بميافارقين فأشار أصحاب نصر الدولة بقبضه فلم يفعل وقال لا أغدر به وان كان أفسد وأرجو أن أكف شره بالوفاء وتسلم عطير نصف البلد ظاهرا وباطنا وأقام فيه مع نائب نصر الدولة ثم ان نائب نصر الدولة عمل طعاما ودعاه فأكل وشرب واستدعى ولدا كان لاحمد الذى قتله عطير وقال تريد أن تأخذ بثأر أبيك قال نعم قال هذا عطير عندى فى نفر يسير فاذا خرج فتعلق به فى السوق وقل له يا ظالم قتلت أبى فانه سيجرد سيفه عليك فاذا فعل فاستنفر الناس عليه واقتله وأنا من ورائك ففعل ما أمره وقتل عطيرا ومعه ثلاثة نفر من العرب فاجتمع بنو نمير وقالوا هذا فعل زنك ولا ينبغى لنا أن نسكت عن ثأرنا ولئن لم نقتله ليخرجنا من بلادنا فاجتمعت نمير وكمنوا له بظاهر البلد كمينا وقصد فريق منهم البلد فأغاروا على ما يقاربه فسمع زنك الخبر فخرج فيمن عنده من العساكر وطلب القوم فلما جاوز الكمناء خرجوا عليه فقاتلهم فأصابه حجر مقلاع فسقط وقتل وكان قتله سنة ثمان عشرة وأربعمائة فى أولها وخلصت المدينة لنصر الدولة ثم ان صالح بن مرداس شفع فى ابن عطير وابن شبل النميريين ليرد الرها اليهما فشفعه وسلمها اليهما وكان فيها برجان أحدهما أكبر من الآخر فأخذ ابن عطير البرج الكبير وأخذ ابن شبل البرج الصغير وأقاما فى البلد الى ان باعه ابن عطير من الروم على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر غرق الاسطول بجزيرة صقلية﴾

فى هذه السنة خرج الروم الى جزيرة صقلية فى جمع كثير وملكوا ما كان للمسلمين فى جزيرة قلورية وهى مجاورة لجزيرة صقلية وشرعوا فى بناء المساكن ينتظرون وصول مراكبهم وجموعهم مع ابن أخت الملك فبلغ ذلك المعز بن باديس فجهز اسطولا كبيرا أربعمائة قطعة وحشد فيها وجمع خلقا كثيرا وتطوع جمع كثير بالجهاد رغبة فى الاجر فسار الاسطول فى كانون الثانى فلما قرب من جزيرة قوصرة وهى قريب من برافريقية خرج عليهم ريح شديدة ونوء عظيم فغرق أكثرهم ولم ينج الا اليسير

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ظهر أمر العيارين ببغداد وعظم شرهم فقتلوا النفوس ونهبوا الاموال وفعلوا ما أرادوا وأحرقوا الكرخ وغلا السعر بها حتى بيع الكر الحنطة بمائتى دينار قاسانية وفيها قبض جلال الدولة على وزيره أبى سعيد بن ماكولا واستوزر ابن عمه أبا على بن ماكولا وفيها أرسل

وان قلقت ركابى فى البلاد

(وحكى) عن الفتح بن خاقان قال كنت عند المتوكل وقد عزم على الصبوح بالجعفرى وقد وجه خلف الندماء والمغنين قال فجعلنا نطوف وهو متكئ على وأنا أحادثه حتى وصلنا الى موضع نشرف منه على الخليج فدعا بكرسى فقعد عليه وأقبل يحادثنى اذ بصر بسفينة مشدودة بالقرب من شاطئ الخليج وملاح بين يديه قدر كبيرة يطبخ فيها سكباج من لحم بقر وقد فاحت روائحها فقال يا فتح رائحة قدر سكباج والله ويحك أما ترى ما أطيب رائحتها على بها على حالها فبادر الفراشون فانتزعوها من بين يدى الملاحين فلما عاين الملاحون أصحاب السفينة ما فعل بهم ذهبت نفوسهم فرقا وخوفا وجاؤا المتوكل بالقدر تفور كهيئتها فوضعت بين أيدينا فاستطاب ريحها واستحسن لونها ودعا برغيف فكسر منه كسرة ودفعها الى وأخذ هو منه مثلها وأكل كل واحد منا ثلاث لقم وأقبل الندماء والمغنون فجعل يلقم كل واحد منهم لقمة من القدر وأقبل الطعام ووضعت الموائد فلما فرغ من أكله أمر بتلك القدر ففرغت وغسلت بين يديه وأمر أن تملأ دراهم فجيء ببدرة ففرغت فيها ففضل من الدراهم مقدار ألفى

القادر بالله القاضى أبا جعفر السمنانى الى قرواش يأمره بابعاد الوزير أبى القاسم المغربى وكان عنده فأبعده فقصد نصر الدولة بن مروان بميافارقين وقد تقدم السبب فيه وفيها توفى الوزير أبو منصور محمد بن الحسن بن صالحان وزير مشرف الدولة أبى الفوارس وعمره ست وسبعون سنة وقاضى القضاة أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبى الشوارب ومولده فى ذى القعدة سنة تسع عشرة وثلثمائة وكان عفيفا نزها وقيل توفى سنة سبع عشرة وبسيل ملك الروم وملك بعده أخوه قسطنطين وفيها ورد رسول محمود بن سبكتكين الى القادر بالله ومعه خلع قد سيرها له الظاهر لاعزاز دين الله العلوى صاحب مصر ويقول أنا الخادم الذى أرى الطاعة فرضا ويذكر ارسال هذه الخلع اليه وانه سيرها الى الديوان ليرسم فيها بما يرى فأحرقت على باب النوبى فخرج منها ذهب كثير تصدق به على ضعفاء بنى هاشم وفيها توفى سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة وكان كاتبا سديدا وعمل دار الكتب ببغداد سنة احدى وثمانين وثلثمائة وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد وبقيت الى أن احترقت عند مجىء طغرلبك الى بغداد سنة خمسين وأربعمائة وفيها توفى عثمان الخركوشى الواعظ النيسابورى وكان صالحا خيرا وكان اذا دخل على محمود بن سبكتكين يقوم ويلتقيه وكان محمود قد قسط على نيسابور مالا يأخذه منهم فقال له الخركوشى بلغنى انك تكدى الناس وضاق صدرى فقال وكيف قال بلغنى أنك تأخذ أموال الضعفاء وهذه كدية فترك القسط وأطلقه وفيها بطل الحج من العراق وخراسان

﴿ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة﴾

﴿ذكر الحرب بين عسكر علاء الدولة والجوزقان﴾

فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين عساكر علاء الدولة بن كاكويه وبين الاكراد الجوزقان وكان سببها ان علاء الدولة استعمل أبا جعفر ابن عمه على سابورخواست وتلك النواحى فضم اليه الاكراد الجوزقان وجعل معه على الاكراد أبا الفرج البابونى منسوب الى بطن منهم فجرى بين أبى جعفر وأبى الفرج مشاجرة أدت الى المنافرة فأصلح بينهما علاء الدولة وأعادهما الى عملهما فلم يزل الحقد يقوى والشر يتجدد فضرب أبو جعفر أبا الفرج بلت كان فى يده فقتله فنفر الجوزقان بأسرهم ونهبوا وأفسدوا فطلبهم علاء الدولة وسير عسكرا واستعمل عليهم أبا منصور ابن عمه أخا أبى جعفر الاكبر وجعل معه فرهاذ بن مرداويج وعلى بن عمران فلما علم الجوزقان ذلك أرسلوا الى على بن عمران يسألونه أن يصلح حالهم مع علاء الدولة وقصده جماعة منهم فشرع فى الاصلاح فطالبه أبو جعفر وفرهاذ بالجماعة الذين قصدوه ليسلمهم اليهما وأرادا أخذهم منهم قهرا فانتقل الى الجوزقان واحتمى كل منهم بصاحبه وجرى بين الطائفتين قتال غير مرة كان فى آخره لعلى بن عمران والجوزقان فانهزم فرهاذ وأسر أبو منصور وأبو جعفر ابنا عم علاء الدولة فأما أبو جعفر فقتل قصاصا بأبى الفرج وأما أبو منصور فحبس فلما قتل أبو جعفر علم على بن عمران ان الامر قد فسد مع علاء الدولة ولا يمكن اصلاحه فشرع فى الاحتياط

﴿ذكر الحرب بين قرواش وبنى أسد وخفاجة﴾

فى هذه السنة اجتمع دبيس بن على بن مزيد الاسدى وأبو الفتيان منيع بن حسان أمير بنى خفاجة وجماعة عشائرهما وغيرهم وانضاف اليهما عسكر بغداد على قتال قرواش بن المقلد العقيلى وكان سببه ان خفاجة تعرضوا الى السواد وما بيد قرواش منه فانحدر من الموصل لدفعهم فاستعانوا بدبيس فسار اليهم واجتمعوا وأتاهم عسكر بغداد فالتقوا بظاهر الكوفة وهى

البدرة من الدراهم هو هبة له على تجويده طبخها قال الفتح فكان المتوكل كثيرا ما يقول اذا ذكر قدر الملاح ما أكلت أحسن من سكباج أصحاب السفينة فى ذلك اليوم وأخبرنا القاسم بن جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه بجهينة وكان من حديثه الموصل قال حدثنا أبو الحسن الصالحى قال قال الجاحظ ذكرت لامير المؤمنين المتوكل لتأديب بعض ولده فلما رآنى استبشع منظرى فأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى وخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض على الخروج معه والانحدار فى حراقته فركبنا فيها فلما أتينا فم نهر القاطول وخرجنا من سامرا نصب ستارته وأمر بالغناء فاندفعت عوادة فغنت

كل يوم قطيعة وعتاب
ينقضى دهرنا ونحن غضاب
ليت شعرى أنا خصصت بهذا
دون ذا الخلق أم كذا الاحباب

وسكتت فأمر الطنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقينا * ما ان أرى لهم معينا
كم يهجرون ويصرمو * ن ويقطعون فيصبرونا

لقرواش تجري بين مقدمته ومقدمتهم مناوشة وعلم قرواش أنه لا طاقة له بهم فسار ليلا جريدة في نفر يسير وعلم أصحابه بذلك فتبعوه منهزمين فوصلوا الى الانبار وسارت أسد وخفاجة خلفهم فلما قاربوا الانبار فارقها قرواش الى حلله فلم يمكنهم الاقدام عليه واستولوا على الانبار ثم تفرقوا

﴿ذكر الفتنة ببغداد وطمع الاتراك والعيارين﴾

في هذه السنة كثر تسلط الاتراك ببغداد فأكثروا مصادرات الناس وأخذوا الاموال حتى انهم قسطوا على الكرخ خاصة مائة ألف دينار وعظم الخطب وزاد الشر وأحرقت المنازل والدور والاسواق ودخل في الطمع العامة والعيارون فكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره كما يفعل السلطان بمن يصادره فعمل الناس الابواب على الدروب فلم تغن شيأ ووقعت الحرب بين الجند والعامة فظفر الجند ونهبوا الكرخ وغيره فأخذ منه مال جليل وهلك أهل الستر والخير فلما رأى القوّاد وعقلاء الجند ان الملك أبا كاليجار لا يصل اليهم وان البلاد قد خربت وطمع فيهم المجاورون من العرب والاكراد راسلوا جلال الدولة في الحضور الى بغداد فحضر على ما نذكره سنة ثمان عشرة وأربعمائة

﴿ذكر اصعاد الاثير الى الموصل والحرب الواقعة بين بني عقيل﴾

في هذه السنة أصعد الاثير عنبر الى الموصل من بغداد وكان سببه ان الاثير كان حاكما في الدولة البويهية ماضي الحكم نافذ الامر والجند من أطوع الناس له وأسمعهم لقوله فلما كان الآن زال ذلك وخالفه الجند فزالت طاعته عنهم فلم يلتفتوا اليه فخافهم على نفسه فسار الى قرواش فندم الجند على ذلك وسألوه أن يعود فلم يفعل وأصعد الى الموصل مع قرواش فأخذ ملكه واقطاعه بالعراق ثم ان نجد الدولة بن قراد ورافع بن الحسين جمعا جمعا كثيرا من عقيل وانضم اليهم بدران أخو قرواش وساروا يريدون حرب قرواش وكان قرواش لما سمع خبرهم قد اجتمع هو وغريب بن معن والاثير عنبر وأتاه مدد من ابن مروان فاجتمع في ثلاثة عشر ألف مقاتل فالتقوا عند بلد واقتتلوا وثبت بعضهم لبعض وكثر القتل ففعل ثروان بن قراد فعلا جميلا وذلك أنه قصد غريبا في وسط المصاف واعتنقه وصالحه وفعل أبو الفضل بدران بن المقلد بأخيه قرواش كذلك فاصطلح الجميع وأعاد قرواش الى أخيه بدران مدينة نصيبين

﴿ذكر احراق خفاجة الانبار وطاعتهم لابي كاليجار﴾

في هذه السنة سار منيع بن حسان أمير خفاجة الى الجامعين وهي لنور الدولة دبيس فنهبها فسار دبيس في طلبه الى الكوفة ففارقها وقصد الانبار وهي لقرواش كان استعادها بعد ما ذكرناه قبل فلما نازلها منيع قاتله أهلها فلم يكن لهم بخفاجة طاقة فدخل خفاجة الانبار ونهبوها وأحرقوا أسواقها فانحدر قرواش اليهم ليمنعهم وكان مريضا ومعه غريب والاثير عنبر الى الانبار ثم تركها ومضى الى القصر فاشتد طمع خفاجة وعادوا الى الانبار فأحرقوها مرة ثانية وسار قرواش الى الجامعين فاجتمع هو ونور الدولة دبيس بن مزيد في عشرة آلاف مقاتل وكانت خفاجة في ألف فلم يقدر قرواش في ذلك الجيش العظيم على هذه الالف وشرع أهل الانبار في بناء سور على البلد وأعادهم قرواش وأقام عندهم الشتاء ثم ان منيع بن حسان سار الى الملك أبي كاليجار فأطاعه فخلع عليه وأتى منيع الخفاجي الى الكوفة فخطب فيها لابي كاليجار وأزال حكم عقيل عن سقي الفرات

﴿ذكر الصلح بافريقية بين كتامة وزناتة وبين المعز بن باديس﴾

قال فقالت هذه العوّادة فيصنعون ماذا قالت هكذا يصنعون وضربت بيدها الى الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فلقة قمر فزجت بنفسها الى الماء وعلى رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال وبيده مذبة فأتى الموضع ونظر اليها وهي تمر بين الماء فأنشأ يقول

وانا الذي غرقتني
بعد القضا لو تعلمينا

فزج بنفسه في أثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما معتنقان ثم غاصا فلم يريا فهال ذلك محمدا واستعظمه وقال يا عمرو لتحدثني حديثا يسليني عن فقد هذين والا ألحقتك بهما قال فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى أمير المؤمنين أعزه الله أن يخرج جاريته فلانة حتى تغنيني ثلاثة أصوات فعل فاغتاظ يزيد وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم أمر بأن يتبع الرسول برسول آخر يأمره أن يدخل اليه الرجل فلما وقف بين يديه قال له ما الذي حملك على ما صنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بني أمية الا خرج ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عودها فقال لها الفتى غني

أفاطم مهلا بعد هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

في هذه السنة وردت رسل زناتة وكتامة الى المعز بن باديس صاحب افريقية يطلبون منه الصلح وان يقبل منهم الطاعة والدخول تحت حكمه وشرطوا أنهم يحفظون الطريق وأعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم فأجابهم الى ما سألوا وجاءت مشيخة زناتة وكتامة اليه فقبلهم وأنزلهم ووصلهم وبذل لهم أموالا جليلة

﴿ذكر وفاة حماد بن المنصور وولاية ابنه القائد﴾

في هذه السنة توفي حماد بن بلكين عم المعز بن باديس صاحب افريقية وكان خرج من قلعته متنزها فمرض ومات وحمل الى القلعة فدفن بها وولي بعده ابنه القائد وعظم على المعز موته لان الامر بينهما كان قد صلح واستقامت الامور للمعز بعده وأذعن له أولاد عمه حماد بالطاعة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة كان بالعراق برد شديد جمد فيه الماء في دجلة والانهار الكبيرة فأما السواقي فانها جمدت كلها وتأخر المطر وزيادة دجلة فلم يزرع في السواد الا القليل وفيها بطل الحج من خراسان والعراق وفيها انقض كوكب عظيم استنارت له الارض فسمع له دوي عظيم كان ذلك في رمضان وفيها مات أبو سعد بن ما كولا وزير جلال الدولة في محبسه وأبو حازم عمر بن أحمد بن ابراهيم العبدري النيسابوري الحافظ وهو من مشايخ خطيب بغداد وأبو الحسن علي بن أحمد بن عمر الحمامي المقري مولده سنة ثمان وعشرين وثلثمائة

﴿ثم دخلت سنة ثمان عشرة وأربعمائة﴾

﴿ذكر الحرب بين علاء الدولة واصبهبذ ومن معه وما تبع ذلك من الفتن﴾

في هذه السنة في ربيع الاول كانت حرب شديدة بين علاء الدولة بن كاكويه وبين الاصبهبذ ومن معه وكان سببها ما ذكرناه من خروج علي بن عمران عن طاعة علاء الدولة فلما فارقه اشتد خوفه من علاء الدولة فكاتب اصبهبذ صاحب طبرستان وكان مقيما بالري مع ولكين بن وندرين وحثه على قصد بلاد الجبل وكاتب أيضا منوجهر بن قابوس بن وشمكير واستمده وأوهم الجميع ان البلاد في يده لا دافع له عنها وكان اصبهبذ معاديا لعلاء الدولة فسار هو وولكين الى همذان فملكاها وملكا أعمال الجبل وأجليا عنها عمال علاء الدولة وأتاهم عسكر منوجهر وعلي بن عمران فازدادوا قوة وساروا كلهم الى اصبهان فتحصن علاء الدولة بها وأخرج الاموال فحصروه وجرى بينهم قتال استظهر فيه علاء الدولة وقصده كثير من ذلك العسكر وهو يبذل لمن يجيء اليه المال الجزيل ويحسن اليهم فأقاموا أربعة أيام وضاقت عليهم الميرة فعادوا عنها وتبعهم علاء الدولة واستمال الجوزقان فمال اليه بعضهم وتبعهم الى نهاوند فالتقوا عندها واقتتلوا قتالا كثر فيه القتلى والاسرى فظفر علاء الدولة وقتل ابنين لولكين في المعركة وأسر الاصبهبذ وابنان له ووزيره ومضى ولكين في نفر يسير الى جرجان وقصد علي بن عمران قلعة كنكور فتحصن بها فسار اليه علاء الدولة فحصره بها وبقي اصبهبذ محبوسا عند علاء الدولة الى ان توفي في رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة ثم ان ولكين بن وندرين سار بعد خلاصه من الوقعة الى منوجهر بن قابوس وأطمعه في الري وملكها وهوّن عليه أمر البلاد لا سيما مع اشتغال علاء الدولة بمحاصرة علي بن عمران وانضاف الى ذلك ان ولد ولكين كان صهر علاء الدولة على ابنته وقد أقطعه علاء الدولة مدينة قم فعصى عليه وصار مع أبيه وأرسل اليه يحثه على قصد البلاد فسار اليها ومعه عساكره وعساكر منوجهر حتى نزلوا على الري وقاتلوا مجد الدولة بن بويه ومن معه وجرى بين الفريقين

فغنته فقال له يزيد قل قال غني

تألق البرق نجديا فقلت له
يا أيها البرق اني عنك مشغول
بكفيك عني عدو ثائر حنق
في كفه صارم كالملح مسلول

فغنته فقال قل قال يأمر لي برطل خمر فما استتم شرابه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون أتراه الاحمق الجاهل ظن اني أخرج اليه جاريتي وأردها الى مالي يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى أهله ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها الى أهله فلما توسطت الدار نظرت الى حفرة في دار يزيد قد أعدت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم وأنشأت تقول

من مات عشقا فليمت هكذا
لا خير في عشق بلا موت

فزجت بنفسها على دماغها فماتت فسري عن محمد وأحسن صلتي وقيل ان هذا الخبر انما كان مع سليمان بن عبد الملك قال فذكرت هذا الحديث لابي عبد الله محمد بن جعفر الاخباري بالبصرة فقال أنا أخبرك بنحو من هذا الحديث الذي حدثتني به حدثني واثق الخادم وكان مولى لمحمد بن حميد الطوسي أن محمد بن حميد كان جالسا مع ندمائه يوما فغنت جارية من وراء الستارة

يا قمر الغصن متى تطلع * أشقى وغيري بك يستمتع
ان كان ربي قد قضى ما أرى * منك على رأسي فما أصنع

وقائع استظهر فيها أهل الرى فلما رأى علاء الدولة ذلك صالح على بن عمران فلما بلغ ولكين الصلح بين علاء الدولة وعلى بن عمران رحل عن الرى من غير بلوغ غرض فتوجه علاء الدولة الى الرى وراسل منوجهر وبخه وتهدده وأظهر قصد بلاده فسمع ان على بن عمران قد كاتب منوجهر وأطمعه ووعده النصرة وحثه على العود الى الرى فعاد علاء الدولة عن قصد بلاد منوجهر وتجهز لقصد على بن عمران فأرسل ابن عمران الى منوجهر يستمده فسير اليه ستمائة فارس وراجل مع قائد من قواده وتحصن ابن عمران وجمع عنده الذخائر بكنكور وقصده علاء الدولة وحصره وضيق عليه ففنى ما عنده فأرسل يطلب الصلح فاشترط علاء الدولة ان يسلم قلعة كنكور والذين قتلوا أبا جعفر ابن عمه والقائد الذى سيره اليه منوجهر فأجابه الى ذلك وسيرهم اليه فقتل قتلة ابن عمه وسجن القائد وتسلم القلعة وأقطع عليا عوضا عنها مدينة الدينور وأرسل منوجهر الى علاء الدولة فصالحه فأطلق صاحبه

﴿ذكر عصيان البطيحة على أبى كاليجار﴾

فى هذه السنة عصى أهل البطيحة على الملك أبى كاليجار ومقدمهم أبو عبد الله الحسين بن بكر الشرابى الذى كان قديما صاحب البطيحة وقد تقدم خبره وكان سبب هذا الخلاف ان الملك أبا كاليجار سير وزيره أبا محمد بن بابشاذ الى البطيحة فعسف الناس وأخذ أموالهم وأمر الشرابى فوضع على كل دار بالصليق قسطا وكان فى صحبته ففعل ذلك فتفرقوا فى البلاد وفارقوا أوطانهم فعزم من بقى على ان يستدعوا من يتقدم عليهم فى العصيان على أبى كاليجار وقتل الشرابى وكانوا ينسبون كل ما يجرى عليهم من الشرابى فعلم الشرابى بذلك فحضر عندهم واعتذر اليهم وبذل من نفسه مساعدتهم على ما يريدونه فرضوا به وحلفوا له وحلف لهم وأمرهم بكتمان الحال وعاد الى الوزير فأشار عليه بارسال أصحابه الى جهات ذكرها ليحصلوا الاموال فقبل منه ثم أشار عليه بانحدار سفنه الى مكان ذكره ليصلح ما فسد منها ففعل فلما تم له ذلك وثب هو وأهل البطيحة عليه واخرجوه من عندهم وكان عندهم جماعة من عسكر جلال الدولة فى الحبس فأخرجوهم واستعانوا بهم واتفقوا معهم وفتحوا السواقى وعادوا الى ما كانوا عليه أيام مهذب الدولة وقاتلوا كل من قصدهم وامتنع واتفق لهم ذلك ثم قصده ابن المعبرانى فاستولى على البطيحة وفارقها الشرابى الى دبيس بن مزيد فأقام عنده مكرما

﴿ذكر صلح أبى كاليجار مع عمه صاحب كرمان﴾

فى هذه السنة استقر الصلح بين أبى كاليجار وبين عمه أبى الفوارس صاحب كرمان وكان أبو كاليجار قد سار الى كرمان لقتال عمه وأخذ كرمان منه فاحتمى منه بالجبال وحمى الحر على أبى كاليجار وعسكره فكثرت الامراض فتراسلا فى الصلح فاصطلحا على ان يكون كرمان لابى الفوارس وبلاد فارس لابى كاليجار ويحمل الى عمه كل سنة عشرين ألف دينار ولما عاد أبو كاليجار الى الاهواز جعل أمور دولته الى العادل بن مافنة فأجابه بعد امتناع وكان مولد العادل بكازرون سنة ستين وثلثمائة وشرط العادل ان لا يعارض فى الرأى يفعله فأجيب الى ذلك

﴿ذكر الخطبة لجلال الدولة ببغداد واصعاده اليها﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى خطب للملك جلال الدولة أبى طاهر بن بهاء الدولة ببغداد وأصعد اليها من البصرة فدخلها ثالث شهر رمضان وكان سبب ذلك ان الاتراك لما رأوا أن البلاد تخرب وان العامة والعرب والاكراد قد طمعوا وانهم ليس عندهم سلطان يجمع كلمتهم

قصدوا

وعلى رأس محمد غلام بيده قدح يسقيه فرمى بالقدح عن يده وقال تصنعين هكذا ورمى بنفسه من الدار الى دجلة فتهتكت الجارية الستارة ثم رمت بنفسها على أثره فنزلت الغامة خلفهما فلم يجدوا أحدا منهما فقطع محمد الشراب وقام عن مجلسه (قال المسعودى) وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين سخط المتوكل على عمر بن فرج الرخجى وكان من علية الكتاب وأخذ منه مالا وجوهرا نحو مائة ألف وعشرين ألف دينار وأخذ من أخيه نحوا من مائة ألف وخمسين ألف دينار ثم صولح محمد على أحد وعشرين ألف ألف درهم على أن يرد اليه ضياعه ثم غضب عليه غضبة ثانية وأمر أن يصفع فى كل يوم فأحصى ما صفع فكان ستة آلاف صفعة وألبسه جبة صوف ثم رضى عنه وسخط عليه ثالثة وأحدر الى بغداد وأقام بها حتى مات * وأهدى المؤيد الى المتوكل قارورة دهن وكتب اليه ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فلطفت ودقت كان أبهى لها وأحسن وان كانت من الكبير الى الصغير فعظمت كان أرفع لها وأنفع (قال المسعودى) وكانت وفاة أحمد بن حنبل فى خلافة المتوكل بمدينة السلام وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائتين ودفن

قصدوا دار الخلافة وأرسلوا يعتذرون الى الخليفة من انفرادهم بالخطبة لجلال الدولة أولا ثم برده ثانيا وبالخطبة لابى كاليجار ويشكرون الخليفة حيث لم يخالفهم فى شئ من ذلك وقالوا ان أمير المؤمنين صاحب الامر ونحن العبيد وقد أخطأنا ونسأل العفو وليس عندنا الآن من يجمع كلمتنا ونسأل ان ترسل الى جلال الدولة ليصعد الى بغداد ويملك الامر ويجمع الكلمة ويخطب له فيها ويسألون أن يحلفه الرسول السائر لاحضاره لهم فأجابهم الخليفة الى ما سألوا وراسله هو وقواد الجند فى الاصعاد واليمين للخليفة والاتراك فحلف لهم وأصعد الى بغداد وانحدر الاتراك اليه فلقوه فى الطريق وأرسل الخليفة اليه القاضى أبا جعفر السمنانى فأعاد تجديد العهد عليه للخليفة والاتراك ففعل ولما وصل الى بغداد نزل النجمى فركب الخليفة فى الطيار وانحدر يلتقيه فلما رآه جلال الدولة قبل الارض بين يديه وركب فى زبزبه ووقف قائما فأمره الخليفة بالجلوس فخدم وجلس ودخل الى دار المملكة بعد ان مضى الى مشهد موسى بن جعفر فزار وقصد الدار فدخلها وأمر بضرب الطبل أوقات الصلوات الخمس فراسله الخليفة فى منعه فقطعه غضبا حتى أذن له فى اعادته ففعل وأرسل جلال الدولة مؤيد الملك أبا على الرخجى الى الاثير عنبر الخادم وهو عند قرواش وقد ذكرنا ذلك يعرفه اعتضاده به واعتماده عليه ومحبته له ويعتذر اليه عن الاتراك فعذرهم وقال هم أولاد واخوة

﴿ذكر وفاة أبى القاسم بن المغربى وأبى الخطاب﴾

اما أبو القاسم بن المغربى فتوفى هذه السنة بميافارقين وكان عمره ستا وأربعين سنة ولما أحس بالموت كتب كتبا عن نفسه الى كل من يعرفه من الامراء والرؤساء الذين بينه وبين الكوفة ويعرفهم ان حظية له توفيت وانه قد سير تابوتها الى مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام وخاطبهم فى المراعاة لمن فى صحبته وكان قصده ان لا يتعرض أحد لتابوته بمنع وينطوى خبره فلما توفى سار به أصحابه كما أمرهم وأوصلوا الكتب فلم يعرض أحد اليه فدفن بالمشهد ولم يعلم به أحد الا بعد دفنه ولابى القاسم شعر حسن فمنه هذه الابيات

وما ظبية أدماء تحنو على طلا * ترى الانس وحشا وهى تأنس بالوحش
غدت فارتعت ثم انثنت لرضاعه * فلم تلف شيأ من قوائمه الحمش
فطافت بذاك القاع ولهى فصادفت * سباع الفلا ينهشنه ايما نهش
بأوجع منى يوم ظلت أنامل * تودعنى بالدر من شبك النقش
وأجمالهم تحدى وقد خيل الهوى * كأن مطاياهم على ناظرى تمشى
وأعجب ما فى الامر ان عشت بعدهم * على انهم ما خلفوا الى من بطش

وأما أبو الخطاب حمزة بن ابراهيم فانه مات بكرخ سامرا فقيرا غريبا قد زال عنه أمره وجاهه وكان مولده سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ورثاه المرتضى كان سبب اتصاله ببهاء الدولة معرفة النجوم وبلغ منه منزلة لم يبلغها أمثاله فكان الوزراء يخدمونه وحمل اليه فخر الملك مائة ألف دينار فاستقلها وصار أمره الى ما صار من الضيق والفقر والغربة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة سقط فى العراق جميعه برد كبار يكون فى الواحدة رطل أو رطلان وأصغره كالبيضة فأهلك الغلات ولم يصح منها الا القليل وفيها آخر تشرين الثانى هبت ريح باردة بالعراق جمد منها الماء والخل وبطل دوران الدواليب على دجلة وفيها انقطع الحج من خراسان والعراق وفيها

ببـاب حرب فى الجانب الغربى وصلى عليه محمد بن طاهر وحضر جنازته خلق من الناس لم ير مثل ذلك اليوم والاجتماع فى جنازة من سلف قبله وكان للعامة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد فى الامور منها أن رجلا منهم كان ينادى العنوا الواقف عند الشبهات وهذا بالضد عما جاء عن صاحب الشريعة عليه السلام فى ذلك وكان عظيم من عظمائهم ومقدم فيهم يقف موقفا بعد موقف أمام الجنازة وينادى بأعلى صوته

وأظلمت الدنيا لفقد محمد
وأظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل

يريد بذلك أن الدنيا أظلمت عند وفاة محمد عليه السلام وأنها أظلمت عند موت ابن حنبل كظلمتها عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم * وفى هذه السنة انقضت الكواكب الانقضاض الذى لم ير مثله قط وذلك فى ليلة الخميس لست خلون من جمادى الآخرة وقد كان فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة انقضاض لكوكب عظيم هائل وهى الليلة التى وقعت فيها القرامطة بحاج العراق من طريق الكوفة وذلك فى ذى القعدة من سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة * وفى السنة التى مات فيها ابن حنبل كانت وفاة محمد بن عبد الله بن محمد الاسكافى

نقضت الدار المعزية وكان معز الدولة بن بويه بناها وعظمها وغرم عليها ألف ألف دينار وأول من شرع في تخريبها بهاء الدولة فانه لما عمر داره بسوق الثلاثاء نقل اليها من انقاضها وأخذ سقفا منها وأراد أن ينقله الى شيراز فلم يتم ذلك فبذل فيه من يحك ذهبه ثمانية آلاف دينار ونقضت الآن وبيع انقاضها وفيها توفي هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم اللالكائي الرازي سمع الحديث الكثير وتفقه على أبي حامد الاسفرايني وصنف كتبا وأبو القاسم طباطبا الشريف العلوي وله شعر جيد فغنه ان صديقا له كتب اليه رقعة فأجابه على ظهرها هذه الأبيات

وقرأت الذي كتبت ومازا * ل نجيي ومؤنسي وسميري
وغدا الفال بامتزاج السطور * حاكما بامتزاج مافي الضمير
واقتران الكلام لفظا وخطا * شاهدا باقتران ود الصدور
وتبركت باجتماع الكلاميـ * ـن رجاء اجتماعنا في سرور
وتفاءلت بالظهور على الوا * شي فصارت اجابتي في الصدور

﴿ثم دخلت سنة تسع عشرة وأربعمائة﴾

﴿ذكر الحرب بين بدران وعسكر نصر الدولة﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى سار بدران بن المقلد العقيلي في جمع من العرب الى نصيبين وحصرها وكانت لنصر الدولة بن مروان فخرج اليه عسكر نصر الدولة الذين بها وقاتلوه فهزمهم واستظهر عليهم وقتل جماعة من أهل نصيبين والعسكر فسير نصر الدولة عسكرا آخر نجدة لمن بنصيبين فأرسل اليهم بدران عسكرا فلقوهم فقاتلوهم وهزموهم وقتلوا أكثرهم فازعج ذلك ابن مروان وأقلقه فسير عسكرا آخر ثلاثة آلاف فارس فدخلوا نصيبين واجتمعوا بمن فيها وخرجوا الى بدران فاقتتلوا فانهزم بدران ومن معه بعد قتال شديد وقت الظهر وتبعهم عسكر ابن مروان ثم عطف عليهم بدران وأصحابه فلم يثبتوا له فاكثر فيهم القتل والاسر وغنم الاموال فعاد عسكر ابن مروان مفلولين فدخلوا نصيبين فاجتمعوا بها واقتتلوا مرة أخرى وكانوا على السواء ثم سمع بدران بان أخاه قرواشا قد وصل الى الموصل فرحل خوفا منه لانهما كانا مختلفين

﴿ذكر شغب الاتراك ببغداد على جلال الدولة﴾

في هذه السنة ثار الاتراك ببغداد على جلال الدولة وشغبوا وطالبوا الوزير أبا علي بن ماكولا بما لهم من العلوفة والادرار ونهبوا داره ودور كتاب الملك وحواشيه حتى المغنين والمخنثين ونهبوا صياغات أخرجها جلال الدولة لتضرب دنانير ودراهم وتفرق فيهم وحصروا جلال الدولة في داره ومنعوه الطعام والماء حتى شرب أهله ماء البئر وأكلوا ثمرة البستان فسألهم ان يمكنوه من الانحدار فاستأجروا له ولاهله واثقاله سفنا فجعل بين الدار والسفن سرادقا لتجتاز حرمه فيه لئلا يراهم العامة والاجناد فقصد بعض الاتراك السرادق فظن جلال الدولة انهم يريدون الحرم فصاح بهم يقول لهم بلغ أمركم الى الحرم وتقدم اليهم وبيده طبر فصاح صغار الغلمان والعامة جلال الدولة يامنصور ونزل أحدهم عن فرسه وأركبه اياه وقبلوا الارض بين يديه فلما رأى قواد الاتراك ذلك هربوا الى خيامهم بالرملة وخافوا على نفوسهم وكان في الخزانة سلاح كثير فاعطاه جلال الدولة أصاغر الغلمان وجعلهم عنده ثم أرسل الى الخليفة ليصلح الامر مع أولئك القواد فارسل اليهم الخليفة القادر بالله فاصلح بينهم وبين جلال الدولة وحلفوا وقبلوا

كبار أهل العدلية وأهل الديانة من البغداديين ومات جعفر بن حرب سنة ست وثلاثين ومائتين وهو رجل من همدان ووجوه قحطان والى أبيه يضاف شارع باب حرب في الجانب الغربي من مدينة السلام وهو شيخ البغداديين من المتكلمين ومات عيسى ابن طفيح سنة خمس وأربعين ومائتين وكان من حذاقهم وأهل الديانات منهم وذكر أبو الحسن الخياط أن أبا الهذيل محمد بن الهذيل كانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين ثم تنازع أصحابه في مولده فقال قوم سنة احدى وثلاثين ومائة وقد كان أبو الهذيل هذا اجتمع مع هشام بن الحكم الكوفي الخراز وكان هشام شيخ المجسمة والرافضة في وقته ممن وافقه على مذهبه وكان أبو الهذيل يذهب الى نفي التجسيم ورفع التشبيه والى ضد قول هشام في التوحيد والامامة فقال هشام لأبي الهذيل اذا زعمت أن الحركة ترى فلم لازعمت انها تلمس قال لانها ليست بجسم فيلمس لان اللمس انما يقع على الاجسام فقال له هشام فقل أيضا انها لاترى لان الرؤية انما تقع على الاجسام فرجع أبو الهذيل سائلا فقال له من أين قلت ان الصفة

الارض بين يديه ورجعوا الى منازلهم فلم يمض غير أيام حتى عادوا الى الشغب فباع جلال الدولة فرشه وثيابه وخيمه وفرق ثمنها فيهم حتى سكنوا

﴿ذكر الاختلاف بين الديلم والاتراك بالبصرة﴾

في هذه السنة ولي النفيس أبو الفتح محمد بن اردشير البصرة استعمله عليها جلال الدولة فلما وصل الى المشان مصعدا اليها وقع بينه وبين الديلم الذين بالمشان وقعة استظهر عليهم وقتل منهم وكانت الفتن بالبصرة بين الاتراك والديلم وبها الملك العزيز أبو منصور بن جلال الدولة فقوي الاتراك بها فاخرجوا الديلم فمضوا الى الابلة وصار وامع بختيار بن علي فسار اليهم الملك العزيز بالابلة ليعيدهم ويصلح بينهم وبين الاتراك فكاشفوه وحملوا عليه ونادوا بشعار أبي كاليجار فعاد منهزما في الماء الى البصرة ونهب بختيار نهر الدير والابلة وغيرهما من السواد واعانه الديلم ونهب الاتراك أيضا وارتكبوا المحظور ونهبوا دار بنت الاوحد بن مكرم زوجة جلال الدولة

﴿ذكر استيلاء أبي كاليجار على البصرة﴾

لما بلغ الملك أبا كاليجار ما كان بالبصرة سير جيشا الى بختيار وأمره ان يقصد البصرة فيأخذها فساروا اليها وبها الملك العزيز بن جلال الدولة فقاتلهم ليمنعهم فلم يكن له بهم قوة فانهزم منهم وفارق البصرة وكاد يهلك هو ومن معه عطشا فمن الله عليهم بمطر جود فشربوا منه وأصعدوا الى واسط وملك عسكر أبي كاليجار البصرة ونهب الديلم أسواقها وسلم منها البعض بمال بذلوه لمن يحميهم وتتبعوا أموال أصحاب جلال الدولة من الاتراك وغيرهم فلما بلغ جلال الدولة الخبر أراد الانحدار الى واسط فلم يوافقه الجند وطلبوا منه مالا يفرق فيهم فلم يكن عنده شئ فشرع في مصادرات الناس وأخذ أموالهم لاسيما أرباب الاموال فصادر جماعة

﴿ذكر وفاة صاحب كرمان واستيلاء أبي كاليجار عليها﴾

في هذه السنة في ذي القعدة توفي قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة صاحب كرمان وكان قد تجهز لقصد بلاد فارس وجمع عسكرا كثيرا فادركه أجله فلما توفي نادى أصحابه بشعار الملك أبي كاليجار وأرسلوا اليه يطلبونه اليهم فسار مجدا وملك البلاد بغير حرب ولا قتال وأمن الناس معه وكانوا يكرهون عمه أبا الفوارس لظلمه وسوء سيرته وكان اذا شرب ضرب أصحابه وضرب وزيره يوما مائتي مقرعة وحلفه بالطلاق انه لايتأوه ولايخبر بذلك أحدا فقيل انهم سموه فمات

﴿ذكر استيلاء منصور بن الحسين على الجزيرة الدبيسية﴾

كان منصور بن الحسين الاسدي قد ملك الجزيرة الدبيسية وهي تجاور خوزستان ونادى بشعار جلال الدولة وأخرج صاحبها طراد بن دبيس الاسدي سنة ثمان عشرة وأربعمائة فمات طراد عن قريب فلما مات طراد سار ابنه أبو الحسن علي الى بغداد يسأل ان يرسل جلال الدولة معه عسكرا الى بلده ليخرج منصورا منه ويسلمه اليه وكان منصور قد قطع خطبة جلال الدولة وخطب للملك أبي كاليجار فسير معه جلال الدولة طائفة من الاتراك فلما وصلوا الى واسط لم يقف علي بن طراد حتى تجتمع معه طائفة من عسكر واسط وسار عجلا واتفق ان أبا صالح كوركير كان قد هرب من جلال الدولة وهو يريد اللحاق بأبي كاليجار فسمع هذا الخبر فقال لمن معه المصلحة أننا نعين منصورا ولا نمكن عسكر جلال الدولة من اخراجه ونتخذ بهذا الفعل يدا عند أبي كاليجار فأجابوه الى ذلك فسار الى منصور واجتمع معه والتقوا هم وعسكر جلال الدولة الذين مع علي بن طراد بيسبر وذ فاقتتلوا فانهزم عسكر جلال الدولة وقتل علي بن طراد وجماعة كثيرة من الاتراك

غيري لان التغاير انما أوقعه على الاجسام والاعيان القائمة بأنفسها فلما لم يكن فعلى قائما بنفسه ولم يجز أن يكون فعلى انا وجب انه لا انا ولا غيري وعلة أخرى أنت قائل بها زعمت يا أبا الهذيل أن الحركة ليست مماسة ولا مباينة لانها عندك مما لايجوز عليه المماسة ولا المباينة فلذلك قلت انا ان الصفة ليست أنا ولا غيري وعلتي في انها ليست أنا ولا غيري علتك في انها لاتماس ولاتباين فانقطع أبو الهذيل ولم يرد جوابا * وكانت وفاة أبي موسى الفراء سنة ست وعشرين ومائتين وكان من شيوخ العدلية وكبار المتكلمين من البغداديين ومات واصل بن عطاء ويكنى بأبي خزيمة في سنة احدى وثلاثين ومائتين وهو شيخ المعتزلة وقديمها وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو أن الفاسق من أهل الملة ليس بمؤمن ولا كافر وبه سميت المعتزلة وهو الاعتزال وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار بني أمية قول المعتزلة في الاصول الخمسة فأغنى ذلك عن اعادته وكذلك فيما سلف من كتبنا خبر عمرو بن عبيد ووفاته وكان شيخ المعتزلة والمتقدمين فيها وأن وفاته كانت سنة أربع وأربعين ومائة

وهلك كثير من المنهزمين بالعطش واستقر ملك منصور بها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة سار الدزبري وعساكر مصر الى الشام فاوقعوا بصالح بن مرداس وابن الجراح الطائي فهزمهما وقتل صالحا وابنه الاصغر وملك جميع الشام وقيل سنة عشرين وفيها توفيت أم مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه وهي التي كانت تدبر المملكة وترتب الامور وفيها عزل الحسن بن علي بن جعفر أبو علي بن ماكولا من وزارة جلال الدولة وولي الوزارة بعده أبو طاهر الحسن بن طاهر ثم عزل بعد أربعين يوما وولي بعده أبو سعد بن عبد الرحيم وفيها توفي قسطنطين ملك الروم وانتقل الملك الى بنت له وقام بتدبير الملك والجيوش زوجها وهو ابن خالها وفيها توفي الوزير أبو القاسم جعفر بن محمد بن فسانجس باريق وفيها اعدمت الارطاب بالعراق للبرد الذي تقدم في السنة قبلها وكان يحمل من الاماكن البعيدة الشيء اليسير منه وفيها انقطع الحج من العراق فمضى بعض حجاج خراسان الى كرمان وركبوا في البحر الى جدة وحجوا وتوفي في هذه السنة محمد بن محمد بن ابراهيم بن مخلد أبو الحسن التاجر وهو آخر من حدث عن اسمعيل بن محمد الصفار ومحمد بن عمرو الرزاز وعمر بن الحسن الشيباني وكان له مال كثير فسافر الى مصر خوف المصادرة فاقام بها سنة ثم عاد الى بغداد فاخذ ماله في التقسيط على الكرخ الذي ذكرناه سنة ثمان عشرة وأربعمائة فافتقر فلما مات لم يوجد له كفن فارسل له القادر بالله ما يكفن فيه

﴿ثم دخلت سنة عشرين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك يمين الدولة الري وبلد الجبل﴾

في هذه السنة سار يمين الدولة محمود بن سبكتكين نحو الري فانصرف منوجهر بن قابوس من بين يديه وهو صاحب جرجان وطبرستان وحمل اليه أربعمائة ألف دينار وانزالا كثيرة وكان مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب الري قد كاتبه يشكو اليه جنده وكان متشاغلا بالنساء ومطالعة الكتب ونسخها وكانت والدته تدبر مملكته فلما توفيت طمع جنده فيه واختلفت أحواله فحين وصلت كتبه الى محمود سير اليه جيشا وجعل مقدمهم حاجبه وأمره أن يقبض على مجد الدولة فلما وصل العسكر الى الري ركب مجد الدولة يلتقيهم فقبضوا عليه وعلى أبي دلف ولده فلما انتهى الخبر الى يمين الدولة بالقبض عليه سار الى الري فوصلها في ربيع الآخر ودخلها وأخذ من الاموال ألف ألف دينار ومن الجواهر ما قيمته خمسمائة ألف دينار ومن الثياب ستة آلاف ثوب ومن الآلات وغيرها ما لا يحصى وأحضر مجد الدولة وقال له أما قرأت شاهنامه وهو تاريخ الفرس وتاريخ الطبري وهو تاريخ المسلمين قال بلى قال ما حالك حال من قرأها أما لعبت بالشطرنج قال بلى قال فهل رأيت شاها يدخل على شاه قال لا قال فما حملك على ان سلمت نفسك الى من هو أقوى منك ثم سيره الى خراسان مقبوضا ثم ملك قزوين وقلاعها ومدينة ساوة وآبه ويافت وقبض على صاحبها ولكين بن وندرين وسيره الى خراسان ولما ملك محمود الري كتب الى الخليفة القادر بالله يذكر انه وجد لمجد الدولة من النساء الحرائر ما يزيد على خمسين امرأة ولدن له نيفا وثلاثين ولدا ولما سئل عن ذلك قال هذه عادة سلفي وصلب من أصحابه الباطنية خلقا كثيرا ونفى المعتزلة الى خراسان وأحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال والنجوم وأخذ من الكتب ما سوى ذلك مائة حمل وتحصن منه منوجهر بن قابوس بن وشمكير بجبال حصينة وعرة المسالك فلم يشعر الا وقد أطل عليه يمين الدولة فهرب منه الى غياض حصينة وبذل خمسمائة ألف

وقد كان عمرو بن عبيد اجتمع مع هشام بن الحكم وهشام يذهب الى القول بان الامامة نص من الله ورسوله على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وعلى من يلي عصره من ولده الطاهرين كالحسن والحسين ومن يلي أيامهم وعمرو يذهب الى أن الامامة اختيار من الامة في سائر الاعصار فقال هشام لعمرو بن عبيد لم خلق الله لك عينين قال لانظر بهما الى ما خلق الله من السموات والارض وغير ذلك فيكون ذلك دليلا لي عليه فقال هشام فلم خلق الله لك سمعا قال لاسمع به التحليل والتحريم والأمر والنهي فقال له هشام فلم خلق الله لك قلبا قال عمرو لتكون هذه الحواس مؤدية اليه فيكون مميزا بين منافعها ومضارها قال هشام فكان يجوز أن يخلق الله سائر حواسك ولا يخلق لك قلبا تؤدي هذه الحواس اليه قال عمرو لا فقال هشام ولم قال لان القلب باعث لهذه الحواس على ما يصلح له فلما لم يخلق الله فيها انماثا من نفسها استحال أن لا يخلق لها باعثا يبعثها على ما خلقت له الا بخلق القلب فيكون هو الباعث لها على ما تفعله والمميز لها بين مضارها ومنافعها ويكون الامام من الخلق بمنزلة القلب من سائر الحواس اذ كانت الحواس راجعة الى القلب لا الى غيره ويكون سائر الخلق راجعين الى الامام لا الى غيره

دينار ليصالحه فاجابه الى ذلك فارسل المال اليه فسار عنه الى نيسابور ثم توفي منوجهر عقيب ذلك وولي بعده ابنه أنوشروان فاقره محمود على ولايته وقرر عليه خمسمائة ألف دينار أخرى وخطب لمحمود في أكثر بلاد الجبل الى حدود ارمينية وافتتح ابنه مسعود زنجان وابهر وخطب له علاء الدولة باصبهان وعاد محمود الى خراسان واستخلف بالري ابنه مسعودا فقصد أصبهان وملكها من علاء الدولة وعاد عنها واستخلف بها بعض أصحابه فثار به أهلها فقتلوه فعاد اليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة نحو خمسة آلاف قتيل وسار الى الري فاقام بها

﴿ذكر ما فعله السالار ابراهيم بن المرزبان بعد عود يمين الدولة عن الري﴾

هذا السالار هو ابراهيم بن المرزبان بن اسمعيل بن وهسوذان بن محمد بن مسافر الديلمي وكان له من البلاد سرجهان وزنجان وابهر وشهرزور وغيرها وهي ما استولى عليها بعد وفاة فخر الدولة ابن بويه فلما ملك يمين الدولة محمود بن سبكتكين الري سير المرزبان بن الحسن بن خراميل وهو من أولاد ملوك الديلم وكان قد التجأ الى يمين الدولة فسيره الى بلاد السالار ابراهيم ليملكها فقصدها واستمال الديلم فمال اليه بعضهم واتفق عود يمين الدولة الى خراسان فسار السالار ابراهيم الى قزوين وبها عسكر يمين الدولة فقاتلهم فاكثر القتل فيهم وهرب الباقون وأعانه أهل البلد وسار السالار أيضا الى مكان بقرب سرجهان تطيف به الانهار والجبال فتحصن به فسمع مسعود بن يمين الدولة وهو بالري بما فعل فسار مجدا الى السالار فجرى بينهما وقائع كان الاستظهار فيها للسالار ثم ان مسعودا راسل طائفة من جند السالار واستمالهم واعطاهم الاموال فمالوا اليه ودلوه على عورة السالار وحملوا طائفة من عسكره في طريق غامضة حتى جعلوه من ورائهم وكبسوا السالار أول رمضان وقاتله مسعود من بين يديه وأولئك من خلفه فاضطرب السالار ومن معه وانهزموا وطلب كل انسان منهم مهربا واختفى السالار في مكان فدلت عليه امرأة سوادية فاخذه مسعود وحمله الى سرجهان وبها ولده فطلب منه ان يسلمها فلم يفعل فعاد عنها وتسلم باقي قلاعه وبلاده وأخذ أمواله وقرر على ابنه المقيم بسرجهان مالا وعلى كل من جاوره من مقدمي الاكراد وعاد الى الري

﴿ذكر ملك أبي كاليجار مدينة واسط ومسير جلال الدولة الى الاهواز ونهبها وعوده واسط اليه﴾

في هذه السنة أصعد الملك أبو كاليجار الى مدينة واسط فملكها وكان ابتداء ذلك ان نور الدولة دبيس بن علي بن مزيد صاحب الحلة والنيل ولم تكن الحلة بنيت ذلك الوقت خطب لابي كاليجار في أعماله وسببه ان أبا حسان المقلد بن أبي الاغر الحسن بن مزيد كان بينه وبين نور الدولة عداوة فاجتمع هو ومنيع أمير بني خفاجة وأرسلا الى بغداذ يبذلان مالا يتجهز به العسكر لقتال نور الدولة فاشتد الامر على نور الدولة فخطب لابي كاليجار وراسله يطمعه في البلاد ثم اتفق انه ملك البصرة على ما ذكرناه فقوي طمعه فسار من الاهواز الى واسط وبها الملك العزيز بن جلال الدولة ومعه جمع من الاتراك ففارقها العزيز وقصد النعمانية فنجر عليه نور الدولة البثوق من بلده فهلك كثير من اثقالهم وغرق جماعة منهم وخطب في البطيحة لابي كاليجار وورد اليه نور الدولة وأرسل أبو كاليجار الى قرواش صاحب الموصل وعنده الاثير عنبر يطلب منه ان ينحدر الى العراق ليبقى جلال الدولة من الفريقين فانحدر الى الكحيل فمات به الاثير عنبر ولم ينحدر معه قرواش وجمع جلال الدولة عساكره واستنجد أبا الشوك وغيره وانحدر الى واسط ولم يكن

فلم يأت عمرو بشيء يعرف وهذا الذي حكيناه ذكره أبو عيسى محمد بن هرون الوراق ببغداد في كتابه المعروف بكتاب المجالس وكانت وفاة أبي عيسى بالرملة سنة سبع وأربعين ومائتين وله تصنيفات كثيرة منها كتابه في المقالات في الامامة وغيرها من النظر وكانت وفاة أبي الحسين أحمد بن يحيى بن اسحق الراوندي برحبة مالك بن طوق وقيل ببغداد سنة خمس ومائتين وله نحو من أربعين سنة وله كتب مصنفة مائة كتاب وأربعة عشر كتابا وقد ذكرنا في كتابنا في أخبار الزمان وفاة أرباب المقالات وأهل المذاهب والجدل والآراء والنحل وأخبارهم ومناظراتهم وتباينهم في مذاهبهم وكذلك في الكتاب الاوسط الى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وانما يسنح لنا ذكر بعضهم في هذا الكتاب فنذكر لهم لمعا وكذلك غيرهم من الفقهاء وأصحاب الحديث وفيها مات ابراهيم بن العباس الصولي الكاتب وكان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه وكان يكتسب في حداثته بشعره ورحل الى الملوك والامراء ومدحهم طلبا لجدواهم وذكر رجل من الكتاب أن اسحق بن ابراهيم أخا زيد بن ابراهيم حدثه انه كان يتقلد الصيمرة والسيروان وأن ابراهيم

بين العسكرين قتال وتتابعت الامطار حتى هلكوا واشتد الامر على جلال الدولة فقره وقلة الاموال وغيرها عنده فاستشار أصحابه فيما يفعل فاشاروا ان يقصد الاهواز وينهبها ويأخذ مابها من أموال أبي كاليجار وعسكره فسمع أبو كاليجار ذلك فاستشار أيضا أصحابه فقال بعضهم ماعدل جلال الدولة عن القتال الا لضعف فيه والرأى ان تسير الى العراق فتأخذ من أموالهم ببغداد أضعاف ما يأخذون منا فاتفقوا على ذلك فاتاهم جاسوس من أبي الشوك يخبر بمجيء عساكر محمود بن سبكتكين الى طبرو انهم يريدون العراق ويشير بالصلح واجتماع الكلمة على دفعهم عن البلاد فانفذ أبو كاليجار الكتاب الى جلال الدولة وقد سار الى الاهواز وأقام ينتظر الجواب ظنا منه ان جلال الدولة يعود بالكتاب فلم يلتفت جلال الدولة ومضى الى الاهواز فنهبها وأخذ من دار الامارة مائتي ألف دينار وأخذوا مالا يحصى ودخل الاكراد والاعراب وغيرهم الى البلد فاهلكوا الناس بالنهب والسبي وأخذت والدة أبي كاليجار وابنته وأم ولده وزوجته فماتت أمه وحمل من عداها الى بغداد ولما سمع أبو كاليجار الخبر سار ليلاقي جلال الدولة فتخلف عنه دبيس بن مزيد خوفا على أهله وحلله من خفاجة والتقى أبو كاليجار وجلال الدولة آخر ربيع الاول سنة احدى وعشرين فاقتتلوا ثلاثة أيام وانهزم أبو كاليجار وقتل من أصحابه ألفا رجل ووصل الى الاهواز باسوأ حال فأتاه العادل بن مافنة بمال فحسنت حاله وأما جلال الدولة فانه عاد واستولى على واسط وجعل ابنه العزيز بها واصعد الى بغداد ومدحه المرتضى ومهيار وغيرهما وهنوه بالظفر

﴿ذكر حال دبيس بن مزيد بعد الهزيمة﴾

لما عاد دبيس بن مزيد الاسدى وفارق أبا كاليجار وصل الى بلده وكان قد خالف عليه قوم من بني عمه ونزلوا الجامعين فأتاهم وقاتلهم فظفر بهم وأسر منهم جماعة منهم شبيب وسرايا ووهب بنو حماد بن مزيد وأبو عبد الله الحسين بن أبي الغنائم بن مزيد وحملهم الى الجوسق ثم ان المقلد بن أبي الاغر بن مزيد وغيره اجتمعوا ومعهم عسكر من جلال الدولة وقصدوا دبيسا وقاتلوه فانهزم منهم وأسر من بني عمه خمسة عشر رجلا فنزل المعتقلون بالجوسق وهم شبيب وأصحابه الى حلله فحرسوها وسار دبيس منهزما الى السندية الى نجدة الدولة أبي منصور كامل بن قراد فاستصحبه الى أبي سنان غريب بن مقن حتى أصلح أمره مع جلال الدولة وعسكره وتكفل به وضمن عنه عشرة آلاف دينار سابورية اذا أعيد الى ولايته فاجيب الى ذلك وخلع عليه فعرف المقلد الحال ومعه جمع من خفاجة فنهبوا مطيراباذ والنيل وسورا أفج نهب واستاقوا مواشيها وأحرقوا منازلها وعبر المقلد دجلة الى أبي الشوك وأقام عنده الى أن أحكم أمره

﴿ذكر عصيان زناتة ومحاربتهم بافريقية﴾

في هذه السنة تجمعت زناتة وعاودت الخلاف على المعز بافريقية فبلغ ذلك المعز فجمع عساكره وسار اليهم بنفسه فالتقوا بموضع يعرف بجمديس الصابون ووقعت الحرب بين الطائفتين واشتد القتال فانهزمت زناتة وقتل منهم عدد كثير وأسر مثلهم وعاد المعز ظافرا غانما

﴿ذكر مافعله يمين الدولة وولده بعده بالغز﴾

في هذه السنة أوقع يمين الدولة بالاتراك الغزية وفرقهم في بلاده لانهم كانوا قد أفسدوا فيها وهؤلاء كانوا أصحاب ارسلان بن سلجوق التركي وكانوا بمفازة بخارا فلما عبر يمين الدولة النهر الى بخارا هرب علي تكين صاحبها منه على ما ذكره وحضر ارسلان بن سلجوق عند يمين الدولة

ابن العباس اجتاز به بريد خراسان والمأمون بها وقد بايع بالعهد لعلي بن موسى الرضى وقد امتدحه بشعر يذكر فيه فضل آل علي وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم قال فاستحسنت القصيدة فسألته أن ينسخها لي ففعل ووهبت له ألف درهم وحملته على دابة وضرب الدهر من ضربه الى أن وليت ديوان الضياع مكان موسى بن عبد الملك وكنت أحد عمال موسى وكان يجب أن يكشف أسباب موسى فعزلني وأمر أن تعمل مؤامرة فعملت وكثر علي فيها وحضرت للمناظرة عنها فجعلت أحتج بما لا يدفع فلا يقبله ويحكم لي الكتاب فلا يلتفت الى حكمهم ويسمعني في خلال ذلك بدعا من الكلام الى أن أوجب علي الكتاب اليمين على باب من الابواب فحلفت عليه فقال ليست يمين السلطان عندك يمينا لانك رافضي فقلت له تأذن لي في الدنو منك فأذن لي فقلت ليس مع تعريضك بمهجتي للقتل صبر وها هو المتوكل ان كتبت اليه بما يسمع منك لم آمنه على نفسي وقد احتملت كل ما جرى سوى الرفض والرافضي من زعم أن علي بن أبي طالب أفضل من العباس وأن ولده أحق من ولد العباس بالخلافة قال ومن ذلك قلت أنت وخطك عندي به وأخبرته بالشعر فوالله ما هو الا أن

فقبض

فقبض عليه وحبسه ببلاد الهند وأسرى الى خركاهاته فقتل كثيرا من أصحابه وسلم منهم خلق كثير فهربوا منه ولحقوا بخراسان فافسدوا فيها ونهبوا هذه السنة فارسل اليهم جيشا فسبوهم وأجلوهم عن خراسان فسار منهم أهل ألفي خركاه فلحقوا باصبهان فكتب يمين الدولة الى علاء الدولة بانفاذهم أو انفاذ رؤسهم فأمر نائبه أن يعمل طعاما ويدعوهم اليه ويقتلهم فارسل اليهم وأعلمهم أنه يريد اثبات أسمائهم ليستخدمهم وكمن الديلم في البساتين فحضر جمع كثير منهم فلقيهم مملوك تركي لعلاء الدولة فاعلمهم الحال فعادوا فاراد نائب علاء الدولة أن يمنعهم من العود فلم يقبلوا منه فحمل ديلمي من قواد الديلم على انسان منهم فرماه التركي بسهم فقتله ووقع الصوت بذلك فخرجت الديلم وانضاف اليهم أهل البلد فجرى بينهم حرب فهزموهم فقطع الترك خركاهاتهم وساروا ولم يجتازوا على قرية الا نهبوها الى ان وصلوا الى وهسوذان باذربيجان فراعاهم وتفقدهم وبقي بخراسان أكثر ممن قصد أصبهان فاتوا جبل بلخان وهو الذي عنده خوارزم القديمة فنزل كثير منهم من الجبل الى البلاد فنهبوا وأخربوا وقتلوا فجرد محمود بن سبكتكين اليهم أرسلان الجاذب أمير طوس فسار اليهم ولم يزل يتبعهم نحو سنتين في جموع كثيرة من العساكر فاضطر محمود الى قصد خراسان بسببهم فسار يطلبهم من نيسابور الى دهستان فسار والى جرجان ثم عاد عنهم وجعل ابنه مسعودا بالري على ما ذكرناه فاستخدم بعضهم ومقدمهم يغمر فلما مات محمود بن سبكتكين سار مسعود ابنه الى خراسان وهم معه فلما ملك غزنة سألوه فيمن بقي منهم بجبل بلخان فاذن لهم في العود على شرط الطاعة والاستقامة ثم ان مسعودا قصد بلاد الهند عند عصيان أحمد ينالتكين فعاودوا الفساد فسير تاش فراش في عسكر كثير الى الري لاخذها من علاء الدولة فلما بلغ نيسابور ورأى سوء فعلهم دعا مقدميهم وقتل منهم نيفا وخمسين رجلا فيهم يغمر فلم ينتهوا وساروا الى الري وبلغ مسعودا ما هم عليه من الشر والفساد فاخذ حالهم وسيرها الى الهند وقطع أيدي كثير منهم وأرجلهم وصلبهم (هذه أخبار عشيرة أرسلان بن سلجوق) وأما أخبار طغرلبك وداود وأخيهما بيغو فانهم كانوا بما وراء النهر وكان من أمرهم ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى لانهم صاروا ملوكا تجيء أخبارهم على السنين ولما أوقع تاش فراش حاجب السلطان مسعود بالغز ساروا الى الري يزعمون انهم يريدون اذربيجان واللحاق بمن مضى منهم أولا الى هناك ويسمون العراقية وكان اسم أمراء هذه الطائفة كوكتاش وبوقا وقزل ويغمر وناصغلي فوصلوا الى الدامغان فخرج اليهم عسكرها وأهل البلد ليمنعوهم عنه فلم يقدر وافصعدوا الجبل وتحصنوا به ودخل الغز البلد ونهبوه وانتقلوا الى سمنان ففعلوا فيها مثل ذلك ودخلوا خوار الري ففعلوا مثله ونهبوا اسحق أباذ وما يجاورها من القرى وساروا الى مشكويه من أعمال الري فنهبوها وتجهز أبو سهل الحمدوني وتاش فراش وكاتبا الملك مسعودا وصاحب جرجان وطبرستان بالحال وطلبا النجدة وأخذ تاش ثلاثة آلاف فارس وما عنده من الفيلة والسلاح وسار الى الغز ليواقعهم وبلغهم خبره فتركوا نساءهم وأموالهم وما غنموا من خراسان وهذه البلاد المذكورة وساروا جريدة فالتقوا فركب تاش الفيل ووقعت الحرب بين الفريقين فكانت أولا لتاش ثم ان الغز أسروا مقدم الاكراد الذين مع تاش وأرادوا قتله فقال لهم استبقوني حتى آمر الاكراد الذين مع تاش بتركه قتالكم فتركوه وعاهدوه على اطلاقه فارسل الى الاكراد يقول لهم ان قاتلتم قتلت ففتروا في القتال وحمت الغز وكانوا خمسة آلاف على تاش فراش وعسكره فانهزم الاكراد وثبت تاش وأصحابه فقتل الغز الفيل الذي تحته فسقط فقتلوه وقطعوه أخذا بثار من قتل منهم وقتل معه عدد كثير من

قلت ذلك له حتى سقط في يده ثم قال أحضر الدفتر الذي بخطي فقلت له هيهات لا والله أو توثق لي بما أسكن اليه أنك لا تطالبني بشيء مما جرى على يدي وتخرق هذه المؤامرة ولا تنظر لي في حساب فحلف لي على ذلك وخرق العمل المعمول وأحضرته الدفتر فوضعه في خفه وانصرفت وقد زالت عني المطالبة *ولابراهيم بن العباس مكاتبات قد دونت وفصول حسان من كلامه قد جمعت قد أتينا على كثير منها في الكتاب الاوسط فمما استحسن من فصوله وان كانت كلها في نهاية الجودة وانتخبناه من كلامه وقد يما غذت المعصية أبناءها فحلبت عليهم من درها مرضعة وبسطت لهم من أمانيها مطمعة وركبت فيهم مخاطرها موضعة حتى اذا رتعوا فأمنوا وركبوا فاطمأنوا وانقضى رضاع وآن فطام سقتهم مما افتجرت مجاري ألبانها منها دما وأعقبتهم من غذائها مرا وخطت بهم من معقل الى عقال ومن عز الى حسرة قتلا وأسرا وأباحة وقسرا وقل من أوضع في الفتنة مرهجا في لهبها ومقتحما عند ضلالها الا استقيمته آخذة بمخنقه وموهنة بالحق كيده حتى تجعله لعاجله جزرا ولآجله حطبا وللحق موعظة وللباطل حجة ذلك لهم جزاء في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر وما ربك بظلام للعبيد وله أشعار حسان

الخراسانية وأكابر القواد وغنموا بقية الفيلة وأثقال العسكر وساروا الى الرى فاقتتلوا هم وأبو سهل الحمدونى ومن معه من الجند وأهل البلد فصعد هو ومن معه قلعة طبرك ودخل الغز البلد ونهبوا عدة محال نهبا واجتاحوا الاموال ثم اقتتلوا هم وأبو سهل فاسر منهم ابن أخت لبغمر أمير الغز وقائدا كبيرا من قوادهم فبذلوا فيهما اعادة ما أخذوا من عسكر تاش واطلاق الاسرى وحمل ثلاثين ألف دينار فقال لا أفعل الا بأمر السلطان وخرج الغز عن البلد ووصل عسكر من جرجان فلما قربوا من الرى سار اليهم الغز فكبسوهم وأسروا مقدمهم وأسروا معه نحو ألفى رجل وانهزم الباقون وعادوا وكان هذا سنة سبع وعشرين وأربعمائة

(ذكر وصول علاء الدولة الى الرى واتفاقه مع الغز وعودهم الى الخلاف عليه)

لما فارق الغز الرى الى اذربيجان علم علاء الدولة ذلك فسار اليها ودخلها وهو يظهر طاعة السلطان مسعود بن سبكتكين فارسل الى أبى سهل الحمدونى يطلب منه ان يقرر الذى عليه من مال يؤديه فامتنع من اجابته مخافة علاء الدولة فارسل الى الغز يستدعيهم ليعطيهم الاقطاع ويتقوى بهم على الحمدونى فعاد منهم نحو ألف وخمسمائة مقدمهم قزل وسار الباقون الى اذربيجان فلما وصل الغز الى علاء الدولة أحسن اليهم وتمسك بهم وأقاموا عنده ثم ظهر على بعض القواد الخراسانية الذين عنده انه دعا الغز اليه وافقته على الخروج عليه والعصيان فارسل اليه علاء الدولة وأحضره وقبض عليه وسجنه فى قلعة طبرك فاستوحش الغز لذلك ونفروا فاجتهد علاء الدولة فى تسكينهم فلم يفعلوا وعاودوا الفساد والنهب وقطع الطريق وعاد علاء الدولة راسل أبا سهل الحمدونى وهو بطبرستان وقرر معه أمر الرى ليكون فى طاعة مسعود فاجابه الى ذلك وسار الى نيسابور وبقى علاء الدولة بالرى

(ذكر ما كان من الغز الذين باذربيجان ومفارقتها)

قدذكرنا ان طائفة من الغز وصلوا الى اذربيجان فاكرمهم وهسوذان وصاهرهم وجاء نصرهم وكف شرهم وكان أسماء مقدميهم بوقا وكوكتاش ومنصور ودانا وكان ما أمله بعيدا فانهم لم يتركوا الشر والفساد والقتل والنهب وساروا الى مراغة فدخلوها سنة تسع وعشرين واحرقوا جامعها وقتلوا من عوامها مقتلة كثيرة ومن الاكراد الهذبانية كذلك وعظم الامر واشتد البلاء فلما رأى الاكراد ما حل بهم وبأهل البلاد شرعوا فى الصلح والاتفاق على دفع شرهم فاصطلح أبو الهيجاء بن ربيب الدولة ووهسوذان صاحب اذربيجان واتفقت كلمتهما واجتمع معهما أهل تلك البلاد فانتصفوا من الغز فلما رأوا اجتماع أهل البلاد على حربهم انصرفوا عن أذربيجان وتعذر عليهم المقام بها ثم انهم افترقوا فسارت طائفة الى الذين على الرى ومقدمهم بوقا وسارت طائفة منهم ومقدمهم منصور وكوكتاش الى همذان فحصروها وبها أبو كاليجار بن علاء الدولة بن كاكويه فاتفق هو وأهل البلاد على قتالهم ودفعهم عن أنفسهم وبلدهم فقتل بين الفريقين جماعة كثيرة وطال مقامهم على همذان فلما رأى أبو كاليجار بن علاء الدولة ذلك وضعفه عن مقاومتهم راسل كوكتاش وصالحه وصاهره وأما الذين قصدوا الرى فانهم حصروها وبها علاء الدولة بن كاكويه واجتمع معهم فناخسرو بن مجد الدولة وكامر والديلمى صاحب ساوه فكثر جمعهم واشتدت شوكتهم فلما رأى علاء الدولة انهم كلما جاء أمرهم ازداد قوة وضعف هو خاف على نفسه وفارق البلد فى رجب ليلا ومضى هاربا الى اصبهان واجفل أهل البلد وتمزقوا وعدلوا عن القتال الى الاحتيال للهرب وغاداهم الغز من الغد بالقتال فلم يثبتوا لهم

ودخلوا

فمما استحسن من شعره الذى لم يسبقه عند جماعة أهل الادب أحد من زمانه قوله

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا
ويفتر عنها أرضها وسماؤها
فمن دونها أن تستباح دماؤنا
ومن دوننا أن يستدم دماؤها
حمى وقرى فالموت دون مرامها
وأهون خطب فى الحقوق فناؤها

وقوله

ولكن الجواد أباهشام
وفى العهد مأمون المغيب

وقوله

ومن ذخرت زمنى
شمأت فى الخلان
ومن ذخرت لنفسى
فعاد ذخر الزمان
لو قيل لى خذ أمانا
من أعظم الحدثان
لما أخذت أمانا
الا من الاخوان

وقوله

واذا جزى الله امرأ بفعاله
فجزى اخالك ماجدا سمحا
نبهته من كذبه فكأنما
نبهت اذ نبهته صبحا

ومما يجب على الرؤساء أن يحفظوه قوله

تزيده الايام ان اقبلت
حزما وعلما بتصاريفها
كأنها فى وقت اسعافها
تسمعه صوت تخاريفها

ومما أحسن فيه وبرز عن نظرائه قوله

سقيا ورعيا لايام لنا سلفت
بكيت منها فصرت اليوم ابكيها
كذلك أيامنا لا شك نندبها * اذا انقضت ونحن اليوم نشكوها

وقوله

أولى البرية طرا أن تواسيه

ودخلوا البلد ونهبوا نهبا فاحشا وسبوا النساء وبقوا كذلك خمسة أيام حتى لجأ الحرم الى الجامع وتفرق الناس فى كل مذهب ومهرب وكان السعيد من نجا بنفسه وكانت هذه الوقعة بعد التى تقدمتها مستأصلة حتى قيل ان بعض الجمع لم يكن بالجامع الا خمسين نفسا ولما فارق علاء الدولة الرى تبعه جمع من الغز فلم يدركوه فعدلوا الى كرج فنهبوها وفعلوا فيها الافاعيل القبيحة ومضى طائفة منهم ومقدمهم ناصغلى الى قزوين فقاتلهم أهلها ثم صالحوهم على سبعة آلاف دينار وصاروا فى طاعته وكان بأرمية طائفة منهم فساروا الى بلد الارمن فاوقعوا بهم واثخنوا فيهم وأكثروا القتل وغنموا وسبوا وعادوا الى ارمية واعمال أبى الهيجاء الهذبانى فقاتلهم اكرادها لما أنكروه من سوء مجاورتهم فقتل خلق كثير ونهب الغز سواد البلاد هناك وقتلوا من الاكراد كثيرا

(ذكر ملك الغز همذان)

قدذكرنا حصار الغز همذان وصلحهم مع صاحبها أبى كاليجار بن علاء الدولة بن كاكويه فلما كان الآن وملك الغز الرى عاودوا حصار همذان وساروا اليها من الرى ما عدا قزل وجماعته واجتمعوا مع من بها من الغز فلما سمع أبو كاليجار بهم علم انه لا قدرة له عليهم فسار عنها ومعه وجوه التجار وأعيان البلد وتحصن بكنكور ودخل الغز همذان سنة ثلاثين وأربعمائة واجتمع عليها من مقدميهم كوكتاش وبوقا وقزل ومعهم فناخسرو بن مجد الدولة بن بويه فى عدة كثيرة من الديلم فلما دخلوها نهبوها نهبا منكرا لم يفعلوه بغيرها من البلاد غيظا منهم وحنقا عليهم حيث قاتلوهم أولا وأخذوا الحرم وضربت سراياهم الى أسد اباذ وقرى الدينور واستباحوا تلك النواحى وكان الديلم أشدهم فخرج اليهم أبو الفتح بن أبى الشوك صاحب الدينور فواقعهم واستظهر عليهم وأسر منهم جماعة فراسله امراؤهم فى اطلاقهم فامتنع الا على صلح وعهود فاجابوه وصالحوه فاطلقهم ثم ان الغز بهمذان راسلوا أبا كاليجار بن علاء الدولة وصالحوه وطلبوا اليه أن ينزل اليهم ليدبر أمرهم ويصدرون عن رأيه وارسلوا اليه زوجته التى تزوجها منهم فنزل اليهم فلما صار معهم وثبوا عليه فانهزم ونهبوا ماله وما كان معه من دواب وغيرها فسمع أبوه فخرج من اصبهان الى أعماله بالجبل ليشاهدها فوقع بطائفة كثيرة من الغز فظفر بهم وقتل منهم فاكثر واسر منهم ودخل اصبهان منصورا

(ذكر قتل الغز بمدينة تبريز وفراقهم اذربيجان الى الهكارية)

فى سنة اثنتين وثلاثين قتل وهسوذان بن مملان جمعا كثيرا من الغز بمدينة تبريز وكان سبب ذلك انه دعا جمعا كثيرا منهم الى طعام صنعه لهم فلما طعموا وشربوا قبض على ثلاثين رجلا منهم من مقدميهم فضعف الباقون فاكثر فيهم القتل فاجتمع الغز المقيمون بأرمية وساروا نحو بلاد الهكارية من أعمال الموصل فقاتلهم اكرادها وقاتلوهم قتالا عظيما فانهزم الاكراد وملك الغز حللهم وأموالهم ونساءهم وأولادهم وتعلق الاكراد بالجبال والمضايق وسار الغز فى أثرهم فواقعوهم فظفر بهم الاكراد فقتلوا منهم ألفا وخمسمائة رجل وأسروا جماعة فيهم سبعة من أمرائهم ومائة نفس من وجوههم وغنموا سلاحهم ودوابهم وما معهم من غنيمة استردوها وسلك الغز طريق الجبال فتمزقوا وتفرقوا وسمع ابن ربيب الدولة الخبر فسير فى آثارهم من يقتل باقيهم ثم توفى قزل أمير الغز المقيم بالرى وخرج ابراهيم ينال أخو السلطان طغرلبك الى الرى فلما سمع به الغز المقيمون بها اجفلوا من بين يديه وفارقوا بلاد الجبل خوفا منه وقصدوا ديار بكر والموصل فى سنة ثلاث وثلاثين

عند السرور لمن واساك فى الحزن
ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا
من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وقوله

لا تلمنى فان همك أن تثرى وهمى مكارم الاخلاق
كيف يستطيع حفظ ما جمعت كفاه من ذاق لذة الانفاق

وقوله

أسد ضار اذا ما هجته
وأب بر اذا ما قدرا
يعلم الاقصى اذا أثرى ولا
يعلم الادنى اذا ما افتقرا

وكان ابراهيم بن العباس يقول مثل أصحاب السلطان مثل قوم علوا جبلا ثم وقعوا منه فكان أقربهم الى التلف أبعدهم من الارتقاء وكان ابراهيم يدعى خؤولة العباس بن الاحنف الشاعر (وحكى) أبو العباس أحمد بن جعفر ابن حمدان القاضى عن سليمان بن الحسن بن مخلد عن أبيه الحسن قال انشدهم ابراهيم بن العباس قول العباس بن الاحنف

ان قال لم يفعل وان سيل لم
يبذل وان عوتب لم يعتب
صب بهجرانى ولو قال لى
لا تشرب البارد لم اشرب

فقال هذا والله الشعر الحسن المعنى السهل اللفظ العذب المستمع القليل النظير ما سمعت كلاما اجزل منه فى رقة ولا اسهل فى صعوبة ولا ابلغ فى انصاف من هذا فقال له الحسن كلامك والله أحسن من شعره ومما استحسن من شعر العباس بن الاحنف قوله

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل أنا الظالم

﴿ذكر دخول الغز ديار بكر﴾

في سنة ثلاث وثلاثين فارق الغز اذربيجان وسبب ذلك ان ابراهيم ينال وهو أخو طغرلبك سار الى الرى فلما سمع الغز الذين بها خبره اجفلوا من بين يديه وفارقوا بلاد الجبل خوفا منه وقصدوا اذربيجان ولم يمكنهم المقام بها لما فعلوا باهلها ولان ابراهيم ينال وراءهم وكانوا يخافونه لانهم كانوا له ولاخويه طغرلبك وداود رعية فاخذوا بعض الاكراد وعرفهم الطريق فاخذ بهم في جبال وعرة على الزوزان وخرجوا الى جزيرة ابن عمر فسار بوقا وناصغلي وغيرهما الى ديار بكر ونهبوا قردى وبازبدى والحسنية وفيشابور وبقى منصور بن غزغلي بالجزيرة من الجانب الشرقي فراسله سليمان بن نصر الدولة بن مروان المقيم بالجزيرة في المصالحة والمقام باعمال الجزيرة الى ان ينكشف الشتاء ويسير مع باقي الغز الى الشام فتصالحا وتحالفا واضمر سليمان الغدر به فعمل له طعاما احتفل فيه ودعاه فلما دخل الجزيرة قبض عليه وحبسه وانصرف أصحابه متفرقين في كل جهة فلما علم بذلك قرواش سير جيشا كثيفا اليهم واجتمع معهم الاكراد البشنوية أصحاب فنك وعسكر نصر الدولة فتبعوا الغز فلحقوهم وقاتلوهم فبذل الغز جميع ما غنموه على ان يؤمنوهم فلم يفعلوا وقاتلوا قتال من يخاف الموت فجرحوا من العرب كثيرا وافترقوا وكان بعض الغز قد قصد نصيبين وسنجار للغارة فعادوا الى الجزيرة وحصروها وتوجهت العرب الى العراق ليشتوا بها فاخربت الغز ديار بكر ونهبوا وقتلوا فأخذ نصر الدولة منصورا أمير الغز من ابنه سليمان وراسل الغز وبذل لهم مالا واطلاق منصور ليفارقوا اعماله فاجابوه فاطلق منصورا وأرسل بعض المال فغدروا وازدادوا في الشر وسار بعضهم الى نصيبين وسنجار والخابور فنهبوا وعادوا وسار بعضهم الى جهينة واعمال الفرج فنهبوها فدخل قرواش الموصل خوفا منهم

﴿ذكر ملك الغز مدينة الموصل﴾

لما خرجوا من أذربيجان الى جزيرة ابن عمر وهي من اعمال نصر الدولة بن مروان سار بعضهم الى ديار بكر مع أمرائهم المذكورين وسار الباقون الى البقعاء ونزلوا برقعيد فارسل اليهم قرواش صاحب الموصل من ينظر فيهم ويغير عليهم فلما رأوا ذلك تقدموا الى الموصل فارسل اليهم يستعطفهم ويلين لهم وبذل لهم ثلاثة آلاف دينار فلم يقبلوا فاعاد مراسلتهم ثانية فطلبوا خمسة عشر ألف دينار فالتزمها واحضر أهل البلد واعلمهم الحال فبينما هم مهتمين بجمع المال وصل الغز الى الموصل ونزلوا بالحصباء فخرج اليهم قرواش واجناده والعامة فقاتلوهم عامة نهارهم وادركهم الليل فافترقوا فلما كان الغد عادوا الى القتال فانهزمت العرب وأهل البلد وهرب قرواش في سفينة نزلها من داره وخرج من جميع ماله الا الشئ اليسير ودخل الغز البلد فنهبوا كثيرا منه ونهبوا جميع ما لقرواش من مال وجوهر وحلى وثياب وأثاث ونجا قرواش في السفينة ومعه نفر فوصل الى السن وأقام بها وأرسل الى الملك جلال الدولة يعرفه الحال ويطلب النجدة وأرسل الى دبيس بن مزيد وغيره من امراء العرب والاكراد يستمدهم ويشكو ما نزل به وعمل الغز باهل الموصل الاعمال الشنيعة من القتل وهتك الحريم ونهب المال وسلم عدة محال منها سكة أبي نجيح والجصاصة وجارسوك وشاطئ نهر وباب القصابين على مال ضمنوه فكفوا عنهم

﴿ذكر وثوب أهل الموصل بالغز وما كان منهم﴾

قد ذكرنا ملك الغز الموصل فلما استقروا فيها قسطوا على أهلها عشرين ألف دينار وأخذوها ثم تتبعوا الناس وأخذوا كثيرا من أموالهم بحجة أموال العرب ثم قسطوا أربعة آلاف دينار

فطوبى لمن اغفى من الليل ساعة وذاق اغتماضا ان ذاك لناعم وقوله

اصرف فؤادك يا عباس معتمدا عنها والاثمت في حبها كمدا
لو أنها من وراء الروم في بلد ما كنت أسكن الا ذلك البلدا

يا من شكا شوقه من هول غيبته اصبر لعلك تلقى ما تحب غدا

وقوله

اغب الزيارة لما بدا له الهجر أو بعض أسبابه
وما صد عنا ولكنه طريد ملالة أحبابه

حدثنا أبو خليفة الفضل ابن الحباب الجمحي قال حدثنا الرياشي قال ذكر جماعة من أهل البصرة قالوا خرجنا نريد الحج فلما كنا ببعض الطريق اذا غلام واقف على المحجة وهو ينادي يا أيها الناس هل فيكم أحد من أهل البصرة قال فملنا اليه وقلنا له ما تريد قال ان مولاي لما به يريد أن يوصيكم فملنا معه فاذا بشخص ملقى على بعد من الطريق تحت شجرة لا يحير جوابا فجلسنا حوله فأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا وأنشأ يقول

يا غريب الدار عن وطنه مفردا يبكي على شجنه
كلما جد البكاء به دبت الاسقام في بدنه

ثم أغمى عليه طويلا وانا بالجلوس حوله اذ أقبل طائر فوقع على أعلى الشجرة وجعل يغرد ففتح الفتى

أخرى تحضر جماعة من الغز عند ابن فرغان الموصلي وطالبوا انسانا بحضرته وأساؤا الادب والقول وجرى بين بعض الغز وبعض المواصلة مشاجرة فجرحه الغز وقطع شعره وكان للموصلي والدة سليطة فلطخت وجهها بالدم وأخذت الشعر بيدها وصاحت المستغاث بالله وبالمسلمين قد قتل لي ابن وهذا دمه وابنه وهذا شعرها وطافت في الاسواق فثار الناس وجاؤا الى ابن فرغان فقتلوا من عنده من الغز وقتلوا من ظفروا به منهم ثم حصروهم في دار فقاتلوا من سطحه فنقب الناس عليهم الدار وقتلوهم جميعهم غير سبعة أنفس منهم أبو علي ومنصور فخرج منصور الى الحصباء ولحق به من سلم منهم وكان كوكتاش قد فارق الموصل في جمع كثير فأرسلوا اليه يعلمونه الحال فعاد اليهم ودخل البلد عنوة في الخامس والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين ووضعوا السيف في أهله وأسروا كثيرا ونهبوا الاموال واقاموا على ذلك اثنى عشر يوما يقتلون وينهبون وسلمت سكة أبي نجيح فان أهلها أحسنوا الى الامير منصور فرعى لهم ذلك والتجأ من سلم اليها وبقي القتلى في الطريق فأنتنوا العدم من يواريهم ثم طرحوا بعد ذلك كل جماعة في حفيرة وكانوا يخطبون للخليفة ثم لطغرلبك ولما طال مقامهم بهذه البلاد وجرى منهم ما ذكرناه كتب الملك جلال الدولة بن بويه الى طغرلبك يعرفه ما يجري منهم وكتب اليه نصر الدولة بن مروان يشكو منهم فكتب الى نصر الدولة يقول له بلغني ان عبيدنا قصدوا بلادك وانك صانعتهم بمال بذلته لهم وأنت صاحب ثغر ينبغي ان تعطى ما تستعين به على قتال الكفار ويعده انه يرسل اليهم يرحلهم من بلاده وكانوا يقصدون بلاد الارمن وينهبون ويسبون حتى ان الجارية الحسناء بلغت قيمتها خمسة دنانير وأما الغلمان فلا يرادون وكتب طغرلبك الى جلال الدولة يعتذر بان هؤلاء التركمان كانوا لنا عبيدا وخدما ورعايا وتبعا يمتثلون الامر ويخدمون الباب ولما نهضنا لتدبير خطب آل محمود بن سبكتكين وانتدبنا لكفاية أمر خوارزم انحازوا الى الرى فعاثوا فيها وأفسدوا فزحفنا بجنودنا من خراسان اليهم مقدرين انهم يلجؤن الى الامان ويلوذون بالعفو والغفران فملكتهم الهيبة وزعزعتهم الحشمة ولا بد من ان نردهم الى راياتنا خاضعين ونذيقهم من بأسنا جزاء المتمردين قربوا أم بعدوا وأغاروا أم أنجدوا

﴿ذكر ظفر قرواش صاحب الموصل بالغز﴾

قد ذكرنا انحدار قرواش الى السن ومراسلته سائر أصحاب الاطراف في طلب النجدة منهم فاما الملك جلال الدولة فلم ينجده لزوال طاعته عن جنده الاتراك وأما دبيس بن مزيد فسار اليه واجتمعت عليه كافة عقيل وأتته أعداد أبي الشوك وابن ورام وغيرهما فلم يدركوا الوقعة فان قرواشا لما اجتمعت عقيل ودبيس عنده سار الى الموصل وبلغ الخبر الى الغز فتأخروا الى تلعفر وبوماريه وتلك النواحي وراسلوا الغز الذين كانوا بديار بكر ومقدمهم ناصغلي وبوقا وطلبوا منهم المساعدة على العرب فساروا اليهم وسمع قرواش بوصولهم فلم يعلم أصحابه لئلا يفشلوا ويجبنوا وسار حتى نزل على العجاج وسارت الغز فنزلوا برأس الايل من الفرج وبينهما نحو فرسخين وقد طمع الغز في العرب فتقدموا حتى شارفوا حلل العرب ووقعت الحرب في العشرين من شهر رمضان من أول النهار فاستظهرت الغز وانهزمت العرب حتى صار القتال عند حللهم ونساؤهم يشاهدون القتال فلم يزل الظفر للغز الى الظهر ثم أنزل الله نصره على العرب وانهزمت الغز وأخذهم السيف وتفرقوا وكثر القتل فيهم فقتل ثلاثة من مقدميهم وملك العرب حلل الغز وخركاهاتهم وغنموا أموالهم فعمتهم الغنيمة وأدركهم الليل فحجز بينهم وسير قرواش

عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ثم قال

ولقد زاد الفؤاد شجى طائر يبكي على فننه
شفه ما شفني فبكى كلنا يبكي على سكنه

قال ثم تنفس تنفسا فاضت نفسه منه فلم نبرح من عنده حتى غسلناه وكفناه وتولينا الصلاة عليه فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه فقال هذا العباس بن الاحنف وقد أخبرنا بهذا الخبر أبو اسحق الزجاجي النحوي عن أبي العباس المبرد عن المازني قال حدثنا جماعة من أهل البصرة بما ذكرناه وكانت وفاة أبي ثور ابراهيم ابن خالد الكلبي سنة أربعين ومائتين وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين نفى المتوكل علي بن الجهم الشاعر الى خراسان وقيل في سنة تسع وثلاثين ومائتين وقد أتينا على خبره وما كان من أمره ورجوعه بعد ذلك الى العراق وخروجه يريد السفر وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين فلما صار بالقرب من حلب من بلاد قنسرين والعواصم بالموضع المعروف بخشاف لقيته خيل الكلبيين فقال في ذلك وهو في الشرق

أزيد في الليل ليل أم سال بالصبح سيل
ذكرت أهل دجيل وأين مني دجيل

وكان علي بن الجهم السامي هذا مع انحرافه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه واظهاره

رؤس كثير من القتلى فى سفينة الى بغداد فلما قاربتها آخذتها الاتراك ودفنوها ولم يتركوها تصل انفة وحمية للجنس وكفى الله أهل الموصل شرهم وتبعهم قرواش الى نصيبين وعاد عنهم فقصدوا ديار بكر فنهبوها ثم مالوا الى الارمن والروم فنهبوهم ثم قصدوا بلاد اذربيجان وكتب قرواش الى الاطراف يبشر بالظفر بهم وكتب الى ابن ربيب الدولة صاحب أرمية يذكر له انه قتل منهم ثلاثة آلاف رجل فقال للرسول هذا عجب فان القوم لما اجتاز وابلادى أقمت على قنطرة لابد لهم من عبورها فاعتبرت بعدهم فكانوا نيفا وثلاثين ألفا مع لفيفهم فلما عادوا بعد هزيمتهم لم يبلغوا خمسة آلاف رجل فاما ان يكونوا قتلوا أو هلكوا ومدح الشعراء قرواشا بهذا الفتح وممن مدحه ابن شبل بقصيدة منها

بابى الذى أرست نزار بيتها ✱ فى شامخ من عزه المتخير

وهى طويلة (هذه أخبار الغز العراقيين) وانما أوردناها متتابعة لان دولتهم لم تطل حتى نذكر حوادثها فى السنين وانما كانت سحابة صيف تقشعت عن قريب وأما السلجوقية فنحن نذكر حوادثهم فى السنين ونذكر ابتداء أمرهم سنة اثنتين وثلاثين ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفى هذه السنة سير الظاهر جيشا من مصر مقدمهم أنوشتكين البربدى فقتل صالح بن مرداس وملك نصر بن صالح مدينة حلب وقد تقدم ذكره فى سنة اثنتين وأربعمائة وفيها سقط فى البلاد برد عظيم وكان أكثره بالعراق وارتفعت بعده ريح شديدة سوداء فقلعت كثيرا من الاشجار بالعراق فقلعت شجرا كبارا من الزيتون من شرقى النهروان وألقته على بعد من غربيها وقلعت نخلة من أصلها وحملتها الى دار بينها وبين موضع هذه الشجرة ثلاث دور وقلعت سقف مسجد الجامع ببعض القرى وفيها فى ذى القعدة تولى أبو عبد الله بن ماكولا قضاء القضاة وفيها توفى أبو الحسن على بن عيسى الربعى النحوى عن نيف وتسعين سنة وأخذ النحو عن أبى على الفارسى وأبى سعيد السيرافى وكان فكها كثير الدعابة فمن ذلك انه كان يوما على شاطئ دجلة ببغداد والملك جلال الدولة والمرتضى والرضى كلاهما فى سمارية ومعهما عثمان بن جنى النحوى فناداه الربعى أيها الملك ما أنت صادق فى تشيعك بعلى بن أبى طالب يكون عثمان الى جانبك وعلى يعنى نفسه ههنا فامر بالسمارية فقربت الى الشاطئ وحمله معه وقيل ان هذا القول كان للشريف الرضى وأخيه المرتضى ومعهما عثمان بن جنى فقال ما أعجب أحوال الشريفين يكون عثمان معهما وعلى يمشى على الشط وفيها أيضا توفى أبو المسك عنبر الملقب بالاثير وكان قد أصعد الى الموصل مغاضبا لجلال الدولة فلقيه قرواش وأهله وقبلوا الارض بين يديه فاقام عندهم وكان خصيا لبهاء الدولة بن بويه وكان قد بلغ مبلغا عظيما لم يخل أمير ولا وزير فى دولة بنى بويه من تقبيل يده والارض بين يديه وكان قد استقر بينه وبين قرواش وأبى كاليجار قاعدة ان يصعد أبو كاليجار من واسط وينحدر الاثير وقرواش من الموصل لقصد جلال الدولة وكان الاثير قد انحدر من الموصل فلما وصل مشهد الكحيل توفى فيه وفيها انقض كوكب عظيم فى رجب اضاءت منه الارض وسمع له صوت عظيم كالرعد وتقطع أربع قطع وانقض بعده بليلتين كوكب آخر دونه وانقض بعدهما كوكب أكبر منهما وأكثر ضوأ وفيها كانت ببغداد فتنة قوى فيها أمر العيارين واللصوص فكانوا يأخذون العملات ظاهرا وفيها قطعت الجمعة من جامع براثا وسببها انه كان يخطب فيها انسان يقول فى خطبته بعد الصلاة على النبى وعلى أخيه أمير المؤمنين على

طعن من طعن على نسبه
وما قال الناس فى عقب
سامة بن لؤى بن غالب
وقول على بن محمد
ابن جعفر العلوى الشاعر
وسامة منا فاما بنوه
فامرهم عندنا مظلم
أناس أتونا بانسابهم
خرافة مضطجع يحلم
وقلت لهم مثل قول النبى
وكل أقاويله محكم
اذا ما سئلت ولم تدر ما
تقول فقل ربنا أعلم
وقول العلوى فيه أيضا
لو اكتنفت النضر أو
معدا
أو اتخذت البيت كفا
مهدا
وزمزما شريعة وورداً
والاخشبين محضرا ومبدى
ما ازددت الامن قريش
بعدا
أو كنت الامصقليا وغدا
وانما أعدناهذا الشعر فى
هذا الموضع وان كنا قد
قدمناه فيما سلف من
هذا الكتاب لما سنح انا
من ذكر على بن الجهم فى
أيام المتوكل ولما احتجنا
اليه عند ذكرنا لشعر على
ابن الجهم واجابته العلوى
على هذا الشعر فكان
ما أجاب به على بن الجهم
لعلى بن محمد بن جعفر
العلوى

ابن أبى طالب مكلم الجمجمة ومحييها البشرى الالهى مكلم الفتية أصحاب الكهف الى غير ذلك من الغلو المبتدع فاقام الخليفة خطيبا فرجمه العامة فانقطعت الصلاة فيه فاجتمع جماعة من أعيان الكرخ مع المرتضى واعتذروا الى الخليفة بان سفهاء لا يعرفون فعلوا ذلك وسألوا اعادة الخطبة فأجيبوا الى ما طلبوا وأعيدت الصلاة والخطبة فيه وفيها توفى ابن أبى الهيش الزاهد المقيم بالكوفة وهو من أرباب الطبقات العالية فى الزهد وقبره يزار الى الآن وقد زرته وفيها توفى منوجهر بن قابوس بن وشمكير وملك ابنه انوشروان

✱ثم دخلت سنة احدى وعشرين وأربعمائة✱

﴿ذكر ملك مسعود بن محمود بن سبكتكين همذان﴾

فى هذه السنة سير مسعود بن يمين الدولة محمود جيشا الى همذان فملكوها وأخرجوا نواب علاء الدولة بن كاكويه عنها وسار هو الى اصبهان فلما قاربها فارقها علاء الدولة فغنم مسعود ما كان له بها من دواب وسلاح وذخائر فان علاء الدولة أعجل عن أخذه فلم يأخذ الا بعضه وسار الى خوزستان فبلغ الى تستر ليطلب من الملك أبى كاليجار نجدة ومن الملك جلال الدولة ويعود الى بلاده يستنقذها فبقى عند أبى كاليجار مدة وهو عقيب انهزامه من جلال الدولة ضعيف ومع هذا فهو يعده النصرة وتسيير العساكر اذا اصطلح هو وجلال الدولة فبينما هو عنده اذ أتاه خبر وفاة يمين الدولة محمود ومسير مسعود الى خراسان فسار علاء الدولة الى بلاده على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر غزوة للمسلمين الى الهند﴾

فى هذه السنة غزا أحمد بن ينالتكين النائب عن محمود بن سبكتكين ببلاد الهند مدينة للهنود هى من أعظم مدنهم يقال لها نرسى ومع أحمد نحو مائة ألف فارس وراجل وشن الغارة على البلاد ونهب وسبى وخرب الاعمال وأكثر القتل والاسر فلما وصل الى المدينة دخل من احد جوانبها ونهب المسلمون فى ذلك الجانب يوما من بكرة الى آخر النهار ولم يفرغوا من نهب سوق العطارين والجوهريين حسب وباقى أهل البلد لم يعلموا بذلك لان طوله منزل من منازل الهنود وعرضه مثله فلما جاء المساء لم يجسر أحد على المبيت فيه لكثرة أهله فخرج منه ليأمن على نفسه وعسكره وبلغ من كثرة ما نهب المسلمون انهم اقتسموا الذهب والفضة كيلا ولم يصل الى هذه المدينة عسكر للمسلمين قبله ولا بعده فلما فارقه أراد العود اليه فلم يقدر على ذلك منعه أهله عنه

﴿ذكر ملك بدران بن المقلد نصيبين﴾

قد ذكرنا محاصرة بدران نصيبين وانه رحل عنها خوفا من قرواش فلما رحل شرع فى اصلاح الحال معه فاصطلحا ثم جرى بين قرواش ونصر الدولة بن مروان نفرة كان سببها ان نصر الدولة كان قد تزوج ابنة قرواش فآثر عليها غيرها فارسلت الى أبيها تشكو منه فارسل يطلبها اليه فسيرها فاقامت بالموصل ثم ان ولد مستحفظ جزيرة ابن عمر وهى لابن مروان هرب الى قرواش وأطمعه فى الجزيرة فارسل الى نصر الدولة يطلب منه صداق ابنته وهو عشرون ألف دينار ويطلب الجزيرة انفقتها ويطلب نصيبين لاخيه بدران ويحتج بما أخرج بسببها عام اول وترددت الرسل بينهما فى ذلك فلم يستقر حال فسير جيشا لمحاصرة الجزيرة وجيشا مع أخيه بدران الى نصيبين فحصرها بدران وأتاه قرواش فحصرها معه فلم يملك واحدا من البلدين وتفرق من كان معه من العرب والاكراد فلما رأى بدران تفرق الناس عن أخيه سار الى نصر الدولة بن مروان

غير أنى اذا رجعت الى حـ
ـق بنى هاشم بن عبد مناف
لم أجد لى الى التشفى سبيلا
بقواف ولا بغير قواف
لى نفس تأبى الدنية والاشـ
ـراف لا تعتدى على
الاشراف
وله فى الحبس شعر معروف
لم يسبقه الى معناه أحد
وهو قوله
قالوا حبست فقلت ليس
بضائر
حبسى وأى مهند لا يغمد
أوما رأيت الليث يألف
غيله
كبرا وأوباش السباع تردد
والشمس لولا أنها محجوبة
عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار فى أحجارها مخبوءة
لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والحبس ما لم تغشه لدنية
شنعاء نعم المنزل المستورد
بيت يجدد للكريم كرامة
ويزار فيه ولا يزور ويحفد
لو لم يكن فى الحبس الا أنه
لا يستذلك بالحجاب الاعبد
ومما أحسن فيه قوله
خليلى ما أحلى الهوى
وأمره
وأعلمنى بالحلو منه وبالمر
بما بيننا من حرمة هل رأيتما
أرق من الشكوى وأقسى
من الهجر
وأفضح من عين المحب لسره
ولا سيما ان أطلقت عبرة
تجرى
ومما اختير من قوله حسرت عنى القناع ظالم

عيا فارقين يطلب منه نصيبين فسلمها اليه وأرسل من صداق ابنة قرواش خمسة عشر ألف دينار واصطلحا

ذكر ملك أبى الشوك دقوقا

وفيها حصر أبو الشوك دقوقا وبها مالك بن بدران بن المقلد العقيلى فطال حصاره وكان قد أرسل اليه يقول له ان هذه المدينة كانت لابى ولا بد لى منها والصواب ان تنصرف عنها فامتنع من تسليمها فحصره بها ثم استظهر وملك البلد فطلب منه مالك الامان على نفسه وماله وأصحابه فامنه على نفسه حسب فلما خرج اليه مالك قال له أبو الشوك قد كنت سألتك ان تسلم البلد طوعا وتحقن دماء المسلمين فلم تفعل فقال لو فعلت لعيرتنى العرب وأما الآن فلا عار على فقال أبو الشوك ان من اتمام الصنيعة تسليم مالك وأصحابك اليك فاعطاه ما كان له أجمع فاخذه وعاد سالما

ذكر وفاة يمين الدولة محمود بن سبكتكين وملك ولده محمد

فى هذه السنة فى ربيع الآخر توفى يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ومولده يوم عاشوراء سنة ستين وثلثمائة وقيل انه توفى أحد عشر صفر وكان مرضه سوء مزاج واسهالا وبقى كذلك نحو سنتين وكان قوى النفس لم يضع جنبه فى مرضه بل كان يستند الى مخدته فاشار عليه الاطباء بالراحة وكان يجلس للناس بكرة وعشية فقال أتريدون ان أعتزل الامارة فلم يزل كذلك حتى توفى قاعدا فلما حضره الموت أوصى بالملك لابنه محمد وهو ببلخ وكان أصغر من مسعود الا انه كان معرضا عن مسعود لان أمره لم يكن عنده نافذا وسعى بينهما أصحاب الاغراض فزادوا أباه نفورا عنه فلما وصى بالملك لولده محمد توفى فخطب لمحمد من اقاصى الهند الى نيسابور وكان لقبه جلال الدولة وأرسل اليه أعيان دولة أبيه يخبرونه بموت أبيه ووصيته له بالملك ويستدعونه ويحثونه على السرعة ويخوفونه من أخيه مسعود فحين بلغه الخبر سار الى غزنة فوصلها بعد موت أبيه باربعين يوما فاجتمعت العساكر على طاعته وفرق فيهم الاموال والخلع النفيسة فاسرف فى ذلك

ذكر ملك مسعود وخلع محمد

لما توفى يمين الدولة كان ابنه مسعود باصبهان فلما بلغه الخبر سار الى خراسان واستخلف باصبهان بعض أصحابه فى طائفة من العسكر فحين فارقها ثار أهلها بالوالى عليهم بعده فقتلوه وقتلوا من معه من الجند وأتى مسعودا الخبر فعاد اليها وحصرها وفتحها عنوة وقتل فيها فاكثر ونهب الاموال واستخلف فيها رجلا كافيا وكتب الى أخيه محمد يعلمه بذلك وانه لا يريد من البلاد التى وصى له أبوه بها شيأ وانه يكتفى بما فتحه من بلاد طبرستان وبلاد الجبل واصبهان وغيرها ويطلب منه الموافقة وان يقدمه فى الخطبة على نفسه فاجابه محمد جواب مغالط وكان مسعود قد وصل الى الرى فاحسن الى أهلها وسار منها الى نيسابور ففعل مثل ذلك واما محمد فانه أخذ على عسكره العهود والمواثيق على المناصحة له والشد منه وسار فى عساكره الى أخيه مسعود محاربا له وكان بعض عساكره يميل الى أخيه مسعود لكبره وشجاعته ولانه قد اعتاد التقدم على الجيوش وفتح البلاد وبعضها يخافه لقوة نفسه وكان محمد قد جعل مقدم جيشه عمه يوسف بن سبكتكين فلما هم بالركوب فى داره بغزنة ليسير سقطت قلنسوته من رأسه فتطير الناس من ذلك وأرسل اليه التونتاش صاحب خوارزم وكان من أعيان أصحاب أبيه محمود يشير عليه بموافقة أخيه وترك مخالفته فلم يصغ الى قوله وسار فوصل الى تكناباذ أول يوم من رمضان وأقام الى العيد فعيد هناك فلما كان ليلة الثلاثاء ثالث شوال ثار به جنده فاخذوه وقيدوه وحبسوه وكان مشغولا بالشرب واللعب عن تدبير

ونولت ودمعها مسجوم شرما أنكرت نصرم عهد * لم يدم لى وأى عهد يدوم أنكرت مارأت برأسى وقالت

أمشيب أم لؤلؤ منظوم
قلت أولاهما علمت فقالت
آية يستثيرها المهموم
هى عندى من الهموم التى يحسن فيها العزاء والتسليم
ان أمرا أتى على بشيب الرأس فى ليلة لامر عظيم
ليس عندى وان تعزيت الا
طاعة حرة وقلب سليم

ومن جيد شعره

هى النفس ما حملتها تتحمل
وللدهر أيام تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة
وأكمل أخلاق الرجال التفضل
ولا عار ان زالت عن المرء نعمة
ولكن عارا أن يزول التجمل
وما المال الا حسرة ان تركته
وغنم اذا قدمته متعجل

ومما اعتذر فيه فاحسن قوله فى المتوكل

ان ذل السؤال والاعتذار
خطة صعبة على الاحرار
ليس من باطل يوردها المرء ولكن سوابق الاقدار
فارض للسائل الخضوع وللقارف ذنبا بذلة الاعتذار
ان تجافيت منعما كنت أولى
من تجافى عن الذنوب الكبار
أو تعاقب فانت أعرف بالله
وليس العقاب منك بعار

ومما جوده قوله لما قيد

فقلت لها والدمع شتى طريقه * ونار الهوى بالقلب يذكو وقودها
فلا تجزعى اما رأيت قيوده

المملكة والنظر فى أحوال الجند والرعايا وكان الذى سعى فى اخذه على خويشاوند صاحب أبيه وأعانه على ذلك عمه يوسف بن سبكتكين فلما قبضوا عليه نادوا بشعار أخيه مسعود ورفعوا محمدا الى قلعة تكناباذ وكتبوا الى مسعود بالحال فلما وصل الى هراة لقيته العساكر مع الحاجب على خويشاوند فلما لقيه الحاجب على قبض عليه وقتله وقبض بعد ذلك أيضا على عمه يوسف وهذه عاقبة الغدر وهما سعيا له فى رد الملك اليه وقبض أيضا على جماعة من أعيان القواد فى أوقات متفرقة وكان اجتماع الملك له واتفاق الكلمة عليه فى ذى القعدة وأخرج الوزير أبا القاسم أحمد ابن الحسن الميمندى الذى كان وزير أبيه من محبسه واستوزره ورد الامر اليه وكان أبوه قد قبض عليه سنة اثنتى عشرة وأربعمائة لامور أنكرها وقيل شره فى ماله وأخذ منه لما قبض عليه مالا واعراضا بقيمة خمسة آلاف ألف دينار وكان وصول مسعود الى غزنة ثامن جمادى الآخرة من سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة فلما وصل اليها وثبت ملكه بها أتته رسل الملوك من سائر الاقطار الى بابه واجتمع له ملك خراسان وغزنة وبلاد الهند والسند وسجستان وكرمان ومكران والرى واصبهان وبلاد الجبل وغير ذلك وعظم سلطانه وخيف جانبه

ذكر بعض سيرة يمين الدولة

كان يمين الدولة محمود بن سبكتكين عاقلا دينا خيرا عنده علم ومعرفة وصنف له كثير من الكتب فى فنون العلوم وقصده العلماء من اقطار البلاد وكان يكرمهم ويقبل عليهم ويعظمهم ويحسن اليهم وكان عادلا كثير الاحسان الى رعيته والرفق بهم كثير الغزوات ملازما للجهاد وفتوحه مشهورة مذكورة وقد ذكرنا منها ما وصل الينا على بعد الدهر وفيه ما يستدل به على بذل نفسه لله تعالى واهتمامه بالجهاد ولم يكن فيه ما يعاب الا أنه كان يتوصل الى أخذ الاموال بكل طريق فمن ذلك انه بلغه ان انسانا من نيسابور كثير المال عظيم الغنى فاحضره الى غزنة وقال له بلغنا انك قرمطى فقال لست بقرمطى ولى مال يؤخذ منه ما يراد وأعفى من هذا الاسم فاخذ منه مالا وكتب معه كتابا بصحة اعتقاده وجدد عمارة المشهد بطوس الذى فيه قبر على بن موسى الرضا والرشيد وأحسن عمارته وكان أبوه سبكتكين أخربه وكان أهل طوس يؤذون من يزوره فمنعهم عن ذلك وكان سبب فعله أنه رأى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى المنام وهو يقول له الى متى هذا فعلم انه يريد أمر المشهد فامر بعمارته وكان ربعة مليح اللون حسن الوجه صغير العينين أحمر الشعر وكان ابنه محمد يشبهه وكان ابنه مسعود ممتلئ البدن طويلا

ذكر عود علاء الدولة الى أصبهان وغيرها وما كان منه

لما مات محمود بن سبكتكين طمع فناخسرو بن مجد الدولة بن بويه فى الرى وكان قد هرب منها لما ملكها عسكر يمين الدولة محمود فقصد قصران وهى حصينة فامتنع بها فلما توفى يمين الدولة وعاد ابنه مسعود الى خراسان جمع هذا فناخسرو جمعا من الديلم والاكراد وغيرهم وقصدوا الرى فخرج اليه نائب مسعود بها ومن معه من العسكر فقاتلوه فانهزم منهم وعاد الى بلده وقتل جماعة من عسكره ثم ان علاء الدولة بن كاكويه لما بلغه وفاة يمين الدولة كان بخوزستان عند الملك أبى كاليجار كما ذكرنا وقد أيس من نصره وتفرق بعض من عنده من عسكره وأصحابه والباقون على عزم مفارقته وهو خائف من مسعود ان يسير اليه من أصبهان فلا يقوى هو وأبو كاليجار به فاتاه من الفرج بموت يمين الدولة ما لم يكن فى حسابه فلما سمع الخبر سار الى أصبهان فملكها وملك همذان وغيرهما من البلاد وسار الى الرى فملكها وامتد الى أعمال انوشروان بن منوجهر بن قابوس فاخذ

فان خلا خيل الرجال قيودها * وكان فى لسانه فضل قل من سلم معه منه وكان محمد بن عبد الله منحرفا عنه فاستشفع عليه بوصيف التركى حتى أصلح له ناحيته ثم فسد عليه وصيف فاستشفع عليه بمحمد بن عبد الله وكتب اليه

الحمد لله شكرا
قلوبنا فى يديه
صار الامير شفيعا
الى شفيعى اليه

وله أشعار نادرة وأمثال سائرة اخترنا منها ما قدمنا ذكره واقتصرنا بذلك عن غيره وقد رثاه جماعة من الشعراء بعد قتله منهم أبو صاعد فقال

أريقى الدمع واجتنبى الهجوعا
وصونى شمل وجدك أن يضيعا
وقولى ان كهف بنى لؤى
غدا بالشام منجدلا صريعا
عزاء يا بنى جهم بن بدر
فقد لاقيتم خطبا فظيعا
أما والله لو تدرى المنايا
بما لاقيتم لبكت نجيعا
ثوى كهف الارامل واليتامى
ومن كان الزمان به ربيعا
فتى كان السهام على الاعادى
وليثا دون حادثة منيعا

قال وفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين كان خروج المتوكل من دمشق الى سر من رأى فكان بين خروجه منها ورجوعه اليها ثلاثة أشهر وسبعة أيام وفى خروجه يقول المهلبى شعرا طويلا اخترنا منه قوله

أظن الشام يشمت بالعراق * اذا عزم الامام على انطلاق
فان تدع العراق وساكنيها * فقد تبلى المليحة بالطلاق

منه خوار الرى ودنباوند فكتب انوشروان الى مسعود يهنئه بالملك وسأله تقرير الذى عليه بعمال بحمله فاجابه الى ذلك وسير اليه عسكرا من خراسان فساروا الى دنباوند فاستعادوها وساروا نحو الرى فاتاهم المدد والعساكر وممن أتاهم على بن عمران فكثر جمعهم فحصروا الرى وبها علاء الدولة فاشتد القتال فى بعض الايام فدخل العسكر الرى قهرا والفيلة معهم فقتل جماعة من أهل الرى والديلم ونهبت المدينة وانهزم علاء الدولة وتبعه بعض العسكر وجرحه فى رأسه وكتفه فالقى لهم دنانير كانت معه فاشتغلوا بها عنه فنجا وسار الى قلعة فردجان على خمسة عشر فرسخا من همذان فاقام بها الى ان برأ من جراحته وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى وخطب بالرى واعمال أنوشروان لمسعود فعظم شأنه

ذكر الحرب بين عسكر جلال الدولة وابى كاليجار

فى هذه السنة فى شوال سير جلال الدولة عسكرا الى المذار وبها عسكر أبى كاليجار فالتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر أبى كاليجار واستولى أصحاب جلال الدولة على المذار وعملوا باهلها كل محظور فلما سمع أبو كاليجار الخبر سير اليهم عسكرا كثيفا فاقتتلوا بظاهر البلد فانهزم عسكر جلال الدولة وقتل أكثرهم وثار أهل البلد بغلمانهم فقتلوهم ونهبوا أموالهم لقبح سيرتهم كانت معهم وعاد من سلم من المعركة الى واسط

ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن مقن

فى هذه السنة فى جمادى الاولى اختلف قرواش وغريب بن مقن وكان سبب ذلك ان غريبا جمع جمعا كثيرا من العرب والاكراد واستمد جلال الدولة فامده بجملة صالحة من العسكر فسار الى تكريت فحصرها وهى لابى المسيب رافع بن الحسين وكان قد توجه الى الموصل وسأل قرواشا النجدة فجمعا وحشدا وسارا فانحدر بن قيس معهما فبلغا الدكة وغريب يحاصر تكريت وقد ضيق على من بها واهلها يطلبون منه الامان فلم يؤمنهم فحفظوا نفوسهم وقاتلوا أشد قتال فلما بلغه وصول قرواش ورافع سار اليهم فالتقوا بالدكة واقتتلوا فغدر بغريب بعض من معه ونهبوا سواده وسواد الاجناد الجلالية فانهزم وتبعهم قرواش ورافع ثم كفوا عنه وعن أصحابه ولم يتعرضوا الى حلته وماله فيها وحفظوا ذلك اجمع ثم انهم تراسلوا واصطلحوا وعادوا الى ما كانوا عليه من الوفاق

ذكر خروج ملك الروم الى الشأم وانهزامه

فى هذه السنة خرج ملك الروم من القسطنطينية فى ثلثمائة ألف مقاتل الى الشام فلم يزل بعساكره حتى بلغوا قريب حلب وصاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس فنزلوا على يوم منها فلحقهم عطش شديد وكان الزمان صيفا وكان أصحابه مختلفين عليه فنهم من يحسده ومنهم من يكرهه وممن كان معه ابن الدوقس وهو من أكابرهم وكان يريد هلاك الملك ليملك بعده فقال الملك الرأى ان نقيم حتى تجئ الامطار وتكثر المياه فقبح ابن الدوقس هذا الرأى وأشار بالاسراع قصد الشر يتطرق اليه ولتدبير كان قد دبره عليه فسار ففارقه ابن الدوقس وابن لؤلؤ فى عشرة آلاف فارس وسلكوا طريقا آخر فخلا بالملك بعض أصحابه وأعلمه ان ابن الدوقس وابن لؤلؤ قد حالفا أربعين رجلا هو أحدهم على الفتك به فاستشعر من ذلك وخاف ورحل من يومه راجعا ولحقه ابن الدوقس وسأله عن السبب الذى أوجب عوده فقال له قد اجتمعت علينا العرب وقربوا منا وقبض فى الحال على ابن الدوقس وابن لؤلؤ وجماعة معهما فاضطرب الناس واختلفوا ورحل الملك

ولما نزل بدمشق أبى أن ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها وما يرتفع من بخار مياهها فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة فى أعلى الارض وهذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة وأكثر الغوطة ويعرف بقصر المأمون الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة * وذكر سعيد بن نكيس قال كنت واقفا بين يدى المتوكل فى مضربه بدمشق اذ شغب الجند واجتمعوا وضجوا يطلبون الاعطية ثم خرجوا الى تجريد السلاح والرمى بالنشاب وأقبلت أرى السهام ترتفع فى الرواق فقال لى يا أبا سعد ادع لى رجاء الحضارى فدعونه فقال له يا رجاء أما ترى ما خرج اليه هؤلاء فما الرأى عندك فقال يا أمير المؤمنين قد كنت مشفقا فى هذا السفر من مثل هذا فاشرت بما أشرت من تأخيره فقال أمير المؤمنين اليه وقال دع ما مضى وقل الآن مما حضر برأيك فقال يا أمير المؤمنين توضع الاعطية فقال له فهذا ما أرادوا وفيه مع ما خرجوا اليه ما يعلم قال يا أمير المؤمنين مرهم بهذا فان الرأى بعده فأمر عبد الله بن يحيى بوضع الاعطية فيهم فلما خرج المال وبدئ بانفاقه دخل رجاء فقال مر الآن يا أمير المؤمنين بضرب الطبل للرحيل الى العراق فانهم

وتبعهم العرب وأهل السواد حتى الارمن يقتلون وينهبون وأخذوا من الملك أربعمائة بغل محملة مالا وثيابا وهلك كثير من الروم عطشا ونجا الملك وحده ولم يسلم معه من أمواله وخزائنه شئ البتة وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وقيل فى عوده غير ذلك وهو ان جمعا من العرب ليس بالكثير عبر على عسكره وظن الروم انها كبسة فلم يدروا ما يفعلون حتى ان ملكهم لبس خفا أسود وعادة ملوكهم لبس الخف الاحمر فتركه ولبس الاسود ليعمى خبره على من يريده وانهزموا وغنم المسلمون جميع ما كان معهم

ذكر مسير أبى على بن ما كولا الى البصرة وقتله

لما استولى الملك جلال الدولة على واسط وجعل ولده فيها وسير وزيره أبا على بن ما كولا الى البطائح والبصرة ليملكها فملك البطائح وسار الى البصرة فى الماء وأكثر من السفن والرجال وكان بالبصرة أبو منصور بختيار بن على نائبا لابى كاليجار فجهز جيشا فى أربعمائة سفينة وجعل عليهم أبا عبد الله الشرابى الذى كان صاحب البطيحة وسيره فالتقى هو والوزير أبو على فعند اللقاء والقتال هبت ريح شمال كانت على البصريين ومعونة للوزير فانهزم البصريون وعادوا الى البصرة فعزم بختيار على الهرب الى عبادان فمنعه من سلم عنده من عسكره فاقام متجلدا وأشار جماعة على الوزير أبى على ان يعجل الانحدار ويغتنم الفرصة قبل ان يعود بختيار يجمع فلما قاربهم وهو فى ألف وثلثمائة عدد من السفن سير بختيار ما عنده من السفن وهى نحو ثلاثين قطعة وفيها المقاتلة وكان قد سير عسكرا آخر فى البر وكان له فى فم نهر أبى الخصيب نحو خمسمائة قطعة فيها ماله وجميع عسكره من المال والاثاث والاهل فلما تقدمت سفنه صاح من فيها وأجابه من فى السفن التى فيها أهلوهم وأموالهم ورد عليهم العسكر الذين فى البر فقال الوزير لمن أشار عليه بمعاجلة بختيار ألستم زعمتم انه فى خف من العسكر وان معاجلته أولى وارى الدنيا مملوءة عساكر فهونوا عليه الامر فغضب وأمر باعادة السفن الى الشاطئ الى الغدو يعود الى القتال فلما أعاد سفنه ظن أصحابه انه قد انهزم فصاحوا الهزيمة فكانت هى وقيل بل لما أعاد سفنه لحقهم من فى سفن بختيار وصاحوا الهزيمة الهزيمة وأجابهم من فى البر من عسكر بختيار ومن فى سفنهم التى فيها أموالهم فانهزم أبو على حقا وتبعه أصحاب بختيار وأهل السواد ونزل بختيار فى الماء واستصرخ الناس وسار فى آثارهم يقتل ويأسر وهم يغرقون فلم يسلم من السفن كلها أكثر من خمسين قطعة وسار الوزير أبو على منهزما فأخذ أسيرا وأحضر عند بختيار فاكرمه وعظمه وجلس بين يديه وقال له ما الذى تشتهى ان أفعل معك قال ترسلنى الى الملك أبى كاليجار فارسله اليه فاطلقه فاتفق ان غلاما له وجارية اجتمعا على فساد فعلم بهما وعرفا انه قد علم حالهما فقتلاه بعد اسره بنحو من شهر وكان قد أحدث فى ولايته رسوما جائرة وسن سننا سيئة منها جباية سوق الدقيق ومقالى الباذنجان وسميريات المشارع ودلالة ما يباع من الامتعة وأجرا الحمالين الذين يرفعون التمور الى السفن وعما يعطيه الذباحون لليهود فجرى فى ذلك مناوشة بين العامة والجند

ذكر استيلاء عسكر جلال الدولة على البصرة وأخذها منهم

لما انحدر الوزير أبو على بن ما كولا الى البصرة على ما ذكرناه لم يستصحب معه الاجناد البصريين الذين مع جلال الدولة تانيسا للديلم الذين بالبصرة فلما أصيب على ما ذكرناه تجهز هؤلاء البصريون وانحدروا الى البصرة فوصلوا اليها وقاتلوا من بها من عسكر أبى كاليجار فانهزم عسكر أبى كاليجار ودخل عسكر جلال الدولة البصرة فى شعبان واجتمع عسكر أبى كاليجار بالابلة مع بختيار فاقاموا

لا يأخذون مما أخرج اليهم شيأ ففعل ذلك فترك الناس الاعطية حتى ان المعطى ليتعلق بالرجل ليعطيه رزقه فلا يأخذه * قال سعيد وقد كان الاتراك قدروا انهم يقتلون المتوكل بدمشق فلم يمكنهم فيه حيلة بسبب بغا الكبير فانهم دبروا فى ابعاده عنه فطرحوا فى مضرب المتوكل الرقاع يقولون فيها ان بغا دبر أن يقتل أمير المؤمنين والعلامة فى ذلك أن يركب فى يوم كذا فى خيله ورجله فيأخذ عليه أطراف عسكره ثم يأخذ جماعة من الغلمان العجم يدخلون عليه فيفتكون به فقرأ المتوكل الرقاع فبهت مما تضمنته ودخل فى قلبه من بغا كل مدخل وشكا الى الفتح ذلك وقال له فى أمر بغا والاقدام عليه وشاوره فى ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان الذى كتب الرقاع قد جعل للامر دلائل فى وقت بعينه من ركوب الرجل الاطراف من العسكر وتوكيله بنواحيه وبعد ذلك يتبين الامر وانا أرى أن تمسك فان صح هذا الدليل نظرنا كيف يفعل وان بطل ما كتب به فالحمد لله وأقبلت الرقاع تطرح فى كل وقت على جهة النصح والصدق فلما علموا بما علم به الخليفة وتمكن به ما عندهم من الامر كتبوا رقاعا فطرحوها فى مضرب بغا يقولون فيها ان جماعة من الغلمان والاتراك قد عزموا على الفتك بالخليفة فى عسكره ودبروا ذلك واتفقوا عليه وتعاقدوا على

بها يستعدون للعود وكتبوا الى أبى كاليجار يستمدونه فسير اليهم عسكرا كثيرا مع وزيره ذى السعادات أبى الفرج بن فسانجس فقدموا الى الابلة واجتمعوا مع بختيار ووقع الشروع فى قتال من بالبصرة من أصحاب جلال الدولة فسير بختيار جمعا كثيرا فى عدة من السفن فقاتلوهم فنصر أصحاب جلال الدولة عليهم وهزموهم فوبخهم بختيار وسار من وقته فى العدد الكثير والسفن الكثيرة فاقتتلوا واشتد القتال فانهزم بختيار وقتل من أصحابه جماعة كثيرة وأخذ هو فقتل من غير قصد لقتله وأخذوا كثيرا من سفنه وعاد كل فريق الى موضعه وعزم الاتراك من أصحاب جلال الدولة على مباكرة الحرب واتمام الهزيمة وطالبوا العامل الذى على البصرة بالمال فاختلفوا وتنازعوا فى الاقطاعات فاصعد ابن المعبرانى صاحب البطيحة فسار اليه جماعة من الاتراك الواسطيين ليردوه فلم يرجع فتبعوه وخاف من بقى بعضهم من بعض ان لا يناصحوهم ويسلموهم عند الحرب فتفرقوا واستأمن بعضهم الى ذى السعادات وقد كان خائفا منهم فجاءه مالم يقدره من الظفر ونادى من بقى بالبصرة بشعار أبى كاليجار فدخلها عسكره وأرادوا نهبها فمنعهم ذو السعادات

﴿ذكر غزو فضلون الكردى الخزر وما كان منه﴾

كان فضلون الكردى هذا بيده قطعة من اذربيجان قد استولى عليها وملكها فاتفق أنه غزا الخزر هذه السنة فقتل منهم وسبى وغنم شيأ كثيرا فلما عاد الى بلده ابطأ فى سيره وأمل الاستظهار فى أمره ظنا منه انه قد دوخهم وشغلهم بما عمله بهم فاتبعوه مجدين وكبسوه وقتلوا من أصحابه والمطوعة الذين معه أكثر من عشرة آلاف قتيل واستردوا الغنائم التى أخذت منهم وغنموا أموال العساكر الاسلامية وعادوا

﴿ذكر البيعة لولى العهد﴾

فى هذه السنة مرض القادر بالله وأرجف بموته فجلس جلوسا عاما وأذن للخاصة والعامة فوصلوا اليه فلما اجتمعوا قام الصاحب أبو الغنائم فقال خدم مولانا أمير المؤمنين داعون له باطالة البقاء وشاكرون لما بلغهم من نظره لهم وللمسلمين باختيار الامير أبى جعفر بولاية العهد فقال الخليفة للناس قد اذنا فى العهد له وكان أراد ان يبايع له قبل ذلك فثناه عنه أبو الحسن بن حاجب النعمان فلما عهد اليه ألقيت الستارة وقعد أبو جعفر على السرير الذى كان قائما عليه وخدمه الحاضرون وهنوه وتقدم أبو الحسن بن حاجب النعمان فقبل يده وهناه فقال ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال يعرض له بافساد رأى الخليفة فيه فاكب على تقبيل قدمه وتعفير خده بين يديه والاعتذار فقبل عذره ودعى له على المنابر يوم الجمعة لتسع بقين من جمادى الاولى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة استوزر جلال الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم بعد ابن ماكولا ولقبه عميد الدولة وفيها توفى أبو الحسن بن حاجب النعمان ومولده سنة أربعين وثلثمائة وكان خصيصا بالقادر بالله حاكما فى دولته كلها وكتب له وللطائع أربعين سنة وفيها ظهر متلصصة ببغداد من الاكراد فكانوا يسرقون دواب الاتراك فنقل الاتراك خيلهم الى دورهم ونقل جلال الدولة دوابه الى بيت فى دار المملكة وفيها توفى أبو الحسن بن عبد الوارث الفسوى النحوى بفسا وهو نسيب أبى على الفارسى وفيها توفى أبو محمد الحسن بن يحيى العلوى النهرسابسى الملقب بالكافى وكان موته بالكوفة وفيها فى

رجب

أن يأتوه من نواحى كذا ونواحى كذا فالله الله الا ما احترست لامير المؤمنين وحرسته فى هذه الليلة من هذه المواضع وحصنتها بنفسك ومن تثق به فانا قد نصحنا وصدقنا وأكثروا طرح الرقاع بهذا المعنى والتوكيد فى حراسة الخليفة فلما وقف بغا عليها وتتابعت عليه لم يأمن أن يكون ما كتب اليه فيها حقا مع ما كان وقع عليه من الامر قبل ذلك فلما كانت الليلة التى ذكروها جمع جيوشه وأمرهم بالركوب بالسلاح وركب بهم الى المواضع التى ذكرت فاخذها على المتوكل وحرسها واتصل الخبر بالمتوكل فلم يشك أن ما كتب له حق فاقبل يتوقع من يوافيه فيفتك به وسهر ليلته وامتنع من الاكل والشرب فلم يزل على تلك الحال الى الغداة وبغا يحرسه والامر عند المتوكل على خلاف ذلك وقد انهم بغا واستوحش من فعله فلما عزم المتوكل على الانصراف قال له يا بغا قد أبت نفسى مكانك منى ورأيت أن أقلدك هذا الصقع وافر عليك ما كان لك من رزق وحباء ونزل ومعونة وكل سبب فقال أنا عبدك يا أمير المؤمنين فافعل ما شئت وأمرنى بما أحببت فخلفه بالشام وانصرف فأحدث الموالى عليه ما احدثوا فلم يعلم المتوكل وجه الحيلة ولم يعلم كل واحد منهما الحيلة فى ذلك الى أن تمت الحيلة * قال ولما عزم بغا الصغير

رجب جاء فى غزنة سيل عظيم أهلك الزرع والضرع وغرق كثيرا من الناس لا يحصون وخرب الجسر الذى بناه عمرو بن الليث وكان هذا الحادث عظيما وفيها فى رمضان تصدق مسعود بن محمود بن سبكتكين فى غزنة بألف ألف درهم وأدر على الفقراء من العلماء والرعايا ادرارات كثيرة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك مسعود بن محمود بن سبكتكين التيز ومكران﴾

فى هذه السنة سير السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكرا الى التيز فملكها وما جاورها وسبب ذلك ان صاحبها معدان توفى وخلف ولدين أبا العساكر وعيسى فاستبد عيسى بالولاية والمال فسار أبو العساكر الى خراسان وطلب من مسعود النجدة فسير معه عسكرا وأمرهم باخذ البلاد من عيسى أو الاتفاق مع أخيه على طاعته فوصلوا اليها ودعوا عيسى الى الطاعة والموافقة فابى وجمع جمعا كثيرا بلغوا ثمانية عشر ألفا وتقدم اليهم فالتقوا فاستأمن كثير من أصحاب عيسى الى أخيه أبى العساكر فانهزم عيسى ثم عاد وحمل فى نفر من أصحابه فتوسط المعركة فقتل واستولى أبو العساكر على البلاد ونهبها ثلاثة أيام فاجحف باهلها

﴿ذكر ملك الروم مدينة الرها﴾

فى هذه السنة ملك الروم مدينة الرها وكان سبب ذلك ان الرها كانت بيد نصر الدولة بن مروان كما ذكرناه فلما قتل عطير الذى كان صاحبها شفع صالح بن مرداس صاحب حلب الى نصر الدولة ليعيد الرها الى ابن عطير والى ابن شبل بينهما نصفين فقبل شفاعته وسلمها اليهما وكان له فى الرها برجان حصينان أحدهما أكبر من الآخر فتسلم ابن عطير الكبير وابن شبل الصغير وبقيت المدينة معهما الى هذه السنة فراسل ابن عطير ارمانوس ملك الروم وباعه حصته من الرها بعشرين ألف دينار وعدة قرى من جملتها قرية تعرف الى الآن بسن ابن عطير وتسلموا البرج الذى له ودخلوا البلد فملكوه وهرب منه أصحاب ابن شبل وقتل الروم المسلمين وخربوا المساجد وسمع نصر الدولة الخبر فسير جيشا الى الرها فحصروها وفتحوها عنوة واعتصم من بها من الروم بالبرجين واحتمى النصارى بالبيعة التى لهم وهى من أكبر البيع وأحسنها عمارة فحصرهم المسلمون بها وأخرجوهم وقتلوا أكثرهم ونهبوا البلد وبقى الروم فى البرجين وسير اليهم عسكرا نحو عشرة آلاف مقاتل فانهزم أصحاب ابن مروان من بين أيديهم ودخلوا البلد وما جاورهم من بلاد المسلمين وصالحهم ابن وثاب النميرى على حران وسروج وحمل اليهم خراجا

﴿ذكر ملك مسعود بن محمود كرمان وعود عسكره عنها﴾

وفيها سارت عساكر خراسان الى كرمان فملكوها وكانت للملك أبى كاليجار فاحتمى عسكره بمدينة بردسير وحصرهم الخراسانيون فيها وجرى بينهم عدة وقائع وأرسلوا الى الملك أبى كاليجار يطلبون المدد فسير اليهم العادل بهرام بن مافنة فى عسكر كثيف ثم ان الذين ببردسير خرجوا الى الخراسانية فواقعوهم واشتد القتال وصبر والهم فاجلت الوقعة عن هزيمة الخراسانية وتبعهم الديلم حتى أبعدوا ثم عادوا الى بردسير ووصل العادل عقيب ذلك الى جيرفت وسير عسكره الى الخراسانية وهم باطراف البلاد فواقعوهم فانهزم الخراسانية ودخلوا المفازة عائدين الى خراسان وأقام العادل بكرمان الى ان أصلح أمورها وعاد الى فارس

﴿ذكر وفاة القادر بالله وشئ من سيرته وخلافة القائم بامر الله﴾

فى هذه السنة فى ذى الحجة توفى الامام القادر بالله أمير المؤمنين وعمره ست وثمانون سنة وعشرة

على قتل المتوكل دعا بباغر التركى وكان قد اصطنعه واتخذه وملأ عينه من الصلات وكان مقداما أهوج فقال له يا باغر أنت تعلم محبتى لك وتقديمى اياك وايثارى لك واحسانى اليك وانى قد صرت عندك فى حد من لا يعصى له أمر ولا يخرج عن محبته وأريد أن آمرك بشئ فعرفنى كيف قلبك فيه فقال أنت تعلم كيف أفعل فقل لى ماشئت حتى أفعله قال ان ابنى فارس قد أفسد على عملى وعمل على قتلى وسفك دمى وقد صح عندى ذلك منه قال فتريد منى ماذا قال أريد أن يدخل على غدا فالعلامة بيننا أن أضع قلنسوتى فى الارض فاذا أنا وضعتها فى الارض فاقتله قال نعم ولكن أخاف أن يبدو لك أو تجد فى نفسك على قال قد آمنك الله من ذلك فلما دخل فارس حضر باغر ووقف موقف الضارب فلم يزل يراعى بغا أن يضع قلنسوته فلم يفعل وظن انه نسى فغمزه بعينه أى افعل قال لا فلما لم ير العلامة وانصرف فارس قال له بغا اعلم أنى فكرت فى أنه حدث وانه ولد وقد رمت أن استخلصه هذه المرة فقال له باغر أنا قد سمعت وأطعت وأنت أعلم وما دبرت وقدرت عليه فيه صلاحه ثم قال له وههنا أمر أكبر من ذلك وأهم فعرفنى كيف تريد أن تكون فيه قال له قل ما شئت حتى أفعله قال أخى وصيف قد صح عندى انه يدبر على

أشهر وخلافته احدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر وعشرون يوما وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والاتراك فلما وليها القادر بالله أعاد جدتها وجدد ناموسها وألقى الله هيبته فى قلوب الخلق فاطاعوه أحسن طاعة وأتمها وكان حليما كريما خيرا يحب الخير وأهله ويأمر به وينهى عن الشر ويبغض أهله وكان حسن الاعتقاد صنف فيه كتابا على مذهب السنة ولما توفى صلى عليه ابنه القائم بامر الله وكان القادر بالله أبيض حسن الجسم كث اللحية طويلها يخضب وكان يخرج من داره فى زى العامة ويزور قبور الصالحين كقبر معروف وغيره واذا وصل اليه حال أمر فيه بالحق قال القاضى الحسين بن هرون كان بالكرخ ملك ليتيم وكان له فيه قيمة جيدة فارسل الى ابن حاجب النعمان وهو حاجب القادر يأمرنى ان أفك عنه الحجر ليشترى بعض أصحابه ذلك الملك فلم أفعل فارسل يستدعينى فقلت لغلامه تقدمنى حتى ألحقك وخفته فقصدت قبر معروف ودعوت الله ان يكفينى شره وهناك شيخ فقال لى على من تدعو فذكرت له ذلك ووصلت الى ابن حاجب النعمان فاغلظ لى فى القول ولم يقبل عذرى فاتاه خادم برقعة ففتحها وقرأها وتغير لونه ونزل من الشدة فاعتذر الى ثم قال كتبت الى الخليفة قصتى فقلت لا وعلمت ان ذلك الشيخ كان الخليفة وقيل كان يقسم افطاره كل ليلة ثلاثة اقسام فقسم كان يتركه بين يديه وقسم يرسله الى جامع الرصافة وقسم يرسله الى جامع المدينة يفرق على المقيمين فيهما فاتفق ان الفراش حمل ليلة الطعام الى جامع المدينة ففرقه على الجماعة فاخذوا الاشيابانه رده فلما صلوا المغرب خرج الشاب وتبعه الفراش فوقف على باب فاستطعم فاطعموه كسيرات فاخذها وعاد الى الجامع فقال له الفراش ويحك ألا تستحى ينفذ اليك خليفة الله بطعام حلال فترده وتخرج وتأخذ من الابواب فقال والله مارددته الا لانك عرضته على قبل المغرب وكنت غير محتاج اليه فلما احتجت طلبت فعاد الفراش فاخبر الخليفة بذلك فبكى وقال له راع مثل هذا واغتنم أخذه وأقم الى وقت الافطار وقال أبو الحسن الابهرى أرسلنى بهاء الدولة الى القادر بالله فى رسالة فسمعته ينشد

سبق القضاء بكل ما هو كائن * والله يا هذا لرزقك ضامن
تعنى بما يفنى وتترك مابه * تغنى كأنك للحوادث آمن
أوما ترى الدنيا ومصرع أهلها * فاعمل ليوم فراقها يا خائن
واعلم بانك لا أبالك فى الذى * أصبحت تجمعه لغيرك خازن
ياعامر الدنيا أتعمر منزلا * لم يبق فيه مع المنية ساكن
الموت شئ أنت تعلم انه * حق وأنت بذكره متهاون
ان المنية لاتؤامر من أتت * فى نفسه يوما ولا تستاذن

فقلت الحمد لله الذى وفق أمير المؤمنين لانشاد مثل هذه الابيات فقال بل لله المنة اذ ألزمنا بذكره ووفقنا لشكره ألم تسمع قول الحسن البصرى فى أهل المعاصى هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم ومناقبه كثيرة

﴿ ذكر خلافة القائم بامر الله ﴾

لما مات القادر بالله جلس فى الخلافة ابنه القائم بامر الله أبو جعفر عبد الله وجددت له البيعة وكان أبوه قد بايع له بولاية العهد سنة احدى وعشرين كما ذكرناه واستقرت الخلافة له وأول من بايعه الشريف أبو القاسم المرتضى وأنشده

فاما مضى جبل وانقضى * فمنك لنا جبل قد رسا

واما

وعلى رفقائى وان مكاننا قد ثقل عليه وانه عوّل على أن يقتلنا ويفنينا وينفرد بالامور قال فاذا تريد أن يصنع به قال افعل هذا فانه يصير الى غدا فالعلامة أن أنزل عن المصلى الذى يكون معى قاعدا عليه فاذا رأيتنى نزلت عنه فضع سيفك عليه واقتله قال نعم فلما صار وصيف الى بغا حضر باغر وقام مقام المستعد فلم ير العلامة حتى قام وصيف وانصرف قال فقال له بغا يا باغر انى فكرت فى انه أخى وأنى قد عاقدته وحلفت له فلم أستجز أن أفعل مادبرته ووصله وأعطاه ثم انه امسك عنه مدة مديدة ودعا به فقال يا باغر قد حضرت حاجة أكبر من الحاجة التى قدمتها فكيف قلبك قال قلبى على ماتحب فقل ماشئت حتى أفعله فقال هذا المنتصر قد صح عندى أنه على ايقاع التدبير على وعلى غيرى حتى يقتلنا وأريد أن أقتله فكيف ترى نفسك فى ذلك ففكر باغر فى ذلك ونكس رأسه وقال هذا لايجىء منه شئ قال وكيف قال يقتل الابن والاب باق اذا لا يستوى لكم شئ ويقتلكم أبوه كلكم به قال فما ترى عندك قال نبدأ بالاب أولا فنقتله ثم يكون أمر الصبى أيسر من ذلك فقال له ويحك ويفعل هذا ويتهيأ قال نعم أفعله وأدخل عليه حتى أقتله فجعل يردد عليه فيقول لا تفعل غيرها ذا ثم قال له

واما فجعنا ببدر التمام * فقد بقيت منه شمس الضحى
لنا حزن فى محل السرور * وكم ضحك فى خلال البكى
فيا صارما أغمدته يد * لنا بعدك الصارم المنتضى

وهى أكثر من هذا وأرسل القائم بامر الله قاضى القضاة أبا الحسن الماوردى الى الملك أبى كاليجار ليأخذ عليه البيعة ويخطب له فى بلاده فاجاب وبايع وخطب له فى بلاده وأرسل اليه هدايا جليلة وأموالا كثيرة

﴿ ذكر الفتنة ببغداد ﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول تجددت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعة وكان سبب ذلك ان الملقب بالمذكور أظهر العزم على الغزاة واستأذن الخليفة فى ذلك فاذن له وكتب له منشورا من دار الخلافة وأعطى علما فاجتمع له لفيف كثير فسار واجتاز بباب الشعير وطاق الحرانى وبين يديه الرجال بالسلاح فصاحوا بذكر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقالوا هذا يوم معاوى فنافرهم أهل الكرخ ورموهم وثارت الفتنة ونهبت دور اليهود لانهم قيل عنهم انهم أعانوا أهل الكرخ فلما كان الغد اجتمع السنة من الجانبين ومعهم كثير من الاتراك وقصدوا الكرخ فاحرقوا وهدموا الاسواق وأشرف أهل الكرخ على خطة عظيمة وأنكر الخليفة ذلك انكارا شديدا ونسب اليهم تخريق علامته التى مع الغزاة فركب الوزير فوقعت فى صدره آجرة فسقطت عمامته وقتل من أهل الكرخ جماعة وأحرق وخرب فى هذه الفتنة سوق العروس وسوق الصفارين وسوق الانماط وسوق الدقاقين وغيرها واشتد الامر فقتل العامة الكلالكى وكان ينظر فى المعونة واحرقوه ووقع القتال فى أصقاع البلد من جانبيه واقتتل أهل الكرخ ونهر طابق والقلائين وباب البصرة وفى الجانب الشرقى أهل سوق الثلاثاء وسوق يحيى وباب الطاق والاساكفة والرهادرة ودرب سليمان فقطع الجسر ليفرق بين الفريقين ودخل العيارون البلد وكثر الاستقفاء بها والعملات ليلا ونهارا وأظهر الجند كراهة الملك جلال الدولة وأرادوا قطع خطبته ففرق فيهم مالا وحلف لهم فسكنوا ثم عاودوا الشكوى الى الخليفة منه وطلبوا ان يأمر بقطع خطبته فلم يجبهم الى ذلك فامتنع حينئذ جلال الدولة من الجلوس وضرب النوبة أوقات الصلوات وانصرف الطبالون لانقطاع الجارى لهم ودامت هذه الحال الى عيد الفطر فلم يضرب بوق ولا طبل ولا اظهرت الزينة وزاد الاختلاط ثم حدث فى شوال فتنة بين أصحاب الاكسية وأصحاب الخلعات وهما شيعة وزاد الشر ودام الى ذى الحجة فنودى فى الكرخ باخراج العيارين فخرجوا واعترض أهل باب البصرة قوما من قم أرادوا زيارة مشهد على والحسين عليه السلام فقتلوا منهم ثلاثة نفر وامتنعت زيارة مشهد موسى بن جعفر

﴿ ذكر ملك الروم قلعة افامية ﴾

فى هذه السنة ملك الروم قلعة افامية بالشام وسبب ملكها ان الظاهر خليفة مصر سير الى الشام الدزبرى وزيره فملكه وقصد حسان بن المفرج الطائى فالح فى طلبه فهرب منه ودخل بلد الروم ولبس خلعة ملكهم وخرج من عنده وعلى رأسه علم فيه صليب ومعه عسكر كثير فسار الى افامية فكبسها وغنم مافيها وسبى أهلها واسرهم وسير الدزبرى الى البلاد يستنفر الناس للغزو

﴿ ذكر الوحشة بين بارسطغان وجلال الدولة ﴾

اجتمع اصاغر الغلمان هذه السنة الى جلال الدولة وقالوا قد هلكنا فقرا وجوعا وقد استبد

فادخل أنت فى أثرى فان قتلته والا فاقتلنى وضع سيفك على وقل أراد أن يقتل مولاه فعلم بغا حينئذ انه قاتله وتوجه له فى التدبير فى قتل المتوكل * وفى سنة سبع وأربعين توفيت شجاع أم المتوكل وصلى عليها المنتصر وذلك فى شهر ربيع الآخر ثم قتل المتوكل بعد وفاتها بستة أشهر ليلة الاربعاء لثلاث ساعات خلت من الليل وذلك لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وقيل لاربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين * وكان مولده بفم الصلح حدث البحترى قال اجتمعنا ذات يوم مع الندماء فى مجلس المتوكل فتذاكرنا أمر السيوف فقال بعض من حضر بلغنى يا أمير المؤمنين انه وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهندليس له نظير ولم ير مثله فامر المتوكل بكتاب الى عامل البصرة يطلبه بشرائه بما بلغ فنفذت الكتب على البريد وورد جواب عامل البصرة بان السيف اشتراه رجل من أهل اليمن فأمر المتوكل بالبعث الى اليمن بطلب السيف وابتياعه فنفذت الكتب بذلك قال البحترى فبينا نحن عند المتوكل اذ دخل عليه عبيد الله والسيف معه وعرفه انه ابتيع من صاحبه باليمن بعشرة آلاف درهم فسر بوجوده وحمد الله على ماسهل من أمره

القواد بالدولة والاموال عليك وعلينا وهذا بارسطغان وبلدرك قد أفقرانا وافقراك أيضا فلما
بلغهما ذلك امتنعا من الركوب الى جلال الدولة واستوحشا وأرسل اليهما الغلمان يطالبونهما
بجعلوهم فاعتذرا بضيق أيديهما عن ذلك وسارا الى المدائن فندم الاتراك على ذلك وأرسل اليهما
جلال الدولة مؤيد الملك الرخجى والمرتضى وغيرهما فرجعا وزاد تسحب الغلمان على جلال
الدولة الى ان نهبوا من داره فرشا وآلات ودواب وغير ذلك فركب وقت الهاجرة الى دار الخلافة
ومعه نفر قليل من الركابية والغلمان وجمع كثير من العامة وهو سكران فانزعج الخليفة من
حضوره فلما علم الحال أرسل اليه يأمره بالعود الى داره وبطيب قلبه فقبل قربوس سرجه ومسح
حائط الدار بيده وأمرها على وجهه وعاد الى داره والعامة معه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة قبل قاضى القضاة أبو عبد الله بن ماكولا شهادة أبى الفضل محمد بن عبد العزيز بن
الهادى والقاضى أبى الطيب الطبرى وأبى الحسين بن المهتدى وشهد عنده أبو القاسم بن بشران
وكان قد ترك الشهادة قبل ذلك وفيها فوض مسعود بن محمود بن سبكتكين امارة الرى وهمذان
والجبال الى تاش فراش وكتب له الى عامل نيسابور بانفاق الاموال على حشمه ففعل ذلك وسار
الى عمله واساء السيرة فيه وفيها فى رجب اخرج الملك جلال الدولة دوابه من الاصطبل وهى
خمس عشرة دابة وسيبها فى الميدان بغير سائس ولا حافظ ولا علف فعل ذلك لسببين احدهما عدم
العلف والثانى ان الاتراك كانوا يلتمسون دوابه ويطلبونها كثيرا فضجر منهم فاخرجها وقال هذه
دوابى منها خمس لمركوبى والباقى لاصحابى ثم صرف حواشيه وفراشيه واتباعه واغلق باب داره
لانقطاع الجارى له فثارت لذلك فتنة بين العامة والجند وعظم الامر وظهر العيارون وفيها عزل
عميد الدولة وزير جلال الدولة ووزر بعده أبو الفتح محمد بن الفضل بن اردشير فبقى أياما ولم يستقم
أمره فعزل ووزر بعده أبو اسحق ابراهيم بن أبى الحسين وهو ابن أخى أبى الحسين السهلى وزير
مأمون صاحب خوارزم فبقى فى الوزارة خمسة وخمسين يوما وهرب وفيها توفى عبد الوهاب بن
على بن نصر أبو نصر الفقيه المالكى بمصر وكان ببغداد ففارقها الى مصر عن ضائقة فاغناه المغاربة

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر وثوب الاجناد بجلال الدولة واخراجه من بغداد ﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول تجددت الفتنة بين جلال الدولة وبين الاتراك فاغلق بابه فجاءت
الاتراك ونهبوا داره وسلبوا الكتاب وأرباب الديوان ثيابهم وطلبوا الوزير أبا اسحق السهلى
فهرب الى حلة كمال الدولة غريب بن محمد وخرج جلال الدولة الى عكبرا فى شهر ربيع الآخر
وخطب الاتراك ببغداد للملك أبى كاليجار وأرسلوا اليه يطلبونه وهو بالاهواز فمنعه العادل بن
مافنة عن الاصعاد الى ان يحضر بعض قوادهم فلما رأوا امتناعه من الوصول اليهم أعادوا
خطبة جلال الدولة وساروا اليه وسألوه العود الى بغداد واعتذروا فعاد اليها بعد ثلاثة وأربعين
يوما ووزر له أبو القاسم بن ماكولا ثم عزل ووزر بعده عميد الدولة أبو سعد بن عبد الرحيم فبقى
وزيرا أياما ثم استتر وسبب ذلك ان جلال الدولة تقدم اليه بالقبض على أبى المعمر ابراهيم بن
الحسين البسامى طمعا فى ماله فقبض عليه وجعله فى داره فثار الاتراك وأرادوا منعه وقصدوا دار
الوزير وأخذوه وضربوه وأخرجوه من داره حافيا ومزقوا ثيابه وأخذوا عمامته وقطعوها وأخذوا
خواتيمه من يده فدميت أصابعه وكان جلال الدولة فى الحمام فخرج مرتاعا فركب وظهر لينظر

وانتضاه فاستحسنه وتكلم كل واحد منا بعجب وجعله تحت ثنى فراشه فلما كان من الغداة قال للفتح اطلب لى
غلاما تثق بنجدته وشجاعته أدفع له هذا السيف ليكون واقفا به على رأسى لا يفارقنى فى كل يوم مادمت جالسا قال فلم يستتم الكلام حتى أقبل باغر التركى فقال الفتح يا أمير المؤمنين هذا باغر التركى قد وصف لى بالشجاعة والبسالة وهو يصلح لما أراده أمير المؤمنين فدعا به المتوكل فدفع اليه السيف وأمر بما أراد وتقدم أن يزاد فى مرتبته وأن يضعف له الرزق قال البحترى فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا خرج من غمده من الوقت الذى دفع اليه الا فى الليلة التى ضربه فيها باغر بذلك السيف قال البحترى لقد رأيت من المتوكل فى الليلة التى قتل فيها عجبا وذلك اننا تذاكرنا أمر الكبر وما كانت تستعمله الملوك من الجبرية فجعلنا نخوض فى ذلك وهو يتبرأ منه ثم حول وجهه الى القبلة فسجد وعفر وجهه بالتراب خضوعا لله عز وجل ثم أخذ من ذلك التراب فنثره فى لحيته ورأسه وقال انما أنا عبد الله وان من صار الى التراب لحقيق أن يتواضع ولا يتكبر قال البحترى فتطيرت له من ذلك وانكرت ما فعله من نثره التراب على
رأسه ولحيته ثم قعد للشراب فلما عمل فيه غنى من حضره من المغنين صوتا استحسنه ثم التفت الى الفتح فقال يافتح ما

ما الخبر فاكب الوزير يقبل الارض ويذكر ما فعل به فقال جلال الدولة انا ابن بهاء الدولة وقد
فعل بى أكثر من هذا ثم أخذ من البسامى ألف دينار وأطلق واختفى الوزير

﴿ ذكر انهزام علاء الدولة بن كاكويه من عسكر مسعود بن محمود بن سبكتكين ﴾

قد ذكرنا انهزام علاء الدولة أبى جعفر من الرى ومسيره عنها فلما وصل الى قلعة فردجان أقام بها
لتندمل جراحه ومعه فرهاذ بن مرداويج كان قد جاءه مددا له وتوجه وامنها الى بروجرد فسير تاش
فراش مقدم عسكر خراسان جيشا الى علاء الدولة واستعمل عليهم على بن عمران فسار يقص أثر
علاء الدولة فلما قارب بروجرد صعد فرهاذ الى قلعة سليموه ومضى أبو جعفر الى سابور خواست
ونزل عند الاكراد الجورزقان وملك عسكر خراسان بروجرد وراسل فرهاذ الاكراد الذين مع على
ابن عمران واستمالهم فصاروا معه وأرادوا ان يفتكوا بعلى فبلغه الخبر فركب ليلا فى خاصته وسار
نحو همذان ونزل فى الطريق بقرية تعرف بكسب وهى منيعة فاستراح فيها فلحقه فرهاذ وعسكره
والاكراد الذين صاروا معه وحصروه فى القرية فاستسلم وأيقن بالهلاك فأرسل الله تعالى ذلك
اليوم مطرا وثلجا فلم يمكنهم المقام عليه لانهم كانوا جريدة بغير خيام ولا آلة الشتاء فرحلوا عنه
وراسل على بن عمران الامير تاش فراش يستنجده ويطلب العسكر الى همذان ثم اجتمع فرهاذ
وعلاء الدولة ببروجرد واتفقا على قصد همذان وسير علاء الدولة الى اصبهان وبها ابن أخيه يطلب
وأمره باحضار السلاح والمال ففعل وسار فبلغ خبره على بن عمران فسار اليه من همذان جريدة
فكبسه بجرباذقان وأسره وأسر كثيرا من عسكره وقتل منهم وغنم ما معه من سلاح ومال وغير ذلك
ولما سار على عن همذان دخلها علاء الدولة وملكها فظن ان عليا سار منهزما وسار علاء الدولة
من همذان الى كرج فأتاه خبر ابن أخيه فقت فى عضده وكان على بن عمران قد سار بعد الوقعة
الى اصبهان طامعا فى الاستيلاء عليها وعلى مال علاء الدولة وأهله فتعذر عليه ذلك ومنعه أهلها
والعسكر الذى فيها فعاد عنها فلقيه علاء الدولة وفرهاذ فاقتتلوا فانهزم منهما وأخذوا ما معه من
الاسرى الا أبا منصور بن أخى علاء الدولة فانه كان قد سيره الى تاش فراش وسار على من المعركة
منهزما نحو تاش فراش فلقيه بكرج فعاتبه على تاخره عنه واتفقا على المسير الى علاء الدولة وفرهاذ
وكان قد نزل بجبل عند بروجرد متحصنا فيه فافترق تاش وعلى وقصداه من جهتين أحدهما من
خلفه والآخر من الطريق المستقيم فلم يشعر الا وقد خالطه العسكر فانهزم علاء الدولة وفرهاذ
وقتل كثير من رجالهما فمضى علاء الدولة الى أصبهان وصعد فرهاذ الى قلعة سليموه فتحصن بها

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة توفى قدرخان ملك الترك بما وراء النهر وفيها ورد أحمد بن محمد المنكدرى الفقيه
الشافعى رسولا من مسعود بن محمود بن سبكتكين الى القائم بامر الله معزيا له بالقادر بالله وفيها
نقل تابوت القادر بالله الى المقبرة بالرصافة وشهده الخلق العظيم وحجاج خراسان وكان يوما مشهودا
وفيها كان بالبلاد غلاء شديد واستسقى الناس فلم يسقوا وتبعه وباء عظيم وكان عاما فى جميع البلاد
بالعراق والموصل والشام وبلد الجبل وخراسان وغزنة والهند وغير ذلك وكثر الموت فدفن فى
أصبهان فى عدة أيام أربعون ألف ميت وكثر الجدرى فى الناس فأحصى بالموصل انه مات به أربعة
آلاف صبى ولم تخل دار من مصيبة لعموم المصائب وكثرة الموت وممن جدر القائم بامر الله وسلم
وفيها جمع نائب نصر الدولة ابن مروان بالجزيرة جمعا نيف على عشرة آلاف رجل وغزا من
يقاربه من الارمن واوقع بهم وأثخن فيهم وغنم وسبى كثيرا وعاد ظافرا منصورا وفيها كان بين أهل

مابقى أحد سمع هذا الصوت من مخارق غيرى وغيرك ثم أقبل على البكاء قال البحترى فتطيرت من بكائه وقلت هذه
ثانية فانا فى ذلك اذ أقبل خادم من خدم قبيحة ومعه منديل وفيه خلعة وجهت بها اليه قبيحة فقال له الرسول يا أمير المؤمنين تقول لك قبيحة انى استعملت هذه الخلعة لامير المؤمنين واستحسنتها ووجهت بها لتلبسها قال فاذا فيه دراعة حمراء لم أر مثلها قط ومطرف خز أحمر كأنه دبق من رقته قال فلبس الخلعة والتحف المطرف قال فانى على ذلك اذ تحرك المتوكل فيه وقد كان التف عليه المطرف فجذبه جذبة فخرقه من طرفه الى طرفه قال فاخذه ولفه ودفعه الى خادم قبيحة الذى جاءه بالخلعة وقال قل لها احتفظى بهذا المطرف عندك ليكون كفنا لى عند وفاتى فقلت فى نفسى انا لله وانا اليه راجعون انقضت والله المدة وسكر المتوكل سكرا شديدا قال وكان من عادته أنه اذا تمايل عند سكره أن يقيمه الخدم الذين عند رأسه قال فبينما نحن كذلك ومضى نحو ثلاث ساعات من الليل اذ أقبل باغر ومعه عشرة نفر من الاتراك وهم متلثمون والسيوف فى أيديهم تبرق فى ضوء تلك الشمع فهجموا علينا وأقبلوا نحو المتوكل
حتى صعد باغر وآخر معه من الاتراك على السرير فصاح بهم الفتح ويلكم مولاكم فلما رآهم الغلمان ومن كان حاضرا من الجلساء

تونس من افريقية خاف فسار المعز بن باديس اليهم بنفسه فاصلح بينهم وسكن الفتنة وعاد وفيها اجتمع ناس كثير من الشيعة بافريقية وساروا الى أعمال نفطة فاستولوا على بلد منها وسكنوه فجرد اليهم المعز عسكرا فدخلوا البلاد وحاربوا الشيعة وقتلوهم أجمعين وفيها خرجت العرب على حاج البصرة ونهبوهم وحج الناس من سائر البلاد الا من العراق وفيها توفي أبو الحسن بن رضوان المصري النحوي في رجب وفيها قتل الملك أبو كاليجار صندلا الخصي وكان قد استولى على المملكة وليس لابي كاليجار معه غير الاسم وفيها توفي علي بن أحمد بن الحسن بن محمد بن نعيم أبو الحسن النعيمي البصري حدث عن جماعة وكان حافظا شاعرا فقيها على مذهب الشافعي

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر عود مسعود الى غزنة والفتن بالري وبلد الجبل ﴾

في هذه السنة في رجب عاد الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين من نيسابور الى غزنة وبلاد الهند وكان سبب ذلك انه لما كان قد استقر له الملك بعد أبيه أقر ما كان قد فتحه أبوه من الهند نائبا يسمى أحمد ينالتكين وقد كان أبوه محمود استنابه بها ثقة بجلده ونهضته فرسخت قدمه فيها وظهرت كفايته ثم ان مسعودا بعد فراغه من تقرير قواعد الملك والقبض على عمه يوسف والمخالفين له سار الى خراسان عازما على قصد العراق فلما أبعد عصى ذلك النائب بالهند فاضطر مسعود الى العود فارسل الى علاء الدولة بن كاكويه وأمره على اصبهان بقرار يؤديه كل سنة وكان علاء الدولة قد ارسل يطلب ذلك فاجابه اليه وأقر ابن قابوس بن وشمكير على جرجان وطبرستان عن مال يؤديه اليه وسير أبا سهل الحمدوني الى الري للنظر في أمور هذه البلاد الجبلية والقيام بحفظها وعاد الى الهند فاصلح الفاسد وأعاد المخالف الى طاعته وفتح قلعة حصينة تسمى سرستي على مانذكره وقد كان أبوه حصرها غير مرة فلم يتهيأ له فتحها ولما سار أبو سهل الى الري أحسن الى الناس وأظهر العدل فازال الاقساط والمصادرات وكان تاش فراش قد ملأ البلاد ظلما وجورا حتى تمنى الناس الخلاص منهم ومن دولتهم وخربت البلاد وتفرق أهلها فلما ولي الحمدوني وأحسن وعدل عادت البلاد فعمرت والرعية أمنت وكان الارجاف شديدا بالعراق لما كان الملك مسعود بنيسابور فلما عاد سكن الناس واطمأنوا

﴿ ذكر ظفر مسعود بصاحب ساوة وقتله ﴾

فيها قبض عسكر السلطان مسعود بن محمود على شهريوش بن ولكين فامر به مسعود فقتل وصلب على سور ساوة وكان سبب ذلك ان شهريوش كان صاحب ساوة وقم وتلك النواحي فلما اشتغل مسعود بأخيه محمد بعد موت والده جمع شهريوش جمعا وسار الى الري محاصرا لها فلم يتم ما أراده وجاءت العساكر فعاد عنها ثم هذه السنة اعترض الحجاج الواردين من خراسان وعمهم اذاه وأخذ منهم مالم تجر به عادة وأساء اليهم وبلغ ذلك الى مسعود فتقدم الى تاش فراش والى أبي الطيب طاهر بن عبد الله خليفته معه بطلب شهريوش وقصده أين كان واستنفاد الوسع في قتاله فسارت العساكر في أثره فاحتمى بقلعة تقارب قم تسمى فستق وهي حصينة عالية المكان وثيقة البنيان فاحاطوا به وأخذوه وكتبوا الى مسعود في أمره فامرهم بصلبه على سور ساوة

﴿ ذكر استيلاء جلال الدولة على البصرة وخروجها عن طاعته ﴾

في هذه السنة سارت عساكر جلال الدولة مع ولده الملك العزيز فدخلوا البصرة في جمادى الاولى وكان سبب ذلك ان بختيار متولي البصرة توفي فقام بعده ظهير الدين أبو القاسم خال ولده

والندماء تطايروا على وجوههم فلم يبق أحد في المجلس غير الفتح وهو يحاربهم ويمانعهم قال البحتري فسمعت صيحة المتوكل وقد ضربه باغر بالسيف الذي كان المتوكل دفعه اليه على جانبه الايمن فقده الى خاصرته ثم ثناه على جانبه الايسر ففعل مثل ذلك وأقبل الفتح يمانعهم عنه فبعجه واحد منهم بالسيف الذي كان معه في بطنه فاخرجه من متنه وهو صابر لا يتنحى ولا يزول قال البحتري فما رأيت أحدا كان أقوى نفسا ولا أكرم منه ثم طرح بنفسه على المتوكل فماتا جميعا فلفا في البساط الذي قتلا فيه وطرحا ناحية فلم يزالا على حالتهما في ليلتهما وعامة نهارهما حتى استقرت الخلافة للمنتصر فأمر بهما فدفنا جميعا وقيل ان قبيحة كفنته بذلك المطرف المخرق بعينه وقد كان بغا الصغير توحش من المتوكل فكان المنتصر يجتذب قلوب الاتراك وكان أوتامش غلام الواثق مع المنتصر فكان المتوكل يبغضه لذلك وكان أوتامش يجتذب قلوب الاتراك الى المنتصر وعبيد الله بن خاقان الوزير والفتح بن خاقان منحرفين عن المنتصر مائلين الى المعتز وكانا قد أوغرا قلب المتوكل على المنتصر فكان المنتصر لا يبعد أحد من الاتراك الا اجتذبه فاستمال قلوب الاتراك وكثير من الفراعنة والاشروسية الى أن كان من الامر ماذكرناه وهذا ما اخترناه في هذا الموضع

الجلد كان فيه وكفايته وهو في طاعة الملك أبي كاليجار ودام كذلك فقيل لابي كاليجار ان أبا القاسم ليس لك من طاعته غير الاسم ولو رمت عزله لتعذر عليك وبلغ ذلك أبا القاسم فاستعد للامتناع وأرسل أبو كاليجار اليه ليعزله فامتنع وأظهر طاعة جلال الدولة وخطب له وأرسل الى ابنه وهو بواسط يطلبه فانحدر اليه في عساكره التي كانت معه بواسط ودخلوا البصرة وأقاموا بها وأخرجوا عساكر أبي كاليجار منها وبقي الملك العزيز بالبصرة مع أبي القاسم الى ان دخلت سنة خمس وعشرين وليس له معه أمر والحكم الى أبي القاسم ثم انه أراد القبض على بعض الديلم فهرب ودخل دار الملك العزيز مستجيرا فاجتمع الديلم اليه وشكوا من أبي القاسم فصادف شكواهم صدرا موغرا حنقا عليه لسوء صحبته فأجابهم الى ما أرادوه من اخراجه عن البصرة واجتمعوا وعلم ابو القاسم بذلك فامتنع بالابلة وجمع أصحابه وجرى بين الفريقين حروب كثيرة أجلت عن خروج العزيز عن البصرة وعوده الى واسط وعود أبي القاسم الى طاعة أبي كاليجار

﴿ ذكر اخراج جلال الدولة من دار المملكة واعادته اليها ﴾

في هذه السنة في رمضان شغب الجند على جلال الدولة وقبضوا عليه ثم أخرجوه من داره ثم سألوه ليعود اليها فعاد وسبب ذلك انه استقدم الوزير أبا القاسم من غير أن يعلموا فلما قدم ظنوا انه انما ورد للتعرض الى أموالهم ونعمهم فاستوحشوا واجتمعوا الى داره وهجموا عليه وأخرجوه الى مسجد هناك فوكلوا به فيه ثم انهم أسمعوه ما يكره ونهبوا بعض ما في داره فلما وكلوا به جاء بعض القواد في جماعة من الجند ومن انضاف اليه من العامة والعيارين فاخرجه من المسجد وأعاده الى داره فنقل جلال الدولة ولده وحرمه وما بقي له الى الجانب الغربي وعبر هو في الليل الى الكرخ فلقيه أهل الكرخ بالدعاء فنزل بدار المرتضى وعبر الوزير أبو القاسم معه ثم ان الجند اختلفوا فقال بعضهم نخرجه من بلادنا ونملك غيره وقال بعضهم ليس من بني بويه غيره وغير أبي كاليجار وذلك قد عاد الى بلاده ولا بد من مداراة هذا فأرسلوا اليه يقولون له نريد ان تنحدر عنا الى واسط وأنت ملكنا وتترك عندنا بعض أولادك الاصاغر فأجابهم الى ذلك وأرسل سرا الى الغلمان الاصاغر فاستمالهم والى كل واحد من الاكابر وقال انما أثق بك واسكن اليك واستمالهم أيضا فعبروا اليه وقبلوا الارض بين يديه وسألوه العود الى دار الملك فعاد وحلف لهم على اخلاص النية والاحسان اليهم وحلفوا له على المناصحة واستقر في داره

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة توفي الوزير أحمد بن الحسن الميمندي وزير مسعود بن سبكتكين ووزر بعده أبو نصر أحمد بن علي بن عبد الصمد وكان وزير هرون التونتاش صاحب خوارزم ووزر بعده لهرون ابنه عبد الجبار وفيها ثار العيارون ببغداد وأخذوا أموال الناس ظاهرا وعظم الامر على أهل البلد وطمع المفسدون الى حد ان بعض القواد الكبار أخذ أربعة من العيارين فجاء عقيدهم وأخذ من أصحاب القائد أربعة وحضر باب داره ودق عليه الباب فكلمه من داخل فقال العقيد قد أخذت من أصحابك أربعة فان أطلقت من عندك أطلقت أنا من عندي والا قتلتهم وأحرقت دارك فأطلقهم القائد وفيها تأخر الحاج من خراسان وفيها خرج حجاج البصرة بخفير فغدر بهم ونهبهم وفيها في جمادى الاولى توفي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البيضاوي الفقيه الشافعي عن نيف وثمانين سنة وفيها في شوال توفي أبو الحسن بن السماك القاضي عن خمس وتسعين سنة

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة ﴾

اذ كان أحسن ألفاظا وأقرب مأخذا وقد أتينا على جميع ما قيل في ذلك في الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اكثاره في هذا الكتاب ولم يكن المتوكل يوما أشد سرورا منه في اليوم الذي قتل فيه فلقد أصبح في هذا اليوم نشيطا فرحا مسرورا وقال كأني أجد حركة الدم فاحتجم في ذلك اليوم وأحضر الندماء والملهين فاشتد سروره وكثر فرحه فانقلب ذلك الفرح ترحا والسرور حزنا فمن ذا الذي يغتر بالدنيا ويسكن اليها ويأمن الغدر والنكبات فيها الا جاهل مغرور فهي دار لا يدوم نعيمها ولا يتم فيها سرور ولا يؤمن فيها محذور قد قرنت منها السراء بالضراء والشدة بالرخاء والنعيم بالبلوى ثم يتبعها الزوال فمع نعيمها البؤس ومع سرورها الحزن ومع محبوبها المكروه ومع صحتها السقم ومع حياتها الموت ومع فرحاتها الترحات ومع لذاتها الآفات عزيزها ذليل وقويها مهين وغنيها محروب وعظيمها مسلوب ولا يبقى الا الحي الذي لا يموت ولا يزول ملكه وهو العزيز الحكيم وفي ذلك يقول البحتري في غدر المنتصر بأبيه وفتكه به من قصيدة له

أكان ولي العهد أضمر غدره ❊ فمن عجب أن ولي العهد غادره
فلا ملك الباقي تراث الذي مضى ❊ ولا حملت ذاك الدعاء منابره

وكانت أيام المتوكل في

﴿ذكر فتح قلعة سرستى وغيرها من بلد الهند﴾

في هذه السنة فتح السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين قلعة سرستى وما جاورها من بلد الهند وكان سبب ذلك ما ذكرناه من عصيان نائبه بالهند أحمد ينالتكين عليه ومسيره اليه فلما عاد أحمد الى طاعته أقام بتلك البلاد طويلا حتى أمنت واستقرت وقصد قلعة سرستى وهي من أمنع حصون الهند وأحصنها فحصرها وقد كان أبوه حصرها غير مرة فلم يتهيأ له فتحها فلما حصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالا على الصلح فأجابه الى ذلك وكان فيها قوم من التجار المسلمين فعزم صاحبها على أخذ أموالهم وحملها الى مسعود من جملة القرار عليه فكتب التجار رقعة في نشابة ورموا بها اليه يعرفونه فيها ضعف الهنود بها وانه ان صابرهم ملكها فرجع عن الصلح الى الحرب وطم خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره وفتح الله عليه وقتل كل من فيها وسبى ذراريهم وأخذ ما جاورها من البلاد وكان عازما على طول المقام والجهاد فأتاه من خراسان خبر الغز فعاد على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر حصر قلعة بالهند أيضا﴾

لما ملك مسعود قلعة سرستى رحل عنها الى قلعة نغسى فوصل اليها عاشر صفر وحصرها فرآها عالية لا ترام يرتد البصر دونها وهو حسير الا انه أقام عليها يحصرها فخرجت عجوز ساحرة فتكلمت باللسان الهندي طويلا وأخذت مكنسة فبلتها بالماء ورشته منها الى جهة عسكر المسلمين فمرض وأصبح ولا يقدر أن يرفع رأسه وضعفت قوته ضعفا شديدا فرحل عن القلعة لشدة المرض فحين فارقها زال ما كان به وأقبلت الصحة والعافية اليه وسار نحو غزنة

﴿ذكر الفتنة بنيسابور﴾

لما اشتد أمر الاتراك بخراسان على ما نذكره تجمع كثير من المفسدين وأهل العيث والشر وكان أول من أثار الشر أهل ابيورد وطوس واجتمع معهم خلق كثير وساروا الى نيسابور لينهبوها وكان الوالي عليها قد سار عنها الى الملك مسعود فخافهم خوفا عظيما وأيقنوا بالهلاك فبينما هم يترقبون البوار والاستئصال وذهاب الانفس والاموال اذ وصل اليهم أمير كرمان في ثلثمائة فارس قدم متوجها الى مسعود أيضا فاستغاث به المسلمون وسألوه ان يقيم عندهم ليكف عنهم الاذى فأقام عليهم وقاتل معهم وعظم الامر واشتدت الحرب وكان الظفر له ولاهل نيسابور فانهزم أهل طوس وابيورد ومن تبعهم وأخذتهم السيوف من كل جانب وعمل بهم أمير كرمان أعمالا عظيمة وأثخن فيهم وأسر كثيرا منهم وصلبهم على الاشجار وفي الطرق فقيل انه عدم من أهل طوس عشرون ألف رجل ثم ان أمير كرمان أحضر زعماء قرى طوس وأخذ أولادهم واخوانهم وغيرهم من أهاليهم رهائن فأودعهم السجون وقال ان اعترض منكم واحد الى أهل نيسابور أو غيرهم أو قطع طريقا فأولادكم واخوانكم ورهائنكم مأخوذون بجناياتكم فسكن الناس وفرج الله عن أهل نيسابور بما لم يكن في حسابهم

﴿ذكر الحرب بين علاء الدولة وعسكر خراسان﴾

في هذه السنة اجتمع علاء الدولة بن كاكويه وفرهاذ بن مرداويج واتفق على قتال عسكر مسعود ابن محمود بن سبكتكين وكانت العساكر قد خرجت من خراسان مع أبي سهل الحمدوني فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان ثم انهزم علاء الدولة وقتل فرهاذ واحتمى علاء الدولة بجبال بين اصبهان وجرباذقان ونزل عسكر مسعود بكرج وأرسل أبو سهل الى علاء الدولة يقول له

حسنها ونضارتها ورفاهية العيش بها ووجد الخاص والعام لها ورضاهم عنها أيام سراء لا ضراء كما قال بعضهم كانت خلافة المتوكل أحسن من أمن السبيل ورخص السعر وأماني الحب وأيام الشباب وقد أخذ هذا بعض الشعراء فقال

قربك أشهى موقعا عندنا من لين السعر وأمن السبيل

ومن ليالي الحب موصولة بطيب أيام الشباب الجميل

قال المسعودي وقد قيل انه لم تكن النفقات في عصر من الاعصار ولا وقت من الاوقات مثلها في أيام المتوكل ويقال انه انفق على الهاروني والجوسق الجعفري أكثر من مائة ألف ألف درهم هذا مع كثرة الموالي والجند والشاكرية ودرور العطاء لهم وجليل ما كانوا يقبضونه في كل شهر من الجوائز والهبات ويقال انه كان له أربعة آلاف سرية وطئهن كلهن ومات وفي بيوت الاموال أربعة آلاف ألف دينار وسبعة آلاف ألف درهم ولا يعلم أحد في صناعته في جد ولا هزل الا وقد حظي في دولته وسعد بأيامه ووصل اليه نصيب وافر من ماله وذكر محمد بن أبي عون قال حضرت مجلس المتوكل على الله في يوم نيروز وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وبين يديه الحسن بن الضحاك الخليع الشاعر فغمز المتوكل خادما على

ليبذل المال ويراجع الطاعة ليقره على ما بقي من البلاد ويصلح حاله مع مسعود فترددت الرسل فلم يستقر بينهم أمر فسار أبو سهل الى اصبهان فملكها وانهزم علاء الدولة من بين يديه لما خاف الطلب الى ايذج وهي للملك أبي كاليجار ولما استولى أبو سهل على اصبهان نهب خزائن علاء الدولة وأمواله وكان أبو علي بن سينا في خدمة علاء الدولة فأخذت كتبه وحملت الى غزنة فجعلت في خزائن كتبها الى ان أحرقها عساكر الحسين بن الحسين الغوري على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر الحرب بين نور الدولة دبيس وأخيه ثابت﴾

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين دبيس بن علي بن مزيد وأخيه أبي قوام ثابت بن علي بن مزيد وسبب ذلك ان ثابتا كان يعتضد بالبساسيري ويتقرب اليه فلما كانت سنة أربع وعشرين وأربعمائة سار البساسيري معه الى قتال أخيه دبيس فدخلوا النيل واستولوا عليه وعلى أعمال نور الدولة فسير نور الدولة اليهم طائفة من أصحابه فقتلوهم فانهزموا فلما رأى دبيس هزيمة أصحابه سار عن بلده وبقي ثابت فيه الى الآن فاجتمع دبيس وأبو المغرا عناز بن المغرا وبنو أسد وخفاجة وأعانه أبو كامل منصور بن قراد وساروا جريدة لاعادة دبيس الى بلده وأعماله وتركوا حللهم بين خصا وحربى فلما ساروا لقيهم ثابت عند جرجرايا وكانت بينهم حرب قتل فيها جماعة من الفريقين ثم تراسلوا واصطلحوا ليعود دبيس الى أعماله ويقطع أخاه ثابتا اقطاعا وتحالفوا على ذلك وسار البساسيري نجدة لثابت فلما وصل الى النعمانية سمع بصلحهم فعاد الى بغداد

﴿ذكر ملك الروم قلعة بركوى﴾

هذه قلعة متاخمة للارمن في يد أبي الهيجاء بن ربيب الدولة ابن أخت وهسوذان بن مملان فتنافر هو وخاله فأرسل خاله الى الروم فأطمعهم فيها فسير الملك اليها جمعا كثيرا فملكوها فبلغ الخبر الى الخليفة فأرسل الى أبي الهيجاء وخاله من يصلح بينهما ليتفقا على استعادة القلعة فاصطلحا ولم يتمكنا من استعادتها واجتمع اليهما خلق كثير من المتطوعة فلم يقدروا على ذلك لثبات قدم الروم بها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة استوزر جلال الدولة عميد الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم وهي الوزارة الخامسة وكان قبله في الوزارة ابن ماكولا ففارقها وسار الى عكبرا فرده جلال الدولة الى الوزارة وعزل أبا سعد فبقي أياما ثم فارقها الى اوانا وفيها استخاف البساسيري في حماية الجانب الغربي ببغداد لان العيارين اشتد أمرهم وعظم فسادهم وعجز عنهم نواب السلطان فاستعملوا البساسيري لكفايته ونهضته وفيها توفي أبو سنان غريب بن محمد بن مقن في شهر ربيع الآخر في كرخ سامرا وكان يلقب سيف الدولة وكان قد ضرب دراهم سماها السيفية وقام بالامر بعده ابنه أبو الريان وخلف خمسمائة ألف دينار وأمر فنودي قد أحللت كل من لي عنده شيء فحللوني كذلك فحللوه وكان عمره سبعين سنة وفيها توفي بدران بن المقلد وقصد ولده عمه قرواشا فأقر عليه حاله وماله وولايته نصيبين وكان بنو نمير قد طمعوا فيها وحصروها فسار اليهم ابن بدران فدفعهم عنها وفيها توفي ارمانوس ملك الروم وملك بعده رجل صيرفي ليس من بيت الملك وانما بنت قسطنطين اختارته وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام وكان أكثرها بالرملة فان أهلها فارقوا منازلهم عدة أيام وانهدم منها نحو ثلثها وهلك تحت الهدم خلق كثير وفيها كان بافريقية مجاعة شديدة وغلاء وفيها قبض قرواش على البرجمي العيار وغرقه وكان سبب ذلك ان قرواشا قبض على ابن القلعي عامل عكبرا فحضر البرجمي العيار عند قرواش مخاطبا في أمره لمودة بينهما فأخذه قرواش وقبض عليه فبذل

رأسه حسن الصورة أن يسقي الحسن كأسا ويحييه بتفاحة عنبر ففعل ذلك ثم التفت المتوكل الى الحسن فقال قل فيه أبياتا فأنشأ يقول

وكالدرة البيضاء حيا بعنبر من الورد يسعى في قراطيس كالورد

له عبثات عند كل تحية بعينيه تستدعي الخلي الى الوجد

تمنيت أن أسقى بعينيه شربة تذكرني ما قد نسيت من العهد

سقى الله دهرا لم أبت فيه ساعة من الليل الا من حبيب على وعد

قال المتوكل أحسنت والله يعطى لكل بيت مائة دينار فقال محمد بن عبد الله ولقد أجاب فأسرع وذكر فأوجع ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاولها يد لأجزلت له العطاء ولو بالطارف والتالد فقال المتوكل عند ذلك يعطى لكل بيت ألف دينار قال ويروى أنه لما أتي بمحمد بن المغيث الى المتوكل وقد دعا له بالنطع والسيف قال له يا محمد ما دعاك الى المشاقة قال الشقوة يا أمير المؤمنين وأنت ظل الله الممدود بينه وبين خلقه ان لي فيك لظنين أسبقهما الى قلبي أولاهما بك وهو العفو عن عبدك وأنشأ يقول

أبى الناس الا أنك اليوم قاتلي * امام الهدى والعفو بالحر أجمل

وهل أنا الا جبلة من خطيئة * وعفوك من نور النبوة مجمل

تضاءل ذنبي عند عفوك قلة

* فمن لى بفضل منك والمن أفضل * لانك خير السابقين الى العلا * وانك خير الفعلتين ستفعل

مالا كثيرا ليطلقه فلم يفعل وغرقه وكان هذا البرجمى قدعظم شانه وزادشره وكبس عدة مخازن بالجانب الشرقى وكبس دار المرتضى ودار ابن عديسة وهى مجاورة دار الوزير وثار العامة بالخطيب يوم الجمعة وقالوا اما ان تخطب للبرجمى والا فلا تخطب لسلطان ولا غيره وأهلك الناس ببغداد وحكاياته كثيرة وكان مع هذا فيه فتوة وله مروأة لم يعرض الى امرأة ولا الى من يستسلم اليه وفيها هبت ريح سوداء بنصيبين فقلعت من بساتينها كثيرا من الاشجار وكان فى بعض البساتين قصر مبنى بجص وآجر وكلس فقلعته من أصله وفيها كثر الموت بالجوانيق فى كثير من البلاد العراق والشام والموصل وخوزستان وغيرها حتى كانت الدار يسد بابها الموت أهلها وفيها فى ذى القعدة انقض كوكب هال منظره الناس وبعده بليلتين انقض شهاب آخر أعظم منه كانه البرق ملاصق الارض وغلب على ضوء المشاعل ومكث طويلا حتى غاب أثره وفيها توفى أبو العباس الابيوردى الفقيه الشافعى قاضى البصرة وأبو بكر محمد بن أحمد بن غالب البرقانى المحدث الامام المشهور وكانت وفاته فى رجب والحسين بن عبد الله بن يحيى أبو على البندنيجى الفقيه الشافعى وهو من أصحاب أبى حامد الاسفراينى وعبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحرث بن أسد أبو الفرج التميمى الفقيه الحنبلى

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة)

(ذكر حال الخلافة والسلطنة ببغداد)

فى هذه السنة انحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد حتى أن بعض الجند خرجوا الى قرية يحيى فلقيهم اكراد فاخذوا دوابهم فعادوا الى قراح الخليفة القائم بأمر الله فنهبوا شيأ من ثمرته وقالوا للعاملين فيه أنتم عرفتم حال الاكراد ولم تعلمونا فسمع الخليفة الحال فعظم عليه ولم يقدر جلال الدولة على أخذ أولئك الاكراد لعجزه ووهنه واجتهد فى تسليم الجند الى نائب الخليفة فلم يمكنه ذلك فتقدم الخليفة الى القضاة بترك القضاء والامتناع عنه والى الشهود بترك الشهادة والى الفقهاء بترك الفتوى فلما رأى جلال الدولة ذلك سأل أولئك الاجناد ليجيبوه الى ان يحملهم الى ديوان الخلافة ففعلوا فلما وصلوا الى دار الخلافة أطلقوا وعظم أمر العيارين وصاروا يأخذون الاموال ليلا ونهارا ولا مانع لهم لان الجند يحمون على السلطان ونوابه والسلطان عاجز عن قهرهم وانتشر العرب فى البلاد فنهبوا النواحى وقطعوا الطريق وبلغوا الى أطراف بغداد حتى وصلوا الى جامع المنصور وأخذوا ثياب النساء فى المقابر

(ذكر اظهار أحمد ينالتكين العصيان وقتله)

فى سنة خمس وعشرين عاد مسعود بن محمود من الهند لقتال الغز كما ذكرناه فعاد احمد ينالتكين الى اظهار العصيان ببلاد الهند وجمع الجموع وقصد البلاد بالاذى فسير اليه مسعود جيشا كثيفا وكانت ملوك الهند تمنعه من الدخول الى بلادهم وسد منافذ هربه ولما وصل الجيش المنفذ اليه قاتلهم فانهزم ومضى هاربا الى الملتان وقصد بعض ملوك الهند بمدينة بهاطية ومعه جمع كثير من عساكره الذين سلموا فلم يكن لذلك الملك قدرة على منعه وطلب منه سفنا ليعبر نهر السند فاحضر له السفن وكان فى وسط النهر جزيرة ظنها احمد ومن معه متصلة بالبر من الجانب الآخر ولم يعلموا ان الماء محيط بها فتقدم ملك الهند الى أصحاب السفن بانزالهم فى الجزيرة والعود عنهم ففعلوا ذلك وبقى أحمد ومن معه فيها وليس معهم طعام الا ما معهم فبقوا بها تسعة أيام ففنى زادهم وأكلوا دوابهم وضعفت قواهم فارادوا خوض الماء فلم يتمكنوا منه لعمقه وشدة الوحل فيه فعبر الهندى

فقال المتوكل أفعل خيرهما وأمن عليك ارجع الى منزلك قال ابن المغيث يا أمير المؤمنين الله أعلم حيث يجعل رسالته ولما قتل المتوكل رثته الشعراء فمن رثاه على بن الجهم فقال من قصيدة له

عبيد أمير المؤمنين قتلنه
وأعظم آفات الملوك عبيدها

بنى هاشم صبرا فكل مصيبة
سيبلى على وجه الزمان جديدها

وفيه يقول ابن يزيد المهلبى من قصيدة طويلة

جاءت منيته والعين هاجعة
هلا أتته المنايا والقنا قصد

خليفة لم ينل ما ناله أحد
ولم يصغ مثله نور ولا جسد

وفيه يقول بعض الشعراء

سرت لبلا منيته اليه
وقد خلى مناعمه وناما

فقالت قم فقام وكم أقامت
أناملك الى هلك قتاما

وفيه يقول الحسن بن الضحاك الخليع

ان الليالى لم تحسن الى أحد
الا أساءت اليه بعد احسان

أما رأيت خطوب الدهر ما فعلت * بالهاشمى وبالفتح بن خاقان

وذكر على بن الجهم قال لما افضت الخلافة الى أمير المؤمنين جعفر المتوكل

على الله اهدى اليه الناس على أقدارهم واهدى اليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيفة ووصيف وفى الهدية

اليهم عسكره فى السفن وهم على تلك الحال فاوقعوا بهم وقتلوا أكثرهم وأخذوا اولاد الاحمد أسيرا فلما رآه أحمد على تلك الحال قتل نفسه واستوعب أصحابه القتل والاسر والغرق

(ذكر ملك مسعود جرجان وطبرستان)

كان الملك مسعود قد أقر دارا بن منوجهر بن قابوس على جرجان وطبرستان وتزوج أيضا بابنة أبى كاليجار القوهى مقدم جيش دارا والقيم بتدبير أمره استمالة له فلما سار الى الهند منعوا ما كان استقر عليهم من المال وراسلوا علاء الدولة بن كاكويه وفرهاذ بالاجتماع على العصيان والمخالفة وقوى عزمهم على ذلك ما بلغهم من خروج الغز بخراسان فلما عاد مسعود من الهند وأجلى الغز وهزمهم سار الى جرجان فاستولى عليها وملكها وسار الى آمل طبرستان وقد فارقها أصحابها واجتمعوا بالغياض والاشجار الملتفة الضيقة المدخل الوعرة المسلك فسار اليهم واقتحمها عليهم فهزمهم وأسر منهم وقتل ثم راسله دارا وأبو كاليجار وطلبوا منه العفو وتقرير البلاد عليهم فاجابهم الى ذلك وحملوا من الاموال ما كان عليهم وعاد الى خراسان

(ذكر مسير ابن وثاب والروم الى بلد ابن مروان)

فيها جمع ابن وثاب النميرى جمعا كثيرا من العرب وغيرهم واستنجد من بالرها من الروم فسار معه منهم جيش كثيف وقصد بلد نصر الدولة بن مروان ونهب وأخرب فجمع ابن مروان جموعه وعساكره واستمد قرواشا وغيره وأتته الجنود من كل ناحية فلما رأى ابن وثاب ذلك وانه لا يتم له غرض عاد عن بلاده وأرسل ابن مروان الى ملك الروم يعاتبه على نقض الهدنة وفسخ الصلح الذى كان بينهما وراسل أصحاب الاطراف يستنجدهم للغزاة فكثر جمعه من الجند والمتطوعة وعزم على قصد الرها ومحاصرتها فوردت رسل ملك الروم يعتذر ويحلف انه لم يعلم بما كان وأرسل الى عسكره الذين بالرها والمقدم عليهم ينكر ذلك وأهدى الى نصر الدولة هدية سنية فترك ما كان عازما عليه من الغزو وفرق العساكر المجتمعة عنده

(ذكر عدة حوادث)

فيها خرج أبو سعد وزير جلال الدولة الى أبى الشوك مفارقا للوزارة ووزر بعده أبو القاسم وكثرت مطالبات الجند فهرب فاخرج وحمل الى دار المملكة مكشوف الرأس فى قميص خفيف وكانت وزارته هذه شهرين وثمانية أيام وعاد أبو سعد بن عبد الرحيم الى الوزارة وفيها فى ذى الحجة وثب الحسن بن أبى البركات بن ثمال الخفاجى بعمه على بن ثمال أمير بنى خفاجة فقتله وقام بامارة بنى خفاجة وفيها جمعت الروم وسارت الى ولاية حلب فخرج اليهم صاحبها شبل الدولة بن صالح بن مرداس فتصافوا واقتتلوا فانهزمت الروم وتبعهم الى عزاز وغنم غنائم كثيرة وعاد سالما وفيها قصدت خفاجة الكوفة ومقدمهم الحسن بن أبى البركات بن ثمال فنهبوها وأرادوا تخريبها ومنعوا النخل من الماء فهلك اكثره وفيها هرب الزكى أبو على النهرسابسى من محبسه وكان قرواش قد اعتقله بالموصل فبقى سنتين الى الآن ولم يحج هذه السنة من العراق أحد وفى هذه السنة توفى أحمد بن كليب الاديب الشاعر الاندلسى وحديثه مع أسلم بن أحمد بن سعيد مشهور وكان يهواه فقال فيه

أسلمنى فى هوا * ه أسلم هذا الرشا * غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد * سيسأل عما وشى * ولو شاء ان يرتشى * على الوصل روحى ارتشى

ومات كمدا من هواه وتوفى فى جمادى الاولى منها أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد الاديب

مائتا وصيفة ووصيف وفى الهدية جارية يقال لها محبوبة كانت لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس فحسن موقعها من المتوكل وحلت من قلبه محلا جليلا لم يكن أحد يعدلها عنده قال على فدخلت عليه يوما للمنادمة فلما استقر بى المجلس قام فدخل بعض المقاصير ثم خرج وهو يضحك فقال ويلك يا على دخلت فرأيت قينة قد كتبت فى خدها بالمسك جعفرا فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيأ فقلت يا سيدى أنا وحدى أو أنا ومحبوبة قال لا بل أنت ومحبوبة قال فدعوت بدواة وقرطاس فسبقتنى الى القول ثم أخذت العود فترنمت ثم خفقت عليه حتى صاغت له لحنا وتضاحكت مليا ثم قالت يا أمير المؤمنين تأذن لى فأذن لها فغنت

وكاتبة فى الخد بالمسك جعفرا
بنفسى محط المسك من حيث أثرا

لئن أودعت خطا من المسك خدها
لقد أودعت قلبى من الوجد أسطرا

فيا من لمملوك يظل مليكه
مطيعا له فيما أسر وأجهرا

ويا من لعينى من رأى مثل جعفر * سقى الله صوب المستهلات جعفرا

قال على وتغلات خواطرى

الاندلسى ومن شعره

ان الكريم اذا نالتـه مخمصـة * أبدى الى الناس شبعا وهو طيان
يحنى الضلوع على مثل اللظى حرقا * والوجه غمر بماء البشر ملآن

وله أيضا

كتبت لها اننى عاشق * على مهرق اللثم بالناظر
فردت على جواب الهوى * باحـور عن مائه حائر
منعـمة نطقت بالجفـون * فدلت على دقة الخاطر
كأن فؤادى اذا أعرضت * تعلق فى مخلبى طائر

وفيها توفى أبو المعالى بن مخطة العلوى النقيب بالبصرة وأبو محمد بن معية العلوى بها أيضا وأبو على الحسين بن أحمد بن شاذان المحدث الاشعرى مذهبا وكان مولده ببغداد سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وحمزة بن يوسف الجرجانى وكان من أهل الحديث

﴿ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وثوب الجند بجلال الدولة﴾

فى هذه السنة ثار الجند ببغداد بجلال الدولة وأرادوا اخراجه منها فاستنظرهم ثلاثة أيام فلم ينظروه ورموه بالآجر فاصابه بعضهم واجتمع الغلمان فردوهم منه فخرج من باب لطيف فى سمارية متنكرا وصعد راجلا منها الى دار المرتضى بالكرخ وخرج من دار المرتضى وسار الى رافع بن الحسين بن مقن بتكريت وكسر الاتراك أبواب داره ودخلوها ونهبوها وقلعوا كثيرا من ساجها وأبوابها فارسل الخليفة اليهم وقرر أمر الجند وأعاده الى بغداد

﴿ذكر الحرب بين أبى سهل الحمدونى وعلاء الدولة﴾

فى هذه السنة سار طائفة من العساكر الخراسانية التى مع الوزير أبى سهل الحمدونى باصبهان يطلبون الميرة فوضع عليهم علاء الدولة من أطمعهم فى الامتيار من النواحى القريبة منه فساروا اليها ولا يعلمون قربه منهم فلما أتاه خبرهم خرج اليهم وأوقع بهم وغنم ما معهم وقوى طمعه بذلك فجمع جمعا من الديلم وغيرهم وسار الى اصبهان وبها أبو سهل فى عساكر مسعود بن سبكتكين فخرجوا اليه وقاتلوه فغدر الاتراك بعلاء الدولة فانهزم ونهب سواده فسار الى بروجرد ومنها الى الطرم فلم يقبله ابن السلار وقال لاقدرة لى على مباينة الخراسانية فتركه وسار عنه

﴿ذكر وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر﴾

فى هذه السنة فى منتصف شعبان توفى الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن على بن أبى على المنصور الحاكم الخليفة العلوى بمصر وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وكانت خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوما وكان له مصر والشام والخطبة له بافريقية وكان جميل السيرة حسن السياسة منصفا للرعية الا انه مشتغل بلذاته محب للدعة والراحة قد فوض الامور الى وزيره أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى لمعرفته بكفايته وامانته ولما مات ولى بعده ابنه أبو تميم معد ولقب المستنصر بالله ومولده بالقاهرة سنة عشر وأربعمائة وفى أيامه كانت قصة البساسيرى وخطب له ببغداد سنة خمسين وأربعمائة وكان الحاكم فى دولته بدر بن عبد الله الجمالى الملقب بالافضل أمير الجيوش وكان عادلا حسن السيرة وفى سنة تسع وسبعين وصل الحسن بن الصباح الاسماعيلى فى زى تاجر الى المستنصر بالله وخاطبه فى اقامته الدعوة له بخراسان وبلاد العجم فاذن

حتى كأنى ما أحسن حرفا من الشعر فوالله لقد عزب عن ذهنى فلم يزل يضرب به على رأسى ويعيرنى به الى أن مات قال على ودخلت اليه أيضا لانادمه فقال لى ويلك يا على علمت انى غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ونهيت الحشم عن الدخول اليها وانفت من كلامها فقلت يا سيدى ان كنت غاضبتها اليوم فصالحها غدا ويديم الله سرور أمير المؤمنين ويمد فى عمره قال فأطرق مليا ثم قال للندماء انصرفوا وأمر برفع الشراب فرفع فلما كان من غد دخلت اليه فقال ويلك يا على انى رأيت البارحة فى النوم أنى قد صالحتها فقالت جارية يقال لها شاطر كانت تقف أمامه والله لقد سمعت الساعة فى مقصورتها هينمة لا أدرى ماهى فقال لى قم ويلك حتى ننظر ماهى فقام حافيا وقمت أتبعه حتى قربنا من مقصورتها فاذا هى تخفق عودا وتترنم بشئ كأنها تصوغ لحنا ثم رفعت عقيرتها وتغنت

أدور فى القصر لا أرى أحدا
أشكو اليه ولا يكلمنى
حتى كأنى أتيت معصية
ليس لها توبة تخلصنى
فمن شفيع لنا الى ملك
قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح عادلنا * عاد الى هجره وصارمنى

قال فقال لى المتوكل ويلك يا على ما أمرتك به فقلت يا سيدى أقلنى

فاذن له فى ذلك فعاد ودعا اليه سرا وقال للمستنصر من امامى بعدك فقال ابنى نزار والاسماعيلية يعتقدون امامة نزار وسيرد كيف صرف الامر عنه سنة سبع وثمانين ان شاء الله تعالى

﴿ذكر فتح السويداء وربض الرها﴾

فى رجب من هذه السنة اجتمع ابن وثاب وابن عطير وتصاهرا وجمعا وأمدهما نصر الدولة ابن مروان بعسكر كثيف فسار واجميعهم الى السويداء وكان الروم قد أحدثوا عمارتها فى ذلك الوقت واجتمع اليها أهل القرى المجاورة لها فحصرها المسلمون وفتحوها عنوة وقتلوا فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل وغنموا ما فيها وسبوا خلقا كثيرا وقصدوا الرها فحصروها وقطعوا الميرة عنها حتى بلغ المكوك الحنطة دينارا واشتد الامر فخرج البطريق الذى فيها متخفيا ولحق بملك الروم وعرفه الحال فسير معه خمسة آلاف فارس فعاد بهم فعرف ابن وثاب ومقدم عساكر نصر الدولة الحال فكمنا لهم فلما قاربوهم خرج الكمين عليهم فقتل من الروم خلق كثير وأسر منهم وأسر البطريق وحمل الى باب الرها وقالوا لمن فيها اما ان تفتحوا البلد لنا واما قتلنا البطريق والاسرى الذين معه ففتحوا البلد للعجز عن حفظه وتحصن اجناد الروم بالقلعة ودخل المسلمون المدينة وغنموا ما فيها وامتلأت أيديهم من الغنائم والسبى وأكثروا القتل وأرسل ابن وثاب الى آمد مائة وستين راحلة عليها رؤس القتلى وأقام محاصرا للقلعة ثم ان حسان بن الجراح الطائى سار فى خمسة آلاف فارس من العرب والروم نجدة لمن بالرها فسمع ابن وثاب بقربه فسار اليه مجدا ليلقاه قبل وصوله فخرج من الرها من الروم الى حران فقاتلهم أهلها وسمع ابن وثاب الخبر فعاد مسرعا فوقع على الروم فقتل منهم كثيرا وعاد المنهزمون الى الرها

﴿ذكر غدر السناسنة وأخذ الحاج واعادة ما أخذوه﴾

فى هذه السنة ورد خلق كثير من أذربيجان وخراسان وطبرستان وغيرها من البلاد يريدون الحج وجعلوا طريقهم على ارمينية وخلاط فوردوا الى آنى ووسطان فثار بهم الارمن من تلك البلاد وأعانهم السناسنة وهم من الارمن أيضا الا انهم لهم حصون منيعة تجاور خلاط وهم صلح مع صاحب خلاط ولم تزل هذه الحصون بايديهم منفردين بها الا انهم متعاهدون الى سنة ثمانين وخمسمائة فملكها المسلمون منهم وأزالوهم عنها على ما نذكره ان شاء الله تعالى فلما اتفقوا مع الارمن من رعية البلاد وأخذوا الحاج فقتلوا منهم كثيرا وأسروا وسبوا ونهبوا الاموال وحملوا ذلك أجمع الى الروم وطمع الارمن فى تلك البلاد فسمع نصر الدولة ابن مروان الخبر فجمع العساكر وعزم على غزوهم فلما سمعوا ذلك ورأوا جده فيه راسله ملك السناسنة وبذل اعادة جميع ما أخذه أصحابه واطلاق الاسرى والسبى فاجابهم الى الصلح وعاد عنهم لحصانة قلاعهم وكثرة المضايق فى بلادهم ولانهم بالقرب من الروم فخاف ان يستنجدوهم ويمتنعوا بهم فصالحهم

﴿ذكر الحرب بين المعز وزناتة﴾

فى هذه السنة اجتمعت زناتة بافريقية وزحفت فى خيلها ورجلها يريدون مدينة المنصورة فلقيهم جيوش المعز بن باديس صاحبها بموضع يقال له الجفنة قريب من القيروان فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت عساكر المعز ففارقت المعركة وهم على حامية ثم عاودوا القتال وحرض بعضهم بعضا فصبرت صنهاجة وانهزمت زناتة هزيمة قبيحة وقتل منهم عدد كثير وأسر خلق عظيم وتعرف هذه الوقعة بوقعة الجفنة وهى مشهورة لعظمها عندهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

قال فصفق المتوكل طربا وصفقت معه فدخل اليها فلم تزل تقبل رجل المتوكل وتمرغ خديها على التراب حتى أخذ بيديها ورجعنا وهى ثالثتنا قال على فلما قتل المتوكل ضمت هى وكثير من الوصائف الى بغا الكبير فدخلت عليه يوما للمنادمة فأمر بهتك الستارة وأمر بالقينات فأقبلن يرفلن فى الحلى والحلل وأقبلت محبوبة حاسرة من الحلى والحلل عليها بياض فجلست مطرقة منكسة فقال لها وصيف غنى قال فاعتلت عليه فقال أقسمت عليك وأمر بالعود فوضع فى حجرها فلما لم تجد بدا من القول تركت العود فى حجرها ثم غنت عليه غناء مرتجلا

أى عيش يلذ لى
لا أرى فيه جعفرا
ملك قد رأيته
فى نجيع معفرا
كل من كان ذا خبا
ل وسقم فقد برا
غير محبوبة التى
لو ترى الموت يشترى
لاشترته بما حوتـ
ـه يداها لتقبرا

قال فغضب عليها وصيف وأمر بسجنها فسجنت وكان آخر العهد بها (قال المسعودى) ومات فى خلافة المتوكل جماعة من أهل العلم ونقلة الآثار وحفاظ الحديث منهم على بن جعفر المدنى بسامرا يوم الاثنين لثلاث بقين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ومائتين وهو ابن اثنين وسبعين سنة وأشهر وقد تنوزع فى السنة التى مات فيها

في هذه السنة في رجب انقض كوكب عظيم غلب نوره على نور الشمس وشوهد في آخرها مثل التنين يضرب الى السواد وبقي ساعة وذهب وفيها كانت ظلمة عظيمة اشتدت حتى ان الانسان كان لا يبصر جليسه وأخذ بأنفاس الخلق فلو تأخر انكشافها لهلك أكثرهم وفيها قبض على الوزير أبي سعد بن عبد الرحيم وزير جلال الدولة وهي الوزارة السادسة وفيها في رمضان توفي رافع بن الحسين بن مقن وكان حازما شجاعا وخلف بتكريت ما يزيد على خمسمائة ألف دينار فملكها ابن أخيه خميس بن ثعلب وكان طريدا في أيام عمه وحمل الى جلال الدولة ثمانين ألف دينار فاصلح بها الجند وكانت يده قد قطعها بعض عبيد بني عمه كان يشرب معه فجرى بينه وبين آخر خصومة وجردوا سيوفهم فقام رافع ليصلح بينهم فضرب العبد يده فقطعها غلطا ولرافع فيها شعر ولم تمنعه من قتال عمل له كفا أخرى يمسك بها العنان ويقاتل وله شعر جيد من ذلك قوله

لها ريقة أستغفر الله انها * ألذ وأشهى في النفوس من الخمر
وصارم طرف لا يزايل جفنه * ولم أر سيفا قط في جفنه يفري
فقلت لها والعيس تحدج بالضحى * اعدي لفقدي ما استطعت من الصبر
سأنفق ريعان الشبيبة آنفا * على طلب العلياء أو طلب الاجر
أليس من الخسران أن لياليا * تمر بلا نفع وتحسب من عمري

وفيها في صفر أمر القائم بأمر الله بترك التعامل بالدنانير المغربية وأمر الشهود أن لا يشهدوا في كتاب ابتياع ولا غيره يذكر فيها هذا الصنف من الذهب فعدل الناس الى القادرية والسابورية والقاسانية

﴿ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الفتنة بين جلال الدولة وبين بارسطغان﴾

في هذه السنة كانت الفتنة بين جلال الدولة وبين بارسطغان وهو من أكابر الامراء ويلقب حاجب الحجاب وكان سبب ذلك أن جلال الدولة نسبه الى فساد الاتراك والاتراك نسبوه الى أخذ الاموال فخاف على نفسه فالتجأ الى دار الخلافة في رجب من السنة الخالية وترددت الرسل بين جلال الدولة والقائم بأمر الله في أمره فدافع الخليفة عنه وبارسطغان يراسل الملك أبا كاليجار فارسل أبو كاليجار جيشا فوصلوا الى واسط واتفق معهم عسكر واسط وأخرجوا الملك العزيز ابن جلال الدولة فاصعد الى أبيه وكشف بارسطغان القناع فاستتبع أصاغر المماليك ونادوا بشعار أبي كاليجار وأخرجوا جلال الدولة من بغداد فسار الى أوانا ومعه البساسيري وأخرج بارسطغان الوزير أبا الفضل العباس بن الحسن بن فسانجس فنظر في الامور نيابة عن الملك أبي كاليجار وأرسل بارسطغان الى الخليفة يطلب الخطبة لابي كاليجار فاحتج بعهود جلال الدولة فاكره الخطباء على الخطبة لابي كاليجار ففعلوا وجرى بين الفريقين مناوشات وسار الاجناد الواسطيون الى بارسطغان ببغداد فكانوا معه وتنقلت الحال بين جلال الدولة وبارسطغان فعاد جلال الدولة الى بغداد ونزل بالجانب الغربي ومعه قرواش بن المقلد العقيلي ودبيس بن علي بن مزيد الاسدي وخطب لجلال الدولة به وبالجانب الشرقي لابي كاليجار وأعان أبو الشوك وأبو الفوارس منصور بن الحسين بارسطغان على طاعة أبي كاليجار ثم سار جلال الدولة الى الانبار وسار قرواش الى الموصل وقبض بارسطغان على ابن فسانجس فعاد منصور بن الحسين الى بلده وأتى الخبر الى بارسطغان بعود الملك أبي كاليجار الى فارس ففارقه الديلم الذين جاؤا نجدة له فضعف أمره فدفع ماله وحرمه الى دار الخلافة وانحدر الى واسط وعاد جلال الدولة الى بغداد وأرسل البساسيري والمرشد وبني خفاجة في أثره فتبعهم جلال الدولة ودبيس بن علي

ابن المديني وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب السنة التي قيل فيها ان وفاته كانت فيها * وفي
هذه السنة مات أبو الربيع ابن الزهري وقد تنوزع في السنة التي مات فيها يحيى بن معين فمنهم من رأى ما قدمنا في هذا الكتاب ومنهم من رأى وهو الاكثر أنه مات في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ويكنى بأبي زكريا مولى بني مرة وقد بلغ من السن خمسا وسبعين سنة وأشهرا بالمدينة وقيل ان في هذه السنة كانت وفاة أبي الحسن علي بن محمد المدائني الاخباري وقيل مات في أيام الواثق في سنة ثمان وعشرين ومائتين وفيها كانت وفاة مسدد بن مسرهد واسمه عبد الملك ابن عبد العزيز * وفيها مات الحماني الفقيه وابن عائشة واسمه عبد الله بن محمد بن حفص ويكنى بأبي عبد الرحمن وهو من تيم قريش * وفي خلافة المتوكل مات هدبن خالد وسفيان بن فروخ الايلي وابراهيم بن محمد الشافعي وذلك في سنة ست وثلاثين ومائتين * وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين مات العباس بن الوليد الرسي بالبصرة وعبد الاعلى بن حماد الرسي وعبيد الله بن معاذ العبدي * وفي سنة
ثمان وثلاثين ومائتين مات اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه وبشر بن الوليد القاضي ابن

ابن مزيد فلحقوه بالخيزرانية فقاتلوه فسقط عن فرسه فأخذ أسيرا وحمل الى جلال الدولة فقتله وحمل رأسه وكان عمره نحو سبعين سنة وسار جلال الدولة الى واسط فملكها وأصعد الى بغداد فضعف أمر الاتراك وطمع فيهم الاعراب واستولوا على اقطاعاتهم فلم يقدروا على كف أيديهم عنها وكانت مدة بارسطغان من حين كاشف جلال الدولة الى ان قتل سنة أشهر وعشرة أيام

﴿ذكر الصلح بين جلال الدولة وأبي كاليجار والمصاهرة بينهما﴾

في هذه السنة ترددت الرسل بين جلال الدولة وابن أخيه أبي كاليجار سلطان الدولة في الصلح والاتفاق وزوال الخلف وكان الرسل أقضى القضاة أبا الحسن الماوردي وأبا عبد الله المردوستي وغيرهما فاتفقا على الصلح وحلف كل واحد من الملكين لصاحبه وأرسل الخليفة القائم بأمر الله الى أبي كاليجار الخلع النفيسة ووقع العقد لابي منصور بن أبي كاليجار على ابنة جلال الدولة وكان الصداق خمسين ألف دينار قاسانية

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها توفي أبو القاسم علي بن الحسين بن مكرم صاحب عمان وكان جوادا ممدحا وقام ابنه مقامه وفيها توفي الامير أبو عبد الله الحسين بن سلامة أمير تهامة باليمن وولي ابنه بعده فعصى عليه خادم كان لوالده وأراد ان يملك فجرى بينهما حروب كثيرة تمادت أيامهما ففارق أهل تهامة أوطانهم الى غير مملكة ولد الحسين هربا من الشر وتفاقم الامر وفيها توفي مهيار الشاعر وكان مجوسيا فاسلم سنة أربع وتسعين وثلثمائة وصحب الشريف الرضي وقال له أبو القاسم بن برهان يا مهيار قد انتقلت باسلامك في النار من زاوية الى زاوية قال كيف قال لانك كنت مجوسيا فصرت تسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في شعرك وفيها توفي أبو الحسين القدوري الفقيه الحنفي والحاجب أبو الحسين هبة الله بن الحسين المعروف بابن أخت الفاضل وكان من أهل الادب وله شعر جيد وأبو علي بن أبي الريان بطيراباذ ومولده سنة أربع وخمسين وثلثمائة وقد مدحه الرضي وابن نباتة وغيرهما وفيها عاود المعز بن باديس حرب زناتة بافريقية فهزمهم وأكثر القتل فيهم وخرب مساكنهم وقصورهم وفي شعبان توفي أبو علي بن سينا الحكيم الفيلسوف المشهور صاحب التصانيف السائرة على مذاهب الفلاسفة وكان موته باصبهان وكان يخدم علاء الدولة أبا جعفر بن كاكويه ولا شك ان أبا جعفر كان فاسد الاعتقاد فلهذا أقدم ابن سينا على تصانيفه في الالحاد والرد على الشرائع في بلده

﴿ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة﴾

﴿ذكر محاصرة الابخاز تفليس وعودهم عنها﴾

في هذه السنة حصر ملك الابخاز مدينة تفليس وامتنع أهلها عليه فاقام عليهم محاصرا ومضيقا فنفدت الاقوات وانقطعت الميرة فأنفذ أهلها الى اذربيجان يستنفرون المسلمين ويسألونهم اعانتهم فلما وصل الغز الى أذربيجان وسمع الابخاز بقربهم وبما فعلوا بالارمن رحلوا عن تفليس مجفلين خوفا ولما رأى وهسوذان صاحب أذربيجان قوة الغز وانه لا طاقة له بهم لاطفهم وصاهرهم واستعان بهم وقد تقدم ذكر ذلك

﴿ذكر ما فعله طغرلبك بخراسان﴾

في هذه السنة دخل ركن الدين أبو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق مدينة نيسابور مالكا لها وكان سبب ذلك ان الغز السلجقية لما ظهروا بخراسان وأفسدوا ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا على ما ذكرناه وسمع الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين الخبر فسير اليهم حاجبه سباشي في ثلاثين ألف مقاتل فسار اليهم من غزنة فلما بلغ خراسان ثقل على ما سلم من البلاد بالاقامات فخرب السالم من تخريب الغز فأقام مدة سنة على المدافعة والمطاولة لكنه كان يتبع أثرهم اذا بعدوا

الكندي صاحب أبي يوسف وقد قيل ان في هذه السنة مات العباس بن الوليد الرسي * وفي سنة
تسع وثلاثين ومائتين مات عثمان بن أبي شيبة الكوفي بالكوفة والصلت بن مسعود الجحدري * وفي سنة أربعين ومائتين مات هياب بن خليفة العصفري وعبد الواحد بن عتاب * وفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين مات هشام بن عمار الدمشقي وحميد بن مسعود الناجي وعبد الله ابن معاوية الجمحي وفيها مات يحيى بن أكثم القاضي في الربذة ومحمد بن عبد الملك ابن أبي الشوارب * وفي سنة ست وأربعين ومائتين مات محمد بن المصطفى الحمصي وعنبسة بن اسحق ابن شمر وموسى بن عبد الملك (قال المسعودي) وللمتوكل أخبار وسير حسان غير ما ذكرنا وقد أتينا عليها على الشرح والاختصار في كتابينا في أخبار الزمان والله الموفق للصواب

﴿ذكر خلافة المنتصر بالله﴾

وبويع محمد بن جعفر المنتصر في صبيحة الليلة التي قتل فيها المتوكل وهي ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ويكنى بأبي جعفر وأمه أم ولد يقال لها حبشية رومية واستخلف وهو ابن خمس وعشرين سنة وكانت
بيعته بالقصر المعروف بالجعفري الذي أحدث بناءه المتوكل ومات سنة ثمان وأربعين ومائتين وكانت خلافته ستة أشهر

ويرجع عنهم اذا أقبلوا استعمالا للمعاجزة واشفاقا من المحاربة حتى اذا كان فى هذه السنة وهو بقرية بظاهر سرخس والغز بظاهر مرو ومع طغرلبك وقد بلغهم خبره أسروا اليه وقاتلوه يوم وصلوا فلما جنهم الليل أخذ سباشى ماخف من مال وهرب فى خواصه وترك خيمه ونيرانه على حالها قيل فعل ذلك مواطأة للغز على الهزيمة فلما أسفر الصبح عرف الباقون من عسكره خبره فانهزموا واستولى الغز على ما وجدوه فى معسكرهم من سوادهم وقتلوا من الهنود الذين تخلفوا مقتلة عظيمة وأسرى دارد أخو طغرلبك وهو والد السلطان ألب أرسلان الى نيسابور وسمع أبو سهل الحمدونى ومن معه بها ففارقوها ووصل داود ومن معه اليها فدخلوها بغير قتال ولم يغيروا شيأ من أمورها ووصل بعدهم طغرلبك ثم وصلت اليهم رسل الخليفة فى ذلك الوقت وكان قد أرسل اليهم والى الذين بالرى وهمذان وبلد الجبل ينهاهم عن النهب والقتل والاخراب ويعظهم فأكرموا الرسل وعظموهم وخدموهم وخاطب داود طغرلبك فى نهب البلد فمنعه فامتنع واحتج بشهر رمضان فلما انسلخ رمضان صمم داود على نهبه فمنعه طغرلبك واحتج عليه برسل الخليفة وكتابه فلم يلتفت داود اليه وقوى عزمه على النهب فأخرج طغرلبك سكينا وقال له والله لئن نهبت شيأ لأقتلن نفسى فكف عن ذلك وعدل الى التقسيط فقسط على أهل نيسابور نحو ثلاثين ألف دينار وفرقها فى أصحابه وأقام طغرلبك بدار الامارة وجلس على سرير الملك مسعود وصار يقعد للمظالم يومين فى الاسبوع على قاعدة ولاة خراسان وسير أخاه داود الى سرخس فملكها ثم استولوا على سائر بلاد خراسان سوى بلخ وكانوا يخطبون للملك مسعود على سبيل المغالطة وكانوا ثلاثة اخوة طغرلبك وداود وبيغو وكان ينال واسمه ابراهيم أخا طغرلبك وداود لأمهما ثم خرج مسعود من غزنة وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر مخاطبة جلال الدولة بملك الملوك﴾

فى هذه السنة سأل جلال الدولة الخليفة القائم بأمر الله ليخاطب بملك الملوك فامتنع ثم أجاب اليه اذا أفتى الفقهاء بجوازه فكتب فتوى الى الفقهاء فى ذلك فأفتى القاضى أبو الطيب الطبرى والقاضى أبو عبد الله الصيمرى والقاضى ابن البيضاوى وأبو القاسم الكرخى بجوازه وامتنع منه قاضى القضاة أبو الحسن الماوردى وجرى بينه وبين من أفتى بجوازه مراجعات وخطب لجلال الدولة بملك الملوك وكان الماوردى من أخص الناس بجلال الدولة وكان يتردد الى دار المملكة كل يوم فلما أفتى بهذه الفتيا انقطع ولزم بيته خائفا وأقام منقطعا من شهر رمضان الى يوم عيد النحر فاستدعاه جلال الدولة فحضر خائفا فأدخله وحده وقال له قد علم كل أحد انك من أكثر الفقهاء مالا وجاها وقربا منا وقد خالفتهم فيما خالف هواى ولم تفعل ذلك الا لعدم المحاباة منك واتباع الحق وقد بان لى موضعك من الدين ومكانك من العلم وجعلت جزاء ذلك اكرامك بان أدخلتك الى وحدك وجعلت اذن الحاضرين اليك ليتحققوا عودى الى ما تحب فشكره ودعا له وأذن لكل من حضر بالخدمة والانصراف

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة قتل شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب قتله الدزبرى وعساكر مصر وملكوا حلب وفيها أنكر العلماء على أبى يعلى بن الفراء الحنبلى ما ضمنه كتابه من صفات الله سبحانه وتعالى المشعرة بأنه يعتقد التجسيم وحضر أبو الحسن القزوينى الزاهد بجامع المنصور وتكلم فى ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وفيها أصلح ابن وثاب النميرى صاحب حران الروم الذين بالرها العجزه عنهم وسلم اليهم ربض الرها وكان تسلمه على ما ذكرناه أولا فنزلوا

من

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

كان الموضع الذى قتل فيه المتوكل هو الموضع الذى قتل فيه شيرويه أباه كسرى ابرويز وكان الموضع يعرف بالماخورة وكان مقام المنتصر بعد أبيه فى الماخورة سبعة أيام ثم انتقل عنه وأمر بتخريب ذلك الموضع وحكى عن أبى العباس محمد بن سهل قال كنت أكتب لعتاب بن عتاب على ديوان جيش الشاكرية فى خلافة المنتصر فدخلت الى بعض الاروقة فاذا هو مفروش ببساط سوسنجرد ومسند ومصلى ووسائد بالحمرة والزرقة وحول البساط دارات فيها أشخاص ناس وكتابة بالفارسية وكنت أحسن القراءة بالفارسية واذا عن يمين المصلى صورة ملك وعلى رأسه تاج كأنه ينطق فقرأت الكتابة فاذا هى صورة شيرويه القاتل لابيه ابرويز الملك ملك ستة أشهر ثم رأيت صور ملوك شتى ثم انتهى بى النظر الى صورة عن يسار المصلى عليها مكتوب صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ملك ستة أشهر فعجبت من ذلك واتفاقه عن يمين مقعد المنتصر وعن شماله فقلت لا أرى يدوم ملكه أكثر من ستة أشهر فكان والله كذلك فخرجت من الرواق

من الحصن الذى للبلد اليه وكثر الروم بها وخاف المسلمون على حران منهم وعمر الروم الرها العمارة الحسنة وحصنوها وفيها هادن المستنصر بالله الخليفة العلوى صاحب مصر ملك الروم وشرط عليه اطلاق خمسة آلاف أسير وشرط الروم عليه ان يعمروا بيعة قمامة فأرسل الملك اليها من عمرها وأخرج عليها مالا جليلا وفى هذه السنة سارت عساكر المعز بن باديس بافريقية الى بلد الزاب ففتحوا مدينة تسمى بورس وقتلوا من البربر خلقا كثيرا وفتح من بلاد زناتة قلعة تسمى كروم وفيها توفى اسحق بن ابراهيم بن مخلد أبو الفضل المعروف بابن الباقرحى فى ربيع الآخر

﴿ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وصول الملك مسعود من غزنة الى خراسان واجلاء السلجقية عنها﴾

فى صفر من هذه السنة وصل الملك مسعود الى بلخ من غزنة وزوج ابنه من ابنة بعض ملوك الخانية كان يتقى جانبه واقطع خوارزم لشاه ملك الجندى فسار اليها وبها خوارزمشاه اسمعيل ابن التونتاش فجمع أصحابه ولقى شاه ملك وقاتله ودامت الحرب بينهما مدة شهر وانهزم اسمعيل والتجأ الى طغرلبك وأخيه داود السلجقية وملك شاه ملك خوارزم وكان مسير مسعود من غزنة أول سنة ثمان وعشرين وسبب خروجه ما وصل اليه من أخبار الغز وما فعلوه بالبلاد وأهلها من الاخراب والقتل والسبى والاستيلاء وأقام ببلخ حتى أراح واستراح وفرغ من أمر خوارزم والخانية ثم أمد سباشى الحاجب بعسكر ليتقوى بهم ويتم بأمر الغز واستئصالهم فلم يكن عنده من الكفاية ما يقهرهم بل أخلد الى المطاولة التى هى عادته وسار مسعود بن سبكتكين من بلخ بنفسه وقصد سرخس فتجنب الغز لقاءه وعدلوا الى المراوغة والمخاتلة وأظهروا العزم على دخول المفازة التى بين مرو وخوارزم فبينما عساكر مسعود تتبعهم وتطلبهم اذ لقوا طائفة منهم فقاتلوهم وظفروا بهم وقتلوا منهم ثم انه واقعهم بنفسه فى شعبان من هذه السنة وقعة استظهر فيها عليهم فأبعدوا عنه ثم عاودوا القرب منه بنواحى مرو فواقعهم وقعة أخرى قتل منهم نحو ألف وخمسمائة قتيل وهرب الباقون فدخلوا البرية التى يحتمون بها وثار أهل نيسابور بمن عندهم منهم فقتلوا بعضا وانهزم الباقون الى أصحابهم بالبرية وعدل مسعود الى هراة ليتأهب فى العساكر للمسير خلفهم وطلبهم أين كانوا فعاد طغرلبك الى الاطراف النائية عن مسعود فنهبها وأثخن فيها وكان الناس قد تراجعوا وخلوا أيديهم من الغنائم فحينئذ سار مسعود يطلبه فلما قاربه انزاح طغرلبك من بين يديه الى استوا وأقام بها وكان الزمان شتاء ظنا منه ان الثلج والبرد يمنع عنه فطلبه مسعود اليها ففارقه طغرلبك وسلك الطريق على طوس واحتمى بجبال منيعة ومضايق صعبة المسلك فسير مسعود فى طلبه وزيره أحمد بن محمد بن عبد الصمد فى عساكر كثيرة فطوى المراحل اليه جريدة فلما رأى طغرلبك قربه منه فارق مكانه الى نواحى أبيورد وكان مسعود قد سار ليقطعه عن جهة ان أرادها فالتقى طغرلبك مقدمته فواقعهم فانتصروا عليه واستأمن من أصحابه جماعة كثيرة ورأى الطلب له من كل جانب فعاود دخول المفازة الى خوارزم وأوغل فيها فلما فارق الغز خراسان قصد مسعود جبلا من جبال طوس منيعا لا يرام وكان أهله قد وافقوا الغز وأفسدوا معهم فلما فارق الغز تلك البلاد تحصن هؤلاء بجبلهم ثقة منهم بحصانته وامتناعه فسرى مسعود اليهم جريدة فلم يرعهم الا وقد خالطهم فتركوا أهلهم وأموالهم وصعدوا الى قلة الجبل واعتصموا بها وامتنعوا وغنم عسكر مسعود أموالهم وما ادخروه ثم أمر مسعود أصحابه ان يزحفوا اليهم فى قلة الجبل وباشر هو القتال بنفسه فزحف الناس اليهم وقاتلوهم قتالا لم يروا مثله وكان الزمان شتاء والثلج على الجبل كثيرا فهلك من العسكر فى مخارم

الى مجلس وصيف وبغا وهما فى الدار الثانية فقلت لوصيف أعجز هذا الفراش أن يفرش تحت أمير المؤمنين الا هذا البساط الذى عليه صورة يزيد بن الوليد قاتل ابن عمه وصورة شيرويه قاتل أبيه ابرويز وعاشا ستة أشهر بعدما قتلا فجزع وصيف من ذلك وقال على بايوب بن سليمان النصرانى خازن الفرش فمثل بين يديه فقال له وصيف لم تجد ما يفرش فى هذا اليوم تحت أمير المؤمنين الا هذا البساط الذى كان تحت المتوكل ليلة الحادثة وعليه صورة ملك الفرس وغيره وقد كان ناله آثار الدماء قال سألنى أمير المؤمنين المنتصر عنه وقال ما فعل البساط فقلت عليه آثار دماء فاحشة وقد عزمت أن لا أفرشه من ليلة الحادثة فقال لم لا تغسله وتطويه فقلت خشيت أن يشيع الخبر عند من يرى ذلك البساط من أثر الحادثة فقال ان الامر أشهر من ذلك يريد قتل الاتراك لابيه المتوكل فطويناه وبسطناه تحته فقال وصيف وبغا اذا قام أمير المؤمنين من مجلسه نأخذه وأحرقه بالنار فلما قام أحرق بحضرة وصيف وبغا فلما كان بعد أيام قال لى المنتصر افرش ذلك

الجبل وشعابه كثير ثم انهم ظفروا باهله وأكثروا فيهم القتل والاسر وفرغوا منهم وأراحوا المسلمين من شرهم وسار مسعود الى نيسابور فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين وأربعمائة ليريح ويستريح وينتظر الربيع ليسير خلف الغز ويطلبهم فى المفاوز التى احتموا بها وكانت هذه الوقعة واجلاء الغز عن خراسان سنة احدى وثلاثين على مانذكره ان شاء الله تعالى

❁(ذكر ملك أبى الشوك مدينة خولنجان)❁

كان حسام الدولة أبو الشوك قد فتح قرميسين من اعمال الجبل وقبض على صاحبها وهو من الاكراد القوهية فسار أخوه الى قلعة ارنبة فاعتصم بها من أبى الشوك وجعل أصحابه فى مدينة خولنجان يحفظونها منه أيضا فلما كان الآن سير أبو الشوك عسكرا الى خولنجان فحصروها فلم يظفروا منها بشئ فأمر العسكر فعاد فأمن من فى البلد بعود العسكر عنها ثم جهز عسكرا آخر جريدة لم يعلم بهم أحد وسيرهم ليومهم وأمرهم بنهب ربض قلعة ارنبة وقتل من ظفروا به والاعتام لوقتهم الى خولنجان ليسبقوا اخبرهم اليها ففعلوا ذلك ووصلوا اليها ومن بها غير متأهبين فاقتتلوا يمامن قتال ثم استسلم من بالمدينة اليهم فتسلموها وتحصن من كان بها من الاجناد فى قلعة فى وسط البلد فحصرها أصحاب أبى الشوك فملكوها فى ذى القعدة من هذه السنة

❁(ذكر الخطبة العباسية بحران والرقة)❁

فى هذه السنة خطب شبيب بن وثاب النميرى صاحب حران والرقة للامام القائم بامر الله وقطع خطبة المستنصر بالله العلوى وكان سببها ان نصر الدولة بن مروان كان قد بلغه عن الدزبرى نائب العلويين بالشام انه يتهدده ويريد قصد بلاده فراسل قرواشا صاحب الموصل وطلب منه عسكرا وراسل شبيبا النميرى يدعوه الى الموافقة ويحذره من المغاربة فأجابه الى ذلك وقطع الخطبة العلوية وأقام الخطبة العباسية فأرسل اليه الدزبرى يتهدده ثم أعاد الخطبة العلوية بحران فى ذى الحجة من السنة

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فيها توفى مؤيد الملك أبو على الحسين بن الحسن الرخجى وكان وزير الملوك بنى بويه ثم ترك الوزارة وكان فى عطلته يتقدم على الوزراء وفيها أيضا توفى أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوى أمير مكة وفيها توفى الوزير أبو القاسم بن ماكولا محبوسا بهيت وكان مقامه فى الحبس سنتين وخمسة أشهر ومولده سنة خمس وستين وثلثمائة وكان وزير جلال الدولة وهو والد الامير أبى نصر مصنف كتاب الاكمال فى المؤتلف والمختلف وكان جلال الدولة سلمه الى قرواش فحبسه بهيت وفيها سقط الثلج ببغداد لست بقين من ربيع الاول فارتفع على الارض شبرا ورماه الناس عن السطوح الى الشوارع وجمد الماء ستة أيام متوالية وكان أول ذلك الثالث والعشرين من كانون الثانى وتوفى هذه السنة أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق الاصبهانى الحافظ وأبو الرضا الفضل بن منصور بن الظريف الفارقى الامير الشاعر له ديوان حسن وشعره جيد فمنه

ومخطف الخصر مطبوع على صلف * عشقته ودواعى البين تعشقه
وكيف اطمع منه فى مواصلة * وكل يوم لنا شمل يفرقه
وقد تسامح قلبى فى مواصلتى * على السلو ولكن من يصدقه
أهابه وهو طلق الوجه مبتسم * وكيف يطمعنى فى السيف رونقه

❁(ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وأربعمائة)❁

فى هذه السنة فتح الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين قلعة بخراسان كانت بيد الغز وقتل فيها جماعة

البساط الفلانى فقلت وأين ذلك البساط فقال وما الذى كان من أمره فقلت ان وصيفا وبغا أمرانى باحراقه قال فسكت ولم يعد فى أمره شيأ الى أن مات * وقد كان المنتصر طرب فى هذه الايام فدعا بنان بن الحرث العواد وكان مطربا مجيدا وقد كان غضب عليه فاحضره فغناه

لقد طال عهدى بالامام محمد
وما كنت أخشى أن يطول به عهدى
فاصبحت ذا بعد ودارى قريبة
فيا عجبا من قرب دارى ومن بعدى
رأيتك فى برد النبى محمد
كبدر الدجا بين العمامة والبرد

وكان ذلك ثانى يوم الاضحى وقد كان المنتصر صلى بالناس فى هذا العيد ومما غنى به من الشعر للمنتصر فى ذلك اليوم

رأيتك فى المنام أقل بخلا
وأطوع منك فى غير المنام
فليت الصبح باد ولا نراه
وليت الليل آخر ألف عام
ولو أن النعاس يباع بيعا
لاغليت النعاس على الانام

ومن شعر المنتصر أيضا مما غنى بحضرته

منهم وكانت بينه وبينهم وقعات أجلت عن فراقهم خراسان الى البرية وقد ذكرناه سنة ثلاثين

❁(ذكر ملك الملك أبى كاليجار البصرة)❁

فى هذه السنة سير الملك أبو كاليجار عساكره مع العادل أبى منصور بن مافنة الى البصرة فملكها فى صفر وكانت بيد الظهير أبى القاسم وقد ذكرنا انه وليها بعد بختيار وانه عصى على أبى كاليجار مرة وصار فى طاعة جلال الدولة ثم فارق طاعته وعاد الى طاعة الملك أبى كاليجار وكان يترك محاققته ومعارضته فيما يفعله ويضمن الظهير أن يحمل الى أبى كاليجار كل سنة سبعين ألف دينار وكثرت أمواله ودامت أيامه وثبت قدمه وطار اسمه واتفق انه تعرض الى أملاك أبى الحسن بن أبى القاسم بن مكرم صاحب عمان وأمواله وكاتب أبو الحسن الملك أبا كاليجار وبذل له زيادة ثلاثين ألف دينار فى ضمان البصرة كل سنة وجرى الحديث فى قصد البصرة فصادف قبلا موغرا من الظهير فحصلت الاجابة وجهز الملك العساكر مع العادل أبى منصور فسار اليها وحصرها وسارت العساكر من عمان أيضا فى البحر وحصرت البصرة وملكت وأخذ الظهير وقبض عليه وأخذ جميع ماله وقرر عليه مائة ألف وعشرة آلاف دينار يحملها فى أحد عشر يوما بعد تسعين ألف دينار أخذت منه قبلها ووصل الملك أبو كاليجار الى البصرة فأقام بها ثم عاد الى الاهواز وجعل ولده عز الملوك فيها ومعه الوزير أبو الفرج بن فسانجس والما سار أبو كاليجار عن البصرة أخذ معه الظهير الى الاهواز

❁(ذكر ماجرى بعمان بعد موت أبى القاسم بن مكرم)❁

لما توفى أبو القاسم بن مكرم خلف أربعة بنين أبو الجيش والمهذب وأبو محمد وآخر صغير فولى بعده ابنه أبو الجيش وأقر على بن هطال المنوجانى صاحب جيش أبيه على قاعدته وأكرمه وبالغ فى احترامه فكان اذا جاء اليه قام له فأنكر هذه الحال عليه أخوه المهذب فطعن على ابن هطال وبلغه ذلك فأضمر له سوأ واستأذن أبا الجيش فى ان يحضر أخاه المهذب لدعوة عملها له فأذن له فى ذلك فلما حضر المهذب عنده خدمه وبالغ فى خدمته فلما أكل وشرب وانتشا وعمل السكر فيه قال له ابن هطال ان أخاك أبا الجيش فيه ضعف وعجز عن الامر والرأى أننا نقوم معك وتصير أنت الامير وخدعه فمال الى هذا الحديث فأخذ ابن هطال خطه بما يفوض اليه وبما يعطيه من الاعمال اذا عمل معه هذا الامر فلما كان الغد حضر ابن هطال عند أبى الجيش وقال له ان أخاك كان قد أفسد كثيرا من أصحابك عليك وتحدث معى واستمالنى فلم أوافقه فاذا كان ينمى ويقع فى وهذا خطه بما استقر هذه الليلة فلما رأى خط أخيه أمره بالقبض عليه ففعل ذلك واعتقله ثم وضع عليه من خنقه وألقى جثته الى منخفض من الارض وأظهر انه سقط فمات ثم توفى أبو الجيش بعد ذلك بيسير وأراد ابن هطال ان يأخذ أخاه أبا محمد فيوليه عمان ثم يقتله فلم تخرجه اليه والدته وقالت له أنت تتولى الامور وهذا صغير لا يصلح لها ففعل ذلك وأساء السيرة وصادر التجار وأخذ الاموال وبلغ ما كان منه مع بنى مكرم الى الملك أبى كاليجار والعادل أبى منصور بن مافنة فأعظما الامر واستكبراه وشد العادل فى الامر وكاتب نائبا كان لابى القاسم بن مكرم بجبال عمان يقال له المرتضى وأمره بقصد ابن هطال وجهز العساكر من البصرة لتسير الى مساعدة المرتضى فجمع المرتضى الخلق وتسارعوا اليه وخرجوا عن طاعة ابن هطال وضعف أمره واستولى المرتضى على أكثر البلاد ثم وضعوا خادما كان لابن مكرم وقد التحق بابن هطال على قتله وساعده على ذلك فراش كان له فلما سمع العادل بقتله سير الى عمان من اخرج أبا محمد بن مكرم ورتبه فى

بيدى اليمين وفى يمينك ساعدى
ثم انتبهت ومعصماك كلاهما
فظللت يومى كله متراقدا
لاراك فى نومى ولست براقد

وقد كان استوزر أحمد بن الخصيب وندم على ذلك وكان نعى عبد الله بن خاقان وذلك أن أحمد ركب ذات يوم فتظلم اليه متظلم بقصة فأخرج رجله من الركاب فزج بها فى صدر المتظلم فقتله فتحدث الناس بذلك فقال بعض شعراء ذلك الزمان

قل للخليفة يا ابن عم محمد
اشكل وزيرك انه ركال
اشكاه عن ركل الرجال فان ترد
مالا فعند وزيرك الاموال

(قال المسعودى) ولو لحق هذا الشاعر الوزير حامد بن العباس فى وزارته للمقتدر بالله لرأى منه قريبا مما ظهر من ابن الخصيب وذلك انه خاطبه مخاطب ذات يوم فقلب ثيابه على كتفه ولكم حلقه ولقد دخلت عليه ذات يوم أم موسى القهرمانة الهاشمية أو غيرها من القهارمة فخاطبته فى شئ من الاموال عن رسالة المقتدر فكان مما خاطبها به ان قال * اضرطى والتقطى * واحسبى لا تغلطى فأجلها ذلك فقطعها عماله فصدت

الامارة وكان قد استقران الامر لابى محمد فى هذه السنة

(ذكر الحرب بين أبى الفتح بن أبى الشوك وبين عمه مهلهل)

فى هذه السنة كان بين أبى الفتح بن أبى الشوك وبين عمه مهلهل حرب شديدة وكان سبب ذلك ان أبا الفتح كان نائبا عن والده فى الدينور وقد عظم محله وافتتح عدة قلاع وحمى أعماله من الغز وقتل فيهم فأعجب بنفسه وصار لا يقبل أمر والده فلما كان هذه السنة فى شعبان سار الى قلعة بلوار ليفتحها وكان فيها زوجة صاحبها وكان من الاكراد فعلمت انها تعجز عن حفظها فراسلت مهلهل بن محمد بن عناز وهو بمحله فى نواحى الصامغان واستدعته لتسلم اليه القلعة فسأل الرسول عن أبى الفتح هل هو بنفسه على القلعة أم عسكره فأخبره أنه عاد عنها وبقى عسكره فسار مهلهل اليها فلما وصل رأى أبا الفتح قد عاد الى القلعة فقصد موضعا يوهم أبا الفتح انه لم يردهذه القلعة ثم رجع عائدا وتبعه أبو الفتح ولحقه وتراءت الفئتان فعاد مهلهل اليه فاقتتلوا فرأى أبو الفتح من أصحابه تغيرا لخافهم فولى منهزما وتبعه أصحابه فى الهزيمة وقتل عسكر مهلهل من كان فى عسكر أبى الفتح من الرجالة وسار وافى أثر المنهزمين يقتلون ويأسرون ووقف فرس أبى الفتح به فأسر وأحضر عند عمه مهلهل فضربه عدة مقارع وقيده وحبسه عنده وعاد ثم ان أبا الشوك جمع عساكره وسار الى شهرزور وحصرها وقصد بلاد أخيه ليخلص ابنه أبا الفتح فطال الامر ولم يخلص ابنه وحمل مهلهلا اللجاج على ان استدعى علاء الدولة بن كاكويه الى بلد أبى الفتح فدخل الدينور وقرميسين وأساء الى أهلها وظلمهم وملكها وكان ذلك سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

(ذكر شغب الاتراك على جلال الدولة ببغداد)

فى هذه السنة شغب الاتراك على الملك جلال الدولة ببغداد وأخرجوا خيامهم الى ظاهر البلد ثم أوقعوا النهب فى عدة مواضع لخافهم جلال الدولة وعبر خيامه الى الجانب الغربى وترددت الرسل بينهم فى الصلح وأراد الرحيل عن بغداد فمنعه أصحابه فراسل دبيس بن مزيد وقرواشا صاحب الموصل وغيرهما وجمع عنده العساكر فاستقرت القواعد بينهم وعاد الى داره وطمع الاتراك وآذوا الناس ونهبوا وقتلوا وفسدت الامور بالكلية الى حد لا يرجى صلاحه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة ولد للخليفة القائم بأمر الله ولده أبو العباس وهو ذخيرة الدين وفيها توفى شبيب بن وثاب النميرى صاحب الرقة وسروج وحران وفيها توفى أبو نصر بن مشكان كاتب الانشاء لمحمود بن سبكتكين ولولده مسعود وكان من الكتاب المفلقين رأيت له كتابة فى غاية الجودة

(ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة)

(ذكر ابتداء الدولة السلجوقية وسياقة أخبارهم متتابعة)

فى هذه السنة اشتد ملك السلطان طغرلبك محمد وأخيه جغرى بك داود ابنى ميكائيل بن سلجوق ابن تقاق فنذكر أولا حال آبائه ثم نذكر حاله كيف يتقلب حتى صار سلطانا على انى قد ذكرت أكثر أخبارهم متقدمة على السنين وانما أوردناها ههنا مجموعة لترد سياقا واحدا فهى أحسن فأقول فاما تقاق فمعناه القوس الجديد وكان شهما ذا رأى وتدبير وكان مقدم الاتراك الغز ومرجعهم اليه لا يخالفون له قولا ولا يتعدون أمرا فاتفق يوما من الايام ان ملك الترك الذى يقال له بيغو جمع عساكره وأراد المسير الى بلاد الاسلام فنهاه تقاق عن ذلك وطال الخطاب بينهما

فيه فأغلظ له ملك الترك الكلام فلطمه تقاق فشج رأسه فأحاط به خدم ملك الترك وأرادوا أخذه فمانعهم وقاتلهم واجتمع معه من أصحابه من منعه فتفرقوا عنه ثم صلح الامر بينهما وأقام تقاق عنده وولد له سلجوق وأما سلجوق فانه لما كبر ظهرت عليه أمارات النجابة ومخايل التقدم فقربه ملك الترك وقدمه ولقبه سباشى ومعناه قائد الجيش وكانت امرأة الملك تخوفه من سلجوق لما ترى من تقدمه وطاعة الناس له والانقياد اليه وأغرته بقتله وبالغت فى ذلك وسمع سلجوق الخبر فسار بجماعته كلهم ومن يطيعه من دار الحرب الى ديار الاسلام وسعد بالايمان ومجاورة المسلمين وازداد حاله علوا وامرة وطاعة وأقام بنواحى جند وأدام غزو كفار الترك وكان ملكهم يأخذ الخراج من المسلمين فى تلك الديار وطرد سلجوق عماله منها وصفت للمسلمين ثم ان بعض ملوك السامانية كان هرون بن ايلك الخان قد استولى على بعض اطراف بلاده فأرسل الى سلجوق يستمده فأمده بابنه ارسلان فى جمع من أصحابه فقوى بهم السامانى على هرون واسترد ما أخذه منه وعاد أرسلان الى أبيه وكان لسلجوق من الاولاد أرسلان وميكائيل وموسى وتوفى سلجوق بجند وكان عمره مائة سنة وسبع سنين ودفن هناك وبقى أولاده فغزا ميكائيل بعض بلاد الكفار الاتراك فقاتل وباشر القتال بنفسه فاستشهد فى سبيل الله وخلف من الاولاد بيغو وطغرلبك محمدا وجغرى بك داود فأطاعهم عشائرهم ووقفوا عند أمرهم ونهيهم ونزلوا بالقرب من بخارا على عشرين فرسخا منها لخافهم أمير بخارا فأساء جوارهم وأراد اهلاكهم والايقاع بهم فالتجؤا الى بغراخان ملك تركستان وأقاموا فى بلاده واحتموا به وامتنعوا واستقر الامر بين طغرلبك وأخيه داود انهما لا يجتمعان عند بغراخان انما يحضر عنده أحدهما ويقيم الآخر فى أهله خوفا من مكر يمكره بهم فبقوا كذلك ثم ان بغراخان اجتهد فى اجتماعهما عنده فلم يفعلا فقبض على طغرلبك وأسره فثار داود فى عشائره ومن يتبعه وقصد بغراخان ليخلص أخاه فأنفذ اليه بغراخان عسكرا فاقتتلوا فانهزم عسكر بغراخان وكثر القتل فيهم وخلص أخاه من الاسر وانصرفوا الى جند وهى قريب بخارا فأقاموا هناك فلما انقرضت دولة السامانية وملك ايلك الخان بخارا عظم محل ارسلان بن سلجوق عم داود وطغرلبك بما وراء النهر وكان على تكين فى حبس ارسلان خان فهرب وهو أخو ايلك الخان ولحق ببخارا واستولى عليها واتفق مع ارسلان بن سلجوق فامتنعا واستفحل أمرهما وقصدهما ايلك أخو ارسلان خان وقاتلهما فهزماه وبقيا ببخارا وكان على تكين يكثر معارضة يمين الدولة محمود بن سبكتكين فيما يجاوره فى بلاده ويقطع الطريق على رسله المترددين الى ملوك الترك فلما عبر محمود جيحون على ما ذكرناه هرب على تكين من بخارا وأما ارسلان بن سلجوق وجماعته فانهم دخلوا المفازة والرمل فاحتموا من محمود فرأى محمود قوة السلجوقية وما لهم من الشوكة وكثرة العدد فكاتب ارسلان بن سلجوق واستماله ورغبه فورد اليه فقبض يمين الدولة عليه فى الحال ولم يمهله وسجنه فى قلعة ونهب خركاهاته واستشار فيما يفعل بأهله وعشيرته فأشار ارسلان الجاذب وهو من أكبر خواص محمود بأن يقطع أباهمهم لئلا يرموا بالنشاب أو يغرقوا فى جيحون فقال له ما أنت الا قاسى القلب ثم أمر بهم فعبروا نهر جيحون وفرقهم فى نواحى خراسان ووضع عليهم الخراج فجار العمال عليهم وامتدت الايدى الى أموالهم وأولادهم فانفصل منهم أكثر من ألفى رجل وساروا الى كرمان ومنها الى أصبهان وجرى بينهم وبين صاحبها علاء الدولة بن كاكويه حرب قد ذكرناها فساروا من أصبهان الى اذربيجان وهؤلاء جماعة ارسلان فاما أولاد اخوته فان عليا تكين صاحب بخارا أعمل الحيل فى الظفر بهم فأرسل

مضت من فورها الى المقتدر والسيدة فاخبرتهما بذلك فأمر القيان يغنين ذلك اليوم بذلك الكلام وكان يوم طرب وسرور وقد أتينا على خبره وأخبار غيره من وزراء بنى العباس وكتاب بنى أمية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى الكتاب الاوسط وأخبرت عن أبى العباس أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات قال كان أحمد بن الخصيب سيئ الرأى فى والده وكان عاملا له فجاءنى مخبر من خدم الخاصة فقال ان الوزير قد ندب لاعمالكم فلانا وقد أمره فى والدك بكل مكروه وأن يصادره على جملة من المال غليظة ذكرها فقعدت وعندى بعض أصدقائنا من الكتاب أبادر بالكتاب الى والدى بذلك فاشتغلت عن جليسى الكاتب فاتكا على الوسادة وغفا فانتبه مرعوبا وقال انى قد رأيت رؤيا عجيبة رأيت أحمد بن الخصيب واقفا فى هذا الموضع وهو يقول يموت الخليفة المنتصر الى ثلاثة أيام قال قلت له الخليفة فى الميدان يلعب بالصولجان وهذه الرؤيا ضرب من البلغم والمرار وقد قدمنا الطعام فما استتممنا الكلام حتى دخل علينا داخل فقال رأيت الوزير بدار الخاصة غير مسفر الوجه وانى سألت عن سبب ذلك فقيل لى ان الخليفة المنتصر انصرف من الميدان وهو عرق فدخل الحمام ونام

فيه

فى البازهنج فضربه الهواء وركبته حمى هائلة فدخل عليه أحمد بن الخصيب فقال ياسيدى أنت متفلسف وحكيم الزمان تنزل من الركوب تعبا فتدخل الحمام ثم تخرج عرقا فتنام فى البازهنج فقال له المنتصر أتخاف أن أموت رأيت فى المنام البارحة آتيا أتانى فقال لى تعيش خمسا وعشرين سنة فعلمت أن ذلك بشارة فى المستقبل من عمرى وأنى أبقى فى الخلافة هذه المدة قال فمات فى اليوم الثالث فنظروا فاذا هو قد استوفى خمسا وعشرين سنة * وقد ذكر جماعة من أصحاب التواريخ أن المنتصر ضربته الريح يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الاول ومات مع صلاة العصر لخمس ليال خلون من ربيع الآخر وصلى عليه أحمد بن محمد المستعين وكان أول خليفة من بنى العباس أظهر قبره وذلك ان أمه حبشية سألت ذلك فأذن لها وأظهرته بسامرا * وقد قيل ان الصنفورى الطبيب سمه فى مشراط حجمه به وقد كان عزم على تفريق جمع الاتراك فأخرج وصيفا فى جمع كثير الى غزاة الصائفة بطرسوس ونظر يوما الى بغا الصغير وقد أقبل فى القصر وحوله جماعة من الاتراك فاقبل على الفضل بن المأمون فقال قتلنى الله ان لم أقتلهم وأفرق جمعهم بقتلهم المتوكل على الله فلما نظر الاتراك الى ما يفعل بهم وما قد عزم عليه وجدوا منه

الى يوسف بن موسى بن سلجوق وهو ابن عم طغرلبك محمد وجغرى بك داود ووعده الاحسان
وبالغ فى استمالته وطلب منه الحضور عنده ففعل ففوض اليه على تكين التقدم على جميع
الاتراك الذين فى ولايته وأقطعه أقطاعا كثيرة ولقب بالامير اينانج بيغو وكان الباعث له على
مافعله به ان يستعين به وبعشيرته وأصحابه على طغرلبك وداود ابنى عمه ويفرق كلمتهم ويضرب
بعضهم ببعض فعلموا مراده فلم يطعه يوسف الى شئ مما أراده منه فلما رأى على تكين ان مكره لم
يعمل فى يوسف ولم يبلغ به غرضا أمر بقتله فقتل يوسف تولى قتله أمير من امراء على تكين اسمه
ألب قرا فلما قتل عظم ذلك على طغرلبك وأخيه داود وجميع عشائرهما ولبسوا ثياب الحداد
وجمعا من الاتراك من قدروا على جمعه للاخذ بثاره وجمع على تكين أيضا جيوشه وسيرها اليهم
فانهزم عسكر على تكين وكان قد ولد السلطان ألب ارسلان بن داود أول محرم سنة عشرين
وأربعمائة قبل الحرب فتبركوا به وتيمنوا بطلعته وقيل فى مولده غير ذلك فلما كان سنة احدى
وعشرين قصد طغرلبك وداود ألب قرا الذى قتل يوسف ابن عمهما فقتلاه وأوقعا بطائفة من
عسكر على تكين فقتلا منها نحو ألف رجل فجمع على تكين عسكره وقصدهم هو وأولاده ومن
جمل السلاح من أصحابه وتبعهم من أهل البلاد خلق كثير فقصدوهم من كل جانب وأوقعوا بهم
وقعة عظيمة قتل كثير من عساكر السلجوقية وأخذت أموالهم وأولادهم وسبوا كثيرا من نسائهم
وذراريهم فألجأتهم الضرورة الى العبور الى خراسان فلما عبروا جيحون كتب اليهم خوارزمشاه
هرون بن التونتاش يستدعيهم لينفقوا معه وتكون أيديهم واحدة فسار طغرلبك وأخوه داود
وبيغو اليه وخيموا بظاهر خوارزم سنة ست وعشرين ووثقوا به واطمأنوا اليه فغدر بهم فوضع
عليهم الامير شاه ملك فكبسهم ومعه عسكر من هرون فأكثر القتل فيهم والنهب والسبى وارتكب
من الغدر خطة شنيعة فساروا عن خوارزم بجموعهم الى مفازة نسا وقصدوا مرو وفى هذه السنة
أيضا ولم يتعرضوا لاحد بشر وبقى أولادهم وذراريهم فى الاسر وكان الملك مسعود بن محمود بن
سبكتكين هذه السنة بطبرستان قد ملكها كما ذكرناه فراسلوه وطلبوا منه الامان وضمنوا انهم
يقصدون الطائفة التى تفسد فى بلاده ويدفعونهم عنها ويقاتلونهم ويكونون من أعظم اعوانه
عليهم وعلى غيرهم فقبض على الرسل وجهز عسكرا جرارا اليهم مع ايلتغدى حاجبه وغيرهم من
الامراء الاكابر فساروا اليهم والتقوا عند نسا فى شعبان من السنة واقتتلوا وعظم الامر وانهزم
السلجوقية وغنمت أموالهم فجرى بين عسكر مسعود منازعة فى الغنيمة أدت الى القتال واتفق فى
تلك الحال ان السلجوقية لما انهزموا قال لهم داود ان العسكر الآن قد نزلوا واطمأنوا وأمنوا
الطلب والرأى ان نقصدهم لعلنا نبلغ منهم غرضا فعادوا فوصلوا اليهم وهم على تلك الحال من
الاختلاف وقتال بعضهم بعضا فأوقعوا بهم وقتلوا منهم وأسروا واستردوا ما أخذوا من أموالهم
ورجالهم وعاد المنهزمون من العسكر الى الملك مسعود وهو بنيسابور فندم على رد طاعتهم وعلم ان
هيبتهم قد تمكنت من قلوب عساكره وانهم قد طمعوا بهذه الهزيمة وتجرؤا على قتال العساكر
السلطانية بعد الخوف الشديد وخاف من أخوات هذه الحادثة فارسل اليهم يتهددهم
ويتوعدهم فقال طغرلبك لامام صلاته اكتب الى السلطان قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من
تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير ولا تزد
على هذا فكتب ما قال فلما ورد الكتاب على مسعود أمر فكتب اليهم كتاب مملوء من المواعيد
الجميلة وسير معه الخلع النفيسة وأمرهم بالرحيل الى آمل الشط وهى مدينة على جيحون

ونهاهم

الفرصة وقد شكا ذات يوم حرارة فأراد الحجامة فخرج له من الدم ثلثمائة درهم لما كان فى المبضع وشرب شربة بعد ذلك
فخلت قواه ويقال ان السم
كان فى مبضع الطبيب
حين فصده * وقد ذكر ابن
أبى الدنيا عن عبد الملك بن
سليمان بن أبى جعفر قال
رأيت فى نومى المتوكل والفتح
ابن خاقان وقد أحاطت
بهما نار وقد جاء محمد
المنتصر فاستأذن عليهما
فمنع الوصول ثم أقبل
المتوكل على فقال يا عبد
الملك قل لمحمد بالكاس الذى
سقيتنا تشرب قال فلما
أصبحت غدوت على المنتصر
فوجدته محموما فواظبت
على عيادته فسمعته فى آخر
علته يقول عجلنا فعوجلنا
فمات من ذلك المرض
* وكان المنتصر واسع
الاحتمال راسخ العقل
كثير المعروف راغبا فى
الخير سخيا أديبا عفيفا
وكان يأخذ نفسه بمكارم
الاخلاق وكثرة الانصاف
وحسن المعاشرة بما لم
يسبقه خليفة الى مثله
وكان وزيره أحمد بن
الخصيب قليل الخير كثير
الشر شديد الجهل وكان
آل أبى طالب قبل خلافته
فى محنة عظيمة وخوف
على دمائهم قد منعوا زيارة
قبر الحسين والغرى من
أرض الكوفة وكذلك
منع غيرهم من شيعتهم
حضور هذه المشاهد وكان
الامر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين وفيها امر المعروف بالذيزج بالمسير الى قبر الحسين بن على

ونهاهم عن الشر والفساد وأقطع دهستان لداود ونسا لطغرلبك وفراوة لبيغو وواعد كل واحد
منهم بالدهقان فاستخفوا بالرسول والخلع وقالوا للرسول لو علمنا ان السلطان يبقى علينا اذا قدر
لاطعناه ولكنا نعلم انه متى ظفر بنا أهلكنا لما عملناه وأسلفناه فنحن لا نطيعه ولا نثق اليه وأفسدوا
ثم كفوا وتركوا ذلك فقالوا ان كان لنا قدرة على الانتصاف من السلطان والا فلا حاجة بنا الى
اهلاك العالم ونهب أموالهم وأرسلوا الى مسعود يخادعونه باظهار الطاعة له والكف عن الشر
ويسألونه ان يطلق عمهم ارسلان بن سلجوق من الحبس فأجابهم الى ذلك فأحضره عنده ببلخ
وأمره بمراسلة بنى أخيه بيغو وطغرلبك وداود يأمرهم بالاستقامة والكف عن الشر فارسل
اليهم رسولا يأمرهم بذلك وأرسل معه اشفى وأمره بتسليمه اليهم فلما وصل الرسول وأدى الرسالة
وسلم اليهم الاشفى نفروا واستوحشوا وعادوا الى أمرهم الاول فى الغارة والشر فأعاده مسعود
الى محبسه وسار الى غزنة فقصد السلجوقية بلخ ونيسابور وطوس وجوزجان على ماذكرناه وأقام
داود بمدينة مرو وانهزمت عساكر السلطان مسعود منهم مرة بعد مرة واستولى الرعب على
أصحابه لاسيما مع بعده الى غزنة فتوالت كتب نوابه وعماله اليه يستغيثون به ويشكون اليه
ويذكرون ما يفعل السلجوقية فى البلاد وهو لا يجيبهم ولا يتوجه اليهم وأعرض عن خراسان
والسلجوقية واشتغل بامور بلاد الهند فلما اشتد أمرهم بخراسان وعظمت حالهم اجتمع وزراء
مسعود وأرباب الرأى فى دولته وقالوا له ان قلة المبالاة بخراسان من أعظم سعادة السلجوقية
وبها يملكون البلاد ويستقيم لهم الملك ونحن نعلم وكل عاقل انهم اذا تركوا على هذه الحال استولوا
على خراسان سريعا ثم ساروا منها الى غزنة وحينئذ لا ينفعنا حركاتنا ولا نتمكن من البطالة والاشتغال
باللعب واللهو والطرب فاستيقظ من رقدته وأبصر رشده بعد غفلته وجهز العساكر الكثيرة مع
أكبر أمير عنده يعرف بسباشى وكان حاجبه وقد سيره قبل الى الغز العراقية وقد تقدم ذكر ذلك
وسير معه أميرا كبيرا اسمه مرداويج بن بشو وكان سباشى جبانا فأقام بهراة ونيسابور ثم أغار بغتة
على مرو وبها داود فسار مجدا فوصل اليها فى ثلاثة أيام فأصاب جيوشه ودوابه التعب والكلال
فانهزم داود بين يديه ولحقه العسكر فحمل عليه صاحب جوزجان فقاتله داود فقتل صاحب
جوزجان وانهزمت عساكره فعظم قتله على سباشى وكل من معه ووقعت عليهم الذلة وقويت
نفوس السلجوقية وزاد طمعهم وعاد داود الى مرو فاحسن السيرة فى أهلها وخطب له فيها أول
جمعة فى رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ولقب فى الخطبة بملك الملوك وسباشى يعادى الايام
ويرحل من منزل الى منزل والسلجوقية يراوغونه مراوغة الثعلب فقيل انه كان يفعل ذلك جبنا
وخورا وقيل بل راسله السلجوقية واستمالوه ورغبوه فنفس عنهم وتراخى فى تتبعهم والله أعلم ولما
طال مقام سباشى وعساكره والسلجوقية بخراسان والبلاد منهوبة والدماء مسفوكة قلت الميرة
والاقوات على العساكر خاصة فأما السلجوقية فلا يبالون بذلك لانهم يقنعون بالقليل فاضطر
سباشى الى مباشرة الحرب وترك المحاجزة فسار الى داود وتقدم داود اليه فالتقوا فى شعبان سنة
ثمان وعشرين على باب سرخس ولداود منجم يقال له الصومعى فأشار على داود بالقتال وضمن له
الظفر وأشهد على نفسه أنه ان أخطأ فدمه مباح له فاقتتل العسكران فلم يثبت عسكر سباشى
وانهزموا أقبح هزيمة وساروا أخزى مسير الى هراة فتبعهم داود وعسكره الى طوس يأخذونهم
باليد وكفوا عن القتل وغنموا أموالهم فكانت هذه الوقعة هى التى ملكت السلجوقية بعدها
خراسان ودخلوا قصبات البلاد فدخل طغرلبك نيسابور وسكن الشادياخ وخطب له فيها فى شعبان

رضى الله تعالى عنه ما وهدمه ومحو ارضه وازالة أثره وأن يعاقب من وجد به فبذل الرغائب ان تقدم
على هذا القبر فكل خشى
العقوبة وأحجم فتناول
الذيزج مسحاة وهدم
اعالى قبر الحسين فحينئذ
أقدم الفعلة فيه وانهم
انتهوا الى الحفرة وموضع
اللحد فلم يروا فيه أثر رمة
ولا غيرها ولم تزل الامور
على ماذكرنا الى أن
استخلف المنتصر فأمن
الناس وتقدم بالكف عن
آل أبى طالب وترك البحث
عن أخبارهم وأن لا يمنع
أحد زيارة الحيرة لقبر
الحسين رضى الله تعالى
عنه ولا قبر غيره من آل أبى
طالب وأمر برد فدك الى
ولد الحسن والحسين
وأطلق أوقاف آل أبى
طالب وترك التعرض
لشيعتهم ودفع الاذى عنهم
وفى ذلك يقول البحترى
من أبيات له
وان عليا الاولى بكم
وازكى يدا عندكم من عمر
وكل له فضله والحجو
ل يوم التراهين دون الغرر
وفى ذلك يقول يزيد بن محمد
المهلبى وكان من شيعة
آل أبى طالب وما كان
امتحن به الشيعة فى ذلك
الوقت وأغريت بهم العامة
ولقد بررت الطالبية بعدما
ذموا زمانا بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم
بعد العداوة بينهم اخوانا
آنست ليلهم وجدت عليهم * حتى نسوا الاحقاد والاضغانا
لو يعلم الاسلاف كيف بررتم * لرأوك أثقل من بها ميزانا

وفى سنة ثمان وأربعين ومائتين ١٦٦ خلع المنتصر بالله أخويه المعتز وابراهيم من ولاية العهد بعده وقد كان المتوكل بالله أخذ

لهم العهد فى كتب كتبها وشروط اشترطها وأفرد لكل واحد منهم جزأ من الاعمال رسمه له وجعل ولى عهده والتالى لملكه محمدا المنتصر وتالى المنتصر وولى عهده المعتز وتالى المعتز وولى عهده ابراهيم المؤيد وأخذت البيعة على الناس بما ذكرنا وفرق فيها أموالا وعم الناس بالجوائز والصلات وتكلمت فى ذلك الخطباء ونطقت به الشعراء فما اختير من قولهم فى ذلك قول مروان بن أبى الجنوب من قصيدة

ثلاثة أملاك فاما محمد
فنور هدى يهدى به الله من يهدى
وأما أبو عبد الاله فانه
شبيهك فى التقوى ويجدى كما تجدى
وذو الفضل ابراهيم للناس عصمة
تقى وفى بالوعيد وبالوعد
فأولهم نور وثانيهم هدى
وثالثهم رشد وكلهم مهدى

وقوله للمتوكل مما أجاد فيه وأحسن

يا عاشر الخلفاء دمت ممتعا
بالملك تعقد بعدهم للعاشر
حتى تكون امامهم وكأنهم
زهر النجوم دنت لبدر زاهر

وفى بيعة المتوكل لمن ذكرنا من ولده الثلاثة بولاية العهد يقول الشاعر المعروف بالسلمى لقد شد ركن الدين بالبيعة الرضا * وقال

بالسلطان المعظم وفرقوا النواب فى النواحى وسار داود الى هراة ففارقها سباشى ومضى الى غزنة فعاتبه مسعود ووبخه وقال له ضيعت العساكر وطاولت الايام حتى قوى أمر العدو وصفا لهم مشربهم وتمكنوا من البلاد ما أرادوا فاعتذر بأن القوم تفرقوا ثلاث فرق كلما تبعت فرقة سارت بين يدى وخالف الفريقان فى البلاد يفعلون ما أرادوا فاضطر مسعود الى المسير الى خراسان فجمع العساكر وفرق فيهم الاموال العظيمة وسار عن غزنة فى جيوش يضيق بها الفضاء ومعه من الفيلة عدد كثير فوصل الى بلخ وقصده داود اليها أيضا ونزل قريبا منها فدخلها يوما جريدة فى طائفة يسيرة على حين غفلة من العساكر فأخذ الفيل الكبير الذى على باب دار الملك مسعود وأخذ معه عدة جنائب فعظم قدره فى النفوس وازداد العسكر هيبة له ثم سار مسعود من بلخ أول شهر رمضان سنة تسع وعشرين وأربعمائة ومعه مائة ألف فارس سوى الاتباع وسار على جوزجان فأخذوا اليها الذى كان بها للسلجوقية فصلبه وسار منها فوصل الى مرو الشاهجان وسار داود الى سرخس واجتمع هو وأخواه طغرلبك وبيغو فأرسل مسعود اليهم رسلا فى الصلح فسار فى الجواب بيغو فأكرمه مسعود وخلع عليه وكان مضمون رسالته انا لا نثق بمصالحتك بعد ما فعلنا هذه الافعال التى سخطتها كل فعل منها موبق مهلك وآيسوه من الصلح فسار مسعود من مرو الى هراة وقصد داود مرو فامتنع أهلها عليه فحصرها سبعة أشهر وضيق عليهم وألح فى قتالهم فملكها فلما سمع مسعود هذا الخبر سقط فى يديه وسار من هراة الى نيسابور ثم منها الى سرخس وكلما تبع السلجوقية الى مكان ساروا منه الى غيره ولم يزل كذلك فأدركهم الشتاء فأقاموا بنيسابور ينتظرون الربيع فلما جاء الربيع كان الملك مسعود مشغولا بلهوه وشربه فتقضى الربيع والامر كذلك فلما جاء الصيف عاتبه وزراؤه وخواصه على اهماله أمر عدوه فسار من نيسابور الى مرو بطلب السلجوقية فدخلوا البرية فدخلها وراءهم مرحلتين والعسكر الذى له قد ضجروا من طول سفرهم وبيكارهم وسئموا الشد والترحل فانهم كان لهم فى السفر نحو ثلاث سنين بعضها مع سباشى وبعضها مع الملك مسعود فلما دخل البرية نزل منزلا قليل الماء والحر شديد فلم يكف الماء للسلطان وحواشيه وكان داود فى معظم السلجوقية بازائه وغيره من عشيرته مقابل ساقة عساكره يتخطفون من تخلف منهم فاتفق لما يريده الله تعالى ان حواشى مسعود اختصموا هم وجمع من العسكر على الماء وازدحموا وجرى بينهم فتنة حتى صار بعضهم يقاتل بعضا وبعضهم ينهب بعضا فاستوحش لذلك أمراء العسكر ومشى بعضهم الى بعض فى التخلى عن مسعود فعلم داود ما هم فيه من الاختلاف فتقدم اليهم وحمل عليهم وهم فى ذلك التنازع والقتال والنهب فولوا منهزمين لا يلوى أول على آخر وكثر القتل فيهم والسلطان مسعود ووزيره يناديانهم ويأمرانهم بالعود فلا يرجعون وتمت الهزيمة على العسكر وثبت مسعود فقيل له ما تنتظر قد فارقك أصحابك وأنت فى برية مهلكة وبين يديك عدو وخلفك عدو ولا وجه للمقام فمضى منهزما ومعه نحو مائة فارس فتبعه فارس من السلجوقية فعطف عليه مسعود فقتله وصار لا يقف على شئ حتى أتى غرشستان وأما السلجوقية فانهم غنموا من العسكر المسعودى ما لا يدخل تحت الاحصاء وقعد داود على أصحابه وآثرهم على نفسه ونزل فى سرادق مسعود وقعد على كرسيه ولم ينزل عسكره ثلاثة أيام عن ظهور دوابهم لا يفارقونها الا لما لا بد لهم منه من مأكول ومشروب وغير ذلك خوفا من عود العسكر وأطلق الاسرى وأطلق خراج سنة كاملة وسار طغرلبك الى نيسابور فملكها ودخل اليها آخر سنة احدى وثلاثين وأول سنة اثنتين وثلاثين ونهب أصحابه الناس فقيل عنه انه رأى لوزينجا فأكله

وطائر سعد جعفر بن محمد لمنتصر بالله أثبت ركنه * وأكد بالمعتز قبل المؤيد وممن قال ١٦٧ فى ذلك فأحسن القول وأجاد النظم

ادريس بن أبى حفصة

ان الخلافة ما لها عن جعفر
نور الهدى وبنيه من تحويل
فاذا انقضى منها الخليفة جعفر
للناس لا فقدوه خير بديل
فبقاء ملكك وانتظار محمد
خير لنا وله من التعجيل

وقد كان خرج بأيام المنتصر بناحية اليمن والبوازيج والموصل أبو العمود الشارى فحكم واشتد أمره فيمن انضاف اليه من المحكمة من ربيعة وغيرهم من الاكراد فسرح اليه المنتصر جيشا عليهم سيما التركى فكانت له مع الشارى حروب فأسر الشارى وأتى به المنتصر فجاد عليه بالعفو وأخذ عليه العهد وخلى سبيله (وحكى) عنه وزيره أحمد بن الخصيب بن الضحاك الجرجانى أنه قال حين رضى عن الشارى ان لذة العفو أعذب من لذة التشفى وأقبح أفعال المقتدر الانتقام * وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال رأى بعض الكتاب فى المنام فى الليلة التى استخلف فى صبيحتها المنتصر كأن قائلا يقول

هذا الامام المنتصر
والملك الحادى عشر

وأمره اذا أمر * كالسيف ما لاقى بتر وطرفه اذا نظر * كالدهر فى خير وشر وقد كان أظهر الانصاف فى الرعية فمالت

وقال هذا قطماج طيب الا أنه لا ثوم فيه ورأى الغزال الكافور فظنوه ملحا وقالوا هذا ملح مر ونقل عنهم أشياء من هذا كثيرا وكان العيارون قد عظم ضررهم واشتد أمرهم وزادت البلية بهم على أهل نيسابور فهم ينهبون الاموال ويقتلون النفوس ويرتكبون الفروج الحرام ويفعلون كل ما يريدونه لا يردعهم عن ذلك رادع ولا يزجرهم زاجر فلما دخل طغرلبك البلد خافه العيارون وكفوا عما كانوا يفعلون وسكن الناس واطمأنوا واستولى السلجوقية حينئذ على جميع البلاد فسار بيغو الى هراة فدخلها وسار داود الى بلخ وبها التونتاق الحاجب واليا عليها لمسعود فأرسل اليه داود يطلب منه تسليم البلد اليه ويعرفه عجز صاحبه عن نصرته فسجن التونتاق الرسل فنازله داود وحصر المدينة فأرسل التونتاق الى مسعود وهو بغزنة يعرفه الحال وما هو فيه من ضيق الحصار فجهز مسعود العساكر الكثيرة وسيرها فجاءت طائفة منهم الى الرخج وبها جمع من السلجوقية فقاتلوهم فانهزم السلجوقية وقتل منهم ثمانمائة رجل وأسر كثير وخلا ذلك الصقع منهم وسار طائفة منهم الى هراة وبها بيغو فقاتلوه ودفعوه عنها ثم ان مسعودا سير ولده مودودا فى عسكر كثير مددا لهذه العساكر فقتل مسعود وهو بخراسان على ما نذكره ان شاء الله تعالى فساروا عن غزنة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فلما قاربوا بلخ سير داود طائفة من عسكره فأوقعوا بطلائع مودود فانهزمت الطلائع وتبعهم عسكر داود فلما أحس بهم عسكر مودود رجعوا الى ورائهم وأقاموا فلما سمع التونتاق صاحب بلخ الخبر أطاع داود وسلم اليه البلد ووطئ بساطه

﴿ذكر قبض السلطان مسعود وقتله وملك أخيه محمد﴾

قد ذكرنا عود مسعود بن محمود بن سبكتكين الى غزنة من خراسان فوصلها فى شوال سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وقبض على سباشى وغيره من الامراء كما ذكرناه واثبت غيرهم وسير ولده مودودا الى خراسان فى جيش كثيف ليمنع السلجوقية عنها فسار مودود الى بلخ ليرد عنها داود أخا طغرلبك وجعل أبوه مسعود معه وزيره أبا نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد يدبر الامور وكان مسيرهم من غزنة فى ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين وسار مسعود بعدهم بسبعة أيام يريد بلاد الهند ليشتو بها على عادة والده فلما سار أخذ معه أخاه محمدا مسمولا واستصحب الخزائن وكان عازما على الاستنجاد بالهند على قتال السلجوقية ثقة بعهودهم فلما عبر سيحون وهو نهر كبير نحو دجلة وعبر بعض الخزائن اجتمع أنوشتكين البلخى وجمع من الغلمان الدارية ونهبوا ما تخلف من الخزانة وأقاموا أخاه محمدا ثالث عشر ربيع الآخر وسلموا عليه بالامارة فامتنع من قبول ذلك فتهددوه وأكرهوه فأجاب وبقى مسعود فيمن معه من العسكر وحفظ نفسه فالتقى الجمعان منتصف ربيع الآخر فاقتتلوا وعظم الخطب على الطائفتين ثم انهزم عسكر مسعود وتحصن هو فى رباط ماريكلة فحصره أخوه فامتنع عليه فقالت له أمه ان مكانك لا يعصمك ولأن تخرج اليهم بعهد خير من ان يأخذوك قهرا فخرج اليهم فقبضوا عليه فقال له أخوه محمد والله لا قابلتك على فعلك بى ولا عاملتك الا بالجميل فانظر أين تريد ان تقيم حتى أحملك اليه ومعك أولادك وحرمك فاختار قلعة كيكى فأنفذه اليها محفوظا وأمر باكرامه وصيانته وأرسل مسعود الى أخيه محمد يطلب منه مالا ينفقه فأنفذ له خمسمائة درهم فبكى مسعود وقال كان بالامس حكمى على ثلاثة آلاف حمل من الخزائن واليوم لا أملك الدرهم الفرد فأعطاه الرسول من ماله ألف دينار فقبلها وكانت سبب سعادة الرسول لانه لما ملك مودود بن مسعود بالغ فى الاحسان اليه ثم ان محمدا فوض أمر دولته الى ولده أحمد وكان فيه خبط وهوج فاتفق هو وابن عمه يوسف بن

سبكتكين وابن علي خو يشاوند على قتل مسعود ليصفو الملك له ولوالده فدخل الى أبيه فطلب خاتمه ليختم به بعض الخزائن فاعطاه فسار بها الى القلعة وأعطوا الخاتم لمستحفظها وقالوا معنا رسالة الى مسعود فادخلهم اليه فقتلوه فلما علم محمد بذلك ساءه وشق عليه وأنكره وقيل ان مسعودا لما حبس دخل عليه ولدا أخيه محمد واسم أحدهما عبد الرحمن والآخر عبد الرحيم فمد عبد الرحمن يده فاخذ القلنسوة من رأس عمه مسعود فمد عبد الرحيم يده وأخذ القلنسوة من أخيه وأنكر عليه ذلك وسبه وقبلها وتركها على رأس عمه فنجا بذلك عبد الرحيم من القتل والاسر لما ملك مودود بن مسعود على ماذكره ان شاء الله تعالى ثم ان محمدا أغراه ولده أحمد بقتل عمه مسعود فامر بذلك وأرسل اليه من قتله وألقاه في بئر وسد رأسها وقيل بل ألقي في بئر حيا وسد رأسها فمات والله أعلم فلما مات كتب محمد الى ابن أخيه مودود وهو بخراسان يقول ان والدك قتل قصاصا قتله أولاد أحمد ينالتكين بلا رضاى فاجاب مودود يقول أطال الله بقاء الامير القاسم ورزق ولده المعتوه أحمد عقلا يعيش به فقد ركب أمرا عظيما وأقدم على اراقة دم ملك مثل والدي الذي لقبه أمير المؤمنين سيد الملوك والسلاطين وستعلمون في أي حتف تورطتم وأي شر تأبطتم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وطمع جند محمد فيه وزالت عنهم هيبته فمدوا أيديهم الى أموال الرعايا فنهبوها فخربت البلاد وجلا أهلها الاسيما مدينة برشاور فانها هلك أهلها ونهبت أموالهم وكان المملوك بها يباع بدينار ويباع الخمر كل منا بدينار ثم رحل محمد عن اللبلتين بقيتا من رجب وكان ماذكره ان شاء الله تعالى وكان السلطان مسعود شجاعا كريما ذا فضائل كثيرة محبا للعلماء كثير الاحسان اليهم والتقرب لهم صنفوا له التصانيف الكثيرة في فنون العلوم وكان كثير الصدقة والاحسان الى أهل الحاجة تصدق مرة في شهر رمضان بألف ألف درهم وأكثر الادرارات والصلات وعمر كثيرا من المساجد في ممالكه وكانت صنائعه ظاهرة مشهورة تسير بها الركبان مع عفة عن أموال رعاياه وأجاز الشعراء بجوائز عظيمة أعطى شاعرا على قصيدة ألف دينار وأعطى آخر بكل بيت ألف درهم وكان يكتب خطا حسنا وكان ملكه عظيما فسيحا ملك اصبهان والري وهمذان ومايليها من البلاد وملك طبرستان وجرجان وخراسان وخوارزم وبلاد الراون وكرمان وسجستان والسند والرخج وغزنة وبلاد الغور والهند وملك كثيرا منها وأطاعه أهل البر والبحر ومناقبه كثيرة وقد صنفت فيها التصانيف المشهورة فلاحاجة الى الاطالة بذكرها

﴿ذكر ملك مودود بن مسعود وقتله عمه محمدا﴾

لما قتل الملك مسعود وصل الخبر الى ابنه مودود وهو بخراسان فعاد مجدا في عساكره الى غزنة فتصاف هو وعمه محمد في ثالث شعبان فانهزم محمد وعسكره وقبض عليه وعلى ولده أحمد وانوشتكين الخصي البلخي وابن علي خو يشاوند فقتلهم وقتل أولاد عمه جميعهم الاعبد الرحيم لانكاره على أخيه عبد الرحمن مافعله بعمه مسعود وبنى موضع الوقعة قرية ورباطا وسماها فتح آباذ وقتل كل من له في القبض على والده صنع وعاد الى غزنة فدخلها في ثالث وعشري شعبان سنة اثنتين وثلاثين واستوزر أبا نصر وزير أبيه وأظهر العدل وحسن السيرة وسلك سيرة جده محمود وكان داود أخو طغرلبك قد ملك مدينة بلخ واستباحها كما ذكرناه ومودود مقابله فتجدد قتل مسعود فعاد ليقضي الله أمرا كان مفعولا فلما تجدد هذا الظفر لمودود ثار أهل

هراة

اليه قلوب الخاصة والعامة مع شدة الهيبة منهاله * وحدثني أبو الحسن أحمد بن علي بن يحيى المعروف بابن النديم قال حدثنا علي بن يحيى المنجم قال مارأيت أحدا مثل المنتصر ولا أكرم أفعالا بغير تبجح منه ولا تكلف اقدرآ في يوما وأنا مغموم شديد الفكر بسبب ضيعة مجاورة لضيعتي وكنت أحب شراءها فلم أزل أعمل الحيلة على مالكها حتى أجابني الى بيعها ولم يكن عندي في ذلك الوقت قيمة ثمنها فصرت الى المنتصر وأنا على تلك الحال فتبين الانكسار في وجهي وشغل القلب فقال لي أراك مفكرا فاقصصتك فجعلت أزوي عنه خبري واستقصني فاستحلفني فصدقته عن خبر الضيعة فقال لي المنتصر فكم مبلغ ثمنها فقلت ثلاثون ألف درهم قال فكم عندك منها قلت عشرة آلاف فامسك عني ولم يجبني وتشاغل عني ساعة ثم دعا بدواة وبطاقة ثم وقع فيها بشئ لا أدري ماهو وأشار الى خادم كان على رأسه بما لم أفهم فمضى الغلام مسرعا وأقبل يشغلني بالحديث ويطاعمني الكلام الى أن أقبل الغلام فوقف بين يديه فنهض المنتصر وقال لي ياعلي اذا شئت فانصرف الى منزلك وقد كنت قدرت عند مسئلته انه سيأمر لي بالثمن أو نصفه فانيت وأنا لا أعقل غما فلما وصلت الى داري استقبلني وكيلي فقال ان خادم أمير المؤمنين صار

هراة بمن عندهم من الغز السلجوقية فاخرجوهم وحفظوها لمودود واستقر الامر لمودود لغزنة ولم يبق له هم الا أمر أخيه مجدود فان أباه قد سيره الى الهند سنة ست وعشرين فخاف ان يخالف عليه فاتاه خبره انه قصد لهاوور وملتان فملكهما وأخذ الاموال وجمع بهما العساكر وأظهر الخلاف على أخيه فندب اليه مودود جيشا ليمنعوه ويقاتلوه وعرض مجدود عسكره للمسير وحضر عيد الاضحى فبقي بعده ثلاثة أيام وأصبح ميتا بلهاوور لا يدري كيف كان موته وأطاعت البلاد باسرها مودودا ورست قدمه وثبت ملكه ولما سمعت الغز السلجوقية ذلك خافوه واستشعروا منه وراسله ملك الترك بما وراء النهر بالانقياد والمتابعة

﴿ذكر الخلف بين جلال الدولة وقرواش صاحب الموصل﴾

في هذه السنة اختلف جلال الدولة ملك العراق وقرواش بن المقلد العقيلي صاحب الموصل وكان سبب ذلك ان قرواشا كان قد أنفذ عسكرا سنة احدى وثلاثين فحصروا خميس بن ثعلب بتكريت وجرى بين الطائفتين حرب شديدة في ذي القعدة منها فارسل خميس ولده الى الملك جلال الدولة وبذل بذولا كثيرة ليكف عنه قرواشا فاجابه الى ذلك وأرسل الى قرواش يأمره بالكف عنه فغالط ولم يفعل وسار بنفسه ونزل عليه يحاصره فتأثر جلال الدولة منه ثم انه أرسل كتبا الى الاتراك ببغداد يفسدهم وأشار عليهم بالشغب على الملك واثارة الفتنة معه فوصل خبرها الى جلال الدولة وأشياء أخر كانت هذه هي الاصل فارسل جلال الدولة أبا الحرث ارسلان البساسيري في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ليقبض على نائب قرواش بالسندية فسار ومعه جماعة من الاتراك وتبعه جمع من العرب فرأى في طريقه جمالا لبني عيسى فتسرع اليها الاتراك والعرب فاخذوا منها قطعة وأوغل الاتراك في الطلب وبلغ الخبر الى العرب وركبوا وتبعوا الاتراك وجرى بين الطائفتين حرب انهزم فيها الاتراك وأسر منهم جماعة وعاد المنهزمون فاخبروا البساسيري بكثرة العرب فعاد ولم يصل الى مقصده وسار طائفة من بني عيسى فكمنوا بين صرصر وبغداد ليفسدوا في السواد فاتفق ان وصل بعض أكابر القواد الاتراك فخرجوا عليه فقتلوه وجماعة من أصحابه وحملوا الى بغداد فارتج البلد واستحكمت الوحشة بين جلال الدولة وقرواش فجمع جلال الدولة العساكر وسار الى الانبار وهي لقرواش على عزم أخذها منه وغيرها من اقطاعه بالعراق فلما وصلوا الى الانبار أغلقت وقاتلهم أصحاب قرواش وسار قرواش من تكريت الى خصه على عزم القتال فلما نزل الملك جلال الدولة على الانبار قلت عليهم العلوفة فسار جماعة من العسكر والعرب الى الحديثة ليمتاروا منها فخرج عليهم عندها جمع كثير من العرب فاوقعوا بهم فانهزم بعضهم وعادوا الى العسكر ونهبت العرب ما معهم من الدواب التي تحمل الميرة وبقي المرشد أبو الوفاء وهو المقدم على العسكر الذين ساروا لاحضار الميرة وثبت معه جماعة ووصل الخبر الى جلال الدولة ان المرشد أبا الوفاء يقاتل وأخبر بسلامته وصبره للعرب وانهم يقاتلونه وهو يطلب النجدة فسار الملك اليه بعسكر فوصلوا وقد عجز العرب عن الوصول اليه وعادوا عنه بعد ان حملوا عليه وعلى من معه عدة حملات صبر لها في قلة من معه ثم اختلفت عقيل على قرواش فراسل جلال الدولة وطلب رضاه وبذل له بذلا أصلحه به وعاد الى طاعته فتحالفا وعاد كل الى مكانه

﴿ذكر ملك أبي الشوك دقوقا﴾

كانت دقوقا لابي الماجد المهلهل بن محمد بن عناز فسير اليها أخوه حسام الدولة أبو الشوك ولده سعديا فحاصرها فقاتله من بها ثم سار أبو الشوك اليها فجد في حصارها ونقب سورها ودخلها

الينا ومعه بغل عليه بدرتان فسلمهما الي وأخذ خطي بقبضهما قال فداخلني من الفرح والسرور مالم أملك به نفسي ودخلت وأنا لا أصدق قول الوكيل حتى أخرج الي البدرتين فحمدت الله تعالى على ماحباه لي ووجهت في وقتي الى صاحب الضيعة فوفيته الثمن وتشاغلت سائر يومي بتسليمها والاشهاد بها على البائع ثم بكرت الى المنتصر من الغد فأعاد علي حرفا ولا سألني عن شئ من خبر الضيعة حتى فرق الموت بيننا (قال المسعودي) وذكر الفضل بن أبي طاهر في كتابه في أخبار المؤلفين قال حدثني أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير مولى أمير المؤمنين قال كان المنتصر في أيام امارته ينادمه جماعة من أصحابه وفيهم صالح بن أحمد المعروف بالحريري فجرى في مجلسه ذات يوم ذكر الحب والعشق فقال المنتصر لبعض من في المجلس أخبرني عن أي شئ أعظم عند النفس فقدا وهي به أشد تفجعا قال فقد خل مشاكل وموت شكل موافق وقال آخر ممن حضر ما أشد جولة الرأي عند أهل الهوى وفطام النفس عند الصبا وقد تصدعت أكباد العاشقين من لوم العاذلين فلوم العاذلين قرط في آذانهم ولوعات الحب نيران في أبدانهم مع دموع المعاني كغروب

عنوة ونهب أصحابه بعض البلد وأخذوا سلاح الاكراد وثيابهم وأقام حسام الدولة بالبلد ليلة وعاد خوفا الى البندنيجين وحلوان فان أخاه سرخاب بن محمد بن عناز كان قد أغار على عدة مواضع من ولايته وحالف أبا الفتح بن ورام والجاوانية عليه فاشفق من ذلك وأرسل الى جلال الدولة يطلب منه نجدة فسير اليه عسكرا امتنع بهم

﴿ذكر الحرب بين عسكر مصر والروم﴾

فى هذه السنة كانت وقعة بين عسكر المصريين سيره الدزبرى وبين الروم فظفر المسلمون وكان سبب ذلك ان ملك الروم قد هادنه المستنصر بالله العلوى صاحب مصر على ما ذكرناه فلما كان الآن شرع يراسل ابن صالح بن مرداس ويستميله وراسله قبله صالح ليتقوى به على الدزبرى خوفا ان يأخذ منه الرقة فبلغ ذلك الدزبرى فتهدد ابن صالح فاعتذر ووجد ثم ان جمعا من بنى جعفر بن كلاب دخلوا ولاية فامية فعاثوا فيها ونهبوا عدة قرى فخرج عليهم جمع من الروم فقاتلوهم وأوقعوا بهم ونكوا فيهم وأزالوهم عن بلادهم وبلغ ذلك الناظر بحلب فأخرج من بها من تجار الفرنج وأرسل الى المتولى بانطاكية يأمره باخراج من عنده من تجار المسلمين فاغلظ للرسول وأراد قتله ثم تركه فارسل الناظر بحلب الى الدزبرى يعرفه الحال وان القوم على التجهز لقصد البلاد فجهز الدزبرى جيشا وسيره على مقدمته فاتفق انهم لقوا جيشا للروم وقد خرجوا لمثل ما خرج اليه هؤلاء والتقى الفريقان بين مدينة حماه وفامية واشتد القتال بينهم ثم ان الله نصر المسلمين وأذل الكافرين فانهزموا وقتل منهم عدة كثيرة وأسر ابن عم للملك بذلوا فى فدائه مالا جزيلا وعدة وافرة من أسراء المسلمين وانكف الروم عن الأذى بعدها

﴿ذكر الخلاف بين المعز وبنى حماد﴾

فى هذه السنة خالف أولاد حماد على المعز بن باديس صاحب افريقية وعادوا الى ما كانوا عليه من العصيان والخلاف عليه فسار اليهم المعز وجمع العساكر وحشدها وحصر قلعتهم المعروفة بقلعة حماد وضيق عليهم وأقام عليهم نحو سنتين

﴿ذكر صلح أبى الشوك وعلاء الدولة﴾

وفيها سار مهلهل أخو أبى الشوك الى علاء الدولة بن كاكويه واستصرخه واستعان به على أخيه أبى الشوك فسار معه فلما بلغ قرميسين رجع أبو الشوك الى حلوان فعرف علاء الدولة رجوعه فسار يتبعه حتى بلغ المرج وقرب من أبى الشوك فعزم أبو الشوك على قصد قلعة السيروان والتحصن بها ثم تجلد وأرسل الى علاء الدولة انى لم أنصرف من بين يديك الا مراقبة لك واعظاما لقدرك واستعطافا لك فاذا اضطررتنى الى ما لا أجد بدا منه كان العذر قائما لى فيه فان ظفرت بك طمع فيك الاعداء وان ظفرت فى سلمت قلاعى وبلادى الى الملك جلال الدولة فاجابه علاء الدولة الى الصلح على ان يكون له الدينور وعاد فلحقه المرض فى طريقه وتوفى على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة كان بافريقية غلاء شديد وسببه عدم الامطار فسميت سنة الغبار ودام ذلك الى سنة أربع وثلاثين فخرج الناس فاستسقوا وفيها توفى قزل أمير الغز العراقية بالرى ودفن بناحية من أعمالها وفيها توفى صاعد بن محمد أبو العلاء النيسابورى ثم الاستوائى قاضى نيسابور وكان عالما فقيها حنفيا انتهت اليه رياسة الحنفية بخراسان

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة﴾

السوانى وانما يعرف ما أقول من أبكته المغانى والطلول وقال آخر مسكين العاشق كل شئ عدوه هبوب الرياح يقلقه ولمعان البرق يؤرقه والعذل يؤلمه والبعد ينحله والذكر يسقمه والقرب يهيجه والليل يضاعف بلاءه والرقاد يهرب منه ورسوم الدار تحرقه والوقوف على الطلول يبكيه ولقد تداوت منه العشاق بالقرب والبعد فما نجع فيه دواء ولا هدأه عزاء ولقد أحسن الذى يقول

وقد زعموا أن المحب اذا دنا يمل وأن النأى يشفى من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد

فكل قال وأكثر الخطب فى ذلك فقال المنتصر لصالح ابن محمد الحريرى يا صالح هل عشقت قط قال أى والله أيها الامير وان بقايا ذلك فى صدرى قال ويلك لمن قال أيها الملك كنت آلف الرصافة فى أيام المعتصم وكانت لقينة أم ولد الرشيد جارية تخرج فى جواريها وتقوم فى أمرها وتلقى الناس عنها وكانت قينة تتولى أمر القصر اذ ذاك وكانت تربى فأحتشمها وأعاينها ثم راسلتها فطردت رسولى وهددتنى وكنت أقعد على طريقها لا كلمها فاذا رأتنى ضحكت وغمزت الجوارى بالعبث بى والهزء ثم فارقتها وفى قلبى منها نار لا تخمد وغليل لا يبرد ووجد يتجدد فقال له المنتصر فهل لك أن أحضرها

﴿ذكر وفاة علاء الدولة بن كاكويه﴾

فى هذه السنة فى المحرم توفى علاء الدولة أبو جعفر بن دشمنزيار المعروف بابن كاكويه بعد عوده من بلد أبى الشوك وانما قيل له كاكويه لانه ابن خال مجد الدولة بن بويه والخال بلغتهم كاكويه وقام باصبهان ابنه ظهير الدين أبو منصور فرامرز وهو أكبر أولاده وأطاعه الجند بها فسار ولده أبو كاليجار كرشاسف الى نهاوند فاقام بها وحفظها وضبط اعمال الجبل وأخذها لنفسه فامسك عنه أخوه أبو منصور فرامرز ثم ان مستحفظ العلاء الدولة بقلعة نطنز أرسل أبو منصور اليه يطلب شيأ مما عنده من الاموال والذخائر فامتنع وأظهر العصيان فسار اليه أبو منصور وأخوه الاصغر أبو حرب ليأخذ القلعة منه كيف أمكن فصعد أبو حرب اليها ووافق المستحفظ على العصيان فعاد أبو منصور الى اصبهان وأرسل أبو حرب الى الغز السلجوقية بالرى يستنجدهم فسار طائفة منهم الى قاجان فدخلوها ونهبوها وسلموها الى أبى حرب وعادوا الى الرى فسير اليها أبو منصور عسكرا ليستنقذها من أخيه فجمع أبو حرب الاكراد وغيرهم وجعل عليهم صاحبا له وسيرهم الى اصبهان ليملكوها بزعمه فسير اليهم أخوه أبو منصور عسكرا فالتقوا وانهزم عسكر أبى حرب وأسر جماعة منهم وتقدم أصحاب أبى منصور فحصروا أبا حرب فلما رأى الحال وخاف نزل منها متخفيا وسار الى شيراز الى الملك أبى كاليجار صاحب فارس والعراق فحسن له قصد اصبهان وأخذها من أخيه فسار الملك اليها وحصرها وبها الامير أبو منصور فامتنع عليه وجرى بين الفريقين عدة وقائع كان آخر الامر الصلح على ان يبقى أبو منصور باصبهان وتقرر عليه مال وعاد أبو حرب الى قلعة نطنز واشتد الحصار عليه فارسل الى أخيه يطلب المصالحة فاصطلحا على ان يعطى أخاه بعض ما فى القلعة ويبقى بها على حاله ثم ان ابراهيم ينال خرج الى الرى على ما نذكره وأرسل الى أبى منصور فرامرز يطلب منه الموادعة فلم يجبه وسار فرامرز الى همذان وبروجرد فملكهما ثم اصطلح هو وأخوه كرشاسف وأقطعه همذان وخطب لابى منصور على منابر بلاد كرشاسف واتفقت كلمتهما وكان المدبر لامرهما الكيا أبو الفتح الحسن بن عبد الله وهو الذى سعى فى جمع كلمتهما

﴿ذكر ملك طغرلبك جرجان وطبرستان﴾

فى هذه السنة ملك طغرلبك جرجان وطبرستان وسبب ذلك ان أنوشروان بن منوجهر بن قابوس ابن وشمكير صاحبها قبض على أبى كاليجار بن ويهان القوهى صاحب جيشه وزوج أمه بمساعدة أمه عليه فعلم حينئذ طغرلبك ان البلاد لا مانع له عنها فسار اليها وقصد جرجان ومعه مرداويج بن بسو فلما نازلها فتح له المقيم بها فدخلها وقرر على أهلها مائة ألف دينار صلحا وسلمها الى مرداويج ابن بسو وقرر عليه خمسين ألف دينار كل سنة عن جميع الاعمال وعاد الى نيسابور وقصد مرداويج أنوشروان بسارية وكان بها فاصطلحا على ان ضمن أنوشروان له ثلاثين ألف دينار وأقيمت الخطبة لطغرلبك فى البلاد كلها وتزوج مرداويج بوالدة أنوشروان وبقى أنوشروان يتصرف بأمر مرداويج لا يخالفه فى شئ البتة

﴿ذكر أحوال ملوك الروم﴾

نذكر ههنا أحوال الروم من عهد بسيل الى الآن فنقول من عادة ملوك الروم ان يركبوا أيام الاعياد الى البيعة المخصوصة بذلك العيد فاذا اجتاز الملك بالاسواق شاهده الناس وبايديهم المداخن يبخرون فيها فركب والدبسيل وقسطنطين فى بعض الاعياد وكان لبعض أكابر الروم

وأزوجكها ان كانت حرة وأشتريها ان كانت أمة فقال والله أيها الامير ان بى الى ذلك أعظم الفاقة وأشد الحاجة قال فدعا المنتصر بأحمد ابن الخصيب وسأله أن يوجه له فى ذلك غلاما من غلمانه منفردا ويكتب معه كتابا مؤكدا الى ابراهيم بن اسحق وصالح الخادم المتولى لامر الحرم بمدينة السلام فمضى الرسول وقد كانت أعتقتها وخرجت من حد الجوارى الى حد النساء البوالغ فحملها الى المنتصر فلما حضرت نظر اليها فاذا عجوز قد حدبت وعنست وبها بقية من الجمال فقال لها تحبين أن أزوجك قالت انما أنا أمتك أيها الامير ومولاتك فافعل ما بدا لك فاحضر صالحا وأملكه بها وأمهرها ثم فرح به فاحضر حورا من صاوعركا مخلعا ونثره عليه وأقامت مع صالح مدة طويلة ثم ملها ففارقها وقال يعقوب التمار فى ذلك

منح الله أبا الفضل حياة لا تنغص

ونولاه فقد بالغ فى الحب وأخلص

عاشقا كان على التر ويج للعقد تحرص

من هوى من شعرها خضب بالحنا المعقص

فتراه عند ما يصل كالبرد المحرص

فهى من أصلح خلق الله فى التاج المفصص

رزق الصبر عليها * فتأنى وتربص

شيخة هام بها من * وجده شيخ مقرفص

قرنصت فى عهد نوح * صاحب الفلك وقرنص

بنت جميلة فخرجت تشاهد الملك فلما مر بها استحسنها فأمر من يسأل عنها فلما عرفها خطبها وتزوجها وأحبها وولدت منه بسيل وقسطنطين وتوفي وهما صغيران فتزوجت بعده بمدة طويلة نقفور فكره كل واحد منهما صاحبه فعملت على قتله فراسلت الشمشقيق في ذلك فقصد قسطنطينية متخفيا فأدخلته الى دار الملك واتفقا وقتلاه ليلا وأحضرت البطارقة متفرقين وأعطتهم الاموال ودعتهم الى تمليك نقفور ففعلوا ولم تصبح الا وقد فرغت مما تريد ولم يجر خلف وتزوجت الشمشقيق وأقامت معه سنة فخافها واحتال عليها وأخرجها الى دير بعيد وحمل ولديها معها فأقامت فيه سنة ثم أحضرت راهبا ووهبته مالا وأمرته بقصد قسطنطينية والمقام بكنيسة الملك والاقتصار على قدر القوت فاذا وثق به الملك وأراد القربان من يده ليلة العيد سقاه سما ففعل الراهب ذلك فلما كان ليلة العيد سارت ومعها ولداها ووصلت قسطنطينية في اليوم الذي توفي فيه الشمشقيق فملك ولدها بسيل ودبرت هي الامر لصغره فلما كبر بسيل قصد بلد البلغار وتوفيت وهو هناك فبلغه وفاتها فأمر خادما له ان يدبر الامور في غيبته ودام قتاله للبلغار أربعين سنة فظفر وابه فعاد منهزما وأقام بالقسطنطينية يتجهز للعود فعاد اليهم فظفر بهم وقتل ملكهم وسبى أهله وأولاده وملك بلاده ونقل أهلها الى الروم وأسكن البلاد طائفة من الروم وهؤلاء البلغار غير الطائفة المسلمة فان هؤلاء أقرب الى بلد الروم من المسلمين بنحو شهرين وكلاهما يسمى بلغار وكان بسيل عادلا حسن السيرة ودام ملكه نيفا وسبعين سنة وتوفي ولم يخلف ولدا فملك أخوه قسطنطين وبقي الى ان توفي ولم يخلف غير ثلاث بنات فملكت الكبرى وتزوجت أرمانوس وهو من أقارب الملك وملكته فبقي مدة وهو الذي ملك الرها من المسلمين وكان لارمانوس صاحب له يخدمه قبل ملكه من أولاد بعض الصيارف اسمه ميخائيل فلما ملك حكمه في داره فمالت زوجة قسطنطين اليه وعملا الحيلة في قتل ارمانوس فمرض ارمانوس فادخلاه الى الحمام كارها وخنقاه وأظهرا أنه مات في الحمام وملكت زوجته ميخائيل وتزوجته على كره من الروم وعرض لميخائيل صرع لازمه وتغيرت صورته فعهد بالملك بعده الى ابن أخت له اسمه ميخائيل أيضا فلما توفي ملك ابن أخته وأحسن السيرة وقبض على أهل خاله واخوته وهم أخواله وضرب الدنانير في هذه السنة وهي سنة ثلاث وثلاثين ثم أحضر زوجته بنت الملك وطلب منها ان تترهب وتنزع نفسها من الملك فأبت فضربها وسيرها الى جزيرة في البحر ثم عزم على القبض على البطرك والاستراحة من تحكمه عليه فانه كان لا يقدر على مخالفته فطلب اليه ان يعمل له طعاما في دير كره بظاهر القسطنطينية ليحضر عنده فاجابه الى ذلك وخرج الى الدير ليعمل ما قال الملك فأرسل الملك جماعة من الروس والبلغار ووافقهم على قتله سرا فقصدوه ليلا وحصروه في الدير فبذل لهم مالا كثيرا وخرج متخفيا وقصد البيعة التي يسكنها وضرب الناقوس فاجتمع الروم عليه ودعاهم الى عزل الملك فاجابوه الى ذلك وحصروا الملك في دار فأرسل الملك الى زوجته وأحضرها من الجزيرة التي نفاها اليها ورغب في ان ترد عنه فلم تفعل وأخرجته الى بيعة يترهب فيها ثم ان البطرك والروم تزعوا زوجته من الملك وملكوا اختها الصغيرة واسمها تذورة وجعلوا معها خادم أبيها يدبرون الملك وكحلوا ميخائيل ووقعت الحرب بالقسطنطينية بين من يتعصب له وبين من يتعصب لتذورة والبطرك فظفر أصحاب تذورة بهم ونهبوا أموالهم ثم ان الروم افتقروا الى ملك يدبرهم فكتبوا أسماء جماعة يصلحون للملك في رقاع ووضعوها في بنادق طين وأمروا من يخرج منها بندقة وهو لا يعرف باسم من فيها فخرج اسم

قسطنطين

أي حظ نال لولا الشعر والحور المرصص ليته قد جعل الامر اليها وتخلص فأبوا الجوذن منها حين يدنو يتقلص

وذكر أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير قال كان المنتصر في أيام امارته قد وجهني الى مصر في بعض أموره للسلطان فعشقت جارية كانت لبعض النخاسين عرضت للبيع محسنة في الصنعة مقبولة في الخلقة فائقة على الوزن من المحاسن والكمال فساومت مولاها فأبى أن يبيعها الا بألف دينار ولم يكن ثمنها متهيئا لي فأزعجني السفر وقد علقها قلبي فأخذني المقيم المقعد من حبها وندمت على ما فاتني من شرائها فلما قدمت وفرغت مما وجهني اليه وأديت اليه ما عملت حمد أثري فيه وسألني عن حاجتي وخبري فأخبرته بمكان الجارية وكلفي بها فأعرض عني وجعل لا يزداد الا حدة وقلبي لا يزداد الا كلفا وصبري لا يزداد الا ضعفا وسليت نفسي عنها بغيرها فكأني أغريتها ولم تتسل عنها وجعل المنتصر كلما دخلت اليه وخرجت من عنده يذكرها ويهيج شوقي اليها وتحيلت اليه بندمائه وأهل الانس به وخاص من يحظى من جواريه وأمهات أولاده وجدته أم الخليفة أن يشتريها لي وهو لا يجيبني الى ذلك ويعيرني بقلة الصبر وكان قد أمر أحمد ابن الخصيب أن يكتب الى عامل مصر في ابتياعها وحملها اليه من حيث لا أعلم فحملت اليه وصارت عنده تنظر

قسطنطين فملكوه وتزوجته الملكة الكبيرة واستنزلت أختها الصغيرة تذورة عن الملك على ان لها واستقر في الملك سنة أربع وثلاثين فخرج عليه فيها خارجي من الروم اسمه أرميناس ودعا الى نفسه فكثر جمعه حتى زادوا على عشرين ألفا وأهم قسطنطين أمره وسير اليه جيشا كثيفا فظفروا بالخارجي وقتلوه وحملوا رأسه الى القسطنطينية وأمر من أعيان أصحابه مائة رجل فشهروا في البلد ثم أطلقوا وأعطوا نفقة وأمروا بالانصراف الى أي جهة أرادوا

﴿ذكر فساد حال الدزبري بالشام وما صار الامر اليه بالبلاد﴾

في هذه السنة فسد أمر أنوشتكين الدزبري نائب المستنصر بالله صاحب مصر بالشام وقد كان كبيرا على مخدومه معه بما يراه من تعظيم الملوك له وهيبة الروم منه وكان الوزير أبو القاسم الجرجراي يقصده ويحسده الا انه لا يجد طريقا الى الوقيعة فيه ثم اتفق أنه سعى بكاتب للدزبري اسمه أبو سعد وقيل عنه انه يستميل صاحبه الى غير جهة المصريين فكوتب الدزبري بابعاده فلم يفعل واستوحشوا منه ووضع الجرجراي حاجب الدزبري وغيره على مخالفته ثم ان جماعة من الاجناد قصدوا مصر وشكوا الى الجرجراي منه فعرفهم سوء رأيه فيه وأعادهم الى دمشق وأمرهم بافساد الجند عليه ففعلوا ذلك وأحس الدزبري بما يجري فاظهر ما في نفسه وأحضر نائب الجرجراي عنده وأمر باهانته وضربه ثم انه أطلق لطائفة من العسكر يلزمون خدمته أرزاقهم ومنع الباقين فحرك ما في نفوسهم وقوى طمعهم فيه بما كوتبوا به من مصر فاظهروا الشغب عليه وقصدوا قصره وهو بظاهر البلد وتبعهم من العامة من يريد النهب فقاتلوا فعلم الدزبري ضعفه وعجزه عنهم ففارق مكانه واستصحب أربعين غلاما له وما أمكنه من الدواب والاثاث والاموال ونهب الباقي وسار الى بعلبك فمنعه مستحفظها وأخذ ما أمكنه أخذه من مال الدزبري وتبعه طائفة من الجند يقفون أثره وينهبون ما يقدرون عليه وسار الى مدينة حماة فمنع عنها وقوتل وكاتب المقلد بن منقذ الكناني الكفرطابي واستدعاه فاجابه وحضر عنده في نحو ألفي رجل من كفرطاب وغيرها فاحتمى به وسار الى حلب ودخلها وأقام بها مدة وتوفي في منتصف جمادى الاولى من هذه السنة فلما توفي فسد أمر بلاد الشام وانتشرت الامور بها وزال النظام وطمعت العرب وخرجوا في نواحيه فخرج حسان بن المفرج الطائي بفلسطين وخرج معز الدولة ابن صالح الكلابي بحلب وقصدها وحصرها وملك المدينة وامتنع أصحاب الدزبري بالقلعة وكتبوا الى مصر يطلبون النجدة فلم يفعلوا واشتغل عساكر دمشق ومقدمهم الحسين بن أحمد الذي ولي أمر دمشق بعد الدزبري بحرب حسان ووقع الموت في الذين في القلعة فسلموها الى معز الدولة بالامان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة سير الملك أبو كاليجار من فارس عسكرا في البحر الى عمان وكان قد عصى من بها فوصل العسكر الى صحار مدينة عمان فملكوها واستعادوا الخارجين عن الطاعة واستقرت الامور بها وعادت العساكر الى فارس وفيها قصد أبو نصر بن الهيثم الصليق من البطائح فملكها ونهبها ثم استقر أمرها على مال يؤديه الى جلال الدولة وفيها توفي أبو منصور بهرام بن مافنة وهو الملقب بالعادل وزير الملك أبي كاليجار ومولده سنة ست وستين وثلاثمائة وكان حسن السيرة وبنى دار الكتب بفيروزاباد وجعل فيها سبعة آلاف مجلد فلما مات وزر بعده مهذب الدولة أبو منصور هبة الله بن أحمد الفسوي وفيها وصل جماعة من البلغار الى بغداد يريدون الحج فأقيم لهم من الديوان الاقامات الوافرة فسئل بعضهم من أي الامم هم البلغار فقال هم قوم تولدوا بين الترك

اليها وسمع منها فعذرني فيها ودفعها الى قيمة جواريه فأصلحت من شأنها فلما كان يوما من الايام استجلسني وأمرها أن تخرج الى الستارة فلما سمعت غناءها عرفتها وكرهت اني أعلمه أني قد عرفتها حتى ظهر في ما كتمت وغلب على صبري فقال ما لك يا سعيد قلت خيرا أيها الامير قال فاقترح عليها صوتا فاقترحت عليها صوتا كنت قد أعلمته أني سمعته منها واني استحسنته من غنائها فغنته فقال أتعرف هذا الصوت قلت اي والله أيها الامير وكنت أطمع في صاحبته فأما الآن فقد أيست منها وكنت كالقاتل نفسه بيده وكالجالب الحتف الى حياته فقال والله يا سعيد ما اشتريتها الا لك ويعلم الله أني ما رأيت لها وجها الا ساعة دخلت عليها وقد استراحت من ألم السفر وخرجت من شحوبة التبذل فهي لك فدعوت له بما أمكنني من الدعاء وشكره لي من حضره من الجلساء وأمر بها فهيئت وحملت الي فردت الي حياتي بعد أن أشرفت على الهلكة ولا أحد عندي أحظى منها * ومن ملاحات أحاديث الملهين المجان ما ذكره أبو الفضل بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن الحرث الجزار عن أبي الحسن المدايني وأبي علي الحرمازي قالا كان بمكة سفيه يجمع بين الرجال والنساء على أخبث الريب وكان من أشراف قريش ولم يذكرا اسمه فشكا أهل مكة ذلك الى الوالي فغربه

والصقالبة وبلادهم فى اقصى الترك وكانوا كفارا فاسلموا عن قريب وهم على مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه وفيها توفى ميخائيل ملك الروم وملك بعده ابن أخيه ميخائيل أيضا وفيها فى جمادى الآخرة توفى أبو الحسن محمد بن جعفر الجهرمى الشاعر وهو القائل

ياويح قلبى من تقلبه * أبدا يحن الى معذبه
قالوا كتمت هواه عن جلد * لوان لى رمقا لبحت به
بابى حبيبا غير مكترث * عنى ويكثر من تعتبه
حسبى رضاه من الحياة وما * قاقى وموتى من تغضبه

وكان بينه وبين المطرز مهاجاة

﴿ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك طغرلبك مدينة خوارزم﴾

قد تقدم ان خوارزم كانت من جملة مملكة محمود بن سبكتكين فلما توفى وملك بعده ابنه مسعود كانت له وكان فيها التونتاش حاجب أبيه محمود وهو من أكابر أمرائه يتولاها لمحمود ومسعود بعده ولما كان مسعود مشغولا بقصد أخيه محمد لاخذ الملك قصد الامير على تكين صاحب ماوراء النهر اطراف بلاده وشعثها فلما فرغ مسعود من أمر أخيه واستقر الملك له كاتب التونتاش فى سنة أربع وعشرين بقصد اعمال على تكين وأخذ بخارا وسمرقند وأمده بجيش كثيف فعبر جيحون وفتح من بلاد على تكين ما أراد وانحاز على تكين من بين يديه وأقام التونتاش بالبلاد التى فتحها فرأى دخلها لا يفى بما تحتاج عسكره لانه كان يريد أن يكون فى جمع كثير يمتنع بهم على الترك فكاتب مسعودا فى ذلك واستأذنه فى العود الى خوارزم فاذن له فلما عاد لحقه على تكين على غرة وكبسه فانهزم على تكين وصعد الى قلعة دبوسية فحصره التونتاش وكاد يأخذه فراسله على تكين واستعطفه وضرع اليه فرحل عنه وعاد الى خوارزم وأصاب التونتاش فى هذه الوقعة جراحة فلما عاد الى خوارزم مرض منها وتوفى وخلف من الاولاد ثلاثة بنين هرون ورشيد واسمعيل فلما توفى ضبط البلاد وزيره أبو نصر احمد بن محمد بن عبد الصمد وحفظ الخزائن وغيرها واعلم مسعودا الخبر فولى ابنه الاكبر هرون خوارزم وسيره اليها وكان عنده واتفق ان لميمندى وزير مسعود توفى فاستحضر أبا نصر بن محمد بن عبد الصمد واستوزره فاستناب أبو نصر عند هرون ابنه عبد الجبار وجعله وزيره فجرى بينه وبين هرون منافرة أمرها هرون فى نفسه وحسن له أصحابه القبض على عبد الجبار والعصيان على مسعود فاظهر العصيان فى شهر رمضان سنة خمس وعشرين وأراد قتل عبد الجبار فاختفى منه فقال أعداء أبيه للملك مسعود ان أبا نصر قد واطأ هرون على العصيان وانما اختفى ابنه حيلة ومكرا فاستوحش منه الا انه لم يظهر ذلك له وعزم مسعود على الخروج من غزنة الى خوارزم فسار عن غزنة والزمان شتاء فلم يمكنه قصد خوارزم فسار الى جرجان طالبا أنوشروان بن منوجهر ليقابله على ما ظهر منه عند اشتغال مسعود بقتال احمد ينالتكين ببلاد الهند فلما كان ببلاد جرجان أتاه كتاب عبد الجبار بن أبى نصر بقتل هرون واعادة البلاد الى طاعته وكان عبد الجبار فى بدء استتاره يعمل على قتل هرون ووضع جماعة على الفتك به فقتلوه عند خروجه الى الصيد وقام عبد الجبار بحفظ البلاد فلما وقف مسعود على كتاب عبد الجبار علم ان الذى قيل عن أبيه كان باطلا فعاد الى الثقة به وبقى عبد الجبار أياما يسيرة فوثب به غلمان هرون فقتلوه وولوا البلاد اسمعيل بن التونتاش وقام بامره شكر خادم أبيه

الى عرفات فاتخذها منزلا ودخل الى مكة مستترا فاتفق بها حرفاؤه من الرجال والنساء فقال وما يمنعكم منى فقالوا وابن بك وأنت بعرفات فقال حمار بدرهمين وصرتم الى الامن والنزهة والخلوة واللذة قالوا انشهد انك لصادق فكانوا يأتونه فكثر ذلك حتى أفسد على أهل مكة أحداثهم وحواشيهم فعادوا بالشكية الى أميرهم فارسل اليه فأتى به فقال أى عدو الله طردتك من حرم الله فصرت الى المشعر الاعظم تفسد فيه وتجمع بين الخبائث فقال اصلح الله الامير انهم يكذبون على ويحسدوننى فقالوا للوالى بيننا وبينه واحدة تجمع حمر المكارين وترسلها الى عرفات فان لم تقصد الى بيته لما تعودت من اتيان السفهاء والفجار فالقول ما قال فقال الوالى ان فى هذا الدليلا وأمر بجمع الحمر فجمعت ثم أرسلت فقصدت منزله وأتاه أمناؤه فقال ما بعد هذا شئ جردوه فلما نظر الى السياط قال ولا بد من ضربى قال لا بد يا عدو الله قال اضرب فوالله ما فى هذا شئ بأشد من أن يسخر بنا أهل العراق ويقولون أهل مكة يجيزون شهادة الحمير مع تفريدهم لنا بقبول شهادة الواحد مع يمين الطالب قال فضحك الوالى وقال لا أضربك اليوم وأمر بتخلية سبيله وترك التعرض له (قال المسعودى) وللمنتصر بالله أخبار حسان وأشعار وملح ومنادمات ومكاتبات ومراسلات قبل الخلافة وقد أتينا على مبسوطها وما استحسناه منها

وعصوا على مسعود فكتب مسعود الى شاهملك بن على أحد أصحاب الاطراف بنواحى خوارزم يقصد خوارزم وأخذها فسار اليها فقاتله شكر واسمعيل ومنعوه عن البلد فهزمهما وملك البلد فسار الى طغرلبك وداود السلجوقيين والتجآ اليهما وطلبا المعونة منهما فسار داود معهما الى خوارزم فلقيهم شاهملك وقاتلهم فهزمهم ولما جرى على مسعود من القتل ما جرى وملك مودود دخل شاهملك فى طاعته وصافاه وتمسك كل واحد منهما بصاحبه ثم ان طغرلبك سار الى خوارزم فحصرها وملكها واستولى عليها وانهزم شاهملك بين يديه واستصحب أمواله وذخائره ومضى فى المفازة الى دهستان ثم انتقل عنها الى طبس ثم الى اطراف كرمان ثم الى اعمال التيز ومكران فلما وصل الى هناك علم خلاصه بعده وأمن فى نفسه فعرف خبره ارتاش اخو ابراهيم ينال وهو ابن عم طغرلبك فقصده فى أربعة آلاف فارس فأوقع به وأسره وأخذ ما معه ثم عاد به فسلمه الى داود وحصل هو بما غنم من أمواله وعاد بعد ذلك الى باذغيس المقاربة لهراة وأقام على محاصرة هراة لانهم الى هذه الغاية كانوا مقيمين على الامتناع والاعتصام ببلدهم والثبات على طاعة مودود بن مسعود فقاتلهم أهل هراة وحفظوا بلدهم مع خراب سوادهم وانما حملهم على ذلك الحرب خوفا من الغز

﴿ذكر قصد ابراهيم ينال همذان وما كان منه﴾

قد ذكرنا خروج ابراهيم ينال من خراسان الى الرى واستيلاءه عليها فلما استقر أمرها سار عنها وملك البلاد المجاورة لها ثم انتقل الى بروجرد فملكها ثم قصد همذان وكان بها أبو كاليجار كرشاسف ابن علاء الدولة صاحبها ففارقها الى سابور خواست ونزل ابراهيم ينال على همذان وأراد دخولها فقال له أهلها ان كنت تريد الطاعة وما يطلبه السلطان من الرعية فنحن باذلوه وداخلون تحته فاطلب أولا هذا المخالف عليك الذى كان عندنا يعنون كرشاسف فانا لا نأمن عوده الينا فاذا ملكته أو دفعته كنا لك فكف عنهم وسار الى كرشاسف بعد ان أخذ من أهل البلد مالا فلما قارب سابور خواست صعد كرشاسف الى القلعة فتحصن بها وحصر ابراهيم البلد فقاتله أهله خوفا من الغز فلم يكن لهم طاقة على دفعهم فملك البلد قهرا ونهب الغز أهله وفعلوا الافاعيل القبيحة بهم ثم عادوا بما غنموه الى الرى فرأوا طغرلبك قد وردها ولما فارق ابراهيم والغز همذان نزل كرشاسف اليها فاقام بها الى ان وصل طغرلبك الى الرى فسار اليه ابراهيم على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر خروج طغرلبك الى الرى وملك بلد الجبل﴾

فى هذه السنة خرج طغرلبك من خراسان الى الرى بعد فراغه من خوارزم وجرجان وطبرستان فلما سمع أخوه ابراهيم ينال بقدومه سار اليه فلقيه وتسلم طغرلبك الرى منه وتسلم غيرها من بلد الجبل وسار ابراهيم الى سجستان وأخذ طغرلبك أيضا قلعة طبرك من مجد الدولة بن بويه وأقام عنده مكرما وأمر طغرلبك بعمارة الرى وكانت قد خربت فوجد فى دار الامارة مراكب ذهب مجوهرة وبرنيتين صينى مملوءة جوهرا ومالا كثيرا وغير ذلك وكان كامرو بهادى طغرلبك وهو بخراسان ويخدمه وخدم أخاه ابراهيم لما كان بالرى فلما حضر عنده وأهدى له هدايا كثيرة من أنواع شتى وهو يظن ان طغرلبك يزيد فى اقطاعه ويرعى له ما تقدم من خدمته له فخاب ظنه وقرر على ما بيده كل سنة سبعة وعشرين ألف دينار ثم سار الى قزوين فامتنع عليه أهلها فزحف اليهم ورماهم بالسهام والحجارة فلم يقدروا ان يقفوا على السور وقتل من أهل البلد برشق وأخذ ثلثمائة وخمسين رجلا فلما رأى كامرو ومرداويج بن بسو ذلك خافوا ان يملك البلد

عما لم نورده فى هذا الكتاب فى كتابنا أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وكذلك فى الكتاب الاوسط اذ كنا ما ضمناه كل كتاب منها لم نتعرض لذكره فى الآخر ولو كان كذلك لم يكن بينها فرق وكان الجميع واحدا وسنورد بعد فراغنا من هذا الكتاب كتابا نضمنه فنونا من الاخبار ونخلله بالآداب وفنون الآثار تاليا لما سلف من كتبنا ومعقبا لما تقدم من تصنيفنا ان شاء الله تعالى

﴿ذكر خلافة المستعين بالله﴾

وبويع أحمد بن محمد بن المعتصم فى اليوم الذى توفى فيه المنتصر وهو يوم الاحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ويكنى بأبى العباس وكانت أمه أم ولد صقلبية يقال لها مخارق وخلع نفسه وسلم الخلافة الى المعتز فكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر وقيل ثلاث سنين وتسعة أشهر وكانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقتل وهو ابن خمس وثلاثين سنة

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

واستوزر المستعين بالله أبا موسى أوتامش وكان المتولى لامر الوزارة والقيم بها كاتبا لاوتامش يقال له شجاع وبعد ان قتل أوتامش وكاتبه صار على وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ولما قتل وصيف وبغا باغر التركى تعصبت الموالى وانحدر

عنوة و نهب فمنعوا الناس من القتال وأصلحوا الحال على ثمانين ألف دينار وصار صاحبها فى طاعته ثم انه أرسل الى كوكتاش وبوقا وغيرهما من امراء الغز الذين تقدم خروجهم يعنيهم ويدعوهم الى الحضور فى خدمته فلما وصل رسوله اليهم ساروا حتى نزلوا على نهر بنواحى زنجان ثم أعادوا رسوله وقالوا له قل له قد علمنا ان غرضك ان تجمعنا لتقبض علينا والخوف منك أبعدنا عنك وقد نزلنا ههنا فان اردتنا قصدنا خراسان أو الروم ولا نجتمع بك أبدا وأرسل طغرلبك الى ملك الديلم يدعوه الى الطاعة ويطلب منه مالا ففعل ذلك وحمل اليه مالا وعروضا وأرسل أيضا الى سلار الطرم يدعوه الى خدمته ويطالبه بحمل مائتى ألف دينار فاستقر الحال بينهما على الطاعة وشئ من المال وأرسل سرية الى أصبهان وبها أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة فأغارت على أعمالها وعادت مسالمة وخرج طغرلبك من الرى وأظهر قصد اصبهان فراسله فرامرز وصانعه بمال فعاد عنه وسار الى همذان فملكها من صاحبها كرشاسف بن علاء الدولة وكان قد نزل اليه وهو بالرى بعد ان راسله طغرلبك غير مرة وسار معه من الرى الى ابهر وزنجان فاخذ منه همذان وتفرق أصحابه عنه وطلب منه طغرلبك تسليم قلعة كنكور فارسل الى من بها بالتسليم فلم يفعلوا وقالوا لرسول طغرلبك قل لصاحبك والله لو قطعته قطعا ما سلمناها اليك فقال له طغرلبك ما امتنعوا الا بامرك ورأيك فاصعد اليهم وأقم معهم ولا تفارق موضعك حتى آذن لك ثم عاد الى الرى واستناب بهمذان ناصرا العلوى وكان كرشاسف قد قبض عليه فاخرجه طغرلبك وولاه الرى وأمره بمساعدة من يجعله فى البلد وكان معه مرداويج بن بسو نائبه فى جرجان وطبرستان فمات وقام ولده جستان مقامه فسار طغرلبك الى جرجان فعزل جستان عنها واستعمل على جرجان أسفار وهو من خواص منوجهر بن قابوس فلما فرغ أمر جرجان وطبرستان سار الى دهستان فحصرها وبها صاحبها كاميار معتصما بحصانتها

﴿ذكر مسير عساكر طغرلبك الى كرمان﴾

وسير طغرلبك طائفة من أصحابه الى كرمان مع أخيه ابراهيم ينال بعد ان دخل الرى وقيل ان ابراهيم لم يقصد كرمان وانما قصد سجستان وكان مقدم العساكر التى سارت الى كرمان غيره فلما وصلوا الى أطراف كرمان نهبوا ولم يقدموا على التوغل فيها فلم يروا من العساكر من يكفهم فتوسطوها وملكوا عدة مواضع منها ونهبوها فبلغ الخبر الى الملك أبى كاليجار صاحبها فسير وزيره مهذب الدولة فى العساكر الكثيرة وأمره بالجد فى المسير ليدركهم قبل ان يملكوا جيرفت وكانوا يحاصرونها فطوى المراحل حتى قاربهم فرحلوا عن جيرفت ونزلوا على ستة فراسخ منها وجاء مهذب الدولة فنزلها وأرسل ليحمل الميرة الى العسكر فخرجت الغز الى الجمال والبغال والميرة ليأخذوها وسمع مهذب الدولة ذلك فسير طائفة من العسكر لمنعهم فتواقعوا واقتتلوا وتكاثر الغز فسمع مهذب الدولة الخبر فسار فى العساكر الى المعركة وهم يقتتلون وقد ثبتت كل طائفة لصاحبها واشتد القتال الى حد ان بعض الغز رمى فرس بعض أصحاب أبى كاليجار بسهم فوقع فيه وطعنه صاحب الفرس برمح فاصاب فرس الغزى وحمل الغزى على صاحب الفرس فضربه ضربة قطعت يده وحمل عليه صاحب الفرس وهو على هذه الحالة فضربه بسيفه فقطعه قطعتين وسقطا الى الارض قتيلين والفرسان قتيلين وهذه حالة لم يدون عن مقدمى الشجعان أحسن منها فلما وصل مهذب الدولة الى المعركة انهزم الغز وتركوا ما كانوا نهبوه ودخلوا المفازة وتبعهم الديلم الى رأس الحد وعادوا الى كرمان فاصلحوا ما افسد منها

وصيف وبغا الى مدينة السلام والمستعين معهما فانزلاه دار محمد بن عبد الله بن طاهر وذلك فى المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين والمستعين لا امر له والامر لبغا ووصيف وكان من حصار بغداد ما ذكرناه فى الكتاب الاوسط وفى المستعين بالله يقول بعض الشعراء

خليفة فى قفص * بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له * كما يقول الببغا

وقد كان المستعين نفى أحمد بن الخصيب الى اقريطس سنة ثمان وأربعين ومائتين ونفى عبد الله بن يحيى بن خاقان الى برقة واستوزر عيسى ابن فرخانشاه وقلد سعيد ابن حميد ديوان الرسائل وكان سعيد حافظا لما يتخير من الاخبار ويستجاد من الاشعار متصرفا فى فنون العلم ممتعا اذا حدث مفيدا اذا جوالس وله أشعار كثيرة حسان فيما يستحسن ويختار من شعره قوله

وكنت أخوفه بالدعاء * وأخشى عليه من المأثم
فلما أقام على ظلمه * تركت الدعاء على الظالم

وقوله

أسيدتى مالى أراك بخيلة * مقيم على الحرمان من يستزيدها
فأصبحت كالدنيا تذم صروفها * وتتبعها اذ ما ونحن عبيدها

وقوله

الله يعلم والدنيا مولية * والعيش منتقل والدهر ذو دول
فالفراق وان هاجت بخيفته * عليك أخوف فى قلبى من الاجل
وكنت أفرح بالدنيا ولذتها * واليأس يحكم للاعداء فى الامل

ذكر

﴿ذكر الوحشة بين القائم بامر الله أمير المؤمنين وجلال الدولة﴾

فى هذه السنة اقتضت الجوالى فى المحرم ببغداد فانفذ الملك جلال الدولة فاخذ ما تحصل منها وكانت العادة ان يحمل ما يحصل منها الى الخلفاء لا تعارضهم فيها الملوك فلما فعل جلال الدولة ذلك عظم الامر فيه على القائم بامر الله واشتد عليه وأرسل مع أقضى القضاة أبى الحسن الماوردى فى ذلك وتكررت الرسائل فلم يصغ جلال الدولة لذلك وأخذ الجوالى فجمع الخليفة الهاشميين بالدار والرجالة وتقدم باصلاح الطيار والزبازب وأرسل الى أصحاب الاطراف والقضاة بما عزم عليه وأظهر العزم على مفارقة بغداد فلم يتم ذلك وحدث وحشة من الجهتين فاقتضت الحال ان الملك يترك معارضة النواب الامامية فيها فى السنة الآتية

﴿ذكر محاصرة شهرزور وغيرها﴾

فى هذه السنة سار أبو الشوك الى شهرزور فحصرها ونهبها وأحرقها وخرب قراها وسوادها وحصر قلعة تيرانشاه فدفعه أبو القاسم بن عياض عنها ووعده ان يخلص ولده أبا الفتح من أخيه مهلهل وان يصلح بينهما وكان مهلهل قد سار من شهرزور لما بلغه ان أخاه أبا الشوك يريد قصدها وقصد نواحى سندة وغيرها من ولايات أبى الشوك فنهبها وأحرقها وهلكت الرعية فى الجهتين ثم ان أبا الشوك راسل أبا القاسم بن عياض يستنجزه ما وعده به من تخليص ولده والشروط التى تقررت بينهما فاجابه بأن مهلهلا غير مجيب اليه فعند ذلك سار أبو الشوك من حلوان الى الصامغان ونهبها ونهب الولاية التى لمهلهل جميعها فانزاح مهلهل من بين يديه وترددت الرسل بينهما فاصطلحا على دغل ودخل وعاد أبو الشوك

﴿ذكر خروج سكين بمصر﴾

فى هذه السنة فى رجب خرج بمصر انسان اسمه سكين كان يشبه الحاكم صاحب مصر فادعى انه الحاكم وقد رجع بعد موته فاتبعه جمع ممن يعتقد رجعة الحاكم فاغتنموا خلو دار الخليفة بمصر من الجند وقصدوها مع سكين نصف النهار فدخلوا الدهليز فوثب من هناك من الجند فقال لهم أصحابه انه الحاكم فارتاعوا لذلك ثم ارتابوا به فقبضوا على سكين ووقع الصوت واقتتلوا فتراجع الجند الى القصر والحرب قائمة فقتل من أصحابه جماعة وأسر الباقون وصلبوا أحياء ورماهم الجند بالنشاب حتى ماتوا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز هدمت قلعتها وسورها ودورها وأسواقها وأكثر دار الامارة وسلم الامير لانه كان فى بعض البساتين فاحصى من هلك من أهل البلد فكانوا قريبا من خمسين ألفا ولبس الامير السواد والمسوح لعظم المصيبة وعزم على الصعود الى بعض قلاعه خوفا من توجه الغز السلجوقية اليه وأخبر بذلك أبو جعفر بن الرقى العلوى النقيب بالموصل وفيها قتل قرواش كاتبه أبا الفتح بن المفرج صبرا وفيها توفى عبد الله بن أحمد أبو ذر الهروى الحافظ أقام بمكة وتزوج من العرب وأقام بالسروات وكان يحج كل سنة يحدث فى الموسم ويعود الى أهله وصحب القاضى أبا بكر الباقلانى وفيها توفى عمر بن ابراهيم بن سعيد الزهرى من ولد سعد بن أبى وقاص وكان فقيها شافعيا

﴿ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة﴾

﴿ذكر اخراج المسلمين والنصارى الغرباء من القسطنطينية﴾

وقوله

وما كان حبيها الاول نظرة * ولا غمرة من بعدها فتجلت
ولكنها الدنيا تولت وما الذى * يسلى عن الدنيا اذا ما تولت

وقوله

كأن انحدار الدمع حين تحيله * على خدها الريان در على در

الا ان سعيدا على ما وصفنا عنه من الادب كان ينتصب ويظهر التسنن والتحيل وظهر عنه الانحراف عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وعن الطاهرين من ولده وفى ذلك يقول بعض الشعراء

ما رأينا لسعيد بن حميد من شبيه
ماله يؤذى رسول الله فى شتم أخيه
انه الزنديق مستول على دين أبيه

وكان سعيد بن حميد من أبناء المجوس وفيه يقول بعض الشعراء وهو أبو على البصير

رأس من يدعى البلاغة منى * ومن الناس كلهم فى حر آمه
وأخونا ولست أعنى سعيد بـ * ـن حميد تورخ الكتب باسمه

وكان لسعيد بن حميد وأبى على البصير وأبى العيناء معاتبات ومكاتبات ومداعبات وقد أتينا على ذكرها فى الكتاب الاوسط وكان أبو على البصير من أطبع الناس فى زمانه لا يزال يأتى بالبيت النادر والمثل السائر الذى لا يأتى

في هذه السنة أخرج ملك الروم الغرباء من المسلمين والنصارى وسائر الانواع من القسطنطينية وسبب ذلك انه وقع الخبر بالقسطنطينية ان قسطنطين قتل ابنتي الملك المتقدم اللتين قد صار الملك فيهما الآن فاجتمع أهل البلد وثاروا الفتنة وطمعوا في النهب فاشرف عليهم قسطنطين وسألهم عن السبب في ذلك فقالوا اقتلت الملكتين وأفسدت الملك فقال ما قتلتهما واخرجهما حتى رآهما الناس فسكنوا ثم انه سأل عن سبب ذلك فقيل له انه فعل الغرباء وأشاروا بابعادهم وأمر فنودي ان لا يقيم أحد ورد البلد منذ ثلاثين سنة فمن أقام بعد ثلاثة أيام كحل فخرج منها أكثر من مائة ألف انسان ولم يبق بها أكثر من اثني عشر نفسا ضمنهم الروم فتركهم

﴿ ذكر وفاة جلال الدولة وملك أبي كاليجار ﴾

في هذه السنة في سادس شعبان توفي الملك جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة ابن بويه ببغداد وكان مرضه ورما في كبده وبقي عدة أيام مريضا وتوفي وكان مولده سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وملكه ببغداد ست عشرة سنة واحد عشر شهرا ودفن بداره ومن علم سيرته وضعفه واستيلاء الجند والنواب عليه ودوام ملكه الى هذه الغاية علم ان الله على كل شئ قدير يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وكان يزور الصالحين ويقرب منهم وزار مرة مشهدي علي والحسين عليهما السلام وكان يمشي حافيا قبل ان يصل الى كل مشهد منهما نحو فرسخ يفعل ذلك تدينا ولما توفي انتقل الوزير كمال الملك بن عبد الرحيم وأصحاب الملك الاكابر الى باب المراتب وحريم دار الخلافة خوفا من نهب الاتراك والعامة دورهم فاجتمع قواد العسكر تحت دار المملكة ومنعوا الناس من نهبها ولما توفي كان ولده الاكبر الملك العزيز أبو منصور بواسط على عادته فكاتبه الاجناد بالطاعة وشرطوا عليه تعجيل ما جرت به العادة من حق البيعة فترددت المراسلات بينهما في مقداره وتأخيره لفقده وبلغ موته الى الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة فكاتب القواد والاجناد ورغبهم في المال وكثرته وتعجيله فمالوا اليه وعدلوا عن الملك العزيز واما الملك العزيز فانه أصعد الى بغداد لما قرب الملك أبو كاليجار منها على ما نذكره سنة ست وثلاثين عازما على قصد بغداد ومعه عسكره فلما بلغ النعمانية غدر به عسكره ورجعوا الى واسط وخطبوا لابي كاليجار فلما رأى ذلك مضى الى نور الدولة دبيس بن مزيد لانه بلغه ميل جند بغداد الى أبي كاليجار وسار من عند دبيس الى قرواش بن المقلد فاجتمع به بقرية خصة من أعمال بغداد وسار معه الى الموصل ثم فارقه وقصد أبا الشوك لانه حموه فلما وصل الى أبي الشوك غدر به وألزمه بطلاق ابنته ففعل وسار عنه الى ابراهيم ينال أخي طغرلبك وتنقلت به الاحوال حتى قدم بغداد في نفر يسير عازما على استمالة العسكر وأخذ الملك فثار به أصحاب الملك أبي كاليجار فقتل بعض من عنده وسار هو مختفيا فقصد نصر الدولة بن مروان فتوفي عنده بميافارقين وحمل الى بغداد ودفن عند أبيه بمقابر قريش في مشهد باب التبن سنة احدى وأربعين وقد ذكر الشيخ أبو الفرج بن الجوزي انه آخر ملوك بني بويه وليس كذلك فانه ملك بعده أبو كاليجار ثم الملك الرحيم بن أبي كاليجار وهو آخرهم على ما نراه وأما الملك أبو كاليجار فلم تزل الرسل تتردد بينه وبين عسكر بغداد حتى استقر الامر له وحلفوا وخطبوا له ببغداد في صفر من سنة ست وثلاثين وأربعمائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر حال أبي الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين ﴾

في هذه السنة سير الملك أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكرا مع حاجب له الى

بغيره وكان ابن ميادة بسوء اختياره يرى انه أشعر من جرير ويحسبه متقدما على أهل عصره وهو فوق نظرائه في وقته ودون البحتري فمن مشهور شعره قوله في المعلى بن أيوب

لعمر أبيك ما نسب المعلى
الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت
وصوح نبتها رعي الهشيم

ومما استحسن له من شعره قوله

اذا ما اغتدت طلابة العلم ما لها
من العلم الا ما يخلد في الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم
فمحبرتي سمعي ودفترها قلبي

ومما استحسن من قوله وهو يريد الحج

خرجنا نبتغي مكة
حجاجا وعمارا
فلما اشارف الحير
دعاني ابليس جارا
فقلت احطط بها رحلي
ولا تعبأ بن جارا
فصادفنا بها الهوا
وبستانا وخمارا
وظبيا عاقدا بين الـ
نقا والخصر زنارا
فما ظنك بالحلقا
ءان أشعلنها نارا

وظهر في هذه السنة وهي سنة ثمان وأربعين ومائتين بالكوفة أبو الحسن يحيى ابن عمر بن يحيى بن الحسين ابن عبد الله بن اسمعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطيار وقيل ان ظهوره كان بالكوفة سنة خمسين ومائتين فقتل وحمل رأسه الى بغداد وصلب فضج الناس من ذلك لما

نواحي خراسان فارسل اليهم داود أخو طغرلبك وهو صاحب خراسان ولده الب أرسلان في عسكر فالتقوا واقتتلوا فكان الظفر للملك ألب أرسلان وعاد عسكر غزنة منهزما وفيها أيضا في صفر سار جمع من الغز الى نواحي بست وفعلوا ما عرف منهم من النهب والشر فسير اليهم أبو الفتح مودود عسكرا فالتقوا بولاية بست واقتتلوا قتالا شديدا انهزم الغز فيه وظفر عسكر مودود وأكثروا فيهم القتل والاسر

﴿ ذكر ملك مودود عدة حصون من بلاد الهند ﴾

في هذه السنة اجتمع ثلاثة ملوك من ملوك الهند وقصدوا لهاوور وحصروها فجمع مقدم العساكر الاسلامية بتلك الديار من عنده منهم وأرسل الى صاحبه مودود يستنجده فسير اليه العساكر فاتفق ان بعض أولئك الملوك فارقهم وعاد الى طاعة مودود فرحل الملكان الآخران الى بلادهما فسارت العساكر الاسلامية الى أحدهما ويعرف بدوبال هربانه فانهزم منهم وصعد الى قلعة له منيعة هو وعساكره فاحتموا بها وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل وحصرهم المسلمون وضيقوا عليهم وأكثروا القتل فيهم فطلب الهنود الامان على تسليم الحصن فامتنع المسلمون من اجابتهم الى ذلك الا بعد ان يضيفوا اليه باقي حصون ذلك الملك الذي لهم فحماهم الخوف وعدم الاقوات على اجابتهم الى ما طلبوا وتسلموا الجميع وغنم المسلمون الاموال وأطلقوا ما في الحصون من أسرى المسلمين وكانوا نحو خمسة آلاف نفر فلما فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثاني واسمه تابت بالرى فتقدم اليهم ولقيهم فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت الهنود واجلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل وجريح وأسر ضعفاؤهم وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ودوابهم فلما رأى باقي الملوك من الهند ما لقي هؤلاء أذعنوا بالطاعة وحملوا الاموال وطلبوا الامان والاقرار على بلادهم فاجيبوا الى ذلك

﴿ ذكر الخلف بين الملك أبي كاليجار وفرامرز بن علاء الدولة ﴾

في هذه السنة نكث الامير أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة بن كاكويه صاحب أصبهان العهد الذي بينه وبين الملك أبي كاليجار وسير عسكرا الى نواحي كرمان فملكوا منها حصنين وغنموا ما فيهما فارسل الملك أبو كاليجار اليه في اعادتهما وازالة الاعتراض عنهما فلم يفعل فجهز عسكرا وسيره الى ابرقوه فحصرها وملكها فانزعج فرامرز لذلك وجهز عسكرا كثيرا وسيره اليهم فسمع الملك أبو كاليجار بذلك فسير عسكرا ثانيا مددا للعسكر الاول والتقى العسكران فاقتتلوا وصبروا ثم انهزم عسكر أصبهان وأسر مقدمهم الامير اسحق بن ينال واسترد نواب أبي كاليجار ما كانوا أخذوه من كرمان

﴿ ذكر أخبار الترك بما وراء النهر ﴾

في هذه السنة في صفر أسلم من كفار الترك الذين كانوا يطرقون بلاد الاسلام بنواحي بلاساغون وكاشغار ويغيرون ويعيثون عشرة آلاف خركاة وضحوا يوم عيد الاضحى بعشرين ألف رأس غنم وكفى الله المسلمين شرهم وكانوا يصيفون بنواحي بلغار ويشتون بنواحي بلاساغون فلما أسلموا تفرقوا في البلاد فكان في كل ناحية ألف خركاة وأقل وأكثر لامنهم فانهم انما كانوا يجتمعون ليحمي بعضهم بعضا من المسلمين وبقي من الاتراك من لم يسلم تتر وخطاوهم بنواحي الصين وكان صاحب بلاساغون وبلاد الترك شرف الدولة وفيه دين وقد قنع من اخوته وأقاربه بالطاعة وقسم البلاد بينهم فاعطى أخاه أصلان تكين كثيرا من بلاد الترك وأعطى أخاه بغراخان

كان في نفوسهم من المحبة له لانه استفتح أموره بالكف عن الدماء والتورع عن أخذ شئ من أموال الناس وأظهر العدل والانصاف وكان ظهوره لذل نزل به وجفوة لحقته ومحنة نالته من المتوكل وغيره من الاتراك ودخل الناس الى محمد بن طاهر يهنونه بالفتح ودخل عليهم أبو هاشم الجعفري وهو داود بن القاسم بن اسحق ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بينه وبين جعفر الطيار ثلاثة آباء ولم يكن يعرف في ذلك الوقت اقعد نسبا في آل أبي طالب وسائر بني هاشم وقريش منه وكان ذا زهد وورع ونسك وعلم صحيح العقل سليم الحواس منتصب القامة وقبره مشهور وقد أتينا على خبره وما روى عنه من الرواية عن أبيه ومن شاهد من سلفه في كتاب حدائق الاذهان في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم فقال لابن طاهر ايها وخرج من داره وهو يقول يابني طاهر البيتين وقد كان المستعين أمر بنصب الرأس فامر ابن طاهر بازالته لما رأى من الناس وما هم عليه وفي ذلك يقول أبو هاشم الجعفري

يابني طاهر كلوه وبيا
ان لحم النبي غير مرى
ان وترا يكون طالبه الله
لوتر بالفوت غير حرى

وقد رثى أبو الحسن يحيى بن عمر بأشعار كثيرة وقد أتينا على خبر مقتله وما رثي به من الشعر في الكتاب الاوسط ومما رثي به ما قاله

طراز واسبيجاب وأعطى عمه طغاخان فرغانة باسرها وأعطى ابن على تكين بخارا وسمرقند وغيرهما وقنع هو ببلاساغون وكاشغر

﴿ذكر أخبار الروم والقسطنطينية﴾

فى هذه السنة فى صفر أيضا وردالى القسطنطينية عدد كثير من الروس فى البحر وراسلوا قسطنطين ملك الروم بما لم تجربه عادتهم فاجتمعت الروم على حربهم وكان بعضهم قد فارق المراكب الى البر وبعضهم فيها فألقى الروم فى مراكبهم النار فلم يهتدوا الى اطفائها فهلك كثير منهم بالحرق والغرق وأما الذين على البر فقاتلوا وأبلوا وصبروا ثم انهزموا فلم يكن لهم ملجأ فمن استسلم أولا استرق وسلم ومن امتنع حتى اخذ قهرا قطع الروم أيمانهم وطيف بهم فى البلد ولم يسلم منهم الا اليسير مع ابن ملك الروسية وكفى الروم شرهم

﴿ذكر طاعة المعز بافريقية للقائم بأمر الله﴾

فى هذه السنة أظهر المعز ببلاد افريقية الدعاء للدولة العباسية وخطب للامام القائم بأمر الله أمير المؤمنين وورد عليه الخلع والتقليد ببلاد افريقية وجميع ما يفتحه وفى أول الكتاب الذى مع الرسل من عبد الله ووليه أبى جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين الى الملك الاوحد ثقة الاسلام وشرف الامام وعمدة الانام ناصر دين الله قاهر أعداء الله ومؤيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى تميم المعز بن باديس بن المنصور ولى أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين وهو طويل وأرسل اليه سيف وفرس واعلام على طريق القسطنطينية فوصل ذلك يوم الجمعة فدخل به الى الجامع والخطيب ابن الفاكه على المنبر يخطب الخطبة الثانية فدخلت الاعلام فقال هذا لواء الحمد يجمعكم وهذا معز الدين يسمعكم وأستغفر الله لى ولكم وقطعت الخطبة للعلويين من ذلك الوقت وأحرقت أعلامهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة جرت حرب بين ابن الهيثم صاحب البطيحة وبين الاجناد من الغز والديلم فاحرق الجامدة وغيرها وخطب الجند للملك أبى كاليجار وفيها أرسل الخليفة القائم بأمر الله أقضى القضاة أبا الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى الفقيه الشافعى الى السلطان طغرلبك قبل وفاة جلال الدولة وأمره أن يقرر الصلح بين طغرلبك والملك جلال الدولة وأبى كاليجار فسار اليه وهو بجرجان فلقيه طغرلبك على أربعة فراسخ اجلالا لرسالة الخليفة وعاد الماوردى سنة ست وثلاثين وأخبر عن طاعة طغرلبك للخليفة وتعظيمه لاوامره ووقوفه عندها وفيها توفى عبد الله بن أحمد بن عثمان بن الفرج بن الازهر أبو القاسم بن أبى الفتح الازهرى الصيرفى المعروف بابن السوارى شيخ الخطباء أبى بكر وكان اماما فى الحديث ومن تلامذته الخطيب البغدادى

﴿ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل الاسماعيلية بما وراء النهر﴾

فى هذه السنة أوقع بغراخان صاحب ما وراء النهر بجمع كثير من الاسماعيلية وكان سبب ذلك ان نفرا منهم قصدوا ما وراء النهر ودعوا الى طاعة المستنصر بالله العلوى صاحب مصر فتبعهم جمع كثير وأظهروا مذاهب أنكرها أهل تلك البلاد وسمع ملكها بغراخان خبرهم وأراد الايقاع بهم فخاف ان يسلم منه بعض من أجابهم من أهل تلك البلاد فاظهر لبعضهم انه يميل اليهم ويريد الدخول فى مذاهبهم وأعلمهم ذلك وأحضرهم مجالسه ولم يزل حتى علم جميع من

أجابهم

فيه أحمد بن أبى طاهر الشاعر من قصيدة طويلة

سلام على الاسلام فهو مودّع * اذا ما مضى آل النبى فودّعوا

فقدنا العلا والمجد عند افتقادهم
وأضحت عروس المكرمات تضعضع

أتجمع عين بين نوم ومضجع
ولابن رسول الله فى الترب مضجع

فقد أقفرت دار النبى محمد
من الدين والاسلام فالدار بلقع

وقتل آل المصطفى فى خلالها
وبدّد شمل منهم ليس يجمع

ألم تر آل المصطفى كيف تصطفى
نفوسهم أم المنون فتتبع

بنى طاهر واللؤم منكم سجية
وللغدر منكم حاسر ومقنع

قواطعكم فى الترك غير قواطع
ولكنها فى آل أحمد تقطع

لكم كل يوم مشرب من دمائهم
وغلتها من شربها ليس تنقع

رماحكم للطالبيين شرّع
وفيكم رماح الترك بالقتل شرّع

لكم مرتع فى دار آل محمد
وداركم للترك والجيش مرتع

أخلتم بان الله يرعى حقوقكم
وحق رسول الله فيكم مضيع

وأضحوا يرجون الشفاعة عنده
وليس لمن يرميه بالوتر يشفع

فغلب مغلوب ويقتل قاتل * ويخفض مرفوع ويدنى المرفع

قال وكان يحيى دينا كثير التعطف والمعروف

أجابهم الى مقالتهم فحينئذ قتل من بحضرته منهم وكتب الى سائر البلاد بقتل من فيها ففعل بهم ما أمر وسلمت تلك البلاد منهم

﴿ذكر الخطبة للملك أبى كاليجار واصعاده الى بغداد﴾

قد ذكرنا لما توفى الملك جلال الدولة ما كان من مراسلة الجند الملك أبا كاليجار والخطبة له فلما استقرت القواعد بينه وبينهم أرسل أموالا فرقت على الجند ببغداد وعلى أولادهم وأرسل عشرة آلاف دينار للخليفة ومعها هدايا كثيرة فخطب له ببغداد فى صفر وخطب له أيضا أبو الشوك فى بلاده ودبيس بن مزيد ببلاده ونصر الدولة بن مروان بديار بكر ولقبه الخليفة محيى الدين وسار الى بغداد فى مائة فارس من أصحابه لئلا تخافه الاتراك فلما وصل الى النعمانية لقيه دبيس بن مزيد ومضى الى زيارة المشهدين بالكوفة وكربلاء ودخل الى بغداد فى شهر رمضان ومعه وزيره ذو السعادات أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس ووعده الخليفة القائم بأمر الله ان يستقبله فاستعفى من ذلك وأخرج عميد الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم وأخاه كمال الملك وزيرى جلال الدولة من بغداد فمضى أبو سعد الى تكريت وزينت بغداد لقدومه وأمر بخلع على أصحاب الجيوش وهم البساسيرى والنشاوورى والهمام أبو اللقاء وجرى من ولاة العرض تقديم لبعض الجند وتأخير فشغب بعضهم وقتلوا واحدا من ولاة العرض برأى من الملك أبى كاليجار فنزل فى سميرية بعنكور وانحدر خوفا من انخراق الهيبة وأصعد بهم الصلح وفى رمضان منها توفى أبو القاسم على بن أحمد الجرجائى وزير الظاهر والمستنصر الخليفتين وكان فيه كفاية وشهامة وامانة وصلى عليه المستنصر بالله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة نزل الامير أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة من كنكور وقصد همذان فلكها وأزاح عنها نواب السلطان طغرلبك وخطب للملك أبى كاليجار وصار فى طاعته وفيها أمر الملك أبو كاليجار ببناء سور مدينة شيراز فبنى وأحكم بناؤه وكان دوره اثنى عشر ألف ذراع وعرضه ثمانية أذرع وله أحد عشر بابا وفرغ منه سنة أربعين وأربعمائة وفيها نقل تابوت جلال الدولة من داره الى مشهد باب التبن الى تربة له هناك وفيها استوزر السلطان طغرلبك وزيره أبا القاسم على ابن عبد الله الجوينى وهو أول وزير وزر له ثم وزر له بعده رئيس الرؤساء أبو عبد الله الحسين بن على ابن ميكائيل ثم وزر له بعده نظام الملك أبو محمد الحسن بن محمد الدهستانى وهو أول من لقب نظام الملك ثم وزر له بعده عميد الملك الكندرى وهو أشهرهم وانما اشتهر لان طغرلبك فى أيامه عظمت دولته ووصل الى العراق وخطب له بالسلطنة وسيرد من أخباره ما فيه كفاية فلا حاجة الى ذكرها ههنا وفيها توفى الشريف المرتضى أبو القاسم على أخو الرضى فى آخر ربيع الاول ومولده سنة خمس وخمسين وثلثمائة وولى نقابة العلويين بعده أبو أحمد عدنان ابن أخيه الرضى وفيها توفى القاضى أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد الصيمرى وهو شيخ أصحاب أبى حنيفة فى زمانه ومن جملة تلامذته القاضى أبو عبد الله الدامغانى ومولده سنة احدى وخمسين وثلثمائة وولى بعده قضاء الكرخ القاضى أبو الطيب الطبرى مضافا الى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطاق وفيها توفى القاضى أبو الحسن عبد الوهاب بن منصور بن المشترى قاضى خوزستان وفارس وكان شافعى المذهب وفيها أيضا توفى أبو الحسين محمد بن على البصرى المتكلم المعتزلى صاحب التصانيف المشهورة

على عوام الناس بارا بخواصهم واصلا لاهل بيته مؤثرا لهم على نفسه متقلل الظهر بالطالبيات يجهد نفسه

برهن والتحصن عليهن لم تظهر له زلة ولا عرفت له خزية ولما قتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعا كثيرا ورثاه القريب والبعيد وحزن عليه الصغير والكبير وجزع لقتله الملى والدنى وفى ذلك يقول بعض شعراء عصره ومن جزع على فقده

بكت الخيل شجوها بعد يحيى
وبكاه المهند المصقول

وبكته العراق شرقا وغربا
وبكاه الكتاب والتنزيل

والمصلى والبيت والركن والحجـ
ـر جميعا لهم عليه عويل

كيف لم تسقط السماء علينا
يوم قالوا أخو الحسين قتيل

وبنات النبى يندبن شجوا
موجعات دموعهن تسيل

ويؤبن للرزية بدرا
فقده مفظع عزيز جليل

قطعت وجهه سيوف الاعادى
بابى وجهه الوسيم الجميل

وليحيى الفتى بقلبى غليل
كيف يرضى بالجسم ذاك العليل

قتله مذكر لقتل على
وحسين ويوم أودى الرسول

فصلاة الاله وقفا عليهم
ما بكى موجع وحن ثكول

وكان ممن رثاه على بن محمد ابن جعفر العلوى الحمانى الشاعر وكان ينزل بالكوفة فى حمان فاضيف اليهم فقال

يا بقايا السلف الصالح والتجر الربيح * نحن للايام من بين قتيل وجريح

خاب وجه الارض كم غيب من وجه صبيح آه من يومك ماأو * داه للقلب القريح وفيه يقول

﴿ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وصول ابراهيم ينال الى همذان وبلد الجبل﴾

فى هذه السنة أمر السلطان طغرلبك أخاه ابراهيم ينال بالخروج الى بلد الجبل وملكها فسار اليها من كرمان وقصد همذان وبها كرشاسف بن علاء الدولة ففارقها خوفا ودخلها ينال فملكها والتحق كرشاسف بالاكراد الجوزقان وكان أبو الشوك حينئذ بالدينور فسار عنها الى قرميسين خوفا واشفاقا من ينال فقوى طمع ينال حينئذ فى البلاد وسار الى الدينور فملكها ورتب أمورها وسار منها يطلب قرميسين فلما سمع أبو الشوك به سار الى حلوان وترك بقرميسين من فى عسكره من الديلم والاكراد الشاذنجان ليمنعوها ويحفظوها وواقاهم ينال جريدة فقاتلوه فدفعوه عنها فانصرف عنهم وعاد بحركاته وحلله فقاتلوه فضعفوا عنه وعجزوا عن منعه فملك البلد فى رجب عنوة وقتل من العساكر جماعة كثيرة وأخذ أموال من سلم من القتل وسلاحهم وطردهم ولحقوا بابى الشوك ونهب البلد وقتل وسبى كثيرا من أهله ولما سمع أبو الشوك ذلك سير أهله وأمواله وسلاحه من حلوان الى قلعة السيروان وأقام جريدة فى عسكره ثم ان ينال سار الى الصيمرة فى شعبان فملكها ونهبها وأوقع بالاكراد المجاورين لها من الجوزقان فانهزموا وكان كرشاسف بن علاء الدولة نازلا عندهم فسار هو وهم الى بلد شهاب الدولة أبى الفوارس منصور بن الحسين ثم ان ابراهيم ينال سار الى حلوان وقد فارقها أبو الشوك ولحق بقلعة السيروان فوصل اليها ابراهيم آخر شعبان وقد جلا أهلها عنها وتفرقوا فى البلاد فنهبها وأحرقها وأحرق دار أبى الشوك وانصرف بعد أن اجتاحها ودرسها وتوجه طائفة من الغز الى خانقين فى أثر جماعة من أهل حلوان كانوا ساروا بأهلهم وأولادهم وأموالهم فادركوهم وظفروا بهم وغنموا أموالهم وانتشر الغز فى تلك النواحى فبلغوا مايدشت وما يليها فنهبوها وأغاروا عليها فلما سمع الملك أبو كاليجار هذه الاخبار أزعجته وأقلقته وكان بخوزستان فعزم على المسير ودفع ينال ومن معه من الغز عن البلاد فأمر عساكره بالتجهز للسفر اليهم فعجزوا عن الحركة لكثرة ما مات من دوابهم فلما تحقق ذلك سار نحو بلاد فارس فحمل العسكر أثقالهم على الحمير

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى المحرم خطب للملك أبى كاليجار باصبهان وأعمالها وعاد الامير أبو منصور بن علاء الدولة الى طاعته وكان سبب ذلك انه لما عصى على الملك أبى كاليجار وقصد كرمان على ما ذكرناه والتجأ الى طاعة طغرلبك لم يبلغ ما كان يؤمله من طغرلبك فلما عاد طغرلبك الى خراسان خاف أبو منصور من الملك أبى كاليجار فراسله فى العود الى طاعته فاجابه الى ذلك واصطلحا وفيها اصطلح أبو الشوك وأخوه مهلهل وكانا متقاطعين من حين أسر مهلهل أبا الفتح بن أبى الشوك وموت أبى الفتح فى سجنه فلما كان الآن وخافا من الغز راسلا فى الصلح واعتذر مهلهل وأرسل ولده أبا الغنائم الى أبى الشوك وحلف له ان أبا الفتح توفى حتف أنفه من غير قتل وقال هذا ولدى تقتله عوضه فرضى أبو الشوك وأحسن الى أبى الغنائم ورده الى أبيه واصطلحا واتفقا وفيها فى جمادى الاولى خلع الخليفة على أبى القاسم على بن الحسن بن المسلمة واستوزره ولقبه رئيس الرؤساء وهو ابتداء حاله وكان السبب فى ذلك ان ذا السعادات بن فسانجس وزير الملك أبى كاليجار كان سيء الرأى فى عميد الرؤساء وزير الخليفة فطلب من الخليفة ان يعزله فعزله واستوزر رئيس الرؤساء نيابة ثم خلع عليه وجلس فى الدست وفيها فى شعبان سار سرخاب بن محمد بن عناز أخو

تضوع مسكا جانب القبر اذ ثوى
وما كان لولا شلوه بتضوع
مصارع فتيان كرام اعزة
اتيح ليحيى الخير منهن مصرع
وقوله
انى لقومى من أحساب قومكم
بمسجد الخيف فى بحبوحة الخيف
ما علق السيف منا بابن عاشرة
الا وهمته أمضى من السيف
وقد كان على بن محمد بن جعفر العلوى هذا وهو أخو اسمعيل العلوى لامه لما دخل الحسن بن اسمعيل الكوفة وهو صاحب الجيش الذى لقى يحيى بن عمر قعد عن سلامه ولم ينهض اليه ولم يتخلف عن سلامه أحد من آل على بن أبى طالب الهاشميين وكان على بن محمد الحمانى مفتيهم بالكوفة وشاعرهم ومدرسهم ولسانهم ولم يكن أحد بالكوفة من آل على بن أبى طالب يتقدمه فى ذلك الوقت فتفقده الحسن بن اسمعيل وسأل عنه وبعث بجماعة فاحضروه فانكر الحسن تخلفه فاجابه على بن محمد بجواب مستقتل آيس من الحياة فقال أردت أن آتيك مهنئا بالفتح وداعيا بالظفر وأنشد شعر الا يقوم على مثله من يرغب فى الحياة

فقلت أعزمن ركب المطايا * وجئتك استلينك فى الكلام وعز على أن القاك الا * ونحا بيننا حد الحسام

أبى الشوك الى البندنيجين وبها سعدى بن أبى الشوك ففارقها سعدى ولحق بابيه ونهب سرخاب بعضها وكان أبو الشوك قد أخذ بلد سرخاب ما عدا دزديلوية وهما متباينان لذلك وفيها فى آخر رمضان توفى أبو الشوك فارس بن محمد بن عناز بقلعة السيروان وكان مرض لما سار الى السيروان من حلوان ولما توفى غدر الاكراد بابنه سعدى وصار واتبع عمه مهلهل فمنذ ذلك مضى سعدى الى ابراهيم ينال وأتى بالغز على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها قتل عيسى بن موسى الهذبانى صاحب اربل وكان خرج الى الصيد فقتله ابنا أخ له وسارا الى قلعة اربل فملكاها وكان سلار بن موسى اخو المقتول نازلا على قرواش بن المقلد صاحب الموصل لنفرة كانت بينه وبين أخيه فلما قتل سار قرواش مع سلار الى اربل فملكها وسلمها الى سلار وعاد قرواش الى الموصل وفيها كانت ببغداد فتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة وقتال اشتد قتل فيه جماعة وفيها وقع البلاء والوباء فى الخيل فهلك من عسكر الملك أبى كاليجار اثنا عشر ألف فرس وعم ذلك البلاد وفيها توفى على بن محمد ابن نصر أبو الحسن الكاتب بواسط صاحب الرسائل المشهورة

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك مهلهل قرميسين والدينور﴾

فى هذه السنة ملك مهلهل بن محمد بن عناز مدينة قرميسين والدينور وسبب ذلك ان ابراهيم ينال كان قد استعمل عند عوده من حلوان على قرميسين بدر بن طاهر بن هلال فلما ملك مهلهل بعد موت أخيه أبى الشوك سار الى مايدشت ونزل بها ثم توجه نحو قرميسين فانصرف عنها بدر فملكها مهلهل وسير ابنه محمدا الى الدينور وبها عساكر ينال فاقتتلوا فقتل بين الفريقين جماعة وانهزم أصحاب ينال وملك محمد البلد

﴿ذكر اتصال سعدى بن أبى الشوك بابراهيم ينال وما كان منه﴾

فى هذه السنة فى شهر ربيع الاول فارق سعدى بن أبى الشوك عمه مهلهلا ولحق بابراهيم ينال فصار معه وسبب ذلك ان عمه تزوج أمه وأهمل جانبه واحتقره وكذلك أيضا قصر فى مراعاة الاكراد الشاذنجان فراسل سعدى ابراهيم ينال فى اللحاق به فأذن له فى ذلك ووعده ان يملكه ما كان لابيه فسار اليه فى جماعة من الاكراد الشاذنجان فقوى بهم فأكرمه ينال وضم اليه جمعا من الغز وسيره الى حلوان فملكها وخطب فيها لابراهيم ينال فى شهر ربيع الاول وأقام بها أياما ورجع الى مايدشت فسار عمه مهلهل الى حلوان فملكها وقطع منها خطبة ينال فلما سمع سعدى بذلك سار الى حلوان ففارقها عمه مهلهل الى ناحية بلوطة وملك سعدى حلوان وسار الى عمه سرخاب فكبسه ونهب ما كان معه وسير جمعا الى البندنيجين فاستولوا عليها وقبضوا على نائب سرخاب بها ونهبوا بعضها وانهزم سرخاب فصعد الى قلعة دزديلوية ثم عاد سعدى الى قرميسين فسير عمه مهلهل ابنه بدرا الى حلوان فملكها فجمع سعدى وأكثر وعاد الى حلوان ففارقها من كان بها من أصحاب عمه الا من كان بالقلعة وملكها سعدى وكان قد صحبه كثير من الغز فسار بهم منها الى عمه مهلهل وترك بها من يحفظها فلما علم عمه بقربه منه سار بين يديه الى قلعة تيرانشاه بقرب شهرزور فاحتمى بها وملك الغز كثيرا من النواحى والمواشى وغنموا كثيرا من الاموال والدواب فلما رأى سعدى تحصن عمه منه خاف على من خلفه بحلوان فعاد عازما على محاصرة القلعة فمضى وحصرها وقاتله من بها من أصحاب عمه ونهب الغز حلوان وفتكوا فيها واقتضوا

ولكن الجناح اذا أهيضت
قوادمه يرف على الاكام
فقال له الحسن بن اسمعيل أنت موتور فلست أنكر ما كان منك وخلع عليه وحمله الى منزله قال وكان أبو أحمد الموفق بالله حبس على بن محمد العلوى لامر شنع به عليه من انه يريد الظهور فكتب اليه من الحبس
قد كان جدك عبد الله خير أب
لابنى على حسين الخير والحسن
فالكف يوهن منها كل أنملة
ما كان من أختها الاخرى من الوهن
فلما وصل هذا الشعر اليه كفل وخلى الى الكوفة وله أشعار ومراث فى أخيه اسمعيل وغيره من أهله وفى ذم الشيب قد أتينا على كثير من ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان عند ذكر أخبار الطالبيين وفى كتاب مزاهر الاخبار وظرائف الآثار فى أخبار النبى صلى الله عليه وسلم * ومما رثى به على بن محمد أيضا أبا الحسن يحيى ابن عمر فأجاد فيه وافتخر على غيرهم من قريش قوله
لعمرى لئن سرت قريش بهلكه
لما كان وقافا غداة التوقف
فان مات تلقاه الرماح فانه * لمن معشر يشنون موت التترف
ولاتشمتوا فالقوم من يبق منهم * على سنن منهم مقام المخالف

الابكار واحرقوا المساكن وتفرق الناس وفعلوا في تلك النواحي جميعها أقبح فعل ولما سمع أصحاب الملك أبي كاليجار ووزيره هذه الاخبار ندبوا العساكر الى الخروج الى مهلهل ومساعدته على ابن أخيه ودفعه عن هذه الاعمال فلم يفعلوا ثم ان سعدى أقطع أبا الفتح بن ورام البندنيجين واتفقا واجتمعا على قصد عمه سرخاب بن محمد بن عناز وحصره بقلعة دزدیلویه فسارا فيمن معهما من العساكر فلما قاربوا القلعة دخلوا في مضيق هناك من غير ان يجعلوا لهم طليعة طمعا فيه وادلالا بقوتهم وكان سرخاب قد جعل على رأس الجبل على فم المضيق جمعا من الاكراد فلما دخلوا المضيق لقيهم سرخاب وكان قد نزل من القلعة فاقتتلوا وعادوا ليخرجوا من المضيق فتقطرت بهم خيلهم فسقطوا عنها ورماهم الاكراد الذين على الجبل فوهنوا وأسر سعدى وأبو الفتح بن ورام وغيرهما من الرؤس وتفرق الغز والاكراد من تلك النواحي بعد ان كانوا قد توطنوها وملكوها

﴿ذكر حصار طغرلبك أصبهان﴾

في هذه السنة حصر طغرلبك مدينة أصبهان وبها صاحبها أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة فضيق عليه ولم يظفر من البلد بطائل ثم اصطلحوا على مال يحمله فرامرز بن علاء الدولة لطغرلبك وخطب له بأصبهان وأعمالها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة خرج من الترك من بلد التبت خلق لا يحصون كثرة فراسلوا أرسلان خان صاحب بلاساغون يشكرونه على حسن سيرته في رعيته ولم يكن منهم تعرض الى مملكته ولكنهم أقاموا بها وراسلهم ودعاهم الى الاسلام فلم يجيبوا ولم ينفروا منه وفيها توفي أبو الحسن الخيثي النحوي في ذي الحجة وله نيف وتسعون سنة وفيها انحدر علاء الدين أبو الغنائم بن الوزير ذي السعادات الى البطائح وحصرها وبها صاحبها أبو نصر بن الهيثم وضيق عليه واجتمع مع جمع كثير وفيها في ذي القعدة توفي عبد الله بن يوسف أبو محمد الجويني والد امام الحرمين أبي المعالي وكان اماما في الشافعية تفقه على أبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي وكان عالما بالادب وغيره من العلوم وهو من بني سنبس بطن من طي

﴿ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة﴾

﴿ذكر صلح الملك أبي كاليجار والسلطان طغرلبك﴾

في هذه السنة أرسل الملك أبو كاليجار الى السلطان ركن الدين طغرلبك في الصلح فاجابه اليه واصطلحا وكتب طغرلبك الى أخيه ينال يأمره بالكف عما وراء ما بيده واستقر الحال بينهما ان يتزوج طغرلبك بابنة أبي كاليجار ويتزوج الامير أبو منصور بن أبي كاليجار بابنة الملك داود أخي طغرلبك وجرى العقد في شهر ربيع الآخر من هذه السنة

﴿ذكر القبض على سرخاب أخي أبي الشوك﴾

في هذه السنة قبض الاكراد اللرية وجماعة من عسكر سرخاب عليه لانه أساء السيرة معهم ونزهم فقبضوا عليه وحملوه الى ابراهيم ينال فقلع احدى عينيه وطالبه باطلاق سعدى بن أبي الشوك فلم يفعل وكان أبو العسكر بن سرخاب قد غاضبه لما قبض على سعدى واعتزله كراهية لفعله فلما أسر أبوه سرخاب سار الى القلعة وأخرج سعدى ابن عمه وفك قيوده وأحسن اليه وأطلقه وأخذ عليه بطرح ما مضى والسعي في خلاص والده سرخاب فسار سعدى واجتمع عليه خلق كثير من الاكراد ووصل الى ابراهيم ينال فلم يجد عنده الذي أراد ففارقه وعاد الى الدسكرة

لهم معكم اماجدعتم انوفكم * مقامات مابين الصفا والمعرّف
تراث لهم من آدم ومحمد * الى الثقلين من وصايا ومصحف

وفيه يقول أيضا في الشيب

قد كان حين علا الشباب به * يققى السوالف حالك الشعر
وكأنه قمر تنطق في * افق السماء بدارة البدر
يا ابن الذى جعلت فضائله * فلك العلا وقلائد السور
من اسرة جعلت مخايلهم * للعالمين مخايل النظر
تهيب الاقدار قدرهم * فكأنهم قدر على قدر
والموت لا تسوى رميته * فلك العلا ومواضع الغرر

ومن مراثيه المستحسنة في أخيه

هذا ابن أمي عديل الروح في جسدي * شق الزمان به قلبي الى كبدي
فاليوم لم يبق شئ أستريح به * الا تفتت أعضائي من الكمد
أو مقلة بحياء الهم باكية * أو بيت مرثية تبقى على الابد
ترى أناجيك فيها بالدموع وقد * نام الخلي ولم أهجع ولم أكد
من لي بمثلك يا نور الحياة ويا * يمنى يدي التي شلت من العضد
من لي بمثلك أدعوه لحادثة * تشكى اليه ولا أشكو الى أحد
قد ذقت أنواع ثكل كنت أبلغها * على القلوب وأجناها على كبد
قل للردى لا تغادر بعده أحدا * وللمنية من أحببت فاعتمدي
ان الزمان تقضى بعد فرقته * والعيش آذن بالتفريق والنكد

وكانت وفاة محمد العلوي في خلافة

وكاتب

المعتمد في سنة ست ومائتين وفي خلافة المستعين وذلك في سنة خمسين ومائتين

وكاتب الخليفة ونواب الملك أبي كاليجار بالعود الى الطاعة وأقام بها

﴿ذكر ملك ابراهيم ينال قلعة كنكور وغيرها﴾

في هذه السنة سار ابراهيم ينال الى قلعة كنكور وبها عكبر بن فارس صاحب كرشاسف بن علاء الدولة يحفظها له فامتنع عكبر بها الى ان فنيت ذخائره وكانت قليلة فلما انفدت الذخائر عمد الى بيوت الطعام التي في القلعة وملأها ترابا وحجارة وسد أبوابها ونثر من داخل الابواب شيأ من طعام وعلى رأس التراب والحجارة كذلك أيضا وراسل ابراهيم في تسليم القلعة اليه على ان يؤمنه على من بها من الرجال وما بها من الاموال فارسل اليه ابراهيم يمتنع عليه من ترك المال فاخذ عكبر رسول ابراهيم فطوفه على البيوت التي فيها الطعام وفتح مواضع من المسدود فرآها مملوأة نظنها طعاما وقال له عكبر ما راسلت صاحبك خوفا من المطاولة ولا اشفاقا من نفاد الميرة لكنني أحببت الدخول في طاعته فان بذل لي الامان على ما طلبته لي وللامير كرشاسف وأمواله ولمن بالقلعة سلمت اليه وكفيته مؤنة المقام فلما عاد الرسول الى ابراهيم وأخبره أجابه الى ما طلب ونزل عكبر وتسلمها ابراهيم فلما صعد الى القلعة انكشفت الحيلة وسار عكبر بمن معه الى قلعة سرماج وصعد اليها ولما ملك ينال كنكور عاد الى همذان فسير جيشا لاخذ قلاع سرخاب واستعمل عليهم نسيبا له اسمه أحمد وسلم اليه سرخابا ليأخذ به قلاعه فسار به الى قلعة كلكان فامتنعت عليه فساروا الى قلعة دزدیلویه لحصروها وامتدت طائفة منهم الى البندنيجين فنهبوها في جمادى الآخرة وفعلوا الافاعيل القبيحة من النهب والقتل وافتراش النساء والعقوبة على تخليص الاموال فمات منهم جماعة لشدة الضرب وسارت طائفة منهم الى أبي الفتح بن ورام فانصرف عنهم خوفا منهم وترك حلله بحالها وقصد ان يشتغلوا بنهب حلله فيعود عليهم فلم يعرجوا على النهب وتبعوه فلشدة خوفه ان يظفروا به ويأخذوه فاتاهم فظفر بهم وقتل وأسر جماعة منهم وغنم ما معهم ورجع الباقون وأرسل الى بغداد يطلب نجدة خوفا من عودهم فلم يجدوه لعدم الهيبة وقلة امساك الامر فعبر بنو ورام دجلة الى الجانب الغربي ثم ان الغز أسروا الى سعدى بن أبي الشوك في رجب وهو نازل على فرسخين من باجسرى وكبسوه فانهزم هو ومن معه لا يلوي الاخ على أخيه ولا الوالد على ولده فقتل منهم خلق كثير وغنم الغز أموالهم ونهبوا تلك الاعمال وكان سعدى قد أنزل مالا من قلعة السيروان فوصله تلك الليلة فغنمه الغز الا قليلا منه سلم معه ونجا سعدى من الوقعة بجريعة الذقن ونهب الغز الدسكرة وباجسرى والهارونية وقصر سابور وجميع تلك الاعمال ووصل الخبر الى بغداد بان ابراهيم ينال عازم على قصد بغداد فارتاع الناس واجتمع الامراء والقواد الى الامير أبي منصور بن الملك أبي كاليجار ليجتمعوا ويسيروا اليه ويمنعوه واتفقوا على ذلك فلم يخرج غير خيم الامير أبي منصور والوزير ونفر يسير وتخلف الباقون وهلك من أهل تلك النواحي المنهوبة خلق كثير فمنهم من قتل ومنهم من غرق ومنهم من قتله البرد ووصل سعدى الى ديالى ثم سار منها الى أبي الاغر دبيس بن مزيد فاقام عنده ثم ان ابراهيم ينال سار الى السيروان لحصر القلعة وضيق على من بها وأرسل سرية نهبت البلاد وانتهت الى مكان بينه وبين تكريت عشرة فراسخ ودخل بغداد من أهل طريق خراسان خلق كثير وذكروا من حالهم ما أبكى العيون ثم سلمها اليه مستحفظها بعد ان أمنه على نفسه وماله وأخذ منها ينال من بقايا ما خلفه سعدى شيأ كثيرا ولما فتحها استخلف فيها مقدما كبيرا من أصحابه يقال له سخت كمان وانصرف الى حلوان وعاد منها الى همذان ومعه بدر ومالك ابنا مهلهل فاكرمهما ثم ان

ظهر ببلاد طبرستان الحسن بن زيد ابن محمد بن اسمعيل بن الحسن ابن زيد بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد وما زالت في يده الى أن مات سنة سبعين ومائتين وخلفه أخوه محمد ابن زيد فيها الى أن حاربه رافع بن هرثمة ودخل محمد بن زيد الى الديلم في سنة سبع وسبعين ومائتين فصارت في يده وبايعه بعد ذلك رافع بن هرثمة وصار في جملته وانقاد لدعوته والقول بطاعته وكان الحسن ابن زيد ومحمد بن زيد يدعوان الى الرضا من آل محمد وكذلك من طرأ بعدهما ببلاد طبرستان وهو الحسن ابن علي الحسني المعروف بالاطروش وولده ثم الداعي الحسن بن القاسم الذي قتله الثائر بطبرستان وكان الحسن بن القاسم من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب وقد أتينا على خبر سائر آل أبي طالب بطبرستان ومن ظهر منهم بالمشرق والمغرب وغير ذلك من بقاع الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في كتابنا أخبار الزمان والغا نذكر في هذا الكتاب لمعا من سائر ما يجب ذكره لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكرهم وظهر في هذه السنة وهي سنة خمسين ومائتين بالري محمد بن جعفر بن الحسن ودعا

صاحب قلعة سرماج توفى وهو من ولد بدر بن حسنويه وسلمت القلعة بعده الى ابراهيم ينال وسير ابراهيم ينال وزيره الى شهرزور فاخذها وملكها وهرب منه مهلهل فابعد فى الهرب ثم نزل أحمد على قلعة تيرانشاه وحاصرها ونقب عليها عدة نقوب ثم ان مهلهلا راسل أهل شهرزور بعدهم بالمسير اليهم فى جمع كثير وبأمرهم بالوثوب بمن عندهم من الغز ففعلوا وقتلوا منهم وسمع أحمد بن طاهر فعاد اليهم وأوقع بهم ونهبهم وقتل كثيرا منهم ثم ان الغز المقيمين بالبندنيجين ومن معهم ساروا الى برازالروز وتقدموا الى نهر السليل فاقتتلوا هم وأبودلف القاسم بن محمد الجاوانى قتالا شديدا ظفر فيها أبودلف وانهزم الغز وأخذ مامعهم وسار فى ذى الحجة جمع من الغز الى بلد على بن القاسم الكردى فاغاروا وعاثوا فاخذ عليهم المضيق وأوقع بهم وقتل كثيرا منهم وارتجع ماغنموه من بلده

﴿ذكر استيلاء أبى كاليجار على البطيحة﴾

فى هذه السنة اشتد الحصار من عسكر الملك أبى كاليجار على أبى نصر بن الهيثم صاحب البطيحة فجنح الى الصلح فاشتط عليه أبو الغنائم بن الوزير ذى السعادات ثم استأمن نفر من أصحاب أبى نصر وملاحيه الى أبى الغنائم وأخبروه بضعف أبى نصر وعزمه على الانتقال من مكانه فحفظ الطرق عليه فلما كان خامس صفر جرت وقعة كبيرة بين الفريقين واشتد القتال فظفر أبو الغنائم وقتل من البطائحيين جماعة كثيرة وغرق منهم سفن كثيرة وتفرقوا فى الآجام ومضى ابن الهيثم ناجيا بنفسه فى زبزب وملكت داره ونهب مافيها

﴿ذكر ظهور الاصفر وأسره﴾

فى هذه السنة ظهر الاصفر التغلبى برأس عين وادعى انه من المذكورين فى الكتب واستغوى قوما تخار يق وضعها وجمع جمعا وغزا نواحى الروم فظفر وغنم وعاد وظهر حديثه وقوى ناموسه وعاود الغزو فى عدد أكثر من العدد الاول ودخل نواحى الروم وأوغل وغنم أضعاف ماغنمه أولا حتى بيعت الجارية الجميلة بالثمن البخس وتسامع الناس به فقصدوه وكثر جمعه واشتدت شوكته وثقلت على الروم وطأته فارسل ملك الروم الى نصر الدولة بن مروان يقول له انك عالم بما بيننا من الموادعة وقد فعل هذا الرجل هذه الافاعيل فان كنت قد رجعت عن المهادنة فعرفنا لندبر أمرنا بحسبه واتفق فى ذلك الوقت ان وصل رسول من الاصفر الى نصر الدولة أيضا ينكر عليه ترك الغزو والميل الى الدعة فساءه ذلك أيضا واستدعى قوما من بنى نمير وقال لهم ان هذا الرجل قد أثار الروم علينا ولا قدرة لنا عليهم وبذل لهم بذلا على الفتك به فساروا اليه فقربهم ولازموه فركب يوما غير متحرز فابعدوا وهم معه فعطفوا عليه وأخذوه وحملوه الى نصر الدولة بن مروان فاعتقله وتلافى أمر الروم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة تجددت الهدنة بين صاحب مصر وبين الروم وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية عظيمة وفيها كان ببغداد والموصل وسائر البلاد العراقية والجزرية غلاء عظيم حتى أكل الناس الميتة وتبعه وباء شديد مات فيه كثير من الناس حتى خلت الاسواق وزادت أثمان مايحتاج اليه المرضى حتى بيع المن من الشراب بنصف دينار ومن اللوز بخمسة عشر قيراطا والرمانة بقيراطين والخيارة بقيراط واشباه ذلك وفيها جمع الامير أبو كاليجار فناخسرو بن مجد الدولة ابن بويه جمعا وسار الى آمد فدخلها وساعده أهلها وأوقع بمن كان فيها من أصحاب طغرلبك فقتل

الحسن بن زيد صاحب طبرستان وكانت له حروب بالرى مع أهل خراسان من المسودة فأسر وحمل الى نيسابور الى محمد بن عبد الله بن طاهر فمات فى مجلسه بنيسابور وظهر بعده بالرى أحمد بن عيسى بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب ودعا الى الرضى من آل محمد وحارب محمد بن طاهر وكان بالرى فانهزم عنها وسار الى مدينة السلام فدخلها العلوى وفى هذه السنة وهى سنة خمسين ومائتين ظهر بقزوين الكركى وهو الحسن بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله ابن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم وهو من ولد الاوسط وقيل ان اسم الكركى الحسن ابن أحمد بن محمد بن اسمعيل ابن محمد بن عبد الله بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فحاربه موسى وبغا وصار الكركى الى الديلم ثم وقع الى الحسن بن زيد الحسنى فهلك قبله وظهر بالكوفة الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسن بن على ابن أبى طالب فسرح اليه محمد بن عبد الله بن طاهر من بغداد جيشا عليه ابن خاقان فانكشف الطالبى واختفى لترك أصحابه له وتخلفهم عنه وكان ذلك فى سنة احدى وخمسين ومائتين وفى سنة تسع وأربعين ومائتين عقد المستعين لابنه العباس على مكة والمدينة والبصرة والكوفة وعزم على البيعة له فانزها لصغر سنه وأمر

وأسر وعرف طغرلبك ذلك فسار عن الرى قاصدا اليه ومتوجها الى قتاله وفيها توفى عميد الدولة أبو سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم بجزيرة ابن عمر فى ذى القعدة وله شعر حسن ووزر لجلال الدولة عدة دفعات وفيها سير المعز بن باديس صاحب افريقية اسطولا الى جزائر القسطنطينية فظفر وغنم وعاد وفيها اقتتلت طوائف من تلكاتة قاتل بعضهم بعضا وكان بينهم حرب صبر وافيها فقتل منهم خلق كثير وفيها قبض الملك أبو كاليجار على وزيره محمد بن جعفر بن أبى الفرج الملقب بذى السعادات بن فسانجس وسجنه وهرب ولده أبو الغنائم وبقى الوزير مسجونا الى ان مات فى شهر رمضان سنة أربعين وقيل أرسل اليه أبو كاليجار من قتله وعمره احدى وخمسون سنة وللوزير ذى السعادات مكاتبات حسنة وشعر جيد منه

أودعكم وانى ذوا كتئاب * وارحل عنكم والقلب آبى
وان فراقكم فى كل حال * لأوجع من مفارقة الشباب
أسير وماذممت لكم جوارا * ولاملت منازلكم ركابى
وأشكر كلما أوطنت دارا * لياليها القصار بلا اجتناب
وأذكركم اذا هبت جنوب * فتذكرنى غرارات التصابى
لكم منى المودة فى اغتراب * وأنتم الف نفسى فى اقترابى

وهو أطول من هذا ولما قبض ذو السعادات استوزر أبو كاليجار كال الملك أبا المعالى بن عبد الرحيم وفيها توفى أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب المعروف بالمطرز الشاعر وله شعر جيد فن قوله فى الزهد

ياعبد كم لك من ذنب ومعصية * ان كنت ناسيها فالله أحصاها
لابد ياعبد من يوم تقوم به * ووقفة لك يدمى القلب ذكراها
اذا عرضت على قلبى تذكرها * وساء ظنى فقلت استغفر الله

وفيها مات أبو الخطاب الجبلى الشاعر ومضى الى الشام ولقى المعرى وعاد ضريرا وله شعر منه قوله

ماحكم الحب فهو ممتثل * وماجناه الحبيب محتمل
تهوى وتشكو الضنى وكل هوى * لاينحل الجسم فهو منتحل

وفيها توفى أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلال الحافظ ومولده سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة سمع أبا بكر القطيعى وغيره ومن أصحابه الخطيب أبو بكر الحافظ وفيها اقتتل الفقيه أحمد الولوالجى وهو من أعيان الفقهاء الحنفية الا انه كان يكثر الوقيعة فى الائمة والعلماء وسلك طريق الرياضة وفسد دماغه فقتل بين مرو وسرخس فى ذى الحجة

﴿ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر رحيل عسكر ينال عن تيرانشاه وعود مهلهل الى شهرزور﴾

قد ذكرنا فى السنة المتقدمة استيلاء أحمد بن طاهر وزير ينال على شهرزور ومحاصرته قلعة تيرانشاه ولم يزل يحاصرها الى الآن فوقع فى عسكره الوباء وكثر الموت فأرسل الى صاحبه ينال يستمده ويطلب انجاده ويعرفه كثرة الوباء عنده فأمره بالرحيل عنها فسار الى مايدشت فلما سمع مهلهل ذلك سير أحد أولاده الى شهرزور فملكها وازعج الغز الذين بالسيروان وخافوا ثم سار جمع من عسكر بغداد الى حلوان وحصروا قلعتها فلم يظفروا بها فنهبوا تلك الاعمال وأتوا على

وكان عيسى بن فرخانشاه قال لابى البصير الشاعر أن يقول فى ذلك شعرا يشير فيه بالبيعة له فقال فى ذلك قصيدة طويلة يقول فيها

بك الله حاط الدين واحتاش أهله
من الموبق الدحض الذى مثله يردى
فول ابنك العباس عهدك انه
له موضع واكتب الى الناس بالعهد
فان حلفته السن فالعقل بالغ
به رتبة الشيخ الموفق للرشد
فقد كان يحيى أوتى العلم قبله
صبيا وعيسى كلم الناس فى المهد

وقال أبو العباس المكى كنت أنادم محمد بن طاهر بالرى قبل مواقعته الطالبيين فما رأيته فى وقت من الاوقات أشد سرورا منه ولا أكثر نشاطا قبل ظهور العلوى بالرى وذلك فى سنة خمسين ومائتين ولقد كنت عنده ليلة أتحدث والخبر وافد والستر مسبل اذ قال كأنى أشتهى الطعام فما آكل قلت صدر دراج أو قطعة من جدى باردة قال ياغلام هات رغيفا وخلا وملحا فاكل من ذلك فلما كان فى الليلة الثانية قال ياأبا العباس كأنى جائع فما ترى أن آكل قلت ما أكلت البارحة فقال أنت لاتعرف فرق مابين الكلامين قلت البارحة كأنى أشتهى الطعام وقلت الليلة كأنى جائع وبينهما فرق فدعا بالطعام ثم قال لى صف لى الطعام والشراب والطيب والنساء والخيل قلت أيكون ذلك منثورا أومنظوما قال لا بل منثورا

ما تخاف من الغز تخربت الاعمال بالكلية وساره باهل ومعه أهله وأمواله الى بغداد فاتى لهم بباب المراتب بدار الخلافة خوفا من الغز وعاد الى حلة وبينه وبين بغداد ستة فراسخ وسار جمع من عسكر بغداد الى البندنيجين وبها جمع من الغز مع عكبر بن أحمد بن عياض فتواقعوا واقتتلوا فانهزم عسكر بغداد وقتل منهم جماعة وأسر جماعة وقتلوا أيضا صبرا

﴿ ذكر غزو ابراهيم ينال الروم ﴾

في هذه السنة غزا ابراهيم ينال الروم فظفر بهم وغنم وكان سبب ذلك ان خلقا كثيرا من الغز بما وراء النهر قدموا عليه فقال لهم بلادي تضيق عن مقامكم والقيام بما تحتاجون اليه والرأي ان تمضوا الى غزو الروم وتجاهدوا في سبيل الله وتغنموا وأنا سائر على أثركم ومساعدكم على أمركم ففعلوا وساروا بين يديه وتبعهم فوصلوا الى ملازكرد وأردن الروم وقاليقلا وبلغوا طرابزون وتلك النواحي كلها ولقيهم عسكر عظيم للروم والابخاز يبلغون خمسين ألفا فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وكانت بينهم عدة وقائع تارة يظفر هؤلاء وتارة هؤلاء وكان آخر الامر الظفر للمسلمين فأكثروا القتل في الروم وهزموهم وأسروا جماعة كثيرة من بطارقتهم وممن أسر قاريط ملك الابخاز فبذل في نفسه ثلثمائة ألف دينار وهدايا بمائة ألف فلم يجبه الى ذلك ولم يزل يجوس تلك البلاد وينهبها الى ان بقي بينه وبين القسطنطينية خمسة عشر يوما واستولى المسلمون على تلك النواحي فنهبوها وغنموا ما فيها وسبوا أكثر من مائة ألف رأس وأخذوا من الدواب والبغال والغنائم والاموال مالا يقع عليه الاحصاء وقيل ان الغنائم حملت على عشرة آلاف عجلة وان في جملة الغنيمة تسعة عشر ألف درع وكان قد دخل بلد الروم جمع من الغز يقدمهم انسان نسيب طغرلبك فلم يؤثر كبير أثر وقتل من أصحابه جماعة وعاد ودخل بعده ابراهيم ينال ففعل هذا الذي ذكرناه

﴿ ذكر موت الملك أبي كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم ﴾

في هذه السنة توفي الملك أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه رابع جمادى الاولى بمدينة جناب من كرمان وكان سبب مسيره اليها انه كان قد عول في ولاية كرمان حربا وخراجا على بهرام بن لشكرستان الديلمي وقرر عليه مالا فتراخى بهرام في تحرير الامر وأحاله الى المغالطة والمدافعة فشرع حينئذ أبو كاليجار في اعمال الحيلة عليه وأخذ قلعة بردسير من يده وهي معقله الذي يحتمي به ويعول عليه فراسل بعض من بها من الاجناد وأفسدهم فعلم بهم بهرام فقتلهم وزاد نفوره واستشعاره وأظهر ذلك فسار اليه الملك أبو كاليجار في ربيع الآخر فبلغ قصر مجاشع فوجد في حلقه خشونة فلم يبال بها وشرب وتصيد وأكل من كبد غزال مشوي واشتدت علته ولحقه حمى وضعف عن الركوب ولم يمكنه المقام لعدم الميرة بذلك المنزل فحمل في محفة على أعناق الرجال الى مدينة جناب فتوفي بها وكان عمره أربعين سنة وشهورا وكان ملكه بالعراق بعد وفاة جلال الدولة أربع سنين وشهرين ونيفا وعشرين يوما ولما توفي نهب الاتراك من العسكر الخزائن والسلاح والدواب وانتقل ولده أبو منصور فلاستون الى مخيم الوزير أبي منصور وكانت منفردة عن العسكر فأقام عنده وأراد الاتراك نهب الوزير والامير فمنعهم الديلم وعادوا الى شيراز فملكها الامير أبو منصور واستشعر الوزير فصعد الى قلعة خرمة فامتنع بها فلما وصل خبر وفاته الى بغداد وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خره فيروز أحضر الجند واستحلفهم وراسل الخليفة القائم بأمر الله في معنى الخطبة له وتلقيبه بالملك الرحيم

وترددت

وترددت الرسل بينهم في ذلك الى ان أجيب الى ملتمسه سوى الملك الرحيم فان الخليفة امتنع من اجابته وقال لا يجوز ان يلقب بأخص صفات الله تعالى واستقر ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة وكان بالبصرة أخوه أبو علي بن أبي كاليجار وخلف أبو كاليجار من الاولاد الملك الرحيم والامير أبا منصور فلاستون وأبا طالب كامرو وأبا المظفر بهرام وأبا علي كيخسرو وأبا سعد خسروشاه وثلاثة بنين أصاغر فاستولى ابنه أبو منصور على شيراز فسير اليه الملك الرحيم أخاه أبا سعد في عسكر فملكوا شيراز وخطبوا للملك الرحيم وقبضوا على الامير أبي منصور ووالدته وكان ذلك في شوال

﴿ ذكر محاصرة العساكر المصرية مدينة حلب ﴾

في جمادى الآخرة وصلت عساكر مصر الى حلب في جمع كثير فحصروها وبها معز الدولة أبو علوان ثمال بن صالح الكلابي فجمع جمعا كثيرا بلغوا خمسة آلاف فارس وراجل فلما نزلوا على حلب خرج اليهم ثمال وقاتلهم قتالا شديدا صبر فيه لهم الى الليل ثم دخل البلد فلما كان الغد اقتتلوا الى آخر النهار وصبر أيضا ثمال وكذلك أيضا اليوم الثالث فلما رأى المصريون صبر ثمال وكانوا ظنوا أن احدا لا يقوم بين أيديهم رحلوا عن البلد فاتفق ان تلك الليلة جاء مطر عظيم لم ير الناس مثله فجاءت المدود الى منزلهم فبلغ الماء ما يقارب قامتين ولو لم يرحلوا لغرقوا ثم رحلوا الى الشام الاعلى

﴿ ذكر الخلف بين قرواش والاكراد الحميدية والهذبانية ﴾

في هذه السنة اختلف قرواش والاكراد الحميدية والهذبانية وكان للحميدية عدة حصون تجاور الموصل منها العقر وما قاربها وللهذبانية قلعة اربل وأعمالها وكان صاحب العقر حينئذ أبا الحسن بن عيسكان الحميدي وصاحب اربل أبو الحسن بن موسك الهذباني وله أخ اسمه أبو علي بن موسك فأعانه الحميدي على أخذ اربل من أخيه أبي الحسن فملكها منه وأخذ صاحبها أبا الحسن أسيرا وكان قرواش وأخوه زعيم الدولة أبو كامل بالعراق مشغولين فلما عادا الى الموصل وقد سخطا هذه الحالة لم يظهراها وأرسل قرواش يطلب من الحميدي والهذباني نجدة له على نصر الدولة بن مروان فأما أبو الحسن الحميدي فسار اليه بنفسه وأما أبو علي الهذباني فأرسل أخاه واصطلح قرواش ونصر الدولة وقبض على ابي الحسن الحميدي ثم صانعه على اطلاق أبي الحسن الهذباني الذي كان صاحب اربل وأخذ اربل من أخيه أبي علي وتسليمها اليه فان امتنع أبو علي كان عونا عليه فأجاب الى ذلك ورهن عليه أهله وأولاده وثلاث قلاع من حصونه الى ان يتسلم اربل وأطلق من الحبس وكان أخ له قد استولى على قلاعه فخرج اليها وأخذها منه وعاد الى قرواش وأخيه زعيم الدولة فوثقا به وأطلقا أهله ثم انه راسل أبا علي صاحب اربل في تسليمها فأجاب الى ذلك وحضر بالموصل ليسلم اربل الى أخيه أبي الحسن فقال الحميدي لقرواش وأخيه اني قد وفيت بعهدي فتسلمان الى حصوني فسلما اليه قلاعه وسار هو وأبو الحسن وأبو علي الهذباني الى اربل ليسلماها الى أبي الحسن فغدر به في الطريق وكان قد أحس بالشر فتخلف عنهما وسير معهما أصحابه ليتسلموا اربل فقبضا على أصحابه وطلبوه ليقبضوه فهرب الى الموصل وتأكدت الوحشة حينئذ بين الاكراد وقرواش وأخيه وتقاطعوا وأضمر كل منهم الشر لصاحبه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

قلت أطيب الطعام مالقى الجوع بطعم وافق شهوة قال فما أطيب الشراب قلت كأس مدام تبرد بها غليلك وتهاطي بها خليلك قال فأي السماع أفضل قلت أوتار أربعة وجارية مترنمة غناؤها عجيب وصوتها مصيب قال فأي الطيب أطيب قلت ريح حبيب تحبه وقرب ولد تربه قال فأي النساء أشهى قلت من تخرج من عندها كارها وترجع اليها والها قال فأي الخيل أفره قلت الاشدق الاعين الذي اذا طلب سبق واذا طلب لحق قال أحسنت يابشر أعطه مائة دينار قلت وأين تقع مني مائتا دينار قال أوقد زدت نفسك مائة دينار ياغلام أعطه المائة كما ذكرنا والمائة الاخرى لحسن ظنه بنا فانصرفت بمائتي دينار فما كان بين هذا الحديث وبين تنحيه من الري الا جمعة * وكان المستعين حسن المعرفة بأيام الناس وأخبارهم لهجا بأخبار الماضين (وحدث) محمد بن الحسن ابن دريد قال أخبرني أبو البيضاء مولى جعفر الطيار وكان طيب الحديث قال وفدنا في أيام المستعين من المدينة الى سامرا وفينا جماعة من آل أبي طالب وغيرهم من الانصار فأقمنا ببابه نحوا من شهر ثم وصلنا اليه فكل تكلم وعبر عن نفسه فقرب وآنس وابتدأ بذكر المدينة ومكة وأخبارهما وكنت أعرف الجماعة بما شرع فيه فقلت ياذن أمير المؤمنين في الكلام قال ذلك اليك فشرعت معه فيما قصد اليه وتسلسل بنا الكلام الى فنون من العلم في أخبار الناس ثم انصرفنا وأقيم لنا الانزال والافضال فلما كان في أول الليل أتانا خادم ومعه عدة من الاتراك فرسان فحملت على جنيبة كانت معهم وأتى بي الى المستعين فاذا هو جالس في الجوسق فقربني وأدناني ثم أخذ بعد آن أنسني في أخبار العرب وأيامها وأهل التتيم فانتهى بنا الكلام الى أخبار العذريين والمتيمين فقال ماعندك من أخبار عروة بن حزام وما كان منه مع عفراء فقلت ياأمير المؤمنين ان عروة بن حزام لما انصرف من عند عفراء بنت عقال توفي وجدا بها وصبابة اليها فمر به ركب فعرفوه فلما انتهوا الى منزل عفراء صاح صائح منهم

ألا أيها القصر المغفل أهله * نعينا اليكم عروة بن حزام

فسمعت صوته وأشرفت عليه وقالت

ألا أيها الركب المجدون ويحكم * بحق نعيتم عروة بن حزام

فأجابها رجل من القوم فقال

نعم قد تركناه بأرض بعيدة * مقيما بها في سبسب وآكام

فقالت لهم

فان كان حقا ما تقولون فاعلموا * بأن قد نعيتم بدر كل ظلام

فلا لقي الفتيان بعدك لذة * ولا رجعوا من غيبة بسلام

ولا وضعت أنثى شريفا كمثله * ولا فرحت من بعده بغلام

فى هذه السنة سار الملك الرحيم من بغداد الى خوزستان تلقيه من بها من الجند وأطاعوه وفيهم كرشاسف بن علاء الدولة الذى كان صاحب همذان وكنكور فانه كان انتقل الى الملك أبى كاليجار بعد ان استولى ينال على أعماله ولما مات أبو كاليجار سار الملك العزيز ابن الملك جلال الدولة الى البصرة طمعا فى ملكها فلقيه من بها من الجند وقاتلوه وهزموه فعاد عنها وكان قبل ذلك عند قرواش ثم عند ينال ولما اسمع باستقامة الامور للملك الرحيم انقطع امله ولما سار الملك الرحيم عن بغداد كثرت الفتن بها ودامت بين أهل باب الازج والاساكفة وهم السنية فاحرقوا عقارا كثيرا وفيها سار سعدى بن أبى الشوك من حلة دبيس بن مزيد الى ابراهيم ينال بعد ان راسله وتوثق منه وتقرر بينهما انه كل مايملكه سعدى مما ليس بيد ينال ونوابه فهو له فسار سعدى الى الدسكرة وجرى بينه وبين من بها من عسكر بغداد حرب انهزموا منه وملكها وما يليها فسير اليها عسكران من بغداد فقتل مقدمهم وهزمهم وسار من الدسكرة وتوسط تلك الاعمال بالقرب من بعقوبا ونهب أصحابه البلاد وخطبوا لابراهيم ينال وفيها كان ابتداء الوحشة بين معتمد الدولة قرواش بن المقلد وبين أخيه زعيم الدولة أبى كامل بن المقلد فانضاف قريش بن بدران ابن المقلد الى عمه قرواش وجمع جمعا وقاتل عمه أبا كامل فظفر ونصر وانهزم أبو كامل ولم يزل قريش يغرى قرواشا باخيه حتى تأكدت الوحشة وتفاقم الشر بينهما وفيها خطب للامير أبى العباس محمد بن القائم بامر الله بولاية العهد ولقب ذخيرة الدين وولى عهد المسلمين وفيها فى رمضان قتل الامير اقسنقر بهمذان قتله الباطنية لانه كان كثير الغزو اليهم والقتل فيهم والنهب لاموالهم والتخريب لبلادهم فلما كان الآن قصد انسانا من الزهاد ليزوره فوثب عليه جماعة من الاسماعيلية فقتلوه وفيها توفى أبو الحسن محمد بن الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله وكان من الصالحين ورواة الحديث وأوصى ان يدفن بجوار أحمد بن حنبل ومولده سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وأبو طالب محمد بن محمد بن غيلان البزاز ومولده سنة سبع وأربعين وثلاثمائة روى عن أبى بكر الشافعى وغيره وتوفى فى شوال وهو راوى الاحاديث المعروفة بالغيلانيات التى خرجها الدارقطنى له وهى من أعلى الحديث واحسنه وعبيد الله بن عمر بن أحمد بن عثمان أبو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين ومولده سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وفيها كان الغلاء والوباء عاما فى البلاد جميعها بمكة والعراق والموصل والجزيرة والشام ومصر وغيرها من البلاد وفيها قبض بمصر على الوزير فخر الملك صدقة بن يوسف وقتل وكان أول أمره يهوديا فاسلم واتصل بالدزبرى وخدمه بالشام ثم خافه فعاد الى مصر وخدم الجرجرائى الوزير ونفق عليه فلما توفى الجرجرائى استوزره المستنصر الى الآن ثم قتله واستوزر القاضى أبا الحسن بن عبد الرحمن اليازورى فى ذى القعدة

﴿ثم دخلت سنة احدى وأربعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ظهور الخلف بين قرواش وأخيه أبى كامل وصلحهما﴾

فى هذه السنة ظهر الخلف بين معتمد الدولة قرواش وبين أخيه زعيم الدولة أبى كامل ظهورا آل الى المحاربة وقد تقدم سبب ذلك فلما اشتد الامر وفسد الحال فسادا لايمكن اصلاحه جمع كل منهما جمعا للمحاربة صاحبه وصار قرواش فى المحرم وعبر دجلة بنواحى بلد وجاءه سليمان بن نصر الدولة بن مروان وأبو الحسن بن عيسكان الحميدى وغيرهما من الاكراد وساروا الى معلثايا فاخربوا المدينة ونهبوها ونزلوا بالمغيثة وجاء أبو كامل فيمن معه من العرب وآل المسيب فنزلوا

ولالا بافتم حيث وجهتم له * ونغصتم لذات كل طعام

ثم سألتهم أين دفنوه فاخبروها فصارت الى قبره فلما قاربته قالت أنزلونى فانى أريد قضاء حاجة فأنزلوها فانسلت الى قبره فاكبت عليه فما راعهم الا صوتها فلما سمعوه بادروا اليها فاذا هى ممتدة على القبر قد خرجت نفسها فدفنوها الى جانب قبره قال فقال لى فهل عندك من خبره غير ماذكرت قلت نعم يا أمير المؤمنين هذا ما أخبرنا به مالك بن الصباح العدوى عن الهيثم بن عدى بن عروة عن أبيه قال بعثنى عثمان بن عفان مصدقا فى بنى عذرة فى بلاد حى منهم يقال لهم بنو منبذة فاذا بيت جديد مضاش عن الحى فملت اليه فاذا بشاب قائم فى ظل البيت واذا عجوز جالسة فى كسر البيت فلما رآنى ترنم بصوت ضعيف يقول

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجدان هما شفيانى
فقالا نعم نشفى من الداء كله * وقاما مع العواد يبتدران
فما تركا من رقية يعرفانها * ولا شربة الابها سقيانى
وقالا شفاك الله والله مالنا * بما حملت منك الضلوع يدان
فلهفى على عفراء لهفا كانه * على النحر والاحشاء حد سنان
فعفراء أحظى الناس عندى مودة * وعفراء عنى المعرض المتدانى
وانى لاهوى الحشر اذ قيل اننى * وعفراء يوم الحشر ملتقيان

بمرج بابنيثا وبين الطائفتين نحو فرسخ واقتتلوا يوم السبت ثانى عشر المحرم وافترقوا من غير ظفر ثم اقتتلوا يوم الاحد كذلك ولم يلابس الحرب سليمان بن مروان بل كان ناحية ووافقه أبو الحسن الحميدى وساروا عن قرواش وفارقه جمع من العرب وقصدوا أخاه فضعف أمر قرواش وبقى فى حلته وليس معه الا نفر يسير فركبت العرب من أصحاب أبى كامل لقصده فنعهم وأسفر الصبح يوم الاثنين وقد تسرع بعضهم ونهب بعضا من عرب قرواش وجاء أبو كامل الى قرواش واجتمع به ونقله الى حلته واحسن عشرته ثم انفذه الى الموصل محجورا عليه وجعل معه بعض زوجاته فى دار وكان مما أفت فى عضد قرواش وأضعف نفسه انه كان قد قبض على قوم من الصيادين بالانبار لسوء طريقهم وفسادهم فهرب الباقون منهم وبقى بعضهم بالسندية فلما كان الآن سار جماعة منهم الى الانبار وتسلقوا السور ليلة خامس المحرم من هذه السنة وقتلوا حارسا وفتحوا الباب ونادوا بشعار أبى كامل فانضاف اليهم اهلوهم واصدقاؤهم ومن له هوى فى أبى كامل فكثروا وثار بهم أصحاب قرواش فاقتتلوا فظفروا وقتلوا من أصحاب معتمد الدولة قرواش جماعة وهرب الباقون فبلغه خبر استيلاء أخيه ولم يبلغه عود أصحابه ثم ان المسيب وامراء العرب كافوا أبا كامل ما يعجز عنه واشتطوا عليه فخاف ان يؤل الامر بهم الى طاعة قرواش واعادته الى مملكته فبادرهم اليه وقبل يده وقال له انى وان كنت أخاك فانى عبدك وما جرى هذا الا بسبب من أفسد رأيك فى واشعرك الوحشة منى والآن فانت الامير وأنا الطائع لامرك والتابع لك فقال له قرواش بل أنت الاخ والامر لك مسلم وأنت أقوم به منى وصلح الحال بينهما وعاد قرواش الى التصرف على حكم اختياره وكان أبو كامل قد أقطع بلال بن غريب بن مقن حربى وأوانا فلما اصطلح أبو كامل وقرواش ارسلا الى حربى من منع بلالا عنها فتظاهر بلال بالخلاف عليهما وجمع الى نفسه جمعا وقاتل أصحاب قرواش وأخذ حربى وأوانا بغير اختيارهما فانحدر قرواش من الموصل اليها وحصرها وأخذها

﴿ذكر مسير الملك الرحيم الى شيراز وعوده عنها﴾

فى هذه السنة فى المحرم سار الملك الرحيم من الاهواز الى بلاد فارس فوصلها وخرج عسكر شيراز الى خدمته ونزل بالقرب من شيراز ليدخل البلد ثم ان الاتراك الشيرازيين والبغداديين اختلفوا وجرى بينهم مناوشة استظهر فيها البغداديون وعادوا الى العراق فاضطر الملك الرحيم الى المسير معهم لانه لم يكن يثق الى الاتراك الشيرازية وكان ديلم بلاد فارس قد مالوا الى أخيه فولاستون وهو بقلعة اصطخر فهو أيضا منحرف عنهم فاضطر الى صحبة البغداديين فعاد فى ربيع الاول من هذه السنة الى الاهواز وقام بها واستخلف بارجان أخويه أبا سعد وأبا طالب ووقع الخلف بفارس فان الامير أبا منصور فولاستون كان قد خاص وصار بقلعة اصطخر واجتمع معه جماعة من أعيان العسكر الفارسى فلما عاد الملك الرحيم الى الاهواز انبسط فى البلاد وقصده كثير من العساكر واستولى على بلاد فارس ثم سار الى أرجان عازما على قصد الاهواز وأخذها

﴿ذكر الحرب بين البساسيرى وعقيل﴾

فى هذه السنة سار جمع من بنى عقيل الى بلد النجم من أعمال العراق وبادوريا فنهبوهما وأخذوا من الاموال الكثير وكانا فى اقطاع البساسيرى فسار من بغداد بعد عوده من فارس اليهم فالتقوا هم وزعيم الدولة أبو كامل بن المقلد واقتتلوا قتالا شديدا أبلى الفريقان فيه بلاء حسنا وصبرا صبرا جميلا وقتل جماعة من الفريقين

ألا لعن الله الوشاة وقولهم * فلانة أضحت خلة لفلان

ثم شهق شهقة خفيفة فنظرت فى وجهه فاذا هو قد مات فقلت أيتها العجوز ما أظن هذا النائم بفناء بيتك الا قد مات قالت وأنا والله أظن ذلك فنظرت فى وجهه وقالت فاض ورب الكعبة فقلت من هذا فقالت عروة بن حزام العذرى وأنا أمه والله ما سمعت له أنة من سنة الا فى صدر يومى هذا فانى سمعته يقول

من كان من أمهاتى باكيا أبدا * فاليوم انى أرانى فيه مقبوضا
تسمعيه فانى غير سامعه * اذا علوت رقاب القوم معروضا

قال فأقمت حتى شهدت غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه قال فقال عثمان وما دعاك الى ذلك قلت اكتساب الاجر فيه والله قال فوصل الجماعة وفضلنى عليهم فى الجائزة (قال المسعودى) ولمن سلف من المتيمين أخبار عجيبة وأشعار حسان فمن ذلك ما حدثنا به أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى القاضى قال حدثنا محمد بن سلام الجمحى قال أخبرنى أبو الهياج بن سابق الضبى ثم الثقفى قال خرجت الى أرض بنى عامر لا لشئ الا للقاء المجنون فاذا أبوه شيخ كبير واذا اخوته رجال واذا نعم ظاهرة وخير كثير فسألتهم عن المجنون فاستعبروا وقال الشيخ كان والله أبر هؤلاء عندى فهوى امرأة من قومه والله ما كانت تطمع فى مثله فلما عرف أمره وأمرها كره أبوها أن

﴿ذكر الوحشة بين طغرلبك وأخيه ابراهيم ينال﴾

فى هذه السنة استوحش ابراهيم ينال من أخيه السلطان طغرلبك وكان سبب ذلك ان طغرلبك طلب من ابراهيم ينال ان يسلم اليه مدينة همذان والقلاع التى بيده من بلد الجبل فامتنع من ذلك واتهم وزيره أبا على بالسعى بينهما فى الفساد فقبض عليه وأمر به فضرب بين يديه وسمل احدى عينيه وقطع شفتيه وسار عن طغرلبك وجمع جمعا من عسكره والتقيا وكان بين العسكر بن قتال شديد انهزم فيه ينال وعاد منهزما فسار طغرلبك فى أثره فملك قلاعه وبلاده جميعها وتحصن ابراهيم ينال بقلعة سرماج وامتنع على أخيه فحصره طغرلبك فيها وكانت عساكره قد بلغت مائة ألف من أنواع العسكر وقاتله فملكها فى أربعة أيام وهى من أحصن القلاع وأمنعها واستنزل ينال منها مقهورا وأرسل الى نصر الدولة بن مروان يطلب منه اقامة الخطبة له فى بلاده فاطاعه وخطب له فى سائر ديار بكر وراسل ملك الروم طغرلبك وأرسل اليه هدية عظيمة وطلب منه المعاهدة فاجابه الى ذلك وأرسل ملك الروم الى ابن مروان يسأله ان يسعى فى فداء ملك الابخاز المقدم ذكره فارسل نصر الدولة شيخ الاسلام أبا عبد الله بن مروان فى المعنى الى السلطان طغرلبك فاطلقه بغير فداء فعظم ذلك عنده وعند ملك الروم وأرسل عوضه من الهدايا شيأ كثيرا وعمر واسجد القسطنطينية وأقاموا فيه الصلاة والخطبة لطغرلبك ودان حينئذ الناس كلهم له وعظم شأنه وتمكن ملكه وثبت ولما نزل ينال الى طغرلبك أكرمه وأحسن اليه ورد عليه كثيرا مما أخذ منه وخيره بين ان يقطعه بلادا يسير اليها وبين ان يقيم معه فاختار المقام معه

﴿ذكر الحرب بين دبيس بن مزيد وعسكر واسط﴾

فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين نور الدولة دبيس بن مزيد وبين الاتراك الواسطيين وسبب ذلك ان الملك الرحيم أقطع نور الدولة حماية نهر الصلة ونهر الفضل وهما من اقطاع الواسطيين فسار اليها ووليها فسمع عسكر واسط ذلك فسخطوه واجتمعوا وساروا الى نور الدولة ليقاتلوه ويدفعوه عنها وأرسلوا اليه يتهددونه فأعاد الجواب يقول ان الملك اقطعنى هذا فنرسل اليه أنا وأنتم فبأى شئ أمر رضينا به فسبوه وساروا مجدين اليه فارسل الى طريقهم طائفة من عسكره فلقوهم وكمن لهم فلما التقوا استجرهم العرب الى ان جاوزوا الكمين وخرج عليهم الكمين فاوقعوا بهم وقتلوا منهم جماعة كثيرة وأسروا كثيرا وجرح مثلهم وتمت الهزيمة على الواسطيين وغنم نور الدولة أموالهم ودوابهم وساروا الى واسط فنزلوا بالقرب منها وأرسل الواسطيون الى بغداد يستنجدون جندها ويبذلون للبساسيرى ان يدفع عنهم نور الدولة ويأخذ نهر الصلة ونهر الفضل لنفسه

﴿ذكر وفاة مودود بن مسعود وملك عمه عبد الرشيد﴾

فى هذه السنة فى العشرين من رجب توفى أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وعمره تسع وعشرون سنة وملكه تسع سنين وعشرة أشهر وكان موته بغزنة وكان قد كاتب أصحاب الاطراف فى سائر البلاد ودعاهم الى نصرته وامداده بالعساكر وبذل لهم الاموال الكثيرة وتفويض أعمال خراسان ونواحيها اليهم على قدر مراتبهم فاجابوا الى ذلك منهم أبو كاليجار صاحب اصبهان فانه جمع عساكره وسار فى المفازة فهلك كثير من عسكره ومرض وعاد ومنهم خاقان ملك الترك فانه سار الى ترمذ ونهب وخرب وصادر أهل تلك الاعمال وسارت طائفة أخرى من وراء النهر الى خوارزم وسار مودود من غزنة فلم يسر غير مرحلة واحدة حتى

يزوجها منه فزوجها من رجل آخر فقيدناه فكان يعض شفتيه ولسانه حتى خشينا أن يقطعه وما فلما رأينا ذلك خلينا سبيله

خر فى هذه الفيافى يذهب
اليه فى كل يوم بطعامه
فيوضع له بحيث يراه فاذا
عاينه جاء فأكل واذا
خلقت ثيابه جاؤه بثياب
فوضعت بحيث يراها
فسألتهم أن يدلونى عليه
فدلونى على فتى من الحى
وقالوا انه لم يزل صديقا له
وليس يأنس بأحد سواه
فسألته أن يدلنى عليه فقال
ان كنت تريد شعره فكل
شعره عندى الى أمس وأنا
ذاهب اليه غدا فان كان قد
ذكر شيأ أتيتك به قلت أريد
أن تدلنى عليه قال ان رآك
نفر منك وأخاف أن يذهب
منى فيما بعد فيذهب شعره
فأبيت الا أن يدلنى فقال
اطلبه فى هذه الصحراء فاذا
رأيته فادن منه مستأنسا
فانه يتهددك ويتوعدك
أن يرميك بشئ فى يده
فاجلس كأنك لا تنظر اليه
والحظه فاذا رأيته قد سكن
فاجهد أن تروى لقيس بن
الذريح شيأ فانه معجب به
قال فخرجت اليه يومى
فوجدته بعد العصر جالسا
على تل يخط باصبعه خطا
فدنوت منه غير منقبض
فنفر والله كما يفر الوحش
من الانسان والى جانبه
أحجار فتناول منها واحدا
فأقبلت حتى جلست قريبا
منه فمكثت ساعة وهو كأنه
نافر فلما طال جلوسى سكن وأقبل يعبث بأصبعه فنظرت اليه وقلت أحسن والله قيس بن الذريح حيث يقول

عارضه

عارضه قولنج اشتد عليه فعاد الى غزنة مريضا وسير وزيره أبا الفتح عبد الرزاق بن أحمد الميمندى الى سجستان فى جيش كثيف لاخذها من الغز واشتدت العلة بمودود فتوفى وقام فى الملك بعده ولده فبقى خمسة أيام ثم عدل الناس عنه الى عمه على بن مسعود وكان مودود لما ملك قبض على عمه عبد الرشيد بن محمود وسجنه فى قلعة ميدين بطريق بست فلما توفى كان وزيره قد قارب هذه القلعة فنزل عبد الرشيد الى العسكر ودعاهم الى طاعته فاجابوه وعاد وامعه الى غزنة فلما قاربها هرب عنها على بن مسعود وملك عبد الرشيد واستقر الامر له ولقب شمس دين الله سيف الدولة وقيل جمال الدولة ودفع الله شر مودود عن داود وهذه السعادة التى تقتل الاعداء بغير سلاح ولا أجناد

﴿ذكر استيلاء البساسيرى على الانبار﴾

فى هذه السنة أيضا فى ذى القعدة ملك البساسيرى الانبار ودخلها أصحابه وكان سبب ملكها ان قرواشا أساء السيرة فى أهلها ومد يده الى أموالهم فسار جماعة من أهلها الى البساسيرى ببغداد وسألوه ان ينفذ معهم عسكرا يسلمون اليه الانبار فاجابهم الى ذلك وسير معهم جيشا فتسلموا الانبار ولحقهم البساسيرى وأحسن الى أهلها وعدل فيهم ولم يمكن أحدا من أصحابه ان يأخذ الرطل الخبز بغير ثمنه وأقام فيها الى أن أصلح حالها وقرر قواعدها وعاد الى بغداد

﴿ذكر انهزام الملك الرحيم من عسكر فارس﴾

فى هذه السنة عاد الملك الرحيم من الاهواز الى رامهرمز فى ذى القعدة فلما وصل الى وادى الملح لقيه عسكر فارس واقتتلوا قتالا شديدا فغدر بالملك الرحيم بعض عسكره وانهزم هو وجميع العسكر ووصل الى بصنى ومعه اخواه أبو سعد وأبو طالب وسار منها الى واسط وسار عسكر فارس الى الاهواز فملكوها وخيموا بظاهرها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها وصل عسكر من مصر الى حلب وبها صاحبها ثمال بن صالح بن مرداس فخافهم لكثرتهم فانصرف عنها فملكها المصريون وفيها فى ذى القعدة ارتفعت سحابة سوداء مظلمة ليلا فزادت ظلمتها على ظلمة الليل وظهر فى جوانب السماء كالنار المضطرمة وهبت معها ريح شديدة قلعت رواشن دار الخليفة وشاهد الناس من ذلك ما أزعجهم وخوفهم فلزموا الدعاء والتضرع فانكشفت فى باقى الليل وفيها فى شعبان سار البساسيرى من بغداد الى طريق خراسان وقصد ناحية الدزدار وملكها وغنم ما فيها وكان سعدى بن أبى الشوك قد ملكها وقد عمل لها سورا وحصنها وجعلها معقلا يتحصن فيه ويدخر بها كل ما يغنمه فاخذه البساسيرى جميعه وفيها منع أهل الكرخ من النوح وفعل ما جرت عادتهم بفعله يوم عاشوراء فلم يقبلوا وفعلوا ذلك فجرى بينهم وبين السنية فتنة عظيمة قتل فيها وجرح كثير من الناس ولم ينفصل الشر بينهم حتى عبر الاتراك وضربوا خيامهم عندهم فكفوا حينئذ ثم شرع أهل الكرخ فى بناء سور على الكرخ فلما رآهم السنية من القلائين ومن يجرى مجراهم شرعوا فى بناء سور على سوق القلائين وأخرج الطائفتان فى العمارة مالا جليلا وجرت بينهما فتن كثيرة وبطلت الاسواق وزاد الشر حتى انتقل كثير من الجانب الغربى الى الجانب الشرقى فاقاموا به وتقدم الخليفة الى أبى محمد بن النسوى بالعبور واصلاح الحال وكف الشر فسمع أهل الجانب الغربى ذلك فاجتمع السنية والشيعة على

وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وانى لمفن دمع عينى بالبكا * حذار الما قد كان أو هو كائن

وما كنت أخشى أن تكون
منيتى
بكفى الا أن ما حان حائن
قال فبكى والله حتى سالت
دموعه ثم قال أنا والله أشعر
منه حيث أقول
أبى القلب الا حبها عامرية
لها كنية عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدى تندى اذا ما لمستها
وينبت فى أطرافها الورق
الخضر
عجبت لسعى الدهر بينى
وبينها
فلما انقضى ما بيننا سكن
الدهر
فيا حبها زدنى جوى كل ليلة
ويا سلوة الايام موعدك
الحشر
قال ثم نهض فانصرفت ثم
عدت من الغد فأصبته
ففعلت فعلى بالامس وفعل
مثل فعله فلما أنس قلت
أحسن والله قيس بن
الذريح حيث يقول قال
ماذا قلت
هبونى امرأ ان تحسنوا
فهو شاكر
لذاك وان لم تحسنوا فهو
صافح
فان يك قوم قد أشاروا
بهجرنا
فان الذى بينى وبينك صالح
قال فبكى وقال أنا والله
أشعر منه حيث أقول
وأدنيتنى حتى اذا ما سبيتنى
بقول يحل العصم سهل
الاباطح
تجافيت عنى حيث مالى حيلة * وخلفت ما خلفت بين الجوانح
ثم ظهرت لنا ظبية فوثب

المنع منه وأذنوا فى القلائين وغيرها بحى على خير العمل وأذنوا فى الكرخ الصلاة خير من النوم وأظهروا الترحم على الصحابة فبطل عبوره وفيها توفى أبو عبد الله محمد بن على بن عبد الله الصورى الحافظ كان اماما صحب عبد الغنى بن سعيد وتخرج به ومن تلامذته الخطيب أبو بكر وفيها توفى الملك العزيز أبو بكر منصور بن جلال الدولة وقد ذكرنا تنقل الاحوال به فيما تقدم وله شعر حسن وفيها توفى أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن العتيقى نسب الى جد له يسمى عتيقا ومولده سنة سبع وستين وثلثمائة وفيها توفى أبو القاسم عبد الوهاب بن اقضى القضاة أبى الحسن الماوردى وكانت شهادته سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وقبلها القاضى فى بيت النوبة ولم يفعل ذلك مع غيره وانما فعل معه هذا احتراما لابيه

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك طغرلبك اصبهان﴾

كان أبو منصور بن علاء الدولة صاحب اصبهان غير ثابت على طريقة واحدة مع السلطان طغرلبك كان يكثر التلون معه تارة يطيعه وينحاز اليه وتارة ينحرف عنه ويطيع الملك الرحيم فاضمر له طغرلبك سوأ فلما عاد هذه الدفعة من خراسان لاخذ البلاد الجبلية من أخيه ابراهيم ينال واستولى عليها على ما ذكرناه عدل الى اصبهان عازما على أخذها من أبى منصور فسمع ذلك فتحصن ببلده واحتمى باسواره ونازله طغرلبك فى المحرم وأقام على محاصرته نحو سنة وكثرت الحروب بينهما الا ان طغرلبك قد استولى على سواد البلد وأرسل سرية من عسكره نحو فارس فبلغوا الى البيضاء فاغاروا على السواد هناك وعادوا غانمين ولما طال الحصار على اصبهان وأخرب أعمالها ضاق الامر بصاحبها وأهلها وأرسلوا اليه يبذلون له الطاعة والمال فلم يجبهم الى ذلك ولم يقنع منهم الا بتسليم البلد فصبروا حتى نفدت الاقوات وامتنع الصبر وانقطعت المواد واضطر الناس حتى نقضوا الجامع وأخذوا أخشابه لشدة الحاجة الى الحطب بحيث بلغ بهم الحال الى هذا الحد خضعوا له واستكانوا وسلموا البلد اليه فدخله وأخرج أجناده منه وأقطعهم فى بلاد الجبل وأحسن الى الرعية وأقطع صاحبها أبا المنصور ناحيتى يزد وابرقويه وتمكن من اصبهان ودخلها فى المحرم من سنة ثلاث وأربعين واستطابها ونقل ما كان له بالرى من مال وذخائر وسلاح اليها وجعلها دار مقامه وخرب قطعة من سورها وقال انما يحتاج الى الاسوار من تضعف قوته فاما من حصنه عساكره وسيفه فلا حاجة له اليها

﴿ذكر عود عساكر فارس من الاهواز وعود الرحيم اليها﴾

فى هذه السنة فى المحرم عادت عساكر فارس التى مع الامير أبى منصور صاحبها عن الاهواز الى فارس وسبب هذا العود ان الاجناد اختلفوا وشغبوا واستطالوا وعاد بعضهم الى فارس بغير أمر صاحبهم وأقام بعضهم معه وسار بعضهم الى الملك الرحيم وهو بالاهواز يطلبونه ليعود اليهم فعاد فيمن عنده من العساكر وأرسل الى بغداد يأمر العساكر التى فيها بالحضور عنده ليسير بهم الى فارس فلما وصل الى الاهواز لقيه العساكر مقرين بالطاعة وأخبروه بطاعة عساكر فارس وانهم ينتظرون قدومه فدخل الاهواز فى شهر ربيع الآخر فتوقف بالاهواز ينتظر عساكر بغداد ثم سار عنها الى عسكر مكرم فلكها وأقام بها

﴿ذكر استيلاء زعيم الدولة على مملكة أخيه قرواش﴾

فى أثرها فانصرفت ثم عدت فى اليوم الثالث فلم أصادفه فرجعت فأخبرتهم فوجهوا الذى كان يذهب بطعامه فرجع وأخبرهم ان الطعام على حاله ثم غدوت مع اخوته فطلبناه يومنا وليلتنا فلما أصبحنا أصبناه فى واد كثير الحجارة واذا هو ميت فاحتمله اخوته ورجعت الى بلدى (قال) وفى سنة ثمان وأربعين ومائتين كانت وفاة بغا الكبير التركى وقد نيف على التسعين سنة وقد كان باشر من الحروب ما لم يباشره أحد فما أصابته جراحة قط وتقلد ابنه موسى بن بغا ما كان يتقلده وضم اليه أصحابه وجعلت له قيادته وكان بغا دينا بين الاتراك وكان من غلمان المعتصم يشهد الحروب العظام ويباشرها بنفسه فيخرج منها سالما ويقول الاجل جوشن ولم يكن يلبس على بدنه شيأ من الحديد فعذل فى ذلك فقال رأيت فى نومى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من أصحابه فقال لى يا بغا أحسنت الى رجل من أمتى فدعا لك بدعوات استجيبت له فيك قال فقلت يا رسول الله ومن ذلك الرجل قال الذى خلصته من السباع فقلت يا رسول الله سل ربك أن يطيل عمرى فرفع يديه نحو السماء وقال اللهم أطل عمره وأتم أجله فقلت يا رسول الله خمس وتسعون سنة فقال رجل كان بين يديه ويوقى من الآفات فقلت للرجل من أنت قال أنا على بن أبى طالب فاستيقظت فى

فى هذه السنة فى جمادى الاولى استولى زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلد على أخيه قرواش وحجر عليه ومنعه من التصرف على اختياره وسبب ذلك ان قرواشا كان قد أنف من تحكم أخيه فى البلاد وانه قد صار لا حكم له فعمل على الانحدار الى بغداد ومفارقة أخيه وسار عن الموصل فشق ذلك على بركة وعظم عنده ثم أرسل اليه نفرا من أعيان أصحابه يشيرون عليه بالعود واجتماع الكلمة ويحذرونه من الفرقة والاختلاف فلما بلغوه ذلك امتنع عليهم فقالوا أنت ممنوع عن فعلك والرأى لك القبول والعود ما دامت الرغبة اليك فعلم حينئذ انه يمنع قهرا فاجاب الى العود على شرط ان يسكن دار الامارة بالموصل وسار معهم فلما قارب حلة أخيه زعيم الدولة لقيه وأنزله عنده فهرب أصحابه وأهله خوفا فامنهم زعيم الدولة وحضر عنده وخدمه وأظهر له الخدمة وجعل عليه من يمنعه من التصرف على اختياره

﴿ذكر استيلاء الغز على مدينة فسا﴾

وفيها فى جمادى الاولى سار الملك ألب ارسلان بن داود أخى طغرلبك من مدينة مرو بخراسان وقصد بلاد فارس فى المفازة فلم يعلم به أحد ولا أعلم عمه طغرلبك فوصل الى مدينة فسا فانصرف النائب بها من بين يديه ودخلها ألب ارسلان فقتل من الديلم بها ألف رجل وعددا كثيرا من العامة ونهبوا ما قدره ألف ألف دينار وأسروا ثلاثة آلاف انسان وكان الامر عظيما فلما فرغوا من ذلك عادوا الى خراسان ولم يلبثوا خوفا من طغرلبك ان يرسل اليهم ويأخذ ما غنموه منهم

﴿ذكر استيلاء الخوارج على عمان﴾

فى هذه السنة استولى الخوارج المقيمون بجبال عمان على مدينة تلك الولاية وسبب ذلك ان صاحبها الامير أبا المظفر ابن الملك أبى كاليجار كان مقيما بها ومعه خادم له قد استولى على الامور وحكم على البلاد وأساء السيرة فى أهلها فاخذ أموالهم فنفروا منه وأبغضوه وعرف انسان من الخوارج يقال له ابن راشد الحال فجمع من عنده منهم وقصد المدينة فخرج اليه الامير أبو المظفر فى عساكره فالتقوا واقتتلوا فانهزمت الخوارج وعادوا الى موضعهم وأقام ابن راشد مدة يجمع ويحتشد ثم سار ثانيا وقاتله الديلم فاعانه أهل البلد لسوء سيرة الديلم فيهم فانهزم الديلم وملك ابن راشد البلد وقتل الخادم وكثيرا من الديلم وقبض على الامير أبى المظفر وسيره الى جباله مستظهرا عليه وسجن معه كل من خط بقلم من الديلم وأصحاب الاعمال وأخرب دار الامارة وقال هذه أحق دار بالخراب وأظهر العدل وأسقط المكوس واقتصر على ربع عشر ما يرد اليهم وخطب لنفسه وتلقب بالراشد بالله ولبس الصوف وبنى موضعا على شكل مسجد وقد كان هذا الرجل تحرك أيضا أيام أبى القاسم بن مكرم فسير اليه أبو القاسم من منعه وحصره وأزال طمعه

﴿ذكر دخول العرب الى افريقية﴾

فى هذه السنة دخلت العرب الى افريقية وسبب ذلك ان المعز بن باديس كان خطب للقائم بأمر الله الخليفة العباسى وقطع خطبة المستنصر العلوى صاحب مصر سنة أربعين وأربعمائة فلما فعل ذلك كتب اليه المستنصر العلوى يتهدده فاغلظ المعز فى الجواب ثم ان المستنصر استوزر الحسن بن على اليازورى ولم يكن من أهل الوزارة انما كان من أهل النباهة والفلاحة فلم يخاطبه المعز كما كان يخاطب من قبله من الوزراء كان يخاطبهم بعبده فخاطب اليازورى بصنيعته فعظم ذلك عليه وعاتبه فلم يرجع الى ما يحب فاكثر الوقيعة فى المعز وأغرى به المستنصر وشرع وافى

من نومى وأنا أقول على بن أبى طالب وكان بغا كثير التعطف والبر للطالبيين فقيل له من كان ذلك الرجل الذى خلصته من السباع قال كان أتى المعتصم برجل قد رمى ببدعة فجرت بينهم فى الليل مخاطبة فى خلوة فقال لى المعتصم خذه فألقه الى السباع فاتيت بالرجل الى السباع لالقيه اليها وأنا مغتاظ عليه فسمعته يقول اللهم انك تعلم ما تكلمت الا فيك ولم أرد بذلك غيرك وتقربا اليك بطاعتك واقامة الحق على من خالفك أفتسلمنى قال فارتعدت ودخلتنى له رقة وملئ قلبى له رعبا فجذبته عن طرف بركة السباع وقد كدت أن أزج به فيها وأتيت به حجرتى فاخفيته فيها وأتيت المعتصم فقال هيه قلت ألقيته قال فما سمعته يقول قلت انا عجمى وهو يتكلم بكلام عربى ما أدرى ما يقول وقد كان الرجل اغلظ فلما كان فى السحر قلت للرجل قد فتحت الابواب وأنا مخرجك مع رجال الحرس وقد آثرتك على نفسى ووقيتك بروحى فاجهد أن لا تظهر فى أيام المعتصم قال نعم قلت فما خبرك قال هجم رجل من عماله فى بلدنا على ارتكاب المكاره والفجور واماتة الحق ونصر الباطل فسرى ذلك الى فساد الشريعة وهدم التوحيد فلم أجد عليه ناصرا فوثبت عليه فى ليلة فقتلته لان جرمه كان يستحق به فى الشريعة أن يفعل به ذلك (قال المسعودى) ولما انحدر المستعين

ارسال العرب الى الغرب فاصلحوا بني زغبة ورياح وكان بينهم حروب وحقود وأعطوهم مالا وأمروهم بقصد بلاد القيروان وملكوهم كل ما يفتحونه ووعدوهم بالمدد والعدد فدخلت العرب الى افريقية وكتب اليازوري الى المعز أما بعد فقد أرسلنا اليكم خيولا فحولا وحملنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا فلما حلوا أرض برقة وما والاها وجدوا بلادا كثيرة المرعى خالية من الاهل لان زناتة كانوا أهلها فابادهم المعز فاقامت العرب بها واستوطنتها وعاثوا في اطراف البلاد وبلغ ذلك المعز فاحتقرهم وكان المعز لما رأى تقاعد صنهاجة عن قتال زناتة اشترى العبيد وأوسع لهم في العطاء فاجتمع له ثلاثون ألف مملوك وكانت العرب زغبة قد ملكت مدينة طرابلس سنة ست وأربعين فتتابعت رياح والاسبج وبنو عدي الى افريقية وقطعوا السبيل وعاثوا في الارض وأرادوا الوصول الى القيروان فقال مؤنس بن يحيى المرداسي ليس المبادرة عندي برأي فقالوا كيف تحب ان تصنع فاخذ بساطا فبسطه ثم قال لهم من يدخل الى وسط البساط من غير أن يمشي عليه قالوا لا نقدر على ذلك قال فهكذا القيروان خذوا شيأ فشيأ حتى لا يبقى الا القيروان فخذوها حينئذ فقالوا انك لشيخ العرب وأميرها وأنت المقدم علينا ولسنا نقطع أمرا دونك ثم قدم امراء العرب الى المعز فاكرمهم وبذل لهم شيأ كثيرا فلما خرجوا من عنده لم يجازوه بما فعل من الاحسان بل شنوا الغارات وقطعوا الطريق وأفسدوا الزروع وقطعوا الثمار وحاصروا المدن فضاق بالناس الامر وساءت أحوالهم وانقطعت أسفارهم ونزل بافريقية بلاء لم ينزل بها مثله قط فحينئذ احتفل المعز وجمع عساكره فكانوا ثلاثين ألف فارس ومثلها رجالة وسار حتى أتى جندران وهو جبل بينه وبين القيروان ثلاثة أيام وكانت عدة العرب ثلاثة آلاف فارس فلما رأت العرب عساكر صنهاجة والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم عليهم فقال لهم مؤنس بن يحيى ما هذا يوم فرار فقالوا أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكزاغندات والمغافر قال في أعينهم فسمي ذلك اليوم يوم العين والتحم القتال واشتدت الحرب فاتفقت صنهاجة على الهزيمة وترك المعز مع العبيد حتى يرى فعلهم ويقتل أكثرهم فعند ذلك يرجعون على العرب فانهزمت صنهاجة وثبت العبيد مع المعز فكثر القتل فيهم فقتل منهم خلق كثير وأرادت صنهاجة الرجوع على العرب فلم يمكنهم ذلك واستمرت الهزيمة وقتل من صنهاجة أمة عظيمة ودخل المعز القيروان مهزوما على كثرة من معه وأخذت العرب الخيل والخيام وما فيها من مال وغيره وفيه يقول بعض الشعراء

وان ابن باديس لأفضل مالك * ولكن لعمري ماله يه رجال
ثلاثون ألفا منهم غلبتهم * ثلاث آلاف ان ذا لمحال

ولما كان يوم النحر من هذه السنة جمع المعز سبعة وعشرين ألف فارس وسار الى العرب جريدة وسبق خبره وهجم عليهم وهم في صلاة العيد فركبت العرب خيولهم وحملت فانهزمت صنهاجة فقتل منهم عالم كثير ثم جمع المعز وخرج بنفسه في صنهاجة وزناتة في جمع كثير فلما أشرف على بيوت العرب وهو قبلي جبل جندران انتشب القتال واشتعلت نيران الحرب وكانت العرب سبعة آلاف فارس فانهزمت صنهاجة وولى كل رجل منهم الى منزله وانهزمت زناتة وثبت المعز فيمن معه من عبيده ثباتا عظيما لم يسمع بمثله ثم انهزم وعاد الى المنصورية وأحصي من قتل من صنهاجة ذلك اليوم فكانوا ثلاثة آلاف وثلثمائة ثم أقبلت العرب حتى نزلت بمصلى القيروان

ووصيف وبغا الى مدينة السلام اضطربت الاتراك والفراعنة وغيرهم من الموالي بسامرا وأجمعوا على بعث جماعة اليه يسألونه الرجوع الى دار ملكه فصار اليه عدة من وجوه الموالي ومعهم البرد والقضيب وبعض الخزائن ومائتا ألف دينار ويسألونه الرجوع الى دار ملكه واعترفوا بذنوبهم وأقروا بخطئهم وضمنوا أن لا يعودوا ولا غيرهم من نظرائهم الى شئ من ذلك مما أنكره عليهم وتذللوا وخضعوا فاجيبوا بما يكرهون وانصرفوا الى سر من رأى فاعلموا أصحابهم وأخبروهم بما نالهم واياسهم من رجوع الخليفة وقد كان المستعين اعتقل المعتز والمؤيد حين انحدر الى بغداد ولم يأخذهما معه وقد كان حذر من محمد بن الواثق حين انحداره فأخذه معه ثم انه هرب منه مع رجال الحرب فاجمع الموالي على اخراج المعتز والمبايعة له والانقياد الى خلافته ومحاربة المستعين وناصريه ببغداد فانزلوه من الموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق وكان معتقلا فيه مع أخيه المؤيد فبايعوه وذلك يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين وركب من ذلك اليوم الى دار العامة فأخذ البيعة على الناس وخلع على أخيه المؤيد وعقد له عقدين اسود وأبيض فكان الاسود لولاية العهد بعده والابيض لولاية الحرمين وتقلدهما وانبثت ووقعت

ووقعت الحرب فقتل من المنصورية ورفادة خلق كثير فلما رأى ذلك المعز أباحهم دخول القيروان لما يحتاجون اليه من بيع وشراء فلما دخلوا استطالت عليهم العامة ووقعت بينهم حرب كان سببها فتنة بين انسان عربي وآخر عامي وكانت الغلبة للعرب وفي سنة أربع وأربعين بني سور زويلة والقيروان وفي سنة ست وأربعين حاصرت العرب القيروان وملك مؤنس بن يحيى مدينة باجة وأشار المعز على الرعية بالانتقال الى المهدية لعجزه عن حمايتهم من العرب وشرعت العرب في هدم الحصون والقصور وقطعوا الثمار وخربوا الانهار وأقام المعز والناس ينتقلون الى المهدية الى سنة تسع وأربعين فعندها انتقل المعز الى المهدية في شعبان فتلقاه ابنه تميم ومشى بين يديه وكان أبوه قد ولاه المهدية سنة خمس وأربعين فاقام بها الى ان قدم أبوه الآن وفي رمضان من سنة تسع وأربعين نهبت العرب القيروان وفي سنة خمسين خرج بلكين ومعه من العرب لحرب زناتة فقاتلهم فانهزمت زناتة وقتل منها عدد كثير وفي سنة ثلاث وخمسين وقعت الحرب بين العرب وهوارة فانهزمت هوارة وقتل منها الكثير وفي سنة ثلاث وخمسين قتل أهل نقيوس من العرب مائتين وخمسين رجلا وسبب ذلك ان العرب دخلت المدينة متسوقة فقتل رجل من العرب رجلا منقدما من أهل البلد لانه سمعه يثني على المعز ويدعو له فلما قتل ثار أهل البلد بالعرب فقتلوا منهم العدد المذكور وكان ينبغي ان يأتي كل شئ من ذلك في السنة التي حدث فيها وانما أوردناه متتابعا ليكون أحسن بسياقته فانه اذا انقطع وتخللته الحوادث في السنين لم يفهم

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فيها سار المهلهل بن محمد بن عناز أخو أبي الشوك الى السلطان طغرلبك فاحسن اليه وأقره على اقطاعه ومن جملته السيروان ودقوقا وشهرزور والصامغان وشفعه في أخيه سرخاب بن محمد بن عناز وكان محبوسا عند طغرلبك وسار سرخاب الى قلعة الماهكي وهي له وأقطع سعدي بن أبي الشوك الراوندين وفيها قبض المستنصر بمصر على أبي البركات عم أبي القاسم الجرجرائي واستوزر القاضي أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري وباز ورمن أعمال الرملة وفيها توفي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله أبو الحسين ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وفيها في شعبان توفي أبو الحسن علي بن عمر القزويني الزاهد وكان من الصالحين روى الحديث والحكايات والاشعار وروى عن ابن نباتة شيأ من شعره فمن ذلك قال ابن نباتة

واذا عجزت عن العدو فداره * وامزج له ان المزاج وفاق
فالنار بالماء الذي هو ضدها * تعطي النضاج وطبعها الاحراق

وفيها في ذي القعدة توفي أبو القاسم عمر بن ثابت النحوي الضرير المعروف بالثمانيني

❁(ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة)❁

❁(ذكر نهب سرق والحرب الكائنة عندها وملك الرحيم رامهرمز)❁

فيها في المحرم اجتمع جمع كثير من العرب والاكراد وقصدوا سرق من خوزستان ونهبوها ونهبوا دورق ومقدمهم مطارد بن منصور ومذكور بن نزار فارسل اليهم الملك الرحيم جيشا ولقوهم بين سرق ودورق فاقتتلوا فقتل مطارد وأسر ولده وكثر القتل فيهم واستنقذوا ما نهبوه ونجا الباقون على أقبح صورة من الجراح والنهب فلما تم هذا الفتح للملك الرحيم انتقل من عسكر مكرم متقدما الى قنطرة اربق ومعه دبيس بن مزيد والبساسيري وغيرهما ثم ان الامير أبا منصور

الكتب في سامرا بالخلافة المعتز بالله من سائر الامصار وأرخت باسم جعفر بن محمد الكاتب واحدر أخاه أبا احمد مع عدة من الموالي لحرب المستعين الى بغداد فنزل عليها فكان أول حرب جرت بينهم ببغداد بين أصحاب المعتز والمستعين وهرب محمد بن الواثق الى المعتز بالله ولم تزل الحرب بينهم وبين أهل بغداد للنصف من صفر من هذه السنة فلما انشبت الحرب بينهم كانت أمور المعتز تقوى وحالة المستعين تضعف والفتنة عامة فلما رأى محمد بن عبد الله بن طاهر ذلك كاتب المعتز وجنح اليه ومال الى الصلح على خلع المستعين وقد كانت العامة ببغداد حين علمت ما قد عزم عليه من خلع المستعين ثارت منكرة لذلك متحيزة الى المستعين ناصرة له فاظهر محمد بن عبد الله المستعين على أعلى قصره فخاطبته العامة وعليه البردة فانكر ما بلغهم من خلعه وشكر محمد بن عبد الله بن طاهر ثم التقى محمد بن عبد الله بن طاهر وأبو أحمد الموفق بالشماسية فاتفقا على خلع المستعين على أن له الامان ولاهله وولده وما حوته أيديهم من أملاكهم وعلى أنه ينزل مكة هو ومن شاء من أهله وأن يقيم بواسط العراق الى وقت مسيره الى مكة فكتب له المعتز على نفسه شروطا أنه متى نقض شيأ من ذلك فالله ورسوله منه براء والناس في حل من بيعته وعهود ابطول ذكرها

صاحب فارس وهزارسب بن بنكير ومنصور بن الحسين الاسدى ومن معهما من الديلم والاتراك ساروا من أرجان يطلبون تستر فسبقهم الرحيم اليها وحال بينهم وبينها والتقت الطلائع فكان الظفر لعسكر الرحيم ثم ان الارجاف وقع فى عسكر هزارسب بوفاة الامير أبى منصور ابن الملك أبى كاليجار بمدينة شيراز فسقط فى أيديهم وعادوا وقصد كثير منهم الملك الرحيم فصاروا معه فسير قطعة من الجيش الى رامهرمز وبها أصحاب هزارسب وقد أفسدوا فى تلك الاعمال فلما وصل اليها عسكر الرحيم خرج أولئك الى قتالهم فاقتتلوا قتالا شديدا أكثر فيه القتل والجراح ثم انهزم أصحاب هزارسب فدخلوا البلد وحصروا فيه ثم ملك البلد عنوة ونهب وأسر جماعة من العساكر التى فيه وهرب كثير منهم الى هزارسب وهو بايذج وملك الملك الرحيم البلد فى ربيع الاول من هذه السنة

ذكر ملك الملك الرحيم اصطخر وشيراز

فى هذه السنة سير الملك الرحيم أخاه الامير أبا سعد فى جيش الى بلاد فارس وكان سبب ذلك ان المقيم فى قلعة اصطخر وهو أبو نصر بن خسرو كان له اخوان قبض عليهما هزارسب بن بنكير بأمر الامير أبى منصور فكتب الى الملك الرحيم يبذل له الطاعة والمساعدة ويطلب ان يسير اليه أخاه ليملكه بلاد فارس فسير اليه أخاه أبا سعد فى جيش فوصل الى دولتاباذ فأتاه كثير من عساكر فارس الديلم والترك والعرب والاكراد وسار منها الى قلعة اصطخر فنزل اليه صاحبها أبو نصر فلقيه وأصعده الى القلعة وحمل له وللعساكر التى معه الاقامات والخلع وغيرها ثم ساروا منها الى قلعة بهندر فحصروها وأتاه كتب بعض مستحفظى البلاد الفارسية بالطاعة منهم مستحفظ دارابجرد وغيرها ثم سار الى شيراز فملكها فى رمضان فلما سمع أخوه الامير أبو منصور وهزارسب ومنصور بن الحسين الاسدى ذلك ساروا فى عسكرهم الى الملك الرحيم فهزموه على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفارق الاهواز الى واسط ثم عطفوا من الاهواز الى شيراز لاجلاء الامير أبى سعد عنها فلما قاربوها لقيهم أبو سعد وقاتلهم فهزمهم فالتجؤا الى جبل قلعة بهندر وتكررت الحروب بين الطائفتين الى منتصف شوال فتقدمت طائفة من عسكر أبى سعد فاقتتلوا عامة النهار ثم عادوا فلما كان الغد التقى العسكران جميعا واقتتلوا فانهزم عسكر الامير أبى منصور وظفر أبو سعد وقتل منهم خلقا كثيرا واستأمن اليه كثير منهم وصعد أبو منصور الى قلعة بهندر واحتمى بها وأقام الى ان عاد الى ملكه على ما نذكره ان شاء الله تعالى ولما فارق الامير أبو منصور الاهواز أعيدت الخطبة للملك الرحيم وأرسل من بها من الجند يستدعونه اليهم

ذكر انهزام الملك الرحيم بالاهواز

لما انصرف الامير أبو منصور وهزارسب ومن معهم من منزلهم قريب تستر على ما ذكرناه مضوا الى أيذج وأقاموا فيها وخافوا الملك الرحيم واستضعفوا انفسهم عن مقاومته فاتفق رأيهم على ان راسلوا السلطان طغرلبك وبذلوا له الطاعة وطلبوا منه المساعدة فأرسل اليهم عسكرا كثيرا وكان قد ملك أصبهان وفرغ باله منها وعرف الملك الرحيم ذلك وقد فارقه كثير من عسكره منهم البساسيرى ونور الدولة دبيس بن مزيد والعرب والاكراد وبقى فى الديلم الاهوازية وطائفة قليلة من الاتراك البغداديين كانوا وصلوا اليه أخيرا فقرر رأيه على ان عاد من عسكر مكرم الى الاهواز لانها أحصن وينتظر بالمقام فيها وصول العساكر ورأى أن يرسل أخاه الامير أبا سعد الى

فارس

وقد خذل المعتز بعد ذلك لمخالفتها حين عالج فى نقضها انخلاع المستعين نفسه من الخلافة وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين فكان له مذ وافى مدينة السلام الى أن خلع سنة كاملة وكانت خلافته منذ تقلد الامر على ما بيناه آنفا الى أن زال عنه ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما على ما ذكرناه من الخلاف وأحدر الى دار الحسن بن وهب ببغداد وجمع بينه وبين أهله وولده ثم أحدر الى واسط وقد وكل به أحمد ابن طولون التركى وذلك قبل ولايته مصر وعلم عجز محمد بن عبد الله بن طاهر عن قيامه بامر المستعين حين استجار به وخذلانه اياه وميله الى المعتز بالله وفى ذلك يقول بعض شعراء العصر من أهل بغداد

أطافت بنا الاتراك حولا محرما
وما برحت فى حجرها أم عامر
أقامت على ذل بها ومهانة
فلما بدت ابدت لنا لؤم غادر
ولم ترع حق المستعين فاصبحت
تعين عليه حادثات المقادر
لقد جمعت لؤما وخبثا وذلة
وأبقت لها عارا على آل طاهر

ولما كان من الامر ما قدمنا من خلع المستعين انصرف أبو أحمد الموفق من بغداد الى سامرا فخلع عليه المعتز وتوج ووشح بوشاحين وخلع على من كان معه من قواده وقدم على المعتز عبيد الله بن طاهر أخو محمد بن عبد الله بالبرد

فارس حيث طاب الى اصطخر على ما ذكرناه وسير معه جماعة صالحة من العساكر ظنا منه ان أخاه اذا وصل الى فارس وملك قلعة اصطخر انزعج الامير أبو منصور وهزارسب ومن معهما واشتغلوا بتلك النواحى عنه فازداد قلة وضعفا فلم يلتفت أولئك الى الامير أبى سعد بل ساروا مجدين الى الاهواز فوصلوها أواخر ربيع الآخر ووقعت الحرب بين الفريقين يومين متتابعين كثر فيهما القتال واشتد فانهزم الملك الرحيم وسار فى نفر قليل الى واسط ولقى فى طريقه مشقة وسلم واستقر بواسط فيمن لحق به من المنهزمين ونهبت الاهواز وأحرق فيها عدة محال وفقد فى الوقعة الوزير كمال الملك أبو المعالى بن عبد الرحيم وزير الملك الرحيم فلم يعرف له خبر

ذكر الفتنة بين العامة ببغداد واحراق المشهد على ساكنيه السلام

فى هذه السنة فى صفر تجددت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة وعظمت أضعاف ما كانت قديما فكان الاتفاق الذى ذكرناه فى السنة الماضية غير مأمون لانتقاض لما فى الصدور من الاحن وكان سبب هذه الفتنة ان أهل الكرخ شرعوا فى عمل باب السماكين وأهل القلائين فى عمل ما بقى من باب مسعود ففرغ أهل الكرخ وعملوا أبراجا كتبوا عليها بالذهب محمد وعلى خير البشر وأنكر السنة ذلك وادعوا ان المكتوب محمد وعلى خير البشر فمن رضى فقد شكر ومن أبى فقد كفر وأنكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا فأرسل الخليفة القائم بامر الله أبا تمام نقيب العباسيين ونقيب العلويين وهو عدنان بن الرضى لكشف الحال وانهائه فكتبا بتصديق قول الكرخيين فأمر حينئذ الخليفة ونواب الرحيم بكف القتال فلم يقبلوا وانتدب ابن المذهب القاضى والزهيرى وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصمد بحمل العامة على الاغراق فى الفتنة فأمسك نواب الملك الرحيم عن كفهم غيظا من رئيس الرؤساء لميله الى الحنابلة ومنع هؤلاء السنة من حمل الماء من دجلة الى الكرخ وكان نهر عيسى قد انفتح بثقه فعظم الامر عليهم وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه فى الظروف وصبوا عليه ماء الورد ونادوا الماء للسبيل فأغروا بهم السنة وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة فمحوا خير البشر وكتبوا عليهما السلام فقالت السنة لا نرضى الا ان يقلع الآجر الذى عليه محمد وعلى وان لا يؤذن حى على خير العمل وامتنع الشيعة من ذلك ودام القتال الى ثالث ربيع الاول وقتل فيه رجل هاشمى من السنة فحمله أهله على نعش وطافوا به فى الحربية وباب البصرة وسائر محال السنة واستنفروا الناس للاخذ بثاره ثم دفنوه عند أحمد بن حنبل وقد اجتمع معهم خلق كثير أضعاف ما تقدم فلما رجعوا من دفنه قصدوا مشهد باب التبن فأغلق بابه فنقبوا فى سوره وتهددوا البواب فخافهم وفتح الباب فدخلوا ونهبوا ما فى المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضة وستور وغير ذلك ونهبوا ما فى الترب والدور وأدركهم الليل فعادوا فلما كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد وأحرقوا جميع الترب والآزاج واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن على والجوار والقبتان الساج اللتان عليهما واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بنى بويه معز الدولة وجلال الدولة ومن قبور الوزراء والرؤساء وقبر جعفر بن أبى جعفر المنصور وقبر الامين محمد بن الرشيد وقبر أمه زبيدة وجرى من الامر الفظيع ما لم يجر فى الدنيا مثله فلما كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن على لينقلوهما الى مقبرة أحمد بن حنبل فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر فجاء الحفر الى جانبه وسمع أبو تمام نقيب

والقضيب والسيف وبجوهر الخلافة ومعه شاهك الخادم وكتب محمد بن عبد الله الى المعتز فى شاهك ان من أتاك بارث رسول الله صلى الله عليه وسلم لجدير أن لا تخفر ذمته وخلع المستعين وعلى وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ولما كان فى شهر رمضان من هذه السنة وهى سنة اثنتين وخمسين ومائتين بعث المعتز بالله سعيد بن صالح الحاجب ليلقى المستعين وقد كان فى جملة من حمله من واسط فلقيه سعيد وقد قرب من سامرا فقتله واحتز رأسه وحمله الى المعتز بالله وترك جثته ملقاة على الطريق حتى تولى دفنها جماعة من العامة * وكانت وفاة المستعين بالله يوم الاربعاء لست خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وثلاثين سنة على ما قدمنا فى صدر هذا الباب * وذكر شاهك الخادم قال كنت عديلا للمستعين عند اشخاص المعتز له الى سامرا ونحن فى عمارية فلما وصل الى القاطول تلقاه جيش كثير فقال يا شاهك انظر من رئيس القوم فان كان سعيدا الحاجب فقد هلكت فلما عاينته قلت هو والله سعيد فقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسى وجعل يبكى فلما قرب سعيد منه جعل يقنعه بالسوط ثم أضجعه وقعد على صدره واحتز رأسه وحمله على ما ذكرنا واستقامت الامور للمعتز واجتمعت الكلمة عليه

العباسيين وغيرهم من الهاشميين والسنة الخبر فجاؤا ومنعوا عن ذلك وقصد أهل الكرخ الى خان الفقهاء الحنفيين فنهبوه وقتلوا مدرس الحنفية أبا سعد السرخسي وأحرقوا الخان ودور الفقهاء وتعدت الفتنة الى الجانب الشرقي فاقتتل أهل باب الطاق وسوق بج والاساكفة وغيرهم ولما انتهى خبر احراق المشهد الى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه واشتد وبلغ منه كل مبلغ لانه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل وتلك الولاية كلهم شيعة فقطعت في أعماله خطبة الامام القائم بأمر الله فروسل في ذلك وعوتب فاعتذر بان أهل ولايته شيعة واتفقوا على ذلك فلم يمكنه ان يشق عليهم كما ان الخليفة لم يمكنه كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا وأعاد الخطبة الى حالها

﴿ذكر عصيان بني قرة على المستنصر بالله بمصر﴾

في هذه السنة في شعبان عصى بنو قرة بمصر على المستنصر بالله الخليفة العلوي وكان سبب ذلك انه أمر عليهم رجلا منهم يقال له المقرب وقدمه فنفروا من ذلك وكرهوه واستعفوا منه فلم يعزله عنهم فكاشفوا بالخلاف والعصيان وأقاموا بالجيزة مقابل مصر وتظاهروا بالفساد فعبر اليهم المستنصر بالله جيشا يقاتلوهم ويكفونهم فقاتلهم بنو قرة فانهزم الجيش وكثر القتل فيهم فانتقل بنو قرة الى طرف البر فعظم الامر على المستنصر بالله وجمع العرب من طيء وكلب وغيرهما من العساكر وسيرهم في أثر بني قرة فادركوهم بالبحيرة فواقعوهم في ذي القعدة واشتد القتال وكثر القتل في بني قرة وانهزموا وعاد العسكر الى مصر وتركوا في مقابل بني قرة طائفة منهم لترد بني قرة ان أرادوا التعرض الى البلاد وكفى الله شرهم

﴿ذكر وفاة زعيم الدولة وامارة قريش بن بدران﴾

في هذه السنة في شهر رمضان توفي زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلد بتكريت وكان انحدر اليها في حاله قاصدا نحو العراق لينازع النواب به عن الملك الرحيم وينهب البلاد فلما بلغها انتقض عليه جرح كان اصابه من الغز لما ملكوا الموصل فتوفي ودفن بمشهد الخضر بتكريت واجتمعت العرب من أصحابه على تأمير علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران بن المقلد فعاد بالحال والعرب الى الموصل وأرسل الى عمه قرواش وهو تحت الاعتقال يعلمه بوفاة زعيم الدولة وقيامه بالامارة وانه يتصرف على اختياره ويقوم بالامر نيابة عنه فلما وصل قريش الى الموصل جرى بينه وبين عمه قرواش منازعة ضعف فيها قرواش وقوي ابن أخيه ومالت العرب اليه واستقرت الامارة له وعاد عمه الى ما كان عليه من الاعتقال الجميل والاقتصار به على قليل من الحاشية والنساء والنفقة ثم نقله الى قلعة الجراحية من أعمال الموصل فاعتقل بها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

ظهر ببغداد يوم الاربعاء سابع صفر وقت العصر كوكب غلب نوره على نور الشمس له ذؤابة نحو ذراعين وسار سيرا بطيأ ثم انقض والناس يشاهدونه وفيها في رمضان ورد رسل السلطان طغرلبك الى الخليفة جوابا عن رسالة الخليفة اليه وشكر الانعام الخليفة عليه بالخلع والالقاب وأرسل معه طغرلبك الى الخليفة عشرة آلاف دينار عينا وأعلاقا نفيسة من الجواهر والثياب والطيب وغير ذلك وأرسل خمسة آلاف دينار للحاشية وألفي دينار لرئيس الرؤساء وأنزل الخليفة الرسل بباب المراتب وأمر باكرامهم ولما جاء العيد أظهر أجناد بغداد الزينة الرائقة والخيول النفيسة والتجافيف الحسنة وأرادوا الاظهار قوتهم عند الرسل وفيها اعاد الغز أصحاب الملك داود أخي

ولمستعين من أخبار غير ما ذكرناه في هذا الكتاب وأوردناه في هذا الباب قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما ذكرنا ما أوردناه في هذا الكتاب لئلا يتوهم أنا أغفلنا ذكرها أو عزب عنا فهموا فانا بحمد الله لم نترك شيأ من أخبار الناس وسيرهم وما جرى في أيامهم الا وقد ذكرناه وأوردنا في كتبنا أحسنه وفوق كل ذي علم عليم والله الموفق للصواب

﴿ذكر خلافة المعتز بالله﴾

بويع المعتز بالله وهو الزبير بن جعفر المتوكل وأمه أم ولد يقال لها قبيحة ويكنى أبا عبد الله وله يومئذ ثماني عشرة سنة بعد خلع المستعين لنفسه وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم وقيل لثلاث خلون منه سنة اثنتين وخمسين ومائتين على ماقدمنا وبايعه القواد والموالي والشاكرية وأهل بغداد وخطب له في المسجد الجامع ببغداد في الجانبين ثم خلع المعتز نفسه يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ومات بعد أن خلع نفسه بستة أيام فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر ودفن بسامرا الجملة أيامه منذ بويع بسامرا قبل خلع المستعين الى اليوم الذي خلع فيه أربع سنين وستة أشهر وأياما ومنذ بويع له بمدينة السلام ثلاث سنين وسبعة أشهر وتوفي وله أربع وعشرون سنة

طغرلبك عن كرمان وسبب عودهم ان عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة سار عنها الى خراسان فالتقى هو والملك داود واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم داود فاقتضى الحال عود أصحابه عن كرمان وفيها أيضا عاد السلطان طغرلبك عن أصبهان الى الري وفيها توفي أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة بن كاكويه بالاهواز وكان قد استخلفه بها الامير أبو منصور عند عوده عنها الى شيراز فلما توفي خطب للملك الرحيم بالاهواز وفيها توفي أبو عبد الله الحسين بن المرتضى الموسوي وفيها في ربيع الاول توفي أبو الحسن محمد بن محمد البصروي الشاعر وهو منسوب الى قرية تسمى بصرى قريب عكبرا وكان صاحب نادرة قال له رجل شربت البارحة ماء كثيرا فاحتجت الى القيام كل ساعة كأني جدي فقال له لم تصغر نفسك (ومن شعره)

ترى الدنيا وزينتها فتصبو * وما يخلو من الشهوات قلب

فضول العيش أكثرها هموم * وأكثر ما يضرك ما تحب

فلا يغررك زخرف ما تراه * وعيش لين الاعطاف رطب

اذا ما بلغة جاءتك عفوا * فخذها فالغنى مرعى وشرب

اذا اتفق القليل وفيه سلم * فلا ترد الكثير وفيه حرب

﴿ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل عبد الرشيد صاحب غزنة وملك فرخزاد﴾

في هذه السنة قتل عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان سبب ذلك ان حاجبا لمودود ابن أخيه مسعود اسمه طغرل وكان مودود قد قدمه ونوه باسمه وزوجه أخته فلما توفي مودود وملك عبد الرشيد أجرى طغرل على عادته في تقدمه وجعله حاجب حجابه فاشار عليه طغرل بقصد الغز واجلائهم من خراسان فتوقف استبعادا لذلك فالح عليه طغرل فسيره في ألف فارس فسار نحو سجستان وبها أبو الفضل نائبا عن بيغو فاقام طغرل على حصار قلعة طاق وأرسل الى أبي الفضل يدعوه الى طاعة عبد الرشيد فقال له انني نائب عن بيغو وليس من الدين والمروءة خيانته فاقصده فاذا فرغت منه سلمت اليك فقام على حصار طاق أربعين يوما فلم يتهيأ له فتحها وكتب أبو الفضل الى بيغو يعرفه حال طغرل فسار الى سجستان ليمنع عنها طغرل ثم ان طغرل ضجر من مقامه على حصار طاق فسار نحو مدينة سجستان فلما كان على نحو فرسخ منها كمن بحيث لا يراه أحد لعله يجدها فرصة ينتهزها فسمع أصوات دبادب وبوقات فخرج وسأل بعض من على الطريق فاخبره ان بيغو قد وصل فعاد الى أصحابه وأخبرهم وقال لهم ليس لنا الا أن نلقى القوم ونموت تحت السيوف أعزة فانه لا سبيل لنا الى الهرب لكثرتهم وقلتنا فخرجوا من مكمنهم فلما رآهم بيغو سأل أبا الفضل عنهم فاخبره انه طغرل فاستقل من معه وسير طائفة من أصحابه لقتالهم فلما رآهم طغرل لم يعرج عليهم بل أقحم فرسه نهرا هناك فعبره وقصد بيغو ومن معه فقاتلهم وهزمهم طغرل وغنم ما معهم ثم عطف على الفريق الآخر فصنع بهم مثل ذلك وأم بيغو وأبو الفضل نحو هراة وتبعهم طغرل نحو فرسخين وعاد الى المدينة فملكها وكتب الى عبد الرشيد بما كان منه ويطلب الامداد ليسير الى خراسان فامده بعدة كثيرة من الفرسان فوصلوا اليه فاشتد بهم وأقام مديدة ثم حدث نفسه بالعود الى غزنة والاستيلاء عليها فاعلم أصحابه ذلك وأحسن اليهم واستوثق منهم ورحل الى غزنة طاويا المراحل كاتما أمره فلما صار على خمسة فراسخ من

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه﴾

ولما خلع المستعين بالله وأحدر الى واسط بعد أن أشهد على نفسه انه قد برئ من الخلافة وانه لا يصلح لها لما رأى من الخلاف الواقع وانه قد جعل الناس في حل من بيعته قالت في ذلك الشعراء فاكثرت ووصفته في شعرها فاغرقت فقال في ذلك البحتري من قصيدة طويلة

الى واسط خاب الدجاج ولم يكن * لينبت في لحم الدجاج مخالب

وفي ذلك يقول الشاعر المعروف بالكاني من قصيدة

اني أراك من الفراق جزوعا * أمسى الامام مسيرا مخلوعا

وغدا الخليفة أحمد بن محمد * بعد الخلافة والبهاء خليعا

كانت به الايام تضحك زهرة * وهو الربيع لمن أراد ربيعا

فأزاله المقدور من رتب العلا * فثوى بواسط لا يحس رجوعا

وكان بين خلع المستعين وقتله تسعة أشهر ويوم * ومات في خلافة المستعين جماعة من أهل العلم والمحدثين منهم أبو هاشم محمد بن زيد الرفاعي وأيوب بن محمد الوراق وأبو بكر محمد بن العلاء الهمداني بالكوفة وأحمد بن صالح المصري وأبو الوليد السري الدمشقي وعيسى بن حماد زغبة المصري بمصر ويكنى أبا موسى وأبو جعفر بن سوار الكوفي وذلك في سنة ثمان وأربعين ومائتين * وفي خلافة المستعين وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين

كانت وفاة الحسن بن صالح البزار وكان من علية أصحاب الحديث وهشام بن خالد الدمشقي ومحمد بن سليمان

غزنة أرسل الى عبد الرشيد مخادعا له يعلمه ان العسكر خالفوا عليه وطلبوا الزيادة في العطاء وانهم عادوا بقلوب متغيرة مستوحشة فلما وقف على ذلك جمع أصحابه وأهل ثقته وأعلمهم الخبر فحذروه منه وقالوا له ان الامر قد أعجل عن الاستعداد وليس غير الصعود الى القلعة والتحصن بها فصعد الى قلعة غزنة وامتنع بها ووافى طغرل من الغد الى البلد ونزل في دار الامارة وراسل المقيمين بالقلعة في تسليم عبد الرشيد ووعدهم ورغبهم ان فعلوا وتهددهم ان امتنعوا فسلموه اليه فأخذه طغرل فقتله واستولى على البلد وتزوج ابنة مسعود كرها وكان في الاعمال الهندية أمير يسمى خرخيز ومعه عسكر كثير فلما قتل طغرل عبد الرشيد واستولى على الامر كتب اليه ودعاه الى الموافقة والمساعدة على ارتجاع الاعمال من أيدي الغز ووعده على ذلك وبذل البذول الكثيرة فلم يرض فعله وأنكره وامتعض منه وأغلظ له في الجواب وكتب الى ابنة مسعود بن محمود زوجة طغرل ووجوه القواد ينكر ذلك عليهم ويوبخهم على اغضائهم وصبرهم على ما فعله طغرل من قتل ملكهم وابن ملكهم ويحثهم على الاخذ بثاره فلما وقفوا على كتبه عرفوا غلطهم ودخل جماعة منهم على طغرل ووقفوا بين يديه فضربه أحدهم بسيفه وتبعه الباقون فقتلوه وورد خرخيز الحاجب بعد خمسة أيام وأظهر الحزن على عبد الرشيد وذم طغرل ومن تابعه على فعله وجمع وجوه القواد وأعيان أهل البلد وقال لهم قد عرفتم ما جرى مما خولفت به الديانة والامانة وأنا تابع ولا بد للامر من سائس فاذكروا ما عندكم من ذلك فأشاروا بولاية فرخزاد بن مسعود بن محمود وكان محبوسا في بعض القلاع فأحضر وأجلس بدار الامارة وأقام خرخيز بين يديه يدبر الامور وأخذ من أعان على قتل عبد الرشيد فقتله فلما سمع داود أخو طغرلبك صاحب خراسان قتل عبد الرشيد جمع عساكره وسار الى غزنة فخرج اليه خرخيز ومنعه وقاتله فانهزم داود وغنم ما كان معه ولما استقر ملك فرخزاد وثبت قدمه جهز جيشا جرارا الى خراسان فاستقبلهم الامير كلسارغ وهو من أعظم الامراء فقاتلهم وصبر لهم فظفروا به وانهزم أصحابه عنه وأخذ أسيرا وأسر معه كثير من عسكر خراسان ووجوههم وأمرائهم فجمع ألب ارسلان عسكرا كثيرا وسير والده داود في ذلك العسكر الى الجيش الذي أسروا كلسارغ فقاتلهم وهزمهم وأسر جماعة من أعيان العسكر فأطلق فرخزاد الاسرى وخلع على كلسارغ وأطلقه

﴿ذكر وصول الغز الى فارس وانهزامهم عنها﴾

في هذه السنة وصل أصحاب السلطان طغرلبك الى فارس وبلغوا الى شيراز ونزلوا بالبيضاء واجتمع معهم العادل أبو منصور الذي كان وزير الامير أبي منصور الملك أبي كاليجار ودبر أمرهم فقبضوا عليه وأخذوا منه ثلاث قلاع وهي قلعة كبزة وقلعة جويم وقلعة بهندر فأقاموا بها وسار من الغز نحو مائتي رجل الى الامير أبي سعد أخي الملك الرحيم وصاروا معه وراسل أبو سعد الذين بالقلاع المذكورة فاستمالهم فأطاعوه وسلموا القلاع اليه وصاروا في خدمته واجتمع العسكر الشيرازي وعليهم الظهير أبو نصر وأوقعوا بالغز بباب شيراز فانهزم الغز وأسر تاج الدين نصر بن هبة الله بن أحمد وكان من المقدمين عند الغز فلما انهزم الغز سار العسكر الشيرازي الى فسا وكان قد تغلب عليها بعض السفل وقوي أمره لاشتغال العساكر بالغز فأزالوا المتغلب عليها واستعادوها

﴿ذكر الحرب بين قريش وأخيه المقلد﴾

الجهني بالمصيصة والحسن ابن محمد بن طالوت وأبو جعفر الصير في بسامرا ومحمد بن زنبور المكي بمكة وسليمان بن أبي طيبة وموسى بن عبد الرحمن البرقي * وفي خلافة المستعين وذلك في سنة خمسين ومائتين مات ابراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة ومحمود بن خداش وأبو مسلم أحمد بن شعيب الحراني والحرث بن مسكين المصري وأبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرح وغير هؤلاء ممن أعرضنا عن ذكره من شيوخ المحدثين ونقلة الآثار ممن قد أتينا على ذكرهم من أول زمن الصحابة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في سنة ست من كتابنا المترجم بالاوسط وانما نذكر لمعا من وفاة من ذكرنا لئلا نخلي هذا الكتاب من نبذ مما يحتاج الى ذكره على قدر الطالب له وقد كان المستعين في سنة ثمان وأربعين ومائتين أخرج من خزانة الخلافة فص ياقوت أحمر يعرف بالحلى وكانت الملوك تصونه وكان الرشيد اشتراه بأربعين ألف دينار ونقش عليه اسمه أحمد ووضع ذلك الفص في اصبعه فتحدث الناس بذلك وقد ذكر أن ذلك الفص قد تداولته الملوك من الاكاسرة وقد نقش في قديم الزمان وذكر أنه لم ينقشه ملك في

الامات قليلا وكان الملك اذا مات وجلس تاليه في الملك حك النقش فتداولته في اللبس الملوك وهو غير منقوش فيقع

في هذه السنة جرى خلف بين علم الدين قريش بن بدران وبين أخيه المقلد وكان قريش قد نقل عمه قرواشا الى قلعة الجراحية من أعمال الموصل وسجنه بها وارتحل يطلب العراق فجرى بينه وبين أخيه المقلد منازعة أدت الى الاختلاف فسار المقلد الى نور الدولة دبيس بن مزيد ملتجئا اليه فحمل أخاه الغيظ منه على ان نهب حلته وعاد الى الموصل واختلت أحواله واختلفت العرب عليه وأخرج نواب الملك الرحيم ببغداد الى ما كان بيد قريش من العراق بالجانب الشرقي من عكبرا والعلث وغيرهما من قبض غلته وسلم الجانب الغربي من أوانا ونهر بيطر الى أبي الهندي بلال بن غريب ثم ان قريشا استمال العرب وأصلحهم فاذعنوا له بعد وفاة عمه قرواش فانه توفي هذه الايام وانحدر الى العراق ليستعيد ما أخذ منه فوصل الى الصالحية وسير بعض أصحابه الى ناحية الحظيرة وما والاها فنهبوا ما هناك وعادوا فلقوا كامل بن محمد بن المسيب صاحب الحظيرة فأوقع بهم وقاتلوهم فأرسلوا الى قريش يعرفونه الحال فسار اليهم في عدة كثيرة من العرب والاكراد فانهزم كامل وتبعه قريش فلم يلحقه فقصد حلل بلال بن غريب وهي خالية من الرجال فنهبها وقاتله بلال وأبلى بلاء حسنا فجرح ثم انهزم وراسل قريش نواب الملك الرحيم ببذل الطاعة ويطلب تقرير ما كان له عليه فأجابوه الى ذلك على كره لقوته وضعفهم واشتغال الملك الرحيم بخوزستان عنهم فاستقر أمره وقوي شأنه

﴿ذكر وفاة قرواش﴾

في هذه السنة مستهل رجب توفي معتمد الدولة أبو المنيع قرواش بن المقلد العقيلي الذي كان صاحب الموصل محبوسا بقلعة الجراحية من أعمال الموصل على ما ذكرناه قبل وحمل ميتا الى الموصل ودفن بتل توبة من مدينة نينوى شرقي الموصل وكان من رجال العرب وذوي العقل منهم وله شعر حسن فمن ذلك ما ذكره أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي في دمية القصر من شعره

لله در النائبات فانها * صدأ النفوس وصيقل الاحرار
ما كنت الا زبرة فطبعنني * سيفا وأطلق شفرتي وغراري

وذكر له أيضا

من كان يحمد أو يذم مورثا * للمال من آبائه وجدوده
اني امرؤ لله أشكر وحده * شكرا كثيرا جالبا لمزيده
لي أشقر سمح العنان مغاور * يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومهند عضب اذا جردته * خلت البروق تموج في تجريده
ومثقف لدن السنان كأنما * أم المنايا ركبت في عوده
وبذا حويت المال الا أنني * سلطت جودي على تبديده

قيل انه جمع بين أختين في نكاحه فقيل له ان الشريعة تحرم هذا فقال وأي شيء عندنا تجيزه الشريعة وقال مرة ما في رقبتي غير خمسة أو ستة من البادية قتلتهم وأما الحاضرة فلا يعبأ الله بهم

﴿ذكر استيلاء الملك الرحيم على البصرة﴾

في هذه السنة في شعبان سير الملك الرحيم جيشا مع الوزير والبساسيري الى البصرة وبها أخوه أبو علي بن أبي كاليجار فحصروه بها فأخرج عسكره في السفن لقتالهم فاقتتلوا عدة أيام ثم انهزم البصريون في الماء الى البصرة واستولى عسكر الرحيم على دجلة والانهر جميعا وسارت العساكر

النادر من الملوك فينقشه وكان ياقوتا أحمر يضيء بالليل كضياء المصباح اذا وضع في بيت لا مصباح فيه أشرق ويرى فيه بالليل تماثيل تلوح وله خبر طويل ظريف قد ذكرناه في كتابنا أخبار الزمان في ذكر خواتم ملوك الفرس وقد كان هذا الفص ظهر في أيام المقتدر ثم خفي أثره بعد ذلك وقد كان جماعة من الشعراء قالوا في المعتز حين استتم له الامر واستقامت له الخلافة وخلعها المستعين أقوالا كثيرة فمن ذلك قول مروان ابن أبي الجنوب من قصيدة طويلة

ان الامور الى المعتز قد رجعت
والمستعين الى حالاته رجعا
قد كان يعلم أن الملك ليس له
وأنه لك لكن نفسه خدعا

وفي ذلك يقول رجل من أهل سامرا وقد قيل انه البحتري

لله در عصابة تركية
ردوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة أحمد بن محمد
وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وطغوا فأصبح ملكنا متقسما
وامامنا فيه شبيه الضيف

وفي المعتز ورجوع الامر اليه واتفاق الكلمة عليه يقول أبو علي البصير

آب أمر الاسلام خير مآبه * وغدا الملك ثابتا في نصابه
مستقر اقراره مطمئنا * آهلا بعد نأيه واغترابه

على البرمن المنزلة عطارا الى البصرة فلما قاربوها القيهم رسل مضر وربيعة يطلبون الامان فاجابوهم الى ذلك وكذلك بذلوا الامان لسائر أهلها ودخلها الملك الرحيم فسربه أهلها وبذل لهم الاحسان فلما دخل البصرة وردت اليه رسل الديلم بخوزستان يبذلون الطاعة ويذكرون انهم مازالوا عليها فشكرهم على ذلك وأقام بالبصرة ليصلح أمرها واما أخوه أبو على صاحب البصرة فانه مضى الى شط عثمان فتحصن به وحفر الخندق فمضى الملك الرحيم اليه وقاتلهم فملك الموضع ومضى أبو على ووالدته الى عبادان وركبوا البحر الى مهروبان وخرجوا من البحر واكتروا دواب وساروا الى ارجان عازمين على قصد السلطان طغرلبك وأخرج الملك الرحيم كل من بالبصرة من الديلم أجناد أخيه وأقام غيرهم ثم ان الامير أبا على وصل الى السلطان طغرلبك وهو بأصبهان فاكرمه وأحسن اليه وحمل اليه مالا وزوجه امرأة من أهله وأقطعه اقطاعا من أعمال جرباذقان وسلم اليه قلعتين من تلك الاعمال أيضا وسلم الملك الرحيم البصرة الى البساسيرى ومضى الى الاهواز وترددت الرسل بينه وبين منصور بن الحسين وهزارسب حتى اصطلحوا وسار ارجان وتستر للملك الرحيم

(ذكر ورود سعدى العراق)

وفيها فى ذى القعدة ورد سعدى بن أبى الشوك فى جيش من عند السلطان طغرلبك الى نواحى العراق فنزل مايدشت وسار منها جريدة فيمن معه من الغز الى أبى دلف الجوانى فنذر به أبو دلف وانصرف من بين يديه ولحقه سعدى فنهبه وأخذ ماله وأفلت أبو دلف بحشاشة نفسه ونهب أصحاب سعدى البلاد حتى بلغوا النعمانية فاسرفوا فى النهب والغارة وفتكوا فى البلاد وافتضوا الابكار فاخذوا الاموال والاثاث فلم يتركوا شيأ وقصد البندنيجين وبلغ خبره الى خاله خالد بن عمرو وهو نازل على الزبير ومطر ابنى على بن مقن العقيليين فارسل اليه ولده مع أولاد الزبير ومطر يشكون اليه ما عاملهم به عمه مهلهل وقريش بن بدران فلقوه بحلوان وشكوا اليه حالهم فوعدهم المسير اليهم وانقاذهم ممن قصدهم فعادوا من عنده فلقيهم نفر من أصحاب مهلهل فواقعوهم فظفر بهم العقيليون وأسروهم وبلغ الخبر مهلهلا فسار الى حلل الزبير ومطر فى نحو خمسمائة فارس فأوقع بهم على تل عكبرا ونهبهم وانهزم الرجال فلقى خالد ومطر والزبير سعدى بن أبى الشوك على تامرا فاعلموه الحال وحملوه على قتال عمه فتقدم الى طريقه والتقى القوم وكان سعدى فى جمع كثير فظفر بعمه وأسره وانهزم أصحابه فى كل جهة وأسر أيضا مالك بن عمه مهلهل وأعاد الغنائم التى كانت معهم على أصحابها وعاد الى حلوان ووصل الخبر الى بغداد فارتج الناس بها وخافوا وبرز عسكر الملك الرحيم ليقصدوا حلوان لمحاربة سعدى ووصل اليهم أبو الاغر دبيس ابن مزيد الاسدى ولم يصنعوا شيأ

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قبض عيسى بن خميس بن مقن على أخيه أبى غشام صاحب تكريت بها وسجنه فى سرداب بالقلعة واستولى على تكريت وفيها زلزلت خوزستان وارجان وايذج وغيرها من البلاد زلازل كثيرة وكان معظمها بارجان فخرب كثير من بلادها وديارها وانفرج جبل كبير قريب من ارجان وانصدع فظهر فى وسطه درجة مبنية بالآجر والجص قد خفيت فى الجبل فتعجب الناس من ذلك وكان بخراسان أيضا زلزلة عظيمة خربت كثيرا وهلك بسببها كثير وكان أشدها بمدينة

فاحمد الله وحده والتمس بالعفو عمن هفا جزيل ثوابه وكان على وزارة المعتز جعفر بن محمد ثم استوزر جماعة فكانت الكتب تخرج باسم صالح بن وصيف كانه مرسوم بالوزارة وكانت وفاة أبى الحسن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد فى خلافة المعتز بالله وذلك فى يوم الاثنين لاربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن اثنتين وأربعين وقيل أكثر من ذلك وسمع فى جنازته جارية تقول ماذا لقينا فى يوم الاثنين قديما وحديثا وصلى عليه أحمد بن المتوكل على الله فى شارع أبى أحمد فى داره بسامرا ودفن هناك حدثنا أبو الازهر قال حدثنى القاسم ابن عباد قال حدثنى يحيى بن هرثمة قال وجهنى المتوكل الى المدينة لاشخاص على ابن محمد بن على بن موسى ابن جعفر لشئ بلغه عنه فلما صرت اليه ضج أهلها وعجوا ضجيجا وعجيجا ما سمعت مثله فجعلت اسكنهم واحلف لهم انى لم أومر فيه بمكروه وفتشت بيته فلم أجد فيه الا مصحفا ودعاء وما أشبه ذلك فاشخصته وتوليت خدمته وأحسنت عشرته فبينا أنا نائم يوما من الايام والسماء صاحية والشمس طالعة اذ ركب وعليه ممطر وقد عقب ذنب دابته فعجبت من فعله فلم يكن بعد ذلك الا هنيهة حتى جاءت سحابة فارخت عزاليها ونالنا من المطر أمر عظيم جدا فالتفت الى وقال أنا أعلم انك أنكرت ما رأيت

بمدينة بيهق فاتى الخراب عليها وخرب سورها ومساجدها ولم يزل سورها خرابا الى سنة أربع وستين وأربعمائة فأمر نظام الملك ببنائه فبنى ثم خربه ارسلان ارغو بعد موت السلطان ملكشاه وقد ذكرناه ثم عمره مجد الملك البلاسانى وفيها عمل محضر ببغداد يتضمن القدح فى نسب العلويين أصحاب مصر وانهم كاذبون فى ادعائهم النسب الى على عليه السلام وعزوهم فيه الى الديصانية من المجوس والقداحية من اليهود وكتب فيه العلويون والعباسيون والفقهاء والقضاة والشهود وعمل به عدة نسخ وسير فى البلاد وشيع بين الحاضر والباد وفيها شهد الشيخ أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ مصنف الشامل عند قاضى القضاة أبى عبد الله الحسين بن على بن ماكولا وفيها احدثت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد وامتنع الضبط وانتشر العيارون وتسلطوا وجبوا الاسواق وأخذوا ما كان يأخذه أرباب الاعمال وكان مقدمهم الطقطقى والزيبق وأعاد الشيعة الاذان بحى على خير العمل وكتبوا على مساجدهم محمد وعلى خير البشر وجرى القتال بينهم وعظم الشر وفيها زوج نور الدولة دبيس بن مزيد ابنه بهاء الدولة منصورا ابنة أبى البركات بن البساسيرى وفيها فى ربيع الاول توفى القاضى أبو جعفر السمنانى بالموصل وكان اماما فى الفقه على مذهب أبى حنيفة والاصول على مذهب الاشعرى وروى الحديث عن الدارقطنى وغيره وفى هذا الشهر توفى أيضا أبو على الحسن بن على بن المذهب الواعظ وهو راوى مسند أحمد بن حنبل

(ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة)

(ذكر الفتنة بين السنية والشيعة ببغداد)

فى هذه السنة فى المحرم زادت الفتنة بين أهل الكرخ وغيرهم من السنية وكان ابتداؤها أواخر سنة أربع وأربعين فلما كان الآن عظم الشر واطرحت المراقبة للسلطان واختلط بالفريقين طوائف من الاتراك فلما اشتد الامر اجتمع القواد واتفقوا على الركوب الى المحال واقامة السياسة بأهل الشر والفساد وأخذوا من الكرخ انسانا علويا وقتلوه فثار نساؤه ونشرن شعورهن واستغثن فتبعهن العامة من أهل الكرخ وجرى بينهم وبين القواد ومن معهم من العامة قتال شديد وطرح الاتراك النار فى أسواق الكرخ فاحترق كثير منها وألحقها بالارض وانتقل كثير من الكرخ الى غيرها من المحال وندم القواد على ما فعلوه وأنكر الامام القائم بأمر الله ذلك وصلح الحال وعاد الناس الى الكرخ بعد ان استقرت القاعدة بالديوان بكف الاتراك أيديهم عنهم

(ذكر استيلاء الملك الرحيم على ارجان ونواحيها)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى استولى الملك الرحيم على مدينة ارجان وأطاعه من كان بها من الجند وكان المقدم عليهم فولاذ بن خسرو الديلمى وكان قد تغلب على ما جاورها من البلاد انسان متغلب يسمى خشنام فأنفذ اليه فولاذ جيشا فاوقعوا به وأجلوه عن تلك النواحى واستضافوا الى طاعة الرحيم وخاف هزارسب بن بنكير من ذلك لانه كان مباينا للملك الرحيم على ما ذكرناه فأرسل يتضرع ويتقرب ويسأل التقدم الى فولاذ باحسان مجاورته فأجيب الى ذلك

(ذكر مرض السلطان طغرلبك)

فى هذه السنة وصل السلطان طغرلبك الى اصبهان مريضا وقوى الارجاف عليه بالموت ثم عوفى

وتوهمت انى علمت من الامر ما لا تعلمه وليس ذلك كما ظننت ولكن نشأت بالبادية فانا أعرف الرياح التى يكون فى عقبها المطر فلما أصبحت هبت ريح لا تخلف وشممت منها رائحة المطر فتأهبت لذلك فلما قدمت مدينة السلام بدأت باسحق بن ابراهيم الطاهرى وكان على بغداد فقال يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتوكل من تعلم وان حرضته على قتله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك فقلت والله ما وقفت له الا على كل أمر جميل فصرت الى سامرا فبدأت بوصيف التركى وكنت من أصحابه فقال والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون المطالب بها غيرى فعجبت من قولهما وعرفت المتوكل ما وقفت عليه وما سمعته من الثناء عليه فأحسن جائزته وأظهر بره وتكرمته وحدثنى محمد بن الفرج بمدينة جرجان فى المحلة المعروفة بسراى غسان قال حدثنى أبو دعامة قال أتيت على بن محمد بن على ابن موسى عائدا فى علته التى كانت وفاته منها فى هذه السنة فلما هممت بالانصراف قال لى يا أبا دعامة قد وجب حقك أفلا أحدثك بحديث تسر به قال فقلت له ما أحوجنى الى ذلك يا ابن رسول الله قال حدثنى أبى محمد بن على قال حدثنى أبى على بن

ووصل اليه الامير أبو على بن الملك أبى كاليجار الذى كان صاحب البصرة ووصل اليه أيضا هزارسب بن بنكير بن عياض صاحب ايذخ فانه كان قد خاف الملك الرحيم لما استولى على البصرة وارجان فأكرمهما طغرلبك وأحسن ضيافتهما ووعدهما النصرة والمعونة

(ذكر عود سعدى بن أبى الشوك الى طاعة الرحيم)

قد ذكرنا سنة أربع وأربعين وصول سعدى الى العراق وأسره عمه فلما أسره سار ولده بدر بن المهلهل الى السلطان طغرلبك وتحدث معه فى مراسلة سعدى ليطلق أباه فسلم اليه طغرلبك ولدا كان لسعدى عنده رهينة وأرسل معه رسولا يقول فيه ان أردت فدية عن أسيرك فهذا ولدك قد رددته عليك وان أبيت الا المخالفة ومفارقة الجماعة فابلنا على فعلك فلما وصل بدر والرسول الى همذان تخلف بدر وسار الرسول اليه فامتعض من قوله وخالف طغرلبك وسار الى حلوان وأراد أخذها فلم يمكنه وتردد بين روشنقباذ والبردان وكاتب الملك الرحيم وصار فى طاعته فسار اليه ابراهيم بن اسحق وسخت كان وهما من أعيان عسكر طغرلبك فى عسكر مع بدر بن المهلهل فاوقعوا به فانهزم هو وأصحابه وعاد الغز عنهم الى حلوان وسار بدر الى شهرزور فى طائفة من الغز ومضى سعدى الى قلعة روشنقباذ

(ذكر عود الامير أبى منصور الى شيراز)

فى هذه السنة فى شوال عاد الامير أبو منصور فولاستون بن الملك أبى كاليجار الى شيراز مستوليا عليها وفارقها أخوه الامير أبو سعد وكان سبب ذلك أن الامير أبا سعد كان قد تقدم معه فى دولته انسان يعرف بعميد الدين أبى نصر بن الظهير فتحكم معه واطرح الاجناد واستخف بهم وأوحش أبا نصر بن خسرو صاحب قلعة اصطخر الذى كان قد استدعى الامير أبا سعد وملكه فلما فعل ذلك اجتمعوا على مخالفته وتألبوا عليه وأحضر أبو نصر بن خسرو والامير أبا منصور بن أبى كاليجار اليه وسعى فى اجتماع الكلمة عليه فأجابه كثير من الاجناد لكراهتهم لعميد الدين فقبضوا عليه ونادوا بشعار الامير أبى منصور وأظهروا طاعته وأخرجوا الامير أبا سعد عنهم فعاد الى الاهواز فى نفر يسير ودخل الامير أبو منصور الى شيراز مالكا لها مستوليا عليها وخطب فيها لطغرلبك وللملك الرحيم ولنفسه بعدهما

(ذكر ايقاع البساسيرى بالاكراد والاعراب)

وفيها فى شوال وصل الخبر الى بغداد بان جمعا من الاكراد وجمعا من الاعراب قد أفسدوا فى البلاد وقطعوا الطريق ونهبوا القرى طمعا فى السلطنة بسبب الغز فسار اليهم البساسيرى جريدة وتبعهم الى البوازيج فاوقع بطوائف كثيرة منهم وقتل فيهم وغنم أموالهم وانهزم بعضهم فعبروا الزاب عند البوازيج فلم يدركهم وأراد العبور اليهم وهم بالجانب الآخر وكان الماء زائدا فلم يتمكن من عبوره فنجوا

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفى الشريف أبو تمام محمد بن محمد بن على الزينبى نقيب النقباء وقام بعده فى النقابة ابنه أبو على وفيها توفى أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن أحمد البرمكى وكان مكثرا من الحديث سمع ابن مالك القطيعى وغيره واسماعيل البرمكى لانه سكن محلة ببغداد تعرف بالبرامكة وقيل كان من قرية عند البصرة تعرف بالبرمكية

موسى قال حدثنى أبى موسى بن جعفر قال حدثنى أبى جعفر بن محمد قال حدثنى أبى محمد بن على قال حدثنى أبى على بن الحسين قال حدثنى أبى الحسين بن على قال حدثنى أبى على ابن أبى طالب رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب قال قلت وما اكتب قال لى اكتب بسم الله الرحمن الرحيم الايمان ما وقرته القلوب وصدقته الاعمال والاسلام ما جرى به اللسان وحلت به المناكحة قال أبو دعامة فقلت يا ابن رسول الله ما أدرى والله أيهما أحسن الحديث أم الاسناد فقال انها الصحيفة بخط على بن أبى طالب باملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نتوارثها صاغرا عن كابر (قال المسعودى) وقد ذكرنا خبر على بن محمد ابن موسى رضى الله عنه مع زينب الكذابة بحضرة المتوكل ونزوله الى بركة السباع وتذللها له ورجوع زينب عما ادعته من انها ابنة الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام وأن الله تعالى أطال عمرها الى ذلك الوقت فى كتابنا أخبار الزمان وقيل انه مات مسموما عليه السلام (قال المسعودى) وفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين وذلك فى خلافة المعتز مات محمد بن عبد الله بن طاهر للنصف من ذى القعدة بعد قتل وصيف بثلاثة عشر يوما والقمر مكسوف وكان من الجود والكرم وغزارة الادب وكثرة الحفظ وحسن الاشارة

ثم

(ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة)

(ذكر فتنة الاتراك ببغداد)

فى هذه السنة فى المحرم كانت فتنة الاتراك ببغداد وكان سببها انهم تخلف لهم على الوزير الذى للملك الرحيم مبلغ كثير من رسومهم فطالبوه وألحوا عليه فاختفى فى دار الخلافة فحضر الاتراك بالديوان وطالبوه وشكوا ما يلقونه منه من المطال بما لهم فلم يجابوا الى اظهاره فعدلوا عن الشكوى منه الى الشكوى من الديوان وقالوا ان أرباب المعاملات قد سكنوا بالحريم وأخذوا الاموال واذا طالبناهم بها يمتنعون بالمقام بالحريم وانتصب الوزير والخليفة لمنعنا عنهم وقد هلكنا فتردد الخطاب منهم والجواب عنه فقاموا نافرين فلما كان الغد ظهر الخبر انهم على عزم حصر دار الخلافة فانزعج الناس لذلك وأخفوا أموالهم وحضر البساسيرى دار الخلافة وتوصل الى معرفة خبر الوزير فلم يظهر له على خبر فطلب من داره ودور من يتهم به وكبست الدور فلم يظهر له على خبر وركب جماعة من الاتراك الى دار الروم فنهبوها وأحرقوا البيع والقلايات ونهبوا فيها دار أبى الحسن بن عبيد وزير البساسيرى وقام أهل نهر المعلى وباب الازج وغيرهما من المحال فى منافذ الدروب لمنع الاتراك وانخرق الامر ونهب الاتراك كل من ورد الى بغداد فغلت الاسعار وعدمت الاقوات وأرسل اليهم الخليفة ينهاهم فلم ينتهوا فاظهر أنه يريد الانتقال عن بغداد فلم يزجروا هذا جميعه والبساسيرى غير راض بفعلهم وهو مقيم بدار الخليفة وتردد الامر الى ان ظهر الوزير وقام لهم بالباقى من مالهم من ماله وأثمان دوابه وغيرها ولم يزالوا فى خبط وعسف فعاد طمع الاكراد والاعراب أشد منه أولا وعاودوا الغارة والنهب والقتل فخربت البلاد وتفرق أهلها وانحدر أصحاب قريش بن بدران من الموصل طامعين فكبسوا حلال كامل بن محمد ابن المسيب وهى بالبردان فنهبوها وبها دواب وجمال بخاتى للبساسيرى فاخذوا الجميع ووصل الخبر الى بغداد فازداد خوف الناس من العامة والاتراك وعظم انحلال أمر السلطنة بالكلية وهذا من ضرر الخلاف

(ذكر استيلاء طغرلبك على اذربيجان وغزو الروم)

فى هذه السنة سار طغرلبك الى اذربيجان فقصد تبريز وصاحبها الامير أبو منصور وهسوذان ابن محمد الروادى فاطاعه وخطب له وحمل اليه ما أرضاه به وأعطاه ولده رهينة فسار طغرلبك عنه الى الامير أبى الاسوار صاحب جنزة فاطاعه أيضا وخطب له وكذلك سائر تلك النواحى ارسلوا اليه يبذلون الطاعة والخطبة وانقاد العساكر اليه فابقى بلادهم عليهم وأخذ رهائنهم وسار الى ارمينية وقصد ملازكرد وهى للروم فحصرها وضيق على أهلها ونهب ما جاورها من البلاد وأخربها وهى مدينة حصينة فارسل اليه نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر الهدايا الكثيرة والعساكر وقد كان خطب له قبل هذا الوقت وأطاعه وأثر السلطان طغرلبك فى غزو الروم آثارا عظيمة ونال منهم من النهب والقتل والاسر شيأ كثيرا وبلغ فى غزوته هذه الى ارزن الروم وعاد الى اذربيجان لما هجم الشتاء من غير ان يملك ملازكرد وأظهر انه يقيم الى ان ينقضى الشتاء ويعود يتمم غزاته ثم توجه الى الرى فاقام بها الى ان دخلت سنة سبع وأربعين وعاد نحو العراق على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر محاربة بنى خفاجة وهزيمتهم)

وفصاحة اللسان وملوكية المجالسة على ما لم يكن عليه أحد من نظرائه وفيه يقول الحسن بن على بن طاهر من قصيدة له

كسف البدر والامير جميعا ... فانجلى البدر والامير عميد
عاود البدر نوره لتجليه ... ونور الامير ليس يعود
يا كسوفين ليلة الاحد النحس أحلكما هناك السعود ... واحد كان حده مثل حد السيف والنار شب فيها الوقود

(وذكر) أبو العباس المبرد قال ارتاح محمد بن عبد الله ابن طاهر يوما للمنادمة وقد حضره ابن طالوت وكان وزيره وأخص الناس به واحضرهم لخلواته فأقبل عليه وقال لا بد لنا اليوم من ثالث تطيب لنا به المعاشرة وتلذ بنادمته المؤانسة فمن ترى أن يكون وأعفنا أن يكون شرير الاخلاق أو دنس الاعراق أو ظاهر الاملاق قال فأعملت الفكر وقلت أيها الامير خطر ببالى رجل ليس علينا من مجالسته مؤنة وقد برئ من ابرام المجالس وخلا من ثقل المؤانس خفيف الوطأة اذا أحببت سريع الوثبة اذا أردت قال ومن ذلك قلت مانى الموسوس قال أحسنت والله فليتقدم الى أصحاب الثمانية والعشرين الرابع فى طلبه برفعه رفعة فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب الكرخ فصار به الى باب الامير فأخذ وحذف ونظف وأدخل الحمام وألبس ثيابا نظافا وأدخل عليه فقال السلام عليك أيها الامير فقال محمد وعليك السلام

عتيد والمزار بعيد والحجاب صعب والبواب فظ ولو سهل لنا في الاذن لسهلت علينا الزيارة فقال ألطفت في الاستئذان فليلطف لك في الاذن لا يمنع ماني أي وقت ورد من ليل أو نهار ثم اذن له في الجلوس فجلس ودعا بالطعام فأكل ثم غسل يديه وأخذ مجلسه وكان محمد قد تشوق الى السماع من مؤنسة جارية بنت المهدي فأحضرت فكان أول ما غنت به

واست بناس اذ غدوا فتحملوا
دموعي على الاحباب من شدة الوجد
وقولي وقد زالت بليل حمولهم
بواكر نجد لا يكن آخر العهد

فقال ماني أحسنت وبحق الامير الا ما زدت فيه

وقفت أناجي الفكر والدمع حائر
بمقلة موقوف على الضر والجهد
ولم يعدني هذا الامير بعيرة
على ظالم قد لج في الهجر والصد

فاندفعت تغنيه فقال له محمد أعاشق أنت ياماني فاستحي وغمزه ابن طالوت أن لا يبوح له بشئ فيسقط من عينيه فقال مبلغ طرب وشوق كان كامنا فظهر وهل بعد الشيب صبوة ثم اقترح محمد على مؤنسة هذا الصوت

في هذه السنة في رجب قصد بنو خفاجة الجامعين وأعمال نور الدولة دبيس ونهبوا وفتكوا في أهل تلك الاعمال وكان نور الدولة شرقي الفرات وخفاجة غربيها فارسل نور الدولة الى البساسيري يستنجده فسار اليه فلما وصل عبر الفرات من ساعته وقاتل خفاجة واجلاهم عن الجامعين فانهزموا منه ودخلوا البر فلم يتبعهم وعاد عنهم فرجعوا الى الفساد فاستعد لسلوك البر خلفهم أين قصدوا وعطف نحوهم قاصدا حربهم فدخلوا البر أيضا فتبعهم فلحقهم بخفان وهو حصن بالبر فأوقع بهم وقتل منهم ونهب أموالهم وجمالهم وعبيدهم واماءهم وشردهم كل مشرد وحصر خفان ففتحه وخربه وأراد تخريب القائم به وهو بناء من آجر وكلس وصانع عنه صاحبه ربيعة بن مطاع بمال بذله فتركه وعاد الى البلاد وهذا القائم قيل انه كان علما يهتدى به السفن لما كان البحر يجيء الى النجف ودخل بغداد ومعه خمسة وعشرون رجلا من خفاجة عليهم البرانس وقد شدهم بالحبال الى الجمال وقتل منهم جماعة وصلب جماعة وتوجه الى حربى فحصرها وقرر على أهلها تسعة آلاف دينار وأمنهم

﴿ذكر استيلاء قريش بن بدران على الانبار والخطبة لطغرلبك بأعماله﴾

في شعبان من هذه السنة حصر الامير أبو المعالي قريش بن بدران صاحب الموصل مدينة الانبار وفتحها وخطب لطغرلبك فيها وفي سائر أعماله ونهب ما كان فيها للبساسيري وغيره ونهب حلل أصحابه بالخالص وفتحوا بثوقه فامتعض البساسيري من ذلك وجمع جموعا كثيرة وقصد الانبار وحربى فاستعادهما على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر وفاة القائد بن حماد وما كان من أهله بعده﴾

في هذه السنة في رجب توفي القائد بن حماد وأوصى الى ولده محسن وأوصاه بالاحسان الى عمومته فلما مات خالف ما أمره به وأراد عزل جميعهم فلما سمع عمه يوسف بن حماد بذلك عزم عليه خالفه وجمع جمعا عظيما وبنى قلعة في جبل منيع وسماها الطيارة ثم ان محسنا قتل من عمومته أربعة فازداد يوسف نفورا وكان ابن عمه بلكين بن محمد في بلده افريون فكتب اليه محسن يستدعيه فسار اليه فلما قرب منه أمر محسن رجالا من العرب ان يقتلوه فلما خرجوا قال لهم أميرهم خليفة بن مكن ان بلكين لم يزل محسنا الينا فكيف نقتله فاعلموه ما أمرهم به محسن فقال له خليفة لا تخف وان كنت تريد قتل محسن فانا أقتله لك فاستعد بلكين لقتاله وسار اليه فلما علم محسن بذلك وكان قد فارق القلعة عاد هاربا اليها فادركه بلكين فقتله وملك القلعة وولي الامر وكان ملكه القلعة سنة سبع وأربعين وأربعمائة

﴿ذكر ابتداء الوحشة بين البساسيري والخليفة﴾

في شهر رمضان من هذه السنة ابتدأت الوحشة بين الخليفة والبساسيري وسبب ذلك ان أبا الغنائم وأبا سعد ابني المحلبان صاحبي قريش بن بدران وصلا الى بغداد سرا فامتعض البساسيري من ذلك وقال هؤلاء وصاحبهم كبسوا حلل أصحابي ونهبوا وفتحوا البثوق وأسرفوا في اهلاك الناس وأراد أخذهم فلم يمكن منهم فمضى الى حربى وعاد ولم يقصد دار الخلافة على عادته فنسب ذلك الى رئيس الرؤساء واجتازت به سفينة لبعض أقارب رئيس الرؤساء فمنعها وطالب بالضريبة التي عليها وأسقط مشاهرات الخليفة من دار الضرب وكذلك مشاهرات رئيس الرؤساء وحواشي الدار وأراد هدم دور بني المحلبان فمنع منه فقال ما أشكو الا من رئيس

الكبد الصدى من زلال الماء مع حسن تأليف نظمه والانتهاء بالمعنى الى نهاية تمامه فقال محمد أحسنت ياماني ثم أمر مؤنسة بالحاقهما بالبيتين الاولين والغناء بهما ففعلت ثم غنت بهذين البيتين

ياخليلي ساعة لا تريما
وعلى ذي صبابة فأقيما
ما مررنا بدار زينب الا
هتك الدمع سرنا المكتوما

فاستحسنه محمد فقال ماني لولا رهبة التعدي لاضفت الى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع ذي لب فيصدران الا عن استحسان لهما فقال محمد ياماني الرغبة في حسن ما تأتي به حائلة دون كل رهبة فهات ما عندك فقال

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخر
بطرف لغادرته هشيما
واذا ما تبسمت خلت ايما
ض بروق أو لؤلؤا منظوما

فقال أحسنت ياماني فأجز هذا الشعر

لم تطب اللذات الا عن
طابت بها اللذات مأنوسه
غنت بصوت أطلقت عبرة
كانت بحبس الصبر محبوسه

فقال ماني

وكيف صبر النفس عن غادة
أظلمها ان قلت طاووسه

الرؤساء الذي قد خرب البلاد وأطمع الغز وكاتبهم ودام ذلك الى ذي الحجة فسار البساسيري الى الانبار وأحرق ناحيتي دمما والفلوجة وكان أبو الغنائم بن المحلبان بالانبار قد أتاها من بغداد وورد نور الدولة دبيس الى البساسيري معاونا له على حصرها ونصب البساسيري عليها المجانيق وهدم برجا ورماهم بالنفط فاحرق أشياء كان قد أعدها أهل البلد لقتاله ودخلها قهرا فاسر مائة نفس من بني خفاجة وأسر أبا الغنائم بن المحلبان فاخذ وقد ألقى نفسه في الفرات ونهب الانبار وأسر من أهلها خمسمائة رجل وعاد الى بغداد وبين يديه أبو الغنائم على جمل وعليه قميص أحمر وعلى رأسه برنس وفي رجليه قيد وأراد صلبه وصلب من معه من الاسرى فسأله نور الدولة ان يؤخر ذلك حتى يعود وأتى البساسيري الى مقابل التاج فقبل الارض وعاد الى منزله وترك أبا الغنائم لم يصلبه وصلب جماعة من الاسرى فكان هذا أول الوحشة

﴿ذكر وصول الغز الى الدسكرة وغيرها﴾

في شوال من هذه السنة وصل ابراهيم بن اسحق وهو من الامراء الغزية السلجوقية الى الدسكرة وكان مقيما بحلوان فلما وصل اليها قاتله أهلها ثم ضعفوا وعجزوا وهربوا متفرقين ودخل الغز البلد فنهبوه أقبح نهب وضربوا النساء والاولاد حتى استخرجوا بذلك أموالا كثيرة وساروا الى روشنقباذ فافتتحها وهي بيد سعدي وأمواله فيها وفي قلعة البردان وكان سعدي قد فارق طاعة السلطان طغرلبك على ما ذكرناه فلم يفتحها وأجلى أهل تلك البلاد وخربت القرى ونهبت أموال أهلها وسارت طائفة أخرى من الغز الى نواحي الاهواز وأعمالها فنهبوها واجتاحوا أهلها وقوي طمع الغز في البلاد وانخذل الديلم ومن معهم من الاتراك وضعفت نفوسهم ثم سير طغرلبك الامير أبا علي بن الملك أبي كاليجار الذي كان صاحب البصرة في جيش من الغز الى خوزستان ليملكها فوصل سابور خواست وكاتب الديلم الذين بالاهواز يدعوهم الى طاعته ويعدهم الاحسان ان أجابوا والعقوبة ان امتنعوا فمنهم من أطاع ومنهم من خالف فسار الى الاهواز فملكها واستولى عليها ولم يعرض لاحد في مال ولا غيره فلم يوافقه الغز على ذلك ومدوا أيديهم الى النهب والغارة والمصادرة ولقي الناس منهم عنتا وشدة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة كثرت الصراصر ببغداد حتى كان يسمع لها بالليل دوي كدوي الجراد اذا طار وفيها في ذي الحجة توفي أبو حسان المقلد بن بدران أخو قريش بن بدران صاحب الموصل وفيها في شوال توفي قسطنطين ملك الروم زوج تدورة بنت قسطنطين الموسومة بالملك واغتاظت قسطنطين هذا حيث تزوجها وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله الاصبهاني المعروف بابن اللبان الفقيه الشافعي وهو من أصحاب أبي حامد الاسفرايني وروى الحديث عن ابن المقري والمخلص وغيرهما وتوفي فيها أحمد بن عمر بن روح أبو الحسن النهرواني وله شعر جيد فمنه انه سمع رجلا يتغنى وهو يقول

وما طلبوا سوى قتلي * فهان علي ما طلبوا

فاستوقفه وقال له اضف اليه

على قلبي الاحبة بالتمادي في الهوى غلبوا
وبالهجران من عيني طيب النوم قد سلبوا

وجرت ان يعينها بانة * في جنة الفردوس مغروسه وغير عدل ان عدلنا بها *
جوهرة في البحر مغموسه ثم سكت فقال محمد ما عدا في وصفها فقال ماني جلت عن الوصف فافكره * تلحقها بالنعت محسوسه

وماطلبوا سوى قتلى * فهان علىّ ماطلبوا

﴿ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر استيلاء الملك الرحيم على شيراز وقطع خطبة طغرلبك فيها﴾

فى هذه السنة فى المحرم سار قائد كبير من الديلم يسمى فولاذ وهو صاحب قلعة اصطخر الى شيراز فدخلها وأخرج عنها الامير أبا منصور فولاستون ابن الملك أبى كاليجار فقصد فيروزاباذ وأقام بها وقطع فولاذ خطبة السلطان طغرلبك فى شيراز وخطب للملك الرحيم ولاخيه أبى سعد وكاتبهما يظهر لهما الطاعة فعلما انه يخدعهما بذلك فسار اليه أبو سعد وكان بارجان ومعه عساكر كثيرة واجتمع هو وأخوه الامير أبو منصور على قصد شيراز ومحاصرتها على قاعدة استقرت بينهما من طاعة أخيهما الملك الرحيم فتوجها نحوها فيمن معهما من العساكر وحصرا فولاذ فيها وطال الحصار الى ان عدم القوت فيها وبلغ السعر سبعة ارطال حنطة بدينار ومات أهلها جوعا وكان من بقى فيها نحو ألف انسان وتعذر المقام فى البلد على فولاذ فخرج هاربا مع من فى صحبته من الديلم الى نواحى البيضاء وقلعة اصطخر ودخل الامير أبو سعد والامير أبو منصور شيراز وعساكرهما وملكوها وأقاموا بها

﴿ذكر قتل أبى حرب بن مروان صاحب الجزيرة﴾

فى هذه السنة قتل الامير أبو حرب سليمان بن نصر الدولة بن مروان وكان والده قد سلم اليه الجزيرة وتلك النواحى ليقيم بها ويحفظها وكان شجاعا مقداما فاستبد بالامر واستولى عليها فجرى بينه وبين الامير موسك بن المجلى بن زعيم الاكراد البختية وله حصون منيعة شرقى الجزيرة نفرة ثم راسله أبو حرب واستماله وسعى ان يزوجه ابنة الامير أبى طاهر البشنوى صاحب قلعة فنك وغيرها من الحصون وكان أبو طاهر هذا ابن أخت نصر الدولة بن مروان فلم يخالف أبو طاهر صاحب فنك أبا حرب فى الذى أشار به من تزويج الامير موسك فزوجه ابنته ونقلها اليه فاطمأن حينئذ موسك وسار الى سليمان فغدر به وقبض عليه وحبسه ووصل السلطان طغرلبك الى تلك الاعمال لما توجه الى غزو الروم على ماذكرناه فارسل الى نصر الدولة يشفع فى موسك فاظهر أنه توفى فشق ذلك على حميه أبى طاهر البشنوى وأرسل الى نصر الدولة وابنه سليمان فقال لهما حيث أردتما قتله فلم جعلتما ابنتى طريقا الى ذلك وقلدتمونى العار وتنكر لهما وخافه أبو حرب فوضع عليه من سقاه سما فقتله وولى بعده ابنه عبيد الله فاظهر له أبو حرب المودة استصلاحا له وتبرأ اليه من كل مانيل عنه واستقر الامر بينهما على الاجتماع وتجديد الايمان فنزلوا من فنك وخرج اليهم أبو حرب من الجزيرة فى نفر قليل فقتلوه وعرف والده ذلك فاقلقه وأزعجه وأرسل ابنه نصرا الى الجزيرة ليحفظ تلك النواحى ويأخذ بثار أخيه وسير معه جيشا كثيفا وكان الامير قريش بن بدران صاحب الموصل لما سمع قتل أبى حرب انتهز الفرصة وسار الى الجزيرة ليملكها وكاتب البختية والبشنوية واستمالهم فنزلوا اليه واجتمعوا معه على قتال نصر بن مروان فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا كثر فيه القتلى وصبر الفريقان فكانت الغلبة أخيرا لابن مروان وجرح قريش جراحة قوية بزوبين رمى به وعاد عنه وثبت أمر ابن مروان بالجزيرة ودعا وراسل البشنوية والبختية واستمالهم لعله يجد فيهم طمعا فلم يطيعوه

فقال محمد أحسنت فقالت مؤنسة وجب شكرك بامانى فساعدك دهرك وعطف عليك الفلك وقارنك سرورك وفارقك محذورك والله يديم لنا ذلك ببقاء من به اجتمع شملنا فقال لها امانى عند قولها وعطف عليك الفلك مجيبا ليس لى الف فيعطفنى فارقت نفسى الاباطيل أنا موصول بنعمة من حبله بالمجد موصول أنا مغبوط بنعمة من طبعه بالمجد مأمول فأومأ اليه ابن طالوت بالقيام فنهض وهو يقول ملك قل النظير له زانه الغر البهاليل طاهرى فى مواكبه عرفه فى الناس مبذول دم من يشقى بصارمه مع هبوب الريح مطلول ياأبا العباس صن أدبا حده بالدهر مفلول فقال محمد وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سبقت ثم أقبل على ابن طالوت فقال ليست خساسة المرء ولا اتضاع الدهر ولا نبو العين عن الظاهر بذهب جوهرية الادب المركب فى الانسان وما أخطأ صالح بن عبد القدوس حيث يقول لا يعجبنك من يصون ثيابه خوف الغبار وعرضه مبذول فلربما افتقر الفتى فرأيته دنس الثياب وعرضه مغسول قال ابن طالوت فما رأيت احضر ذهنا منه اذ تقول الجارية عطف عليك الفلك وانشاده عند قولها ذلك ليس لى الف فيعطفنى * فارقت نفسى الاباطيل قال فلم يزل محمد مجريا عليه رزقه حتى توفى * وغى الى المعتز ان المؤيد يدبر عليه وأنه قد استمال جماعة من الموالى فحبس المؤيد وأبا أحمد وهما الاب والام وطولب ذكر

﴿ذكر وثوب الاتراك ببغداد بأهل البساسيرى والقبض عليه ونهب دوره وأملاكه وتأكد الوحشة بينه وبين رئيس الرؤساء﴾

فى هذه السنة ثارت فتنة ببغداد بالجانب الشرقى بين العامة وثار جماعة من أهل السنة وأظهروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وحضروا الديوان وطلبوا ان يؤذن لهم فى ذلك وان يتقدم الى أصحاب الديوان بمساعدتهم فأجيبوا الى ذلك وحدث من ذلك شر كثير ثم ان أبا سعد النصرانى صاحب البساسيرى حمل فى سفينة ستمائة جرة خمرا ليصدرها الى البساسيرى بواسط فى ربيع الآخر فخضر ابن سكرة الهاشمى وغيره من الاعيان فى هذا الباب وتبعهم خلق كثير وحاجب باب المراتب من قبل الديوان وقصدوا السفينة وكسروا جرار الخمر وأراقوه وبلغ ذلك البساسيرى فعظم عليه ونسبه الى رئيس الرؤساء وتجددت الوحشة فكتب فتاوى أخذ فيها خطوط الفقهاء الحنفية بان الذى فعل من كسر الجرار واراقة الخمر تعد غير واجب وهى ملك رجل نصرانى لا يجوز وتردد القول فى هذا المعنى فتأكدت الوحشة من الجانبين ووضع رئيس الرؤساء الاتراك البغداديين على ثلب البساسيرى والذم له ونسب كل ما يجرى عليهم من نقص اليه فطعنوا فيه وسلكوا فى هذا المعنى زيادة على ما أراد رئيس الرؤساء وتمادت الايام الى رمضان فحضروا دار الخليفة واستأذنوا فى قصد دور البساسيرى ونهبها فاذن لهم فى ذلك فقصدوها ونهبوها وأحرقوها ونكلوا بنسائه وأهله ونوابه ونهبوا دوابه وجميع ما يملكه ببغداد وأطلق رئيس الرؤساء لسانه فى البساسيرى وذمه ونسبه الى مكاتبة المستنصر صاحب مصر وأفسد الحال مع الخليفة الى حد لا يرجى صلاحه وأرسل الى الملك الرحيم يأمره بابعاد البساسيرى فابعده وكانت هذه الحالة من أعظم الاسباب فى ملك السلطان طغرلبك العراق وقبض الملك الرحيم وسيرد من ذلك ماتراه ان شاء الله تعالى

﴿ذكر وصول طغرلبك الى بغداد والخطبة له بها﴾

قد ذكرنا قبل مسير طغرلبك الى الرى بعد عوده من غزو الروم للنظر فى ذلك الطرف فلما فرغ من الرى عاد الى همذان فى المحرم من هذه السنة وأظهر أنه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر العلوى صاحبها وكاتب أصحابه بالدينور وقرميسين وحلوان وغيرها فأمرهم باعداد الاقوات والعلوفات فعظم الارجاف ببغداد وفت فى أعضاد الناس وشغب الاتراك ببغداد وقصدوا ديوان الخلافة ووصل السلطان طغرلبك الى حلوان وانتشر أصحابه فى طريق خراسان فاجفل الناس الى غربى بغداد وأخرج الاتراك خيامهم الى ظاهر بغداد وسمع الملك الرحيم بقرب طغرلبك من بغداد فاصعد من واسط اليها وفارقه البساسيرى فى الطريق لمراسلة وردت من القائم فى معناه الى الملك الرحيم ان البساسيرى خلع الطاعة وكاتب الاعداء يعنى المصريين وان الخليفة له على الملك عهود وله على الخليفة مثلها فان آثره فقد قطع ما بينهما وان أبعده وأصعد الى بغداد تولى الديوان تدبير أمره فقال الملك الرحيم ومن معه نحن لأوامر الديوان متبعون وعنه منفصلون وكان سبب ذلك ماذكر وسار البساسيرى الى بلد نور الدولة دبيس ابن مزيد لمصاهرة بينهما وأصعد الملك الرحيم الى بغداد وأرسل طغرلبك رسولا الى الخليفة يبالغ فى اظهار الطاعة والعبودية والى الاتراك البغداديين يعدهم الجميل والاحسان فانكر الاتراك

المؤيد بأن يخلع نفسه من ولاية العهد فضرب أربعين عصا الى أن أجاب وأشهد على نفسه بذلك ثم اتصل بالمعتز أن جماعة من الاتراك اجتمع رأيهم على اخراج المؤيد من حبسه فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين أخرج المؤيد ميتا وأحضر القضاة والفقهاء حتى رأوه ولا أثر فيه فيقال انه أدرج فى لحاف مسموم وشد طرفاه حتى مات فيه وضيق حبس أبى أحمد فكان بين ادخوله سر من رأى ومالقى بها من الاكرام وبين حبسه سنة أشهر وثلاثة أيام ثم أشخص الى البصرة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان بعد قتل المؤيد بخمسين يوما ورتب اسمعيل بن قتيحة وهو أخو المعتز لابيه وأمه مكان المؤيد فى ولاية العهد واجتمع قواد الموالى الى المعتز فسألوه الرضا عن وصيف وبغا فاجابهم الى ذلك * وفى هذه السنة مات زرافة صاحب دار المتوكل بمصر * وقد كان يوسف بن اسمعيل العلوى غلب على مكة فمات فى هذه السنة فخلفه بعد وفاته أخوه محمد بن يوسف وكان أسن منه بعشرين سنة فنال الناس فى هذه السنة جهد شديد فبعث المعتز ابن الساج الاشروسنى الى الحجاز فهرب محمد بن يوسف وقتل خلق من أصحابه * وفيها أوقع الحسن بن زيد الحسينى بسليمان بن عبد الله بن طاهر فاخرجه عن طبرستان * وفى هذه السنة قدم الى سامرا عيسى ابن الشيخ الشيبانى من مصر ومعه مال كثير وستة وسبعون رجلا من سائر ولد أبى طالب من ولد على وجعفر وعقيل كانوا خرجوا من الحجاز خوف

ذلك وراسلوا الخليفة فى المعنى وقالوا اننا فعلنا بالبساسيرى ما فعلنا وهو كبيرنا ومقدمنا بتقدم أمير
المؤمنين ووعدنا أمير المؤمنين بابعاد هذا الخصم عنا ونراه قد قرب منا ولم يمنع من المجئ وسألوا
التقدم اليه فى العود فغولطوا فى الجواب وكان رئيس الرؤساء يؤثر مجيئه ويختار انقراض الدولة
الديلمية ثم ان الملك الرحيم وصل الى بغداد منتصف رمضان وأرسل الى الخليفة يظهر له العبودية
وانه قد سلم أمره اليه ليفعل ما تقتضيه العواطف معه فى تقرير القواعد مع السلطان طغرلبك
وكذلك قال من مع الرحيم من الامراء فاجيبوا بان المصلحة أن يدخل الاجناد خيامهم من
ظاهر بغداد وينصبوها بالحريم ويرسلوا رسولا الى طغرلبك يبذلون له الطاعة والخطبة فاجابوا
الى ذلك وفعلوه وارسلوا رسلا اليه فاجابهم الى ما طلبوا ووعدهم الاحسان اليهم وتقدم الخليفة
الى الخطباء بالخطبة لطغرلبك بجوامع بغداد فخطب له يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان من السنة
وأرسل طغرلبك يستأذن الخليفة فى دخول بغداد فأذن له فوصل الى النهروان وخرج الوزير
رئيس الرؤساء الى لقائه فى موكب عظيم من القضاة والنقباء والاشراف والشهود وذوى الخدم
وأعيان الدولة وصحبه أعيان الامراء من عسكر الرحيم فلما علم طغرلبك بهم أرسل الى طريقهم
الامراء ووزيره أبا نصر الكندرى فلما وصل رئيس الرؤساء الى السلطان أبلغه رسالة الخليفة
واستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وامراء الاجناد وسار طغرلبك ودخل بغداد يوم الاثنين لخمس
بقين من الشهر ونزل بباب الشماسية ووصل اليه قريش بن بدران صاحب الموصل وكان
فى طاعته قبل هذا الوقت على ما ذكرناه

﴿ذكر ثوب العامة ببغداد بعسكر السلطان طغرلبك وقبض الملك الرحيم﴾

لما وصل السلطان طغرلبك بغداد دخل عسكره البلد للامتيار وشراء ما يريدونه من أهلها
وأحسنوا معاملتهم فلما كان الغد وهو يوم الثلاثاء جاء بعض العسكر الى باب الازج وأخذ واحدا
من أهله ليطلب منه تبنا وهو لا يفهم ما يريدون فاستغاث عليهم وصاح العامة بهم ورجموهم
وهاجوا عليهم وسمع الناس الصياح فظنوا أن الملك الرحيم وعسكره قد عزموا على قتال طغرلبك
فارتج البلد من اقطاره وأقبلوا من كل حدب ينسلون يقتلون من الغز من وجد فى محال بغداد
الا أهل الكرخ فانهم لم يتعرضوا الى الغز بل جمعوهم وحفظوهم وبلغ السلطان طغرلبك
ما فعله أهل الكرخ من حماية أصحابه فامر باحسان معاملتهم فارسل عميد الملك الوزير الى عدنان
ابن الرضى نقيب العلويين يأمره بالحضور فحضر فشكره عن السلطان وترك عنده خيلا بامر
السلطان تحرسه وتحرس المحلة وأما عامة بغداد فلم يقنعوا بما عملوا حتى خرجوا ومعهم جماعة
من العسكر الى ظاهر بغداد يقصدون العسكر السلطانى فلو تبعهم الملك الرحيم وعسكره لبلغوا
ما أرادوا لكن تخلفوا ودخل أعيان أصحابه الى دار الخلافة وأقاموا بها نفيا للتهمة عن
أنفسهم ظنا منهم ان ذلك ينفعهم وأما عسكر طغرلبك فلما رأوا فعل العامة وظهورهم من البلد
قاتلوهم فقتل بين الفريقين جمع كثير وانهزمت العامة وجرح فيهم وأسر كثير ونهب الغز درب
يحيى ودرب سليم وبه دور رئيس الرؤساء ودور أهله فنهب الجميع ونهبت الرصافة وترب الخلفاء
وأخذ منها من الاموال ما لا يحصى لان أهل تلك الاصقاع نقلوا اليها أموالهم اعتقادا منهم
أنها محترمة ووصل النهب الى اطراف نهر المعلى واشتد البلاء على الناس وعظم الخوف

الفتنة والجهد النازل بالحجاز الى مصر فحملوا منها فأمر المعتز بتكفيلهم والتخلية عنهم لما وقف عليه من أمرهم * وولى عيسى
ابن الشيخ فلسطين * وفى هذه السنة وهى سنة ثلاث وخمسين ومائتين مات صفوان العقيلى صاحب ديار مصر
فى حبس سامرا * وفى
هذه السنة قتل أهل
كرخ سامرا من الفراعنة
والاتراك لوصيف التركى
وتخاص بغا منهم واشتد
أمر شاور الشارى ورتب
صالح بن وصيف فى موضع
وصيف * وفى سنة أربع
وخمسين ومائتين خرج بغا
من سامرا الى ناحية
الموصل فانتهبت الموالى
داره وانفض من كان
معه من الجيش وانحدر
فى زورق فوقع به بعض
المغاربة بجسر سامرا
فقتل ونصب رأسه
بسامرا وهو بغا الصغير
ثم أخذ الرأس الى مدينة
السلام فنصب على
الجسر وكان المعتز فى
حياة بغا لا يلتذ بالنوم
ولا يخلع سلاحه لا فى ليل
ولا فى نهار خوفا من بغا
وقال لا أزال على هذه
الحالة حتى أعلم لبغا رأسى
أو رأسه لى وكان يقول انى
لاخاف أن ينزل على بغا
من السماء أو يخرج على
من الارض وقد كان بغا
عزم على أن ينحدر سرا
فيصل الى سامرا فى الليل
ويصرف الاتراك عن
المعتز ويفيض فيهم
الاموال فكان من أمره
ما وصفنا ولما رأى الاتراك من اقدام المعتز على قتل رؤسائهم واعماله الحيلة فى فنائهم وانه قد اصطنع ونقل
المغاربة والفراعنة دونهم صاروا اليه باجمعهم وذلك لاربع بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وجعلوا يقرعونه بذنوبه

ونقل الناس أموالهم الى باب النوبى وباب العامة وجامع القصر فغطت الجمات لكثرة الزحمة
وأرسل طغرلبك من الغد الى الخليفة يعتب وينسب ما جرى الى الملك الرحيم وأجناده ويقول
ان حضروا برئت ساحتهم وان تأخروا عن الحضور أيقنت ان ما جرى انما كان بوضع منهم
وأرسل للملك الرحيم وأعيان أصحابه أمانا لهم فتقدم اليهم الخليفة بقصده فركبوا اليه وأرسل
الخليفة معهم رسولا يبرئهم مما خامر خاطر السلطان فلما وصلوا الى خيامه نهبهم الغز ونهب وارسل
الخليفة معهم وأخذوا دوابهم وثيابهم ولما دخل الملك الرحيم الى خيمة السلطان أمر بالقبض
عليه وعلى من معه فقبضوا وكان آخر شهر رمضان وحبسوا ثم حمل الرحيم الى قلعة السيروان
وكانت ولاية الملك الرحيم على بغداد ست سنين وعشرة أيام ونهب أيضا قريش بن بدران صاحب
الموصل ومن معه من العرب ونجا مسلوبا فاحتمى بخيمة بدر بن المهلهل فالقوا عليه الزلالى حتى
أخفوه بها عن الغز ثم علم السلطان ذلك فارسل اليه وخلع عليه وأمره بالعود الى أصحابه وحلله
تسكينا له وأرسل الخليفة الى السلطان ينكر ما جرى من قبض الرحيم وأصحابه ونهب بغداد
ويقول انهم انما خرجوا اليك بأمرى وأمانى فان أطلقتهم والا فانا أفارق بغداد فانى انما اخترتك
واستدعيتك اعتقادا منى ان تعظيم الاوامر الشريفة يزداد وحرمة الحريم تعظم وأرى الامر
بالضد فاطلق بعضهم وأخذ جميع اقطاعات عسكر الرحيم وأمرهم بالسعى فى أرزاق يحصلونها
لانفسهم فتوجه كثير منهم الى البساسيرى ولزموه فكثر جمعه ونفق سوقه وأمر طغرلبك بأخذ
أموال الاتراك البغداديين وأرسل الى نور الدولة دبيس يأمره بابعاد البساسيرى عنه ففعل
فسار الى رحبة مالك بالشام على ما نذكره وكاتب المستنصر صاحب مصر بالدخول فى طاعته
وخطب نور الدولة لطغرلبك فى بلاده وانتشر الغز السلجوقية فى سواد بغداد فنهبوا من الجانب
الغربى من تكريت الى النيل ومن الشرقى الى النهروانات وأسافل الاعمال وأسرفوا فى النهب
حتى بلغ ثمن الثور ببغداد خمسة قراريط الى عشرة والحمار بقيراطين الى خمسة وخرب السواد
وأجلى أهله عنه وضمن السلطان طغرلبك البصرة والاهواز من هزارسب ابن بنكير بن عياض
بثلثمائة ألف وستين ألف دينار وأقطعه ارجان وأمره ان يخطب لنفسه بالاهواز دون الاعمال
التى ضمنها وأقطع الامير أبا على بن أبى كاليجار الملك قرميسين وأعمالها وأمر أهل الكرخ
ان يؤذنوا فى مساجدهم سحرا الصلاة خير من النوم وأمر بعمارة دار المملكة فعمرت وزيد
فيها وانتقل اليها فى شوال

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة وقعت الفتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة ببغداد ومقدم الحنابلة أبو على بن
الفراء وابن التميمى وتبعهم من العامة الجم الغفير وأنكروا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
ومنعوا من الترجيع فى الاذان والقنوت فى الفجر ووصلوا الى ديوان الخليفة ولم ينفصل حال
وأتى الحنابلة الى مسجد بباب الشعير فنهوا امامه عن الجهر بالبسملة فاخرج مصحفا وقال أزيلوها
من المصحف حتى لا أتلوها وفيها كان بمكة غلاء شديد وبلغ الخبز عشرة أرطال بدينار مغربى
ثم تعذر وجوده فاشرف الناس والحجاج على الهلاك فارسل الله تعالى عليهم من الجراد ما ملأ
الارض فتعوض الناس به ثم عاد الحاج فسهل الامر على أهل مكة وكان سبب هذا الغلاء عدم
زيادة النيل بمصر عن العادة فلم يحمل منها الطعام الى مكة وفيها ظهر باليمن انسان يعرف بابى

ويوبخونه على أفعاله وطالبوه بالاموال وكان المدبر لذلك صالح بن وصيف مع قواد الاتراك فلج وأنكر أن يكون قبله شئ من المال
فلما حصل المعتز فى أيديهم بعث الى مدينة السلام فى محمد بن الواثق الملقب بالمهتدى وقد كان المعتز نفاه اليها
واعتقله فيها فاتى به فى يوم
وليلة الى سامرا فتلقاه
الاولياء فى الطريق
ودخل الى الجوسق
وأجاب المعتز الى الخلع على
أن يعطوه الامان أن
لا يقتل وأن يؤمنوه على
نفسه وماله وولده وأبى
محمد بن الواثق أن يقعد على
سرير الملك أو يقبل البيعة
حتى يرى المعتز ويسمع
كلامه فأتى بالمعتز وعليه
قميص مدنس وعلى رأسه
منديل فلما رآه محمد بن
الواثق وثب اليه فعانقه
وجلسا جميعا على السرير
فقال له محمد بن الواثق
يا أخى ما هذا الامر قال
المعتز أمر لا أطيقه ولا
أقوم به ولا أصلح له فاراد
المهتدى أن يتوسط أمره
ويصلح الحال بينه وبين
الاتراك فقال المعتز
لا حاجة لى فيها ولا يرضونى
لها قال المهتدى فانا فى
حل من بيعتك قال انت فى
حل وسعة فلما جعله فى
حل من بيعته حول وجهه
عنه فأقيم عن حضرته ورد
الى محبسه فقتل فى محبسه
بعد أن خلع بستة أيام على
ما قدمنا فى صدر هذا الباب
* وقد قالت الشعراء فى خلع
المعتز وقتله فاكثرت ورثته
فأحسنت فمن ذلك قول
بعض اهل ذلك العصر من قصيدة له
عين لا تبخلى بسفح الدموع * واندبى خير فاجع مفجوع
خانه الناصح السفيه ونالته * أكف الردى بحتف سريع
بكر الترك ناقمين عليه * خلعته ايديه من مخلوع
قتلوه ظلما وجورا فالفوه * كريم الاخلاق غير جزوع

كامل على بن محمد الصليحى واستولى على اليمن وكان معلما لجمع الى نفسه جمعا وانتمى الى صاحب مصر وتظاهر بطاعته فكثر جمعه وتبعه واستولى على البلاد وقوى على ابن سادل وابن الكريدى المقيمين بها على طاعة القائم بأمر الله وكان يتظاهر بمذهب الباطنية وفيها خطب محمود الخفاجى للمستنصر العلوى صاحب مصر بشفاثا والعين وصار فى طاعته وفيها فى شوال توفى قاضى القضاة أبو عبد الله الحسين بن على بن ماكولا ومولده سنة ثمان وستين وثلثمائة وبقى فى القضاء سبعا وعشرين سنة وكان شافعيا ورعا نزها أمينا وولى بعده أبو عبد الله محمد بن على بن الدامغانى الحنفى وفيها فى ذى القعدة توفى ذخيرة الدين أبو العباس محمد ابن أمير المؤمنين ومولده فى جمادى الآخرة سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وفيها قبض الملك الرحيم قبل وصول طغرلبك الى بغداد على الوزير أبى عبد الله عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحيم وطرح فى بئر فى دار المملكة وطم عليه وكان وزيرا متحكما فى دولته وفيها فى المحرم توفى القاضى أبو القاسم على بن المحسن بن على التنوخى ومولده بالبصرة سنة خمس وستين وثلثمائة وخلف ولدا صغيرا وهو أبو الحسن محمد ابن على ثم توفى فى شوال سنة أربع وتسعين وأربعمائة وانقرض بيته بموته قال القاضى أبو عبد الله ابن الدامغانى دخلت على أبى القاسم قبل موته بقليل فاخرج الى ولده هذا من جاريته وبكى فقلت تعيش ان شاء الله وتربيه فقال هيهات والله ما يتربى الا يتيما وأنشد

أرى ولد الفتى كلا عليه * لقد سعد الذى أمسى عقيما

فاما ان تربيه عدوا * واما ان تخلفه يتيما

فتربى يتيما كما قال وفى جمادى الاولى توفى أبو محمد الحسن بن رجاء الدهان اللغوى وفى جمادى الآخرة فيها توفى أبو القاسم منصور بن حمزة بن ابراهيم الكرخى من كرخ حدان الفقيه الشافعى وفى رجب توفى أبو نصر أحمد بن محمد الثابتى الفقيه الشافعى وهما من شيوخ أصحاب أبى حامد الاسفرايني وفى شعبان توفى أبو البركات حسين بن على بن عيسى الربعى النحوى وكان ينوب عن الوزراء ببغداد

﴿ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر نكاح الخليفة ابنة داود أخى طغرلبك﴾

فى هذه السنة فى المحرم جلس أمير المؤمنين القائم بأمر الله جلوسا عاما وحضر عميد الملك الكندرى وزير طغرلبك وجماعة من الامراء منهم أبو على بن الملك أبى كاليجار وهزارسب بن بنكير ابن عياض الكردى وابن أبى الشوك وغيرهم من الامراء الاتراك من عسكر طغرلبك وقام عميد الملك وزير طغرلبك وبيده دبوس ثم خطب رئيس الرؤساء وعقد العقد على ارسلان خاتون واسمها خديجة ابنة داود أخى السلطان طغرلبك وقبل الخليفة بنفسه النكاح وحضر العقد نقيب النقباء ابو على بن أبى تمام وعدنان ابن الشريف الرضى نقيب العلويين وأقضى القضاة الماوردى وغيرهم واهديت خاتون الى الخليفة فى هذه السنة أيضا فى شعبان وكانت والدة الخليفة قد سارت ليلا وتسلمتها وأحضرتها الى الدار

﴿ذكر الحرب بين عبيد المعز بن باديس وعبيد ابنه تميم﴾

فى هذه السنة وقعت الحرب بين عبيد المعز المقيمين بالمهدية وعبيد ابنه تميم بسبب منازعة ادت الى المقاتلة فقامت عامة زويلة وسائر من بها من رجال الاسطول مع عبيد تميم فاخرجوا عبيد المعز

وقتل منهم كثير ومضى الباقون منهم يريدون المسير الى القيروان فوضع عليهم تميم العرب فقتلوا منهم جما غفيرا وهذه النوبة هى سبب قتل تميم من قتل من عبيد ابيه لما ملك

﴿ذكر ابتداء الدولة الملثمين﴾

فى هذه السنة كان ابتداء أمر الملثمين وهم عدة قبائل ينسبون الى حمير أشهرها لمتونة ومنها أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وجدالة ولمطة وكان أول مسيرهم من اليمن أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه فسيرهم الى الشام وانتقلوا الى مصر ودخلوا المغرب مع موسى بن نصير وتوجهوا مع طارق الى طنجة فاحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها الى هذه الغاية فلما كان هذه السنة توجه رجل منهم اسمه الجوهر من قبيلة جدالة الى افريقية طالبا للحج وكان محبا للدين وأهله فمر بفقيه بالقيروان وعنده جماعة يتفقهون قيل هو أبو عمران الفاسى فى غالب الظن فاصغى الجوهر اليه وأعجبه حالهم فلما انصرف من الحج قال للفقيه ما عندنا فى الصحراء من هذا شئ غير الشهادتين والصلاة فى بعض الخاصة فابعث معى من يعلمهم شرائع الاسلام فارسل معه رجلا اسمه عبد الله بن يس الكزولى وكان فقيها صالحا فسار معه حتى أتيا قبيلة لمتونة فنزل الجوهر عن جمله وأخذ بزمام جمل عبد الله بن يس تعظيما للشريعة الاسلام فاقبلوا الى الجوهر يهنونه بالسلامة وسألوه عن الفقيه فقال هذا حامل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء يعلمكم ما يلزم فى دين الاسلام فرحبوا بهما وأنزلوهما وقالوا تذكر لنا شريعة الاسلام فعرفهم عقائد الاسلام وفرائضه فقالوا أما ما ذكرت من الصلاة والزكاة فهو قريب وأما قولك من قتل يقتل ومن سرق يقطع ومن زنى يجلد أو يرجم فامر لا نلتزمه اذهب الى غيرنا فرحلا عنهم فنظر اليهما شيخ كبير فقال لا بد وان يكون لهذا الجمل فى هذه الصحراء شان يذكر فى العالم فانتهى الجوهر والفقيه الى جدالة قبيل الجوهر فدعاهم عبد الله بن يس والقبائل الذين يجاورونهم الى حكم الشريعة فمنهم من أطاع ومنهم من أعرض وعصى ثم ان المخالفين لهم تحيزوا وتجمعوا فقال ابن يس للذين أطاعوا قد وجب عليكم ان تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق وأنكروا شرائع الاسلام واستعدوا القتالكم فاقيموا لكم راية وقدموا عليكم أميرا فقال له الجوهر أنت الامير فقال لا انما أنا حامل أمانة الشريعة ولكن أنت الامير فقال الجوهر لو فعلت هذا تسلط قبيلى على الناس ويكون وزر ذلك علىّ فقال له ابن يس الرأى ان تولى ذلك أبا بكر بن عمر رأس لمتونة وكبيرها وهو رجل سيد مشكور الطريقة مطاع فى قومه فهو يستجيب لنا لحب الرياسة وتتبعه قبيلته فنتقوى بهم فاتيا أبا بكر بن عمر وعرضا ذلك عليه فاجاب فعقدوا له البيعة وسماه ابن يس أمير المسلمين وعادوا الى جدالة وجمعوا اليهم من حسن اسلامه وحرضهم عبد الله بن يس على الجهاد فى سبيل الله وسماهم مرابطين وتجمع عليهم من خالفهم فلم يقاتلهم المرابطون بل استعان ابن يس وأبو بكر بن عمر على أولئك الاشرار بالمصلحين من قبائلهم فاستمالوهم وقربوهم حتى حصلوا منهم نحوا من ألفى رجل من أهل البغى والفساد فتركوهم فى مكان وخندقوا عليهم وحفظوهم ثم أخرجوهم قوما بعد قوم فقتلوهم فحينئذ دانت لهم أكثر قبائل الصحراء وهابوهم فقويت شوكة المرابطين هذا وعبد الله بن يس مشتغل بالعلم وقد صار عنده منهم جماعة يتفقهون ولما استبد بالامر هو وأبو بكر بن عمر عن الجوهر الجدالى وبقى لا حكم له تداخله

كان يمشى بحسنه بهجة البد * ر فتلقاه مظهر الخضوع

وترى الشمس تستكين فلا تشـ * ـرق اما رأته وقت الطلوع

لم يهابوا جيشا ولا رهبوا السيـ * ـف فاهف على القتيل الخليع

أصبح الترك مالكى الامر والعا * لم ما بين سامع ومطيع

وترى الله فيهم مالك الام * ر سيجزيهم بقتل ذريع

وقال فيه آخر من قصيدة طويلة

أصبحت مقلتى بدمع سفوحا * حين قالوا أضحى الامام ذبيحا

قتلوه ظلما وجورا وغدرا * حين أهدوا اليه حتفا مريحا

نضر الله ذلك الوجه وجها * وسقى الله ذلك الروح روحا

أيها الترك سوف تلقون للدهـ * ـر سيوفا لا تستبل الجريحا

فاستعدوا للسيف عاقبة الام * ر فقد جئتم فعالا قبيحا

وقال آخر من قصيدة طويلة أيضا

أصبحت مقلتى تسح الدموعا * اذ رأت سيد الانام خليعا

لهف نفسى عليه ما كان أملا * ه واسراه تابعا متبوعا

ألزموه ذنبا على غير جرم * فثوى فيهم قتيلا صريعا

وبنو عمه وعم أبيه * أظهروا ذلة وأبدوا خضوعا

ما بهذا يصح ملك ولا يز * رى عدو ولا نكون جميعا

وكان المعتز أول خليفة أظهر الركوب بحلية الذهب وكان من سلف قبله من خلفاء بنى العباس وكذلك جماعة من بنى أمية يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة والمناطق واتخاذ السيوف والسروج واللجم فلما ركب المعتز بحلية الذهب اتبعه الناس فى فعل ذلك * وكذلك المستعين قبله أحدث لبس الاكمام الواسعة ولم يكن يعهد ذلك فجعل عرضها ثلاثة أشبار ونحو ذلك وصغر القلانس وكانت قبل ذلك طوالا كاقباع القضاة * وفى سنة خمس وخمسين ومائتين ظهر بالكوفة على بن زيد وعيسى بن جعفر العلوى فسرح اليهما المعتز سعيد بن صالح المعروف بالحاجب فى جيش عظيم فانهزم الطالبيان لتفرق أصحابهما عنهما * وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وفاة اسمعيل بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب رضى الله عنه وما ناله أهل المدينة وغيرهم من أهل الحجاز فى أيامه من الجهد والضيق وما كان من أمر أخيه بعد وفاة محمد بن يوسف مع أبى الساج وحربه اياه ولما انكشف من بين يدى أبى الساج سار الى اليمامة والبحرين فغلب عليها وخلفه بها عقبة المعروف ببنى الاخيضر الى اليوم وقد كان ظهر بناحية المدينة بعد ذلك ابن لموسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (قال المسعودى) وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان سائر أخبار من ظهر من آل أبى طالب ومن مات منهم فى الحبس وبالسم وغير ذلك من أنواع القتل منهم عبد الله بن محمد بن على ابن أبى طالب وهو أبو هاشم سقاه عبد الملك بن مروان السم ومحمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حمله سعيد الحاجب من البصرة فحبس حتى مات وكان معه ابنه على فلما مات الاب خلى عنه وذلك فى أيام المستعين وقيل غير ذلك وجعفر بن اسمعيل بن موسى بن جعفر قتله ابن الاغلب

الحسد وشرع فى فساد الامر فعلم بذلك منه وعقد له مجلس وثبت عليه ما نقل عنه فحكم عليه بالقتل لانه نكث البيعة وشق العصا وأراد محاربة أهل الحق فقتل بعد ان صلى ركعتين وأظهر السرور بالقتل طلبا للقاء الله تعالى فاجتمعت القبائل على طاعتهم ومن خالفهم قتلوه فلما كان سنة خمسين وأربعمائة قحطت بلادهم فامر ابن يس ضعفاءهم بالخروج الى السوس وأخذ الزكاة فخرج منهم نحو تسعمائة رجل فقدموا سجلماسة وطلبوا الزكاة فجمعوا لهم شيأ له قدر وعادوا ثم ان الصحراء ضاقت عليهم وأرادوا اظهار كلمة الحق والعبور الى الاندلس ليجاهدوا الكفار فخرجوا الى السوس الأقصى فجمع لهم أهل السوس وقاتلوهم فانهزم المرابطون وقتل عبد الله بن يس الفقيه فعاد أبو بكر بن عمر فجمع جيشا وخرج الى السوس فى ألفى راكب فاجتمع من بلاد السوس وزناتة اثنا عشر ألف فارس فارسل اليهم وقال افتحوا لنا الطريق لنجوز الى الاندلس ونجاهد أعداء الاسلام فابوا من ذلك فصلى أبو بكر ودعا الله تعالى وقال اللهم ان كنا على الحق فانصرنا والا فارحنا من هذه الدنيا ثم قاتلهم وصدق هو وأصحابه القتال فنصرهم الله تعالى وهزم أهل السوس ومن معهم وأكثر القتل فيهم وغنم المرابطون أموالهم واسلابهم وقويت نفسه ونفوس أصحابه وساروا الى سجلماسة فنزلوا عليها وطلبوا من أهلها الزكاة فامتنعوا عليهم وسار اليهم صاحب سجلماسة فقاتلهم فهزموه وقتلوه ودخلوا سجلماسة واستولوا عليها وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة

﴿ذكر ولاية يوسف بن تاشفين﴾

لما ملك أبو بكر بن عمر سجلماسة استعمل عليها يوسف بن تاشفين اللمتونى وهو من بنى عمه الاقربين ورجع الى الصحراء فاحسن يوسف السيرة فى الرعية ولم يأخذ منهم سوى الزكاة فاقام بالصحراء مدة ثم عاد أبو بكر بن عمر الى سجلماسة فاقام بها سنة والخطبة والامر والنهى له واستخلف عليها ابن أخيه أبا بكر بن ابراهيم بن عمر وجهز مع يوسف بن تاشفين جيشا من المرابطين الى السوس ففتح على يديه وكان يوسف رجلا دينا خيرا حازما داهية مجربا وبقوا كذلك الى سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتوفى أبو بكر بن عمر بالصحراء فاجتمعت طوائف المرابطين على يوسف بن تاشفين وملكوه عليهم ولقبوه أمير المسلمين وكانت الدولة فى بلاد الغرب لزناتة الذين ثاروا فى أيام الفتن وهى دولة ردية مذمومة سيئة السيرة لا سياسة ولا ديانة وكان أمير المسلمين وطائفته على نهج السنة واتباع الشريعة فاستغاث به أهل المغرب فسار اليها وافتتحها حصنا حصنا وبلدا بلدا بايسر سعى فاحبه الرعايا وصلحت أحوالهم ثم انه قصد موضع مدينة مراكش وهو قاع صفصف لا عمارة فيه وهو موضع متوسط فى بلاد المغرب كالقيروان فى افريقية ومراكش تحت جبال المصامدة الذين هم أشد أهل المغرب قوة وأمنعهم معقلا فاختط هنالك مدينة مراكش ليقوى على قمع أهل تلك الجبال ان هموا بفتنة واتخذها مقرا فلم يتحرك أحد بفتنة وملك البلاد المتصلة بالمجاز مثل سبتة وطنجة وسلا وغيرها وكثرت عساكره وخرجت جماعة قبيلة لمتونة وغيرهم وضيقوا حينئذ لثامهم وكانوا قبل ان يملكوا يتلثمون فى الصحراء من الحر والبرد كما يفعل العرب والغالب على ألوانهم السمرة فلما ملكوا البلاد ضيقوا اللثام وقيل كان سبب اللثام لهم ان طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ

بأرض المغرب والحسن بن يوسف بن ابراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب قتله العباس بمكة وحمل فى أيام المعتز من الرى على بن موسى بن اسمعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ومات فى حبسه * وحمل سعيد الحاجب من المدينة موسى ابن عبد الله بن موسى بن الحسن بن على بن أبى طالب وكان من النسك والزهد فى نهاية الوصف وكان معه ادريس بن موسى فلما صار سعيد بناحية زبالة من جادة الطريق اجتمع خلق من العرب من بنى فزارة وغيرهم لاخذ موسى من يده فسمه فمات هنالك وخلصت بنو فزارة ابنه ادريس بن موسى * وفى خلافة المعتز فى سنة اثنتين وخمسين ومائتين كان بدو الفتنة بين الملالية والسعدية بالبصرة وما نتج من ذلك من ظهور صاحب الزنج * وللمعتز أخبار حسان غير ما ذكرنا قد أتينا على مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وبالله التوفيق

﴿ذكر خلافة المهتدى بالله﴾

وبويع المهتدى محمد بن هرون الواثق قبل الظهر من يوم الاربعاء لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وأمه أم ولد رومية يقال لها قرب ويكنى بأبى عبد الله وله يومئذ سبع وثلاثون سنة وقيل تسع وثلاثون سنة وانه قتل ولم يستكمل الاربعين سنة فى سنة ست وخمسين ومائتين فكانت ولايته أحد عشر شهرا ودفن بسامرا وقيل انه ان مولده كان فى سنة ثمانى عشرة ومائتين

انه العدو وأمروا النساء ان يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان امامهن واستدار النساء بالبيوت فلما أشرف العدو رأى جمعا عظيما فظنه رجالا فقال هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت والرأى ان نسوق النعم ونمضى فان اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم فبيناهم فى جمع النعم من المراعى اذ قد أقبل رجال الحى فبقى العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو فاكثروا وكان من قتل النساء أكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب فلا يزيلونه ليلا ولا نهارا ومما قيل فى اللثام

قوم لهم درك العلا فى حمير * وان انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

ونذكر باقى اخبار أمير المسلمين فى مواضعها ان شاء الله تعالى

﴿ذكر تبييض أبى الغنائم بن المحلبان﴾

فى هذه السنة بيض علاء الدين أبو الغنائم بن المحلبان بواسط وخطب فيها للعلويين المصريين وكان سبب ذلك ان رئيس الرؤساء سعى له فى النظر على واسط وأعمالها فاجيب الى ذلك فانحدر اليها فصار عنده جماعة من أعيانها وجند جماعة عظيمة وتقوى بالبطائحيين وحفر على الجانب الغربى من واسط خندقا وبنى عليه سورا وأخذ ضريبة من سفن اصعدت للخليفة فسير لحربه عميد العراق أبو نصر فاقتتلوا فانهزم ابن المحلبان وأسر من أصحابه عدد كثير ووصل أبو نصر الى السور فقاتله العامة من على السور ثم تسلم البلد وأمر أهله بطم الخندق وتخريب السور ثم اصعد الى بغداد فلما فارقها عاد اليها ابن فسانجس ونهب قرية عبد الله وقتل كل أعجمى رآه بواسط وأعاد خطبة المصريين وأمر أهل كل محلة بعمارة ما يليهم من السور ومضى منصور بن الحسين الى المدار وأرسل الى بغداد يطلب المدد فكتب اليه عميد العراق ورئيس الرؤساء يأمرانه ان يقصد واسطا هو وابن الهيثم وان يحاصراها فاقبلا اليها فيمن معهما وحصروها فى الماء والبر وكان هذا الحصار سنة تسع وأربعين فاشتد فيها الغلاء حتى بيع التمر والخبز وكروش البقر كل خمسة ارطال بدينار واذا وجد الخبازى باعوه كل عشرين رطلا بدينار ثم ضعفوا وضجروا من الحصار فخرج ابن فسانجس ليقاتل فلم يثبت وقتل جماعة من أصحابه وانهزموا الى سور البلد واستأمن جماعة من الواسطيين الى منصور بن الحسين وفارق ابن فسانجس واسطا ومضى الى قصر ابن أخضر وسار اليه طائفة من العسكرية قاتلوه فادركوه بقرب النيل فأسر هو وأهله وحمل الى بغداد فدخلها فى صفر سنة تسع وأربعين وشهر على جمل وعليه قميص أحمر وعلى رأسه طرطور بودع وصلب

﴿ذكر الوقعة بين البساسيرى وقريش﴾

فى هذه السنة سلخ شوال كانت وقعة بين البساسيرى ومعه نور الدولة دبيس بن مزيد وبين قريش ابن بدران صاحب الموصل ومعه قتلمش وهو ابن عم السلطان طغرلبك وهو جد هؤلاء الملوك أولاد قلج ارسلان ومعه أيضا سهم الدولة أبو الفتح بن عمرو وكانت الحرب عند سنجار فاقتتلوا واشتد القتال بينهم فانهزم قريش وقتلمش وقتل من أصحابهما الكثير ولقى قتلمش من أهل سنجار العنت

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾ واستوزر المهتدى بالله جماعة على قصر مدته فسلموا منه من قتل وغيره منهم عيسى بن فرخانشاه وبنى المهتدى قبة لها أربعة أبواب وسماها قبة المظالم وجلس فيها للعام والخاص للمظالم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحرم الشراب ونهى عن القيان وأظهر العدل وكان يحضر كل جمعة الى المسجد الجامع ويخطب الناس ويؤمهم فثقلت وطأته على العامة والخاصة بحمله اياهم على الطريق الواضحة فاستطالوا خلافته وسئموا أيامه وعملوا الحيلة عليه حتى قتلوه وذلك أن موسى بن بغا الكبير كان عاملا غائبا بالرى مشتغلا بحرب آل أبى طالب كالحسن بن زيد الحسنى وما كان من الديلم ببلاد قزوين ودخولهم اياها عنوة وقتلهم أهلها فانتهى الى موسى بن بغا قتل المعتز وما كان من أمر صالح بن وصيف والاتراك فى ذلك فقفل من تلك الديار متوجها الى سامرا منكرا لما جرى على المعتز وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار المعتز قتل المعتز مجملا ولم نبين كيفية قتله وتنازع الناس فى ذلك مفصلا ورأيت أصحاب السير والتواريخ وذوى العناية بأخبار الدول قد تباينوا فى مقتله فمنهم من ذكر أن المعتز مات فى حبسه فى خلافة المهتدى بالله على ما قدمنا من التاريخ حتف أنفه ومنهم من ذكر أنه منع فى حبسه من الطعام والشراب فمات عند قطع مواد الغذاء عنه من المأكل والمشرب ومنهم من رأى أنه حقن بالماء الحار المغلى

وبالغوا فى أذاه وأذى أصحابه وجرح قريش بن بدران وأتى الى نور الدولة جريحا فأعطاه خلعة كانت قد نفذت من مصر فلبسها وصار فى جملتهم وساروا الى الموصل وخطبوا للخليفة بمصر بها وهو المستنصر بالله وكانوا قد كاتبوا الخليفة المصرى بطاعتهم فأرسل اليهم الخلع من مصر للبساسيرى ولنور الدولة دبيس بن مزيد ولجابر بن ناشب والمقبل بن بدران أخى قريش ولأبى الفتح بن ورام ونصير بن عمر وأبى الحسن بن عبد الرحيم ومحمد بن حماد وانضاف اليهم قريش بن بدران

﴿ ذكر مسير السلطان طغرلبك الى الموصل ﴾

لما طال مقام السلطان طغرلبك ببغداد وعم الخلق ضرر عسكره وضاقت عليهم مساكنهم فان العساكر نزلوا فيها وغلبوهم على أقواتهم وارتكبوا منهم كل محظور أمر الخليفة القائم بأمر الله وزيره رئيس الرؤساء ان يكتب الى عميد الملك الكندرى وزير السلطان طغرلبك يستحضره فاذا حضر قال له عن الخليفة ليعرف السلطان ما الناس فيه من الجور والظلم ويعظه ويذكره فان أزال ذلك وفعل ما أمر الله به والا فيساعد الخليفة على الانتزاح عن بغداد ليبعد عن المنكرات فكتب رئيس الرؤساء الى الكندرى يستدعيه فحضر فأبلغه ما أمر به الخليفة وخرج توقيع من الخليفة الى السلطان فيه مواعظ فمضى الى السلطان وعرفه الحال فاعتذر بكثرة العساكر وعجزه عن تهذيبهم وضبطهم وأمر عميد الملك ان يبكر بالجواب الى رئيس الرؤساء ويعتذر بما ذكره فلما كان تلك الليلة رأى السلطان فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم عند الكعبة وكأنه يسلم على النبى وهو معرض عنه لم يلتفت اليه وقال له يحكمك الله فى بلاده وعباده فلا تراقبه فيهم ولا تستحى من جلاله عز وجل فى سوء معاملتهم وتغتر بامهاله عند الجور عليهم فاستيقظ فزعا وأحضر عميد الملك وحدثه بما رأى وأرسله الى الخليفة يعرفه انه يقابل ما رسم به بالسمع والطاعة وأخرج الجند من دور العامة وأمر ان يظهر من كان مختفيا وأزال التوكيل عمن كان وكل به فبينما هو على ذلك وقد عزم على الرحيل عن بغداد للتخفيف عن أهلها وهو يتردد فيه اذ أتاه الخبر بهذه الوقعة المتقدمة فتجهز وسار عن بغداد عاشر ذى القعدة ومعه خزائن السلاح والمنجنيقات وكان مقامه ببغداد ثلاثة عشر شهرا وأياما لم يلق الخليفة فيها فلما بلغوا أوانا نهبها العسكر ونهبوا عكبرا وغيرهما ووصل الى تكريت فحصرها وبها صاحبها نصر بن على بن خميس فنصب على القلعة علما أسود وبذل مالا فقبله السلطان ورحل عنه الى البوازيج ينتظر جمع العساكر ليسير الى الموصل فلما رحل عن تكريت توفى صاحبها وكانت أمه أميرة بنت غريب بن مقن فخافت ان يملك البلدة أخوه أبو الغشام فقتلته وسارت الى الموصل فنزلت على دبيس بن مزيد فتزوجها قريش بن بدران ولما رحلت عن تكريت استخلفت بها أبا الغنائم بن المحلبان فراسل رئيس الرؤساء واستعطفه فصلح ما بينهما وسلم تكريت الى السلطان ورحل الى بغداد وأقام السلطان بالبوازيج الى ان دخلت سنة تسع وأربعين فأتاه أخوه ياقوتى فى العساكر فسار بهم الى الموصل وأقطع مدينة بلد لهزارسب بن بنكير فاجفل أهل البلاد الى بلد فأراد العسكر نهبهم فمنعهم السلطان وقال لا يجوز ان تعرضوا الى بلد هزارسب فلجؤا وقالوا نريد الاقامة فقال السلطان لهزارسب ان هؤلاء قد احتجوا بالاقامة فأخرج أهل البلد الى معسكرك لتحفظ نفوسهم ففعل ذلك وأخرجهم اليه فصار البلد بعد ساعة نفرا وفرق فيهم هزارسب مالا وأركب من يعجز عن المشى

فمن أجل ذلك حين أخرج الى الناس وجدوا جوفه وارما والاشهر فى الاخبار بين ممن عنى بأخبار العباسيين أنه أدخل حماما وأكره فى دخوله اياه وكان الحمام محميا ومنع الخروج منه ثم تنازع هؤلاء فمنهم من قال انه ترك فى الحمام حتى فاضت نفسه ومنهم من ذكر أنه أخرج بعد أن كادت نفسه تتلف للحمى ثم أسقى شربة ماء مقراة بثلج فنثرت الكبد وغيره فخمد من فوره وذلك ليومين خلوا من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وقد أتينا على مبسوط هذه الاخبار فى كتابنا أخبار الزمان ولما اتصل بالمهتدى مسير موسى بن بغا الى دار الخلافة أنكر ذلك وكاتبه بالمقام فى موضعه وأن لا يحل عن مركزه لحاجة اليه فأبى موسى بن بغا الا اغذاذ المسير والسرعة فيه حتى وافى سامرا وذلك فى سنة ست وخمسين ومائتين وصالح بن وصيف يدبر الامر مع المهتدى فلما دنا موسى من سامرا صاحت العامة فى مواضعها والغوغاء فى طرقاتها يا فرعون قد جاءك موسى وكان صالح ابن وصيف قد نفر عن المهتدى حين علم بموافاة موسى وقال ان المهتدى راسل موسى فى السر فى المسير الى سامرا والشخوص اليها وكاتبه فى ظاهر الامر وراسله أن لا يقدم وكان رجل من قواد الاتراك يقال له بابكيال قد غلب على الامر أيضا وترأس فدخل موسى سامرا حتى انتهى الى مجلس المهتدى وهو جالس للمظالم والدار غاصة بخواص الناس وعوامهم فشرع أصحاب موسى فدخلوا الدار وجعلوا يخرجون العامة منها بأشد ما يكون من الضرب بالدبابيس

المشى وسيرهم الى الموصل ليأمنوا وتوجه السلطان الى نصيبين فقال له هزارسب قد تمادت الايام ورأى ان اختار من العسكر ألف فارس أسير بهم الى البرية فلعلى أنال من العرب غرضا فأذن له فى ذلك فسار اليهم فلما قاربهم كمن لهم كمينين وتقدم الى الحلل فلما رأوه قاتلوه فصبر لهم ساعة ثم انزاح بين أيديهم كالمنهزم فتبعوه فخرج الكمينان فانهزمت العرب وكثر فيهم القتل والاسر وكان قد انضاف اليهم جماعة من بنى نمير أصحاب حران والرقة وتلك الاعمال وحمل الاسرى الى السلطان فلما أحضروا بين يديه قال لهم هل وطئت لكم أرضا وأخذت لكم بلدا قالوا لا قال فلم أتيتم لحربى وأحضر الفيل فقتلهم الا صبيا أمرد فلما امتنع الفيل من قتله عفا عنه السلطان

﴿ ذكر عود نور الدولة دبيس بن مزيد وقريش بن بدران الى طاعة طغرلبك ﴾

لما ظفر هزارسب بالعرب وعاد الى السلطان طغرلبك أرسل اليه نور الدولة وقريش يسألانه ان يتوسط حالهما عند السلطان ويصلح أمرهما معه فسعى فى ذلك واستعطف السلطان عليهما فقال أما هما فقد عفوت عنهما واما البساسيرى فذنبه الى الخليفة ونحن متبعون أمر الخليفة فيه فرحل البساسيرى عند ذلك الى الرحبة وتبعه الاتراك البغداديون ومقبل بن المقلد وجماعة من عقيل وطلب دبيس وقريش ان يرسل طغرلبك اليهما أبا الفتح بن ورام فأرسله فعاد من عندهما وأخبر بطاعتهما وانهما يطلبان ان يمضى هزارسب اليهما ليحلفهما فأمره السلطان بالمضى اليهما فسار واجتمع بهما وأشار عليهما بالحضور عند السلطان فخافا وامتنعا فأنفذ قريش أبا السداد هبة الله ابن جعفر وأنفذ دبيس ابنه بهاء الدولة منصورا فأكرمهما السلطان وأقرهما وكتب لهما بأعمالهما وكان لقريش نهر الملك وبادوريا والانبار وهيت ودجيل ونهر بيطر وعكبرا وأوانا وتكريت والموصل ونصيبين وأعاد الرسل الى أصحابهم

﴿ ذكر قصد السلطان ديار بكر وما فعله بسنجار ﴾

لما فرغ طغرلبك من العرب سار الى ديار بكر التى هى لابن مروان وكان ابن مروان يرسل اليه كل يوم الهدايا والملح فسار السلطان الى جزيرة ابن عمر فحصرها وهى لابن مروان فأرسل اليه ابن مروان يبذل له مالا يصلح حاله به ويذكر له ما هو بصدده من حفظ ثغور المسلمين وما يعانيه من جهاد الكفار ولما كان السلطان يحاصر الجزيرة سار جماعة من الجيش الى عمراكمن وفيه اربعمائة راهب فذبحوا منهم مائة وعشرين راهبا وافتدى الباقون أنفسهم بستة مكاكيك ذهبا وفضة ووصل ابراهيم ينال أخو السلطان اليه فلقيه الامراء والناس كلهم وحملوا اليه الهدايا وقال لعميد الملك الوزير من هؤلاء العرب حتى تحملهم نظراء السلطان وتصلح بينهم فقال مع حضورك يكون ما تريد فأنت نائب السلطان ولما وصل ابراهيم ينال أرسل هزارسب الى نور الدولة بن مزيد وقريش يعرفهما وصوله ويحذرهما منه فسارا من جبل سنجار الى الرحبة فلم يلتفت البساسيرى اليهما فانحدر نور الدولة الى بلده بالعراق وأقام قريش عند البساسيرى بالرحبة ومعه ابنه مسلم بن قريش وشكا قتلمش ابن عم السلطان اليه ما لقى من أهل سنجار فى العام الماضى لما انهزم وانهم قتلوا رجالا فسير العساكر اليهم فأحاطت بهم وصعد أهلها على السور وسبوا وأخرجوا جماجم من كانوا قتلوا وقلانسهم وتركوها على رؤس القصب فنقضها

والطبرزينات والسيف فضجت العامة فقام المهتدى منكرا عليهم فعلهم بمن فى الدار فلم يرجعوا عما هم عليه فنحى مغضبا فقدم اليه فرس وقد استشعر منهم الغدر فمضى به الى دار مارج وج وقد كان موسى بن بغا انصرف عن دار المهتدى لما نظر الى ضجة العامة فيها فنزل تلك الدار فسير بالمهتدى اليها فأقام فيها ثلاثا عند موسى بن بغا وكان فيه ديانة وتقشف حتى ان الجند تأسوا به ولم يكن يشرب النبيذ وكان المهتدى فى أخلاقه شراسة فنافر موسى وكاد الامر أن ينفرج والحال أن يتسع غير أن موسى تعطف عليه وأعملا الحيلة فى قتل صالح بن وصيف وخاف موسى أن يكون صالح بن وصيف يعمل الحيلة عليهم فى حال اختفائه فبث فى طلبه العيون حتى وقع عليه فقاتل ومانع عن نفسه فقتل واحتز رأسه وأتى به الى موسى بن بغا ومنهم من رأى أنه أحمى له حمام وأدخل اليه فمات على حسب ما فعل بالمعتز وقوى أمر مساور الشارى ودنا فى عسكره من سامرا وعم الناس بالاذى وانقطعت السابلة وظهرت الاعراب فأخرج المهتدى بالله موسى ابن بغا وبابكيال الى حرب الشارى وخرج معهما فشيعهما ثم قفلا من غير أن يلقيا شرا فلما استشعر المهتدى رجوعهما خرج فعسكر بجسر سامرا فى جمع من المغاربة والفراعنة وغيرهم من الرسوم لحارب بابكيال فانصرف موسى على ظهر سامرا متحرجا القتال المهتدى فكانت بين المهتدى وبين بابكيال حرب عظيم قتل فيها خلق كثير من الناس وانكشف بابكيال واستظهر المهتدى عليه فخرج كمين بابكيال على

السلطان عنوة وقتل أميرها مجلى بن مرجا وخلقا كثيرا من رجالها وسبى نساءهم وخربت وسأل ابراهيم ينال فى الباقين فتركهم فسلمها هى والموصل والبلاد الى ابراهيم ينال ونادى فى عسكره من تعرض لنهب صلبته فكفوا عنهم وعاد السلطان الى بغداد على مانذكره وكان ينبغى ان نذكر هذه الحادثة سنة تسع وأربعين وانما ذكرناها هذه السنة لان الابتداء بها كان فيها فاتبعنا بعضها بعضا وذكرنا انها كانت سنة تسع وأربعين

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة انقطعت الطرق عن العراق لخوف النهب فغلت الاسعار وكثر الغلاء وتعذرت الاقوات وغيرها من كل شئ وأكل الناس الميتة ولحقهم وباء عظيم فكثر الموت حتى دفن الموتى بغير غسل ولا تكفين فبيع رطل لحم بقيراط وأربع دجاجات بدينار ورطلان شرابا بدينار وسفرجلة بدينار ورمانة بدينار وكل شئ كذلك وكان بمصر أيضا وباء شديد فكان يموت فى اليوم ألف نفس ثم عم ذلك سائر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والحجاز واليمن وغيرها وفيها فى جمادى الاولى ولدت جارية ذخيرة الدين بن الخليفة الذى ذكرنا وفاته قبل ولدا ذكرا سمى عبد الله وكنى أبا القاسم وهو المقتدى وفيها فى العشر الثانى من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر فى السماء ذؤابة بيضاء طولها نحو عشرة أذرع فى رأى العين وعرضها ذراع وبقيت كذلك الى نصف رجب واضمحلت وفيها أمر الخليفة بان يؤذن بالكرخ والمشهد وغيرها الصلاة خير من النوم وان يتركوا حى على خير العمل ففعلوا ما أمرهم به خوف السلطنة وقوتها وفيها توفى على بن أحمد بن على أبو الحسن المؤدب المعروف بالفالى من أهل مدينة فالة بالقرب من ايذج روى الحديث والادب وله شعر حسن فمنه قوله

تصدر للتدريس كل مهوس * بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لاهل العلم ان يتمثلوا * ببيت قديم شاع فى كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

وفى هذه السنة توفى محمد بن الحسين بن محمد بن سعدون أبو طاهر البزاز الموصلى ولد بالموصل ونشأ ببغداد وروى عن ابن حبابة والدارقطنى وابن بطة وغيرهم وكان موته بمصر وفيها توفى أميرك الكاتب البيهقى فى شوال وكان من رجال الدنيا ومحمد بن عبد الواحد بن عمر بن الميمون الدارمى الفقيه الشافعى

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر عود السلطان طغرلبك الى بغداد ﴾

لما سلم السلطان طغرلبك الموصل وأعمالها الى أخيه ابراهيم ينال عاد الى بغداد فلما وصل الى القفص خرج رئيس الرؤساء الى لقائه فلما قارب القفص لقيه عميد الملك وزير السلطان فى جماعة من الامراء وجاء رئيس الرؤساء الى السلطان فابلغه سلام الخليفة واستيحاشه فقبل الارض وقدم رئيس الرؤساء جاما من ذهب فيه جواهر وألبسه فرجية جاءت معه من عند الخليفة ووضع العمامة على مخدته فخدم السلطان وقبل الارض ووصل الى بغداد ولم يمكن أحدا من النزول فى دور الناس وطلب السلطان الاجتماع بالخليفة فأذن له فى ذلك وجلس الخليفة

المهتدى وفيه مارجوج التركى فولى المهتدى وأصحابه ودخل سامرا مستغيثا بالعامة مستنصرا بالناس يصيح فى الاسواق فلا مغيث وقدامه اناس من الانصار فمضى مؤيسا من الانصار الى دار ابن خيعونة بسامرا مختفيا فهجموا عليه وعزلوه وحملوه منها الى دار مارجوج وقيل له أتريد أن تحمل الناس على سيرة عظيمة لم يعرفوها فقال أريد أن أحملهم على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والخلفاء الراشدين فقيل له الرسول صلى الله عليه وسلم كان مع قوم قد زهدوا فى الدنيا ورغبوا فى الآخرة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم وأنت انما رجالك تركى وجزرى ومغربى وغير ذلك من أنواع الاعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم وانما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا فكيف تحملهم على ماذكرت من الواضحة فكثر منهم ومنه الكلام والمراجعة فى هذا المعنى واشباهه ثم انقادوا اليه على حسب ماظهر للناس من ذلك فلما كاد الامر أن يتم قام فيهم سليمان ابن وهب الكاتب وقيل غيره وقال هذا رأى منكم وخطأ فى تدبيركم ان أعطاكم بلسانه فنيته فيكم غير هذا قال وسيأتى عليكم جميعا ويفرق جمعكم فلما سمعوا هذا القول استرجعوا وجاؤه بالخناجر فكان أول من جرحه ابن عم لبايكبال جرحه بخنجر فى أوداجه وانكب عليه فالتقم الجرح والدم يفور منه وأقبل يمص الدم حتى روى منه والتركى سكران فلما روى من دم المهتدى قام قائما وقدمات المهتدى فقال يا أصحابنا قد رويت من دم المهتدى كما رويت فى هذا اليوم من الخمر وقد تنوزع

يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة جلوسا عاما وحضر وجوه عسكر السلطان وأعيان بغداد وحضر السلطان فى الماء وأصحابه حوله فى السميريات فلما خرج من السميرية أركب فرسا من مراكب الخليفة فحضر عند الخليفة والخليفة على سرير عال من الارض نحو سبعة أذرع وعليه بردة النبى صلى الله عليه وسلم وبيده القضيب الخيزران فقبل السلطان الارض وقبل يده وأجلس على كرسى فقال الخليفة لرئيس الرؤساء قل له ان أمير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك مستأنس بقربك وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده ورد عليك مراعاة عباده فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك فى ذلك واجتهد فى نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية فقبل الارض وأمر الخليفة بافاضة الخلع عليه فقام الى موضع لبسها فيه وعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب وأعطى العهد وخرج وأرسل الى الخليفة خدمة كثيرة منها خمسين ألف دينار وخمسين مملوكا أتراكا من أجود ما يكون ومعهم خيولهم وسلاحهم الى غير ذلك من الثياب وغيرها

﴿ ذكر الحرب بين هزارسب وفولاذ ﴾

كان السلطان قد ضمن هزارسب بن بنكير بن عياض البصرة وارجان وخوزستان وشيراز فجرد رسول تكين ابن عم السلطان ومعه فولاذ لهزارسب وقصد أرجان ونهبها وكان هزارسب مع طغرلبك بالموصل والجزيرة فلما فرغ السلطان من تلك الناحية رد هزارسب الى بلاده وأمره بقتال رسول تكين وفولاذ فسار الى البصرة وصادر بها تاج الدين بن سخطة العلوى وابن سمحا اليهودى بمائة ألف وعشرين ألف دينار وسار منها الى قتال فولاذ ورسول تكين فلقيهما وقاتلهما قتالا شديدا فقتل فولاذ وأسر رسول تكين ابن عم السلطان فأبقى عليه هزارسب فسأل رسول تكين هزارسب ليرسله الى دار الخلافة ليشفع فيه الخليفة ففعل ذلك ووصل بغداد مع أصحاب هزارسب فاجتاز بدار رئيس الرؤساء فهجم ودخلها واستدعى طعاما ايجازا للحرمة فأمر الخليفة باحضار عميد الملك واعلامه بحال رسول تكين ليخاطب السلطان فى أمره فلما حضر عميد الملك وقيل له ذلك قال ان السلطان يقول ان هذا الاحرمة له يستحق بها المراعاة وقد قابل احسانى بالعصيان ويجب تسليمه ليتحقق الناس منزلتى وتتضاعف هيبتى فاستقر الامر بعد مراجعة على ان يقيده وخرج توقيع الخليفة ان منزلة ركن الدين يعنى طغرلبك عندنا اقتضت مالم نفعله مع غيره لانه لم تجر العادة بتقييد أحد فى الدار العزيزة ولابد ان يكون الرضا فى جواب ما فعل فراسله رئيس الرؤساء حتى رضى وقد كانت دار الخلافة أيام بنى بويه ملجأ لكل خائف منهم من وزير وعميد وغير ذلك فى الايام السلجوقية سلك غير ذلك وكان أول شئ فعلوه هذا

﴿ ذكر القبض على الوزير اليازورى بمصر ﴾

فى هذه السنة فى ذى الحجة قبض بمصر على الوزير أبى محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازورى وقرر عليه أموال عظيمة منه ومن أصحابه ووجد له مكاتبات الى بغداد وكان فى ابتداء أمره قد حج فلما قضى حجه أتى المدينة وزار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقط على منكبيه قطعة من الخلوق الذى على حائط الحجرة فقال له أحد القوام أيها الشيخ انى أبشرك بولى الحباء والكرامة اذا

فيما ذكرنا من قتل المهتدى والاشهر ماذكرناه من قتله بالخناجر ومنهم من رأى أنه عصرت مذاكيره حتى مات ومنهم من رأى انه جعل بين لوحين عظيمين وشد بالحبال الى أن مات وقيل خنقا وقيل كبس عليه بالبسط والوسائد حتى مات فلما مات داروا به ينوحون ويبكون عليه وندموا على ما كان منهم من قتله لما تبينوا من نسكه وزهده وقيل ان ذلك كان يوم الثلاثاء لاربع عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وكان موسى بن بغا ومارجوج التركى غير داخلين فى فعل الاتراك وكان حنق الاتراك على المهتدى بسبب قتله بايكبال وذلك أن بايكبال وقع بيد المهتدى فضرب عنقه ورمى به الى أصحابه ومنهم من رأى انه قتل فى الحرب المتقدم ذكرها فى الموضع المعروف بجسر سامرا وقد كان المهتدى لما أفضت الخلافة اليه أخرج أحمد بن اسرائيل الكاتب وأبا نوح الكاتب الى باب العامة بسامرا يوم الخميس لثلاث خلون من شهر رمضان فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط فماتا وذلك لامور كانت منهما استحقا عند المهتدى فيما يجب فى حكم الشريعة أن يفعل بهما ذلك وقتل المهتدى وله من الولد سبعة عشر ذكرا وست بنات وقد كان المهتدى ولى أحمد بن المدبر خراج فلسطين وكانت له معه أخبار قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا وأخبار ابن المدبر لما وصل الى فلسطين وما حمل الى سامرا وقيل ان المعتز بالله كان أخرجه الى الشام ولاحمد بن المدبر أخبار حسان ولابراهيم بن المدبر أخيه مع صاحب

بالغته انك تلى ولاية عظيمة وهذا الخلوق دليل على ذلك فلم يحل عليه الحول حتى ولى الوزارة وأحسن الى ذلك الرجل وراعاه وكان يتفقه على مذهب أبى حنيفة وكان قاضيا بالرملة يكرم العلماء ويحسن اليهم ويجالسهم وكان ابتداء أمره كابتداء أمر رئيس الرؤساء الشهادة والقضاء وكانت سعادتهما متفقة ونهايتهما متقاربة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة زاد الغلاء ببغداد والعراق حتى بيعت الكارة الدقيق السميذ بثلاثة عشر دينارا والكارة من الشعير والذرة بثمانية دنانير وأكل الناس الميتة والكلاب وغيرها وكثر الوباء حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانوا يجعلون الجماعة فى الحفيرة وفيها فى ربيع الاول توفى أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى الاديب وله نحو ست وثمانين سنة وعلمه أشهر من ان يذكر الا أن أكثر الناس يرمونه بالزندقة وفى شعره ما يدل على ذلك (حكى) انه قال يوما لابى يوسف القزوينى ما هجوت أحدا فقال له القزوينى هجوت الانبياء فتغير وجهه وقال ما أخاف أحدا سواك (وحكى عنه) القزوينى انه قال ما رأيت شعرا فى مرثية الحسين بن على يساوى ان يحفظ فقال القزوينى بلى قد قال بعض أهل سوادنا

رأس ابن بنت محمد ووصيه * للمسلمين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع * لا جازع منهم ولا متفجع
ايقظت اجفانا وكنت لها كرى * وانمت عينا لم تكن بك تهجع
كحلت بمصرعك العيون عماية * وأصم نعيك كل أذن تسمع
ما روضة الا تمنت انها * لك مضجع ولخط قبرك موضع

وفيها اصطلح دبيس بن على بن مزيد ومحمود بن الاخرم الخفاجى حالهما مع السلطان فعاد دبيس الى بلاده فوجدها خرابا لكثرة من مات بها من الوباء الجارف ليس بها أحد وفيها كثر الوباء ببخارا حتى قيل انه مات فى يوم واحد ثمانية عشر ألف انسان من أعمال بخارا وهلك فى هذه الولاية فى مدة الوباء ألف ألف وستمائة وخمسون ألفا وكان بسمرقند مثل ذلك ووجد ميت وقد دخل تركى يأخذ لحافا عليه فمات التركى وطرف اللحاف بيده وبقيت أموال الناس سائبة وفيها نهبت دار أبى جعفر الطوسى بالكرخ وهو فقيه الامامية وأخذ ما فيها وكان قد فارقها الى المشهد الغربى وفيها فى صفر توفى أبو عثمان اسمعيل بن عبد الرحمن الصابونى مقدم أصحاب الحديث بخراسان وكان فقيها خطيبا اماما فى عدة علوم وفيها فى ربيع الاول توفى اياز بن ايماق أبو النجم غلام محمود بن سبكتكين وأخباره معه مشهورة وفيها مات أبو أحمد عدنان بن الشريف الرضى نقيب العلويين وفيها توفى أبو الحسين عبد الوهاب بن أحمد بن هرون الغسانى المعروف بابن الجندى

﴿ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر مفارقة ابراهيم ينال الموصل واستيلاء البساسيرى عليها وأخذها منه﴾

فى هذه السنة فارق ابراهيم ينال الموصل نحو بلاد الجبل فنسب السلطان طغرلبك رحيله الى العصيان فارسل اليه رسولا يستدعيه وصحبته الفرجية التى خلعها عليه الخليفة وكتب الخليفة

اليه أيضا كتابا فى المعنى فرجع ابراهيم الى السلطان وهو ببغداد فخرج الوزير الكندرى لاستقباله وأرسل الخليفة اليه الخلع ولما فارق ابراهيم الموصل قصدها البساسيرى وقريش ابن بدران وحاصراها فملكا البلد ليومه وبقيت القلعة وبها الخازن واردم وجماعة من العسكر فحاصراها أربعة أشهر حتى أكل من فيها دوابهم فخاطب ابن موسك صاحب اربل قريشا حتى امنهم فخرجوا فهدم البساسيرى القلعة وعفى أثرها وكان السلطان قد فرق عسكره فى النوروز وبقى جريدة فى ألفى فارس حين بلغه الخبر فسار الى الموصل فلم يجد بها أحدا كان قريش والبساسيرى قد فارقاها فسار السلطان الى نصيبين ليتتبع آثارهم ويخرجهم من البلاد ففارقه أخوه ابراهيم ينال وسار نحو همذان فوصلها فى السادس والعشرين من رمضان سنة خمسين وكان قد قيل ان المصريين كاتبوه والبساسيرى قد استماله وأطمعه فى السلطنة والبلاد فلما عاد الى همذان سار السلطان فى أثره

﴿ذكر الخطبة بالعراق للعلوى المصرى وما كان الى قتل البساسيرى﴾

لما عاد ابراهيم ينال الى همذان سار طغرلبك خلفه ورد وزيره عميد الملك الكندرى وزوجته الى بغداد وكان مسيره من نصيبين فى منتصف شهر رمضان ووصل الى همذان وتحصن بالبلد وقاتل اهلها بين يديه وأرسل الى الخاتون زوجته وعميد الملك الكندرى يأمرهما باللحاق به فمنعهما الخليفة من ذلك تمسكا بهما وفرق غلال كثيرة فى الناس وسار من كان ببغداد من الاتراك الى السلطان بهمذان وسار عميد الملك الى دبيس بن مزيد فاحترمه وعظمه ثم سار من عنده الى هزارسب وسارت خاتون الى السلطان بهمذان فارسل الخليفة الى نور الدولة دبيس بن مزيد يأمره بالوصول الى بغداد فورد اليها فى مائة فارس ونزل فى النجمى ثم عبر الى الاتابين وقوى الارجاف بوصول البساسيرى فلما تحقق الخليفة وصوله الى هيت أمر الناس بالعبور من الجانب الغربى الى الجانب الشرقى فارسل دبيس بن مزيد الى الخليفة والى رئيس الرؤساء يقول الرأى عندى خروجكما من البلد معى فاننى اجتمع أنا وهزارسب فانه بواسط على دفع عدوكما فأجيب ابن مزيد بان يقيم حتى يقع الفكر فى ذلك فقال العرب لا تطيعنى على المقام وأنا أتقدم الى ديالى فاذا انحدرتم سرت فى خدمتكم وسار وأقام بديالى ينتظرهما فلم ير لذلك أثرا فسار الى بلاده ثم ان البساسيرى وصل الى بغداد يوم الاحد ثامن ذى القعدة ومعه أربعمائة غلام على غاية الضر والفقر وكان معه أبو الحسن بن عبد الرحيم الوزير فنزل البساسيرى بمشرعة الزوايا ونزل قريش ابن بدران وهو فى مائتى فارس عند مشرعة باب البصرة وركب عميد العراق ومعه العسكر والعوام وأقاموا بازائه عسكر البساسيرى وعادوا وخطب البساسيرى بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوى صاحب مصر وأمر فاذن بحى على خير العمل وعقد الجسر وعبر عسكره الى الزاهر وخيموا فيه وخطب فى الجمعة من وصوله بجامع الرصافة للمصرى وجرى بين الطائفتين حروب فى أثناء الاسبوع وكان عميد العراق يشير على رئيس الرؤساء بالتوقف عن المناجزة ويرى المحاجزة ومطاولة الايام انتظارا لما يكون من السلطان ولما يراه من المصلحة بسبب ميل العامة الى البساسيرى أما الشيعة فللمذهب وأما السنية فلما فعل بهم الاتراك وكان رئيس الرؤساء لقلة معرفته بالحرب ولما عنده من البساسيرى يرى المبادرة الى الحرب فاتفق ان فى بعض الايام حضر

الزنج أخبار حسن أسره (قال المسعودى) فمن أخبار أحمد بن المدبر المستحسنة مما دونها الناس فى أخبار الطفيليين أن أحمد كان قليل الجلوس للمنادمة وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم ولا ينبسط الى سواهم قد اصطفاهم لعشرته وأخذهم لمنادمته كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره وكان طفيلى يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا وأخفهم روحا وأشدهم فى كل مليحة افتنانا فلم يزل يحتال الى أن عرف وقت جلوس أحمد بن المدبر للندماء فتزيا فى زى ندمائه ودخل فى جملتهم وظن حاجبه أن ذلك بعلم من صاحبه ومعرفة من أولئك الندماء ولم ينكر شيأ من حاله وخرج أحمد ابن المدبر فنظر اليه بين القوم فقال لحاجبه اذهب الى ذلك الرجل فقل له ألك حاجة فسقط فى يد الحاجب وعلم أن الحيلة قد تمت عليه وأن ابن المدبر لا يرضى فى عقوبته الا بقتله فجره وهو يجر برجليه فقال له الاستاذ يقول لك ألك حاجة فقال قل له لا فقال له ارجع اليه فقل له ما جلوسك فقال الساعة جلسنا يا بغيض فقال ارجع اليه فقل له أى شئ أنت فقال قل له طفيلى يرحمك الله فقال له ابن المدبر أنت طفيلى قال نعم أعزك الله قال ان الطفيلى يحتمل على دخوله بيوت الناس وافساده عليهم ما يريدونه من الخلوة بندمائهم والخوض فى أسرارهم لخصال منها أن يكون لاعبا بالشطرنج أو بالنرد او ضاربا بالعود أو الطنبور فقال أيدك الله أنا أحسن هذه الاشياء كلها قال وفى أى وظيفة أنت منها قال فى العليا من جميعها قال

اليه

لبعض ندمائه لاعبه بالشطرنج فقال الطفيلى أصلح الله الاستاذ فان قمرت قال أخرجناك من دارنا قال فان قمرت قال أعطيناك ألف درهم قال فان رأيت أيدك الله أن تحضر الالف درهم فان فى حضورها قوة للنفس والايقان بالظفر فاحضرت فلعبا فغلب الطفيلى ومد يده ليأخذ الدراهم فقال الحاجب لينفى عن نفسه بعض ما وقع فيه أعز الله الاستاذ انه زعم أنه فى الطبقة العليا وابن فلان غلامك يغلبه فأحضر الغلام فغلب الطفيلى فقال له انصرف فقال أحضروا النرد فأحضرت فلوعب فغلب فقال الحاجب ولا هذا يا سيدى فى الطبقة العليا من النرد ولكن بوابنا فلان يغلبه فأحضر البواب فغلب الطفيلى فقال له اخرج فقال يا سيدى فالعود يأتى بالعود فضرب فاصاب وغنى فأطرب فقال الحاجب يا سيدى فى جوارنا شيخ هاشمى يعلم القيان أحذق منه فأحضر الشيخ فكان أطرب منه فقال له اخرج فقال فالطنبور فأعطى طنبورا فضرب ضربا لم ير الناس أحسن منه وغنى غناء فى النهاية فقال الحاجب أعز الله الاستاذ فلان المحتكر فى جوارنا أحذق منه فأحضر المحتكر فكان أحذق منه وأطيب فقال له ابن المدبر قد تقصيناك بكل جهد فأبت حرفتك الا طردك عن منزلنا فقال يا سيدى بقيت معى بابة حسنة قال ما هى قال تأمر لى بقوس بندق مع خمسين بندقة رصاص ويقام هذا الحاجب على أربع وأرميه فى دبره بهن وان أخطأت بواحدة منهن ضربت رقبتى فضج الحاجب من ذلك ووجد ابن المدبر فى ذلك شفاء لنفسه

القاضي الهمذاني عند رئيس الرؤساء واستأذنه في الحرب وضمن له قتل البساسيري فأذن له من غير علم عميد العراق فخرج ومعه الخدم والهاشميون والعجم والعوام الى الحلبة وأبعدوا والبساسيري يستجرهم فلما أبعدوا حمل عليهم فعادوا منهزمين وقتل منهم جماعة ومات في الزحمة جماعة من الاعيان ونهب باب الازج وكان رئيس الرؤساء واقفادون الباب فدخل الدار وهرب كل من في الحريم ولما بلغ عميد العراق فعل رئيس الرؤساء لطم على وجهه كيف استبد برأيه ولا معرفة له بالحرب ورجع البساسيري الى معسكره واستدعى الخليفة عميد العراق وأمره بالقتال على سور الحريم فلم يرعهم الا الزعقات وقد نهب الحريم وقد دخلوا بباب النوبي فركب الخليفة لابسا السواد وعلى كتفه البردة وبيده سيف وعلى رأسه اللواء وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة فرأى النهب قد وصل الى باب الفردوس من داره فرجع الى ورائه ومضى نحو عميد العراق فوجده قد استأمن الى قريش فعاد وصعد المنظرة وصاح رئيس الرؤساء يا علم الدين يعني قريشا أمير المؤمنين يستدنيك فدنا منه فقال رئيس الرؤساء قد أنالك الله منزلة لم ينلها أمثالك وأمير المؤمنين يستذم منك على نفسه وأهله وأصحابه بذمام الله تعالى وذمام رسوله صلى الله عليه وسلم وذمام العربية فقال قد أذم الله تعالى له قال ولي ولمن معه قال نعم وخلع قلنسوته فاعطاها الخليفة وأعطى مخصرته رئيس الرؤساء ذماما فنزل اليه الخليفة ورئيس الرؤساء من الباب المقابل لباب الحلبة وصارا معه فارسل اليه البساسيري أتخالف ما استقر بيننا وتنقض ما تعاهدنا عليه فقال قريش لا وكانا قد تعاهدا على المشاركة في الذي يحصل لهما وان لا يستبد أحدهما دون الآخر بشيء فاتفقا على ان يسلم قريش رئيس الرؤساء الى البساسيري لانه عدوه ويترك الخليفة عنده فارسل قريش رئيس الرؤساء الى البساسيري فلما رآه قال مرحبا بمهلك الدول ومخرب البلاد فقال العفو عند المقدرة فقال البساسيري فقد قدرت فما عفوت وأنت صاحب طيلسان وركبت الافعال الشنيعة مع حرمي واطفالي فكيف أعفو أنا وأنا صاحب سيف وأما الخليفة فانه حمله قريش راكبا الى معسكره وعليه السواد والبردة وبيده السيف وعلى رأسه اللواء وأنزله في خيمة وأخذ ارسلان خاتون زوجة الخليفة وهي ابنة أخي السلطان طغرلبك فسلمها الى أبي عبد الله بن جردة ليقوم بخدمتها ونهبت دار الخلافة وحريمها أياما وسلم قريش الخليفة الى ابن عمه مهارش بن المجلي وهو رجل فيه دين وله مروءة فحمله في هودج وسار به الى حديثة عانة فتركه بها وسار من كان مع الخليفة من خدمه وأصحابه الى السلطان طغرلبك مستنفرين فلما وصل الخليفة الى الانبار شكا البرد فانفذ الى مقدمها يطلب منه ما يلبسه فارسل له جبة فيها قطن ولحافا وأما البساسيري فانه ركب يوم عيد النحر وعبر الى المصلى بالجانب الشرقي وعلى رأسه الالوية المصرية فاحسن الى الناس وأجرى الجرايات على المتفقهة ولم يتعصب لمذهب وافرد لوالدة الخليفة القائم بأمر الله دارا وكانت قد قاربت تسعين سنة واعطاها جاريتين من جواريها للخدمة واجرى لها الجراية واخرج محمود بن الاخرم الى الكوفة وسقي الفرات أميرا واما رئيس الرؤساء فاخرجه البساسيري آخر ذي الحجة من محبسه بالحريم الطاهري مقيدا وعليه جبة صوف وطرطور من لبد أحمر وفي

وعقوبة ومكافأة له على ما فرط منه في ادخال الطفيلي الى مجلسه فأمر باكافين فأحضرا وجعل أحدهما فوق الآخر وشد الحاجب فوقهما وأمر بالقوس والبندق فدفع الى الطفيلي فرمى به فشا أخطأه وخلى عن الحاجب وهو يتأوه لما به فقال له الطفيلي أعلى باب الاستاذ من يحبس مثل هذا فقال يا فرنان ما دام البرجاس اسنى فلا وللطفيليين أخبار حسان مثل خبر ساسان الطفيلي مع المتوكل في اللوزنيج وما ابتدأ من العدد من الواحد الى ما فوقه من القران ولغيره منهم ما قد أتينا على ذكره في كتابنا أخبار الزمان والاوسط على الشرح والتمام والكمال وانما نورد في هذا الكتاب لمعا مما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من كتبنا في هذا المعنى وقد كان المهتدي بالله ذهب في أمره الى القصد والدين فقرب العلماء ورفع من منازل الفقهاء وعمهم ببره وكان يقول يا بني هاشم دعوني حتى أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز فأكون فيكم مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية وقال من اللباس والفرش والمطعم والمشرب وأمر باخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنانير ودراهم وعمد الى الصور التي كانت في المجالس فمحيت وذبح الكباش التي كان يناطح بها بين يدي الخلفاء والديوك وقتل السباع المحبوسة ورفع بسط الديباج وكل فرش لم تردّ الشريعة باباحته وكانت الخلفاء قبله تنفق على موائدها في كل يوم عشرة آلاف درهم فازال ذلك وجعل لمائدته وسائر مؤنه في كل يوم نحو مائة درهم

رقبته مخنقة جلود بعير وهو يقرأ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الآية وبصق أهل الكرخ في وجهه عند اجتيازه بهم لانه كان يتعصب عليهم وشهر الى حد النجمي وأعيد الى معسكر البساسيري وقد نصبت له خشبة وأنزل عن الجمل وألبس جلد ثور وجعلت قرونه على رأسه وجعل في فكيه كلابان من حديد وصلب فبقي يضطرب الى آخر النهار ومات وكان مولده في شعبان سنة سبعين وثلثمائة وكانت شهادته عند ابن ماكولا سنة أربع عشرة وأربعمائة وكان حسن التلاوة للقرآن جيد المعرفة بالنحو وأما عميد العراق فقتله البساسيري وكان فيه شجاعة وله فتوة وهو الذي بنى رباط شيخ الشيوخ ولما خطب البساسيري للمستنصر العلوي بالعراق أرسل اليه بمصر يعرفه ما فعل وكان الوزير هناك أبا الفرج ابن أخي أبي القاسم المغربي وهو ممن هرب من البساسيري وفي نفسه ما فيها فوقع فيه وبرد فعله وخوف عاقبته فتركت أجوبته مدة ثم عادت بغير الذي أمله ورجاه وسار البساسيري من بغداد الى واسط والبصرة فملكهما وأراد قصد الاهواز فانفذ صاحبها هزارسب بن بنكير الى دبيس بن مزيد يطلب منه أن يصلح الامر على مال يحمله اليه فلم يجب البساسيري الى ذلك وقال لا بد من الخطبة للمستنصر والسكة باسمه فلم يفعل هزارسب ذلك ورأى البساسيري ان طغرلبك يمد هزارسب بالعساكر فصالحه وأصعد الى واسط في مستهل شعبان من سنة احدى وخمسين وفارقه صدقة ابن منصور بن الحسين الاسدي ولحق بهزارسب وكان قد ولي بعد أبيه على ما نذكره وأما أحوال السلطان طغرلبك وابراهيم ينال فان السلطان كان في قلة من العسكر كما ذكرناه وكان ابراهيم قد اجتمع معه كثير من الاتراك وحلف لهم انه لا يصالح أخاه طغرلبك ولا يكلفهم المسير الى العراق وكانوا يكرهونه لطول مقامهم وكثرة اخراجاتهم فلم يقو به طغرلبك وأتى الى ابراهيم محمد وأحمد ابنا أخيه ارتاش في خلق كثير فازداد بهم قوة وازداد طغرلبك ضعفا فانزاح من بين يديه الى الري وكاتب الب ارسلان وياقوتي وقاورت بك أولاد أخيه داود وكان داود قد مات على ما نذكره سنة احدى

وكان يواصل الصيام وقيل انه لما قتل أخرج رجل من الموضع الذي كان يأوي اليه فأصيب له سفط مقفل فتوهموا أن فيه مالا أو جوهرا فلما فتح وجد فيه جبة صوف وغل وقيل جبة شعر فسألوا من كان يخدمه فقال كان اذا جن الليل لبسها وغل نفسه وكان يركع ويسجد الى أن يدركه الصباح وانه كان ينام من الليل ساعة من بعد العشاء الآخرة ثم يقوم وانه سمعه بعض من كان يأنس اليه قبل أن يقتل وقد صلى المغرب وقد دنا من افطاره وهو يقول اللهم انه قد صح عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا تحجب لهم دعوة عن الله دعوة الامام العادل وقد أجهدت نفسي في العدل على رعيتي ودعوة المظلوم وأنا مظلوم ودعوة الصائم حتى يفطر وأنا صائم وجعل يدعو عليهم وأن يكفي شرهم (وذكر صالح) بن علي الهاشمي قال حضرت يوما من الايام جلوس المهتدي للمظالم فرأيت من سهولة الوصول اليه ونفوذ الكتب عنه الى النواحي فيما يتظلم به اليه ما استحسنته فأقبلت أرمقه ببصري اذ نظر في القصص فاذا رفع طرفه الى أطرقت فكأنه علم ما في نفسي فقال يا صالح احسب أن في نفسك شيأ تحب أن تذكره قلت نعم يا أمير المؤمنين فامسك فلما فرغ من جلوسه أمرني أن لا أبرح ونهض فجلست جلوسا طويلا ثم دعاني فدخلت اليه وهو على حصير الصلاة فقال لي يا صالح أتحدثني بما في نفسك أو أحدثك به قلت بل هو من أمير المؤمنين احسن فقال كأني بك قد استحسنت ما رأيت من مجلسنا فقلت أي خليفة ان لم يكن يقول بخلق القرآن فقلت نعم فقال قد كنت على ذلك برهة من الدهر حتى أقدم على الواثق شيخ من أهل الفقه والحديث من أهل أذنة من الثغر الشامي مقيدا طوال حسن الهيئة فسلم عليه غير هائب ودعا فأوجز فرأيت الحياء منه في حماليق عين الواثق والرحمة له فقال له يا شيخ أجب أبا عبد الله أحمد بن أبي دواد فيما يسألك عنه فقال يا أمير المؤمنين أحمد يقل ويضعف عن المناظرة فرأيت الواثق قد صار في مكان الرقة والرحمة له غضبا فقال له أبو عبد الله يضعف عن المناظرة فقال له هون عليك يا أمير المؤمنين أتأذن في كلامه فقال له الواثق قد أذنت لك فأقبل الشيخ على أحمد فقال

وخمسين ان شاء الله تعالى وملك خراسان بعده ابنه الب ارسلان فارسل اليهم طغرلبك يستدعيهم اليه فجاؤا بالعساكر الكثيرة فلقى ابراهيم بالقرب من الرى فانهزم ابراهيم ومن معه وأخذ أسيرا هو ومحمد وأحمد ولدا أخيه فامر به فخنق بوترقوسه تاسع جمادى الآخرة سنة احدى وخمسين وقتل ولدا أخيه معه وكان ابراهيم قد خرج على طغرلبك مرارا فعفا عنه وانما قتله فى هذه الدفعة لانه علم ان جميع ماجرى على الخليفة كان بسببه فلهذا لم يعف عنه ولما قتل ابراهيم أرسل طغرلبك الى هزارسب بالاهواز يعرفه ذلك وعنده عميد الملك الكندرى فسار الى السلطان فجهزه هزارسب تجهيز مثله

﴿ذكر عود الخليفة الى بغداد﴾

لما فرغ السلطان من أمر أخيه ابراهيم ينال عاد يطلب العراق ليس له هم الا اعادة القائم بامر الله الى داره فارسل الى البساسيرى وقريش فى اعادة الخليفة الى داره على ان لا يدخل طغرلبك العراق ويقنع بالخطبة والسكة فلم يجب البساسيرى الى ذلك فرحل طغرلبك الى العراق فوصلت مقدمته الى قصر شيرين فوصل الخبر الى بغداد فانحدر حرم البساسيرى وأولاده ورحل أهل الكرخ بنسائهم وأولادهم فى دجلة وعلى الظهر ونهب بنو شيبان الناس وقتلوا كثيرا منهم وكان دخول البساسيرى وأولاده بغداد سادس ذى القعدة سنة خمسين وخرجوا منها سادس ذى القعدة سنة احدى وخمسين وثار أهل باب البصرة الى الكرخ فنهبوه وأحرقوا درب الزعفران وهو من أحسن الدروب وأعمرها ووصل طغرلبك الى بغداد وكان قد أرسل من الطريق الامام أبا بكر أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك الى قريش بن بدران يشكره على فعله بالخليفة وحفظه على صيانته ابنة أخيه امرأة الخليفة ويعرفه أنه قد أرسل أبا بكر بن فورك للقيام بخدمة الخليفة واحضاره واحضار ارسلان خاتون ابنة أخيه امرأة الخليفة ولما سمع قريش بقصد طغرلبك العراق أرسل الى مهارش يقول له أودعنا الخليفة عندك ثقة بامانتك لينكف بلاء الغز عنا والآن فقد عادوا وهم عازمون على قصدك فارحل أنت

له يا أحمد الى ماذا دعوت الناس اليه فقال الى القول بخلق القرآن فقال الشيخ مقالتك هذه التى دعوت الناس اليها من القول بخلق القرآن داخلة فى الدين فلا يكون الدين تاما الا بالقول بها قال نعم قال الشيخ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس اليها أو تركهم قال تركهم قال فعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم يعلمها قال علمها قال فلم دعوت الناس الى مالم يدعهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم منه فأمسك أحمد فقال الشيخ يا أمير المؤمنين هذه واحدة ثم قال له بعد ساعة يا أحمد قال الله فى كتابه العزيز اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فقلت أنت لا يكون الدين تاما الا بمقالتكم بخلق القرآن فالله أصدق فى اكماله واتمامه أو أنت فى نقصانك فأمسك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين وهذه ثانية ثم قال له بعد ساعة أخبرنى يا أحمد عن قول الله عز وجل فى كتابه يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية فمقالتك هذه التى دعوت الناس اليها مما بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم للامة أم لا فأمسك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين وهذه ثالثة ثم قال بعد ساعة أخبرنى يا أحمد ما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالتك هذه التى دعوت الناس اليها والى القول بها من خلق القرآن أوسعه أن أمسك عنهم أم لا قال أحمد بل اتسع له ذلك فقال وكذلك لابى بكر وعمر وكذلك لعثمان وكذلك لعلى رضى الله عنهم قال نعم فصرف وجهه الى الواثق وقال يا أمير المؤمنين اذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه فلا وسع الله علينا فقال الواثق نعم لا وسع الله علينا ان لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ثم قال الواثق اقطعوا قيده فلما فكوا قيده جاذب عليه فقال الواثق دعوه ثم قال للشيخ لم جاذبت عليه قال لانى عقدت فى نيتى أن أجاذب عليه فاذا أخذته أوصيت أن يجعل بين كفنى وبدنى حتى أقول يا رب سل عبدك هذا لم قيدنى ظلما وأراع فى أهلى فبكى الواثق وبكى الشيخ وكل من حضر ثم قال له الواثق يا شيخ اجعلنى فى حل فقال يا أمير المؤمنين ما خرجت من منزلى حتى جعلتك فى حل اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقرابتك منه فتهلل وجه الواثق وسره ثم قال له أقم عندى آنس بك فقال

وأهلك الى البرية فانهم اذا علموا أن الخليفة عندنا فى البرية لم يقصدوا العراق ونحكم عليهم بما نريد فقال مهارش كان بينى وبين البساسيرى عهود ومواثيق نقضها وان الخليفة قد استحلفنى بعهود ومواثيق لا مخلص منها وسار مهارش ومعه الخليفة حادى عشر ذى القعدة سنة احدى وخمسين وأربعمائة الى العراق وجعلا طريقهما على بلد بدر بن مهلهل ليأمنا من يقصدهما ووصل ابن فورك الى حلة بدر بن مهلهل وطلب منه ان يوصله الى مهارش فجاء انسان سوادى الى بدر وأخبره أنه رأى الخليفة ومهارشا بتل عكبرا فسر بذلك بدر ورحل ومعه ابن فورك وخدماه وحمل له بدر شيأ كثيرا وأوصل اليه ابن فورك رسالة طغرلبك وهدايا كثيرة أرسلها معه ولما سمع طغرلبك بوصول الخليفة الى بلد بدر ارسل وزيره الكندرى والامراء والحجاب وأصحبهم الخيام العظيمة والسرادقات والتحف من الخيل بالمراكب الذهب وغير ذلك فوصلوا الى الخليفة وخدموه ورحلوا ووصل الخليفة الى النهروان فى الرابع والعشرين من ذى القعدة وخرج السلطان الى خدمته فاجتمع به وقبل الارض بين يديه وهناه بالسلامة وأظهر الفرح بسلامته واعتذر من تأخره بعصيان ابراهيم وانه قتله عقوبة لما جرى منه من الوهن على الدولة العباسية وبوفاة أخيه داود بخراسان وانه اضطر الى التريث حتى يرتب أولاده بعده فى المملكة وقال أنا أمضى خلف هذا الكلب يعنى البساسيرى واقصد الشام وافعل فى حق صاحب مصر ما أجازى به فعله وقلده الخليفة بيده سيفا وقال لم يبق مع أمير المؤمنين من داره سواه وقد تبرك به أمير المؤمنين فكشف غشاء الخركاه حتى رآه الامراء فخدموا وانصرفوا ولم يبق ببغداد من أعيانها من يستقبل الخليفة غير القاضى أبى عبد الله الدامغانى وثلاثة نفر من الشهود وتقدم السلطان فى المسير فوصل الى بغداد وجلس فى باب النوبى مكان الحاجب ووصل الخليفة فقام طغرلبك وأخذ بلجام بغلته حتى صار على باب حجرته وكان وصوله يوم الاثنين لخمس بقين من ذى القعدة سنة احدى وخمسين وعبر السلطان الى معسكره وكانت السنة مجدبة ولم ير الناس فيها مطرا الجاء تلك الليلة وهنأ

مكانى فى ذلك الثغر أنفع أنا شيخ كبير ولى حاجة قال سل ما بدا لك قال يأذن أمير المؤمنين لى فى الرجوع الى الموضع الذى أخرجنى منه هذا الظالم قال قد أذنت لك وأمر له بجائزة فلم يقبلها فرجعت من ذلك الوقت وأحسب أن الواثق رجع عنها * قال وعرض على المهتدى يوما دفاتر خزائن الكتب فاذا على ظهر كتاب منها هذه الابيات قالها المعتز بالله وكتبها بخطه وهى

انى عرفت علاج الطب من وجعى * وما عرفت علاج الحب والخدع
جزعت للحب والحمى صبرت لها * انى لاعجب من صبرى ومن جزعى
من كان يشغله عن الفه وجع * فليس يشغلنى عن حبكم وجعى
وما أمل حبيبى ليتنى أبدا * مع الحبيب ويا ليت الحبيب معى

فقطب وجه المهتدى بالله وقال حدث وسلطان الشباب وكان المهتدى كثيرا ما ينشد البيت الاول من هذا الشعر * وكان محمد ابن على الربعى ممن يكثر ملازمة المهتدى فقال قال لى ذات ليلة أتعرف خبر نوف الذى حكاه عن على بن أبى طالب حين كان يأتيه قلت نعم يا أمير المؤمنين ذكر نوف قال رأيت عليا رضى الله عنه قد أكثر الخروج والدخول والنظر الى السماء ثم قال لى يا نوف أنائم أنت قال قلت بل رامق أرمق بعينى منذ الليلة يا أمير المؤمنين فقال لى يا نوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطا وترابها ثيابا وماءها طيبا والكتاب شعارا والدعاء دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يا نوف ان الله تعالى أوحى الى عبده عيسى عليه السلام أن قل لبنى اسرائيل أن لا يدخلوا الى الا بقلوب وجلة وأبصار خاشعة وأكف نقية واعلم انى لا أجيب لاحد منهم دعوة ولا حد من خلق قبلهم مظلمة قال محمد بن على الربعى فوالله لقد كتب المهتدى هذا الخبر بخطه ولقد كنت أسمعه فى جوف الليل وقد خلا بربه فى بيت كان لخلوته وهو يبكى ويقول يا نوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة ويمر فى الخبر الى أن كان من أمره ما كان مع الاتراك وقتلهم اياه * قال محمد بن على قلت للمهتدى ذات يوم وقد خلوت به وقد أكثرنا من ذكر آفات الدنيا ومن رغب فيها ومن انحرف عنها يا أمير المؤمنين ما للانسان العاقل المميز مع علمه بجميع آفات الدنيا وسرعة انتقالها وزوالها وغرورها

لطلابها يحبها ويأنس اليها قال المهتدى حق ذلك له منها خلق فهى أمه وفيها نشأ فهى عيشه ومنها قدر رزقه فهى حياته وفيها يعاد فهى كفاته وفيها اكتسب الجنة فهى مبدأ سعادته والدنيا ممر الصالحين الى الجنة فكيف لا يحب طريقا تأخذ بسالكها الى الجنة فيها نعيم مقيم خالدا ان كان من أهلها وقيل ان هذا الكلام فى جواب على بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجاب به سائلا سأله عن ذلك وهو مأخوذ من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حين مدح الدنيا وذم الذام لها على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من باب ذكر زهده وأخباره (قال المسعودى) وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة فى خلافة المهتدى وذلك فى سنة خمس وخمسين ومائتين وكان يزعم انه على بن أحمد بن عيسى ابن زيد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب وأكثر الناس يقول انه دعى آل أبى طالب وكان من أهل قرية من أعمال الرى يقال لها وزنيق وظهر من فعله ما دل على تصديق ما رمى به انه كان يرى رأى الازارقة من الخوارج لان أفعاله فى قتل النساء والاطفال وغيرهم من الشيخ الفانى وغيره ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك عليه وله خطبة يقول فى أولها الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر ألا لا حكم الا لله وكان يرى الذنوب كلها شركا وكان أنصاره الزنج وكان ظهوره بيرنخيل بين مدينة الفتح وكرخ البصرة فى ليلة الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين وقيل ليلة السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين وذلك فى خلافة المعتمد على الله وقد صنف الناس فى أخباره وحروبه وما كان من أمره كتبا كثيرة وكان أول من صنف أخباره وما كان من بدو أمره ووقوعه الى بلاد البحرين وما كان من خبره مع الاعراب محمد بن الحسن بن سهل ابن أخى ذى الرياستين الفضل بن سهل صاحب المأمون وهو الرجل الذى كان من أمره مع المعتضد بالله ما قد ذكرناه واشتهر قبل ذلك فى الناس وما كان من أمره الى أن جعله كدجاج على النار وجلده ينتفخ ويتفرقع * وقد ذكر الناس صاحب الزنج فى أخبار المبيضة وكتبهم وقد أتينا على جميع خبره وبدو خبر البلالية والسعدية بالبصرة فى الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اعادته وانما أوردنا

الشعراء الخليفة والسلطان بهذا الامر ودام البرد بعد قدوم الخليفة نيفا وثلاثين يوما ومات بالجوع والعقوبة عدد لا يحصى وكان أبو على بن شبل ممن هرب من طائفة من الغز فوقع به غيرهم فأخذوا ماله فقال

خرجنا من قضاء الله خوفا * فكان فرارنا منه اليه
وأشقى الناس ذو عزم توالت * مصائبه عليه من يديه
تضيق عليه طرق العذر منها * ويقسو قلب راحمه عليه

﴿ ذكر قتل البساسيرى ﴾

أنفذ السلطان بعد استقرار الخليفة فى داره جيشا عليهم خمارتكين الطغرائى فى ألفى فارس نحو الكوفة فاضاف اليهم سرايا ابن منيع الخفاجى وكان قد قال للسلطان أرسل معى هذه العدة حتى أمضى الى الكوفة وأمنع البساسيرى من الاصعاد الى الشام وسار السلطان طغرلبك فى أثرهم فلم يشعر دبيس بن مزيد والبساسيرى الا والسرية قد وصلت اليهم ثامن ذى الحجة من طريق الكوفة بعد ان نهبوها وأخذ نور الدولة دبيس رحله جميعه وأحدره الى البطيحة وجعل أصحاب نور الدولة دبيس يرحلون باهليهم فيتبعهم الاتراك فتقدم نور الدولة ليرد العرب الى القتال فلم يرجعوا فمضى ووقف البساسيرى فى جماعته وحمل عليه الجيش فاسر من أصحابه أبو الفتح ابن ورام وأسر منصور وبدران وحماد بنو نور الدولة دبيس وضرب فرس البساسيرى بنشابة وأراد قطع تجفافه لتسهل عليه النجاة فلم ينقطع وسقط عن الفرس ووقع فى وجهه ضربة ودل عليه بعض الجرحى فاخذه كمشتكين دواتى عميد الملك الكندرى وقتله وحمل رأسه الى السلطان ودخل الجند فى الظعن فساقوه جميعه وأخذت أموال أهل بغداد وأموال البساسيرى مع نسائه وأولاده وهلك من الناس الخلق العظيم وأمر السلطان بحمل رأس البساسيرى الى دار الخلافة فحمل اليها فوصل منتصف ذى الحجة سنة احدى وخمسين فنظف وغسل وجعل على قناة وطيف به وصلب قبالة باب النوبى وكان فى أسر البساسيرى جماعة من النساء

(قال المسعودى) وفى هذه السنة سنة خمس وخمسين ومائتين وقيل سنة ست وخمسين ومائتين كانت وفاة عمرو بن بحر الجاحظ بالبصرة فى المحرم ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتبا منه مع قوله بالعثمانية وقد كان أبو الحسن المدائنى كثير الكتب الا ان أبا الحسن المدائنى كان يؤدى ما سمع وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلو صدأ الاذهان وتكشف واضح البرهان لانه نظمها أحسن نظم ووصفها أحسن وصف وكساها من كلامه أجزل لفظ وكان اذا تخوف ملال القارئ وسآمة السامع خرج من جد الى هزل ومن حكمة بليغة الى نادرة ظريفة وله كتب حسان منها كتاب البيان والتبيين وهو أشرفها لانه جمع فيه بين المنثور والمنظوم وغرر الاشعار ومستحسن الاخبار وبليغ الخطب ما لو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به وكتاب الحيوان وكتاب الطفيليين والبخلاء وسائر كتبه فى نهاية الكمال ما لم يقصد منها الى نصب ولا الى دفع حق ولا يعلم ممن سلف وخلف من المعتزلة أفصح منه وكان غلام ابراهيم بن يسار النظام وعنه أخذ ومنه تعلم (وحدث يموت بن المزرع) وكان الجاحظ خاله قال دخل الى خالى أناس من البصرة من أصدقائه فى العلة التى مات فيها فسألوه عن حاله فقال عليل من مكانين من الاسقام والدين ثم قال أنا فى هذه العلل المتناقضة التى يتخوف من بعضها التلف وأعظمها نيف وسبعون سنة يعنى عمره قال يموت ابن المزرع وكان يطلى نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما شعر به من خدره وبرده قال ابن المزرع وسمعته يقول رأيت رجلا يروح ويغدو فى حوائج الناس فقلت له قد أتعبت بذلك بدنك وأخلقت ثيابك وأعجفت برذونك وقتلت غلامك فالك راحة ولا قرار فلو اقتصدت بعض الاقتصاد قال سمعت تغريد الاطيار فاطربت طربى انغمة شاكر أوليته معروفا أو سعيت له فى حاجة وكان يموت لا يعود مريضا خوفا من أن يتطير باسمه وله أخبار حسان وأشعار جياد وقد كان سكن طبرية من بلاد الاردن من الشأم فمات بها وذلك بعد الثلثمائة وكان من أهل العلم والنظر والمعرفة والجدل وله ولد يقال له مهلهل بن يموت بن المزرع

المتعقات بدار الخلافة فأخذن وأكرمن وحملن الى بغداد ومضى نور الدولة دبيس الى البطيحة ومعه زعيم الملك أبو الحسن عبد الرحيم وكان من حق هذه الحوادث المتأخرة ان تذكر سنة احدى وخمسين وانما ذكرناها ههنا لانها كالحادثة الواحدة ليتلو بعضها بعضا وكان البساسيرى مملوكا تركيا من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة تقلبت به الامور حتى بلغ هذا المقام المشهور واسمه ارسلان وكنيته أبو الحرث وهو منسوب الى بسا مدينة بفارس والعرب تجعل عوض الباء فاء فتقول فسا والنسبة اليها فساوى ومنها أبو على الفارسى النحوى وكان سيد هذا المملوك أولا من بسا فقيل له البساسيرى لذلك وجعل العرب الباء فاء فقيل فساسيرى

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة أقر السلطان طغرلبك مملان بن وهسوذان بن مملان على ولاية أبيه باذربيجان وفيها مات شهاب الدولة أبو الفوارس منصور بن الحسين الاسدى صاحب الجزيرة عند خوزستان واجتمعت عشيرته على ولده صدقة وفيها توفى الملك الرحيم آخر ملوك بنى بويه بقلعة الرى وكان طغرلبك سجنه أولا بقلعة السيروان ثم نقله الى قلعة الرى فتوفى بها وفيها عصى أبو على بن أبى الجبر بالبطائح وكان متقدم بعض نواحيها فارسل اليه طغرلبك جيشا مع عميد العراق أبى نصر فهزمهم أبو على وفيها يوم النوروز أرسل السلطان مع وزيره عميد الملك الى الخليفة عشرة آلاف دينار سوى ما أضيف اليها من الاعلاق النفيسة وفيها فى صفر توفى أبو الفتح بن شيطا القارى الشاهد وكانت شهادته سنة خمس وأربعين وأربعمائة وفيها فى شهر ربيع الاول توفى القاضى أبو الطيب الطبرى الفقيه الشافعى وله مائة سنة وسنتان وكان صحيح السمع والبصر سليم الاعضاء يناظر ويفتى ويستدرك على الفقهاء وحضر عميد الملك جنازته ودفن عند قبر أحمد وله شعر حسن وفى سلخه توفى قاضى القضاة أبو الحسين على بن محمد بن حبيب الماوردى الفقيه الشافعى وكان اماما وله تصانيف كثيرة منها الحاوى وغيره فى علوم كثيرة وكان عمره سنا

وثمانين سنة وفى آخر هذه السنة توفى أبو عبد الله الحسين بن على الرفا الضرير الفرضى
وكان اماما فقيها على مذهب الشافعى وفيها فى شوال كانت زلزلة عظيمة بالعراق والموصل
ووصلت الى همذان وابنت ساعة فخربت كثيرا من الدور وهلك فيها الجم الغفير
وفيها توفى أبو محمد عبد الله بن على بن عياض المعروف بابن أبى عقيل
وكان قد سمع الكثير من الحديث ورواه وتوفى أيضا
القاضى أبو الحسن على بن هندى قاضى
حمص وكان وافر العلم
والادب

﴿تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر وأوله ثم دخلت
سنة احدى وخمسين وأربعمائة﴾

وهو شاعر مجيد من شعراء هذا
الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة وفيه يقول أبوه يموت بن
المزرع

مواهل قد حلبت شطور دهر
فكافحنى بها الزمن العنوت
وجاريت الرجال بكل ربع
فادعت الحبالة والذموت
فأوجع ما أجن عليه قلبى
كريم عضه زمن عنوت
كفى حزنا بغيبة ذى وداع
وابقاه العتيد لها النحوت
وقد أسهرت عينى بعد غمض
مخافة أن يضيع اذا فنيت
وفى لطف المهيمن لى عزاء
بمثلك ان فنيت وان بقيت
وان يشتد عظمك بعد موتى
فلا تقطعك جائحة سبوت
وقل بالعلم كان أبى جوادا
يقال ومن أبوك فقل يموت
تقر لك الاباعد والادانى
بعلم ليس يجحده البهوت

ولمهندى أخبار حسان قد أتينا
على ذكرها فيما سلف من كتبنا والله
ولى التوفيق

﴿الجزء العاشر﴾
من تاريخ الكامل
للعلامة ابن الاثير
الجزري

﴿فهرسة الجزء العاشر من تاريخ الكامل لابن الأثير﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)

(فهرسة تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى الذى بهامش هذا الجزء)

(الجزء العاشر)

من تاريخ الكامل للعلامة أبى الحسن على بن
أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن
الاثير الجزرى الملقب بعز
الدين رحمه الله
آمين

(وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر)
(للامام أبى الحسن على بن الحسين المسعودى رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة احدى وخمسين وأربعمائة

﴿ذكر وفاة فرخزاد صاحب غزنة وملك أخيه ابراهيم﴾

فى هذه السنة فى صفر توفى الملك فرخزاد بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان قد ثار به مماليكه سنة خمسين واتفقوا على قتله فقصدوه وهو فى الحمام وكان معه سيف فأخذه وقاتلهم ومنعهم عن نفسه حتى أدركه أصحابه وخاصوه وقتلوا أولئك الغلمان وصار بعد أن نجا من هذه الحادثة يكثر ذكر الموت ويحتقر الدنيا ويزدريها وبقى كذلك الى هذه السنة فأصابه قولنج فمات منه وملك بعده أخوه ابراهيم بن مسعود بن محمود فأحسن السيرة فاستعد لجهاد الهند ففتح حصونا امتنعت على أبيه وجده وكان يصوم رجبا وشعبان ورمضان

﴿ذكر الصلح بين الملك ابراهيم وجغرى بك داود﴾

فى هذه السنة استقر الصلح بين الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وبين داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان على ان يكون كل واحد منهما على ما بيده ويترك منازعة الآخر فى ملكه وكان سبب ذلك ان العقلاء من الجانبين نظروا فرأوا ان كل واحد من الملكين لا يقدر على أخذ ما بيد الآخر وليس يحصل غير انفاق الاموال واتعاب العساكر ونهب البلاد وقتل النفوس فسعوا فى الصلح فوقع الاتفاق واليمين وكتبت النسخ بذلك فاستبشر الناس وسرهم لما أشرفوا عليه من العافية

﴿ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب ارسلان﴾

فى هذه السنة فى رجب توفى جغرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق أخو السلطان طغرلبك وقيل كان موته فى صفر سنة اثنتين وخمسين وعمره نحو سبعين سنة وكان صاحب خراسان وهو مقابل آل سبكتكين ومقاتلهم ومانعهم عن خراسان فلما توفى ملك بعده خراسان ابنه السلطان ألب ارسلان وخلف داود عدة أولاد ذكور منهم السلطان ألب ارسلان وياقوتى وسليمان

﴿ذكر خلافة المعتمد على الله﴾

وبويع المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وعشرين سنة ويكنى أبا العباس وأمه أم ولد كوفية يقال لها فتيان ومات فى رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وهو ابن ثمان وأربعين سنة فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

ولما أفضت الخلافة الى المعتمد على الله استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان ثم استوزر الحسن بن مخلد ثم صارت الوزارة الى سليمان بن وهب ثم صارت الى صاعد وخلع المعتمد على أخيه أبى أحمد الموفق وعلى مفلح يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة ثمان وخمسين ومائتين وأشخصهما الى البصرة لمحاربة صاحب الزنج فأوقع مفلح التركى بصاحب الزنج يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين ومائتين فأصاب مفلحا سهم فى صدغه فأصبح يوم الاربعاء ميتا وحمل الى سامرا فدفن بها وانصرف أبو أحمد

وقاروت بك فتزوج أم سليمان السلطان طغرلبك بعد أخيه داود ووصى له بالملك بعده وكان من أمره ما نذكره وكان خيرا عادلا حسن السيرة معترفا بنعمة الله تعالى عليه شاكرا عليها فمن ذلك انه أرسل الى أخيه طغرلبك مع عبد الصمد قاضى سرخس يقول له بلغنى اخرابك البلاد التى فتحتها وملكتها وجلاء أهلها عنها وهذا ما لا خفاء به فى مخالفة أمر الله تعالى فى عباده وبلاده وأنت تعلم ما فيه من سوء السمعة وايحاش الرعية وقد علمت اننا لقينا أعداءنا ونحن فى ثلاثين رجلا وهم فى ثلثمائة فغلبناهم وكنا فى ثلثمائة وهم فى ثلاثة آلاف فغلبناهم وكنا فى ثلاثة آلاف وهم فى ثلاثين ألفا فهزمناهم وقاتلنا بالامس شاه ملك وهو فى اعداد كثيرة متوافرة فقهرناه وأخذنا مملكته بخوارزم وهرب من بين أيدينا الى خمسمائة فرسخ من موضعه فظفرنا به وأسرناه وقتلناه واستولينا على ممالك خراسان وطبرستان وسجستان وصرنا ملوكا متبوعين بعد ان كنا أصاغر تابعين وما تقتضى نعم الله علينا ان نقابلها بهذه المقابلة فقال طغرلبك قل له فى الجواب يا أخى أنت ملكت خراسان وهى بلاد عامرة فخربتها ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها وأنا وردت بلادا خربها من تقدمنى واجتاحها من كان قبلى فما أتمكن من عمارتها والاعداء محيطة بها والضرورة تقود الى طرقها بالعساكر ولا يمكن دفع مضرتها عنها وله مناقب كثيرة تركناها خوف التطويل

﴿ذكر حريق بغداد﴾

فى هذه السنة احترقت بغداد الكرخ وغيره وبين السورين واحترقت فيه خزانة الكتب التى وقفها اردشير الوزير ونهبت بعض كتبها وجاء عميد الملك الكندرى فاختار من الكتب خيرها وكان بها عشرة آلاف مجلد وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم منها مائة مصحف بخطوط بنى مقلة وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق فأزالهم عميد الملك وقعد يختارها فنسب ذلك الى سوء سيرته وفساد اختياره وشتان بين فعله وفعل نظام الملك الذى عمر المدارس ودون العلم فى بلاد الاسلام جميعها ووقف الكتب وغيرها

﴿ذكر انحدار السلطان الى واسط وما فعل العسكر واصلاح دبيس﴾

فى هذه السنة انحدر السلطان طغرلبك الى واسط بعد فراغه من أمر بغداد فرآها قد نهبت وحضر عنده هزارسب بن بنكير وأصلح معه حال دبيس بن مزيد وأحضره معه الى خدمة السلطان وأصعد فى صحبته الى بغداد وكذلك صدقة بن منصور بن الحسين وضمن واسطا أبو على بن فضلان بمائتى ألف دينار وضمن البصرة الاغر أبو سعد سابور بن المظفر وعبر السلطان الى الجانب الشرقى من دجلة وسار الى قرب البطائح فنهب العسكر ما بين واسط والبصرة والاهواز واصعد السلطان الى بغداد فى صفر سنة اثنتين وخمسين ومعه أبو الفتح بن ورام وهزارسب بن بنكير بن عياض ودبيس بن مزيد وأبو على بن الملك أبى كاليجار وصدقة بن منصور بن الحسين وغيرهم واجتمع السلطان بالخليفة وأمر الخليفة بعمل طعام كثير حضره السلطان والامراء وأصحابهم وعمل السلطان أيضا سماطا احضر فيه الجماعة وخلع عليهم وسار الى بلاد الجبل فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وجعل ببغداد شحنة الامير برسق وضمنها أبو الفتح المظفر بن الحسين ثلاث سنين بأربعمائة ألف دينار

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عزل أبو الحسين بن المهتدى من الخطابة بجامع المنصور لانه خطب للعلوى ببغداد

عن محاربة صاحب الزنج وفى سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام فى خلافة المعتمد وهو ابن تسع وعشرين سنة وهو أبو المهدى المنتظر والامام الثانى عشر عند القطيعة من الامامية وهم جمهور الشيعة وقد تنازع هؤلاء فى المنتظر من آل النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاة الحسن بن على عشرين فرقة وقد ذكرنا حجاج كل طائفة منهم لما أحبته نفسها واختارته لمذهبها فى كتابنا المترجم بسر الحياة وفى كتاب المقالات فى أصول الديانات وما ذهبوا اليه من الغيبة وغير ذلك (وقد كان المهتدى) سير بقبيحة أم المعتز وعبد الله بن المعتز واسمعيل بن المتوكل وطلحة ابن المتوكل وعبد الوهاب ابن المنتصر الى مكة فلما أفضت الخلافة الى المعتمد بعث بحماهم الى سامرا وفى سنة اثنتين وستين ومائتين كان مسير يعقوب ابن الليث الصفار نحو العراق فى جيوش عظيمة فلما نزل دير العاقول على شاطئ دجلة بين واسط وبغداد وقد أتينا فى كتابنا فى أخبار الزمان على بدء خبر يعقوب بن الليث ببلاد سجستان وكونه فى حال صغره صفارا وخروجه

مع مطوعة سجستان الى حرب الشراة واتصاله برهرم بن نصر وخبر شاروق مدينة الشراة ثم الى بلاد سجستان

في الفتنة وأقيم مقامه بها الشرف أبو علي الحسن بن عبد الودود بن المهتدي بالله وفيها توفي علي بن محمود بن ابراهيم الزوزني أبو الحسن صحب أبا الحسن الحصري وروى عن أبي عبد الرحمن السلمي وهو الذي نسب اليه رباط الزوزني المقابل لجامع المنصور وفيها في جمادى الاولى توفي محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن علي أبو طالب العشاري ومولده في المحرم سنة ست وستين وثلثمائة وسمع الدارقطني وغيره

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عود ولي العهد الى بغداد مع أبي الغنائم بن المحلبان﴾

في جمادى الآخرة ورد عدة الدين أبو القاسم المقتدي بأمر الله ولي العهد ومعه جدته أم الخليفة وخرج الناس لاستقباله وجلس في الزبزب وعلى رأسه أبو الغنائم بن المحلبان وقدم له بباب الغربة فرس فحمله ابن المحلبان على كتفه وأركبه وسلمه الى مجلس الخليفة فشكره وخرج ابن المحلبان فركب في الزبزب وانحدر الى دار افردت له بباب المراتب ودخل الى الخليفة واجتمع به وكان سبب مسير ولي العهد مع ابن المحلبان انه دخل داره فوجد زوجة رئيس الرؤساء وأولاده بها وهم مطلوبون من البساسيري فعرفوه ان رئيس الرؤساء أمرهم بقصده فادخلهم الى أهله وأقام لهم من حماهم الى ميافارقين فسار وامع قراوش لما أصعد من بغداد ولم يعلم بهم ثم لقيه أبو الفضل محمد ابن عامر الوكيل وعرفه ما عليه ولي العهد ومن معه من ايثار الخروج من بغداد وما هم عليه من تناقص الحال فبعث ابن المحلبان زوجته فاتته بهم سرا فتركهم عنده ثمانية أشهر وكان يحضر ابن البساسيري وأصحابه ويعمل لهم الدعوات وولي العهد ومن معه مستترون عنده يسمعون ما يقول أولئك فيهم ثم اكترى لهم وسار هو في صحبتهم الى قرب سنجار ثم حملوا الى حران وسار مع صاحبها ابي الزمام منيع بن وثاب النميري حين قصد الرحبة وفتح قرقيسيا وعقد لعدة الدين على بنت منيع وانحدروا الى بغداد

﴿ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب﴾

في هذه السنة في جمادى الآخرة حصر محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس الكلابي مدينة حلب وضيق عليها واجتمع مع جمع كثير من العرب فاقام عليها فلم يتسهل له فتحها فرحل عنها ثم عاودها فحصرها فملك المدينة عنوة في جمادى الآخرة بعد ان حصرها وامتنعت القلعة عليه وأرسل من بها الى المستنصر بالله صاحب مصر ودمشق يستنجدونه فأمر ناصر الدولة أبا محمد الحسين بن الحسن بن حمدان الامير بدمشق ان يسير بمن عنده من العساكر الى حلب يمنعها من محمود فسار الى حلب فلما سمع محمود بقربه منه خرج من حلب ودخلها عسكر ناصر الدولة فنهبوها ثم ان الحرب وقعت بين محمود وناصر الدولة بظاهر حلب واشتد القتال بينهم فانهزم ناصر الدولة وعاد منهزما الى مصر وملك محمود حلب وقتل عمه معز الدولة واستقام أمره بها وهذه الوقعة تعرف بوقعة الفنيدق وهي مشهورة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة خلع السلطان طغرلبك على محمود بن الاخرم الخفاجي وردت اليه امارة بني خفاجة وولاية الكوفة وسقي الفرات وضمن خواص السلطان هناك بأربعة آلاف دينار كل سنة وصرف عنها رجب بن منيع وفيها توفي أبو محمد النسوي صاحب الشرطة ببغداد وقد جاوز ثمانين سنة وفيها فسد بنو ورام بثق النهروانات وشرع العميد أبو الفتح في عمارة بثق الكرخ وفيها في

ذى

المعروفة باوق وترقي الامر بيعقوب الى أن كان من أمره ودخوله بلاد زباستان وهي بلاد فيروز بن كبك ابن زباستان وما كان من أمره مع زميل ملك السند على جسر نسط ودخوله بلاد هراة ثم بلخ واعماله الحيلة الى أن دخل بلاد نيسابور وقبضه على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ابن الحسين ثم دخوله الى بلاد طبرستان وموافعته الحسن بن زيد الحسيني مع ما قدمنا قبل وصفنا من خبر حمزة بن أدرك الخارجي وما كان من أمره في أيام عبد الله بن طاهر واليه تضاف الحمزية من الخوارج وانتهينا باخبار يعقوب بن الليث من بدئه الى غايته ووفاته ببلاد جنداسابور من كور الاهواز فلما نزل يعقوب ابن الليث دير العاقول خرج المعتمد فعسكر يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين في الموضع المعروف بالقائم بسامرا واستخلف ابنه المفوض ووصل المعتمد الى سيب بني كرمان يوم الخميس لخمس خلون من رجب من هذه السنة فواقع الصفار يوم الاحد

لتسع خلون من رجب من السنة في الموضع المعروف باضطربين السبت

ذي القعدة توفيت خاتون زوجة السلطان طغرلبك بزنجان فوجد عليها وجدا شديدا وحمل تابوتها الى الري فدفنت بها وفيها ثالث جمادى الآخرة انقض كوكب عظيم القدر عند طلوع الفجر من ناحية المغرب الى ناحية المشرق فطال لبثه وفيها جمع عطية بن صالح بن مرداس جمعا وحصر الرحبة وضيق على أهلها فملكها في صفر من هذه السنة وفيها توفيت والدة الخليفة القائم بأمر الله واسمها قطر الندى وقيل بدر الدجى وقيل علم وهي جارية أرمنية وفيها توفي محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن أبو علي المعروف بالجازري النهرواني وكان مكثرا من الرواية (الجازري بالجيم وبعد الالف زاي ثم راء) وفيها توفي باي أبو منصور الفقيه الجبلي بالباء الموحدة وبعد الالف ياء تحتها نقطتان ومحمد بن عبيد بن أحمد بن محمد أبو عمرو بن أبي الفضل الفقيه المالكي

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وزارة ابن دارست للخليفة﴾

لما عاد الخليفة الى بغداد استخدم أبا تراب الاثيري في الانهاء وحضور المراكب ولقبه حاجب الحجاب وكان قد خدمه بالحديثة وقرب منه فخاطب الشيخ أبو منصور بن يوسف في وزارة أبي الفتح منصور بن أحمد بن دارست وقال انه يخدم بغير اقطاع ويحمل مالا فأجيب الى ذلك فأحضر من الاهواز الى بغداد وخلع عليه خلعة الوزارة منتصف ربيع الآخر وجلس في منصبه ومدحه الشعراء فممن مدحه وهناه أبو الحسن الخباز بقصيدة منها

أمن الملك بالامين أبي الفتـ * ـح وصدت عن صفوه الاقذاء
دولة أصبحت وأنت ولي الر * أي فيها الدولة غراء

وهي طويلة وكان ابن دارست في أول أمره تاجر الملك أبي كاليجار

﴿ذكر موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم﴾

في هذه السنة توفي المعز بن باديس صاحب افريقية من مرض أصابه وهو ضعف الكبد وكانت مدة ملكه سبعا وأربعين سنة وكان عمره لما ملك احدى عشرة سنة وقيل ثماني سنين وستة أشهر وكان رقيق القلب خاشعا متجنبا لسفك الدماء الا في حد حليما يتجاوز عن الذنوب العظام حسن الصحبة مع عبيده وأصحابه مكرما لاهل العلم كثير العطاء لهم كريما وهب مرة مائة ألف دينار للمستنصر الزناتي وكان عنده وقد جاءه هذا المال فاستكثره فأمر به فافرغ بين يديه ثم وهبه له فقيل له لم أمرت باخراجه من أوعيته قال لئلا يقال لو رآه ما سمحت نفسه به وكان له شعر حسن وللمامات رثاه الشعراء فمنهم أبو الحسن بن رشيق فقال

لكل حي وان طال المدى هلك * لا عز مملكة يبقى ولا ملك
ولى المعز على اعقابه فرما * أو كاد ينهد من أركانه الفلك
مضى فقيدا وأبقى في خزائنه * هام الملوك وما أدراك ما ملكوا
ما كان الا حساما سله قدر * على الذين بغوا في الارض وانهمكوا
كانه لم يخض للموت بحر وغى * خضر البحار اذا قيست به برك
ولم يجد بقناطير مقنطرة * قد أرعيت باسمه ابريزها السكك
روح المعز وروح الشمس قد قبضا * فانظر باي ضياء يصعد الفلك

ولما توفي ملك بعده ابنه تميم وكان مولد تميم بالمنصورية التي هي مقره منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وولاه المهدية في صفر سنة خمس وأربعين فاقام بها الى ان وافاه أبوه المعز

ودير العاقول فهزم الصفار واستباح عسكره وأخذ من أصحابه نحو عشرة آلاف رأس من الدواب وذلك أنه فجر عليه النهر المعروف بالسبت فغشي الماء الصحراء وعلم الصفار أن الحيلة قد توجهت عليه وقد كان حمل على أصحاب السلطان في ذلك اليوم بضع عشرة حملة وغرق ابراهيم ابن سيما وقتل بيده خلقا كثيرا وطعن محمد ابن أوتامش التركي وكان يتوهم أنه خادم وقال لاصحابه ما رأيت في عسكرهم مثل هذا الخادم وقد كان الصفار في هذا اليوم قصد الميمنة وكان عليها موسى ابن بغا وقتل خلقا كثيرا من الناس منهم المغربي المعروف بالمبرقع ونجا الصفار بنفسه والخواص من أوليائه واتبعه جيش المعتمد وأهل القرى والسواد فغنم الاكثر من ماله وعدده واستنقذ محمد ابن طاهر بن عبد الله ابن طاهر وكان مقيدا كان أسره من نيسابور على ما قدمنا ومعه الحسن ابن قريش وأتى الموفق وكان في القلب محمد بن طاهر ففك قيوده وخلع عليه ورده الى مرتبته وقيل ان السبب كان في هزيمة الصفار في ذلك اليوم مع ما ذكرنا من فجر النهر وانتظام الخيول فيه أن بصيرا الديلمي مولى سعيد بن صالح الحاجب كان في الشذوات في بطن دجلة فوافى مؤخر عسكر

لما انتزح عن القيروان من العرب وقام بخدمة أبيه وأظهر من طاعته وبره ما بان به كذب ما كان ينسب اليه ولما استبد بالملك بعد أبيه سلك طريقه في حسن السيرة ومحبة أهل العلم الا انه كان أصحاب البلاد قد طمعوا بسبب العرب وزالت الهيبة والطاعة عنهم في أيام المعز فلما مات ازداد طمعهم وأظهر كثير منهم الخلاف فممن أظهر الخلاف القائد حمو بن مليك صاحب سفاقس واستعان بالعرب وقصد المهدية ليحاصرها فخرج اليه تميم وصافه فاقتتلوا فانهزم حمو وأصحابه وكثر القتل فيهم ومضى حمو ونجا بنفسه وتفرقت خيله ورجاله وكان ذلك سنة خمس وخمسين وسار تميم الى سوسة وكان أهلها قد خالفوا أباه المعز وعصوا عليه فملكها وعفا عن أهلها

﴿ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وامارة ابنه شرف الدولة﴾

في هذه السنة توفي قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين أصابه خروج الدم من فيه وأنفه وعينيه وأذنيه فحمله ابنه شرف الدولة الى نصيبين حتى حفظ خزائنه بها وتوفي هناك وسمع فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير حاله فسار من دارا الى نصيبين وجمع بني عقيل على أن يؤمروا ابنه أبا المكارم مسلم بن قريش عليهم وكان القائم بأمره جابر بن ناشب فزوجه فخر الدولة بأخت مسلم وزوج مسلما بابنة نصر بن منصور

﴿ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان﴾

في هذه السنة توفي نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر ولقبه القادر بالله نصر الدولة وكان عمره نيفا وثمانين سنة وامارته اثنتين وخمسين سنة واستولى على الامور ببلاده استيلاء تاما وعمر الثغور وضبطها وتنعم تنعما لم يسمع بمثله عن أحد من أهل زمانه وملك من الجواري المغنيات ما اشترى بعضهن بخمسة آلاف دينار وأكثر من ذلك وملك خمسمائة سرية سوى توابعهن وخمسمائة خادم وكان في مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتي ألف دينار وتزوج من بنات الملوك جملة وأرسل طباخين الى الديار المصرية وغرم على ارسالهم جملة وافرة حتى تعلموا الطبخ من هناك وأرسل الى السلطان طغرلبك هدايا عظيمة من جملتها الحبل الياقوت الذي كان لبني بويه اشتراه من الملك العزيز أبي منصور بن جلال الدولة وأرسل معه مائة ألف دينار سوى ذلك ووزر له أبو القاسم ابن المغربي وفخر الدولة بن جهير ورخصت الاسعار في أيامه وتظاهر الناس بالاموال ووفد اليه الشعراء وأقام عنده العلماء والزهاد وبلغه ان الطيور في الشتاء تخرج من الجبال الى القرى فتصاد فأمر أن يطرح لها الحب من الاهراء التي له فكانت في ضيافته طول عمره ولما مات اتفق وزيره فخر الدولة بن جهير وابنه نصر فرتب نصرا في الملك بعد أبيه وجرى بينه وبين أخيه سعيد حروب شديدة كان الظفر في آخرها لنصر فاستقر في الامارة بميافارقين وغيرها وملك أخوه سعيد آمد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في رجب خلع على الكامل أبي الفوارس طراد بن محمد الزينبي وقلد نقابة النقباء ولقب الكامل ذا الشرفين وفيها تولى شمس الدين أسامة بن أبي عبد الله بن علي نقابة العلويين ببغداد ولقب المرتضى وفيها في جمادى الاولى انكسفت الشمس جميعها فظهرت الكواكب وأظلمت الدنيا وسقطت الطيور الطائرة وفيها في شهر رمضان توفي شكر العلوي الحسيني أمير مكة وله شعر حسن فمنه

قوض خيامك عن أرض تضام بها * وجانب الذل ان الذل مجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة * فالمندل الرطب في أوطانه حطب

الصفار وسواده فخرج من الشذوات فطرح النار في الابل والبغال والخيول وكان في عسكره خمسة آلاف جمل بختي من حمر وغيرها فتفرقت الابل في العسكر وشردت البغال والخيل واضطرب الناس في مصاف الصفار لما سمعوه ورأوه في عسكره وسواده من ورائهم فكانت الهزيمة على الصفار بما ذكرنا ويقال ان يعقوب ابن الليث قال في سفرته هذه أبياتا وفي مسيره وأنه خرج منكرا على المعتمد ومن معه من الموالي أضاعتهم الدين واهمالهم أمر صاحب الزنج فقال

خراسان أحويها وأعمال فارس
وما أنا من ملك العراق بآيس
اذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت
ورثت فصارت كالرسوم الدوارس
خرجت بعون الله يمنا ونصرة
وصاحب رايات الهدى غير حارس

(وكانت وفاة الصفار) يوم الثلاثاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وستين ومائتين على ما ذكرنا بجنديسابور (وخلف في بيت ماله) خمسين ألف ألف درهم وثمانمائة ألف ألف دينار وخلفه أخوه عمرو بن الليث مكانه وكانت سياسة يعقوب بن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك من الامم الغابرة

وفيها

وفيها توفي أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى الشمشاطي بدمشق وكان عالما بالهندسة والرياضيات من علوم الفلاسفة واليه ينسب الرباط الذي عند جامع دمشق

﴿ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر نكاح السلطان طغرلبك ابنة الخليفة﴾

في هذه السنة عقد للسلطان طغرلبك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله وكانت الخطبة تقدمت سنة ثلاث وخمسين مع أبي سعد قاضي الري فانزعج الخليفة من ذلك وأرسل في الجواب أبا محمد التميمي وأمره ان يستعفي فان أعفي والا تمم الامر على ان يحمل السلطان ثلثمائة ألف دينار ويسلم واسطا وأعمالها فلما وصل الى السلطان ذكر لعميد الملك الوزير ما ورد فيه من الاستعفاء فقال لا يحسن ان يرد السلطان وقد سأل وتضرع ولا يجوز مقابلته أيضا بطلب الاموال والبلاد فهو يفعل أضعاف ما طلب منه فقال التميمي الامر لك ومهما فعلته فهو الصواب فبنى الوزير الامر على الاجابة وطالع به السلطان فسر به وجمع الناس وعرفهم ان همته سمت به الى الاتصال بهذه الجهة النبوية وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك وتقدم الى عميد الملك الوزير ان يسير ومعه ارسلان خاتون زوجة الخليفة وان يصحبها مائة ألف دينار برسم الحمل وما شاكلها من الجواهر وغيرها ووجه معه فرامرز بن كاكويه وغيره من وجوه الامراء واعيان الري فلما وصل الى الامام القائم بأمر الله وأوصل خاتون زوجة الخليفة الى دارها وأنهى حضوره وحضور من معه وذكر حال الوصلة فامتنع الخليفة من الاجابة اليها وقال ان أعفينا والا خرجنا من بغداد فقال عميد الملك كان الواجب الامتناع من غير اقتراح وعند الاجابة الى ما طلب فالامتناع سعي على دم وأخرج خيامه الى النهروان فاستوقفه قاضي القضاة والشيخ أبو منصور ابن يوسف وأنهيا الى الخليفة عاقبة انصرافه على هذا الوجه وصنع له ابن دارست وزير الخليفة دعوة بحضرة عنده فرأى على مسجد مكتوبا معاوية خال علي فأمر بحكه وكتب من الديوان الى خمارتكين الطغرائي كتابا يتضمن الشكوى من عميد الملك فورد الجواب عليه بالرفق وكتب الخليفة الى عميد الملك نحن نرد الامر الى رأيك ونعول على أمانتك ودينك فحضر يوما عند الخليفة ومعه جماعة من الامراء والحجاب والقضاة والشهود فأخذ المجلس لنفسه ولم يتكلم سواه وقال للخليفة أسأل مولانا أمير المؤمنين التطول بذكر ما شرف به العبد المخلص شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة فغالطه وقال قد سطر في المعنى ما فيه كفاية فانصرف عميد الملك مغيظا ورحل في السادس والعشرين من جمادى الآخرة وأخذ المال معه الى همذان وعرف السلطان ان السبب في اتفاق الحال من خمارتكين الطغرائي فتغير السلطان عليه فهرب في ستة غلمان وكتب السلطان الى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور بن يوسف يعتب ويقول هذا جزائي من الخليفة الذي قتلت أخي في خدمته وانفقت أموالي في نصرته وأهلكت خواصي في محبته وأطال العتاب وعاد الجواب اليه بالاعتذار وأما الطغرائي فانه أدرك ببروجرد فقال أولاد ابراهيم ينال للسلطان ان هذا قتل أبانا ونسأل ان نمكن من قتله وأعانهم عميد الملك فاذن لهم في قتله فساروا الى طريقه وقتلوه وجعل مكانه ساوتكين وبسط الكندري لسانه وطلب طغرلبك ابنة أخيه زوجة الخليفة لتعاد اليه وجرى ما كان يفضي الى الفساد الكلي فلما رأى الخليفة شدة الامر أذن في ذلك وكتب الوكالة باسم عميد الملك وسيرت الكتب مع أبي الغنائم بن المحلبان وكان العقد في شعبان سنة أربع وخمسين بظاهر تبريز وهذا ما لم يجر للخلفاء مثله فان بني بويه مع

من الفرس وغيرهم ممن سلف وخلف وحسن انقيادهم لامره واستقامتهم على طاعته لما كان قد عمهم من احسانه وغمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيبته فما ذكر من ظهور طاعتهم له انه كان بأرض فارس وقد أباح الناس أن يرتعوا ثم حدث أمر أراد النقلة والرحيل من تلك الكورة فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع وانه روي رجل من أصحابه قد أسرع الى دابته والحشيش في فيها فأخرجه من فيها مخافة أن تلوكه بعد سماعه النداء وأقبل على الدابة مخاطبا لها فقال بالفارسية أمير المؤمنين دوابرا أزتر بريدند وتفسير ذلك اقطعوا الدواب عن الرطبة وأنه روي في عسكره في ذلك الوقت رجل من قواده ذو مرتبة والدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه وبين بشرته فقيل له في ذلك فقال نادى منادي الامير البسوا السلاح وكنت أغتسل من جنابة فلم يسعني التشاغل بلبس الثياب عن السلاح وكان الرجل اذا أتاه راغبا في خدمته مؤثرا للانقطاع اليه تفرس فيه فاذا أعجبه منظره امتحن خبره واستبر ما عنده من رمي أو طعان أو غير ذلك من ثقافة فاذا رأى منه ما يعجبه سأل عن خبره وحاله ومن أين أقبل ومع من كان فاذا وافقه ما سمعه منه قال له اصدقني عما معك من المال والمتاع والسلاح

تحكمهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا فى مثل هذا ولا ساموهم فعله وحمل السلطان أموالا كثيرة وجواهر نفيسة للخليفة ولولى العهد وللجهة المطلوبة ولوالدتها وغيرهم وجعل بعقوبا وما كان بالعراق للخاتون زوجة السلطان التى توفيت للسيدة ابنة الخليفة

﴿ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جهير﴾

فى هذه السنة عزل أبو الفتح محمد بن المنصور بن دارست من وزارة الخليفة وسببه انه وصل معه انسان يهودى يقال له ابن علان فضمن أعمال الوكلاء التى لخاص الخليفة بستة آلاف كر غلة ومائة ألف دينار فصح منها الفا كر وثلاثون ألف دينار وانكسر الباقى فظهر عجز ابن دارست ووهنه فعزل وعاد الى الاهواز فتوفى بها سنة سبع وستين وكان فخر الدولة أبو نصر بن جهير وزير نصر الدولة بن مروان قد أرسل يخطب الوزارة وبذل فيها بذولا كثيرة فأجيب اليها وأرسل كامل طراد الزينبى الى ميافارقين كأنه رسول فلما عاد سار معه ابن جهير كالمودع له فتمم السير معه وخرج ابن مروان فى أثره فلم يدركه فلما وصل الى بغداد خرج الناس الى استقباله وخلع عليه خلع الوزارة يوم عرفة ولقب فخر الدولة واستقر فى الوزارة ومدحه وهناه ابن الفضل وغيره من الشعراء

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عم الرخص جميع الاصقاع فبيع بالبصرة ألف رطل من التمر بثمانية قراريط وفيها توفى القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى بمصر وفيها سار السلطان طغرلبك الى قلعة الطرم من بلاد الديلم وقرر على مسافر ملكها مائة ألف دينار وألف ثوب وفيها مات أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب معز الدولة بحلب وقام أخوه عطية مقامه وتوفى الحسن ابن على بن محمد أبو محمد الجوهرى ومولده سنة ثلاث وستين وثلثمائة وكان من الائمة المكثرين من سماع الحديث وروايته وهو آخر من حدث عن أبى بكر القطيعى والابهرى وابن شاذان وغيرهم

﴿ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة﴾

فى هذه السنة فى المحرم توجه السلطان طغرلبك من ارمينية الى بغداد وأراد الخليفة ان يستقبله فاستعفاه من ذلك وخرج الوزير ابن جهير فاستقبله وكان مع السلطان من الامراء أبو على بن الملك أبى كاليجار وسرخاب بن بدر وهزارسب وأبو منصور فرامرز بن كاكويه فنزل عسكره فى الجانب الغربى فزادبهم أذى ووصل عميد الملك الى الخليفة وطالب بالجهة وبات بالدار وقيل له خطك موجود بالشرط وان المقصود بهذه الوصلة الشرف لا الاجتماع وانه ان كانت مشاهدة فتكون فى دار الخلافة فقال السلطان نفعل هذا ولكن نفرد له من الدور والمساكن ما يكفيه ومعه خواصه وحجابه ومماليكه فانه لا يمكنه مفارقتهم فحينئذ نقلت الى دار المملكة فى منتصف صفر فجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان اليها وقبل الارض وخدمها ولم تكشف الخمار عن وجهها ولا قامت هى له وحمل لها شيأ كثيرا من الجواهر وغيرها وبقى كذلك يحضر كل يوم يخدم وينصرف وخلع على عميد الملك وعمل السماط عدة أيام وخلع على جميع الامراء وظهر عليه سرور عظيم وعقد ضمان بغداد على أبى سعيد القاينى بمائة وخمسين ألف دينار فاعاد ما كان أطلقه رئيس العراقين من المواريث والمكوس وقبض على الاعرابى سعد ضامن البصرة وعقد ضمان واسط على أبى جعفر بن صقالب بمائتى ألف دينار

أناسا قد رتبوا لذلك فيبيعون جميع ذلك ويبتاعونه عينا أو ورقا ويدفع اليه فيقف على جميع ما معه ثم يبعث ويثبت فى الديوان ثم يزاح علله فى اللباس والسلاح والمأكل والمشرب والدواب والبغال والحمير من اصطبله حتى لا يفتقد الرجل جميع ما يحتاج اليه من أمره على قدر مكانه ومرتبته فان نقم عليه بعد ذلك مذهبه ولم يرض اختياره سلبه جميع ما أنعم به عليه حتى يخرج من عسكره نحو ما دخل اليه محتملا لما معه من ذلك العين والورق الا أن يكون ذلك الرجل معتضدا فيصير له فضل من أرزاقه فلا يمنعه ما كان له من متقدم ماله وكان جميع دوابه ملكا له وان اعلافها من قبله ولها سياسة ووكلاء يقومون بأمرها الا خصوص دوابهم التى تكون عندهم الآن ملكها له واتخذ لنفسه عريشا من خشب يشبه السرير حيثما توجه من مسيره فيكثر الجلوس عليه ويشرف منه على أهل عسكره وعلى قضيم دوابه ويوم من الخلل من وكلائه فاذا رأى شيأ يكرهه بادر بتغييره وقد كان انتخب من أصحابه ألف رجل على اختيار لهم والغنى الظاهر منهم والنكاية فى حروبهم فجعلهم أصحاب الاعمدة الذهب كل عمود منها فيه ألف مثقال من الذهب ثم يليهم فى اللباس والغنى فوج ثانى أصحاب الاعمدة الفضة فاذا كان

(ذكر

﴿ذكر وفاة السلطان طغرلبك﴾

فى هذه السنة سار السلطان من بغداد فى ربيع الاول الى بلد الجبل فوصل الى الرى واستصحب معه ارسلان خاتون ابنة أخيه زوجة الخليفة لانها شكت اطراح الخليفة لها فاخذها معه فمرض وتوفى يوم الجمعة ثامن شهر رمضان وكان عمره سبعين سنة تقريبا وكان عقيما لم يولد وكان وزيره الكندرى على سبعين فرسخا فاتاه الخبر فسار ووصل اليه فى يومين وهو بعد لم يدفن فدفنه وجلس له الوزير فخر الدولة بن جهير ببغداد للعزاء وحكى عنه الكندرى أنه قال رأيت وانا بخراسان فى المنام كأننى رفعت الى السماء وانا فى ضباب لا ابصر معه شيأ غير أنى اشم رائحة طيبة واننى انادى انك قريب من البارى جلت قدرته فاسأل حاجتك لتقضى فقلت فى نفسى اسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب ما يكفينى فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب لا يكفينى فقيل لك سبعون سنة فلما مات حسب عميد الملك عمره على التقريب فكان سبعين سنة وكانت مملكته بحضرة الخلافة سبع سنين وأحد عشر شهرا واثنى عشر يوما واما الاحوال بالعراق بعد وفاته فانه كتب من ديوان الخلافة الى شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل الى نور الدولة دبيس بن مزيد والى هزارسب والى بنى ورام والى بدر بن المهلهل بالاستدعاء الى بغداد وأرسل لشرف الدولة تشريفا وعمل أبو سعد القاينى ضامن بغداد سورا على قصر عيسى وجمع الغلات فانحدر ابراهيم بن شرف الدولة الى أوانا وتسلم أصحابه الانبار وانتشرت البادية فى البلاد وقطعوا الطرقات وقدم الى بغداد دبيس بن مزيد وخرج الوزير ابن جهير لاستقباله وقدم أيضا ورام وتوفى ببغداد أبو الفتح ابن ورام مقدم الاكراد الجاوانية فحمل الى جرجرايا وفارق شرف الدولة مسلم بغداد ونهب النواحى فسار نور الدولة والاكراد وبنو خفاجة الى قتاله ثم أرسل اليه من ديوان الخلافة رسول معه خلعة له وكوتب بالرضا عنه وانحدر اليه نور الدولة دبيس فعمل له شرف الدولة سماطا كثيرا وكان فى الجماعة الاشرف أبو الحسين بن فخر الملك أبى غالب بن خلف كان قصد شرف الدولة مستنجدا بالفراغ لقمة فمات من ساعته وحكى عنه بعض من صحبه انه سمعه ذلك اليوم يقول اللهم اقبضنى فقد ضجرت من الاضافة فلما توفى ورفع من السماط خاف شرف الدولة أن يظن من حضر انه تناول طعاما سموما قصد به غيره فقال يا معشر العرب لا يبرح منكم أحد ونهض وجلس مكان ابن فخر الملك المتوفى وجعل يأكل من الطعام الذى بين يديه فاستحسن الجماعة فعله وعادوا عنه وخلع على دبيس وولده منصور وعاد الى حلته ولما رأى الناس ببغداد انتشار الاعراب فى البلاد ونهبها حملوا السلاح لقتالهم وكان ذلك سببا لكثرة العيارين وانتشار المفسدين

﴿ذكر شىء من سيرته﴾

كان عاقلا حليما من اشد الناس احتمالا واكثرهم كتمانا لسره ظفر بملطفات كتبها بعض خواصه الى الملك أبى كاليجار فلم يطلعه على ذلك ولا تغير عليه حتى أظهره بعد مدة طويلة لغيره وحكى عنه اقضى القضاة الماوردى قال لما أرسلنى القائم بامر الله اليه سنة ثلاث وثلاثين كتبت كتابا الى بغداد اذكر فيه سيرته وخراب بلاده والطعن عليه بكل وجه فوقع الكتاب من غلامى فحمل اليه فوقف عليه وكتمه ولم يحدثنى فيه بشىء ولا تغير عما كان عليه من اكرامى وكان رحمه الله محافظا على الصلوات ويصوم الاثنين والخميس وكان لبسه الثياب البياض وكان ظالما غشوما قاسيا وكان عسكره يغصبون الناس أموالهم وايديهم مطلقة فى ذلك نهارا وليلا وكان كريما فمن كرمه ان أخاه ابراهيم ينال أسر من الروم لما غزاهم بعض ملوكهم فبذل فى نفسه

فى الاعياد أو فى الايام التى يحتاج فيها الى مباهاة الاعداء والاحتفال دفع اليهم تلك الاعمدة وانما ضربت هذه الاعمدة عدة للنوائب (وسئل بعض ثقاته) ممن ينظر حاله عن اشغاله فى خلواته وعن مجالسته مع أهل بطانته وهل يسير مع أحد أو يجالسه فذكر أنه لا يطلع أحدا على سره ولا يعرف أحدا بتدبيره وعزمه وأكثر نهاره خاليا بنفسه يفكر فيما يريده ويظهر غير ما يضمره ولا يشرك أحدا فيما يريده برأى ولا غيره وأن تفرجه واشتغاله بغلمان صغار يتخذهم ويؤدبهم ويخرجهم ويدعوهم ويدفع لهم ما قد عمله لهم من السيور يتضاربون بها بين يديه ففى هذا أكثر شغله اذا فرغ من تدبيره ولما واقع الصفار الحسن بن زيد الحسنى بطبرستان وذلك فى سنة ستين ومائتين وقيل سنة تسع وخمسين ومائتين وانكشف الحسن ابن زيد وأمعن يعقوب فى الطلب وكانت معه رسل السلطان قد قصدوه بكتب ورسالة من المعتمد وهم راجعون فى طلب الحسن بن زيد قال له بعضهم لما رأى من طاعة رجاله وما كان منهم فى تلك الحرب ما رأيت أيها الامير كاليوم قال له الصفار وأعجب منه ما أريك اياه ثم قربوا من الموضع الذى كان فيه عسكر الحسن بن زيد فوجدوا البدر فى

أربعمائة ألف دينار فلم يقبل ابراهيم منه وحمله الى طغرلبك فارسل ملك الروم الى نصر الدولة ابن مروان حتى خاطب طغرلبك فى فكاكه فلما سمع طغرلبك رسالته أرسل الرومى الى ابن مروان بغير فداء وسير معه رجلا علويا فانفذ ملك الروم الى طغرلبك مالم يحمل فى الزمان المتقدم وهو ألف ثوب ديباج وخمسمائة ثوب أصناف وخمسمائة رأس من الكراع الى غير ذلك وانفذ مائتى ألف دينار ومائة لبنة فضة وثلثمائة شهرى وثلثمائة حمار مصرية وألف عنز بيض الشعور سود العيون والقرون وانفذ الى ابن مروان عشرة أمناء مسكا وعمر ملك الروم الجامع الذى بناه مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية وعمر منارته وعلق فيه القناديل وجعل فى محرابه قوسا ونشابة وأشاع المهادنة

(ذكر ملك السلطان ألب ارسلان)

لما مات السلطان طغرلبك اجلس عميد الملك الكندرى فى السلطنة سليمان بن داود جغرى بك أخى السلطان طغرلبك وكان طغرلبك قد عهد اليه بالملك وكانت والدة سليمان عند طغرلبك فلما خطب له بالسلطنة اختلف الامراء فمضى باغى سيان وأردم الى قزوين وخطبا لعضد الدولة ألب ارسلان محمد بن داود جغرى بك وهو حينئذ صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون اليه فلما رأى عميد الملك الكندرى انعكاس الحال عليه أمر بالخطبة بالرى للسلطان ألب ارسلان وبعده لاخيه سليمان

(ذكر خروج حمو عن طاعة تميم بن المعز بافريقية)

فى هذه السنة خالف حمو بن مليك صاحب مدينة سفاقس بافريقية على الامير تميم بن المعز بن باديس فجمع أصحابه واستعان بالعرب وسار الى المهدية فسمع تميم الخبر فسار اليه بعساكره ومعه أيضا طائفة من العرب من زغبة ورياح ووصل حمو الى سلقطة والتقى الفريقان بها وكان بينهما حرب شديدة فانهزم حمو ومن معه وأخذتهم السيوف فقتل أكثر حماته وأصحابه ونجا بنفسه وتفرقت رجاله وعاد تميم مظفرا منصورا ثم قصد بعد هذه الحادثة مدينة سوسة وكان أهلها قد خالفوا عليه فملكها وعفا عنهم وحقن دماءهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى المحرم قبض بمصر على الوزير أبى الفرج بن المغربى وفيها دخل الصليحى صاحب اليمن الى مكة مالكا لها فاحسن السيرة فيها وجلب اليها الاقوات ورفع جور من تقدم وظهرت منه افعال جميلة وفيها فى ربيع الآخر انقض كوكب عظيم وكان له ضوء كثير وفيها فى شعبان كان بالشام زلزلة عظيمة خرب منها كثير من البلاد وانهدم سور طرابلس وفيها ملك أمير الجيوش بدر دمشق للمستنصر صاحب مصر فوصل اليها فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر وأقام بها واختلف هو والجند فثاروا به ووافقهم العامة فضعف عنهم ففارقها فى رجب سنة ست وخمسين وفيها توفى سعيد بن نصر الدولة بن مروان صاحب آمد من ديار بكر وزهير بن الحسين بن على أبو نصر الجذامى الفقيه الشافعى تفقه على أبى حامد الاسفراينى وسمع الحديث الكثير ورواه وكان موته بسرخس

(ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة)

(ذكر القبض على عميد الملك وقتله)

فى هذه السنة قبض السلطان ألب ارسلان على الوزير عميد الملك أبى نصر منصور بن محمد الكندرى وزير طغرلبك وسبب ذلك ان عميد الملك قصد خدمة نظام الملك وزير ألب ارسلان وقدم بين يديه خمسمائة دينار واعتذر وانصرف من عنده فسار أكثر الناس معه فخوف

والكراع والسلاح والعدد وجميع ما خلف فى العسكر حين الهزيمة على حاله لم يلتبس أحد من أصحابه منه بشىء ولا دنوا اليه معسكرين بالقرب منه من حيث يرونه بالموضع الذى خلفهم فيه الصفار فقال له الرسول هذه سياسة ورياضة راضهم الامير بها الى أن تأتى له منهم ما أراده وكان لا يجلس الا على قطعة مسح بشبه أن يكون طوله سبعة أشبار فى عرض ذراعين أو أرجح والى جانبه ترسه وعليه اتكاؤه وليس فى مضربه شىء غيره فاذا أراد أن ينام من ليله أو نهاره اضطجع على ترسه ونزع رايته فيجعلها مخدته وأكثر لباسه خفتان مصبوغ فاختى (وكان من سنته) للقواد والرؤساء والعظماء عنده مراتب فى الدخول بباب مضربه بحيث تقع عينه عليهم ويرى مداخلهم فيترون مع أطناب الشقاق الى خيمة مضروبة بحيث لا يرى هو موضعه لكنه يرى مداخلهم اليها ويخرجهم منها فمن احتاج اليه منهم واحتاج الى كلامه أو أمره أو نهيه دعاه فأمره وكان دخولهم بحيث يقع نظره عليهم عوضا من السلام عليه ولم يكن لاحد أن يتقدم الى باب مجلسه الا رجل من خواصه يعرف بالعزيز واخوته وله من وراء خيمته خيمة تقرب من أطناب مجلسه فيها غلمان من خواصه فاذا احتاج الى أمر السلطان

السلطان من غائلة ذلك فقبض عليه وأنفذه الى مرو الروذ وأتى عليه سنة فى الاعتقال ثم انفذ اليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم فقالا له تب مما أنت عليه ففعل ودخل فودع أهله وخرج الى مسجد هناك فصلى ركعتين وأراد الغلامان خنقه فقال لست بلص وخرق خرقة من طرف كمه وعصب عينيه فضربوه بالسيف وكان قتله فى ذى الحجة والف فى قميص دبيقى من ملابس الخليفة وخرقة كانت البردة التى عند الخلفاء فيها وحملت جثته الى كندر فدفن عند أبيه وكان عمره يوم قتل نيفا وأربعين سنة وكان سبب اتصاله بالسلطان طغرلبك ان السلطان لما ورد نيسابور طلب رجلا يكتب له ويكون فصيحا بالعربية فدل عليه الموفق والد أبى سهل واعطنا السعادة وكان فصيحا فاضلا وانتشر من شعره ما قاله فى غلام تركى صغير السن كان واقفا على رأسه يقطع بالسكين قصبة فقال عميد الملك فيه

أنا مشغول بحبه * وهو مشغول بلعبه لو أراد الله خيرا * وصلاحا لمحبه
نقلت رقة خديه * الى قسوة قلبه صانه الله فما أكثر * اعجابى بعجبه

ومن شعره

ان كان بالناس ضيق من مناقشتى * فالموت قد وسع الدنيا على الناس
مضيت والشامت المغبون يتبعنى * كل لكاس المنايا شارب حاسى

وقال أبو الحسن الباخرزى يخاطب ألب ارسلان عند قتل الكندرى

وعمك ادناه وأعلى محله * وبواه من ملكه كنفا رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده * فخوله الدنيا وخوله العقبى

وكان عميد الملك خصيا قد خصاه طغرلبك لانه أرسله يخطب عليه امرأة ليتزوجها فتزوجها هو وعصى عليه فظفر به وخصاه وأقره على خدمته وقيل بل اعداؤه أشاعوا عنه انه تزوجها فخصى نفسه ليخلص من سياسة السلطنة فقال فيه على بن الحسن الباخرزى

قالوا محا السلطان عنه بعزة * سمة الفحول وكان قرما صائلا
قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة * لما اغتدى عن أنثييه عاطلا
فالفحل يأنف ان يسمى بعضه * أنثى لذلك جذه مستاصلا

يعنى بالانثى واحدة الانثيين وكان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة فى الشافعى رضى الله تعالى عنه بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان فى لعن الرافضة على منابر خراسان فاذن فى ذلك فامر بلعنهم وأضاف اليهم الاشعرية فانف من ذلك أئمة خراسان منهم الامام أبو القاسم القشيرى والامام أبو المعالى الجوينى وغيرهما ففارقوا خراسان وأقام امام الحرمين بمكة أربع سنين الى ان انقضت دولته يدرس ويفتى فلهذا لقب امام الحرمين فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن اليهم وقيل انه تاب من الوقيعة فى الشافعى فان صح فقد أفلح والا فعلى نفسها براقش تجنى ومن العجب ان ذكره دفن بخوارزم لما خصى ودمه مسفوح بمرو وجسده مدفون بكندر ورأسه ما عدا القحف مدفون بنيسابور ونقل قحفه الى كرمان لان نظام الملك كان هناك فاعتبروا يا أولى الابصار ولما قرب للقتل قال للقاصد اليه قل لنظام الملك بئسما عودت الاتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر قليبا وقع فيه ولم يخلف عميد الملك غير بنت

(ذكر ملك ألب ارسلان ختلان وهراة وصغانيان)

لما توفى طغرلبك وملك ألب أرسلان عصى عليه أمير ختلان بقلعته ومنع الخراج فقصده

يأمر به صاح بهم فخرجوا اليه والا فهو فى أكثر نهاره وليله فى ذلك الموضع لا يقومون على رأسه وخيمته من داخل أخبية مطنبة كلها يدور فيها خمسمائة غلام يبيتون من داخل مضربه على كل نفس منهم ثقة قد وكل بتفقد أحواله لئلا يكون منهم عبث أو فساد فهو المأخوذ به ويذبح له فى كل يوم عشرون شاة فتطبخ فى خمس قدور من الصفر الكبار وله قدور حجارة يتخذ له فيها بعض ما يشتهيه وله اوزة فى كل يوم وخبيصة وفالوذج مع القدور الخمس وهى ألوان غليظة فيأكل منها ويفرق الباقى فى الغلمان الذين فى داخل مضربه ثم أهل عسكره حول مضربه وقربهم منه على حسب مراتبهم عنده (وقال بعض من ورد اليه) برسالة السلطان أيها الامير أنت فى رياستك ومجلسك ليس فى خيمتك الاسلاحك وصح أنت عليه قال ان رئيس القوم يأتم به أصحابه فى أفعاله وسيرته فلو استعملت ما ذكرت من الاثاث لاثقلنا البهائم ولائتم بى فى فعلى من فى عسكرى ونحن نقطع فى كل يوم المهامه والمفاوز والاودية والقيعان ولا يصلح لنا الا التخفيف وكان قليل الاستعمال للبغال فى عسكره وكان فى عسكره خمسة آلاف جمل بخت وأضعاف عددها حمير شهب كالبغال وهى الحمير المعروفة بالصفارية تحمل الاثقال عوضا من البغال

السلطان فرأى الحصن منيعا على شاهق فاقام عليه وقاتله فلم يصل منه الى مراده ففي بعض الايام باشر ألب أرسلان القتال بنفسه وترجل وصعد في الجبل فتبعه الخلق وتقدموا عليه في الموقف وألحوا في الزحف والقتال وكان صاحب القلعة على شرافة من سورها يحرض الناس على القتال فاتته نشابة من العسكر فقتلته وتسلم ألب أرسلان القلعة وصارت في جملة ممالكه وكان عمه فخر الملك بيغو بن ميكائيل في هراة فعصى أيضا عليه وطمع في الملك لنفسه فسار اليه ألب أرسلان في العساكر العظيمة فحصره وضيق عليه وأدام القتال ليلا ونهارا فتسلم المدينة وخرج عمه اليه فابقى عليه وأكرمه وأحسن صحبته وسار من هناك الى صغانيان وأميرها اسمه موسى وكان قد عصى عليه فلما قاربه ألب أرسلان صعد موسى الى قلعة على رأس جبل شاهق ومعه من الرجال الكماة جماعة كثيرة فوصل السلطان اليه وباشر الحرب لوقته فلم ينتصف النهار حتى صعد العسكر الجبل وملكوا القلعة قهرا وأخذ موسى أسيرا فامر بقتله فبذل في نفسه أموالا كثيرة فقال السلطان ليس هذا أوان تجارة واستولى على تلك الولاية باسرها وعاد الى مرو ثم منها الى نيسابور

﴿ذكر عود ابنة الخليفة الى بغداد والخطبة للسلطان ألب أرسلان ببغداد﴾

في هذه السنة أمر السلطان ألب أرسلان السيدة ابنة الخليفة بالعود الى بغداد وأعلمها أنه لم يقبض على عميد الملك الا لاعتمده من نقلها من بغداد الى الري بغير رضا الخليفة وأمر الامير أيتكين السليماني بالمسير في خدمتها الى بغداد والمقام بها شحنة وأنفذ أبا سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق للمسير في الصحبة وأمر بالمخاطبة في اقامة الخطبة له فمات في الطريق مجدرا وهذا أبو سهل من رؤساء أصحاب الشافعي بنيسابور وكان يحضر طعامه في رمضان كل ليلة أربعمائة متفقه ويصلهم ليلة العيد بكسوة ودنانير تعمهم فلما سمع بموته أرسل العميد أبا الفتح المظفر بن الحسين فمات أيضا في الطريق فالزم السلطان رئيس العراقين بالمسير فوصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر وخرج عميد الدولة بن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقيهم واقترح السلطان ان يخاطب بالولد المؤيد فاجيب الى ذلك ولقب ضياء الدين عضد الدولة وجلس الخليفة جلوسا عاما سابع جمادى الاولى وشافه الرسل بتقليد ألب أرسلان السلطنة وسلمت الخلع بمشهد من الخلق وأرسل اليه من الديوان لاخذ البيعة النقيب طراد الزينبي فوصلوا اليه وهو بنقجوان من اذربيجان فلبس الخلع وبايع للخليفة

﴿ذكر الحرب بين ألب أرسلان وقتلمش﴾

سمع ألب أرسلان ان شهاب الدولة قتلمش وهو من السلجوقية أيضا وهو جد الملوك أصحاب قونية وقصرية وأقصرا وملطية يومنا هذا قد عصى عليه وجمع جموعا كثيرة وقصد الري ليستولي عليها فجهز ألب أرسلان جيشا عظيما وسيرهم على المفازة الى الري فسبقوا قتلمش اليها وسار ألب أرسلان من نيسابور أول المحرم من هذه السنة فلما وصل الى دامغان أرسل الى قتلمش ينكر عليه فعله وينهاه عن ارتكاب هذه الحال ويأمره بتركها فانه يرعى له القرابة والرحم فأجاب قتلمش جواب مغتر بمن معه من الجموع ونهب قرى الري وأجرى الماء على وادي الملح وهي سبخة فتعذر سلوكها فقال نظام الملك قد جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك ولا يخذلونك ويرمون دونك بسهام لا تخطئ وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالاحسان اليهم من أعظم أعوانك وقرب السلطان من قتلمش فلبس نظام الملك السلاح وعبا الكتائب واصطف العسكران وكان قتلمش يعلم علم النجوم فوقف ونظر فرأى ان طالعه في ذلك اليوم قد قارنه نحوس لا يرى معها ظفرا فقصد

وكان السبب في ذلك أنه اذا نزل خليت الجمال والحمير للرعي وليس في وسع البغال ذلك (قال المسعودي) وليعقوب بن الليث الصفار وعمرو بن الليث أخيه سير وسياسات عجيبة وحيل ومكايد في الحروب قد أتينا على ذكرها وما انتظم لنا في وصفها في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب منها لمعا لم نعرض لذكرها فيما سلف من كتبنا (وفي سنة أربع وستين ومائتين) وذلك في خلافة المعتمد كانت وفاة موسى بن بغا وفيه يقول بعض الشعراء وكان قد امتدحه فلم يصله بشيء

مات موسى فهان ذاك علينا
لم يضرني اذ قبل قد مات شيا
وكذا لا يضرني من لم
يسد خيرا الي اذ كان حيا

(وفي هذه السنة) وهي سنة أربع وستين ومائتين مات أبو ابراهيم اسمعيل ابن يحيى المزني صاحب المختصر من علم محمد بن ادريس الشافعي يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الاول من هذه السنة بمصر (وفيها) مات أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ابن أخي عبد الله بن وهب وهو صاحب مالك ابن أنس وقد روى عن عمه عبد الله بن وهب عن مالك (وفيها) مات يونس ابن عبد الاعلى الصدفي بمصر وهو ابن اثنين وتسعين سنة (وفيها) مات أبو خالد يزيد بن سنان بمصر وصلى

المحاجزة وجعل السبخة بينه وبين ألب أرسلان ليمتنع من اللقاء فسلك ألب أرسلان طريقا في الماء وخاض غمرته وتبعه العسكر فطلع بساط الماء هو وعسكره فصاروا مع قتلمش واقتتلوا فلم يثبت عسكر قتلمش لعسكر السلطان وانهزموا لساعتهم ومضى منهزما الى قلعة كردكوه وهي من جملة حصونه ومعاقله واستولى القتل والاسر على عسكره فاراد السلطان قتل الاسرى فشفع فيهم نظام الملك فعفا عنهم وأطلقهم ولما سكن الغبار ونزل العسكر وجد قتلمش ميتا ملقى على الارض لا يدرى كيف كان موته قيل انه مات من الخوف والله أعلم فبكى السلطان لموته وقعد لعزائه وعظم عليه فقده فسلاه نظام الملك ودخل ألب أرسلان الى مدينة الري آخر المحرم من السنة ومن العجب ان هذا قتلمش كان يعلم علم النجوم قد أتقنه مع انه تركي ويعلم غيره من علوم القوم ثم ان أولاده من بعده لم يزالوا يطلبون هذه العلوم الاولية ويقربون أهلها فنالهم بهذا غضاضة في دينهم وسيرد من أخبارهم ما يعلم منه ذلك وغيره من أحوالهم

﴿ذكر فتح ألب أرسلان مدينة آني وغيرها من بلاد النصرانية﴾

ثم سار السلطان من الري أول ربيع الاول وسار الى اذربيجان فوصل الى مرند عازما على قتال الروم وغزوهم فلما كان بمرند أتاه أمير من أمراء التركمان كان يكثر غزو الروم اسمه طغدكين ومعه من عشيرته خلق كثير قد ألفوا الجهاد وعرفوا تلك البلاد وحثه على قصد بلادهم وضمن له سلوك الطريق المستقيم اليها فسار معه فسلك بالعساكر في مضايق تلك الارض ومخارمها فوصل الى نقجوان فامر بعمل السفن لعبور نهر أرس فقيل له ان سكان خوي وسلماس من اذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وانهم قد امتنعوا ببلادهم فسير اليهم عميد خراسان ودعاهم الى الطاعة وتهددهم ان امتنعوا فاطاعوا وصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر ما لا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار الى بلاد الكرج وجعل مكانه في عسكره ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك الى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل أهلها منها وتخطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقاتلوا من بالقلعة وزحفوا اليهم فقتل أمير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها الى قلعة سرماري وهي قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوها وملكوها وأنزلوا منها أهلها وكان بالقرب منها قلعة أخرى ففتحها ملكشاه وأراد تخريبها فنهاه نظام الملك عن ذلك وقال هي ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والذخائر والاموال والسلاح وسلم هذه القلاع الى أمير نقجوان وسار ملكشاه ونظام الملك الى مدينة مريم نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون الى أهل هذه البلدة وهي مدينة حصينة سورها من الاحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد وعندها نهر كبير فاعد نظام الملك لقتالها ما يحتاج اليه من السفن وغيرها وقاتلها وواصل قتالها ليلا ونهارا وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار وأخذهم الاعياء والكلال فوصل المسلمون الى سورها ونصبوا عليه السلالم وصعدوا الى أعلاه لان المعاول كلت عن نقبه لقوة حجره فلما رأى أهلها المسلمين على السور فت ذلك في أعضادهم وسقط في أيديهم ودخل ملكشاه البلد ونظام الملك وأحرقوا البيع وخربوها وقتلوا كثيرا من أهلها وأسلم كثير فنجوا من القتل واستدعى ألب أرسلان اليه ابنه ونظام الملك وفرح بما يسره الله من الفتح على يد ولده وفتح ملكشاه في طريقه عدة من القلاع والحصون وأسر من النصارى ما لا يحصون كثرة وساروا الى سبيذ شهر فجرى

عليه بكار بن قتيبة القاضي (ونهض الموفق) لمحاربة صاحب الزنج في صفر سنة سبع وستين ومائتين وقدم الموفق ابنه أبا العباس في ربيع الآخر الى سوق الخميس وقد كان الشعراني صاحب العلوي قد تحصن بها في جمع كثير من الزنج ففتح هذا الموضع وغنم جميع ما كان فيه وفتح مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق الى الاهواز فأصلح ما أفسده الزنج ثم عاد الى البصرة فلم يزل منازلا لصاحب الزنج حتى قتل فكانت مدة أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى ويحرق ويخرب وقد كان أتى بالبصرة في وقعة واحدة على قتل ثلثمائة ألف من الناس (وقد كان المهلبي) من علية أصحاب علي بن محمد بعد هذه الوقعة بالبصرة فنصب منبرا بالموضع المعروف بمقبرة بني يشكر وكان يصلي يوم الجمعة بالناس ويخطب على ذلك المنبر لعلي بن محمد ويترحم بعد ذلك على أبي بكر وعمر ولا يذكر عثمان ولا عليا في خطبته ويلعن جبابرة بني العباس وأبا موسى الاشعري وعمرو ابن العاص ومعاوية بن أبي سفيان على ما قدمنا من قوله في هذا الكتاب وأنه كان يذهب الى رأي الازارقة من الخوارج ولما ركن من بقي بالبصرة الى هذا الفعل من المهلبي فاجتمعوا في بعض الجح

بين أهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها كثير من المسلمين ثم ان الله تعالى يسر فتحها فملكها ألب ارسلان وسار منها الى مدينة أعال لال وهى حصينة عالية الاسوار شاهقة البنيان وهى من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير لا يخاض فلما رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها وكان ملكها من الكرج وهكذا ما تقدم من البلاد التى ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسرا على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج من المدينة رجلان يستغيثان ويطلبان الامان والتمسا من السلطان ان يرسل معهما طائفة من العسكر فسير جمعا صالحا فلما جاز والفصيل أحاط بهم الكرج من أهل المدينة وقاتلوهم فأكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال وكان السلطان ذلك الوقت يصلى فأتاه الصريخ فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم الى الكفار فقاتلهم وكبر المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من أهلها فى برج من أبراج المدينة فقاتلهم المسلمون فأمر السلطان بالقاء الحطب حول البرج واحراقه ففعل ذلك وأحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان الى خيامه وغنم المسلمون من المدينة ما لا يحد ولا يحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة وكان قد بقى من تلك النار التى أحرق بها البرج بقية كثيرة فأطارتها الريح فاحترقت المدينة بأسرها وذلك فى رجب سنة ست وخمسين وملك السلطان قلعة حصينة كانت الى جانب تلك المدينة وأخذها وسار منها الى ناحية قرس ومدينة آنى وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما سيل ورده ونورة فخرج أهلها مذعنين بالاسلام وخربوا البيع وبنوا المساجد وسار منها الى مدينة آنى فوصل اليها فرآها مدينة حصينة شديدة الامتناع لا ترام ثلاثة ارباعها على نهر ارس والربع الآخر نهر عميق شديد الجرية لو طرحت فيه الحجارة الكبار لدحاها وحملها والطريق اليها على خندق عليه سور من الحجارة الصم وهى بلدة كبيرة عامرة كثيرة الاهل فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها الا ان المسلمين قد أيسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها فعمل السلطان برجا من خشب وشحنه بالمقاتلة ونصب عليه المنجنيق ورماة النشاب فكشفوا الروم عن السور وتقدم المسلمون اليه لينقبوه فأتاهم من لطف الله ما لم يكن فى حسابهم فانهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة وقتلوا من أهلها ما لا يحصى بحيث ان كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثرة القتلى وأسروا نحوا مما قتلوا وسارت البشرى بهذه الفتوح فى البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد فى دار الخلافة فبرز خط الخليفة بالثناء على ألب ارسلان والدعاء له ورتب فيها أميرا فى عسكر جرار وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج فى الهدنة فصالحه على اداء الجزية كل سنة فقبل ذلك ولما رحل السلطان عائدا قصد أصبهان ثم سار منها الى كرمان فاستقبله أخوه قاورت بك بن جغرى بك داود ثم سار منها الى مرو فزوج ابنه ملكشاه بابنة خاقان ملك ما وراء النهر وزفت اليه فى هذا الوقت وزوج ابنه ارسلان شاه بابنة صاحب غزنة واتحد البيتان البيت السلجوقى والبيت المحمودى واتفقت الكلمة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول ظهر بالعراق وخوزستان وكثير من البلاد جماعة من الاكراد خرجوا يتصيدون فرأوا فى البرية خيما سودا وسمعوا منها لطما شديدا وعويلا كثيرا وقائلا يقول

فوضع فيهم السيف فى ناج سالم ومن مقتول ومن غريق واختفى كثير من الناس فى الدور والآبار فكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها والفيران والسنانير فأفنوها حتى لم يقدروا منها على شئ فكانوا اذا مات منهم الواحد أكلوه عدموا مع ذلك الماء العذب (وذكر) عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة تنازع ومعها أختها وقد احتوشوها ينتظرون أن تموت فيأكلون لحمها قالت المرأة فما ماتت حتى ابتدرناها فقطعناها وأكلناها ولقد حضرت أختها وقد جاءت على النهر وهى تبكى ومعها رأس أختها فقيل لها ويحك مالك تبكين قالت اجتمعوا على أختى فما تركوها حتى تموت موتا حسنا حتى قطعوها فظلمونى فلم يعطونى من لحمها شيأ الا رأسها هذا وهى تشتكى ظلمهم لها فى أختها ومثل هذا كثير وأعظم مما وصفنا (وبلغ) من أمر عسكره أنه كان ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة وينادى عليها بنسبها هذه ابنة فلان الفلانى لكل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم

قدمات سيدوك ملك الجن وأى بلد لم يلطم أهله عليه ويعملون له العزاء قلع أصله وأهلك أهله فخرج كثير من النساء فى البلاد الى المقابر يلطمن وينحن وينشرن شعورهن وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك وكان ذلك ضحكة عظيمة ولقد جرى فى أيامنا نحن فى الموصل وما والاها من البلاد الى العراق وغيرها نحو هذا وذلك ان الناس سنة ستمائة أصابهم وجع كثير فى حلوقهم ومات منه كثير من الناس فظهر ان امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات ابنها عنقود وكل من لا يعمل له مأتما أصابه هذا المرض فكثر فعل ذلك وكانوا يقولون يا أم عنقود اعذرينا قدمات عنقود ما درينا وكان النساء يلطمن وكذلك الاوباش وفيها ولى أبو الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوى نقابة العلويين ببغداد وامارة الموسم ولقب بالطاهر ذى المناقب وكان المرتضى أبو الفتح أسامة قد استعفى من النقابة وصاهر بنى خفاجة وانتقل معهم الى البرية وتوفى أسامة بمشهد أمير المؤمنين على عليه السلام فى رجب سنة اثنتين وسبعين وفيها فى جمادى الآخرة توفى أبو القاسم عبد الواحد بن على بن برهان الاسدى النحوى المتكلم كان له اختيار فى الفقه وكان عالما بالنسب ويمشى فى الاسواق مكشوف الرأس ولم يقبل من أحد شيأ وكان موته فى جمادى الآخرة وقد جاوز ثمانين سنة وكان يميل الى مذهب مرجئة المعتزلة ويعتقد أن الكفار لا يخلدون فى النار وفيها انقض كوكب عظيم وكثر نوره فصار أكثر من نور القمر وسمع له دوى عظيم ثم غاب

﴿ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الحرب بين بنى حماد والعرب﴾

فى هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حماد ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة ومن زناتة ومن العرب عدى والاثبج وبنى رياح وزغبة وسليم ومع هؤلاء المعز بن زيرى الزناتى على مدينة سبتة وكان سببها ان حماد بن بلكين جد الناصر كان بينه وبين باديس بن المنصور من الخلاف وموت باديس محاصرا قلعة حماد ما هو مذكور ولولا تلك القلعة لأخذ سريعا وانما امتنع هو وأولاده بعده بها وهى من أمنع الحصون وكذلك ما استمر بين حماد والمعز ابن باديس ودخول حماد فى طاعته ما تقدم ذكره وكذلك أيضا ما كان بين القائد بن حماد وبين المعز وكان القائد يضمر الغدر وخلع طاعة المعز والعجز يمنعه من ذلك فلما رأى القائد قوة العرب وما نال المعز منهم خلع الطاعة واستبد بالبلاد وبعده ولده محسن وبعده ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد وبعده ابن عمه الناصر بن علناس بن محمد بن حماد وكل منهم متحصن بالقلعة وقد جعلوها دار ملكهم فلما رحل المعز من القيروان وصبرة الى المهدية تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد وانتقل كثير من أهلها الى بلاد بنى حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم وفى نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من أولادهم يرثه صغير عن كبير وولى تميم بن المعز بعد أبيه فاستبد كل من هو ببلد وقلعة بمكانه وتميم صابر يدارى ويتجلد واتصل بتميم ان الناصر بن علناس يقع فيه فى مجالسه ويذمه وانه عزم على المسير اليه ليحاصره بالمهدية وانه قد حالف بعض صنهاجة وزناتة وبنى هلال ليعينوه على حصار المهدية فلما صح ذلك عنده أرسل الى امراء بنى رياح فأحضرهم اليه وقال أنتم تعلمون ان المهدية حصن منيع أكثره فى البحر لا يقاتل منه فى البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا وانما جمع الناصر هذه العساكر اليكم فقالوا والله الذى تقوله حق ونحب منك المعونة فأعطاهم المال والسلاح من الرماح والسيوف والدروع والدرق فجمعوا قومهم

الوصائف ولقد استغاثت الى على بن محمد امرأة من ولد الحسن بن على بن أبى طالب كانت عند بعض الزنج وسألته أن ينقلها منه الى غيره من الزنج أو يعتقها مما هى فيه فقال هو مولاك وأولى بك من غيره (وقد تكلم) الناس فى مقدار ما قتل فى هذه السنين من الناس فمكثر ومقلل فأما المكثر فانه يقول أفنى من الناس ما لا يدركه العد ولا يقع عليه الاحصاء ولا يعلم ذلك الا عالم الغيب فيما فتح من هذه الامصار والبلدان والضياع وأباد أهلها والمقلل يقول أفنى من الناس خمسمائة ألف ألف وكلا الفريقين يقول فى ذلك ظنا وحدسا اذ كان شيأ لا يدرك ولا يضبط (وكان مقتله) ما بينا آنفا سنة سبعين ومائتين وذلك فى خلافة المعتمد (وقد كان الموفق) بعد ذلك وجه بصاعد بن مخلد فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين الى حرب الصفار فأمره على من معه من الجيوش وشيعه الموفق فلما صار الى بلاد فارس تجبر واشتد سلطانه وانصرف من المدائن فى بعض الايام فاحتجم فى حفة وأذنة عليه وغى ذلك الى الموفق وما هو عليه من التجبر فقال فى ذلك أبو محمد عبد الله بن الحسن بن سعيد القطربلى الكاتب فى قصيدة طويلة اقتصرنا منها على ما نذكره وهو

يكتم لما ظعن * ودان بدين الجهم

وأصبح فى حفة * وفى اذنة محتجم

وتحالفوا واتفقوا على لقاء الناصر وأرسل الى من مع الناصر من بنى هلال يقصون عندهم مساعدتهم للناصر ويخوفونهم منه ان قوى وانه يهلكهم بمن معه من زناتة وصنهاجة وانهم انما يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد اذا تم الخلاف وضعف السلطان فاجابهم بنو هلال الى الموافقة وقالوا اجعلوا أول حملة تحملونها علينا فنحن ننهزم بالناس ونعود عليهم و يكون لنا ثلث الغنيمة فاجابهم الى ذلك واستقر الامر وأرسل المعز بن زيرى الزناتى الى من مع الناصر من زناتة بنحو ذلك فوعدوه أيضا ان ينهزموا فحينئذ رحلت رياح وزناتة جميعها وسار اليهم الناصر بصنهاجة وزناتة وبنى هلال فالتقت العساكر بمدينة سبتة فحملت رياح على بنى هلال وحمل المعز على زناتة فانهزمت الطائفتان وتبعهم عساكر الناصر منهزمين ووقع فيهم القتل فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس أخو الناصر وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناتة أربعة وعشرين ألفا وسلم الناصر فى نفر يسير وغنمت العرب جميع ما كان فى العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك فاقتسموها على ما استقر بينهم وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد فانهم قدموها فى ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل المحامى عن البلاد وارسلوا الالوية والطبول وخيم الناصر بدوابها الى تميم فردها وقال يقبح بى ان آخذ سلب ابن عمى فارضى العرب بذلك

﴿ذكر بناء مدينة بجاية﴾

لما كانت هذه الوقعة بين بنى حماد والعرب وقويت العرب فاهتم تميم بن المعز لذلك وأصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر وكان له وزير اسمه أبو بكر بن أبى الفتوح وكان رجلا جيدا يحب الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر الم أشر عليك ان لا تقصد ابن عمك وان تتفقوا على العرب فانكما لو اتفقتما لاخرجتما العرب فقال الناصر لقد صدقت ولكن لامر لما قدر فاصلح ذات بيننا فارسل الوزير رسولا من عنده الى تميم يعتذر و يرغب فى الاصلاح فقبل تميم قوله وأراد ان يرسل رسولا الى الناصر فاستشار أصحابه فاجتمع رأيهم على محمد بن البعبع وقالوا انه هذا رجل غريب وقد أحسنت اليه وحصل له منك الاموال والاملاك فأحضره واعطاه مالا ودواب وعبيدا وارسله فسار مع الرسول حتى وصل الى بجاية وكانت حينئذ منزلا فيه رعية من البربر فنظر اليها محمد بن البعبع وقال فى نفسه ان هذا المكان يصلح ان يكون به مرسى ومدينة وسار حتى وصل الى الناصر فلما أوصل الكتاب وادى الرسالة قال للناصر معى وصية اليك وأحب ان تخلى المجلس فقال الناصر انا لا اخفى عن وزيرى شيأ فقال بهذا أمرنى الامير تميم فقام الوزير أبو بكر وانصرف فلما خرج قال الرسول يامولاى ان الوزير مخامر عليك هواه مع الامير تميم لايخفى عنه من أمورك شيأ وتميم مشغول مع عبيده قد استبد بهم واطرح صنهاجة وغيرهم ولو وصلت بعسكرك مابت الا فيها لبغض الجند والرعية لتميم وانا أشير عليك بما تملك به المهدية وغيرها وذكر له عمارة بجاية وأشار عليه ان يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد افريقية وقال له انا أنتقل اليك باهلى واد بر دولتك فاجابه الناصر الى ذلك وارتاب بوزيره وسار مع الرسول الى بجاية وترك الوزير بالقلعة فلما وصل الناصر والرسول الى بجاية أراه موضع الميناء والبلد والدار السلطانية وغير ذلك فامر الناصر من ساعته بالبناء والعمل وسر بذلك وشكره وعاهده على وزارته اذا عاد اليه ورجعا الى القلعة فقال الناصر لوزيره ان هذا الرسول محب لنا وقد أشار ببناء بجاية ويريد الانتقال الينا فاكتب له جواب كتبه ففعل وسار الرسول وقد ارتاب به تميم حيث تجدد بناء بجاية عقيب مسيره اليهم وحضوره مع الناصر فيها وكان الرسول قد طلب من الناصر ان يرسل معه

فاستخصه الموفق الى واسط فكان مدة مقامه فى الوزارة سبع سنين الى أن قبض عليه وعلى أخيه عبدون النصرانى وماتت جارية اصاعد بعد حبسه وكانت الغالبة على أمره وكان يقال لها جعفر وماتت بعدها بأيام أم الموفق ففى ذلك يقول عبد الله بن الحسين بن سعد من أبيات له

أخذت جعفر برأس القطار ثم قالت آذنتكم بالبوار
فأجابت أم الامير وقالت قد أتيناك أول الزوار
وسيأتيك صاعد عن قريب

كتبه للتلاف والاشكدار وأحصى ماوجد لصاعد من الرقيق والمتاع والكسوة والسلاح والآلات فى خاصة نفسه دون ماوجد لاخيه عبدون فكان مبلغه ثلثمائة ألف دينار وكان مبلغ غلته فى سائر ضياعه ألف ألف وثلثمائة ألف (ومات صاعد) فى الحبس وذلك فى سنة ست وسبعين ومائتين (وفى سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة أبى سليمان بن وهب الكاتب وأحمد بن طولون وذلك بمصر يوم السبت لعشر خلون من ذى القعدة من سنة سبعين ومائتين وله خمس وستون سنة (وكانت) ولاية أحمد ابن طولون سبع عشرة سنة وكان ابن المظفر بصاحب الزنج ومرض أحمد بن طولون عشرة أشهر ولما ييأس أحمد بن طولون من نفسه بادع لابنه أبى الجيش بالامر من بعده فلما توفى جدد أبو الجيش خمارويه

بعض ثقاته ليشاهد الاخبار ويعود بها فارسل معه رسولا يثق به فكتب معه انى لما اجتمعت بتميم لم يسألنى عن شئ قبل سؤاله عن بناء بجاية وقد عظم أمرها عليه واتهمنى فانظر الى من تثق به من العرب ترسلهم الى موضع كذا فانى سائر اليهم مسرعا وقد اخذت عهد زويلة وغيرها على طاعتك وسير الكتاب فلما قرأه الناصر سلمه الى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره واثنى عليه وقال لقد نصح وبالغ فى الخدمة فلا تؤخر عنه انفاذ العرب ليحضر معهم ومضى الوزير الى داره وكتب نسخة الكتاب وأرسل الكتاب الذى بخط الرسول الى تميم وكتابا منه يذكر له الحال من أوله الى آخره فلما وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك وبقى يتوقع له سببا يأخذه به الا انه جعل عليه من يحرسه فى الليل والنهار من حيث لا يشعر فاتى بعض أولئك الحرس الى تميم واخبره ان الرسول صنع طعاما واحضر عنده الشريف الفهرى وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصه فاحضره تميم فقال كنت واصلا اليك وحدثه ان ابن البعبع الرسول دعانى فلما حضرت عنده قال انا فى ذمامك أحب أن تعرفنى مع من اخرج من المهدية فنعته من ذلك وهو خائف فاوقفه تميم على الكتاب الذى بخطه وأمره باحضاره فاحضره الشريف فلما وصل الى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين سيرهم الناصر ومعهم كتاب الناصر اليه يامره بالحضور عنده فاخذ الكتاب وخرج الامير تميم فلما رآه ابن البعبع سقطت الكتب منه فاذا عنوان أحدها من الناصر بن علناس الى فلان فقال له تميم من أين هذه الكتب فسكت فاخذها وقرأها فقال الرسول ابن البعبع العفو يامولانا فقال لا عفا الله عنك وأمر به فقتل وغرقت جثته

﴿ذكر ملك ألب ارسلان جند وصبران﴾

فى هذه السنة عبر ألب ارسلان جيحون وصار الى جند وصبران وهما عند بخارا وقبر جده سلجوق بجند فلما عبر النهر استقبله ملك جند وأطاعه واهدى له هدايا جليلة فلم يغير ألب ارسلان عليه شيأ وأقره على ما بيده وعاد عنه بعد ان أحسن اليه وأكرمه ووصل الى كركانج خوارزم وسار منها الى مرو

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ابتدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد وفيها انقض كوكب عظيم وصار له شعاع كثيرا أكثر من شعاع القمر وسمع له صوت مفزع وفيها توفى محمد بن أحمد أبو الحسين بن الابنوسى روى عن الدارقطنى وغيره

﴿ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عهد ألب ارسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه﴾

فى هذه السنة سار ألب ارسلان من مرو الى رايكان فنزل بظاهرها ومعه جماعة امراء دولته فاخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بانه السلطان بعده واركبه ومشى بين يديه يحمل الغاشية وخلع السلطان على جميع الامراء وأمرهم بالخطبة له فى جميع البلاد التى يحكم عليها ففعل ذلك واقطع البلاد فاقطع مازندران الامير اينانج بيغو وبلخ لاخيه سليمان بن داود جغرى بك وخوارزم لاخيه ارسلان ارغو ومرو لابنه الآخر ارسلان شاه وصغانيان وطخارستان لاخيه الياس وولاية بغشور ونواحيها لمسعود بن ارتاش وهو من أقارب السلطان وولاية اسفزار لمودود بن ارتاش

﴿ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس﴾

فى هذه السنة سير تميم صاحب افريقية عسكرا كثيفا الى مدينة تونس وبها أحمد بن خراسان قد أظهر عليه الخلاف وسبب ذلك ان المعز بن باديس أبا تميم لما فارق القيروان والمنصورية ورحل

ابن أحمد بن طولون العهد لنفسه (ووجه الموفق) ابنه أبا العباس لمحاربة أبى الجيش خمارويه فى سنة احدى وسبعين ومائتين فكانت الوقعة بينهما بالطواحين من أعمال فلسطين يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من شوال من هذه السنة فكانت الهزيمة على أبى الجيش واحتوى أبو العباس على جميع عسكره وأفلت أبو الجيش فى جماعة من قواده حتى أتى الفسطاط وتخلف غلامه سعيد الاعسر فواقع أبا العباس فهزمه واستباح عسكره وقتل رؤساء قواده وجلة أصحابه ومضى أبو العباس لا يلوى على شئ حتى أتى العراق وقلد أبو الجيش أمر وزارته على بن أحمد المادرانى وأبو بكر محمد بن على بن أحمد المادرانى هو المعتقل فى يد الاخشيد أحمد بن طغج فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان على وزارته بمصر هو وولده الحسن بن محمد فلما استوزر الاخشيد أبا الحسن على بن خلف بن طباب وانفصل من دمشق الى الفسطاط قبض عليه وعلى أخيه ابراهيم بن خلف واستوزر أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب (وفى سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة الربيع بن سليمان المرادى المؤذن صاحب محمد بن ادريس الشافعى والراوى لاكثر كتبه عنه بمصر وأخبرنا أبو عبد الله

الى المهدية على ماذكرناه استخلف على القيروان وعلى قابس قائد بن ميمون الصنهاجي وأقام بها ثلاث سنين ثم غلبته هوارة عليها فسلمها اليهم وخرج الى المهدية فلما ولى الملك تميم بن المعز بعد أبيه ردّه اليها وأقام عليها الى الآن ثم أظهر الخلاف على تميم والتجأ الى طاعة الناصر بن علناس بن حماد فسير اليه تميم الآن عسكرا كثيرا فلما سمع بهم قائد بن ميمون علم انه لاطاقة له بهم فترك القيروان وسار الى الناصر فدخل عسكر تميم القيروان وخربوا دور القائد وسار العسكر الى قابس وبها ابن خراسان فحصروه بها سنة وشهرين ثم أطاع ابن خراسان تميما وصالحه واما قائد فانه أقام عند الناصر ثم أرسل الى امراء العرب فاشترى منهم امارة القيروان فاجابوه الى ذلك فعاد اليها فبنى سورها وحصنها

﴿ذكر ملك شرف الدولة الانبار وهيت وغيرهما﴾

فى هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران صاحب الموصل الى السلطان ألب ارسلان فاقطعه الانبار وهيت وحربى والسن والبوازيج ووصل الى بغداد فخرج الوزير فخر الدولة بن جهير فى الموكب فلقيه ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهرى وخلع عليه الخليفة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى العشر الاول من جمادى الاولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث اذرع وهى ممتدة الى وسط السماء وبقى الى السابع والعشرين من الشهر وغاب ثم ظهر أيضا آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا ولما أظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب وبقى عشرة أيام ثم اضمحل وفيها فى جمادى الآخرة كانت بخراسان والجبال زلزلة عظيمة بقيت تتردد أياما تصدعت منها الجبال وأهلكت خلقا كثيرا وانخسف منها عدة قرى وخرج الناس الى الصحراء فاقاموا هنالك وفيها فى جمادى الاولى وقع حريق بنهر معلى فاحترق من باب الجريد الى آخر السوق الجديد من الجانبين وفيها ولدت صبية بباب الازج ولدا برأسين ورقبتين ووجهين وأربع أيد على بدن واحد وفى جمادى الآخرة توفى الامام أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ومولده سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وكان اماما فى الحديث والفقه على مذهب الشافعى وله فيه مصنفات أحدها السنن الكبير عشر مجلدات وغيره من التصانيف الحسنة كان عفيفا زاهدا ومات بنيسابور وفى شهر رمضان منها توفى أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلى ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة وعنه انتشر مذهب أحمد رضى الله عنه وكان اليه قضاء الحريم ببغداد بدار الخلافة وهو مصنف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة وترتيب أبوابه يدل على التجسيم المحض تعالى الله عن ذلك وكان ابن تميمى الحنبلى يقول لقد خرى أبو يعلى الفراء على الحنابلة خرية لايغسلها الماء

﴿ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عصيان ملك كرمان على ألب ارسلان وعوده الى طاعته﴾

فى هذه السنة عصى ملك كرمان وهو قرا ارسلان على السلطان ألب ارسلان وسبب ذلك انه كان له وزير جاهل سوّلت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان وأن صاحبه اذا عصى احتاج الى التمسك به فحسن لصاحبه الخلاف على السلطان فاجاب الى ذلك وخلع الطاعة وقطع الخطبة فسمع ألب ارسلان فسار الى كرمان فلما قاربها وقعت طليعته على طليعة قرا ارسلان فانهزمت طليعة قرا ارسلان بعد قتال فلما سمع قرا ارسلان وعسكره بانهزام طليعتهم خافوا وتحيروا فانهزموا لايلوى احد على آخر فدخل قرا ارسلان الى جيرفت وامتنع بها وارسل الى السلطان الب

ارسلان

الحسن بن مروان المصرى وغيره عن الربيع بن سليمان قال استعار الشافعى من محمد بن الحسن الكوفى شيأ من كتبه فلم يبعث بها اليه فكتب اليه الشافعى

يا قل لمن لم ترعين من رآه مثله
من كان من قد راه
ماقد رأى من قبله
ومن كلا مناله
حيث عقلنا عقله
لان مايجنيه
فاق الكمال كله
العلم ينهى أهله
أن يمنعوه أهله
لعله يبذله
لاهله لعله

فبعث اليه محمد بن الحسن بأكثر كتبه التى سأل عنها (وبايع المعتمد) لابنه جعفر وسماه المفوض الى الله وقد كان المعتمد آثر اللذة وغلب الملاهى وغلب أخوه أبو أحمد الموفق على الامور يدبرها ثم حصر على المعتمد وحبسه فكان أوّل خليفة قهر وحجر عليه ووكل به فى الصلح وقد كان قبل ذلك هرب وصار الى حديثة الموصل فبعث الموفق بصاعد الى سامرا وكتب الى اسحق بن كنداج فرده من الموصل (وفى سنة) أربع وستين ومائتين كان خروج أحمد بن طولون من مصر مظهرا للغزو فى عساكر كثيرة وخلق من المطوعة قد انجذبوا معه من مصر وفلسطين فقبل وصوله الى دمشق مات ماجور التركى وقد كان عليها فدخلها أحمد واحتوى

ارسلان يظهر الطاعة ويسأل العفو عن زلته فعفا عنه وحضر عند السلطان فاكرمه وبكى وأبكى من عنده فاعاده الى مملكته ولم يغير عليه شيأ من حاله فقال للسلطان ان لى بنات تجهيزهن اليك وامورهن اليك فاجابه الى ذلك وأعطى كل واحدة منهن مائة الف دينار سوى الثياب والاقطاعات ثم سار منها الى فارس فوصل الى اصطخر وفتح قلعتها واستنزل واليها فحمل اليه الوالى هدايا عظيمة جليلة المقدار من جملتها قدح فيروزج فيه منون من المسك مكتوب عليه اسم جمشيد الملك واطاعه جميع حصون فارس وبقى قلعة يقال لها بهنزاد فسار نظام الملك اليها وحصرها تحت جبلها واعطى كل من رمى بسهم واصاب قبضة من الدنانير ومن رمى حجرا ثوبا نفيسا ففتح القلعة فى اليوم السادس عشر من نزوله ووصل السلطان اليه بعد الفتح فعظم محل نظام الملك عنده وأعلى منزلته وزاد فى تحكيمه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى المحرم منها توفى الاغر أبو سعد ضامن البصرة على باب السلطان بالرى وعقدت البصرة وواسط على هزارسب بثلاثمائة الف دينار وفى صفر منها وصل الى بغداد شرف الملك أبو سعد المستوفى وبنى على مشهد أبى حنيفة رضى الله عنه مدرسة لاصحابه وكتب الشريف أبو جعفر بن البياضى على القبة التى احدثها

ألم تر أن العلم كان مشتتا * فجمعه هذا المغيب فى اللحد
كذلك كانت هذه الارض ميتة * فانشرها فضل العميد أبى سعد

وفيها فى جمادى الاولى وصلت ارسلان خاتون اخت السلطان الب ارسلان وهى زوجة الخليفة الى بغداد واستقبلها فخر الدولة بن جهير الوزير على فراسخ وفيها فى ذى القعدة احترقت تربة معروف الكرخى رحمة الله عليه وسبب حريقها ان قيمها كان مريضا فطبخ لنفسه ماء الشعير فاتصلت النار بخشب وبورى كانت هناك فاحرقته واتصل الحريق فامر الخليفة اباسعد الصوفى شيخ الشيوخ بعمارتها وفيها فى ذى القعدة فرغت عمارة المدرسة النظامية وتقرر التدريس بها للشيخ ابى اسحق الشيرازى فلما اجتمع الناس لحضور الدرس وانتظر وامجيئه تأخر فطاب فلم يوجد وكان سبب تأخره انه لقيه صبى فقال له كيف تدرس فى مكان مغصوب فتغيرت نيته عن التدريس بها فلما ارتفع النهار وأيس الناس من حضوره اشار الشيخ أبو منصور ابن يوسف بابى نصر ابن الصباغ صاحب كتاب الشامل وقال لايجوز ان ينفصل هذا الجمع الاعن مدرس ولم يبق ببغداد من لم يحضر غير الوزير فجلس أبو نصر للدرس وظهر الشيخ أبو اسحق بعد ذلك ولما بلغ نظام الملك الخبر أقام القيامة على العميد أبى سعد ولم يزل يرفق بالشيخ أبى اسحق حتى درس بالمدرسة وكان مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما وفيها فى ذى القعدة قتل الصليحى أمير اليمن بمدينة المهجم قتله أحد امرائها واقيمت الدعوة العباسية هناك وكان قد ملك مكة على ماذكرناه سنة خمس وخمسين وامن الحجاج فى أيامه فاثنوا عليه خيرا وكسا البيت بالحرير الابيض الصينى ورد حلى البيت اليه وكان بنو حسن قد أخذوه وحملوه الى اليمن فابتاعه الصليحى منهم وفيها توفى عمر بن اسمعيل بن محمد أبو على الطوسى قاضيها وكان يلقب العراقى لطول مقامه ببغداد وتفقه على أبى طاهر الاسفراينى الشافعى وأبى محمد الشاشى وغيرهما

﴿ثم دخلت سنة ستين واربعمائة﴾

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة كانت حرب بين شرف الدولة بن قريش وبين بنى كلاب بالرحبة وهم فى طاعة

على جميع تركته من الخزائن وغيرها وسار منها الى حمص وسار منها الى بلاد انطاكية ووصلت مقدمته الى الاسكندرية من شاطئ بحر الروم ووصل هو الى الموضع المعروف سفواس من جبل الاكام وقد تقدمته المطوعة والغزاة الى الثغر الشامى ثم عطف هو راجعا من غير أن يكون تقدم الى الناس معرفة ذلك منه حتى نزل مدينة انطاكية وفيها يومئذ سيما الطويل فى عدة منيعة من الاتراك وغيرهم وقد قدمنا فيما تقدم من هذا الكتاب الخبر عن كيفية بناء انطاكية وقصة سورها والملك البانى لها وصفة سورها فى السهل والجبل وقد كان قبل نزول أحمد بن طولون على انطاكية وقع بين سيما وبين أحمد المؤيد حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم من أرض الشأم وكان سيما الطويل قد عم أذاه أهلها من قتل وأخذ مال وكان نزول ابن طولون على باب من أبوابها يعرف بباب البحر وقد كان لؤلؤ بعد ذلك انحدر الى السلطان مستأمنا الى الموفق وهو منازل لصاحب الزنج فكان من أمره وقتل صاحب الزنج ماقدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من وقوع المشاجرة بين أصحاب لؤلؤ وأصحاب الموفق كما قدمنا أيهم القاتل لصاحب الزنج وكادت الحال أن تنفرج بينهم فى ذلك اليوم حتى قيل فى عسكر الموفق كيفما شئتم فقولوا * انما الفتح الولو فكان ابن طولون على

العلوي المصري فكسرهم شرف الدولة وأخذ اسلابهم وأرسل أعلاما كانت معهم عليها اسمات المصري الى بغداد وكسرت وطيف بها في البلد وأرسلت الخلع الى شرف الدولة وفيها في جمادى الاولى كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة خربت الرملة وطلع الماء من رؤس الآبار وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألف نسمة وانشقت الصخرة بالبيت المقدس وعادت باذن الله تعالى وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم فنزل الناس الى أرضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقا كثيرا وفيها في رجب ورد أبو العباس الخوافي بغداد عميدا من جهة السلطان وفيها عزل فخر الدولة بن جهير من وزارة الخليفة فخرج من بغداد الى نور الدولة دبيس بن مزيد بالفلوجة وأرسل الخليفة الى أبي يعلى والد الوزير أبي شجاع يستحضره ليوليه الوزارة وكان يكتب لهزارسب بن بنكير فسار فادركه أجله في الطريق فمات ثم شفع نور الدولة في فخر الدولة بن جهير فأعيد الى الوزارة سنة احدى وستين في صفر وفيها كان بمصر غلاء شديد وانقضى سنة احدى وستين وأربعمائة وفيها حاصر الناصر بن علناس مدينة الاربس بافريقية ففتحها وأمن أهلها وفيها في المحرم توفي الشيخ أبو منصور بن عبد الملك بن يوسف ورثاه ابن الفضل وغيره من الشعراء وعم مصابه المسلمين وكان من أعيان الزمان فمن أفعاله أنه تسلم المارستان العضدي وكان قد دثر واستولى عليه الخراب فجد في عمارته وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيبا وثلاثة من الخزان الى غير ذلك واشترى له الاملاك النفيسة بعد ان كان ليس به طبيب ولا دواء وكان كثير المعروف والصلات والخير ولم يكن يلقب في زمانه أحد بالشيخ الاجل سواه وفي المحرم أيضا توفي أبو جعفر الطوسي فقيه الامامية بمشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

(ثم دخلت سنة احدى وستين وأربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر أعيد فخر الدولة بن جهير الى وزارة الخليفة على ما ذكرناه فلما عاد مدحه بن الفضل فقال

قد رجع الحق الى نصابه * وأنت من كل الورى أولى به
ما كنت الا السيف سلته يد * ثم أعادته الى قرابه

وهي طويلة وفي شعبان احترق جامع دمشق وكان سبب احتراقه انه وقع بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب المصريين والمشارقة فضربوا دارا مجاورة للجامع بالنار فاحترقت واتصلت بالجامع وكانت العامة تعين المغاربة فتركوا القتال واشتغلوا باطفاء النار من الجامع فعظم الخطب واشتد الامر وأتى الحريق على الجامع فدثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الاعمال النفيسة

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة أقبل ملك الروم من القسطنطينية في عسكر كثيف الى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل أهلها وهزم محمود بن صالح بن مرداس وبني كلاب وابن حسان الطائي ومن معهما من جموع العرب ثم ان ملك الروم ارتحل وعاد الى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع وفيها سار أمير الجيوش بدر من مصر في عساكر كثيرة الى مدينة صور وحصرها وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل فلما حصره أرسل القاضي الى الامير درلو امقدم الاتراك المقيمين بالشام يستنجده فسار في اثني عشر الف فارس فحصر مدينة صيدا وهي لامير الجيوش

انطاكية في آخر سنة أربع وستين ومائتين وكان افتتاحه اياها في سنة خمس وستين ومائتين بالحيلة من داخلها من بعض أهلها بالليل وقد أخذوا بحراسهم سورها فصدر بعضهم مما يلي الجبل وباب فارس فأتى ابن طولون وقد يئس من فتحها لمنعها وحصانة سورها وقوة عدوه فتحها فانضم اليه عدة من رجاله فتسلقوا من حيث نزلوا واستعدوا هو في عسكره وأخذ أهبته وسيما في داره فلما انفرج عمود الصبح الا والطولونية قد كبروا على سورها ونزلوا منحدرين اليها وارتفع الصوت وكثر الضجيج وركب سيما فيمن يسرع معه من خواصه فأرسلت عليه امرأة من أعالي سطح حجر رحا فأتت عليه وأخذ بعض من عرفه رأسه فأتى به ابن طولون وقد دخل من باب فارس ونزل على عين هنالك ومعه الحسين بن عبد الرحمن القاضي المعروف بابن الصابوني الانطاكي الحنفي فعاث أصحاب ابن طولون ساعة بانطاكية وشمل الناس أذاهم ثم رفع ذلك لساعتين من النهار وارتحل ابن طولون يؤم الثغر الشامي فأتى المصيصة وأذنة وامتنع منه أهل طرسوس وفيها مازنار الخادم فلم يكن له في فتحها حيلة فرجع عنها وقد أراد الغزو على ما قيل والله أعلم لامر بلغه أن العباس ولده قد عصى عليه وفزع أن يحال بينه وبين مصر فحث في السير ودخل الفسطاط ولحق

بدر

بدر فرحل حينئذ بدر فعاد الاتراك فعاود بدر حصر صور برا وبحرا سنة وضيق على أهلها حتى أكلوا الخبز كل رطل بنصف دينار ولم يبلغ غرضه فرحل عنها وفيها صارت دار ضرب الدنانير ببغداد في يد وكلاء الخليفة وسبب ذلك ان البهرج كثر في أيدي الناس على السكك السلطانية وضرب اسم ولي العهد على الدينار وسمي الاميري ومنع من التعامل بسواه وفيها ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبي هاشم ومعه ولده الى السلطان ألب ارسلان يخبره باقامة الخطبة للخليفة القائم بامر الله وللسلطان بمكة واسقاط خطبة العلوي صاحب مصر وترك الاذان بحي على خير العمل فاعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعا نفيسة واجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار وقال اذا فعل أمير المدينة مهنا كذلك اعطيناه عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار وفيها تزوج عميد الدولة بن جهير بابنة نظام الملك بالري وعاد الى بغداد وفيها في شهر رمضان توفي تاج الملوك هزارسب بن بنكير بن عياض باصبهان وهو عائد من عند السلطان الى خوزستان وكان قد علا أمره وتزوج باخت السلطان وبغى على نور الدولة دبيس بن مزيد وأغرى السلطان به ليأخذ بلاده فلما مات سار دبيس الى السلطان ومعه شرف الدولة مسلم صاحب الموصل فخرج نظام الملك فلقيهما وتزوج شرف الدولة باخت السلطان التي كانت امرأة هزارسب وعادا الى بلادهما من همذان وفيها كان بمصر غلاء شديد ومجاعة عظيمة حتى أكل الناس بعضهم بعضا وفارقوا الديار المصرية فورد بغداد منهم خلق كثير هربا من الجوع وورد التجار ومعهم ثياب صاحب مصر وآلات نهبت من الجوع وكان فيها أشياء كثيرة نهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة احدى وثمانين وثلثمائة ومما نهب أيضا في فتنة البساسيري وخرج من خزائنهم ثمانون ألف قطعة بلور كبار وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم واحد عشر ألف كزاغند وعشرون ألف سيف محلى وقال ابن الفضل يمدح القائم بامر الله ويذكر الحال بقصيدة فيها

قد علم المصري ان جنوده * سنو يوسف منها وطاعون عمواس
أقامت به حتى استراب بنفسه * وأوجس منه خيفة أي ايجاس

في أبيات وفيها توفي أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد الواسطي كان أديبا شاعرا أحسن القول فمن قوله

واحسرتي من قولها * خان عهودي ولها
وحق من صيرني * وقفا عليها ولها
ماخطرت بخاطري * الا كستني ولها

وتوفي محمد بن أحمد أبو غالب بن بشران الواسطي الاديب وانتهت الرحلة اليه في الادب وله شعر حسن في الزهد

يا شائد القصور كهلا * أقصر فقصر الفتى الممات
لم يجتمع شمل أهل قصر * الا انصار اهم الشتات
وانما العيش مثل ظل * منتقل ماله ثبات

وفيها توفي القاضي أبو الحسين محمد بن ابراهيم بن حزم قاضي دمشق وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي الجنائز الخطيب بدمشق

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة)

(ذكر الخطبة للقائم بأمر الله والسلطان بحلب)

في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لامير المؤمنين القائم بامر الله وللسلطان

العباس ببرقة من بلاد المغرب خوفا من أبيه وقد حمل معه ما أمكنه حمله من الخزائن والاموال والعدد وقد أتينا على ما جرى بين أحمد بن طولون وولده العباس من المراسلات في كتابنا أخبار الزمان وكانت وفاة مازنار الخادم في أرض النصرانية غازيا في جيش الاسلام تحت الحصن المعروف بكوكب وكان مولى للفتح بن خاقان فحمل الى طرسوس فدفن بباب الجهاد وذلك للنصف من رجب سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان معه في تلك الغزاة من أمراء السلطان المعروف بالعجيفي وابن أبي عيسى وكان على امرة طرسوس وكان مازنار في نهاية البلاغة في الجهاد في البر والبحر وكان معه رجال من البحريين لم ير مثلهم ولا أشد منهم وكان له في العدو نكاية عظيمة وكان العدو يهابه وتفزع منه النصرانية في حصونها ولم ير في الثغور الشامية والحرورية بعد عمرو بن عبيد الله الاقطع صاحب ملطية وعلي بن يحيى الارمني صاحب الثغور الشامية أشد أقداما على الروم من مازنار الخادم (وكانت) وفاة عمرو بن عبيد الله الاقطع وعلي بن يحيى الارمني في سنة واحدة استشهدا جميعا وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين في خلافة المستعين بالله وقد كان عمرو بن عبيد الله غازيا في تلك السنة في الملطيين فلقي ملك الروم في خمسين ألفا فصبر الفريقان

ألب أرسلان وسبب ذلك انه رأى اقبال دولة السلطان وقوتها وانتشار دعوتها فجمع أهل حلب وقال هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لاجل مذاهبكم والرأى ان نقيم الخطبة قبل ان يأتى وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل فاجاب المشايخ ذلك ولبس المؤذنون السواد وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان فأخذت العامة حصر الجامع وقالوا هذه حصر على بن أبى طالب فليأت أبو بكر بحصر يصلى عليها بالناس وأرسل الخليفة الى محمود الخلع مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى فلبسها ومدحه ابن سنان الخفاجى وأبو الفتيان بن حبوس وقال أبو عبد الله بن عطية يمدح القائم بأمر الله ويذكر الخطبة بحلب ومكة والمدينة

كم طائع لك لم تجلب عليه ولم * تعرف لطاعته غير التقى سببا
هذا البشير باذعان الحجاز وذا * داعى دمشق وذا المبعوث من حلبا

﴿ذكر استيلاء السلطان ألب ارسلان على حلب﴾

فى هذه السنة سار السلطان ألب ارسلان الى حلب وجعل طريقه على ديار بكر فخرج اليه صاحبها نصر بن مروان وخدمه بمائة ألف دينار وحمل اليه اقامة عرف السلطان انه قسطها على البلاد فامر بردها ووصل الى آمد فرآها ثغرا منيعا فتبرك به وجعل يمر يده على السور ويمسح بها صدره وسار الى الرها فحصرها فلم يظفر منها بطائل فسار الى حلب وقد وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بالرسالة القائمية والخلع فقال له محمود صاحب حلب اسألك الخروج الى السلطان واستعفاءه لى من الحضور عنده فخرج نقيب النقباء وأخبر السلطان بانه قد لبس الخلع القائمية وخطب فقال أى شئ تساوى خطبتهم وهم يؤذنون حى على خير العمل ولا بد من الحضور ودوس بساطى فامتنع محمود من ذلك فاشتد الحصار على البلد وغلت الاسعار وعظم القتال وزحف السلطان يوما وقرب من البلد فوقع حجر منجنيق فى فرسه فلما عظم الامر على محمود خرج ليلا ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميرى فدخلا على السلطان وقالت له هذا ولدى فافعل به ما تحب فتلقاهما بالجميل وخلع على محمود وأعاده الى بلده فانفذ الى السلطان مالا جزيلا

﴿ذكر خروج ملك الروم الى خلاط وأسره﴾

فى هذه السنة خرج ارمانوس ملك الروم فى مائتى ألف من الروم والفرنج والغرب والروس والبجناك والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاؤا فى تجمل كثير وزى عظيم وقصد بلاد الاسلام فوصل الى ملازكرد من أعمال خلاط فبلغ السلطان ألب ارسلان الخبر وهو بمدينة خوى من اذربيجان قد عاد من حلب وسمع ما فيه ملك الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همذان وسار هو فيمن عنده من العساكر وهم خمسة عشر ألف فارس وجد فى السير وقال لهم اننى أقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمة من الله تعالى وان كانت الشهادة فان ابنى ملكشاه ولى عهدى وساروا فلما قارب العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية فى نحو عشرة آلاف من الروم فاقتتلوا فانهزمت الروسية وأسر مقدمهم وحمل الى السلطان فجدع انفه وانفذ بالسلب الى نظام الملك وأمره ان يرسله الى بغداد فلما تقارب العسكران ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال لا هدنة الا بالرى فانزعج السلطان لذلك فقال له امامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى الحنفى انك تقاتل عن دين وعد الله بنصره واظهاره على سائر الاديان وأرجو ان يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال فى الساعة التى

جميعا فاستشهد عمرو بن عبيد الله ومن كان معه من المسلمين الا اليسير وذلك يوم الجمعة للنصف من رجب من هذه السنة وقد كان على بن يحيى الارمنى انصرف من الثغر الشامى وولى أرمينية ثم صرف عنها فلما صار الى بلاد ميافارقين من ديار بكر عدل الى ضياع له هنالك ووقع النفير فخرج مسرعا وقد أغارت جيوش الروم فقتل على ابن يحيى مقدار أربعمائة نفس والروم لا تعلم أنه على ابن يحيى الارمنى (وأخبرنى) بعض الروم ممن كان قد أسلم وحسن اسلامه أن الروم صورت عشرة أنفس فى بعض كنائسها من أهل البأس والنجدة والمكايد فى النصرانية والحيلة من المسلمين منهم الرجل الذى بعث به معاوية حين احتال على البطريق فأسره من القسطنطينية فأقادمنه بالضرب ورده الى القسطنطينية وعبد الله البطال وعمرو بن عبيد الله وعلى بن يحيى الارمنى والعربل بن بكار وأحمد بن أبى قطيفة وقرماس السلقانى صاحب مدينة ابريق وهى اليوم للروم وكان بطريق البيالقة وكانت وفاته فى سنة تسع وأربعين ومائتين وحرس حارس أخت قرماس ومازنار الخادم فى موكبه والرجال حوله وأبو القاسم ابن عبد الباقى وقد أتينا على وصف مذهب البيالقة واعتقاداتهم وهو مذهب بين النصرانية والمجوسية وقد دخلوا فى هذا الوقت

تكون الخطباء على المنابر فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالاجابة فلما كان تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من أراد الانصراف فلينصرف فما ههنا سلطان يأمر وينهى والقى القوس والنشاب وأخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال ان قتلت فهذا كفنى وزحف الى الروم وزحفوا اليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى وأكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فحصل المسلمون فى وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤا وانزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الارض بجثث القتلى وأسر ملك الروم أسره بعض غلمان كوهرائين فاراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع الملك لا تقتله فانه الملك وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك فرده استحقارا له فاثنى عليه كوهرائين فقال نظام الملك عسى ان يأتينا بملك الروم أسيرا فكان كذلك فلما أسر الغلام الملك احضره عند كوهرائين فقصد السلطان واخبره باسر الملك فامر باحضاره فلما أحضر ضربه السلطان ألب ارسلان ثلاثة مقارع بيده وقال له ألم أرسل اليك فى الهدنة فابيت فقال دعنى من التوبيخ وافعل ما تريد فقال السلطان ما عزمت ان تفعل بى ان أسرتنى فقال أفعل القبيح قال له فما تظن اننى افعل بك قال اما ان تقتلنى واما ان تشهرنى فى بلاد الاسلام والاخرى بعيدة وهى العفو وقبول الاموال واصطناعى نائبا عنك قال ما عزمت على غير هذا ففداه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وان يرسل اليه عساكر الروم أى وقت طلبها وان يطلق كل أسير فى بلاد الروم واستقر الامر على ذلك وانزله فى خيمة وأرسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها فاطلق له جماعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقال ملك الروم أين جهة الخليفة فدل عليها فقام وكشف رأسه وأومأ الى الارض بالخدمة وهادنه السلطان خمسين سنة وسيره الى بلاده وسير معه عسكرا أوصلوه الى مأمنه وشيعه السلطان فرسخا واما الروم فلما بلغهم خبر الوقعة وثب ميخائيل على المملكة فملك البلاد فلما وصل ارمانوس الملك الى قلعة دوقية بلغه الخبر فلبس الصوف واظهر الزهد وأرسل الى ميخائيل يعرفه ما تقرر مع السلطان وقال ان شئت ان تفعل ما استقر وان شئت امسكت فاجابه ميخائيل بايثار ما استقر وطلب وساطته وسؤال السلطان فى ذلك وجمع ارمانوس ما عنده من المال فكان مائتى ألف دينار فارسله الى السلطان وطبقا ذهبا عليه جواهر بتسعين ألف دينار وحلف له انه لا يقدر على غير ذلك ثم ان ارمانوس استولى على أعمال الارمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان وذكروا هذا الفتح فاكثروا

﴿ذكر ملك اتسز الرملة وبيت المقدس﴾

فى هذه السنة قصد اتسز بن أوق الخوارزمى وهو من أمراء السلطان ملكشاه بلد الشام فجمع الاتراك وسار الى فلسطين ففتح مدينة الرملة وسار منها الى البيت المقدس وحصره وفيه عساكر المصريين ففتحه وملك ما يجاورهما من البلاد ما عدا عسقلان وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لاعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها فضاق الامر بالناس فصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد فعاد عنه وادام قصد أعماله وتخريبها حتى قلت الاقوات عندهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة توفى أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفورانى الفقيه الشافعى مصنف كتاب الابانة وغيرها وفى هذه السنة فى ذى الحجة توفى الخطيب أبو بكر أحمد بن على بن

وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى جملة الروم وقد فسرنا خبرهم فى كتابنا أخبار الزمان (فأما خبر معاوية) وما ذكرناه من خبر الرجل الذى أسر البطريق من مدينة القسطنطينية فهو أن المسلمين غزوا فى أيام معاوية فأسر جماعة منهم فأوقفوا بين يدى الملك فتكلم بعض أسارى المسلمين فدنا منه بعض البطارقة ممن كان واقفا بين يدى الملك فلطم حر وجهه فآلمه وكان رجلا من قريش فصاح وا اسلاماه أين أنت عنا يا معاوية اذ أهملتنا وضيعت ثغورنا وحكمت العدو فى ديارنا ودمائنا وأعراضنا فنمى الخبر الى معاوية فآلمه وامتنع من لذيذ الطعام والشراب فخلا بنفسه وامتنع من الناس ولم يظهر ذلك لاحد من المخلوقين ثم أجال الامر فى أعمال الحيلة باقامة الفداء للمسلمين فلما صار الرجل الى دار الاسلام دعاه معاوية فبره وأحسن اليه ثم قال له لم نهملك ولم نضيعك ولا أبحنا دمك وعرضك ومعاوية مع ذلك يجيل الرأى ويعمل الحيلة ثم بعث الى رجل من ساحل دمشق من مدينة صور وكان به عارفا كثير الغزوات فى البحر مبل من الرجال مرطان بالرومية فأحضره وخلا به وأخبره بما قد عزم عليه وسأله أعمال الحيلة فيه والتانى له فتوافقا على أن يدفع للرجل مالا عظيما يبتاع به أنواعا من الطرف والمخ

ثابت البغدادى صاحب التاريخ والمصنفات الكثيرة ببغداد وكان امام الدنيا فى زمانه وممن حمل جنازته الشيخ أبو اسحق الشيرازى وتوفى أيضا فيها فى شهر رمضان أبو يعلى محمد بن الحسين بن حمزة الجعفرى نقيب الامامية وحسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن عبد الله المنيعى المخزومى من أهل مرو الروذ كان كثير الصدقة والمعروف والعبادة والقنوع بالقليل من القوت والاعراض عن زينة الدنيا وبهجتها وكان السلاطين يزورونه ويتبركون به وأكثر من بناء المساجد والخانقاهات والقناطر وغير ذلك من مصالح المسلمين وتوفيت أيضا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية وهى التى تروى صحيح البخارى توفيت بمكة واليها انتهى علو الاسناد للصحيح الى ان جاء أبو الوقت

﴿ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكية بغداد﴾

فى ربيع الاول من هذه السنة ورد ايتكين السليمانى شحنة بغداد من عند السلطان الى بغداد فقصد دار الخلافة وسأل العفو عنه وأقام أياما فلم يجب الى ذلك وكان سبب غضب الخليفة عليه أنه كان قد استخلف ابنه عند مسيره الى السلطان وجعله شحنة ببغداد فقتل أحد المماليك الدارية فانفذ قميصه من الديوان الى السلطان ووقع الخطاب فى عزله وكان نظام الملك يعنى بالسليمانى فاضاف الى اقطاعه تكريت فكوتب والهام من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها فلما رأى نظام الملك والسلطان اصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شحنكية بغداد سير سعد الدولة كوهرائين الى بغداد شحنة وعزل السليمانى عنها اتباعا لما أمر به الخليفة القائم بأمر الله ولما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه وجلس له الخليفة

﴿ذكر تزويج ولى العهد بابنة السلطان﴾

فى هذه السنة أرسل الامام القائم بأمر الله عميد الدولة بن جهير ومعه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه وكان السلطان قد أرسل يطلب من الخليفة ان يأذن فى ان يجعل ولده ملكشاه ولى عهده فاذن وسيرت له الخلع مع عميد الدولة وأمر عميد الدولة ان يخطب ابنة السلطان ألب ارسلان من سفرى خاتون لولى العهد المقتدى بامر الله فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فاجيب الى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل فى قبول النكاح ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان فى العقد وكان النثار جواهر وعاد عميد الدولة من عند السلطان الى ملكشاه وكان ببلاد فارس فلقيه باصبهان فافاض عليه الخلع فلبسها وسار الى والده وعاد عميد الدولة الى بغداد فدخلها فى ذى الحجة

﴿ذكر ولاية أبى الحسن بن عمار طرابلس﴾

فى هذه السنة فى رجب توفى القاضى أبو طالب بن عمار قاضى طرابلس وكان قد استولى عليها واستبد بالامر فيها فلما توفى قام مكانه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عمار فضبط البلد احسن ضبط ولم يظهر لفقد عمه أثر لكفايته

﴿ذكر ملك السلطان ألب ارسلان قلعة فضلون بفارس﴾

فى هذه السنة سير السلطان ألب ارسلان وزيره نظام الملك فى عسكر الى بلاد فارس وكان بها حصن من أمنع الحصون والمعاقل وفيه صاحبه فضلون وهو لا يعطى الطاعة فنازله وحصره ودعاه الى طاعة السلطان فامتنع فقاتله فلم يبلغ بقتاله غرضا لعلو الحصن وارتفاعه فلم يطل

والجهاز والطيب والجوهر وغير ذلك وابتنى له مركب لا يلحق فى جريه سرعة ولا يدرك فى مسيره بنيانا عجيبا فسار الرجل حتى أتى مدينة تبرس فاتصل برئيسها وأخبره أن معه جارية للملك وأنه يريد التجارة الى القسطنطينية قاصدا الى الملك وخواصه بذلك فوصل الملك بذلك واعلم بحال الرجل فأذن له فى الدخول فدخل خليج القسطنطينية وسار فيه حتى انتهى الى القسطنطينية وقد أتينا على مقدار مسافة هذا الخليج واتصاله بالبحر الرومى وبحر مانطس عند ذكر البحار فيما سلف من هذا الكتاب فلما وصل الى القسطنطينية أهدى للملك وجميع بطارقته وبابهم وشاراتهم ولم يعط للبطريق الذى اطم وجه القرشى شيأ وقصده الى ذلك البطريق الذى اطم الرجل القرشى وتأنى الصورى فى الامر على حسب مارسمه معاوية وأقبل الرجل من القسطنطينية الى الشأم وقد أمره البطارقة والملك بابتياع حوائج ذكروها وأنواع من الامتعة وصفوها فلما صار الى الشام سار الى معاوية سرا وذكر له من الامر ما جرى فابتيع له جميع ما طلب منه وما علم أن رغبتهم فيه وتقدم اليه فقال ان ذلك البطريق اذا عدت الى كرتك هذه سيعذلك عن تخلفك عن بره واستهانتك به فاعتذر

مقامهم عليه حتى نادى أهل القلعة بطلب الامان ليسلموا الحصن اليه فعجب الناس من ذلك وكان السبب فيه ان جميع الآبار التى بالقلعة غارت مياهها فى ليلة واحدة فقادتهم ضرورة العطش الى التسليم فلما طلبوا الامان أمنهم نظام الملك وتسلم الحصن والتجأ فضلون الى قلة القلعة وهى أعلى موضع فيها وفيه بناء مرتفع فاحتمى فيها فسير نظام الملك طائفة من العسكر الى الموضع الذى فيه أهل فضلون وأقاربه ليحملوهم اليه وينهبوا مالهم فسمع فضلون الخبر ففارق موضعه مستخفيا فيمن عنده من الجند وسار ليمنع عن أهله فاستقبله طلائع نظام الملك فخافهم فتفرق من معه واختفى فى نبات الارض فوقع فيه بعض العسكر فاخذه أسيرا وحمله الى نظام الملك فاخذه وسار به الى السلطان فأمنه وأطلقه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة توفى القاضى أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الصمد بن المهتدى بالله الخطيب بجامع المنصور وكان قد أضر ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وكان اليه قضاء واسط وخليفته عليها أبو محمد بن السمال

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل السلطان ألب أرسلان﴾

فى أول هذه السنة قصد السلطان ألب أرسلان واسمه محمد ماوراء النهر وصاحبه شمس الملك تكين فعقد على جيحون جسرا وعبر عليه فى نيف وعشرين يوما وعسكره يزيد على مائتى ألف فارس فاتاه أصحابه بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمى فى سادس شهر ربيع الاول وحمل الى قرب سريره مع غلامين فتقدم ان تضرب له أربعة أوتاد وتشد اطرافه اليها فقال له يوسف يا مخنث مثلى يقتل هذه القتلة فغضب السلطان ألب أرسلان وأخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خلياه ورماه السلطان بسهم فاخطأه ولم يكن يخطئ سهمه فوثب يوسف يريده والسلطان على سدة فلما رأى يوسف يقصده قام عن السدة ونزل عنها فعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه فى خاصرته وكان سعد الدولة واقفا فجرحه يوسف أيضا جراحات ونهض السلطان فدخل الى خيمة أخرى وضرب بعض الفراشين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله وقطعه الاتراك وكان أهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر وما فعل عسكره بتلك البلاد لا سيما بخارا اجتمعوا وختموا ختمات وسألوا الله ان يكفيهم أمره فاستجاب لهم ولما جرح السلطان قال ما من وجه قصدته وعدو أردته الا استعنت بالله عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الارض تحتى من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت فى نفسى أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد على فعجزنى الله تعالى باضعف خلقه وأنا أستغفر الله تعالى واستقيله من ذلك الخاطر فتوفى عاشر ربيع الاول من السنة فحمل الى مرو ودفن عند أبيه ومولده سنة أربع وعشرين وأربعمائة وبلغ من العمر أربعين سنة وشهورا وقيل كان مولده سنة عشرين وأربعمائة وكانت مدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة الى ان قتل تسع سنين وستة أشهر وأياما ولما وصل خبر موته الى بغداد جلس الوزير فخر الدولة بن جهير للعزاء به فى صحن السلام

﴿ذكر نسب ألب أرسلان وبعض سيرته﴾

هو ألب أرسلان محمد بن داود جغرى بك بن ميكائيل بن سلجوق وكان كريما عادلا عاقلا لا يسمع السعايات واتسع ملكه جدا ودان له العالم وبحق قيل له سلطان العالم وكان رحيم القلب رفيقا

اليه ولاطفه بالقصد والهدايا واجعله القيم بأمرك والمتفقد لاحوالك وانظر ماذا يطلب منك حين أوبك الى الشأم فان منزلتك ستعلو وأحوالك تزداد عندهم فاذا أتقنت جميع ما أمرتك به وعلمت غرض البطريق منك وأى شئ يأمرك بابتياعه لتكون الحيلة بحسب ذلك فلما رجع الصورى الى القسطنطينية ومعه جميع ما طلب منه والزيادة على ما لم يطلب منه زادت منزلته وارتفعت أحواله عند الملك والبطارقة وسائر الحاشية فلما كان فى بعض الايام وهو يريد الدخول الى الملك قبض عليه ذلك البطريق فى دار الملك وقال له ما ذنبى اليك وبماذا استحق غيرى أن تقصده وتقضى حوائجه وتعرض عنى فقال له الصورى أكثر من ذكرت ابتدائى وأنا غريب أدخل الى هذا الملك والبلد كالمتنكر من أسارى المسلمين وجواسيسهم لئلا ينموا بخبرى ويعنوا بأمرى الى المسلمين فيكون فى ذلك فقدى واذ قد علمت ميلك الى فلست أحب أن يعتنى أمرى سواك ولا يقوم به عند الملك وغيره غيرك فأمرنى بجميع حوائجك وجميع ما يعرض من أمورك بأرض الاسلام وأهدى الى البطريق هدية حسنة من الزجاج المخروط والطيب

بالفقراء كثير الدعاء بدوام ما أنعم الله به عليه اجتاز يوما بعرو على فقراء الخرائين فبكى وسأل الله تعالى ان يغنيه من فضله وكان يكثر الصدقة فيتصدق فى رمضان بخمسة عشر ألف دينار وكان فى ديوانه أسماء خلق كثير من الفقراء فى جميع ممالكه عليهم الادارات والصلات ولم يكن فى جميع بلاده جناية ولا مصادرة قد قنع من الرعايا بالخراج الاصلى يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم وكتب اليه بعض السعاة سعاية فى نظام الملك وزيره وذكر ماله فى ممالكه من الرسوم والاموال وتركت على مصلاه فأخذها فقرأها ثم سلمها الى نظام الملك وقال له خذ هذا الكتاب فان صدقوا فى الذى كتبوه فهذب أخلاقك وأصلح أحوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بمهم يشتغلون به عن السعاية بالناس وهذه حالة لا يذكر عن أحد من الملوك أحسن منها وكان كثيرا ما يقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم وأحكام الشريعة ولما اشتهر بين الملوك حسن سيرته ومحافظته على عهوده اذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع وحضروا عنده من اقاصى ما وراء النهر الى أقصى الشام وكان شديد العناية بكف الجند عن أموال الرعية بلغه ان بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقية ازارا فأخذ المملوك وصلبه فارتدع الناس عن التعرض الى مال غيرهم ومناقبه كثيرة لا يليق بهذا الكتاب اكثر من هذا القدر منها وخلف ألب أرسلان من الاولاد ملكشاه وهو صار السلطان بعده واياز وتكش وبورى برش وتتش وأرسلان ارغو وسارة وعائشة وبنتا أخرى

﴿ذكر ملك السلطان ملكشاه﴾

لما جرح السلطان ألب أرسلان أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه وكان معه وأمر ان يحلف له العسكر فحلفوا جميعهم وكان المتولى للامر فى ذلك نظام الملك وأرسل ملكشاه الى بغداد يطلب الخطبة له فخطب له على منابرها وأوصى ألب أرسلان ابنه ملكشاه أيضا ان يعطى أخاه قاورت بك بن داود اعمال فارس وكرمان وشيأ عينه من المال وان يزوج بزوجته وكان قاورت بك بكرمان وأوصى أن يعطى ابنه اياز بن ألب أرسلان ما كان لابيه داود وهو خمسمائة ألف دينار وقال كل من لم يرض بما أوصيت له فقاتلوه واستعينوا بما جعلته له على حربه وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر فعبر العسكر الذى قطع النهر فى نيف وعشرين يوما فى ثلاثة أيام وقام بوزارة ملكشاه نظام الملك وزاد الاجناد فى معايشهم سبعمائة ألف دينار وعادوا الى خراسان وقصدوا نيسابور وراسل ملكشاه جماعة الملوك أصحاب الاطراف يدعوهم الى الخطبة له والانقياد اليه وأقام اياز أرسلان ببلخ وسار السلطان ملكشاه فى عساكره من نيسابور الى الرى

﴿ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ﴾

فى هذه السنة فى ربيع الآخر ملك التكين صاحب سمرقند مدينة ترمذ وسبب ذلك انه لما بلغه وفاة ألب أرسلان وعود ابنه ملكشاه عن خراسان طمع فى البلاد المجاورة له فقصد ترمذ أول ربيع الآخر وفتحها ونقل ما فيها من ذخائر وغيرها الى سمرقند وكان اياز بن ألب أرسلان قد سار عن بلخ الى الجوزجان فخاف أهل بلخ فراسلوا الى التكين يطلبون منه الامان فأمنهم فخطب له فيها وورد اليها فنهب عسكره شيأ من أموال الناس وعاد الى ترمذ فثار أوباش بلخ بجماعة من أصحابه فقتلوهم فعاد اليهم وأمر باحراق المدينة فخرج اليه أعيان أهلها وسألوه الصفح واعتذروا فعفا عنهم لكنه أخذ أموال التجار فغنم شيأ عظيما فلما وصل الخبر الى اياز عاد من الجوزجان الى بلخ فوصل غرة جمادى الاولى فاطاعه أهلها وسار عنها الى ترمذ فى عشرة آلاف

والجواهر والطرائف والثياب ولم يزل هذا فعله يتردد من الروم الى معاوية ومن معاوية الى الروم ويسأل الملك والبطريق وغيره الحوائج والحيلة لا تتوجه لمعاوية حتى مضى على ذلك سنين فلما كان فى بعضها قال البطريق للصورى وقد أراد الخروج الى دار الاسلام قد اشتهيت أن تغمرنى بقضاء حاجة وتمن بها على أن تبتاع لى بساطا سوسنجرى بمخاده ووسائده يكون فيه من أنواع الالوان من الحمرة والزرقة وغيرهما ويكون من صفته كذا وكذا ولو بلغ ثمنه كل مبلغ فأنعم له بذلك وكان من شأن الصورى اذا ورد الى القسطنطينية تكون مركبه بالقرب من موضع ذلك البطريق وللبطريق ضيعة سرية وفيها قصر مشيد ومنتزه حسن على أميال من القسطنطينية راكبة على الخليج وكان البطريق أكثر أوقاته فى ذلك المنتزه وكانت الضيعة مما يلى فم الخليج مما يلى بحر الروم والقسطنطينية فانصرف الصورى الى معاوية سرا وأخبره بالحال فأحضر معاوية بساطا بوسائد ومخاد ومجلس فانصرف به الصورى مع جميع ما طلب منه من دار الاسلام وقد تقدم اليه معاوية بالحيلة وكيفية ايقاعها وكان الصورى فيما وصفنا من هذه المدة قد صار كاحدهم فى المؤانسة

فارس فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة فلقيهم عسكر التكين فانهزم اياز فغرق من عسكره فى جيحون أكثرهم وقتل كثير منهم ولم ينج الا القليل

﴿ذكر قصد صاحب غزنة سكلكند﴾

وفى هذه السنة أيضا فى جمادى الاولى وردت طائفة كثيرة من عسكر غزنة الى سكلكند وبها عثمان عم السلطان ملكشاه ويلقب بامير الامراء فأخذوه أسيرا وعادوا به الى غزنة مع خزائنه وحشمه فسمع الامير كمشتكين بلكابك وهو من اكابر الامراء فتبع آثارهم وكان معه أنوشتكين جد ملوك خوارزم فى زماننا فنهبوا مدينة سكلكند

﴿ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك﴾

لما بلغ قاورت بك وهو بكرمان وفاة أخيه ألب أرسلان سار طالبا للرى يريد الاستيلاء على الممالك فسبقه اليها السلطان ملكشاه ونظام الملك وسارا منها اليه فالتقوا بالقرب من همذان فى شعبان وكان العسكر يميلون الى قاورت بك فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه فهزموها وحمل شرف الدولة مسلم بن قريش وبهاء الدولة منصور بن دبيس بن مزيد وجماعة ملكشاه ومن معهما من العرب والاكراد على ميمنة قاورت بك فهزموها وتمت الهزيمة على أصحاب قاورت بك ومضى المنهزمون من أصحاب السلطان ملكشاه الى حلل شرف الدولة وبهاء الدولة فنهبوها غيظا منهم حيث هزموا عسكر قاورت بك ونهبوا أيضا ما كان لنقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى رسول الخليفة وجاء رجل سوادى الى السلطان ملكشاه فاخبره ان عمه قاورت بك فى بعض القرى فارسل من أخذه وأحضره فأمر سعد الدولة كوهرائين فخنقه وأقر كرمان بيد أولاده وسير اليهم الخلع وأقطع العرب والاكراد اقطاعات كثيرة لما فعلوه فى الوقعة وكان السبب فى حضور شرف الدولة وبهاء الدولة عند ملكشاه ان السلطان ألب أرسلان كان ساخطا على شرف الدولة فارسل الخليفة نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى الى شرف الدولة بالموصل فأخذه وسار به الى ألب أرسلان ليشفع فيه عند الخليفة فلما بلغ الزاب وقف على ملطفات كتبها وزيره أبو جابر بن صقلاب فأخذها شرف الدولة فغرقها وسار مع طراد فبلغهما الخبر بوفاة ألب أرسلان ومسير ابنه ملكشاه فتمما اليه وأما بهاء الدولة فانه كان قد سار بمال أرسله به أبوه الى السلطان فحضر الحرب بهذا السبب

﴿ذكر تفويض الامور الى نظام الملك﴾

ثم ان عسكر ملكشاه بسطوا ومدوا أيديهم فى أموال الرعية وقالوا ما يمنع السلطان ان يعطينا الاموال الا نظام الملك فنال الرعية أذى شديد فذكر ذلك نظام الملك للسلطان فبين له ما فى هذا الفعل من الوهن وخراب البلاد وذهاب السياسة فقال له افعل فى هذا ما تراه مصلحة فقال له نظام الملك ما يمكننى أن أفعل الا بأمرك فقال السلطان قد رددت الامور كلها كبيرها وصغيرها اليك فانت الوالد وحلف له وأقطعه اقطاعا زائدا على ما كان من جملته طوس مدينة نظام الملك وخلع عليه ولقبه ألقابا من جملتها أتابك ومعناه الامير الوالد فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور ومن ذلك أن امرأة ضعيفة استغاثت اليه فوقف يكلمها وتكلمه فدفعها بعض حجابه فانكر ذلك عليه وقال انما استخدمتك لامثال هذه فان الامراء والاعيان لا حاجة بهم اليك ثم صرفه عن حجبته

﴿ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان﴾

وفى العشرة وفى الروم طمع وشره فلما دخل من البحر الى خليج القسطنطينية وقد طابت له الريح وتدفرب من ضيعة البطريق أخذ الصورى خبر البطريق من أصحاب القوارب والمراكب فأخبر أن البطريق فى ضيعته وذلك أن الخليج طوله نحو من ثلثمائة ميل وخمسين ميلا بين هذين البحرين وهما الرومى ومانطس على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب والضياع والعمائر على هذا الخليج من حافتيه والمراكب تختلف والقوارب بأنواع المتاع والاقوات الى القسطنطينية وهذه المراكب لا تحصى فى هذا الخليج كثرة فلما علم الصورى ان البطريق فى ضيعته فرش ذلك البساط ونضد ذلك الصدر والمجلس بالوسائد والمخاد فى صحن المركب ومجلسه والرجال تحت المجلس بأيديهم المجاذف مشكلة قائمة غير قاذفين بها ولا يعلم بهم أنهم فى بطن المركب الا من ظهر منهم فى المركب عمله والريح فى القلع والمركب مار فى الخليج كأنه سهم قد خرج من كبد قوس لا يستطيع القائم على الشط أن يملأ بصره منه لسرعة سيره واستقامته فى جريه فأشرف على قصر البطريق وهو جالس فى مستشرفه مع حرمه وقد أخذت منه الخمر وعلاه الطرب وذهب به الفرح والسرور فلما رأى البطريق مركب

فى هذه السنة قتل ناصر الدولة أبو على الحسن بن حمدان وهو من أولاد ناصر الدولة بن حمدان
بمصر وكان قد تقدم فيها تقدما عظيما ونذكر ههنا الاسباب الموجبة لقتله فانها تتبع بعضها بعضا
فى حروب وتجارب وكان أول ذلك انحلال أمر الخلافة وفساد أحوال المستنصر بالله العلوى
صاحبها وسببه ان والدته كانت غالبة على أمره وقد اصطنعت أباسعيد ابراهيم التسترى اليهودى
وصار وزيرا لها فاشار عليها بوزارة أبى نصر الفلاحى فوليته الوزارة واتفقا مدة ثم صار الفلاحى
ينفرد بالتدبير فوقع بينهما وحشة فخاف الفلاحى أن يفسد أمره مع أم المستنصر فاصطنع
الغلمان الاتراك واستمالهم وزاد فى أرزاقهم فلما وثق بهم وضعهم على قتل اليهودى فقتلوه
فعظم الامر على أم المستنصر وأغرت به ولدها فقبض عليه وأرسلت من قتله تلك الليلة وكان
بينهما فى القتل تسعة أشهر ووزر بعده أبو البركات حسن بن محمد فوضعه على الغلمان الاتراك
فافسد أحوالهم وشرع يشترى العبيد للمستنصر واستكثر منهم فوضعته أم المستنصر ليغرى
العبيد المجردين بالاتراك فخاف عاقبة ذلك وعلم أنه يورث شرا وفسادا فلم يفعل فتنكرت له وعزلته
عن الوزارة وولى بعده الوزارة أبو محمد اليازورى من قرية من قرى الرملة اسمها يازور فامرته
أيضا بذلك فلم يفعل واصلح الامور الى ان قتل ووزر بعده أبو عبد الله الحسين بن البابلى فامرته بما
أمرت به غيره من الوزراء من اغراء العبيد بالاتراك ففعل فتغيرت نياتهم ثم ان المستنصر ركب
ليشيع الحجاج فاجرى بعض الاتراك فرسه فوصل به الى جماعة العبيد المحدثين وكانوا يحيطون
بالمستنصر فضربه أحدهم فجرحه فعظم ذلك على الاتراك ونشبت بينهم الحرب ثم اصطلحوا على
تسليم الجارح اليهم واستحكمت العداوة فقال الوزير للعبيد خذوا حذركم فاجتمعوا فى محلتهم
وعرف الاتراك ذلك فاجتمعوا الى مقدميهم وقصدوا ناصر الدولة بن حمدان وهو أكبر قائد بمصر
وشكوا اليه واستمالوا المصامدة وكتامة وتعاهدوا وتعاقدوا فقوى الاتراك وضعف العبيد
المحدثون فخرجوا من القاهرة الى الصعيد فاجتمعوا هناك فانضاف اليهم خلق كثير يزيدون
على خمسين الف فارس وراجل فخاف الاتراك وشكوا الى المستنصر فاعاد الجواب انه لا علم له
بما فعل العبيد وانه لا حقيقة له فظنوا قوله حيلة عليهم ثم قوى الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم
فاحتفل الاتراك وكتامة والمصامدة وكانت عدتهم ستة آلاف فالتقوا بموضع يعرف بكوم الريش
واقتتلوا فانهزم الاتراك ومن معهم الى القاهرة وكان بعضهم قد كمن فى خمسمائة فارس فلما
انهزم الاتراك خرج الكمين على ساقة العبيد ومن معهم وحملوا عليهم حملة منكرة وضربت
البوقات فارتاع العبيد وظنوا انه مكيدة من المستنصر وانه قد تدرك فى باقى العسكر فانهزموا وعاد
عليهم الاتراك وحكموا فيهم السيوف فقتل منهم وغرق نحو أربعين الفا وكان يوما مشهودا
وقويت نفوس الاتراك وعرفوا حسن رأى المستنصر فيهم وتجمعوا وحشدوا واقتضت عدتهم
وزادت واجباتهم للانفاق فيهم تخلت الخزائن واضطربت الامور وتجمع باقى العسكر من الشام
وغيره الى الصعيد فاجتمع مع العبيد فصار وخمسة عشر ألف فارس وراجل وساروا الى الجيزة
فخرج عليهم الاتراك ومن معهم واقتتلوا فى الماء عدة أيام ثم عبر الاتراك النيل اليهم مع ناصر
الدولة بن حمدان فاقتتلوا فانهزم العبيد الى الصعيد وعاد ناصر الدولة والاتراك منصورين ثم ان
العبيد اجتمعوا بالصعيد فى خمسة عشر ألف فارس وراجل فقلق الاتراك لذلك فحضر مقدموهم
دار المستنصر لشكوى حالهم فأمرت أم المستنصر من عندها من العبيد بالهجوم على المقدمين
والفتك بهم ففعلوا ذلك وسمع ناصر الدولة الخبر فهرب الى ظاهر البلد واجتمع الاتراك اليه

الصورى غنى طربا وصاح فرحا وسرورا وابتهاجا بقدومه فدنا من أسفل القصر وحط القلع وأشرف
البطريق على المركب فنظر الى ما فيه من حسن ذلك البساط ونظم ذلك الفرش كأنه رياض تزهر فلم يستطع اللبث فى موضعه حتى نزل قبل أن يخرج الصورى من مركبه اليه فطلع المركب فلما استقرت قدمه فى المركب ودنا من المجلس ضرب الصورى بعقبه على من تحت البساط من الوقوف وكانت علامة بينه وبين الرجال الذين فى بطن المركب فما استقر قدمه حتى اختطف المركب بالمجاديف فاذا هو فى وسط البحر لا يلوى على شئ وارتفع الصوت ولم يدر ما الخبر لمعاجلة الامر فلم يكن الليل حتى خرج من الخليج وتوسط البحر وقد أوثق البطريق كتافا وطابت له الريح وأسعده الجد وجملة المجاديف فى ذلك الخليج فتعلق اليوم السابع بساحل الشام ورأى البر وحمل الرجل فكانوا اليوم الثالث عشر حضورا بين يدى معاوية بالفرح والسرور لانبلاجه بالامر وتمام الحيلة وأيقن معاوية بالظفر وعلوا الجد فقال على بالرجل القرشى فأتى به وقد حضره خواص الناس
فأخذوا مجالسهم وانفض المجلس بأهله فقال له معاوية انظر لاتتعدى ماجرى عليك منه

ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد ومن تبعهم من مصر والقاهرة وحلف الامير ناصر الدولة بن
حمدان انه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاما حتى ينفصل الحال بينهم فبقيت الحرب ثلاثة أيام ثم
ظفر بهم ناصر الدولة وأكثر القتل فيهم ومن سلم هرب وزالت دولتهم من القاهرة وكان
بالاسكندرية جماعة كثيرة من العبيد فلما كانت هذه الحادثة طلبوا الامان فامنوا وأخذت
منهم الاسكندرية وبقى العبيد الذين بالصعيد فلما خلت الدولة للاتراك طمعوا فى المستنصر
وقل ناموسه عندهم وطلبوا الاموال فخلت الخزائن فلم يبق فيها شئ ألبتة واختل ارتفاع
الاعمال وهم يطالبون واعتذر المستنصر بعدم الاموال عنده فطلب ناصر الدولة العروض
فأخرجت اليهم وقومت بالثمن البخس وصرفت الى الجند قيل ان واجب الاتراك كان فى الشهر
عشرين ألف دينار فصار الآن فى الشهر أربعمائة ألف دينار واما العبيد بالصعيد فانهم
أفسدوا وقطعوا الطريق وأخافوا السبيل فسار اليهم ناصر الدولة فى عسكر كثير فمضى العبيد
من بين يديه الى الصعيد الاعلى فادركهم فقاتلهم وقاتلوه فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد الى الجيزة
بمصر واجتمع اليه من سلم من أصحابه وشغبوا على المستنصر واتهموه بتقوية العبيد والميل اليهم
ثم جهزوا جيشا وسيروه الى طائفة من العبيد بالصعيد وقاتلوهم فقتل تلك الطائفة من العبيد
فوهن الباقون وزالت دولتهم وعظم أمر ناصر الدولة وقويت شوكته وتفرد بالامر دون
الاتراك فامتنعوا من ذلك وعظم عليهم وفسدت نياتهم له فشكوا ذلك الى الوزير وقالوا كلما
خرج من الخليفة مال أخذ أكثره له ولحاشيته ولا يصل الينا منه الا القليل فقال الوزير انما
وصل الى هذا وغيره بكم فلو فارقتموه لم يتم له أمر فاتفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة واخراجه
من مصر فاجتمعوا وشكوا الى المستنصر وسألوه ان يخرج عنهم ناصر الدولة فارسل اليه بأمره
بالخروج ويتهدده ان لم يفعل فخرج من القاهرة الى الجيزة ونهبت داره ودور حواشيه وأصحابه
فلما كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفيا الى القائد المعروف بتاج الملوك شادى فقبل رجله
وقال اصطنعنى فقال افعل فحالفه على قتل مقدم من الاتراك اسمه الدكز والوزير الخطير وقال
ناصر الدولة لشادى تركب فى أصحابك وتسير بين القصرين فاذا أمكنتك الفرصة فيهما
فاقتلهما وعاد ناصر الدولة الى موضعه الى الجيزة وفعل شادى ما أمره فركب الدكز الى القصر
فرأى شادى فى جمعه فانكره وأسرع فدخل القصر ففاته ثم أقبل الوزير فى موكبه فقتله شادى
وأرسل الى ناصر الدولة يأمره بالركوب فركب الى باب القاهرة فقال الدكز للمستنصر ان لم
تركب والا هلكت أنت ونحن فركب ولبس سلاحه وتبعه خلق عظيم من العامة والجند
واصطفوا للقتال فحمل الاتراك على ناصر الدولة فانهزم وقتل من أصحابه خلق كثير ومضى
منهزما على وجهه لا يلوى على شئ وتبعه فل أصحابه فوصل الى بنى سنبس فأقام عندهم
وصاهرهم فقوى بهم وتجهزت العساكر اليه ليبعدوه فساروا حتى قربوا منه وكانوا ثلاث
طوائف فأراد أحد المقدمين أن يفوز بالظفر وحده دون أصحابه فعبر فيمن معه الى ناصر الدولة
وحمل عليه فقاتله فظفر به ناصر الدولة فاخذه أسيرا وأكثر القتل فى أصحابه وعبر العسكر الثانى
ولم يشعروا بما جرى على أصحابهم فحمل ناصر الدولة عليهم ورفع رؤس القتلى على الرماح فوقع
الرعب فى قلوبهم فانهزموا وقتل أكثرهم وقويت نفس ناصر الدولة وعبر العسكر الثالث
فهزمه وأكثر القتل فيهم وأسر مقدمهم وعظم أمره ونهب الريف فاقطعه وقطع الميرة عن
مصر برا وبحرا فغلت الاسعار بها وكثر الموت بالجوع وامتدت أيدى الجند بالقاهرة الى النهب

واقتص منه على حسب ما صنع بك ولا تتعدى وراع ما أوجب الله عليك
من المماثلة فلطمه القرشى لطمات ووكزه فى حلقه ثم انكب القرشى على يد معاوية وأطرافه يقبلها وقال ما أضاعك من سودك ولا خاب فيك أمل من أملك أنت ملك لا تضام تمنع حماك وتصون رعيتك وأغرق فى دعائه ووصفه وأحسن معاوية الى البطريق وخلع عليه وبره وحمل معه البساط وأضاف الى ذلك أمورا كثيرة وهدايا الى الملك وقال له ارجع الى ملكك وقل له تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ويقتص لرعيته فى دار مملكتك وسلطانك وقال للصورى سر معه حتى تأتى الخليج فتطرحه فيه ومن كان أسر معه ممن بادر فصعد المركب من غلمان البطريق وخاصته فحملوا الى صور مكرمين وحملوا فى المركب فطابت لهم الريح فكانوا فى اليوم الحادى عشر متعلقين ببلاد الروم وقربوا من فم الخليج واذا به قد أحكم بالسلاسل والمنعة من الموكلين به فطرح البطريق ومن معه وانصرف الصورى راجعا وحمل البطريق من ساعته الى الملك ومعه الهدايا والامتعة فتباشرت الروم بقدومه وتلقوه مهنئين له من الاسر فكافأ
الملك معاوية على ما كان من فعله بالبطريق والهدايا فلم يكن يستضام أسير من المسلمين فى أيامه وقال الملك هذا أمكر الملوك

والقتل وعظم الوباء حتى ان أهل البيت الواحد كانوا يموتون كلهم في ليلة واحدة واشتد الغلاء حتى حكي ان امرأة أكلت رغيفا بألف دينار فاستبعد ذلك فقيل انها باعت عروضا قيمتها ألف دينار بثلثمائة دينار واشترت بها حنطة وحملها الحمال على ظهره فنهبت الحنطة في الطريق فنهبت هي مع الناس فكان الذي حصل لها مما عجنته رغيفا واحدا وقطع ناصر الدولة الطريق برا وبحرا فهلك العالم ومات أكثر أصحاب المستنصر وتفرق كثير منهم فراسل الاتراك من القاهرة ناصر الدولة في الصلح فاصطلحوا على ان يكون تاج الملوك شادي نائبا عن ناصر الدولة بالقاهرة يحمل المال اليه ولا يبقى معه لاحد حكم فلما دخل تاج الملوك الى القاهرة تغير عن القاعدة واستبد بالاموال دون ناصر الدولة ولم يرسل اليه منها شيأ فسار ناصر الدولة الى الجيزة واستدعى اليه شادي وغيره من مقدمي الاتراك فخرجوا اليه الا أقلهم فقبض عليهم كلهم ونهب ناحيتي مصر وأحرق كثيرا منها فسير اليه المستنصر عسكرا فكبسوه فانهزم منهم ومضى هاربا فجمع جمعا وعاد اليهم فقاتلهم فهزمهم وقطع خطبة المستنصر بالاسكندرية ودمياط وكانا معه وكذلك جميع الريف وأرسل الى الخليفة ببغداد يطلب خلعا ليخطب له بمصر واضمحل أمر المستنصر وبطل ذكره وتفرق الناس من القاهرة وأرسل ناصر الدولة اليه أيضا يطلب المال فرآه الرسول جالسا على حصير وليس حوله غير ثلاثة خدم ولم ير الرسول شيأ من آثار المملكة فلما أدى الرسالة قال أما يكفي ناصر الدولة ان أجلس في مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير فبكى الرسول وعاد الى ناصر الدولة فاخبره الخبر فاجرى له كل يوم مائة دينار وعاد الى القاهرة وحكم فيها وأذل السلطان وأصحابه وكان الذي حمله على ذلك أنه كان يظهر التسنن من بين أهله و يعيب المستنصر وكان المغاربة كذلك فأعانوه على ما أراد وقبض على أم المستنصر وصادرها بخمسين ألف دينار وتفرق عن المستنصر أولاده وكثير من أهله الى الغرب وغيره من البلاد فمات كثير منهم جوعا وانقضت سنة أربع وستين وما قبلها بالفتن وانحط السعر سنة خمس وستين ورخصت الاسعار وبالغ ناصر الدولة في اهانة المستنصر وفرق عنه عامة أصحابه وكان يقول لاحدهم انني أريد ان أوليك عمل كذا فيسير اليه فلا يمكنه من العمل ويمنعه من العود وكان غرضه بذلك أن يخطب للخليفة القائم بأمر الله ولا يمكنه مع وجودهم ففطن لفعله قائد كبير من الاتراك اسمه الدكز وعلم انه متى ما تم ما أراد تمكن منه ومن أصحابه فأطلع على ذلك غيره من قواد الاتراك فاتفقوا على قتل ناصر الدولة وكان قد أمن لقوته وعدم عدوه فتواعدوا الليلة على ذلك فلما كان سحر الليلة التي تواعدوا فيها على قتله جاؤا الى باب داره وهي التي تعرف بمنازل العز وهي على النيل فدخلوا من غير استئذان الى صحن داره فخرج اليهم ناصر الدولة في رداء لانه كان آمنا منهم فلما دنا منهم ضربوه بالسيوف فسبهم وهرب منهم يريد الحرم فلحقوه فضربوه حتى قتلوه وأخذوا رأسه ومضى رجل منهم يعرف بكوكب الدولة الى فخر العرب أخي ناصر الدولة وكان فخر العرب كثير الاحسان اليه فقال للحاجب استأذن لي على فخر العرب وقل صنيعتك فلان على الباب فاستأذن له فاذن له وقال لعله قد دهمه أمر فلما دخل عليه أسرع نحوه كانه يريد السلام عليه وضربه بالسيف على كتفه فسقط الى الارض فقطع رأسه وأخذ سيفه وكان ذا قيمة وافرة وأخذ جارية له أردفها خلفه وتوجه الى القاهرة وقتل أخوهما تاج المعالي وانقطع ذكر الحمدانية بمصر بالكلية فلما كان سنة ست وستين وأربعمائة ولي الامر بمصر بدر الجمالي أمير الجيوش وقتل الدكز والوزير ابن كدينة وجماعة من المصلحية وتمكن من الدولة الى أن مات وولي بعده ابنه الافضل وسيرد

ذكرهم

وأدهى العرب ولهذا قدمته العرب عليها فساس أمرها والله لو هم بأخذي لتمت له الحيلة علي (وقد أتينا على خبر معاوية فيما سلف من هذا الكتاب وأتينا على مبسوطه وأخبار الوافدين والوافدات عليه من الامصار فيما سلف من كتبنا وان كنا قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من أخبار معاوية جملا ولملوك الروم وبطارقتها ممن سلف وخلف الى هذا الوقت أخبار حسان مع ملوك بني أمية والخلفاء من بني العباس في المغازي والسرايا وغيرها وكذلك لاهل الثغور الشامية والجزرية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا وقدمنا في هذا الكتاب جملا من أخبارهم ومقادير أعمارهم وأيامهم ولمعا من سيرهم وكذلك أخبرنا عن ملوك الامم وسيرهم (قال المسعودي) وكان المعتمد مشغوفا بالطرب والغالب عليه المعاقرة ومحبة أنواع اللهو والملاهي وذكر عبد الله بن خرداذبه أنه دخل عليه ذات يوم وفي المجلس عدة من ندمائه من ذوي العقول والمعرفة والحجى فقال له أخبرني عن أول من اتخذ العود قال ابن خرداذبه قد قيل في ذلك يا أمير المؤمنين أقاويل كثيرة أول من اتخذ اللهو لمك بن متوشلخ بن محويل بن عاذ بن

ذكرهم ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة أقيمت الدعوة العباسية بالبيت المقدس وفيها توفي الامير ليث بن منصور صدقة ابن الحسين بالدامغان والشريف أبو الغنائم عبد الصمد بن علي بن محمد بن المأمون ببغداد وكان موته في شوال ومولده سنة أربع وسبعين وثلثمائة وكان عالي الاسناد في الحديث وفيها في ذي الحجة توفي الشريف أبو الحسين محمد بن علي بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله المعروف بابن الغريق وكان يسمى راهب بني العباس وهو آخر من حدث عن الدارقطني وابن شاهين وغيرهما وكان موته ببغداد وفيها قتل ناصر الدولة أبو علي الحسين بن حمدان بمصر قتله الدكز التركي وقد تقدم شرحه مستوفى وفيها توفي الامام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري مصنف الرسالة وغيرها وكان اماما فقيها أصوليا مفسرا كاتبا ذا فضائل جمة وكان له فرس قد أهدي اليه فركبه نحو عشرين سنة فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيأ فعاش أسبوعا ومات وفيها أيضا توفي علي بن الحسن بن علي بن الفضل أبو منصور الكاتب المعروف بابن صربعر وكان نظام الملك قال له أنت ابن صردر لا صربعر فبقي ذلك عليه وهو من الشعراء المجيدين وهجاه ابن البياضي فقال

لئن نبز الناس قدما أباك * فسموه من شحه صربعرا
فانك تنثر ما صره * عقوقا له وتسميه شعرا

وهذا ظلم من ابن البياضي فانه كان شاعرا محسنا ومن شعر ابن صردر قوله

تراورن عن أذرعات يمينا * نواشز ليس يطقن البرينا
كلفن بنجد كأن الرياض * أخذن لنجد عليها يمينا
وأقسمن يحملن الا نحيلا * اليه ويبلغن الا حزينا
فلما استمعن زفير المشوق * ونوح الحمام تركن الحنينا
اذا جئتما بانة الواديين * فأرخوا النسوع وحلوا الوضينا
فثم علائق من أجلهن * ملاء الدجى والضحى قد طوينا
وقد أنبأتهم مياه الجفون * بأن بقلبك داء دفينا

﴿ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه﴾

في هذه السنة في صفر ورد كوهرائين الى بغداد من عسكر السلطان وجلس له الخليفة القائم بأمر الله ووقف على رأسه ولي العهد المقتدي بأمر الله وسلم الخليفة الى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير أوله وسلم اليه أيضا لواء عقده الخليفة بيده ولم يمنع يومئذ أحد من الدخول الى دار الخلافة فامتلأ صحن السلام بالعامة حتى كان الانسان تهمه نفسه ليتخلص وهنأ الناس بعضهم بعضا بالسلامة

﴿ذكر غرق بغداد﴾

في هذه السنة غرق الجانب الشرقي وبعض الغربي من بغداد وسببه ان دجلة زادت زيادة عظيمة وانفتح القورج عند المسناة المعزية وجاء في الليل سيل عظيم وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة وجاء الماء الى المنازل من فوق ونبع من البلاليع والآبار بالجانب الشرقي وهلك خلق

خنوخ بن قاد بن آدم وذلك أنه كان له ابن يحبه حبا شديدا فمات فعلقه بشجرة فتقطعت أوصاله حتى بقي منه فخذه والساق والقدم والاصابع فأخذ خشبا فرققه وألصقه فجعل صدر العود كالفخذ وعنقه كالساق ورأسه كالقدم والملاوي كالاصابع والاوتار كالعروق ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود قال الحمدوني

وناطق بلسان لا ضمير له
كأنه فخذ نيطت الى قدم
يبدي ضمير سواه في الحديث كما
يبدي ضمير سواه منطق القدم

واتخذ موسك بن لمك الطبول والدفوف وعملت ضلال بنت لمك المعازف ثم اتخذ قوم الطنابير يستميلون بها الغلمان والاكراد نوعا مما يصفر به فكانت أغنامهم اذا تفرقت صفروا فاجتمعت ثم اتخذ الفرس الناي للعود والثاني للطبلوت والسرياني للطبل والسنج والصنج وكان غناء الفرس بالعيدان والصنوج وهي لهم ولهم النغم والايقاعات والمقاطع والطروق الملوكية وهي سبع طرق فأولها سكاف وهو أكثرها استعمالا لتفعل الانهار وهو أفصحها مقاطع وأمرسه وهو أجمعها لمحاسن النغم وأكثرها تصعدا وانحدارا ومادار وسنان وهو أثقلها وسابكاد وهو المحبوب للارواح وسسم وهو المجانس المنقل وحوبران

كثير تحت الهدم وشدت الزواريق تحت التاج خوف الغرق وقام الخليفة يتضرع ويصلى وعليه البردة وبيده القضيب وأتى أيتكين السليمانى من عكبرا فقال للوزير ان الملاحين يؤذون الناس فى المعابر فأحضرهم وتهددهم بالقتل وأمر بأخذ ما جرت به العادة وجمع الناس وأقيمت الخطبة الجمعة فى الطيار مرتين وغرق من الجانب الغربى مقبرة أحمد ومشهد باب التبن وتهدم سوره فاطلق شرف الدولة ألف دينار تصرف فى عمارته ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدى ومن عجيب ما يحكى فى هذا الغرق ان الناس فى العام الماضى كانوا قد انكروا كثرة المغنيات والخمور فقطع بعضهم أوتار عود مغنية كانت عند جندى فثار به الجندى الذى كانت عنده فضربه فاجتمعت العامة ومعهم كثير من الائمة منهم أبو اسحق الشيرازى واستغاثوا الى الخليفة وطلبوا هدم المواخير والحانات وتبطيلها فوعدهم ان يكاتب السلطان فى ذلك فسكنوا وتفرقوا ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه فاتفق أن غرقت بغداد ونال الخليفة والجند من ذلك أمر عظيم وعمت مصيبته كافة الناس فرأى الشريف أبو جعفر بن موسى بعض الحجاب الذين يقولون نحن نكاتب السلطان ونسعى فى تفريق الناس ويقول اسكنوا الى ان يرد الجواب فقال له أبو جعفر قد كتبنا وكتبتم فجاء جوابنا قبل جوابكم يعنى انهم شكوا ما حل بهم الى الله تعالى وقد أجابهم بالغرق قبل ورود جواب السلطان

﴿ذكر ملك السلطان ملكشاه ترمذ والهدنة بينه وبين صاحب سمرقند﴾

قد ذكرنا ان خاقان التكين صاحب سمرقند ملك ترمذ بعد قتل السلطان ألب أرسلان فلما استقامت الامور للسلطان ملكشاه سار الى ترمذ وحصرها وطم العسكر خندقها ورماها بالمجانيق فخاف من بها فطلبوا الامان فأمنهم وخرجوا منها وسلموها وكان بها أخ لخاقان التكين فاكرمه السلطان وخلع عليه وأحسن اليه واطلقه وسلم قلعة ترمذ الى الامير ساوتكين وأمره بعمارتها وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكم وحفر خندقها وتعميقه ففعل ذلك وسار السلطان ملكشاه يريد سمرقند ففارقها صاحبها وانفذ يطلب المصالحة ويضرع الى نظام الملك فى اجابته الى ذلك ويعتذر من تعرضه الى ترمذ فاجيب الى ذلك واصطلحوا وعاد ملكشاه عنه الى خراسان ثم منها الى الرى واقطع بلخ وطخارستان لاخيه شهاب الدين تكش

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها توفى زعيم الدولة أبو الحسن بن عبد الرحيم بالنيل فجأة وله سبعون سنة وقد تقدم من أخباره ما فيه كفاية وفيها توفى اياز أخو السلطان ملكشاه وكفى شره كما كفى شر عمه قاورت بك وفيها فى ربيع الاول توفى القاضى أبو الحسين بن أبى جعفر السمنانى حمو قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى وولى ابنه أبو الحسن ما كان اليه من القضاء بالعراق والموصل وكان مولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة بسمنان وكان هو وأبوه من المغالين فى مذهب الاشعرى ولابيه فيه تصانيف كثيرة وهذا مما يستطرف ان يكون حنفى اشعريا وفيها فى جمادى الآخرة توفى عبد العزيز أحمد بن محمد بن على أبو محمد الكتانى الدمشقى الحافظ وكان مكثرا فى الحديث ثقة وممن سمع منه الخطيب أبو بكر البغدادى

﴿ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وفاة القائم بأمر الله وذكر بعض سيرته﴾

فى هذه السنة ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفى القائم بأمر الله أمير المؤمنين رضى الله عنه واسمه

وهو الدرج الموقوف على نغمة وكان غناء ٣٢ أهل خراسان وما والاها بالزنج وعليها سبعة أوتار وايقاعه يشبه ايقاع الصنج وكان غناء أهل الرى وطبرستان والديلم بالطنابير وكانت الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاهى وكان غناء النبط والجرامقة بالعيروارات وايقاعها يشبه ايقاع الطنابير وقال قندروس الرومى جعلت الاوتار أربعة بازاء الطبائع فجعلت الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء المرة السوداء وللروم من الملاهى الاورغن وعليه ستة عشر وترا وله صوت بعيد المذهب وهو من صنعة اليونانيين والسلبان وله أربعة وعشرون وترا وتفسيره الغصون ولهم اللورا وهى الرباب وهى من خشب ولها خمسة أوتار ولهم القيثارة ولها اثنا عشر وترا ولهم الصلنج وهو من جلود العجاجيل وكل هذه معازف مختلفة الصنعة ولهم الارغن وهو منافخ من الجلود والحديد وللهند الكنكلة وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج قال وكان الحداء فى العرب قبل الغناء وقد كان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعير فى بعض أسفاره فانكسرت يده فجعل يقول يا يداه يا يداه وكان من أحسن الناس صوتا فاستوسقت الابل وطاب لها السير فاتخذه العرب حداء برجز الشعر

عبد الله أبو جعفر بن القادر بالله أبى العباس أحمد ابن الامير اسحق بن المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبى العباس أحمد وكان سبب موته أنه كان قد أصابه ماشرا فافتصد ونام منفردا فانفجر فصاده وخرج منه دم كثير ولم يشعر فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته فايقن بالموت فاحضر ولى العهد ووصاه بوصايا واحضر النقيبين وقاضى القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جهير واشهدهم على نفسه انه جعل ابن ابنه أبا القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله ولى عهده ولما توفى غسله الشريف أبو جعفر بن أبى موسى الهاشمى وصلى عليه المقتدى بأمر الله وكان عمره ستا وسبعين سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وخلافته أربعا وأربعين سنة وثمانية أشهر وأيام وقيل كان مولده ثامن عشر ذى الحجة سنة احدى وتسعين وثلاثمائة وعلى هذا يكون عمره ستا وسبعين سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما وأمه أم ولد تسمى قطر الندى أرمنية وقيل رومية ادركت خلافته وقيل اسمها علم وماتت فى رجب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وكان القائم جميلا مليح الوجه أبيض مشربا بحمرة حسن الجسم ورعا دينا زاهدا عالما قوى اليقين بالله تعالى كثير الصبر وكان للقائم عناية بالادب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضى أكثر ما يكتب من الديوان فكان يصلح فيه أشياء وكان مؤثرا للعدل والانصاف يريد قضاء حوائج الناس لا يرى المنع من شى يطلب منه قال محمد بن على بن عامر الوكيل دخلت يوما الى المخزن فلم يبق أحد الا اعطانى قصة فامتلأت أكمامى منها فقلت فى نفسى لو كان الخليفة أخى لاعرض عن هذه كلها فالقيتها فى بركة والقائم ينظر ولا أشعر فلما دخلت اليه أمر الخدم باخراج الرقاع من البركة فأخرجت ووقف عليها ووقع فيها باغراض أصحابها ثم قال لى يا عامى ما حملك على هذا فقلت خوف الضجر منها فقال لا تعد الى مثلها فانا ما اعطيناهم من أموالنا شيئا انما نحن وكلاء ووزر للقائم أبو طالب محمد بن أيوب وأبو الفتح بن دارست ورئيس الرؤساء وأبو نصر بن جهير وكان قاضيه ابن ماكولا وأبو عبد الله الدامغانى

﴿ذكر خلافة المقتدى بأمر الله﴾

لما توفى القائم بأمر الله بويع المقتدى بأمر الله عبد الله بن محمد بن القائم بالخلافة وحضره مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ أبو اسحق وأبو نصر بن الصباغ ونقيب النقباء طراد والنقيب الطاهر المعمر بن محمد وقاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى وغيرهم من الاعيان والاماثل فبايعوه وقيل كان أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبى موسى الهاشمى فانه لما فرغ من غسل القائم بايعه وانشده * اذا سيد منا مضى قام سيد * ثم ارتج عليه فقال المقتدى * قؤول بما قال الكرام فعول * فلما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر ولم يكن للقائم من أعقابه ذكر سواه فان الذخيرة أبا العباس محمد بن القائم توفى أيام أبيه ولم يكن له غيره فايقن الناس بانقراض نسله وانتقال الخلافة من البيت القادرى الى غيره ولم يشكوا فى اختلال الاحوال بعد القائم لان من عدا البيت القادرى كانوا يخالطون العامة فى البلد ويجرون مجرى السوقة فلو اضطر الناس الى خلافة أحدهم لم يكن له ذلك القبول ولا تلك الهيبة فقدر الله تعالى ان الذخيرة أبا العباس كان له جارية اسمها أرجوان وكان يلم بها فلما توفى ورأت ما نال القائم من المصيبة واستعظمه من انقراض عقبه ذكرت أنها حامل فتعلقت النفوس بذلك فولدت بعد موت سيدها بستة أشهر المقتدى فاشتد فرح القائم وعظم سروره وبالغ فى الاشفاق عليه والمحبة له فلما كان حادثة البساسيرى كان للمقتدى قريب

وجعلوا كلامه أول الحداء فمن قول الحادى يا هاديا يا هاديا * ويا يداه يا يداه ٣٣ فكان الحداء أول السماع والترجيع فى العرب ثم اشتق الغناء من الحداء ونوح نساء العرب على موتاها ولم تكن أمة من الامم بعد فارس والروم أولع بالملاهى والطرب من العرب وكان غناؤهم النصب ثلاثة أجناس الركبانى والسناد الثقيل والهزج الخفيف (وكان أول) من غنى من العرب الجرادتان وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العلقمى وكانت العرب تسمى القينة الكرينة والعود المزهر وكان غناء أهل اليمن بالمعازف وايقاعها اجناسا من واحد وغناؤهم جنسان حنفى وحميرى والحنفى أحسنهما ولم تكن قريش تعرف من الغناء الا النصب حتى قدم النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصى من العراق وافدا على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء عليه فقدم مكة فعلم أهلها فاتخذوا القينات (والغناء) يرق الذهن ويلين العريكة ويبهج النفس ويسرها ويشجع القلب ويسخى البخيل وهو مع النبيذ يتعاونان على الحزن الهادم للبدن ويحدثان له نشاطا ويفرجان الكرب والغناء على الانفراد يفعل ذلك وفضل الغناء على المنطق كفضل المنطق

أربع سنين فأخفاه أهله وحمله أبو الغنائم بن المحلبان الى حران كما ذكرنا ولما عاد القائم الى بغداد أعيد المقتدى اليه فلما بلغ الحلم جعله ولى عهد ولما ولى الخلافة أقر فخر الدولة بن جهير على وزارته بوصية من القائم بذلك وسير عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير الى السلطان ملكشاه لأخذ البيعة وكان مسيره فى شهر رمضان وأرسل معه من أنواع الهدايا ما يجل عن الوصف

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى شوال وقعت نار ببغداد فى دكان خباز بنهر المعلى فاحترقت من السوق مائة وثمانون دكانا سوى الدور ثم وقعت نار فى المأمونية ثم فى الظفرية ثم فى درب المطبخ ثم فى دار الخليفة ثم فى حمام السمرقندى ثم فى باب الأزج ودرب خراسان ثم فى الجانب الغربى فى نهر طابق ونهر القلائين والقطيعة وباب البصرة واحترق ما لا يحصى وفيها أرسل المستنصر بالله العلوى صاحب مصر الى صاحب مكة بن أبى هاشم رسالة وهدية جليلة وطلب منه ان يعيد له الخطبة بمكة حرسها الله تعالى وقال ان أيمانك وعهودك كانت للقائم وللسلطان ألب أرسلان وقد ماتا فخطب له بمكة وقطع خطبة المقتدى وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين وخمسة أشهر ثم أعيدت فى ذى الحجة سنة ثمان وستين وفيها كانت حرب شديدة بين بنى رياح وزغبة ببلاد افريقية فقويت بنو رياح على زغبة فهزموهم وأخرجوهم من البلاد وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من أعيان المنجمين وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم وفيها أيضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين فى عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامى وأبو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم وخرج عليه من الأموال شئ عظيم وبقى الرصد دائرا الى أن مات السلطان سنة خمس وثمانين وأربعمائة فبطل بعد موته

﴿ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك الاقسيس دمشق﴾

قد ذكرنا سنة ثلاث وستين ملك اقسيس الرملة والبيت المقدس وحصره مدينة دمشق فلما عاد عنها جعل يقصد أعمالها كل سنة عند ادراك الغلات فيأخذها فيقوى هو وعسكره ويضعف أهل دمشق وجندها فلما كان رمضان سنة سبع وستين سار الى دمشق فحصرها وأميرها المعلى ابن حيدرة من قبل الخليفة المستنصر فلم يقدر عليها فانصرف عنها فى شوال فهرب أميرها المعلى فى ذى الحجة وكان سبب هربه أنه أساء السيرة مع الجند والرعية وظلمهم فكثر الدعاء عليه وثار به العسكر وأعانهم العامة فهرب منها الى بانياس ثم منها الى صور ثم أخذ الى مصر فحبس بها فمات محبوسا فلما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة وولوا عليهم انتصار بن يحيى المصمودى المعروف برزين الدولة وغلت الأسعار بها حتى أكل الناس بعضهم بعضا ووقع الخلف بين المصامدة وأحداث البلد وعرف اقسيس ذلك فعاد الى دمشق فنزل عليها فى شعبان من هذه السنة فحصرها فعدمت الأقوات فبيعت الغرارة اذا وجدت بأكثر من عشرين دينارا فسلموها اليه بأمان وعوض انتصار عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل ودخلها هو وعسكره فى ذى القعدة وخطب بها يوم الجمعة لخمس بقين من ذى القعدة للمقتدى بأمر الله الخليفة العباسى وكان آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين وتغلب على أكثر الشام ومنع الأذان بحى على خير العمل ففرح أهلها فرحا عظيما وظلم أهلها وأساء السيرة فيهم

على الحرس والبرء على السقم وقد قال الشاعر

لا تبعثن على همومك اذ ثوت * غير المدام ونغمة الأوتار

فلله در حكيم استنبطه وفيلسوف استخرجه أى غامض أظهر وأى مكنون كشف وعلى أى فن دل والى أى علم وفضيلة سبق فذلك نسيج وحده وقريع دهره (وقد كانت الملوك) تنام على الغناء ليسرى فى عروقها السرور وكانت ملوك الأعاجم لا تنام الا على غناء مطرب أو سهر لذيذ والعربية لا تنوم ولدها وهو يبكى خوف أن يسرى الهم فى جسده ويدب فى عرقه ولكنها تنازعه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور فينمو جسده ويصفو لونه ودمه ويشف عقله والطفل يرتاح الى الغناء ويستبدل ببكائه ضحكا وقد قال يحيى ابن خالد بن برمك الغناء ما أطربك فأرقصك وأبكاك فأشجاك وما سوى ذلك فبلاء وهم (قال المعتمد) قد قلت فأحسنت ووصفت فأطنبت وأنفقت فى هذا اليوم سوقا للغناء وعلم أنواع الملاهى وان كان كلامك لمثل الثوب الموشى يجمع فيه الأحمر والأصفر والأخضر وسائر الألوان فما صفة المغنى الحاذق قال ابن خرداذبه المغنى الحاذق يا أمير المؤمنين من تمكن من أنفاسه ولطف فى اختلاسه وتفرغ فى أجناسه (قال المعتمد) فعلى كم تنقسم أنواع الطرب قال على ثلاثة أوجه يا أمير المؤمنين

ذكر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج وأخذها من الروم وفيها قدم سعد الدولة كوهرائين شحنة الى بغداد من عسكر السلطان ومعه العميد أبو نصر ناظرا فى أعمال بغداد وفيها وثب الجند بالبطيحة على أميرها أبى نصر بن الهيثم وخالفوا عليه فهرب منهم وخرج من ملكه والذخائر والأموال التى جمعها فى المدة الطويلة ولم يصحبه من ذلك جميعه شئ وصار نزيلا على كوهرائين شحنة العراق وفيها انفجر البثوق بالفلوجة وانقطع الماء من النيل وغيره من تلك الأعمال من بلاد دبيس بن مزيد فجلا أهل البلاد ووقع الوباء فيهم ولم يزل كذلك الى أن سده عميد الدولة بن جهير سنة اثنتين وسبعين وفى هذه السنة توفى أبو على الحسن بن القاسم بن محمد المقرى المعروف بغلام الهراس الواسطى بها وكان محدثا علامة فى كثير من العلوم وفى شعبان توفى القاضى أبو الحسين محمد بن محمد البيضاوى الفقيه الشافعى وكان يدرس الفقه بدرب السلولى بالكرخ وهو زوج ابنة القاضى أبى الطيب الطبرى وعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن المظفر ابن محمد بن داود أبو الحسن بن أبى طلحة الداودى راوى صحيح البخارى ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وسمع الحديث وتفقه للشافعى على أبى بكر القفال وأبى حامد الاسفراينى وصحب أبا على الدقاق وأبا عبد الرحمن السلمى وكان عابدا خيرا قصده نظام الملك فجلس بين يديه فوعظه وكان فى قوله ان الله تعالى سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه اذا سألك عنهم فبكى وكان موته ببوشنج وفيها توفى أبو الحسن بن على بن أحمد بن محمد بن متويه الواحدى المفسر مصنف الوسيط والبسيط والوجيز فى التفسير وهو نيسابورى امام مشهور وأبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست وزير القائم توفى بالأهواز ومحمد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس أبو بكر الصفار النيسابورى الفقيه الشافعى تفقه على أبى محمد الجوينى وسمع من الحاكم أبى عبد الله وأبى عبد الرحمن السلمى وغيرهما وفيها توفى مسعود بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضى الشاعر له شعر مطبوع فمنه قوله

يا من لبست لبعده ثوب الضنا * حتى خفيت به عن العواد
وأنست بالسهر الطويل فأنسيت * أجفان عينى كيف كان رقادى
ان كان يوسف بالجمال مقطع الأ * يدى فأنت مفتت الأكباد

﴿ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر حصر اقسيس مصر وعوده عنها﴾

فى هذه السنة سار الاقسيس من دمشق الى مصر وحصرها وضيق على أهلها ولم يبق غير أن يملكها فاجتمع أهلها مع ابن الجوهرى الواعظ فى الجامع وبكوا وتضرعوا ودعوا فقبل الله دعاءهم فانهزم الاقسيس من غير قتال وعاد على أقبح صورة بغير سبب فوصل الى دمشق وقد تفرق أصحابه فرأى أهلها قد صانوا مخلفيه وأمواله فشكرهم ورفع عنهم الخراج تلك السنة وأتى البيت المقدس فرأى أهله قد قبحوا على أصحابه ومخلفيه وحصروهم فى محراب داود عليه السلام فلما قارب البلد تحصن أهله منه وسبوه فقاتلهم ففتح البلد عنوة ونهبه وقتل من أهله فأكثر حتى قتل من التجأ الى المسجد الأقصى وكف عمن كان عند الصخرة وحدها هكذا ذكر الشاميون هذا الاسم اقسيس والصحيح انه اتسز وهو اسم تركى وقد ذكر بعض مؤرخى الشام ان اتسز لما وصل الى مصر جمع أمير الجيوش بدر العساكر واستمد العرب وغيرهم من أهل

وهى طرب محرك مستخف لأريحية ينعش النفس ودواعى الشيم عند السماع وطرب شجن وحزن لا سيما اذا كان الشعر فى وصف أيام الشباب والشوق الى الأوطان والمراثى لمن عدم الصبر من الأحباب وطرب يكون فى صفاء النفس ولطافة الحس لا سيما عند سماع جودة التأليف واحكام الصنعة اذ كان من لا يعرفه ولا يفهمه لا يسره بل تراه متشاغلا عنه فذلك كالحجر الجلمد والجماد الصلد سواء وجوده وعدمه وقد قال يا أمير المؤمنين بعض الفلاسفة المتقدمين وكثير من حكماء اليونانيين من عرضت له آفة فى حاسة الشم كره رائحة الطيب ومن غلظ حسه كره سماع الغناء وتشاغل عنه وعابه وذمه (قال المعتمد) فما منزلة الايقاع وأنواع الطرق وفنون الغناء قال قد قال فى ذلك يا أمير المؤمنين من تقدم ان منزلة الايقاع من الغناء بمنزلة العروض من الشعر وقد أوضحوا الايقاع ورسموه بسمات ولقبوه بألقاب وهو أربعة أجناس ثقيل الأول وخفيفه وثقيل الثانى وخفيفه والرمل الأول وخفيفه والهزج وخفيفه والايقاع هو الوزن ومعنى أوقع وزن ولم يوقع خرج من الوزن والخروج ابطاء عن الوزن أو سرعة فالثقيل الأول نقره ثلاثة ثلاثة اثنتان ثقيلتان بطيئتان ثم نقرة واحدة وخفيف

البلاد فاجتمع معه خلق كثير واقتتلوا فانهزم اتسز وقتل أكثر أصحابه وقتل أخ له وقطعت يد أخ آخر وعاد منهزما الى الشام فى نفر قليل من عسكره فوصل الى الرملة ثم سار منها الى دمشق * وحكى الى من أثق به عن جماعة من فضلاء مصر ان اتسز لما وصل الى مصر ونزل بظاهر القاهرة أساء أصحابه السيرة فى الناس وظلموهم وأخذوا أموالهم وفعلوا الافاعيل القبيحة فارسل رؤساء القرى ومقدموها الى الخليفة المستنصر بالله العلوى يشكون اليه ما نزل بهم فاعاد الجواب بانه عاجز عن دفع هذا العدو فقالوا له نحن نرسل اليك من عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك ومن ليس له سلاح تعطيه من عندك سلاحا وعسكر هذا العدو قد أمنوا وتفرقوا فى البلاد فنثور بهم فى ليلة واحدة ونقتلهم وتخرج أنت اليه فيمن اجتمع عندك من الرجال فلا يكون له بك قوة فاجابهم الى ذلك وارسلوا اليه الرجال وثاروا كلهم فى ليلة واحدة بمن عندهم فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم ولم يسلم منهم الا من كان عنده فى عسكره وخرج اليه العسكر الذى عند المستنصر بالقاهرة فلم يقدر على الثبات لهم فولى منهزما وعاد الى الشام وكفى أهل مصر شره وظلمه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ورد بغداد أبو نصر ابن الاستاذ أبى القاسم القشيرى حاجا وجلس فى المدرسة النظامية يعظ الناس وفى رباط شيخ الشيوخ وجرى له مع الحنابلة فتن لانه تكلم على مذهب الاشعرى ونصره وكثر اتباعه والمتعصبون له وقصد خصومه من الحنابلة ومن تبعهم سوق المدرسة النظامية وقتلوا جماعة وكان من المتعصبين للقشيرى الشيخ أبو اسحق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الاعيان وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة وفيها تزوج الامير على بن أبى منصور ابن فرامرز بن علاء الدولة أبى جعفر بن كاكويه ارسلان خاتون بنت داود عمة السلطان ملكشاه التى كانت زوجة القائم بامر الله وفيها كان بالجزيرة والعراق والشام وباء عظيم وموت كثير حتى بقى من كثير الغلات ليس لها من يعملها لكثرة الموت فى الناس وفيها مات محمود بن مرداس صاحب حلب وملك بعده ابنه نصر فمدحه ابن حيوس بقصيدة يقول فيها

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ما ذب عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وعزمك والنصر
وكان لمحمود أبو نصر سحية * وغالب ظنى ان سيخلفها نصر

فقال والله لو قال سيضعفها نصر لاضعفتها له وأمر له بما كان يعطيه أبوه وهو ألف دينار فى طبق فضة وكان على بابه جماعة من الشعراء فقال بعضهم

على بابك المعمور منا عصابة * مفاليس فانظر فى أمور المفاليس
وقد قنعت منك العصابة كلها * بعشر الذى اعطيته لابن حيوس
وما بيننا هذا التقارب كله * ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فقال لو قال بمثل الذى اعطيته لاعطيتهم ذلك وأمر لهم بمثل نصفه وفيها توفى اسبهدوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمى الشاعر وكان قد لقى ابن الحجاج وابن نباتة وغيرهما وكان يتشيع وتركه وقال فى ذلك

واذا سئلت عن اعتقادى قلت ما * كانت عليه مذاهب الابرار
وأقول خير الناس بعد محمد * صديقه وأنيسه فى الغار

وفيها توفى رئيس العراقين أبو أحمد النهاوندى الذى كان عميد بغداد والشريف أبو جعفر بن أبى

ثقيل الثانى نقره اثنتان متواليتان وواحدة ٣٦ بطيئة واثنتان مزدوجتان وخفيف الرمل نقره اثنتان اثنتان مزدوجتان وبين كل زوج وقفة والهزج نقره واحدة واحدة مستويتان ممسكة وخفيف الهزج نقره واحدة واحدة متساويتان فى نسق واحد أخف قدرا من الهزج والطرائق ثمان الثقيلان الاول والثانى وخفيفاهما وخفيف الثقيل منهما يسمى بالماخورى وانما سمى بذلك لان ابراهيم بن ميمون الموصلى وكان من أبناء فارس وسكن الموصل كان كثير الغناء فى هذه المواخير بهذه الطريقة والرمل وخفيفه ويتفرع من كل واحد من هذه الطرائق مزموم ومطلق وتختلف مواقع الاصطلاح فيها فيحدث لها ألقاب تميزها كالمحصور والمخبول والمحثوث والمخدوع والارواح والعود عند أكثر الامم وجل الحكماء يونانى صنعة أصحاب أهل الهندسة على هيئة طبائع الانسان فان اعتدلت أوتاره على الاقدار الشريفة جانس الطبائع فأطرب والطرب رد النفس الى الحال الطبيعية دفعة وكل وتر مثل الذى يليه ومثل ثلثه والرسان الذى يلى الانف موضوع على خط النسع من جملة الوتر فهذه يا أمير المؤمنين جوامع فى صفة الايقاع ومنتهى حدوده ففرح المعتمد فى هذا اليوم وخلع على ابن حرداديه وعلى من حضره من ندمائه وفضله عليهم وكان يوم لهو وسرور

موسى

موسى الهاشمى الحنبلى ورزق الله بن محمد بن أحمد بن على أبو سعد الانبارى الخطيب الفقيه الحنفى سمع الحديث الكثير وكان ثقة حافظا وطاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى المصرى توفى فى رجب سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر ابن أحمد المعروف بابن هزارمرد الصريفينى راوية أحاديث على بن الجعد وهو آخر من رواها وكان ثقة صالحا ومن طريقه سمعناها

﴿ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ورد مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من العسكر وفيها اصطلح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مع الناصر بن علناس وهو من بنى حماد عم جده وزوج تميم ابنته بلارة وسيرها اليه من المهدية فى عسكر واصحبها من الحلى والجهاز ما لا يحد وحمل الناصر ثلاثين ألف دينار فاخذ منها تميم دينارا واحدا ورد الباقى وفيها استعمل تميم ابنه مقلدا على مدينة طرابلس الغرب وكان ببغداد فى هذه السنة فتنة بين أهل سوق المدرسة وسوق الثلاثاء بسبب الاعتقاد فنهب بعضهم بعضا وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد بالدار التى عند المدرسة فارسل الى العميد والشحنة فحضرا ومعهم الجند فضربوا الناس فقتل بينهم جماعة وانفصلوا وفى هذه السنة فى ربيع الاول توفى القاضى أبو عبد الله محمد بن محمد البيضاوى الفقيه الشافعى وكان القاضى أبو الطيب الطبرى جده لامه وفيها توفى أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن النقور أبو الحسين البزاز فى رجب وكان مكثرا من الحديث ثقة فى الرواية وأحمد بن عبد الملك بن على أبو صالح المؤذن النيسابورى كان يعظ ويؤذن وكان كثير الرواية حافظا ومولده سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وعبد الرحمن بن محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده الاصبهانى أبو القاسم بن أبى عبد الله الحافظ له تصانيف كثيرة منها تاريخ أصبهان وله طائفة ينتمون اليه فى الاعتقاد من أهل أصبهان يقال لهم العبدرحمانية وفى شوال منها توفيت ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة بن جهير نفساء بولد مات من يومه ودفنا بدار الخلافة ولم تجر بذلك عادة لاحد فعل ذلك اكراما لابيها وجلس الوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة زوجها للعزاء فى دار بباب العامة ثلاثة أيام

﴿ثم دخلت سنة احدى وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة﴾

فى هذه السنة عزل فخر الدولة أبو نصر بن جهير من وزارة الخليفة المقتدى بامر الله ووزر بعده أبو شجاع محمد بن الحسين وكان السبب فى ذلك ان أبا نصر بن القشيرى ورد الى بغداد على ما تقدم ذكره وجرى له الفتن مع الحنابلة لما ذكر مذهب الاشعرية ونصره وعاب من سواهم وفعلت الحنابلة ومن معهم ما ذكرناه فنسب أصحاب نظام الملك ما جرى الى الوزير فخر الدولة والى الخدم وكتب أبو الحسن محمد بن على بن أبى الصقر الواسطى الفقيه الشافعى الى نظام الملك

يا نظام الملك قد حل ببغداد النظام * وبقى القاطن فيها مستهام مستضام
وبها أودى له قتلى غلام وغلام * والذى منهم تبقى سالما فيه سهام
يا قوام الدين لم يبق ببغداد مقام * عظم الخطب وللحرب اتصال ودوام
فمتى لم تحسم الدا * ء ايا ديك الحسام * ويكف القوم فى بغداد قتل وانتقام

(فلما كان) فى صبيحة تلك الليلة دعا المعتمد من حضر فى اليوم الاول فلما أخذوا ٣٧ مراتبهم من المجلس قال لبعض من حضره من ندمائه صف لى الرقص وأنواعه والصفة المحمودة من الرقاص واذكر لى شمائله فقال المسؤل يا أمير المؤمنين أهل الاقاليم والبلدان مختلفون فى رقصهم من أهل خراسان وغيرهم فجملة الايقاع فى الرقص ثمانية أجناس الخفيف والهزج والرمل وخفيف الرمل وثقيل الثانى وخفيفه وخفيف الثقيل الاول وثقيله والرقاص يحتاج الى أشياء فى طباعه وأشياء فى خلقته وأشياء فى عمله فأما ما يحتاج اليه فى طباعه فخفة الروح وحسن الطبع على الايقاع وأن يكون طالبه مرحا الى التدبير فى رقصه والتصرف فيه وأما ما يحتاج اليه فى خلقته فطول العنق والسوالف وحسن الدل والشمائل والتمايل فى الاعطاف ودقة الخصر وحسن أقسام الخلق واقع المناطق واستدارة الثياب من أسافلها ومخارج النفس والاراحة والصبر على طول الغاية ولطافة الاقدام ولين الاصابع وامكان لينها فى نقلها وفيما يصرف فيه من أنواع الرقص من الابل ورقص الكرة وغيره ولين المفاصل وسرعة الانفتال فى الدوران ولين الاعطاف وأما ما يحتاج اليه فى عمله فكثرة التصرف فى ألوان الرقص واحكام كل جزء من حدوده وحسن الاستدارة وثبات

فعلى مدرسة فيـ * ـهاو من فيها السلام واعتصام بحريم * لك من بعد حرام

فلما سمع نظام الملك ماجرى من الفتن وقصد مدرسته والقتل بجوارها مع ان ابنه مؤيد الملك فيها عظم عليه فاعاد كوهرائين الى شحنكية العراق وحمله رسالة الى الخليفة المقتدى بامر الله يتضمن الشكوى من بنى جهير وسأل عزل فخر الدولة من الوزارة وامر كوهرائين باخذ اصحاب بنى جهير وايصال المكروه اليهم والى حواشيهم فسمع بنو جهير الخبر فسار عميد الدولة الى العسكر يريد نظام الملك ليستعطفه وتجنب الطريق وسلك الجبال خوفا ان يلقاه كوهرائين و يناله فيها اذى فلما وصل كوهرائين الى بغداد اجتمع بالخليفة وابلغه رسالة نظام الملك فامر فخر الدولة بلزوم منزله ووصل عميد الدولة الى العسكر السلطانى ولم يزل يستصلح نظام الملك حتى عاد الى ما الفه منه وزوجه بابنة له وعاد الى بغداد فى العشرين من جمادى الاولى فلم يرد الخليفة اباه الى وزارته وامرهما بملازمة منازلهما واستوزر ابا شجاع محمد بن الحسين ثم ان نظام الملك راسل الخليفة فى اعادة بنى جهير الى الوزارة وشفع فى ذلك فاعيد عميد الدولة الى الوزارة واذن لابيه فخر الدولة فى فتح بابه وكان ذلك فى صفر سنة اثنتين وسبعين

﴿ذكر استيلاء تتش على دمشق﴾

فى هذه السنة ملك تاج الدولة تتش بن ألب ارسلان دمشق وسبب ذلك ان اخاه السلطان ملكشاه اقطعه الشام وما يفتحه فى تلك النواحى سنة سبعين واربعمائة فاتى حلب وحصرها ولحق أهلها مجاعة شديدة وكان معه جمع كثير من التركمان فانفذ اليه الاقسيس صاحب دمشق يستنجده و يعرفه ان عساكر مصر قد حصرته بدمشق وكان أمير الجيوش بدر قد سير عسكرا من مصر ومقدمهم قائد يعرف بنصر الدولة فحصر دمشق فارسل اقسيس الى تاج الدولة تتش يستنصره فسار الى نصرة الاقسيس فلما سمع المصريون بقربه اجفلوا من بين يديه شبه المنهزمين وخرج الاقسيس اليه يلتقيه عند سور البلد فاغتاظ منه تتش حيث لم يبعد فى تلقيه وعاتبه على ذلك فاعتذر بأمور لم يقبلها تتش فقبض عليه فى الحال وقتله من ساعته وملك البلد واحسن السيرة فى أهله وعدل فيهم وقد ذكر ابن الهمذانى وغيره من العراقيين ان ملك تتش دمشق كان هذه السنة وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى فى كتاب تاريخ دمشق ان ملكه اياها كان سنة اثنتين وسبعين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ولد الملك بركيارق بن السلطان ملكشاه وفيها فى المحرم وصل سعد الدولة كوهرائين الى بغداد وضرب الطبل على باب داره أوقات الصلاة وكان قد طلب ذلك من قبل فلم يجب اليه لانه لم تجر به عادة وفيها توفى سيف الدولة أبو النجم بدر بن ورام الكردى الجاوانى فى شهر ربيع الاول ودفن بطسفونج وفى رجب توفى أبو على بن البناء المقرى الحنبلى وله مصنفات كثيرة وسليم الجورى بناحية جور من دجيل وكان زاهدا يعمل ويأكل من كسبه ولم يكلف أحدا حاجة وأقام بطنزة من ديار بكر وهى كثيرة الفواكه فلم يأكل بها فاكهة البتة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين واربعمائة﴾

﴿ذكر فتوح ابراهيم صاحب غزنة فى بلاد الهند﴾

فى هذه السنة غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند فحصر قلعة اجود وهى على مائة وعشرين فرسخا من لهاوور وهى قلعة حصينة فى غاية الحصانة كبيرة

القدمين على مدارهما واستواء ماتعمل يمنى الرجل ويسراها حتى يكون فى ذلك واحدا ولوضع القدم ورفعها وجهان أحدهما أن يوافق بذلك الايقاع والآخر أن يتثبط به فأكثر مايكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن مايوافق الايقاع فهو من الحب والحسن سواء وأما مايتثبط به فأكثر مايكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن مايوافق الايقاع مترافعا ومايتثبط به متسافلا (قال المسعودى) وللمعتمد مجالسات ومذاكرات ومجالس قد دونت فى أنواع من الادب منها مدح النديم وصفاته وعفافه وأمن عبثه والتداعى فى المنادمات والمراسلات فى ذلك وعدد أنواع الشرب فى الكثرة وهيئة السماع وأقسامه وأنواعه وأصول الغناء ومباديه فى العرب وغيرهما من الامم وأخبار الاعلام من مشهورى المغنين المتقدمين والمحدثين وهيئة المجالس ومنازل التابع والمتبوع وكيفية مراتبهم وتعبية مجالس الندماء والتحيات كما قال المطوى فى ذلك

يحى التحية أصحاب التحيات القائلين اذا لم تسقهم هات

أما الغداة فسكرى فى نعيمهم وبالعشى فصرعى غير أموات

وبين ذلك قصف لايعادله قصف الخليفة فى لهو ولذات

وقد أتينا على وصف جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان مما لم يتقدم له ذكر كصنوف الشراب والاستعمال لانواع النقل اذا وضع ذلك

تحوى عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف اليهم غير مرة فرأوا من شدة حربه ماملأ قلوبهم خوفا ورعبا فسلموا القلعة اليه فى الحادى والعشرين من صفر هذه السنة وكان فى نواحى الهند قلعة يقال لها قلعة روبال على رأس جبل شاهق وتحتها غياض اشبة وخلفها البحر وليس عليها قتال الامن مكان ضيق وهو مملوء بالفيلة المقاتلة وبها من رجال الحرب الوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع وألح عليهم بالقتال بجميع أنواع الحرب وملك القلعة واستنزلهم منها وفى موضع يقال له دره نوره أقوام من أولاد الخراسانيين الذين جعل أجدادهم فيها أفراسياب التركى من قديم الزمان ولم يتعرض اليهم أحد من الملوك فسار اليهم ابراهيم ودعاهم الى الاسلام أولا فامتنعوا من اجابته وقاتلوه فظفر بهم وأكثر القتل فيهم وتفرق من سلم فى البلاد وسبى واسترق من النسوان والصبيان مائة ألف وفى هذه القلعة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ لايدرك قعره يشرب منه أهل القلعة وجميع ماعندهم من دابة ولا يظهر فيه نقص وفى بلاد الهند موضع يقال له وره وهو بر بين خليجين فقصده الملك ابراهيم فوصل اليه فى جمادى الاولى وفى طريقه عقبات كثيرة وفيها أشجار ملتفة فأقام هناك ثلاثة أشهر ولقى الناس من الشتاء شدة ولم يفارق الغزوة حتى أنزل الله نصره على أوليائه وذله على أعدائه وعاد الى غزنة سالما مظفرا وهذه الغزوات لم أعرف تاريخها وأما الاولى فكانت هذه السنة فلهذا أوردتها متتابعة فى هذه السنة

﴿ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب﴾

فى هذه السنة ملك شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلى صاحب الموصل مدينة حلب وسبب ذلك ان تاج الدولة تتش بن ألب ارسلان حصرها مرة بعد أخرى فاشتد الحصار بأهلها وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلات وغيرها ثم ان تتش حصرها هذه السنة وأقام عليها أياما ورحل عنها وملك بزاعة والبيرة وأحرق ربض عزاز وعاد الى دمشق فلما رحل عنها تاج الدولة استدعى أهلها شرف الدولة ليسلموها اليه فلما قاربها امتنعوا من ذلك وكان مقدمهم يعرف بابن الحتيتى العباسى فاتفق أن ولده خرج يتصيد بضيعة له فأسره أحد التركمان وهو صاحب حصن بنواحى حلب وأرسله الى شرف الدولة فقرر معه أن يسلم البلد اليه اذا أطلقه فأجاب الى ذلك فأطلقه فعاد الى حلب واجتمع بأبيه وعرفه ما استقر فأذعن الى تسليم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد اليه فدخله سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة واستنزل منها سابقا ووثابا ابنى محمود بن مرداس فلما ملك البلد أرسل ولده وهو ابن عمة السلطان الى السلطان يخبره بملك البلد وأنفذ معه شهادة فيها خطوط المعدلين بحلب بضمانها وسأل ان يقرر عليه الضمان فأجابه السلطان الى ماطلب وأقطع ابن عمته مدينة بالس

﴿ذكر مسير ملكشاه الى كرمان﴾

فى أول هذه السنة سار السلطان ملكشاه الى بلاد كرمان فلما سمع صاحبها سلطانشاه بن قاورت بك وهو ابن عم السلطان بوصوله اليها خرج الى طريقه ولقيه وحمل له الهدايا الكثيرة وخدمه وبالغ فى الخدمة فأقره السلطان على البلاد وأحسن اليه وعاد عنه فى المحرم سنة ثلاث وسبعين الى أصبهان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ولد للخليفة المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين ولد سماه موسى وكناه أبا جعفر وزينت بغداد سبعة أيام وفيها وصل السلطان ملكشاه الى خوزستان متصيدا فوصل معه

فى المناقل والاطباق فنض نضا ورصف رصفا والابانة عن المراتب فى ذلك ووصف جميل لذات الطبيخ مما يحتاج التابع الى معرفته والاريب الى قيمته من المتولدات فى معرفة الالوان ومقادير التوابل والابزار وأنواع المحادثات وغسل اليدين بحضرة الرئيس والمقام عن مجلسه وادارات الكاسات وما حكى فى ذلك عن الاسلاف من ملوك الامم وغيرهم وماقيل فى الاكثار والاقلال من الشراب وما ورد فى ذلك من الاخبار وطلب الحاجات والاستماحات من أهل الرياسة على المعاقرات وهيئة النديم ومايلزمه لنفسه ومايلزم الرئيس لنديمه والفرق بين التابع والمتبوع والنديم والمنادم وماقال الناس فى العلة التى من أجلها سمى النديم نديما وكيفية الادب فى لعب الشطرنج والفرق بينها وبين النرد وماورد فى ذلك من الاخبار وانتظمت فيه من الدلائل والآثار وماورد عن العرب فى أسماء الخمر وورود التحريم فيها وتنازع الناس فى رد غيرها من أنواع الانبذة عليها قياسا ووصف أنواع آنيتها ومن كان يشربها فى الجاهلية ومن حرمها ووصف السكر وما قال الناس فى ذلك وكيفية وقوعه أمن الله أم من خلقه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب واتصل بهذه المعانى وانما نذكر هذه اللمع منبهين بها على ماقدمنا فيما سلف من كتبنا (وكان أبو العباس) المعتضد محبوسا فلما خرج أبوه الموفق خلفه بدار

خمارتكين وكوهرائين في قتل ابن علان اليهودي ضامن البصرة وكان ملتجئا الى نظام الملك وكان بين نظام الملك وبين خمارتكين الشرابي وكوهرائين عداوة فسعيا باليهودي لذلك فأمر السلطان بتغريقه فغرق وانقطع نظام الملك عن الركوب ثلاثة أيام وأغلق بابه ثم أشير عليه بالركوب فركب وعمل السلطان دعوة عظيمة ندم له فيها أشياء كثيرة وعاتبه على فعله فاعتذر اليه وكان أمر اليهودي قد عظم الى حد أن زوجته توفيت فمشى خلف جنازتها كل من في البصرة الا القاضي وكان له نعمة عظيمة وأموال كثيرة فأخذ السلطان منه مائة ألف دينار وضمن خمارتكين البصرة كل سنة بمائة ألف دينار ومائة فرس وفيها زاد الفرات تسعة أذرع فخربت بعض دواليب هيت وخرب فوهة نهر عيسى وزاد تامرا نيفا وثلاثين ذراعا وعلا على قنطرتي طراستان وخانقين الكسرويتين فقطعهما وفيها في ذي الحجة توفي نصر بن مروان صاحب ديار بكر وملك بعده ابنه منصور ودبر دولته ابن الانباري وفيها توفي أبو منصور محمد بن عبد العزيز العكبري ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وهو من المحدثين المعروفين وكان صدوقا ومحمد بن هبة الله بن الحسن بن منصور أبو بكر بن أبي القاسم الطبري اللالكائي وولد سنة تسع وأربعمائة وحدث عن هلال الحفار وغيره وتوفي في جمادى الاولى وفيها توفي أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر المشهور وحدث عن جده لامه القاضي أبي نصر محمد بن هرون بن الجندي

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

(ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان وأخذها منه)

في هذه السنة في شعبان سار السلطان ملكشاه الى الري وعرض العسكر فأسقط منهم سبعة آلاف رجل لم يرض حالهم فمضوا الى أخيه تكش وهو ببوشنج فقوي بهم وأظهر العصيان على أخيه ملكشاه واستولى على مرو الروذ ومرو والشاهجان وترمذ وغيرها وسار الى نيسابور طامعا في ملك خراسان وقيل بان نظام الملك قال للسلطان لما أمر باسقاطهم ان هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعة غير الجندية فاذا أسقطوا لا نأمن ان يقيموا منهم رجلا وقالوا هذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن أيدينا اضعاف ما لهم من الجاري الى أن نظفر بهم فلم يقبل السلطان قوله فلما مضوا الى أخيه وأظهر العصيان ندم على مخالفة وزيره حيث لم ينفع الندم واتصل خبره بالسلطان ملكشاه فسار مجدا الى خراسان فوصل الى نيسابور قبل ان يستولي تكش عليها فلما سمع تكش بقربه منها سار عنها وتحصن بترمذ وقصده السلطان فحصره بها وكان تكش قد أسر جماعة من أصحاب السلطان فأطلقهم واستقر الصلح بينهما ونزل تكش الى أخيه السلطان ملكشاه ونزل عن ترمذ

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة تسلم مؤيد الملك ابن نظام الملك تكريت من صاحبها المهرباط وفيها توفي أبو علي ابن شبل الشاعر المشهور ومن شعره في الزهد

أهم بترك الذنب ثم يردني * طموح شباب بالغرام موكل
فمن لي اذا أخرت ذا اليوم توبة * بان المنايا الى الشيب تعجل
أأعجز ضعفا عن أداء حق خالق * وأحمل وزرا فوق ما يتحمل

وفيها أيضا توفي العميد أبو منصور بالبصرة وفيها توفي عبد السلام بن أحمد بن محمد بن جعفر أبو الفتح الصوفي من أهل فارس سافر الكثير وسمع الحديث بالعراق والشام ومصر وأصبهان

الوزير اسمعيل بن بلبل وكان مضيقا عليه الى أن وافى الموفق من أذربيجان عليلا مدنفا موريا في بيت من الخشب قد اتخذ له مبطنا بالخز والحرير وفي أسفله حلق قد جعل فيها الدهن فحمله الرجال على أكتافها نوائب وكان وصوله الى بغداد يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين فأقام بمدينة السلام أياما فاشتدت علته وأرجفت بموته وانصرف اسمعيل بن بلبل وقد يئس منه فوجه اسمعيل ابن بلبل الى كفه من وقبل الى بكتمر وكان موكلا بالمعتضد بالمدائن على أقل من يوم من مدينة السلام ان ينصرف بالمعتضد والمفوض الى الله الى بغداد فدخل المعتضد الهاني يومه واتصل باسمعيل صلاح الموفق فانحدر ومعه المعتضد والمفوض في طيارة الى ولده وقد كان يأنس الخادم ومؤنس الخادم ووصاف الحرمين وغيرهم من خدم الموفق وغلمانه أخرجوا أبا العباس من الموضع الذي كان فيه محبوسا وساروا به الى الموفق ولما أحضر اسمعيل ابن بلبل الموفق والمعتضد معه وكثر اضطراب القواد والموالي وأسرعت العامة وسائر الخدم في النهب فانتهبوا دار اسمعيل بن بلبل ولم تبق دار جليل ولا كاتب نبيل الا نهبوها وفتحت الجسور وأبواب السجون ولم يبق أحد في المطبق ولا في الحديد الا أخرج وكان أمرا فظيعا غليظا وخلع

وغيرها وكانت وفاته بفارس ويوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن أبو الهيثم التفكري الزنجاني ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة وسمع من أبي نعيم الحافظ وغيره وتفقه على أبي اسحق الشيرازي وادرك أبا الطيب الطبري وكان من العلماء العاملين المشتغلين بالعبادة

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة

(ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه)

في هذه السنة أرسل الخليفة الوزير فخر الدولة أبا نصر بن جهير الى السلطان يخطب ابنته لنفسه فسار فخر الدولة الى أصبهان الى السلطان يخطب ابنته فأمر نظام الملك أن يمضي معه الى خاتون زوجة السلطان في المعنى فمضيا اليها فخاطباها فقالت ان ملك غزنة وملوك الخانية بما وراء النهر طلبوها وخطبوها لاولادهم وبذلوا أربعمائة ألف دينار فان حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم فعرفتها ارسلان خاتون التي كانت زوجة القائم بامر الله ما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة وان هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه المال فاجابت الى ذلك وشرطت أن يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وانه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته الا عندها فاجيبت الى ذلك فاعطى السلطان يده وعاد فخر الدولة الى بغداد

(ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وامارة ولده منصور)

في هذه السنة في شوال توفي نور الدولة أبو الاغر دبيس بن علي بن مزيد الاسدي بمطيراباذ وكان عمره ثمانين سنة وامارته سبعا وخمسين سنة ومازال ممدحا في كل زمان مذكورا بالتفضل والاحسان ورثاه الشعراء فاكثروا وولي بعده ما كان اليه ابنه أبو كامل منصور ولقبه بهاء الدولة فاحسن السيرة واعتمد الجميل وسار الى السلطان ملكشاه في ذي القعدة واستقر له الامر وعاد في صفر سنة خمس وسبعين وخلع الخليفة أيضا عليه

(ذكر محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس)

في هذه السنة حصر الامير تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينة قابس حصارا شديدا وضيق على أهلها وعاث عساكره في بساتينها المعروفة بالغابة فافسدوها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سار تتش بعد عود شرف الدولة عن دمشق وقصد الساحل الشامي فافتتح انطرطوس وبعض الحصون وعاد الى دمشق وفيها ملك شرف الدولة صاحب الموصل مدينة حران وأخذها من بني وثاب النميريين وصالحه صاحب الرهاء ونقش السكة باسمه وفيها سد ظفر القائني بثق نهر عيسى وكان خرابا منذ ثلاث وعشرين سنة وسد مرارا وتخرب الى أن سده ظفر وفيها أرسل السلطان الى بغداد ليخرج الوزير أبو شجاع الذي وزر للخليفة بعد بني جهير فارسله الخليفة الى نظام الملك وسير معه رسولا وكتب معه الى نظام الملك كتابا بخطه يأمره بالرضا عن أبي شجاع فرضي عنه واعاده الى بغداد وفيها مات ابن السلطان ملكشاه واسمه داود فجزع عليه جزعا شديدا وحزن حزنا عظيما ومنع من أخذه وغسله حتى تغيرت رائحته وأراد قتل نفسه مرات فمنعه خواصه ولما دفن لم يطق المقام فخرج يتصيد وأمر بالنياحة عليه في البلد ففعل ذلك عدة أيام جلس له وزير الخليفة في العزاء ببغداد وفيها توفي عبد الله بن أحمد بن رضوان أبو القاسم وهو من أعيان أهل بغداد وكان مرضه شقيقة وبقي ثلاث سنين في بيت مظلم لا يقدر يسمع صوتا ولا

على أبي العباس وعلى اسمعيل بن بلبل وانصرف كل واحد منهما الى منزله فلم يجد اسمعيل في داره ما يقعد عليه حتى وجه اليه الشاه بن ميكال ما قعد عليه وقام بأمر طعامه وشرابه وقد كان اسمعيل أسرع في بيوت الاموال وأسرف في النفقات والجوائز والخلع وأمد العرب وأجزل لهم الانزال والارزاق واصطنع بني شيبان من العرب وغيرهم من ربيعة وكان يزعم أنه رجل من بني شيبان وطالب بخراج سنة مبهمة فثقل على الرعية وكثر الداعي عليه ومكث الموفق بعد ذلك ثلاثة أيام ثم توفي يوم الخميس لثلاث بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ومات وله تسع وأربعون سنة وأمه أم ولد رومية يقال لها اسحق وكان اسم الموفق طلحة وفيه يقول الشاعر

لما استقل بثقل الملك واجتمعت * له الامور فنقاد ومعسور
حطت عليه لمقدار منيته * كذاك تصنع بالناس المقادير

فلما مات الموفق قام المعتضد بأمور الناس في التدبير مكان أبيه الناصر وهو الموفق وخلع جعفر المفوض من ولاية العهد وقام اسمعيل بن بلبل في الوزارة بعد شغب كثير كان في مدينة السلام وكان لابي عبد الله بن أبي الساج وللخادم وصيف خطب جليل وقيد اسمعيل بن بلبل ووجه أبو العباس الى أبي عبد الله بن سليمان بن

ببصرضو أوفيها في ذي الحجة توفي أبو محمد بن أبي عثمان المحدث وكان صالحا يقرئ القرآن بمسجده بنهر القلائين وتوفي علي بن أحمد بن علي أبو القاسم البسري البندار ومولده سنة ست وثمانين وثلثمائة سمع المخلص وغيره وكان ثقة صالحا وفيها توفي أبو اسحق ابراهيم بن عقيل بن حبش القرشي النحوي

﴿ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك﴾

في هذه السنة في رجب توفي جمال الملك منصور بن نظام الملك وورد الخبر بوفاته الى بغداد في شعبان فجلس أخوه مؤيد الملك للعزاء وحضر فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الملك معزيين وأرسل الخليفة اليه في اليوم الثالث فأقامه من العزاء وكان سبب موته ان مسخرة كان للسلطان ملكشاه يعرف بجعفرك يحاكي نظام الملك ويذكره في خلواته مع السلطان فبلغ ذلك جمال الملك وكان يتولى مدينة بلخ وأعمالها فسار من وقته يطوي المراحل الى والده والسلطان وهما بأصبهان فاستقبله أخواه فخر الملك ومؤيد الملك فأغلظ لهما القول في اغضائهما على ما بلغه عن جعفرك فلما وصل الى حضرة السلطان رأى جعفرك يساره فانتهره وقال مثلك يقف هذا الموقف وينبسط بحضرة السلطان في هذا الجمع فلما خرج من عند السلطان أمر بالقبض على جعفرك وأمر باخراج لسانه من قفاه وقطعه فمات ثم سار مع السلطان وأبيه الى خراسان وأقاموا بنيسابور مدة ثم أرادوا العود الى أصبهان وتقدمهم نظام الملك فأحضر السلطان عميد خراسان وقال له أيما أحب اليك رأسك أم رأس جمال الملك فقال بل رأسي فقال لئن لم تعمل في قتله لأقتلنك فاجتمع بخادم يختص بخدمة جمال الملك وقال له سرا الاولى ان تحفظوا نعمتكم ومناصبكم وتدبروا في قتل جمال الملك فان السلطان يريد أن يأخذه ويقتله ولان تقتلوه أنتم سرا أصلح لكم من أن يقتله السلطان ظاهرا فظن الخادم ان ذلك صحيح فجعل له سما في كوز فقاع فطلب جمال الملك فقاعا فأعطاه الخادم ذلك الكوز فشرب منه فمات فلما علم السلطان بموته سار مجدا حتى لحق نظام الملك فأعلمه بموت ابنه وعزاه وقال انا ابنك وأنت أولى من صبر واحتسب

﴿ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة﴾

ورد الى بغداد هذه السنة الشريف أبو القاسم البكري المغربي الواعظ وكان أشعري المذهب وكان قد قصد نظام الملك فأحبه ومال اليه وسيره الى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا والله ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا ثم انه قصد يوما دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني بنهر القلائين فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت الى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بني الفراء وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات لأبي يعلى فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن ولقب البكري من الديوان بعلم السنة ومات ببغداد ودفن عند قبر أبي الحسن الاشعري

﴿ذكر مسير الشيخ أبي اسحق الى السلطان في رسالة﴾

في هذه السنة في ذي الحجة أوصل الخليفة المقتدي بأمر الله الشيخ أبا اسحق الشيرازي الى حضرته وحمله رسالة الى السلطان ملكشاه ونظام الملك تتضمن الشكوى من العميد أبي الفتح ابن أبي الليث عميد العراق وأمره ان ينهي ما يجري على البلاد من النظار فسار فكان كلما وصل

الى مدينة من بلاد العجم يخرج أهلها اليه بنسائهم وأولادهم يتمسحون بركابه ويأخذون تراب بغلته للبركة وكان في صحبته جماعة من أعيان بغداد منهم الامام أبو بكر الشاشي وغيره ولما وصل الى ساوة خرج جميع أهلها وسأله فقهاؤها كل منهم أن يدخل بيته فلم يفعل ولقيه أصحاب الصناعات ومعهم ما ينثرونه على محفته فخرج الخبازون ينثرون الخبز وهو ينهاهم فلم ينتهوا وكذلك أصحاب الفاكهة والحلواء وغيرهم وخرج اليه الاساكفة وقد عملوا مداسات لطافا تصلح لأرجل الاطفال ونثروها فكانت تسقط على رؤس الناس فكان الشيخ يتعجب ويذكر ذلك لأصحابه بعد رجوعه ويقول ما كان حظكم من ذلك النثار فقال له بعضهم ما كان حظ سيدنا منه فقال أما أنا فغطيت بالمحفة وهو يضحك فأكرمه السلطان ونظام الملك وجرى بينه وبين امام الحرمين أبي المعالي الجويني مناظرة بحضرة نظام الملك وأجيب الى جميع ما التمسه ولما عاد أهين العميد وكسر عما كان يعتمده ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بحواشي الخليفة ولما وصل الشيخ الى بسطام خرج اليه السهلكي شيخ الصوفية بها وهو شيخ كبير فلما سمع الشيخ أبو اسحق بوصوله خرج اليه ماشيا فلما رآه السهلكي ألقى نفسه من دابة كان عليها وقبل يد الشيخ أبي اسحق فقبل أبو اسحق رجله وأقعده موضعه وجلس أبو اسحق بين يديه وأظهر كل واحد منهما من تعظيم صاحبه كثيرا وأعطاه شيأ من حنطة ذكر أنها من عهد أبي يزيد البسطامي ففرح بها أبو اسحق

﴿ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها﴾

في هذه السنة جمع تاج الدولة تتش جمعا كثيرا وسار عن بغداد وقصد بلاد الروم انطاكية وما جاورها فسمع شرف الدولة صاحب حلب الخبر فغاظه فجمع أيضا العرب من عقيل والاكراد وغيرهم فاجتمع معه كثير فراسل الخليفة بمصر يطلب منه ارسال نجدة اليه ليحصر دمشق فوعده ذلك فسار اليها فلما سمع تتش الخبر عاد الى دمشق فوصلها أول المحرم سنة ست وسبعين ووصل شرف الدولة أواخر المحرم وحصر المدينة وقاتله أهلها وفي بعض الايام خرج اليه عسكر دمشق وقاتلوه وحملوا على عسكره حملة صادقة فانكشفوا وتضعضعوا وانهزمت العرب وثبت شرف الدولة وأشرف على الاسر وتراجع اليه أصحابه فلما رأى شرف الدولة ذلك ورأى أيضا أن مصر لم يصل اليه منها عسكر وأتاه عن بلاده الخبر ان أهل حران عصوا عليه فرحل عن دمشق الى بلاده وأظهر أنه يريد البلاد بفلسطين فرحل أولا الى مرج الصفر فارتاع أهل دمشق وتتش واضطربوا ثم انه رحل من مرج الصفر مشرقا في البرية وجد في مسيره فهلك من المواشي الكثير مع عسكره ومن الدواب شيء كثير وانقطع خلق كثير

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قدم مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من أصبهان فخرج عميد الدولة بن جهير الى لقائه ونزل بالمدرسة النظامية وضرب على بابه الطبول أوقات الصلوات الثلاث فأعطى مالا جليلا حتى قطعه وأرسل الطبول الى تكريت وفيها توفي أبو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن اسحق بن منده الاصبهاني في جمادى الآخرة باصبهان وكان حافظا فاضلا والأمير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن ماكولا مصنف كتاب الاكمال ومولده سنة عشرين وأربعمائة وكان فاضلا حافظا قتله مماليكه الاتراك بكرمان وأخذوا ماله

﴿ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة﴾

وهب فأحضره وخلع عليه ورد اليه أمر كتابته وذلك في يوم الثلاثاء لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ولم يزل اسمعيل بن بلبل يعذب بأنواع العذاب وجعل في عنقه غل فيه رمانة حديد والغل والرمانة مائة وعشرون رطلا وألبس جبة صوف قد صبغت في ودك الاكارع وعلق معه رأس ميت فلم يزل على ذلك حتى مات في جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين ومائتين ودفن بغله وقيوده وأمر المعتضد بضرب جميع الآنية التي كانت في خزانته فضربت وفرقت في الجند (قال المسعودي) وقد كان المعتمد قعد للغداء واصطبح يوم الاثنين لاحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين فلما كان عند العصر قدم الطعام فقال يا موشكيره للموكل به ما فعلت الرؤس بأرقابها وقد كان قدم من الليل أن يقدم له رأسا حملان وقد فصل فيهما أرقابهما فقدمنا وكان معه على المائدة رجل من ندمائه يعرف بنقف الملقم ورجل آخر يعرف بخلف المضحك فأول من ضرب بيده الى الرؤس الملقم فانتزع أذن واحد منهما وأما المضحك فانه يقتلع اللهازم والاعين فأكلوا أكل المعتمد وأغوا يومهم فأما الملقم صاحب اللقمة الاولى فانه تهرى في الليل وأما المضحك فانه مات قبل الصباح وأما المعتمد فأصبح ميتا فقد لحق بالقوم ودخل الى اسمعيل بن حماد القاضي الى المعتضد وعليه السواد فسلم عليه بالخلافة وكان أول من سلم عليه بها وحضر الشهود منهم أبو عوف والحسين بن سالم وغيرهم من العدول حتى أشرفوا على المعتمد ومعهم بدر غلام المعتضد يقول هل ترون به من بأس أو أثر مات فجأة وقتله مداومته لشرب النبيذ فنظروا اليه فاذا ليس به من أثر فغسل وكفن وحمل في تابوت قد أعد له الى سامرا فدفن بها (وذكروا) والله أعلم أن سبب وفاته أنه سقي نوعا من السم في شرابهم الذي كانوا يشربونه وهو نوع يقال له البيش يحمل من بلاد الهند وجبال الترك والتبت وربما وجدوه في سنبل الطيب وهو ألوان ثلاثة وفيه خواص عجيبة (وللمعتمد) أخبار حسان وما كان في أيامه من الكوائن والحوادث مما كان من حروب الصفار وما كان بديار بكر من بلاء وأمر وغيرهما من أحمد بن عيسى ابن الشيخ وما كان باليمن قد أتينا على مبسوطها وجميع ذلك كله والغرر منه وما حدث في كل سنة من أيامه من الحوادث في كتابنا أخبار الزمان والاوسط فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب

﴿ذكر خلافة المعتضد بالله﴾

وبويع أبو العباس أحمد بن طلحة المعتضد بالله في اليوم الذي مات فيه المعتمد على الله عمه وهو يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت

﴿ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة الى ديار بكر﴾

فى هذه السنة فى صفر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ووصل يوم عزل رسول من السلطان ونظام الملك الى الخليفة يطلبان أن يرسل اليهما بنى جهير فاذن لهما فى ذلك وساروا بجميع أهلهم ونسائهم الى السلطان فصادفوا منه ومن نظام الملك الاكرام والاحترام وعقد السلطان لفخر الدولة بن جهير على ديار بكر وخلع عليه وأعطاه الكوسات وسير معه العساكر وأمره أن يقصدها ويأخذها من بنى مروان وأن يخطب لنفسه ويذكر اسمه على السكة نسار اليها ولما فارق بنو جهير بغداد رتب فى الديوان أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء وكان قبل ذلك على أبنية الدار وغيرها

﴿ذكر عصيان أهل حران على شرف الدولة وفتحها﴾

فى هذه السنة عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش وأطاعوا قاضيهم ابن حلبة وأرادوا هم وابن عطير النميرى تسليم البلد الى جبق أمير التركمان وكان شرف الدولة على دمشق يحاصر تاج الدولة تتش بها فبلغه الخبر فعاد الى حران وصالح ابن ملاعب صاحب حمص وأعطاه سلمية ورفنية وبادر بالمسير الى حران فحصرها ورماها بالمنجنيق فخرب من سورها بدنة وفتح البلد فى جمادى الاولى وأخذ القاضى ومعه ابنين له فصلبهم على السور

﴿ذكر وزارة أبى شجاع محمد بن الحسين للخليفة﴾

فى هذه السنة عزل الخليفة أبا الفتح بن رئيس الرؤساء من النيابة فى الديوان واستوزر أبا شجاع محمد بن الحسين وخلع عليه خلع الوزارة فى شعبان ولقبه ظهير الدين ومدحه الشعراء فأكثروا فممن مدحه وهناه أبو المظفر محمد بن العباس الابيوردى بالقصيدة المشهورة التى أولها

هاانها مقل الظباء العين * فتكت بسر فؤادى المكنون

ومنها

فانهل اسراب الدموع كانها * منح يتابعها ظهير الدين

﴿ذكر قتل أبى المحاسن بن أبى الرضا﴾

فى هذه السنة فى شوال قتل سيد الرؤساء أبو المحاسن بن كمال الملك أبى الرضا وكان قد قرب من السلطان ملكشاه قربا عظيما وكان أبوه يكتب بالطغراء فقال أبو المحاسن للسلطان سلم الى نظام الملك وأصحابه وأنا أسلم اليك منهم ألف ألف دينار فانهم يأكلون الاموال ويقتطعون الاعمال وعظم عنده ذخائرهم فبلغ ذلك نظام الملك فعمل سماطا عظيما وأقام عليه مماليكه وهم ألوف من الاتراك وأقام خيلهم وسلاحهم على حيالهم فلما حضر السلطان قال له اننى قد خدمتك وخدمت أباك وجدك ولى حق خدمة وقد بلغك أخذى لعشر أموالك وصدق هذا أنا آخذه وأصرفه الى هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك وأصرفه أيضا الى الصدقات والصلات والوقوف التى أعظم ذكرها وشكرها وأجرها لك وأموالى وجميع ما أملكه بين يديك وأنا أقنع بمرقعة وزاوية فأمر السلطان بالقبض على أبى المحاسن وأن تسمل عيناه وأنفذه الى قلعة ساوة وسمع أبوه كمال الملك الخبر فاستجار بدار نظام الملك فسلم وبذل مائتى ألف دينار وعزل عن الطغراء ورتب مكانه مؤيد الملك بن نظام الملك

﴿ذكر استيلاء مالك بن علوى على القيروان وأخذها منه﴾

فى هذه السنة جمع مالك بن علوى الصخرى العرب فأكثر وسار الى المهدية فحصرها فقام الامير

من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وأمه أم ولد رومية يقال لها ضرار وكانت وفاته يوم الاحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ويومين وتوفى بمدينة السلام وله سبع وأربعون سنة وقيل انه ولى الخلافة وهو ابن احدى وثلاثين سنة وتوفى سنة تسع وثمانين على ما ذكرناه وله أربعون سنة وأشهر على تباين أصحاب التواريخ فى كتبهم وما أرخوه فى أيامهم والله الموفق

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

ولما أفضت الخلافة الى المعتضد بالله سكنت الفتن وصلحت البلدان وارتفعت الحروب ورخصت الاسعار وهدأ الهرج وسالمه كل مخالف وان كان مظفرا قد دانت له الامور وانفتح له الشرق والغرب وأديل له فى أكثر المخالفين عليه والمنابذين له وظفر بهرون الشارى وكان صاحب المملكة والقيم بأمر الخلافة بدر مولاه واليه جميع المعارف فى جميع الآفاق واليه أجل الجيوش وسائر القواد وخلف المعتضد فى بيوت الاموال تسعة آلاف ألف دينار ومن الورق أربعون ألف ألف درهم والدواب والبغال والحمير والجمال اثنى عشر ألف رأس وكان مع ذلك شحيحا بخيلا ينظر فيما لا ينظر فيه العوام (وحكى عبد الله بن حمدون) وكان نديمه وخاصته

تميم

تميم بن المعز قياما تاما ورحله عنها ولم يظفر منها بشئ فسار مالك منها الى القيروان فحصرها وملكها فجرد اليه تميم العساكر العظيمة فحصروه بها فلما رأى مالك انه لا طاقة له بتميم خرج عنها وتركها فاستولى عليها عسكر تميم وعادت الى ملكه كما كانت

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عم الرخص جميع البلاد فبلغ الكر الحنطة الجيدة ببغداد عشرة دنانير وفيها فى جمادى الآخرة توفى الشيخ أبو اسحق الشيرازى وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وأكثر الشعراء مراثيه فمنهم أبو الحسن الخباز والبندنيجى وغيرهما وكان رحمة الله عليه واحد عصره علما وزهدا وعبادة وسخاء وصلى عليه فى جامع القصر وجلس أصحابه للعزاء فى المدرسة النظامية ثلاثة أيام ولم يتخلف أحد عن العزاء وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد فرتب فى التدريس أبا سعد عبد الرحمن بن المأمون المتولى فلما بلغ ذلك نظام الملك أنكره وقال كان يجب ان تغلق المدرسة بعد الشيخ أبى اسحق سنة وصلى عليه بباب الفردوس وهذا لم يفعل على غيره وصلى عليه الخليفة المقتدى بأمر الله وتقدم فى الصلاة عليه أبو الفتح بن رئيس الرؤساء وهو ينوب فى الوزارة ثم صلى عليه بجامع القصر ودفن بباب أبرز

﴿ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة﴾

قد تقدم ذكر مسير فخر الدولة بن جهير فى العساكر السلطانية الى ديار بكر فلما كانت هذه السنة سير السلطان اليه أيضا جيشا فيهم الامير أرتق بن أكسب وأمرهم بمساعدته وكان ابن مروان قد مضى الى شرف الدولة وسأله نصرته على ان يسلم اليه آمد وحلف كل واحد لصاحبه وكل منهما يرى ان صاحبه كاذب لما كان بينهما من العداوة المستحكمة واجتمعا على حرب فخر الدولة وسارا الى آمد وقد نزل فخر الدولة بنواحيها فلما رأى فخر الدولة اجتماعهما مال الى الصلح وقال لا أوثر ان يحل بالعرب بلاء على يدى فعرف التركمان ما عزم عليه فركبوا ليلا وأتوا الى العرب وأحاطوا بهم فى ربيع الاول والتحم القتال واشتد فانهزمت العرب ولم يحضر هذه الوقعة الوزير فخر الدولة ولا أرتق وغنم التركمان حلل العرب ودوابهم وانهزم شرف الدولة وحمى نفسه حتى وصل الى فصيل آمد وحصره فخر الدولة ومن معه فلما رأى شرف الدولة انه محصور خاف على نفسه فراسل الامير أرتق وبذل له مالا وسأله ان يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد وكان هو على حفظ الطرق والحصار فلما سمع ارتق ما بذل له شرف الدولة أذن له فى الخروج فخرج منها فى الحادى والعشرين من ربيع الاول وقصد الرقة وأرسل الى ارتق بما كان وعده به وسار ابن جهير الى ميافارقين ومعه من الامراء الامير بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة ففارقوه وعادوا الى العراق وسار فخر الدولة الى خلاط ولما استولى العسكر السلطانى على حلل العرب وغنموا أموالهم وسبوا حريمهم بذل سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد الاموال وافتك اسرى بنى عقيل ونساءهم وأولادهم وجهزهم جميعهم وردهم الى بلادهم ففعل أمرا عظيما وأسدى مكرمة شريفة ومدحه الشعراء فى ذلك فأكثروا فمنهم محمد بن محمد بن خليفة السنبسى يذكر ذلك فى قصيدة

كما أحرزت شكر بنى عقيل * بآمد يوم كظهم الحذار

غداة رمتهم الاتراك طرا * بشهب فى حوافلها ازورار

وممن كان يأنس به فى خلواته أنه أمر أن تنقص حشمه ومن كان يجرى عليه من الاتراك من كل رغيف أوقية وأن يبتدأ بأمر خبزه لان الوصائف عددا من الرغفان فيها ثلاث وأربع كذا وأكثر من ذلك قال ابن حمدون فتعجبت من ذلك فى أول أمره ثم تبينت القصة فاذا أنه يتوفر من ذلك فى كل شهر مال عظيم وتقدم الى خزانه أن يختار له من الثياب التسترية والدبيقية أحسنها لتقطيعها لنفسه (وكان) مع ذلك قليل الرحمة كثير الاقدام سفاكا للدماء شديد الرغبة فى أن يمثل بمن يقتله (وكان) اذا غضب على القائد النبيل والذى يختصه من غلمانه أمر أن تحفر له حفيرة ثم يدلى على رأسه فيها ويطرح التراب عليه ونصفه الاسفل ظاهر على التراب ويداس التراب فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره (وذكر) من عذابه أنه كان يأخذ الرجل فيكتف ويقيد فيؤخذ القطن فيحشى فى أذنه وخيشومه وفمه وتوضع المنافخ فى دبره حتى ينتفخ ويعظم جسمه ثم يسد الدبر بشئ من القطن ثم يفصد وقد صار كالجمل العظيم من العرقين اللذين فوق الحاجبين فتخرج النفس من ذلك الموضع وربما كان يقتل الرجل فى أعلى القصر مجردا موثقا ويرمى بالنشاب حتى يموت (واتخذ) المطامير وجعل فيها أصنوف العذاب وجعل عليها الحرمى المتولى لعذاب

فما جبنوا ولكن فاض بحر * عظيم لا تقاومه البحار
فحين تنازلوا تحت المنايا * وفيهن الرزية والدمار
مننت عليهم وفككت عنهم * وفي أثناء حباهم انتشار
ولولا أنت لم ينفك منهم * أسير حين أعلقه الاسار

في أبيات كثيرة وذكر أيضا البندنيجي أبياتا وأحسن ولولا خوف التطويل لذكرت أبياته

﴿ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل﴾

لما بلغ السلطان ان شرف الدولة انهزم وحصر بآمد لم يشك في أسره فخلع على عميد الدولة بن جهير وسيره في جيش كثيف الى الموصل وكاتب أمراء التركمان بطاعته وسير معه من الامراء اقسنقر قسيم الدولة جد ملوكنا أصحاب الموصل وهو الذي أقطعه السلطان بعد ذلك حلب وكان الامير أرتق قد قصد السلطان فعاد صحبته عميد الدولة من الطريق فسار عميد الدولة حتى وصل الى الموصل فأرسل الى أهلها يشير عليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه ففتحوا له البلد وسلموه اليه وسار السلطان بنفسه وعساكره الى بلاد شرف الدولة ليملكها فأتاه الخبر بخروج أخيه تكش بخراسان على ما نذكره ورأى شرف الدولة قد خلص من الحصر فأرسل مؤيد الملك بن نظام الملك الى شرف الدولة وهو مقابل الرحبة فأعطاه العهود والمواثيق وأحضره عند السلطان وهو بالبوازيج فخلع عليه آخر رجب وكانت أمواله قد ذهبت فاقترض ما خدم به وحمل للسلطان خيلا رائعة من جملتها فرسه بشار وهو فرسه المشهور الذي نجا عليه من المعركة ومن آمد أيضا وكان سابقا الايجاري فأمر السلطان بان يسابق به الخيل فجاء سابقا فقام السلطان قائما لما تداخله من العجب وأرسل الخليفة النقيب طراد الزينبي في تلقي شرف الدولة فلقيه بالموصل فزاد أمر شرف الدولة قوة وصالحه السلطان وأقره على بلاده وعاد الى خراسان لحرب أخيه

﴿ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه﴾

قد تقدم ذكره وذكر مصالحته للسلطان فلما كان الآن ورأى بعد السلطان عنه عاود العصيان وكان أصحابه يؤثرون الاختلاط فحسنوا له مفارقة طاعة أخيه فأجابهم وسار معهم فملك مرو الروز وغيرها الى قلعة تقارب سرخس وهي لمسعود ابن الامير باخز وقد حصنها جهده فحصروه بها ولم يبق غير أخذها منه فاتفق أبو الفتوح الطوسي صاحب نظام الملك وهو بنيسابور وعميد خراسان وهو أبو علي على أن يكتب أبو الفتوح ملطفا الى مسعود بن باخز وكان خط أبي الفتوح أشبه شيء بخط نظام الملك يقول فيه كتبت هذه الرقعة من الري يوم كذا ونحن سائرون من الغد نحوك فاحفظ القلعة ونحن نكبس العدو في ليلة كذا واستدعيا فيجا يثقون به وأعطياه دنانير صالحة وقالا سر نحو مسعود فاذا وصلت الى المكان الفلاني فأقم به ونم وأخف هذا الملطف في بعض حيطانه فستأخذك طلائع تكش فلا تعترف لهم حتى يضربوك فاذا فعلوا ذلك وبالغوا فأخرجه لهم وقل انك فارقت السلطان بالري ولك منا الحباء والكرامة ففعل ذلك وجرى الامر على ما وصفا وأحضر بين يدي تكش وضرب وعرض على القتل فأظهر الملطف وسلمه اليهم وأخبرهم انه فارق السلطان ونظام الملك بالري في العساكر وهو سائر فلما وقفوا على الملطف وسمعوا كلام الرجل ساروا من وقتهم وتركوا خيامهم ودوابهم والقدور على النار فلم يصبروا على ما فيها وعادوا الى قلعة وخ وكان هذا من الفرج العجيب فنزل مسعود وأخذ ما في المعسكر وورد السلطان الى خراسان بعد ثلاثة أشهر ولولا هذا الفعل لنهب تكش الى باب الري ولما وصل

الناس ولم يكن له رغبة الا في النساء والبناء فانه أنفق على قصره المعروف بالثريا أربعمائة ألف دينار وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ (وأقر عبيد الله) بن سليمان على وزارته فلما مات استوزر القاسم ابن عبيد الله (وقد كان المعتضد) في هذه السنة وهي سنة تسع وسبعين ومائتين ركب يوم الفطر وهو يوم الاثنين الى مصلى اتخذه بالقرب من داره وكبر في الركعة الاولى ست تكبيرات وفي الآخرة تكبيرة واحدة ثم صعد المنبر فحصر ولم تسمع له خطبة (ففي ذلك) يقول بعض الشعراء

حصر الامام ولم يبين خطبة * للناس في حل ولا احرام
ما ذاك الا من حياء لم يكن * ما كان من عي ولا افحام

(وفي هذه السنة) قدم الحسن بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسولا من مصر لخمارويه ابن أحمد ومعه هدايا كثيرة وأموال جليلة فوصل الى المعتضد يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال وخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ثم سعى في تزويج ابنة خمارويه من علي المكتفي فقال المعتضد انما أراد أن يتشرف بنا وأنا أزيد في تشريفه أنا أتزوجها فتزوجها وتولى ابن الجصاص أمرها وحمل جهازها فيقال انه حمل معها جوهرا لم يجتمع مثله عند خليفة قط

السلطان قصد تكش وأخذه وكان قد حلف له بالايمان انه لا يؤذيه ولا يناله منه مكروه فأفتاه بعض من حضر بان يجعل الامر الى ولده أحمد ففعل ذلك فأمر أحمد بكحله فكحل وسجن

﴿ذكر فتح سليمان بن قتلمش انطاكية﴾

في هذه السنة سار سليمان بن قتلمش صاحب قونية واقصرا وأعمالها من بلاد الروم الى الشام فملك مدينة انطاكية من أرض الشام وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وسبب ملك سليمان المدينة ان صاحبها الفردوس الرومي كان قد سار عنها الى بلاد الروم ورتب بها شحنة وكان الفردوس مسيئا الى أهلها والى جنده أيضا حتى انه حبس ابنه فاتفق ابنه والشحنة على تسليم البلد الى سليمان بن قتلمش وكاتبوه يستدعونه فركب البحر في ثلاثمائة فارس وكثير من الرجالة وخرج منه وسار في جبال وعرة ومضايق شديدة حتى وصل اليها للموعد فنصب السلالم باتفاق من الشحنة ومن معه وصعد السور واجتمع بالشحنة وأخذ البلد في شعبان فقاتله أهل البلد فهزمهم مرة بعد أخرى وقتل كثيرا من أهلها ثم عفا عنهم وتسلم القلعة المعروفة بالقسيان وأخذ من الاموال ما يجاوز الاحصاء وأحسن الى الرعية وعدل فيهم وأمرهم بعمارة ما خرب ومنع أصحابه من النزول في دورهم ومخالطتهم ولما ملك سليمان انطاكية أرسل الى السلطان ملكشاه يبشره بذلك وينسب هذا الفتح اليه لانه من أهله وممن يتولى طاعته فأظهر ملكشاه البشارة به وهنأه الناس فممن قال فيه الابيوردي من قصيدة مطلعها

لمعت كناصية الحصان الأشقر * نار بمعتلج الكثيب الاعفر
وفتحت انطاكية الروم التي * نشزت معاقلها على الاسكندر
وطئت مناكبها جيادك فانثنت * تلقي أجنتها بنات الاصفر

وهي طويلة

﴿ذكر قتل شرف الدولة وملك أخيه ابراهيم﴾

قد تقدم ذكر ملك سليمان بن قتلمش مدينة انطاكية فلما ملكها أرسل اليه شرف الدولة مسلم ابن قريش يطلب منه ما كان يحمله اليه الفردوس من المال ويخوفه معصية السلطان فأجابه أما طاعة السلطان فهي شعاري ودثاري والخطبة له والسكة في بلادي وقد كاتبته بما فتح الله على يدي بسعادته من هذا البلد وأعمال الكفار وأما المال الذي كان يحمله صاحب انطاكية قبلي فهو كان كافرا وكان يحمل جزية رأسه وأصحابه وانا بحمد الله مؤمن ولا أحمل شيأ فنهب شرف الدولة بلد انطاكية ونهب سليمان أيضا بلد حلب فلقيه أهل السواد يشكون اليه نهب عسكره فقال انا كنت أشد كراهية لما يجري ولكن صاحبكم أحوجني الى ما فعلت ولم تجر عادتي بنهب مال مسلم ولا أخذ ما حرمته الشريعة وأمر أصحابه باعادة ما أخذوه منهم فأعاده ثم ان شرف الدولة جمع الجموع من العرب والتركمان وكان ممن معه جبق أمير التركمان في أصحابه وسار الى انطاكية ليحصرها فلما سمع سليمان الخبر جمع عساكره وسار اليه فالتقيا في الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة في طرف من أعمال انطاكية واقتتلوا فمال تركمان جبق الى سليمان فانهزمت العرب وتبعهم شرف الدولة منهزما فقتل بعد ان صبر وقتل بين يديه أربعمائة غلام من أحداث حلب وكان قتله يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وذكرته ههنا لتتبع الحادثة بعضها بعضا وكان أحول وكان قد ملك من السندية التي على نهر عيسى الى منبج من الشام وما والاها من البلاد وكان في يده ديار ربيعة ومضر من أرض الجزيرة والموصل وحلب

فاقتطع ابن الجصاص بعضه وأعلم قطر الندى بنت خمارويه أن ما أخذه ودع لها عنده الى وقت حاجتها اليه فمات والجوهر عنده فكان ذلك سبب غناه واستقلاله وقد كانت لابن الجصاص محن بعد ذلك في أيام المقتدر وما كان من القبض عليه وما أخذ منه من الاموال بهذا السبب وغيره وحمل المعتضد صداق قطر الندى وهو بمدينة بلد الى أبي الجيش وكان الصداق ألف ألف درهم وغير ذلك من المتاع والطيب ولطائف الصين والهند والعراق وكان مما خص به أبا الجيش في نفسه وحباه به بدرة من الجوهر الثمين فيها در وياقوت وأنواع من الجوهر ووشاح وتاج واكليل وقيل قلنسوة وكردف وكان وصولهم الى مصر في رجب سنة ثمانين ومائتين وانحدر المعتضد من مدينة بلد والموصل بعد أن حمل ما وصفنا الى مدينة السلام في الماء (وحدث أبو سعيد) أحمد بن الحسين ابن منقذ قال دخلت يوما على الحسين بن الجصاص واذا بين يديه سفط خيار مبطن بالحرير فيه جوهر قد نظم منه سبح فرأيت شيأ حسنا ووقع في نفسي أن عددها يجاوز العشرين فقلت له جعلني الله فداك كم عدد كل سبحة فقال لي مائة حبة ووزن كل حبة كوزن صاحبتها لا تزيد ولا تنقص قد عدلت كل سبحة وزن صاحبتها واذا بين يديه سبائك ذهب توزن بقبان كما يوزن الحطب فلما خرجت من عنده القاني

وما كان لابيه وعمه قرواش وكان عادلا حسن السيرة والامن فى بلاده عام والرخص شامل وكان يسوس بلاده سياسة عظيمة بحيث يسير الراكب والراكبان فلا يخافان شيأ وكان له فى كل بلد وقرية عامل وقاض وصاحب خبر بحيث لا يتعدى أحد على أحد ولما قتل قصد بنو عقيل أخاه ابراهيم بن قريش وهو محبوس فأخرجوه وملكوه أمرهم وكان قد مكث فى الحبس سنين كثيرة بحيث انه لم يمكنه المشى والحركة لما أخرج ولما قتل شرف الدولة سار سليمان بن قتلمش الى حلب فحصرها مستهل ربيع الاول سنة ثمان وسبعين فاقام عليها الى خامس ربيع الآخر من السنة فلم يبلغ منها غرضا فرحل عنها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى صفر انقض كوكب من المشرق الى المغرب كان حجمه كالقمر وضوءه كضوئه وسار مدى بعيدا على مهل وتؤدة فى نحو ساعة ولم يكن له شبيه من الكواكب وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه فى الخامس والعشرين من رجب بمدينة سنجار من أرض الجزيرة مقارب الموصل بينهما يومان عند نزول السلطان بها وسماه أحمد وانما قيل له سنجر باسم المدينة التى ولد فيها وأمه أم ولد وفى هذه السنة فى جمادى الاولى توفى الشيخ أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعى صاحب الشامل والكامل وكفاية المسائل وغيرها من التصانيف بعد أن أضر عدة سنين وكان مولده سنة أربعمائة والقاضى أبو عبد الله الحسين بن على البغدادى المعروف بابن البقال وهو من شيوخ أصحاب الشافعى وكان اليه القضاء بباب الازج ولما انقطع الحج على سبيل التجريد واسمعيل بن مسعدة بن اسمعيل بن أحمد بن ابراهيم أبو القاسم الاسماعيلى الجرجانى ومولده سنة أربع وأربعمائة وكان اماما فقيها شافعيا محدثا أديبا وداره مجمع العلماء

﴿ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة﴾

فى هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة طليطلة من بلاد الاندلس وأخذوها من المسلمين وهى من أكبر البلاد وأحصنها وسبب ذلك ان الاذفونش ملك الفرنج بالاندلس كان قد قوى شأنه وعظم ملكه وكثرت عساكره مذ تفرقت بلاد الاندلس وصار كل بلد بيد ملك فصاروا مثل ملوك الطوائف فحينئذ طمع الفرنج فيهم وأخذوا كثيرا من ثغورهم وكان قد خدم قبل ذلك صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى بن ذى النون وعرف من أين يؤتى البلد وكيف الطريق الى ملكه فلما كان الآن جمع الاذفونش عساكره وسار الى مدينة طليطلة فحصرها سبع سنين وأخذها من القادر فازداد قوة الى قوته وكان المعتمد على الله أبو عبد الله محمد بن عباد اعظم ملوك الاندلس من المسلمين وكان يملك أكثر البلاد مثل قرطبة واشبيلية وكان يؤدى الى الاذفونش ضريبة كل سنة فلما ملك الاذفونش طليطلة أرسل اليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه ولم يقبلها منه فأرسل اليه يتهدده ويتوعده انه يسير الى مدينة قرطبة ويتملكها الا ان يسلم اليه جميع الحصون التى فى الجبل ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول فى جمع كثير كانوا خمسمائة فارس فانزله محمد بن عباد وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر كل من عنده منهم رجل ان يقتله واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش فاخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فلما بلغه الخبر عاد الى طليطلة

أبو العيناء فقال لى يا أبا سعيد على أى حال تركت هذا الرجل فوصفت له ما رأيت فقال رافعا رأسه الى السماء اللهم انك لم تساو بينى وبينه فى العمى ثم اندفع يبكى فقلت يا أبا عبد الله ما شأنك فقال لا تنكر ما رأيت منى لو رأيت ما رأيت لسعفت ثم قال الحمد لله على هذه الحالة وقال يا أبا سعيد ما حمدت الله تعالى على العمى الا فى وقتى هذا فقلت لمن يخبر حال ابن الجصاص بأى شئ ختم هذه السبح فقال بياقوتة حمراء لعل قيمتها أكثر مما تحتها (وكانت وفاة أبى العيناء) سنة اثنتين وثمانين ومائتين بالبصرة فى جمادى الآخرة وكان يكنى بأبى عبيد الله وكان قد انحدر من مدينة السلام الى البصرة فى زورق فيه ثمانون نفسا فى هذه السنة فغرق الزورق ولم يتخلص مما كان فيه الا أبو العيناء وكان ضريرا انعلق بطلال الزورق فأخرج حيا وتلف كل من كان معه فبعد أن سلم ودخل البصرة مات (وكان) لابى العيناء من اللسان وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن عليه أحد من نظرائه وله أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبى البصير وغيره وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (وحضر) مجلس بعض الوزراء فتعارضوا حديث بعض البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود فقال الوزير لابى العيناء وقد كان أمعن فى وصفهم

ليجمع آلات الحصار ورحل المعتمد الى اشبيلية

﴿ذكر استيلاء ابن جهير على آمد﴾

فى المحرم من هذه السنة ملك ابن جهير مدينة آمد وسبب ذلك ان فخر الدولة بن جهير كان قد أنفذ اليها ولده زعيم الرؤساء أبا القاسم ومعه جناح الدولة المعروف بالمقدم السالار وأرادوا اقلاع كرومها وبساتينها ولم يطمع مع ذلك فى فتحها لحصانتها فعم أهلها الجوع وتعذرت الاقوات وكادوا يهلكون وهم صابرون على الحصار غير مكترثين به فاتفق ان بعض الجند نزل من السور لحاجة لهم وتركوا أسلحتهم مكانها فصعد الى ذلك المكان عدد من العامة تقدمهم رجل من السواد يعرف بابى الحسن فلبس السلاح ووقف على ذلك المكان ونادى بشعار السلطان وفعل من معه كفعله وطلبوا زعيم الرؤساء فأتاهم وملك البلد واتفق أهل المدينة على نهب بيوت النصارى لما كانوا يلقون من نواب بنى مروان من الجور والحكم وكان أكثرهم نصارى فانتقموا منهم

﴿ذكر ملكه ايضا ميافارقين﴾

وفى هذه السنة أيضا فى سادس جمادى الآخرة ملك فخر الدولة ميافارقين وكان مقيما على حصارها فوصل اليه سعد الدولة كوهرائين فى عسكر نجدة له فجد فى القتال فسقط من سورها قطعة فلما رأى أهلها ذلك نادوا بشعار ملكشاه وسلموا البلد الى فخر الدولة وأخذ جميع ما استولى عليه من أموال بنى مروان وأنفذه الى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء فانحدر هو وكوهرائين الى بغداد وسار زعيم الرؤساء منها الى اصبهان فوصلها فى شوال وأوصل ما معه الى السلطان

﴿ذكر ملك جزيرة ابن عمر﴾

فى هذه السنة ارسل فخر الدولة جيشا الى جزيرة ابن عمر وهى لبنى مروان أيضا لحصروها فثار أهل بيت من أهلها يقال لهم بنو وهبان وهم من أعيان أهلها وقصدوا بابا للبلد صغيرا يقال له باب البويبة لا يسلكه الا الرجالة لانه يصعد اليه من ظاهر البلد بدرج فكسروه وأدخلوا العسكر فملكه وانقرضت دولة بنى مروان فسبحان من لا يزول ملكه وهؤلاء بنو وهبان الى يومنا هذا كلما جاء الى الجزيرة من يحصرها يخرجون من البلد ولم يبق منهم من له شوكة ولا منزلة يفعل بها شيأ وانما بتلك الحركة يؤخذون الى الآن

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول وصل أمير الجيوش فى عساكر مصر الى الشام فحصر دمشق وبها صاحبها تاج الدولة تتش فضيق عليه وقاتله فلم يظفر منها بشئ فرحل عنها عائدا الى مصر وفيها كانت الفتنة بين أهل الكرخ وسائر المحال من بغداد وأحرقوا من نهر الدجاج درب الآجر وما قاربه وأرسل الوزير أبو شجاع جماعة من الجند ونهاهم عن سفك الدماء تحرجا من الاثم فلم يمكنهم تلافى الخطب فعظم وفيها كانت زلزلة شديدة بخوزستان وفارس وكان أشدها بارجان فسقطت الدور وهلك تحتها خلق كثير وفيها فى ربيع الاول هاجت ريح عظيمة سوداء بعد العشاء وكثر الرعد والبرق وسقط على الارض رمل أحمر وتراب كثير وكانت النيران تضطرم فى أطراف السماء وكان أكثرها بالعراق وبلاد الموصل فالقت النخيل والاشجار وسقط معها صواعق فى كثير من البلاد حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت ثم انجلى ذلك نصف الليل وفيها فى ربيع الآخر توفى امام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى ومولده

وما كانوا عليه من البذل والافضال قد أكثرت من ذكرهم ووصفك اياهم وانما هذا من تصنيف الوراقين وتأليف المحسنين فقال له أبو العيناء فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير بالبذل والجود فأمسك عنه الوزير وتعجب الناس من اقدامه عليه (واستأذن) يوما على الوزير صاعد بن مخلد فقال له الحاجب الوزير مشغول فانتظر فلما أبطأ اذنه قال للحاجب ما صنع الوزير قال يصلى قال صدقت لكل جديد لذة يعيره بأنه حديث عهد بالاسلام (وقد كان أبو العيناء) دخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى وذلك فى سنة ست وأربعين ومائتين فقال له كيف قولك فى دارنا هذه فقال ان الناس بنوا الدور فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك فاستحسن ذلك ثم قال له كيف شربك النبيذ فقال أعجز عن قليله وأفتضح من كثيره فقال له دع هذا عنك ونادمنا فقال أنا امرؤ محجوب والمحجوب تختطف اشارته ويجور قصده وينظر منه الى ما لا ينظر اليه وكل من فى مجلسك يخدمك وأنا أحب أن أخدم وأخرى لست آمن أن تنظر الى بعين راض وقلبك غضبان أو بقلب غضبان وعينك راضية ومتى لم أميز بين هاتين هلكت فأختار العافية على التعرض للبلاء واحتفظ فقال بلغنا عنك بذاء فقال يا أمير المؤمنين قد مدح الله تعالى وذم فقال

سنة سبع عشرة وأربعمائة وهو الامام المشهور في الفقه والاصولين وغيرهما من العلوم وسمع الحديث من أبي محمد الجوهري وغيره وفيها في ذي الحجة توفي محمد بن أحمد بن عبد الله بن احمد بن الوليد أبو علي المتكلم كان أحد رؤساء المعتزلة وأعتهم ولزم بيته خمسين سنة لم يقدر على أن يخرج منه من عامة بغداد وأخذ الكلام عن أبي الحسين البصري وعبد الجبار الهمذاني القاضي ومن جملة تلاميذه ابن برهان وهو أكبر منه وفي هذه السنة توفي القاضي أبو الحسن هبة الله بن محمد ابن السبي قاضي الحريم بنهر معلى ومولده سنة أربع وتسعين وثلثمائة وكان يذاكر الامام المقتدي بأمر الله وولي ابنه أبو الفرج عبد الوهاب بين يدي قاضي القضاة ابن الدامغاني وفيها في جمادى الاولى توفي أبو العز بن صدقة وزير شرف الدولة ببغداد وكان قد قبض عليه شرف الدولة وحبسه بالرحبة فهرب منها الى بغداد فمات بعد وصوله الى مأمنه باربعة أشهر وكان كريما متواضعا لم تغيره الولاية عن اخوانه وفيها في رجب توفي قاضي القضاة أبو عبد الله بن الدامغاني ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ودخل بغداد سنة تسع عشرة وأربعمائة وكان قد صحب القاضي أبا العلاء بن صاعد وحضر ببغداد مجلس أبي الحسين القدوري وولي قضاء القضاة بعده القاضي أبو بكر بن المظفر بن بكران الشامي وهو من أكبر أصحاب القاضي أبي الطيب الطبري وفيها توفي عبد الرحمن بن مأمون بن علي أبو سعد المتولي مدرس النظامية وهو من أصحاب القاضي حسين المروزي وتمم كتاب الابانة

﴿ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل سليمان بن قتلمش﴾

لما قتل سليمان بن قتلمش شرف الدولة مسلم بن قريش على ما ذكرناه أرسل الى ابن الحتيتي العباسي مقدم أهل حلب يطلب منه تسليمها اليه فانفذ اليه واستمهله الى ان يكاتب السلطان ملكشاه وأرسل ابن الحتيتي الى تتش صاحب دمشق يعده ان يسلم اليه حلب فسار تتش طالبا لحلب فعلم سليمان بذلك فسار نحوه مجدا فوصل الى تتش وقت السحر على غير تعبية فلم يعلم به حتى قرب منه فعبى أصحابه وكان الامير أرتق بن أكسب مع تتش وكان منصورا لم يشهد حربا الا وكان الظفر له وقد ذكرنا فيما تقدم حضوره مع ابن جهير على آمد واطلاقه شرف الدولة من آمد فلما فعل ذلك خاف ان ينهي ابن جهير ذلك الى السلطان ففارق خدمته ولحق بتاج الدولة تتش فاقطعه البيت المقدس وحضر معه هذه الحرب فابلى فيها بلاء حسنا وحرض العرب على القتال فانهزم أصحاب سليمان وثبت هو في القلب فلما رأى انهزام عساكره أخرج سكينا معه فقتل نفسه وقيل بل قتل في المعركة واستولى تتش على عسكره وكان سليمان بن قتلمش في السنة الماضية في صفر قد أنفذ جثة شرف الدولة الى حلب على بغل ملفوفة في ازار وطلب من أهلها ان يسلموها اليه وفي هذه السنة في صفر أرسل تتش جثة سليمان في ازار ليسلموها اليه فاجابه ابن الحتيتي انه يكاتب السلطان ومهما أمره فعل فحصر تتش البلد وأقام عليه وضيق على أهله وكان ابن الحتيتي قد سلم كل برج من ابراجها الى رجل من أعيان البلد ليحفظه وسلم برجا فيها الى انسان يعرف بابن الرعوي ثم ان ابن الحتيتي أوحشه بكلام أغلظ له فيه وكان هذا الرجل شديد القوة ورأى ما الناس فيه من الشدة فدعاه ذلك الى ان أرسل الى تتش يستدعيه وواعده ليلة يرفع الرجال الى السور في الحبال فأتى تتش للميعاد الذي ذكره فاصعد الرجال في الحبال والسلاليم وملك تتش المدينة واستجار ابن الحتيتي بالامير ارتق فشفع فيه واما القلعة فكان بها سالم بن مالك بن

نعم العبد انه أوّاب وقال جل ذكره همازمشاء بنميم الآية فان لم يكن البذاء بمنزلة العقرب يلدغ النبي والذمي فلا ضير في ذلك قال الشاعر

اذا أنا بالمعروف لم أك صادقا
ولم أشتم النكس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه
وشق لي الله المسامع والفما

قال من أين أنت قال من البصرة قال ما تقول فيها قال ماؤها أجاج وحرها عذاب وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم وكان وزيره عبد الله بن يحيى بن خاقان واقفا على رأسه قال ما تقول في عبد الله بن يحيى بن خاقان قال نعم العبد منقسم بين طاعة الله تعالى وخدمتك ودخل ميمون بن ابراهيم صاحب ديوان البريد فقال له ما تقول في ميمون قال يد تسرق واست تضرط وهو بمنزلة يهودي قد سرق نصف خزينته له اقدام ومعه احجام احسانه تكليف واساءته طبيعة فأضحك ذلك منه ووصله وصرفه (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين وردت هدايا من قبل عمرو ابن الليث الصفار مائة دابة من مهاري خراسان وجمازات كثيرة وصناديق كثيرة وأربعة آلاف ألف درهم وكان معها صنم من صفر على مثال امرأة لها أربعة أيد وعليها وشاحان من فضة مرصعان بالجوهر الاحمر والابيض وبين يدي هذا المثال أصنام صغار لها أيد ووجوه وعليها الحلي والجوهر وكان هذا التمثال

بدران وهو ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش فأقام تتش يحصر القلعة سبعة عشر يوما فبلغه الخبر بوصول مقدمة أخيه السلطان ملكشاه فرحل عنها

﴿ذكر ملك السلطان حلب وغيرها﴾

كان ابن الحتيتي قد كاتب السلطان ملكشاه يستدعيه ليسلم اليه حلب لما خاف تاج الدولة تتش فسار اليه من اصبهان في جمادى الآخرة وجعل على مقدمته الامير برسق وبوزان وغيرهما من الامراء وجعل طريقه على الموصل فوصلها في رجب وسار منها فلما وصل الى حران سلمها اليه ابن الشاطر فاقطعها السلطان محمد بن شرف الدولة وسار الى الرها وهي بيد الروم فحصرها وملكها وكانوا قد اشتروها من ابن عطير وتقدم ذكر ذلك وسار الى قلعة جعبر فحصرها يوما وليلة وملكها وقتل من بها من بني قشير وأخذ جعبر من صاحبها وهو شيخ أعمى وولدين له وكانت الاذية بهم عظيمة يقطعون الطرق ويلجؤن اليها ثم عبر الفرات الى مدينة حلب فملك في طريقه مدينة منبج فلما قارب حلب رحل عنها أخوه تتش وكان قد ملك المدينة كما ذكرناه وسار عنها يسلك البرية ومعه الامير أرتق فأشار بكبس عسكر السلطان وقال انهم قد وصلوا وبهم وبدوابهم من التعب ما ليس عندهم معه امتناع ولو فعل لظفر بهم فقال تتش لا أكسر جاه أخي الذي أنا مستظل بظله فانه يعود بالوهن علي أولا وسار الى دمشق ولما وصل السلطان الى حلب تسلم المدينة وسلم اليه سالم بن مالك القلعة على ان يعوضه عنها قلعة جعبر وكان سالم قد امتنع بها أولا فأمر السلطان ان يرمي اليه رشقا واحدا بالسهام فرمى الجيش فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام فصانع عنها بقلعة جعبر وسلمها وسلم السلطان اليه قلعة جعبر فبقيت بيده وبيد أولاده الى ان أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكي على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأرسل اليه الامير نصر بن علي بن منقذ الكناني صاحب شيزر فدخل في طاعته وسلم اليه لاذقية وكفرطاب وفامية فاجابه الى المسالمة وترك قصده وأقر عليه شيزر ولما ملك السلطان حلب سلمها الى قسيم الدولة اقسنقر فعمرها وأحسن السيرة فيها واما ابن الحتيتي فانه كان واثقا باحسان السلطان ونظام الملك اليه فانه استدعاهما فلما ملك السلطان البلد طلب أهله ان يعفيهم من ابن الحتيتي فاجابهم الى ذلك واستصحبه معه وأرسله الى ديار بكر فافتقر وتوفي بها على حال شديدة من الفقر وقتل ولده بانطاكية قتله الفرنج لما ملكوها

﴿ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة﴾

في هذه السنة في ربيع الاول توفي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي صاحب الحلة والنيل وغيرهما مما يجاورهما ولما سمع نظام الملك خبر وفاته قال مات أجل صاحب عمامة وكان فاضلا قرأ على علي بن برهان فبرع بذكائه في الذي استفاده منه وله شعر حسن فمنه

فان أنا لم أحمل عظيما ولم أقد * لهاما ولم أصبر على فعل معظم
ولم أجر الجاني وأمنع حوزه * غداة أنادى للفخار وأنتمي

وله في صاحب له يكنى أبا مالك يرثيه

فان كان أودى خدننا ونديمنا * أبو مالك فالنائبات تنوب
فكل ابن أنثى لا محالة ميت * وفي كل حي للمنون نصيب
ولو رد حزن أو بكاء لهالك * بكيناه ما هبت صبا وجنوب

ولما توفي أرسل الخليفة الى ولده سيف الدولة صدقة نقيب العلويين أبا الغنائم يعزيه وسار سيف

على عجلة قد حمل على مقدارها تجره الجمازات فصير بذلك أجمع الى دار المعتضد ثم رد هذا التمثال الى مجلس الشرطة في الجانب الشرقي فنصب للناس ثلاثة أيام ثم رد الى دار المعتضد وذلك يوم الخميس لاربع خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة فسمت العامة هذا التمثال شغلا لاشتغالهم عن أعمالهم بالنظر اليه عدة هذه الايام وقد كان عمرو بن الليث قد حمل هذا الصنم من مدن افتتحها من بلاد الهند ومن جبالها مما يلي بلاد بسط ومعبر وبلاد الدوار وهي ثغور في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مما يليها من الاكابر والامم المختلفة حضر وبدو من الحضر بلاد كابل وبلاد ماحان وهي بلاد متصلة ببلاد رابلستان والرخج وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار الامم الماضية والملوك الغابرة أن رابلستان تعرف ببلاد فيروز بن كنك ملك رابلستان (وقد كان) عيسى ابن علي بن ماهان دخل في طلب الخوارج في أيام الرشيد الى السند وجبالها والقندهار والرخج ورابلستان يقتل ويفتح فتوحا لم يتقدم مثلها في تلك الديار (ففي ذلك يقول) الاعمى الشاعر المعروف بابن القذافي القمي

كاد عيسى يكون ذا القرنين * بلغ المغربين والمشرقين
لم يدع كابلا ولا رابلستا * ن فما حولها الى الرخجين

وقد قدمنا فيما

الدولة الى السلطان ملكشاه نخلع عليه وولاه ما كان لابيه وأكثر الشعراء مراثى بهاء الدولة

﴿ذكر وقعة الزلاقة بالاندلس وهزيمة الفرنج﴾

قد تقدم ذكر ملك الفرنج طليطلة وما فعله المعتمد بن عباد برسول الاذفونش ملك الفرنج وعود المعتمد الى اشبيلية فلما عاد اليها وسمع مشايخ قرطبة بما جرى ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها الا القليل وان استمرت الاحوال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت وساروا الى القاضى عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له ألا تنظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد ان كانوا يأخذونها وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ما هو قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا قاسمناهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين فى سبيل الله قال نخاف اذا وصلوا الينا يخربون بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركون الفرنج ويبدؤن بكم والمرابطون أصلح منهم وأقرب الينا قالوا له فكاتب أمير المسلمين وارغب اليه ليعبر الينا ويرسل بعض قواده وقدم عليهم المعتمد بن عباد وهم فى ذلك فعرض عليه القاضى ابن أدهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد أنت رسولى اليه فى ذلك فامتنع وانما أراد ان يبرئ نفسه من تهمة فالح عليه المعتمد فسار الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فابلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش وكان أمير المسلمين بمدينة سبتة ففى الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس وأرسل الى مراكش فى طلب من بقى من عساكره فاقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع فرسانه وسار من طليطلة وكتب الى أمير المسلمين كتابا كتبه له بعض أدباء المسلمين يغلظ له القول ويصف ما عنده من القوة والعدد والعدد وبالغ الكاتب فى الكتاب فأمر أمير المسلمين أبا بكر بن القصيرة ان يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب فاجاد فلما قرأه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل أحضر كتاب الاذفونش واكتب فى ظهره الذى يكون ستراه فلما عاد الكتاب الى الاذفونش ارتاع لذلك وعلم انه بلى برجل له عزم وحزم فازداد استعدادا فرأى فى منامه كأنه راكب فيل وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقص رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويلها فاحضر رجلا مسلما عالما بتعبير الرؤيا فقصها عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه فقال تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة وقوله تعالى فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ويقتضى هلاك هذا الجيش الذى تجمعه فلما اجتمع جيشه رأى كثرته فاعجبته فأحضر ذلك المعبر وقال له بهذا الجيش ألقى اله محمد صاحب كتابكم فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك وكل من معه وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات الحديث وفيه واعجاب المرء بنفسه وسار أمير المسلمين والمعتمد بن عباد حتى أتوا أرضا يقال لها الزلاقة من بلد بطليوس وأتى الاذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا فقيل لأمير المسلمين ان ابن عباد ربما لا ينصح ولا يبذل نفسه دونك فارسل اليه أمير المسلمين يأمره ان يكون فى المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب الاذفونش خيامه فى لحف جبل والمعتمد فى سفح جبل يتراءون وينزل أمير المسلمين وراء الجبل الذى عنده المعتمد وظن الاذفونش ان عساكر المسلمين ليس الا الذى يراه وكان الفرنج فى خمسين

ألفا فتيقنوا الغلب وأرسل الاذفونش الى المعتمد فى ميقات القتال وقصده المكر فقال غدا الجمعة وبعده الاحد فيكون اللقاء يوم الاثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الامر على هذا وركب ليلة الجمعة سحرا وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظنا منه ان ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون فاشرفوا على الهزيمة وكان المعتمد قد أرسل الى أمير المسلمين يعلمه بمجئ الفرنج للحرب فقال اجعلونى الى خيام الفرنج فسار اليها فبينما هم فى القتال وصل أمير المسلمين الى خيام الفرنج فنهبها وقتل من فيها فلما رأى الفرنج ذلك لم يتمالكوا أن انهزموا وأخذهم السيف وتبعهم المعتمد من خلفهم ولقيهم أمير المسلمين من بين يديهم ووضع فيهم السيف فلم يفلت منهم أحد ونجا الاذفونش فى نفر يسير وجعل المسلمون من رؤس القتلى كوما كثيرا فكانوا يؤذنون عليها الى ان جيفت فاحرقوها وكانت الوقعة يوم الجمعة فى العشر الاول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين واصاب المعتمد جراحات فى وجهه وظهرت ذلك اليوم شجاعته ولم يرجع من الفرنج الى بلادهم غير ثلاثمائة فارس وغنم المسلمون كل مالهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع أمير المسلمين الى الجزيرة الخضراء وعبر الى سبتة وسار الى مراكش فاقام بها الى العام المقبل وعاد الى الاندلس وحضر معه المعتمد بن عباد فى عسكره وعبد الله بن بلكين الصنهاجى صاحب غرناطة فى عسكره وساروا حتى نزلوا على ليط وهو حصن منيع بيد الفرنج فحصروه حصرا شديدا فلم يقدروا على فتحه فرحلوا عنه بعد مدة ولم يخرج اليهم أحد من الفرنج لما أصابهم فى العام الماضى فعاد ابن عباد الى اشبيلية وعاد أمير المسلمين على غرناطة وهى طريقه ومعه عبد الله بن بلكين فغدر به أمير المسلمين وأخذ غرناطة منه وأخرجه منها فرأى فى قصوره من الاموال والذخائر ما لم يحوه ملك قبله بالاندلس ومن جملة ما وجده سبحة فيها أربعمائة جوهرة قومت كل جوهرة بمائة دينار ومن الجواهر ماله قيمة جليلة الى غير ذلك من الثياب والعدد وغيرها وأخذ معه عبد الله واخاه تميما ابنى بلكين الى مراكش فكانت غرناطة أول ما ملكه من بلاد الاندلس وقد ذكرنا فيما تقدم سبب دخول صنهاجة الى الاندلس وعود من عاد منهم الى المعز بافريقية وكان آخر من بقى منهم بالاندلس هذا عبد الله وأخذت مدينته ورحل الى العدوة ولما رجع أمير المسلمين الى مراكش اطاعه من كان لم يطعه من بلاد السوس وورغة وقلعة مهدى وقال له علماء الاندلس انه ليست طاعته بواجبة حتى يخطب للخليفة ويأتيه تقليد منه بالبلاد فارسل الى الخليفة المقتدى بأمر الله ببغداد فاتاه الخلع والاعلام والتقليد ولقب بامير المسلمين وناصر الدين

﴿ذكر دخول السلطان الى بغداد﴾

فى هذه السنة دخل السلطان ملكشاه بغداد فى ذى الحجة بعد ان فتح حلب وغيرها من بلاد الشام والجزيرة وهى أول قدمة قدمها ونزل بدار المملكة وركب من الغد الى الحلبة ولعب بالجوكان والكرة وأرسل الى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها الخليفة ومن الغد أرسل نظام الملك الى الخليفة خدمة كثيرة فقبلها وزار السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف وأحمد بن حنبل وأبى حنيفة وغيرها من القبور المعروفة فقال ابن زكرويه الواسطى يهنى نظام الملك بقصيدة منها

زرت المشاهد زورة مشهودة * ارضت مضاجع من بها مدفون
فكانك الغيث استهل بتربها * وكأنها بك روضة ومعين

سلف من كتبنا الاخبار عن قلاع فيروز بن كنك الملك ببلاد رابستان التى ليس فى قلاع العالم على ماظهر للناس من ذوى العناية والتنقير ومن أكثر فى الارض المسير أحصن منها ولا أمنع ولا أعلى فى الجو ولا أكثر عجائب منها وذكرنا عجائب تلك الديار الى بلاد الطبسين وبلاد خراسان واتصالها بسجستان وعجائب المشرقين والمغربين من عامر وغامر وما فى العامر من الامم المختلفة الخلق والخلق (وقد كان) أهل البصرة وردوا على المعتضد فى مراكب بحرية بيض مشحمة بالشحم والنورة على ما فى بحرهم ووفد فيها خلق من خطبائهم ومتكلميهم وأهل الرياسة والشرف والعلم منهم أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى وكان مولى آل جمح من قريش وكان ولى القضاء بعد ذلك يشكون الى المعتضد ما نزل بهم من محن الزمان وجدب لحقهم وجور من العمال اعتورهم وألحوا بالصياح والضجيج فى مراكبهم فى دجلة فجلس لهم المعتضد من وراء حجاب وأمر الوزير القاسم بن عبيد الله وغيره من كتاب الدواوين بالجلوس لهم من حيث يسمع المعتضد خطابهم فيقضون لهم عما يشكونه من حكم الدواوين ثم أذن للبصريين فدخلوا وأبو خليفة فى أولهم عليهم الطيالسة الزرق والاقناع على رؤسهم ذوو عوارض جميلة وهيئة حسنة فاستحسن المعتضد ما رأى منهم وكان المبتدئ منهم بالنطق أبو خليفة فقال عمر الله العامر ودثر الظاهر واختلفت العواء وخسفت الجوزاء وأناخت علينا المصائب واغتورتنا المحن وقام كل رجل منا فى ظلمة واصطلمت الضياع وانخفضت القلاع فانظر الينا بعين الامام تستقم لك الايام وتنقاد لك الانام والا فنحن البصريون لا نُدفع عن فضيلة ولا ننافس عن جليلة وسجع فى كلامه وأغرق فى خطابه فقال له الوزير أحسبك مؤدبا أيها الشيخ فقال له أيها الوزير المؤدبون أجلسوك هذا المجلس قال له الوزير كم فى خمس من الابل قال له أبو خليفة للخبير سألت فى خمس من الابل شاة وفى العشر شاتان ثم مضى فى وصف فرائض الابل واصفا لما يجب فيها ذاكرا للتنازع فى موضعه منها ثم شرع فى البقر والغنم بلسان فصيح وخطاب حسن فى ايجاز من خطاب وبيان من الوصف فبعث المعتضد وقد أعجبه ما سمع وأكثر لذلك من الضحك بخادم الى الوزير فقال له اكتب لهم بما يريدون وأجبهم الى ما سألوه ولا تصرفهم الا شاكرين فهذا شيطان قذف به البحر ومثله فليقذف على الملوك (وكان) أبو خليفة لا يتكلف الاعراب بل قد صار له كالطبع لدوام استعماله اياه من عنفوان حداثته وكان ذا محل من الاسناد (وله أخبار) ونوادر حسان قد دونت (منها) أن بعض عمال الخراج بالبصرة كان مصروفا من عمله وأبو خليفة

فازت قداحك بالثواب والجعت * ولك الاله على النجاح ضمين

وهى مشهورة وطلب نظام الملك الى دار الخلافة ليلا فضى فى الزبزب وعاد من ليلته ومضى السلطان ونظام الملك الى الصيد فى البرية فزارا المشهدين مشهد أمير المؤمنين على ومشهد الحسين عليه السلام ودخل السلطان البرفاصطاد شيأ كثيرا من الغزلان وغيرها وأمر ببناء منارة القرون بالسبيعى وعاد السلطان الى بغداد ودخل الى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ولما خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائما يقدم أميرا أميرا الى الخليفة وكلما قدم أميرا يقول هذا العبد فلان بن فلان واقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا وكذا الى ان أتى على آخر الامراء وفوض الخليفة الى السلطان أمر البلاد والعباد وأمره بالعدل فيهم وطلب السلطان ان يقبل يد الخليفة فلم يجبه فسأل ان يقبل خاتمه فاعطاه اياه فقبله و وضعه على عينه وأمره الخليفة بالعود فعاد وخلع الخليفة أيضا على نظام الملك ودخل نظام الملك الى المدرسة النظامية وجلس فى خزانة الكتب وطالع فيها كتبا وسمع الناس عليه بالمدرسة جزء حديث وأملى جزأ آخر وأقام السلطان ببغداد الى صفر سنة ثمانين وسار منها الى اصبهان

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى المحرم جرى بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة فتنة قتل فيها جماعة من جملتهم القاضى أبو الحسن ابن القاضى أبى الحسين بن الغريق الهاشمى الخطيب أصابه سهم فمات منه ولما قتل تولى ابنه الشريف أبو تمام ما كان اليه من الخطابة وكان العميد كمال الملك الدهستانى ببغداد فسار بخيله و رجله الى القنطرة العتيقة وأعان أهل الكرخ ثم جرت بينهم فتنة ثانية فى شوال منها فاعان الحجاج على أهل الكرخ فانهزموا وبلغ الناس الى درب اللؤلؤ وكاد أهل الكرخ يهلكون فخرج أبو الحسن بن برغوث العلوى الى مقدم الاحداث من السنة فسأله العفو فعاد عنهم ورد الناس وفيها زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران وجاء المطر يومين ببغداد وفيها فى ربيع الاول أرسل العميد كمال الملك الى الانبار فتسلمها من بنى عقيل وخرجت من أيديهم وفيها فى ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر واذن فيها وفيها فى جمادى الاولى ورد الشريف أبو القاسم على بن أبى يعلى الحسنى الدبوسى الى بغداد فى تجمل عظيم لم ير مثله لفقيه ورتب مدرسا بالنظامية بعد أبى سعد المتولى وفيها أمر السلطان ان يزاد فى اقطاع وكلاء الخليفة نهر برزى من طريق خراسان وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداد وفيها اقطع السلطان ملكشاه محمد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرحبة واعمالها وحران وسروج والرقة والخابور وزوجه باخته زليخا خاتون فتسلم البلاد جميعها ماعدا حران فان محمد بن الشاطر امتنع من تسليمها فلما وصل السلطان الى الشام نزل عنها ابن الشاطر فسلمها السلطان الى محمد وفيها وقع ببغداد صاعقتان فكسرت احداهما اسطوانتين واحرقت قطنا فى صناديق ولم تحترق الصناديق وقتلت الثانية رجلا وفيها كانت زلازل بالعراق والجزيرة والشام وكثير من البلاد فخربت كثيرا من البلاد وفارق الناس مساكنهم الى الصحراء فلما سكنت عادوا وفيها عزل فخر الدولة بن جهير عن ديار بكر وسلمها السلطان الى العميد أبى على البلخى وجعله عاملا عليها وفيها اسقط اسم الخليفة المصرى من الحرمين الشريفين وذكر اسم الخليفة المقتدى بامر الله وفيها اسقط السلطان المكوس والاجتيازات بالعراق وفيها حصر تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينتى قابس وسفاقس فى وقت واحد وفرق عليها العساكر وفيها فى ربيع الاول توفى أبو الحسن بن فضال

مصر وفاعن قضائه فبعث العامل الى أبى خليفة أن مبرمان النحوى صاحب أبى العباس المبرد قد زارنى فى هذا اليوم الى بعض الانهار والبساتين فأتوه متنكرين مع من حضرنا من أصحابنا وسألوه الحضور معهم فجلسوا فى سمارية متفكهين قد غيروا ظواهر زيهم حتى أتوا نهرا من أنهار البصرة وقدم اليهم ما حملوا معهم من الطعام وكان أيام البادى وهى الايام التى يتمر فيها التمر والرطب فيكبسونه فى القواصر تمرا وتكون حينئذ البساتين مشحونة بالرجال ممن يعمل فى التمر من الاكرة وهم الزراع وغيرهم فلما أكلوا قال بعضهم لابى خليفة غير ممكن له خوفا أن يعرفه من حضر ممن ذكرنا من الاكرة والعمال فى النخل أخبرنى أطال الله بقاءك عن قول الله عز وجل قوا أنفسكم وأهليكم نارا هذه الواو ما موقعها من الاعراب قال أبو خليفة موقعها رفع وقوله قوا هو أمر للجماعة من الرجال قال له كيف تقول للواحد من الرجال وللاثنين قال يقال للواحد من الرجال ق وللاثنين قيا وللجماعة قوا قال كيف تقول للواحدة من النساء وللاثنتين منهن وللجماعة منهن قال أبو خليفة يقال للواحدة قى وللاثنتين قيا وللجماعة قين قال فأسألك أن تعجل بالعجلة كيف يقال للواحد من الرجال والاثنين والجماعة والواحدة من النساء والاثنتين منهن والجماعة منهن قال

المجاشعى النحوى المقرى وفى ربيع الآخر توفى شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفى النيسابورى وهو الذى تولى بناء الرباط بنهر المعلى و بنى وقوفه وهو رباط شيخ الشيوخ الآن وبنى وقوف المدرسة النظامية وكان عالى الهمة كثير التعصب لمن يلتجئ اليه وجدد تربة معروف الكرخى بعد ان احترقت وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان وكان يقال نحمد الله الذى أخرج رأس أبى سعد من مرقعة ولو أخرجه من قباء لهلكنا وفيها توفى أبو على محمد بن أحمد الشيرى البصرى وكان خيرا حافظا للقرآن ذا مال كثير وهو آخر من روى سنن أبى داود السجستانى عن أبى عمر الهاشمى وفيها توفى الشريف أبو نصر الزينبى العباسى نقيب الهاشميين وهو محدث مشهور عالى الاسناد

(ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة)

(ذكر زفاف ابنة السلطان الى الخليفة)

فى المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه الى دار الخليفة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومى وكان أكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى أربعة وسبعين بغلا مجللة بانواع الديباج الملكى واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلى و بين يدى البغال ثلاث وثلاثون فرسا من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب مرصعة بانواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب وسار بين يدى الجهاز سعد الدولة كوهرائين والامير برسق وغيرهما ونثر أهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان قد خرج عن بغداد متصيدا ثم أرسل الخليفة الوزير أبا شجاع الى تركان خاتون زوجة السلطان و بين يديه نحو ثلثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق فى الحريم دكان الا وقد اشعل فيها الشمعة والاثنتان وأكثر من ذلك وأرسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها حسنا وقال الوزير لتركان خاتون سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقد أذن فى نقل الوديعة الى داره فاجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فمن دونه من أعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة فى جماعتها وتجملها و بين أيديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع فى محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شئ وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لسماط أمر بعمله حكى ان فيه أربعين ألف من من السكر وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر فى العسكر وأرسل الخلع الى الخاتون زوجة السلطان والى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ولد للسلطان ابن من تركان خاتون وسماه محمودا وهو الذى خطب له بالمملكة بعد وفيها سلم السلطان ملكشاه مدينة حلب والقلعة الى مملوكه اقسنقر فوليها وأظهر فيها العدل وحسن السيرة وكان زوج دادة السلطان ملكشاه وهى التى حضنته وربيه وماتت بحلب سنة أربع وثمانين وفيها استبق ساعيان أحدهما للسلطان فضلى والآخر للامير قماج مرعوشى فسبق ساعى السلطان وقد تقدم ذكر الفضلى والمرعوشى أيام معز الدولة بن بويه وفيها جعل السلطان ولى عهده ولده أبا شجاع أحمد ولقبه ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة أمير المؤمنين وأرسل

أبو خليفة عجلان ق قيا قوا قى قيا قين وكان بالقرب منهم جماعة من الاكرة فلما سمعوا ذلك استعظموه وقالوا بازنادقة أنتم تقرؤن القرآن بحرف الدجاج وغدوا عليهم فصفعوهم فما تخلص أبو خليفة والقوم الذين كانوا معه من أيديهم الا بعد كد طويل (وقد أتينا) على نوادر أبى خليفة وأخباره ومخاطبته لبغلته حين ألقته وما تكلم به حين دخول اللص الى داره وغير ذلك فى كتابنا الاوسط (وكانت) وفاة أبى خليفة بالبصرة فى سنة خمس وثلثمائة (وفى سنة) ست وثمانين ومائتين فى ربيع الاول نزل المعتضد على آمد وذلك بعد وفاة أحمد ابن عيسى ابن الشيخ عبد الرزاق وقد تحصن بها ولده محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الرزاق فبث جيوشه حولها وحاصرها فحدث علقمة بن عبد الرزاق قال حدثنا رواحة بن عيسى ابن عبد الملك عن شعلة بن شهاب اليشكرى قال وجه بى المعتضد الى محمد بن أحمد ابن عيسى ابن الشيخ لآخذ بالحجة عليه فلما سرت اليه واتصل الخبر بأم الشريف أرسلت الى فقالت يا شهاب كيف خلفت أمير المؤمنين قال فقلت خلفته والله ملكا جذلا وحكما عدلا آمرا بالمعروف فعالا للخير متعززا على أهل الباطل متذللا للحق لا تأخذه فى الله لومة لائم قال فقالت لى هو والله أهل لذلك ومستحقه ومستوجبه وكيف

الى الخليفة بعد مسيره من بغداد ليخطب له ببغداد بذلك فخطب له فى شعبان ونثر الذهب على الخطباء وفيها فى شعبان انحدر سعد الدولة كوهرائين الى واسط لمحاربة مهذب الدولة ابن ابى الجبر صاحب البطائح ولما فارق بغداد كثرت فيها الفتن وفيها فى ذى القعدة ولد للخليفة من ابنة السلطان ولد سماه جعفرا وكناه أبا الفضل وزين البلد لاجل ذلك وفيها استولى العميد كمال الملك أبو الفتح الدهستانى عميد العراق على مدينة هيت أخذها من أصحاب صدقة وعادعنها فى ذى القعدة وفيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ وغيرها من المحال قتل فيها كثير من الناس وفيها كسفت الشمس كسوفا كليا وفيها توفى الامير أبو منصور قتلغ أمير الحاج وحج أميرا اثنتى عشرة سنة وكانت له فى العرب عدة وقعات وكانوا يخافونه ولما مات قال نظام الملك مات اليوم ألف رجل وولى امارة الحاج نجم الدولة خمارتكين وفيها فى جمادى الاولى توفى اسمعيل بن عبد الله بن موسى بن سعد أبو القاسم الساوى سمع الحديث الكثير من أبى سعيد الصيرفى وغيره وروى عنه الناس وكان ثقة وطاهر بن الحسين أبو الوفا البندنيجى الهمذانى كان شاعرا أديبا وكان يمدح لا لعرض الدنيا ومدح نظام الملك بقصيدتين كل واحدة منهما تزيد على أربعين بيتا احداهما ليس فيها نقطة والاخرى جميع حروفها منقوطة وفيها توفيت فاطمة بنت على المؤدب المعروفة ببنت الاقرع الكاتبة كانت من أحسن الناس خطا على طريقة ابن البواب وسمعت الحديث وأسمعته وفيها فى ذى القعدة توفى غرس النعمة أبو الحسن محمد بن الصابى صاحب التاريخ وظهر له مال كثير وكان له معروف وصدقة

﴿ثم دخلت سنة احدى وثمانين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الفتنة ببغداد﴾

فى هذه السنة فى صفر شرع أهل باب البصرة فى بناء القنطرة الجديدة ونقلوا الآجر فى اطباق الذهب والفضة وبين أيديهم الدبادب واجتمع اليهم أهل المحال وكثر عندهم أهل باب الازج فى خلق لا يحصى واتفق ان كوهرائين سار فى سميرية وأصحابه يسيرون على شاطئ دجلة بسيره فوقف أهل باب الازج على امرأة كانت تسقى الناس من مزملة لها على دجلة فحملوا عليها على عادة لهم وجعلوا يكسرون الجرار ويقولون الماء للسبيل فلما رأت سعد الدولة كوهرائين استغاثت به فامر بابعادهم عنها فضربهم الاتراك بالمقارع فسل العامة سيوفهم وضربوا وجه فرس حاجبه سليمان وهو أخص أصحابه فسقط عن الفرس فحمل كوهرائين الحنق على ان خرج من السميرية اليهم راجلا فحمل أحدهم عليه فطعنه باسفل رمحه فألقاه فى الماء والطين فحمل أصحابه على العامة فقاتلوهم وحرصوا على الظفر بالذى طعنه فلم يصلوا اليه وأخذ ثمانية نفر فقتل أحدهم وقطع اعصاب ثلاثة نفر وأرسل قباءه الى الديوان وفيه أثر الطعنة والطين يستنفر على اهل باب الازج ثم ان أهل الكرخ عقدوا لانفسهم طاقا آخر على باب طاق الحرانى وفعلوا كفعل أهل باب البصرة

﴿ذكر اخراج الاتراك من حريم الخلافة﴾

فى هذه السنة فى ربيع الآخر أمر الخليفة باخراج الاتراك الذين مع الخاتون زوجته ابنة السلطان من حريم دار الخليفة وسبب ذلك أن تركيا منهم اشترى من طواف فاكهة فتماكس فشتم الطواف التركى فاخذ التركى صنجة من الميزان وضرب بها رأس الطواف فشجه فاجتمعت العامة وكاد يكون بينهم وبين الاتراك شر واستغاثوا وشنعوا فامر الخليفة باخراج الاتراك

لا يكون ذلك كذلك وهو ظل الله الممدود على بلاده وخليفته المؤتمن على عباده أعز به دينه وأحيا به سنته وثبت به شريعته ثم قالت لى وكيف رأيت صاحبنا تعنى ابن أخيها محمد بن أحمد قال فقلت رأيت غلاما حدثا معجبا قد استحوذ عليه السفهاء فاستبد بآرائهم وأنصت لاقوالهم فهم يزخرفون له الكلام ويوردونه الندم فقالت لى فهل لك أن ترجع اليه بكتاب فلعلنا أن نحل ما عقده السفهاء قال قلت أجل فكتبت اليه كتابا لطيفا حسنا أجزلت فيه الموعظة وأخلصت فيه النصيحة وكتبت فى آخره هذه الابيات

اقبل نصيحة أم قلبها وجع عليك خوفا واشفاقا وقل سددا

واستعمل الفكر فى قولى فانك ان فكرت ألفيت فى قولى لك الرشدا

ولا تثق برجال فى قلوبهم ضغائن تبعث الشنآن والحسدا

مثل النعاج خمول فى بيوتهم حتى اذا امنوا ألفيتهم أسدا

وداو ذلك والادواء ممكنة واذ طبيبك قد ألقى اليك يدا

واعط الخليفة ما يرضيه منك ولا تمنعه مالا ولا أهلا ولا ولدا

واردد أخا يشكر ردا يكون له ردا من السوء لا تشمت به أحدا

قال فأخذت الكتاب وسرت به الى محمد بن أحمد فلما نظر فيه رمى به الى ثم قال يا أخا يشكر ما بآراء النساء تساس فاخرجوا

فأخرجوا عن آخرهم فى ساعة واحدة على أقبح صورة وقت العشاء الآخرة

﴿ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها﴾

فى هذه السنة فتح الروم مدينة زويلة من افريقية وهى بقرب المهدية وسبب ذلك ان الامير تميم بن المعز بن باديس صاحبها أكثر غزو بلادهم فى البحر فخربها وشنت أهلها فاجتمعوا من كل جهة واتفقوا على انشاء الشوانى لغزو المهدية ودخل معهم البيسانيون والجنويون وهما من الفرنج فاقاموا يعمرون الاسطول أربع سنين واجتمعوا بجزيرة قوصرة فى أربعمائة قطعة فكتب أهل قوصرة كتابا على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة فاراد تميم ان يسير عثمان بن سعيد المعروف بالمهر مقدم الاسطول الذى له ليمنعهم من النزول فمنعه من ذلك بعض قواده اسمه عبد الله بن منكوت لعداوة بينه وبين المهر فجاءت الروم وارسوا وطلعوا الى البر ونهبوا وخربوا وأحرقوا ودخلوا زويلة ونهبوها وكانت عساكر تميم غائبة فى قتال الخارجين عن طاعته ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار ورد جميع ما حووه من السبى وكان تميم يبذل المال الكثير فى الغرض الحقير فكيف فى الغرض الكبير حكى عنه انه بذل للعرب لما استولوا على حصن له يسمى قناطة ليس بالعظيم اثنى عشر ألف دينار حتى هدمه فقيل له هذا سرف فى المال فقال هو شرف فى الحال

﴿ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور﴾

فى هذه السنة مات الناصر بن علناس بن حماد وولى بعده ابنه المنصور فاقتفى آثار أبيه فى الحزم والعزم والرياسة ووصله كتب الملوك ورسلهم بالتعزية بابيه والتهنئة بالملك منهم يوسف بن تاشفين وتميم بن المعز وغيرهما

﴿ذكر وفاة ابراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود﴾

فى هذه السنة توفى الملك المؤيد ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا كريما مجاهدا وقد ذكرنا من فتوحه ما وصل الينا وكان عاقلا ذا رأى متين فمن آرائه ان السلطان ملكشاه بن ألب ارسلان السلجوقى جمع عساكره وسار يريد غزنة ونزل باسفرار فكتب ابراهيم بن مسعود كتابا الى جماعة من أعيان أمراء ملكشاه يشكرهم ويعتذر لهم عما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده ليتم لنا ما استقر بيننا من الظفر به وتخليصهم من يده ويعدهم الاحسان على ذلك وأمر القاصد بالكتب أن يتعرض لملكشاه فى الصيد ففعل ذلك فأخذ وأحضر عند السلطان فسأله عن حاله فانكره فامر السلطان بجلده فجلد فدفع الكتب اليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تخيل من امرائه وعاد ولم يقل لاحد من امرائه فى هذا الامر شيأ خوفا ان يستوحشوا منه وكان يكتب بخطه كل سنة مصحفا ويبعثه مع الصدقات الى مكة وكان يقول لو كنت موضع أبى مسعود بعد وفاة جدى محمود لما انفصمت عرى مملكتنا ولكنى الآن عاجز عن أن أسترد ما أخذوه واستولى عليه ملوك قد اتسعت ممالكهم وعظمت عساكرهم ولما توفى ملك بعده ابنه مسعود ولقبه جلال الدين وكان قد زوجه أبوه بابنة السلطان ملكشاه وأخرج نظام الملك فى هذا الاملاك والزفاف مائة ألف دينار

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة حج الوزير أبو شجاع وزير الخليفة واستناب ابنه ربيب الدولة أبا منصور ونقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى وفيها أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحجاج من الخفارة وفيها

الدول ولا بعقولهن يساس الملك ارجع الى صاحبك فرجعت الى أمير المؤمنين فأخبرته الخبر عن حقه وصدقه فقال وأين كتاب أم الشريف قال فأظهرته فلما عرض عليه أعجبه شعرها وعقلها ثم قال والله انى لارجو أن أشفعها فى كثير من القوم فلما كان فى فتح آمد ما كان ونزل محمد بن أحمد على الامان لما عظم القتال وجه الى أمير المؤمنين فقال يا شعلة بن شهاب هل عندكم علم من أم الشريف قال قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال امض مع هذا الخادم فانك تجدها فى جملة نسائها قال فمضيت فلما بصرت بى أسفرت عن وجهها وأنشأت تقول

ريب الزمان وصرفه وعتوه كشف القناعا

وأذل بعد العز منا الصعب والبطل الشجاعا

ولقد نصحت فما أطعت وكم حرصت بان أطاعا

فأبى بنا المقدور الا أن نقسم أو نباعا

ياليت شعرى هل نرى يوما لفرقتنا اجتماعا

قال ثم بكت وضربت بيدها على الاخرى ثم قالت لى يا شهاب كأنى والله كنت أرى ما أرى فانا لله وانا اليه راجعون قال فقلت لها ان أمير المؤمنين قد وجهنى اليك وما ذاك الا لحسن رأى منه فيك قالت فهل لك أن توصل اليه كتابى هذا ما فيه قلت نعم فكتبت اليه بهذه الابيات

قل للخليفة والامام المرتضى * راس الخلائق من قريش الابطح

جمع آقسنقر صاحب حلب عسكره وسار الى قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد الى حلب وفيها توفى أبو بكر أحمد بن أبى حاتم عبد الصمد بن أبى الفضل الغورجى الهروى والقاضى محمود بن محمد بن القاسم أبو عامر الازدى المهلبى راويا جامع الترمذى عن أبى محمد الجراحى رواه عنهما أبو الفتح الكروخى و توفى عبد الله بن محمد بن على بن محمد أبو اسمعيل الانصارى الهروى شيخ الاسلام ومولده سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكان شديد التعصب فى المذاهب ومحمد بن اسحق بن ابراهيم بن مخلد الباقرحى ومولده فى شعبان وهو من أهل الحديث والرواية وفى المحرم توفيت ابنة الغالب بالله بن القادر ودفنت عند قبر أحمد وكانت ترجع الى دين ومعروف كثير لم يبلغ أحد فى فعل الخير ما بلغت وفى شعبان توفى عبد العزيز الصحراوى الزاهد وفيها توفى الملك أحمد بن السلطان ملكشاه بمرو وكان ولى عهد أبيه فى السلطنة وكان عمره احدى عشرة سنة وجلس الناس ببغداد للعزاء سبعة أيام فى دار الخلافة ولم يركب أحد فرسا وخرج النساء ينحن فى الاسواق واجتمع الخلق الكثير فى الكرخ للتفرج والمناحات وسود أهل الكرخ أبواب عقودهم اظهارا للحزن به

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين واربعمائة

ذكر الفتنة ببغداد بين العامة

فى هذه السنة فى صفر كبس أهل باب البصرة الكرخ فقتلوا رجلا وجرحوا آخر فاغلق أهل الكرخ الاسواق ورفعوا المصاحف وحملوا ثياب الرجلين وهى بالدم ومضوا الى دار العميد كمال الملك أبى الفتح الدهستانى مستغيثين فارسل الى النقيب طراد بن محمد يطلب منه احضار القاتلين فقصد طراد دار الامير بوزان بقصر ابن المأمون فطالبه بوزان بهم ووكل به فارسل الخليفة الى بوزان يعرفه حال النقيب طراد ومحله ومنزلته فخلى سبيله واعتذر اليه فسكن العميد كمال الملك الفتنة وكف الناس بعضهم عن بعض ثم سار الى السلطان فعاد الناس الى ما كانوا فيه من الفتنة ولم ينقض يوم الا عن قتلى وجرحى

ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر

فى هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وسبب ذلك ان سمرقند كان قد ملكها أحمد خان ابن خضرخان أخو شمس الملك الذى كان قبله وهو ابن أخى تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صبيا ظالما قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه وكتبوا الى السلطان سرا يستغيثون به ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم وحضر الفقيه أبو طاهر بن علك الشافعى عند السلطان شاكيا وكان يخاف من أحمد خان لكثرة ماله فاظهر السفر للتجارة والحج فاجتمع بالسلطان وشكا اليه وأطمعه فى البلاد فتحركت دواعى السلطان الى ملكها فسار من أصبهان وكان قد وصل اليه وهو فيها رسول ملك الروم ومعه الخراج المقرر عليه فاخذه نظام الملك معهم الى ما وراء النهر وحضر فتح البلاد فلما وصل الى كاشغر اذن له نظام الملك فى العود الى بلاده وقال أحب ان يذكر عنا فى التواريخ ان ملك الروم حمل الجزية وأوصلها الى باب كاشغر لينهى الى صاحب سعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدث نفسه بخلاف الطاعة وهذا يدل على همة عالية تعلو على العيوق ولما سار السلطان من اصبهان الى خراسان جمع العساكر من البلاد جميعها فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان ولا تدخل تحت الاحصاء فلما قطع النهر قصد بخارا وأخذ ما على طريقه ثم سار اليها وملكها وما جاورها من البلاد وقصد سمرقند ونازلها وكانت

بك أصلح الله البلاد وأهلها * بعد الفساد وطالما لم تصلح

وتزحزحت بك قبة العزالى * لولاك بعد الله لم تتزحزح
وأراك ربك ما تحب فلا ترى * ما لا يحب بجد بعفوك واصفح
يا بهجة الدنيا وبدر ملوكها * هب ظالمى ومفسدى لمصلح
قال فأخذت الكتاب وسرت به الى أمير المؤمنين فلما عرضت عليه الابيات أعجبته وأمر أن يحمل اليها تخوت من الثياب وجملة من المال والى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك وشفعها فى كثير من أهلها ممن عظم جرمه واستحق العقوبة عليه (وكتب) المعتضد الى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف بمواقعة رافع بن هرثمة وذلك فى سنة سبع وسبعين ومائتين فسار أحمد بن عبد العزيز الى رافع والتقوا بالرى لسبع بقين من ذى القعدة من هذه السنة وأقامت الحرب بينهم أياما ثم كانت على رافع بن هرثمة فولى وركب أصحاب ابن أبى دلف أكتافهم واستولوا على عسكرهم وكان وصول هذا الخبر الى بغداد لست خلون من ذى الحجة من هذه السنة (وفى سنة) ثمانين ومائتين أخذ ببغداد رجل يعرف بمحمد بن الحسن بن سهل ابن أخى ذى الرياستين الفضل بن سهل يلقب بشميلة ومعه عبيد الله بن المهتدى ولمحمد ابن الحسن بن سهل هذا تصنيفات فى أخبار المبيضة وله كتاب مؤلف فى أخبار على بن محمد صاحب الزنج على حسب

الملطفات

الملطفات قد قدمها الى أهل البلد يعدهم النصر والخلاص مما هم فيه من الظلم وحصر البلد وضيق عليه وأعانه أهل البلد بالاقامات وفرق أحمد خان صاحب سمرقند ابراج السور على الامراء ومن يثق اليه من أهل البلد وسلم برجا يقال له برج العيار الى رجل علوى كان مختصا به فنصح فى القتال فاتفق ان ولدا لهذا العلوى أخذ أسيرا ببخارا فهدد الاب بقتله فتراخى عن القتال فسهل الامر على السلطان ملكشاه ورمى من السور عدة ثلم بالمنجنيقات وأخذ ذلك البرج فلما صعد عسكر السلطان الى السور هرب أحمد خان واختفى فى بيوت بعض العامة فغمز عليه وأخذ وحمل الى السلطان وفى رقبته حبل فاكرمه السلطان وأطلقه وأرسله الى أصبهان ومعه من يحفظه ورتب بسمرقند الامير العميد أبا طاهر عميد خوارزم وسار السلطان قاصدا الى كاشغر فبلغ الى يوزكند وهو بلد يجرى على بابه نهر وأرسل منها رسلا الى ملك كاشغر يأمره باقامة الخطبة وضرب السكة باسمه ويتوعده ان خالف بالمسير اليه ففعل ذلك وأطاع وحضر عند السلطان فاكرمه وعظمه وتابع الانعام عليه وأعاده الى بلده ورجع السلطان الى خراسان فلما أبعد عن سمرقند لم يتفق أهلها وعسكرها المعروفون بالجكلية مع العميد أبى طاهر نائب السلطان عندهم حتى كادوا يثبون عليه فاحتال حتى خرج من عندهم ومضى الى خوارزم

ذكر عصيان سمرقند

كان مقدم العسكر المعروف بالجكلية واسمه عين الدولة قد خاف السلطان لهذا الحادث فكاتب يعقوب تكين أخا ملك كاشغر وممالكته تعرف بآب نباشى وبيده قلعتها واستحضره فحضر عنده بسمرقند واتفقا ثم ان يعقوب علم ان أمره لا يستقيم معه فوضع عليه الرعية الذين كان أساء اليهم حتى ادعوا عليه دماء قوم كان قتلهم وأخذ الفتاوى عليه وقتله واتصلت الاخبار بالسلطان ملكشاه بذلك فعاد الى سمرقند

ذكر فتح سمرقند الفتح الثانى

لما اتصلت الاخبار بعصيان سمرقند بالسلطان ملكشاه وقتل عين الدولة مقدم الجكلية عاد الى سمرقند فلما وصل الى بخارا هرب يعقوب المستولى على سمرقند ومضى الى فرغانة ولحق بولايته ووصل جماعة من عسكره الى السلطان مستأمنين فلقوه بقرية تعرف بالطواويس ولما وصل السلطان الى سمرقند ملكها ورتب بها الامير ابر وسار فى أثر يعقوب حتى نزل بيوزكند وأرسل العساكر الى سائر الاكناف فى طلبه وأرسل السلطان الى ملك كاشغر وهو أخو يعقوب ليجد فى أمره ويرسله اليه فاتفق ان عسكر يعقوب شغبوا عليه ونهبوا خزائنه واضطروه الى ان هرب على فرسه ودخل الى أخيه بكاشغر مستجيرا به فسمع السلطان بذلك فارسل الى ملك كاشغر يتوعده ان لم يرسله اليه ان يقصد بلاده ويصير هو العدو فخاف ان يمنع السلطان وأنف ان يسلم أخاه بعد ان استجار به وان كانت بينهما عداوة قديمة ومنافسة فى الملك عظيمة لما يلزمه فيه العار فاداه اجتهاده الى ان قبض على أخيه يعقوب وأظهر انه كان فى طلبه فظفر به وسيره مع ولده وجماعة من أصحابه وكلهم يعقوب وأرسل معهم هدايا كثيرة للسلطان وأمر ولده انه اذا وصل الى قلعة بقرب السلطان ان يسمل يعقوب ويتركه فان رضى السلطان بذلك والا سلمه اليه فلما وصلوا الى القلعة عزم ابن ملك كاشغر ان يسمل عمه وينفذ فيه ما أمره به أبوه فتقدم فكتفه وألقاه على الارض ففعلوا به ذلك فبينما هم على تلك الحال وقد أحموا الميل ليسملوه اذ سمعوا ضجة عظيمة فتركوه وتشاوروا بينهم وظهر عليهم انكسار ثم أرادوا بعد ذلك سمله ومنع منه بعض فقال لهم

ما ذكرنا من أمره فيما سلف من هذا الكتاب فأقر عليه جماعة من المستأمنة

من عسكر العلوى وأصيبت له جرائد فيها أسماء رجال قد أخذ عليهم البيعة لرجل من آل أبى طالب وكانوا قد عزموا على أن يظهروا ببغداد فى يوم بعينه ويقتلوا المعتضد فادخلوا الى المعتضد فأبى من كان مع محمد بن الحسن أن يقروا وقالوا أما الرجل الطالبى فانا لا نعرفه وقد أخذت علينا البيعة له ولم نره وهذا كان الواسطة بيننا وبينه يعنون محمد بن الحسن فأمر بهم فقتلوا واستبقى شميلة طمعا فى أن يدله على الطالبى وخلى عبيد الله بن المهتدى لعلمه ببراءته ثم أراد المعتضد بالله محمد بن الحسن بجميع الجهات أن يدله على الطالبى الذى أخذ له العهد على الرجال فأبى وجرى بينه وبين المعتضد خطب طويل وكان فى مخاطبته للمعتضد أن قال لو شويتنى على النار ما زدتك على ما سمعت منى ولم أقر على من دعوت الناس الى طاعته وأقررت بامامته فاصنع ما أنت له صانع فقال له المعتضد لسنا نعذبك الا بما ذكرت فذكر أنه جعل فى حديدة طويلة أدخلت فى دبره وأخرجت من فمه وأمسك بأطرافها على نار عظيمة حتى مات بحضرة المعتضد وهو يسبه ويقول فيه العظائم والاشهر أنه جعل بين رماح ثلاثة وشد أطرافها وكتف وجعل فوق النار من غير أن يماسها وهو فى الحياة يدار

يعقوب أخبروني عن حالكم وما يفوتكم الذي تريدونه مني واذا فعلتم بي شيأ رعاندتم عليه فقيل له ان طغرل بن ينال اسرى من ثمانين فرسخا في عشرات ألوف من العساكر وكبس أخاك بكاشغر فاخذه أسيرا ونهب عسكره وعاد الى بلاده فقال لهم هذا الذي تريدون تفعلونه بي ليس مما تتقربون به الى الله تعالى وانما تفعلونه اتباعا لامر أخي وقد زال أمره ووعدهم الاحسان فاطلقوه فلما رأى السلطان ذلك ورأى طمع طغرل بن ينال ومسيره الى كاشغر وقبض صاحبها وملكه لها مع قربه منه خاف ان يحل بعض أمره وتزول هيبته وعلم انه متى قصد طغرل سار من بين يديه فان عاد عنه رجع الى بلاده وكذلك يعقوب أخو صاحب كاشغر وانه لا يمكنه المقام لسعة البلاد وراءه وخوف الموت بها فوضع تاج الملك على ان يسعى في اصلاح أمر يعقوب معه ففعل ما أمره به السلطان فاتفق هو ويعقوب وعاد الى خراسان وجعل يعقوب مقابل طغرل يمنعه من القوة وملك البلاد وكل منهما يقوم في وجه الآخر

﴿ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة الى أبيها﴾

وفي هذه السنة أرسل السلطان الى الخليفة يطلب ابنته طلبا لا بد منه وسبب ذلك انها أرسلت تشكو من الخليفة وتذكر أنه كثير الاطراح لها والاعراض عنها فأذن لها في المسير فسارت في ربيع الاول وسار معها ابنها من الخليفة أبو الفضل جعفر بن المقتدي بامر الله ومعهما سائر أرباب الدولة ومشى مع محفتها سعد الدولة كوهرائين وخدم دار الخلافة الاكابر وخرج الوزير يشيعهم الى النهروان وعاد وسارت الخاتون الى أصبهان فاقامت بها الى ذي القعدة وتوفيت وجلس الوزير ببغداد للعزاء سبعة أيام وأكثر الشعراء مراثيها ببغداد وبعسكر السلطان

﴿ذكر فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام﴾

في هذه السنة خرجت عساكر مصر الى الشام في جماعة من المقدمين فحصروا مدينة صور وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل وامتنع عليهم ثم توفي ووليها أولاده فحصرهم العسكر المصري فلم يكن لهم من القوة ما يمتنعون بها فسلموها اليهم ثم سار العسكر عنها الى مدينة صيدا ففعلوا بها كذلك ثم ساروا الى مدينة عكا فحصروها وضيقوا على أهلها فافتتحوها وقصدوا مدينة جبيل فملكوها أيضا وأصلحوا أحوال هذه البلاد وقرروا قواعدها وساروا عنها الى مصر عائدين واستعمل أمير الجيوش على هذه البلاد الامراء والعمال

﴿ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية﴾

وفي هذه السنة في جمادى الاولى كثرت الفتن ببغداد بين أهل الكرخ وغيرها من المحال وقتل بينهم عدد كثير واستولى أهل المحال على قطعة كبيرة من نهر الدجاج فنهبوها وأحرقوها فنزل شحنة بغداد وهو خمارتكين النائب عن كوهرائين على دجلة في خيله ورجله ليكف الناس عن الفتنة فلم ينتهوا وكان أهل الكرخ يجرون عليه وعلى أصحابه الجرايات والاقامات وفي بعض الايام وصل أهل باب البصرة الى سويقة غالب فخرج من أهل الكرخ من لم تجر عادته بالقتال فقاتلوهم حتى كشفوهم فركب خدم الخليفة والحجاب والنقباء وغيرهم من أعيان الحنابلة كابن عقيل والكلوذاني وغيرهما الى الشحنة وساروا معه الى أهل الكرخ فقرأ عليهم مثالا من الخليفة يأمرهم بالكف ومعاودة السكون وحضور الجماعة والجمعة والتدين بمذهب أهل السنة فأجابوا الى الطاعة فبينما هم كذلك أتاهم الصارخ من نهر الدجاج بان أهل السنة قد قصدوهم والقتال عندهم فمضوا مع الشحنة ومنعوا من الفتنة وسكن الناس وكتب أهل الكرخ

عليها وبشوى كما تشوى الدجاج وغيرها الى أن تفرقع جسمه وأخرج فصاب بين الجسرين من الجانب الغربي (وفي هذه السنة) كان خروج المعتضد في طلب الاعراب من بني شيبان وكانوا عتوا وأكثروا الفساد وأوقع بهم مما يلي الجزيرة والدواب في الموضع المعروف بوادي الذئاب فقتل وأسر وساق الذراري وسار الى الموصل (وفي هذه السنة) افتتح أبو عبيد الله بن أبي الساج المراغة من بلاد اذربيجان فقبض على عبد الله بن الحسن واستبقى أمواله ثم أتى عليه بعد ذلك (وفي هذه السنة) كانت وفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف (وفي هذه السنة) افتتح أحمد بن ثور عمان وكان مسيره اليها من بلاد البحرين فواقع الشراة من الاباضية وكانوا في نحو من مائتي ألف وكان امامهم الصلت بن مالك ببلاد بروا من أرض عمان وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وحمل كثيرا من رؤسهم الى بغداد (وفيها) دخل المعتضد بغداد منصرفا من الجزيرة (وفي هذه السنة) كان دخول عمرو بن الليث نيسابور (وفي هذه السنة) نقلت ابنة محمد بن أبي الساج الى بدر غلام المعتضد وقد أتينا على خبر ابن أبي الساج وما كان من تزويجه ابنته لبدر بحضرة المعتضد وما كان من خبر ابن أبي الساج ورحلته عن باب خراسان متوجها الى اذربيجان في الكتاب الاوسط (وفي هذه السنة) علي

على أبواب مساجدهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن عند هذا اليوم ثار أهل الكرخ وقصدوا شارع ابن أبي عوف ونهبوه وفي جملة ما نهبوا دار أبي الفضل بن خيرون المعدل فقصد الديوان مستنفرا ومعه الناس ورفع العامة الصلبان وهجموا على الوزير في حجرته وأكثروا من الكلام الشنيع وقتل ذلك اليوم رجل هاشمي من أهل باب الازج بسهم أصابه فثار العامة هناك بعلوي كان مقيما بينهم فقتلوه وحرقوه وجرى من النهب والقتل والفساد أمور عظيمة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فارسل عسكرا الى بغداد فطلبوا المفسدين والعيارين فهربوا منهم فهدمت دورهم وقتل منهم ونفي وسكنت الفتنة وأمن الناس

﴿ذكر حيلة لامير المسلمين ظهرت ظهورا غريبا﴾

كان بالمغرب انسان اسمه محمد بن ابراهيم الكزولي سيد قبيلة كزولة ومالك جبلها وهو جبل شامخ وهي قبيلة كبيرة وبينه وبين أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مودة واجتماع فلما كان هذه السنة أرسل يوسف الى محمد بن ابراهيم يطلب الاجتماع به فركب اليه محمد فلما قاربه خافه على نفسه فعاد الى جبله واحتاط لنفسه فكتب اليه يوسف وحلف له انه ما أراد به الا الخير ولم يحدث نفسه بغدر فلم يركن محمد اليه فدعا يوسف حجاما وأعطاه مائة دينار وضمن له مائة دينار أخرى ان هو سار الى محمد بن ابراهيم واحتال على قتله فسار الحجام ومعه مشاريط مسمومة فصعد الجبل فلما كان الغد خرج ينادي لصناعته بالقرب من مساكن محمد فسمع محمد الصوت فقال هذا الحجام من بلدنا فقيل انه غريب فقال أراه يكثر الصياح وقد ارتبت بذلك ائتوني به فأحضر عنده فاستدعى حجاما آخر وأمره ان يحجمه بمشاريطه التي معه فامتنع الحجام الغريب فأمسك وحجم فمات وتعجب الناس من فطنته فلما بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه ولج في السعي في أذى يوصله اليه فاستمال قوما من أصحاب محمد فمالوا اليه فأرسل اليهم جرارا من عسل مسموم فحضروا عند محمد وقالوا لقد وصل الينا قوم معهم جرار من عسل أحسن ما يكون وأردنا اتحافك به وأحضروها بين يديه فلما رآها أمر باحضار خبز وأمر أولئك الذين أهدوا اليه العسل ان يأكلوا منه فامتنعوا واستعفوه من أكله فلم يقبل منهم وقال من لم يأكل قتل بالسيف فأكلوا فماتوا عن آخرهم فكتب الى يوسف بن تاشفين انك قد أردت قتلي بكل وجه فلم يظفرك الله بذلك فكف عن شرك فقد أعطاك الله المغرب باسره ولم يعطني غير هذا الجبل وهو في بلادك كالشامة البيضاء في الثور الاسود فلم تقنع بما أعطاك الله عز وجل فلما رأى يوسف ان سره قد انكشف وانه لا يمكنه في أمره شيء لحصانة جبله أعرض عنه وتركه

﴿ذكر ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم﴾

في هذه السنة نقض ابن علوي ما بينه وبين تميم بن المعز بن باديس أمير افريقية من العهد وسار في جمع من عشيرته العرب فوصل الى مدينة سوسة من بلاد افريقية وأهلها غارون لم يعلموا به فدخلها عنوة وجرى بينه وبين من بها من العسكر والعامة قتال قتل من الطائفتين جماعة وكثر القتل في أصحابه والاسر وعلم انه لا يتم له مع تميم حال ففارقها وخرج منها الى حلته من الصحراء وكان بافريقية هذه السنة غلاء شديد وبقي كذلك الى سنة أربع وثمانين وصلحت أحوال أهلها وأخصبت البلاد ورخصت الاسعار وأكثر أهلها الزرع

﴿ذكر عدة حوادث﴾

سار اسمعيل بن أحمد بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد واستيلائه على امرة خراسان الى أرض الترك ففتح المدينة الموصوفة من مدنهم بدار الملك وأسر خاتون زوجة الملك وأسر خمسة عشر ألفا من الترك وقتل منهم عشرة آلاف ويقال ان هذا الملك يقال له طفكس وهذا الاسم سمة لكل ملك ملك هذا البلد من ملوكهم وأراه من الجنسين المعروفين بالخدلجية وقد أتينا فيما سلف من هذا الكتاب على جمل من أخبار الترك وأجناسهم وأوطانهم وكذلك فيما سلف من كتبنا (وفي سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت الحرب بين وصيف خادم ابن أبي الساج وعمرو بن عبد العزيز ببلاد الجبل وكان من أمره ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا وكان المعتضد خرج في هذه السنة الى الجبل لامور بلغته منها قصة محمد بن زيد العلوي الحسيني صاحب بلاد طبرستان فولى ولده عليا المكتفي الري وأنزله بها وأضاف اليه قزوين وزنجان وأبهر وقم وهمذان وانصرف المعتضد الى بغداد وقد قلد عمرو بن عبد العزيز اصبهان وكرخ بعد ابن أبي دلف وفيها استأمن الى المكتفي علي كوره وسار الى المعتضد في عدة كثيرة وفيها سار طغج ابن شبث بن الاخشيد صاحب مصر في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في عساكر كثيرة من دمشق فدخل طرسوس

فى هذه السنة قطعت الحرامية الطريق على قفل كبير بولاية حلب فركب اقسنقر فى جماعة من عسكره وتبعهم ولم يزل حتى أخذهم وقتلهم فأمنت الطرق بولايته وفيها ورد العميد الاغرأبو المحاسن عبد الجليل بن على الدهستانى الى بغداد عميدا وعزل أخوه كمال الملك على ماذكرناه وفيها درس الامام أبو بكر الشاشى فى المدرسة التى بناها تاج الملك مستوفى السلطان بباب ابرز من بغداد وهى المدرسة التاجية المشهورة وفيها عمرت منارة جامع حلب وفيها توفى الخطيب أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الواحد بن أبى الحديد السلمى خطيب دمشق فى ذى الحجة وفيها توفى احمد بن محمد بن صاعد بن محمد أبو نصر النيسابورى رئيسها ومولده سنة عشر وأربعمائة وكان من العلماء وعاصم بن الحسن بن محمد بن على بن عاصم العاصمى البغدادى من أهل الكرخ كان ظريفا كيساله شعر حسن فمنه

ماذا على متلون الاخلاق * لوزارنى فأبثه اشواقى
وأبوح بالشكوى اليه تذللا * وافض ختم الدمع من آماقى
فعساه يسمح بالوصال لمدنف * ذى لوعة وصبابة مشتاق
اسر الفؤاد ولم يرق لموثق * ماضره لوجاد بالاطلاق
ان كان قد لسبت عقارب صدغه * قلبى فان رضابه درياقى

وقال أيضا

فديت من ذبت شوقا من محبته * وصرت من هجره فوق الفراش لقا
سمعته يتغنى وهو مصطبح * افديه مصطبحا منه ومغتبقا
وأخلفتك ابنة البكرى ماوعدت * واصبح الحبل منها واهيا خلقا

والصحيح انه توفى سنة ثلاث وثمانين وفيها فى جمادى الآخرة توفى الشريف أبو القاسم العلوى الدبوسى المدرس بالنظامية ببغداد وكان فاضلا فصيحا

❁(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة)❁

❁(ذكر وفاة فخر الدولة أبى نصر بن جهير)❁

فى هذه السنة فى المحرم توفى فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير الذى كان وزير الخليفة بمدينة الموصل ومولده بها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وتزوج الى أبى العقارب شيخها وتطرفى املاك جارية قرواش المعروفة بسرهنك ثم خدم بركة بن المقلد حتى قبض على أخيه قرواش وحبسه ومضى بهدايا الى ملك الروم فاجتمع هو ورسول نصر الدولة بن مروان فتقدم فخر الدولة عليه فنازعه رسول ابن مروان فقال فخر الدولة لملك الروم أنا استحق التقدم عليه لان صاحبه يؤدى الخراج الى صاحبى فلما عاد الى قريش بن بدران اراد القبض عليه فاستجار بأبى الشداد وكانت عقيل تجير على أمرائها وسار الى حلب فوزر لمعز الدولة أبى ثمال بن صالح ثم مضى الى ملطية ومنها الى ابن مروان فقال له كيف امنتنى وقد فعلت برسولى مافعلت عند ملك الروم فقال حملنى على ذلك نصح صاحبى فاستوزره فعمر بلاده ووزر بعد نصر الدولة لولده ثم سار الى بغداد وولى وزارة الخليفة على ماذكرناه وتولى اخذ ديار بكر من بنى مروان على ماذكرناه أيضا ثم أخذها منه السلطان فسار الى الموصل فتوفى بها

❁(ذكر نهب العرب البصرة)❁

فازيا وافتتح لوريه مما يلى بلاد برغوث ودرب الراهب (وفى هذه السنة) نزل المعتضد على حمدان بن حمدون وقد تحصن فى القلعة المعروفة بالصوارة نحو عين الزعفران وسارع اسحق ابن ايوب العنبرى ومن كان معه من أصحابه الى المعتضد وقد أتينا على خبر حمدان بن حمدون وما كان من أمره وصعود الجبل الجودى وعبوره دجلة وكاتبه النصرانى ودخول عسكر المعتضد ليلا الى اسحق بن يعقوب حتى أتى به الى المعتضد واخراب المعتضد لهذه القلعة وقد كان حمدان أنفق عليها أموالا جليلة وهو حمدان بن حمدون ابن الحرث بن منصور بن لقمان وهو جد أبى محمد الحسن بن عبد الله الملقب بناصر الدولة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما كان من الحسن بن حمدان فى طلبه هرون الشارى وما كان من أخذ الحسين بن حمدان اياه بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب (قال المسعودى) وفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ذبح ابو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون بدمشق فى ذى القعدة وقد كان بنى فى سفح الجبل أسفل من دير مروان قصرا وكان يشرب فيه فى تلك الليلة وعنده طغج وكان الذى تولى ذلك خادما من بخدمهم وأتى بهم على أميال فقتلوا وصلبوا ومنهم من رمى بالنشاب ومنهم من شرح لحمه من أفخاذه وعجيزته

وفى

وفى هذه السنة فى جمادى الاولى نهب العرب البصرة نهبا قبيحا وسبب ذلك انه ورد الى بغداد فى بعض السنين رجل أشقر من سواد النيل يدعى الادب والنجوم ويستجرى الناس فلقبه أهل بغداد تليا وكان نازلا فى بعض الخانات فسرق ثيابا من الديباج وغيره واخفاها فى خلفا وسار بها فرآها الذين يحفظون الطريق فمنعوه من السفر اتهاما له وحملوه الى المقدم عليهم فاطلقه لحرمة العلم فسار الى أمير من أمراء العرب من بنى عامر وبلاده متاخمة الاحساء وقال له أنت تملك الارض وقد فعل أجدادك بالحاج كذا وكذا وافعالهم مشهورة مذكورة فى التواريخ وحسن له نهب البصرة وأخذها فجمع من العرب مايزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصد البصرة وبها العميد عصمة وليس معه من الجند الا اليسير لكون الدنيا آمنة من ذاعر ولان الناس فى جنة من هيبة السلطان فخرج اليهم فى أصحابه وحاربهم ولم يمكنهم من دخول البلد فاتاه من أخبره ان اهل البلد يريدون ان يسلموه الى العرب فخاف ففارقهم وقصد الجزيرة التى هى مكان القلعة بنهر معقل فلما علم أهل البلد بذلك فارقوا ديارهم وانصرفوا ودخل العرب حينئذ البصرة وقد قويت نفوسهم وملكوها ونهبوا مافيها نهبا شنيعا فكانوا ينهبون نهارا وأصحاب العميد عصمة ينهبون ليلا وأحرقوا مواضع عدة وفى جملة ما أحرقوا دارا ان للكتب احداهما وقفت قبل أيام عضد الدولة بن بويه فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا اليها وهى أول دار وقفت فى الاسلام والاخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاه مردان وكان بها نفائس الكتب وأعيانها وأحرقوا أيضا النحاسين وغيرها من الاماكن وخربت وقوف البصرة التى لم يكن لها نظير من جملتها وقوف على الجمال الدائرة على شاطئ دجلة وعلى الدواليب التى تحمل الماء وترقيه الى قنى الرصاص الجارية الى المصانع وهى على فراسخ من البلد وهى من عمل محمد بن سليمان الهاشمى وغيره وكان فعل العرب بالبصرة أول خرق جرى فى أيام السلطان ملكشاه فلما فعلوا ذلك وبلغ الخبر الى بغداد انحدر سعد الدولة كوهرائين وسيف الدولة صدقة بن مزيد الى البصرة لاصلاح أمورها فوجدوا العرب قد فارقوها ثم ان تليا أخذ بالبحرين وأرسل الى السلطان فشهره ببغداد سنة أربع وثمانين على جمل وعلى رأسه طرطور وهو يصفع بالدرة والناس يشتمونه ويسبهم ثم أمر به فصلب

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة قدم الامام أبو عبد الله الطبرى بغداد فى المحرم بمنشور من نظام الملك بتوليته تدريس المدرسة النظامية ثم ورد بعده فى شهر ربيع الآخر من السنة أبو محمد عبد الوهاب الشيرازى وهو أيضا معه منشور بالتدريس فاستقر أن يدرس يوما والطبرى يوما

❁(ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة)❁

❁(ذكر عزل الوزير أبى شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير)❁

فى هذه السنة فى ربيع الاول عزل الوزير أبو شجاع من وزارة الخليفة وكان سبب عزله ان انسانا يهوديا ببغداد يقال له أبو سعد بن سمحا كان وكيل السلطان ونظام الملك فلقيه انسان يبيع الحصر فصفعه صفعة ازالت عمامته عن رأسه فأخذ الرجل وحمل الى الديوان وسئل عن السبب فى فعله فقال هو وضعنى على نفسه فسار كوهرائين ومعه ابن سمحا اليهودى الى العسكر يشكيان وكانا متفقين على الشكاية من الوزير أبى شجاع فلما سار أخرج توقيع الخليفة بالزام أهل الذمة بالغيار ولبس ماشرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهربوا

وأكله السودان مماليك أبى الجيش وقد أتينا على أخبار الخدم من السودان والصقالبة والروم والصين وذلك أن أهل الصين يخصون كثيرا من أولادهم كفعل الروم بأولادهم وما اجتمع عليه الخصيان من التضاد وذلك لما حدث بهم من قطع هذا العضو فى كتابنا أخبار الزمان وما أحدثته الطبيعة عند الفلاسفة فيهم عند ذلك كما قاله الناس فيهم وما ذكروه من الصفات (وذكر المدائنى) أن معاوية ابن أبى سفيان دخل ذات يوم على امرأته فاختة وكانت ذات عقل وحزم ومعه خصى وكانت مكشوفة الرأس فلما رأت معه الخصى غطت رأسها فقال لها معاوية انه خصى فقالت يا أمير المؤمنين أترى المثلة به أحلت له ما حرم الله عليه فاسترجع معاوية وعلم أن الحق ما قالته فلم يدخل بعد ذلك على حرمه خادما وان كان كبيرا فانيا (وقد تكلم) الناس فيهم وذكروا الفرق بين المجبوب والمسلوب وأنهم رجال مع النساء ونساء مع الرجال وهذا خلف من الكلام وفاسد من المقال بل هم رجال وليس فى عدم عضو من أعضاء الجسد ما يوجب الحاقهم بما ذكروا ولا عدم نبت اللحية محيلا لهم عما وصفوا ومن زعم أنهم بالنساء أشبه فقد أخبر عن تغيير فعل البارى جل وعز لانه خلقهم رجالا ذكرانا لا اناثا وليس فى الجناية عليهم ما يقلب أعيانهم ويزيل خلق

الباري جل وعز وقد قلنا في علة عدم ٦٤ نتن الآباط في الخدم وما قالته الفلاسفة فيما سلف من كتبنا لان

كل مهرب وأسلم بعضهم فمن أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وابن أخيه أبو نصر هبة الله بن الحسن بن علي صاحب الخبر أسلما على يدي الخليفة ونقل أبضاعنه الى السلطان ونظام الملك انه يكسر اغراضهم ويقبح افعالهم حتى انه لما ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال وما هذا مما يبشر به كأنه قد فتح بلاد الروم هل أتى الا الى قوم مسلمين موحدين فاستباح منهم مالا يستباح من المشركين فلما وصل كوهرائين وابن سمحا الى العسكر وشكيا من الوزير الى السلطان ونظام الملك وأخبراهما بجميع ما يقول عنهما وبكسر من اغراضهما أرسلا الى الخليفة في عزله فعزله وأمره بلزوم بيته وكان عزله يوم الخميس فلما أمر بذلك انشد

تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

فلما كان الغد يوم الجمعة خرج من داره الى الجامع راجلا واجتمع الخلق العظيم عليه فأمر ان لا يخرج من بيته ولما عزل استنيب في الوزارة أبو سعد بن موصلايا كاتب الانشاء وأرسل الخليفة الى السلطان ونظام الملك يستدعي عميد الدولة بن جهير ليستوزره فسيرا ليه فاستوزره في ذي الحجة من هذه السنة وركب اليه نظام الملك فهناه بالوزارة في داره وأكثر الشعراء تهنئته بالعود الى الوزارة

﴿ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الاندلس التي للمسلمين﴾

في هذه السنة في رجب ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب من بلاد الاندلس ما هو بيد المسلمين قرطبة واشبيلية وقبض على المعتمد بن عباد صاحبها وملك غيرها من الاندلس ولقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الامين محمد بن هرون الرشيد قال أبو بكر عيسى بن اللبانة الداني من مدينة دانية كنت يوما عند الرشيد بن المعتمد في مجلس انسه سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة فجرى ذكر غرناطة وملك أمير المسلمين لها وقد ذكرنا أخذها في وقعة الزلاقة فلما ذكرناها تفجع وتلهف واسترجع وذكر قصرها فدعونا لقصره بالدوام ولملكه بتراخي الايام فامر عند ذلك أبا بكر الاشبيلي بالغناء فغنى

يا دار مية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الابد

فاستضاءت مسرته وتجهمت اسرته ثم أمر بالغناء من ستارته فغنى

ان شئت أن لا ترى صبرا لمصطبر * فانظر الى أي حال أصبح الطلل

فتأكد تطيره واشتد اربداد وجهه وتغيره وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت

يا لهف نفسي على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت
ان اعتذاري الى من جاء يسألني * ما ليس عندي من احدى المصيبات

قال ابن اللبانة فلافيت الحال بأن قمت فقلت

محل مكرمة لاهد مبناه * وشمل مأثرة لا شته الله
البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا * ان الرشيد مع المعتد ركناه
ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل في سبيل الله مثواه
حتم على الملك ان يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه ويسراه
بأس توقد فاحمرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمري قد بسطت من نفسه وأعدت عليه بعض أنسه على اني وقعت فيما وقع فيه الكل

الخادم بطي لا يوجد لآباطه رائحة وهذا من فضائل الخدم (وحمل أبو الجيش) في تابوت الى مصر وورد الخبر بذلك الى مصر فأخرج من التابوت وجعل على السرير وذلك على باب مصر وخرج ولده الامير جيش وسائر الامراء والاولياء فتقدم القاضي أبو عبيد الله محمد بن عبدة المعروف بالعبداني وصلى عليه وذلك في الليل فحكى أبو بشر الدولابي عن أبي عبد الله النجاري وكان شيخا من أهل العراق وكان يقرأ في دور آل طولون ومقابرهم أنه كان بات في تلك الليلة ممن يقرأ عند القبر وقد قدم أبو الجيش ليدلى في القبر ونحن نقرأ جماعة من القراء سبعة سورة الدخان فأحدر من السرير ودلي في القبر وانتهينا من السورة في هذا الوقت الى قوله عز وجل خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم قال فخفضنا أصواتنا وأذعرنا حياء ممن حضر (ومما ذكر) من خبر المعتضد وحزمه في الامور وحيله أنه أطلق من بيت المال لبعض الرسوم في الجند عشر بدر فحملت الى منزل صاحب عطاء الجيش ليصرفها فيهم فنقب منزله في تلك الليلة وأخذت

بقولي

العشر البدر فلما أصبح نظر الى النقب ولم ير المال فأمر باحضار صاحب الحرس وكان ٦٥ على الحرس يومئذ مؤنس العجلي فلما

بقولي البيت كالبيت وأمر اثر ذلك بالغناء فغنى

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا ان تزم الركائب

فايقنا ان هذه الطاير تعقب الغير فلما أراد أمير المسلمين ملك الاندلس سار من مراكش الى سبتة وأقام بها وسير العساكر مع سير بن أبي بكر وغيره الى الاندلس فعبروا الخليج فأتوا مدينة مرسية فملكوها واعمالها وأخرجوا صاحبها أبا عبد الرحمن بن طاهر منها وساروا الى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوهما وكانت بلنسية قد ملكها الفرنج قديما بعد ان حصروها سبع سنين فلما سمعوا بوقعة الزلاقة فارقوها فملكها المسلمون أيضا وعمروها وسكنوها فصارت الآن للمرابطين وكانوا قد ملكوا غرناطة نوبة الزلاقة فقصدوا مدينة اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد فحصروه بها وضيقوا عليه فقاتل أهلها قتالا شديدا وظهر من شجاعة المعتمد وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره ما يقاربه فكان يلقي في نفسه المواقف التي لا يرجى خلاصه منها فيسلم بشجاعته وشدة نفسه ولكن اذا نفدت المدة لم تغن العدة وكانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر المرابطين بلاد الاندلس فخافوا ان يملكوها ثم يقصدوا بلادهم فجمعوا أكثروا وساروا ليساعدوا المعتمد ويعينوه على المرابطين فسمع سير بن أبي بكر مقدم المرابطين بمسيرهم ففارق اشبيلية وتوجه الى لقاء الفرنج فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وعاد الى اشبيلية فحصرها ولم يزل الحصار دائما والقتال مستمرا الى العشرين من رجب من هذه السنة فعظم الحرب ذلك اليوم واشتد الامر على أهل البلد ودخله المرابطون من واديه ونهب جميع ما فيه ولم يبقوا على سبد ولا لبد وسلبوا الناس ثيابهم فخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بايديهم وسبي المخدرات وانتهكت الحرمات فاخذ المعتمد اسيرا ومعه أولاده الذكور والاناث بعد ان استأصلوا جميع مالهم فلم يصحبهم من ملكهم بلغة زاد وقيل ان المعتمد سلم البلد بامان وكتب نسخة الامان والعهد واستحلفهم به لنفسه وأهله وماله وعبيده وجميع ما يتعلق باسبابه فلما سلم اليهم اشبيلية لم يفوا له وأخذوهم اسراء وما لهم غنيمة وسير المعتمد وأهله الى مدينة اغمات فحبسوا فيها وفعل أمير المسلمين بهم أفعالا لم يسلكها أحد ممن قبله ولا يفعلها أحد ممن يأتي بعده الا من رضي لنفسه بهذه الرذيلة وذلك أنه سجنهم فلم يجر عليهم ما يقوم بهم حتى كان بنات المعتمد يغزلن للناس باجرة ينفقونها على أنفسهم وذكر ذلك المعتمد في أبيات ترد عند ذكر وفاته فابان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة وهذه اغمات مدينة في سفح جبل بالقرب من مراكش وسيرد من ذكر المعتمد عند موته سنة ثمان وثمانين ما يعرف به محله قال أبو بكر بن اللبانة زرت المعتمد بعد أسره باغمات وقلت ابياتا عند دخولي اليه منها

لم أقل في الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر في الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا ما الهلال غاب بغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما أنت درة للمعالي * ركب الدهر فوقها اصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ما تحجب الدنان السلافا
أنت للفضل كعبة ولو اني * كنت أسطيع لالتزمت الطوافا

قال وجرت بيني وبينه مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وادل على السماح من فجر على صباح ولما أخذ المعتمد وأهله قتل ولداه الفتح ويزيد بين يديه صبرا فقال في ذلك

أتاه قال له ان هذا المال للسلطان والجند ومتى لم تأت به أو بالذي نقبه وأخذ المال ألزمك أمير المؤمنين غرمه فجد في طلبه وطلب اللص الذي جسر على هذا الفعل فصار الى مجلسه وأحضر التوابين والشرط والتوابون هم شيوخ أنواع اللصوص الذين قد كبروا وتابوا فاذا جرت حادثة علموا من فعل من هي فدلوا عليه وربما يتقاسمون اللصوص ما سرقوه فتقدم اليهم في الطلب وتهددهم وأوعدهم وطالبهم فتفرق القوم في الدروب والاسواق والغرف والمواخير ودكاكين الرواسين ودور القمار فلبثوا أن أحضروا رجلا نحيفا ضعيف الجسم رث الكسوة بهذه الحالة فقالوا يا سيدي هذا صاحب الفعلة وهو غريب من غير هذا البلد وأطبق القوم كلهم على أنه صاحب النقب ولص المال فاقبل عليه مؤنس العجلي فقال له ويلك من كان معك ومن أعانك وأين أصحابك ما أظنك تقدر على عشر بدر وحدك في ليلة ما كنتم الا عشرة وأقل ذلك خمسة فاقر لي بالمال ان كان مجتمعا وعلى أصحابك ان كان المال قد قسم فما زاده على الانكار شيأ فاقبل يترفق به ويعده أن ينيبه ويرزقه

يقولون صبرا الاسبيل الى الصبر * سأبكى وأبكى ماتطاول من عمرى
أفتح لقد فتحت لى باب رحمة * كما بيزيد الله قد زاد فى أجرى
هوى بكما المقدار عنى ولم أمت * فادعى وفيا قد نكصت الى الغدر
ولو عدتما لاخترتما العود فى الثرى * اذا أنتما أبصرتمانى فى الاسر
أبا خالد أورثتنى البث خالدا * أبا نصر مذ ودعت ودعنى نصرى

وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد وهو محبوس بالنثر والنظم يتوجعون له ويذمون الزمان وأهله حيث مثله منكوب فمن ذلك ماقاله عبد الجبار بن أبى بكر بن حمديس وكتبه اليه يذكر مسيرهم عن اشبيلية الى اغمات

جرى لك جد بالكرام عثور * وجار زمان كنت منه تجير
لقد أصبحت بيض الظبى فى غمودها * اناثا لترك الضرب وهى ذكور
ولما رحلتم بالندى فى أكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لسانى بالقيامة قد أتت * الا فانظروا كيف الجبال تسير

وقال شاعره ابن اللبانة فى حادثته أيضا

تبكى السماء بدمع رائح غادى * على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التى هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات أوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * أساود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تعمرها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد

ولما استقصى عسكر أمير المسلمين ملوك الاندلس وأخذ بلادهم جمع ملوكهم وسيرهم الى بلاد بالغرب وفرقهم فيها ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ولما فرغ سير من اشبيلية سار الى المرية فنازلها وكان صاحبها محمد بن معن بن صمادح فقال لولده مادام المعتمد باشبيلية فلا نبالى بالمرابطين فلما سمع بملكهم لها وماجرى للمعتمدات فى تلك الايام غما وكمدا فلما مات سار ولده الحاجب وأهله فى مراكب ومعهم كل مالهم وقصدوا بلاد بنى حماد فاحسنوا اليهم وكان عمر بن الافطس صاحب بطليوس ممن أعان سيرا على المعتمد فلما فتحت اشبيلية رجع ابن الافطس الى بلده فسار اليه سير وحاربه فغلبه وأخذ بلده منه وأخذه أسيرا هو وولده الفضل فقتلهما فقال عمر حين أرادوا قتله قدموا ولدى قبلى للقتل ليكون فى صحيفتى فقتل ولده قبله وقتل هو بعده واحتوى سير على ذخائرهم وأموالهم ولم يترك من ملوك الاندلس سوى بنى هود فانه لم يقصد بلادهم وهى شرق الاندلس وكان صاحبها حينئذ المستعين بالله بن هود وهو من الشجعان الذين يضرب المثل بهم وكان قد أعد كل مايحتاج اليه فى الحصار وترك عنده مايكفيه عدة سنين بمدينة روطة وكانت قلعة حصينة وكانت رعيته تخافه ولم يزل يهادى أمير المسلمين قبل ان يقصد بلاد الاندلس ويملكها ويواصله ويكثر مراسلته فرعى له ذلك حتى انه أوصى ابنه على بن يوسف عند موته بترك التعرض لبلاد بنى هود وقال اتركهم بينك وبين العدو فانهم شجعان

(ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية)

فى هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على جميع جزيرة صقلية أعادها الله تعالى الى الاسلام والمسلمين وسبب ذلك ان صقلية كان الامير عليها سنة ثمان وثمانين وثلثمائة أبا الفتوح يوسف ابن عبد الله بن محمد بن أبى الحسين ولاه عليها العزيز العلوى صاحب مصر وافريقية فاصابه هذه

و يعظم جائزته ويعده بكل جميل على رده والاقرار به ويتوعده بكل مكروه على جحوده وانكاره فلما غاظه ذلك وأنكره ويئس من اقراره أخذ فى عقوبته ومساءلته فضربه بالسوط والقلوس والمقارع والدرة على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه وأسفل رجليه وكعابه وعضله حتى لم يكن للضرب فيه موضع وبلغ به ذلك الى حالة لا يعقل فيها ولا ينطق فلم يقر بشئ فبلغ ذلك المعتضد فأحضر صاحب الجيش فقال له ماصنعت فى المال فاخبره الخبر فقال له ويلك تأخذ لصاقه سرق من بيت المال عشر بدر فتبلغ به الموت والتلف حتى يهلك الرجل ويضيع المال فاين حيل الرجال فأتى به وقد حمل فى جمل فوضع بين يديه وقد عقل فسأله فانكر فقال له ويلك ان مت لم ينفعك وان برئت من هذا الضرب لم أدعك تصل اليه فلك الامان والضمان على ماتصلح به حالتك وتحمد به أمرك فابى الا الانكار فقال على بأهل الطب فأحضروا فقال خذوا هذا الرجل اليكم فعالجوه بأرفق العلاج وواظبوا عليه بالمراهم والغذاء والتعاهد واجتهدوا أن تبرؤه فى أسرع وقت فأخذوه اليهم وأخرج ما لامكان المال وأمر بتفرقه على الجند فيقال انه برئ وصلح فى أيام يسيرة ثم واظبوا عليه بالطعام والشراب والوطاء والطيب

السنة فالج فتعطل جانبه الايسر وضعف الجانب الايمن فاستناب ابنه جعفرا فبقى كذلك ضابطا للبلاد حسن السيرة فى أهلها الى سنة خمس وأربعمائة فخالف عليه أخوه على واعانه جمع من البربر والعبيد فاخرج اليه أخوه جعفر جندا من المدينة فاقتتلوا سابع شعبان وقتل من البربر والعبيد خلق كثير وهرب من بقى منهم وأخذ على أسيرا فقتله أخوه جعفر وعظم قتله على أبيه فكان بين خروجه وقتله ثمانية أيام وأمر جعفر حينئذ ان ينفى كل بربرى بالجزيرة فنفوا الى افريقية وأمر بقتل العبيد فقتلوا عن آخرهم وجعل جنده كلهم من أهل صقلية فقل العسكر بالجزيرة وطمع أهل الجزيرة فى الامراء فلم يمض الا يسير حتى ثار به أهل صقلية وأخرجوه وخلعوه وأرادوا قتله وسبب ذلك أنه ولى عليهم انسانا صادرهم وأخذ الاعشار من غلاتهم واستخف بقوادهم وشيوخ البلاد وقهر جعفر اخوته واستطال عليهم فلم يشعر الا وقد زحف اليه أهل البلد كبيرهم وصغيرهم فحصروه فى قصره فى المحرم سنة عشر وأربعمائة وأشرفوا على أخذه فخرج اليهم أبوه يوسف فى محفة وكانوا له محبين فلطف بهم ورفق فبكوا رحمة له من مرضه وذكروا له ما أحدث ابنه عليهم وطلبوا أن يستعمل ابنه أحمد المعروف بالاكحل ففعل ذلك وخاف يوسف على ابنه جعفر منهم فسيره فى مركب الى مصر وسار أبوه يوسف بعده ومعهما من الاموال ستمائة ألف دينار وسبعون ألفا وكان ليوسف من الدواب ثلاثة عشر ألف حجرة سوى البغال وغيرها ومات بمصر وليس له الا دابة واحدة ولما ولى الاكحل أخذ أمره بالحزم والاجتهاد وجمع المقاتلة وبث سراياه فى بلاد الكفرة فكانوا يحرقون ويغنمون ويسبون ويخربون البلاد وأطاعه جميع قلاع صقلية التى للمسلمين وكان للاكحل ابن اسمه جعفر كان يستنيبه اذا سافر فخالف سيرة أبيه ثم ان الاكحل جمع أهل صقلية وقال أحب ان أشليكم على الافريقيين الذين قد شاركوكم فى بلادكم والرأى اخراجهم فقالوا قد صاهرناهم وصرنا شيأ واحدا فصرفهم ثم أرسل الى الافريقيين فقال لهم مثل ذلك فاجابوه الى ما أراد فجمعهم حوله فكان يحمى أملاكهم ويأخذ الخراج من أملاك أهل صقلية فسار من أهل صقلية جماعة الى المعز بن باديس وشكوا اليه ماحل بهم وقالوا نحب ان نكون فى طاعتك والا سلمنا البلاد الى الروم وذلك سنة سبع وعشرين وأربعمائة فسير معهم ولده عبد الله فى عسكر فدخل المدينة وحصر الاكحل فى الخلاصة ثم اختلف أهل صقلية وأراد بعضهم نصرة الاكحل فقتله الذين أحضروا عبد الله بن المعز ثم ان الصقليين رجع بعضهم على بعض وقالوا أدخلتم غيركم عليكم والله لا كانت عاقبة أمركم فيه الى خير فعزموا على حرب عسكر المعز فاجتمعوا وزحفوا اليهم فاقتتلوا فانهزم عسكر المعز وقتل منهم ثمانمائة رجل ورجعوا فى المراكب الى افريقية وولى أهل الجزيرة عليهم حسنا الصمصام أخا الاكحل فاضطربت أحوالهم واستولى الارذال وانفرد كل انسان ببلد وأخرجوا الصمصام فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازر وطرابنش وغيرهما وانفرد القائد على بن نعمة المعروف بابن الحواس بقصريانة وجرجنت وغيرهما وانفرد ابن الثمنة بمدينة سرقوسة وقطانية وتزوج باخت ابن الحواس ثم انه جرى بينها وبين زوجها كلام أغلظ كل منهما لصاحبه وهو سكران فامر ابن الثمنة بفصدها فى عضديها وتركها لتموت فسمع ولده ابراهيم فحضر وأحضر الاطباء وعالجها الى ان عادت قوتها ولما أصبح أبوه ندم واعتذر اليها بالسكر فاظهرت قبول عذره ثم انها طلبت منه بعد مدة ان تزور أخاها فاذن لها وسير معها التحف والهدايا فلما وصلت ذكرت لاخيها مافعل بها فحلف انه لا يعيدها اليه فارسل ابن الثمنة يطلبها فلم يردها اليه فجمع ابن الثمنة عسكره وكان قد استولى على

حتى صح وقوى جسمه وظهر لونه ورجعت اليه نفسه ثم ذكر به فامر باحضاره فلما حضر بين يديه سأله عن حاله فدعا وشكر وقال أنا بخير ما أبقى الله أمير المؤمنين ثم سأله عن المال فعاد الى الانكار فقال له ويلك لست تخلو من أن تكون أخذته وحدك كله أو وصل اليك بعضه فان كنت أخذته كله فانك تنفقه فى أكل وشرب ولهو ولا أظنك تفنيه قبل موتك وان مت فعليك وزره وان كنت أخذت بعضه سمحنا لك به فاقرع على أصحابك فانى أقتلك ان لم تقر ولا ينفعك بقاء المال بعدك ولا يبالى أصحابك بقتلك ومتى أقررت دفعت اليك عشرة آلاف درهم وأخذت لك من أصحاب الجسر مثل ذلك ورسمتك من التوابين وأجريت لك فى كل شهر عشرة دنانير تكفيك لاكلك وشربك وكسوتك وطيبك وتكون عزيزا وتنجو من القتل وتتخلص من الاثم فأبى الا الانكار فاستحلفه بالله وأظهر له مصحفا فحلف عليه فقال انى سأظهر على المال فان أنا ظهرت عليه بعد هذه اليمين قتلتك ولم أستبقك فأبى الا الانكار فقال له ضع يدك على رأسى واحلف بحياتى فوضع يده على رأسه وحلف بحياته أنه ما أخذه وانه مظلوم منهم وان التوابين قد تبرؤا به فقال له المعتضد فان كنت قد كذبت قتلتك وأنا برئ من دمك قال نعم فامر باحضار ثلاثين

آكثر الجزيرة وخطب له بالمدينة وسار وحصر ابن الحواس بقصريانة فخرج اليه فقاتله فانهزم ابن الثمنة وتبعه الى قرب مدينته قطانية وعاد عنه بعد ان قتل من أصحابه فأكثر فلما رأى ابن الثمنة ان عساكره قد تمزقت سوّلت له نفسه الانتصار بالكفار لما يريده الله تعالى فسار الى مدينة مالطة وهي بيد الفرنج قد ملكوها لما خرج بردويل الفرنجي الذي تقدم ذكره سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة واستوطنها الفرنج الى الآن وكان ملكها حينئذ رجار الفرنجي في جمع الفرنج فوصل اليهم ابن الثمنة وقال انا أملككم الجزيرة فقالوا ان فيها اجندا كثيرا ولا طاقة لنا بهم فقال انهم مختلفون وأكثرهم يسمع قولي ولا يخالفون أمري فسار وامعه في رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة فلم يلقوا من يدافعهم فاستولوا على ما مرّوا به في طريقهم وقصد بهم الى قصريانة فحصروها فخرج اليهم ابن الحواس فقاتلهم فهزمه الفرنج فرجع الى الحصن فرحلوا عنه وساروا في الجزيرة واستولوا على مواضع كثيرة وفارقها كثير من أهلها من العلماء والصالحين وسار جماعة من أهل صقلية الى المعز بن باديس وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف وغلبة الفرنج على كثير منها فعمر اسطولا كبيرا وشحنه بالرجال والعدد وكان الزمان شتاء فساروا الى قوصرة فهاج عليهم البحر فغرق أكثرهم ولم ينج الا القليل وكان ذهاب هذا الاسطول مما أضعف المعز وقوى عليه العرب حتى أخذوا البلاد منه فملك حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهل وتؤدة لا يمنعهم أحد واشتغل صاحب افريقية بما دهمه من العرب ومات المعز سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وولي ابنه تميم فبعث أيضا اسطولا وعسكرا الى الجزيرة وقدم عليه ولديه أيوب وعليا فوصلوا الى صقلية فنزل أيوب والعسكر المدينة ونزل علي جرجنت ثم انتقل أيوب الى جرجنت فأمر علي بن الحواس ان ينزل في قصره وأرسل هدية كثيرة فلما أقام أيوب فيها أحبه أهلها فحسده ابن الحواس فكتب اليهم ليخرجوه فلم يفعلوا فسار اليه في عسكره وقاتله فشذ أهل جرجنت من أيوب وقاتلوا معه فبينما ابن الحواس يقاتل أتاه سهم غرب فقتله فملك العسكر عليهم أيوب ثم وقع بعد ذلك بين أهل المدينة وبين عبيد تميم فتنة أدت الى القتال ثم زاد الشر بينهم فاجتمع أيوب وعلي أخوه ورجعا في الاسطول الى افريقية سنة احدى وستين وصحبهم جماعة من أعيان صقلية والاسطولية ولم يبق للفرنج ممانع فاستولوا على الجزيرة ولم يثبت بين أيديهم غير قصريانة وجرجنت فحصرهما الفرنج وضيقوا على المسلمين بهما فضاق الامر على أهلهما حتى أكلوا الميتة ولم يبق عندهم ما يأكلونه فاما أهل جرجنت فسلموها الى الفرنج وبقيت قصريانة بعدها ثلاث سنين فلما اشتد الامر عليهم أذعنوا الى التسليم فتسلمها الفرنج لعنهم الله سنة أربع وثمانين وأربعمائة وملك رجار جميع الجزيرة وأسكنها الروم والفرنج مع المسلمين ولم يترك لاحد من أهلها حماما ولا دكانا ولا طاحونا ومات رجار بعد ذلك قبل التسعين والاربعمائة وملك بعده ولده رجار فسلك طريق ملوك المسلمين من الجنائب والحجاب والسلاحية والجاندارية وغير ذلك وخالف عادة الفرنج فانهم لا يعرفون شيأ منه وجعل له ديوان المظالم ترفع اليه شكوى المظلومين فينصفهم ولو من ولده وأكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الفرنج فأحبوه وعمر اسطولا كبيرا وملك الجزائر التي بين المهدية وصقلية مثل مالطة وقوصرة وجربة وقرقنة وتطاول الى سواحل افريقية فكان منه ما نذكره ان شاء الله

﴿ذكر وصول السلطان الى بغداد﴾

في هذه السنة في شهر رمضان وصل السلطان الى بغداد وهي المرة الثانية ونزل بدار المملكة ونزل أصحابه متفرقين ووصل اليه أخوه تاج الدولة تتش وقسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب

أسود بحيث يراهم ويرونه وأمرهم أن يثبتا ويوافي ملازمته فأتت عليه أيام وهو قاعد لا يتكئ ولا يضطجع وكلما خفق خفقة وجئ فكه ورفع رأسه حتى اذا ضعف وقارب التلف أمر باحضاره فأعاد عليه ما كان خاطبه به واستحلفه بالله وبغير ذلك من الايمان تخاف على ذلك كله وبما لم يستحلفه به أنه ما أخذ المال ولا يعرف من أخذه فقال المعتضد لمن حضر قلبي يشهد أنه برئ وأن ما يقول حق وان التوابين قد عرفوا صاحبه وقد أعنتنا في هذا الرجل وسأله أن يجعله في حل ففعل ثم أمر باحضار مائدة عليها طعام وأحضر بارد الشراب وأمره بالجلوس والاكل والشرب فاقبل يأكل ويشرب ويحث على الاكل ويلقم ويعاد الشراب عليه ويكرر حتى لم يبق للاكل والشرب موضع ثم أمر ببخور وطيب فبخر وطيب وأتى له بحشية ريش فوطئ له ومهد فلما استنقى واستراح وغفا أمر بازعاجه وسرعة ايقاظه فحمل من موضعه حتى أقعد بين يديه وفي عينيه الوسن فقال له حدثني كيف صنعت وكيف نقبت ومن أين خرجت والى أين ذهبت بالمال ومن كان معك قال ما كنت الا وحدي وخرجت من النقب الذي دخلت منه وكان مقابل الدار حمام له كوم شوك يوقد به فأخذت المال ورفعت وغيرهما

وغيرهما من زعماء الاطراف وعمل الميلاد ببغداد وتأنقوا في عمله فذكر الناس انهم لم يروا ببغداد مثله أبدا وأكثر الشعراء وصف تلك الليلة فمن قال المطرز

وكل نار على العشاق مضرمة * من نار قلبي أو من ليلة السذق
نار تجلت بها الظلماء واشتبهت * بسدفة الليل فيه غرة الفلق
وزارت الشمس فيها البدر واصطلحا * على الكواكب بعد الغيظ والحنق
مدت على الارض بسطا من جواهرها * ما بين مجتمع وار ومفترق
مثل المصابيح الا أنها نزلت * من السماء بلا رجم ولا حرق
اعجب بنار ورضوان يسعرها * ومالك قائم منها على فرق
في مجلس ضحكت روض الجنان له * لما جلى ثغره عن واضح يقق
وللشموع عيون كلما نظرت * تظلمت من يديها أنجم الغسق
من كل مرهفة الاعطاف كالغصن الـ * مياد لكنه عار من الورق
اني لاعجب منها وهي وادعة * تبكي وعيشتها من ضربة العنق

وفي هذه المرة أمر بعمارة جامع السلطان فابتدئ في عمارته في المحرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة وعمل قبلته بهرام منجمه وجماعة من أصحاب الرصد وابتدأ بعده نظام الملك وتاج الملك والامراء الكبار بعمل دور لهم يسكنونها اذا قدموا بغداد فلم تطل مدتهم بعدها وتفرق شملهم بالموت والقتل وغير ذلك في باقي سنتهم ولم تغن عنهم عساكرهم وما جمعوا شيأ فسبحان الدائم الذي لا يزول أمره

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة رحل ابن أبي هاشم من مكة مستغيثا من التركمان وفي آخرها مرض نظام الملك ببغداد فعالج نفسه بالصدقة فكان يجتمع بمدرسته من الفقراء والمساكين من لا يحصى وتصدق عنه الاعيان والامراء من عسكر السلطان فعوفي وأرسل له الخليفة خلعا نفيسة وفيها في تاسع شعبان كان بالشام وكثير من البلاد زلازل كثيرة وكان أكثرها بالشام ففارق الناس مساكنهم وانهدم بانطاكية كثير من المساكن وهلك تحتها عالم كثير وخرب من سورها تسعون برجا فأمر السلطان ملكشاه بعمارتها وفيها في شوال توفي أبو طاهر عبد الرحمن بن محمد بن علك الفقيه الشافعي وهو من رؤساء الفقهاء الشافعية وهو الذي تقدم ذكره في فتح سمرقند ومشى أرباب الدولة السلطانية كلهم في جنازته الا نظام الملك فانه اعتذر بعلو السن وأكثر البكاء عليه ودفن عند الشيخ أبي اسحق بباب أبرز وزار السلطان قبره وتوفي محمد بن عبد الله بن الحسين أبو بكر الناصح الحنفي قاضي الري وكان من أعيان الفقهاء الحنفية يميل الى الاعتزال وكان موته في رجب وفيها في شعبان توفي أبو الحسن علي بن الحسين بن طاوس المقرى بمدينة صور

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة

﴿ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيان﴾

في هذه السنة جمع اذفونش عساكره وجموعه وغزا بلاد جيان من الاندلس فلقيه المسلمون وقاتلوه واشتد الحرب فكانت الهزيمة أولا على المسلمين ثم ان الله تعالى رد لهم الكرة على الفرنج فهزموهم وأكثروا القتل فيهم ولم ينج الا الاذفونش في نفر يسير وكانت هذه الوقعة من أشهر الوقائع بعد الزلاقة وأكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم

ذلك الشوك والقماش والقصب فوضعته تحته وغطيته وهو هنالك فأمر برده الى فراشه فردوه وأضجعوه عليه ثم أمر باحضار المال فأحضر عن آخره وأحضر مؤنس العجلي وأحضر الوزير والجلساء وقد غطى المال بالبساط ناحية من المجلس ثم أمر بايقاظ اللص وقد اكتفى في النوم وذهب عنه الوسن فقال له بحضرة الجميع مثل قوله الاول فجحد وأنكر فأمر بكشف البساط وقال له ويلك أليس هذا المال أليس فعلت كذا وكذا يصف له ما كان حدثه به فأسقط في يد اللص ثم أمر فقبض على يديه ورجليه وأوثق ثم أمر بمنفاخ فنفخ في دبره وأتى بقطن فحشي في أذنيه وفمه وخيشومه وأقبل ينفخ وخلى عن يديه ورجليه من الوثاق وأمسك بالايدي وقد صار كأعظم ما يكون من الزقاق المنفوخة وقد ورم سائر أعضائه وعظم جسمه وعيناه قد امتلأتا وبرزتا فلما كاد أن ينشق أمر بعض الاطباء فضربه في عرقين فوق الحاجبين وهما في الجبين فأقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولها صوت وصفير الى أن خمد وتلف وكان ذلك أعظم منظر رؤى في ذلك اليوم من العذاب وقيل ان البدر كانت عينا وان عددها كان أكثر مما وصفنا (وقد كان ببغداد رجل) يتكلم على الطريق ويقص على الناس

﴿ذكر استيلاء تتش على حمص وغيرها من ساحل الشام﴾

لما كان السلطان ببغداد قدم اليه أخوه تاج الدولة تتش من دمشق وقسيم الدولة آقسنقر من حلب وبوزان من الرها فلما أذن لهم السلطان فى العود الى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان ان يسيرا مع عساكرهما فى خدمة أخيه تاج الدولة حتى يستولى على ما للخليفة المستنصر العلوى بساحل الشام من البلاد ويسيروهم معه الى مصر ليملكها فساروا أجمعون الى الشام ونزل على حمص وبها ابن ملاعب صاحبها وكان الضرر به وبأولاده عظيما على المسلمين فحصروا البلد وضيقوا على من به فملكه تاج الدولة وأخذ ابن ملاعب وولديه وسار الى قلعة عرقة فملكها عنوة وسار الى قلعة افامية فملكها أيضا وكان بها خادم للمصرى فنزل بالامان فامنه ثم سار الى طرابلس فنازلها فرأى صاحبها جلال الملك بن عمار جيشا لا يدفع الا بحيلة فارسل الى الامراء الذين مع تاج الدولة وأطمعهم ليصلحوا حاله فلم يرفهم مطمعا وكان مع قسيم الدولة آقسنقر وزير له اسمه زرين كمر فراسله ابن عمار فرأى عنده لينا فاتحفه وأعطاه فسعى مع صاحبه قسيم الدولة فى اصلاح حاله ليدفع عنه وحمل له ثلاثين ألف دينار وتحفا بمثلها وعرض عليه المناشير التى بيده من السلطان بالبلد والتقدم الى النواب بتلك البلاد بمساعدته والشد معه والتحذير من محاربته فقال آقسنقر لتاج الدولة تتش لا اقاتل من هذه المناشير بيده فاغلظ له تاج الدولة وقال هل أنت الا تابع لى فقال آقسنقر أنا أتابعك الا فى معصية السلطان ورحل من الغد عن موضعه فاضطر تاج الدولة الى الرحيل فرحل غضبان وعاد بوزان أيضا الى بلاده فانتقض هذا الامر

﴿ذكر ملك السلطان اليمن﴾

وكان ممن حضر أيضا عند السلطان ببغداد جبق أمير التركمان وهو صاحب قرميسين وغيرها فامره السلطان ان يسير هو وجماعة من أمراء السلطان كانوا معه الى الحجاز واليمن ويكون أمرهم الى سعد الدولة كوهرائين ليفتحوا البلاد هناك فاستعمل عليهم سعد الدولة أميرا اسمه ترشك فساروا حتى وردوا اليمن فاستولوا عليها وأساؤا السيرة فى أهلها ولم يتركوا فاحشة ولا سيئة الا ارتكبوها وملكوا عدن وظهر على ترشك الجدرى فتوفى فى سابع يوم من وصوله اليها وكان عمره سبعين سنة فعاد أصحابه الى بغداد وحملوه ودفنوه عند قبر أبى حنيفة رحمة الله عليه

﴿ذكر مقتل نظام الملك﴾

فى هذه السنة عاشر رمضان قتل نظام الملك أبو على الحسن بن على بن اسحق الوزير بالقرب من نهاوند وكان هو والسلطان فى أصبهان وقد عاد الى بغداد فلما كان بهذا المكان بعد ان فرغ من افطاره وخرج فى محفته الى خيمة حرمه أتاه صبى ديلمى من الباطنية فى صورة مستميح أو مستغيث فضربه بسكين كانت معه فقضى عليه وهرب فعثر بطنب خيمة فادركوه فقتلوه وركب السلطان الى خيمته فسكن عسكره وأصحابه وبقى وزيرا للسلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان الب ارسلان صاحب خراسان أيام عمه طغرلبك قبل ان يتولى السلطنة وكان قد عاش سنه فانه كان مولده سنة ثمان وأربعمائة وكان سبب قتله ان عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك كان قد ولاه جده نظام الملك رياسة مرو وأرسل السلطان اليها شحنة يقال له قودن وهو من أكبر مماليكه ومن أعظم الامراء فى دولته فجرى بينه وبين عثمان منازعة فى شئ فحملت عثمان حداثة سنه وتمكنه وطمعه بجده على ان قبض عليه وأخرق به ثم أطلقه فقصد السلطان مستغيثا شاكيا فارسل السلطان الى نظام الملك رسالة مع تاج الدولة ومجد الملك البلاسانى وغيرهما من

بأخبار ونوادر ومضاحك و يعرف بابن المغازلى وكان فى نهاية الحذق لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه أن لا يضحك قال ابن المغازلى فوقفت يوما فى خلافة المعتضد على باب الخاصة أضحك وأنادر فحضر حلقتى بعض خدمة المعتضد فأخذت فى حكاية الخدم فأعجب الخادم بحكايتى وأشغف بنوادرى ثم انصرف عنى فلم يلبث ان عاد وأخذ بيدى وقال انى لما انصرفت عن حلقتك دخلت فوقفت بين يدى المعتضد أمير المؤمنين فذكرت حكايتك وما جرى من نوادرك فاستضحكت فرآنى أمير المؤمنين فانكر ذلك منى وقال ويلك مالك فقلت يا أمير المؤمنين على الباب رجل يعرف بابن المغازلى يضحك ويحاكى ولا يدع حكاية أعرابى وتركى ومكى ونحوى ونبطى وزنجى وسندى وخادم الا حكاها ويخلط ذلك بنوادر تضحك الثكول وتصبى الحليم وقد أمرنى باحضارك ولى نصف جائزتك فقلت له وقد طمعت فى الجائزة السنية ياسيدى أنا ضعيف وعلىّ عيلة وقد منّ الله علىّ بك فما عليك ان أخذت بعضها سدسها أو ربعها فابى الا نصفها فطمعت فى النصف وقنعت به فاخذ بيدى وأدخلنى عليه فسلمت وأحسنت و وقفت فى الموضع الذى أوقفت فيه فردّ علىّ السلام وقد كان ينظر فى كتاب فلما نظر فى أكثره أطبقه ثم رفع رأسه

أرباب دولته يقول له ان كنت شريكى فى الملك ويدك مع يدى فى السلطنة فلذلك حكم وان كنت نائبى وبحكمى فيجب ان تلزم حد التبعية والنيابة وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولى ولاية كبيرة ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا الى ان فعلوا كذا وكذا وأطال القول وأرسل معهم الامير يلبرد وكان من خواصه وثقاته وقال له تعرفنى ما يقول فربما كتم هؤلاء شيأ فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة فقال لهم قولوا للسلطان ان كنت ما علمت انى شريكك فى الملك فاعلم فانك ما نلت هذا الامر الا بتدبيرى ورأيى أما يذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمعت الخوارج عليه من أهله وغيرهم منهم فلان وفلان وذكر جماعة من خرج عليه وهو ذلك الوقت يتمسك بى ويلزمنى ولا يخالفنى فلما قدت الامور اليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الامصار القريبة والبعيدة وأطاعه القاصى والدانى أقبل يتجنى لى الذنوب ويسمع فى السعايات قولوا له عنى ان ثبات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة وان اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة ومتى أطبقت هذه زالت تلك فان عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث امام طروقه وأطال فيما هذا سبيله ثم قال لهم قولوا للسلطان عنى مهما أردتم فقد أهمنى ما لحقنى من توبيخه وفت فى عضدى فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما جرى عن السلطان وان يقولوا له ما مضمونه العبودية والتنصل ومضوا الى منازلهم وكان الليل قد انتصف ومضى يلبرد الى السلطان فاعلمه ما جرى وبكر الجماعة الى السلطان وهو ينتظرهم فقالوا له من الاعتذار والعبودية ما كانوا اتفقوا عليه فقال لهم السلطان انه لم يقل هذا وانما قال كيت وكيت فاشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحق نظام الملك وسابقته فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من القتل ما تم ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوما وانحلت الدولة ووقع السيف وكان قول نظام الملك شبه الكرامة له وأكثر الشعراء مراثيه فمن جيد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

ورأى بعضهم نظام الملك بعد قتله فى المنام فسأله عن حاله فقال كان يعرض علىّ جميع عملى لولا الحديدة التى أصبت بها يعنى القتل

﴿ذكر ابتداء حاله وشئ من أخباره﴾

اما ابتداء حاله فكان من أبناء الدهاقين بطوس فزال ما كان لابيه من مال وملك وتوفيت أمه وهو رضيع فكان أبوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شب وتعلم العربية وسر الله فيه يدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم فتفقه وصار فاضلا وسمع الحديث الكثير ثم اشتغل بالاعمال السلطانية ولم يزل الدهر يعلو به ويخفض حضرا وسفرا وكان يطوف بلاد خراسان ووصل الى غزنة فى صحبة بعض المتصرفين ثم لزم أبا على بن شاذان متولى الامور ببلخ لداود والد السلطان الب ارسلان فحسنت حاله معه وظهرت كفايته وأمانته وصار معروفا عندهم بذلك فلما حضرت أبا على بن شاذان الوفاة أوصى الملك الب ارسلان به وعرفه حاله فولاه شغله ثم صار وزيرا له الى ان ولى السلطنة بعد عمه طغرلبك واستمر على الوزارة لانه ظهرت منه كفاية عظيمة وآراء سديدة قادت السلطنة الى الب ارسلان فلما توفى الب ارسلان قام بامر ابنه ملكشاه وقد تقدم ذكر هذه الجمل مستوفى مشروحا وقيل ان ابتداء أمره أنه كان يكتب للامير تاجر صاحب

الى وقال أنت ابن المغازلى قلت نعم يا أمير المؤمنين قال قد بلغنى أنك تحكى وتضحك وأنك تأتى بحكايات عجيبة ونوادر ظريفة قلت نعم يا أمير المؤمنين الحاجة تفتق الحيلة أجمع بها الناس وأتقرب الى قلوبهم بحكايتها ألتمس برهم وأتعيش بما أناله منهم قال فهات ما عندك وخذ فى فنك فان أضحكتنى أجزتك بخمسمائة درهم وان لم أضحك فمالى عليك فقلت للجبن والخذلان ما معى الا قفاى فاصفعه ما أحببت وكم شئت وبما شئت فقال لى قد أنصفت ان أضحكت فلك ما ضمنت وان أنا لم أضحك صفعتك بهذا الجراب عشر صفعات فقلت فى نفسى ملك لا يصفع الا بشئ يسير وبشئ خفيف هين ثم التفت واذا أنا بجراب أدم ناعم فى زاوية البيت فقلت فى نفسى ما أخطأ حزرى ولا أخاف ظنى وما عسى أن يكون من جراب فيه مريح ان أنا أضحكته ربحت وان أنا لم أضحكه فامر عشر صفعات بجراب منفوخ هين ثم أخذت فى النوادر والحكايات والنفاسة والعبارة فلم أدع حكاية أعرابى ولا نحوى ولا مخنث ولا قاض ولا زطى ولا نبطى ولا سندى ولا زنجى ولا خادم ولا شطارة ولا عبارة ولا نادرة ولا حكاية الا أحضرتها وأتيت بها حتى نفد جميع ما عندى وتصدع رأسى ولم يبق ورائى خادم الا هرب ولا غلام الا ذهب لما استفزهم الضحك وورد عليهم

بلخ وكان الامير يصادره في رأس كل سنة ويأخذ ما معه ويقول له قد سمنت يا حسن ويدفع اليه فرسا ومقرعة ويقول هذا يكفيك فلما طال ذلك عليه أخذ في أولاده فخر الملك ومؤيد الملك وهرب الى جغرى بك داود والد الب ارسلان فوقف فرسه في الطريق فقال اللهم اني اسألك فرسا تخلصني عليه فسار غير بعيد فلقيه تركماني وتحته فرس جواد فقال لنظام الملك انزل عن فرسك فنزل عنه فاخذه التركماني وأعطاه فرسه فركبه وقال له لا تنسني يا حسن قال نظام الملك فقويت نفسي بذلك وعلمت انه ابتداء سعادة فسار نظام الملك الى مرو ودخل على داود فلما رآه أخذ بيده وسلمه الى ولده الب ارسلان وقال له هذا حسن الطوسي فتسلمه واتخذه والدا لا تخالفه وكان الامير تاجر لما سمع بهرب نظام الملك سار في أثره الى مرو فقال لداود هذا كاتبي ونائبي قد أخذ أموالي فقال له داود حديثك مع محمد يعني الب ارسلان وكان اسمه محمدا فلم يتجاسر تاجر على خطابه فتركه وعاد * وأما اخباره فانه كان عالما دينا جوادا عادلا حليما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح أمر ببناء المدارس في سائر الامصار والبلاد وأجرى لها الجرايات العظيمة وأملى الحديث بالبلاد ببغداد وخراسان وغيرها وكان يقول اني لست من أهل هذا الشان لما تولاه ولكني أحب أن أجعل نفسي على قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا سمع المؤذن أمسك عن كل ما هو فيه وتجنبه فاذا فرغ لا يبدأ بشيء قبل الصلاة وكان اذا غفل المؤذن ودخل الوقت يأمره بالاذان وهذا غاية حال المنقطعين الى العبادة في حفظ الاوقات ولزوم الصلوات وأسقط المكوس والضرائب وأزال لعن الاشعرية من المنابر وكان الوزير عميد الملك الكندري قد حسن للسلطان طغرلبك التقدم بلعن الرافضة فامره بذلك فاضاف اليهم الاشعرية ولعن الجميع فلهذا فارق كثير من الائمة بلادهم مثل امام الحرمين وأبي القاسم القشيري وغيرهما فلما ولي الب ارسلان السلطنة أسقط نظام الملك ذلك جميعه وأعاد العلماء الى أوطانهم وكان نظام الملك اذا دخل عليه الامام أبو القاسم القشيري والامام أبو المعالي الجويني يقوم لهما ويجلس في مسنده كما هو واذا دخل أبو علي الفارمذي يقوم اليه ويجلسه في مكانه ويجلس هو بين يديه فقيل له في ذلك فقال ان هذين وأمثالهما اذا دخلوا علي يقولون لي أنت كذا وكذا يثنون علي بما ليس في فيزيدني كلامهم عجبا وتيها وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي وما أنا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لذلك وأرجع عن كثير مما أنا فيه وقال نظام الملك كنت أتمنى أن يكون لي قرية خالصة ومسجد أتفرد فيه لعبادة ربي ثم بعد ذلك تمنيت أن يكون لي قطعة أرض أتقوت بريعها ومسجد أعبد الله فيه وأما الآن فانا أتمنى أن يكون لي رغيف كل يوم ومسجد أعبد الله فيه وقيل كان ليلة يأكل الطعام وبجانبه أخوه أبو القاسم وبالجانب الآخر عميد خراسان والى جانب العميد انسان فقير مقطوع اليد فنظر نظام الملك فرأى العميد يتجنب الاكل مع المقطوع فامره بالانتقال الى الجانب الآخر وقرب المقطوع اليه فاكل معه وكانت عادته أن يحضر الفقراء طعامه ويقربهم اليه ويدنيهم وأخباره مشهورة كثيرة قد جمعت لها المجاميع السائرة في البلاد

(ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته)

سار السلطان ملكشاه بعد قتل نظام الملك الى بغداد ودخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان ولقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير وظهرت من تاج الملك كفاية عظيمة وكان السلطان قد أمر ان تفصل خلع الوزارة لتاج الملك وكان هو الذي سعى بنظام الملك فلما فرغ من

الخلع

الخلع ولم يبق غير لبسها والجلوس في الدست اتفق ان السلطان خرج الى الصيد وعاد ثالث شوال مريضا وأنشب الموت اظفاره فيه ولم يمنع عنه سعة ملكه وكثرة عساكره وكان سبب مرضه انه أكل لحم صيد فحم وافتصد ولم يستوف اخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمى محرقة فتوفي ليلة الجمعة النصف من شوال ولما ثقل نقل أرباب دولته أموالهم الى حريم دار الخلافة ولما توفي سترت زوجته تركان خاتون المعروفة بخاتون الجلالية موته وكتمته وأعادت جعفر بن الخليفة من ابنة السلطان الى أبيه المقتدي بامر الله وسارت من بغداد والسلطان معها محمولا وبذلت الاموال للامراء سرا واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك يتولى ذلك لها وأرسلت قوام الدولة كربوقا الذي صار صاحب الموصل الى اصبهان بخاتم السلطان فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها وأظهر ان السلطان أمره بذلك ولم يسمع بسلطان مثله لم يصل عليه أحد ولم يلطم عليه وجه وكان مولده سنة سبع وأربعين وأربعمائة وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ومن أقاصي بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت أيامه على امن عام وسكون شامل وعدل مطرد ومن افعاله انه لما خرج عليه أخوه تكش بخراسان اجتاز بمشهد علي بن موسى الرضا بطوس فزاره فلما خرج قال لنظام الملك باي شيء دعوت قال دعوت الله ان ينصرك فقال اما أنا فلم أدع بهذا بل قلت اللهم انصر أصلحنا للمسلمين وأنفعنا للرعية وحكي عنه ان سواديا لقيه وهو يبكي فاستغاث به وقال كنت ابتعت بطيخا بدريهمات لا أملك سواها فغلبني عليه ثلاثة نفر من الاتراك فاخذوه مني فقال السلطان له اقعد ثم أحضر فراشا وقال قد اشتهيت بطيخا وكان ذلك عند أول استوائه وأمره بطلبه من العسكر فغاب ثم عاد ومعه البطيخ فامره باحضار من وجده عنده فاحضره فسأله السلطان من أين لك ذلك البطيخ فقال غلماني جاؤني به فامره ان يجيء بهم اليه فمضى وأمرهم بالهرب وعاد فقال لم أجدهم فقال للسوادي خذ هذا مملوكي قد وهبته لك عوضا عن بطيخك وبحضر الذين أخذوه والله لئن أطلقته لاضربن عنقك فاخذه السوادي فاشترى الغلام نفسه منه بثلثمائة دينار فعاد السوادي الى السلطان وقال قد بعته نفسه بثلثمائة دينار فقال أرضيت بذلك قال نعم قال امض مصاحبا بالسلامة وقال عبد السميع بن داود العباسي شاهدت ملكشاه وقد أتاه رجلان من أرض العراق السفلى من قرية الحدادية يعرفان بابني غزال فالقياه فوقف لهما فقالا ان مقطعنا الامير خمارتكين قد صادرنا بألف وستمائة دينار وقد كسر ثنيتي أحدنا وأراهما السلطان وقد قصدناك لتقتص لنا منه فان أخذت بحقنا كما أوجب الله عليك والا فالله يحكم بيننا قال فرأيت السلطان وقد نزل عن دابته وقال ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي واسحباني الى خواجه حسن يعني نظام الملك فامتنعا من ذلك واعتذرا فاقسم عليهما الا فعلا فاخذ كل واحد منهما بكم من كميه ومشى معهما الى نظام الملك فبلغه الخبر فخرج مسرعا فلقيه وقبل الارض وقال يا سلطان العالم ما حملك على هذا فقال كيف يكون حالي غدا عند الله اذا طولبت بحقوق المسلمين وقد قلدتك هذا الامر لتكفيني مثل هذا الموقف فان نال الرعية أذى فانت المطالب فانظر لي ولنفسك فقبل الارض ومشى في خدمته وعاد من وقته وكتب بعزل الامير خمارتكين عن اقطاعه ورد المال عليهما واعطاهما مائة دينار من عنده وأمرهما باثبات البينة انه قلع ثنيته ليقلع ثنيتيه عوضهما فرضيا وانصرفا وقيل انه ورد بغداد ثلاث دفعات فخافه الناس من غلاء الاسعار وتعدي الجند فكانت الاسعار أرخص منها قبل قدومه وكان الناس

من الامر فقلت يا أمير المؤمنين قد نفذ والله ما معي وتصدع رأسي وذهب معاشي وما رأيت قط مثلك وما بقيت لي الا نادرة واحدة فقال هاتها فقلت يا أمير المؤمنين وعدتني أن تصفعني عشرا وجعلتها مكان الجائزة فاسألك أن تضعف الجائزة وتضيف اليها عشرا فاراد أن يضحك فاستمسك ثم قال نفعل يا غلام خذ بيده فاخذ بيدي ومددت قفاي فصفعت بالجراب صفعة فكانما سقط على قفاي قلعة واذا فيه حصى مدور كانه صنجات فصفعت به عشرا كادت أن تنفصل رقبتي وينكسر عنقي وطنت أذناي وقدح الشعاع من عيني فلما استوفيت العشرة صحت يا سيدي نصيحة فرفع الصفع عني بعد أن عزم على ايفاء ما كنت سألته من اضعاف جائزتي فقال ما نصيحتك قلت يا سيدي انه ليس في الدنيا أحسن من الامانة ولا أقبح من الخيانة وقد ضمنت للخادم الذي أدخلني عليك نصف هذه الجائزة على قلتها أو كثرتها وأمير المؤمنين أطال الله بقاءه بفضله وكرمه قد أضعفها وقد استوفيت نصفها وبقي للخادم نصفها فضحك حتى استلقى واستفزه ما كان قد سمعه مني أولا وتحامل له وصبر عليه فما زال يضرب بيده ويفحص برجله ويمسك بمراق بطنه حتى اذا سكن ضحكه ورجعت اليه نفسه قال علي بفلان الخادم فاتي به وكان طوالا فامر بصفعه فقال يا أمير المؤمنين أي شيء تصفعني وأي جناية جنايتي فقلت له هذه جائزتي وأنت شريكي وقد استوفيت نصفها وبقي نصيبك منها فلما أخذه الصفع وطرق قفاه الصافع أقبلت عليه أقول له أقول لك اني ضعيف معيل وشكوت اليك الحاجة والمسكنة وأقول يا سيدي لا تأخذ نصفها لك سدسها لك ربعها وأنت تقول ما آخذ الا نصفها ولو علمت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جوائزه صفع وهبتها لك كلها فعاد الى الضحك من قولي للخادم وعتابي له فلما استوفى صفعه وسكن أمير المؤمنين من ضحكه أخرج من تحت تكائه صرة قد كان أعدها فيها خمسمائة درهم ثم قال له وقد أراد الانصراف قف هذه كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك حتى أحضرت لك شريكا فيها ولعلي كنت أمنعه منها فقلت يا أمير المؤمنين وأين الامانة وقبح الخيانة ووددت أنك كنت تدفعها كلها اليه وتصفعه مع العشرة عشرة أخرى وتدفع له الخمسمائة درهم فقسم الدراهم بيننا وانصرفنا (وفي سنة) اثنتين وثمانين ومائتين كانت وفاة اسمعيل ابن اسحق القاضي والحرث ابن أبي أسامة وبلال بن العلاء الرقي (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين نزل المعتضد بتكريت وسار الحسن بن حمدان في الاولياء لحرب هرون الشاري فكانت بينهم

يخترقون عساكره ليلا ونهارا فلا يخافون أحدا ولم يتعد عليهم أحد وأسقط المكوس والمؤن من جميع البلاد وعمر الطرق والقناطر والربط التي في المناو زوحفر الانهار الخراب وعمر الجامع ببغداد وعمل المصانع بطريق مكة وبنى البلد باصبهان وبنى منارة القرون بالسبيعي بطريق مكة وبنى مثلها بما وراء النهر واصطاد مرة صيدا كثيرا فامر بعده فكان عشرة آلاف رأس فامر بصدقة عشرة آلاف دينار وقال انى خائف من الله تعالى كيف ازهقت أرواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة وفرق من الثياب والاموال بين أصحابه مالا يحصى وصار بعد ذلك كلما صاد شيأ تصدق بعدده دنانير وهذا فعل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته وقد أكثر الشعراء مراثيه أيضا وقيل ان بعض أمراء السلطان كان نازلا بهراة مع بعض العلماء اسمه عبد الرحمن في داره فقال يوما ذلك الامير للسلطان وهو سكران ان عبد الرحمن يشرب الخمر و يعبد الاصنام من دون الله تعالى و يحل الحرام فلم يجبه ملكشاه فلما كان الغد صحا ذلك الامير فاخذ السلطان السيف وقال له اصدقني عن فلان والا قتلتك فطلب منه الامان فامنه فقال ان عبد الرحمن له دار حسناء و زوجة جميلة فاردت ان تقتله فافوز بداره و زوجته فابعده السلطان وشكر الله تعالى على التوقف عن قبول سعايته وتصدق باموال جليلة المقدار

﴿ ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الاكبر بركيارق الى ان ملك ﴾

لما مات السلطان ملكشاه كتمت زوجته تركان خاتون موته كما ذكرناه وأرسلت الى الامراء سرا فارضتهم واستحلفتهم لولدها محمود وعمره أربع سنين وشهور وأرسلت الى الخليفة المقتدي في الخطبة لولدها أيضا فاجابها وشرط ان يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له و يكون المدبر لزعامة الجيوش و رعاية البلد هو الامير أنز و يصدر عن راى تاج الملك و يكون ترتيب العمال وجباية الاموال الى تاج الملك أيضا وكان تاج الملك هو الذي يدبر الامر بين يدى خاتون فلما جاءت رسالة الخليفة الى خاتون بذلك امتنعت من قبوله فقيل لها ان ولدك صغير ولا يجيز الشرع ولايته وكان المخاطب لها في ذلك الغزالي فاذعنت له وأجابت اليه فخطب لولدها ولقب ناصر الدنيا والدين وكانت الخطبة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال من السنة وخطب له بالحرمين الشريفين ولما مات السلطان ملكشاه أرسلت تركان خاتون الى اصبهان في القبض على بركيارق ابن السلطان وهو أكبر أولاده خافته ان ينازع ولدها في السلطنة فقبض عليه فلما ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك باصبهان فاخذوه وثاروا في البلد وأخرجوا بركيارق من الحبس وخطبوا له باصبهان وملكوه وكانت والدة بركيارق زبيدة ابنة ياقوتي بن داود وهي ابنة عم ملكشاه خائفة على ولدها من خاتون أم محمود فاتاها الفرج بالمماليك النظامية وسارت تركان خاتون من بغداد الى اصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالاموال فوعدهم فلما وصلوا الى قلعة برجين صعد اليها لينزل الاموال منها فلما استقر فيها عصى على خاتون ولم ينزل خوفا من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم يجدوا بها شيأ فانه كان قد علم ما جرى فاستظهر وأخفاه ولما وصلت تركان خاتون الى اصبهان لحقها تاج الملك واعتذر بان مستحفظ القلعة حبسه وانه هرب منه اليها فقبلت عذره وأما بركيارق فانه لما قاربت خاتون وابنها محمود اصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الري فلقيهم ارغش النظامي في عساكره ومعه جماعة من الامراء وصاروا يدا واحدة وانما حمل النظامية على الميل الى بركيارق كراهتهم لتاج الملك لانه كان عدو نظام الملك والمتهم بقتله فلما اجتمعوا حصروا قلعة طبرك

حروب عظيمة كانت للحسن بن حمدان عليه فاتى به المعتضد أسيرا بغير أمان ومعه أخوه فدخل المعتضد بغداد وقد نصبت له القباب وزينت له الطرقات وعبى المعتضد بالله جيوشه بباب الشماسية أحسن ما يكون من التعبية وأكمل هيئة فاشتقوا بغداد الى القصر المعروف بالحسني ثم خلع المعتضد على الحسن بن حمدان خلعا شرفه بها وطوقه بطوق من ذهب وخلع على جماعة من فرسانه ورؤساء أصحابه وأهله وشهرهم في الناس كرامة لما كان من فعلهم وحسن بلائهم ثم أمر بالشارى فاركب فيلا وعليه دراعة ديباج وعلى رأسه برنس خز طويل وخلفه أخوه على جمل فالج وهو ذو السنامين وعليه دراعة ديباج و برنس خز وسيرهم في أثر الحسن بن حمدان وأصحابه ثم دخل المعتضد في أثره عليه قباء أسود وقلنسوة محددة على فرس صافي عن يساره أخوه عبد الله بن الموفق وخلفه بدر غلامه وأبو القاسم عبيد الله بن سليمان ابن وهب وزيره وابنه القاسم بن عبد الله فأكثر الناس الدعاء له وتكاثف الناس في منصرفهم من الجانب الشرقي الى الغربي فانخسف بهم كرسي الجسر الاعلى وسقط على زورق مملوء ناسا فغرق في هذا اليوم نحو من ألف نفس ممن عرف دون من لم يعرف واستخرج الناس من دجلة وأخذوها

وأخذوها عنوة فسيرت خاتون العساكر الى قتال بركيارق فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد فانحاز جماعة من الامراء الذين في عسكر خاتون الى بركيارق منهم الامير يلبرد وكمشتكين الجاندار وغيرهما فقوى بهم وجرى الحرب بينهم أواخر ذى الحجة واشتد القتال فانهزم عسكر خاتون وعادوا الى اصبهان وصار بركيارق في أثرهم فحصرهم باصبهان

﴿ ذكر قتل تاج الملك ﴾

كان تاج الملك مع عسكر خاتون وشهد الوقعة فهرب الى نواحي بروجرد فاخذ وحمل الى عسكر بركيارق وهو يحاصر اصبهان وكان يعرف كفايته فاراد ان يستوزره فشرع تاج الملك في اصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتي ألف دينار سوى العروض فزال ما في قلوبهم فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الاصاغر على الاستغاثة وان لا يقنعوا الا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه وفصلوه أجزاء وكان قتله في المحرم سنة ست وثمانين وحمل الى بغداد أحد أصابعه وكان كثير الفضائل جم المناقب وانما غطى جميع محاسنه ممالأته على قتل نظام الملك وهو الذي بنى تربة الشيخ أبي اسحق الشيرازي وعمل المدرسة التي الى جانبها ورتب بها الشيخ أبا بكر الشاشي وكان عمره حين قتل سبعا وأربعين سنة

﴿ ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة ﴾

سار الحجاج هذه السنة من بغداد فقدموا الكوفة و رحلوا منها فخرجت عليهم خفاجة وقد طمعوا بموت السلطان و بعد العسكر فاوقعوا بهم وقتلوا أكثر الجند الذين معهم وانهزم باقيهم ونهبوا الحجاج وقصدوا الكوفة فدخلوها وأغاروا عليها وقتلوا في أهلها فرماهم الناس بالنشاب فخرجوا بعد ان نهبوا وأخذوا ثياب من لقوه من الرجال والنساء فوصل الخبر الى بغداد فسيرت العساكر منها فلما سمع بهم بنو خفاجة انهزموا فادركهم العسكر فقتل منهم خلق كثير ونهبت أموالهم وضعفت خفاجة بعد هذه الوقعة

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فيها في ربيع الاول عاد السلطان من بغداد الى أصبهان وأخذ معه الامير أبا الفضل جعفر بن الخليفة المقتدي بأمر الله من ابنة السلطان وتفرق الامراء الى بلادهم ثم عاد الى بغداد فتوفي كما ذكرناه وفيها في جمادى الاولى احترق نهر المعلى فاحترق عقد الحديد الى خربة الهراس الى باب دار الضرب واحترق سوق الصاغة والصيارف والمخلطين والريحانيين وكان الحريق من الظهر الى العصر فاحترق منها الامر العظيم في الزمان القليل واحترق من الناس خلق كثير ثم ركب عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وجمع السقائين ولم يزل راكبا حتى طفئت النار وفي هذه السنة توفي عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن ناقيا الشاعر البغدادي سمع الحديث وكان يتهم بانه يطعن على الشرائع فلما مات كانت يده مقبوضة فلم يطق الغاسل فتحها فبعد جهد فتحت فاذا فيها مكتوب

نزلت بجار لا يخيب ضيفه * ارجي نجاتي من عذاب جهنم

واني على خوفي من الله واثق * بانعامه والله أكرم منعم

وفيها توفي هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن أحمد أبو القاسم الشيرازي الحافظ أحد الرحالين في طلب الحديث شرقا وغربا وقدم الموصل من العراق وهو الذي أظهر سماع الجعديات لابي محمد

بالكلاليب والغاصة وارتفع الضجيج وكثر الصراخ من الجانبين جميعا فبينما الناس كذلك اذ أخرج بعض الغاصة صبيا عليه حلى فاخرة من ذهب وجوهر فبصر به شيخ من النظارة طرار فجعل يلطم وجهه حتى دمي أنفه ثم تمرغ في التراب وأظهر أنه ابنه وجعل يقول ياسيدي لم تمت اذ أخرجوك صحيحا سويا لم يأكلك السمك ولم تمت حبيبي اذ كحلت عيني بك مرة قبل الموت وأخذه فحمله على حمار ثم مضى به فبارح القوم الذين رأوا من الشيخ ما رأوا حتى أقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار حين بلغه الخبر وهو لا يشك الا أن الصبي في أيديهم وليس بهمه ما كان عليه من حلى وثياب وانما أراد أن يكفنه ويصلى عليه و يدفنه فخبره الناس بالخبر فبقي هو ومن معه من التجار متعجبين مبهوتين وسألوا عنه واستبحثوا فاذا لا عين ولا أثر وعرف بعد ذلك أنهم نواب هذا الجسر هذا الشيخ المحتال فأيسوا أبا الغريق منه وذكروا أنه شيخ قد أعياهم أمره وحيرهم كيده وأنه بلغ من حيله وخبثه ودهائه أنه أتى يوما من أول الصباح الى باب بعض العدول الكبار المشهورين بالرياستين واليسار ومعه جرة فارغة على عاتقه وفأس وزنبيل فقام في ثوب خلق ولم يتكلم حتى وضع الفأس في الدكاكين التي على باب ذلك العدل فهدمها وجعل ينقي الآجر ويعزله

الصر يفيني ولم يكن يعرف ذلك

﴿ثم دخلت سنة ست وثمانين واربعمائة﴾

﴿ذكر وزارة عز الملك بن نظام الملك لبركيارق﴾

كان عز الملك أبو عبد الله الحسين بن نظام الملك مقيما بخوارزم حاكما فيها وفي كل ما يتعلق بها اليه المرجع في كل أمورها السلطانية فلما كان قبل ان يقتل أبوه حضر عنده خدمة له وللسلطان فقتل أبوه ومات السلطان فأقام باصبهان الى الآن فلما حصرها بركيارق وكان أكثر عسكره النظامية خرج من أصبهان هو وغيره من اخوته فلما اتصل ببركيارق احترمه وأكرمه وفوض امور دولته اليه وجعله وزيراله

﴿ذكر حال تتش بن الب ارسلان﴾

كان تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وما جاورها من بلاد الشام فلما كان قبل موت أخيه السلطان ملكشاه سار من دمشق اليه ببغداد فلما كان بهيت بلغه موته فأخذ هيت واستولى عليها وعاد الى دمشق يتجهز لطلب السلطنة فجمع العساكر وأخرج الاموال وسار نحو حلب وبها قسيم الدولة آقسنقر فرأى قسيم الدولة اختلاف أولاد صاحبه ملكشاه وصغرهم فعلم انه لا يطيق دفع تتش فصالحه وصار معه وأرسل الى باغي سيان صاحب انطاكية والى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما بطاعة تاج الدولة تتش حتى ير واما يكون من أولاد ملكشاه ففعلوا وصار وامعه وخطبوا له في بلادهم وقصدوا الرحبة فحصروها وملكوها في المحرم من هذه السنة وخطب لنفسه بالسلطنة ثم سار والى نصيبين فحصروها فسب أهلها تاج الدولة ففتحها عنوة وقهرا وقتل من أهلها خلقا كثيرا ونهبت الاموال وفعل فيها الافعال القبيحة ثم سلمها الى الامير محمد بن شرف الدولة العقيلي وسار يريد الموصل وأتاه الكافي بن فخر الدولة بن جهير وكان في جزيرة ابن عمر فأكرمه واستوزره

﴿ذكر وقعة المضيع وأخذ الموصل من العرب﴾

كان ابراهيم بن قريش بن بدران أمير بني عقيل قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ليحاسبه فلما حضر عنده اعتقله وأنفذ فخر الدولة بن جهير الى البلاد فملك الموصل وغيرها وبقي ابراهيم مع ملكشاه وسار معه الى سمرقند وعاد الى بغداد فلما مات ملكشاه أطلقته تركان خاتون من الاعتقال فسار الى الموصل وكان ملكشاه قد أقطع عمته صفية مدينة بلد وكانت زوجة شرف الدولة ولها منه ابنها علي وكانت قد تزوجت بعد شرف الدولة بأخيه ابراهيم فلما مات ملكشاه قصدت الموصل ومعها ابنها علي فقصدها محمد بن شرف الدولة وأراد أخذ الموصل فافترقت العرب فرقتين فرقة معه وأخرى مع صفية وابنها علي واقتتلوا بالموصل عند الكناسة فظفر علي وانهزم محمد وملك علي الموصل فلما وصل ابراهيم الى جهينة وبينه وبين الموصل أربعة فراسخ سمع ان الامير علي ابن أخيه شرف الدولة قد ملكها ومعه أمه صفية عمة ملكشاه فأقام مكانه وراسل صفية خاتون وترددت الرسل فسلمت البلد اليه فأقام به فلما ملك تتش نصيبين أرسل اليه يأمره ان يخطب له بالسلطنة ويعطيه طريقا الى بغداد لينحدر ويطلب الخطبة بالسلطنة فامتنع ابراهيم من ذلك فسار تتش اليه وتقدم ابراهيم أيضا نحوه فالتقوا بالمضيع من أعمال الموصل في ربيع الاول وكان ابراهيم في ثلاثين

فسمع ذلك العدل بهدمها ووقع الفأس والهدم فخرج لينظر فاذا الشيخ دائب بهدم دكاكينه التي على باب داره فقال يا عبد الله أي شئ تصنع ومن أمرك بهذا فجعل الشيخ يعمل عمله ولا يلتفت الى العدل ولا يكلمه فاجتمع الجيران وهم في المحاورة فأخذوا بيد الشيخ فوكزه هذا ودفعه هذا فالتفت اليهم فقال ويلكم أي شئ تريدون مني أما تستحيون تعبثون بي وأنا شيخ كبير فقالوا أما لنا والعبث بك ويحك من أمرك بهذا قال ويحكم أمرني صاحب الدار فقالوا هذا صاحب الدار يكلمك قال لا والله ما هو هذا فلما سمعوا كلامه وغفلته رحموه وقالوا هذا مجنون أو مخدوع خدعه بعض جيران هذا العدل ممن قد حسده على ما أنعم الله تعالى به عليه وهم الذين حملوا هذا الشيخ على هذا الفعل فلما منعوه من الهدم مضى الى الجرة التي جاء بها وقد كان وضعها الى جانب الباب فأدخل يده فيها كأنه قد خبأ ثيابه فيها فصرخ وبكى فلم يشك العدل أن محتالا خدعه وأخذ ثيابه فقال وأي شئ ذهب لك قال قميص جديد اشتريته أمس وملحفة لبيتي وسراويل فرقوا له جميعا ودعاه العدل فكساه ووهب له دراهم كثيرة ووهب له الجيران دراهم كثيرة وانصرف غانما وهذا الشيخ كان يعرف بالعقاب ويكنى بأبي الباز وله أخبار

ألفا وكان تتش في عشرة آلاف وكان آقسنقر على ميمنته وبوزان على ميسرته فحمل العرب على بوزان فانهزم وحمل آقسنقر على العرب فهزمهم وتمت الهزيمة على ابراهيم والعرب وأخذ ابراهيم أسيرا وجماعة من أمراء العرب فقتلوا صبرا ونهبت أموال العرب وما معهم من الابل والغنم والخيل وغير ذلك وقتل كثير من نساء العرب أنفسهن خوفا من السبي والفضيحة وملك تتش بلادهم الموصل وغيرها واستناب بها علي بن شرف الدولة مسلم وأمه صفية عمة تتش وأرسل الى بغداد يطلب الخطبة وساعده كوهرائين على ذلك فقيل لرسوله أنا أنتظر وصول الرسل من العسكر فعاد الى تتش بالجواب

﴿ذكر ملك تتش ديار بكر واذربيجان وعوده الى الشام﴾

فلما فرغ تاج الدولة تتش من أمر العرب وملك الموصل وغيرها من بلادهم سار الى ديار بكر في ربيع الآخر فملك ميافارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان وسار منها الى اذربيجان فانتهى خبره الى ابن أخيه ركن الدين بركيارق وكان قد استولى على كثير من البلاد منها الري وهمذان وما بينهما فلما تحقق الحال سار في عساكره ليمنع عمه عن البلاد فلما تقارب العسكران قال قسيم الدولة آقسنقر لبوزان انما أطعنا هذا الرجل لننظر ما يكون من أولاد صاحبنا والآن فقد ظهر ابنه ونريد نكون معه فاتفقا على ذلك وفارقا تتش وصارا مع بركيارق فلما رأى تاج الدولة تتش ذلك علم انه لا قوة له بهم فعاد الى الشام واستقامت البلاد لبركيارق فلما قوي أمره سار كوهرائين الى العسكر يعتذر من مساعدته لتاج الدولة تتش وأعانه برسق وتعصب عليه كمشتكين الجاندار فأخذ اقطاعه وأعطى الامير يلبرد زيادة وولي شحنكية بغداد عوض كوهرائين وتفرق عن كوهرائين أصحابه فكان ما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها﴾

في هذه السنة في جمادى الآخرة ملك عسكر المستنصر بالله العلوي صاحب مصر مدينة صور وسبب ذلك ما ذكرناه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة أن أمير الجيوش بدرا وزير المستنصر سير العساكر الى مدينة صور وغيرها من ساحل الشام وكان من بها قد امتنع من طاعتهم فملكها وقرر أمورها وجعل فيها الامراء وكان قد ولي مدينة صور لامير يعرف بمنير الدولة الجيوشي فعصى على المستنصر وأمير الجيوش وامتنع بصور فسيرت العساكر من مصر اليه وكان أهل صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على سلطانه فلما وصل العسكر المصري الى صور وحصروها وقاتلوها ثار أهلها ونادوا بشعار المستنصر وأمير الجيوش وسلموا البلد وهجم العسكر المصري بغير مانع ولا مدافع ونهب من البلد شئ كثير وأسر منير الدولة ومن معه من أصحابه وحملوا الى مصر وقطع على أهل البلد ستون ألف دينار فأجحفت بهم ولما وصل منير الدولة الى مصر ومعه الاسرى قتلوا جميعهم ولم يعف عن واحد منهم

﴿ذكر قتل اسمعيل بن ياقوتي خال بركيارق﴾

في هذه السنة في شعبان قتل اسمعيل بن ياقوتي بن داود وهو خال بركيارق وابن عم ملكشاه وسبب قتله انه كان باذربيجان أميرا عليها فأرسلت اليه تركان خاتون زوجة ملكشاه تطمعه ان تتزوج به وتدعوه الى محاربة بركيارق فأجابها الى ذلك وجمع خلقا كثيرا من التركمان وغيرهم وصار أصحاب سرهنك ساوتكين في خيله وأرسلت اليه تركان خاتون كربوقا وغيره من الامراء في عسكر كثير مددا له فجمع بركيارق عساكره وسار الى حرب خاله اسمعيل فالتقوا عند الكرج

عجيبة وحيل وهو الذي احتال للمتوكل حين بايعه بختيشوع الطبيب أنه ان سرق من داره شيأ يعرفه في ثلاث ليال ذكرت من ذلك الشهر فعليه أن يحمل الى خزانة أمير المؤمنين عشرة آلاف دينار وان خرجت هذه الليالي ولم يتم عليه ما ذكرناه فله الضيعة المعين ذكرها في المبايعة فأتى بهذا الشيخ في عنفوان شبابه الى المتوكل فضمن للمتوكل أن يأخذ من دار بختيشوع شيأ لا ينكره وقد كان بختيشوع حرس داره وحصنها في هذه الليالي فاحتال هذا الشيخ المعروف بالعقاب بحيل لطيفة الى أن سرق بختيشوع وجعله في صندوق وأتى به المتوكل في خبر ظريف وأنه رسول لعيسى بن مريم نزل الى بختيشوع بشمع أسرجه وتخليط عمله وبنج في طعام اتخذه وأطعمه الحراس لداره في تلك الليلة وقد ذكرنا ذلك في كتابنا أخبار الزمان وهذا الشيخ قد برز في مكايده وما أورده من حيله على دالة المحتالة وغيرهما من سائر المكارين والمحتالين ممن سلف وخلف منهم (ولطلاب صنعة الكيمياء) من الذهب والفضة وأنواع الجواهر من اللؤلؤ وغيره وصنعة أنواع الاكسيرات من الاكسير المعروف بالفرار وغيره واقامة الزئبق وصنعته فضة وغير ذلك من خدعهم وحيلهم في القرع والمغناطيس والتقطير والتكليس والبوادق

فانحاز الامير يلبرد الى بركيارق وصار معه فانهزم اسمعيل وعسكره وتوجه الى أصبهان فأكرمته تركان خاتون وخطبت له وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه وكاد الامر في الوصلة يتم بينهما فامتنع الامراء من ذلك لا سيما الامير أنز وهو مدبر الامر وصاحب الجيش وآثروا خروج اسمعيل عنهم وخافوه وخافهم وأيضا منهم ففارقهم وراسل أخته زبيدة والدة بركيارق في اللحاق بهم فاذنت له في ذلك فوصل اليهم وأقام عندهم أياما يسيرة فخلا به كمشتكين الجاندار وآقسنقر وبوزان وبسطوه في القول فاطلعهم على سره وانه يريد السلطنة وقتل بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه وأعلموا أخته خبره فسكتت عنه

﴿ذكر أخذ الحجاج﴾

في هذه السنة انقطع الحج من العراق لاسباب أوجبت ذلك وسار الحاج من دمشق مع امير أقامه تاج الدولة تتش صاحبها فلما قضوا حجهم وعادوا سار ثر بن سير أمير مكة وهو محمد بن أبي هاشم عسكرا فلحقوهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيرا من أموالهم وجمالهم فعادوا اليها ولقوه وسألوه ان يعيد عليهم ما أخذ منهم وشكوا اليه بعد ديارهم فاعاد بعض ما أخذ منهم فلما أيسوا منه ساروا من مكة عائدين على أقبح صورة فلما أبعدوا عنها ظهر عليهم جموع من العرب في عدة جهات فصانعوهم على مال اخذوه من الحاج بعد ان قتل منهم جماعة وافرة وهلك فيه بالضعف والانقطاع وعاد السالم على أقبح صورة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى قدم الى بغداد اردشير بن منصور أبو الحسين الواعظ العبادي واكثر الوعظ بالمدرسة النظامية وهو مروزي وقدم بغداد قاصد الحج وكان له قبول عظيم بحيث ان الغزالي وغيره من الائمة ومشايخ الصوفية الكبار يحضرون مجلسه وذرع في بعض المجالس الارض التي فيها الرجال فكان طولها مائة وخمسة وسبعين ذراعا وعرضها مائة وعشرون ذراعا وكانوا يزدحمون ازدحاما كثيرا وكان النساء أكثر من ذلك وكان له كرامات ظاهرة وعبادات كثيرة وكان سبب منعه من الوعظ أنه نهى ان يتعامل الناس ببيع القراضة بالصحيح وقال هو ربا فمنع من الوعظ وأخرج من البلد وفيها وقعت الفتنة ببغداد بين العامة وقصد كل فريق الفريق الآخر وقطعوا الطرقات بالجانب الغربي وقتل أهل النصرية مصلحيا فارسل كوهرائين أحرقها واتصلت الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة وكان للعميد الاغر أبي المحاسن الدهستاني في اطفاء هذه الفتنة أثر حسن وفيها في شعبان سار سيف الدولة صدقة بن مزيد الى السلطان بركيارق فلقيه بنصيبين وسار معه الى بغداد على الموصل فوصلها في ذي القعدة ومعه وزيره عز الملك بن نظام الملك وخرج عميد الدولة والناس الى لقائه من عقرقوف وفيها ولد للمستظهر بالله ولد سمي الفضل وكني أبا منصور ولقب عمدة الدين وهو المسترشد بالله وفيها في رمضان قتل الامير يلبرد قتله بركيارق وكان من الامراء الكبار مع أبيه فزاده بركيارق اقطاع كوهرائين وشحنكية بغداد فلما وصل الى دقوقا أعيد منها لانه تكلم فيما يتعلق بوالدة السلطان بركيارق بكلام شنيع فلما وصل اليه أصبح مقتولا وفيها في المحرم توفي علي بن أحمد بن يوسف أبو الحسن القرشي الهكاري المعروف بشيخ الاسلام وكان فاضلا عابدا كثير السماع الا أن الغرائب في حديثه كثيرة لا يدري ما سببها والامير أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر العجلي المعروف بابن ماكولا مصنف كتاب الاكمال قتله غلمانه الاتراك بكرمان ومولده سنة اثنتين وأربعمائة وكان حافظا وفيها في صفر توفي أبو محمد عاصم الضرير وكان فقيها شافعيا مقرئا نحويا وكان يصلي في

رمضان

والحطب والفحم والمنافخ أخبار عجيبة وحيل قد أتينا على ذكرها ووجوه الخدع فيها وكيفية الاحتيال بها في كتابنا أخبار الزمان وما ذكروه في ذلك من الاشعار وما عزوه الى من سلف من اليونانيين والروم مثل قلوبطرة الملكة ومارية وما ذكره خالد بن يزيد ابن معاوية في ذلك وهو عند أهل الصنعة من المتقدمين فيهم في شعره الذي يقول فيه

خذ الطلق مع الاشق وما يوجد في الطرق

وشيأ يشبه البرقا فدبره بلا حرق

فان أحببت مولاكا فقد سودت في الخلق

(وقد صنف) يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي رسالة في ذلك وجعلها مقالتين يذكر فيها تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وحيلهم وترجم الرسالة بابطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة من غير معادنهما وقد نقض هذه الرسالة على الكندي أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الفيلسوف صاحب الكتاب المنصوري في صناعة الطب الذي هو عشر مقالات وأرى القول أن ماذكره الكندي فاسد وان ذلك قد يتأتى فعله ولابي بكر بن زكريا في هذا المعنى كتب قد صنفها وأفرد كل واحد منها بنوع من الكلام في هذه الصنعة في الاحجار المعدنية وغير ذلك

رمضان بالامام المقتدي بامر الله وفي جمادى الاولى توفي الامير أبو الفضل جعفر بن المقتدي وأمه ابنة السلطان ملكشاه ومولده في ذي القعدة سنة ثمانين واليه تنسب الجعفريات وفي رجب توفي الشيخ أبو سعد عبد الواحد بن أحمد بن الحسن الوكيل بالمخزن وكان فقيها شافعيا كثير الاحسان الى أهل العلم وكان محمودا في ولايته وفيها توفي كمال الملك الدهستاني الذي كان عميد بغداد وفي رمضان توفي المشطب بن محمد الحنفي بالكحيل من أرض الموصل وكان الخليفة قد أرسله الى بركيارق وكان بالموصل ومعه تاج الرؤساء أبو نصر بن الموصلايا وكان شيخا كبيرا عالما مكرما عند الملوك وحمل الى العراق ودفن عند أبي حنيفة وفيه توفي القاضي أبو علي يعقوب بن ابراهيم المرزباني قاضي باب الازج وولي مكانه القاضي أبو المعالي عزيزي وكان أبو المعالي شافعيا أشعريا مغاليا وله مع أهل باب الازج أقاصيص وحكايات عجيبة وفيها توفي نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل أبو الليث وأبو الفتح التنكتي له كنيتان سافر البلاد شرقا وغربا وروى صحيح مسلم وغيره وكان ثقة ومولده سنة ست وأربعمائة وفي ذي الحجة منها توفي أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الحنبلي الفقيه وكان وافر العلم غزير الدين حسن الوعظ والسمت

﴿ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الخطبة للسلطان بركيارق﴾

في هذه السنة يوم الجمعة رابع عشر المحرم خطب ببغداد للسلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قدمها أواخر سنة ست وثمانين وأرسل الى الخليفة المقتدي بامر الله يطلب الخطبة فاجيب الى ذلك وخطب له ولقب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير الخلع الى بركيارق فلبسها وعرض التقليد على الخليفة ليعلم عليه فعلم فيه وتوفي فجأة على مانذكره ان شاء الله تعالى وولي ابنه الامام المستظهر بالله الخلافة فارسل الخلع والتقليد الى السلطان بركيارق فاقام ببغداد الى ربيع الاول من السنة وسار عنها الى الموصل

﴿ذكر وفاة المقتدي بأمر الله﴾

في هذه السنة يوم السبت خامس عشر المحرم توفي الامام المقتدي بامر الله أبو القاسم عبد الله ابن الذخيرة بن القائم بأمر الله أمير المؤمنين فجأة وكان قد أحضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم فيه فقرأه وتدبره وعلم فيه ثم قدم اليه طعام فاكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار فقال لها ما هذه الاشخاص التي دخلت علي بغير أذن قالت فالتفت فلم أر شيأ ورأيته قد تغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه وانحلت قوته وسقط الى الارض فظننتها غشية قد لحقته فحللت ازرار ثوبه فوجدته قد ظهرت عليه أمارات الموت ومات لوقته قالت فتماسكت وقلت لجارية عندي ليس هذا وقت اظهار الجزع والبكاء فان صحت قتلتك وأحضرت الوزير فاعلمته الحال فشرعوا في البيعة لولي العهد وجهزوا المقتدي وصلى عليه ابنه المستظهر بالله ودفنوه وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غير يومين وأمه أم ولد ارمنية تسمى ارجوان وتدعى قرة العين ادركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر بالله وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله ووزر له فخر الدولة أبو نصر بن جهير ثم أبو شجاع ثم عميد الدولة أبو منصور بن جهير وقضاته أبو عبد الله الدامغاني ثم أبو بكر الشامي وكانت ايامه كثيرة الخير واسعة الرزق وعظمت الخلافة أكثر مما كان من قبله وانعمرت ببغداد عدة محال في خلافته منها البصلية والقطيعة والحلبة والمقتدية والاجمة ودرب القيار وخربة ابن جردة وخربة

من كيفية الاعمال وهذا باب قد تنازع الناس فيه من فعل قارون وغيره ونحن نعوذ بالله من الهوس فيما يخسف الدماغ ويذهب بنور الابصار ويكسف الالوان من بخار التصعيدات ورائحة الزاجات وغيرها من الجمادات (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كان الفداء بالاسرى بين المسلمين والروم في شعبان وكان بدؤه يوم الثلاثاء وفيه كان مسير جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون من الشأم الى مصر في جيوشه فخالفه طغج بدمشق بعد ذلك (وفيها) خرج عن جيش بن خمارويه خاقان المفلحي وبدفة بن كسجور وابن كنداج فساروا الى وادي القرى ودخلوا مدينة السلام فخلع عليهم المعتضد (وفيها) كان الشغب بمصر وقتل أحمد الماوردي بن محمد بن علي الماردانى المقبوض عليه في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بمصر وقبض على جيش بن خمارويه ونصب أخوه هرون بن خمارويه مكانه وكانوا قد نقموا على جيش تقدمه لغلامه نجيح المعروف بالطولوني وأخيه سلامة المعروف بالمؤتمن وقد كان أخوه سلامة هذا بعد ذلك صحب جماعة من الخلفاء منهم القاهر والراضي وأراه مع المتقي في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي عمر ومقدام بن عمرو

الرعيني بمصر ليومين بقيا من شهر رمضان وكان من جلة الفقهاء ومن كبار أصحاب مالك (وفيها) ولى

الهراس والخانونيتين وأمر بنفي المغنيات والمفسدات من بغداد وببيع دورهن فنفين ومنع الناس ان يدخل أحد الحمام الا بمئزر وقلع الهرادي والابراج التي للطيور ومنع من اللعب بها لاجل الاطلاع على حرم الناس ومنع من اجراء ماء الحمامات الى دجلة وألزم أربابها بحفر آبار للمياه وأمر ان من يغسل السمك المالح يعبر الى الضمى فيغسله هناك ومنع الملاحين ان يحملوا الرجال والنساء مجتمعين وكان قوي النفس عظيم الهمة من رجال بني العباس

﴿ذكر خلافة المستظهر بالله﴾

لما توفي المقتدي بأمر الله أحضر ولده أبو العباس أحمد المستظهر بالله وأعلم بموته وحضر الوزير فبايعه وركب الى السلطان بركيارق فأعلمه الحال وأخذ بيعته للمستظهر بالله فلما كان اليوم الثالث من موت المقتدي أظهر ذلك وحضر عز الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وأخوه بهاء الملك وأمراء السلطان وجميع أرباب المناصب والنقيبان طراد العباسي والمعمر العلوي في أصحابهما وقاضي القضاة والغزالي والشاشي وغيرهما من العلماء فجلسوا في العزاء وبايعوا وكان للمستظهر بالله لما بويع ست عشرة سنة وشهران

﴿ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تتش حلب والجزيرة وديار بكر وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداد﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى قتل قسيم الدولة آقسنقر جد ملوكنا بالموصل الآن أولاد الشهيد زنكي بن آقسنقر وسبب قتله ان تاج الدولة تتش لما عاد من أذربيجان منهزما لم يزل يجمع العساكر فكثرت جموعه وعظم حشده فسار في هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب السلطنة فاجتمع قسيم الدولة آقسنقر وبوزان وأمدهما ركن الدين بركيارق بالامير كربوقا الذي صار بعد صاحب الموصل فلما اجتمعوا ساروا الى طريقه فلقوه عند نهر سبعين قريبا من تل السلطان بينه وبين حلب ستة فراسخ واقتتلوا واشتد القتال فخامر بعض العسكر الذين مع آقسنقر فانهزموا وتبعهم الباقون فتمت الهزيمة وثبت آقسنقر فأخذ أسيرا وأحضر عند تتش فقال له لو ظفرت بي ما كنت صنعت قال كنت أقتلك فقال له أنا أحكم عليك بما كنت تحكم علي فقتله صبرا وسار نحو حلب وكان قد دخل اليها كربوقا وبوزان فحفظاها منه وحصرها تتش ولج في قتالها حتى ملكها سلمها اليه المقيم بقلعة الشريف ومنها دخل البلد وأخذهما أسيرين وأرسل الى حران والرها ليسلمهما من بهما وكانتا لبوزان فامتنعوا من التسليم اليه فقتل بوزان وأرسل رأسه اليهم وتسلم البلدين وأما كربوقا فانه أرسله الى حمص فسجنه بها الى أن أخرجه الملك رضوان بعد قتل أبيه تتش وكان قسيم الدولة أحسن الامراء سياسة لرعيته وحفظا لهم وكانت بلاده بين رخص عام وعدل شامل وأمن واسع وكان قد شرط على أهل كل قرية من بلاده متى أخذ عندهم قفل أو احد من الناس غرم أهلها جميع ما يؤخذ من الاموال من قليل وكثير فكانت السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده ألقوا رحالهم وناموا وحرسهم اهل القرية الى ان يرحلوا فأمنت الطرق وأما وفاؤه وحسن عهده فيكفيه فخرا انه قتل في حفظ بيت صاحبه وولي نعمته فلما ملك تتش حران والرها سار الى الديار الجزرية فملكها جميعها ثم ملك ديار بكر وخلاط وسار الى أذربيجان فملك بلادها كلها ثم سار منها الى همذان فملكها ورأى بها فخر الملك بن نظام الملك وكان بخراسان فسار منها الى السلطان بركيارق ليخدمه فوقع عليه الامير قماج وهو من عسكر محمود بن السلطان ملكشاه باصبهان فنهب فخر الملك فهرب منه ونجا بنفسه فجاء الى همذان فصادفه تتش بها فاراد

المعتضد يوسف بن يعقوب القضاء بمدينة السلام وخلع عليه وانفذه للجانب الشرقي (وفي هذه السنة) وهي سنة ثلاث وثمانين ومائتين قبض المعتضد على أحمد بن الطيب بن مروان السرخسي صاحب يعقوب ابن اسحق الكندي وسلمه الى بدر غلامه ووجه الى داره من قبض على جميع ماله وقرر جواريه على المال حتى استخرجوه فكان جملة ما حصل من العين والورق وثمن الآلات خمسين ومائة ألف دينار وكان ابن الطيب قد ولى الحسبة ببغداد وكان موضعه من الفلسفة لا يجهل وله مصنفات حسان في أنواع من الفلسفة وفنون من الاخبار (وقد تنازع الناس) في كيفية قتله والسبب الذي من أجله كان قتل المعتضد اياه وقد أتينا على ماقيل في ذلك في كتابنا المترجم بالاوسط فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب (وفيها) ورد الخبر بقتل عمرو بن الليث ورافع بن هرثمة (وفي سنة) أربع وثمانين ومائتين أدخل الى بغداد رأس رافع بن هرثمة ثم صلب ساعة من نهار ثم رد الى دار السلطان

(وفي هذه السنة) كان لاهل بغداد ثورة مع

قتله

السلطان اصباحهم بالخدم السودان باعقيق صب ماء واطرح دقيق باعاق يا طويل الساق وذلك أن الخدم في دار السلطان

قتله فشفع فيه باغيسيان وأشار عليه ان يستوزره لميل الناس الى بيته فاستوزره وأرسل الى بغداد يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله وكان شحنته ببغداد ايتكين جب فلازم الخدمة بالديوان وألح في طلبها فأجيب الى ذلك بعد ان سمعوا ان بركيارق قد انهزم من عسكر عمه تتش على ما نذكره

﴿ذكر انهزام بركيارق من عمه تتش وملكه أصبهان بعد ذلك﴾

في هذه السنة في شوال انهزم بركيارق من عسكر عمه تتش وكان بركيارق بنصيبين فلما سمع بمسير عمه الى أذربيجان سار هو من نصيبين وعبر دجلة من بلد من فوق الموصل وسار الى اربل ومنها الى بلد سرخاب بن بدر الى ان بقي بينه وبين عمه تسعة فراسخ ولم يكن معه غير ألف رجل وكان عمه في خمسين ألف رجل فسار الامير يعقوب بن أبق من عسكر عمه فكبسه وهزمه ونهب سواده ولم يبق معه الا برسق وكمشتكين الجاندار واليارق وهم من الامراء الكبار فسار الى أصبهان وكانت خاتون أم أخيه محمود قد ماتت على ما نذكره فمنعه من بها من الدخول اليها ثم أذنوا له خديعة منهم ليقبضوا عليه فلما قاربها اخرج أخوه الملك محمود فلقيه ودخل البلد واحتاطوا عليه فاتفق ان أخاه محمودا حم وجدر فاراد الامراء أن يكحلوا بركيارق فقال لهم أمين الدولة ابن التلميذ الطبيب ان الملك محمودا قد جدر وما كأنه يسلم منه وأراكم تكرهون ان يليكم ويملك البلاد تاج الدولة فلا تعجلوا على بركيارق فان مات محمود أقيموه ملكا وان سلم محمود فانتم تقدرون على كحله فمات محمود سلخ شوال فكان هذا من الفرج بعد الشدة وجلس بركيارق للعزاء بأخيه وكان مولد محمود في صفر سنة ثمانين وأربعمائة وقصده مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره في ذي الحجة وكان أخوه عز الملك بن نظام الملك قد مات لما كان مع بركيارق بالموصل وحمل الى بغداد فدفن بالنظامية وكان أصبح الناس وجها وأحسنهم خلقا وسيرة وكان قد اجرى الناس على ما بايديهم من توقيعات أبيه في الاطلاقات من خاصه منها ببغداد ما ثنا كرغلة وثمانية عشر ألف دينار أميري ثم ان بركيارق جدر بعد أخيه وعوفي وسلم فلما عوفي كاتب مؤيد الملك وزيره الامراء العراقيين والخراسانيين واستمالهم فعادوا كلهم الى بركيارق فعظم شأنه وكثر عسكره

﴿ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر﴾

في هذه السنة في ذي القعدة توفي أمير الجيوش بدر الجمالي صاحب الجيش بمصر وقد جاوز ثمانين سنة وكان هو الحاكم في دولة المستنصر والمرجوع اليه وكان قد استعمله على الشام سنة خمس وخمسين وأربعمائة وجرى بينه وبين الرعية والجند بدمشق ما خاف على نفسه فخرج عنها هاربا وجمع وحشد وقدم الى الشام فاستولى عليه باسره سنة ست وخمسين ثم خالفه أهل دمشق مرة أخرى فهرب منهم سنة ستين وخرب العامة والجند قصر الامارة ثم مضى أمير الجيوش الى مصر وتقدم بها وصار صاحب الامر قال علقمة بن عبد الرزاق العليمي قصدت بدرا الجمالي بمصر فرأيت اشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا اليه قال فبينا أنا كذلك اذ خرج بدر يريد الصيد فخرج علقمة في أثره وأقام الى ان رجع من صيده فلما قاربه وقف على نشز من الارض وأومأ برقعة في يده وأنشأ يقول

نحن التجار وهذه أعلاقنا * در وجود يمينك المبتاع
قلب وفتشها بسمعك انما * هي جوهر يختاره الاسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما * قل النفاق تعطل الصناع

منهم اجتمعوا فكلموا المعتضد بما يلحقهم في الازقة والشوارع والدروب وسائر الطرق من الصغير والكبير من العوام فأمر المعتضد بجماعة من العامة فضربوا بالسياط فتشعب العامة لذلك (وفي هذه السنة) ظهر للمعتضد شخص في صور مختلفة في داره فكان تارة يظهر في صورة راهب ذي لحية بيضاء وعليه لباس الرهبان وتارة يظهر شابا حسن الوجه ذا لحية سوداء بغير تلك البزة وتارة يظهر شيخا أبيض اللحية ببزة التجار وتارة يظهر بيده سيف مسلول وضرب بعض الخدم فقتله فكانت الابواب توخذ وتغلق فيظهر له أين كان في بيت أو صحن أو غيره وكان يظهر له في أعلى الدار التي بناها فأكثر الناس القول في ذلك واستفاض الامر واشتهر في خواص الناس وعوامهم وسارت به الركبان وانتشرت به الاخبار والقول في ذلك على حسب ما كان يقع لكل واحد منهم فمن قائل ان شيطانا مريدا اصمد له يظهر فيؤذيه ومنهم من يقول ان بعض مؤمني الجن رأى ما هو عليه من المنكر وسفك الدماء فظهر له رادعا وعن المنكر زاجرا ومنهم من رأى ان ذلك بعض خدمه كان قد هوى

فاتاك يحملها اليك تجارها * ومطيها الآمال والاطماع

حتى أناخوها ببابك والرجا * من دونك السمسار والبياع

فوهبت مالم يعطه فى دهره * هرم ولا كعب ولا القعقاع

وسبقت هذا الناس فى طلب العلا * فالناس بعدك كلهم أتباع

يابدر أقسم لو بك اعتصم الورى * ولجوا اليك جميعهم ماضاعوا

وكان على يد بدر بازى فالقاه وانفرد عن الجيش وجعل يستزد الابيات وهو ينشدها الى أن استقر فى مجلسه ثم قال لجماعة غلمانه وخاصته من أحبنى فليخلع على هذا الشاعر فخرج من عنده ومعه سبعون بغلا يحمل الخلع والتحف وأمر له بعشرة آلاف درهم فخرج من عنده وفرق كثيرا من ذلك على الشعراء ولما مات بدر قام بما كان اليه ابنه الافضل

﴿ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلى﴾

فى هذه السنة ثامن عشر ذى الحجة توفى المستنصر بالله أبو تميم معد بن أبى الحسن على الظاهر لاعزاز دين الله العلوى صاحب مصر والشام وكانت خلافته ستين سنة وأربعة أشهر وكان عمره سبعا وستين سنة وهو الذى خطب له البساسيرى ببغداد وقد ذكرنا ذلك وكان الحسن بن الصباح رئيس هذه الطائفة الاسماعيلية قد قصده فى زى تاجر واجتمع به وخاطبه فى اقامة الدعوة له ببلاد العجم فعاد ودعا الناس اليه سرا ثم أظهرها وملك القلاع كما ذكرناه وقال للمستنصر من امامى بعدك فقال ابنى نزار وهو أكبر أولاده والاسماعيلية الى يومنا هذا يقولون بامامة نزار ولقى المستنصر شدائد واهوالا وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر أخرج فيها أمواله وذخائره الى أن بقى لا يملك غير سجادته التى يجلس عليها وهو مع هذا صابر غير خاشع وقد أتينا على ذكر هذا سنة سبع وستين وأربعمائة وغيرها ولما مات ولى بعده ابنه أبو القاسم أحمد المستعلى بالله ومولده فى المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة وكان قد عهد فى حياته بالخلافة لابنه نزار فخلعه الافضل وبايع المستعلى بالله وسبب خلعه أن الافضل ركب مرة أيام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكبا ونزار خارج والمجاز مظلم فلم يره الافضل فصاح به نزار انزل يا أرمنى كلب عن الفرس ما أقل أدبك فحقدها عليه فلما مات المستنصر خلعه خوفا منه على نفسه وبايع المستعلى فهرب نزار الى الاسكندرية وبها ناصر الدولة افتكين فبايعه أهل الاسكندرية وسموه المصطفى لدين الله فخطب الناس ولعن الافضل وأعانه أيضا القاضى جلال الدولة بن عمار قاضى الاسكندرية فسار اليه الافضل وحاصره بالاسكندرية فعاد عنه مقهورا ثم ازداد عسكرا وسار اليه فحصره وأخذه وأخذ افتكين فقتله وتسلم المستعلى نزارا فبنى عليه حائطا فمات وقتل القاضى جلال الدولة بن عمار ومن أعانه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ربيع الآخر رأى بعض اليهود بالغرب رؤيا بانهم سيطيرون فاخبر اليهود بذلك فوهبوا أموالهم وذخائرهم وجعلوا ينتظرون الطيران فلم يطيروا وصاروا ضحكة بين الامم وفى هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة بطول مكثها الا انها لم يكن الهدم كثيرا وفيها كانت الفتنة بين أهل نهر طابق وأهل باب الارجاء فاحترقت نهر طابق وصارت تلولا فلما احترقت عبر بن صاحب الشرطة فقتل رجلا مستورا فنفر الناس منه وعزل فى اليوم الثالث وفيها توفى محمد بن أبى هاشم الحسينى أمير مكة وقد جاوز سبعين سنة ولم يكن له ما يمدح به وكان قد نهب بعض

الحجاج

بعض جواريه فاحتال بحيلة فلسفية من بعض العقاقير الخاصة فيضعها فى فيه فلا يدرك بحاسة البصر وكل ذلك ظن وحسبان فاحضر المعتضد المعزمين واشتد قلقه واستوحش وجار عليه أمره فقتل وغرق جماعة من خدمه وجواريه وضرب وحبس جماعة منهم وقد أتينا على الخبر فى ذلك وما حكى عن افلاطون فى هذا المعنى وعلى خبر شغب أم المقتدر بالله والسبب الذى من أجله حبسها المعتضد واراد قطع أنفها والتشويه بها فى كتابنا أخبار الزمان (وفى هذه السنة) ورد الخبر بقتل أبى الليث الحرث بن عبد العزيز بن أبى دلف بسيفه لنفسه فى الحرب وذلك أن سيفه كان على عاتقه مشهرا فكبا به فرسه فذبحه سيفه فأخذ عيسى النوشرى رأسه وأنفذه الى بغداد (وفى سنة خمس وثمانين ومائتين وقع صالح بن مدرك الطائى فى نبهان وسنبس وغيرهم من طيئ بالحاج وعلى الحاج يحيى الكبير وكانت ليحيى مع صالح ومن معه من الطالبيين حرب عظيمة فى الموضع المعروف بقاع الاجفر وتشوش الحاج وأخذهم السيف فمات عطشا وقتلا خلائق من الحاج وأصاب يحيى ضربات كثيرة وكانت العرب ترتجز فى ذلك اليوم وتقول ما ان رأى الناس كيوم الاجفر * الناس صرعى والقبور تحفر وأخذ من الناس نحو من ألفى ألف دينار وفى هذه السنة وهى سنة خمس وثمانين ومائتين

الحجاج سنة ست وثمانين وقتل منهم خلقا كثيرا وفيها فى ربيع الاول قتل السلطان بركيارق عمه تكش وغرقه وقتل ولده معه وكان ملكشاه قد أخذه لما خرج عليه وكحله وحبسه بقلعة تكريت فلما ملك بركيارق أحضره اليه ببغداد وسار بمسيره فظفر بملطفات اليه من أخيه تتش يحثه على اللحاق به وقيل انه أراد المسير الى بلخ لان أهلها كانوا يريدونه فقتله فلما غرق بقى بسر من رأى ثم حمل الى بغداد فدفن عند قبر أبى حنيفة وفيها فى جمادى الآخرة كانت وقعة بين الاميرانز وتورانشاه بن قاورت بك وكانت تركان خاتون الجلالية والدة محمود بن ملكشاه قد أرسلته فى عسكر ليأخذ بلاد فارس من تورانشاه ولم يحسن الاميرانز تدبير بلاد فارس فاستوحش منه الاجناد واجتمعوا مع تورانشاه وهزموا انز ومات تورانشاه بعد الكسرة بشهر من سهم أصابه فيها وفيها استولى أصبهبذ بن ساوتكين على مكة حرسها الله عنوة وهرب منها الامير قاسم بن أبى هاشم العلوى صاحبها وأقام بها الى شوال وجمع الامير قاسم وكبسه بعسفان وجرى بينهما حرب فى شوال من هذه السنة فانهزم أصبهبذ ودخل قاسم الى مكة ومضى أصبهبذ الى الشام وقدم الى بغداد وفيها فى رجب أحرق شحنة بغداد وهو ايلكتين جب باب البصرة وسبب ذلك أن النقيب طراد الزينبى كان له كاتب يعرف بابن سنان فقتل فانفذ النقيب الى الشحنة يستدعى منه من يقيم السياسة فانفذ حاجبه محمدا فرجمه أهل باب البصرة وادموه فرجع الى صاحبه فشكا اليه منهم فأمر أتباعه بقصدهم ومعاقبتهم على فعلهم فسار اليهم فى جماعة كثيرة وتبعهم أهل الكرخ فاحرقوا ونهبوا فارسل الخليفة الى الشحنة يأمره بالكف عنهم فكف وفيها فى رمضان توفيت تركان خاتون الجلالية باصبهان وهى ابنة طفغاج خان وهو من نسل فراسياب التركى وكانت قد برزت من أصبهان لتسير الى تاج الدولة تتش لتتصل به فمرضت وعادت وماتت وأوصت الى الامير أنر والى الامير سرمز شحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقى بيدها سوى قصبة أصبهان ومعها عشرة آلاف فارس اتراك وفيها فى ذى القعدة توفى أبو الحسين بن الموصلايا كاتب ديوان الزمام ببغداد

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة﴾

﴿ذكر دخول جمع من الترك افريقية وما كان منهم﴾

فى هذه السنة غدر شاهملك التركى بيحيى بن تميم بن المعز بن باديس وقبض عليه وكان هذا شاهملك من أولاد بعض الامراء الاتراك ببلاد الشرق فناله فى بلده أمر اقتضى خروجه منه فسار الى مصر فى مائة فارس فأكرمه الافضل أمير الجيوش وأعطاه اقطاعا ومالا ثم بلغه عنه أسباب أوجبت اخراجه من مصر فخرج هو وأصحابه هاربين فاحتالوا حتى أخذوا سلاحا وخيلا وتوجهوا الى المغرب فوصلوا الى طرابلس الغرب وأهل البلد كارهون لواليها فادخلوهم البلد وأخرجوا الوالى وصار شاهملك أمير البلد فسمع تميم الخبر فارسل العساكر اليها فحصروها وضيقوا على الترك فنقضوها ووصل شاهملك معهم الى المهدية فسر به تميم وبمن معه وقال ولد لى مائة ولد انتفع بهم وكانوا لا يخطئ لهم سهم فلم تطل الايام حتى جرى منهم أمر غير تميما عليهم فعلم شاهملك ذلك وكان داهيا خبيثا فخرج يحيى بن تميم الى الصيد فى جماعة من أعيان أصحابه نحو مائة فارس ومعه شاهملك وكان أبوه تميم قد تقدم اليه أن لا يقرب شاهملك فلم يقبل فلما أبعدوا فى طلب الصيد غدر به شاهملك فقبض عليه وسار به وبمن أخذ معه من أصحابه الى مدينة سفاقس وبلغ الخبر تميما فركب وسير العساكر فى أثرهم فلم يدركوهم ووصل شاهملك بيحيى بن تميم الى سفاقس

كانت وفاة أبى اسحق ابراهيم بن محمد الفقيه المحدث فى الجانب الغربى وله خمس وثمانون سنة وكانت يوم الاثنين لسبع بقين من ذى الحجة ودفن مما يلى باب الانبار وشارع الكبش والاسد وكان صدوقا عالما فصيحا جوادا عفيفا وكان زاهدا عابدا ناسكا وكان مع ما وصفنا من زهده وعبادته ضاحك السن ظريف الطبع سلس القياد ولم يكن معه تجبر ولا تكبر وربما مزح مع أصدقائه بما استحسن منه ويستقبح مع غيره وكان شيخ البغداديين فى وقته وظريفهم وناسكهم وزاهدهم ومسندهم فى الحديث وكان يتفقه لاهل العراق وكان له مجلس يوم الجمعة فى المسجد الجامع الغربى (وأخبرنا) أبو اسحق ابن جابر قال كنت أجلس يوم الجمعة فى حلقة ابراهيم الحربى وكان يجلس الينا غلامان فى نهاية الحسن والجمال من الصورة والبزة من أبناء التجار من الكرخيين وبينهما واحدة كأنهما روحان فى جسدان ان قاما قاما معا وان قعدا قعدا معا فلما كان فى بعض الجمع حضر أحدهما وقد بان الاصفرار بوجهه والانكسار فى عينيه فتوسمت أن غيبة الآخر لعلة قد لحق الحاضر من أجل ذلك الانكسار فلما كان الجمعة الثانية حضر الغائب ولم يحضر الذى كان

فركب صاحبها واسمه حمو وكان قد خالف على تميم ولقى يحيى ومشى فى ركابه راجلا وقبل يده وعظمه واعترف له بالعبودية فاقام عنده أياما ولم يذكره أبوه بكلمة وكان قد جعله ولى عهده فلما أخذ أقام أبوه مقامه ابناله آخر اسمه مثنى ثم ان صاحب سفاقس خاف يحيى على نفسه ان يثور معه الجند وأهل البلد ويملكوه عليهم فارسل الى تميم كتابا يسأله فى انفاذ الاتراك وأولادهم اليه ليرسل ابنه يحيى ففعل ذلك بعد امتناع وقدم يحيى فحجبه أبوه عنه مدة ثم أعاده الى حاله ورضى عنه ثم جهز تميم عسكرا الى سفاقس ويحيى معهم فساروا اليها وحصروها براو بحرا وضيقوا على الاتراك بها وأقاموا عليها شهرين واستولوا عليها وفارقها الاتراك الى قابس وكان تميم لما رضى عن ابنه يحيى عظم ذلك على ابنه الآخر المثنى وداخله الحسد فلم يملك نفسه فنقل عنه الى أبيه ما غير قلبه عليه فامر باخراجه من المهدية باهله وأصحابه فركب فى البحر ومضى الى سفاقس فلم يمكنه عاملها من الدخول اليها وقصد مدينة قابس وبها أمير يقال له مكين بن كامل الدهمانى فانزله وأكرمه فحسن له مثنى الخروج معه الى سفاقس والمهدية وأطمعه فيهما وضمن الانفاق على الجند من ماله فجمع مكين من يمكنه جمعه وسار الى سفاقس ومعهما شاهملك التركى وأصحابه فنزلوا على سفاقس وقاتلوها وسمع تميم فجرد اليها جندا فلما علم المثنى ومن معه انهم لا طاقة لهم بها ساروا عنها الى المهدية فنزلوا عليها وقاتلوها وكان الذى يتولى القتال من المهدية يحيى بن تميم وظهرت منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير فلم يبلغ أولئك منها غرضا فعادوا خائبين وقد تلف ما كان مع المثنى من مال وغيره وعظم أمر يحيى وصار هو المشار اليه

﴿ ذكر قتل أحمد خان صاحب سمرقند ﴾

فى هذه السنة فى المحرم قتل أحمد خان صاحب سمرقند وكان قد كرهه عسكره واتهموه بفساد الاعتقاد وقالوا هو زنديق وكان سبب ذلك ان السلطان ملكشاه لما فتح سمرقند وأسر هذا أحمد خان قد وكل به جماعة من الديلم فحسنوا له معتقدهم وأخرجوه الى الاباحة فلما عاد الى سمرقند كان يظهر منه أشياء تدل على انحلاله من الدين فلما كرهه أصحابه وعزموا على قتله قالوا المستحفظ قلعة كاسان وهو طغرل ينال بك ليظهر العصيان ليسير أحمد خان معهم من سمرقند الى قتاله فيتمكنوا من قتله فعصى طغرل ينال بك فسار أحمد خان والعسكر الى قتاله فلما نازل القلعة تمكن العسكر منه وقبضوا عليه وعادوا الى سمرقند واحضروا القضاة والفقهاء وأقاموا خصوما ادعوا عليه الزندقة فجحد فشهد عليه جماعة بذلك فافتى الفقهاء بقتله فخنقوه وأجلسوا ابن عمه مسعودا مكانه وأطاعوه

﴿ ذكر ما فعله يوسف بن أبق ببغداد ﴾

فى هذه السنة فى صفر سير الملك تتش يوسف بن أبق التركمانى شحنة لبغداد ومعه جمع من التركمان فمنع من دخول بغداد وورد اليه صدقة بن مزيد صاحب الحلة وكان يكره تتش ولم يخطب له فى بلاده فلما سمع ابن أبق بوصوله عاد الى طريق خراسان ونهب باجسرا وقاتله العسكر بيعقوبا فهزمهم ونهبهم الفحش نهب وأكثر معه من التركمان وعاد الى بغداد وكان صدقة قد رجع الى الحلة فدخل يوسف بن أبق الى بغداد وأراد نهبها والايقاع باهلها فمنعه أمير كان معه من ذلك ثم وصل اليه الخبر بقتل تتش فرحل عن بغداد الى الموصل وسار من هناك الى حلب

﴿ ذكر الحرب بين بركيارق وتتش وقتل تتش ﴾

فى هذه السنة فى صفر قتل تتش بن الب ارسلان وكان سبب ذلك انه لما هزم السلطان بركيارق

لهما فلم يزالا يتسابقان فى كل جمعة الى الحلقة فأيهما سبق صاحبه الى الحلقة لم يجلس الآخر فصح عندى ما كان تقدم فى نفسى جواز كونه فلما كان فى بعض الجمع حضر أحدهما فجلس الينا وجاء الآخر فاشرف على الحلقة فاذا صاحبه قد سبق واذا المسبوق المطلع على الحلقة قد خنقته العبرة فتبينت ذلك فى جماليق عينيه واذا فى يسراه رقاع صغار مكتوبة فقبض بيمينه رقعة من تلك الرقاع وحذف بها فى وسط الحلقة وانساب بين الناس مارا مستحيا وأنا أرمقه ببصرى وكذلك جماعة ممن كان جالسا فى الحلقة وكان الى جانبى على اليمين أبو عبد الله على بن الحسين بن جويرية وذلك فى عنفوان الشباب وأوان الحداثة فوقعت الرقعة بين يدى ابراهيم الحربى فقبض عليها ونشرها وقرأها وكان من شأنه فعل ذلك اذا وقعت فى يده رقعة فيها دعاء أن يدعو لصاحبها مريضا كان أو غير ذلك ويؤمن على دعائه من حضر فلما قرأ الرقعة أقبل يتأمل ما فيها تأملا شافيا لانه رأى ملقيها ثم قال اللهم اجمع بينهما وألف بين قلوبهما واجعل ذلك مما يقرب منك ويزلف لديك وأمنوا على دعائه كما جرت العادة منهم بفعله ثم أدرج الرقعة كما

كما ذكرناه سار من موضع الوقعة الى همذان وقد تحصن بها أمير آخر فرحل تتش عنها فتبعه أمير آخر لاجل اثقاله فعاد عليه تتش فكسره فعاد الى همذان واستأمن اليه وصار معه وبلغ تتش مرض بركيارق فسار الى أصبهان فاستأذنه أمير آخر فى قصد جرباذقان لاقامة الضيافة وما يحتاج اليه فاذن له فسار اليها ومنها الى أصبهان وعرفهم خبر تتش وعلم تتش خبره فنهب جرباذقان وسار الى الرى وأرسل الامراء الذين باصبهان يدعوهم الى طاعته ويبذل لهم البذول الكثيرة وكان بركيارق مريضا بالجدرى فاجابوه يعدونه بالانحياز اليه وهم ينتظرون ما يكون من بركيارق فلما عوفى أرسلوا الى تتش ليس بيننا غير السيف وسار وامع بركيارق من أصبهان وهم فى نفر يسير فلما بلغوا جرباذقان أقبلت اليهم العساكر من كل مكان حتى صاروا فى ثلاثين ألفا فالتقوا بموضع قريب من الرى فانهزم عسكر تتش وثبت هو فقتل قيل قتله بعض أصحاب آقسنقر صاحب حلب أخذا بثار صاحبه وكان قد قبض على فخر الملك بن نظام الملك وهو معه فاطلق واستقام الامر والسلطنة لبركيارق واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه بالامس ينهزم من عمه تتش ويصل الى أصبهان فى نفر يسير فلا يتبعه أحد ولو تبعه عشرون فارسا لاخذوه لانه بقى على باب اصبهان عدة أيام ثم لما دخلها أراد الامراء كحله فاتفق ان أخاه محمود ثانى يوم وصوله وجدر فمات فقام فى الملك مقامه ثم جدر هو وأصابه معه سرسام فعوفى وبقى مذ كسره عمه الى ان عوفى وسار عن اصبهان أربعة أشهر لم يتحرك عمه ولا عمل شيأ ولو قصده وهو مريض أو وقت مرض أخيه الملك البلاد ولله سر فى علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان

﴿ ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهما ﴾

كان تاج الدولة تتش قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان وكتب اليه من بلد الجبل قبل المصاف الذى قتل فيه يأمره ان يسير الى العراق ويقيم بدار المملكة فسار فى عدد كثير منهم ايلغازى بن ارتق وكان قد سار الى تتش فتركه عند ابنه رضوان ومنهم الامير وثاب بن محمود بن صالح بن مرداس وغيرهما فلما قارب هيت بلغه قتل أبيه فعاد الى حلب ومعه والدته فملكها وكان بها أبو القاسم الحسن بن على الخوارزمى قد سلمها اليه تتش وحكمه فى البلد والقلعة ولحق برضوان زوج أمه جناح الدولة الحسين بن ايتكين وكان مع تتش فسلم من المعركة وكان مع رضوان أيضا أخواه الصغيران أبو طالب وبهرام وكانوا كلهم مع أبى القاسم كالاضياف لتحكمه فى البلد واستمال جناح الدولة المغاربة وكانوا أكثر جند القلعة فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبى القاسم وأرسل اليه رضوان يطيب قلبه فاعتذر فقبل عذره وخطب لرضوان على منابر حلب وأعمالها ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لابيه بعد قتله نحو شهرين وسار جناح الدولة فى تدبير المملكة سيرة حسنة وخالف عليهم الامير باغيسيان بن محمد بن الب التركمانى صاحب انطاكية ثم صالحهم وأشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر لخلوها من وال يحفظها فساروا جميعا وقدم عليهم أمراء الاطراف الذين كان تتش رتبهم فيها وقصدوا سروج فسبقهم اليها الامير سقمان بن ارتق جد أصحاب الحصن اليوم وأخذها ومنعهم عنها وأمر أهل البلد فخرجوا الى رضوان وتظلموا اليه من عساكره وما يفسدون من غلاتهم ويسألونه الرحيل فرحل عنهم الى الرها وكان بها رجل من الروم يقال له الفارقليط وكان يضمن البلد من بوزان فقاتل المسلمين بمن معه واحتمى بالقلعة وشاهدوا من شجاعته ما كانوا لا يظنونه ثم ملكها رضوان وطلب باغيسيان القلعة من رضوان فوهبها له فتسلمها وحصنها ورتب رجالها وأرسل اليهم أهل

عفا الله عن عبد أعان بدعوة لخلين كانا دائمين على الود الى أن وشى واشى الهوى بنميمة الى ذاك من هذا فحالا عن العهد فكانت الرقعة معى فلما كانت الجمعة الثانية حضرا معا واذا الاصفرار والانكسار قد زال فقلت لابى جويرية انى لارى الدعوة قد سبقت لهما بالاجابة من الله تعالى وان دعاء الشيخ كان على التمام ان شاء الله تعالى فلما كان فى تلك السنة كنت ممن حج فكانى أنظر اليهما بين منى وعرفات محرمين جميعا فلم أزل أراهما متألفين الى أن كهلا وأرى أنهما فى صف أصحاب الديباج فى الكرخ أو غيره من الصفوف (قال المسعودى) وهذا الخبر سمعته من ابراهيم بن جابر القاضى قبل ولايته القضاء وهو يومئذ ببغداد يعالج الفقر ويتلقاه من خالقه بالرضا ناصرا للفقر على الغنى فما مضت أيام حتى لقيته بحلب من بلاد قنسرين والعواصم من أرض الشام وذلك فى سنة تسع وثلثمائة واذا هو بالضد عما عهدته متوليا القضاء على ما وصفنا ناصرا ومشرفا للغنى على الفقر فقلت له أيها القاضى تلك الحكاية التى كنت تحكيها عن الوالى الذى كان بالرى وأنه قال للذان الخواطر اعترضتنى بين منازل

حران يطلبونهم ليسلموا اليهم حران فسمع ذلك قراجة أميرها فاتهم ابن المفتي وكان هذا ابن المفتي قد اعتمد عليه تتش في حفظ البلد فاخذه وأخذ معه بني أخيه فصلبهم ووصل الخبر الى رضوان وقد اختلف جناح الدولة وباغيسيان وأضمر كل واحد منهما الغدر بصاحبه فهرب جناح الدولة الى حلب فدخلها واجتمع بزوجته أم الملك رضوان وسار رضوان وباغيسيان فعبر الفرات الى حلب فسمعوا بدخول جناح الدولة اليها ففارق باغيسيان الملك رضوان وسار الى انطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي وسار رضوان الى حلب وأما دقاق بن تتش فانه كان قد سيره أبوه الى عمه السلطان ملكشاه ببغداد وخطب له ابنة السلطان وسار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلالية وابنها محمود الى أصبهان وخرج الى السلطان بركيارق سرا وصار معه ثم لحق بابيه وحضر معه الوقعة التي قتل فيها فلما قتل أبوه أخذه غلام لابيه اسمه ايتكين الحلبي وسار به الى حلب وأقام عند أخيه الملك رضوان فراسله الامير ساوتكين الخادم الوالي بقلعة دمشق سرا يدعوه ليملكه دمشق فهرب من حلب سرا وجد في السير فارسل أخوه رضوان عدة من الخيالة فلم يدركوه فلما وصل الى دمشق فرح به الخادم وأظهر الاستبشار والقيه فلما دخلها أرسل اليه باغيسيان يشير عليه بالتفرد بملك دمشق عن أخيه رضوان واتفق وصول معتمد الدولة طغدكين الى دمشق ومعه جماعة من خواص تتش وعسكره وقد سلموا فانه كان قد شهد الحرب مع صاحبه وأسر فبقي الى الآن وخلص من الاسر فلما وصل الى دمشق لقيه الملك دقاق وأرباب دولته وبالغوا في اكرامه وكان زوج والدة دقاق فمال اليه لذلك وحكمه في بلاده وعملوا على قتل الخادم ساوتكين فقتلوه وسار اليهم باغيسيان من انطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي فجعله وزير الدقاق وحكمه في دولته

﴿ذكر وفاة المعتمد بن عباد﴾

في هذه السنة توفي المعتمد بن عباد الذي كان صاحب الاندلس مسجونا باغمات من بلد المغرب وقد ذكرنا كيف أخذت بلاده منه سنة أربع وثمانين وأربعمائة فبقي مسجونا الى الآن وتوفي وكان من محاسن الدنيا كرما وعلما وشجاعة ورياسة تامة وأخباره مشهورة وآثاره مدونة وله أشعار حسنة فنها ما قاله لما أخذ ملكه وحبس

سلت علي يد الخطوب سيوفها * فجذذن من جسدي الخصيف الامتنا

ضربت بها أيدي الخطوب وانما * ضربت رقاب الآملين بها المنا

يا آملي العادات من نفحاتنا * كفوا فان الدهر كف أكفنا

وله من قصيدة يصف القيد في رجله

تعطف في ساقي تعطف أرقم * يساورها عضا بانياب ضيغم

واني من كان الرجال بسيبه * ومن سيفه في جنة وجهنم

﴿وقال في يوم عيد﴾

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فصرت كالعبد في اغمات ماسورا

قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا

من بات بعدك في ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مسرورا

وكان شاعره أبو بكر بن اللبانة يأتيه وهو مسجون فيمدحه لا لجدوى ينالها منه بل رعاية لحقه

الفقراء والاغنياء فرأيت في النوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال لي يا فلان ما أحسن تواضع الاغنياء للفقراء شكرا لله تعالى وأحسن من ذلك تعزز الفقراء على الاغنياء ثقة بالله تعالى فقال لي ان الخلق تحت التدبير لا ينفكون من أحكامه في جميع متصرفاتهم وكنت كثيرا ما أسمعه فيما وصفنا من حال فقره يذم ذوي الحرص على الدنيا ويذكر في ذلك خبرا عن علي كرم الله وجهه وهو أن عليا عليه السلام كان يقول ابن آدم لا تحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه فانه ان يكن من أجلك يأت الله فيه برزقك واعلم أنك لن تكتسب شيأ فوق قوتك الا كنت خازنا فيه لغيرك فركب بعد ذلك الهماليج من الخيل (ولقد أخبرت) أنه قطع لزوجته أربعين ثوبا تستريا وقصبا وأشباه ذلك من الثياب على مقراض واحد وخلف مالا عظيما لغيره (وفي هذه) السنة وهي سنة خمس وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي العباس محمد ابن يزيد النحوي المعروف بالمبرد ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة وله تسع وسبعون سنة ودفن بمقابر باب الكوفة من الجانب الغربي بمدينة السلام (وفي سنة) ست وثمانين ومائتين مات محمد بن يونس الكوفي المحدث ويكنى بابي العباس يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة وله مائة سنة وست

واحسانه

واحسانه القديم اليه فلما توفي أتاه فوقف على قبره يوم عيد والناس عند قبور أهليهم وأنشد بصوت عال

ملك الملوك أسامع فانادي * أم قد عداك عن الجواب عوادي

لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت في الاعياد

فثلت في هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد

وأخذ في اتمام القصيدة فاجتمع الناس كلهم عليه يبكون ولو أخذنا في تفصيل مناقبه ومحاسنه لطال الامر فلنقف عند هذا

﴿ذكر وفاة الوزير أبي شجاع﴾

في هذه السنة توفي الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله وزير الخليفة في جمادى الآخرة وأصله من روذراور وولد بالاهواز وقرأ الفقه على الشيخ أبي اسحق الشيرازي وكان عالما بالعربية وله تصانيف منها ذيل تجارب الامم وكان عفيفا عادلا حسن السيرة كثيرة الخير والمعروف وكان موته بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مجاورا فيها ولما حضره الموت أمر فحمل الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فوقف بالحضرة وبكى وقال يا رسول الله قال الله عز وجل ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئت معترفا بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك وبكى فاكثر وتوفي من يومه ودفن عند قبر ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ذكر الفتنة بنيسابور﴾

في هذه السنة في ذي الحجة جمع أمير كبير من أمراء خراسان جمعا كثيرا وسار بهم الى نيسابور فحصرها فاجتمع أهلها وقاتلوه أشد قتال ولازم حصارهم نحو أربعين يوما فلما لم يجد له مطمعا فيها سار عنها في المحرم سنة تسع وثمانين فلما فارقها وقعت الفتنة بها بين الكرامية وسائر الطوائف من أهلها فقتل بينهم قتلى كثيرة وكان مقدم الشافعية أبا القاسم بن امام الحرمين أبي المعالي الجويني ومقدم الحنفية القاضي محمد بن أحمد بن صاعد وهما متفقان على الكرامية ومقدم الكرامية محمشاد فكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرامية فخربت مدارسهم وقتل كثير منهم ومن غيرهم وكانت فتنة عظيمة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر شرع الخليفة في عمل سور على الحريم وأذن الوزير عميد الدولة ابن جهير للعامة في التفرج والعمل فزينوا البلد وعملوا القباب وجدوا في عمارته وفيها في شهر رمضان جرح السلطان بركيارق جرحه انسان سترى له من أهل سجستان في عضده ثم أخذ الرجل وأعانه رجلان أيضا من أهل سجستان فلما ضرب الرجل الجارح اعترف ان هذين الرجلين وضعاه واعترفا بذلك فضربا الضرب الشديد ليقرا على من أمرهما بذلك فلم يقرا فقربا الى الفيل ليجعلا تحت قوائمه وقدم أحدهما فقال اتركوني وأنا أعرفكم فتركوه فقال لصاحبه يا أخي لا بد من هذه القتلة فلا تفضح أهل سجستان بافشاء الاسرار فقتلا وفيها توجه الامام أبو حامد الغزالي الى الشام وزار القدس وترك التدريس في النظامية واستناب أخاه وتزهد ولبس الخشن وأكل الدون وفي هذه السفرة صنف احياء علوم الدين وسمعه منه الخلق الكثير بدمشق وعاد الى بغداد بعد ما حج في السنة التالية وسار الى خراسان وفيها في ربيع الاول خطب لولي العهد أبي الفضل منصور بن المستظهر بالله وفيها عزل بركيارق وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك

...نين ودفن بمقابر الكوفة من الجانب الغربي وكان عالي الاسناد (وفي هذه السنة) كان الفزع من أبي سعيد الجنابي بالبصرة ومن معه بالبحرين خوفا من أن يكبسها وكتب الواثق وهو أحمد بن محمد وكان على حربها الى المعتضد بذلك فاطلق لسورها أربعة عشر ألف دينار فبنيت وحصنت (وفي هذه السنة) ظفر أبو الاغر خليفة بن المبارك السلمي بصالح بن مدرك الطائي بناحية فيد مكرا في ذهابهم الى مكة وقد كانت الاعراب جمعت لابي الاغر ليستنقذوا صالحا من يده فواقعهم وقتل رئيسهم جحش بن دبال وجماعة معه وأخذ رأسه فلما علم صالح بن مدرك بقتل جحش بن دبال يئس من الخلاص من يد أبي الاغر فلما نزل المنزل المعروف بمنزلة القرشي أتاهم غلام بطعام فاستلب منه سكينا وقتل نفسه فاخذ أبو الاغر رأسه وأظهره بالمدينة فتباشر الحاج وكانت لابي الاغر في رجوعه وقعة عظيمة اجتمع هو ونحرير وغيرهما من أمراء قوافل الحاج مع الاعراب وكانت الاعراب قد اجتمعت وتحشدت من طيء وأحلافها فكانت رجالتها نحوا من ثلاثة آلاف راجل والخيل نحوا من ذلك فكانت الحرب بينهم ثلاثا وذلك بين معدان القرشي والحاجر ثم انهزمت الاعراب وسلم الناس وكان ممن تولى مع أبي الاغر الحيلة على صالح بن مدرك سعيد بن عبد الاعلى (ودخل) أبو الاغر مدينة السلام

واستوزر أخاه فخر الملك وسبب ذلك ان بركيارق لما هزم عمه تتش وقتله أرسل خادما ليحضر والدته زبيدة خاتون من اصبهان فاتفق مؤيد الملك مع جماعة من الامراء وأشار واعليه بتركها فقال لا أريد الملك الا لها وبوجودها عندى فلما وصلت اليه وعلمت الحال تنكرت على مؤيد الملك وكان مجد الملك أبو الفضل البلاسانى قد صحبها فى طريقها وعلم انه لا يتم له أمر مع مؤيد الملك وكان بين مؤيد الملك وأخيه فخر الملك متباعد بسبب جواهر خلفها أبوهم نظام الملك فلما علم فخر الملك تنكر السلطان على أخيه مؤيد الملك أرسل وبذل أموالا جزيلة فى الوزارة فأجيب الى ذلك وعزل أخوه وولى هو وفى هذه السنة فى جمادى الاولى توفى أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمى الفقيه الحنبلى وكان عارفا بعدة علوم وكان قريبا من السلاطين وفيها فى رجب توفى أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون المعروف بابن الباقلانى وهو مشهور ومولده سنة ست وأربعمائة وفيها فى شعبان توفى قاضى القضاة أبو بكر محمد بن المظفر الشامى وكان من أصحاب أبى الطيب الطبرى ولم يأخذ على القضاء اجرا وأقر الحق مقره ولم يحاب أحدا من خلق الله ادعى عنده بعض الاتراك على رجل شيأ فقال ألك بينة قال نعم فلان والمشطب الفقيه الفرغانى فقال لا أقبل شهادة المشطب لانه يلبس الحرير فقال التركى فالسلطان ونظام الملك يلبسان الحرير فقال لو شهدا عندى على باقة بقل لم أقبل شهادتهما وولى القضاء بعده أبو الحسن على بن قاضى القضاة أبى عبد الله محمد الدامغانى وفيها مات القاضى أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزوينى ومولده سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان مغاليا فى الاعتزال وقيل كان زيدى المذهب وفيها توفى القاضى أبو بكر بن الرطبى قاضى دجيل وكان شافعى المذهب وولى بعده أخوه أبو العباس أحمد ابن الحسن بن أحمد أبو الفضل الحداد الاصفهانى صاحب أبى نعيم الحافظ روى عنه حلية الاولياء وهو أكبر من أخيه أبى المعالى وأبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الحميدى الاندلسى ولد قبل العشرين وأربعمائة وسمع الحديث ببلده ومصر والحجاز والعراق وهو مصنف الجمع بين الصحيحين وكان ثقة فاضلا وتوفى فى ذى الحجة ووقف كتبه فانتفع بها الناس

﴿ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل يوسف بن أبق والمجن الحلبى﴾

فى هذه السنة فى المحرم قتل يوسف بن أبق الذى ذكرنا أنه سيره تاج الدولة تتش الى بغداد ونهب سوادها وكان سبب قتله انه كان بحلب بعد قتل تاج الدولة وكان بحلب انسان يقال له المجن وهو رئيس الاحداث بها وله أتباع كثير فحضر عند جناح الدولة حسين وقال له ان يوسف بن أبق يكاتب باغيسيان وهو على عزم الفساد واستأذنه فى قتله فاذن له وطلب ان يعينه بجماعة من الاجناد ففعل ذلك فقصد المجن الدار التى بها يوسف فكبسها من الباب والسطح وأخذ يوسف فقتله ونهب كل ما فى داره وبقى بحلب حاكما فحدثته نفسه بالتفرد بالحكم عن الملك رضوان فقال لجناح الدولة ان الملك رضوان أمرنى بقتلك فخذ لنفسك فهرب جناح الدولة الى حمص وكانت له فلما انفرد المجن بالحكم تغير عليه رضوان وأراد منه ان يفارق البلد فلم يفعل وركب فى أصحابه فلو همّ بالمحاربة لفعل ثم أمر أصحابه ان ينهبوا ماله وأثاثه ودوابه ففعلوا ذلك واختفى فطلب فوجد بعد ثلاثة أيام فأخذ وعوقب وعذب ثم قتل هو وأولاده وكان من السواد يشق الخشب ثم بلغ هذه الحالة

﴿ذكر وفاة منصور بن مروان﴾

وقدامه رأس صالح وبحش ورأس غلام لصالح أسود وأربعة أسارى وهم بنو عم صالح بن مدرك فخلع السلطان فى ذلك اليوم على أبى الاغر وطوقه بطوق من ذهب ونصب الرؤس على الجسر من الجانب الغربى وأدخل الاسارى المطبق (وفى هذه) السنة مات اسحق بن أيوب العبدى وكان على حرب ديار ربيعة (وفيها) شخص العباس بن عمرو الغنوى الى البصرة لحرب القرامطة بالبحرين (وفى هذه السنة) كانت الحرب بين اسمعيل ابن أحمد وعمرو بن الليث صاحب بلخ فأسر عمرو وقد أتينا على كيفية أسره فى الكتاب الاوسط (وفى سنة) سبع وثمانين ومائتين كان خروج العباس بن عمرو من البصرة فى جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجر فالتقى هو وأبو سعيد الجبائى فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب العباس وأسر وقتل من أصحابه نحو سبعمائة صبرا دون من هلك من الرمل والعطش فأحرقت الشمس أجسادهم ثم ان أبا سعيد من على العباس بن عمرو بعد ذلك فأطلقه فصار الى المعتضد فخلع عليه وبعد هذه الوقعة افتتح أبو سعيد مدينة هجر بعد حصار طويل وقد أتينا على مبسوط هذه الحروب والسبب الذى كان من أجله تخلية أبى سعيد العباس بن عمرو الغنوى مع من بالبحرين من قومه وعصبتهم له (وفى هذه

فى

فى هذه السنة فى المحرم توفى منصور بن نظام الدين بن ناصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر وهو الذى انقرض أمر بنى مروان على يده حين حاربه فخر الدولة بن جهير وكان جكرمش قد قبض عليه بالجزيرة وتركه عند رجل يهودى فمات فى داره وحملته زوجته الى تربة آبائه فدفنته ثم حجت وعادت الى بلد البشنوية فابتاعت درا من بلد فنك بقرب جزيرة ابن عمر وأقامت فيه تعبد الله وكان منصور شجاعا شديد البخل له فى البخل حكايات عجيبة فتعسا لطالب الدنيا المعرض عن الآخرة ألا تنظر الى فعلها بأبنائها بينا هذا منصور ملك من بيت ملك آل أمره الى ان مات فى بيت يهودى نسأل الله تعالى ان يحسن أعمالنا ويصلح عاقبة أمرنا فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

﴿ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضا﴾

فى هذه السنة ملك تميم بن المعز مدينة قابس وأخرج منها أخاه عمرا وسبب ذلك انها كان بها انسان يقال له قاضى بن ابراهيم بن بلمونه فمات فولى أهلها عليهم عمرو بن المعز فأساء السيرة وكان قاضى بن ابراهيم عاصيا على تميم وتميم يعرض عنه فسلك عمرو طريقه فى ذلك فأخرج تميم العساكر الى أخيه عمرو ليأخذ المدينة منه فقال له بعض أصحابه يا مولانا لما كان فيها قاضى تواثبت عنه وتركته فلما وليها أخوك جردت اليه العساكر فقال لما كان فيها غلام من عبيدنا كان زواله سهلا علينا واما اليوم وابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس هذا ما لا يمكن السكوت عليه وفى فتحها يقول ابن خطيب سوسة القصيدة المشهورة التى أولها

ضحك الزمان وكان يلقى عابسا * لما فتحت بحد سيفك قابسا

الله يعلم ماحويت ثمارها * الا وكان أبوك قبل الغارسا

من كان فى زرق الاسنة خاطبا * كانت له قلل البلاد عرائسا

فابشر تميم بن المعز بفتكة * تركتك من أكناف قابس قابسا

ولوا فكم تركوا هنالك مصانعا * ومقاصرا ومخالدا ومجالسا

فكأنها قلب وهن وساوس * جاء اليقين فذادعنه وساوسا

﴿ذكر ملك كربوقا الموصل﴾

فى هذه السنة فى ذى القعدة ملك قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل وقد ذكرنا ان تاج الدولة تتش أسره لما قتل آقسنقر وبوزان فلما أسره أبقى عليه طمعا فى استصلاح جمية الامير أنز ولم يكن له بلد يملكه اذا قتله كما فعل بالامير بوزان فانه قتله واستولى على بلاده الرها وحران ولم يزل قوام الدولة محبوسا بحلب الى ان قتل تتش وملك ابنه الملك رضوان حلبا فارسل السلطان بركيارق رسولا يأمره باطلاقه واطلاق أخيه التونتاش فلما أطلقا سارا واجتمع عليهما كثير من العساكر البطالين فأتيا حران فتسلماها وكاتبهما محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وهو بنصيبين ومعه ثروان بن وهيب وأبو الهيجاء الكردى يستنصرون بهما على الامير على بن شرف الدولة وكان بالموصل قد جعله بها تاج الدولة تتش بعد وقعة المضيع فسار كربوقا اليهم فلقيه محمد ابن شرف الدولة على مرحلتين من نصيبين واستحلفهما لنفسه فقبض عليه كربوقا بعد اليمين وحمله معه وأتى نصيبين فامتنعت عليه فحصرها أربعين يوما وتسلمها وسار الى الموصل فحصرها فلم يظفر منها بشئ فسار عنها الى بلد وقتل بها محمد بن شرف الدولة وغرقه وعاد الى حصار الموصل ونزل على فرسخ منها بقرية باحلافا وترك التونتاش شرقى الموصل فاستنجد على بن مسلم صاحبها بالامير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فسار اليه نجدة له فلما علم التونتاش بذلك سار الى طريقه فقاتله

السنة) وهى سنة سبع وثمانين ومائتين كان مسير الداعى العلوى من طبرستان الى بلد جرجان فى جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم فلقيته جيوش المسودة من قبل اسمعيل ابن أحمد وعليها محمد بن هرون فكانت وقعة لم ير مثلها فى ذلك العصر وصبر الفريقان جميعا وكانت للمبيضة على المسودة ثم كانت مكيدة من محمد بن هرون لما رأى من ثبوت الديلم على مصافها فلم ينقض صفوفه وولى فأسرعت الديلم ونقضت صفوفها فرجعت عليهم المسودة وأخذهم السيف فقتل منهم بشر كثير وأصاب الداعى ضربات وذلك أن أصحابه لما نقضوا صفوفهم فى الغنيمة ولم يعرجوا عليه ثبت مع من وقف لنصره فكرت عليهم الجيوش فأسفرت الحرب وقد أثخن بالكلوم وأسر ولده زيد ابن محمد بن زيد وغيره وبقى محمد الداعى أياما يسيرة وتوفى لما ناله فدفن بباب جرجان وقبره هنالك معظم الى هذه الغاية (وقد أتينا) على خبره بطبرستان وغيرها وما كان من سيرته وخبر بكر بن عبد العزيز ابن أبى دلف حين دخل اليه مستأمنا فى كتابنا أخبار الزمان وكذلك ذكرنا خبر يحيى بن الحسين الحسنى الرسى باليمن وتظافره هو وأبو سعيد بن يعفر على ما كان من حروبهم باليمن مع القرامطة وما كان من أمرهم مع على بن الفضل صاحب

فانهزم جكرمش وعاد الى الجزيرة منهزما وصار فى طاعة كربوقا وأعانه على حصر الموصل وعدمت الاقوات بها وكل شئ حتى ما يوقدونه فاوقدوا القير وحب القطن فلما ضاق بصاحبها على الامر فارقها وسار الى الامير صدقة بن مزيد بالحلة وتسلم كربوقا البلد بعد ان حصره تسعة أشهر وخافه أهله لانه بلغهم أن التونتاش يريد نهبهم وان كربوقا يمنعه من ذلك فاشتغل التونتاش بالقبض على أعيان البلد ومطالبتهم بودائع البلد واستطال على كربوقا فأمر بقتله فقتل فى اليوم الثالث وأمن الناس شره وأحسن كربوقا السيرة فيهم وسار نحو الرحبة فمنع عنها فلكها ونهبها واستناب بها وعاد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة اجتمع ستة كواكب فى برج الحوت وهى الشمس والقمر والمشترى والزهرة والمريخ وعطارد فحكم المنجمون بطوفان يكون فى الناس يقارب طوفان نوح فاحضر الخليفة المستظهر بالله ابن عيسون المنجم فسأله فقال ان طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة فى برج الحوت والآن فقد اجتمع ستة منها وليس منها زحل فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح ولكن أقول ان مدينة أو بقعة من الارض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها من البلاد فاحكمت المسنيات والمواضع التى يخشى منها الانفجار والغرق فاتفق ان الحجاج نزلوا بوادى المياقت بعد نخلة فاتاهم سيل عظيم فاغرق أكثرهم ونجا من تعلق بالجبال وذهب المال والدواب والازواد وغير ذلك نخلع الخليفة على المنجم وفيها فى صفر درس الشيخ أبو عبد الله الطبرى الفقيه الشافعى بالمدرسة النظامية ببغداد رتبه فيها فخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وفيها أغارت خفاجة على بلد سيف الدولة صدقة بن مزيد فارسل فى آثرهم عسكرا مقدمه ابن عمه قريش بن بدران بن دبيس بن مزيد فاسرته خفاجة وأطلقوه وقصدوا مشهد الحسين بن على عليه السلام فتظاهروا فيه بالفساد والمنكر فوجه اليهم صدقة جيشا فكبسوهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا فى المشهد حتى عند الضريح وألقى رجل منهم نفسه وهو على فرسه من على السور فسلم هو والفرس وفى هذه السنة فى صفر توفى القاضى أبو مسلم وادع بن سليمان قاضى معرة النعمان والمستولى على أمورها وكان رجل زمانه همة وعلما وفيها فى ربيع الاول توفى أبو بكر محمد بن عبد الباقى المعروف بابن الخاضبة المحدث وكان عالما وفيها فى رمضان توفى أبو بكر عمر بن السمرقندى ومولده سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وفيها فى رمضان توفى أبو الفضل عبد الملك بن ابراهيم المقدسى المعروف بالهمذانى وكان عالما فى عدة علوم وقد قارب ثمانين سنة

﴿ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل ارسلان ارغون﴾

فى هذه السنة فى المحرم قتل ارسلان ارغون بن الب ارسلان أخو السلطان ملكشاه بمرو وكان قد ملك خراسان وسبب قتله انه كان شديدا على غلمانه كثير الاهانة لهم والعقوبة وكانوا يخافونه عظيما فاتفق انه الآن طلب غلاما له فدخل عليه وليس معه أحد فانكر عليه تاخره عن الخدمة فاعتذر فلم يقبل عذره وضربه فاخرج الغلام سكينا معه وقتله وأخذ الغلام فقيل له لم فعلت هذا فقال لاريح الناس من ظلمه وكان سبب ملكه خراسان انه كان له أيام أخيه ملكشاه من الاقطاع ما مقداره سبعة آلاف دينار وكان معه ببغداد لما مات فسار الى همذان فى سبعة

المنحرة وما كان من قصته وخبر وفاته وقصة شيخ لاعة صاحب قلعة نحل وخبر ولده الى هذا الوقت بها وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ونزول يحيى بن الحسين الرسى مدينة صعدة من بلاد اليمن وخبر ولده أبى القاسم وخبر ولد ولده الى هذه الغاية وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا منبهين على ما قدمناه من تصنيفنا مما بسطناه من أخبار من ذكرناه وشرحنا من قصصهم وسيرهم وما كان منهم (وفى هذه السنة) وهى سنة ثمان وثمانين ومائتين كان دخول المعتضد الى الثغر الشامى فى طلب وصيف الخادم وراسله مع رشيق المعروف بالحزامى واستأمن الى المعتضد وصيف اليشكرى وغيره من القواد قواد الخادم وأصحابه وقد كان وصيف الخادم لما أخذ الاكثر من أصحابه أراد الدخول الى أرض الروم والتعلق بالدروب وقد كان المعتضد أسرع فى السير من بغداد وستر أخباره ولم يعلم بذلك وصيف مع شدة حذره وتفقده لامره حتى عبر المعتضد الفرات وسار الى الشأم فلم يفلح جسد المعتضد لذلك لما أتعب نفسه فى سرعة السير وقد كان المعتضد لما توسط الثغر الشامى خلف سواده بالكنيسة السوداء وجرد القواد فى طلب وصيف فساروا فى طلبه خمسة عشر ميلا الى ان أدركه أوائل غلمان

غلمان واتصل به جماعة فسار الى نيسابور فلم يجد فيها مطمعا فسار الى مرو وكان شحنة مرو أميرا اسمه قودن من مماليك ملكشاه وهو الذى كان سبب تنكر السلطان ملكشاه على نظام الملك وقد تقدم ذلك فى قتل نظام الملك فمال الى ارسلان ارغون وسلم البلد اليه فأقبلت العساكر اليه وقصد بلخ وبها فخر الملك بن نظام الملك فسار عنها ووزر لتاج الدولة تتش على ما ذكرناه وملك ارسلان ارغون بلخ وترمذ ونيسابور وعامة خراسان وارسل الى السلطان بركيارق والى وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك يطلب ان يقر عليه خراسان كما كانت لجده داود ما عدا نيسابور ويبذل الاموال ولا ينازع فى السلطنة فسكت عنه بركيارق لاشتغاله باخيه محمود وعمه تتش فلما عزل السلطان بركيارق مؤيد الملك عن وزارته وولها أخوه فخر الملك واستولى على الامور مجد الملك البلاسانى قطع ارسلان ارغون مراسلة بركيارق وقال لا أرضى لنفسى مخاطبة البلاسانى فندب بركيارق حينئذ عمه بوربرس بن الب ارسلان وسيره فى العساكر لقتاله وكان قد اتصل بارسلان عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك ووزر له فلما وصلت العساكر الى خراسان لقيهم ارسلان ارغون وقاتلهم وانهزم منهم وسار منهزما الى بلخ وأقام بوربرس والعساكر التى معه بهراة ثم جمع ارغون عساكر جمة وسار الى مرو وحصرها أياما وفتحها عنوة وقتل فيها وأكثر وقلع أبواب سورها وهدمه فسار اليه بوربرس من هراة فالتقيا وتصافا فانهزم بوربرس سنة ثمان وثمانين وسبب هزيمته انه كان معه من جملة العساكر الذين سيرهم معه بركيارق أميرا آخر ملكشاه وهو من أكابر الامراء والامير مسعود بن تاجر وكان أبوه مقدم عسكر داود جد ملكشاه ولمسعود منزلة كبيرة ومحل عظيم عند كافة الناس وكان بين أميرا آخر وبين ارسلان مودة قديمة فارسل اليه ارسلان ارغون يستميله ويدعوه الى طاعته فاجابه الى ذلك ثم ان مسعود بن تاجر قصد أميرا آخر زائراله ومعه ولده فاخذهما وقتلهما فاضعف أمر بوربرس وانهزم من ارسلان ارغون وتفرق عسكره وأسر وحمل الى ارسلان ارغون وهو أخوه فحبسه بترمذ ثم أمر به فخنق بعد سنة من حبسه وقتل أكابر عسكر خراسان ممن كان يخافه ويخشى تحكمه عليه وصادر وزيره عماد الملك بثلثمائة ألف دينار وقتله وخرب أسوار مدن خراسان منها سور سبزوار وسور مرو والشاهجان وقلعة سرخس وقهندز نيسابور وسور شهرستان وغير ذلك خربه جميعه سنة تسع وثمانين ثم انه قتل هذه السنة كما ذكرنا

﴿ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول وصل عسكر كثير من مصر الى ثغر صور بساحل الشام فحصرها وملكها وسبب ذلك ان الوالى بها ويعرف بكتيلة أظهر العصيان على المستعلى صاحب مصر والخروج عن طاعته فسير اليه جيشا فحصروها وضيقوا عليه وعلى من معه من جندى وعامى ثم افتتحها عنوة بالسيف وقتل بها خلق كثير ونهب منها المال الجزيل وأخذ الوالى أسيرا بغير أمان وحمل الى مصر فقتل بها

﴿ذكر ملك بركيارق خراسان وتسليمها الى أخيه سنجر﴾

كان بركيارق قد جهز العساكر مع أخيه الملك سنجر وسيرها الى خراسان لقتال عمه ارسلان ارغون وجعل الامير قماج اتابك سنجر ورتب فى وزارته أبا الفتح على بن الحسين الطغرائى فلما وصلوا الى الدامغان بلغهم خبر قتله فاقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق وساروا الى نيسابور فوصل اليها خامس جمادى الاولى من السنة وملكها بغير قتال وكذلك سائر البلاد

الخيل وفيهم خاقان المفلحى ووصيف موشكير وعلى كوزه وغيرهم من القواد فقاتلهم وصيف وذلك فى الموضع المعروف بدرب الحب فلما أشرف المعتضد ووصيف قد خذله أصحابه وتفرق عنه جمعه أسر وأتى به المعتضد فسلمه الى مؤنس العجلى وأمن جميع أصحابه الانفرا انضافوا اليه من الثغر الشامى وغيره وأحرق المعتضد المراكب الحربية وحمل من طرسوس أبا اسحق امام الجامع وأبا عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقى صاحب مدينة أذنة من الثغر الشامى وغيرهم من البحريين مثل اسمعيل وابنه وكان دخول المعتضد الى مدينة السلام فى الماء لسبع خلون من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ودخل جعفر بن المعتضد وهو المقتدر وبدر الكبير وسائر الجيش على الظهر وقد زينت الطرق وبين أيديهم وصيف الخادم على جمل فالج وعليه دراعة ديباج وبرنس وخلفه على جمل آخر البغيل وخلف البغيل ابنه على جمل آخر وخلف ابن البغيل على جمل آخر رجل من أهل الشأم يعرف بابن المهندس وقد لبسوا الذراريع من الحرير الاحمر والاصفر وعلى رؤسهم البرانس وطوق وسور خاقان المفلحى وغيره من القواد ممن أبلى فى ذلك اليوم الذى كان فيه آسر وصيف الخادم وقد كان المعتضد أراد استحياء وصيف وأسف على موت مثله لشهامته وشجاعته وحسن

الخراسانية وساروا الى بلخ وكان عسكر ارسلان ارغون قد ملكوا بعد قتله ابنا له صغيرا عمره سبع سنين فلما سمعوا بوصول السلطان أبعدوا الى جبال طخارستان وأرسلوا يطلبون الامان فأجابهم الى ذلك فعادوا ومعهم ابن ارسلان ارغون فأحسن السلطان لقاءه وأعطاه ما كان لابيه من الاقطاع أيام ملكشاه وكان وصوله الى السلطان في خمسة عشر ألف فارس فما انقضى يومهم حتى فارقوه واتصلت كل طائفة منهم بأمير تخدمه وبقي وحده مع خادم لابيه فأخذته والدة السلطان بركيارق اليها وأقامت له من يتولى خدمته وتربيته وسار بركيارق الى ترمذ فسلمت اليه وأقام عند بلخ سبعة أشهر وأرسل الى ما وراء النهر فأقيمت له الخطبة بسمرقند وغيرها ودانت له البلاد

(ذكر خروج أمير اميران بخراسان مخالفا)

في هذه السنة لما كان السلطان بركيارق بخراسان خالف عليه أمير اسمه محمد بن سليمان ويعرف بأمير اميران وهو ابن عم ملكشاه وتوجه الى بلخ واستمد من صاحب غزنة فأمده بجيش كثير وفيلة وشرط عليه ان يخطب له في جميع ما يفتحه من خراسان فقويت شوكته ومد يده في البلاد فسير اليه الملك سنجر بن ملكشاه جريدة ولا يعلم به أمير اميران فكبسه فجرى بينهما قتال ساعة ثم أسر وحمل الى بين يدي سنجر فأمر به فكحل

(ذكر عصيان الامير قودن ويارقطاش على السلطان واستعمال حبشي على خراسان)

في هذه السنة عصى يارقطاش وقودن على السلطان بركيارق وسبب ذلك ان الامير قودن كان قد صار في جملة الامير قماج فتوفي والسلطان بمرو فاستوحش قودن وأظهر المرض وتأخر بمرو بعد مسير السلطان الى العراق وكان من جملة أمراء السلطان أمير اسمه اكنجي وقد ولاه السلطان خوارزم ولقبه خوارزمشاه فجمع عساكره وسار في عشرة آلاف فارس ليلحق السلطان فسبق العسكر الى مرو في ثلثمائة فارس وتشاغل بالشرب فاتفق قودن وأمير آخر اسمه يارقطاش على قتله فجمعا خمسمائة فارس وكبسوه وقتلوه وساروا الى خوارزم وأظهروا أن السلطان قد استعملهما عليها فتسلماها وبلغ الخبر الى السلطان فتم المسير الى العراق لما بلغه من خروج الامير أنز ومؤيد الملك عن طاعته وأعاد أمير داذ حبشي بن التونتاق في جيش الى خراسان لقتالهما فسار الى هراة وأقام ينتظر اجتماع العساكر معه فعاجلاه في خمسة عشر ألفا فعلم أمير داذ أنه لا طاقة له بهما فعبر جيحون فسار اليه وتقدم يارقطاش ليلحقه قودن فعاجله يارقطاش وحده وقاتله فانهزم يارقطاش وأخذ أسيرا وبلغ الخبر الى قودن فثار به عسكره ونهبوا خزائنه وما معه فبقي في سبعة نفر فهرب الى بخارا فقبض عليه صاحبها ثم أحسن اليه وبقي عنده وسار من هناك الى الملك سنجر ببلخ فقبله أحسن قبول وبذل له قودن ان يكفيه أموره ويقوم بجمع العساكر على طاعته فقدر انه مات عن قريب وأما يارقطاش فبقي أسيرا الى ان قتل أمير داذ وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه)

في هذه السنة أمر بركيارق الامير حبشي بن التونتاق على خراسان كما ذكرناه فلما صفت له وقتل قودن كما ذكرناه قبل ولى خوارزم الامير محمد بن انوشتكين وكان أبوه انوشتكين مملوكا لأمير من السلجوقية اسمه بلكبك قد اشتراه من رجل من غرشستان فقيل له أنوشتكين غرشجه

حيله واقدامه ثم قال ليس في طبع هذا الخادم أن يرأسه أحد بل في طبعه أن يرؤس في نفسه وقد كان بعث اليه بعد أن قبض عليه وأوثق بالحديد هل لك من شهوة قال نعم باقة من الريحان أشمها وكتب من سير الملوك الغابرة أنظر فيها فلما رجع الرسول الى المعتضد وأخبره أنه يديم النظر في سير الملوك وحروبها ومحنها دون سائر ما حمل الى حضرته من الدفاتر فتعجب المعتضد وقال هو يوطن على نفسه الموت (وفي هذه السنة) كانت وفاة أبي عبيد الله محمد بن أبي الساج باذربيجان واختلفت كلمة أصحابه وغلمانه بعده فمنهم من انحاز الى أخيه يوسف ابن أبي الساج ومنهم من انحاز الى ولده بوادر (وفي هذه السنة) أدخل عمرو ابن الليث الى مدينة السلام في جمادى الاولى قدم به عبد الله بن الفتح رسول السلطان فشهر عمرو وأركب على جمل فالج وقد ألبس دراعة ديباج وخلفه بدر والوزير القاسم بن عبيد الله في الجيش فأتوا به الثريا فرآه المعتضد ثم أدخل المطامير وقد كان في هذا الوقت سارت عساكر الشاكرية من قبل طاهر ابن محمد بن عمرو بن الليث غضبا لجده عمرو ولحقته ببلاد الاهواز وخرجت عن حدود فارس واضطرب الامر وبعث المعتضد بعبد الله بن الفتح واستأمن الى اسمعيل بن أحمد بهدايا منها مائة بدلة ديباج منسوجة بالذهب

فكبر وعلا أمره وكان حسن الطريقة كامل الاوصاف وكان مقدما مرجوعا اليه وولد له ولد سماه محمدا وهو هذا وعلمه وخرجه وأحسن تأديبه وتقدم بنفسه وبالعناية الازلية فلما ولي أمير داذ حبشي خراسان كان خوارزمشاه اكنجي قد قتل وقد تقدم ذكره ونظر الامير حبشي فيمن يوليه خوارزم فوقع اختياره على محمد بن انوشتكين فولاه خوارزم ولقبه خوارزمشاه فقصر أوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها وقرب أهل العلم والدين فازداد ذكره حسنا ومحله علوا ولما ملك السلطان سنجر خراسان أقر محمدا خوارزمشاه على خوارزم وأعمالها فظهرت كفايته وشهامته فعظم سنجر محله وقدره ثم ان بعض ملوك الاتراك جمع جموعا وقصد خوارزم ومحمد غائب عنها وكان طغرلتكين بن اكنجي الذي كان أبوه خوارزمشاه قبل عند السلطان سنجر فهرب منه والتحق بالاتراك على خوارزم فلما سمع خوارزمشاه محمد الخبر بادر الى خوارزم وأرسل الى سنجر يستمده وكان بنيسابور فسار في العساكر اليه فلم ينتظر محمد فلما قارب خوارزم هرب الاتراك الى منقشلاغ وطغرلتكين أيضا رحل الى جند خان وكفي خوارزمشاه شرهم ولما توفي خوارزمشاه ولي بعده ابنه اتسز فمد ظلال الامن وأفاض العدل وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وقصد بلاد الاعداء وباشر الحروب فملك مدينة منقشلاغ ولما ولي بعد أبيه قربه السلطان سنجر وعظمه واعتضد به واستصحبه معه في أسفاره وحروبه فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تقدما وعلوا وهو ابتداء ملك بيت خوارزمشاه تكش وابنه محمد الذي ظهرت التتر عليه على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر الحرب بين رضوان وأخيه دقاق)

في هذه السنة سار الملك رضوان الى دمشق وبها أخوه دقاق عازما على أخذها منه فلما قاربها ورأى حصانتها وامتناعها علم عجزه عنها فرحل الى نابلس وسار الى القدس ليأخذه فلم يمكنه وانقطعت العساكر عنه فعاد ومعه باغي سيان صاحب انطاكية وجناح الدولة ثم ان باغي سيان فارق رضوان وقصد دقاق وحسن له محاصرة أخيه بحلب جزاء لما فعله فجمع عساكر كثيرة وسار ومعه باغيسيان فأرسل رضوان رسولا الى سقمان بن ارتق وهو بسروج يستنجده فأتاه في خلق كثير من التركمان فسار نحو أخيه فالتقيا بقنسرين فاقتتلا فانهزم دقاق وعسكره ونهبت خيامهم وجميع مالهم وعاد رضوان الى حلب ثم اتفقا على ان يخطب لرضوان بدمشق قبل دقاق وبانطاكية وقيل كانت هذه الحادثة سنة تسع وثمانين

(ذكر الخطبة للعلوي المصري بولاية رضوان)

في هذه السنة خطب الملك رضوان في كثير من ولايته للمستعلي بأمر الله العلوي صاحب مصر وسبب ذلك انه كان عنده الامير جناح الدولة وهو زوج أمه فرأى من رضوان تغيرا فسار الى حمص وهي له فلما رأى باغيسيان بعده عن رضوان صالحه وقدم اليه بحلب ونزل بظاهرها وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم أسعد وكان يميل اليه فقدمه بعد مسير جناح الدولة فحسن له مذاهب العلويين المصريين وأتته رسل المصريين يدعونه الى طاعتهم ويبذلون له المال وانفاذ العساكر اليه ليملك دمشق فخطب لهم بشيزر وجميع الاعمال سوى انطاكية وحلب والمعرة أربع جمع ثم حضر عنده سقمان بن ارتق وباغيسيان صاحب انطاكية فأنكرا ذلك واستعظماه فأعاد الخطبة العباسية في هذه السنة وأرسل الى بغداد يعتذر عما كان منه وسار باغيسيان الى انطاكية فلم يقم بها غير ثلاثة أيام حتى وصل الفرنج اليها وحصروها وكان

مرصعة بالجوهر ومنطقة ذهب مرصعة بالجوهر وغير ذلك من الجواهر وثلثمائة ألف دينار ليفرقها في أصحابه ويبعثهم الى بلاد سجستان الى حرب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث وأمر عبد الله بن الفتح أن يحمل في طريقه من خراج ما يجتاز به من بلاد الجبل عشرة آلاف ألف درهم ويضيفها الى الثلثمائة ألف دينار وسار بدر غلام المعتضد بالله في عساكره الى بلاد فارس من هذه السنة فنزل شيراز وانكشف عن البلاد الشكرية (وفي أول يوم) من المحرم وهو يوم الثلاثاء من سنة تسع وثمانين ومائتين توفي وصيف الخادم فأخرج وصلب على الجسر بدنا بلا رأس وقد كان الخدم سألوا المعتضد أن يستروا عورته فأباح لهم ذلك فألبس ثيابا ولف عليه ثوب جديد وخيط على مكان الثياب من سرته الى الركبتين وطلي بدنه بالصبر وغيره من الاطلية القابضة والماسكة لاجزاء جسمه فأقام مصلوبا على الجسر لا يبلى الى سنة ثلثمائة في خلافة المقتدر بالله (وفي هذه السنة) تشعب الجند والعامة فعمدت العامة اليه تماجنا وحطوه من فوق الخشبة وقالوا قد وجب علينا حق الاستاذ أبي علي وصيف الخادم اطول مجاورته لنا وصبره علينا لا يبلى على هذه الخشبة فلفوه في رداء بعضهم وحملوه على أكتافهم وهم نحو من مائة ألف من

ماذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كانت فتنة عظيمة بخراسان بين أهل سبزوار وأهل خسروجرد وقتال عظيم قتل بينهم جماعة كثيرة وانهزم أهل خسروجرد وفيها قتل عثمان وكيل دار نظام الملك وكان سبب قتله انه كان كاتب صاحب غزنة بالاخبار من قبل السلطان فأخذ وحبس بترمذ مدة ثم اطلع عليه وهو في الحبس انه كان يكاتبه أيضا فقتل وفي صفر منها قتل عبد الرحمن السميرمي وزير أم السلطان بركيارق قتله باطني غيلة وقتل الباطني بعده وفيها في شعبان ظهر كوكب كبير له ذؤابة وأقام يطلع عشرين يوما ثم غاب ولم يظهر وفيها توفي النقيب الطاهر أبو الغنائم محمد بن عبد الله وكان دينا خيرا كريما متعصبا حنفي المذهب وولي النقابة بعده ولده أبو الفتوح حيدرة وفيها توفي أبو القاسم يحيى بن أحمد السيبي وهو ابن مائة سنة وسنتين وهو صحيح الحواس وكان مقرئا محدثا حاضر القلب وفيها قتل ارغش النظامي مملوك نظام الملك بالري وكان قد بلغ مبلغا عظيما بحيث انه تزوج ابنة ياقوتي عم السلطان بركيارق قتله باطني وقتل قاتله وقتل برسق في شهر رمضان وهو من أكابر الامراء قتله باطني وكان برسق من أصحاب السلطان طغرلبك وهو أول شحنة كان ببغداد

(ثم دخلت سنة احدى وتسعين وأربعمائة)

(ذكر ملك الفرنج مدينة انطاكية)

كان ابتداء ظهور دولة الفرنج واشتداد أمرهم وخروجهم الى بلاد الاسلام واستيلائهم على بعضها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الاندلس وقد تقدم ذكر ذلك ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلية وملكوها وقد ذكرته أيضا وتطرقوا الى أطراف افريقية فملكوا منها شيأ وأخذ منهم ثم ملكوا غيره على ماتراه فلما كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا الى بلاد الشام وكان سبب خروجهم ان ملكهم بردويل جمع جمعا كثيرا من الفرنج وكان نسيب رجار الفرنجي الذي ملك صقلية فارسل الى رجار يقول له قد جمعت جمعا كثيرا وأنا واصل اليك وسائر من عندك الى افريقية افتحها وأكون مجاورا لك فجمع رجار أصحابه واستشارهم في ذلك وقالوا وحق الانجيل هذا جيد لنا ولهم وتصبح البلاد بلاد النصرانية فرفع رجله وحبق حبقة عظيمة وقال وحق ديني هذه خير من كلامكم قالوا وكيف ذلك قال اذا وصلوا الى احتاج الى كلفة كثيرة ومراكب تحملهم الى افريقية وعساكر من عندي أيضا فان فتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤنة لهم من صقلية وينقطع عني مايصل من المال من ثمن الغلات كل سنة وان لم يفلحوا رجعوا الى بلادي وتأذيت بهم ويقول تميم غدرت بي ونقضت عهدي وتنقطع الوصلة والاسفار بيننا وبلاد افريقية باقية لنا متى وجدنا قوة أخذناها وأحضر رسوله وقال له اذا عزمتم على جهاد المسلمين فافضل ذلك فتح بيت المقدس تخلصونه من أيديهم ويكون لكم الفخر واما افريقية فبيني وبين أهلها أيمان وعهود فتجهزوا وخرجوا الى الشام وقيل ان أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام الى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الاقسيس الى مصر وحصرها خافوا وأرسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين والله أعلم فلما عزم الفرنج على قصد الشام ساروا الى القسطنطينية ليعبروا المجاز الى بلاد المسلمين

الناس يرقصون ويغنون ويصيحون حوله الاستاذ الاستاذ فلما ضجروا من ذلك طرحوه في دجلة وذلك أنهم شيعوه في الماء سباحة فغرق منهم في جرية الماء خلق كثير (وفي هذه السنة) أتى بجماعة من القرامطة من ناحية الكوفة منهم المعروف بأبي الفوارس وبعد أن قطعت يداه ورجلاه صلب الى جانب وصيف الخادم ثم حول الى ناحية الكناس مما يلي الناشرية من الجانب الغربي فصلب مع قرامطة هناك (وقد كان لاهل بغداد) في قتل أبي الفوارس هذا أراجيف كثيرة وذلك أنه لما قدم ليضرب عنقه أشاعت العامة أنه قال لمن حضر قتله من العوام هذه عمامتي تكون قبلك فاني راجع بعد أربعين يوما فكان يجتمع في كل يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويحصون الايام ويقتتلون ويتناظرون في الطرق في ذلك فلما تمت الاربعون ليلة وقد كان كثر لغطهم واجتمعوا فكان بعضهم يقول هذا جسده ويقول آخر قد مر وانما السلطان قتل رجلا آخر وصلبه موضعه لكي لا يفتتن الناس فكثر تنازع الناس في ذلك حتى نودي بتفريقهم فترك التنازع والخوض فيه (وكان وردمال) من محمد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرق في آل أبي طالب سرا فغمز بذلك

ويسيروا

ويسيروا في البر فيكون أسهل عليهم فلما وصلوا اليها منعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده وقال لا أمكنكم من العبور الى بلاد الاسلام حتى تحلفوا لي انكم تسلمون الي انطاكية وكان قصده يحثهم على الخروج الى بلاد الاسلام ظنا منه ان الاتراك لا يبقون منهم أحدا لما رأى من صرامتهم وملكهم البلاد فاجابوه الى ذلك وعبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين ووصلوا الى بلاد قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش وهي قونية وغيرها فلما وصلوا اليها لقيهم قلج ارسلان في جموعه ومنعهم فقاتلوه فهزموه في رجب سنة تسعين واجتازوا في بلاده الى بلاد ابن الارمني فسلكوها وخرجوا الى انطاكية فحصروها ولما سمع صاحبها باغيسيان بتوجههم اليها خاف من النصارى الذين بها فاخرج المسلمين من أهلها ليس معهم غيرهم وأمرهم بحفر الخندق ثم أخرج من الغد النصارى لعمل الخندق أيضا ليس معهم مسلم فعملوا فيه الى العصر فلما أرادوا دخول البلد منعهم وقال لهم انطاكية لكم تهبونها لي حتى أنظر ما يكون منا ومن الفرنج فقالوا له من يحفظ أبناءنا ونساءنا فقال أنا أخلفكم فيهم فامسكوا وأقاموا في عسكر الفرنج فحصروها تسعة أشهر وظهر من شجاعة باغيسيان وجودة رأيه وحزمه واحتياطه مالم يشاهد من غيره فهلك أكثر الفرنج موتا ولو بقوا على كثرتهم التي خرجوا فيها لطبقوا بلاد الاسلام وحفظ باغيسيان أهل نصارى انطاكية الذين أخرجهم وكف الايدي المتطرقة اليهم فلما طال مقام الفرنج على انطاكية راسلوا أحد المستحفظين للابراج وهو زراد يعرف بروزبه وبذلوا له مالا واقطاعا وكان يتولى حفظ برج يلي الوادي وهو مبني على شباك في الوادي فلما تقرر الامر بينهم وبين هذا الملعون الزراد جاؤا الى الشباك ففتحوه ودخلوا منه وصعد جماعة كثيرة بالحبال فلما زادت عدتهم على خمسمائة ضربوا البوق وذلك عند السحر وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة فاستيقظ باغيسيان فسأل عن الحال فقيل ان هذا البوق من القلعة ولاشك انها قد ملكت ولم يكن من القلعة وانما كان من ذلك البرج فدخله الرعب وفتح باب البلد وخرج هاربا في ثلاثين غلاما على وجهه فجاء نائبه في حفظ البلد فسأل عنه فقيل انه هرب فخرج من باب آخر هاربا وكان ذلك معونة للفرنج ولو ثبت ساعة لهلكوا ثم ان الفرنج دخلوا البلد من الباب ونهبوه وقتلوا من فيه من المسلمين وذلك في جمادى الاولى وأما باغيسيان فانه لما طلع عليه النهار رجع اليه عقله وكان كالولهان فرأى نفسه وقد قطع عدة فراسخ فقال لمن معه أين أنا فقيل على أربعة فراسخ من انطاكية فندم كيف خلص سالما ولم يقاتل حتى يزيلهم عن البلد أو يقتل وجعل يتلهف ويسترجع على ترك أهله وأولاده والمسلمين فلشدة مالحقه سقط عن فرسه مغشيا عليه فلما سقط الى الارض أراد أصحابه ان يركبوه فلم يكن فيه مسكة قد قارب الموت فتركوه وساروا عنه واجتاز به انسان أرمني كان يقطع الحطب وهو بآخر رمق فقتله وأخذ رأسه وحمله الى الفرنج بانطاكية وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب ودمشق باننا لانقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم لانطلب سواها مكرا منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب انطاكية

(ذكر مسير المسلمين الى الفرنج وما كان منهم)

لما سمع قوام الدولة كربوقا بحال الفرنج وملكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام وأقام بمرج دابق واجتمعت معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب فاجتمع معه دقاق بن تتش وطغتكين أتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسليمان ابن أرتق وغيرهم من الامراء ممن ليس مثلهم فلما سمعت الفرنج عظمت المصيبة عليهم وخافوا

اخفاء ذلك وأمره باظهاره وقرب آل أبي طالب وكان السبب في ذلك قرب النسب ولما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن علي الوراق الانطاكي الفقيه المعروف بابن الغنوي بانطاكية قال أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عباد الجليس قال رأى المعتضد بالله وهو في سجن أبيه كان شيخا جالسا على دجلة يمد يده الى ماء دجلة فيصير في يده وتجف دجلة ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت قال فسألت عنه فقيل لي هذا علي بن أبي طالب عليه السلام قال فقمت اليه وسلمت عليه فقال يا أحمد ان هذا الامر صائر اليك فلا تتعرض لولدي ولا تؤذهم فقلت السمع والطاعة يا أمير المؤمنين وعم الناس تأخر الخراج عنهم وكان انعام المعتضد عليهم فقالت الشعراء في ذلك وأكثرت ووصفت في أشعارها ذلك وأطنبت فاحسن يحيى بن علي المنجم فقال

يا محيي الشرف اللباب ومجدد الملك الخراب

ومعيد ركن الدين فيـ ـنا ثابتا بعد اضطراب

فت الملوك مبرزا فوت المبرز في الحلاب

أسعد بنيروز جمـ ـت الشكر فيه الى الثواب

قدمت في تأخيرما * بعد قدموه الى الصواب

وقوله يوم نيروزك يوم * واحد لا يتأخر

لما هم فيه من الوهن وقلة الاقوات عندهم وسار المسلمون فنازلوهم على انطاكية وأساء كربوقا السيرة فيمن معه من المسلمين وأغضب الامراء وتكبر عليهم ظنا منه انهم يقيمون معه على هذه الحال فاغضبهم ذلك وأضمروا له في أنفسهم الغدر اذا كان قتال وعزموا على اسلامه عند المصدوقة وأقام الفرنج بانطاكية بعد ان ملكوها اثنى عشر يوما ليس لهم ما يأكلونه وتقوت الاقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر فلما رأوا ذلك أرسلوا الى كربوقا يطلبون منه الامان ليخرجوا من البلد فلم يعطهم ما طلبوا وقال لا تخرجوا الا بالسيف وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل وكندفرى والقمص صاحب الرها وبيمنت صاحب انطاكية وهو المقدم عليهم وكان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم ان المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقسيان الذي بانطاكية وهو بناء عظيم فان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فالهلاك متحقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة في مكان فيه وعفى أثرها وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم ابشروا بالظفر فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرقين من خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوقا ينبغي ان تقف على الباب فتقتل كل من يخرج فان أمرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ولم يمكن من معاجلتهم فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين فجاء اليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بانطاكية أحد منهم ضربوا مصافا عظيما فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا أولا من الاستهانة لهم والاعراض عنهم وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب أحد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم وآخر من انهزم سقمان بن أرتق وجناح الدولة لانهما كانا في الكمين وانهزم كربوقا معهم فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة اذ لم يجر قتال ينهزم من مثله وخافوا أن يتبعوهم وثبت جماعة من المجاهدين وقاتلوا حسبة وطلبا للشهادة فقتل الفرنج منهم الوفا وغنموا ما في العسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوتهم

❁(ذكر ملك الفرنج معرة النعمان)❁

لما فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا الى معرة النعمان فنازلوها وحصروها وقاتلهم أهلها قتالا شديدا ورأى الفرنج منهم شدة ونكاية ولقوا منهم الجد في حربهم والاجتهاد في قتالهم فعملوا عند ذلك برجا من خشب يوازي سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضر المسلمين ذلك فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين وتداخلهم الفشل والهلع وظنوا أنهم اذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها فنزلوا من السور وأخلوا الموضع الذي كانوا يحفظونه فرآهم طائفة أخرى ففعلوا كفعلهم فخلا مكانهم أيضا من السور ولم تزل تتبع طائفة منهم التي تليها في النزول حتى خلا السور فصعد الفرنج اليه على السلاليم فلما علوه تحير المسلمون ودخلوا دورهم فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام فقتلوا ما يزيد على مائة ألف وسبوا السبي الكثير وملكوه وأقاموا أربعين يوما وساروا الى عرقة فحصروها أربعة أشهر ونقبوا سورها عدة نقوب فلم يقدروا عليها وراسلهم منقذ صاحب شيرز فصالحهم عليها وساروا الى حمص وحصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة وخرجوا على طريق النواقير الى عكا فلم يقدروا عليها

من خزران يوافي * أبدا في أحد عشر

(وكان) وصول قطر الندا ابنة خمارويه الى مدينة السلام مع ابن الجصاص في ذي الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين ففي ذلك يقول علي بن العباس الرومي

يا سيد العرب الذي زفت له * باليمن والبركات سيدة العجم
اسعد بها كسعودها بك انها * ظفرت بما فوق المطالب والهمم
ظفرت بملء ناظريها بهجة * وضميرها نبلا وكفها كرم
شمس الضحى زفت الى بدر الدجى * فتكشفت بهما عن الدنيا الظلم

(ولما أدخل) عمرو بن الليث الى مدينة السلام من المصلى العتيق رافعا يديه يدعو وهو على جمل فالج وهو ذو السنامين وكان أنفذه الى المعتضد في هدايا تقدمت له قبل أسره فقال في ذلك الحسن ابن محمد بن مهر

ألم تر هذا الدهر كيف صروفه * يكون عسيرا مرة ويسيرا
وحسبك بالصفار نبلا وعزة * يروح ويغدو في الجيوش أميرا
حباهم بأجمال ولم يدر انه * على جمل منها يقاد أسيرا

وفي ذلك يقول محمد بن بسام

أيها المغتر بالدنـ * ـيا أما أبصرت عمرا
مقبلا قد أركب الفا * لج بعد الملك قسرا
وعليه برنس السخـ * ـطة اذلالا وقهرا

ذكر

❁(ذكر الحرب بين الملك سنجر ودولتشاه)❁

كان دولتشاه من أبناء الملوك السلجوقية فاجتمع عليه جمع من عساكر بيغو أخي طغرلبك وكان بطخارستان فاخذ واو الوالج وكنج فسار اليهم السلطان سنجر وعساكره فوصل الى بلخ فدخلها في رجب من هذه السنة وخرج منها القتال دولتشاه فلم يكن له من الجموع ما يثبت مقابل عسكر سنجر فقاتلوا شيأ من قتال وانهزموا وأخذوا دولتشاه أسيرا وأحضر عند سنجر فعفا عنه من القتل وحبسه ثم بعد ذلك كحله وسير سنجر جيشا الى مدينة ترمذ فلكوها وسلمها الى طغرل تكين

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة فتح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية جزيرة جربة وجزيرة قرقنة ومدينة تونس وكان بافريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس وفيها أرسل الخليفة رسولا الى السلطان بركيارق مستنفرا على الفرنج ومبالغا في تعظيم الامر وتداركه قبل ان يزداد قوة وفي هذه السنة في شعبان توفي أبو الحسن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف ومولده سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وكان فاضلا في الحديث وفيها توفي أبو الفضل عبد الوهاب بن أبي محمد التميمي الحنبلي وكان فاضلا فصيحا وفيها في شوال توفي طراد بن محمد الزينبي وهو عالي الاسناد في الحديث وولي نقابة العباسيين من بعده ابنه شرف الدين علي بن طراد وفيها في ذي القعدة توفي أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة وكان بيته مجمع الفضلاء وأهل الدين ومن جملة من كان عنده الى ان توفي الشيخ أبو اسحق الشيرازي وفيها توفي أبو الفرج سهل بن بشر بن أحمد الاسفرايني وهو من أعيان المحدثين

❁ ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ❁

❁(ذكر عصيان الامير أنز وقتله)❁

لما سار السلطان بركيارق الى خراسان ولي الامير أنز بلاد فارس جميعها وكانت قد تغلب عليها الشوانكارة على اختلاف بطونهم وقبائلهم واستنابوا صاحب كرمان ايرانشاه بن قاورت فاجتمعوا وصافوا الامير أنز وكسروه وعاد مفلولا الى أصبهان وأرسل الى السلطان يستأذنه في اللحاق به الى خراسان فامره بالمقام ببلد الجبال وولاه امارة العراق وكاتب العساكر المجاورة له بطاعته فاقام باصبهان وسار منها الى اقطاعه باذربيجان وعاد وقد انتشر أمر الباطنية باصبهان فندب نفسه لقتالهم وحصر قلعة على جبل اصبهان واتصل به مؤيد الملك بن نظام الملك وكان ببغداد فسار منها الى الحلة فاكرمه صدقة وسار من عنده الى الامير أنز فلما اجتمع بالامير أنز خوفه هو وغيره من السلطان بركيارق وعظموا عليه الاجتماع به وحسنوا له البعد عنه وأشاروا عليه بمكاتبة غياث الدين محمد بن ملكشاه وهو اذ ذاك بكنجة فعزم على المخالفة للسلطان وتحدث فيه فظهر ذلك فزاد خوفه من السلطان فجمع من العساكر المعروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس وسار من أصبهان الى الري وأرسل الى السلطان يقول انه مملوك ومطيع ان سلم اليه مجد الملك البلاساني وان لم يسلمه فهو عاص خارج عن الطاعة فبينما هو يفطر وكانت عادته يصوم أياما من الاسبوع فلما قارب الفراغ من الافطار هجم عليه ثلاثة نفر من الاتراك المولدين بخوارزم وهم من جملة خيله فصدم أحدهم المشعل فالقاه وصدم الآخر الشمعة فاطفأها وضربه الثالث بالسكين فقتله وقتل معه جانداره واختلط الناس في الظلمة ونهبوا خزائنه وتفرق عسكره وبقي ملقى فلم يوجد ما يحمل عليه ثم حمل الى داره باصبهان ودفن بها ووصل خبر قتله السلطان

رافعا كفيه يدعو الله * اسرارا وجهرا
أن ينجيه من القتـ * ـل وأن يعمل صفرا

ولما قتل محمد بن هرون لمحمد بن زيد العلوي أظهر المعتضد لذلك النكير والحزن تأسفا على قتله (وكانت) وفاة نصر بن أحمد صاحب ما وراء النهر بلخ في أيام المعتضد وذلك في سنة تسع وثمانين ومائتين وصار الامر الى أخيه اسمعيل بن أحمد (وكانت) وفاة أحمد بن أبي طاهر الكاتب صاحب كتاب أخبار بغداد سنة ثمانين ومائتين (وفيها كانت) وفاة أحمد بن محمد القاضي الذي يحدث (وفي سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي مؤدب المكتفي بالله في المحرم وهو صاحب الكتب المصنفة في الزهد وغيره (وفي سنة) اثنتين كانت وفاة أبي سهل محمد ابن أحمد الرازي المحدث وانما نذكر وفاة هؤلاء لدخولهم في التاريخ وحمل الناس العلم عنهم من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكانت) وفاة عبيد الله بن شريك المحدث في سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد (وفيها) وفاة بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف بطبرستان (وفيها) مات محمد بن الحسين بن الجنيد (وفي سنة) ثمان وثمانين ومائتين مات أبو علي بشر بن عميرة الاسدي وله نيف وتسعون سنة وقبض والده وهو ابن تسع

بركيارق وهو بخوارزمى قد خرج من خراسان عازما على قتاله وهو على غاية الحذر من قتاله وعاقبة أمره وفرح مجد الملك البلاسانى بقتله وكان له مثل يومه عن قريب وكان عمره أربعا وثلاثين سنة وكان كثير الصوم والصلاة والخير والمحبة للصالحين

﴿ذكر ملك الفرنج لعنهم الله البيت المقدس﴾

كان البيت المقدس لتاج الدولة تتش وأقطعه للامير سقمان بن أرتق التركمانى فلما ظفر الفرنج بالاتراك على انطاكية وقتلوا فيهم ضعفوا وتفرقوا فلما رأى المصريون ضعف الاتراك ساروا اليه ومقدمهم الافضل بن بدر الجمالى وحصروه وبه الامير سقمان وايلغازى ابنا ارتق وابن عمهما سونج وابن أخيهما ياقوتى ونصب عليه نيفا وأربعين منجنيقا فهدموا مواضع من سوره وقاتلهم أهل البلد فدام القتال والحصار نيفا وأربعين يوما وملكوه بالامان فى شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأحسن الافضل الى سقمان وايلغازى ومن معهما وأجزل لهم العطاء وسيرهم فساروا الى دمشق ثم عبروا الفرات فأقام سقمان ببلد الرها وسار ايلغازى الى العراق واستناب المصريون فيه رجلا يعرف بافتخار الدولة وبقى فيه الى الآن فقصده الفرنج بعد ان حصروا عكا فلم يقدروا عليها فلما وصلوا اليه حصروه نيفا وأربعين يوما ونصبوا عليه برجين أحدهما من ناحية صهيون وأحرقه المسلمون وقتلوا كل من به فلما فرغوا من احراقه أتاهم المستغيث بان المدينة قد ملكت من الجانب الآخر وملكوها من جهة الشمال منه ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان وركب الناس السيف ولبث الفرنج فى البلدة اسبوعا يقتلون فيه المسلمين واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة أيام فبذل لهم الفرنج الامان فسلموه اليهم ووفى لهم الفرنج وخرجوا ليلا الى عسقلان فأقاموا بها وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الاوطان وجاور بذلك الموضع الشريف وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنورا من فضة وزنه أربعون رطلا بالشامى وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا نقرة ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا منه ما لا يقع عليه الاحصاء وورد المستنفرون من الشام فى رمضان الى بغداد صحبة القاضى أبى سعد الهروى فأوردوا فى الديوان كلاما أبكى العيون وأوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا وذكر ما دهم المسلمين بذلك الشريف المعظم من قتل الرجال وسبى الحريم والاولاد ونهب الاموال فلشدة ما أصابهم أفطروا فأمر الخليفة ان يسير القاضى أبو محمد الدامغانى وأبو بكر الشاشى وأبو القاسم الزنجانى وأبو الوفاء بن عقيل وأبو سعد الحلوانى وأبو الحسين بن سماك فساروا الى حلوان فبلغهم قتل مجد الملك البلاسانى على ما نذكره فعادوا من غير بلوغ أرب ولا قضاء حاجة واختلف السلاطين على ما نذكره فتمكن الفرنج من البلاد فقال أبو المظفر الابيوردى فى هذا المعنى أبياتا منها

مزجنا دماء بالدموع السواجم * فلم يبق منا عرضة للمراجم

وشر سلاح المرء دمع يفيضه * اذا الحرب شبت نارها بالصوارم

فايها بنى الاسلام ان وراءكم * وقائع يلحقن الذرى بالمناسم

اتهويمة فى ظل امن وغبطة * وعيش كنوار الخميلة ناعم

وكيف تنام العين ملء جفونها * على هفوات أيقظت كل نائم

وتسعين سنة وفيها مات أبو المثنى معاذ بن المثنى العبدى فى أيام المعتضد (قال المسعودى) وقد ذكرنا من اشتهر من الفقهاء والمحدثين وغيرهم من أهل الآراء والادب فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا ملوحين على ما سلف (وكانت) وفاة المعتضد لاربع ساعات خلت من ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين فى قصره المعروف بالحسنى بمدينة السلام وقيل ان وفاته كانت بسم اسمعيل بن بلبل قبل قتله اياه فكان يسرى فى جسده ومنهم من ذكر أن جسمه تحلل فى مسيره فى طلب وصيف الخادم على ما ذكرنا ومنهم من رأى أن بعض جواريه سمته فى منديل أعطته اياه يتنشف به وقيل غير ذلك مما عنه أعرضنا (وقد كان) أوصى أن يدفن فى دار محمد بن عبد الله بن طاهر فى الجانب الغربى من الدار المعروفة بدار الرخام فلما اعتراه الغشى ووقع للموت شكوا فى وفاته فتقدم الطبيب الى بعض أعضائه يجسه فأحس به وهو على ما به من السكرات فأنف من ذلك وركله برجله فقلبه أذرعا فيقال ان الطبيب مات منها ومات المعتضد من ساعته ومع ضجة وهو على ما به من الحال ففتح عينيه وأشار بيديه كالمستفهم فقال له مؤنس الخادم يا سيدى الغلمان واخوانكم

واخوانكم بالشام يضحى مقيلهم * ظهور المذاكى أو بطون القشاعم

تسومهم الروم الهوان وأنتم * تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

وكم من دماء قد أبيحت ومن دمى * توارى حياء حسنها بالمعاصم

بحيث السيوف البيض محمرة الظبا * وسمر العوالى داميات اللهاذم

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة * تظل لها الولدان شيب القوادم

وتلك حروب من يغب عن غمارها * ليسلم يقرع بعدها سن نادم

سللن بايدى المشركين قواضبا * ستغمد منهم فى الطلى والجماجم

يكاد لهن المستجن بطيبة * ينادى باعلى الصوت يا آل هاشم

أرى أمتى لا يشرعون الى العدى * رماحهم والدين واهى الدعائم

ويجتنبون النار خوفا من الردى * ولا يحسبون العار ضربة لازم

أترضى صناديد الاعاريب بالاذى * ويغضى على ذل كماة الاعاجم

ومنها

فليتهم اذ لم يذودوا حمية * عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم

وان زهدوا فى الاجر اذ حمس الوغا * فهلا أتوه رغبة فى الغنائم

لئن أذعنت تلك الخياشيم للبرى * فلا عطسوا الا باجدع راغم

دعوناكم والحرب ترنو ملحة * الينا بالحاظ النسور القشاعم

تراقب فينا غارة عربية * تطيل عليها الروم عض الاباهم

فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * رمينا الى أعدائنا بالجرائم

﴿ذكر الحرب بين المصريين والفرنج﴾

فى هذه السنة فى رمضان كانت وقعة بين العساكر المصرية والفرنج وسببها ان المصريين لما بلغهم ما تم على أهل القدس جمع الافضل أمير الجيوش العساكر وحشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا ويتهددهم فأعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على أثره وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول ولم يكن عند المصريين خبر من وصولهم ولا من حركتهم ولم يكونوا على اهبة القتال فنادوا الى ركوب خيولهم ولبسوا أسلحتهم وأعجلهم الفرنج فهزموهم وقتلوا منهم من قتل وغنموا ما فى العسكر من مال وسلاح وغير ذلك وانهزم الافضل فدخل عسقلان ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجميز وكان هناك كثيرا فأحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك من فيه وقتلوا من خرج منه وعاد الافضل فى خواصه الى مصر ونازل الفرنج عسقلان وضايقوها فبذل لهم أهلها قطيعة اثنى عشر ألف دينار وقيل عشرين ألف دينار ثم عادوا الى القدس

﴿ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد بن ملكشاه﴾

كان السلطان محمد وسنجر أخوين لام وأب أمهما أم ولد ولما مات أبوهما ملكشاه كان محمد معه ببغداد فسار مع أخيه محمود وتركان خاتون زوجة والده الى أصبهان ولما حصر بركيارق أصبهان خرج محمد مختفيا ومضى الى والدته وهى فى عسكر أخيه بركيارق وقصد أخاه السلطان بركيارق وسار معه الى بغداد سنة ست وثمانين وأربعمائة وأقطعه بركيارق كنجة وأعمالها وجعل معه اتابكا له الامير قتلغ تكين فلما قوى محمد قتله واستولى على جميع أعمال أران الذى من جملته كنجة فعرف ذلك الوقت شهامة محمد وكان السلطان ملكشاه قد أخذ تلك البلاد من

فكادت أنفس الجماعة أن تخرج قد ضجوا عند القاسم بن عبيد الله فأطلقنا لهم العطاء فقطب وهم فى سكرته فكادت أنفس الجماعة أن تخرج من هيبته وحمل الى دار محمد بن عبد الله بن طاهر فدفن بها (قال المسعودى) وللمعتضد أخبار وسير وحروب ومسير فى الارض غير ما ذكرنا قد أتينا على ذكرها والغرر من مبسوطها فى كتاب أخبار الزمان والاوسط

﴿ذكر خلافة المكتفى بالله﴾

وبويع المكتفى بالله وهو على بن أحمد المعتضد بمدينة السلام فى اليوم الذى كانت فيه وفاة أبيه المعتضد وهو يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وأخذ له البيعة القاسم بن عبيد الله والمكتفى يومئذ بالرقة وللمكتفى يومئذ نيف وعشرون سنة ويكنى بأبى محمد فكان وصول المكتفى الى مدينة السلام يوم الاثنين لسبع ليال بقين من جمادى الاولى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان دخوله فى الماء ونزل قصر الحسنى على دجلة وكانت وفاته يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وهو يومئذ ابن احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر فكانت خلافته ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما وقيل ست سنين وستة أشهر وستة عشر يوما على تباين الناس فى تواريخهم والله أعلم

فضلون بن أبي الاسوار الروادي وسلمها الى سرهنك ساوتكين الخادم واقطع فضلون استراباذ وعاد فضلون ضمن بلاده ثم عصى فيها الماقوي فارسل السلطان اليه الامير بوزان فحاربه وأسره واقطع بلاده لجماعة منهم باغيسيان صاحب انطاكية ولما مات باغيسيان عاد ولده الى ولاية أبيه في هذه البلاد وتوفي فضلون ببغداد سنة أربع وثمانين وهو على غاية من الاضاقة في مسجد على دجلة وقد ذكرنا فيما تقدم تنقل الاحوال بمؤيد الملك عبيد الله بن نظام الملك وانه كان عند الامير أنر فحسن له عصيان السلطان بركيارق فلما قتل أنر سار الى الملك محمد فاشار عليه بمخالفة أخيه والسعي في طلب السلطنة ففعل ذلك وقطع خطبة بركيارق من بلاده وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزر مؤيد الملك واتفق قتل مجد الملك البلاساني واستيحاش العسكر من السلطان بركيارق وفارقوه وساروا نحو السلطان محمد فلقوه بخرقان فصاروا معه وسار نحو الري وكان السلطان بركيارق لما فارقه عسكره سار مجدا الى الري فاتاه بها الامير ينال بن أنوشتكين الحسامي وهو من أكابر الامراء ووصل اليه أيضا عز الملك منصور بن نظام الملك وأمه ابنة ملك الابخاز ومعه عساكر جمة فبلغه مسير أخيه محمد اليه في العساكر فسار من الري الى أصبهان فلم يفتح أهلها له الابواب فسار الى خوزستان على ما نذكره وورد السلطان محمد الى الري ثاني ذي القعدة فوجد زبيدة خاتون والدة أخيه السلطان بركيارق قد تخلفت بعد ابنها فاخذها مؤيد الملك وحبسها في القلعة وأخذ خطها بخمسة آلاف دينار وأراد قتلها وأشار عليه ثقاته ان لا يفعل ذلك فلم يقبل منهم وقالوا له العسكر محبون لولدها وانما استوحشوا منه لاجلها ومتى قتلت عدلوا اليه فلا تغتر بهؤلاء الجند فانهم غدروا بمن أحسن اليهم أوثق ما كان بهم فلم يصغ الى قولهم ورفعها الى القلعة وخنقت وكان عمرها اثنتين واربعين سنة فلما أسر السلطان بركيارق مؤيد الملك رأى خطه في تذكرته بخمسة آلاف دينار فكان أعظم الاسباب في قتله

﴿ذكر الخطبة ببغداد للملك محمد﴾

لما قوي أمر السلطان محمد سار اليه سعد الدولة كوهرآيين من بغداد وكان قد استوحش من السلطان بركيارق فاجتمع هو وكربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب الجزيرة وسرخاب بن بدر صاحب كنكور وغيرها فسار والى السلطان محمد فلقوه بقم فرد سعد الدولة الى بغداد وخلع عليه وسار كربوقا وجكرمش في خدمته الى أصبهان ولما وصل كوهرآيين الى بغداد خاطب الخليفة في الخطبة للسلطان محمد فاجاب الى ذلك وخطب له يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة ولقب غياث الدنيا والدين

﴿ذكر قتل مجد الملك البلاساني﴾

قد ذكرنا تحكم مجد الملك أبي الفضل اسعد بن محمد في دولة السلطان بركيارق وتمكنه منها فلما بلغ الغاية التي لا مزيد عليها جاءته نكبات الدنيا ومصائبها من حيث لا يحتسب وأما سبب قتله فان الباطنية لما توالى منهم قتل الامراء الاكابر من الدولة السلطانية نسبوا ذلك اليه وانه هو الذي وضعهم على قتل من قتلوه وعظم ذلك قتل الامير برسق فان أولاده زنكي واقبوري وغيرهما مجد الملك بقتله وفارقوا السلطان وسار السلطان الى زنجان لانه بلغه خروج السلطان محمد عليه على ما ذكرناه فطمع حينئذ الامراء فارسل أمير آخر وينكابك وطغايرك بن اليزن وغيرهم الى الامراء بني برسق يستحضرونهم اليهم ليتفقوا معهم على مطالبة السلطان بتسليم مجد الملك اليهم ليقتلوه فحضروا عندهم فارسلوا الى السلطان بركيارق وهم بسجاس مدينة قريبة من همذان

يلتمسون

يلتمسون تسليمه اليهم ووافقهم على ذلك العسكر جميعه وقالوا ان سلم الينا فنحن العبيد الملازمون للخدمة وان منعنا فارقناه وأخذناه قهرا فمنع السلطان منه فارسل مجد الملك الى السلطان يقول له المصلحة ان تحفظ أمراء دولتك وتقتلني أنت لئلا يقتلني القوم فيكون فيه وهن على دولتك فلم تطب نفس السلطان بقتله وأرسل اليهم يستحلفهم على حفظ نفسه وحبسه في بعض القلاع فلما حلفوا اسلمه اليهم فقتله الغلمان قبل ان يصل اليهم فسكنت الفتنة ومن العجب أنه كان لا يفارقه كفنه سفرا وحضرا ففي بعض الايام فتح خازنه صندوقا فرأى الكفن فقال وما أصنع بهذا ان أمري لا يؤول الى كفن والله ما أبقى الا طريحا على الارض فكان كذلك ورب كلمة تقول لقائلها دعني ولما قتل حمل رأسه الى مؤيد الملك بن نظام الملك وكان مجد الملك خيرا كثير الصلاة بالليل كثير الصدقة لا سيما على العلويين وأرباب البيوتات وكان يكره سفك الدماء وكان يتشيع الا انه كان يذكر الصحابة ذكرا حسنا ويلعن من يسبهم ولما قتل أرسل الامراء يقولون للسلطان المصلحة ان تعود الى الري ونحن نمضي الى أخيك فنقاتله ونقضي هذا المهم فسار بعد امتناع وتبعه مائتا فارس لا غير ونهب العسكر سرادق السلطان ووالدته وجميع أصحابه وعاد الى الري وسار العسكر الى السلطان محمد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في شعبان وصل الكيا أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالهراس الفقيه الشافعي ولقبه عماد الدين شمس الاسلام برسالة من السلطان بركيارق الى الخليفة وهو من أصحاب امام الحرمين أبي المعالي الجويني ومولده سنة خمسين وأربعمائة واعتنى بامره مجد الملك البلاساني وقام له الوزير عميد الدولة بن جهير لما دخل عليه وفيها قتل أبو القاسم ابن امام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور وكان خطيبها واتهم العامة أبا البركات الثعلبي بانه هو الذي سعى في قتله فوثبوا به فقتلوه وأكلوا لحمه وفيها كان بخراسان غلاء شديد تعذرت فيه الاقوات ودام سنتين وكان سببه ان البرد أهلك الزروع جميعها ولحق الناس بعده وباء جارف فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم لكثرتهم وفيها في شعبان توفي أبو الغنائم الفارقي الفقيه الشافعي بجزيرة ابن عمر وكان اماما فاضلا زاهدا وفيها في صفر توفي أبو عبد الله الحسين بن طلحة النعالي وعمره نحو تسعين سنة وكان عالي الاسناد في الحديث وقيل توفي سنة ثلاث وتسعين وفيها في شعبان توفي أبو غالب محمد بن علي بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعي تفقه على ابن عمه أبي نصر وكان حسن الخلق متواضعا

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر اعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد﴾

في هذه السنة أعيدت الخطبة للسلطان بركيارق ببغداد وسبب ذلك ان بركيارق سار في العام الماضي من الري الى خوزستان فدخلها وجميع من معه على حال سيئة وكان أمير عسكره حينئذ ينال بن أنوشتكين الحسامي وأتاه غيره من الامراء وسار الى واسط فظلم عسكره الناس ونهبوا البلاد واتصل به الامير صدقة بن مزيد صاحب الحلة ووثب على السلطان قوم ليقتلوه فأخذوا وأحضروا بين يديه فاعترفوا ان الامير سرمز شحنة أصبهان وضعهم على قتله فقتل أحدهم وحبس الباقون وسار الى بغداد فدخلها سابع عشر صفر وخطب له ببغداد يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومين وكان سعد الدولة كوهرآيين بالشفيعي وهو في طاعة السلطان محمد

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره وما كان في أيامه﴾ ولم يتقلد الخلافة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقي لله من اسمه علي الا علي بن أبي طالب والمكتفي ولما نزل المكتفي قصر الحسني في اليوم الذي كان دخوله الى مدينة السلام خلع على القاسم بن عبيد الله ولم يخلع على أحد من القواد وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس واطلاق من كان محبوسا فيها وأمر برد المنازل التي كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير الى أهلها وفرق فيهم أموالا فمالت قلوب الرعية اليه وكثر الداعي له بهذا السبب وغلب عليه القاسم بن عبيد الله وفاتك مولاه ثم غلب عليه بعد وفاة القاسم بن عبيد الله وزيره العباس بن الحسين وفاتك وقد كان القاسم ابن عبيد الله أوقع بمحمد بن غالب الاصبهاني وكان يتقلد ديوان الرسائل وكان ذا علم ومعرفة وأوقع بمحمد بن بشار وابن منارة لشيء بلغه عنهم وأوثقهم بالحديد وأحدرهم الى البصرة فيقال انهم غرقوا في الطريق ولم يعرف لهم خبر الى هذه الغاية ففي ذلك يقول علي بن بسام

عذرناك في قتلك المسلمين وقلنا عداوة أهل الملل
فهذا المناري ما ذنبه * ودينكما واحد لم يزل

وقد كانت الحال انفرجت بين القاسم بن عبيد الله وبدر قبل هذا الوقت فلما استخلف المكتفي أغراه القاسم ببدر وكان ميل جماعة من القواد الى بدر فساروا الى حضرة السلطان وسار بدر الى واسط فأخرج القاسم المكتفي الى نهر ديالى فعسكر هنالك وجعل في نفس المكتفي من بدر كل حالة يقدر عليها من الشر وأغراه به فاحضر القاسم أبا حازم القاضي وكان ذا علم ودراية فأمره عن أمير المؤمنين بالمسير الى بدر فيأخذ له الامان ويجيء به معه ويضمن له عن أمير المؤمنين ما أحب فقال أبو حازم ما كنت أبلغ عن أمير المؤمنين رسالة لم أسمعها منه فلما امتنع عليه أحضر أبا عمرو بن يوسف القاضي فأرسل به الى بدر في سر فأعطاه الامان والعهود والمواثيق عن المكتفي وضمن له أنه لا يسلمه عن يده الا عن رؤية أمير المؤمنين فخلى عسكره وجلس معه في السمرا مصعدين فلما انتهوا الى ناحية المدائن والسيب تلقاه جماعة بالحذر فأحاطوا بالسمرا ونحى أبو عمرو عنه الى طيار فركب فيه وقرب بدر الى الشط وسألهم أن يصلي ركعتين وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين وقت الزوال فأمهلوه للصلاة فلما كان في الركعة الثانية قطعت عنقه وأخذ رأسه فحمل الى المكتفي فلما وضع الرأس بين يدي المكتفي سجد وقال الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة ودخل

فسار الى داى مرج ومعه ايلغازى بن ارتق وغيره من الامراء فارسل الى مؤيد الملك والسلطان محمد يستحثهما على الوصول اليه فارسلا اليه كربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فاما جكرمش فاستأذن كوهرآيين فى العود الى بلده وقال انه قد اختلت الاحوال فاذن له وبقى مع كوهرآيين جماعة من الامراء فاتفقوا على أن يصدروا عن رأى واحد ولا يختلفوا ثم اتفقت آراؤهم على ان كتبوا الى السلطان بركيارق يقولون له اخرج الينا فافينا من يقاتلك وكان الذى أشار بذا كربوقا وقال لكوهرآيين اننا لم نظفر من محمد ومؤيد الملك بطائل وكان مضرفا عن مؤيد الملك فسار بركيارق اليهم فترجلوا وقبلوا الارض وعادوا معه الى بغداد وأعاد الى كوهرآيين جميع ما كان أخذ له من سلاح ودواب وغير ذلك واستوزر بركيارق ببغداد الاعز أبا المحاسن عبد الجليل بن على بن محمد الدهستانى وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وطالبه بالحاصل من ديار بكر والموصل لما تولاها هو وأبوه أيام ملكشاه فاستقر الامر على مائة ألف دينار وستين ألف دينار يحملها اليه وخلع الخليفة على السلطان بركيارق

﴿ذكر الوقعة بين السلاطين بركيارق ومحمد واعادة خطبة محمد ببغداد﴾

فى هذه السنة سار بركيارق من بغداد الى شهرزور فاقام بها ثلاثة أيام والتحق به عالم كثير من التركمان وغيرهم فسار نحو أخيه السلطان محمد ليحاربه فكاتبه رئيس همذان ليسير اليها ويأخذ اقطاع الامراء الذين مع أخيه فلم يفعل وسار نحو أخيه فوقع الحرب بينهم رابع رجب وهو المصاف الاول بين بركيارق وأخيه السلطان محمد باسبيذروز ومعناه النهر الابيض وهو على عدة فراسخ من همذان وكان مع محمد نحو عشرين ألف مقاتل وكان محمد فى القلب ومعه الامير سرمز وعلى ميمنته أمير آخر وابنه اياز وعلى ميسرته مؤيد الملك والنظامية وكان السلطان بركيارق فى القلب ووزيره الاعز أبو المحاسن وعلى ميمنته كوهرآيين وعز الدولة بن صدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر وعلى ميسرته كربوقا وغيره فحمل كوهرآيين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمد وبها مؤيد الملك والنظامية فانهزموا ودخل عسكر بركيارق فى خيامهم فنهبوهم وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزمت الميسرة وانضافت ميمنة محمد اليه فى القلب على بركيارق ومن معه فانهزم بركيارق ووقف محمد مكانه وعاد كوهرآيين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يديه وكبا به فرسه فاتاه خراسانى فقتله وأخذ رأسه وتفرقت عساكر بركيارق وبقى فى خمسين فارسا وأما وزيره الاعز أبو المحاسن فانه أخذ أسيرا فاكرمه مؤيد الملك بن نظام الملك ونصب له خياما وخركاه وحمل اليه الفرش والكسوة وضمنه عمادة بغداد وأعاده اليها وأمره بالمخاطبة فى اعادة الخطبة للسلطان محمد ببغداد فلما وصل اليها خاطب فى ذلك فأجيب اليه وخطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب

﴿ذكر قتل سعد الدولة كوهرآيين﴾

فى هذه السنة فى رجب قتل سعد الدولة كوهرآيين فى الحرب المذكورة قبل وكان ابتداء أمره انه كان خادما للملك أبى كاليجار بن سلطان الدولة بن بويه انتقل اليه من امرأة من قرقوب بخوزستان وكان اذا توجه الى الاهواز حضر عندها واستعرض حوائجها وأصاب أهلها منه خيرا كثيرا فارسله أبو كاليجار مع ابنه أبى نصر الى بغداد فلما قبض عليه السلطان طغرلبك مضى معه الى قلعة طبرك فلما مات أبو نصر انتقل الى خدمة السلطان الب ارسلان ووقاه بنفسه لما جرحه يوسف الخوارزمى وكان الب ارسلان قد أقطعه واسط وجعله شحنة لبغداد فلما قتل الب

المكتفى الى مدينة السلام يوم الاحد لثمان خلون من شهر رمضان ففى محمد بن يوسف القاضى يقول بعض الشعراء فى ضمانه

لبدر العهود والمواثيق عن المكتفى
قل لقاضى مدينة المنصور بم أحللت أخذ رأس الامير
بعد اعطائه المواثيق والعهد وعقد الامان فى مسطور
أين أيمانك التى يشهد الله على أنها يمين فجور
أين تأكيدك الطلاق ثلاثا ليس فيهن نية التخيير
ان كفيك لا تفارق كفيه الى أن ترى مليك السرير
يا قليل الحياء يا أكذب الامة يا شاهدا شهادة زور
ليس هذا فعل القضاة ولا يحسن أمثاله ولاة الجسور
قد مضى من قتلت فى رمضان راكعا بعد سجدة التكبير
أى ذنب أتيت فى الجمعة الزهراء فى خير خير الشهور
فأعد الجواب للحكم العادل من بعد منكر ونكير
يا بنى يوسف بن يعقوب أضحى أهل بغداد منكم فى غرور
شتت الله شملكم وأرانى بكم الذل بعد ذل الوزير
أنتم كلكم فداء أبى حازم المستقيم كل الامور

قالوا وكان بدر حرا وهو بدر بن خير من موالى المتوكل وكان بدر فى خدمة ناشئ غلام الموفق صاحب ركابه ثم اتصل بالمعتضد وقرب من قلبه

ارسلان

ارسلان أرسله ابنه ملكشاه الى بغداد فاحضر له الخلع والتقليد ورأى ما لم يره خادم قبله من نفوذ الامر وتمام القدرة وطاعة أعيان الامراء وخدمتهم اياه وكان حليما كريما حسن السيرة لم يصادر أحدا من أهل ولايته ومناقبه كثيرة

﴿ذكر حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضا وقتل أميرداذ حبشى﴾

لما انهزم السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد سار قليلا وهو فى خمسين فارسا ونزل عقبة واستراح وقصد الرى وأرسل الى من كان يعلم أنه يريده ويؤثر دولته فاستدعاه فاجتمع معه جمع صالح فسار الى اسفراين وكاتب أميرداذ حبشى بن التونتاق وهو بدامغان يستدعيه فاجابه يشير عليه بالمقام بنيسابور حتى يأتيه وكان بيده حينئذ أكثر خراسان وطبرستان وجرجان فلما وصل بركيارق الى نيسابور قبض على رؤسائها وخرج بهم وأطلقهم بعد ذلك وتمسك بعميد خراسان أبى محمد وأبى القاسم بن أبى المعالى الجوينى فاما أبو القاسم فمات مسموما فى قبضه وقد تقدم انه قتل سنة اثنتين وتسعين وعاد بركيارق فاستدعى أميرداذ فاعتذر بقصد السلطان سنجر بلاده فى عساكر بلخ ويسأل السلطان بركيارق ان يصل اليه ليعينه على الملك سنجر فسار اليه فى ألف فارس فلم يعلم بقدومه الا الامراء الكبار من أصحاب سنجر ولم يعلم الاصاغر لئلا ينهزموا وكان مع الاميرداذ عشرون ألف فارس فيهم من رجالة الباطنية خمسة آلاف ووقع المصاف بين بركيارق وأخيه سنجر خارج النوشجان وكان الامير برغش فى ميمنة سنجر والامير كندكز فى ميسرته والامير رستم فى القلب فحمل بركيارق على رستم فطعنه فقتله وانهزم أصحابه وأصحاب سنجر واشتغل العسكر بالنهب فحمل عليهم برغش وكندكز فقتلا المنهزمين وانهزم الرجالة الى مضيق بين جبلين فارسل عليهم الماء فاهلكهم ووقعت الهزيمة على أصحاب بركيارق وكان قد أخذ والدة أخيه سنجر لما انهزم أصحابه أولا فخافت ان يقتلها بامه فاحضرها وطيب قلبها وقال انما أخذتك حتى يطلق أخى سنجر من عنده من الاسرى ولست كفؤا لوالدتى حتى أقتلك فلما أطلق سنجر الاسرى أطلقها بركيارق وهرب أميرداذ الى بعض القرى وأخذه بعض التركمان فاعطاه فى نفسه مائة ألف دينار فلم يطلقه وحمله الى برغش فقتله وسار بركيارق الى جرجان ثم الى دامغان وسار فى البرية وروى فى بعض المواضع ومعه سبعة عشر فارسا وجمازة واحدة ثم كثر جمعه وصار معه ثلاثة آلاف فارس منهم جاولى سقاووه وغيره وسار الى أصبهان بمكاتبة من أهلها فسمع السلطان محمد فسبقه اليها فعاد الى سميرم

﴿ذكر فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس﴾

فى هذه السنة فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس وكان صاحبها حمو قد عاد فتغلب عليها واشتد أمره بوزير كان عنده قد قصده وهو من كتاب المعز كان حسن الرأى والتدبير فاستقامت به دولته وعظم شأنه فارسل اليه تميم يطلبه ليستخدمه ووعده وبالغ فى استمالته فلم يقبل فسير تميم جيشا الى حصار سفاقس وأمر الامير الذى جعله مقدم الجيش ان يهدم ما حول المدينة ويحرقه ويقطع الاشجار سوى ما يتعلق بذلك الوزير فانه لا يتعرض اليه ويبالغ فى صيانته ففعل ذلك فلما رأى حمو ما فعل باملاك الناس ما عدا الوزير اتهمه فقتله فانحل نظام دولته وتسلم عسكر تميم المدينة وخرج حمو منها وقصد مكن بن كامل الدهمانى فاقام عنده فاحسن اليه ولم يزل عنده حتى مات

﴿ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته﴾

وخف بين يديه فى أيام الموفق وكان للمعتضد غلام يقال له فاتك وكان من أعلى غلمانه فبعد من قلبه وانحطت مرتبته

وكان السبب فى ذلك أن المعتضد غضب على بعض جواريه فأمر ببيعها فدس فاتك من ابتاعها له فكان السبب فى ابعاده من قلب المعتضد عند نمو ذلك اليه وزاد أمر بدر وعلت مرتبته حتى كان يلتمس الحوائج به من المعتضد وكانت الشعراء تقرن مدح بدر بمدح المعتضد وكذلك من خاطبه فيما عدا المنظوم من الكلام (قال المسعودى) وأخبرنى أبو بكر محمد بن يحيى الصولى النديم الشطرنجى بمدينة السلام قال كان لى وعد على المعتضد فما ظفرت به حتى عملت قصيدة ذكرت فيها بدرا أولها

أيها الهاجر من حال لامجد أجزاء الود أن يلقى بصد
لامير المؤمنين المعتضد بحر جود ليس يعدوه أحد
وأبو النجم لمن يقصده جدول منه الى البحر يرد
ندهضى الفطر الى الاضحى وقد آن أن يقرب وعد قد بعد
ما اقتضانى الوعد أن لست على ثقة من انه أخذ بيد
غير أن النفس تهوى عاجلا وسوا أعطى كريم أو وعد

قال فضحك وأمر لى بما وعدنى به (وأخبرنا) محمد بن النديم بمدينة السلام قال سمعت المعتضد يقول نا آنف من هبة القليل ولا أرى الدنيا لو كانت لى

أموالها وجمعت عندي نفي بقدر جودي والناس يزعمون أني بخيل أراهم لا يعلمون أني جعلت أبا النجم
بيني وبينهم أعرف ما مبلغ
ما ينفقه يوما فيوما ولو كنت
بخيلا ما أطقت ذلك له
(وأخبرنا) أبو الحسن محمد
ابن علي الفقيه الوراق
الانطاكي بمدينة انطاكية
قال أخبرني ابراهيم بن محمد
الكاتب عن يحيى بن علي
المنجم النديم قال كنت
يوما بين يدي المعتضد وهو
مقطب فاقبل بدر فلما رآه
من بعيد ضحك وقال لي
يا يحيى من الذي يقول من
الشعراء

في وجهه شافع يمحو اساءته
من القلوب وجيه حيثما شفعا

فقالت يقوله الحكم بن مرة
المازني فقال لله دره أنشدني
هذا الشعر فانشدته

ويلي على من أطار النوم فامتنعا
وزاد قلبي على أوجاعه وجعا
كأنما الشمس في أعطافه لمعت
حسنا أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وان كثرت
منه الذنوب ومعذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو اساءته
من القلوب وجيه حيثما شفعا

قال وأخذ قوله أو البدر
من أزراره طلعا أحمد بن
يحيى بن العراف الكرفي
فقال

بدا وكأنما قمر * على أزراره طلعا بحث المسك عن عرق الشعبين بنانه ولعا (وفي سنة) تسع وثمانين

لما أطلق مؤيد الدولة وزير السلطان محمد الاعز أبا المحاسن وزير بركيارق وضمنه عمادة بغداد أمره
ان يخاطب الخليفة بعزل وزيره عميد الدولة بن جهير فسار من العسكر وسمع عميد الدولة الخبر فأمر
الاصبهبذ صباوة بن خمارتكين بالخروج الى طريق الاعز وقتله وكان الاصبهبذ قد حضر الحرب
مع بركيارق ولما انهزم العسكر قصد بغداد فخرج الى طريق الاعز أبي المحاسن فلقيه قريبا من
يعقوبا فاوقع بمن معه والتجأ الاعز الى القرية واحتمى فلما رأى الاصبهبذ صباوة ذلك أرسل اليه
يقول له انك وزير السلطان بركيارق وأنا مملوكه فان كنت على خدمته فاخرج الينا حتى نسير الى
بغداد ونقيم الخطبة للسلطان وأنت الصاحب الذي لا يخالف وان لم تجب الى هذا فما بيننا غير
السيف فاجابه الاعز الى ذلك واجتمعا فعرفه صباوة الذي أمره به عميد الدولة من قتله وباتا تلك
الليلة وأرسل الاعز الى الامير ايلغازي بن أرتق وكان قد ورد في صحبته وفارقه بنحو الراذان فحضر
في الليل فانقطع حينئذ أمل صباوة منه وفارقه وسار الاعز الى بغداد وخاطب في عزل عميد الدولة
فعزل في رمضان وأخذ من ماله خمسة وعشرون ألف دينار وقبض عليه وعلى اخوته وبقي معزولا
الى سادس عشر شوال فتوفي محبوسا في دار الخلافة ومولده في المحرم سنة خمس وثلاثين
وأربعمائة وكان عاقلا كريما حليما الا أنه كان عظيم الكبر يكاد يعد كلامه عدا وكان اذا كلم
انسانا كلمات يسيرة هنأ ذلك الرجل بكلامه

﴿ذكر ظفر المسلمين بالفرنج﴾

في ذي القعدة من هذه السنة لقي كمشتكين ابن الدانشمند طايلو وانما قيل له ابن الدانشمند لان
أباه كان معلم التركمان وتقلبت به الاحوال حتى ملك وهو صاحب ملطية وسيواس وغيرهما بيمند
الفرنجي وهو من مقدمي الفرنج قريب ملطية وكان صاحبها قد كاتبه واستقدمه اليه فورد عليه
في خمسة آلاف فلقيهم ابن الدانشمند فانهزم بيمند وأسر ثم وصل من البحر سبعة قامصة من الفرنج
وأرادوا تخليص بيمند فاتوا الى قلعة تسمى انكورية فأخذوها وقتلوا من بها من المسلمين وساروا
الى قلعة أخرى فيها اسمعيل بن الدانشمند وحصروها فجمع ابن الدانشمند جمعا كثيرا ولقي
الفرنج وجعل له كمينا وقاتلهم وخرج الكمين عليهم فلم يفلت أحد من الفرنج وكانوا ثلثمائة ألف
غير ثلاثة آلاف هربوا ليلا وافلتوا مجروحين وسار ابن الدانشمند الى ملطية فملكها وأسر صاحبها
ثم خرج اليه عسكر الفرنج من انطاكية فلقيهم وكسرهم وكانت هذه الوقائع في شهور قريبة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة زاد أمر العيارين بالجانب الغربي من بغداد في شعبان وعظم ضررهم فأمر الخليفة
كمال الدولة يمن بتهذيب البلد فأخذ جماعة من أعيانهم وطلب الباقين فهربوا وفيها أيضا الحت
الاسعار بالعراق وكان الكر الحنطة قد بلغ سبعين دينارا وربما زاد كثيرا في بعض الاوقات
وانقطعت الامطار ويبست الانهار وكثر الموت حتى عجز الناس عن دفن الموتى فحمل في بعض
الاوقات ستة أموات على نعش واحد وعدمت الادوية والعقاقير وفيها في رجب سار بيمند
الفرنجي صاحب انطاكية الى قلعة فامية فحصرها وقاتل أهلها أياما وأفسد زروعهم ثم رحل عنها
وفيها في آخر رمضان قتل الامير بلكابك سرمز باصبهان بدار السلطان محمد وكان كثير الاحتياط
من الباطنية لا يفارقه لبس الدرع ومن يمنع عنه في ذلك اليوم لم يلبس درعا ودخل دار السلطان
في قلة فقتله الباطنية فقتل واحد ونجا آخر وفيها توفي أبو الحسن البسطامي الصوفي ورباطه
مشهور على دجلة غربي بغداد بناه أبو الغنائم بن المحلبان وفيها مات أبو نصر بن أبي عبد الله بن جردة

وأصله

ومائتين ظهر القرمطي بالشام وكان في حروبه مع طغج وعساكر المصريين ما قد اشتهر خبره وقد أتينا
على ذكره فيما سلف وما
كان من خروج المكتفي
الى الرقة وأخذ القرامطة
وذلك في سنة احدى وتسعين
ومائتين وكذلك ما كان
من ذكرويه بن مهرويه
ووقوعه بالحاج في سنة
أربع وتسعين ومائتين الى
أن قتل وأدخل الى مدينة
السلام (قال المسعودي)
وكان فداء الغدر في ذي
القعدة من سنة اثنتين
وتسعين ومائتين بالامنين
بعد أن فادوا بجماعة المسلمين
ثم ان الروم غدروا وبعد ذلك
وكان فداء التمام بالامنين
بين المسلمين على التمام في
شوال من سنة خمس وتسعين
ومائتين والامير في الفداء بن
جيعارستم وكان على الثغور
الشامية فكان عدة من
فدي به من المسلمين في فداء
ابن طغان في سنة ثلاث
وثمانين ومائتين على حسب
ما قدمنا فيما سلف من هذا
الكتاب من ذكره ألفي
نفس وأربعمائة وخمسا
وتسعين نفسا من ذكر
وأنثى وكان عدة من فدي
به من المسلمين في الغدر ألفا
ومائة وأربعا وخمسين نفسا
وعدد من فودي به في فداء
التمام ألفين وثمانمائة
واثنين وأربعين نفسا ومات
المكتفي وقد خلف في
بيوت الاموال ثمانية
آلاف ألف دينار ومن الورق خمسة وعشرين ألف ألف درهم ومن الدواب والبغال والجمارات

وأصله من عكبرا واليه ينسب مسجد ابن جردة وخرابة ابن جردة ببغداد وفيها توفي أبو علي يحيى
ابن جزلة الطبيب وكان نصرانيا فاسلم وهو مصنف كتاب المنهاج وفيها في شوال توفي عبد الرزاق
الصوفي الغزنوي المقيم برباط عتاب وحج عدة حجات على التجريد ولم يخلف ما تكفن فيه فقالت
زوجته اذا مت افتضحنا قال لم نفتضح قالت لانك ليس لك ما تكفن فيه فقال انما أفتضح اذا خلفت
ما أكفن فيه وفيها في رمضان توفي عز الدولة أبو المكارم محمد بن سيف الدولة صدقة بن مزيد

﴿ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وقتل مؤيد الملك﴾

في هذه السنة ثالث جمادى الآخرة كان المصاف الثاني بين السلطان بركيارق والسلطان محمد
وقد ذكرنا سنة ثلاث وتسعين انهزام السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد وتنقله في البلاد
الى اصبهان وانه لم يدخلها وسار منها الى خوزستان وأتى عسكر مكرم فأتاه الاميران زنكي والبكي
ابنا برسق وصارا معه وأقام بها شهرين وسار منها الى همذان فاتصل به الامير اياز وكان سبب ذلك
ان أميرا آخر قد مات مذ قريب فاتهم اياز مؤيد الملك بانه سقاه السم وقوي ذلك عنده ان وزير أمير
آخر هرب عقيب موته فازداد ظن اياز باتهامه فظفر بالوزير فقتله وكان اياز قد اتخذه أمير آخر
ولدا واتصل به العسكر ووصى له بجميع ماله فحين استوحش لهذا السبب كاتب السلطان
بركيارق واتصل به ومعه خمسة آلاف فارس وصار من جملة عسكره وسار السلطان محمد الى لقاء
أخيه فلما تقارب العسكران استأمن الامير سرخاب بن كيخسرو صاحب آوة الى السلطان
بركيارق فاكرمه ووقع المصاف ثالث جمادى الآخرة وكان مع السلطان بركيارق خمسون ألفا
ومع أخيه السلطان محمد خمسة عشر ألفا فالتقوا فاقتتلوا يومهم أجمع وكان النفر بعد النفر
يستأمنون من عسكر محمد الى بركيارق فيحسن اليهم ومن العجب الدال على الظفر ان رجالة
بركيارق احتاجوا الى تراس فوصل اليه يوم المصاف بكرة اثنا عشر حملا سلاحا من همذان منها
ثمانية أحمال تراس ففرقت فيهم فلما وصلت نزل السلطان بركيارق وصلى ركعتين شكرا لله تعالى
ولم يزل القتال بينهم الى آخر النهار فانهزم السلطان محمد وعسكره وأسر مؤيد الملك أسره غلام لمجد
الملك البلاساني وأحضر عند السلطان بركيارق فسبه وأوقفه على ما اعتمده معه من سب والدته
مرة ونسبته الى مذهب الباطنية أخرى ومن حمل أخيه محمد على عصيانه والخروج عن طاعته
الى غير ذلك ومؤيد الملك ساكت لا يعيد كلمة فقتله بركيارق بيده وألقي على الارض عدة أيام
حتى سأل الامير اياز في دفنه فأذن فيه فحمل الى تربة أبيه باصبهان فدفن معه وكان بخيلا سيئ
السيرة مع الامراء الا أنه كان كثير المكر والحيل في اصلاح أمر الملك وكان عمره لما قتل نحو
خمسين سنة وكان السلطان بركيارق قد استوزر في صفر الاعز أبا المحاسن عبد الجليل بن علي
الدهستاني فلما قتل مؤيد الملك أرسل الوزير أبو المحاسن رسولا الى بغداد وهو أبو ابراهيم
الاسترابادي لاخذ أموال مؤيد الملك فنزل ببغداد بدار مؤيد الملك وسلم اليه محمد الشرابي وهو
ابن خالة مؤيد الملك فاخذت منه الاموال والجواهر بعد مكروه أصابه وعذاب ناله وأخذ له ذخائر
من مواضع أخر ببلاد العجم منها قطعة بلخش وزنها احد وأربعون مثقالا ولما فرغ السلطان
بركيارق من هذه الوقعة سار الى الري فوصل اليه هناك قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل
ونور الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد

﴿ذكر حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه باخيه الملك سنجر﴾

لما انهزم السلطان محمد سار طالبا خراسان الى أخيه سنجر وهما لام واحدة فاقام بجرجان وراسل أخاه يطلب منه مالا وكسوة وغير ذلك فسير اليه ما طلب وترددت الرسل بينهما حتى تحالفا واتفقا ولم يكن بقى مع السلطان محمد غير أميرين فى نحو ثلثمائة فارس فلما استقرت القواعد بينهما سار الملك سنجر من خراسان فى عساكره نحو أخيه السلطان محمد فاجتمعا بجرجان وسار منها الى دامغان نخربها العسكر الخراسانى ومضى أهلها هاربين الى قلعة كردكوه وخرب العسكر ما قدروا عليه من البلاد وعم الغلاء تلك الاصقاع حتى أكل الناس الميتة والكلاب وأكل الناس بعضهم بعضا وساروا الى الرى فلما وصلوا اليها انضم اليهم النظامية وغيرهم فكثر جمعهم وعظمت شوكتهم وتمكنت من القلوب هيبتهم

❁(ذكر ما فعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد)❁

لما كان السلطان بركيارق بالرى بعد انهزام أخيه محمد اجتمعت عليه العساكر الكثيرة فصار معه نحو مائة ألف فارس ثم انهم ضاقت عليهم الميرة فتفرقت العساكر فعاد دبيس بن صدقة الى أبيه وخرج الملك مودود بن اسمعيل بن ياقوتى باذربيجان فسير اليه قوام الدولة كربوقا فى عشرة آلاف فارس واستأذن الامير اياز فى أن يقصد داره بهمذان يصوم بها شهر رمضان ويعود بعد الفطر فاذن له وتفرقت العساكر لمثل ذلك وبقى فى العدد القليل فلما بلغه ان أخويه قد جمعا الجموع وحشدا الجنود وانهما قد بلغوا ما قل من معه جدا فى المسير اليه وطويا المنازل ليعاجلاه قبل ان يجمع جموعه وعساكره فلما قارباه سار من مكانه وقد طمع فيه من كان يهابه وأيس منه من كان يرجوه فقصد نحو همذان ليجتمع هو واياز فبلغه ان اياز قد راسل السلطان محمدا ليكون معه ومن جملة أعوانه خوفا على ولايته وهى همذان وغيرها فلما سمع ذلك عاد عنها وقصد خوزستان فلما قرب من تستر كاتب الامراء بنى برسق يستدعيهم اليه فلم يحضروا لما علموا أن اياز لم يحضر للخوف من السلطان محمد فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان أتاه رسول الامير اياز يسأل التوقف ليصل اليه وسبب ذلك ان اياز راسل السلطان محمدا فى الانضمام اليه والمصير فى جملة عسكره فلم يقبله وسير العساكر الى همذان ففارقها منهزما ولحق بالسلطان بركيارق فاقام السلطان بركيارق بحلوان ووصل اليه اياز وسار واجميعهم الى بغداد وأخذ عسكر محمد ما تخلف للامير اياز بهمذان من مال ودواب وبرك وغير ذلك فانه أعجل عنه وكان من جملته خمسمائة حصان عربية قيل كان يساوى كل حصان منها ما بين ثلثمائة دينار الى خمسمائة دينار ونهبوا داره وصادروا جماعة من أصحابه وصودر رئيس همذان بمائة ألف دينار ولما وصل اياز الى بركيارق تكاملت عدتهم خمسة آلاف فارس وقد ذهبت خيامهم وثقالهم ووصل بركيارق الى بغداد سابع عشر ذى القعدة وأرسل الخليفة الى طريقه أمين الدولة بن موصلايا يلتقيه فى الموكب ولما كان عيد الاضحى أنفذ الخليفة منبرا الى دار السلطان وخطب عليه الشريف أبو الكرم وصلى صلاة العيد ولم يحضر بركيارق لانه كان مريضا وضاقت الاموال على بركيارق فلم يكن عنده ما يخرجه على نفسه وعلى عساكره فارسل الى الخليفة يشكو الضائقة وقلة المال ويطلب ان يعان بما يخرجه فتقرر الامر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار حملها الخليفة اليه ومد بركيارق وأصحابه أيديهم الى أموال الناس فعم ضررهم وتمنى أهل البلاد والهم عنهم ودعتهم الضرورة الى ان ارتكبوا خطة شنعاء وذلك انه قدم عليهم أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة قاضى جبلة من بلاد الشام وصاحبها منهزما من الفرنج على ما نذكره ومعه أموال جليلة المقدار فاخذوها منه

وغيرها تسعة آلاف رأس وكان مع ذلك بخيلا ضيقا (وأخبرنا) أبو الحسن أحمد بن يحيى المنجم المعروف بابن النديم وكان من حذاق أهل النظر والبحث وأهل الرياسة من أهل التوحيد والعدل وفى ابنه علىّ ابن يحيى يقول أبو هفان

لربيع الزمان فى الحول وقت * وابن يحيى فى كل وقت ربيع

رجل عنده المكارم سوق * يشترى دهره ونحن نبيع

قال وكانت وظيفة المكتفى بالله عشرة ألوان فى كل يوم وجدى فى كل جمعة وثلاث جامات حلوا وكان يردد عليه الحلوا ووكل على مائدته بعض خدمه وأمره أن يحصى ما فضل من الخبز فما كان من المكسر عزله للثريد وما كان من الصحاح رد الى مائدته من الغد وكذلك كان يفعل بالنوادر والحلوا وأمر أن يتخذ له قصر بناحية الشماسية بازاء قطربل فأخذ بهذا السبب ضياعا كثيرة ومزارع كانت فى تلك النواحى بغير ثمن من ملاكها فكثر الداعى عليه فلم يستتم ذلك البناء حتى توفى وكان هذا الفعل مشاكلا لفعل أبيه المعتضد فى بناء المطامير (وكان وزيره) القاسم بن عبيد الله عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكا للدماء وكان الكبير والصغير على رعب منه لا يعرف أحد منهم لنفسه نعمة معه (وكانت) وفاته عشية الاربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين ومائتين وله نيف وثلاثون سنة

ذكر

❁(ذكر خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق)❁

فى هذه السنة خرج الامير صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد صاحب الحلة عن طاعة السلطان بركيارق وقطع خطبته من بلاده وخطب فيها للسلطان محمد وسبب ذلك ان الوزير الاعز أبا المحاسن الدهستانى وزير السلطان بركيارق أرسل الى صدقة يقول له قد تخلف عندك لخزانة السلطان ألف ألف دينار وكذا وكذا دينارا لسنين كثيرة فان أرسلتها والا سيرنا العساكر الى بلادك وأخذناها منك فلما سمع هذه الرسالة قطع الخطبة وخطب لمحمد فلما وصل السلطان بركيارق الى بغداد على هذه الحال أرسل اليه مرة بعد مرة يدعوه الى الحضور عنده فلم يجب الى ذلك فارسل اليه الامير اياز يشير عليه بقصد خدمة السلطان ويضمن له كل ما يريده فقال لا أحضر ولا أطيع السلطان الا اذا سلم وزيره أبا المحاسن الىّ وان لم يفعل فلا يتصور منى الحضور عنده أبدا ويكون فى ذلك ما يكون فان سلمه الىّ فانا العبد المخلص فى العبودية بالحسن والطاعة فلم يجب الى ذلك فتم على مقاطعته وارسل الى الكوفة وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها اليه

❁(ذكر وصول السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها)❁

فى هذه السنة فى السابع والعشرين من ذى الحجة وصل السلطان محمد وسنجر الى بغداد وكان السلطان محمد لما استولى على همذان وغيرها سار الى بغداد فلما وصل الى حلوان سار اليه ايلغازى ابن ارتق فى عساكره وخدمه وأحسن فى الخدمة وكان عسكر محمد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الاتباع فلما وصلت الاخبار بذلك كان بركيارق على شدة من المرض يرجف عليه خواصه بكرة وعشيا فماج أصحابه وخافوا واضطربوا وحاروا وعبروا به فى محفة الى الجانب الغربى فنزلوا بالرملة ولم يبق فى بركيارق غير روح يتردد وتيقن أصحابه موته وتشاوروا فى كفنه وموضع دفنه فبينما هم كذلك اذ قال لهم انى أجد نفسى قد قويت وحركتى قد تزايدت فطابت نفوسهم وساروا وقد وصل العسكر الآخر فتراءى الجمعان بينهما دجلة وجرى بينهما مراماة وسباب وكان أكثر ما يسبهم عسكر محمد يا باطنية يعيرونهم بذلك ونهبوا البلاد فى طريقهم الى ان وصلوا الى واسط ووصل السلطان محمد الى بغداد فنزل بدار المملكة فبرز اليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمن الامتعاض من سوء سيرة بركيارق ومن معه والاستبشار بقدومه وخطب له بالديوان ونزل الملك سنجر بدار كوهرائين وكان محمد قد استوزر بعد مؤيد الملك خطير الملك أبا منصور محمد بن الحسين وقدم اليه فى المحرم سنة خمس وتسعين الامير سيف الدولة صدقة وخرج الخلق كلهم الى لقائه

❁(ذكر حال قاضى جبلة)❁

هو أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة وكان والده رئيسها أيام كان الروم مالكين لها على المسلمين يقضى بينهم فلما ضعف أمر الروم وملكها المسلمون وصارت تحت حكم جلال الملك أبى الحسن على بن عمار صاحب طرابلس كان منصور على عادته فى الحكم فيها فلما توفى منصور قام ابنه أبو محمد مقامه وأحب الجندية واختار الجند فظهرت شهامته فاراد ابن عمار ان يقبض عليه فاستشعر منه وعصى عليه وأقام الخطبة العباسية فبذل ابن عمار لدقاق بن تتش مالا ليقصده ويحصره ففعل وحصره فلم يظفر منه بشئ وأصيب صاحبه أتابك طغتكين بنشابة فى ركبته وبقى أثرها وبقى أبو محمد بها مطاعا الى ان جاء الفرنج لعنهم الله فحصروها فاظهر ان السلطان بركيارق

فى ذلك يقول بعض أهل الادب وأراه عبد الله بن الحسن بن سعد

شربنا عشية مات الوزير * ونشرب يا قوم فى ثالثه

فلا قدس الله تلك العظام * ولا بارك الله فى وارثه

(وكان) ممن قتل القاسم بن عبيد الله عبد الواحد بن الموفق وكان معتقلا عند مؤنس فبعث اليه حتى أخذ برأسه وذلك فى أيام المكتفى وقد كان المعتضد يعزه ويميل اليه ميلا شديدا ولم يكن لعبد الواحد همة فى خلافة ولا سمو الى رياسة بل كان همته فى اللعب مع الاحداث وقد كان المكتفى أخبر عنه أنه أرسل عدة من غلمانه الخاصة فوكل به من يراعى خبره وما يظهر من قوله اذا أخذ الشراب منه فسمع منه وقد طرب وهو ينشد شعر العتابى حيث يقول

تلوم على ترك الغنى باهلية * طوى الدهر عنها من طريف وتالد

رأت حولها النسوان يمشين حلقة * مقلدة أجيادها بالقلائد

يسرك أنى نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد

وأن أمير المؤمنين أغصنى * مغصهما بالمرهفات البوارد

ذرينى تجئنى ميتتى مطمئنة * ولم أتجشم هول تلك الموارد

فان نفيسات الامور مشوبة * بمستودعات فى بطون الاساود

وان الذى يسمو الى درك العلا * ملقى باسباب الردى والمكايد

فقال له بعض ندمائه وقد أخذ منه الشراب يا سيدى

قد توجه الى الشام وشاع هذا فرحل الفرنج فلما تحققوا اشتغال السلطان عنهم عاودوا حصاره فاظهران المصريين قد توجهوا لحربهم فرحلوا ثانيا ثم عادوا فقرر مع النصارى الذين بها ان يراسلوا الفرنج ويواعدوهم الى برج من أبراج البلد ليسلموه اليهم ويملكوا البلد فلما أتتهم الرسالة جهزوا نحو ثلثمائة رجل من أعيانهم وشجعانهم فتقدموا الى ذلك البرج فلم يزالوا يرقون في الحبال واحدا بعد واحد وكلما صار عند ابن صليحة وهو على السور رجل منهم قتله الى ان قتلهم أجمعين فلما أصبحوا رمى الرؤس اليهم فرحلوا عنه وحصروه مرة أخرى ونصبوا على البلد برج خشب وهدموا برجا من أبراجه وأصبحوا وقد بناه أبو محمد ثم نقب في السور نقوبا وخرج من الباب وقاتلهم فانهزم منهم وتبعوه فخرج أصحابه من تلك النقوب فاتوا الفرنج من ظهورهم فولوا منهزمين وأسر مقدمهم المعروف بكند اصطيل فافتدى نفسه بمال جزيل ثم علم انهم لا يقعدون عن طلبه وليس له من يمنعهم عنه فأرسل الى طغتكين اتابك يلتمس منه انفاذ من يثق به ليسلم اليه ثغر جبلة ويحميه ليصل هو الى دمشق بماله وأهله فأجابه الى ما التمس وسير اليه ولده تاج الملوك بوري فسلم اليه البلد ورحل الى دمشق وسأله ان يسيره الى بغداد ففعل وسيره ومعه من يحميه الى ان وصل الى الانبار ولما صار بدمشق أرسل ابن عمار صاحب طرابلس الى الملك دقاق وقال سلم الى ابن صليحة عريانا وخذ ماله أجمع وأنا أعطيك ثلثمائة ألف دينار فلم يفعل فلما وصل الى الانبار أقام بها أياما ثم سار الى بغداد وبها السلطان بركيارق فلما وصل أحضره الوزير الاعز أبو المحاسن عنده وقال له السلطان محتاج والعسا كر يطالبونه بما ليس عنده ونريد منك ثلاثين ألف دينار وتكون لك منة عظيمة تستحق بها المكافأة والشكر فقال السمع والطاعة ولم يطلب ان يحط شيأ وقال ان رحلي ومالي في الانبار بالدار التي نزلتها فأرسل الوزير اليها جماعة فوجدوا فيها مالا كثيرا وأعلاقا نفيسة فمن جملة ذلك ألف ومائة قطعة مصاغا عجيب الصنعة ومن الملابس والعمائم التي لا يوجد مثلها شيء كثير * كان ينبغي ان تذكر هذه الحوادث التي بعد انهزام السلطان محمد الى ههنا بعد قتل الباطنية فانها كانت أواخر السنة وكان قتلهم في شعبان وانما قدمناها لنتبع بعض الحادثة بعضا ولا يفصل بينها شيء واما تاج الملوك بوري فانه لما ملك جبلة وتمكن منها اساء السيرة هو وأصحابه مع أهلها وفعلوا بهم أفعالا أنكروها فراسلوا القاضي فخر الملك أبا علي عمار بن محمد بن عمار صاحب طرابلس وشكوا اليه ما يفعل بهم وطلبوا منه ان يرسل اليهم بعض أصحابه ليسلموا اليه البلد ففعل ذلك وسير اليهم عسكرا فدخلوا جبلة واجتمعوا بأهلها وقاتلوا تاج الملوك ومن معه فانهزم الاتراك وملك عسكر ابن عمار جبلة وأخذوا تاج الملوك أسيرا وحملوه الى طرابلس فأكرمه ابن عمار وأحسن اليه وسيره الى أبيه بدمشق واعتذر اليه وعرفه صورة الحال وانه خاف أن يملك الفرنج جبلة

﴿ذكر قتل الباطنية﴾

في هذه السنة في شعبان أمر السلطان بركيارق بقتل الباطنية وهم الاسماعيلية وهم الذين كانوا قديما يسمون قرامطة ونحن نبتدئ بأول أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم فأول ما عرف من أحوالهم أعني هذه الدعوة الاخيرة التي اشتهرت بالباطنية والاسماعيلية في أيام السلطان ملكشاه فانه اجتمع منهم ثمانية عشر رجلا فصلوا صلاة العيد في ساوة ففطن بهم الشحنة فاخذهم وحبسهم ثم سئل فيهم فأطلقهم فهذا أول اجتماع كان لهم ثم انهم دعوا مؤذنا من أهل ساوة كان مقيما بأصبهان فلم يجبهم الى دعوتهم فخافوه أن ينم عليهم فقتلوه فهو أول قتيل لهم وأول دم أراقوه فبلغ خبره الى نظام الملك فأمر بأخذ من يتهم بقتله فوقعت التهمة على نجار اسمه طاهر فقتل ومثل به وجروا برجله في الاسواق فهو أول قتيل منهم وكان والده واعظا وقدم الى بغداد مع السلطان بركيارق سنة ست وثمانين فحظي منه ثم قصد البصرة فولي القضاء بها ثم توجه في رسالة الى كرمان فقتله العامة في الفتنة التي جرت وذكروا انه باطني ثم ان الباطنية قتلوا نظام الملك وهي أول فتكة مشهورة كانت لهم وقالوا اقتل نجارا فقتلناه به وأول موضع غلبوا عليه وتحصنوا به بلد عند قاين كان متقدمه على مذهبهم فاجتمعوا عنده وقووا به فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كرمان الى قاين فخرج عليهم ومعه أصحابه والباطنية فقتل أهل القفل أجمعين ولم ينج منهم غير رجل تركماني فوصل الى قاين فأخبر بالقصة فتسارع أهلها مع القاضي الكرماني الى جهادهم فلم يقدروا عليهم ثم قتل نظام الملك ومات السلطان ملكشاه فعظم أمرهم واشتدت شوكتهم وقويت أطماعهم وكان سبب قوتهم بأصبهان ان السلطان بركيارق لما حصر أصبهان وبها أخوه محمود وأمه خاتون الجلالية وعاد عنهم ظهرت مقالة الباطنية بها وانتشرت وكانوا متفرقين في المحال فاجتمعوا وصاروا يسرقون من قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم فعلوا هذا بخلق كثير وزاد الامر حتى ان الانسان كان اذا تأخر عن بيته عن الوقت المعتاد تيقنوا قتله وقعدوا للعزاء به فحذر الناس وصاروا لا ينفرد أحد وأخذوا في بعض الايام مؤذنا أخذه جاره باطني فقام أهله للنياحة عليه فأصعده الباطنية الى سطح داره وأراه أهله كيف يلطمون ويبكون وهو لا يقدر يتكلم خوفا منهم

﴿ذكر ما فعل بهم العامة بأصبهان﴾

لما عمت هذه المصيبة الناس بأصبهان أذن الله تعالى في هتك أستارهم والانتقام منهم فاتفق ان رجلا دخل دار صديق له فرأى فيها ثيابا ومداسات وملابس لم يعهدها فخرج من عنده وتحدث بما كان فكشف الناس عنها فعلموا انه من المقتولين وثار الناس كافة يبحثون عمن قتل منهم ويستكشفون فظهروا على الدروب التي هم فيها وانهم اذا اجتاز بهم انسان أخذوه الى دار منها وقتلوه وألقوه في بئر في الدار قد صنعت لذلك وكان على باب درب منها رجل ضرير فاذا اجتاز به انسان يسأله ان يقوده خطوات الى باب الدرب فيفعل ذلك فاذا دخل الدرب أخذ وقتل فتجرد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندي الفقيه الشافعي وجمع الجم الغفير بالاسلحة وأمر بحفر أخاديد وأوقد فيها النيران وجعل العامة يأتون بالباطنية أفواجا ومنفردين فيلقون في النار وجعلوا انسانا على أخاديد النيران وسموه مالكا فقتلوا منهم خلقا كثيرا

﴿ذكر قلاعهم التي استولوا عليها ببلاد العجم﴾

واستولوا على عدة حصون منها قلعة أصبهان وهذه القلعة لم تكن قديما وانما بناها السلطان ملكشاه وسبب بنائها انه كان قد أتاه رجل من مقدمي الروم فاسلم وصار معه فاتفق انه سار يوما الى الصيد فهرب منه كلب حسن الصيد وصعد هذا الجبل فتبعه السلطان والرومي معه فوجده موضع القلعة فقال له الرومي لو أن عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصنا ننتفع به فأمر ببناء القلعة ومنع منها نظام الملك فلم يقبل قوله فلما فرغت جعل فيها دزدارا فلما انقضت أيام السلطان ملكشاه وصارت أصبهان بيد خاتون أزالت الدزدار وجعلت غيره فيها وهو انسان ديلمي اسمه زيار فمات وصار بالقلعة انسان خوزي فاتصل به أحمد بن عطاش وكان الباطنية قد ألبسوه تاجا وجمعوا له أموالا وقدموه عليهم مع جهله وانما كان أبوه مقدما فيهم فلما اتصل بالدزدار بقي معه

أين أنت عما تمثل به يزيد بن المهلب ١٠٨ تأخرت أستبق الحياة فلم أجد * حياة لنفسي مثل أن أتقدما فقال له عبد الواحد مه لقد أخطأت الغرض وأخطأ ابن المهلب وأخطأ قائل هذا البيت وأصاب أبو فرعون التميمي حيث يقول قال النديم حيث يقول ماذا قال قال

وما بي شيء في الوغى غير أنني
أخاف على مجراي أن يتحطما
ولو كنت مبتاعا من السوق مثلها
لدى الدرع ما باليت أن أتقدما

فلما انتهى ذلك الى المكتفي ضحك وقال قد قلت للقاسم ليس عمي عبد الواحد ممن تسمو همته اليها هذا قول من ليس له همة غير فرجه وجوفه وأمر ديعانقه وكلاب يهارش بها وكباش يناطح بها وديوك يقاتل بها أطلقوا لعمي كذا وكذا فلم يزل القاسم بعبد الواحد حتى قتله (وقد كان) المكتفي لما أن مات القاسم وتبين قتله لعبد الواحد أراد نبش القاسم من قبره وضربه بالسوط وحرقه بالنار وقد قيل غير ذلك والله أعلم (ومن أهلك) القاسم بن عبيد الله على ما قيل بالسم في خشكنانجه علي بن العباس بن جريج الرومي وكان منشؤه ببغداد ووفاته بها وكان من مختلق معاني الشعراء والمجودين في القصير والطويل متصرفا في المذاهب تصرفا حسنا وكان أقل أدواته الشعر ومن محكم شعره وجيده قوله وأول

رأيت الدهر يجرح ثم يأسو * يعوض أو يسلي أو ينسي ١٠٩ أبت نفسي الهلاك لفقد شيء * كفى حزنا لنفسي فقد نفسي

(ومن قوله) العجيب الذي ذهب فيه الى معاني فلاسفة اليونانيين ومن مهر من المتقدمين قوله في القصيدة التي قالها في صاعد بن مخلد

لما تؤذن الدنيا به من زوالها
يكون بكاء الطفل ساعة يوضع
والا فما يبكيه منها وانها
لأفسح مما كان فيه وأوسع

وبما دق فيه فأحسن وذهب الى معنى لطيف من النظر على ترتيب الجدليين وطريقة حذاق المتقدمين قوله

غموض الشيء حين تذب عنه
يقلل ناصر الخصم المحق
تضيق عقول مستمعيه عنه
فيقضي للمجل على المدق

(ومما أجاد) فيه في وصف القناعة قوله

اذا ما شئت أن تعا
م يوما كذب الشهوه
فكل ما شئت يصدرك
عن المرة والحلوه
وطا ما شئت يحصنك
عن الحسناء والدره
وكم أنساك ما تهوا
ه نيل الشيء لم تهوه

وقوله

بأبي حسن وجهك اليوسفي * يا كفي الهوى وفوق الكفي
فيه ورد ونرجس وعجيب * اجتماع الشتوي والصيفي

وقوله في العنب الرازقي

ورازقي مخطف الخصور * كانه مخازن البلور
ألين في المس من الحرير * لو أنه يبقى على الدهور * لقرطوه لحسان الحور *

(ولابن الرومي) أخبار حسان مع القاسم بن

ووثق به وقلده الامور فلما توفى الدزدار استولى أحمد بن عطاش عليها ونال المسلمين منه ضرر عظيم من أخذ الاموال وقتل النفوس وقطع الطريق والخوف الدائم فكانوا يقولون ان قلعة يدل عليها كلب ويشير بها كافر لا بد وان يكون خاتمة أمرها الشر ومنها الموت وهي من نواحي قزوين قيل ان ملكا من ملوك الديلم كان كثير التصيد فارسل يوما عقابا وتبعه فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة فوجده موضعا حصينا فامر ببناء قلعة عليه فسماها أله موت ومعناه بلسان الديلم تعليم العقاب ويقال لذلك الموضع وما يجاوره طالقان وفيها قلاع حصينة أشهرها الموت وكانت هذه النواحي في ضمان شرفشاه الجعفري وقد استناب فيها رجلا علويا فيه بله وسلامة صدر وكان الحسن بن الصباح رجلا شهما كافيا عالما بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك وكان رئيس الري انسان يقال له ابو مسلم وهو صهر نظام الملك فاتهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه فخافه ابن الصباح وكان نظام الملك يكرمه وقال له يوما من طريق الفراسة عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام فلما هرب الحسن من أبي مسلم طلبه فلم يدركه وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطاش الطبيب الذي ملك قلعة اصبهان ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل الى مصر ودخل على المستنصر صاحبها فاكرمه وأعطاه مالا وأمره ان يدعو الناس الى امامته فقال له الحسن فمن الامام بعدك فاشار الى ابنه نزار وعاد من مصر الى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع الى خراسان ودخل كاشغر وما وراء النهر يطوف على قوم يضلهم فلما رأى قلعة ألموت واختبر أهل تلك النواحي أقام عندهم وطمع في اغوائهم ودعاهم في السر وأظهر الزهد ولبس المسح فتبعه أكثرهم والعلوي صاحب القلعة حسن الظن فيه يجلس اليه يتبرك به فلما أحكم الحسن أمره دخل يوما على العلوي بالقلعة فقال له ابن الصباح اخرج من هذه القلعة فتبسم العلوي وظنه يمزح فامر ابن الصباح بعض أصحابه باخراج العلوي فاخرجوه الى دامغان وأعطاه ماله وملك القلعة ولما بلغ الخبر الى نظام الملك بعث عسكرا الى قلعة ألموت فحصروه فيها وأخذوا عليه الطرق فضاق ذرعه بالحصر فارسل من قتل نظام الملك فلما قتل رجع العسكر عنها ثم ان السلطان محمد بن ملكشاه جهز نحوها العساكر فحصرها وسيرد ذلك ان شاء الله تعالى * ومنها طبس وبعض قهستان وكان سبب ملكهم لها ان قهستان كان قد بقي فيها بقايا من بني سيمجور امراء خراسان ايام السامانية وكان قد بقي من نسلهم رجل يقال له المنور وكان رئيسا مطاعا عند الخاصة والعامة فلما ولي كلسارغ قهستان ظلم الناس وعسفهم وأراد أخت المنور بغير حل فحمل ذلك المنور على ان التجأ الى الاسماعيلية وصار معهم فعظم حالهم في قهستان واستولوا عليها ومن جملتها خور وخوسف وزوزن وقاين وتون وتلك الاطراف المجاورة لها * ومنها قلعة وسمكوه ملكوها وهي بقرب ابهر سنة أربع وثمانين وتأذى بهم الناس لاسيما أهل ابهر فاستغاثوا بالسلطان بركيارق فجعل عليها من يحاصرها فحوصرت ثمانية أشهر وأخذت منهم سنة تسع وثمانين وقتل كل من بها عن آخرهم * ومنها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من اصبهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك وانتقلت الى جاولي سقاو وجعل بها انسانا تركيا فصادقه نجار باطني واهدى له هدية جميلة ولزمه حتى وثق به وسلم اليه مفاتيح القلعة فعمل دعوة للتركي وأصحابه فسقاهم الخمر فاسكرهم واستدعى ابن عطاش فجاء في جماعة من أصحابه فسلم اليهم القلعة فقتلوا من بها سوى التركي فانه هرب وقوي ابن عطاش بها وصار له على أهل أصبهان القطائع الكثيرة * ومن قلاعهم المذكورة استوناوند وهي بين الري وآمل

عبيد الله وأبي الحسن علي بن سليمان الاخفش النحوي وأبي العباس الزجاجي النحوي وكان ابن الرومي الاغلب عليه من الاخلاط السوداء وكان شرها نهما وله أخبار تدل على ماذكرناه من هذه الجمل مع أبي سهل اسمعيل بن علي النوبختي وغيره من آل نوبخت (وفي سنة) تسعين ومائتين مات عبد الله بن أحمد بن حنبل يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة (وفي سنة) احدى وتسعين ومائتين كانت وفاة أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ليلة السبت لثمان بقين من جمادى الاولى ودفن في مقابر الشام في حجرة اشتريت له وخلف احدى وعشرين ألف درهم وألفي دينار وغلة بشارع باب الشام قيمتها ثلاثة آلاف دينار ولم يزل أحمد بن يحيى مقدما عند العلماء منذ أيام حداثته الى أن كبر وصار اماما في صناعته ولم يخلف وارثا الا ابنة لابنه فرد ماله عليها وكان هو وأحمد ابن المبرد عالمين قد ختم بهما تاريخ الادباء وكانا كما قال بعض الشعراء من المحدثين

أيا طالب العلم لا تجهل
وعذ بالمبرد أو ثعلب
تجد عند هذين علم الورى
وانك كالجمل الاجرب
علوم الخلائق مقرونة
بهذين في الشرق والمغرب

(وكان) محمد بن يزيد المبرد يحب أن يجتمع في المناظرة مع أحمد بن يحيى ويستكثر

ملكوها بعد ملكشاه نزل منها صاحبها فقتل وأخذت منه ومنها أردهن وملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصباح * ومنها كردكوه وهي مشهورة * ومنها قلعة الناظر بخوزستان وقلعة الطنبور وبينها وبين أرجان فرسخان أخذها أبو حمزة الاسكاف وهو من أهل أرجان سافر الى مصر وعاد داعية لهم وقلعة خلادخان وهي بين فارس وخوزستان وأقام بها المفسدون نحو مائتي سنة يقطعون الطريق حتى فتحها عضد الدولة بن بويه وقتل من بها فلما صارت الدولة الملكشاه أقطعها الامير أنز فجعل بها دزدارا فانفذ اليه الباطنية الذين بارجان يطلبون منه بيعها فابى فقالوا له نحن نرسل اليك من يناظرك حتى يظهر لك الحق فاجابهم الى ذلك فارسلوا اليه انسانا ديلميا يناظره وكان للدزدار مملوك قد رباه وسلم اليه مفاتيح القلعة فاستماله الباطني فاجابه الى القبض على صاحبه وتسليم القلعة اليهم فقبض عليه وسلم القلعة اليهم ثم أطلقه واستولوا بعد ذلك على عدة قلاع هذه أشهرها

(ذكر ما فعله جاولي سقاو بالباطنية)

في هذه السنة قتل جاولي سقاو خلقا كثيرا منهم وسبب ذلك ان هذا الامير كانت ولايته البلاد التي بين رامهرمز وأرجان فلما ملك الباطنية القلاع المذكورة بخوزستان وفارس وعظم شرهم وقطعوا الطريق بتلك البلاد واتفق جماعة من أصحابه حتى أظهروا الشغب عليه وفارقوه وقصدوا الباطنية وأظهروا انهم معهم وعلى رأيهم فاقاموا عندهم حتى وثقوا بهم ثم أظهر جاولي ان الامراء بني برسق يريدون قصده وأخذ بلاده وانه عازم على مفارقتها لعجزه عنهم والمسير الى همذان فلما أظهر ذلك وسار قال من عند الباطنية من أصحابه لهم الرأي أننا نخرج الى طريقه ونأخذه وما معه من الاموال فساروا اليه في ثلثمائة من أعيانهم وصناديدهم فلما التقوا صار من معهم من أصحاب جاولي عليهم ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر صعدوا الى الجبل وهربوا وغنم جاولي ما معهم من دواب وسلاح وغير ذلك

(ذكر قتل صاحب كرمان الباطني وملك غيره)

كان تيرانشاه بن تورانشاه بن قاورت بك هو الذي قتل الاتراك الاسماعيلية وليسوا منسوبين الى هذه الطائفة الباطنية انما انسبوا الى أمير اسمه اسمعيل وكانوا من أهل السنة قتل منهم ألفي رجل صبرا وقطع أيدي ألفين ونفق عليه انسان يقال له أبو زرعة كان كاتبا بخوزستان فحسن له مذهب الباطنية فاجاب اليه وكان عنده فقيه حنفي يقال له أحمد بن الحسين البلخي كان مطاعا في الناس فاحضره عنده ليلا واطال الجلوس معه فلما خرج من عنده اتبعه من قتله فلما أصبح الناس دخلوا عليه وفيهم صاحب جيشه فقال لتيرانشاه أيها الملك من قتل هذا الفقيه فقال أنت شحنة البلد تسألني من قتله فقال أنا اعرف قاتله ونهض من عنده ففارقه في ثلثمائة فارس وسار الى اصبهان فأرسل في أثره ألفي فارس ليردوه فقاتلهم وهزمهم وصار الى اصبهان وبها السلطان محمد ومؤيد الملك فاكرمه السلطان وقال أنت والد الملوك وامتعض عسكر كرمان بعد مسيره واجتمعوا وقاتلوا تيرانشاه وأخرجوه عن مدينة بردسير التي هي مدينة كرمان فلما فارقها اتفق القاضي والجند وأقاموا أرسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورت بك وسار تيرانشاه الى مدينة بم من كرمان فحاربه أهلها ومنعوه منها وأخذوا ما معه من أموال وجواهر وقصد قلعة سميرم وتحصن بها وفيها أمير يعرف بمحمد بهستون فارسل أرسلانشاه جيشا حصروا القلعة فقال محمد بهستون لتيرانشاه انصرف عني فلست أرى الغدر بك وانا رجل مسلم ومقامك عندي يؤذيني وأتهم بك في

منه وكان أحمد بن يحيى يمتنع من ذلك (وأخبرنا) أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلي الفقيه وكان صديقهما قال قلت لابي عبد الله الدينوري ختن ثعلب لم يأبى أحمد بن يحيى الاجتماع مع المبرد فقال لي أبو العباس محمد بن يزيد حسن العبارة حلو الاشارة فصيح اللسان ظاهر البيان وأحمد بن يحيى مذهبه مذهب المعلمين فاذا اجتمعا في محفل حكم لهذا على الظاهر الى أن يعرف الباطن (وأخبرنا) أبو بكر القاسم بن بشار الانباري النحوي أن أبا علي الدينوري هذا كان يختلف الى أبي العباس المبرد يقرأ عليه كتاب سيبويه عمرو بن عثمان ابن قنبر فكان ثعلب يعذله على ذلك فلم يكن ذلك يردعه وقيل ان وفاة أحمد بن يحيى ثعلب كانت في سنة اثنتين وتسعين ومائتين (وفي هذه السنة) مات محمد بن محمد الجذوعي القاضي وله أخبار عجيبة فيما كان به من المذهب قد أتينا على وصفه ونوادره فيها وما كان به من التعزز في الاوسط (وفي سنة) اثنتين وتسعين ومائتين كانت وفاة أبي حازم عبد العزيز بن عبد الحميد القاضي يوم الخميس لسبع ليال خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة ببغداد وله نيف وتسعون سنة (وفي هذه السنة) تغلب ابن الخليجي في سنة آلاف وتسعين بمصر وأبوه على مصر (وفيها) وقع الحريق العظيم

دينى فلما عزم على الخروج أرسل محمد بهستون الى مقدم الجيش الذين يحاصرونهم يعلمه بمسير تيرانشاه فجرد عسكرا الى طريقه فخرجوا عليه وأخذوه ومامعه وأخذوا أيضا أبازرعة فارسل أرسلانشاه فقتلهما وتسلم جميع بلاد كرمان

﴿ذكر السبب فى قتل بركيارق الباطنية﴾

لما اشتد أمر الباطنية وقويت شوكتهم وكثر عددهم صار بينهم وبين أعدائهم ذحول واحن فلما قتلوا جماعة من الامراء الاكابر وكان أكثر من قتلوا من هو فى طاعة محمد المخالف للسلطان بركيارق مثل شحنة أصبهان سرمز وأرغش وكمش النظاميين وصهره وغيرهم نسب أعداء بركيارق ذلك اليه واتهموه بالميل اليهم فلما ظفر السلطان بركيارق وهزم أخاه السلطان محمدا وقتل مؤيد الملك وزيره انبسط جماعة منهم فى العسكر واستغووا كثيرا منهم وادخلوهم فى مذهبهم وكادوا يظهرون بالكثرة والقوة وحصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم وزاد أمرهم فصاروا يتهددون من لا يوافقهم بالقتل فصار يخافهم من يخالفهم حتى انهم لم يتجاسر أحد منهم لا أمير ولا متقدم على الخروج من منزله حاسرا بل يلبس تحت ثيابه درعا حتى ان الوزير الاعز أبا المحاسن كان يلبس زردية تحت ثيابه واستأذن السلطان بركيارق خواصه فى الدخول عليه بسلاحهم وعرفوه خوفهم ممن يقاتلهم فاذن لهم فى ذلك وأشاروا على السلطان ان يفتك بهم قبل ان يعجز عن تلافى أمرهم وأعلموه ما يتهمه الناس به من الميل الى مذهبهم حتى ان عسكر أخيه السلطان محمد يشنعون بذلك وكانوا فى المصاف يكبرون عليهم ويقولون يا باطنية فاجتمعت هذه البواعث كلها فاذن السلطان فى قتلهم والفتك بهم وركب هو والعسكر معه وطلبوهم وأخذوا جماعة من خيامهم ولم يفلت منهم الا من لم يعرف وكان ممن اتهم بانه مقدمهم الامير محمد ابن دشمنزيار بن علاء الدولة أبى جعفر بن كاكويه صاحب يزد فهرب وسار يومه وليلته فلما كان اليوم الثانى وجد فى العسكر قد ضل الطريق ولا يشعر فقتل وهذا موضع المثل أتتك بخائن رجلاه ونهبت خيامه فوجد عنده السلاح المعد وأخرج الجماعة المتهمون الى الميدان فقتلوا وقتل منهم جماعة برآء لم يكونوا منهم سعى بهم اعداؤهم وفيمن قتل ولد كيقباذ مستحفظ تكريت فلم يغير والده خطبة بركيارق ولكن شرع فى تحصين القلعة وعمارتها ونقض جامع البلد وكان يقاربها الثلاثة فى منه وجعل بيعة فى البلد جامعا وصلى الناس فيه وكتب الى بغداد بالقبض على أبى ابراهيم الاسداباذى الذى كان قد وصل اليها رسولا من بركيارق ليأخذ مال مؤيد الملك وكان من أعيانهم ورؤسهم فأخذ وحبس فلما أرادوا قتله قال هبوا أنكم قتلتمونى أتقدرون على قتل من بالقلاع والمدن فقتل ولم يصل عليه أحد وألقى خارج السور وكان له ولد كبير قتل بالعسكر معهم وقد كان أهل عانة نسبوا الى هذا المذهب قديما فانهى حالهم الى الوزير أبى شجاع أيام المقتدى بأمر الله فاحضرهم الى بغداد فسئل مشايخهم عن الذى يقال فيهم فانكروا وجحدوا فاطلقهم واتهم أيضا الكيا الهراس المدرس بالنظامية بانه باطنى ونقل ذلك عنه الى السلطان محمد فامر بالقبض عليه فارسل المستظهر بالله من استخلصه وشهد له بصحة الاعتقاد وعلو الدرجة فى العلم فأطلق

﴿ذكر حصر الامير برغش قهستان وطبس﴾

فى هذه السنة جمع الامير برغش وهو أكبر أمير مع السلطان سنجر جموعا كثيرة وقواهم بالمال والسلاح وسار الى بلد الاسماعيلية فنهبه وخربه وقتل فيهم فاكثر وحصر طبس وضيق عليها

ورماها

فأحرق الغلة بباب الطاق نحوا من ثلثمائة دكان وأكثر وظفر بابن الخليجى فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين بمصر وأدخل الى بغداد وقد أشهر وقدامه أربعة وعشرون انسانا من أصحابه منهم العراجى الخادم الاسود وذلك للنصف من شهر رمضان من هذه السنة (وفى سنة) أربع وتسعين ومائتين مات موسى ابن هرون بن عبد الله بن مروان البزار المحدث المعروف بالجمال فى يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان ببغداد ويكنى أبا عمران وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن فى مقابر باب حرب الى جانب أحمد بن حنبل وقد قدمنا العذر فيما سلف من هذا الكتاب لذكرنا وفاة هؤلاء الشيوخ اذ كان الناس فى أغراضهم مختلفين وفى طلبهم الفوائد متباينين ورب قاريء يقف على هذا الكتاب من لا غرض له فيما ذكرناه فيه ويكون غرضه معرفة وفاة هؤلاء الشيوخ (وكانت) وفاة أبى مسلم ابراهيم بن عبد الله الكجى البصرى المحدث فى المحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكان مولده فى شهر رمضان سنة مائتين (وقبض) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وهو فى سن أبى مسلم على ماذكرنا من تنازع الناس فى تاريخ وفاته وقد كان أبو العباس أحمد بن يحيى قد ناله صمم وزاد عليه قبل

ورماها بالمنجنيق فخرب كثيرا من سورها وضعف من بها ولم يبق الا أخذها فارسلوا اليه الرشا الكثيرة واستنزلوه عما كان يريده منهم فرحل عنهم وتركهم فعاودوا عمارة ما انهدم من سورها وملؤها ذخائر من سلاح وأقوات وغير ذلك ثم عاودهم برغش سنة سبع وتسعين فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ماملك الفرنج من الشام﴾

وفيها سار كندفرى ملك الفرنج بالشام وهو صاحب البيت المقدس الى مدينة عكا بساحل الشام فحصرها فاصابه سهم فقتله وكان قد عمر مدينة يافا وسلمها الى قمص من الفرنج اسمه طنكرى فلما قتل كندفرى سار أخوه بغدوين الى البيت المقدس فى خمسمائة فارس وراجل فبلغ الملك دقاق صاحب دمشق خبره فنهض اليه فى عسكره ومعه الامير جناح الدولة فى جوعه فقاتله فنصر على الفرنج وفيها ملك الفرنج مدينة سروج من بلاد الجزيرة وسبب ذلك ان الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرها بمكاتبة من أهلها لان أكثرهم أرمن وليس بها من المسلمين الا القليل فلما كان الآن جمع سقمان بسروج جمعا كثيرا من التركمان وزحف اليهم فلقوه وقاتلوه فهزموه فى ربيع الاول فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج الى سروج فحصروها وتسلموها وقتلوا كثيرا من أهلها وسبوا حريمهم ونهبوا أموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما وفيها ملك الفرنج مدينة حيفا وهى بالقرب من عكا على ساحل البحر ملكوها عنوة وملكوا ارسوف بالامان وأخرجوا أهلها منها وفيها فى رجب ملكوا مدينة قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى شهر رمضان تقدم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وان يصلى فيه صلاة التراويح ولم يكن جرت بذلك عادة وأمر بالجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وهذا أيضا لم تجر به عادة وانما ترك الجهر بالبسملة فى جوامع بغداد لان العلويين أصحاب مصر كانوا يجهرون بها فترك ذلك مخالفة لهم لا اتباعا لمذهب أحمد الامام وأمر أيضا بالقنوت على مذهب الشافعى فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون ختم فى جامع القصر وازدحم الناس عنده وكان زعيم الرؤساء ابو القاسم على بن فخر الدولة بن جهير أخو عميد الدولة قد أطلق من الاعتقال فاختلط بالناس وخرج الى ظاهر بغداد من ثلمة فى السور وسار الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فاستقبله وأنزله وأكرمه وفيها فى المحرم توفى جمال الدولة أبو نصر بن رئيس الرؤساء بن المسلمة وهو استاذ دار الخليفة وفيه توفى القاضى أحمد بن محمد بن عبد الواحد أبو منصور بن الصباغ الفقيه الشافعى وأخذ الفقه عن ابن عمه الشيخ أبى نصر بن الصباغ وكان يصوم الدهر وروى الحديث عن القاضى أبى الطيب الطبرى وغيره وفيه توفى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور المستوفى الخوارزمى باصبهان وكان مستوفيا فى ديوان السلطان ملكشاه فبذل مائة ألف دينار حتى ترك الاستيفاء وبنى مشهدا على قبر أبى حنيفة رحمة الله عليه ومدرسة بباب الطاق ومدرسة بمرو وجميعها للحنفيين وفيها فى صفر توفى القاضى أبو المعالى عزيزى وكان شافعيا اشعريا وهو من جيلان وله مصنفات كثيرة حسنة وكان ورعاوله مع أهل باب الازج أخبار ظريفة وكان قاضيا عليهم وكانوا يبغضونه ويبغضهم وتوفى اسعد بن مسعود بن على بن محمد أبو ابراهيم العتبى من ولد عتبة بن غزوان نيسابورى ولد سنة أربع وأربعمائة وروى عن أبى بكر الحيرى وغيره وتوفى فى صفر محمد بن أحمد بن عبد الباقى ابن الحسن بن محمد بن طوق أبو الفضائل الربعى الموصلى الفقيه الشافعى تفقه على أبى اسحق

مونة حتى كان المخاطب له يكتب ما يريده فى رقاع (وأخبرنا) محمد بن يحيى الصولى الشطرنجى قال كنا يوما كل بين يدى المكتفى فوضعت بين أيدينا قطائف رفعت من بين يديه فى نهاية النضارة ورقة الخبز واحكام العمل فقال هل وصفت الشعراء هذا فقال له يحيى بن على ثم قال أحمد بن يحيى فيها قطائف قد حشيت باللوز والسكر المازى حشو الموز تسبح فى آزى دهن الجوز سررت لما وقعت فى حوزى سرور عباس بقرب فوز قال وانشدت لابن الرومى وأتت قطائف بعد ذاك لطائف فقال هذا يقتضى ابتداء فأنشدنى الشعر من أوله فأنشدته لابن الرومى وخبيصة صفراء دينارية ثمنا ولونا زفها لك جوذر عظمت فكادت أن تكون أوزة وثوت فكاد اهابها يتفطر طفقت تجود بوبلها جوزابه فاذا اللباب اللوز فيها السكر نعم السماء هناك ظل صبيبها يهمى ونعم الارض ظلت تمطر باحسنها فوق الخوان وبينها قدامها بصبيرها تتغرغر ظلنا نقشر جلدها عن لحمها وكأن تبرا عن لجين يقشر وتقدمتها قبل ذاك ثرائد مثل الرياض بمثلهن يصدر ومرققات كلهن مزخرف عاثر * بالبيض منها ملبس ومدثر وأتت قطائف بعد ذاك لطائف * ترضى اللهاة بها ويرضى الحنجر

الشيرازى وسمع الحديث من أبى الطيب الطبرى وغيره وكان ثقة صالحا وتوفى فى ربيع الاول منها محمد بن على بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان أبو نصر القاضى الموصلى وهو صاحب الاربعين الودعانية وقد تكلموا فيها فقيل انه سرقها وكانت تصنيف زيد بن رفاعة الهاشمى والغالب على حديثه المناكير وتوفى فيها فى ربيع الاول نصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر القارى أبو الخطاب ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة سمع ابن رزقويه وغيره وصارت اليه الرحلة لعلو اسناده وكان سماعه صحيحا

﴿ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وفاة المستعلى بالله وولاية الآمر باحكام الله﴾

فى هذه السنة توفى المستعلى بالله أبو القاسم أحمد بن معد المستنصر بالله العلوى الخليفة المصرى لسبع عشرة خلت من صفر وكان مولده فى العشرين من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة وكانت خلافته سبع سنين وقريب من شهرين وكان المدبر لدولته الافضل ولما توفى ولى بعده ابنه أبو على المنصور ومولده ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة وبويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبوه وله خمس سنين وشهر وأربعة أيام ولقب الآمر باحكام الله ولم يكن من تسمى بالخلافة قط أصغر منه ومن المستنصر وكان المستنصر أكبر من هذا ولم يقدر يركب وحده على الفرس لصغر سنه وقام بتدبير دولته الافضل بن أمير الجيوش أحسن قيام ولم يزل كذلك يدبر الامر الى ان قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة

﴿ذكر الحرب بين السلطان بركيارق والسلطان محمد والصلح بينهما﴾

فى هذه السنة فى صفر كان المصاف الثالث بين السلطان بركيارق ومحمد وقد ذكرنا سنة أربع وتسعين قدوم السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها الى واسط مريضا فاقام السلطان محمد ببغداد الى سابع عشر المحرم من هذه السنة وسار عنها هو وأخوه السلطان سنجر عائدين الى بلادهم وسنجر يقصد خراسان والسلطان محمد يقصد همذان فلما سار محمد عن بغداد وصلت الاخبار أن بركيارق قد اعترض خاص الخليفة بواسط وسمع منه فى حق الخليفة ما يقبح نقله فارسل الخليفة وأعاد السلطان محمدا الى بغداد وذكر له ما نقل اليه وعزم على الحركة مع محمد الى قتال بركيارق فقال السلطان محمد لا حاجة الى حركة أمير المؤمنين فانى أقوم فى هذا القيام المرضى وسار عائدا ورتب ببغداد أبا المعالى المفضل بن عبد الرزاق فى جباية الاموال وايلغازى شحنة وكان لما دخل بغداد قد خاف عسكره بطريق خراسان فنهبوا البلاد وخربوها فاخذهم السلطان محمد معه وجد السير الى روذراور واما السلطان بركيارق فقد تقدم سنة أربع وتسعين أنه سار من بغداد عند وصول محمد اليها قاصدا الى واسط فلما سمع عسكر واسط بقربه منهم خافوا منه وأخذوا نساءهم وأولادهم وأموالهم وجمعوا السفن جميعها وانحدروا الى الزبيدية فاقاموا هنالك ووصل السلطان وهو شديد المرض يحمل فى محفة وقد هلك من دواب عسكره ومتاعهم الكثير فانهم كانوا يجدون السير خوفا ان يتبعهم السلطان محمد والامير صدقة صاحب الحلة فكانوا كلما جازوا قنطرة هدموها ليمتنع من يجتاز بها من اتباعهم ولما وصلوا الى واسط عوفى بركيارق ولم يكن له ولاصحابه همة غير العبور من الجانب الغربى الى الجانب الشرقى فلم يجد هنالك سفينة وكان الزمان شاتيا شديد البرد والماء زائدا وكان أهل البلد قد خافوهم فلزموا الجامع وبيوتهم فخلت الطرق والاسواق من مجتاز فيها فخرج القاضى أبو على الفارقى الى العسكر واجتمع

اكتبها له فكتبتها له (قال محمد) بن يحيى الصولى وأكلنا يوما بين يديه بعد هذا بمقدار شهر بخاات لوزينجية فقال هل وصف ابن الرومى اللوزينج فقلت نعم فقال أنشدنيه فانشدته

لا يخطئنى منك لوزينج
اذا بدا أعجب أو أعجبا
لم تغلق الشهوة أبوابها
الا أبت زلفاه أن تحجبا
لو شاء أن يذهب فى صحنه
لسهل الطيب له مذهبا
يدور بالنفخة فى جامه
دورا ترى الدهن له لوابا
عاون فيه منظر مخبرا
مستحسن ساعد مستعذبا
كالحسن المحسن فى شدوه
تم فاضحى مغربا مطربا
مستكثف الحشو ولكنه
أرق جلدا من نسيم الصبا
كانما قدت جلابيبه
من أعين القطر الذى طنبا
تخال فى رقة خرسانه
شارك فى الاضحية الجندبا
لو أنه صور من خبزه
ثغر الكان الواضح الاشنبا
من كل بيضاء يود الفتى
أن يجعل الكف لها مركبا
مدهونة أرقاء مدفونة
شهباء تحكى الاورق الاشهبا
دين له اللوز فلا مرية
مرت على الذائق الا أبى
وانتقد السكر نقاده
وشارفوا فى نقده المذهبا
فلا اذا العين رأتها نبت * ولا اذا الطرس علا هانبا

فحفظها المكتفى فكان ينشدها (ومما استحسن) من شعر بالامير

بالامير اياز والوزير واستعطفهما للخلق وطلب انفاذ شحنة لتطمئن القلوب فاجابوه الى ملتمسه وقالوا له نريد ان تجمع لنا من يعبر دوابنا فى الماء ونسبح معها فجمع لهم من شباب واسط وأعطاهم الاجرة الوافرة فعبروا دوابهم من الخيل والبغال والجمال وكان الامير اياز بنفسه يسوق الدواب ويفعل ما يفعله الغلمان ولم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداد فعبروا أموالهم ورحالهم فيها فلما صاروا فى الجانب الشرقى اطمأنوا ونهب العسكر البلد فرجع القاضى وجدد الخطاب فى الكف عنهم فأجيب الى ذلك فأرسل معه من يمنع من النهب ثم ان عسكر واسط ارسلوا الى بركيارق يطلبون الامان ليحضر والخدمة السلطان فانهم فحضر أكثرهم عنده وسار وامعه الى بلاد بنى برسق فحضروا أيضا عنده وخدموه واجتمعت العساكر عليه وبلغه مسير أخيه محمد عن بغداد فسار يتبعه على نهاوند فادركه بروذراور وكان العسكران متقاربين فى العدة كل واحد منهما أربعة آلاف فارس من الاتراك فتصافوا أول يوم جميع النهار ولم يجر بينهم قتال لشدة البرد وعادوا فى اليوم الثانى ثم توافقوا كذلك ثم كان الرجل يخرج من أحد الصفين فيخرج اليه من يقاتله فاذا تقاربا اعتنق كل واحد منهما صاحبه وسلم عليه ويعود عنه ثم خرج الامير بلدجى وغيره من عسكر محمد الى الامير اياز والوزير الاعز فاجتمعوا واتفقوا على الصلح لما قد عم الناس من الضرر والملل والوهن فاستقرت القاعدة ان يكون بركيارق السلطان ومحمد الملك ويضرب له ثلاث نوب ويكون له من البلاد جنزة واعمالها واذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل وان يمده السلطان بركيارق بالعساكر حتى يفتح ما يمتنع عليه منها وحلف كل واحد منهما لصاحبه وانصرف الفريقان من المصاف رابع ربيع الاول وسار بركيارق الى مرج قراتكين قاصدا ساوة والسلطان محمد الى اسداباذ وتفرق العسكران وقصد كل أمير اقطاعه

﴿ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وانفساخ الصلح بينهما﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى كان المصاف الرابع بين السلطان بركيارق وأخيه محمد وكان سببه ان السلطان محمدا سار من روذراور من الوقعة المذكورة الى اسداباذ ومنها الى قزوين ونسب الامراء الذين سعوا فى ذلك الصلح الى المخامرة عليه والتقاعد به فوضع رئيس قزوين ان يتوسل اليه باولئك الامراء ليحضر دعوته فاستشفع الرئيس بهم الى السلطان فحضر دعوته بعد أن امتنع ووصى خواصه بحمل السلاح تحت اقبيتهم وحضر الدعوة ومعه الامير ايتكين وبسمل فقتل الامير بسمل وهو من اكابر الامراء وكحل الامير ايتكين وكان الامير ينال بن انوشتكين الحسامى قد فارق بركيارق وأقام مجاهد الباطنية الذين فى القلاع والجبال فقصد الآن السلطان محمدا وسار معه الى الرى يضرب النوب الخمس واجتمعت اليه العساكر وأقام ثمانية أيام ووافاه أخوه السلطان بركيارق فى اليوم التاسع ووقع بينهما المصاف عند الرى وكانت عدة العسكرين متقاربة كل عسكر منهما عشرة آلاف فارس فلما اصطفوا حمل الامير سرخاب بن كيخسرو الديلمى صاحب آبة على الامير ينال فهزمه وتبعه فى الهزيمة جميع عسكر محمد وتفرقوا ومضى معظمهم نحو طبرستان ولم يقتل فى هذا المصاف غير رجل واحد قتل صبرا ومضى قطعة من المنهزمين نحو قزوين ونهبت خزائن محمد ومضى فى نفر يسير الى اصبهان وحمل هو عليه بيده ليتبعه أصحابه وسار فى طلبه الامير البكى بن برسق والامير اياز الى قم وتتبع السلطان بركيارق أصحاب أخيه محمد وأخذ أموالهم

﴿ذكر حصار السلطان محمد باصبهان﴾

سعدى وغيبتها عن ناظرى نحسى

وللمكتفى أيضا

بلغ النفس ما اشتهت
فاذا هى قد اشتفت
انما العيش ساعة
أنت فيها وما انقضت
كل من يعذل المحب
اذا ما هدا اسكت

وله أيضا

من لى بان تعلم ما ألقى
فتعرف الصبوة والعشقا
ما زال لى عبدا وحبى له
صيرنى عبدا له رقا
أعتق من رقى ولكننى
من حبه لا أملك العتقا

(وأخبرنا) أبو عبد الله ابراهيم ابن محمد بن عرفة النحوى المعروف بنفطويه قال أخبرنا أبو محمد عبد بن حمدون قال تذاكرنا يوما بحضرة المكتفى فقال فيكم من يحفظ فى نبيذ الدوشاب شيأ فانشدته قول ابن الرومى

اذا أخذت حبه ودبسه
ثم أخذت ضربه ومرسه
ثم أطلت فى الاناء حبسه
شربت منه البابلى نفسه

فقال المكتفى قبحه الله ما أشرهه لقد شوقنى فى هذا اليوم الى شرب الدوشابى وقدم الطعام فوضع بين أيدينا طيفورية عظيمة فيها هريسة وقد جعل فى وسطها مثل السكرجة الضخمة فيها دسم الدجاج فضحكت وخطر ببالى خبر الرشيد مع أبان القارى فلحظنى المكتفى وقال يا أبا عبد الله ما هذا الضحك فقلت خبر ذكرته

لما انهزم السلطان محمد من الوقعة التى ذكرناها بالرى مضى الى اصبهان فى سبعين فارسا والبلد فى حكمه وفيه نائبه ومعه من الامراء الامير ينال وغيره من الامراء ودخل المدينة فى ربيع الاول وأمر بتجديد ماتشعث من السور وهذا السور هو الذى بناه علاء الدولة بن كاكويه سنة تسع وعشرين وأربعمائة عند خوفه من طغرلبك وأمر محمد بتعميق الخندق حتى صعد الماء فيه وسلم الى كل أمير بابا وكان معه فى البلد ألف ومائة فارس وخمسمائة راجل ونصب المجانيق ولما علم السلطان بركيارق بمسير أخيه محمد الى اصبهان سار يتبعه فوصلها فى جمادى الاولى وعساكره كثيرة تزيد على خمسة عشر ألف فارس ومعها مائة ألف من الحواشى وأقام يحاصر البلد وضيق عليه وكان السلطان محمد يدور كل ليلة على سور البلد ثلاث دفعات فلما زاد الامر فى الحصار أخرج الضعفاء والفقراء من البلد حتى خلت المحال وعدمت الاقوات وأكل الناس الخيل والجمال وغير ذلك وقلت الاموال فاضطر السلطان محمد الى ان يستقرض من أعيان البلد فاخذ مالا عظيما ثم عاود الجند الطلب فقسط على أهل البلد شيأ آخر وأخذه منهم بالشدة والعنف فلم تزل الاسعار تغلو حتى بلغ عشرة امنان من الحنطة بدينار وأربعة أرطال لحم بدينار وكل مائة رطل تبن بأربعة دنانير ورخصت الامتعة وهانت لعدم الطالب وكانت الاسعار فى عسكر بركيارق رخيصة فبقى الحصار على البلد الى عاشر ذى الحجة فلما رأى السلطان محمد انه لاقدرة له على الدفع عن البلد وكلما جاء أمره يضعف قوى عزمه على مفارقته وقصد جهة أخرى يجمع فيها العساكر ويعود يدفع الخصم عن الحصار فسار عن البلد فى مائة وخمسين فارسا ومعه الامير ينال واستخلف بالبلد جماعة من الامراء الكبار فى باقى العسكر فلما فارق العسكر والبلد لم يكن فى دوابهم مايدوم على السير لقلة العلف فى الحصار فنزل على ستة فراسخ فلما سمع بركيارق بمسيره سير وراءه الامير اياز فى عسكر كثير وأمره بالجد فى السير فى طلبه فقيل ان محمدا سبقهم فلم يدركوه فرجعوا وقيل بل أدركوه فارسل الى الامير اياز يقول أنت تعلم ان لى فى رقبتك عهودا وأيمانا ما انقضت ولم يكن منى اليك ماتبالغ فى اذاى فعاد عنه وأرسل له خيلا وأخذ علمه والجتر وثلاثة أحمال دنانير وعاد الى بركيارق فدخل عليه واعلام أخيه السلطان محمد منكوسة فانكر بركيارق ذلك وقال ان كان قد أساء فلا ينبغى ان يعمل معه هذا فاخبره الخبر فاستحسن ذلك منه فلما فارق محمد اصبهان اجتمع من المفسدين والسوادية ومن يريد النهب مايزيد على مائة ألف نفس وزحفوا الى البلد بالسلاليم والدبابات وطموا الخندق بالتبن والتصقوا بالسور وصعد الناس فى السلاليم فقاتلهم أهل البلد قتال من يريد يحمى حريمه وماله فعادوا خائبين فحينئذ أشار الامراء على بركيارق بالرحيل فرحل ثامن عشر ذى الحجة من السنة واستخلف على البلد القديم الذى يقال له شهرستان ترشك الصوابى فى ألف فارس مع ابنه ملكشاه وسار الى همذان وكان هذا من أعجب ماسطر ان سلطانا محصورا قد تقطعت مواده وهو يخطب له فى أكثر البلاد ثم يخلص من الحصر الشديد وينجو من العساكر الكثيرة التى كلها قد شرع اليه رمحه وفوق اليه سهمه

﴿ذكر قتل الوزير الاعز ووزارة الخطير أبى منصور﴾

فى هذه السنة ثانى عشر صفر قتل الوزير الاعز أبو المحاسن عبد الجليل بن محمد الدهستانى وزير السلطان بركيارق على أصبهان وكان مع بركيارق محاصر الها فركب هذا اليوم من خيمته الى خدمة السلطان فجاءه شاب أشقر قيل انه كان من غلمان أبى سعيد الحداد وكان الوزير قتله فى

فى الهريسة باأمير المؤمنين ودهن الدجاج مع جدك الرشيد فقال ماهو فقلت نعم باأمير المؤمنين ذكر العتبى والمدائنى أن أبان القارى تغدى مع الرشيد فجاؤا بهريسة عجيبة فى وسطها مثل السكرجة الضخمة على هذا المثال من دهن الدجاج قال أبان فاشتهيت من ذلك الدسم وأجللت الرشيد من أن أمد يدى فاغمس فيه قال ففتحت باصبعى فيه فتحا يسيرا فانقلب الدسم نحوى فقال الرشيد ياأبان أخرقتها لتغرق أهلها فقال أبان لا ياأمير المؤمنين ولكن سقناه لبلد ميت فضحك الرشيد حتى أمسك صدره (وفى سنة) خمس وتسعين ومائتين وردت الى مدينة السلام هدية زيادة الله بن عبد الله ويكنى أبا مضر وكانت الهدية مائتى خادم أسود وأبيض ومائة وخمسين جارية ومائة من الخيل العربية وغير ذلك من اللطائف وقد كان الرشيد فى سنة أربع وثمانين ومائة وذلك بالرقة قلد ابراهيم بن الاغلب أمر افريقية من أرض المغرب فلم يزل آل الاغلب أمراء افريقية حتى أخرج عنها زيادة الله بن عبد الله هذا فى سنة ست وتسعين ومائتين وقيل فى سنة خمس وتسعين ومائتين أخرجه من المغرب أبو عبد الله المحتسب الداعية الذى ظهر فى كنانة وغيرها من البربر فدعا الى عبد الله صاحب المغرب وقد ذكرنا فيماسلف من هذا الكتاب تولية المنصور للاغلب بن سالم السعدى

العام

العام الماضى فانتهز الفرصة فيه وقيل كان باطنيا فجرحه عدة جراحات فتفرق أصحابه عنه ثم عادوا اليه فجرح أقربهم منه جراحات أثخنته وعاد الى الوزير فتركه بآخر رمق وكان كريما واسع الصدر حسن الخلق كثير العمارة ونفر الناس منه لانه دخل فى الوزارة وقد تغيرت القوانين ولم يبق دخل ولامال ففعل للضرورة ماخافه الناس بسببه وكان حسن المعاملة مع التجار فاستغنى به خلق كثير فكانوا يسألونه ليعاملهم فلما قتل ضاع منهم مال كثير *حكى ان بعض التجار باعه متاعا بالف دينار فقال له خذ بها حنطة من الراذان خمسين كرا كل كر بعشرين دينارا فامتنع التاجر من أخذها وقال لا أريد غير الدنانير فلما كان من الغد دخل اليه التاجر فقال له يهنيك يافلان فقال وماهو قال خبر حنطتك فقال مالى حنطة ولا أريدها قال بلى وقد بعت كل كر بخمسين دينارا فقال أنا لم أتقبل بها فقال الوزير ماكنت لافسخ عقدا عقدته قال فخرجت وأخذت ثمن الحنطة ألفين وخمسمائة دينار وأضفت اليها مثلها وعاملته فقتل فضاع الجميع وكان قد نفق عليه عمل الكيمياء واختص به انسان كيميائى فكان يعده الشهر بعد الشهر والحول بعد الحول وقال له بعض أصحابه وقد أحاله عليه بكر حنطة فاستزاده لو كان صادقا فى عمله لما كان يستزيد من القدر القليل وقتل ولم يصح له منه شئ ولما قتل الاعز أبو المحاسن وزر بعده الوزير الخطير أبو المنصور الميبذى الذى كان وزير السلطان محمد وكان سبب فراقه لوزارة محمد انه كان معه باصبهان وبركيارق يحاصره وقد سلم اليه محمد بابا من أبوابها ليحفظها فقال له الامير ينال بن انوشتكين كنت قد كلفتنا ونحن بالرى لتقصد همذان وقلت أنا أقيم بالعسكر من مالى وأحصل لهم مايقوم بهم ولا بد من ذلك فقال له الخطير أنا أفعل ذلك فلما كان الليل فارق البلد وخرج من الباب الذى كان مسلما اليه وقصد بلده ميبذ وأقام بقلعتها متحصنا فارسل اليه السلطان بركيارق وحصره فنزل منها مستأمنا فحمل على بغل باكاف الى العسكر فوصله فى طريقه قتل الوزير الاعز وكتاب السلطان له بالامان وطيب قلبه فلما وصل الى العسكر خلع عليه واستوزره

﴿حادثة يعتبر بها﴾

فى سنة ثلاث وتسعين بيع رحل بنى جهير ودورهم بباب العامة ووصل ثمن ذلك الى مؤيد الملك ثم قتل فى سنة أربع وتسعين مؤيد الملك وبيع ماله وتركته وأخذ الجميع وحمل الى الوزير الاعز وقتل الوزير الاعز هذه السنة وبيع رحله واقتسمت أمواله وأخذ السلطان ومن ولى بعده أكثرها وتفرقت أيدى سبا وهذا عاقبة خدمة الملوك

﴿ذكر الفتنة بين ايلغازى وعامة بغداد﴾

فى هذه السنة فى رجب كانت فتنة شديدة بين عسكر الامير ايلغازى بن ارتق شحنة بغداد وبين عامتها وسببها ان ايلغازى كان بطريق خراسان فعاد الى بغداد فلما وصل أتى جماعة من أصحابه الى دجلة فنادوا ملاحا ليعبرهم فتأخر فرماه أحدهم بنشابة فوقعت فى مشعره فمات فاخذ العامة القاتل وقصدوا باب النوبى فلقيهم ولد ايلغازى مع جماعة فاستنقذوه ورجمهم العامة بسوق الثلاثاء فمضى الى أبيه مستغيثا فاخذ حاجب الباب من له فى هذه الحادثة عمل فلم يقنع ايلغازى ذلك فعبر باصحابه الى محلة الملاحين المعروفة بمربعة القطانين وتبعهم خلق كثير فنهبوا ماوجدوا وقدروا عليه فعطف عليهم العيارون فقتلوا أكثرهم ونزل من سلم فى السفن ليعبروا دجلة فلما توسطوها ألقى الملاحون أنفسهم فى الماء وتركوهم فغرقوا فكان الغريق أكثر من القتيل وجمع ايلغازى التركمان وأراد نهب الجانب الغربى فارسل اليه الخليفة قاضى القضاة

المغرب (قال) واشتدت علة المكتفى بالله بالدرب فاحضر محمد بن يوسف القاضى وعبد الله بن على بن أبى الشوارب فاشهدهما على قضيته بالعهد الى أخيه جعفر وقد قدمنا ذكر وصيته فيما سلف من هذا الكتاب فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع (قال المسعودى) وللمكتفى بالله أخبار حسان وما كان فى عصره من الكوائن فى قصة ابن الحابى بمصر وأمر القرمطى بالشأم وأمر ذكرويه وخروجه على الحاج وغير ذلك مما كان فى خلافته قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن اعادة ذكره

﴿ذكر خلافة المقتدر بالله﴾

وبويع المقتدر جعفر بن أحمد فى اليوم الذى توفى فيه أخوه المكتفى بالله وكان يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ويكنى أبا الفضل وأمه أم ولد يقال لها شغب وكذلك أم المكتفى أم ولد يقال لها ظلوم وقيل غير ذلك وكان له يوم بويع ثلاث عشرة سنة وقتل ببغداد بعد صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة فكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وستة عشر يوما وبلغ من السن ثمانيا وثلاثين سنة وخمسة عشر يوما وقد قيل فى مقدار عمره غير ماذكرنا والله أعلم

والكيا الهراس المدرس بالنظامية فمنعاه من ذلك فامتنع

﴿ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها﴾

فى هذه السنة فى العشرين من شوال قصد الامير اسمعيل صاحب البصرة مدينة واسط للاستيلاء عليها ونحن نبتدئ بذكر اسمعيل وتنقل الاحوال به الى ان ملك البصرة وهو اسمعيل بن سلانجق وكان اليه فى أيام ملكشاه شحنكية الرى وما والاها كان أهل الرى والرستاقية قد أعيوا من وليهم وعجز الولاة عنهم فسلك معهم طريقا أصلحهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذبوا بها وأرسل من شعورهم الى السلطان ماعمل منه مقاود وشكالا للدواب ثم عزل عنها ثم ان السلطان بركيارق أقطع البصرة للامير قماج فارسل اليها هذا الامير اسمعيل نائبا عنه فلما فارق قماج بركيارق وانتقل الى خراسان حدثته نفسه بالتغلب على البصرة والاستبداد فانحدر مهذب الدولة بن أبى الجبر من البطيحة اليه ليحاربه ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الاسدى صاحب الجزيرة الدبيسية فاقبلا فى جمع كثير من السفن والخيل ووصلوا الى مطارا فبينما معقل يقاتل قريبا من القلعة التى بناها ينال بمطارا وجددها اسمعيل وأحكمها أتاه سهم غرب فقتله فعاد ابن أبى الجبر الى البطيحة وأخذ اسمعيل سفنه وذلك سنة احدى وتسعين فاستمد ابن أبى الجبر كوهرائين فامده بابى الحسن الهروى وعباس بن أبى الجبر فلقيا فكسرهما وأسرهما وأطلق عباسا على مال أرسله أبوه واصطلحا وأما الهروى فبقى فى حبسه مدة ثم أطلقه على خمسة آلاف دينار فلم يصح له منها شئ وقوى حال اسمعيل فبنى قلعة بالابلة وقلعة بالشاطئ مقابل مطارا وصار مخوف الجانب وأمن البصريون به وأسقط شيأ من المكوس واتسعت امارته باشتغال السلاطين وملك المشان واستضافها الى ما بيده فلما كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم اليه فقوى طمعه فى واسط فاصعد فى السفن الى نهرابان وراسلهم فى التسليم فامتنعوا من ذلك وقالوا راسلناك وقد رأينا غير ذلك الرأى فاصعد الى الجانب الشرقى فخيم تحت النخيل وسفنه بين يديه وخيم جند واسط حذاءه وراسلهم ووعدهم وهم لا يجيبونه واتفقت العامة مع الجند وشتموه أقبح شتم فلما أيس منهم عاد الى البصرة وسار وابازائه من الجانب الآخر فوصل الى العمر وعبر طائفة من أصحابه فوق البلد وهو يظن البلد خاليا وان الناس قد خرجوا منه لما رأى كثرة من بازائه فيوقع الحريق فى البلد فاذا رجع الاتراك عاده ومن وراءهم فكان ظنه خائبا لان العامة كانوا على الدجلة أولهم فى البلد وآخرهم مع الاتراك بازائه فلما عبر أصحابه عاد الاتراك عليهم ومعهم العامة فقتلوا منهم ثلاثين رجلا وأسر واخلقا كثيرا وألقى الباقون أنفسهم فى الماء فاتاه من ذلك مصيبة لم يظنها وصار أعيان أصحابه مأسورين وعاد الى البصرة وكان عوده من سعادته فانه كان قد قصد الامير أبو سعد محمد بن مضر بن محمود البصرة ذلك الوقت وله أعمال واسعة منها نصف عمان وجنابة وسيراف وجزيرة بنى نفيس وكان سبب قصده اياها انه كان قد صار مع اسمعيل انسان يعرف بجعفرك وآخر اسمه زنجويه والثالث بابى الفضل الابلى فاطمعوه فى ان يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلة فى البحر الى هذا أبى سعد وغيره فعمل نيفا وعشرين قطعة فلما علم أبو سعد الحال أرسل جماعة كثيرة من أصحابه فى نحو خمسين قطعة فاتوا الى دجلة البصرة وذلك فى السنة الخالية فاقاموا بها محاربين وظفروا بطائفة من أصحاب اسمعيل وقتلوا صاحب قلعة الابلة وكاتبوا بنى برسق بخوزستان يطلبون أن يرسلوا عسكرا ليساعدوهم على أخذ البصرة فتمادى الجواب وركن الطائفتان الى الصلح على ان يسلم اليهم اسمعيل جعفرك ورفيقه ويقطعهم

مواضع ذكروها من أعمال البصرة فلما رجعوا لم يفعل شيأ من ذلك وأخذ مركبين لقوم من أصحاب أبى سعد فحمله ذلك على ان سار بنفسه فى قطع كثيرة تزيد على مائة قطعة بين كبيرة وصغيرة ووصل الى فوهة نهر الابلة وخرج عسكر اسمعيل فى عدة مراكب ووقع القتال بينهم وكان البحريون فى نحو عشرة آلاف واسمعيل فى سبعمائة واصعد البحريون فى دجلة فاحرقوا عدة مواضع وتفرق عسكر اسمعيل فبعضه بالابلة وبعضه بنهر الدير وبعضه فى مواضع أخر فلما ضعف اسمعيل عن مقاومة أبى سعد طلب من وكيل الخليفة على ما يتعلق بديوانه من البلاد ان يسعى فى الصلح فارسل اليه فى ذلك فاعاد الجواب يذكر قبح ما عامله به اسمعيل مرة بعد أخرى وتكررت الرسائل بينهم فاجاب الى الصلح فاصطلحا واجتمعا وعاد أبو سعد الى بلاده وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية جميلة

﴿ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركمانى الموصل وجكرمش بعده وملك سقمان الحصن﴾

فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى قوام الدولة كربوقا عند مدينة خوى وكان السلطان بركيارق قد أرسله فى العام الماضى الى اذربيجان كما ذكرناه فاستولى على أكثرها وأتى الى خوى فمرض بها ثلاثة عشر يوما وكان معه اصبهبذ صباوة بن خمارتكين وسنقرجه فوصى الى سنقرجه وأمر الاتراك بطاعته وأخذله على عسكره العهود ومات على أربعة فراسخ من خوى ولف فى زلية لعدم ما يكفن فيه ودفن بخوى وسار سنقرجه وأكثر العسكر الى الموصل فتسلمها فاقام بها ثلاثة أيام وكان أعيان الموصل قد كاتبوا موسى التركمانى وهو بحصن كيفا ينوب عن كربوقا فيها وسألوه ان يبادر اليهم ليسلموا اليه البلد فسار مجدا فسمع سنقرجه بوصوله فظن انه جاء اليه خدمة له فخرج ليستقبله فى أهل البلد فلما تقاربا نزل كل واحد منهما لصاحبه عن فرسه واعتنقا وبكيا على قوام الدولة فتسايرا فقال سنقرجه لموسى فى جملة حديثه انا مقصودى من جميع ما كان لصاحبنا المخدة والمنصب والاموال والولايات لكم وبحكمكم فقال موسى من نحن حتى يكون لنا مناصب ودست الامر فى هذا الى السلطان يرتب فيه من يريد ويولى من يختار وجرى بينهما محاورات فجذب سنقرجه سيفه وضربه صفحا على رأسه فجرحه فالقى موسى نفسه الى الارض وجذب سنقرجه فالقاه الى الارض وكان مع موسى ولد منصور بن مروان الذى كان أبوه صاحب ديار بكر فجذب سكينا وضرب بها رأس سنقرجه فابانه ودخل موسى البلد وخلع على أصحاب سنقرجه وطيب نفوسهم فصارت الولاية له ولما سمع شمس الدولة جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر الخبر قصد نصيبين وتسلمها وسار موسى قاصدا الى الجزيرة فلما قارب جكرمش غدر بموسى عسكره وصار وامع جكرمش فعاد موسى الى الموصل وقصده جكرمش وحصره مدة طويلة فاستعان موسى بالامير سقمان بن ارتق وهو يومئذ بديار بكر واعطاه حصن كيفا وعشرة آلاف دينار فسار سقمان اليه فرحل جكرمش عنه وخرج موسى لاستقبال سقمان فلما كان موسى عند قرية تسمى كراثا فوثب عليه عدة من الغلمان القوامية فقتلوه رماه أحدهم بنشابة فقتله فعاد أصحابه منهزمين ودفن على تل هناك يعرف الآن بتل موسى ورجع الامير سقمان الى الحصن فملكها وهى بيد أولاده الى يومنا هذا سنة عشرين وستمائة وصاحبها حينئذ غازى بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق وقصد جكرمش الموصل وحصرها أياما ثم تسلمها صلحا وأحسن السيرة فيها وأخذ القوامية الذين قتلوا موسى فقتلهم واستولى بعد ذلك على الخابور

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾ وبويع المقتدر وعلى وزارته العباس بن الحسن الى أن وثب الحسين بن حمدان ووصيف بن سوارتكين وغيرهما من الاولياء على العباس بن الحسن فقتلوه وفاتكا معه وذلك فى يوم السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وكان من أمر عبد الله بن المعتز ومحمد بن داود وغيرهما ما قد اتضح فى الناس واشتهر وأتينا على ذكره فى الكتاب الاوسط وغيره من أخبار المقتدر وقد صنف جماعة من الناس أخبار المقتدر مجمعة مع أخبار غيره من الخلفاء ومفردة وعمل ذلك فى أخبار بغداد وقد صنف أبو عبد الله بن عبدوس الجهشيارى أخبار المقتدر فى ألوف من الاوراق ووقع لى منها أجزاء يسيرة (وأخبرنى) غير واحد من أهل الدراية أن ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر فى ألف ورقة وانما نذكر من أخبار كل واحد منهم لمعا وانما الغرض جوامع من أخبارهم تبعث على درسه وحفظ ما فيه ونسخه (وكان) عبد الله بن المعتز أديبا بليغا شاعرا مطبوعا مجودا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الاقتراح للمعانى فمن ذلك قوله

يقول العاذلون تعز عنها * وأطف لهيب قلبك بالسلو

وكيف وقبلة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

(وقوله)

ضعيفة أجفانه * والقلب منه حجر

كأنما ألحاظه * من فعله تعتذر

(وقوله)

تولى الجهل وانقطع العتاب * ولاح الشيب وافتضح الخضاب

لقد أبغضت نفسى فى مشيبى * فكيف تحبنى الخود الكعاب

(وقوله)

عجبا للزمان من حالتيه * وبلاء دفعت منه اليه

رب يوم بكيت فيه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

وقوله فى أبى الحسن على بن محمد بن الفرات الوزير

أبا حسن ثبت فى الارض وطأتى * وأدركتنى فى المعضلات الهزاهز

وألبستنى درعا على حصينة * فناديت صرف الدهر هل من مبارز

(وقوله)

ومن شر أيام الفتى بذل وجهه * الى غير من خفت عليه الصنائع

متى يدرك الاحسان من لم تكن له * الى طلب الاحسان نفس تنازع

(وقوله)

فان شئت غادتنى السقاة بكاسها * وقد فتح الاصباح فى ليلة فانخلت الدجا

والنجم قد مد خيطه * رداء موشى بالكواكب معلما

(وقوله)

وأبكى اذا ما غاب نجم كأننى * فقدت صديقا أو رزئت حميما

فلوشق من طرف الليالى كواكب شققت لها من ناظرى نجوما ومما أحسن فيه قوله فى عبيد الله بن سليمان

وملك العرب والاكراد فاطاعوه

﴿ذكر حال صنجيل الفرنجى وما كان منه فى حصار طرابلس﴾

كان صنجيل الفرنجى لعنه الله قد لقى قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب قونية وكان صنجيل فى مائة ألف مقاتل وكان قلج ارسلان فى عدد قليل فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم كثير وأسر كثير وعاد قلج ارسلان بالغنائم والظفر الذى لم يحتسبه ومضى صنجيل مهزوما فى ثلاثمائة فوصل الى الشام فارسل فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس الى الامير ياخز خليفة جناح الدولة على حمص فالى الملك دقاق بن تتش يقول من الصواب ان يعاجل صنجيل اذ هو فى هذه العدة القريبة فخرج الامير ياخز بنفسه وسير دقاق ألفى مقاتل واتتهم الامداد من طرابلس فاجتمعوا على باب طرابلس وصافوا صنجيل هناك فاخرج مائة من عسكره الى أهل طرابلس ومائة الى عسكر دمشق وخمسين الى عسكر حمص وبقى هو فى خمسين فاما عسكر حمص فانهم انكسروا عند المشاهدة وولوا منهزمين وتبعهم عسكر دمشق وأما أهل طرابلس فانهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم فلما شاهد ذلك صنجيل حمل فى المائتين الباقية فكسر واأهل طرابلس وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل ونازل صنجيل طرابلس وحصرها واتاه أهل الجبل فاعانوه على حصارها وكذلك أهل السواد وأكثرهم نصارى فقاتل من بها أشد قتال فقتل من الفرنج ثلثمائة ثم انه هادنهم على مال وخيل فرحل عنهم الى مدينة انطرسوس وهى من أعمال طرابلس فحصرها وفتحها وقتل من بها من المسلمين ورحل الى حصن الطوبان وهو يقارب رفنية ومقدمه يقال له ابن العريض فقاتلوهم فنصر عليه أهل الحصن وأسر ابن العريض منه فارسا من أكابر فرسانه فبذل صنجيل فى فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير فلم يجبه ابن العريض الى ذلك

﴿ذكر ما فعله الفرنج﴾

فى هذه السنة أطلق الدانشمند بيمند الفرنجى صاحب انطاكية وكان قد أسره وقد تقدم ذكر ذلك وأخذ منه مائة ألف دينار وشرط عليه اطلاق ابنة باغى سيان الذى كان صاحب انطاكية وكانت فى أسره ولما خلص بيمند من أسره عاد الى انطاكية فقويت نفوس أهلها به ولم يستقر حتى أرسل الى أهل العواصم وقنسرين وماجاورها يطالبهم بالاتاوة فورد على المسلمين من ذلك ماطمس المعالم التى بناها الدانشمند وفيها سار صنجيل الى حصن الاكراد فحصره فجمع جناح الدولة عسكره ليسير اليه ويكبسه فقتله باطنى بالمسجد الجامع فقيل ان الملك رضوان ربيبه وضع عليه من قتله فلما قتل صبح صنجيل حمص من الغد ونازلها وحصر أهلها وملك أعمالها ونزل القمص على عكة فى جمادى الآخرة وضيق عليها وكاد يأخذها ونصب عليها المنجنيقات والابراج وكان له فى البحر ست عشرة قطعة فاجتمع المسلمون من سائر السواحل وأتوا الى منجنيقاتهم وابراجهم فاحرقوها واحرقوا سفنهم أيضا وكان ذلك نصرا عجيبا أذل الله به الكفار وفيها صار القمص الفرنجى صاحب الرها الى بيروت من ساحل الشام وحصرها وضايقها وأطال المقام عليها فلم يرفيها طمعا فرحل عنها وفيها فى رجب خرجت عساكر مصر الى عسقلان ليمنعوا الفرنج عما بقى فى أيديهم من البلاد الشامية فسمع بهم بردويل صاحب القدس فسار اليهم فى سبعمائة فارس وقاتلهم فنصر الله المسلمين وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم وانهزم بردويل فاختفى فى اجمة قصب فاحرقت تلك الاجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها الى الرملة فتبعه المسلمون وأحاطوا به فتنكر وخرج منها الى يافا وكثر القتل والاسر فى أصحابه

لآل سليمان بن وهب صنائع
الى ومعروف لدى تقدما
هم علموا الايام كيف بتوقى
وهم غسلوا من ثوب والدى الدما

وقوله عند وفاة المعتصم بالله

قضوا ماقضوا من حقه ثم قدموا
اماما يؤم الخلق بين يديه
وصلوا عليه خاشعين كأنهم
صفوف قيام للسلام عليه

وقوله فى فصادة المعتضد بالله

يادما سال من ذراع الامام
أنت أذكى من عنبر ومدام
قد ظننتك اذ جريت الى الطش
ت دموعا من مقلتى مستهام
انما غرق الطبيب شبا المب
ضع فى نفس مهجة الاسلام

(وقوله)

اصبر على حسد الحسو
د فان صبرك يقتله
فالنار تأكل نفسها
ان لم تجد ماتأكله

(وقوله)

يطوف بالراح بيننا بشر
محكم فى القلوب والمقل
يكاد لحظ العيون حين بدا
يسفك من خده دم الخجل

(وقوله)

رشأ تيه بحسن صورته
عبث الفتور بلحظ مقلته
وكان عقرب صدغه وقفت
لما دنت من نار وجنته

(وقوله)

اذا اجتنى وردة من خده فه
تكونت تحتها أخرى من الخجل

(قال) وكانت وفاة أبى بكر محمد بن داود بن على بن خلف الاصبهانى

الفقيه سنة ست وتسعين ومائتين وكان ممن قد علا فى رتبة الادب وتصرف فى بحار اللغة وتفنن فى موارد المذاهب

﴿ذكر عود قلعة خفتيذ كان الى سرخاب بن بدر﴾

فى هذه السنة عادت قلعة خفتيذ كان الى الامير سرخاب بن بدر بن مهلهل وكان سبب أخذها منه ان القرابلى وهو من قبيل من التركمان يقال لهم سلغر كان قد أتى الى بلد سرخاب فمنعه من المراعى وقتل جماعة من أصحابه فمضى قرابلى الى التركمان واستجاش بهم وجاء فى عسكر كثير فلقيه سرخاب وقاتله فقتل قرابلى من أصحاب الاكراد قريبا من ألفى رجل وانهزم سرخاب الى بعض جباله فى عشرين رجلا فلما سمع المستحفظان بقلعة خفتيذ كان ذلك وكانا رجلين حدثتهما أنفسهما بالاستيلاء عليها وكان بها ذخائره وأمواله وقدرها ما يزيد على ألفى ألف دينار فملكاها واجتاز بها السلطان بركيارق فانفذا اليه مائتى ألف دينار واستولى التركمان على جميع بلاد سرخاب بن بدر سوى دقوقا وشهرزور فلما كان هذا الوقت قتل أحد المستحفظين الآخر وأرسل الى سرخاب يطلب منه الامان ليسلم اليه القلعة فامنه على نفسه وعلى ماحصل بيده من أموالها فسلمها اليه ووفى له

﴿ذكر قتل قدرخان صاحب سمرقند﴾

قد ذكرنا قبل قدوم الملك سنجر مع أخيه السلطان محمد الى بغداد وعوده الى خراسان فلما وصل الى نيسابور خطب لاخيه محمد بخراسان جميعها ولما كان ببغداد طمع قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند فى خراسان لبعده عنها وجمع عساكر تملأ الارض قيل كانوا مائة ألف مقاتل فيهم مسلمون وكفار وقصد بلاد سنجر وكان أمير من أمراء سنجر اسمه كندغدى قد كاتب قدرخان بالاخبار وأعلمه مرض سنجر بعد عوده الى بلاده وانه قد أشفى على الهلاك وقوى طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد وبشدة عداوة بركيارق لسنجر وأشار عليه بالسرعة مهما الاختلاف واقع وانه متى أسرع ملك خراسان والعراق فبادر قدرخان وأقدم وقصد البلاد فبلغ السلطان سنجر الخبر وكان قد عوفى فبادر وسار نحوه قاصدا قتاله ومنعه عن البلاد وكان من جملة من معه كندغدى المذكور وهو لا يتهمه بشئ مما فعل فوصل الى بلخ فى ستة آلاف فارس فبقى بينه وبين قدرخان نحو خمسة أيام فهرب كندغدى الى قدرخان وحلف كل واحد منهما لصاحبه على الاتفاق والمناصحة وسار من عنده الى ترمذ فملكها وكان الباعث للكندغدى على مافعل حسده للامير برغش على منزلته ثم تقدم قدرخان فلما تدانى العسكران أرسل سنجر يذكر قدرخان العهود والمواثيق القديمة فلم يصغ الى قوله وأذكى سنجر العيون والجواسيس على قدرخان فكان لا يخفى عنه شئ من خبره فاتاه من أخبره انه نزل بالقرب من بلخ وانه خرج متصيدا فى ثلثمائة فارس فندب سنجر عند ذلك الامير برغش لقصده فسار اليه فلحقه وهو على تلك الحال فقاتله فلم يصبر من مع قدرخان فانهزموا وأسر كندغدى وقدرخان وأحضرهما عند سنجر فاما قدرخان فانه قبل الارض واعتذر فقال له سنجر ان خدمتنا أو لم تخدمنا فما جزاؤك الا السيف ثم أمر به فقتل فلما سمع كندغدى الخبر نجا بنفسه ونزل فى قناة ومشى فيها فراسخين تحت الارض على مابه من النقرس وقتل فيها حيتين عظيمتين وسبق أصحابه الى مخرجها وسار منها فى ثلثمائة فارس الى غزنة وقيل بل جمع سنجر عساكر كثيرة والتقى هو وقدرخان وجرى بينهما مصاف وقتال عظيم كثر فيه القتل فيهم فانهزم قدرخان وعسكره وحمل أسيرا الى سنجر فقتله وحصر ترمذ وبها كندغدى فطلب الامان فامنه سنجر ونزل اليه وسلم ترمذ فامره سنجر بمفارقة بلاده فسار الى غزنة فلما وصل اليها أكرمه صاحبها علاء الدولة وحل عنده المحل الكبير واتفق ان

وأشفى على أغراض المطالب وكان عالما بالفقه منفردا وواحدا فيه فريدا وألف فى عنفوان صباه وقبل كماله وانتهائه الكتاب المعروف بالزهرة ثم تناهت فكرته ونسقت قوته فصنف الفقهيات ككتابه فى الوصول الى معرفة الاصول وكتاب الانذار وكتاب الاعذار والابحار وكتابه المعروف بالانتصار على محمد ابن جرير وعبد الله بن شرشى وعيسى بن ابراهيم الضرير (ومما قال) فيه فأحسن فى عنفوان شبابه وأثبته فى كتابه المترجم بالزهرة وعزاه الى بعض أهل عصره وان كان محسنا فى سائر كلامه من منظومه ومنثوره قوله

على كبدى من خيفة البين لوعة
يكاد لها قلبى أسى يتصدع
يخاف وقوع البين والشمل جامع
فيبكى بعين دمعها متسرع
فلو كان مسرورا بما هو واقع
كما هو محزون بما يتوقع
لكان سواء برؤه وسقامه
ولكن وشك البين أدهى وأوجع

(وقوله)

تمتع من حبيبك بالوداع
الى وقت السرور بالاجتماع
فكم جربت من وصل وهجر
ومن حال ارتفاع واتضاع
فلم أر فى الذى لاقيت شيأ
وكم كأس أمر من المنايا * شربت فلم يضق عنها ذراعى

صاحب غزنة عزم على قصد اونان وهى جبال منيعة على أربعين فرسخا من غزنة وقد عصى عليه فيها قوم وتحصنوا بمعاقلها وعورمسالكها فقاتلهم عسكر علاء الدولة فلم يظفر وامنهم بطائل فتقدم كندغدى منفردا عنهم فابلى بلاء حسنا ونصر عليهم وأخذ غنائمهم وحملها الى علاء الدولة فلم يقبل منها شيأ ووفرها عليه فغضب العسكر وحسدوه على ذلك وعلى قربه من صاحبهم ونفاقه عليه فاشاروا بقبضه وقالوا انالا نأمن ان يقصد بعض الاماكن فيفعل فى أمر الدولة مالا يمكن تلافيه فقال قد تحققت قصدكم ولكن بمن اقبض عليه فانى أخاف ان آمركم بالقبض عليه فينالكم منه ماتفتضحون به فقالوا الصواب ان توليه ولاية ويقبض عليه اذا سار اليها فولاه حصنين جرت عادته ان يحبس فيهما من يخاف جانبه فسار اليهما فلما قاربهما عرف مايراد منه فاحرق جميع ماله ونحر جماله وسار جريدة وكان فى مدة مقامه بغزنة يسأل عن الطرق وتشعبها فانه ندم على قصد تلك الجهة فلما سار سأل راعيا عن الطريق التى يريدها فدله فاخذه معه خوفا ان يكون قد غره ولم يزل سائرا الى ان وصل الى قريب هراة فمات هناك وهو من مماليك تتش ابن الب ارسلان الذى كحله اخوه ملكشاه وسجنه بتكريت وقد تقدم ذكر حادثته

(ذكر ملك محمد خان سمرقند)

فى هذه السنة أحضر السلطان سنجر محمدا ارسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان من مرو وملكه سمرقند بعد قتل قدرخان وكان هذا محمد خان من أولاد الخانية بما وراء النهر وامه ابنة السلطان ملكشاه فدفع عن ملك آبائه فقصد مرو وأقام بها الى الآن فلما قتل قدرخان ولاه سنجر اعماله وسير معه العساكر الكثيرة فعبروا النهر فاطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها وعظم شأنه وكثرت جموعه الا انه انتصب له أمير اسمه صاغو بك وزاحمه فى الملك فطمع فيه فجرى له معه حروب احتاج فى بعضها الى الاستنجاد بعساكر سنجر على مانذكره بعد ان شاء الله تعالى ولما ملك محمد خان البلاد أحسن الى الرعايا بوصية من سنجر وحقن الدماء وصار بابه مقصدا وجنابه ملجأ

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الاول خرج تاج الرؤساء ابن أخت أمين الدولة ابى سعد بن الموصلايا الى الحلة السيفية مستجيرا بسيف الدولة صدقة وسبب ذلك ان الوزير الاعز وزير السلطان بركيارق كان ينسب اليه انه هو الذى يميل جانب الخليفة الى السلطان محمد فسار خائفا واعتزل خاله أمين الدولة الديوان وجلس فى داره فلما قتل الوزير الاعز على ماذكرنا عاد تاج الرؤساء من الحلة الى بغداد وعاد خاله الى منصبه وفى ربيع الاول أيضا ورد العميد المهذب أبو المجد أخو الوزير الاعز الى بغداد نائبا عن أخيه ظنا منه ان ايلغازى لايخالفهم حيث كان بركيارق ومحمد قد اتفقا كما ذكرناه فقبض عليه ايلغازى ولم يتغير عن طاعة محمد وفيها فى جمادى الاولى ورد الى بغداد ابن تكش بن الب ارسلان وكان قد استولى على الموصل فخدعه من كان بها حتى يسير عنها الى بغداد ففعل فلما وصل اليها زوجه ايلغازى ابن ارتق ابنته وفيها فى شهر رمضان استوزر الخليفة سديد الملك أبا المعالى بن عبد الرزاق ولقب عضد الدين وفيها فى صفر قتل الربعيون بهيت قاضى البلد أبا على بن المثنى وكان ورعا فقيها حنفيا من أصحاب القاضى أبى عبد الله الدامغانى وكان هذا القاضى على ماجرت به عادة القضاة هناك من الدخول بين القبائل فنسبوه فى ذلك الى التحامل عليهم فقتله أحدهم فندم الباقون على قتله وقد فات الامر وفيها بنى سيف الدولة صدقة بن مزيد الحلة بالجامعين وسكنها وانما كان يسكن هو وآباؤه قبله فى البيوت العربية وفى جمادى

لاخير فى عاشق يخفى صبابته
بالقول والشوق فى زفراته بادى
يخفى هواه ومايخفى على أحد
حتى على العيس والركبان والحادى
(وفى سنة) ثلاث وثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله كانت وفاة على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام وكان شاعر السنا مطبوعا فى الهجاء ولم يسلم منه وزير ولا أمير ولا صغير ولا كبير وله فى هجاء أبيه واخوته وسائر أهل بيته فمما قال فى أبيه
بنى أبو جعفر دارا فشيدها
ومثله لخيار الدور بناه
فالجوع داخلها والذل خارجها
وفى جوانبها بؤس وضراء
(وله فيه)
ماينفع الدار من تشييد حائطها
وليس داخلها خبز ولا ماء
(وله فيه)
هبك عمرت عمر عشرين نسرا
أترى أننى أموت وتبقى
فلئن عشت بعد يومك يوما
لأشقن جيب مالك شقا
(وله فيه)
رأى الجوع طبا فهو يحمى ويحتمى
فلست ترى فى داره غير جائع
ويزعم أن الفقر فى الجود والسخا * وأن ليس حظ فى اكتساب الصنائع
لقد أمن الدنيا ولم يخش صرفها * ولم يدر أن المرء رهن الفجائع
الاولى

الاولى قتل المؤيد بن شرف الدولة مسلم بن قريش أمير بنى عقيل قتله بنو نمير عند هيت قصاصا وفيها توفى القاضى البندنيجى الضرير الفقيه الشافعى انتقل الى مكة فجاور بها أربعين سنة يدرس الفقه ويسمع الحديث ويشتغل بالعبادة وفيها توفى أبو عبد الله الحسين بن محمد الطبرى باصبهان وكان يدرس فقه الشافعى بالمدرسة النظامية وقد جاوز تسعين سنة وهو من أصحاب أبى اسحق وفيها توفى الامير منظور بن عمارة الحسينى أمير المدينة على ساكنها الصلاة والسلام وقام ولده مقامه وهو من ولد المهنا وقد كان قتل المعمار الذى أنفذه مجد الملك البلاسانى لعمارة القبة التى على قبر الحسن بن على والعباس رضى الله عنهما وكان من أهل قم فلما قتل البلاسانى قتله منظور بعد ان أمنه وكان قد هرب منه الى مكة فارسل اليه بامانه

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة)

(ذكر استيلاء ينال على الرى وأخذها منه ووصوله الى بغداد)

كانت الخطبة بالرى للسلطان بركيارق فلما خرج السلطان محمد من اصبهان على ماذكرناه ومعه ينال بن أنوشتكين الحسامى استأذنه فى قصد الرى واقامة الخطبة له بها فاذن له فسار هو وأخوه على بن أنوشتكين فوصلا اليها فى صفر فاطاع من بها من نواب بركيارق وخطب لمحمد بالرى واستولى ينال على البلد وعسف أهله وصادرهم بمائتى ألف دينار وأقام بها الى النصف من ربيع الاول فورد اليه الامير برسق بن برسق من عند السلطان بركيارق فوقع القتال بينهم على باب الرى فانهزم ينال وأخوه على فاما على فعاد الى ولايته قزوين وسلك ينال الجبال فقتل من أصحابه كثير وتشتتوا فاتى الى بغداد فى سبعمائة رجل فاكرمه الخليفة واجتمع هو وايلغازى وسقمان ابنا أرتق بمشهد أبى حنيفة وتحالفوا على مناصحة السلطان محمد وساروا الى سيف الدولة صدقة فحلف لهم أيضا على ذلك وعادوا

(ذكر مافعله ينال بالعراق)

قد ذكرنا وصول ينال بن أنوشتكين الى بغداد قبل فلما استقر ببغداد ظلم الناس بالبلاد جميعا وصادرهم واستطال أصحابه على العامة بالضرب والقتل والتقسيط وصادر العمال فارسل اليه الخليفة قاضى القضاة أبا الحسن الدامغانى ينهاه عن ذلك ويقبح عنده مايرتكبه من الظلم والعدوان وتردد أيضا الى ايلغازى وكان ينال قد تزوج هذه الايام باخته وهى التى كانت زوجة تاج الدولة تتش حتى توسط الامر معه فمضوا اليه وحلفوه على الطاعة وترك ظلم الرعية وكف أصحابه ومنهم فخالف ولم يف باليمين ونكث ودام على الظلم وسوء السيرة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة وعرفه مايفعله ينال من نهب الاموال وسفك الدماء وطلب منه ان يحضر بنفسه ليكف ينال فسار من حلته فى رمضان ووصل بغداد رابع شوال وضرب خيامه بالنجمى واجتمع هو وينال وايلغازى ونواب ديوان الخليفة وتقررت القواعد على مال يأخذه ويرحل عن العراق فطلب ينال المهلة فعاد صدقة عاشر شوال الى حلته وترك ولده دبيسا ببغداد ليمنعه من الظلم والتعدى عما استقر الامر عليه فبقى ينال الى مستهل ذى القعدة وسار الى اوانا ونهب وقطع الطريق وعسف الناس وبالغ فى الفعل القبيح واقطع القرى لاصحابه فارسل الخليفة الى صدقة فى ذلك فارسل ألف فارس وساروا اليه ومعهم جماعة من أصحاب الخليفة وايلغازى شحنة بغداد فلما سمع ينال بقربهم منه عبر دجلة وسار الى باجسرى وشعثها وقصد شهرابان فمنعه أهلها فقاتلهم فقتل بينهم قتلى ورحل عنهم وسار الى اذربيجان قاصدا الى السلطان محمد وعاد دبيس بن

أبا الصقر اسمعيل بن بلبل والطائى أمير بغداد وعبدون النصرانى أخا صاعد وأبا العباس بن بسام وحامد بن العباس وزير المقتدر بالله بعد ذلك واسحق بن عمران أمير الكوفة يومئذ
أيرجو الموفق نصر الاله
وأمر العباد الى دانيه
ومن قبلها كان أمر العباد
لعمر أبيك الى زانيه
فان رضيت رضيت أنه
كدالبة فوقها داليه
وظل ابن بلبل يدعى الوزير
ولم يك فى الاعصر الخاليه
وطحان طى تولى الجسور
وسقى الفرات وزرقاميه
ويحكم عبدون فى المسلمين
ومن ضله موجد الحاليه
وأحول بسطام ظل المشير
وكان يحوك بيرزاطيه
وحامد ياقوم لو أمره
الى لا لزمته الزاويه
نعم ولا رجعته صاغرا
الى بيع رمان حصراويه
واسحق عمران يدعى الامير
لداهية أيما داهيه
فهذى الخلافة قد ودعت
وظلت على عرشها خاويه
تخل الزمان لاوغاده
الى لعنة الله والهاويه
فيارب قد ركب الارذلون
ورجلى فى رحلهم عاليه
فان كنت حاملنا مثلهم
والا فارحل بنى الزانيه
جمع فى شعره هذا جميع رؤساء أهل الدولة فى ذلك العصر (وأنشد) أبو اسحق الزجاج النحوى صاحب المبرد فى المعتضد وقد ختن

ابنه جعفر المقتدر انصرف الناس من ختان يدعون من جوعهم حزاما فقلت لاتعجبوا لهذا فهكذا ختن اليتامى

صدقة وايلغازى شحنة بغداد الى مواضعهم

﴿ذكر وصول كمشتكين القيصرى شحنة الى بغداد والفتنة بينه وبين ايلغازى وسقمان وصدقة﴾

فى هذه السنة منتصف ربيع الاول ورد كمشتكين القيصرى الى بغداد شحنة أرسله اليها السلطان بركيارق وقد ذكرنا فى السنة المتقدمة رحيل بركيارق من اصبهان الى همذان فلما وصلها أرسل الى بغداد كمشتكين شحنة فلما سمع ايلغازى وهو شحنة بغداد للسلطان محمد أرسل الى أخيه سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا يستدعيه اليه ليعتضد به على منعه وسار الى سيف الدولة صدقة بالحلة واجتمع به وسأله تجديد عهد فى دفع من يقصده من جهة بركيارق فاجابه الى ذلك وحالف له فعاد ايلغازى وورد سقمان فى عساكره ونهب فى طريقه تكريت وسبب تمكنه منها انه أرسل جماعة من التركمان الى تكريت معهم أحمال جبن وسمن وعسل فباعوا مامعهم وأظهروا ان سقمان قد عاد عن الانحدار فاطمأن أهل البلد ووثب التركمان تلك الليلة على الحراس فقتلوهم وفتحوا الابواب وورد اليها سقمان ودخلها ونهبها ولما وصل الى بغداد نزل بالرملة واما كمشتكين فوصل أول ربيع الاول الى قرميسين وأرسل الى من له هوى مع بركيارق وأعلمهم بقربه منهم فخرج اليه جماعة منهم فلقوه بالبندنيجين وأعلموه الاحوال وأشاروا عليه بالمعاجلة فأسرع السير فوصل الى بغداد منتصف ربيع الاول ففارق ايلغازى داره واجتمع بأخيه سقمان وأصعدا من الرملة ونهبا بعض قرى دجيل فسار طائفة من عسكر كمشتكين وراءهما ثم عادوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد فأرسل كمشتكين القيصرى الى سيف الدولة صدقة ومعه حاجب من ديوان الخليفة فى طاعة بركيارق فلم يجب الى ذلك وكشف القناع ببغداد فى مخالفته وسار من الحلة الى جسر صرصر فقطعت خطبة بركيارق ببغداد ولم يذكر على منابرها أحد من السلاطين واقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لاغير ولما وصل سيف الدولة الى صرصر أرسل الى ايلغازى وسقمان وكانا بحربى يعرفهما انه قد أتى لنصرتهما فعادا ونهبا دجيلا ولم يبقيا على قرية كبيرة ولا صغيرة وأخذت الاموال وافتضت الابكار ونهب العرب والاكراد الذين مع سيف الدولة بنهر ملك الا انهم لم ينقل عنهم مثل التركمان من أخذ النساء والفساد معهن لكنهم استقصوا فى أخذ الاموال بالضرب والاحراق وبطلت معايش الناس وغلت الاسعار فكان الخبز يساوى عشرة أرطال بقيراط فصار ثلاثة أرطال بقيراط وجميع الاشياء كذلك فأرسل الخليفة الى سيف الدولة فى الاصلاح فلم تستقر قاعدة وعاد ايلغازى وسقمان ومعهما دبيس بن سيف الدولة صدقة من دجيل فخيموا بالرملة فقصدهم جماعة كثيرة من العامة فقاتلهم فقتل من العامة أربعة نفر وأخذ منهم جماعة فاطلقوا بعد أن أخذت أسلحتهم وازداد الامر شدة على الناس فأرسل الخليفة قاضى القضاة أبا الحسن بن الدامغانى وتاج الرؤساء ابن الموصلايا الى سيف الدولة يأمره بالكف عن الامر الذى هو ملابسه ويعرفه ما الناس فيه ويعظم الامر عليه فأظهر طاعة الخليفة ان أخرج القيصرى من بغداد والا فليس غير السيف وأرعد وأبرق فلما عاد الرسول استقر الامر على اخراج القيصرى من بغداد ففارقها ثانى عشر ربيع الآخر وسار الى النهروان وعاد سيف الدولة الى بلده وأعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد وسار القيصرى الى واسط فخاف الناس منه وأرادوا الانحدار منها فأمنوا فمنعهم القيصرى وخطب لبركيارق بواسط ونهبوا كثيرا من سوادها فلما سمع صدقة ذلك سار الى واسط فدخلها وعدل فى

(وله أيضا فى المعتضد)

الى كم لانرى ماترتجيه
ولا ننفك من أمل كذوب
لئن سموك معتضدا فانى
أظنك سوف تعضد عن قريب

(وله فى الوزير) العباس ابن الحسن وابن عمرويه الخراسانى وكان أمير بغداد يومئذ

لعن الله الذى قلد عباس الوزاره
والذى ولى ابن عمرويه ببغداد الاماره
لوزير سمج الوجه بطين كالقواره
وقفاً فيه سنامان ورأس كالخياره
لم يزل يعرف بالزنـ ـن قديما والعياره
وأمير أعجمى كحمار ابن حماره
رحل الاسلام عنا بتوليه الوزاره

(وأنشدنى فى أبى الحسن جحظة البرمكى المغنى)

لجحظة المحسن عندى يد
أشكرها منه الى المحشر
لما أرانى وجه برذونه
وصاننى عن وجهه المنكر

(وله فى أبيه محمد بن نصر بن منصور بن بسام)

خبيصة تعقد من سكره
وبرمة تطبخ فى قنبره
عندفتى أسمح من حاتم
يطبخ قدرين على مجمره
وليس ذا فى كل أيامه
لكنه فى الدعوة المنكره
فى يوم لهو قطع هائل
ومجمع اللذات والقرقره

اهاها

يقول للآكل من خبزه تعسا لهذا البطن ما أكبره (وله فى أبيه أيضا)

أهلها وكف عسكره عن أذاهم ووصل اليه ايلغازى بواسط وفارقها القيصرى ونزل متحصنا بدجلة فقيل لسيف الدولة ان هناك مخاضة فسار اليها بعسكره وقد لبسوا السلاح فلما رآهم عسكر القيصرى تفرقوا عنه وبقى فى خواص أصحابه فطلب الامان من سيف الدولة فامنه فحضر عنده فأكرمه وقال له قد سمعت قال وتركتنا نحن أخرجتنا من بغداد ثم من واسط ونحن لانعقل ثم بذل صدقة الامان لجميع عسكر واسط ومن كان مع القيصرى سوى رجلين فعادوا اليه فامنهم وعاد القيصرى الى بركيارق وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وخطب بعده لسيف الدولة وايلغازى واستناب كل واحد منهما فيها ولده وعادا عنها فى العشرين من جمادى الاولى وأمن أهل واسط مما كانوا يخافونه فاما ايلغازى فانه أصعد الى بغداد واما سيف الدولة صدقة فانه عاد الى الحلة وأرسل ولده الاصغر منصورا مع ايلغازى الى المستظهر بالله يسأله الرضا عنه فانه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة فوصل الى بغداد وخاطب فى ذلك فاجيب اليه

﴿ذكر استيلاء صدقة على هيت﴾

كانت مدينة هيت لشرف الدولة مسلم بن قريش اقطعه اياها السلطان الب ارسلان ولم تزل معه حتى قتل فنظر فيها عمداء بغداد الى ان مات السلطان ملكشاه ثم أخذها أخوه تتش بن الب ارسلان فلما استولى السلطان بركيارق أقطعها لبهاء الدولة ثروان بن وهب بن وهيبة وأقام هو وجماعة من بنى عقيل عند سيف الدولة صدقة وكانا متصافيين وكان صدقة يزوره كثيرا ثم تنافرا وكان سبب ذلك أن صدقة زوج بنتا له من ابن عمه وكان ثروان قد خطبها فلم يجبه الى ذلك فتحالفت عقيل وهم فى حلة سيف الدولة ان يكونوا يدا واحدة عليه فأنكر صدقة ذلك وحج ثروان عقيب ذلك وعاد مريضا فوكل به صدقة وقال لابد من هيت فأرسل ثروان حاجبه وكتب خطه بتسليم البلد اليه وكان بهيت حينئذ محمد بن رافع بن رفاع بن ضبيعة بن مالك بن مقلد بن جعفر وأرسل صدقة ابنه دبيسا مع الحاجب ليتسلمها فلم يسلم اليه محمد فعاد دبيس الى أبيه فلما أخذ صدقة واسطا هذه النوبة أصعد فى عسكره الى هيت فخرج اليه منصور بن كثير ابن أخى ثروان ومعه جماعة من أصحابه فلقوا سيف الدولة وحاربوه ساعة من النهار ثم ان جماعة من الربعيين فتحوا لسيف الدولة البلد فدخله أصحابه فلما رأى ذلك منصور ومن معه سلموا البلد اليه فملكه يوم نزوله وخلع على منصور وجماعة من وجوه أصحابه وعاد الى حلته واستخلف عليه ابن عمه ثابت بن كامل

﴿ذكر الحرب بين بركيارق ومحمد﴾

فى هذه السنة ثامن جمادى الآخرة كان المصاف الخامس بين السلطان بركيارق والسلطان محمد وكانت كنجة وبلاد اران جميعها للسلطان محمد وبها عسكره ومقدمهم الامير غزغلى فلما طال مقام محمد بأصبهان محصورا توجه غزغلى والامير منصور بن نظام الملك وابن أخيه محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك قاصدين لنصرته ليراهم بعين الطاعة وكان آخر ما تقام فيه الخطبة لمحمد زنجان مما يلى اذربيجان فوصلوا الى الرى فى العشرين من ذى الحجة سنة خمس وتسعين ففارقه عسكر بركيارق ودخلوه وأقاموا به ثلاثة أيام ووصلهم الخبر بخروج السلطان محمد من أصبهان وانه وصل الى ساوة فساروا اليه ولحقوه بهمذان ومعه ينال وعلى ابنا أنوشتكين الحسامى فبلغ عدتهم ستة آلاف فارس فأقاموا بها الى أواخر المحرم فأتاهم الخبر بأن السلطان بركيارق قد أتاهم فتلونوا فى رأيهم فسار ينال وعلى ابنا أنوشتكين الى الرى على ماذكرناه وعزم السلطان محمد على

خبز أبى جعفر طباشير
فيه الافاويه والعقاقير
فيه دواء لكل معضلة
للبطن والصدر والبواسير
وقصعة الاكل مثل مدهنة
يرهق من حولها النواظير
ونيل ماترتجيه من يده
ماليس تجرى به المقادير

(وله فيه)

بعثت لاستهديه عيرا ولم أكن
لأعلم أن العير صار لناصهرا
فوجه لى كى نستوى فى ركوبه
فيركبه بطنا وأركبه ظهرا

(وقال فى جماعة من الرؤساء)

قل للرؤس ومن ترجى نوافلهم
ومن يؤمل فيه الرفد والعمل
ان تشغلونى بأعمال أصيرها
شغلا والافى اعراضكم شغل

وقوله

مالى رأيتك دائما
متسخطا أبدا لرزقك
ارجع الى ماتستحق
فان قوتك فوق حقك

(وله فى عبيد الله بن سليمان الوزير)

عبيد الله ليس له معاد
ولا عقل وليس له سداد
رددت الى الحياة فعدت عنها
لقول الله لوردوا لعادوا

(وله فى القاسم بن عبيد الله بن سليمان)

قل للمولى دولة السلطان
عند الكمال توقع النقصان
كم من وزير قد رأيت معظما
أضحى بدار مذلة وهوان

(وله فى عبيد الله بن سليمان)

لابد يانفس من سجود
فى زمن القرد للقرود
هبت لك الريح يا ابن وهب

* نخذلها أهبة الركود (وله فى اسمعيل بن بابل الوزير) لابى الصقر دولة * مثله فى التخلف مزنة حين ألمعت *

التوجه الى شروان فوصل الى اردبيل فأرسل اليه الملك مودود بن اسمعيل بن ياقوتى صاحب بعض اذربيجان وكانت قبله لابيه اسمعيل بن ياقوتى وهو خال السلطان بركيارق وكانت أخته زوجة السلطان محمد وهو مطالب السلطان بركيارق بثار أبيه وقد تقدم مقتله أول دولة بركيارق وقال له ينبغى ان تقدم الينا لتجتمع كلمتنا على طاعتك وقتال خصمنا فسار اليه مجدا وتصيد فى طريقه بين اردبيل وبيلقان وانفرد عن عسكره فوثب عليه نمر وهو غافل فجرح السلطان محمدا فى عضده فأخذ سكينا وشق بها جوف النمر فألقاه عن فرسه ونجا ثم ان مودود بن اسمعيل توفى فى النصف من ربيع الاول وعمره اثنتان وعشرون سنة ولما بلغ بركيارق اجتماع السلطان محمد والملك مودود سار غير متوقف فوصل بعد موت مودود وكان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمد وحلفوا له وفيهم سكمان القبطى ومحمد بن باغيسيان الذى كان أبوه صاحب انطاكية وقزل ارسلان بن السبع الاحمر فلما وصل بركيارق وقعت الحرب بينهما على باب خوى من اذربيجان عند غروب الشمس ودامت الى العشاء الآخرة فاتفق ان الامير اياز أخذ معه خمسمائة فارس مستريحين وحمل بهم وقد أعيا العسكر من الجهتين على عسكر السلطان محمد فكسرهم وولوا الادبار لا يلوى أحد على أحد فاما السلطان بركيارق فانه قصد جبلا بين مراغة وتبريز كثير العشب والماء فاقام به أياما وسار الى زنجان وأما السلطان محمد فانه سار مع جماعة من أصحابه الى أرجيش من بلاد أرمينية على أربعين فرسخا من الوقعة وهى من أعمال خلاط من جملة اقطاع الامير سكمان القبطى وسار منها الى خلاط واتصل به الامير على صاحب ارزن الروم وتوجه الى آنى وصاحبها منوجهر أخو فضلون الروادى ومنها سار الى تبريز من أذربيجان وسنذكر باقى أخبارهم سنة سبع وتسعين عند صلحهم ان شاء الله وكان الامير محمد بن مؤيد الملك ابن نظام الملك مع السلطان محمد فى هذه الوقعة فرمنهزما ودخل ديار بكر وانحدر منها الى جزيرة ابن عمر وسار منها الى بغداد وكان فى حياة أبيه يقيم ببغداد فى سوق المدرسة فاتصلت الشكاوى منه الى أبيه فكتب الى كوهرآيين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة وتوجه سنة اثنتين وتسعين الى مجد الملك البلاسانى ووالده حينئذ بكنجة عند السلطان محمد قبل ان يخطب لنفسه بالسلطنة وتوجه بعد قتل مجد الملك الى والده وقد صار وزير السلطان محمد وخطب لمحمد بالسلطنة وبقى بعد قتل والده واتصل بالسلطان محمد وحضر معه هذه الحرب فانهزم

❁(ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبى سعد بن الموصلايا فى الوزارة)❁

فى هذه السنة منتصف رجب قبض على الوزير سديد الملك أبى المعالى وزير الخليفة وحبس فى دار بدار الخلافة وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان فنقلوا اليه وكان محبسه جميلا وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة فانه قضى عمره فى أعمال السلاطين وليس لهم هذه القواعد ولما قبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا الى النظر فى الديوان ومن عجيب ما جرى من الكلام الذى وقع بعد أيام ان سديد الملك كان يسكن فى دار عميد الدولة بن جهير وجلس فيها مجلسا عاما يحضره الناس لوعظ المؤيد عيسى الغزنوى فانشدوا أبياتا ارتجالها

سديد الملك سدت وخضت بحرا * عميق اللج فاحفظ فيه روحك
وأحى معالم الخيرات واجعل * لسان الصدق فى الدنيا فتوحك
وفى الماضين معتبر فاسرج * مروحك فى السلامة أو جموحك

ثم قال سديد الملك من شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد زمان ثم أشار الى الدار

قالت لما بدا يجمجم فى القو * ل ويهذى كأنه مجنون صدق الله أنت من ذكر الله وقرأ

آذنت بالتكشف

(وله فى العباس بن الحسن الوزير)

تحمل أوزار البرية كلها
وزير بظلم العالمين يجاهر
ألم تر أسباب الذين تقدموا
وكيف أتتهم بالبلاء الدوائر

(وله فى الوزير صاعد بن مخلد)

سجدنا للقرود رجاء دنيا
حوتها دوننا أيدى القرود
فما نالت أناملنا بشئ
مما نلناه سوى ذاك السجود

(وله فى العباس بن الحسن الوزير)

بنيت على دجلة مجلسا
تباهى به فعل من قد مضى
فلا تفرحن فكم مثل ذا
رأيناه مات حتى انقضى

(وله فى الوزير على بن محمد ابن الفرات)

وقفت شهور اللوزير أعدها
فلم تثنه نحوى الحقوق السوالف
فلا هو يرعى لى رعاية مثله
ولا أنا أستحيى الوقوف وآنف

(وله فى أبى جعفر محمد بن جعفر القوملى)

سألت أبا جعفر
فقال يدى تقصر
فقلت له عاجلا
يكون كأنذكر

(وله فيه)

لحية كثة أضربها النتف
ووجه مشوه ملعون

* مهين ولا يكاد يبين (وله فى ابن المرزبان وقد كان سأله دابة فمنعه) بخلت عنى بعقرف عطب * فلم ترانى ما غشت أركبه

وقرأ وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم فقبض على الوزير بعد أيام

❁(ذكر ملك الملك دقاق مدينة الرحبة)❁

فى هذه السنة فى شعبان ملك الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق مدينة الرحبة وكانت بيد انسان اسمه قايماز من مماليك السلطان ألب أرسلان فلما قتل كربوقا استولى عليها فسار دقاق وطغتكين أتابكه اليه وحصراه بها ثم رحل عنه وتوفى قايماز هذه السنة فى صفر وقام مقامه غلام تركى اسمه حسن فابعد عنه كثيرا من جنده وخطب لنفسه وخاف من دقاق فاستظهر وأخذ جماعة من السلارية الذين يخافهم فقبض عليهم وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين وصادرهم فتوجه دقاق اليه وحصره فسلم العامة البلد اليه واعتصم حسن بالقلعة فأمنه دقاق فسلم القلعة اليه فاقطعه اقطاعا كثيرا بالشام وقرر أمر الرحبة وأحسن الى أهلها وجعل فيها من يحفظها ورحل عنها الى دمشق

❁(ذكر أخبار الفرنج بالشام)❁

كان الافضل أمير الجيوش بمصر قد أنفذ مملوكا لابيه لقبه سعد الدولة ويعرف بالطواشى الى الشام لحرب الفرنج فلقيهم بين الرملة ويافا ومقدم الفرنج يعرف ببغدوين لعنه الله تعالى وتصافوا واقتتلوا فحملت الفرنج حملة صادقة فانهزم المسلمون وكان المنجمون يقولون لسعد الدولة انك تموت مترديا فكان يحذر من ركوب الخيل حتى انه ولى بيروت وأرضها مفروشة بالبلاط فقلعه خوفا ان تزلق به فرسه أو يعثر فلم ينفعه الحذر عند نزول القدر فلما كانت هذه الوقعة انهزم فتردى به فرسه فسقط ميتا وملك الفرنج خيمه وجميع ما للمسلمين فارسل الافضل بعده ابنه شرف المعالى فى جمع كثير فالتقوا هم والفرنج بيازور بقرب الرملة فانهزم الفرنج وقتل منهم مقتلة عظيمة وعاد من سلم منهم مفلولين فلما رأى بغدوين شدة الامر وخاف القتل والاسر ألقى نفسه فى الحشيش واختفى فيه فلما أبعد المسلمون خرج منه الى الرملة وسار شرف المعالى بن الافضل من المعركة ونزل على قصر بالرملة وبه سبعمائة من أعيان الفرنج وفيهم بغدوين فخرج متخفيا الى يافا وقاتل ابن الافضل من بقى خمسة عشر يوما ثم أخذهم فقتل منهم أربعمائة صبرا وأسر ثلثمائة الى مصر ثم اختلف أصحابه فى مقصدهم فقال قوم نقصد البيت المقدس ونتملكه وقال قوم نقصد يافا ونملكها فبينما هم فى هذا الاختلاف اذ وصل الى الفرنج خلق كثير فى البحر قاصدين زيارة البيت المقدس فندبهم بغدوين للغزو ومعه فسار والى عسقلان وبها شرف المعالى فلم يكن يقوى بحربهم فلطف الله تعالى بالمسلمين فرأى الفرنج البحرية حصانة عسقلان وخافوا البيات فرحلوا الى يافا وعاد ولد الافضل الى أبيه فسير رجلا يقال له تاج العجم فى البر وهو من أكبر مماليك أبيه وجهز معه أربعة آلاف فارس وسير فى البحر رجلا يقال له القاضى ابن قادوس فى الاسطول على يافا ونزل تاج العجم على عسقلان فاستدعاه ابن قادوس اليه ليتفقا على حرب الفرنج فقال تاج العجم ما يمكننى ان أنزل اليك الا بامر الافضل ولم يحضر عنده ولا أعانه فارسل القادوسى الى قاضى عسقلان وشهودها وأعيانها وأخذ خطوطهم بانه أقام على يافا عشرين يوما واستدعى تاج العجم فلم يأته ولا أرسل رجلا فلما وقف الافضل على الحال أرسل من قبض على تاج العجم وأرسل رجلا لقبه جمال الملك فأسكنه عسقلان وجعله متقدم العساكر الشامية وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج لعنهم الله البيت المقدس وفلسطين ما عدا عسقلان ولهم أيضا يافا وارسوف وقيسارية وحيفا وطبرية ولاذقية وانطاكية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وكان

بالقرب منه فكدت أتلظى فدفع الى جام ماء الورد وقد مزج بالكافور فمسحت به وجهى ثم رأيته قد استسقى ماء فأتوه بماء رأيت

وان تكن صنته فما خلق
الله مصونا وأنت تركبه

(وله مما أحسن فيه)

تضمن لى فى حاجة ما أحبه
فلما اقتضيت الوعد قطب واعتلى
وصيرت عذرا شغله واتصاله
ولولا اتصال الشغل ما كان أشغلا

(ولعلى بن محمد بن بسام) فى هذه المعانى أشعار كثيرة اكتفينا بذكر البعض عن ايراد ما هو أكثر منه فى هذا الكتاب لما قدمنا ذكره فيما سلف قبله من الكتب وقد كان أبوه محمد ابن جعفر فى غاية الستر والمروأة وكان رجلا مترفا حسن الزى ظاهر المروأة مشغوفا بالنساء (وذكر) أبو عبد الرحمن العتبى قال دخلت عليه يوما شاتيا شديد البرد ببغداد فاذا هو فى قبة واسعة قد طليت بالطين الاحمر الارمنى وهو يلوح بريقا فقدرت أن تكون القبة عشرين ذراعا فى مثلها وفى وسطها كانون بزرافين اذا اجتمع ونصب كان مقداره عشرة أذرع فى مثلها وقد ملئ بجمر الغضى وهو جالس فى صدر القبة عليه غلالة تسترية وما فضل عن الكانون مفروش بالديباج الاحمر فأجلسنى

صنجيل يحاصر مدينة طرابلس الشام والمواد تأتيها وبها فخر الملك بن عمار وكان يرسل أصحابه فى المراكب يغيرون على البلاد التى بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا وقصد بذلك أن يخلوا السواد ممن يزرع لتقل المواد من الفرنج فيرحلوا عنه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة سادس المحرم توفيت بنت أمير المؤمنين القائم بأمر الله التى كانت زوجة السلطان طغرلبك وكانت موصوفة بالدين وكثرة الصدقة وكان الخليفة المستظهر بالله قد ألزمها بيتها لانه أبلغ عنها انها تسعى فى ازالة دولته وفيها فى شعبان أيضا استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم بن جهير واستقدمه من الحلة من عند سيف الدولة صدقة وقد ذكرنا فى السنة المتقدمة سبب مسيره اليها فلما قدم الى بغداد خرج كل ارباب الدولة فاستقبلوه وخلع عليه الخلع التامة وأجلس فى الديوان ولقب قوام الدين وفيه أيضا قتل أبو المظفر بن الخجندى بالرى وكان يعظ الناس فقتله رجل علوى حين نزل عن كرسيه وقتل العلوى ودفن الخجندى بالجامع وأصل بيت الخجندى من مدينة خجندة بما وراء النهر وينسبون الى المهلب بن أبى صفرة وكان نظام الملك قد سمع أبا بكر محمد بن ثابت الخجندى يعظ بمرو فأعجبه كلامه وعرف محله من الفقه والعلم فحمله الى اصبهان وصار مدرسا بمدرسته بها فنال جاها عريضا ودنيا واسعة وكان نظام الملك يتردد اليه ويزوره وفيها جمع ساغربك بما وراء النهر جموعا كثيرة وهو من أولاد الخانية وقصد محمد خان الذى ملكه السلطان سنجر سمرقند ونازعه فى ملكها فضعف محمد خان عنه فأرسل الى السلطان سنجر يستنجده فسار الى سمرقند فأبعد عنه ساغربك وخافه واحتمى منه وأرسل يطلب الامان من سنجر والعفو فأجابه الى ما طلب وحضر ساغربك عنده وقرر الصلح بينه وبين محمد خان وحلف كل واحد منهما لصاحبه وعاد الى خراسان فوصل الى مرو فى ربيع الاول سنة سبع وتسعين وأربعمائة وفيها توفى أبو المعالى الصالح ساكن باب الطاق وكان مقللا من الدنيا له كرامات ظاهرة

﴿ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك بلك بن بهرام بن ارتق مدينة عانة﴾

فى هذه السنة فى المحرم استولى بلك بن بهرام بن أرتق وهو ابن أخى ايلغازى بن ارتق على مدينة عانة والحديثة وكان له مدينة سروج فأخذها الفرنج منه فسار عنها الى عانة وأخذها من بنى يعيش بن عيسى بن خلاط فقصد بنو يعيش سيف الدولة صدقة بن مزيد ومعهم مشايخهم فسألوه الاصعاد اليها وان يتسلمها منهم ففعل وأصعد معهم فرحل التركمان وبهرام عنها وأخذ صدقة رهائنهم وعاد الى حلته فرجع بلك اليها ومعه ألفا رجل من التركمان فمانعه أصحابه قليلا واستدل على المخاضة اليها فخاضها وعبر وملكهم ونهبهم وسبى جميع حرمهم وانحدر طالباهيت من الجانب الشامى فبلغ الى قريب منها ثم رجع من يومه ولما سمع صدقة جهز العساكر ثم أعادهم عند عندعود بلك

﴿ذكر غارة الفرنج على الرقة وقلعة جعبر﴾

فى هذه السنة فى صفر اغار الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جعبر وكانوا الماخر جوا من الرها افترقوا فرقتين وأبعدوا وتواعدوا يوما واحدا ان تكون الغارة على البلدين فيه ففعلوا ما استقر بينهم وأغاروا واستاقوا المواشى وأسروا من وقع بأيديهم من المسلمين فكانت القلعة والرقة لسالم

فيه ثلجا فلم يكن لى وكذا الاقطع ما بينى وبينه ثم خرجت من عنده الى بردمانع وقد قال لى لا يصلح هذا البيت لمن يريد الخروج منه (قال) ودخلت عليه فى بعض الايام وهو جالس فى موضع فى آخر داره وقد رفعه على بركة وفى صدره صفة وهو يشرف منها على البستان وعلى حيز الغزلان وحظيرة القمارى وأشباهها فقلت يا أبا جعفر أنت والله جالس فى الجنة قال فليس ينبغى لك أن تخرج من الجنة حتى تصطبح فيها فلما جلست واستقربى المجلس حتى أتوه بمائدة جزع لم أر أحسن منها وفى وسطها جام جزع ملونة قد لوى على جنباتها الذهب الاحمر وهى مملوأة من ماورد وقد جعل سافا على ساف كهيئة الصومعة من صدور الدجاج وعلى المائدة سكرجات جزع فيها الاصباغ وأنواع الملح ثم أتينا بشنبوشق بلور وبعده جامات اللوزينج ورفعت المائدة وقمنا من فورنا الى موضع الستارة فقدم بين أيدينا اجانة صينى بيضاء قد كرمت بالبنفسج والخيرى وأخرى مثلها قد عبى فيها التفاح الشامى قدرنا مقدار ما حضر فيها ألف حبة فما رأيت طعاما أنظف منه ولا ريحا أظرف منه فقال لى هذا حق الصبوح فما أنسى الى الساعة طيب ذلك اليوم (قال المسعودى) وانما ذكرنا هذا الخبر عن محمد بن جعفر ليعلم أن على بن محمد ابنه ابن

ابن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها اليه السلطان ملكشاه سنة تسع وسبعين وقد ذكرناه فيها

﴿ذكر الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد﴾

فى هذه السنة فى ربيع الآخر وقع الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد ابنى ملكشاه وكان سببه ان الحروب تطاولت بينهما وعم الفساد فصارت الاموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والقرى محرقة والسلطنة مطموعا فيها محكوما عليها وأصبح الملوك مقهورين بعد ان كانوا قاهرين وكان الامراء الاكابر يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكمهم وانبساطهم وادلالهم وكان السلطان بركيارق حينئذ بالرى والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة وبالحرمين الشريفين وكان السلطان محمد باذربيجان والخطبة له فيه وببلاد ارانية وارمينية وأصبهان والعراق كلها ما عدا تكريت وأما أعمال البطائح فيخطب ببعضها لبركيارق وببعضها لمحمد وأما البصرة فكان يخطب فيها لهما جميعا وأما خراسان فان السلطان سنجر كان يخطب له فى جميعها وهى من حدود جرجان الى ما وراء النهر ولاخيه السلطان محمد فلما رأى السلطان بركيارق المال عنده معدوما والطمع من العسكر زائدا أرسل القاضى أبا المظفر الجرجانى الحنفى وأبا الفرج أحمد بن عبد الغفار الهمذانى المعروف بصاحب قراتكين الى أخيه محمد فى تقرير قواعد الصلح فسار اليه وهو بالقرب من مراغة فذكرا له ما أرسلا فيه ورغباه فى الصلح وفضيلته وما شمل البلاد من الخراب وطمع عدو الاسلام فى أطراف الارض فأجاب الى ذلك وأرسل فيه رسلا واستقر الامر وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتقررت القاعدة ان السلطان بركيارق لا يعترض أخاه محمدا فى الطبل وان لا يذكر معه على سائر البلاد التى صارت له وان لا يكاتب أحدهما الآخر بل تكون المكاتبة من الوزيرين ولا يعارض أحد من العسكر فى قصد أيهما شاء وان يكون للسلطان محمد من النهر المعروف باسبيذروذ الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة فأجاب بركيارق الى هذا وزال الخلف والشغب وأرسل السلطان محمد الى أصحابه باصبهان يأمرهم بالانصراف عن البلد وتسليمه الى أصحاب أخيه وسار السلطان بركيارق الى اصبهان فلما جاء اليه أصحاب أخيه دعاهم الى ان يكونوا معه وفى خدمته فامتنعوا وأوراوا لزوم خدمة صاحبهم فسماهم أهل العسكرين جميعا أهل الوفاء وتوجهوا من اصبهان ومعهم حريم السلطان محمد اليه وأكرمهم بركيارق وحمل لاهل أخيه المال الكثير ومن الدواب ثلثمائة جمل ومائة وعشرين بغلا تحمل الثقل وسير معهم العساكر يخدمونهم ولما وصلت رسل السلطان بركيارق الى الخليفة المستظهر بالله بالصلح وما استقرت القواعد عليه حضر ايلغازى بالديوان وسأل فى اقامة الخطبة لبركيارق فأجيب الى ذلك وخطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جمادى الاولى وخطب له من الغد بالجوامع وخطب له أيضا بواسط ولما خطب ايلغازى ببغداد لبركيارق وصار فى جملته أرسل الامير صدقة الى الخليفة يقول كان أمير المؤمنين ينسب الىّ كل ما يتجدد من ايلغازى من اخلال بواجب الخدمة وشرط الطاعة ومن اطراح المراقبة والآن فقد أبدى صفحته لسلطانى الذى استنابه وأنا غير صابر على ذلك بل أسير لاخراجه عن بغداد فلما سمع ايلغازى ذلك شرع فى جمع التركمان وورد صدقة بغداد فنزل مقابل التاج وقبل الارض ونزل فى مخيمه بالجانب الغربى ففارق ايلغازى بغداد الى بعقوبا وأرسل الى صدقة يعتذر من طاعته لبركيارق

أخبر بضد ما كان عليه وأنه لم يسلم من لسانه انسان وله أخبار وهجو كثير فى الناس قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا وما كان من قوله فى القاسم بن عبيد الله ودخوله الى المعتضد وهو يلعب بالشطرنج ويتمثل بقول على بن بسام

حياة هذا كموت هذا
فليس يخلو من المصائب

فلما شال رأسه نظر الى القاسم فاستحيا فقال يا قاسم اقطع لسان ابن بسام عنك فخرج القاسم مبادرا ليقطع لسانه فقال له المعتضد بالبر والشغل ولا تعرض له بسوء فولاه القاسم البريد والجسر جسر قنسرين والعواصم من أرض الشام وما كان من قوله فى أسد بن جهور الكاتب وخبره معه وما عم بهجائه أسدا وغيره من الكتاب وهو

تعس الزمان لقد أتى بعجائب
ومحا رسوم الظرف والآداب
أوما ترى أسد بن جهور قد أتى
متشبها بأجلة الكتاب
وأتى بأقوام لو انبسطت يدى
فيهم رددتهم الى الكتاب

(ولما قتل) العباس بن الحسن استوزر المقتدر على بن محمد بن موسى بن الفرات يوم الاربعاء لاربع ليال خلون من ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين فكانت وزارته الى أن سخط عليه ثلاث سنين وتسعة أشهر وأياما واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان فى اليوم الذى سخط

بالصلح الواقع وان اقطاعه حلوان وغيرها فى جملة بلاده وان بغداد التى هو شحنة فيها قد صارت له فذلك الذى أدخله فى طاعته فرضى عنه صدقة وعاد الى الحلة وفى ذى القعدة سيرت الخلع من الخليفة للسلطان بركيارق وللامير اياز وللوزير بركيارق وهو الخطير والعهد بالسلطنة وحلفوا جميعهم للخليفة وعادوا

﴿ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام﴾

فى هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج الى مدينة لاذقية فيها التجار والاجناد والحجاج وغير ذلك واستعان بهم صنجيل الفرنجى على حصار طرابلس فحصروها معه براو بحرا وضايقوها وقاتلوها أياما فلم يروا فيها مطمعا فرحلوا عنها الى مدينة جبيل فحصروها وقاتلوا عليها قتالا شديدا فلما رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أمانا وسلموا البلد اليهم فلم تف الفرنج لهم بالامان وأخذوا أموالهم واستنقذوها بالعقوبات وأنواع العذاب فلما فرغوا من جبيل ساروا الى مدينة عكا استنجدهم الملك بغدوين ملك الفرنج صاحب القدس على حصارها فنازلوها وحصروها فى البر والبحر وكان الوالى بها اسمه بنا ويعرف بزهر الدولة الجيوشى نسبه الى ملك الجيوش الافضل فقاتلهم أشد قتال فزحفوا اليه غير مرة فعجز عن حفظ البلد فخرج منه وملك الفرنج البلد بالسيف قهرا وفعلوا باهله الافعال الشنيعة وسار الوالى به الى دمشق فاقام بها ثم عاد الى مصر واعتذر الى الافضل فقبل عذره

﴿ذكر غزو سقمان وجكرمش الفرنج﴾

لما استطال الفرنج خذلهم الله تعالى بما ملكوه من بلاد الاسلام واتفق لهم اشتغال عساكر الاسلام وملوكه بقتال بعضهم بعضا فتفرقت حينئذ بالمسلمين الآراء واختلفت الاهواء وتمزقت الاموال وكانت حران لمملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه فاستخلف عليها انسانا يقال له محمد الاصبهانى وخرج فى العام الماضى فعصى الاصبهانى على قراجه وأعانه أهل البلد لظلم قراجه وكان الاصبهانى جلدا شهما فلم يترك بحران من أصحاب قراجه سوى غلام تركى يعرف بجاولى وجعله اصفهسلار العسكر وأنس به فجلس معه يوما للشرب فاتفق جاولى مع خادم له على قتله فقتلاه وهو سكران فعند ذلك سار الفرنج الى حران وحصروها فلما سمع معين الدولة سقمان وشمس الدولة جكرمش ذلك وكان بينهما حرب وسقمان يطالبه بقتل ابن أخيه وكل منهما يستعد للقاء صاحبه وأنا أذكر سبب قتل جكرمش له ان شاء الله تعالى أرسل كل منهما الى صاحبه يدعوه الى الاجتماع معه لتلافى أمر حران ويعلمه انه قد بذل نفسه لله تعالى وثوابه فكل واحد منهما أجاب صاحبه الى ما طلب منه وسارا فاجتمعا على الخابور وتحالفا وسارا الى لقاء الفرنج وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف فارس من الترك والعرب والاكراد فالتقوا على نهر البليخ وكان المصاف بينهم هناك فاقتتلوا فأظهر المسلمون الانهزام فتبعهم الفرنج نحو فرسخين فعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاؤا وامتلأت أيدى التركمان من الغنائم ووصلوا الى الاموال العظيمة لان سواد الفرنج كان قريبا وكان بيمند صاحب انطاكية وطنكرى صاحب الساحل قد انفردا وراء جبل ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم اذا اشتدت الحرب فلما خرجا رأيا الفرنج منهزمين وسوادهم منهوبا فأقاما الى الليل وهربا فتبعهم المسلمون وقتلوا من أصحابهما كثيرا وأسروا كذلك وأفلتا فى ستة فرسان وكان القمص بردويل صاحب الرها قد انهزم مع جماعة من قمامصتهم وخاضوا نهر البليخ فوحلت خيولهم فجاء تركمانى

وقبض عليه يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم سنة احدى وثلثمائة وخلع على الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وثلثمائة وقبض عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة أربع وثلثمائة واستوزر على بن محمد بن الفرات ثانية وخلع عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة أربع وثلثمائة وقبض عليه يوم الخميس لاربع بقين من جمادى الاولى سنة ست وثلثمائة وخلع على الوزير حامد بن العباس يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ست وثلثمائة وأطلق على بن عيسى فى اليوم الثانى من وزارته وهو يوم الاربعاء وفوضت الامور اليه وقبض على حامد بن العباس واستوزر على بن محمد بن الفرات وهى الثالثة من وزارته وقد كان ولده محسن بن على هو الغالب على الامور فى هذه الوزارة فأتى على جماعة من الكتاب واستوزر المقتدر عبد الله ابن محمد بن عبد الله الخاقانى ثم استوزر بعده أحمد بن عبيد الله الخصيبى ثم

من أصحاب سقمان فأخذهم وحمل بردويل الى خيم صاحبه وقد سار فيمن معه لاتباع بيمند فرأى أصحاب جكرمش ان أصحاب سقمان قد استولوا على مال الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل فقالوا لجكرمش أى منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا وحسنوا له أخذ القمص فانفذ أخذ القمص من خيم سقمان فلما عاد سقمان شق عليه الامر وركب أصحابه للقتال فردهم وقال لهم لا يقوم فرح المسلمين فى هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا أوثر شفاء غيظى بشماتة الاعداء بالمسلمين ورحل لوقته وأخذ سلاح الفرنج وراياتهم وألبس أصحابه لبسهم وأركبهم خيلهم وجعل يأتى حصون شيحان وبها الفرنج فيخرجون ظنا منهم ان أصحابهم نصروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم فعل ذلك بعدة حصون وأما جكرمش فانه سار الى حران فتسلمها واستخلف بها صاحبه وسار الى الرها فحصرها خمسة عشر يوما وعاد الى الموصل ومعه القمص الذى أخذه من خيام سقمان ففاداه بخمسة وثلاثين دينارا ومائة وستين أسيرا من المسلمين وكان عدة القتلى من الفرنج يقارب اثنى عشر ألف قتيل

﴿ذكر وفاة دقاق وملك ولده﴾

فى هذه السنة فى شهر رمضان توفى الملك دقاق بن تتش بن ألب أرسلان صاحب دمشق وخطب أتابكه طغتكين لولد له صغير له سنة واحدة وجعل اسم المملكة فيه ثم قطع خطبته وخطب لبكتاش بن تتش عم هذا الطفل فى ذى الحجة وله من العمر اثنتا عشرة سنة ثم ان طغتكين أشار عليه بقصد الرحبة فخرج اليها فملكها وعاد فمنعه طغتكين من دخول البلد فمضى الى حصون له وأعاد طغتكين خطبة الطفل ولد دقاق وقيل ان سبب استيحاش بكتاش من طغتكين ان والدته خوفته منه وقالت انه زوج والدة دقاق وهى لا تتركه حتى تقتلك ويستقيم الملك لولدها فخاف ثم انه حسن له من كان يحسد طغتكين مفارقة دمشق وقصد بعلبك وجمع الرجال والاستنجاد بالفرنج والعود الى دمشق وأخذها من طغتكين فخرج من دمشق سرا فى صفر سنة ثمان وتسعين ولحقه الامير ايتكين الحلبى وهو من جملة من فر مع بكتاش ذلك وهو صاحب بصرى فعاثا فى نواحى حوران ولحق بهما كل من يريد الفساد وراسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجدانه فاجابهما الى ذلك وسار اليهما فاجتمعا به وقررا القواعد معه وأقاما عنده مدة فلم يريا منه غير التحريض على الافساد فى أعمال دمشق وتخريبها فلما يئسا من نصره عادا من عنده وتوجها فى البرية الى الرحبة فملكها بكتاش وعاد عنها واستقام أمر طغتكين بدمشق واستبد بالامر وأحسن الى الناس وبث فيهم العدل فسروا به سرورا كثيرا

﴿ذكر استيلاء صدقة على واسط﴾

فى هذه السنة فى شوال انحدر سيف الدولة صدقة بن مزيد من الحلة الى واسط فى عسكر كثير وأمر فنودى بها فى الاتراك من أقام فقد برئت منه الذمة فسار جماعة منهم الى بركيارق وجماعة الى بغداد وصار مع صدقة جماعة منهم ثم انه أحضر مهذب الدولة بن أبى الجبر صاحب البطيحة وضمنه البلد مدة آخرها آخر السنة بخمسين ألف دينار وعاد الى الحلة وأقام مهذب الدولة بواسط الى سادس ذى القعدة وانحدر الى بلده

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول أطلق سديد الملك أبو المعالى من الاعتقال وهو الذى كان وزير الخليفة ولما أطلق هرب الى الحلة السيفية ومنها الى السلطان بركيارق فولاه الاشراف على

المقتول بالرقة ثم استوزر بعده الفضل بن جعفر ابن موسى بن الفرات (وقتل المقتدر بالله) ببغداد وقت صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وكان قتله فى الوقعة التى كانت بينه وبين مؤنس الخادم بباب الشماسية من الجانب الشرقى وتولى دفن المقتدر العامة وكان وزيره فى ذلك اليوم أبا الفتح الفضل بن جعفر (وذكر) ان الفضل أخذ الطالع فى وقت ركوب المقتدر بالله الى الوقعة التى قتل فيها فقال له المقتدر أى وقت هو فقال وقت الزوال فقطب له المقتدر وأراد أن لا يخرج حتى أشرفت عليه خيل مؤنس فكان آخر العهد به من ذلك الوقت وكل سادس من خلفاء بنى العباس مخلوع مقتول فكان السادس منهم محمد ابن هرون المخلوع والسادس الآخر المستعين والسادس الآخر المقتدر بالله (وللمقتدر أخبار حسان) وما كان فى أيامه من الحروب والوقائع وأخبار ابن أبى الساج وأخبار مؤنس وأخبار سليمان بن الحسن الجبارى

ممالكه وفيها توفي امين الدولة أبو سعد العلاء بن الحسن بن الموصلايا فجأة وكان قد أضر وكان بليغا فصيحا وكان ابتداء خدمته للقائم بأمر الله سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة خدم الخلفاء خمسا وستين سنة كل يوم تزداد منزلته حتى تاب عن الوزارة وكان نصرانيا فأسلم سنة أربع وثمانين وكان كثير الصدقة جميل المحضر صالح النية ووقف املاكه على أبواب البر ومكاتباته مشهورة حسنة ولما مات خلع على ابن أخته أبي نصر ولقب نظام الحضرتين وقلد ديوان الانشاء وفيها كانت ببغداد بين العامة فتن كثيرة وانتشر العيارون وفيها قتل أبو نعيم بن ساوة الطبيب الواسطى وكان من الحذاق فى الطب وله فيه اصابات حسنة وفيها عزل السلطان سنجر وزيره المجير أبا الفتح الطغرائى وسبب ذلك ان الامير برغش وهو اصفهسلار العسكر السنجرى ألقى اليه ملطف فيه لا يتم لك أمر مع هذا السلطان ووقع الى سنجر لا يتم لك أمر مع الامير برغش مع كثرة جموعه فجمع برغش أصحاب العمائم وعرض عليهم الملطفين فاتفقوا على كاتب الطغرائى وظهرت عليه فقتل وقبض سنجر على الطغرائى وأراد قتله فمنعه برغش وقال له حق خدمة فابعده الى غزنة وفيها جمع برغش كثيرا من عساكر خراسان وأتاه كثير من المتطوعة وسار الى قتال الاسماعيلية فقصد طبس وهى لهم فخربها وما جاورها من القلاع والقرى وأكثر فيهم القتل والنهب والسبى وفعل بهم الافعال العظيمة ثم ان أصحاب سنجر أشاروا بأن يؤمنوا وشرط عليهم انهم لا يبنون حصنا ولا يشترون سلاحا ولا يدعون أحدا الى عقائدهم فسخط كثير من الناس هذا الامان وهذا الصلح ونقموه على سنجر ثم ان برغش بعد عوده من هذه الغزاة توفى وكانت خاتمة أمره الجهاد رحمه الله وفى هذه السنة توفى أبو بكر على بن أحمد بن زكرياء الطريثيثى وكان صوفيا محدثا مشهورا وفى رجب توفى القاضى أبو الحسين أحمد بن محمد الثقفى قاضى الكوفة ومولده فى ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وهو من ولد عروة بن مسعود ومن تلاميذ القاضى الدامغانى وولى القضاء بعده ابنه أبو البركات وفى ربيع الآخر توفى أبو عبد الله الحسين بن على بن البسرى البندار المحدث ومولده سنة أربع وأربعمائة

﴿ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وفاة السلطان بركيارق﴾

فى هذه السنة ثانى شهر ربيع الآخر توفى السلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قد مرض باصبهان بالسل والبواسير فسار منها فى محفة طالبا بغداد فلما وصل الى بروجرد ضعف عن الحركة فاقام بها أربعين يوما فاشتد مرضه فلما أيس من نفسه خلع على ولده ملكشاه وعمره حينئذ أربع سنين وثمانية أشهر وخلع على الامير اياز وأحضر جماعة الامراء وأعلمهم انه قد جعل ابنه ولى عهده فى السلطنة وجعل الامير اياز أتابكه وأمرهم بالطاعة لهما ومساعدتهما على حفظ السلطنة لولده والذب عنها فأجابوا كلهم بالسمع والطاعة وبذل النفوس والاموال فى حفظ ولده وسلطنته عليه واستحلفهم على ذلك فحلفوا وأمرهم بالمسير الى بغداد فساروا فلما كانوا على اثنى عشر فرسخا من بروجرد وصلهم خبر وفاته وكان بركيارق قد تخلف على عزم العود الى أصبهان فعاجلته منيته فلما سمع الامير اياز بموته أمر وزيره الخطير الميبذى وغيره بان يسير ويتبع تابوته الى أصبهان فحمل اليها ودفن فى تربة جددتها له سريته ثم ماتت بعد أيام فدفنت بازائه وأحضر اياز السرادقات والخيام والجتر والشمسة وجميع ما يحتاج اليه السلطان فجعله برسم ولده ملكشاه

﴿ذكر عمره وشئ من سيرته﴾

لما توفى بركيارق كان عمره خمسا وعشرين سنة ومدة وقوع اسم السلطنة عليه اثنتى عشرة سنة

الاوسط مجلا وذكرنا منه فى هذا الكتاب لمعا وأرجو أن يفسح الله لنا فى البقاء الزمان مفصلا وفى الكتاب ويمد لنا فى العمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنون الاخبار وأنواعا من ظرائف الآثار على غير نظم من تأليف ولا ترتيب من تصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الاخبار ويوجد من نوادر الآثار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الاخبار ومخلط الآداب تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا لما تقدم من تصنيفنا (وكانت) وفاة موسى بن اسحق القاضى فى خلافة المقتدر وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة الكوفى ودفن فى الجانب الشرقى وكان هذا من علماء أهل الحديث وكبار أهل النقل وورد الخبر الى مدينة السلام بأن أركان البيت الحرام الاربعة غرقت حتى عم الغرق الطواف وفاضت بئر زمزم وان ذلك لم يعهد فيما سلف من الزمان (وفيها) كانت وفاة يوسف ابن يعقوب بن اسمعيل بن حماد القاضى وذلك فى شهر رمضان بمدينة السلام وهو ابن خمس وتسعين سنة وقيل ان فى هذه السنة كانت وفاة محمد بن داود بن خلف الاصبهانى الفقيه وقد قدمنا ذكره وان وفاته كانت فى سنة ست وتسعين وأربعة

وأربعة أشهر وقاسى من الحروب واختلاف الامور عليه ما لم يقاسه أحد واختلفت به الاحوال بين رخاء وشدة وملك وزواله وأشرف فى عدة نوب بعد اسلام النعمة على ذهاب المهجة ولما قوى أمره فى هذا الوقت وأطاعه المخالفون وانقادوا له أدركته منيته ولم يهزم فى حروبه غير مرة واحدة وكان امراؤه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع حتى انهم كانوا يطالبون نوابه ليقتلوهم فلا يمكنه الدفع عنهم وكان متى خطب له ببغداد وقع الغلاء ووقفت المعايش والمكاسب وكان أهلها مع ذلك يحبونه ويختارون سلطانه وقد ذكرنا من تغلب الاحوال به ما وقفت عليه ومن أعجبها دخوله أصبهان هاربا من عمه تتش فمكنه عسكر أخيه محمود صاحبها من دخولها ليقبضوا عليه فاتفق ان أخاه محمودا مات فاضطروا الى ان يملكوه وهذا من أحسن الفرج بعد الشدة وكان حليما كريما صبورا عاقلا كثير المداراة حسن القدرة لا يبالغ فى العقوبة وكان عفوه أكثر من عقوبته

﴿ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارق﴾

فى هذه السنة خطب لملكشاه بن بركيارق بالديوان يوم الخميس سلخ ربيع الآخر وخطب له بجوامع بغداد من الغد يوم الجمعة وكان سبب ذلك ان ايلغازى شحنة بغداد سار فى المحرم الى السلطان بركيارق وهو بأصبهان يحثه على الوصول الى بغداد ورحل مع بركيارق فلما مات بركيارق سار مع ولده ملكشاه والامير اياز الى بغداد فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر ولقوا فى طريقهم بردا شديدا لم يشاهدوا مثله بحيث انهم لم يقدروا على الماء لجموده وخرج الوزير أبو القاسم على بن جهير فلقيهم من ديالى وكانوا خمسة آلاف فارس وحضر ايلغازى والامير طغايرك بالديوان وخاطبوا فى اقامة الخطبة لملكشاه بن بركيارق فأجيب اليها وخطب له ولقب بألقاب جده ملكشاه وهى جلال الدولة وغيره من الالقاب ونثرت الدنانير عند الخطبة له

﴿ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل﴾

لما اصطلح السلطان بركيارق والسلطان محمد كما ذكرناه فى السنة الخالية وسلم محمد مدينة أصبهان الى بركيارق وسار اليها أقام محمد بتبريز من أذربيجان الى ان وصل أصحابه الذين بأصبهان فلما وصلوا استوزر سعد الملك أبا المحاسن لحسن أثره كان فى حفظ أصبهان وأقام الى صفر من هذه السنة وسار الى مراغة ثم الى اربل يريد قصد جكرمش صاحب الموصل ليأخذ بلاده فلما سمع جكرمش بمسيره اليه جدد سور الموصل ورم ما احتاج الى اصلاح وأمر أهل السواد بدخول البلد وأذن لاصحابه فى نهب من لم يدخل وحصر محمد المدينة وأرسل الى جكرمش يذكر له الصلح بينه وبين أخيه وأن فى جملة ما استقر ان تكون الموصل وبلاد الجزيرة له وعرض عليه الكتب من بركيارق اليه بذلك والايمان على تسليمها اليه وقال له ان أطعت فانا لا آخذها منك بل أقرها بيدك وتكون الخطبة لى بها فقال جكرمش ان كتب السلطان وردت الى بعد الصلح تأمرنى ان لا أسلم البلد الى غيره فلما رأى محمد امتناعه باكر القتال وزحف اليه بالنقابين والدبابات وقاتل أهل البلد أشد قتال وقتلوا خلقا كثيرا لمحبتهم لجكرمش لحسن سيرته فيهم فأمر جكرمش ففتح فى السور أبواب لطاف يخرج منها الرجالة يقاتلون فكانوا يكثرون القتل فى العسكر ثم زحف محمد مرة فنقب فى السور أصحابه وأدركهم الليل فاصبحوا وقد عمره أهل البلد وشحنوه بالمقاتلة وكانت الاسعار عندهم رخيصة فى الحصار كانت الحنطة تساوى كل ثلاثين مكوكا دينارا والشعير خمسون مكوكا بدينار وكان بعض عسكر جكرمش قد اجتمعوا بتل يعفر فكانوا يغيرون على اطراف العسكر ويمنعون الميرة عنهم فدام القتال عليهم الى عاشر جمادى الاولى فوصل الخبر الى جكرمش بوفاة السلطان بركيارق فأحضر أهل البلد واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان

ومائتين وانما حكينا الخلاف فى ذلك (وفى هذه السنة) وهى سنة سبع وتسعين ومائتين كانت وفاة ابن أبى عوف البرورى المعدل ببغداد وذلك فى شوال وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن فى الجانب الغربى وانما نذكر هؤلاء لنقلهم السنن واشتهارهم بذلك وحاجة أهل العلم وأصحاب الآثار الى معرفة وقت وفاتهم (وفيها) مات أبو العباس أحمد بن مسروق المحدث وهو ابن أربع وثمانين سنة ودفن بباب آل حرب من الجانب الغربى وقد قدمنا فى هذا الكتاب أخبار من ظهر من آل أبى طالب فى أيام بنى أمية وبنى العباس وفى غيره مما سلف من كتبنا وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو حرب وقد كان ظهر بصعيد مصر أحمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر من ظهر من آل أبى طالب واللمع من أخبارهم فى هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا من ايراد ذكرهم ومقاتلهم وغير ذلك من أخبارهم من منذ أمير المؤمنين الى الوقت الذى ينتهى اليه تصنيفنا لهذا الكتاب (وكانت) وفاة يحيى بن الحسين الرسى بعد أن قطن بمدينة صعدة من أرض اليمن فى سنة ثمان وسبعين ومائتين وقام بعده ولده الحسين بن يحيى وكان

فقالوا أمرنا وأرواحنا بين يديك وأنت أعرف بشانك فاستشر الجند فهم أعرف بذلك فاستشار
أمراءه فقالوا لما كان السلطان حيا قد كنا على الامتناع ولم يتمكن أحد من طروق بلدنا وحيث
توفى فليس للناس اليوم سلطان غير هذا والدخول تحت طاعته أولى فأرسل الى محمد يبذل الطاعة
ويطلب وزيره سعد الملك ليدخل اليه فحضر الوزير عنده وأخذ بيده وقال المصلحة ان تحضر
الساعة عند السلطان فانه لا يخالفك فى جميع ما تلتمسه وأخذ بيده وقام فسار معه جكرمش فلما
رآه أهل الموصل قد توجه الى السلطان جعلوا يبكون ويضجون ويحثون التراب على رؤسهم
فلما دخل على السلطان محمد أقبل عليه وأكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال ارجع الى
رعيتك فان قلوبهم اليك وهم متطلعون الى عودك فقبل الارض وعاد ومعه جماعة من خواص
السلطان وسأل السلطان من الغد ان يدخل البلد لتزين له فامتنع من ذلك فعمل سماطا بظاهر
الموصل عظيما وحمل الى السلطان من الهدايا والتحف ولوزيره أشياء جليلة المقدار

(ذكر وصول السلطان الى بغداد وصلحه مع ابن أخيه والامير اياز)

لما وصل خبر وفاة السلطان بركيارق الى أخيه السلطان محمد وهو يحاصر الموصل جلس للعزاء
وأصلح جكرمش صاحب الموصل كما ذكرناه وسار الى بغداد ومعه سكمان القطبى وهو ينسب الى
قطب الدولة اسمعيل بن ياقوتى بن داود واسمعيل بن عم ملكشاه وسار معه جكرمش وغيرهما من
الامراء وكان سيف الدولة صدقة صاحب الحلة قد جمع خلقا كثيرا من العساكر فبلغت عدتهم
خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وأرسل ولديه بدران ودبيسا الى السلطان محمد
يستحثه على المجىء الى بغداد فاستصحبهما معه الى بغداد فلما سمع الامير اياز بمسيره اليه خرج هو
والعسكر الذين معه من الدور ونصبوا الخيام بالزاهر خارج بغداد وجمع الامراء واستشارهم فيما
يفعله فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وحربه ومنعه عن السلطنة والاتفاق معه على طاعة
ملكشاه بن بركيارق وكان أشدهم فى ذلك ينال وصباوو فانهم بالغوا فى الاطماع فى السلطان
محمد والمنع له من السلطنة فلما تفرقوا قال له وزيره الصفى أبو المحاسن يا مولانا ان حياتى مقرونة
بثبات نعمتك ودولتك وانا أكثر التزاما بك من هؤلاء وليس الرأى ما أشاروا به فان كلامهم
يقصدان يسلك طريقا وان يقيم سوقا لنفسه بك وأكثرهم يناويك فى المنزلة وانما يقعدبهم عن
منازعتك قلة العدد والمال والصواب مصالحة السلطان محمد وطاعته وهو يقرك على اقطاعك
ويزيدك عليه مهما أردت فتردد رأى الامير اياز فى الصلح والمباينة الا ان حركته فى المباينة ظاهرة
وجمع السفن التى ببغداد عنده وضبط المشارع من متطرق الى عسكره والى البلد ووصل
السلطان محمد الى بغداد يوم الجمعة لثمان بقين من جمادى الاولى ونزل عند الجانب الغربى بأعلى
بغداد وخطب له بالجانب الغربى ولملكشاه بن بركيارق بالجانب الشرقى واما جامع المنصور فان
الخطيب قال فيه اللهم أصلح سلطان العالم وسكت وخاف الناس من امتداد الشر والنهب فركب
اياز فى عسكره وهم عازمون على الحرب وسار الى ان أشرف على عسكر السلطان محمد وعاد الى
مخيمه فدعا الامراء الى اليمين مرة ثانية على المخالصة لملكشاه فأجاب البعض وتوقف البعض
وقالوا قد حلفنا مرة ولا فائدة فى اعادة اليمين لاننا ان وفينا بالاولى وفينا بالثانية وان لم نف بالاولى
فلا نفى بالثانية فأمر اياز حينئذ وزيره الصفى أبا المحاسن بالعبور الى السلطان محمد فى الصلح
وتسليم السلطنة اليه وترك منازعته فيها فعبر يوم السبت لسبع بقين من الشهر الى
عسكر محمد واجتمع بوزيره سعد الملك أبى المحاسن سعد بن محمد فعرفه ما جاء فيه فحضر عند

ظهور أبى الرضا وهو محسن بن جعفر بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد فى أعمال دمشق فى سنة ثلثمائة وكانت له مع أبى العباس أحمد بن كيغلغ وقعة فقتل صبرا وقيل قتل فى المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربى وظهر ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن على وأخرج عنها المسودة وذلك فى سنة احدى وثلثمائة وقد كان ذا فهم وعلم ومعرفة بالآراء والنحل وقد كان أقام فى الديلم سنين وهم كفار على دين المجوسية ومنهم جاهلية وكذلك الجيل فدعاهم الى الله عز وجل فاستجابوا وأسلموا وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين وغيرها وبنى فى الديلم مساجد والديلم زعم كثير من الناس من ذوى المعرفة بالنسب أنهم من ولد باسل ابن ضبة بن أد وأما الجيل من تميم وقد قيل ان دخول الاطروش الى طبرستان كان فى أول يوم من المحرم سنة احدى وثلثمائة وان فى هذا اليوم دخل صاحب البحرين البصرة وقتل أميرها سكر المفلحى وقد أتينا على خبر الاطروش العلوى وخبر ولده وخبر أبى محمد الحسن بن القاسم الحسنى الداعى واستيلائه على طبرستان ومقتله وما كان من الجيل والديلم فى أمره فى كتابنا أخبار الزمان (وكانت) وفاة أبى العباس أحمد بن شريح القاضى فى سنة ست وثلثمائة

السلطان محمد وأدى الصفى رسالة صاحبه اياز واعتذر عما كان منه أيام بركيارق فأجابه محمد
جوابا لطيفا سكن به قلبه وطيب نفسه وأجاب الى ما التمسه منه من اليمين فلما كان الغد حضر
قاضى القضاة والنقيبان والصفى وزير اياز عند السلطان محمد فقال له وزيره سعد الملك ان
اياز يخاف لما تقدم منه وهو يطلب العهد لملكشاه ابن أخيك ولنفسه وللامراء الذين معه فقال
السلطان اما ملكشاه فانه ولدى ولا فرق بينى وبين أخى وأما اياز والامراء فاحلف لهم الا ينال
الحسامى وصباوو فاستحلفه الكيا الهراس مدرس النظامية على ذلك وحضر الجماعة اليمين فلما
كان من الغد حضر الامير اياز عند السلطان محمد فلقيه وزير السلطان وكافة الناس ووصل سيف
الدولة صدقة ذلك الوقت ودخلا جميعا الى السلطان فأكرمهما وأحسن اليهما وقيل بل ركب
السلطان ولقيهما ووقف أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وأقام السلطان ببغداد الى شعبان
وسار الى اصبهان وفعل فيها ما نذكره آنفا ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل الامير اياز)

فى هذه السنة ثالث عشر جمادى الآخرة قتل الامير اياز قتله السلطان محمد وسبب ذلك ان اياز
لما سلم السلطنة الى السلطان محمد وسار فى جملته واستحلفه لنفسه فلما كان ثامن جمادى الآخرة
عمل دعوة عظيمة فى داره وهى دار كوهرائين ودعا السلطان اليها وقدم له شيأ كثيرا من جملته
الحبل البلخش الذى أخذ من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك وقد تقدم ذكر ذلك وحضر مع
السلطان سيف الدولة صدقة بن مزيد وكان من الاتفاق الردىء ان اياز تقدم الى غلمانه ليلبسوا
السلاح من خزانته ليعرضهم على السلطان فدخل عليهم رجل من ابهر يتطايب معهم
ويضحكون منه مع كونه يتصوف فقالوا له لا بد من ان نلبسك درعا ونعرضك فالبسوه الدرع
تحت قميصه وتناولوه بأيديهم وهو يسألهم ان يكفوا عنه فلم يفعلوا فلشدة ما فعلوا به هرب منهم
ودخل بين خواص السلطان معتصما بهم فرآه السلطان مذعورا وعليه لباس عظيم فاستراب به
فقال لغلام له بالتركية ليلمسه من غير ان يعلم أحد ففعل فرأى الدرع تحت قميصه فأعلم السلطان
بذلك فاستشعر وقال اذا كان أصحاب العمائم قد لبسوا السلاح فكيف الاجناد وقوى
استشعاره لكونه فى داره وفى قبضته فنهض وفارق الدار وعاد الى داره فلما كان ثالث عشر
الشهر استدعى السلطان الامير صدقة واياز وجكرمش وغيرهم من الامراء فلما حضروا أرسل
اليهم انه بلغنا ان قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش قصد ديار بكر ليتملكها ويسير منها الى الجزيرة
وينبغى ان تجتمع آراؤكم على من يسير اليه ليمنعه ويقاتله فقال الجماعة ليس لهذا غير الامير اياز
فقال اياز ينبغى أن أجتمع أنا وسيف الدولة صدقة بن مزيد على هذا الامر والدفع لهذا القاصد
فقيل ذلك للسلطان فأعاد الجواب يستدعى اياز وصدقة والوزير سعد الملك ليحرر الامر فى
حضرته فنهضوا ليدخلوا اليه وكان قد أعد جماعة من خواصه ليقتلوا اياز اذا دخل اليه فلما
دخلوا ضرب أحدهم رأسه فأبانه فأما صدقة فغطى وجهه بكمه وأما الوزير فانه غشى عليه ولف
اياز فى مسح وألقى على الطريق عند دار المملكة وركب عسكر اياز فنهبوا ما قدروا عليه من داره
فأرسل السلطان من حماها من النهب وتفرق أصحابه من يومهم وكان زوال تلك النعمة العظيمة
والدولة الكبيرة فى لحظة بسبب هزل ومزاح فلما كان من الغد كفنه قوم من المتطوعة ودفنوه
فى المقابر المجاورة لقبر أبى حنيفة رحمه الله وكان عمره قد جاوز أربعين سنة وهو من جملة مماليك
السلطان ملكشاه ثم صار بعد موته فى جملة أمير آخر فاتخذه ولدا وكان غزير المروءة شجاعا حسن

(وكانت) وفاة أبى جعفر محمد بن ابراهيم بن جابر القاضى بحلب وأدخل الليث بن على بن الليث بن أخى الصفار الى مدينة السلام على الفيل فى سنة سبع وتسعين ومائتين وقدامه الجيش وحوله وقد شهر وقيل ان الليث أدخل الى مدينة السلام فى سنة ثمان وتسعين ومائتين (وفى هذه السنة) وهى سنة ثمان وتسعين ومائتين مات ببغداد أبو بكر محمد بن سليمان المروزى المحدث صاحب الجاحظ وقيل أيضا ان وفاته كانت فى سنة ثمان وتسعين (وفى هذه السنة) كان دخول فارس صاحب مراكب الروم وحربها الى ساحل الشأم فافتتح حصن القبة بعد حرب طويل وعدم مغيث يغيثهم من المسلمين وافتتح مدينة اللاذقية فسبى منها خلقا كثيرا ووقع فى الكوفة برد عظيم الواحدة رطل بالبغدادى وريح مظلمة وذلك فى شهر رمضان وانهدم كثير من المنازل والبنيان وكان فيها رجفة عظيمة هلك فيها خلق كثير من الناس هكذا كان بالكوفة فى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان بمصر فى هذه السنة زلزلة عظيمة وفيها طلع نجم الذنب (وفيها) غزا وهنانة صاحب الغزو والبحر الرومى فى مراكب المسلمين جزيرة قبرس وقد كانوا نقضوا العهد الذى كان فى صدر الاسلام أن لا يعينوا الروم على المسلمين ولا المسلمين على الروم وأن خراجه نصفه

الرأى فى الحرب وأما وزيره الصفى فانه اختفى ثم أخذ وحمل الى دار الوزير سعد الملك ثم قتل فى رمضان وعمره ست وثلاثون سنة وكان من بيت رياسة بهمذان

❁(ذكر وفاة سقمان بن أرتق)❁

كان فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس قد كاتب سقمان يستدعيه الى نصرته على الفرنج وبذل له المعونة بالمال والرجال فبينما هو يتجهز للمسير أتاه كتاب طغتكين صاحب دمشق يخبره انه مريض قد أشفى على الموت وانه يخاف ان مات وليس بدمشق من يحميها أن يملكها الفرنج ويستدعيه ليوصى اليه وبما يعتمده فى حفظ البلد فلما رأى ذلك أسرع فى السير عازما على أخذ دمشق وقصد الفرنج طرابلس وابعادهم عنها فوصل الى القريتين واتصل خبره بطغتكين فخاف عاقبة ما صنع ولقوة فكره زاد مرضه ولامه أصحابه على ما فرط فى تدبيره وخوفوه عاقبة ما فعل وقالوا له قد رأيت سيدك تاج الدولة لما استدعاه الى دمشق ليمنعه كيف قتله حين وقعت عينه عليه فبينما هم يدبرون الرأى باى حيلة يردونه أتاهم الخبر بانه وصل القريتين ومات وحمله أصحابه وعادوا به فأتاهم فرج لم يحتسبوه وكان مرضه الذى مات به الخوانيق يعتريه دائما فأشار عليه أصحابه بالعود الى حصن كيفا فامتنع وقال بل أسير فان عوفيت تممت ما عزمت عليه ولا يرانى الله تثاقلت عن قتال الكفار خوفا من الموت وان أدركنى أجلى كنت شهيدا سائرا فى جهاد فساروا فاعتقل لسانه يومين ومات فى صفر وبقى ابنه ابراهيم فى أصحابه وجعل فى تابوت وحمل الى الحصن وكان حازما داهيا ذا رأى كثير الخير وقد ذكرنا سبب أخذه لحصن كيفا واما ملكه ماردين فان كربوقا خرج من الموصل فقصد آمد وحارب صاحبها فاستنجد صاحبها وهو تركمانى بسقمان فحضر عنده وصاف كربوقا وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر حينئذ صبيا قد حضر مع كربوقا ومعه جماعة كثيرة من أصحاب أبيه فلما اشتد القتال ظهر سقمان فالقى أصحاب آقسنقر زنكى ولد صاحبهم بين أرجل الخيل وقالوا قاتلوا عن ابن صاحبكم فقاتلوا حينئذ قتالا شديدا فانهزم سقمان وأسروا ابن أخيه ياقوتى بن ارتق فحبسه كربوقا بقلعة ماردين وكان صاحبها انسانا مغنيا للسلطان بركيارق فطلب منه ماردين واعمالها فاقطعه اياها فبقى ياقوتى فى حبسه مدة فمضت زوجة ارتق الى كربوقا وسألته اطلاقه فاطلقه فنزل عند ماردين وكانت قد أعجبته فاقام ليعمل فى تملكها والاستيلاء عليها وكان من عند ماردين من الاكراد قد طمعوا فى صاحبها المغنى وأغاروا على أعمال ماردين عدة دفعات فراسله ياقوتى يقول قد صار بيننا مودة وصداقة وأريد أن أعمر بلدك بان أمنع عنه الاكراد وأغير على الاماكن وآخذ الاموال أنفقها فى بلدك وأقيم فى الربض فاذن له فى ذلك فجعل يغير من باب خلاط الى بغداد فصار ينزل معه بعض أجناد القلعة طلبا للكسب وهو يكرمهم ولا يعترضهم فامنوا اليه فاتفق ان فى بعض الاوقات نزل معه أكثرهم فلما عادوا من الغارة أمر بقبضهم وتقييدهم وسبقهم الى القلعة ونادى من بها من أهليهم ان فتحتم الباب والا ضربت أعناقهم فامتنعوا فقتل انسانا منهم فسلم القلعة من بها اليه وبقى بها ثم انه جمع جمعا وسار الى نصيبين وأغار على بلد جزيرة ابن عمر وهى لجكرمش فلما عاد أصحابه بالغنيمة أتاهم جكرمش وكان ياقوتى قد أصابه مرض يعجزه عن لبس السلاح وركوب الخيل فحمل الى فرسه فركبه وأصابه سهم فسقط منه فأتاه جكرمش وهو يجود بنفسه فبكى عليه وقال له ما حملك على ما صنعت ياياقوتى فلم يجبه ومات ومضت زوجة ارتق الى ابنها سقمان وجمعت التركمان وطلبت بثار ابن ابنها وحصر سقمان نصيبين وهى لجكرمش

للمسلمين ونصفه للروم وأقام وهنا له فى هذه الجزيرة أربعة أشهر يسبى ويحرق ويفتح مواضع قد تحصن فيها وقد أتينا على خبر هذه الجزيرة فيما سلف من هذا الكتاب عند اخبارنا عن جمل البحار ومبادى الانهار ومطارحها فمنع ذلك من اعادة وصفها (وفى سنة) احدى وثلثمائة مات عبد الله بن ناجية المحدث بمدينة السلام وكان مولده فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وكان القبض على ابن الجصاص الجوهرى بمدينة السلام فى سنة اثنتين وثلثمائة والذى صح مما قبض من ماله من العين والورق والجوهر والفرش والثياب والمستغلات خمسة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار (وفيها) مات القاسم ابن الحسن بن الاشيب ويكنى أبا محمد يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الاولى وكان من كبار العلماء والمحدثين ودفن فى الجانب الغربى فى الشارع المعروف بشارع الجاليق وحضر جنازته محمد بن يوسف القاضى وأبو جعفر محمد بن اسحق بن البهلول القاضى وغيرهم من الفقهاء والعدول والكتاب وأهل الدولة وهو أبو أبى عمران موسى بن القاسم بن الحسن المعروف بابن الاشيب وهو كبير من فقهاء الشافعيين فى هذا الوقت (وفى هذه السنة) وهى سنة اثنتين وثلثمائة ورد الجيش من الغرب فكان لاهل مصر من أصحاب السلطان معهم حروب عظيمة وقتل فيها خلق

فسير جكرمش الى سقمان مالا كثيرا سرا فاخذه ورضى وقال انه قتل فى الحرب ولا يعرف قاتله وملك ماردين بعده ياقوتى أخوه على وصار فى طاعة جكرمش واستخلف بها أميرا اسمه على أيضا فارسل على الوالى بماردين الى سقمان يقول له ابن أخيك يريد أن يسلم ماردين الى جكرمش فسار سقمان بنفسه وتسلمها فجاء اليه على ابن أخيه وطلب اعادة القلعة اليه فقال انما أخذتها لئلا يخرب البيت فاقطعه جبل جور ونقله اليه وكان جكرمش يعطى عليا كل سنة عشرين ألف دينار فلما أخذ عمه سقمان ماردين منه أرسل على الى جكرمش يطلب منه المال فقال انما كنت أعطيتك احتراما لماردين وخوفا من مجاورتك والآن فاصنع ما أنت صانع فلا قدرة لك على

❁(ذكر حال الباطنية هذه السنة بخراسان)❁

فى هذه السنة سار جمع كثير من الاسماعيلية من طريثيث عن بعض أعمال بيهق وشاعت الغارة فى تلك النواحى وأكثروا القتل فى أهلها والنهب لاموالهم والسبى لنسائهم ولم يقفوا على الهدنة المتقدمة وفى هذه السنة اشتد أمرهم وقويت شوكتهم ولم يكفوا أيديهم عمن يريدون قتله لاشتغال السلاطين عنهم فمن جملة فعلهم ان قفل الحاج تجمع هذه السنة مما وراء النهر وخراسان والهند وغيرها من البلاد فوصلوا الى جوار الرى فأتاهم الباطنية وقت السحر فوضعوا فيهم السيف وقتلوهم كيف شاؤا وغنموا أموالهم ودوابهم ولم يتركوا شيأ وقتلوا هذه السنة أبا جعفر بن المشاط وهو من شيوخ الشافعية أخذ الفقه عن الخجندى وكان يدرس بالرى ويعظ الناس فلما نزل من كرسيه أتاه باطنى فقتله

❁(ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام)❁

فى هذه السنة فى شعبان كانت وقعة بين طنكرى الفرنجى صاحب انطاكية وبين الملك رضوان صاحب حلب انهزم فيها رضوان وسببها ان طنكرى حصر حصن ارتاح وبها نائب الملك رضوان وضيق الفرنج على المسلمين فارسل النائب بالحصن الى رضوان يعرفه ما هو فيه من الحصر الذى أضعف نفسه ويطلب النجدة فسار رضوان فى عسكر كثير من الخيالة وسبعة آلاف من الرجالة منهم ثلاثة آلاف من المتطوعة فساروا حتى وصلوا الى قنسرين وبينهم وبين الفرنج قليل فلما رأى طنكرى كثرة المسلمين أرسل الى رضوان يطلب الصلح فاراد ان يجيب فمنعه اصبهبذ صباو وكان قد قصده وسار معه بعد قتل اياز فامتنع من الصلح واصطفوا للحرب فانهزمت الفرنج من غير قتال ثم قالوا نعود ونحمل عليهم حملة واحدة فان كانت لنا والا انهزمنا فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا وانهزموا وقتل منهم وأسر كثير واما الرجالة فانهم كانوا قد دخلوا معسكر الفرنج لما انهزموا فاشتغلوا بالنهب فقتلهم الفرنج ولم ينج الا الشريد فاخذ أسيرا وهرب من فى ارتاح الى حلب وملكه الفرنج لعنهم الله تعالى وهرب اصبهبذ صباو الى طغتكين اتابك بدمشق فصار معه ومن أصحابه

❁(ذكر حرب الفرنج والمصريين)❁

فى ذى الحجة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء وسببها ان الافضل وزير صاحب مصر كان قد سير ولده شرف المعالى فى السنة الخالية الى الفرنج فقهرهم وأخذ الرملة منهم ثم اختلف المصريون والعرب وادعى كل واحد منهما ان الفتح له فأتاهم سرية الفرنج فتقاعد كل فريق منهما بالآخر حتى كاد الفرنج يظهرون عليهم فرحل عند ذلك شرف المعالى الى أبيه بمصر فنفذ ولده الآخر وهو سناء الملك حسين فى جماعة من الامراء منهم جمال الملك النائب بعسقلان للمصريين وأرسلوا الى طغتكين اتابك بدمشق يطلبون منه عسكرا

كثير واستأمن رجل من وجوه البرابرة يعرف بابى حرة الى السلطان وسار الى مدينة السلام فخلع عليه (وفى سنة) سبع عشرة وثلثمائة أدخل يوسف بن أبى الساج الى مدينة السلام وقد شهر على الجمل الفالج وعليه دراعة الديباج التى لبسها عمرو بن الليث ووصيف الخادم وعلى رأسه برنس طويل بشقائق وجلاجل وحوله الجيوش ومؤنس الخادم وراءه مع أرباب الدولة من أصحاب السيوف وقد أتينا على خبر هذه الوقعة التى أسر فيها مؤنس الخادم ابن أبى الساج بناحية اردبيل ومن حضرها من الامراء مثل ابن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وعلى بن حسان وأبى الفضل المروى وأحمد بن على بن صعلوك وغيرهم من الامراء والقواد وذكرنا تخلية المقتدر لابن أبى الساج وخروجه من ديار ربيعة ومضر الى بلاد اذربيجان التى هى من أعماله وأرمينية وما كان من غلامه مسك واستيلائه على عمل مولاه ومفارقته الفارقى وما كان من سائر أخبار ابن أبى الساج ومسيره الى واسط ثم مسيره الى الكوفة وما كان من خبره فى حربه لابى طاهر سليمان بن الحسن الجنابى وأسره اياه وقتله له نحو الانبار وهيت حين أشرف على سواده بليق ونظيف غلام ابن أبى الساج وما كان فى هذه الوقعة وهزمه لبليق ونظيف

فارسل اليهم اصبهبذ صباوو معه ألف وثلثمائة فارس وكان المصريون فى خمسة آلاف وقصدهم بغدوين الفرنجى صاحب القدس وعكة ويافا فى ألف وثلثمائة فارس وثمانية آلاف راجل فوقع المصاف بينهم بين عسقلان ويافا فلم تظهر احدى الطائفتين على الاخرى فقتل من المسلمين ألف ومائتان ومن الفرنج مثلهم وقتل جمال الملك أمير عسقلان فلما رأى المسلمون انهم قد تكافؤا فى النكاية قطعوا الحرب وعادوا الى عسقلان وعاد صباوو الى دمشق وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش وكان طغتكين قد عدل فى الملك الى ولد أخيه دقاق وهو طفل وقد ذكرناه فدعاه ذلك الى قصد الفرنج والكون معهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عظم فساد التركمان بطريق خراسان من اعمال العراق وقد كانوا قبل ذلك ينهبون الاموال ويقطعون الطريق الا انهم عندهم مراقبة فلما كان هذه السنة اطرحوا المراقبة وعملوا الاعمال الشنيعة فاستعمل ايلغازى بن ارتق وهو شحنة العراق على ذلك البلد ابن أخيه بلك بن بهرام بن ارتق وأمره بحفظه وحياطته ومنع الفساد عنه فقام فى ذلك القيام المرضى وحمى البلاد وكف الايدى المتطاولة وسار بلك الى حصن خانيجار وهو من اعمال سرخاب بن بدر فحصره وملكه وفيها فى شعبان جعل السلطان محمد قسيم الدولة سنقر البرسقى شحنة بالعراق وكان موصوفا بالخير والدين وحسن العهد لم يفارق محمدا فى حروبه كلها وفيها اقطع السلطان محمد الكوفة للامير قايماز وأوصى صدقة ان يحمى أصحابه من خفاجة فاجاب الى ذلك وفيها فى شهر رمضان وصل السلطان محمد الى اصبهان فامن أهلها ووثقوا بزوال ما كان يشملهم من الخبط والعسف والمصادرة وشتان بين خروجه منها هاربا متخفيا وعوده اليها سلطانا متمكنا وعدل فى أهلها وازال عنهم ما يكرهون وكف الايدى المتطرقة اليهم من الجند وغيرهم فصار كلمة العامى أقوى من كلمة الجندى ويد الجندى قاصرة عن العامى من هيبة السلطان وعدله وفيها كثر الجدرى فى كثير من البلدان لا سيما العراق فانه كان به كله ومات به من الصبيان ما لا يحصى وتبعه وباء كثير وموت عظيم وتوفى فى هذه السنة فى شوال أحمد بن محمد بن أحمد أبو على البردانى الحافظ ومولده سنة ست وعشرين وأربعمائة سمع ابن غيلان والبرمكى والعشارى وغيرهم وتوفى أبو المعالى ثابت بن بندار بن ابراهيم البقال ومولده سنة ست عشرة وأربعمائة سمع أبا بكر البرقانى وأبا على بن شاذان وكانت وفاته فى جمادى الآخرة من هذه السنة وفى رابع جمادى الاولى توفى أبو الحسن محمد بن على بن أبى الصقر الفقيه الشافعى ومولده سنة تسع وأربعمائة وكان أديبا شاعرا فمن قوله

من قال لى جاه ولى حشمة * ولى قبول عند مولانا
ولم يعد ذلك بنفع على * صديقه لا كان من كانا

وفيها أيضا توفى أبو نصر ابن أخت ابن الموصلايا وكان كاتبا للخليفة جيد الكتابة وكان عمره سبعين سنة ولم يخلف وارثا لانه أسلم وأهله نصارى فلم يرثوه وكان يبخل الا انه كان كثير الصدقة وأبو المؤيد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوى كان واعظا شاعرا كاتبا قدم بغداد ووعظ بها ونصر مذهب الاشعرى وكان له قبول عظيم وخرج منها فمات باسفراين

﴿ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد﴾

ومسير القرمطى ونزوله على هيت وغير ذلك وذلك فى سنة خمس عشرة وثلثمائة فيما سلف من كتبنا وكذلك ذكرنا ما كان من مؤنس الخادم ومن كان معه من أولياء السلطان من القتال لجيش صاحب المغرب بمصر وذلك فى سنة تسع وثلثمائة

﴿ذكر خلافة القاهر بالله﴾

وبويع القاهر محمد بن أحمد المعتضد بالله يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة ثم خلع يوم الاربعاء لخمس خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وسملت عيناه وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام ويكنى بأبى منصور وأمه أم ولد

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

واستوزر القاهر أبا على محمد بن على بن مقلة فى سنة احدى وعشرين وثلثمائة ثم عزله واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم ابن عبد الله الخصيبى وكانت أخلاقه لا تكاد تحصى لتقلبه وتلونه وكان شهما شديد البطش بأعدائه وأباد جماعة من أهل الدولة منهم مؤنس الخادم وبليق وعلى بن بليق فهابه الناس وخشوا صولته واتخذ حربة عظيمة يحملها فى يده اذا سعى فى داره ويطرحها بين يديه فى حال جلوسه يباشر الحرب بتلك الحربة لمن يريد قتله فسكن من كان يستعدى على من قبله من الخلفاء والتشعب والوثب

فى

فى هذه السنة فى المحرم أظهر منكبرس ابن الملك بوربرس بن الب ارسلان وهو ابن عم السلطان محمد العصيان للسلطان محمد والخلاف عليه وسبب ذلك انه كان مقيما باصبهان فلحقته ضائقة شديدة وانقطعت المواد عنه فخرج منها وسار الى نهاوند فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر وظاهره على أمره جماعة من الامراء وتغلب على نهاوند وخطب لنفسه بها وكاتب الامراء بنى برسق يدعوهم الى طاعته ونصرته وكان السلطان محمد قد قبض على زنكى بن برسق فكاتب زنكى اخوته وحذرهم من طاعة منكبرس وما فيها من الاذى والخطر وأمرهم بتدبير الامر فى القبض عليه فلما أتاهم كتاب أخيهم بذلك أرسلوا الى منكبرس يبذلون له الطاعة والموافقة فسار اليهم وساروا اليه فاجتمعوا به وقبضوا عليه بالقرب من أعمالهم وهى بلد خوزستان وتفرق أصحابه وأخذوا منكبرس الى أصبهان فاعتقله السلطان مع ابنى عمه تكش وأخرج زنكى بن برسق وأعاده الى مرتبته واستنزله واخوته عن اقطاعهم وهى ليشتر وسابور خواست وغيرها ما بين الاهواز وهمذان واقطعهم عوضها الدينور وغيرها واتفق أن ظهر بنهاوند أيضا فى هذه السنة رجل من السواد ادعى النبوة فاطاعه خلق كثير من السوادية واتبعوه وباعوا أملاكهم ودفعوا اليه أثمانها فكان يخرج ذلك جميعه وسمى أربعة من أصحابه أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وقتل بنهاوند فكان أهلها يقولون ظهر عندنا فى مدة شهرين اثنان ادعى أحدهما النبوة والآخر المملكة فلم يتم لواحد منهما أمره

﴿ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج﴾

فى هذه السنة فى صفر كانت وقعة بين طغتكين اتابك صاحب دمشق وبين قمص كبير من قامصة الفرنج وسبب ذلك انه تكررت الحروب والغارات بين عسكر دمشق وبغدوين فتارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ففى آخر الامر بنى بغدوين حصنا بينه وبين دمشق نحو يومين فخاف طغتكين من عاقبة ذلك وما يحدث به من الضرر فجمع عسكره وخرج الى مقاتلتهم فسار بغدوين ملك القدس وعكا وغيرهما الى هذا القمص ليعاضده ويساعده على المسلمين فعرفه القمص غناه عنه وانه قادر على مقارعة المسلمين ان قاتلوه فعاد بغدوين الى عكا وتقدم طغتكين الى الفرنج واقتتلوا واشتد القتال فانهزم أميران من عسكر دمشق فتبعهما طغتكين وقتلهما وانهزم الفرنج الى حصنهم فاحتموا به فقال طغتكين من احسن قتالهم وطلب منى أمرا فعلته معه ومن اتانى بحجر من حجارة الحصن أعطيته خمسة دنانير فبذل الرجالة نفوسهم وصعدوا الى الحصن وخربوه وحملوا حجارته الى طغتكين فوفى لهم بما وعدهم وأمر بالقاء الحجارة فى الوادى واسروا من بالحصن فامر بهم فقتلوا كلهم واستبقى الفرسان أسراء وكانوا مائتى فارس ولم ينج ممن كان فى الحصن الا القليل وعاد طغتكين الى دمشق منصورا فزين البلد أربعة أيام وخرج منها الى رفنية وهو من حصون الشام وقد تغلب عليه الفرنج وصاحبه ابن اخت صنجيل المقيم على حصار طرابلس فحصره طغتكين وملكه وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج

﴿ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة﴾

فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين عبادة وخفاجة وسببها ان رجلا من عبادة أخذ منه جماعة خفاجة جملين فجاء اليهم وطالبهم بهما فلم يعطوه شيأ فاخذ منهم غارة أحد عشر بعيرا فلحقته خفاجة وقتلوا من أصحابه رجلا وقطعوا يد آخر وكان ذلك بالموقف من الحلة السيفية فتفرق بينهم أهلها فسمعت عبادة الخبر فتواعدت وانحدرت الى العراق للاخذ بثارها وساروا

عليهم وكان قليل التثبت فى أمره مخوف السطوة فاذا ما وصفنا من فعله الى أن احتيل عليه فى داره فقبض عليه وسملت كلتا عينيه وهو حى هذا فى الجانب الغربى فى دار ابن طاهر على ما نمى الينا من خبره واتصل بنا من أمره وذلك أن الراضى بالله غيب خبره وقطع ذكره فلما بويع ابراهيم المتقى لله أصيب القاهر معتقلا فى بعض المقاصير فامر به الى دار ابن طاهر فاعتقل بها الى هذه الغاية التى وصفنا

(وذكر) محمد بن على العبدى الخراسانى الاخبارى وكان القاهر به آنسا قال خلا بى القاهر فقال أصدقنى أو هذه وأشار الى بالحربة فرأيت والله الموت عيانا بينى وبينه فقلت أصدقك يا أمير المؤمنين فقال لى انظر بقولها ثلاثا فقلت نعم يا أمير المؤمنين قال عما أسألك عنه ولا تغيب عنى شيأ ولا تحسن القصة ولا تسجع فيها ولا تسقط منها شيأ قلت نعم يا أمير المؤمنين قال أنت علامة باخبار بنى العباس من أخلاقهم وشيمهم من أبى العباس فمن دونه فقلت على أن لى الامان يا أمير المؤمنين قال ذلك لك قال قلت اما أبو العباس السفاح فكان سريعا الى سفك الدماء واتبعه عماله فى الشرق والغرب من فعله واستنوا بسيرته مثل محمد بن الاشعث بالمغرب وصالح بن على بمصر وحازم بن جذيمة وحميد بن قحطبة وكان مع ذلك

مع جماعة من أمرائهم فبلغت عدتهم سبعمائة فارس وكانت خفاجة دون هذه العدة فراسلهم خفاجة يبذلون الدية ويصطلحون فلم تجبهم الى ذلك عبادة وأشار به سيف الدولة صدقة فلم تقبل عبادة فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكوفة ومع عبادة الابل والغنم بين البيوت فكمنت لهم خفاجة ثلثمائة فارس وقاتلوهم مطاردة من غير جد فى القتال فداموا كذلك ثلاثة أيام ثم انهم اشتد بينهم القتال واختلطوا حتى تركوا الرماح وتضاربوا بالسيوف فبينماهم كذلك وقد أعيا الفريقان من القتال اذ طلع كمين خفاجة وهم مستريحون فانهزمت عبادة وانتصرت عليهم خفاجة وقتل من وجوه عبادة اثنا عشر رجلا ومن خفاجة جماعة وغنمت خفاجة الاموال من الخيل والابل والغنم والعبيد والاماء وكان الامير صدقة بن مزيد قد أعان خفاجة سرا فلما وصل المنهزمون اليه هناهم صدقة بالسلامة فقال له بعضهم مازلت أقاتل وأضارب وأنا طامع فى الظفر بهم حتى رأيت فرسك الشقراء تحت أحدهم فعلمت انهم أجلبوا علينا بخيلك ورجالك وانا لا طاقة لنا بهم فنصر واعلينا بمعونتك وفلونا بجدك فلم يجبه صدقة

﴿ ذكر ملك صدقة البصرة ﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى انحدر سيف الدولة من الحلة الى البصرة فملكها وقد ذكرنا فيما تقدم تمكن اسمعيل بن ارسلانجق من البصرة ونواحيها وأقام بها عشر سنين نافذ الامر وازداد قوة وتمكنا بالاختلاف الواقع بين السلاطين وأخذ الاموال السلطانية وكان قد راسل صدقة واظهر له انه فى طاعته وموافقته فلما استقر الامر للسلطان محمد أراد أن يرسل الى البصرة مقطعا يأخذها من اسمعيل فخاطب صدقة فى معناه حتى أقرت البصرة عليه فانفذ السلطان عميدا اليها ليتولى ما يتعلق بالسلطان هناك فمنعه اسمعيل ولم يمكنه من عمله وفعل ما خرج به عن حد المجاملة فأمر السلطان صدقة بقصده وأخذ البصرة منه فتحرك لذلك فاتفق ظهور منكبرس وخلافه على السلطان وانه على قصد واسط فسر اسمعيل بذلك وزاد انبساطه وأرسل صدقة حاجبا له وكان قبله قد خدم اباه وجده الى اسمعيل يأمره بتسليم الشرطة وأعمالها الى مهذب الدولة بن أبى الجبر لانها كانت فى ضمانه فوصل الى الشرطة وأخذ منها أربعمائة دينار فاحضره اسمعيل وحبسه وأخذ الدنانير منه فلما رأى صدقة مكاشفته سار من حلته وأظهر انه يريد قصد الرحبة ثم جد السير الى البصرة فلم يشعر اسمعيل الا بقربه منه ففرق أصحابه فى القلاع التى استجدها بمطارا ونهر معقل وغيرهما واعتقل وجوه العباسيين والعلويين وقاضى البصرة ومدرسيها وأعيان أهلها ونازلهم صدقة فجرى قتال بين طائفة من عسكره وطائفة من البصريين قتل فيه أبو النجم ابن أبى القاسم الوراى وهو ابن خال سيف الدولة صدقة فمما مدح به سيف الدولة ورثى به أبو النجم ابن أبى القاسم قول بعضهم

تمن يا خير من يحمى حريم حمى * فما اغنت به الدنيا مع الدين
ركبت للبصرة الغراء فى نخب * غر كجيش على يوم صفين
هوى أبو النجم كالنجم المنير بها * لكنه كان رجما للشياطين

وأقام صدقة محاصر الاسمعيل بالبصرة فاشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها واعلموه انهم لا يظفرون بطائل فاشار عليهم بالمقام وقالوا ان رحلنا كانت كسرة وكان رأى سيف الدولة المقام وقال ان تعذر على فتح البصرة لم يطعنى أحد واستعجزنى الناس ثم ان اسمعيل خرج من البلد وقاتل صدقة فسار بعض أصحاب صدقة الى مكان آخر من البلد ودخلوه وقتلوا من السوادية

بحرا سمحا وصولا جوادا بالمال وسلك من ذكرنا ممن كان فى عصره سبيله وذهبوا مذهبه مؤتمين به قال

وأخبرنى عن المنصور قلت الصدق باأمير المؤمنين قال الصدق قلت كان والله أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبد المطلب وبين آل أبى طالب وقد كان قبل ذلك أمرهم واحدا وكان أول خليفة قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم وكان معه نوبخت المجوسى المنجم وأسلم على يديه وهو أبو هؤلاء النوبختية وابراهيم الفزارى المنجم صاحب القصيدة فى النجوم وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك وعلى بن عيسى الاسطرلابى المنجم وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية الى العربية منها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السندهند وترجمت له كتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب المجسطى لبطليموس وكتاب الارثماطيقى وكتاب اقليدس وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية وخرجت الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها وفى أيامه وضع محمد بن اسحق كتاب المغازى والسير وأخبار المبتدا ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مصنفة وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرفهم فى مهماته وقدمهم على العرب فاتخذت ذلك الخلفاء من

الذين

الذين جمعهم اسمعيل خلقا كثيرا وانهزم اسمعيل الى قلعته بالجزيرة فأدركه بعض أصحاب سيف الدولة وأراد قتله ففداه أحد غلمانه بنفسه فوقعت الضربة فيه فاثخنته فنهبت البصرة وغنم من معه من عرب البر وغيرهم مافيها ولم يسلم منهم الا المحلة المجاورة لقبر طلحة والمربد فان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحموا المربد وعمت المصيبة لاهل البلد سوى من ذكرنا وامتنع اسمعيل بقلعته فاتفق ان المهذب بن أبى الجبر انحدر فى سفن كثيرة وأخذ القلعة التى لاسمعيل بمطارا وقتل بها خلقا من أصحاب اسمعيل وحمل الى صدقة كثيرا فاطلقهم فلما علم اسمعيل بذلك ارسل الى صدقة يطلب الامان على نفسه وأهله وأمواله فاجابه الى ذلك وأجله سبعة أيام فأخذ كل ما يمكنه حمله مما يعز عليه ومالم يقدر على حمله أهلكه بالماء وغيره ونزل الى سيف الدولة وأمن سيف الدولة أهل البصرة من كل أذى ورتب عندهم شحنة وعاد الى الحلة ثالث جمادى الآخرة وكان مقامه بالبصرة ستة عشر يوما وأما اسمعيل فانه لما سار صدقة الى الحلة قصد هو الباسيان الى ان وصل ماله فى المراكب وسار نحو فارس وصار يتعنت أصحابه وزوجته وقبض على جماعة من خواصه وقال لهم أنتم سقيتم ولدى افراسياب السم حتى مات وكان قد مات فى صفر من هذه السنة ففارقه كثير منهم حتى زوجته فارقته وسارت الى بغداد وأخذته الحمى وقويت عليه فلما بلغ رامهرمز انفرد فى خيمته ولم يظهر لاصحابه يوما وليلة فظهر لهم موته فنهبوا ماله وتفرقوا فارسل الامير برامهرمز فردهم وأخذ مامعهم من أمواله ودفن بالقرب من ايذج وكان عمره قد جاوز خمسين سنة وكانت سيرته قد حسنت فى أهل البصرة اخيرا

﴿ ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها ﴾

فى هذه السنة فى شهر رمضان حصر الملك رضوان بن تتش نصيبين وسبب ذلك انه عزم على حرب الفرنج واجتمع معه من الامراء ايلغازى بن ارتق الذى كان شحنة بغداد والاصبهبذ صباوو والبى ابن ارسلان تاش صاحب سنجار وهو صهر جكرمش صاحب الموصل فقال ايلغازى الرأى اننا نقصد بلاد جكرمش وما والاها فنملكها ونتكثر بعسكرها والاموال ووافقه البى فسار الى نصيبين فى عشرة آلاف فارس مستهل رمضان وكان قد جعل فيها أميرين من أصحابه فى عسكر فحصنوا بالبلد وقاتلوا من وراء السور فرمى البى بن ارسلان تاش بنشابة فجرح جرحا شديدا فعاد الى سنجار وأما جكرمش فانه بلغه الخبر بنزولهم على نصيبين وهو بالحامة التى بالقرب من طنزة يتداوى بمائها من مرضه فرحل الى الموصل وقد اجفل اليها أهل السواد فخيم على باب البلد عازما على حرب رضوان واستعمل المخادعة فكاتب اعيان عسكر رضوان ورغبهم حتى افسد نياتهم وتقدم الى أصحابه بنصيبين بخدمة الملك رضوان وباخراج الاقامة اليه مع الاحتراز منه وارسل الى رضوان يبذل له خدمته والدخول فى طاعته ويقول له ان السلطان محمدا قد حصرنى ولم يبلغ منى غرضا فترحل عن صلح وان قبضت على ايلغازى الذى قد عرفت أنت وغيرك فساده وشره فانا معك ومعينك بالرجال والاموال والسلاح فاتفق هذا ورضوان قد تغيرت نيته مع ايلغازى فازداد تغيرا وعزم على قبضه فاستدعاه يوما وقال له هذه بلاد ممتنعة وربما استولى الفرنج على حلب والمصلحة مصالحة جكرمش واستصحابه معنا فانه يسير بعساكر كثيرة ظاهرة التجمل ونعود الى قتال الفرنج فان ذلك مما يعود باجتماع شمل المسلمين فقال له ايلغازى انك جئت بحكمك وأنت الآن بحكمى لا أمكنك من المسير بدون اخذ هذه البلاد فان أقمت والا بدأت بقتالك وكان

بعده من ولده فسقطت وبادت العرب وزال بأسها وذهبت مراتبها وأفضت الخلافة اليه وقد نظر فى العلوم وقرأ المذاهب وارتاض فى الآراء ووقف على النحل وكتب الحديث فكثرت فى أيامه روايات الناس واتسعت عليهم علومهم قال القاهر قد قلت فأحسنت وعبرت فبينت فأخبرنى عن المهدى كيف كانت خلافته قلت كان سمحا سخيا كريما جوادا فسلك الناس فى عصره سبيله وذهبوا فى أمرهم مذهبه واتسعوا فى مساعيهم وكان من فعله فى ركوبه أن يحمل معه بدر الدنانير والدراهم فلا يسأله أحد الا أعطاه وان سكت ابتدأه المفرق بين يديه وقد تقدم بذلك اليه وامعن فى قتل الملحدين والمداهنين عن الدين لظهورهم فى أيامه واعلانهم باعتقاداتهم فى خلافته لما انتشر من كتب مانى وابن ديصان ومرقيون مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية الى العربية وما صنف من ذلك ابن أبى العرجاء وحماد عجرد ويحيى ابن زياد ومطيع بن اياس من تأييد المذاهب المانية والديصانية والمرقونية فكثر بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم فى الناس وكان المهدى أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم وأقاموا البراهين على المعاندين وأذالوا الشبه

ايلغازى قد قويت نفسه بكثرة من اجتمع عنده من التركمان وكان الملك رضوان قد واعد قوما من
أصحابه ليقبضوا عليه فلما جرى ما ذكرناه أمرهم رضوان فقبضوا عليه وقيدوه فلما سمع التركمان
الحال أظهروا الخلاف والامتعاض ففارقوا رضوان والتجؤا الى سور المدينة وأصعدوا ايلغازى
الى قلعتها وخرج من بنصيبين من العسكر فأعانوه فلما رأى التركمان ذلك تفرقوا ونهبوا ما قدروا
عليه من المواشى وغيرها ورحل رضوان من وقته وسار الى حلب وكان جكرمش قد رحل من
الموصل قاصدا حرب القوم فلما بلغ تل يعفر أتاه المبشرون بانصراف رضوان على اختلاف
وافتراق فرحل عند ذلك الى سنجار ووصلت اليه رسل رضوان يستدعى منه النجدة و يعتد عليه
ما فعل بايلغازى فاجابه مغالطة ولم يف له بما وعده ونازل سنجار ليشفى غيظه من صهره البى بن
ارسلان تاش بما اعتمده من معاداته ومظاهرة اعدائه وكان البى على شدة من المرض بالسهم
الذى أصابه على نصيبين فلما نازل جكرمش عليها أمر البى أصحابه ان يحملوه اليه فحملوه فى محفة
فحضر عنده وأخذ يعتذر مما كان منه وقال جئت مذنبا فافعل بى ما تراه فرق له واعاده الى بلده
فلما عاد قضى نحبه فلما مات عصى على جكرمش من كان بسنجار وتمسكوا بالبلد فقاتله بقية
رمضان وشوالا ولم يظفر منهم بشئ فجاء تمرك اخو ارسلان تاش عم البى فاصلح حاله مع جكرمش
وبذل له الخدمة فعاد الى الموصل

﴿ذكر ملك طغتكين بصرى﴾

فقد ذكرنا سنة سبع وتسعين حال بكتاش بن تتش وخروجه من دمشق واتصاله بالفرنج ومعه
آيتكين الحلبى صاحب بصرى وسيرهما الى الرحبة وعودهما عنها فلما ضعفت أحوالهم سار طغتكين
الى بصرى فحصرها وبها أصحاب آيتكين فراسلوا طغتكين وبذلوا له التسليم اليه بعد أجل
قرروه بينهم فاجابهم الى ذلك فرحل عنهم الى دمشق فلما انقضى الاجل هذه السنة تسلمها
وأحسن الى من بها ووفى لهم بما وعدهم وبالغ فى اكرامهم وكثر الثناء عليه والدعاء له ومالت
النفوس اليه وأحبوه

﴿ذكر ملك الفرنج حصن افامية﴾

فى هذه السنة ملك الفرنج حصن افامية من بلد الشام وسبب ذلك ان خلف بن ملاعب
الكلابى كان متغلبا على حمص وكان الضرر به عظيما ورجاله يقطعون الطريق فكثر الحرامية
عنده فاخذها منه تتش بن الب أرسلان وأبعده عنها فتقلبت به الاحوال الى ان دخل الى مصر
فلم يلتفت اليه من بها فاقام بها واتفق ان المتولى لافامية من جهة الملك رضوان أرسل الى
صاحب مصر وكان يميل الى مذهبهم يستدعى منهم من يسلم اليه الحصن وهو من أمنع الحصون
وطلب ابن ملاعب منهم أن يكون هو المقيم به وقال اننى أرغب فى قتال الفرنج وأوثر الجهاد
فسلموه اليه وأخذوا رهائنه فلما ملكه خلع طاعتهم ولم يرع حقهم فارسلوا اليه يتهددونه بما
يفعلونه بولده الذى عندهم فاعاد الجواب اننى لا انزل من مكانى وابعثوا الىّ ببعض اعضاء
ولدى حتى آكله فايسوا من رجوعه الى الطاعة وأقام بافامية يخيف السبيل و يقطع الطريق
واجتمع عنده كثير من المفسدين فكثرت أمواله ثم ان الفرنج ملكوا سرمين وهى من أعمال
حلب وأهله غلاة فى التشيع فلما ملكه الفرنج تفرق أهله فتوجه القاضى الذى به الى ابن
ملاعب وأقام عنده فأكرمه وأحبه ووثق به فاعمل القاضى الحيلة عليه وكتب الى أبى طاهر

المحدين فأوضحوا الحق للشاكين وشرع فى بناء المسجد الحرام ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم على ما هما عليه الى هذه
الغاية وبنى بيت المقدس
وقد كان هدمته الزلازل
قال فاخبرنى عن الهادى
على قصر أيامه كيف كانت
أخلاقه وشيمه قلت كان
جبارا عظيما وأول من مشت
الرجال بين يديه بالسيوف
المرهفة والاعمدة المشهورة
والقسى الموتورة فسلكت
عماله طريقته ونهجوا
منهجه وكثر السلاح فى
عصره قال لقد أجدت فى
وصفك وبالغت فيما ذكرت
من قولك فأخبرنى عن
الرشيد كيف كانت طريقته
قلت كان مواظبا على الحج
والغزو واتخاذ المصانع
والآبار والبرك والقصور
فى طريق مكة وأظهر ذلك
بها وبمنى وعرفات ومدينة
النبى صلى الله عليه وسلم فعم
الناس احسانه مع ما قرن
به من عدله ثم بنى الثغور
ومدن المدن وحصن فيها
الحصون مثل طرسوس
وآذنة وعمر المصيصة ومرعش
وأحكم بناء الحرب وغير ذلك
من دور السبيل والمواضع
للمرابطين واتبعه عماله
وسلكوا طريقته وتقفته
رعيته مقتدية بعمله مستنة
بامامته فقمع الباطل وأظهر
الحق وأنار الاسلام وبرز
على سائر الامم وكان
أحسن الناس فى أيامه
فعلا أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور لما أحدثته من بناء دور السبيل بمكة واتخاذ المصانع

المعروف بابن الصائغ وهو من أعيان أصحاب الملك رضوان ووجوه الباطنية ودعاتهم ووافقهم
على الفتك بابن ملاعب وان يسلم افامية الى الملك رضوان فظهر شئ من هذا فأتى الى ابن
ملاعب أولاده وكانوا قد تسللوا اليه من مصر وقالوا له قد بلغنا عن هذا القاضى كذا وكذا والرأى
ان تعاجله وتحتاط لنفسك فان الامر قد اشتهر وظهر فأحضره ابن ملاعب فأتاه فى كمه مصحف
لانه رأى أمارات الشر فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه فقال له أيها الامير قد علم كل أحد انى
أتيتك خائفا جائعا فأمنتنى وأغنيتنى وعززتنى فصرت ذا مال وجاه فان كان بعض من حسدنى
على منزلتى منك وما غمرنى من نعمتك سعى بى اليك فأسألك ان تأخذ جميع ما معى وأخرج كما
جئت وحلف له على الوفاء والنصح فقبل عذره وأمنه وعاود القاضى مكاتبة أبى طاهر بن الصائغ
وأشار عليه ان يوافق رضوانا على انفاذ ثلثمائة رجل من أهل سرمين و ينفذ معهم خيلا من
خيول الفرنج وسلاحا من أسلحتهم ورؤسا من رؤس الفرنج و يأتون الى ابن ملاعب و يظهرون
انهم غزاة و يشكون من سوء معاملة الملك رضوان وأصحابه لهم وانهم فارقوه فلقيهم طائفة من
الفرنج فظفروا بهم و يحملون جميع ما معهم اليه فاذا أذن لهم فى المقام اتفقت آراؤهم على
اعمال الحيلة عليه ففعل ابن الصائغ ذلك ووصل القوم الى افامية وقدموا الى ابن ملاعب بما
معهم من الخيل وغيرها فقبل ذلك منهم وأمرهم بالمقام عنده وأنزلهم فى ربض افامية فلما كان
فى بعض الليالى نام الحراس بالقلعة فقام القاضى ومن بالحصن من أهل سرمين ودلوا الحبال
وأصعدوا أولئك القادمين جميعهم وقصدوا أولاد ابن ملاعب وبنى عمه وأصحابه فقتلوهم وأتى
القاضى وجماعة معه الى ابن ملاعب وهو مع امرأته فأحس بهم فقال من أنت فقال ملك الموت
جئت لقبض روحك فناشده الله فلم يرجع عنه وجرحه وقتله وقتل أصحابه وهرب ابناه فقتل
أحدهما والتحق الآخر بأبى الحسن بن منقذ صاحب شيزر فحفظه لعهد كان بينهما ولما سمع ابن
الصائغ خبر افامية سار اليها وهو لا يشك انها له فقال له القاضى ان وافقتنى وأقمت معى فبالرحب
والسعة ونحن بحكمك والا فارجع من حيث جئت فايس ابن الصائغ منه وكان أحد أولاد ابن
ملاعب بدمشق عند طغتكين غضبان على أبيه فولاه طغتكين حصنا وضمن على نفسه حفظ
الطريق فلم يفعل وقطع الطريق وأخذ القوافل فاستغاثوا الى طغتكين منه فأرسل اليه من
طلبه فهرب الى الفرنج واستدعاهم الى حصن افامية وقال ليس فيه غير قوت شهر فأقاموا
عليه يحاصرونه فجاع أهله وملكه الفرنج وقتلوا القاضى المتغلب عليه وأخذوا ابن الصائغ
فقتلوه وكان هو الذى أظهر مذهب الباطنية بالشام هكذا ذكر بعضهم ان أبا طاهر بن الصائغ
قتله الفرنج بافامية وقد قيل ان ابن بديع رئيس حلب قتله سنة سبع وخمسمائة بعد وفاة رضوان
وقد ذكرناه هناك والله أعلم

﴿ذكر نهب العرب البصرة﴾

قد ذكرنا استيلاء الامير صدقة على البصرة وانه استناب بها مملوكا كان لجده دبيس بن مزيد اسمه
التونتاش وجعل معه مائة وعشرين فارسا فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضم اليهما من العرب
وقصدوا البصرة فى جمع كثير فقاتلهم التونتاش فأسروه وانهزم أصحابه ولم يقدر من بها على
حفظها فدخلوها بالسيف أواخر ذى القعدة وأحرقوا الاسواق والدور الحسان ونهبوا ما قدروا
عليه وأقاموا ينهبون ويحرقون اثنين وثلاثين يوما وتشرد أهله فى السواد ونهبت خزانة كتب

والبرك والآبار بمكة وطريقها المعروف الى هذه الغاية وما أحدثته من الدور للتسبيل بالثغر الشامى وطرسوس وما
أوقفت على ذلك من الوقوف
وما ظهر فى أيامه من فعل
البرامكة وجودهم
وافضالهم وما اشتهر عنهم
من أفعالهم وكان الرشيد
أول خليفة لعب بالصولجان
فى الميدان ورمى بالنشاب
فى البرجاس ولعب بالاكرة
والطبطاب وقرب الحذاق
فى ذلك فعم الناس ذلك
الفعل وكان أول
من لعب بالشطرنج
من خلفاء بنى العباس
والنرد وقدم اللعاب وأجرى
عليهم الرزق فسمى الناس
أيامه لنضارتها وكثرة خيرها
وخصبها أيام العروس
وكثير ممن يجاوز النعت
و يتفاوت فيه الوصف قال
القاهر وأراك قد قصرت
فى تفضيل أم جعفر فلم
ذلك قلت يا أمير المؤمنين
ميلا الى الاختصار وطلبا
للايجاز قال فتناول الحربة
وهزها فرأيت الموت
الاحمر فى طرفها ثم برق
عينيه مع ذلك فاستسلمت
وقلت هذا ملك الموت ولم
أشك أنه يقبض روحى
فأهوى بها نحوى ففزعت منها
فاسترجع وقد أخطأتنى
فقال ويلك أبغضت ما فيه
عيناك ومللت الحياة قلت
هو يا أمير المؤمنين قال
أخبار أم جعفر زدنى منها
قلت نعم يا أمير المؤمنين
كان من فعلها وحسن سيرتها فى الجد والهزل ما برزت فيه على غيرها فأما الجد والآثار الجميلة التى لم يكن فى الاسلام

كانت موقوفة وقفها القاضى أبو الفرج بن أبى البقاء وبلغ الخبر صدقة فأرسل عسكرا فوصلوا وقد فارقها العرب ثم ان السلطان محمدا أرسل شحنة وعميدا الى البصرة وأخذها من صدقة وعاد أهلها اليها وشرعوا فى عمارتها

﴿ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج﴾

كان صنجيل الفرنجى لعنه الله قد ملك مدينة جبلة وأقام على طرابلس يحصرها فحيث لم يقدر ان يملكها بنى بالقرب منها حصنا وبنى تحته ربضا وأقام مراصدا لها ومنتظرا وجود فرصة فيها فخرج فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس فأحرق ربضه ووقف صنجيل على بعض سقوفه المحترقة ومعه جماعة من القمامصة والفرسان فانخسف بهم فمرض صنجيل من ذلك عشرة أيام ومات وحمل الى القدس فدفن فيه ثم ان ملك الروم أمر أصحابه باللاذقية ليحملوا الميرة الى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس فحملوها فى البحر فأخرج اليها فخر الملك بن عمار اسطولا فجرى بينهم وبين الروم قتال شديد فظفر المسلمون بقطعة من الروم فأخذوها وأسروا من كان بها وعادوا ولم تزل الحرب بين أهل طرابلس والفرنج خمس سنين الى هذا الوقت فعدمت الاقوات به وخاف أهله على نفوسهم وأولادهم وحرمهم فجلا الفقراء وافتقر الاغنياء وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأى سديد ومما أضر بالمسلمين فيها ان صاحبها استنجد سقمان بن ارتق فجمع العساكر وسار اليه فمات فى الطريق على ماذكرناه واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه وأجرى ابن عمار الجرايات على الجند والضعفاء فلما قلت الاموال عنده شرع يقسط على الناس مايخرجه فى باب الجهاد فأخذ من رجلين من الاغنياء مالا مع غيرهما فخرج الرجلان الى الفرنج وقالا ان صاحبنا صادرنا فخرجنا اليكم لنكون معكم وذكرا له انه تأتيه الميرة من عرقة والجبل فجعل الفرنج جمعا على ذلك الجانب يحفظه من دخول شئ الى البلد فأرسل ابن عمار وبذل للفرنج مالا كثيرا ليسلموا الرجلين اليه فلم يفعلوا فوضع عليهما من قتلهما غيلة وكانت طرابلس من أعظم بلاد الاسلام وأكثرها تجملا وثروة فباع أهلها من الحلى والاوانى الغريبة مالا حد عليه حتى بيع كل مائة درهم نقرة بدينار وشتان بين هذه الحالة وبين حال الروم أيام السلطان الب ارسلان وقد ذكرت ظفره بهم سنة ثلاث وستين وأربعمائة وقد كان بعض أصحابه وهو كمشتكين دواتى عميد الملك هرب منه خوفا لما قبض على صاحبه عميد الملك وسار الى الرقة فملكها وصار معه كثير من التركمان فيهم الافشين وأحمدشاه فقتلاه وأرسلا أمواله الى الب ارسلان ودخل الافشين بلاد الروم وقاتل الفردوس صاحب انطاكية فهزمه وقتل من الروم خلقا كثيرا وسار ملك الروم من القسطنطينية الى ملطية فدخل الافشين بلاده ووصل الى عمورية وقتل فى غزاته مائة ألف آدمى ولما عاد الى بلاد الاسلام وتفرق من معه خرج عليه عسكر الرها وهى حينئذ للروم ومعهم بنو نمير من العرب فقاتلهم ومعه مائتا فارس فهزمهم ونهبهم ونهب بلاد الروم فأرسل ملك الروم رسولا الى القائم بأمر الله يسأله الصلح فأرسل الى الب ارسلان فى ذلك فصالح الروم على مائة ألف دينار وأربعة آلاف ثوب أصنافا وثلثمائة رأس بغالا فشتان بين الحالتين وأقول شتان بين حال أولئك المرذولين الذين استعجزهم وبين حال الناس فى زماننا هذا وهو سنة ست عشرة وستمائة مع الفرنج أيضا والتتر وسترى ذلك مشروحا ان شاء الله تعالى لتعلم الفرق نسأل الله تعالى ان ييسر للاسلام وأهله قائما يقوم بنصرهم وان يدفع عنهم بمن أحب من خلقه وماذلك على الله بعزيز

مثلها مثل حفرها العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز فانها حفرتها ومهدت الطريق لمائها فى كل خفض ورفع وسهل وجبل ووعر حتى أخرجتها من مسافة اثنى عشر ميلا الى مكة فكان جملة ما أنفق عليها مما ذكر وأحصى ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وما قدمت ذكره من المصانع والدور والبرك والآبار بالحجاز والثغور وانفاقها الالوف على ذلك دون ما كان فى وقتها من البذل وما عم أهل الفاقة من المعروف والخصب وأما الوجه الثانى مما تتباهى به الملوك فى أعمالهم وينعمون به فى أيامهم ويصونون به دولهم ويدون فى أفعالهم وسيرهم فهو أنها أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر وصنع لها الرفيع من الوشى حتى بلغ الثوب من الوشى الذى اتخذ لها خمسين ألف دينار وهى أول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجوارى يختلفون على الدواب فى جهاتها ويذهبون فى حوائجها برسائلها وكتبها وأول من اتخذ القباب الفضة والابنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشى والسمور والديباج وأنواع الحرير من الاحمر والاصفر والاخضر والازرق واتخذت الخفاف المرصعة بالجوهر وشمع العنبر وتشبه الناس فى سائر أفعالهم بأم جعفر ولما أفضى الامر الى ولدها أمير المؤمنين قدم الخدم

﴿ذكر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ورد الى بغداد انسان من الملثمين ملوك الغرب قاصدا الى دار الخلافة فأكرم وكان معه انسان يقال له الفقيه من الملثمين أيضا فوعظ الفقيه فى جامع القصر واجتمع له العالم العظيم وكان يعظ وهو متلثم لا يظهر منه غير عينيه وكان هذا الملثم قد حضر مع ابن الافضل أمير الجيوش بمصر وقعته مع الفرنج وأبلى بلاء حسنا وكان سبب مجيئه الى بغداد ان المغاربة كانوا يعتقدون فى العلويين أصحاب مصر الاعتقاد القبيح فكانوا اذا أرادوا الحج يعدلون عن مصر وكان أمير الجيوش بدر والد الافضل أراد اصلاحهم فلم يميلوا اليه ولا قاربوه فأمر بقتل من ظفر به منهم فلما ولى ابنه الافضل أحسن اليهم واستمال من قاربه منهم على حرب الفرنج وكان هذا من جملة من قاتل معه فلما خالط المصريين خاف العود الى بلاده فقدم بغداد ثم عاد الى دمشق ولم يكن للمصريين حرب مع الفرنج الا وشهدها فقتل فى بعضها شهيدا وكان شجاعا فاتكا مقداما وفيها فى ربيع الآخر ظهر كوكب فى السماء له ذؤابة كقوس قزح آخذة من المغرب الى وسط السماء وكان يرى قريبا من الشمس قبل ظهوره ليلا وبقى يظهر عدة ليال ثم غاب وفيها وصل الملك قلج ارسلان ابن سليمان بن قتلمش صاحب بلاد الروم الى الرها يحصرها وبها الفرنج فراسله أصحاب جكرمش المقيمون بحران ليسلموها اليه فسار اليهم وتسلم البلد وفرح به الناس لاجل جهاد الفرنج فأقام بحران أياما ومرض مرضا شديدا أوجب عوده الى ملطية فعاد مريضا وبقى أصحابه بحران وفى هذه السنة توفى الشيخ أبو منصور الخياط المقرى امام مسجد ابن جردة وكان خيرا صالحا وفيها قتل القاضى أبو العلاء صاعد بن أبى محمد النيسابورى الحنفى بجامع اصبهان قتله باطنى وفيها توفى أبو الفوارس الحسين بن على بن الحسين بن الخازن صاحب الخط الجيد وعمره سبعون سنة قيل انه كتب خمسمائة ختمة وفيها فى المحرم توفى القاضى أبو الفرج عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة وله ثلاث وثمانون سنة وكان من الفقهاء الشافعية المشهورين تفقه على الماوردى وأبى اسحق وأخذ النحو عن الرقى والدهان وابن برهان وكان عفيفا مقدما عند الخلفاء والسلاطين وفيها فى المحرم توفى سهل بن أحمد بن على الارغيانى أبو الفتح الحاكم تفقه على الجوينى وبرز ثم ترك المناظرة وبنى رباطا واشتغل بالعبادة وقراءة القرآن وفيها فى صفر توفى الامير مهارش بن مجلى وله نحو ثمانين سنة وهو الذى كان الخليفة القائم عنده بالحديثة وكان كثير الصلاة والصوم يحب الخير وأهله ولما توفى ملك الحديثة بعده ابنه سليمان

﴿ثم دخلت سنة خمسمائة﴾

﴿ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه على﴾

فى هذه السنة توفى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك الغرب والاندلس وكان حسن السيرة خيرا عادلا يميل الى أهل الدين والعلم ويكرمهم ويصدر عن رأيهم ولما ملك الاندلس على ماذكرناه جمع الفقهاء وأحسن اليهم فقالوا له ينبغى ان تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافة فأرسل الى الخليفة المستظهر بالله أمير المؤمنين رسولا ومعه هدية كثيرة وكتب معه كتابا يذكر مافتح الله من بلاد الفرنج وما اعتمده من نصرة الاسلام ويطلب تقليدا بولاية البلاد فكتب له تقليد من ديوان الخلافة بما أراد ولقب أمير المسلمين وسيرت اليه الخلع فسر بذلك سرورا كثيرا وهو الذى بنى مدينة مراكش للمرابطين وبقى على ملكه الى خمسمائة فتوفى وملك بعده البلاد

وآثرهم ورفع منازلهم ككوثر وغيره من خدمه فلما رأت أم جعفر شدة شغفه بالخدم واشتغاله بهم اتخذت الجوارى المقدودات الحسان الوجوه وعممت رؤسهن وجعلت لهن الطرر والاصداغ والاقفية وألبستهن الاقبية والقراطق والمناطق فبانت قدودهن وبرزت أردافهن وبعثت بهن اليه فاختلفن فى يديه فاستحسنهن واجتذبن قلبه اليهن وأبرزهن للناس من الخاصة والعامة واتخذ الناس من الخاصة والعامة الجوارى المطمومات وألبسوهن الاقبية والمناطق وسموهن الغلاميات فلما سمع القاهر ذلك الوصف ذهب به الفرح والطرب والسرور ونادى بأعلى صوته ياغلام قدح على وصف الغلاميات فبادر اليه جوار كثيرة تذهن واحد توهمتهن غلمانا بالقراطق والاقبية والطرر والاقفية ومناطق الذهب والفضة فأخذ الكأس بيده فأقبلت أتأمل صفاء جوهر الكأس ونورية الشراب وشعاعه وحسن أولئك الجوارى والحربة بين يديه وأسرع فى شربه فقال هيه فقلت نعم ياأمير المؤمنين ثم أفضى الامر الى المأمون فكان فى بدء أمره لما غلب عليه الفضل ابن سهل وغيره يستعمل النظر فى احكام النجوم وقضاياها وينقاد الى موجباتها ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كاردشير بن بابك

ولده على بن يوسف وتلقب أيضا أمير المسلمين فازداد فى اكرام العلماء والوقوف عند اشارتهم وكان اذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة ولان قلبه لها وظهر ذلك عليه وكان يوسف بن تاشفين حليما كريما دينا خيرا يحب أهل العلم والدين ويحكمهم فى بلاده وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين وتمنى الآخر زوجته النفزاوية وكانت من أحسن النساء ولها الحكم فى بلاده فبلغه الخبر فاحضرهم وأعطى متمنى المال ألف دينار واستعمل الآخر وقال للذى تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا الذى لا تصل اليه ثم أرسله اليها فتركته فى خيمة ثلاثة أيام تحمل اليه كل يوم طعاما واحدا ثم أحضرته وقالت له ما أكلت هذه الايام قال طعاما واحدا فقالت كل النساء شئ واحد وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته

﴿ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك﴾

فى هذه السنة قتل فخر الملك أبو المظفر على بن نظام الملك يوم عاشوراء وكان أكبر أولاده وقد ذكرنا سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وزارته للسلطان بركيارق فلما فارق وزارته قصد نيسابور وأقام عند الملك سنجر بن ملكشاه ووزر له وأصبح يوم عاشوراء صائما وقال لاصحابه رأيت الليلة فى المنام الحسين بن على عليه السلام وهو يقول عجل الينا وليكن افطارك عندنا وقد اشتغل فكرى به ولا محيد عن قضاء الله وقدره وقالوا له يحميك الله والصواب ان لا تخرج اليوم والليلة من دارك فاقام يومه يصلى ويقرأ القرآن وتصدق بشئ كثير فلما كان وقت العصر خرج من الدار التى كان بها يريد دار النساء فسمع صياح متظلم شديد الحرقة وهو يقول ذهب المسلمون فلم يبق من يكشف مظلمة ولا يأخذ بيد ملهوف فاحضره عنده رحمة له فحضر فقال ما حالك فدفع اليه رقعة فبينما فخر الملك يتأملها اذ ضربه بسكين فقضى عليه فمات فحمل الباطنى الى سنجر فقرره فاقر على جماعة من أصحاب السلطان كذبا وقال انهم وضعونى على قتله وأراد ان يقتل بيده وسعايته فقتل من ذكر وكان مكذوبا عليهم ثم قتل الباطنى بعدهم وكان عمر فخر الملك ستا وستين سنة

﴿ذكر ملك صدقة بن مزيد تكريت﴾

فى هذه السنة فى صفر تسلم الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد قلعة تكريت وقد ذكرنا فيما تقدم انها كانت لبنى مقن العقيليين وكانت الى آخر سنة سبع وعشرين واربعمائة بيد رافع ابن الحسين بن مقن فمات ووليها ابن أخيه أبو منعة خميس بن تغلب بن حماد ووجد بها خمسمائة ألف دينار سوى المصاغ وتوفى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ووليها ولده أبو غشام فلما كان سنة أربع وأربعين وثب عليه عيسى فحبسه وملك القلعة والاموال فلما اجتاز به طغرلبك سنة ثمان وأربعين صالحه على بعض المال فرحل عنه وخافت زوجته أميرة بعد موته أن يعود أبو غشام يملك القلعة فقتلته وكان قد بقى فى الحبس أربع سنين واستنابت فى القلعة أبا الغنائم بن المحلبان فسلمها الى أصحاب السلطان طغرلبك فسارت الى الموصل فقتلها ابن أبى غشام بابيه وأخذ شرف الدولة مسلم بن قريش مالها ورد طغرلبك أمر القلعة الى انسان يعرف بابى العباس الرازى فمات بها بعد ستة أشهر فملكها المهرباط وهو أبو جعفر محمد بن أحمد بن خشنام من بلد الثغر فاقام بها احدى وعشرين سنة ومات ووليها ابنه سنتين وأخذتها منه تركان خاتون ووليها لها كوهرآيين ثم ملكها بعد وفاة ملكشاه قسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب فلما قتل صارت للامير كمشتكين الجاندار فجعل فيها رجلا يعرف بابى المصارع ثم عادت الى كوهرآيين اقطاعا ثم أخذها منه مجد

واجتهد فى قراءة الكتب القديمة وأمعن فى درسها وواظب على قراءتها فافتتن فى فهمها وبلغ درايتها فلما كان من الفضل بن سهل ذى الرياستين ما اشتهر وقدم العراق فانصرف عن ذلك كله وأظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد وجالس المتكلمين وقرب اليه كثيرا من الجدليين والنظارين كابى الهذيل وأبى اسحق ابراهيم بن سيار النظام وغيرهم ممن وافقهم وخالفهم وألزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الادباء وأقدمهم من الامصار وأجرى عليهم الارزاق فرغب الناس فى صنعة النظر وتعلموا البحث والجدل ووضع كل فريق منهم كتبا ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله وكان أكثر الناس عفوا وأشدهم احتمالا وأحسنهم مقدرة وأجودهم بالمال الرغيب وأبذلهم للعطايا وأبعدهم من التسافه واتبعه وزراؤه وأصحابه فى فعله وسلكوا سبيله وذهبوا مذهبه ثم المعتصم فانه يا أمير المؤمنين سلك فى النحلة رأى أخيه المأمون وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بالملوك الاعاجم فى الآلة ولبس القلانس والشاشيات فلبسها الناس اقتداء بفعله وائتماما به فسميت المعتصميات وعم الناس افضاله وأمنت به السبل فى أيامه وشمل احسانه ثم هرون بن محمد الواثق فانه اتبع ديانة أبيه وعمه وعاقب المخالف وامتحن الناس وكثر مغرمه وفه وأمر القضاة

الملك البلاسانى فولى فيها كيقباذ بن هزارسب الديلمى فاقام بها اثنتى عشرة سنة فظلم أهلها وأساء السيرة فلما اجتاز به سقمان بن ارتق سنة ست وتسعين ونهبها كان كيقباذ ينهبها ليلا وسقمان ينهبها نهارا فلما استقر السلطان محمد بعد موت أخيه بركيارق اقطعها للامير آقسنقر البرسقى شحنة بغداد فسار اليها وحصرها مدة تزيد على سبعة أشهر حتى ضاق على كيقباذ الامر فراسل صدقة بن مزيد ليسلمها اليه فسار اليها فى صفر هذه السنة وتسلمها منه وانحدر البرسقى ولم يملكها ومات كيقباذ بعد نزوله من القلعة بثمانية أيام وكان عمره ستين سنة واستناب صدقة بها ورام بن أبى فراس بن ورام وكان كيقباذ ينسب الى الباطنية وكان موته من سعادة صدقة فانه لو أقام عنده لعرض صدقة لظنون الناس فى اعتقاده ومذهبه

﴿ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول كانت حرب بين عبادة وخفاجة ظفرت عبادة وأخذت بثارها من خفاجة وكان سبب ذلك ان سيف الدولة صدقة أرسل ولده بدران فى جيش الى طرف بلاده مما يلى البطيحة ليحميها من خفاجة لانهم يؤذون أهل تلك النواحى فقربوا منه وتهددوا أهل البلاد فكتب الى أبيه يشكو منهم ويعرفه حالهم فاحضر عبادة وكانت خفاجة قد فعلت بهم العام الماضى ما ذكرناه فلما حضروا عنده قال لهم ليتجهزوا مع عسكره ليأخذوا بثارهم من خفاجة فسار وافى مقدم عسكره فادركوا حلة من خفاجة من بنى كليب ليلا وهم غارون لم يشعروا به فقالوا من أنتم فقالت عبادة نحن أصحاب لديون فعلموا أنهم عبادة فقاتلوهم وصبرت خفاجة فبينماهم فى القتال اذ سمع طبل الجيش فانهزموا وقتلت منهم عبادة جماعة وكان فيهم عشرة من وجوههم وتركوا حرمهم فامر صدقة بحراستهن وحمايتهن وأمر العسكر ان يؤثروا عبادة بما غنموه من أموال خفاجة خلفا لهم عما أخذ منهم فى العام الماضى وأصاب خفاجة من مفارقة بلادها ونهب أموالها وقتل رجالها أمر عظيم وانتزحت الى نواحى البصرة وأقامت عبادة فى بلاد خفاجة ولما انهزمت خفاجة وتفرقت ونهبت أموالها جاءت امرأة منهم الى الامير صدقة فقالت له انك سبيتنا وسلبتنا قوتنا وغربتنا وأضعت حرمتنا فابلاك الله فى نفسك وجعل صورة أهلك كصورتنا فكظم الغيظ واحتمل لها ذلك وأعطاها أربعين جملا ولم يمض غير قليل حتى قابل الله صدقة فى نفسه وأولاده فان دعاء الملهوف عند الله بمكان

﴿ذكر مسير جاولى سقاو الى الموصل وأسر صاحبها جكرمش﴾

فى هذه السنة فى المحرم اقطع السلطان محمد جاولى سقاو الموصل والاعمال التى بيد جكرمش وكان جاولى قبل هذا قد استولى على البلاد التى بين خوزستان وفارس وأقام بها سنين وعمر قلاعها وحصنها وأساء السيرة فى أهلها وقطع أيديهم وجدع أنوفهم وسمل أعينهم فلما تمكن السلطان محمد من السلطنة خافه جاولى وأرسل السلطان اليه الامير مودود بن التونتكين فتحصن منه جاولى وحصره مودود ثمانية أشهر فارسل جاولى الى السلطان انى لا أنزل الى مودود فان أرسلت غيره نزلت فارسل اليه خاتمه مع أمير آخر فنزل جاولى وحضر الخدمة باصبهان فرأى من السلطان ما يحب وأمره السلطان بالمسير الى الفرنج ليأخذ البلاد منهم واقطعه الموصل وديار بكر والجزيرة كلها وكان جكرمش لما عاد من عند السلطان الى بلاده كما ذكرناه وعد من نفسه الخدمة وحمل المال فلما استقر ببلاده لم يف بما قال وتثاقل فى الخدمة وحمل المال فاقطع بلاده لجاولى فجاء الى بغداد وأقام بها الى أول ربيع الاول وسار الى الموصل وجعل

فى سائر الامصار أن لا يقبلوا شهادة من خالفه وكان كثير الاكل واسع العطاء سهل الانقياد متحببا الى رعيته ثم المتوكل يا أمير المؤمنين فانه خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد ونهى عن الجدل والمناظرة فى الآراء وعاقب عليه وأمر بالتقليد وأظهر الرواية للحديث فحسنت أيامه وانتظمت دولته ودام ملكه وغير ذلك يا أمير المؤمنين مما اشتهر من أخلاقه قال القاهر قد سمعت كلامك وكأنى مشاهد للقوم على ما وصفت معاين لهم فيما ذكرت ولقد سرنى ما سمعت منك ولقد فتحت أبواب السياسة وأخبرت عن طرق الرياسة ثم أمر لى بجائزة عجل لى عطاءها فى وقتها ثم قال لى اذا شئت فقم فقمت وقام على أثرى بحربته فخيل والله لى أن يرمينى بها من ورائى ثم عطف نحو دار الحرم فامضت الأيام يسيرة حتى كان من أمره ما ظهر (قال المسعودى) وهذا الرجل الذى أخبرت عنه بهذا الحديث له أخبار حسان وهو حى يرزق الى هذه الغاية وهى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة مداحا للملوك شاعرا لاهل الرياسات حسن الفهم جيد الرأى (وفى خلافة القاهر بالله) وهى سنة احدى وعشرين وثلثمائة كانت وفاة أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد ببغداد وكان ممن قد برع فى زماننا هذا فى الشعر وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها

وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين وكان يذهب في الشعر كل مذهب فطورا يجزل وطورا يرق وشعره أكثر

طريقه على البوازيج فلكها ونهبها أربعة أيام بعد ان أمن أهلها وحلف لهم انه يحميهم فلما ملكها سار الى اربل واما جكرمش فانه لما بلغه مسيره الى بلاده كتب في جمع العساكر فاتاه كتاب أبي الهيجاء بن موسك الكردي الهذباني صاحب اربل يذكر استيلاء جاولي على البوازيج ويقول له ان لم تعجل المجيء لنجتمع عليه وعلى غنمه والا اضطررت الى موافقته والمسير معه فبادر جكرمش وعبر الى شرقي دجلة وسار في عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره وأرسل اليه أبو الهيجاء عسكره مع أولاده فاجتمعوا بقرية باكلبا من اعمال اربل ووافاهم جاولي وهو في ألف فارس وكان جكرمش في ألفي فارس ولا يشك انه يأخذ جاولي باليد فلما اصطفوا للحرب حمل جاولي من القلب على قلب جكرمش فانهزم من فيه وبقي جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به فهو لا يقدر يركب وانما يحمل في محفة فلما انهزم أصحابه قاتل عنه ركابي أسود قتالا عظيما فقتل وقاتل معه واحد من أولاد الملك قاورت بك بن داود اسمه أحمد فقاتل بين يديه فطعن فجرح وانهزم فمات بالموصل ولم يقدر أصحاب جاولي على الوصول الى جكرمش حتى قتل الركابي الاسود فحينئذ أخذوه أسيرا وأحضروه عند جاولي فامر بحفظه وحراسته وكانت عساكر جكرمش التي استدعاها قد وصلت الى الموصل بعد مسيره بيومين فسار واجراً لبدركوا الحرب فلقيهم المنهزمون ليقضي الله أمرا كان مفعولا

﴿ذكر حصر جاولي سقاو والموصل وموت جكرمش﴾

لما انهزم العسكر وأسر جكرمش وصل الخبر الى الموصل فاقعد وافي الامر زنكي بن جكرمش وهو صبي عمره احدى عشرة سنة وخطبوا له واحضروا اعيان البلد والتمسوا منهم المساعدة فاجابوا الى ذلك وكان مستحفظ القلعة مملوكا لجكرمش اسمه غزغلي فقام في ذلك المقام المرضي وفرق الاموال التي جمعها جكرمش والخيول وغير ذلك على الجند وكتب سيف الدولة صدقة وقلج ارسلان والبرسقي شحنة بغداد بالمبادرة اليهم ومنع جاولي عنهم ووعدوا كلا منهم ان يسلموا البلد اليه فاما صدقة فلم يجبهم الى ذلك ورأى طاعة السلطان واما البرسقي وقلج ارسلان فنذكر حالهما ثم ان جاولي حصر الموصل ومعه كرماوي بن خراسان التركماني وغيره من الامراء وكثر جمعه وأمر ان يحمل جكرمش كل يوم على بغل وينادي أصحابه بالموصل ليسلموا البلد ويخلصوا صاحبهم مما هو فيه ويأمرهم بذلك فلا يسمعون منه وكان يسجنه في جب ويوكل به من يحفظه لئلا يسرق فاخرج في بعض الايام ميتا وعمره نحو ستين سنة وكان شأنه قد علا ومنزلته قد عظمت وكان قد شيد سور الموصل وقواه وبنى عليها فصيلا وحفر خندقها وحصنها غاية ما يقدر عليه وكان مع جكرمش رجل من أعيان الموصل يقال له أبو طالب بن كسيرات وبنو كسيرات الى الآن بالموصل من أعيان أهلها وكان أبو طالب قد تقدم عند جكرمش وارتفعت منزلته واستولى على أموره وحضر معه الحرب فلما أسر جكرمش هرب أبو طالب الى اربل وكان أولاد أبي الهيجاء صاحب اربل قد حضروا الحرب مع جكرمش واسرهم جاولي فارسل الى أبي الهيجاء يطلب ابن كسيرات فاطلقه وسيره اليه فاطلق جاولي ابن أبي الهيجاء فلما حضر ابن كسيرات عند جاولي ضمن له فتح الموصل وبلاد جكرمش وتحصيل الاموال فاعتقله اعتقالا جميلا وكان قاضي الموصل أبو القاسم بن ودعان عدوا لابي طالب فارسل الى جاولي يقول له ان قتلت أبا طالب سلمت الموصل اليك فقتله وأرسل رأسه اليه فاظهر الشماتة به وأخذ كثيرا من أمواله وودائعه فثار به الاتراك غضبا لابي طالب ولتفرده بما أخذ من أمواله فقتلوه وكان بينهما شهر واحد وقد رأينا كثيرا وسمعنا

من أن نحصيه أو يأتي عليه كتابنا هذا فمن جيد شعره قصيدته المقصورة وأولها

أما ترى رأسي حاكى لونه
طرة صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيض في مسودّه
مثل اشتعال النار في جزل الغضى

(ومنها)

ان الجديدين اذا ما استوليا
على جديد أدنياه للبلى
لست اذا ما أنهضتني غمرة
ممن يقول بلغ السيل الربى

(ومنها)

وان ثوت بين ضلوعي زفرة
تملا ما بين الرحا الى الرحا

وقد عارضه في هذه القصيدة المقصورة جماعة من الشعراء منهم أبو القاسم علي بن محمد بن داود بن الفهم التنوخي الانطاكي وهو في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بالبصرة في جملة اليزيديين وأول قصيدته المقصورة التي يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة

لولا انتهائي لم أطع نهى الهوى
مدى الصبا نطلب من حاز المدى
ان كنت أقصرت فما أقصر قلـ
ـب داميا ترميه ألحاظ الدمى
ومقلة ان مقلت أهل الغضا
أغضت وفي أجفانها جمر الغضى

(وفيها يقول)

وكم ظباء رعيها ألحاظها * أسرع في الانفس من حد الظبى
ما أسرع من حرف الى جرومن * حب الى حبة قلب وحشى

 فصاعد من ملك ابن جبير * ما بعده للراتقين مرتقا

مالا نحصيه من قرب وفاة أحد المتعادين بعد صاحبه

﴿ذكر الحرب بين ملك القسطنطينية والفرنج﴾

في هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم صاحب القسطنطينية وبين بيمند الفرنجي فسار بيمند الى بلد ملك الروم ونهبه وعزم على قصده فأرسل ملك الروم الى الملك قلج ارسلان بن سليمان صاحب قونية واقصرا وغيرهما من تلك البلاد يستنجده فامده بجمع من عسكره فقوي بهم وتوجه الى بيمند فالتقوا وتصافوا واقتتلوا وصبر الفرنج بشجاعتهم وصبر الروم ومن معهم لكثرتهم ودامت الحرب ثم أجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج وأتى القتل على أكثرهم وأسر كثير منهم والذين سلموا عادوا الى بلادهم بالشام وعاد عسكر قلج ارسلان الى بلادهم عازمين على المسير الى صاحبهم بديار الجزيرة فأتاهم خبر قتله على ما نذكره ان شاء الله تعالى فتركوا الحركة وأقاموا

﴿ذكر ملك قلج ارسلان الموصل﴾

قد ذكرنا ان أصحاب جكرمش كتبوا الى الامير صدقة وقسيم الدولة البرسقي والملك قلج ارسلان ابن سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب بلاد الروم يستدعون كلا منهم اليهم ليسلموا البلد اليه فاما صدقة فامتنع ورأى طاعة السلطان وأما قلج أرسلان فانه سار في عساكره فلما سمع جاولي سقاو بوصوله الى نصيبين رحل عن الموصل وأما البرسقي فانه كان شحنة بغداد فسار منها الى الموصل فوصلها بعد رحيل جاولي عنها فنزل بالجانب الشرقي فلم يلتفت أحد اليه ولا أرسلوا اليه كلمة واحدة فعاد في باقي يومه ثم ان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين أقام بها حتى كثر جمعه فلما سمع جاولي بقربه رحل من الموصل الى سنجار وأودع رحله بها واتصل به الامير ابا الغازي بن ارتق وجماعة من عسكر جكرمش فصار معه أربعة آلاف فارس فأتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه الى الشام ويقول له ان الفرنج قد عجزوا بالشام عن منعهم فسار الى الرحبة وأرسل أهل الموصل وعسكر جكرمش الى قلج ارسلان وهو بنصيبين استحلفوه لهم فحلف واستحلفهم على الطاعة له والمناصحة وسار معهم الى الموصل فملكها في الخامس والعشرين من رجب ونزل بالمعروفة وخرج اليه ولد جكرمش وأصحابه فخلع عليهم وجلس على التخت وأسقط السلطان محمدا وخطب لنفسه بعد الخليفة وأحسن الى العسكر وأخذ القلعة من غزغلي مملوك جكرمش وجعل له فيها دزدارا ورفع الرسوم المحدثة في الظلم وعدل في الناس وتألفهم وقال من سعى الي بأحد قتلته فلم يسع أحد بأحد وأقر القاضي أبا محمد عبد الله بن القاسم بن الشهرزوري على القضاء بالموصل وجعل الرياسة لابي البركات محمد بن محمد بن خميس وهو ولد شيخنا أبي الربيع سليمان وكان في جملة قلج ارسلان الامير ابراهيم بن ينال التركماني صاحب آمد ومحمد بن جبق التركماني صاحب حصن زياد وهو خرتبرت فاما ابراهيم بن ينال فكان سبب ملكه لمدينة آمد ان تاج الدولة تتش حين ملك ديار بكر سلمها اليه فبقيت بيده وأما محمد بن جبق فكان سبب ملكه لحصن زياد ان هذا الحصن كان بيد الفلادروس الرومي ترجمان ملك الروم وكانت الرها وانطاكية من أعماله فلما ملك سليمان بن قتلمش والد هذا قلج ارسلان انطاكية وملك فخر الدولة بن جهير ديار بكر ضعف الفلادروس عن اقامة ما يحتاج اليه حصن زياد من الميرة والاقامة فأخذه جبق وأسلم الفلادروس على يد السلطان ملكشاه وأمره على الرها فلم يزل عليها حتى مات وأخذها الامير بزان بعده وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر بيد انسان من الروم اسمه افرنجي وكان يقطع

وقد سبق الى المقصورة أبو المقاتل نصر بن نصر الحلواني ابن محمد بن زيد الداعي بطبرستان بقوله

قفا خليليّ على تلك الربى
وسائلاها أين هاتيك الدمى
أين اللواتي ربعت ربوعها
عليك باستنجادها تشفي الجوى

(ولابن ورقاء في المقصورة أيضا)

ماشئت قل هي المهاهي القنا
جواهر يكين أطراف الدمى

وممن تأخر بعد موت ابن دريد العماني أبو عبد الله المفجع وكان كاتبا شاعرا بصيرا بالغريب وهو صاحب الباهليّ المصري الذي كان يناقض ابن دريد فمما جود فيه المفجع قوله

ألا طرب الفؤاد الى ردين
ودون مزارها ذو الحلمتين
ألمّ خيالها وهنا برحلي
فولى رعيه الشرطين عيني

وقد أتينا على ما كان في أيام القاهر مع قصر مدته من الكوائن في الكتاب الاوسط فمنع ذلك من ذكره في هذا الكتاب

(ذكر خلافة الراضي بالله)

وبويع الراضي بالله محمد بن جعفر المقتدر ويكنى أبا العباس يوم الخميس لست خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة فاقام في الخلافة الى أن مضى من ربيع الاول عشرة أيام سنة تسع وعشرين وثلثمائة ومات حتف أنفه بمدينة السلام

الطريق ويكثر قتل المسلمين فأرسل اليه جبق هدية وخطب اليه مودته وان يعين كل واحد منهما صاحبه فأجابه الى ذلك فكان جبق يعين افرنجي على قطع الطريق وغيره وكذلك افرنجي يعين جبق فلما وثق كل واحد بصاحبه أرسل اليه جبق انى أريد قصد بعض الاماكن وطلب ان يرسل اليه أصحابه فأرسلهم اليه فلما ساروا معه فى الطريق تقدم بكتفهم وحملهم الى قلعة افرنجي وقال لاهليهم والله لئن لم تسلموا الى افرنجي لاضربن أعناقهم ولا آخذن الحصن عنوة ولاقتلنكم على دم واحد ففتحوا له الحصن وسلموا اليه افرنجي فسلخه وأخذ أمواله وسلاحه وكان عظيما ومات جبق فولى بعده ابنه محمد

﴿ذكر قتل قلج أرسلان وملك جاولى الموصل﴾

قد ذكرنا ان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين سار جاولى عن الموصل الى سنجار ثم الى الرحبة فوصلها فى رجب وحصرها الى الرابع والعشرين من شهر رمضان وكان صاحبها حينئذ يعرف بمحمد بن السباق وهو من بنى شيبان رتبه بها الملك دقاق لما فتحها وأخذ ولده رهينة وحمله معه الى دمشق فلما توفى أرسل هذا الشيبانى قوما سرقوا ولده وحملوه اليه فلما وصل اليه خلع الطاعة للدمشقيين وخطب فى بعض الاوقات لقلج ارسلان فلما وصل اليها جاولى وحصرها أرسل الى الملك رضوان يعرفه انه على الاجتماع به ومساعدته على من يحاربه ويشرط عليه انه اذا تسلم البلاد سار معه ليكشف الفرنج عن بلاده فلما استقرت القاعدة بينهما حضر عنده رضوان فاشتد الحصار على أهل البلد وضاقت عليهم الامور واتفق جماعة كانوا بأحد الابراج وأرسلوا الى جاولى واستحلفوه على حفظهم وحراستهم وأمروه ان يقصد البرج الذى هم فيه عند انتصاف الليل ففعل ذلك فرفع من فى البرج أصحابه اليهم فى الحبال فضربوا بوقاتهم وطبولهم فخذل من فى البلد ودخله أصحاب جاولى فى اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان ونهبوه الى الظهر ثم أمر برفع النهب ونزل اليه محمد الشيبانى صاحب البلد وأطاعه وصار معه ثم ان قلج ارسلان لما فرغ من أمر الموصل سار عنها الى جاولى ليحاربه وجعل ابنه ملكشاه فى دار الامارة وعمره احدى عشرة سنة ومعه أمير يدبره وجماعة من العسكر وكانت عدة عسكره أربعة آلاف فارس بالعدة الكاملة والخيل الجيدة وسمع العسكر بقوة جاولى فاختلفوا وكان أول من خالف عليه ابراهيم بن ينال صاحب آمد فانه فارق خيامه وأثقاله وعاد من الخابور الى بلده وكذلك غيره وعمل قلج ارسلان على المطاولة لما بلغه من قوة جاولى وكثرة جموعه وأرسل الى بلاده يطلب عساكره لانها كانت عند ملك الروم نجدة له على قتال الفرنج كما ذكرناه فلما وصل الى الخابور بلغت عدته خمسة آلاف وكان مع جاولى أربعة آلاف من جملتهم الملك رضوان وجماعة من عسكره الا ان شجعانه أكثر واغتنم جاولى قلة عسكر قلج ارسلان فقاتله قبل وصول عساكره اليه فالتقوا فى العشرين من ذى القعدة فحمل قلج ارسلان على القوم بنفسه حتى خالطهم فضرب يد صاحب العلم فأبانها ووصل الى جاولى بنفسه فضربه بالسيف فقطع الكزاغند ولم يصل الى بدنه وحمل أصحاب جاولى على أصحابه فهزموهم واستباحوا أثقالهم وسوادهم فلما رأى قلج ارسلان انهزام عسكره علم انه ان أسر فعل به فعل من لم يترك للصلح موضعا لاسيما وقد نازع السلطان فى بلاده واسم السلطنة فالقى نفسه فى الخابور وحمى نفسه من أصحاب جاولى بالنشاب فانحدر به الفرس الى ماء عميق فغرق وظهر بعد أيام فدفن بالشمسانية وهى من قرى الخابور وسار جاولى الى الموصل ولما وصل اليها فتح أهلها له بابها ولم يتمكن من بها من أصحاب قلج

ارسلان

وكانت خلافته ست سنين وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام وأمه أم ولد يقال لها ظلوم ﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

واستوزر الراضى أبا على محمد بن على بن مقلة ثم استوزر أبا على عبد الرحمن ابن عيسى بن داود ابن الجراح ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى ثم أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد ثم أبا الفتح الفضل بن جعفر ابن الفرات ثم أبا عبد الرحمن ابن محمد اليزيدى وكان الراضى أديبا شاعرا ظريفا وله اشعار حسان فى معان مختلفة ان لم يكن ضاهى بها ابن المعتز فما نقص عنه فمن ذلك قوله فى حاله وحال معشوقه اذا التقيا

يصفر وجهى اذا تأمله
طرفى ويحمر وجهه خجلا
حتى كأن الذى بوجنته
من دم وجهى اليه قد نقلا

(ومن جيد شعره قوله)

يارب ليل قد ناح زاره
يسترنى ومؤنسى أزراره
ساق مليح القد كدجاره
سراجه ووجهه مناره
يشهد لى ببذله زناره
تاه بخد ظهر احمراره
ماس مع الخمرة جلناره
أى كثيب قد حوى ازاره
وأى نور ضمنت أزراره
طوع الكؤس غره عذاره
اخفاؤه تعتاده امراؤه
لا كان لهو لم يثر غباره

(وقد كان) أبو بكر الصولى يروى كثيرا من أشعار الراضى ويذكر حسن أخلاقه وجميل أخباره وارتياضه بالعلم وفنون

ارسلان من منعهم ونزل بظاهر البلد وأخذ كل واحد من أصحاب جكرمش الذى حضر الوقعة مع قلج ارسلان الى جهة فلما ملك جاولى الموصل أعاد خطبة السلطان محمد وصادر جماعة من بها من أصحاب جكرمش وسار الى جزيرة ابن عمر وبها حبشى بن جكرمش ومعه أمير من غلمان أبيه اسمه غزغلى فحصره مدة ثم انهم صالحوه وحملوا اليه ستة آلاف دينار وغيرها من الدواب والثياب ورحل عنهم الى الموصل وأرسل ملكشاه بن قلج ارسلان الى السلطان محمد

﴿ذكر أحوال الباطنية باصبهان وقتل ابن عطاش﴾

فى هذه السنة ملك السلطان محمد القلعة التى كان الباطنية ملكوها بالقرب من أصبهان واسمها شاهدز وقتل صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش وولده وكانت هذه القلعة قد بناها ملكشاه واستولى عليها بعده أحمد بن عبد الملك بن عطاش وسبب ذلك انه اتصل بدزدار كان لها فلما مات استولى أحمد عليها وكان الباطنية باصبهان قد ألبسوه تاجا وجمعوا له أموالا وانما فعلوا ذلك به لتقدم أبيه عبد الملك فى مذهبهم فانه كان أديبا بليغا حسن الخط سريع البديهة عفيفا وابتلى بحب هذا المذهب وكان هذا ابنه أحمد جاهلا لا يعرف شيأ وقيل لابن الصباح صاحب قلعة الموت لماذا تعظم ابن عطاش مع جهله قال لمكان أبيه لانه كان أستاذى وصار لابن عطاش عدد كثير وبأس شديد واستفحل أمره بالقلعة فكان يرسل أصحابه لقطع الطريق وأخذ الاموال وقتل من قدروا على قتله فقتلوا خلقا كثيرا لا يمكن احصاؤهم وجعلوا له على القرى السلطانية وأملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنها الاذى فتعذر بذلك انتفاع السلطان بقراه والناس بأملاكهم وتمشى لهم الامر بالخلف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد فلما صفت السلطنة لمحمد ولم يبق له منازع لم يكن عنده أمر أهم من قصد الباطنية وحربهم والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم فرأى البداية بقلعة اصبهان التى بأيديهم لان الاذى بها أكثر وهى متسلطة على سرير ملكه فخرج بنفسه فحاصرهم فى سادس شعبان وكان قد عزم على الخروج أول رجب فساءه ذلك من يتعصب لهم من العسكر فارجفوا ان قلج ارسلان بن سليمان قد ورد بغداد وملكها واقتعلوا فى ذلك مكاتبات ثم أظهروا ان خللا قد تجدد بخراسان فتوقف السلطان لتحقق الامر فلما ظهر بطلانه عزم عزيمة مثله وقصد حربهم وصعد جبلا يقابل القلعة من غربيها ونصب له التخت فى أعلاه واجتمع له من أصبهان وسوادها لحربهم الامم العظيمة للذحول التى يطالبونهم بها وأحاطوا بجبل القلعة ودوره أربعة فراسخ ورتب الامراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم أمير فضاق الامر بهم واشتد الحصار عليهم وتعذرت عندهم الاقوات فلما اشتد الامر عليهم كتبوا فتوى فيها ما يقول السادة الفقهاء أئمة الدين فى قوم يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وانما يخالفون فى الامام هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم وان يقبل طاعتهم ويحرسهم من كل أذى فاجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك وتوقف بعضهم فجمعوا للمناظرة ومعهم أبو الحسن على بن عبد الرحمن السمنجانى وهو من شيوخ الشافعية فقال بمحضر من الناس يجب قتالهم ولا يجوز اقرارهم بمكانهم ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين فانهم يقال لهم أخبرونا عن امامكم اذا أباح لكم ما حظره الشرع أو حظر عليكم ما أباحه الشرع أتقبلون أمره فانهم يقولون نعم وحينئذ تباح دماؤهم بالاجماع وطالت المناظرة فى ذلك ثم ان الباطنية سألوا السلطان ان يرسل اليهم من يناظرهم وعينوا على أشخاص من العلماء منهم القاضى أبو العلاء صاعد بن يحيى شيخ الحنفية باصبهان وقاضيها وغيره فصعدوا اليهم

الادب واشرافه على علوم المتقدمين وخوضه فى بحار الجدليين من أهل الدراية والمتفلسفين (وذكر) أن الراضى رأى فى بعض متنزهاته بالبوا بستانا مونقا وزهرا رائقا فقال لمن حضر هل رأيتم أحسن من هذا فكل قال أشياء ذهب فيها الى مدحه ووصف محاسنه وانها لا يفى بها شئ من زهرات الدنيا فقال لعب الصولى بالشطرنج والله أحسن من هذا ومن كل ما تصفون (وذكر) أن الصولى فى بدء دخوله الى المكتفى وقد كان ذكر له بجودة لعبه الشطرنج وكان الماوردى اللاعب معجبا بلعبه فلعبا جميعا بحضرة المكتفى فحمل المكتفى حسن رأيه فى الماوردى وتقدم الخدمة والالفة على نصرته وتسميعه حتى أدهش ذلك الصولى فى أول وهلة فلما اتصل اللعب بينهما وجمع له الصولى غايته غلبا لا يكاد يرد عليه شيأ وتبين حسن لعب الصولى للمكتفى فعدل عن هواه ونصره للماوردى وقال له صار ماء وردك بولا (قال المسعودى) وقد تناهى بنا الكلام وتغلغل بنا التصنيف الى جمل من أخبار الشطرنج وما قيل فيها مع ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الاخبار الهند ومبادى اللعب بالشطرنج والنرد واتصال ذلك بالاجسام العلوية والاجرام السماوية فلنذكر جملا مما ذكر فى ذلك مما لم يتقدم

وناظروهم وعادوا كما صعدوا وانما كان قصدهم التعلل والمطاولة فلج حينئذ السلطان في حصرهم فلما رأوا عين المحاقة اذعنوا الى تسليم القلعة على أن يعطوا عوضا عنها قلعة خالنجان وهي على سبعة فراسخ من اصبهان وقالوا انا نخاف على دمائنا وأموالنا من العامة فلا بد من مكان نحتمي به منهم فأشير على السلطان اجابتهم الى ما طلبوا فسألوا ان يؤخرهم الى النوروز ليرحلوا الى خالنجان ويسلموا قلعتهم وشرطوا ان لا يسمع قول متنصح فيهم وان قال أحد عنهم شيأ أسلمه اليهم وان من أتاه منهم رده اليهم فاجابهم اليه وطلبوا ان يحمل اليهم من الاقامة ما يكفيهم يوما بيوم فأجيبوا اليه في كل هذا وقصدهم المطاولة انتظار الفتق ينفتق أو حادث يتجدد ورتب لهم وزير السلطان سعد الملك ما يحمل اليهم كل يوم من الطعام والفاكهة وجميع ما يحتاجون اليه فجعلوا هم يرسلون ويبتاعون من الاطعمة ما يجمعونه ليمتنعوا في قلعتهم ثم انهم وضعوا من أصحابهم من يقتل أميرا كان يبالغ في قتالهم فوثبوا عليه وجرحوه وسلم منهم فحينئذ أمر السلطان باخراب قلعة خالنجان وجدد الحصار عليهم فطلبوا ان ينزل بعضهم ويرسل السلطان معهم من يحميهم الى ان يصلوا الى قلعة الناظر بارجان وهي لهم وينزل بعضهم ويرسل معهم من يوصلهم الى طبس وان يقيم البقية منهم في ضرس من القلعة الى ان يصل اليهم من يخبرهم بوصول أصحابهم فينزلون حينئذ ويرسل معهم من يوصلهم الى ابن الصباح بقلعة ألموت فأجيبوا الى ذلك فنزل منهم الى الناظر والى طبس وساروا وتسلم السلطان القلعة وخربها ثم ان الذين ساروا الى قلعة الناظر وطبس وصل منهم من أخبر ابن عطاش بوصولهم فلم يسلم السن الذي بقي بيده ورأى السلطان منه الغدر والعود عن الذي قرره فأمر بالزحف اليه فزحف الناس عامة ثاني ذي القعدة وكان قد قل عنده من يمنع ويقاتل فظهر منهم صبر عظيم وشجاعة زائدة وكان قد استأمن الى السلطان انسان من أعيانهم فقال لهم اني أدلكم على عورة لهم فأتى بهم الى جانب لذلك السن لهم لا يرام فقال لهم اصعدوا من ههنا فقيل انهم قد ضبطوا هذا المكان وشحنوه بالرجال فقال ان الذي ترون اسلحة وكزاغندات قد جعلوها كهيئة الرجال لقلتهم عندهم وكان جميع من بقي ثمانين رجلا فزحف الناس من هناك فصعدوا منه وملكوا الموضع وقتل أكثر الباطنية واختلط جماعة منهم مع من دخل فخرجوا معهم وأما ابن عطاش فانه أخذ أسيرا فترك أسبوعا ثم انه أمر به فشهر في جميع البلد وسلخ جلده فتجلد حتى مات وحشي جلده تبنا وقتل ولده وحمل رأساهما الى بغداد وألقت زوجته نفسها من رأس القلعة فهلكت وكان معها جواهر نفيسة لم يوجد مثلها فهلكت أيضا وضاعت وكانت مدة البلوى بابن عطاش اثنتي عشرة سنة

﴿ذكر الخلف بين سيف الدولة صدقة ومهذب الدولة صاحب البطيحة﴾

في هذه السنة اختلف سيف الدولة صدقة بن مزيد ومهذب الدولة السعيد بن أبي الجبر صاحب البطيحة وانضاف حماد بن أبي الجبر الى صدقة وأظهر معاداة ابن عمه مهذب الدولة ثم اتفقوا وكان سبب ذلك ان صدقة لما أقطعه السلطان محمد مدينة واسط ضمنها منه مهذب الدولة واستناب في الاعمال أولاده وأصحابه فمدوا أيديهم في الاموال وفرطوا فيها وفرقوها فلما انقضت السنة طالبه صدقة بالمال وحبسه ثم سعى في خلاصه بدران بن صدقة وهو صهر مهذب الدولة فاخرجه من الحبس وأعاده الى بلده البطيحة وضمن حماد بن أبي الجبر واسط فانحل على مهذب الدولة كثير من أمره فآل الامر الى الاختلاف بعد الاتفاق فان المصطنع اسمعيل جد حماد والمختص محمدا والد مهذب الدولة أخوان وهما ابنا أبي الجبر وكانت اليهما رياسة أهلهما

له ذكر فيما سلف من هذا الكتاب وذكر عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه في تفصيل صنعة الكلام وهي الرسالة المعروفة بالهاشمية أن الخليل بن أحمد من أجل احسانه في النحو والعروض وضع كتابا في الايقاع وتراكيب الاصوات وهو لم يعالج وترا قط ولا مس بيده قضيبا قط ولا كثرت مشاهدته للمغنين وكتب كتابا في الكلام ولو جهد كل بليغ في الارض أن يتعمد ذلك الخطا والتعقيد لما وقع له ولو أن ممرورا استغرق قوامرته في الهذيان لما تهيأ له مثل ذلك منه ولا يتأتى مثل ذلك لاحد الا بخذلان الله الذي لا يبقى منه شئ قال الجاحظ ولولا أن أستخف الكتاب وأهجر الرسالة وأخرجها من حد الجد الى الهزل لحكيت صدر كتابه في التوحيد وبعض ما وصفه في العدل قال ولم يرض بذلك حتى عمد الى الشطرنج فزاده في الدولاب جملا فلعبت به أناس من حاشية الشطرنجيين ثم رموا به وقد ذكر الناس ممن سلف وخلف أن جميع الآلات على هيآتها ست صور لم يظهر في اللعب غيرها فأولها آلة المربع المشهورة وهي ثمانية في مثلها ونسبت الى قدماء الهند ثم الآلة المستطيلة وأبياتها أربعة في ستة عشر والامثلة تنصب فيها في أول وهلة في أربعة صفوف من

وجماعتهما فهلك المصطنع وقام ابنه أبو السيد المظفر والد حماد مقامه وهلك المختص محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه وصارا يتنازعان ابن الهيثم صاحب البطيحة ويقاتلانه الى ان أخذه مهذب الدولة أيام كوهرائين وسلمه الى كوهرائين فحمله الى أصبهان فهلك في طريقها فعظم أمر مهذب الدولة وصير كوهرائين أمير البطيحة فصار ابن عمه وجماعته تحت حكمه وكان حماد شابا فاكرمه مهذب الدولة وزوجه بنتا له وزاد في اقطاعه فكثر ماله فصار يحسد مهذب الدولة ويضمر بغضه وربما ظهر في بعض الاوقات وكان مهذب الدولة يداريه بجهده فلما هلك كوهرائين انتقل حماد عن مهذب الدولة وأظهر ما في نفسه فاجتهد مهذب الدولة في اعادته الى ما كان فلم يفعل فسكت عنه فجمع النفيس بن مهذب الدولة جمعا وقصد حمادا فهرب منه الى سيف الدولة بالحلة فاعاده صدقة ومعه جماعة من الجند فحشد مهذب الدولة فارسل حماد الى صدقة يعرفه ذلك فارسل اليه كثيرا من الجند فقوي عزم مهذب الدولة على المحاربة لئلا يظن به العجز فاشار عليه أهله بترك الخروج من موضعه لحصانته فلم يفعل وسير سفنه وأصحابه في الانهر فجعل حماد وأخوه له الكمناء واندفعوا من بين أيديهم فطمع أصحاب مهذب الدولة وتبعوهم فخرج عليهم الكمناء فلم يسلم منهم الا من لم يحضر أجله فقتل منهم وأسر خلق كثير فقوي طمع حماد وأرسل الى صدقة يستنجده فارسل اليه مقدم جيشه سعيد بن حميد العمري وغيره من المقدمين وجمعوا السفن ليقاتلوا مهذب الدولة فرأوا أمرا محكما فلم يمكنهم الدخول اليه وكان حماد بخيلا ومهذب الدولة جوادا فارسل الى سعيد بن حميد الاقامات الوافرة والصلات الكثيرة واستماله فمال اليه واجتمع به وتقرر الامر على ان أرسل مهذب الدولة ابنه النفيس الى صدقة فرضي عنه وأصلح بينهم وبين حماد ابن عمهم وعادوا الى حال حسنة من الاتفاق وكان صلحهم في ذي الحجة سنة خمسمائة

﴿ذكر قتل وزير السلطان ووزارة أحمد بن نظام الملك﴾

في شوال من هذه السنة قبض السلطان محمد على وزيره سعد الملك أبي المحاسن وأخذ ماله وصلبه على باب أصبهان وصلب معه أربعة نفر من أعيان أصحابه والمنتمين اليه أما الوزير فنسب الى خيانة السلطان وأما الاربعة فنسبوا الى اعتقاد الباطنية وكانت مدة وزارته سنتين وتسعة أشهر وكان في ابتداء حاله يصحب تاج الملك أبا الغنائم وتعطل بعده ثم استعمله مؤيد الملك بن نظام الملك فجعله على ديوان الاستيفاء وخدم السلطان محمدا لما حصره أخوه السلطان بركيارق باصبهان خدمة حسنة ولما فارقها محمد حفظها الحفظ التام وقام المقام العظيم فاستوزره محمد ووسع له في الاقطاع وحكمه في دولته ثم نكبه وهذا آخر خدمة الملوك وما أحسن ما قال عبد الملك بن مروان أنعم الناس عيشا من له ما يكفيه وزوجة ترضيه ولا يعرف أبوابنا هذه الخبيثة فتؤذيه ولما قبض الوزير استشار السلطان فيمن يجعله وزيرا فذكر له جماعة فقال السلطان ان آبائي أدروا على نظام الملك البركة ولهم عليه الحق الكثير وأولاده أغذياء نعمتنا ولا معدل عنهم فامر لابي نصر أحمد هذا بالوزارة ولقب ألقاب أبيه قوام الدين نظام الملك صدر الاسلام وكان سبب قدومه الى باب السلطان انه لما رأى انقراض دولة أهل بيته لزم داره بهمذان فاتفق ان رئيس همذان وهو الشريف أبو هاشم آذاه فسار الى السلطان شاكيا منه ومتظلما فقبض السلطان على الوزير وأحمد هذا في الطريق فلما وصل اليه ذكره وخلع عليه خلع الوزارة وحكمه ومكنه وقوى أمره وهذا من الفرج بعد الشدة فانه حضر شاكيا فصار حاكما

﴿ذكر عدة حوادث﴾

كالوجهين حتى تكون الرقاب منها في صفين والبيادق أيضا أمامها صفين ومسيرها كمسير أمثلة الصورة الاولى والآلة المربعة وهي عشرة في مثلها والزيادة في أمثلتها قطعتان تسميان الدبابين ومسيرهما كمسير الشاه الا أنهما يأخذان ويؤخذان ثم الآلة المدورة المنسوبة الى الروم ثم الآلة النجومية التي تسمى الفلكية وأبياتها على عدد نجوم الفلك مقسومة نصفين وينقل فيها سبعة أمثلة مختلفة الالوان على عدد الخمسة الانجم والنيرين وعلى ألوانها (وقد بينا) فيما سلف من أخبار الهند كيفية اتصالها بالاجسام السماوية وقد قيل في عشقها للاشخاص العلوية أو تحرك الفلك بعشقه لما فوقه وقولهم في النفس ونزولها في عالم العقل الى عالم الحس حتى نسيت بعد الذكر وجهلت بعد العلم وغير ذلك من تخاليطهم مما يتصل علمه عندهم بمنصوبات الشطرنج ثم آلة أخرى تسمى الجوارحية استحدثت في زماننا هذا وهي سبعة أبيات في ثمانية وأمثلتها اثنا عشر في كل جهة منها ستة كل واحد من الستة يسمى باسم جارحة من جوارح الانسان التي بها يميز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسعى وهي سائر الحواس والخامس

فى هذه السنة فى صفر عزل الوزير أبو القاسم على بن جهير وزير الخليفة فقصد دار سيف الدولة صدقة ببغداد ملتجئا اليها وكانت ملجأ لكل ملهوف فارسل اليه صدقة من أخذه اليه الى الحلة وكانت وزارته ثلاث سنين وخمسة أشهر وأياما وأمر الخليفة بنقض داره التى بباب العامة وفيها عبرة فان أباه أبا نصر بن جهير بناها بانقاض أملاك الناس وأخذ بسببها أكثر ما دخل فيها فخربت عن قريب ولما عزل استنيب قاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى ثم تقررت الوزارة فى المحرم من سنة احدى وخمسمائة لابى المعالى هبة الله بن محمد بن المطلب وخلع عليه فيه وفيها فى شوال توفى الامير أبو الفوارس سرخاب بن بدر بن مهلهل المعروف بابن أبى الشوك الكردى وكانت له أموال كثيرة وخيول لا تحصى وولى الامارة بعده أبو منصور بن بدر وقام مقامه وبقيت الامارة فى بيته مائة وثلاثين سنة وقد تقدم من أخباره ما فيه كفاية وفى هذه السنة توفى أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الحداد الاصبهانى ابن أخت عبد الرحمن بن أبى عبد الله بن منده ومولده سنة ثمان وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث مشهورا بالرواية وفيها توفى أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج البغدادى فى صفر وهو مكثر من الرواية وله تصانيف حسنة وأشعار لطيفة وهو من أعيان الزمان وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب أبو محمد الشيرازى الفقيه ولى التدريس بالنظامية ببغداد سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وكان يروى الحديث أيضا وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى المعروف بابن الطيورى البغدادى ومولده سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث ثقة صالحا عابدا وأبو الكرم المبارك ابن الفاخر بن محمد بن يعقوب النحوى سمع الحديث من أبى الطيب الطبرى والجوهرى وغيرهما وكان اماما فى النحو واللغة

﴿ثم دخلت سنة احدى وخمسمائة﴾

﴿ذكر قتل صدقة بن مزيد﴾

فى هذه السنة فى رجب قتل الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الاسدى أمير العرب وهو الذى بنى الحلة السيفية بالعراق وكان قد عظم شأنه وعلا قدره واتسع جاهه واستجار به صغار الناس وكبارهم فاجارهم وكان كثير العناية بامور السلطان محمد والتقوية لبده والشد منه على أخيه بركيارق حتى انه جاهر بركيارق بالعداوة ولم يبرح على مصافاة السلطان محمد وزاده محمد اقطاعا من جملته مدينة واسط وأذن له فى أخذ البصرة ثم أفسد ما بينهما العميد أبو جعفر محمد بن الحسين البلخى وقال فى جملة ما قال عنه ان صدقة قد عظم أمره وزاد حاله وكثر ادلاله ويبسط فى الدولة وحمايته كل من يفر اليه من عند السلطان وهذا لا تحتمله الملوك لاولادهم ولو أرسلت بعض أصحابك لملك بلاده وأمواله ثم انه تعدى ذلك حتى طعن فى اعتقاده ونسبه وأهل بلده الى مذهب الباطنية وكذب وانما كان مذهبه التشيع لا غير ووافق أرغون السعدى أبا جعفر العميد وانتهى ذلك الى صدقة وكانت زوجة أرغون بالحلة وأهله فلم يؤاخذهم بشئ مما كان له أيضا هنالك من بقايا خراج ببلده فامر صدقة أن يخلص ذلك اليه باجمعه ويسلم الى زوجته وأما سبب قتله فان صدقة كان كما ذكرنا يستجير به كل خائف من خليفة وسلطان وغيرهما وكان السلطان محمد قد سخط على أبى دلف سرخاب بن كيخسرو صاحب ساوة وآبة فهرب منه وقصد صدقة فاستجار به فاجاره فارسل السلطان يطلب من صدقة ان يسلمه الى نوابه فلم يفعل وأجاب انى لا أمكن منه بل أحامى عنه وأقول ما قاله أبو طالب لقريش لما طلبوا

المشترك وهو الذى من القلب (وقد ذكرت) الهند وغيرها من اليونانيين والفرس والروم وغيرهم ممن لعب بها كيفية صورها ومباديها ووجوه عللها والغرائب فيها وتصنيف القوائم والمفردات وأنواع ظرائف المنصوبات (وقد استعمل) نصاب الشطرنج عليها فنون الهزل والنوادر المدهشة فزعم كثير منهم أن ذلك مما يبعث على لعبها وانصباب المواد وصحيح الافكار اليها وان ذلك بمنزلة الارتجاز الذى يستعمله أهل القتال عند اللقاء والحادى عند الاعياء والمائح للعرب عند الاستقاء وأن ذلك عدة للاعب كما ان الشعر والارتجاز من عدة المحارب (وقد قيل) فيما وصفنا أشعار كثيرة مما قاله بعض اللعاب فمن ذلك

نوادر الشطرنج فى وقتها * أحر من ملتهب الجمر

كم من ضعيف اللعب كانت له * عونا على مستحسن القمر

(ومما قيل فيها) وبالغ فى وصف اللعب بها المأمون

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين الفين موصوفين بالكرم

تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها * من غير أن يسعيا فيها بسفك دم

هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحرب لم تنم

فانظر الى الخيل قد جاشت بمعركة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

ومما قيل لها وبولغ منه

منه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وظهر منه أمور أنكرها السلطان فتوجه الى العراق ليتلافى هذا الامر فلما سمع صدقة استشار أصحابه فى الذى يفعله فاشار عليه ابنه دبيس بان ينفذه الى السلطان ومعه الاموال والخيل والتحف ليستعطف له السلطان وأشار سعيد بن حميد صاحب جيش صدقة بالمحاربة وجمع الجند وتفريق المال فيهم واستطال فى القول فمال صدقة الى قوله وجمع العساكر واجتمع اليه عشرون ألف فارس وثلاثون ألف راجل فارسل اليه المستظهر بالله يحذره عاقبة أمره وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان ويعرض له توسط الحال فاجاب صدقة انى على طاعة السلطان لكن لا آمن على نفسى فى الاجتماع به وكان الرسول بذلك عن الخليفة نقيب النقباء على بن طراد الزينبى ثم أرسل السلطان أقضى القضاة أبا سعيد الهروى الى صدقة يطيب قلبه ويزيل خوفه ويأمره بالانبساط على عادته ويعرفه عزمه على قصد الفرنج ويأمره بالتجهز للغزاة معه فاجاب ان السلطان قد أفسد أصحابه قلبه علىّ وغيروا حالى معه وزال ما كان عليه فى حقى من الانعام وذكر سالف خدمته ومناصحته وقال سعيد بن حميد صاحب جيشه لم يبق لنا فى صلح السلطان مطمع ولترين خيولنا بحلوان وامتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان ووصل السلطان الى بغداد فى العشرين من ربيع الآخر ومعه وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك وسير البرسقى شحنة بغداد فى جماعة من الامراء الى صرصر فنزلوا عليها وكان وصول السلطان جريدة لا يبلغ عسكره ألفى فارس فلما تيقن ببغداد مكاشفة صدقة أرسل الى الامراء يأمرهم بالوصول اليه والجد فى السير وتعجيل ذلك فوردوا اليه من كل جانب ثم وصل كتاب صدقة الى الخليفة فى جمادى الاولى يذكر أنه واقف عند ما رسم له ويقرر من حاله مع السلطان ومهما أمرته من ذلك امتثله فانفذ الخليفة الكتاب الى السلطان فقال السلطان أنا ممتثل ما يأمر به الخليفة ولا مخالفة عندى فارسل الخليفة الى صدقة يعرفه اجابة السلطان الى ما طلب منه ويأمره بانفاذ ثقته ليستوثق له ويحلف السلطان على ما يقع الاتفاق عليه فعاد صدقة عن ذلك الرأى وقال اذا رحل السلطان عن بغداد أمددته بالمال والرجال وما يحتاج اليه فى الجهاد وأما الآن وهو ببغداد وعسكره بنهر الملك فما عندى مال ولا غيره وان جاولى سقاوو وايلغازى بن ارتق قد أرسلا الىّ بالطاعة لى والموافقة معى على محاربة السلطان وغيره ومتى أردتهما وصلا الىّ فى عساكرهما وورد الى السلطان قرواش بن شرف الدولة وكرماوى بن خرسان التركمانى وأبو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح الطائى وآباؤه كانوا أصحاب البلقاء والبيت المقدس منهم حسان بن المفرج الذى مدحه التهامى وكان فضل تارة مع الفرنج وتارة مع المصريين فلما رآه طغتكين اتابك على هذه الحال طرده من الشام فلما طرده التجا الى صدقة وعاقده فاكرمه صدقة وأهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عينا فلما كانت هذه الحادثة بين صدقة والسلطان سار فى الطلائع ثم هرب الى السلطان فلما وصل خلع عليه وعلى أصحابه وأنزله بدار صدقة ببغداد فلما سار السلطان الى قتال صدقة استأذنه فضل فى اتيان البرية ليمنع صدقة من الهرب ان أراد ذلك فاذن له فعبر بالانبار وكان آخر العهد به وأنفذ السلطان فى جمادى الاولى الى واسط الامير محمد بن بوقا التركمانى فاخرج عنها نائب صدقة وأمن الناس كلهم الا أصحاب صدقة فتفرقوا ولم ينهب أحد وأنفذ خيله الى بلد قوسان وهو من أعمال صدقة فنهبه أقبح نهب وأقام عدة أيام

فى وصفها واستوعب النظر لاكثر معانيها ما قاله أبو الحسن بن أبى البغل الكاتب وكان من جملة الكتاب وكبار العمال وممن اشتهر بمعرفتها واللعب بها وهو

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها * عواقب لا يسمو بها غير جاهل

وأبصر أعقاب الاحاديث فى غد * بعينى مجد فى مخيلة هازل

ليجرى على السلطان فى ذاك أنه * أراه بها كيف اتقاء الغوائل

وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته * شبيه بتصريف القنا والقنابل

(قال المسعودى) فأما ما قيل فى النرد وأوصافها فقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كيفية نصبها والمحدث للعبها على ما حكى من التنازع فى ذلك عند ذكرنا أخبار الهند وفيها عند ذوى المعرفة بها ضروب من اللعب وفنون من الترتيب ووجوه من النصب الا ان عدد البيوت واحد لا زيادة فيها ولا نقصان على ما تقدم فى ذلك من عملها والمعهود فى أصولها وان الفصين فيها محكمان واللاعب بهما وان لم يكن مختارا ولا خارجا عن حكم الفصين فيها وقضائهما محتاج الى أن يكون صحيح النقل وسابقه صحيح الحساب حسن الترتيب جيده (وقد قيل) فى لعبها ووصفها واحكام الفصين فيها وقضائهما على لعابها أشعار

فارسل صدقة اليه ثابت بن سلطان وهو ابن عم صدقة ومعه عسكر فلما وصلوا اليها خرج منها
الاتراك وأقام ثابت بها وبينه وبينهم دجلة ثم ان ابن بوقا عبر جماعة من الجند ارتضاهم وعرف
شجاعتهم فوقفوا على موضع مرتفع على نهر سالم يكون ارتفاعه نحو خمسين ذراعا فقصدهم ثابت
وعسكره لم يقدروا يقربون الترك من النشاب والمد يأتيهم من ابن بوقا وجرح ثابت في وجهه
وكثر الجراح في أصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعهم الاتراك فقتلوا منهم وأسروا ونهب طائفة من
الترك مدينة واسط واختلط بهم رجالة ثابت فنهبت معهم فسمع ابن بوقا الخبر فركب اليهم ومنعهم
وقد نهبوا بعض البلد ونادى في الناس بالامان واقطع السلطان اواخر جمادى الاولى مدينة
واسط لقسيم الدولة البرسقي وأمر ابن بوقا بقصد بلد صدقة ونهبه فنهبوا فيه ما لا يحد وأما السلطان
محمد فانه سار عن بغداد الى الزعفرانية ثاني جمادى الآخرة فارسل اليه الخليفة وزيره مجد الدين
ابن المطلب يأمره بالتوقف وترك العجلة خوفا على الرعية من القتل والنهب وأشار قاضي أصبهان
بذلك واتباع أمر الخليفة فأجاب السلطان الى ذلك فارسل الخليفة الى صدقة نقيب النقباء على
ابن طراد وجمال الدولة مختصا الخادم فسارا الى صدقة فابلغاه رسالة الخليفة يأمره بطاعة
السلطان وينهاه عن المخالفة فاعتذر صدقة وقال ما خالفت الطاعة ولا قطعت الخطبة في بلدي
وجهز ابنه دبيسا ليسير معهما الى السلطان فبينما الرسل وصدقة في هذا الحديث اذ ورد الخبران
طائفة من عسكر السلطان قد عبروا من مطيرا باذوان الحرب بينهم وبين أصحاب صدقة قائمة على
ساق فتجلد صدقة لاجل الرسل وهو يشتهي الركوب الى أصحابه خوفا عليهم وكان الرسل
اذا سمعوا ذلك ينكرونه لانهم قد تقدموا الى العسكر عند عبورهم عليهم انه لا يتعرض أحد منهم
الى حرب حتى نعود فان الصلح قد قارب فقال صدقة للرسول كيف أثق ارسل ولدي الآن وكيف
آمن عليه وقد جرى ما ترون فان تكفلتم برده الي أنفذته فلم يتجاسروا على كفالته فكتب الى
الخليفة يعتذر عن انفاذ ولده بما جرى وكان سبب هذه الوقعة ان عسكر السلطان لما رأوا الرسل
اعتقدوا وقوع الصلح فقال بعضهم الرأي اننا ننهب شيأ قبل الصلح فاجاب البعض وامتنع البعض
فعبر من أجاب النهر ولم يتأخر من لم يجب لئلا ينسب الى خور وجبن ولئلا يتم على من عبر وهن
فيكون عاره واذاه عليهم فعبروا وبعدهم أيضا فاتاهم أصحاب صدقة وقاتلوهم فكانت الهزيمة على
الاتراك وقتل منهم جماعة كثيرة وأسر جماعة من أعيانهم وكثير من غيرهم وغرق جماعة منهم
الامير محمد بن باغيسيان الذي كان أبوه صاحب انطاكية وكان عمره نيفا وعشرين سنة وكان محبا
للعلماء وأهل الدين وبنى باقطاعه من اذربيجان عدة مدارس ولم يحسر الاتراك يعرفون السلطان
بما أخذ منهم من الاموال والدواب خوفا منه حيث فعلوا ذلك بغير أمره وطمع العرب بهذه
الهزيمة وظهر منهم الفخر والتيه والطمع وأظهروا انهم باعوا كل أسير بدينار وان ثلاثة باعوا
أسيرا بخمسة قراريط وأكلوا بها خبزا وهريسة وجعلوا ينادون من يتغدى باسير ويتعشى بآخر
وظهر من الاتراك اضطراب عظيم وأعاد الخليفة مكاتبة صدقة بتحرير أمر الصلح فاجاب انه
لا يخالف ما يؤمر به وكتب صدقة أيضا الى السلطان يعتذر مما نقل عنه ومن الحرب التي كانت بين
أصحابه وبين الاتراك وان جند السلطان عبرت الى أصحابه فمنعوا عن أنفسهم بغير علمه وانه لم يحضر
الحرب ولم ينزع يدا من طاعة ولا قطع خطبته من بلده ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب
فارسل الخليفة نقيب النقباء واباسعد الهروي الى صدقة فقصدا السلطان اولا وأخذا يده
بالامان لمن يقصده من اقارب صدقة فلما وصلا الى صدقة وقالا له عن الخليفة ان اصلاح قلب

السلطان

كثيرة بالغوا بالقول فيها وأغرقوا في استيعاب معانيها (من ذلك) قول بعضهم لا خير في النرد لا يغني ممارسها * حسن
الذكاء اذا ما كان محروما
تريك أفعال فصيها
بحكمهما
ضدين في الحال ميمونا
ومشؤما
فما تكاد ترى فيها أخا أدب
يفوته القمر الا كان
مظلوما
(وأخبرني) أبو الفتح محمد
ابن الحسن السندي بن
شاهك الكاتب المعروف
بكشاجم وكان من أهل
العلم والرواية والمعرفة
والادب انه كتب الى
صديق له يذم النرد وكان
بها مشتهرا أبياتا وهي
أيها المعجب المفاخر بالنر
د ليزهو بها على الاخوان
فلعمري حرصت جهدا
على قـ
ـرك لولم تواتك الفصان
غير ان الاديب يكذبه
الظن
ويبكي لشدة الحرمان
واذا ما القضاة جاءت بحكم
لم يحد عن قضائها الخصمان
واعمري ما كنت أول
انسا
ن تمنى فأخلفته الاماني
وأنشدني أبو الفتح أيضا
لابي نواس
ومأمورة بالامر تأتي بغيره
ولم تتبع في ذاك غيا ولا
رشدا
اذا قلت لم تفعل وليست
مطيعة
وأفعل ما قالت فصرت لها عبدا (وقد قدمنا) في أخبار ملوك الهند فيما سلف من هذا الكتاب قول من قال

السلطان موقوف على اطلاق الاسرى ورد جميع ما أخذ من العسكر المنهزم فاجاب اولا بالخضوع
والطاعة ثم قال لو قدرت على الرحيل من بين يدي السلطان لفعلت لكن ورائي من ظهري وظهر
أبي وجدي ثلثمائة امرأة ولا يحملهن مكان ولو علمت اني اذا جئت السلطان مستسلما قبلني
واستخدمني لفعلت لكنني أخاف انه لا يقيل عثرتي ولا يعفو عن زلتي وأما ما نهب فان الخلق كثير
وعندي من لا أعرفه وقد نهبوا ودخلوا البر فلا طاقة لي عليهم ولكن ان كان السلطان لا يعارضني
فيما في يدي ولا فيمن أجرته وان يقر سرخاب بن كيخسرو على اقطاعه بساوة وان يتقدم الى ابن بوقا
باعادة ما نهب من بلادي وان يخرج وزير الخليفة يحلفه بما اثق اليه من الايمان على المحافظة فيما بيني
وبينه فحينئذ اخدم بالمال وادوس بساطه بعد ذلك فعادوا بهذا ومعهم أبو منصور بن معروف
رسول صدقة فردهم الخليفة وأرسل السلطان معهم قاضي اصبهان اباسمعيل فاما أبو اسمعيل فلم
يصل اليه وعاد من الطريق وأصر صدقة على القول الاول فحينئذ سار السلطان ثامن رجب من
الزعفرانية وسار صدقة في عساكره الى قرية مطر وأمر جنده بلبس السلاح واستأمن ثابت بن
سلطان بن دبيس بن علي بن مزيد وهو ابن عم صدقة الى السلطان محمد وكان يحسد صدقة وهو الذي
تقدم ذكره انه كان بواسط فاكرمه السلطان وأحسن اليه ووعده الاقطاع ووردت العساكر الى
السلطان منهم بنو برسق وعلاء الدولة أبو كاليجار كرشاسب بن علي بن فرامرز أبي جعفر بن كاكويه
وآباؤه كانوا أصحاب اصبهان وفرامرز هو الذي سلمها الى طغرلبك وقتل أبوه مع تتش وعبر عسكر
السلطان دجلة ولم يعبر هو فصار وامع صدقة على أرض واحدة بينهما نهر والتقوا تاسع عشر
رجب وكانت الريح في وجوه أصحاب السلطان فلما التقوا صارت في ظهورهم وفي وجوه أصحاب
صدقة ثم ان الاتراك رموا بالنشاب فكان يخرج في كل رشقة عشرة آلاف نشابة فلم يقع سهم
الا في فرس أو فارس وكان أصحاب صدقة كلما حملوا منعهم النهر من الوصول الى الاتراك والنشاب
ومن عبر منهم لم يرجع وتقاعدت عبادة وخفاجة وجعل صدقة ينادي يا آل خزيمة يا آل ناشرة
يا آل عوف ووعد الاكراد بكل جميل لما ظهر من شجاعتهم وكان راكبا على فرسه المهلوب ولم يكن
لاحد مثله فجرح الفرس ثلاث جراحات وأخذه الامير أحمديل بعد قتل صدقة فسيره الى بغداد في
سفينة فمات في الطريق وكان لصدقة فرس آخر قد ركبه حاجبه أبو نصر بن تفاحة فلما رأى الناس
وقد غشوا صدقة هرب عليه فناداه صدقة فلم يجبه وحمل صدقة على الاتراك فضربه غلام منهم على
وجهه فشوهه وجعل يقول أنا ملك العرب أنا صدقة فاصابه سهم في ظهره وأدركه غلام اسمه
برغش كان أشل فتعلق به وهو لا يعرفه وجذبه عن فرسه فسقط الى الارض هو والغلام فعرفه
صدقة فقال يا برغش ارفق فضربه بالسيف فقتله وأخذ رأسه وحمله الى البرسقي فحمله الى
السلطان فلما رآه عانقه وأمر لبرغش بصلة وبقي صدقة طريحا الى ان سار السلطان فدفنه
انسان من المدائن وكان عمره تسعا وخمسين سنة وكانت امارته احدى وعشرين سنة وحمل رأسه
الى بغداد وقتل من أصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس فيهم جماعة من أهل بيته وقتل من
بني شيبان خمس وتسعون رجلا وأسر ابنه دبيس بن صدقة وسرخاب بن كيخسرو الديلمي الذي
كانت هذه الحرب بسببه فاحضر بين يدي السلطان فطلب الامان فقال قد عاهدت الله اني
لا أقتل أسيرا فان ثبت عليك انك باطني قتلتك وأسر سعيد بن حميد العمري صاحب جيش صدقة
وهرب بدران بن صدقة الى الحلة فاخذ من المال وغيره ما أمكنه وسير أمه ونساءه الى البطيحة
الى مهذب الدولة أبي العباس أحمد بن أبي الجبر وكان بدران صهر مهذب الدولة على ابنته ونهب

في النرد والفصين انها جعلت مثلا للمكاسب وانها لا تنال بالكيس ولا بالحيل وما ذكر عن أردشير بن بابك في ذلك
أنه أول من لعب بها وأرى
تقلب الدنيا باهلها وجعله
لبيوتها اثني عشر على
ترتيب عدد الشهور وان
كلابها ثلاثون كلبا بعدد
أيام الشهور وان الفصين
مثال القدر وتلعبه باهل
هذا العالم وغير ذلك مما
وصفنا من أحوالها
وما قدمنا من ذكرها في
هذا الكتاب وغيره مما
سلف من كتبنا (وذكر)
بعض أهل النظر من
الاسلاميين أن واضع
الشطرنج كان عدليا
مستطيعا فيما يفعل وان
واضع النرد كان مجبرا فبين
باللعب بها انه لا صنع له فيها
بل تصرفه فيها على ما يوجبه
القدر عليه بها (وذكر)
العروضي وهو ممن كان له
أدب الراضي وغيره من
الخلفاء وأبنائهم قال
حدثت الراضي ذات يوم
خبرا ألفيته عن مسلم
الباهلي في الكبر وغيره
من الخصال التي توجد في
أهل الرياسات مما يحمد
فيهم ويكره منهم من
الاخلاق فكتب ذلك مني
في حال صباه وعنفوان
حداثته ولقد رأيته
مواظبا على درسه الى أن
استكمل اتقانه في مجلسه
فداخله عند ذلك طرب
وفرح وأريحية لم أعهدها
منه ثم قال لي وقد أقبل علي لعل الزمان أن يبلغ بي أن أتأدب بهذه الخصال وأكون في مرتبة من يرتاض بهذه الآداب وهو أنه

من الاموال مالا حد له وكان له من الكتب المنسوبة الخط شئ كثير ألوف مجلدات وكان يحسن يقرأ ولا يكتب وكان جوادا حليما صدوقا كثير البر والاحسان مابرح ملجأ لكل ملهوف يلقى من يقصده بالبر والتفضل ويبسط قاصديه ويزورهم وكان عادلا والرعايا معه فى امن ودعة وكان عفيفا لم يتزوج على امرأته ولا تسرى عليها فاظنك بغيرهذا ولم يصادر أحدا من نوابه ولا أخذهم باساءة قديمة وكان أصحابه يودعون أموالهم فى خزائنه ويدلون عليه ادلال الولد على الوالد ولم يسمع برعية أحبت أميرها كحب رعيته له وكان متواضعا محتملا يحفظ الاشعار ويبادر الى النادرة رحمه الله لقد كان من محاسن الدنيا وعاد السلطان الى بغداد ولم يصل الى الحلة وأرسل الى البطيحة أمانا لزوجة صدقة وأمرها بالظهور فاصعدت الى بغداد فاطلق السلطان ابنها دبيسا وأنفذ معه جماعة من الامراء الى لقائها فلما لقيها ابنها بكيا بكاء شديدا ولما وصلت الى بغداد أحضرها السلطان واعتذر من قتل زوجها وقال وددت انه حمل الىّ حتى كنت أفعل معه ما يجب الناس به من الجميل والاحسان لكن الاقدار غلبتنى واستحلف ابنها دبيسا انه لا يسعى بفساد

﴿ذكر وفاة تميم بن المعز صاحب افريقية وولاية ابنه يحيى﴾

فى هذه السنة فى رجب توفى تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية وكان شهما شجاعا ذكيا له معرفة حسنة وكان حليما كثير العفو عن الجرائم العظيمة وله شعر حسن فمنه انه وقع حرب بين طائفتين من العرب وهم عدى ورياح فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا وأهدروا دمه وكان صلحهم مما يضر به وببلاده فقال أبياتا يحرض على الطلب بدمه وهى

متى كانت دماؤكم تطل * امافيكم بثار مستقل
أغانم ثم سالم ان فشلتم * فما كانت أوائلكم تذل
ونمتم عن طلاب الثار حتى * كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالى * ولا بيض تفل ولا تسل

فعمد اخوة المقتول فقتلوا أميرا من عدى واشتد بينهم القتال وكثرت القتلى حتى أخرجوا بنى عدى من افريقية قيل انه اشترى جارية بثمن كثير فبلغه ان مولاها الذى باعها ذهب عقله وأسف على فراقها فاحضره تميم بين يديه وأرسل الجارية الى داره ومعها من الكسوات والاوانى الفضة وغيرها ومن الطيب وغيره شئ كثير ثم أمر مولاها بالانصراف وهو لا يعلم بذلك فلما وصل الى داره ورآها على تلك الحال وقع مغشيا عليه لكثرة سروره ثم أفاق فلما كان الغد أخذ الثمن وجميع ما كان معها وحمله الى دار تميم فانتهره وأمره باعادة جميع ذلك الى داره وكان له فى البلاد أصحاب أخبار يجرى عليهم أرزاقا سنية ليطالعوه باحوال أصحابه لئلا يظلموا الناس فكان بالقيروان تاجر له مال وثروة فذكر فى بعض الايام التجار تميما ودعوا له وذلك التاجر حاضر فترحم على أبيه المعز ولم يذكره فرفع ذلك الى تميم فاحضره الى قصره وسأله هل ظلمتك فقال لا قال فهل ظلمك بعض أصحابى قال لا قال فلم أطلقت لسانك أمس بذمى فسكت فقال لولا ان يقال شره فى ماله لقتلتك ثم أمر به فصفع فى حضرته قليلا ثم أطلقه فخرج وأصحابه ينتظرونه فسألوه عن خبره فقال اسرار الملوك لا تذاع فصارت بافريقية مثلا ولما توفى كان عمره تسعا وسبعين سنة وكانت ولايته ستا وأربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما وخلف من الذكور ما يزيد على مائة ومن البنات ستين بنتا ولما توفى ملك بعده ابنه يحيى بن تميم وكانت ولادته بالمهدية لاربع بقين من ذى الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة وكان عمره حين ولى ثلاثا وأربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوما ولما

قيل لقتيبة بن مسلم وهو وال على خراسان للحجاج محارب للترك لو وجهت فلانا الرجل من أصحابه الى حرب بعض الملوك على الجيش فقال قتيبة انه رجل عظيم الكبر ومن عظم كبره اشتد عجبه ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيا ولم يؤامر نصيحا ومن تبجح بالاعجاب وفخر بالاستبداد كان من الصنع بعيدا ومن الخذلان قريبا والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة ومن تكبر على عدوه حقره واذا حقره تهاون بامره ومن تهاون بامر عدوه وثق بامر قوته وسكن الى جميع عدته ومن سكن الى جميع عدته قل احتراسه ومن قل احتراسه كثر عثاره وما رأيت عظيما تكبر على صاحب حرب قط الا كان منكوبا ومهزوما ومخذولا لا والله حتى يكون أسمع من فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاة وأحذر من عقعق وأشد اقداما من أسد وأوثب من فهد وأحقد من جمل وأروغ من ثعلب وأسخى من ديك وأشح من ظبى وأحرس من كركى وأحفظ من كلب وأصبر من ضب وأجمع من النمل وان النفس انما تسمح بالعناية على قدر الحاجة وتتحفظ على قدر الخوف وتطمع على قدر السبب وقد قيل على وجه الدهر ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر صديق ومن أحب أن يحب تحبب (قال العروضى) وتذاكرنا يوما بحضرة الراضى بالله فى حال صباه وقد حضر جماعة من ذوى

ولى

ولى فرق أموالا جزيلة وأحسن السيرة فى الرعية

﴿ذكر ملك يحيى قلعة قليبية﴾

لما ملك يحيى بن تميم بعد أبيه جرد عسكرا كثيفا الى قلعة قليبية وهى من أحصن قلاع افريقية فنزل عليها وحصرها حصارا شديدا ولم يبرح حتى فتحها وحصنها وكان أبوه تميم قد رام فتحها فلم يقدر على ذلك ولم يزل مظفرا منصورا لم يهزم له جيش

﴿ذكر قدوم ابن عمار بغداد مستنفرا﴾

فى هذه السنة فى شهر رمضان ورد القاضى فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس الشام الى بغداد قاصدا باب السلطان محمد مستنفرا على الفرنج طالبا تسيير العساكر لازاحتهم والذى حثه على ذلك انه لما طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس على ما ذكرناه ضاقت عليه الاقوات وقلت واشتد الامر عليه وعلى أهل البلد فمنّ الله عليهم سنة خمسمائة بميرة فى البحر من جزيرة قبرس وانطاكية وجزائر البنادقة فاشتدت قلوبهم وقووا على حفظ البلد بعد أن كانوا استسلموا فلما بلغ فخر الملك انتظام الامور للسلطان محمد وزوال كل مخالف رأى لنفسه وللمسلمين قصده والانتصار به فاستناب بطرابلس ابن عمه ذا المناقب وأمره بالمقام بها ورتب معه الاجناد برا وبحرا وأعطاهم جامكية ستة أشهر سلفا وجعل كل موضع الى من يقوم بحفظه بحيث ان ابن عمه لا يحتاج الى فعل شئ من ذلك وسار الى دمشق فاظهر ابن عمه الخلاف له والعصيان عليه ونادى بشعار المصريين فلما عرف فخر الملك ذلك كتب الى أصحابه يأمرهم بالقبض عليه وحمله الى حصن الخوابى ففعلوا ما أمرهم وكان ابن عمار قد استصحب معه من الهدايا ما لم يوجد عند ملك مثله من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة والخيل الرائقة فلما وصل الى دمشق لقيه عسكرها وطغتكين اتابك وخيم على ظاهر البلد وسأله طغتكين الدخول اليه فدخل يوما واحدا الى الطعام وادخله حمامه وسار عنها ومعه ولد طغتكين يشيعه فلما وصل الى بغداد أمر السلطان كافة الامراء بتلقيه واكرامه وأرسل اليه شبارته وفيها دسته الذى يجلس عليه ليركب فيها فلما نزل اليها قعد بين يدى موضع السلطان فقال له من بها من خواص السلطان قد أمرنا ان يكون جلوسك فى دست السلطان فلما دخل على السلطان أجلسه وأكرمه وأقبل عليه بحديثه وسير الخليفة خواصه وجماعة أرباب المناصب فلقوه وأنزله الخليفة وأجرى عليه الجراية العظيمة وكذلك أيضا فعل السلطان وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك الذين معهم أمثاله وهذا جميعه ثمرة الجهاد فى الدنيا ولأجر الآخرة أكبر ولما اجتمع بالسلطان قدم هديته وسأله السلطان عن حاله وما يعانيه فى مجاهدة الكفار ويقاسيه من ركوب الخطوب فى قتالهم فذكر له حاله وقوة عدوه وطول حصره وطلب النجدة وضمن أنه اذا سيرت العساكر معه أوصل اليهم جميع ما يلتمسونه فوعده السلطان بذلك وحضر دار الخلافة وذكر أيضا نحوا مما ذكره عند السلطان وحمل هدية جميلة نفيسة وأقام الى ان رحل السلطان عن بغداد فى شوال فاحضره عنده بالنهروان وقد تقدم الى الامير حسين بن أتابك قتلغتكين ليسير معه العساكر التى سيرها الى الموصل مع الامير مودود لقتال جاولى سقاو وليمضوا معه الى الشام وخلع عليه السلطان خلعا نفيسة واعطاه شيأ كثيرا وودعه وسار ومعه الامير حسين فلم يجد ذلك نفعا وكان ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى ثم ان فخر الملك بن عمار عاد الى دمشق منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة فاقام بها أياما وتوجه منها مع العسكر من دمشق الى جبلة فدخلها وأطاعه أهله واما أهل طرابلس فانهم راسلوا الافضل أمير الجيوش بمصر يلتمسون منه واليا يكون عندهم

العلم والمعرفة باخبار الناس ممن غبر فانتهى بنا الامر الى خبر معاوية بن أبى سفيان حين ورد عليه كتاب من ملك الروم أن يرسل اليه سراويل أجسم رجل عنده فقال معاوية لا أعلمه الا قيس بن سعد فقال لقيس اذا انصرفت فابعث الىّ سراويلك فخلعها ورمى بها فقال معاوية هلا بعثت بها من منزلك فقال قيس

أردت لكيما يعلم الناس أنها * سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه * سراويل عادى نمته ثمود

فقال قائل ممن حضر قد كان جبلة بن الايهم أحد ملوك بنى غسان طوله اثنا عشر شبرا فاذا ركب مسحت قدماه الارض فقال له الراضى بالله قد كان قيس بن سعد هذا المذكور تخط قدماه الارض واذا مشى بين الناس يتوهمون أنه راكب وقد كان جدى على بن عبد الله بن العباس طويلا جميلا يتعجب الناس من طوله وكان يقول كنت الى منكب عبد الله بن عباس وكان عبد الله الى منكب جدى العباس وكان العباس بن عبد المطلب اذا طاف بالبيت يرى كأنه فسطاط أبيض قال فتعجب والله من حضر من ايراده هذا الخبر مع صغر سنه ثم تذاكرنا عجائب البلدان وما خص به كل صقع من الارض من أنواع النبات والحيوان والجماد من أحجار أنواع الجواهر وغيرها فقال لى قائل ممن حضر ان أعجب ما فى الدنيا

ومعه المبرة فى البحر فسير اليهم شرف الدولة بن أبى الطيب والياً ومعه الغلة وغيرها مما يحتاج اليه البلاد فى الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة من أهل ابن عمار وأصحابه وأخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك وحمل الجميع الى مصر فى البحر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى شعبان أطلق السلطان محمد الضرائب والمكوس ودار البيع والاجتيازات وغير ذلك مما يناسبه بالعراق وكتب به الالواح وجعلت فى الاسواق وفيها فى شهر رمضان ولى القاضى أبو العباس بن الرطبى الحسبة ببغداد وفيه أيضاً عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب برسالة من السلطان بذلك ثم أعيد الى الوزارة باذن السلطان وشرط عليه شروط منها العدل وحسن السيرة وان لا يستعمل أحدا من أهل الذمة وفيها عاد الاصبهبذ صباوه من دمشق وكان هرب عند قتل اياز فلما قدم أكرمه السلطان وأقطعه رحبة مالك بن طوق وفيها سابع شوال خرج السلطان الى ظاهر بغداد عازما على العود الى أصبهان وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر وسبعة عشر يوما وفيها فى ذى الحجة احترقت خرابة ابن جردة فهلك فيها كثير من الناس واما الامتعة والاموال واثاث البيوت فهلك منها مالا حد له وخاص خلق بنقب نقبوه فى سور المحلة الى مقبرة باب ابرز وكان بها جماعة من اليهود فلم ينقلوا شيأ لتمسكهم بسبتهم وكان بعض أهلها قد عبروا الى الجانب الغربى للفرجة على عادتهم فى السبت الذى يلى العيد فعادوا فوجدوا بيوتهم قد خربت وأهلهم قد احترقوا وأموالهم قد هلكت ثم تبع ذلك حريق فى عدة أماكن منها درب القيار وقراح بن زرين فارتاع الناس لذلك وأبطلوا معايشهم وأقاموا ليلا ونهارا يحرسون بيوتهم فى الدروب وعلى السطوح وجعلوا عندهم الماء المعد لاطفاء النار فظهر أن سبب هذا الحريق ان جارية أحبت رجلا فوافقته على المبيت عندها فى دار مولاها سرا وأعدت له ما يسرقه اذا خرج ويأخذها هى أيضا معه فلما أخذها طرحا النار فى الدار وخرجا فأظهر الله عليهما وعجل الفضيحة لهما فأخذا وحبسا وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها وأمر ببناء حصن عندها على تل المعشوقة وأقام شهرا محاصرا لها فصانعه واليها على سبعة آلاف دينار فأخذها ورحل عن المدينة وقصد مدينة صيدا فحصرها برا وبحرا ونصب عليها البرج الخشب ووصل الاسطول المصرى فى الدفع عنها والحماية لمن فيها فقاتلهم أسطول الفرنج فظهر المسلمون عليهم فاتصل بالفرنج مسير عسكر دمشق نجدة لاهل صيدا فرحلوا عنها بغير فائدة وفيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب فبقى ليالى كثيرة ثم غاب * وتوفى فى هذه السنة فى شعبان ابراهيم بن مياس بن مهدى أبو اسحق القشيرى الدمشقى سمع الحديث الكثير من الخطيب البغدادى وغيره وتوفى فى ذى القعدة أبو سعيد اسمعيل بن عمرو بن محمد النيسابورى المحدث كان يقرأ الحديث للغرباء قرأ صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسى عشرين مرة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة﴾

﴿ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود﴾

فى هذه السنة فى صفر استولى مودود والعسكر الذى أرسله السلطان معه على مدينة الموصل وأخذوها من أصحاب جاولى سقاوو وقد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولى عليها وما جرى بينه وبين جكرمش والملك قلج ارسلان وهلاكهما على يده وصار معه بعد ذلك العسكر الكثير والعدة التامة والاموال الكثيرة وكان السلطان محمد قد جعل اليه ولاية كل بلد يفتحه فاستولى على

طير يكون بارض طبرستان على شاطئ الانهار شبيه بالباشق وأهل طبرستان يسمونه بالككم وهو صياحه الذى يصيح به ولا يصيح فى السنة الا فى هذا الفصل فاذا صاح اجتمعت عليه العصافير وصغار الطيور مما يكون فى المياه وغيرها فتزقه من أول النهار حتى اذا كان فى آخره أخذ واحدا مما قرب من الطير فأكله وكذلك يفعل فى كل يوم الى أن ينقضى هذا الفصل الربيعى فاذا انقضى ذلك انعكست عليه الطيور فلا تزال تجتمع عليه وتضربه وتطرده وهو يهرب منها ولا يسمع له صوت الى الفصل الربيعى وهو طير حسن موشى حسن العينين قال وذكر على بن يزيد الطبيب الطبرى صاحب كتاب فردوس الحكمة أن هذا الطائر ليس بكادبرى ولم ترقط قدماه على الارض مع ابل يطأ على الارض باحدى قدميه على البدل لا يطأ الارض بهما فى حالة واحدة قال وقد ذكر الجاحظ ان هذا الطير من احدى عجائب الدنيا وذلك أنه لا يطأ الارض بقدميه بل باحداهما خوفا على الارض أن تخسف به من تحته قال والعجب الثانى دودة تكون من المثقال الى الثلاثة تضئ بالليل كضوء الشمع وتطير بالنهار ويرى لها أجنحة خضراء ملساء لا جناحين لها غذاؤها التراب لا تشبع منه قط خوفا أن يفنى تراب الارض فتهلك جوعا وفيها خواص كثيرة ومنافع واسعة قال والعجب

كثير

كثير من البلاد والاموال وكان سبب أخذ البلاد منه انه لما استولى عليها وعلى الاموال الكثيرة منها لم يحمل الى السلطان منها شيأ فلما وصل السلطان الى بغداد لقصد بلاد سيف الدولة صدقة أرسل الى جاولى يستدعيه اليه بالعساكر وكرر الرسل اليه فلم يحضر وغالط فى الانحدار اليه وأظهر انه يخاف ان يجتمع به ولم يقنع بذلك حتى كاتب صدقة واظهر له انه معه ومساعده على حرب السلطان وأطمعه فى الخلاف والعصيان فلما فرغ السلطان من أمر صدقة وقتله كما ذكرناه تقدم الى الامراء بنى برسق وسكمان القطبى ومودود بن التونتكين وآقسنقر البرسقى ونصر بن مهلهل بن أبى الشوك الكردى وأبى الهيجاء صاحب اربل بالمسير الى الموصل وبلاد جاولى وأخذها منه فتوجهوا نحو الموصل فوجدوا جاولى عاصيا قد شيد سور الموصل وأحكم ما بناه جكرمش وأعد المبرة والاقوات والآلات واستظهر على الاعيان بالموصل فحبسهم وأخرج من احداثها ما يزيد على عشرين ألفا ونادى متى اجتمع عاميان على الحديث فى هذا الامر قتلهما وخرج عن البلد ونهب السواد وترك بالبلد زوجته ابنة برسق وأسكنها القلعة ومعها ألف وخمسمائة فارس من الاتراك سوى غيرهم وسوى الرجالة ونزل العسكر عليها فى شهر رمضان سنة احدى وخمسمائة وصادرت زوجته من بقى بالبلد وعسفت نساء الخارجين عنه وبالغت فى الاحتراز عليهم فاوحشهم ذلك ودعاهم الى الانحراف عنها وقوتل أهل البلد قتالا متتابعا فتمادى الحصار باهلها من خارج والظلم من داخل الى آخر المحرم والجند بها يمنعون عاميا من القرب من السور فلما طال الامر على الناس اتفق نفر من الجصاصين ومقدمهم جصاص يعرف بسعدى على تسليم البلد وتحالفوا على التساعد وأتوا وقت صلاة الجمعة والناس بالجامع وصعدوا برجا وأغلقوا أبوابه وقتلوا من به من الجند وكانوا نياما فلم يشعروا بشئ حتى قتلوا وأخذوا سلاحهم وألقوهم الى الارض وملكوا برجا آخر ووقعت الصيحة وقصدهم مائتا فارس من العسكر ورموهم بالنشاب وهم يقاتلون وينادون بشعار السلطان فزحف عسكر السلطان اليهم ودخلوا البلد من ناحيتهم وملكوه ودخله الامير مودود ونودى بالسكون والامن وان يعود الناس الى دورهم واملاكهم واقامت زوجة جاولى بالقلعة ثمانية أيام وراسلت الامير مودود فى ان يفرج لها عن طريقها وان يحلف لها على الصيانة والحراسة فحلف وخرجت الى أخيها برسق بن برسق ومعها أموالها وما استولت عليه وولى مودود الموصل وما ينضاف اليها

﴿ذكر حال جاولى مدة الحصار﴾

واما جاولى فانه لما وصل عسكر السلطان الى الموصل وحصرها سار عنها وأخذ معه القمص صاحب الرها الذى كان قد أسره سقمان واخذه منه جكرمش وقد ذكرنا ذلك وسار الى نصيبين وهى حينئذ للامير ايلغازى بن ارتق وراسله وسأله الاجتماع به واستدعاه الى معاضدته وان يكونا يدا واحدة وأعلمه ان خوفهما من السلطان ينبغى أن يجمعهما على الاحتماء منه فلم يجبه ايلغازى الى ذلك ورحل عن نصيبين ورتب بها ولده وأمره بحفظها من جاولى وان يقاتله ان قصدهم وسار الى ماردين فلما سمع جاولى ذلك عدل عن نصيبين وقصد دارا وأرسل الى ايلغازى ثانيا فى المعانى وسار بعد الرسول فبينما رسوله عند ايلغازى بماردين لم يشعر الا وجاولى معه فى القلعة وحده وقصدان يتألفه ويستميله فلما رآه ايلغازى قام اليه وخدمه ولما رأى جاولى محسنا للظن فيه غير مستشعر منه لم يجد الى دفعه سبيلا فنزل معه وعسكرا بظاهر نصيبين وسارا منها الى سنجار وحاصراها مدة فلم يجبهما صاحبه الى صلح فتركاه وسارا نحو الرحبة وايلغازى يظهر لجاولى

الثالث أعجب من الطير والدودة من يكرى نفسه للقتل يعنى المرتزقة من الجند فاستحسن هذا الخبر من حضر فقال أبو العباس الراضى معارضا لهذا الخبر الذى أخبر بالخبر الاول قد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ أن أعجب ما فى الدنيا ثلاث البوم لا تظهر بالنهار خوفا أن تصيبها العين لحسنها وجمالها ولما قد تصور فى نفسها أنها أحسن الحيوان فتظهر بالليل والعجب الثانى الكركى لا يطأ بقدميه الارض بل باحداهما فاذا وطئ باحداهما لا يعتمد عليها اعتمادا قويا ومشى بالتأنى خوفا من أن تخسف الارض من تحته لثقله والعجب الثالث الطائر الذى يقعد على سوق الماء من الانهار اذا اختزنت الذى يعرف بمالك الحزين على شبه الكركى خوفا من الماء أن يفنى من الارض فيموت عطشا قال العروضى فافترق من حضره وكل متعجب من الراضى مع صباه وصغر سنه كيف تتأتى منه هذه المذاكرات مع أن من حضره من أهل الرأى والسن والمعرفة (قال المسعودى) وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على عجائب الارض والبحار وما فيها من عجائب البنيان والحيوان والجماد والمائع والرجراج فأغنى ذلك عن ايرادها فى هذا الموضع وانما ذكرنا أخبار الراضى وما كان من أمره فى صباه وما أخبره عنه مؤدبه ونظمنا من أخباره ما تأتى لنا

المساعدة ويبطن الخلاف وينتظر فرصة لينصرف عنه فلما وصلا الى عرابان من الخابور هرب ايلغازي ليلا وقصد نصيبين

﴿ذكر اطلاق جاولي للقمص الفرنجي﴾

لما هرب ايلغازي من جاولي سار جاولي الى الرحبة فلما وصل الى ماكسين اطلق القمص الفرنجي الذي كان أسيرا بالموصل وأخذه معه واسمه بردويل وكان صاحب الرها وسروج وغيرهما وبقي في الحبس الى الآن وبذل الاموال الكثيرة فلم يطلق فلما كان الآن أطلقه جاولي وخلع عليه وكان مقامه في السجن مايقارب خمس سنين وقرر عليه ان يفدي نفسه بمال وان يطلق أسرى المسلمين الذين في سجنه وان ينصره متى أراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله فلما اتفقا على ذلك سير القمص الى قلعة جعبر وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك حتى ورد عليه ابن خالته جوسلين وهو من فرسان الفرنج وشجعانها وهو صاحب تل باشر وغيرها وكان أسر مع القمص في تلك الوقعة ففدى نفسه بعشرين ألف دينار فلما وصل جوسلين الى قلعة جعبر أقام رهينة عوض القمص وأطلق القمص وسار الى انطاكية وأخذ جاولي جوسلين من قلعة جعبر فاطلقه وأخذ عوضه أخا زوجته وأخا زوجة القمص وسيره الى القمص ليقوى به وليحثه على اطلاق الاسرى وانفاذ المال وما ضمنه فلما وصل جوسلين الى منبج أغار عليها ونهبها وكان معه جماعة من أصحاب جاولي فانكروا عليه ذلك ونسبوه الى الغدر فقال ان هذه المدينة ليست لكم

﴿ذكر ما جرى بين هذا القمص وبين صاحب انطاكية﴾

لما أطلق القمص وسار الى انطاكية أعطاه طنكري صاحبها ثلاثين ألف دينار وخيلا وسلاحا وثيابا وغير ذلك وكان طنكري قد أخذ الرها من أصحاب القمص حين أسر فخاطبه الآن في ردها عليه فلم يفعل فخرج من عنده الى تل باشر فلما قدم عليه جوسلين وقد أطلقه جاولي سره ذلك وفرح به وسار اليهما طنكري صاحب انطاكية بعساكره ليحاربهما قبل ان يقوى أمرهما ويجمعا عسكرا ويلحق بهما جاولي ويتجدد لهما فكانوا يقتتلون فاذا فرغوا من القتال اجتمعوا وأكل بعضهم مع بعض وتحادثوا وأطلق القمص من الاسرى المسلمين مائة وستين أسيرا كلهم من سواد حلب وكساهم وسيرهم وعاد طنكري الى انطاكية من غير فصل حال في معنى الرها فسار القمص وجوسلين وأغارا على حصون طنكري صاحب انطاكية والتجآ الى ولاية كواسيل وهو رجل أرمني ومعه خلق كثير من المرتدين وغيرهم وهو صاحب رعبان وكيسوم وغيرهما من القلاع شمالي حلب فانجد القمص بالف فارس من المرتدين وألفي راجل فقصدهم طنكري فتنازعوا في أمر الرها فتوسط بينهم البطرك الذي لهم وهو عندهم كالامام الذي للمسلمين لا يخالف أمره وشهد جماعة من المطارنة والقسيسين ان بيمند خال طنكري قال له لما أراد ركوب البحر والعود الى بلاده أن يعيد الرها الى القمص اذا خلص من الاسر فاعادها عليه طنكري تاسع صفر وعبر القمص الفرات ليسلم الى أصحاب جاولي المال والاسرى فاطلق في طريقه خلقا كثيرا من الاسرى من حران وغيرها وكان بسروج ثلثمائة مسلم ضعفى فعمر أصحاب جاولي مساجدهم وكان رئيس سروج مسلما فارتد فسمعه أصحاب جاولي يقول في الاسلام قولا شنيعا فضربوه وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع فذكر ذلك للقمص فقال هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين فقتله

﴿ذكر حال جاولي بعد اطلاق القمص﴾

لما أطلق جاولي القمص بماكسين سار الى الرحبة فاتاه ابو النجم بدران وأبو كامل منصور ابنا

سيف

ذكره في هذا الكتاب (وأخبرنا) العروضي قال سمرت عند الراضي في ليلة شاتية صهاكية فرأيته قلقا متململا فقلت له يا أمير المؤمنين أرى منك خصالا لم أعهدها وضيق صدر لم أعرفه فقال له دع عنك هذا وحدثني بحديث فان أنت أزلت بحديثك ما أجده من الهم فلك ما علي وما تحتي على أن أشترط عليك ازالة الهم بالضحك قلت يا أمير المؤمنين رحل رجل من بني هاشم الى ابن عمه بالمدينة فأقام عنده حولا لم يدخل مستراحا فلما كان بعد الحول أراد الرجوع الى الكوفة فحلف عليه أن يقيم عنده أياما أخر فأقام وكان للرجل قينتان فقال لهما أما رأيتما ابن عمي وظرفه أقام عندنا حولا لم يدخل الخلاء فقالتا له فعلينا أن نصنع له شيأ لا يجد معه بدا من الخلاء قال شأنكما وذلك فعمدتا الى خشب العشر فدققناه وهو مسهل وطرحناه في شرابه فلما حضر وقت شرابهما قدمتاه اليه وسقيا مولاهما من غيره فلما أخذ الشراب منهما تناوم المولى وتغص الفتى فقال للتي تليه يا سيدتي أين الخلاء فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه

خلا من آل فاطمة الدبار ... فمنزل أهلها منها قفار

فغنته فقال الفتى أظنهما كوفيتين وما فهمتا ثم التفت الى الاخرى فقال لها يا سيدتي أين الحش فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه

أوحش الدقرات والدير منها ... فغناهما بالمنزل المعمور

فغنته فقال الفتى أظنهما عراقيتين وما فهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها أعزك الله أين المتوضأ فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه

توضأ للصلاة وصلى خمسا ... وأذن بالصلاة على النبي

فغنته فقال أظنهما حجازيتين وما فهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها يا سيدتي أين الكنيف قالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك ان تغنيه

تكنفني الواشون من كل جانب ... ولو كان واش واحد لكفانيا

فغنته فقال أظنهما يمانيتين وما فهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها يا هذه أين المستراح فقالت لها صاحبتها ما قال لك قالت يسألك أن تغنيه

ترك الفكاهة والمزاحا ... وقلا الصبابة واستراحا

فغنته والمولى يسمع ذلك وهو متناوم فلما اشتد به الامر أنشأ يقول

تكنفني السلاح وأضجروني ... على ما بي بتكرير الاغاني
فلما ضاق عن ذاك اصطباري ... ذرقت به على وجه الزواني

ثم انه حل سراويله وسلح عليهما فتركهما آية للناظرين وانتبه المولى في أثر ذلك فلما رأى ما نزل بجواريه قال يا أخي ما حملك على هذا الفعل قال يا ابن الفاعلة لك جوار يرون المخرج صراطا مستقيما لا يدللنني عليه فلم أجد جزاء غير هذا ثم رحل عنه قال فذهب بالراضي الضحك

سيف الدولة صدقة وكانا بعد قتل أبيهما بقلعة جعبر عند سالم بن مالك فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة ووعدهما انه يسير معهما الى الحلة وعزموا ان يقدموا عليهم بكتاش بن تكش بن الب ارسلان فوصل اليهم وهم على هذا العزم الاصبهبذ صباوو وكان قد قصد السلطان فاقطعه الرحبة وقد ذكرناه فاجتمع بجاولي وأشار عليه ان يقصد الشام فان بلاده خالية من الاجناد والفرنج قد استولوا على كثير منها وعرفه انه متى قصد العراق والسلطان بها أو قريبا منها لم يأمن شرا يصل اليه فقبل قوله وأصعد عن الرحبة فوصل اليه رسل سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر يستغيث به من بني نمير وكانت الرقة بيد ولده علي بن سالم فوثب جوشن النميري ومعه جماعة من بني نمير فقتل عليا وملك الرقة فبلغ ذلك الملك رضوان فسار من حلب الى صفين فصادف تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره الى جاولي فاخذه وأسر عددا منهم وأتى الرقة فصالحه بنو نمير على مال فرحل عنهم الى حلب فاستنجد سالم بن مالك جاولي وسأله ان يرحل الى الرقة ويأخذها ووعده بما يحتاج اليه فقصد الرقة وحصرها سبعين يوما فضمن له بنو نمير مالا وخيلا فارسل الى سالم انني في أمر أهم من هذا وأنا بازاء عدو ويجب التشاغل به دون غيره وأنا عازم على الانحدار الى العراق فان تم أمري فالرقة وغيرها لك ولا أشتغل عن هذا المهم بحصار خمسة نفر من بني نمير ووصل الى جاولي الامير حسين بن اتابك قتلغتكين وكان أبوه اتابك السلطان محمد فقتله وتقدم ولده هذا عند السلطان واختص به فسيره السلطان مع فخر الملك بن عمار ليصلح الحال مع جاولي ويأمر العساكر بالمسير مع ابن عمار الى جهاد الكفار فحضر عند جاولي وأمره بتسليم البلاد وطيب قلبه عن السلطان وضمن الجميل اذا سلم البلاد وأظهر الطاعة والعبودية فقال جاولي انا مملوك السلطان وفي طاعته وحمل اليه مالا وثيابا لها مقدار جليل وقال له سر الى الموصل ورحل العسكر عنها فاني أرسل معك من يسلم ولدي اليك رهينة وينفذ السلطان اليها من يتولى أمرها وجباية أموالها ففعل حسين ذلك وسار ومعه صاحب جاولي فلما وصلا الى العسكر الذي على الموصل وكانوا لم يفتحوها بعد فامرهم حسين بالرحيل فكلهم أجاب الا الامير مودود فانه قال لا أرحل الا بأمر السلطان وقبض على صاحب جاولي وأقام على الموصل حتى فتحها كما ذكرناه وعاد حسين بن قتلغتكين الى السلطان فاحسن النيابة عن جاولي عنده وسار جاولي الى مدينة بالس فوصلها ثالث عشر صفر فاحتمى أهلها منه وهرب من بها من أصحاب الملك رضوان صاحب حلب فحصرها خمسة أيام وملكها بعد ان نقب برجا من ابراجها فوقع على النقابين فقتل منهم جماعة وملك البلد وصلب جماعة من أعيانه عند النقب وأحضر القاضي محمد بن عبد العزيز بن الياس فقتله وكان فقيها صالحا ونهب البلد وأخذ منه مالا كثيرا

﴿ذكر الحرب بين جاولي والفرنج﴾

وفي هذه السنة في صفر كان المصاف بين جاولي سقاوو وبين طنكري الفرنجي صاحب انطاكية وسبب ذلك ان الملك رضوان كتب الى طنكري صاحب انطاكية يعرفه ما عليه جاولي من الغدر والمكر والخداع ويحذره منه ويعلمه انه على قصد حلب وانه ان ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام وطلب منه النصرة والاتفاق على منعه فأجابه طنكري الى منعه وبرز من انطاكية فارسل اليه رضوان ستمائة فارس فلما سمع جاولي الخبر أرسل الى القمص صاحب الرها يستدعيه الى مساعدته وأطلق له ما بقي عليه من مال المفاداة فسار الى جاولي فلحق به وهو على منبج فوصل الخبر اليه وهو على هذه الحال بان الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان وملكوا خزائنه

كل مذهب وسلم الى كل ما كان — عليه وتحته من لباس وفرش فكان مبلغ ثمن ذلك نحوا من ألف دينار (وذكر)

وأمواله فاشتد ذلك عليه وفارقه كثير من أصحابه منهم أتابك زنكى بن آقسنقر وبكتاش النهاوندى وبقى جاولى فى ألف فارس وانضم اليه خلق من المطوعة فنزل بتل باشر وقاربهم طنكرى وهو فى ألف وخمسمائة فارس من الفرنج وستمائة من أصحاب ملك رضوان سوى الرجالة فجعل جاولى فى ميمنته الامير اقسيان والامير التونتاش الابرى وغيرهما وفى الميسرة الامير بدران ابن صدقة والاصبهبذ صباوو وسنقر دراز وفى القلب القمص بغدوين وجوسلين الفرنجيين ووقعت الحرب فحمل أصحاب انطاكية على القمص صاحب الرها واشتد القتال فأزاح طنكرى القلب عن موضعه وحملت ميسرة جاولى على رجالة صاحب انطاكية فقتلت منهم خلقا كثيرا ولم يبق غير هزيمة صاحب انطاكية فحينئذ عمد أصحاب جاولى الى جنائب القمص وجوسلين وغيرهما من الفرنج فركبوها وانهزموا فمضى جاولى وراءهم فلم يرجعوا وكانت طاعته قد زالت عنهم حين أخذت الموصل منه فلما رأى انهم لا يعودون معه أهمه نفسه وخاف من المقام فانهزم وانهزم باقى عسكره فاما الاصبهبذ صباوو فسار نحو الشام واما بدران بن صدقة فسار الى قلعة جعبر واما ابن جكرمش فقصد جزيرة ابن عمر واما جاولى فقصد الرحبة وقتل من المسلمين خلق كثير ونهب صاحب انطاكية أموالهم وأثقالهم وعظم البلاء عليهم من الفرنج وهرب القمص وجوسلين الى تل باشر والتجأ اليهما خلق كثير من المسلمين فأحسنا اليهم وداويا الجرحى وكسوا العراة وسيراهم الى بلادهم

﴿ذكر عود جاولى الى السلطان﴾

لما انهزم جاولى سقاوو وقصد الرحبة فلما قاربها بات دونها فى عدة فوارس فاتفق ان طائفة من عسكر الامير مودود الذين أخذوا الموصل منه أغاروا على قوم من العرب يجاورون الرحبة فقاربوا جاولى وهم لا يشعرون به ولو علموا لاخذوه فلما رأى الحال كذلك علم انه لا يقدر أن يقيم فى الجزيرة ولا بالشام ولا يقدر على شئ يحفظ به نفسه ويرجع اليه ويداوى به مرضه غير قصد باب السلطان محمد عن رغبة واختيار وكان وانقا بالامير حسين بن قتلغتكين فرحل من مكانه وهو خائف حذر قد أخفى شخصه وكتم أمره وسار الى عسكر السلطان وكان بالقرب من أصبهان فوصل اليه فى سبعة عشر يوما من مكانه لجده فى السير فلما وصل المعسكر قصد الامير حسين فحمله الى السلطان فدخل اليه وكفنه تحت يده فأمنه وأتاه الامراء يهنونه بذلك وطلب منه السلطان الملك بكتاش بن تكش فسلمه اليه فاعتقله بأصبهان

﴿ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهدنة بعدها﴾

فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين طغتكين أتابك والفرنج وسببها ان طغتكين سار الى طبرية وقد وصل اليها ابن أخت بغدوين الفرنجى ملك القدس فصار باوا قتتلا وكان طغتكين فى ألفى فارس وكثير من الرجالة وكان ابن أخت ملك الفرنج فى أربعمائة فارس وألفى راجل فلما اشتد القتال انهزم المسلمون فترجل طغتكين ونادى بالمسلمين وشجعهم فعاودوا الحرب وكسروا الفرنج وأسروا ابن أخت الملك وحمل الى طغتكين فعرض طغتكين عليه الاسلام فامتنع منه وبذل فى فداء نفسه ثلاثين ألف دينار واطلاق خمسمائة أسير فلم يقنع طغتكين منه بغير الاسلام فلما لم يجب قتله بيده وأرسل الى الخليفة والسلطان الاسرى ثم اصطلح طغتكين وبغدوين ملك الفرنج على وضع الحرب أربع سنين وكان ذلك من لطف الله تعالى بالمسلمين ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين بعد الهزيمة الآتى ذكرها أمرا عظيما

الصولى قال قال الراضى ما كان السبب فى لبس المأمون الخضرة ورقعة السواد ثم لبسه السواد بعد ذلك قلت هو ما أخبرنا به محمد بن زكريا العلانى قال حدثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان قال لما قدم المأمون بغداد اجتمع الهاشميون الى زينب بنت سليمان بن على وكانت أقعد ولد العباس نسبا وأكرمهم بيتا فسألوها أن تكلم أمير المؤمنين فى تغييره الخضرة فضمنت لهم ذلك وجاءت الى المأمون فقالت يا أمير المؤمنين انك على بر أهلك من ولد على ابن أبى طالب أقدر منك على برهم لنا من غير أن تزيل سنة من مضى من آبائك فدع لباسك الخضرة ولا تطمعن أحدا فيما كان منك قال لها يا عمة ما كلمنى أحد فى هذا المعنى بكلام أوقع من كلامك ولا أقصد لما أردت لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فولى الامرة أبو بكر فقد عرفت ما كان من أمره فينا أهل البيت ثم وليها عمر فلم يتعد فيها فعل من تقدمه ثم وليها عثمان فأقبل على بنى أمية وأعرض عن غيرهم ثم آل الامر الى على بن أبى طالب من غير صفو كصفوها لغيره بل مشوبة بالاكدار

فولى مع ذلك عبد الله بن العباس البصرة وولى عبيد الله بن العباس اليمن وولى قثم البحرين وما ﴿ذكر﴾

أحدهم الاولاه فكانت هذه فى أعناقنا حتى كافأته فى ولده بما فعلت — ولا يكون بعد هذا الا ما تحبون ثم

﴿ذكر انهزام طغتكين من الفرنج﴾

فى هذه السنة فى شعبان انهزم أتابك طغتكين من الفرنج وسبب ذلك ان حصن عرقة وهو من أعمال طرابلس كان بيد غلام للقاضى فخر الملك أبى على بن عمار صاحب طرابلس وهو من الحصون المنيعة فعصى على مولاه فضاق به القوت وانقطعت عنه الميرة لطول مكث الفرنج فى نواحيه فأرسل الى أتابك طغتكين صاحب دمشق وقال له أرسل من يتسلم هذا الحصن منى قد عجزت عن حفظه ولان يأخذه المسلمون خير لى دنيا وآخرة من أن يأخذه الفرنج فبعث اليه طغتكين صاحبا له اسمه اسرائيل فى ثلثمائة رجل فتسلم الحصن فلما نزل غلام ابن عمار منه رماه اسرائيل فى الاختلاط بسهم فقتله وكان قصده بذلك ان لا يطلع أتابك طغتكين على ما خلفه بالقلعة من المال وأراد طغتكين قصد الحصن للاطلاع عليه وتقويته بالعساكر والاقوات وآلات الحرب فنزل الغيث والثلج مدة شهرين ليلا ونهارا فمنعه فلما زال ذلك سار فى أربعة آلاف فارس ففتح حصونا للفرنج منها حصن الاكمة فلما سمع السردانى الفرنجى بمجئ طغتكين وهو على حصار طرابلس توجه فى ثلثمائة فارس فلما أشرف أوائل أصحابه على عسكر طغتكين انهزموا وخلوا أثقالهم ورحالهم ودوابهم للفرنج فغنموا وقووا به وزاد فى تجملهم ووصل المسلمون الى حمص على أقبح حال من التقطع ولم يقتل منهم أحد لانه لم تجر حرب وقصد السردانى الى عرقة فلما نازلها طلب من كان بها الامان فأمنهم على نفوسهم وتسلم الحصن فلما خرج من فيه قبض على اسرائيل وقال لا أطلقه الا باطلاق فلان وهو أسير كان بدمشق من الفرنج منذ سبع سنين ففودى به وأطلقاهما ولما وصل طغتكين الى دمشق بعد الهزيمة أرسل اليه ملك القدس يقول له لا تظن انى أنقض الهدنة للذى تم عليك من الهزيمة فالملوك ينالهم أكثر مما نالك ثم تعود أمورهم الى الانتظام والاستقامة وكان طغتكين خائفا ان يقصده بعد هذه الكسرة فينال من بلده كل ما أراد

﴿ذكر صلح السنة والشيعة ببغداد﴾

فى هذه السنة فى شعبان اصطلح عامة بغداد السنة والشيعة وكان الشر منهم على طول الزمان وقد اجتهد الخلفاء والسلاطين والشحن فى اصلاح الحال فتعذر عليهم ذلك الى ان أذن الله تعالى فيه وكان بغير واسطة وكان السبب فى ذلك ان السلطان محمدا لما قتل ملك العرب صدقة كما ذكرناه خاف الشيعة ببغداد أهل الكرخ وغيرهم لان صدقة كان يتشيع هو وأهل بيته فشنع أهل السنة عليهم بانهم نالهم غم وهم لقتله فخاف الشيعة وأغضوا على سماع هذا ولم يزالوا خائفين الى شعبان فلما دخل شعبان تجهز السنة لزيارة قبر مصعب بن الزبير وكانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة ومنعوا منه لتنقطع الفتن الحادثة بسببه فلما تجهزوا للمسير اتفقوا على ان يجعلوا طريقهم فى الكرخ فأظهروا ذلك فاتفق رأى أهل الكرخ على ترك معارضتهم وانهم لا يمنعونهم فصار السنة تسير أهل كل محلة منفردين ومعهم من الزينة والسلاح شئ كثير وجاء أهل باب المراتب ومعهم فيل قد عمل من خشب وعليه الرجال بالسلاح وقصدوا جميعهم الكرخ ليعبروا فيه فاستقبلهم أهله بالبخور والطيب والماء المبرد والسلاح الكثير وأظهروا بهم السرور وشيعوهم حتى خرجوا من المحلة وخرج الشيعة ليلة النصف منه الى مشهد موسى بن جعفر وغيره فلم يعترضهم أحد من السنة فعجب الناس لذلك ولما عادوا من زيارة مصعب لقيهم أهل الكرخ بالفرح والسرور فاتفق ان أهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب

رجع الى لبس السواد وللمأمون يا أمير المؤمنين شعر يشاكل معنى ما ذكرت من هذا الخبر وهو قوله

ألام على شكر الوصى أبى الحسن
وذلك عندى من عجائب ذا الزمن
خليفة خير الناس والاول الذى
أعان رسول الله فى السر والعلن
ولولاه ما عدت لهاشم امرة
وكانت على الايام تقضى وتمتهن
فولى بنى العباس ما اختص غيرهم
ومن فيه أولى بالتكرم والمنن
فأوضح عبد الله بالبصرة الهدى
وفاض عبيد الله جودا على اليمن
وقسم أعمال الخليفة بينهم
فلا زلت مربوطا بذا الشكر مرتهن

وكان القاهر قد عمد الى كثير من الاموال عند قتله لمؤنس وبليق وابنه على وغيرهم فغيبها فلما قبض عليه وسملت عيناه وأفضت الخلافة الى الراضى طولب القاهر بالاموال فانكر أن يكون عنده شئ من ذلك فأوذى وعذب بأنواع

من العذاب وكل ذلك لا يزيده الا انكارا فأخذه الراضى وقربه وأدناه وطالت مجالسته اياه واكرامه له واعطاه

فقرأ لهم قوم ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عاد منصور بن صدقة بن مزيد الى باب السلطان فتقبله وأكرمه وكان قد هرب بعد قتل والده الى الآن والتحق أخوه بدران بن صدقة بالامير مودود الذى اقطعه السلطان الموصل فأكرمه وأحسن صحبته وفيها فى نيسان زادت دجلة زيادة عظيمة وتقطعت الطرق وغرقت الغلات الشتوية والصيفية وحدث غلاء عظيم بالعراق بلغت الكارة الدقيق الخشكار عشرة دنانير امامية وعدم الخبز رأسا واكل الناس التمر والباقلاء الاخضر وأما أهل السواد فانهم لم يأكلوا جميع شهر رمضان ونصف شوال سوى الحشيش والتوت وفيها فى رجب عزل وزير الخليفة أبو المعالى هبة الله بن المطلب ووزر له أبو القاسم على بن أبى نصر بن جهير وفيها فى شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله ابنة السلطان ملكشاه وهى أخت السلطان محمد وكان الذى خطب خطبة النكاح القاضى أبو العلاء صاعد بن محمد النيسابورى الحنفى وكان المتولى لقبول العقد نظام الملك أحمد بن نظام الملك وزير السلطان بوكالة من الخليفة وكان الصداق مائة ألف دينار ونثرت الجواهر والدنانير وكان العقد باصبهان وفيها تولى مجاهد الدين بهروز شحنكية بغداد وكان سبب ذلك ان السلطان محمدا كان قبض على أبى القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن وعلى أبى الفرج بن رئيس الرؤساء واعتقلهم عنده ثم أطلقهم الآن وقرر عليهم مالا يحملونه اليه فأرسل مجاهد الدين بهروز لقبض المال وأمره السلطان بعمارة دار المملكة ففعل ذلك وعمر الدار وأحسن الى الناس فلما قدم السلطان الى بغداد ولاه شحنكية العراق جميعه وخلع على سعيد بن حميد العمرى صاحب جيش صدقة وولاه الحلة السيفية وكان صارما حازما ذا رأى وجلد وفيها فى شوال ملك الامير سكمان القطبى صاحب خلاط مدينة ميافارقين بالامان بعد ان حصرها وضيق على أهلها عدة شهور فعدمت الاقوات بها واشتد الجوع بأهلها فسلموها وفى هذه السنة فى صفر قتل قاضى أصبهان عبيد الله بن على الخطيبى بهمذان وكان قد تجرد فى أمر الباطنية تجردا عظيما وصار يلبس درعا حذرا منهم ويحتاط ويحترز فقصده انسان عجمى يوم جمعة ودخل بينه وبين أصحابه فقتله وقتل صاعد بن محمد بن عبد الرحمن أبو العلاء قاضى نيسابور يوم عيد الفطر قتله باطنى وقتل الباطنى ومولده سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث وكان حنفى المذهب وفى هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق الى مصر فأتى الخبر الى ملك الفرنج فسار اليه وعارضه فى البر وأخذ كل من فيه ولم يسلم منهم الا القليل ومن سلم أخذه العرب وفيها فى فصح النصارى ثار جماعة من الباطنية فى حصن شيزر على حين غفلة من أهله فى مائة رجل فملكوه وأخرجوا من كان فيه وأغلقوا بابه وصعدوا الى القلعة فملكوها وكان أصحابها بنو منقذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى وكانوا قد أحسنوا الى هؤلاء الذين أفسدوا كل الاحسان فبادر أهل المدينة الباشورة فأصعدهم النساء فى الحبال من الطاقات وصاروا معهم وأدركهم الامراء بنو منقذ أصحاب الحصن فصعدوا اليهم فكبروا عليهم وقاتلوهم فانخذل الباطنية وأخذهم السيف من كل جانب فلم يفلت منهم أحد وقتل من كان على مثل رأيهم فى البلد وفيها وصل الى المهدية ثلاثة نفر غرباء فكتبوا الى أميرها يحيى بن تميم يقولون انهم يعملون الكيمياء فأحضرهم عنده وأمرهم أن يعملوا شيأ يراه من صناعتهم فقالوا انعمل النقرة فأحضر لهم ما طلبوا من آلة وغيرها وقعد معهم هو والشريف أبو الحسن وقائد جيشه اسمه ابراهيم وكانا

حق العمومية والسن والتقدم فى الخلافة ولاطفه وأحسن اليه غاية الاحسان وكان للقاهر فى بعض الحصون بستان من ريحان وغرس من النارنج قد حمل اليه من البصرة وعمان مما حمل الى أرض الهند قد اشتبكت أشجاره ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر وبين ذلك أنواع الغروس والرياحين والزهر وقد جعل مع ذلك فى الصحن أنواع الاطيار من القمارى والدبابى والشحارير والببغاء مما قد جلب اليه من الممالك والامصار وكان فى غاية الحسن وكان القاهر كثير الشرب عليه والجلوس فى تلك المجالس فلما أفضت الخلافة الى الراضى اشتد شغفه بذلك الموضع فكان يداوم الجلوس والشرب فيه ثم ان الراضى رفق بالقاهر وأعلمه بما هو فيه من مطالبة الرجال بالاموال والحاجة اليها ولا شئ قبله منها وسأله أن يسعفه بما عنده منها اذ كانت الدولة له وأن يدبر تدبيره ويرجع فى كل الامور الى قوله وحلف له بالايمان الوكيدة أن لا يسعى فى قتله ولا الاضرار به ولا بأحد من ولده فأنم له القاهر بذلك وقال ليس لى مال الا فى بستان النارنج فسار به الراضى الى البستان وسأله عن الموضع فقال له القاهر قد حجب بصرى فلست أعرف موضعه ولكن مر بحفره فانك تظهر على الموضع ولا يخفى عليك

يختصان به فلما رأى الكيماوية المكان خاليا من جمع ثاروا بهم فضرب أحدهم يحيى بن تميم على رأسه فوقعت السكين فى عمامته فلم تصنع شيأ ورفسه يحيى فألقاه على ظهره ودخل يحيى بابا وأغلقه على نفسه فضرب الثانى الشريف فقتله وأخذ القائد ابراهيم السيف فقاتل الكيماوية ووقع الصوت فدخل أصحاب الامير يحيى فقتلوا الكيماوية وكان زيهم زى أهل الاندلس فقتل جماعة من أهل البلد على مثل زيهم وقيل للامير يحيى ان هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدم بن خليفة واتفق ان الامير أبا الفتوح بن تميم أخا يحيى وصل تلك الساعة الى القصر فى أصحابه قد لبسوا السلاح فمنع من الدخول فثبت عند الامير يحيى ان ذلك بوضع منهما فأحضر المقدم بن خليفة وأمر أولاد أخيه فقتلوه قصاصا لانه قتل أباهم وأخرج الامير أبا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم وهى ابنة عمه ووكل بهما فى قصر زياد بين المهدية وسفاقس فبقى هناك الى ان مات يحيى وملك بعده ابنه على سنة تسع وخمسمائة فسير أبا الفتوح وزوجته بلارة الى ديار مصر فى البحر فوصلا الى اسكندرية على ما نذكره ان شاء الله وفيها فى المحرم قتل عبد الواحد بن اسمعيل بن أحمد بن محمد أبو المحاسن الرويانى الطبرى الفقيه الشافعى مولده سنة خمس عشرة وأربعمائة وكان حافظا للمذهب ويقول لو احترقت كتب الشافعى لامليتها من قلبى وفيها فى جمادى الآخرة توفى الخطيب أبو زكريا يحيى بن على التبريزى الشيبانى اللغوى صاحب التصانيف المشهورة وله شعر ليس بالجيد وفيها فى رجب توفى السيد أبو هاشم زيد الحسنى العلوى رئيس همذان وكان نافذ الحكم ماضى الامر وكانت مدة رياسته لها سبعا وأربعين سنة وجده لامه الصاحب أبو القاسم ابن عباد وكان عظيم المال جدا فمن ذلك انه أخذ منه السلطان محمد فى دفعة واحدة سبعمائة ألف دينار لم يبع لاجلها املاكا ولا استدان دينارا واقام بعد ذلك بالسلطان محمد عدة شهور فى جميع ما بيده وكان قليل المعروف وفيها فى ذى الحجة توفى أبو الفوارس الحسن بن على الخازن الكاتب المشهور بجودة الخط وله شعر منه

عنت الدنيا لطالبها * واستراح الزاهد الفطن
عرف الدنيا فلم يرها * وسواه حظه الفتن
كل ملك نال زخرفها * حظه مما حوى كفن
يقتنى مالا ويتركه * فى كلا الحالين مفتتن
املى كونى على ثقة * من لقاء الله مرتهن
اكره الدنيا وكيف بها * والذى تسخو به وسن
لم تدم قبلى على أحد * فلماذا الهم والحزن

وقيل توفى سنة تسع وتسعين وأربعمائة وقد ذكرته هناك

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة﴾

﴿ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام﴾

فى هذه السنة حادى عشر ذى الحجة ملك الفرنج طرابلس وسبب ذلك ان طرابلس كانت قد صارت فى حكم صاحب مصر ونائبه فيها والمدد يأتى اليها منه وقد ذكرنا ذلك سنة احدى وخمسمائة فلما كان هذه السنة أول شعبان وصل اصطول كبير من بلاد الفرنج فى البحر ومقدمهم قمص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال والسلاح والميرة فنزل على طرابلس وكان نازلا عليها قبله السردانى ابن أخت صنجيل وليس بابن أخت ريمند هذا بل هو

فكان ذلك تحفر البستان وقلع تلك الاشجار والغروس والازهار حتى لم يبق منه موضع الا حفره وبولغ فى حفره فلم يجد شيأ فقال له الراضى فما ههنا شئ مما ذكرت فما الذى حملك على ما صنعت فقال له القاهر وهل عندى من المال شئ انما كانت حسرتى جلوسك فى هذا الموضع وتمتعك به وكان لذتى من الدنيا فتأسفت على أن يتمتع به بعدى غيرى فتأسف الراضى على ما توجه عليه من الحيلة فى أمر ذلك البستان وندم على قبوله منه وأبعد القاهر فلم يكن يدنو منه خوفا على نفسه أن يتناول بعض أطرافه وكان الراضى كثير الاستعمال للطيب حسن الهيئة سخيا جوادا حسن المذاكرة باخبار الناس وأيامهم مقربا لاهل العلم والادب والمعرفة كثير الدنو منهم فائضا بجوده عليهم ولم يكن ينصرف عنه أحد من ندمانه فى كل يوم الا بصلة أو خلعة أو طيب وكانوا عدة ندماء منهم محمد بن يحيى الصولى وابن حمدون النديم وغيرهما فعوتب على كثرة افضاله على من يحضره من الجلساء فقال أنا أستحسن فعل أمير المؤمنين أبى العباس لانه كانت فيه فضائل لا تكاد تجتمع فى أحد لا يحضره نديم ولا مغن ولا قينة فينصرف الا بصلة أو كسوة قلت أو كثرت وكان لا يؤخر احسان محسن لغد ويقول العجب من انسان يفرح انسانا فيتعجل

قص آخر فجرت بينهما فتنة أدت الى الشر والقتال فوصل طنكرى صاحب انطاكية اليها معونة للسردانى ووصل الملك بغدوين صاحب القدس فى عسكره فاصلح بينهم ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس وشرعوا فى قتالها ومضايقة أهلها من أول شعبان وألصقوا أبراجهم بسورها فلما رأى الجند وأهل البلد ذلك سقط فى أيديهم وذلت نفوسهم وزادهم ضعفا تأخر الاسطول المصرى عنهم بالميرة والنجدة وكان سبب تأخره أنهم فرغوا منه ومن الحث عليه واختلفوا فيه أكثر من سنة وسار فردته الريح فتعذر عليهم الوصول الى طرابلس ليقضى الله أمرا كان مفعولا وشد الفرنج القتال عليها من الابراج والزحف فهجموا على البلد وملكوه عنوة وقهرا يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة من السنة ونهبوا ما فيها وأسروا الرجال وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال وغنموا من أهلها الاموال والامتعة وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يحد ولا يحصى فان أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالا وتجارة وسلم الوالى الذى كان بها وجماعة من جندها كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فوصلوا الى دمشق وعاقب الفرنج أهلها بانواع العقوبات وأخذت دفائنهم وذخائرهم من مكامنهم

﴿ذكر ملك الفرنج جبيل وبانياس﴾

لما فرغ الفرنج من طرابلس سار طنكرى صاحب انطاكية الى بانياس وحصرها وافتتحها وامن أهلها ونزل مدينة جبيل وفيها فخر الملك بن عمار الذى كان صاحب طرابلس وكان القوت فيها قليلا فقاتلها الى ان ملكها فى الثانى والعشرين من ذى الحجة من السنة بالامان وخرج فخر الملك ابن عمار سالما ووصل عقيب ملك طرابلس الاسطول المصرى بالرجال والمال والغلال وغيرها ما يكفيهم سنة فوصل الى صور بعد أخذها بثمانية أيام للقضاء النازل بأهلها وفرقت الغلال التى فيه والذخائر فى الجهات المنفذة اليها صور وصيدا وبيروت وأما فخر الملك بن عمار فانه قصد شيزر فأكرمه صاحبها الامير سلطان بن على بن منقذ الكنانى واحترمه وسأله ان يقيم عنده فلم يفعل وسار الى دمشق فانزله طغتكين صاحبها واجزل له فى الحمل والعطية وأقطعه اعمال الزبدانى وهو عمل كبير من اعمال دمشق وكان ذلك فى المحرم سنة اثنتين وخمسمائة

﴿ذكر الحرب بين محمد خان وساغر بك﴾

فى هذه السنة عاد ساغر بك وجمع العساكر الكثيرة من الاتراك وغيرهم وقصد اعمال محمد خان بسمرقند وغيرها فأرسل محمد خان الى سنجر يستنجده فسير اليه الجنود واجتمع معه أيضا كثير من العساكر وسار الى ساغر بك فالتقوا بنواحى الخشب واقتتلوا فانهزم ساغر بك وعساكره وأخذت السيوف منهم مأخذها وكثر الاسر فيهم والنهب فلما فرغوا من حربهم وامن محمد خان من شر ساغر بك عاد العسكر السنجرى الى خراسان فعبروا النهر الى بلخ

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى المحرم سير السلطان وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك الى قلعة ألموت لقتال الحسن بن الصباح ومن معه من الاسماعيلية فحصروهم وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضا وفيها فى ربيع الآخر قدم السلطان الى بغداد وعاد عنها فى شوال من السنة أيضا وفيها فى شعبان توجه الوزير نظام الملك الى الجامع فوثب به الباطنية فضربوه بالسكاكين وجرح فى رقبته فبقى مريضا مدة ثم برأ وأخذ الباطنى الذى جرحه فسقى الخمر حتى سكر ثم سئل عن أصحابه فاقر على جماعة بمسجد المأمونية فأخذوا وقتلوا وفيها عزل وزير الخليفة وهو أبو المعالى

السرور ويؤخر ثواب من سره تسويفا وعدة فكان أبو العباس فى كل ليلة أو يوم يقعد لشغله لا ينصرف أحد ممن حضره الا مسرورا ونحن وان لم تتأت لنا الامور كتأتيها لمن سلف فانا نواسى جلساءنا بنيل اخواننا ببعض ما حضرنا وكان شحيحا على سائر الاشياء لا يستكثر لاحد من ندمائه كثرة ما يصل اليه على طول الايام حتى كان بعضهم ربما تأخر عن الحضور لما يترادف عليه من فضله وكان الغالب عليه من الخدم راغب الخادم وزيرك ومن الغلمان ذكى وغيره (وحدث) أبو الحسن العروضى مؤدب الراضى قال اجتزت فى يوم مهرجان بدجلة بدار بجكم التركى فرأيت من الهرج والملاهى واللعب والفرح والسرور ما لم أر مثله ثم دخلت الى الراضى بالله فوجدته خاليا بنفسه قد اعتراه هم فوقفت بين يديه فقال لى ادن فدنوت فاذا بيده دينار ودرهم فى الدينار نحو من مثاقيل وفى الدرهم كذلك عليه صورة بجكم شاك فى سلاحه وحوله مكتوب انما العز فاعلم للامير المعظم * سيد الناس بجكم * ومن الجانب الآخر الصورة بعينها جالس فى مجلسه كالمفكر المطرق فقال الراضى أما ترى صنع هذا الانسان وما تسمو اليه همته وما تحدثه به نفسه فلم أجبه بشئ وأخذت به

ابن

ابن المطلب ووزر بعده الزعيم أبو القاسم بن جهير فخرج ابن المطلب من دار الخليفة مستترا هو وأولاده واستجار بدار السلطان وفيها جهز يحيى بن تميم صاحب افريقية خمسة عشر شينيا وسيرها الى بلاد الروم فلقيها اسطول الروم وهو كبير فقاتلوهم وأخذوا استقطع من شوانى المسلمين ولم ينهزم بعد ذلك ليحيى جيش فى البحر والبر وسير ابنه أبا الفتوح الى مدينة سفاقس واليا عليها فثار به أهلها فنهبوا قصره وهموا بقتله فلم يزل يحيى يعمل الحيلة عليهم حتى فرق كلمتهم وبدد شملهم وملك رقابهم فسجنهم وعفا عن دمائهم وذنوبهم وفيها توفى الامير ابراهيم ينال صاحب آمد وكان قبيح السيرة مشهورا بالظلم فجلا كثير من أهلها لجوره وملك بعده ولده وكان أصلح حالا منه وفيها فى ثامن ذى القعدة ظهر فى السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة الى القبلة وبقى يطلع الى آخر ذى الحجة ثم غاب

﴿ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة﴾

﴿ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا﴾

فى هذه السنة فى ربيع الآخر ملك الفرنج مدينة صيدا من ساحل الشام وسبب ذلك انه وصل فى البحر الى الشام ستون مركبا للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحج البيت المقدس ويغزو بزعمه المسلمين فاجتمع بهم بغدوين ملك القدس وتقررت القاعدة بينهم ان يقصدوا بلاد الاسلام فرحلوا من القدس ونزلوا مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة وضايقوها برا وبحرا وكان الاسطول المصرى مقيما على صور فلم يقدر على انجاد صيدا فعمل الفرنج برجا من الخشب وأحكموه وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة وزحفوا به فلما عاين أهل صيدا ذلك ضعفت نفوسهم وأشفقوا ان يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت فأرسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها الى الفرنج وطلبوا من ملكهم الامان فامنهم على أنفسهم وأموالهم والعسكر الذى عندهم ومن أراد المقام به عندهم أمنوه ومن أراد المسير عنهم لم يمنعوه وحلف لهم على ذلك فخرج الموالى وجماعة كثيرة من أعيان أهل البلد فى العشرين من جمادى الاولى الى دمشق وأقام بالبلد خلق كثير تحت الامان وكانت مدة الحصار سبعة وأربعين يوما ورحل بغدوين عنها الى القدس ثم عاد الى صيدا بعد مدة يسيرة فقرر على المسلمين الذين أقاموا بها عشرين ألف دينار فافقرهم واستغرق أموالهم

﴿ذكر استيلاء المصريين على عسقلان﴾

كانت عسقلان للعلويين المصريين ثم ان الخليفة الآمر باحكام الله استعمل عليها انسانا يعرف بشمس الخلافة فراسل بغدوين ملك الفرنج بالشام وهادنه وأهدى اليه مالا وعروضا فامتنع به من أحكام المصريين عليه الا فيما يريد من غير مجاهرة بذلك فوصلت الاخبار بذلك الى الآمر باحكام الله صاحب مصر والى وزيره الافضل أمير الجيوش فعظم الامر عليهما وجهزا عسكرا وسيراه الى عسقلان مع قائد كبير من قواده وأظهرا أنه يريد الغزاة وأنفذا الى القائد سرا ان يقبض على شمس الخلافة اذا حضر عندهم ويقيم هو عوضه بعسقلان أميرا فسار العسكر فعرف شمس الخلافة الحال فامتنع من الحضور عند العسكر المصرى وجاهر بالعصيان وأخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفا منهم فلما عرف الافضل ذلك خاف أن يسلم عسقلان الى الفرنج فأرسل اليه وطيب قلبه وسكنه وأقره على عمله وأعاد عليه أقطاعه بمصر ثم ان شمس الخلافة خاف أهل عسقلان فأحضر جماعة من الارمن واتخذهم جندا ولم يزل على هذه الحال الى آخر سنة

فى أخبار من مضى من ملوك الفرس وغيرها وما كانت تأتى من انبائها وصبرهم عليهم وحسن سياستهم لذلك حتى تصلح أمورهم وتستقيم أحوالهم فسلا عما عرض لنفسه ثم قلت يمتع الله أمير المؤمنين أن يكون كالمأمون فى هذا الوقت حيث يقول

صل الندمان يوم المهرجان
بصاف من معتقة الدنان
بكأس خسروانى عتيق
فان العيد عيد خسروانى
وجنبنى الزبيبين طرا
فشأن ذوى الزبيب خلاف شانى

فأشربها وأزعمها حراما
وأرجو عفو رب ذى امتنان
ويشربها ويزعمها حلالا
وتلك على الشقى خطيئتان

فطرب وأخذته أريحية فقال لى صدقت ترك الفرح فى مثل هذا اليوم عجز وأمر باحضار الجلساء وقعد فى مجلس التاج على دجلة فلم أر يوما كان أحسن منه فى الفرح والسرور وأجاز فى ذلك اليوم من حضر من الندماء والمغنين والملهين بالدنانير والدراهم والخلع وأنواع الطيب وأتته هدايا بجكم وألطافه من أرض العجم فسر فى ذلك اليوم وجميع من حضره (قال المسعودى) وقد أتينا على ما كان فى أيام الراضى من الكوائن والحوادث مجملا ومتصلا فى كتابنا أخبار الزمان ومن اباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة وما كان من

أربع وخمسمائة فأنكر الامر أهل البلد فوثب به قوم من أعيانه وهو راكب فجرحوه فانهزم منهم الى داره فتبعوه وقتلوه ونهبوا داره وجميع ما فيها ونهبوا بعض دور غيره من أرباب الاموال بهذه الحجة وأرسلوا الى مصر بجلية الحال الى الآمر والافضل فسرا بذلك وأحسنا الى الواصلين بالبشارة وارسلا اليه واليا يقيم به ويستعمل مع أهل البلد الاحسان وحسن السيرة فتم ذلك وزال ما كانوا يخافونه

﴿ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب وغيره﴾

في هذه السنة جمع صاحب انطاكية عساكره من الفرنج وحشد الفارس والراجل وسار نحو حصن الاثارب وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ وحصره ومنع عنه الميرة فضاق الامر على من به من المسلمين فنقبوا من القلعة نقبا قصدوا أن يخرجوا منه الى خيمة صاحب انطاكية فيقتلوه فلما فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استأمن اليه صبي أرمني فعرفه الحال فاحتاط واحترز منهم وجد في قتالهم حتى ملك الحصن قهرا وعنوة وقتل من أهله ألفي رجل وسبى وأسر الباقين ثم سار الى حصن زردنا فحصره ففتحه وفعل بأهله مثل الاثارب فلما سمع أهل منبج بذلك فارقوها خوفا من الفرنج وكذلك أهل بالس وقصد الفرنج البلدين فرأوهما وليس بهما أنيس فعادوا عنهما وسار عسكر من الفرنج الى مدينة صيدا فطلب أهلها منهم الامان فامنوهم وتسلموا البلد فعظم خوف المسلمين منهم وبلغت القلوب الحناجر وأيقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام لعدم الحامي له والمانع عنه فشرع أصحاب البلاد الاسلامية بالشام في الهدنة معهم فامتنع الفرنج من الاجابة الا على قطيعة يأخذونها الى مدة يسيرة فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين ألف دينار وغيرها من الخيول والثياب وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار وصالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على أربعة آلاف دينار وصالحهم على الكردي صاحب حماه على ألفي دينار وكانت مدة الهدنة الى وقت ادراك الغلة وحصادها ثم ان مراكب أقلعت من ديار مصر فيها التجار ومعهم الامتعة الكثيرة فوقع عليها مراكب الفرنج فأخذوها وغنموا ما مع التجار وأسروهم فسار جماعة من أهل حلب الى بغداد مستنفرين على الفرنج فلما وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان انفاذ العساكر للجهاد وسير من دار الخلافة منبرا الى جامع السلطان فلما كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم أهل بغداد فمنعهم حاجب الباب من الدخول فغلبوه على ذلك ودخلوا الجامع وكسروا اشباك المقصورة وهجموا الى المنبر فكسروه وبطلت الجمعة أيضا فأرسل الخليفة الى السلطان في المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق ورتقه فتقدم حينئذ الى من معه من الامراء بالمسير الى بلادهم والتجهز للجهاد وسير ولده الملك مسعودا مع الامير مودود صاحب الموصل وتقدموا الى الموصل ليلحق بهم الامراء ويسيرون الى قتال الفرنج وانقضت السنة وساروا في سنة خمس وخمسمائة وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عزل نظام الملك أحمد من وزارة السلطان ووزر بعده الخطير محمد بن الحسين الميبذي وفيها ورد رسول ملك الروم الى السلطان يستنفره على الفرنج ويحثه على قتالهم ودفعهم عن البلاد وكان وصوله قبل وصول أهل حلب وكان أهل حلب يقولون للسلطان أما تتقي الله

أمره حال خروجه مع بجكم الى بلاد الموصل وديار ربيعة وما كان بين بجكم وأبي محمد الحسن بن عبدالله بن حمدان المسمى بعد ذلك بناصر الدولة وقصدنا فيما ذكرنا في هذا الكتاب الى الاختصار دون الشرح والاكثار اذ كان في الاكثار من الاخبار ثقل على القلوب وملل للسامع وقليل الاخبار يغني عن كثير الاقتدار

﴿ذكر خلافة المتقي لله﴾

وبويع المتقي لله وهو أبو اسحق ابراهيم بن المقتدر لعشر خلون من ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسملت عيناه يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وكان خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهرا وثلاثة وعشرين يوما وأمه أم ولد

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه﴾

ولما أفضت الخلافة الى المتقي لله أقر على الوزارة سليمان بن الحسن بن مخلد ثم استوزر أبا الحسن أحمد ابن محمد بن ميمون وكان كاتبه قبل الخلافة ثم استوزر أبا اسحق محمد بن أحمد القراريطي ثم استوزر أبا العباس أحمد بن عبدالله الاصبهاني ثم استوزر أبا الحسن علي بن مقلة وغلب على الامر أبو الوفاء تورون التركي واشتد أمر الزيديين بالبصرة ومنعوا السفن أن تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم

تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية منك للاسلام حتى قد أرسل اليك في جهادهم وفيها في رمضان زفت ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة وزينت بغداد وغلقت وكان بها فرحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها وفيها هبت بمصر ريح سوداء أظلمت بها الدنيا وأخذت بانفاس الناس ولم يقدر أحد يفتح عينيه ومن فتحها لا يبصر يده ونزل على الناس رمل ويئس الناس من الحياة وأيقنوا بالهلاك ثم تجلى قليلا وعاد الى الصفرة وكان ذلك من أول وقت العصر الى بعد المغرب وفيها في المحرم توفي الكيا الهراس الطبري واسمه أبو الحسن علي بن محمد بن علي وكان من أعيان الفقهاء الشافعية أخذ الفقه عن امام الحرمين الجويني ودرس بعده في النظامية ببغداد وتوفي بها ودفن عند تربة الشيخ أبي اسحق ودرس بعده في النظامية الامام أبو بكر الشاشي وفيها توفي أبو الحسين ادريس بن حمزة بن علي الرملي الفقيه الشافعي من أهل الرملة بفلسطين تفقه على أبي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي وعلى الشيخ أبي اسحق الشيرازي ودخل خراسان وولي التدريس بسمرقند فتوفي بها

﴿ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة﴾

﴿ذكر مسير العساكر الى قتال الفرنج﴾

في هذه السنة اجتمعت العساكر التي أمرها السلطان بالمسير الى قتال الفرنج فكان الامير مودود صاحب الموصل والامير سكمان القطبي صاحب تبريز وبعض ديار بكر والامير ايلبكي وزنكي ابنا برسق ولهما همذان وما جاورها والامير أحمديل وله مراغة وكوتب الامير أبو الهيجاء صاحب اربل والامير ايلغازي صاحب ماردين والامراء البكجية باللحاق بالملك مسعود ومودود فاجتمعوا ما عدا الامير ايلغازي فانه سير ولده اياز وأقام هو فلما اجتمعوا ساروا الى بلد سنجار ففتحوا عدة حصون للفرنج وقتلوا من بها منهم وحصروا مدينة الرها مدة ثم رحلوا عنها من غير ان يملكوها وكان سبب رحيلهم عنها ان الفرنج اجتمعت جميعها فارسها وراجلها وساروا الى الفرات ليعبروها ويمنعوا الرها من المسلمين فلما وصلوا الى الفرات بلغهم كثرة المسلمين فلم يقدموا عليه وأقاموا على الفرات فلما رأى المسلمون ذلك رحلوا عن الرها الى حران ليطمع الفرنج ويعبروا الفرات اليهم ويقاتلوهم فلما رحلوا عنها جاء الفرنج ومعهم الميرة والذخائر الى الرها فجعلوا فيها كل ما يحتاجون اليه بعد ان كانوا قليلي الميرة وقد أشرفوا على ان يؤخذوا وأخذوا كل من فيه عجز وضعف وفقر وعادوا الى الفرات فعبروه الى الجانب الشامي وطرقوا أعمال حلب فافسدوا ما فيها ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وسبوا خلقا كثيرا وكان سبب ذلك ان الفرنج لما عبروا الى الجزيرة خرج الملك رضوان صاحب حلب الى ما أخذه الفرنج من أعمالها فاستعاد بعضه ونهب منهم وقتل فلما عادوا وعبروا الفرات فعلوا بأعماله ما فعلوا واما العسكر السلطاني فانه لما سمع بعود الفرنج وعبورهم الفرات رحلوا الى الرها وحصروها فرأوا أمرا محكما قد قويت نفوس أهلها بالذخائر التي تركت عندهم وبكثرة المقاتلين عنهم ولم يجدوا فيها مطمعا فرحلوا عنها وعبروا الفرات فحصروا قلعة تل باشر خمسة وأربعين يوما ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضا ووصلوا الى حلب فاغلق الملك رضوان أبواب البلد ولم يجتمع بهم ثم مرض هناك الامير سكمان القطبي فعاد مريضا فتوفي في بالس فجعله أصحابه في تابوت وحملوه عائدين الى بلاده فقصدهم ايلغازي ليأخذهم ويغنم ما معهم فجعلوا تابوته في القلب وقاتلوا بين يديه فانهزم ايلغازي وغنموا ما معه وساروا الى بلادهم ولما اغلق الملك رضوان أبواب حلب ولم يجتمع بالعساكر السلطانية رحلوا الى معرة النعمان واجتمع بهم

جيشان جيش في الماء في السدوات والطيارات والسماريات والدبارب وهذه أنواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار وجيش في البر عظيم واصطنعوا الرجال وبذلوا الرغائب فانضاف اليهم حجرية السلطان وغلمانه وصار جيش السلطان الاتراك والديلم والجيل ونفر من القرامطة وكل ذلك مع تورون وكان تورون من رفقاء بجكم والخواص من أصحابه فانحدر تورون الى واسط لحرب اليزيديين وكانوا ملكوا واسط وتغلبوا عليها فكانت بينهم سجالا والمتقي لله لا أمر له ولا نهي فكاتب المتقي أبا محمد الحسن ابن عبدالله بن حمدان ناصر الدولة وأخاه أبا الحسن علي ابن عبدالله سيف الدولة أن ينجدوه ويستنقذوه مما هو فيه ويفوض اليهما الملك والتدبير وقد كان قبل ذلك خرج اليهم وتورون في جملتهم منضاف وغيره من الاتراك والديلم وذلك عند قتلهم محمد بن رائق في سنة ثلاثين وثلثمائة وانحدارهم الى مدينة السلام واستيلائهم على الملك والقيام له وحربهم اليزيديين وما كان بينهم من الوقائع الى أن توجه عليهم ما ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان من خروج أبي محمد الحسن بن عبدالله من الحضرة الى الموصل ولحوق أخيه أبي الحسن علي بن عبدالله وخلاصه مما دبره عليه تورون وجحجح التركي فخرج المتقي الى الموصل فلما بلغ تورون ذلك رجع

طغتكين صاحب دمشق ونزل على الامير مودود فاطلع من الامراء على نيات فاسدة فى حقه فخاف ان تؤخذ منه دمشق فشرع فى مهادنة الفرنج سرا وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين فلم يتم ذلك وتفرقت العساكر وكان سبب تفرقهم ان الامير برسق بن برسق الذى هو أكبر الامراء كان به نقرس فهو يحمل فى محفة ومات سكمان القطبى كما ذكرنا وأراد الامير أحمديل صاحب مراغة العود ليطلب من السلطان ان يقطعه ما كان لسكمان من البلاد وأتابك طغتكين صاحب دمشق خاف الامراء على نفسه فلم ينصحهم الا انه حصل بينه وبين مودود صاحب الموصل مودة وصداقة فتفرقوا لهذه الاسباب وبقى مودود وطغتكين بالمعرة فسار وامنها ونزلوا على نهر العاصى ولما سمع الفرنج بتفرق عساكر الاسلام طمعوا وكانوا قد اجتمعوا كلهم بعد الاختلاف والتباين وساروا الى فامية فسمع بهم السلطان بن منقذ صاحب شيزر فسار الى مودود وطغتكين وهون عليهما أمر الفرنج وحرضهما على الجهاد فرحلوا الى شيزر ونزلوا عليها ونزل الفرنج بالقرب منهم فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة ولزوهم بالقتال والفرنج يحفظون نفوسهم ولا يعطون مصافا فلما رأوا قوة المسلمين عادوا الى فامية وتبعهم المسلمون فتخطفوا من أدركوه فى ساقتهم وعادوا الى شيزر فى ربيع الاول

﴿ذكر حصر الفرنج مدينة صور﴾

لما تفرقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصرها فساروا اليها مع الملك بغدوين صاحب القدس وحشدوا وجمعوا ونازلوها وحصروها فى الخامس والعشرين من جمادى الاولى وعملوا عليها ثلاثة أبراج خشب علو البرج سبعون ذراعا وفى كل برج ألف رجل ونصبوا عليها المجانيق وألصقوا أحدها الى سور البلد وأخلوه من الرجال وكانت صور للآمر بأحكام الله العلوى ونائبه بها عز الملك الاعز فأحضر أهل البلد واستشارهم فى حيلة يدفعون بها شر الابراج عنهم فقام شيخ من أهل طرابلس وضمن على نفسه احراقها وأخذ معه ألف رجل بالسلاح التام ومع كل رجل منهم حزمة حطب فقاتلوا الفرنج الى أن وصلوا الى البرج الملتصق بالمدينة فألقى الحطب من جهاته وألقى فيه النار ثم خاف ان يشتغل الفرنج الذين فى البرج باطفاء النار ويتخلصون فرماهم بجرب كان قد أعدها مملوأة من العذرة فلما سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرائحة والتلويث فتمكنت النار منه فهلك كل من به الا القليل وأخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب ثم أخذ سلال العنب الكبار وترك فيها الحطب الذى قد سقاه بالنفط والزفت والكتان والكبريت ورماهم بسبعين سلة وأحرق البرجين الآخرين ثم ان أهل صور حفروا سراديب تحت الارض ليسقط فيها الفرنج اذا زحفوا اليهم وليخسف برج ان عملوه وسيروه اليهم فاستأمن نفر من المسلمين الى الفرنج وأعلموهم بما عملوه فحذروا منها وأرسل أهل البلد الى أتابك طغتكين صاحب دمشق يستنجدونه ويطلبونه ليسلموا البلد اليه فسار فى عساكره الى نواحى بانياس وسير اليهم نجدة مائتى فارس فدخلوا البلد فامتنع من فيه بهم واشتد قتال الفرنج خوفا من اتصال النجدات ففنى نشاب الاتراك فقاتلوا بالخشب وفنى النفط فظفروا بسرب تحت الارض فيه نفط لا يعلم من خزنه ثم ان عز الملك صاحب صور أرسل الاموال الى طغتكين ليكثر من الرجال ويقصدهم ليملك البلد فأرسل طغتكين طائرا فيه رقعة ليعلمه وصول المال ويأمره ان يقيم مركبا بمكان ذكره لتجىء الرجال اليه فسقط الطائر على مركب الفرنج فأخذه رجلان مسلم وافرنجى فقال الفرنجى نطلقه لعل فيه فرجا لهم فلم يمكنه

المسلم وحمله الى الملك بغدوين فلما وقف عليه سير مركبا الى المكان الذى ذكره طغتكين وفيه جماعة من المسلمين الذين استأمنوا اليه من صور فوصل اليهم العسكر فكلموهم بالعربية فلم ينكروهم وركبوا معهم فأخذوهم أسرى وحملوهم الى الفرنج فقتلوهم وطمعوا فى أهل صور فكان طغتكين يغير على أعمال الفرنج من جميع جهاتها وقصد حصن الحبيس فى السواد من أعمال دمشق وهو للفرنج فحصره وملكه بالسيف وقتل كل من فيه وعاد الى الفرنج الذين على صور وكان يقطع الميرة عنهم فى البر فأحضروها فى البحر وخندقوا عليهم ولم يخرجوا اليه فسار الى صيدا وأغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحرية وأحرق نحو عشرين مركبا على الساحل وهو مع ذلك يواصل أهل صور بالكتب يأمرهم بالصبر والفرنج يلازمون قتالهم وقاتل أهل صور قتال من أيس من الحياة فدام القتال الى أوان ادراك الغلات فخاف الفرنج ان طغتكين يستولى على غلات بلادهم فساروا عن البلد عاشر شوال الى عكا وعاد عسكر طغتكين اليه وأعطاهم أهل صور الاموال وغيرها ثم أصلحوا ما تشعث من سورها وخندقها وكان الفرنج قد طموه

﴿ذكر انهزام الفرنج بالاندلس﴾

فى هذه السنة خرج اذفونش الفرنجى صاحب طليطلة بالاندلس الى بلاد الاسلام بها يطلب ملكها والاستيلاء عليها وجمع وحشد فأكثر وكان قد قوى طمعه فيها بسبب موت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فسمع أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين الخبر فسار اليه فى عساكرها وجموعه فلقيه فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر للمسلمين وانهزم الفرنج وقتلوا قتلا ذريعا وأسر منهم بشر كثير وسبى منهم وغنم من أموالهم ما يخرج عن الاحصاء فخافه الفرنج بعد ذلك وامتنعوا من قصد بلاده وذل اذفونش حينئذ وعلم ان فى البلاد حاميا لها وذابا عنها وفى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى الامام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الامام المشهور

﴿ثم دخلت سنة ست وخمسمائة﴾

فى هذه السنة فى المحرم سار مودود صاحب الموصل الى الرها فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ورحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك وأهمل الفرنج ولم يحترز منهم فلم يشعر الا وجوسلين صاحب تل باشر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة فى المرعى فأخذ الفرنج كثيرا منها وقتلوا كثيرا من العسكر فلما تأهب المسلمون للقائه عاد عنهم الى سروج وفيها رحل السلطان محمد من بغداد وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر فلما وصل الى أصبهان قبض على زين الملك أبى سعد القمى وسلمه الى الامير كاميار لعداوة بينهما فلما وصل الى الرى أركبه كاميار على دابة بمركب ذهب وأظهر أن السلطان خلع عليه على مال قرره عليه فحصل بذلك مالا كثيرا من أهل القمى ثم صلبه وكان سبب قبضه انه كان يكثر الطعن على الخليفة والسلطان وفيها كان ببغداد رجل مغربى يعمل الكيمياء يزعمه اسمه أبو على فحمل الى دار الخلافة وكان آخر العهد به وفيها ورد الى بغداد يوسف بن أيوب الهمدانى الواعظ وكان من الزهاد العابدين فوعظ الناس بها فقام اليه رجل متفقه يقال له ابن السقاء فآذاه فى مسئلة وعاوده فقال له اجلس فانى أجد من كلامك رائحة الكفر ولعلك تموت على غير دين الاسلام فاتفق بعد مديدة ان ابن السقاء خرج الى بلاد الروم وتنصر وفيها فى ذى القعدة سمع ببغداد صوت هدة عظيمة ولم يكن بالسماء غيم حتى يظن انه صوت رعد ولم يعلم أحد أى صوت كان وفيها توفى بسيل الارمنى صاحب الدروب ببلاد

الى بغداد وقصد بنى حمدان فكان التقاؤهم بعكبرا فكانت بينهم سجال ثم كانت لتورون عليهم فرجع الى بغداد ثم جمعوا له أيضا ورجعوا اليه فتركهم حتى قربوا الى بغداد فخرج عليهم فلقيهم فهزمهم بعد مواقعات كانت بينهم وسار هو حتى دخل الموصل وخرج عنها الى مدينة بلد فصالحوه على مال حملوه اليه فرجع الى بغداد وهو مستظهر بمن معه من الاتراك والجيل والديلم وكمال العدة والكراع وسار المتقى الى نصيبين ورجع عنها الى الرقة فنزلها وذلك لايام بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكاتب الاخشيد محمد بن طغج فسار الى الرقة وحمل اليه مالا كثيرا وأهدى اليه غلمانا وأثاثا وضم اليه قائدا من قواده وجمل أمره وزاد فى حاله وبر جميع من معه من وزيره أبى الحسن على بن مقلة وقاضى القضاة أحمد بن عبد الله بن اسحق الخرقى وسلام الحاجب المعروف بأخى نجح الطولونى وجماعة الوجوه والغلمان ثم لم يعبر الاخشيد محمد بن طغج الى الرقة ولا الحشم من جانب الجزيرة وديار مصر وعبر المتقى وسار الى معسكره من الجانب الشامى فكانت بينهم خطوب وأيمان وعهود وأبو الحسن على بن عبد الله ابن حمدان مقيم بحران طول مقام المتقى بالرقة وقد كان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان سار عن حلب وبلاد حمص عند مسير الاخشيد الى بلاد قنسرين والعواصم فانفض جمعه وتفرق جنده عنه وانضافوا الى الحسن بن على بن عبد الله واتصلت كتب تورون بالمتقى وتواترت رسله يسأله الرجوع الى الحضرة وأشهد تورون من حضره من القضاة والفقهاء والشهود وأعطى العهود والمواثيق بالسمع والطاعة للمتقى والتصرف له بين أمره ونهيه وترك الخلاف عليه وأنفذ اليه كتب القضاة والشهود بما بذل من الايمان وأعطى من العهود وأشار بنو حمدان على المتقى أن لا ينحدر وخوفوه من تورون وحذروه أمره فانه لا يأمنه على نفسه فأبى الا انحدارهم والثقة بما ورد عليه من تورون وقد كان بنو حمدان أنفقوا على المتقى نفقة واسعة عظيمة طول مقامه عندهم واجتيازه بهم بكثر وصفها ويعسر علينا فى التحصيل ايرادها باكثار المخبرين لنا بتحديدها وانصرف الاخشيد عن الفرات متوجها نحو مصر وانحدر المتقى فى الفرات فتلقاه أبو جعفر بن شيرزاد كاتب تورون بأحسن لقاء وأقام الاتراك ومضى فى انحداره حتى دخل النهر المعروف بنهر عيسى وسار الى الضيعة المعروفة بالسندية على شاطئ هذا النهر فتلقاه تورون هنالك وترجل له ومشى بين يديه فأقسم عليه أن يركب ففعل حتى وافى به الى المضرب الذى كان ضرب له على الشط

ابن لاون فسار طغتكين صاحب انطاكية أول جمادى الآخرة الى بلاده طمعا في ان يملكها فمرض في طريقه فعاد الى انطاكية فمات ثامن جمادى الآخرة وملكها بعده ابن أخته سرخالة واستقام الامر فيها بعدان جرى بين الفرنج خلف بسببه فاصلح بينهم القسوس والرهبان وفيها توفى قراجه صاحب حمص وكان ظالما وقام ولده قرجان مكانه وكان مثله في قبح السيرة وفي هذه السنة توفى المعمر بن على أبوسعد بن أبي عمامة الواعظ البغدادي ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وكان له خاطر حاذ ومجون حسن وكان الغالب على وعظه أخبار الصالحين وتوفى أحمد بن الفرج بن عمر الدينوري والدشهدة وكان يروى عن أبي يعلى بن الفراء وابن المأمون وابن المهتدى وابن النقور وغيرهم وكان حسن السيرة متزهدا وتوفى أبو العلاء صاعد بن منصور بن اسمعيل بن صاعد الخطيب النيسابوري وكان من أعيان الفقهاء وولى قضاء خوارزم وكان يروى الحديث

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود ﴾

في هذه السنة في المحرم اجتمع المسلمون وفيهم الامير مودود بن التونتكين صاحب الموصل وتميرك صاحب سنجار والامير اياز بن ايلغازى وطغتكين صاحب دمشق وكان سبب اجتماع المسلمين أن ملك الفرنج بغدوين تابع الغارات على بلد دمشق ونهبه وخربه أواخر سنة ست وخمسمائة وانقطعت المواد عن دمشق فغلت الاسعار فيها وقلت الاقوات فارسل طغتكين صاحبها الى الامير مودود يشرح له الحال ويستنجده ويحثه على سرعة الوصول اليه فجمع عسكرا وسار فعبر الفرات آخر ذى القعدة سنة ست وخمسمائة فخافه الفرنج وسمع طغتكين خبره فسار اليه ولقيه بسلمية واتفق رأيهم على قصد بغدوين ملك القدس فساروا الى الاردن فنزل المسلمون عند الاقحوانة ونزل الفرنج مع ملكهم بغدوين وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدمين والفرسان المشهورين ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج فالتقوا عند طبرية ثالث عشر المحرم واشتد القتال وصبر الفريقان ثم ان الفرنج انهزموا وكثر القتل فيهم والاسر وممن أسر ملكهم بغدوين فلم يعرف فأخذ سلاحه وأطلق فنجا وغرق منهم في بحيرة طبرية ونهر الاردن كثير وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ووصل الفرنج الى مضيق دون طبرية فلقيهم عسكر طرابلس وانطاكية فقويت نفوسهم بهم وعاودوا الحرب فاحاط بهم المسلمون من كل ناحية وصعد الفرنج الى جبل غرب طبرية فاقاموا به ستة وعشرين يوما والمسلمون بازائهم يرمونهم بالنشاب فيصيبون من يقرب منهم ومنعوا الميرة عنهم لعلهم يخرجون الى قتالهم فلم يخرج منهم أحد فسار المسلمون الى بيسان ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا الى القدس وخربوها وقتلوا من ظفروا به من النصارى وانقطعت المادة عنهم لبعدهم عن بلادهم فعادوا ونزل بمرج الصفر الامير مودود وأذن للعساكر في العود والاستراحة ثم الاجتماع في الربيع لمعاودة الغزاة وبقى في خواصه ودخل دمشق في الحادي والعشرين من ربيع الاول ليقيم عند طغتكين الى الربيع فدخل الجامع يوم الجمعة في ربيع الاول ليصلى فيه وطغتكين فلما فرغوا من الصلاة وخرج الى صحن الجامع ويده في يد طغتكين وثب عليه باطنى فضربه فجرحه أربع جراحات وقتل الباطنى وأخذ رأسه فلم يعرفه أحد فاحرق وكان صائما فحمل الى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال لا لقيت الله الا صائما فمات من يومه رحمه الله فقيل ان الباطنية بالشام خافوه وقتلوه وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله وكان خيرا عادلا كثير الخير (حدثنى) والدى قال كتب ملك الفرنج الى طغتكين

من نهر عيسى وذلك على شوط من مدينة السلام فأقام هنالك وأنفذ رسلا الى دار طاهر ليحضر المستكفى فلما حصل المستكفى فى المضرب قبض على المتقى ونهب جميع ما كان معه وقبض على وزيره أبى الحسن على بن محمد بن مقلة وعلى قاضيه أحمد بن عبد الله بن اسحق ونهب جميع العسكر وانصرف القائد الذى كان الاخشيد ضمه الى المتقى ومن معه الى صاحبهم وأحضر المستكفى فبويع له وبكى المتقى وصاح النساء والخدم لصياحه فأمر توزون بضرب الدبادب حول المضرب تخفى صراخ الخدم وأدخل الى الحضرة مسمول العينين وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم وسلم الى المستكفى بالله وبلغ ذلك القاهر فقال قد صرنا بحقيق نحتاج الى صدر يعرض بالمستكفى بالله (وحدث) محمد بن عبد الله الدمشقى قال لما نزل المتقى الرقة كنت فيمن يتصرف بين يديه وأقرب منه فى الخدمة لطول صحبته فقال لى فى بعض الايام فى الرقة وهو جالس فى داره على الفرات اطلب لى رجلا أخباريا يحفظ أيام الناس أتفرج اليه فى خلواتى وأستريح به فى الاوقات قال فسألت بالرقة عن رجل بهذا الوصف فأرشدت الى رجل بالرقة كهل لازم لمنزله فصرت اليه ورغبته فى الدخول الى المتقى لله فقام معى كالمكره بعد

بعد قتل مودود كتابا من فضوله ان أمة قتلت عميدها يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله ان يبيدها ولما قتل تسلم تميرك صاحب سنجار ما معه من الخزائن والسلاح وحملها الى السلطان ودفن مودود بدمشق في تربة دقاق صاحبها وحمل بعد ذلك الى بغداد فدفن في جوار أبي حنيفة ثم حمل الى أصبهان

﴿ ذكر الخلف بين السلطان سنجر ومحمد خان والصلح بينهما ﴾

في هذه السنة كثر الحديث عند سنجر أن محمد خان بن سليمان بن داود قد مديده الى أموال الرعايا وظلمهم ظلما كثيرا وانه خرب البلاد بظلمه وشره وانه قد صار يستخف باوامر سنجر ولا يلتفت الى شئ منها فتجهز سنجر وجمع عساكره وسار يريد قصده بما وراء النهر فخاف محمد خان فارسل الى الامير قماج وهو أكبر أمير مع سنجر يسأله ان يصلح الحال بينه وبين سنجر وارسل أيضا الى خوارزمشاه بمثل ذلك وسألهما في ارضاء السلطان عنه واعترف بأنه اخطأ فأجاب سنجر الى صلحه على شرط ان يحضر عنده ويطأ بساطه فارسل محمد خان يذكر خوفه لسوء صنيعه ولكنه يحضر الخدمة ويخدم السلطان وبينهما نهر جيحون ثم يعاود بعد ذلك الحضور عنده والدخول اليه فحسنوا الاجابة الى ذلك والاشتغال بغيره فامتنع ثم أجاب وكان سنجر على شاطئ جيحون من الجانب الغربي وجاء محمد خان الى الجانب الشرقي فترجل وقبل الارض وسنجر راكب وعاد كل واحد منهما الى خيامه ورجعوا الى بلادهم وسكنت الفتنة بينهما

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق الى مصر فاتى الخبر الى بغدوين ملك الفرنج فسار اليه وعارضه في البر فأخذهم أجمعين ولم ينج منهم الا القليل ومن سلم أخذه العرب وفي هذه السنة توفى الوزير أبو القاسم على بن محمد بن جهير وزير الخليفة المستظهر بالله ووزر بعده الربيب أبو منصور ابن الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين وزير السلطان وفيها توفى الملك رضوان بن تاج الدولة تتش بن الب ارسلان صاحب حلب وقام بعده بحلب ابنه الب ارسلان الاخرس وعمره ست عشرة سنة وكانت أمور رضوان غير محمودة قتل أخويه أباطالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية في كثير من أموره لقلة دينه ولما ملك الاخرس استولى على الامور لؤلؤ الخادم ولم يكن للاخرس معه الا اسم السلطنة ومعناه للؤلؤ ولم يكن الب ارسلان أخرس وانما في لسانه حبسة وتمتمة وأمه بنت باغيسيان الذى كان صاحب انطاكية وقتل الاخرس أخوين له أحدهما اسمه ملكشاه وهو من أبيه وأمه واسم الآخر مبارك شاه وهو من أبيه وكان أبوه فعل مثله فلما توفى قتل ولداه مكافاة لما اعتمده مع أخويه وكان الباطنية قد كثروا بحلب في أيامه حتى خافهم ابن بديع رئيسها واعيان أهلها فلما توفى قال ابن بديع لالب ارسلان في قتالهم والايقاع بهم فامره بذلك فقبض على مقدمهم أبي طاهر الصائغ وعلى جميع أصحابه فقتل أباطاهر وجماعة من أعيانهم وأخذ أموال الباقين وأطلقهم فمنهم من قصد الفرنج وتفرقوا في البلاد وفي هذه السنة توفى ببغداد أبو بكر أحمد بن على بن بدران الحلوانى الزاهد منتصف جمادى الاولى روى الحديث عن القاضي أبي الطيب الطبري وأبي محمد الجوهرى وأبي طالب العشارى وغيرهم وروى عنه خلق كثير ومن آخرهم أبو الفضل عبد الله بن الطوسى خطيب الموصل واسمعيل بن أحمد بن الحسين بن على أبو على بن أبي بكر البيهقي الامام ابن الامام ومولده سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وتوفى بمدينة بيهق ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة وشجاع بن أبي شجاع فارس بن الحسين بن

وصرنا الى المتقى فأعلمته احضارى الرجل الذى طلبه فلما خلا وجهه دعا به واستدناه فوجد عنده ما أراد فكان معه أيام مقامه بالرقة فلما انحدر كان معه فى الزورق فلما صار الى نهر سعيد وذلك بين الرقة والرحبة أرق المتقى ذات ليلة فقال للرجل ما تحفظ من أشعار المبيضة وأخبارها فأخذ الرجل فى أخبار آل أبى طالب الى أن صار الى أخبار الحسن ابن زيد وأخيه محمد بن زيد ابن الحسن وما كان من أمرهما ببلاد طبرستان وذكر كثيرا من محاسنهما وقصد أهل العلم والادب اياهما وما قالت الشعراء فيهما فقال له المتقى أتحفظ شعر أبى المقاتل نصر بن نصر الحلوانى فى محمد بن زيد الحسنى الداعى قال لا يا أمير المؤمنين لكن معى غلام لى قد حفظ بحداثة سنه وحدة مزاجه وغلبة الهمة لطلب العلم والادب عليه ما لم أحفظ من أخبار الناس وأيامهم وأشعارهم قال أحضره ولم أخفيت عنى خبر مثل هذا فيكون حضوره زيادة فى أنسنا فأحضر الغلام من زورق آخر فوقف بين يديه فقال له صاحبه أتحفظ قصيدة أبى المقاتل فى ابن زيد قال نعم قال المتقى أنشدنيها فابتدأ ينشده اياها

لاتقل بشرى وقل لى بشريان غرة الداعى ويوم المهرجان

خلقت كفاه موتا وحياة * وحوت أحلاقه كنه الجنان

فهو فصل فى زمان بدوى *

فارس أبو غالب الذهلى الحافظ ومولده سنة ثلاثين واربعمائة وروى عن أبيه وأبى القاسم وابن المهتدى والجوهرى وغيرهم والاديب أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد الابيوردى الشاعر المشهور وله ديوان حسن ومن شعره

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى * أعز وأحداث الزمان تهون
وظل يرينى الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون

﴿وله أيضا﴾

ركبت طرفى فأذرى دمعه أسفا * عند انصرافى منهم مضمر الياس
وقال حتام تؤذينى فان سنحت * حوائج لك فاركبنى الى الناس

وكانت وفاته باصبهان وهو من ولد عنبسة بن أبى سفيان بن حرب الاموى وتوفى أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشى الامام الفقيه الشافعى فى شوال ومولده سنة سبع وعشرين وأربعمائة سمع أبا بكر الخطيب وأبا يعلى بن الفراء وغيرهم وتفقه على أبى عبد الله محمد بن الكازرونى بديار بكر وعلى أبى اسحق الشيرازى ببغداد وعلى أبى نصر بن الصباغ وفيها توفى أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن الحسن الساجى الحافظ المقدسى ومولده سنة خمس وأربعين وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث وتفقه على أبى اسحق وكان ثقة

﴿ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة﴾

﴿ذكر مسير آقسنقر البرسقى الى الشام لحرب الفرنج﴾

فى هذه السنة سير السلطان محمد الامير آقسنقر البرسقى الى الموصل واعمالها واليا عليها لما بلغه قتل مودود وسير معه ولده الملك مسعودا فى جيش كثيف وأمره بقتال الفرنج وكتب الى سائر الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصلت به عساكرها وفيهم عماد الدين زنكى بن آقسنقر الذى ملك هو وأولاده الموصل بعد ذلك وكان له الشجاعة فى الغاية واتصل به أيضا تميرك صاحب سنجار وغيرها فسار البرسقى الى جزيرة ابن عمر فسلمها اليه نائب مودود بها وسار معه الى ماردين فنازلها البرسقى حتى أذعن له ايلغازى صاحبها وسير معه عسكرا مع ولده اياز فسار عنه البرسقى الى الرها فى خمسة عشر ألف فارس فنازلها فى ذى الحجة وقاتلها وصبر له الفرنج وأصابوا من بعض المسلمين غرة فأخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ وحمى المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من أعيانهم وأقام عليها شهرين وأياما وضاقت الميرة على المسلمين فرحلوا من الرها الى سميساط بعد ان خربوا بلد الرها وبلد سروج وبلد سميساط واطاعه صاحب مرعش على ما نذكره ثم عاد الى شحنان فقبض على اياز بن ايلغازى حيث لم يحضر أبوه ونهب سواد ماردين

﴿ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البرسقى﴾

فى هذه السنة توفى بعض كنود الفرنج ويعرف بكواسيل وهو صاحب مرعش وكيسوم ورعبان وغيرها فاستولت زوجته على المملكة وتحصنت من الفرنج وأحسنت الى الاجناد وراسلت آقسنقر البرسقى وهو على الرها واستدعت منه بعض أصحابه لتطيعه فسير اليها الامير سنقر دزدار صاحب الخابور فلما وصل اليها أكرمته وحملت اليه مالا كثيرا وبينما هو عندها اذ جاء جمع من الفرنج فواقعوا أصحابه وهم نحو مائة فارس واقتتلوا قتالا شديدا فظفر فيه المسلمون بالفرنج وقتلوا منهم أكثرهم وعاد سنقر دزدار وقد أصحبته الهدايا للملك مسعود والبرسقى وأذعنت بالطاعة ولما عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممن عندها الى انطاكية

فهو للكل بكل مستقل * بالعطايا والمنايا والامان أوحد قام بتشييد المبانى
وابن زيد مالك رق الزمان
فيه استنبط أجناس المعانى
مسرف فى الجود من غير اعتذار
وعظيم البر من غير امتنان
وهو من أربى رسول الله فيه
وعلياه المعلى والحسان
سيد عرق فيه السيدان
والذى يكبر عن ذكر الحصان
مخنف فكرته فى كل شئ
فهو فى كل محل ومكان
يعرف الدهر على ما غاب عنه
فيرى المضمر فى شخص العيان
تتناهى الفاظنا عنه ولكن
هو بالاوصاف فى الاذهان دان
أخرجت ألفاظه ما فى الخفايا
وكفاه الدهر نطق الترجمان
كافر بالله جهرا والمثانى
كل من قال له فى الخلق ثان
واذا ما أسبغ الدرع عليه
وانكفت عيناه بالسيف اليمان
بهت سطوته فى الموت رعبا
أيقن الموت بأن الموت فان
يحدق الابطال بالالحاظ حتى
يترك المقدام فى شخص الجبان
ملك الموت يناديه أجرنى
منك كم تغزو بضرب وطعان
لا تكلفنى فوق الوسع وأرفق
فلقد ملكك الله عنان
يا شقيق القدر المحتوم كم قد
رضت بالضيم عمادا وحزان
لك يومان فيوم من لبان
يتقفى يوم أرون أوريان
انجزت كفاك وعدا ووعيدا * وأحاطت لك بالدنيا اليدان فاذا ما أروت اليمنى حباه * همت اليسرى بارواء السنان * ذكر

﴿ذكر الحرب بين البرسقى وايلغازى وأسر ايلغازى﴾

لما قبض البرسقى على اياز بن ايلغازى سار الى حصن كيفا وصاحبها الامير ركن الدولة داود بن أخيه سقمان فاستنجده فسار معه فى عسكره وأحضر خلقا كثيرا من التركمان وسار الى البرسقى فلقيه أواخر السنة واقتتلوا قتالا شديدا صبروا فيه فانهزم البرسقى وعسكره وخلص اياز بن ايلغازى من الاسر فارسل السلطان اليه يتهدده فخافه وسار الى الشام الى حمية طغتكين صاحب دمشق فاقام عنده أياما وكان طغتكين أيضا قد استوحش من السلطان لانه نسب اليه قتل مودود فاتفقا على الامتناع والالتجاء الى الفرنج والاحتماء بهم فراسلا صاحب انطاكية وحالفاه فحضر عندهما على بحيرة قدس عند حمص وجددوا العهود وعاد الى انطاكية وعاد طغتكين الى دمشق وسار ايلغازى الى الرستن على عزم قصد ديار بكر وجمع التركمان والعود فنزل بالرستن ليستريح فقصده الامير قيرخان بن قراجة صاحب حمص وقد تفرق عن ايلغازى أصحابه فظفر به قرجان وأسره ومعه جماعة من خواصه وأرسل الى السلطان يعرفه ذلك ويسأله تعجيل انفاذ العساكر لئلا يغلبه طغتكين على ايلغازى ولما بلغ طغتكين الخبر عاد الى حمص وأسل فى اطلاقه فامتنع قرجان وحلف ان لم يبعد طغتكين لنقتلن ايلغازى فارسل ايلغازى الى طغتكين ان الملاججة تؤذينى وتسفك دمى والمصلحة عودك الى دمشق فعاد وانتظر قرجان وصول العساكر السلطانية فتأخرت عنه فخاف ان ينخدع أصحابه لطغتكين ويسلموا اليه حمص فعدل الى الصلح مع ايلغازى على أن يطلقه ويأخذ ابنه اياز رهينة ويصاهره ويمنعه من طغتكين وغيره فاجابه الى ذلك فاطلقه وتحالفا وسلم اليه ابنه اياز وسار عن حمص الى حلب وجمع التركمان وعاد الى حمص وطالب بولده اياز وحصر قرجان الى ان وصلت العساكر السلطانية فعاد ايلغازى على ما نذكره

﴿ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر﴾

فى هذه السنة فى شوال توفى الملك علاء الدولة أبو سعد مسعود بن أبى المظفر ابراهيم بن أبى سعد مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بها وملك بعده ابنه أرسلانشاه وأمه سلجوقية وهى أخت السلطان ألب ارسلان بن داود فقبض على اخوته وسجنهم وهرب أخ له اسمه بهرام الى خراسان فوصل الى السلطان سنجر بن ملكشاه فارسل الى أرسلانشاه فى معناه فلم يسمع منه ولا اصغى الى قوله فتجهز سنجر للمسير الى غزنة واقامة بهرامشاه فى الملك فارسل ارسلانشاه الى السلطان محمد يشكو من أخيه سنجر فارسل السلطان الى أخيه سنجر يأمره بمصالحة ارسلانشاه وترك التعرض له وقال للرسول ان رأيت أخى وقد قصدهم وسار نحوهم أو قارب ان يسير فلا تمنعه ولا تبلغه الرسالة فان ذلك يفت فى عضده ويوهنه ولا يعود ولان يملك أخى الدنيا أحب الى فوصل الرسول الى سنجر وقد جهز العساكر الى غزنة وجعل على مقدمته الامير انر مقدم عسكره ومعه الملك بهرامشاه فسار واحتى بلغوا بست واتصل بهم فيها أبو الفضل نصر بن خلف صاحب سجستان وسمع ارسلانشاه الخبر فسير جيشا كثيفا فهزماه ونهباه وعاد من سلم الى غزنة على اسوأ حال فخضع حينئذ أرسلانشاه وأرسل الى الامير انر يضمن له الاموال الكثيرة ليعود عنه ويحسن للملك سنجر العود عنه فلم يفعل وتجهز السلطان سنجر بعد انر للمسير بنفسه فارسل اليه ارسلانشاه امرأة عمه نصر تسأله الصفح والعود عن قصده وهى أخت الملك سنجر من السلطان بركيارق وكان علاء الدولة أبو سعد قد قتل زوجها ومنعها من الخروج عن غزنة وتزوجها فسيرها

جد نافى النفع والضر بدارا * فهما فى كل حال ضرتان أرخت كفاك فى الآفاق حتى * ما تلاقى بسواك الشفتان
قدمتك المدح الغر وصالت
لك أيضا فى أعاديك الهجان
أنت لا تحوى بمعقول كتاب
لك شأن خارج عن كل شان
لك اثقال أياد مثقلات
عجزت عن حملهن الثقلان
انما مدحك وحى وزبور
والذى ضمت عليه الدفتان
ها كها جوهرة تبرية تو
لى وجوه الموت تكفين الجنان
يا امام الدين خذها من امام
ملكت أشعاره سبق الرهان
واستمع للرمل الاول ممن
كشف المحنة من غير امتحان
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
سنه أجزاؤها عز الوزان
كرة الآفاق لا تطلع الا
صارت الريح لها كالصولجان
حليت فى صنعة الالفاظ مما
يرتجيه كل ذى عفو وجان
أنت تحكى جنة الخلد طباعا
والقوافى فيك كالحور الحسان
وابق للشعر بقاء الشعر والشكر
ومع الدهر فنعم الباقيان
عمر رضوى بل ثبير وشمام
وأرام وشمارخ أبان
شهد الله على ما فى ضميرى
فاستمع لفظى ترجيع أذان
حسنات ليس فيها سيآت
مدحة الداعى اكتبا يا كاتبان
فلم يزل المتقى كلما مر به
بيت استعداده ثم أمر الغلام بالجلوس فلما كان فى اليوم الذى لقيه فيه ابن سيرا الكاتب سمعه

الآن ارسلانشاه فلما وصلت الى أخيه أوصلت ما معها من الاموال والهدايا وكان معها مائتا
ألف دينار وغير ذلك وطلب من سنجر ان يسلم أخاه بهرام اليه وكانت موغرة الصدر من
ارسلانشاه فهونت أمره على سنجر واطمعته فى البلاد وسهلت الامر عليه وذكرت له مافعل
باخوته وكان قتل بعضا وكحل بعضا من غير خروج منهم عن الطاعة فسار الملك سنجر فلما وصل الى
بست أرسل خادما من خواصه الى ارسلانشاه فى رسالة فقبض عليه فى بعض القلاع فسار حينئذ
سنجر مجدا فلما سمع بقربه منه أطلق الرسول ووصل سنجر الى غزنة ووقع بينهما المصاف على فرسخ
من غزنة بصحراء شهراباذ وكان أرسلانشاه فى ثلاثين ألف فارس وخلق كثير من الرجالة ومعه
مائة وعشرون فيلا على كل فيل أربعة نفر فحملت الفيلة على القلب وفيه سنجر فكان من فيه
ينهزمون فقال سنجر لغلمانه الاتراك ارموها بالنشاب فتقدم ثلاثة آلاف غلام فرموا الفيلة
رشقا واحدا جميعا فقتلوا منها عدة فعدلت الفيلة عن القلب الى الميسرة وبها أبو الفضل صاحب
سجستان وجالت عليهم فضعف من فى الميسرة فشجعهم أبو الفضل وخوفهم من الهزيمة مع بعد
ديارهم ونزل عن فرسه بنفسه وقصد كبير الفيلة ومتقدمها ودخل تحتها فشق بطنها وقتل فيلين
آخرين ورأى الامير أنز وهو فى الميمنة ما فى الميسرة من الحرب فخاف عليها فحمل من وراء عسكر
غزنة وقصد الميسرة واختلط بهم وأعانهم فكانت الهزيمة على الغزنوية وكان ركاب الفيلة قد شدوا
انفسهم عليها بالسلاسل فلما عضهم الحرب وعمل فيهم السيف ألقوا أنفسهم فبقوا معلقين عليها
ودخل السلطان سنجر غزنة فى العشرين من شوال سنة عشر وخمسمائة ومعه بهرامشاه فأما
القلعة الكبيرة المشتملة على الاموال وبينها وبين البلد تسعة فراسخ وهى عظيمة لامطمع فيها ولا
طريق عليها وكان ارسلانشاه قد سجن فيها أخاه طاهرا الخازن وهو صاحب بهرامشاه واعتقل
بها أيضا زوجة بهرامشاه فلما انهزم ارسلانشاه استمال أخوه طاهر المستحفظ بها فبذل له
وللاجناد الزيادات فسلموا القلعة الى الملك سنجر وأما قلعة البلد فان ارسلانشاه كان اعتقل بها
رسول سنجر فلما أطلقه بقى غلمانه بها فسلموا القلعة أيضا بغير قتال وكان قد تقرر بين بهرامشاه
وبين سنجر ان يجلس بهرام على سرير جده محمود بن سبكتكين وحده وان تكون الخطبة بغزنة
للخليفة وللسلطان محمد وللملك سنجر وبعدهم لبهرامشاه فلما دخلوا غزنة كان سنجر راكبا
وبهرامشاه بين يديه راجلا حتى جاء السرير فصعد بهرامشاه فجلس عليه ورجع سنجر وكان
يخطب له بالملك ولبهرامشاه بالسلطان على عادة آبائه فكان هذا من أعجب ما سمع به وحصل
لاصحاب سنجر من الاموال مالا يحد ولا يحصى من السلطان والرعايا وكان فى دور الملوك قاعدة
دور على حيطانها ألواح الفضة وسواقى المياه الى البساتين من الفضة أيضا فقلع من ذلك أكثره
ونهب فلما سمع سنجر ما يفعل منع عنه بجهده وصلب جماعة حتى كف الناس وفى جملة ما حصل
للملك سنجر خمسة تيجان قيمة أحدها يزيد على ألفى ألف دينار وألف وثلثمائة قطعة مصاغ مرصعة
وسبعة عشر سريرا من الذهب والفضة وأقام بغزنة أربعين يوما حتى استقر بهرامشاه وعاد نحو
خراسان ولم يخطب بغزنة لسلجوقى قبل هذا الوقت حتى ان السلطان ملكشاه مع تمكنه وكثرة
ملكه لم يطمع فيه وكان كلما رام ذلك منع منه نظام الملك وأما أرسلانشاه فانه لما انهزم قصد
هندوستان واجتمع عليه أصحابه فقويت شوكته فلما عاد سنجر الى خراسان توجه الى غزنة فلما
عرف بهرامشاه قصده اياه توجه الى باميان وأرسل الى الملك سنجر يعلمه الحال فارسل اليه عسكرا
وأقام ارسلانشاه بغزنة شهرا واحدا وسار يطلب أخاه بهرامشاه فبلغه وصول عسكر سنجر فانهزم

* دامت البشرى فقل لى
بشريان * وقد كان انشده
أولا القصيدة لاتقل بشرى
وأنشده هذا الوجه دامت
البشرى فقل لى وذكر له
خبر أبى المقاتل مع الداعى
فوالله مازال المتقى يقول
لاتقل بشرى ولا يختار فى
ذلك الوجه غير ذلك فقال
له الرقى والغلام والله
لنطيرن لامير المؤمنين من
اختياره انشاد هذا البيت
على هذا الوجه فكان من
أمره ما ذكرنا (وحدث)
محمد بن عبد الله الدمشقى
قال لما انحدرنا مع المتقى من
الرحبة وصرنا الى مدينة
غانة دعا بالرقى وغلامه
فحادثاه وتسلسل بهم
القول الى فنون من الاخبار
الى أن صاروا الى ذكر
الخيل فقال المتقى أيكم يحفظ
خبر سليمان بن ربيعة
الباهلى فقال الغلام ذكر
عمرو بن العلاء يا أمير
المؤمنين أن سليمان بن
ربيعة الباهلى كان يهجن
الخيل ويعربها فى زمن
عمر بن الخطاب فجاءه عمرو
ابن معديكرب بفرس كميت
هجينا فاستعدى عليه عمر
وشكاه اليه فقال سليمان
ادع باناء رجراج قصير الجدر
فدعا به نصب فيه ماء ثم أتى
بفرس عتيق لاشك فى
عتقه فأسرع ونزل وشرب
ثم أتى بفرس عمرو الذى كان هجين فأسرع سنبكه ومد عنقه كما فعل العتيق ثم ثنى أحد السنبكين قليلا فشرب فلما

بغير

بغير قتال للخوف الذى قد باشر قلوب أصحابه ولحق بجبال أوغنان فسار أخوه بهرامشاه وعسكر
سنجر فى أثره وأخربوا البلاد التى هو فيها وأرسلوا الى أهلها يتهددونهم فسلموه بعد المضايقة
فأخذه مقدم جيش الملك سنجر وأراد حمله الى صاحبه فخاف بهرامشاه من ذلك فبذل له مالا
فسلمه اليه فخنقه ودفنه بتربة أبيه بغزنة وكان عمره سبعا وعشرين سنة وكان أحسن اخوته صورة
وكان قتله فى جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وانما ذكرناه ههنا لتتصل الحادثة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرها فخربت كثيرا
من الرها وحران وسميساط وبالس وغيرها وهلك خلق كثير تحت الهدم وفيها قتل تاج الدولة
ألب أرسلان بن رضوان صاحب حلب قتله غلمانه بقلعة حلب وأقاموا بعده أخاه سلطانشاه بن
رضوان وكان المستولى عليه لؤلؤ الخادم وفيها توفى الشريف النسيب أبو القاسم على بن
ابراهيم بن العباس الحسينى فى ربيع الآخر بدمشق

(ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة)

(ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج)

قد ذكرنا ما كان من عصيان ايلغازى وطغتكين على السلطان وقوة الفرنج فلما اتصل ذلك
بالسلطان محمد جهز عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم الامير برسق بن برسق صاحب همذان ومعه
الامير جيوش بك والامير كنتغدى وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بالبداءة بقتال ايلغازى
وطغتكين فاذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج وقاتلوهم وحصروا بلادهم فساروا فى رمضان
من سنة ثمان وخمسمائة وكان عسكرا كثير العدة وعبروا الفرات آخر السنة عند الرقة فلما قاربوا
حلب راسلوا المتولى لامرها لؤلؤا الخادم ومقدم عسكرها المعروف بشمس الخواص
يأمرونهما بتسليم حلب وعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك فغالطا فى الجواب وأرسلا الى
ايلغازى وطغتكين يستنجدانهما فسار اليهم فى ألفى فارس ودخلا حلب فامتنع من بها حينئذ عن
عسكر السلطان وأظهروا العصيان فسار الامير برسق بن برسق الى مدينة حماه وهى فى طاعة
طغتكين وبها اثقاله فحصرها وفتحها عنوة ونهبها ثلاثة أيام وسلمها الى الامير قرجان صاحب حمص
وكان السلطان قد أمر ان يسلم اليه كل بلد يفتحونه فلما رأى الامراء ذلك فشلوا وضعفت نياتهم فى
القتال بحيث تؤخذ البلاد وتسلم الى قرجان فلما سلموا حماه الى قرجان سلم اليهم اياز بن ايلغازى
وكان قد سار ايلغازى وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستجاروا بصاحبها روجيل
وسألوه ان يساعدهم على حفظ مدينة حماه فلما بلغهم فتحها وصل اليهم بانطاكية بغدوين
صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رأيهم على ترك اللقاء لكثرة
المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة افامية وأقاموا نحو شهرين فلما
انتصف ايلول ورأوا عزم المسلمين على المقام تفرقوا فعاد ايلغازى الى ماردين وطغتكين الى دمشق
والفرنج الى بلادها وكانت افامية وكفرطاب للفرنج فقصد المسلمون كفرطاب وحصروها فلما
اشتد الحصر على الفرنج ورأوا الهلاك قتلوا أولادهم ونساءهم وأحرقوا أموالهم ودخل المسلمون
البلد عنوة وقهروا وأسروا صاحبه وقتلوا من بقى فيه من الفرنج وساروا الى قلعة افامية فرأوها
حصينة فعادوا عنها الى المعرة وهى للفرنج أيضا وفارقهم الامير جيوش بك الى وادى بزاعة فملكه
وسارت العساكر عن المعرة الى حلب وتقدمهم ثقلهم ودوابهم على جارى العادة والعساكر فى

العرب فى صفاتها قال
الرقى ذكر الرياشى عن
الاصمعى قال اذا كان
الفرس طويل أوظفة
اليدين قصير أوظفة
الرجلين طويل الذراعين
قصير الساقين طويل
الفخذين طويل العضدين
منفرج الكتفين لم يكد
يسبق وقال اذا سلم من
الفرس شيآن لم يضره
عيب سواهما مغروز عنقه
فى كاهله ومغروز عجزه
فى صلبه واذا جادت حوافره
فهو هو وأنشدنا المبرد
ولقد شهدت الخيل تحمل
سكتى
عنه كسرحان القضيمة منهب
فرس اذا استقبلته فكأنه
فى العين جرع من أوائل
مشرب
واذا اعترضت له استوت
اقطاره
فكأنه مستدبر المتصوب
وسأل يا أمير المؤمنين
معاوية مطر بن دراج أى
الخيل أفضل وأوجز فقال
الذى اذا استقبلته قلت
نافر واذا استدبرته قلت
زاخر واذا استعرضته قلت
زافر سوطه عنانه وهواه
أمامه قال فاى البراذين شر
قال الغليظ الرقبة الكثير
الجلبة الذى اذا أرسلته
قال أمسكنى واذا أمسكته
قال أرسلنى قال الغلام
أحسن ماقيل فى الفرس

ووصفه قول بعضهم خير مار كب الشجاع اذا ما * قيل يوما ألا اركبوا للغوار كل نهد أقب معتدل الخلق * متين الشظى عتيق النجار

أثره متلاحقة وهم آمنون لا يظنون أحدا يقدم على القرب منهم وكان روجيل صاحب انطاكية لما بلغه حصر كفرطاب سار فى خمسمائة فارس وألفى راجل للمنع فوصل الى المكان الذى ضربت فيه خيام المسلمين على غير علم بها فرآها خالية من الرجال المقاتلة لانهم لم يصلوا اليها فنهب جميع ما هناك وقتل كثيرا من السوقية وغلمان العسكر ووصلت العساكر متفرقة فكان الفرنج يقتلون كل من وصل اليهم ووصل الامير برسق فى نحو مائة فارس فرأى الحال فصعد تلا هناك ومعه أخوه زنكى وأحاط بهم السوقية والغلمان واحتموا بهم ومنعوا الامير برسق من النزول فاشار عليه أخوه ومن معه بالنزول والنجاة بنفسه فقال لا أفعل بل اقتل فى سبيل الله وا كون فداء المسلمين فغلبوه على رأيه فنجا هو ومن معه فتبعهم الفرنج نحو فرسخ ثم عادوا وتمموا الغنيمة والقتل وأحرقوا كثيرا من الناس وتفرق العسكر وأخذ كل واحد جهة ولما سمع الموكلون بالاسرى المأخوذين من كفرطاب ذلك قتلوهم وكذلك فعل الموكل بابازبن ايلغازى قتله أيضا وخاف أهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين التى بالشام فانهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر فاتاهم ما لم يكن فى الحساب وعادت العساكر عنهم الى بلادها وأما برسق وأخوه زنكى فانهما توفيا فى سنة عشر وخمسمائة وكان برسق خيرا دينا وقد ندم على الهزيمة وهو يتجهز للعود الى الغزاة فاتاه أجله

(ذكر ملك الفرنج رفنية وأخذها منهم)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة ملك الفرنج رفنية من أرض الشام وهى لطغتكين صاحب دمشق وقووها بالرجال والذخائر وبالغوا فى تحصينها فاهتم طغتكين لذلك وقوى عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها والتخريب فاتاه الخبر عن رفنية بخلوها عن عسكر يمنع عنها وليس هناك الا الفرنج الذين رتبوا لحفظها فسار اليها جريدة فلم يشعر من بها الا وقد هجم عليهم البلد فدخله عنوة وقهرا وأخذ كل من فيه من الفرنج أسيرا فقتل البعض وترك البعض وغنم المسلمون من سوادهم وكراعهم وذخائرهم ما امتلأت منه أيديهم وعادوا الى بلادهم سالمين

(ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه على)

فى هذه السنة توفى يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية يوم عيد الاضحى فجأة وكان منجم قد قال له فى منستير مولده ان عليه قطعا فى هذا اليوم فلا تركب فلم يركب وخرج أولاده وأهل دولته الى المصلى فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته وقرأ القراء وأنشد الشعراء وانصرفوا الى الطعام فقام يحيى من باب آخر ليحضر معهم على الطعام فلم يمش غير ثلاث خطا حتى وقع ميتا وكان ولده على بمدينة سفاقس فاحضر وعقدت له الولاية ودفن يحيى بالقصر ثم نقل الى التربة بالمنستير وكان عمره اثنين وخمسين سنة وخمسة عشر يوما وكانت ولايته ثمان سنين وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوما وخلف ثلاثين ولدا فقال عبد الجبار بن محمد ابن حمديس الصقلى يرثيه ويهنئ ابنه عليا بالملك

ما أغمد العضب الاجرد الذكر * ولا اختفى قمر حتى بدا قمر
بموت يحيى اميت الناس كلهم * حتى اذا ما على جاءهم نشروا
ان يسعدوا بسرور من تملكه * فمن منية يحيى بالاسى قبروا
أوفى على فمن الملك ضاحكة * وعينها من أبيه دمعها همر
شقت جيوب المعالى بالاسى فبكت * فى كل أفق عليه الانجم الزهر
وقل لابن تميم حزن مادهما * فكل حزن عظيم فيه محتقر

سليم اللحى واسع المسرحة الا*ذن وافى الدماغ والوجه عار ماحنه الحرار واشتد عليا*ه فا كدى محدود بابا العوار
محضر القصر مكرب الرسغ
دانى الا
بط ساجى الجفون والاشفار
مسرف مفتل نجيب اذا أد
بر مستدبر كبكر صغار
فهو فى خلقه طوال ورحب
وعراض الى سداد قصار
طال زاهيه والذراعان والاض
لاع منه فتم فى اخفار
ثم طالت وأبدت نخذاه
فهو كفت الوثوب بيت الخيار
والرحيب الفروج والجلد والمشـ
ـرقدام منخر كالوجار
والعريض الوظيف والجنب والاو
راك والجبهة العريض الفقار
والحديد الفؤاد والسمع والعر
قوب والطرف حدة فى وقار
فهو صاف الاديم والعين والحا
فر غمر بديهة الاحضار
والقصير الكراع والظهر والرسـ
ـغ العصيب العسيب والصلب وار
لم تخن مثله القطاة ولم يسـ
ـلمه تركيبها الى استئخار
مطمئن النسور بين حزام
كل لام أحم كالمنقار
يكفت المشى كالذى يتخطى
طنبا أو يستل كالمسمار
واذا ما استمر من غير ما بأ*س به مانع من استمرار لان فاهتز مقبلا فاذا اد*بر أهوى متابع الادبار قام

قام الدليل ويحيى لا حياة له * أن المنية لا تبقى ولا تذر

وكان يحيى عادلا فى رعيته ضابطا للامور دولته مدبرا لجميع أحواله رحيما بالضعفاء والفقراء يكثر الصدقة عليهم ويقرب أهل العلم والفضل وكان عالما بالاخبار وأيام الناس والطب وكان حسن الوجه أشهل العين الى الطول ما هو ولما استقر على فى الملك جهز اسطولا الى جزيرة جربة وسببه ان أهلها كانوا يقطعون الطريق ويأخذون التجار فحصرها وضيق على من فيها فدخلوا تحت طاعته والتزموا ترك الفساد وضمنوا اصلاح الطريق وكف عنهم عند ذلك وصلح أمر البحر وأمن المسافرون

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى رجب قدم السلطان محمد بغداد ووصل اليه اتابك طغتكين صاحب دمشق فى ذى القعدة وسأل الرضا عنه فرضى عنه السلطان وخلع عليه ورده الى دمشق وفيها أمر الامام المستظهر بالله ببيع البدرية وهى منسوبة الى بدر غلام المعتضد بالله وكانت من أحسن دور الخلفاء وكان ينزلها الراضى بالله ثم تهدمت وصارت تلا فامر القادر بالله ان يسور عليها سور لانها مع الدار الامامية ففعل ذلك فلما كان الآن أمر ببيعها فبيعت وعمرها الناس وفيها فى شعبان وقعت الفتنة بين العامة وسببها ان الناس لما عادوا من زيارة مصعب اختصموا على من يدخل أولا فاقتتلوا وقتل بينهم جماعة وعادت الفتن بين أهل المحال كما كانت ثم سكنت وفيها اقطع السلطان محمد الموصل وما كان بيد آقسنقر البرسقى للامير جيوش بك وسير ولده الملك مسعودا وأقام البرسقى بالرحبة وهى اقطاعه الى ان توفى السلطان محمد وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها توفى اسمعيل بن محمد بن أحمد بن ملة الاصبهانى أبو عثمان بن أبى سعيد الواعظ سمع الكثير وحدث ببغداد وغيرها وعبد الله بن المبارك بن موسى السقطى أبو البركات له رحلة وله تصانيف وكان أديبا

(ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة)

(ذكر قتل أحمديل بن وهسوذان)

فى هذه السنة أول المحرم حضر اتابك طغتكين صاحب دمشق دار السلطان محمد ببغداد وحضر جماعة الامراء ومعهم أحمديل بن ابراهيم بن وهسوذان الروادى الكردى صاحب مراغة وغيرها من أذربيجان وهو جالس الى جانب طغتكين فاتاه رجل متظلم وبيده رقعة وهو يبكى ويسأله ان يوصلها الى السلطان فاخذها من يده فضربه الرجل بسكين فجذبه أحمديل وتركه تحته فوثب رفيق للباطنى وضرب أحمديل سكينا أخرى فاخذتهما السيوف وأقبل رفيق لهما وضرب أحمديل ضربة أخرى فعجب الناس من اقدامه بعد قتل صاحبيه وظن طغتكين والحاضرون ان طغتكين كان المقصود بالقتل وانه بأمر السلطان فلما علموا انهم باطنية زال هذا الوهم

(ذكر وفاة جاولى سقاوو وحال بلاد فارس معه)

فى هذه السنة توفى جاولى سقاوو وكان السلطان ببغداد عازما على المقام بها فاضطر الى المسير الى أصبهان ليكون قريبا من فارس لئلا يختلف عليه وقد ذكرنا حال جاولى بالموصل الى ان ملكت منه وأخذها السلطان فلما قصد السلطان ورضى عنه أقطعه بلاد فارس فسار جاولى اليها ومعه ولد السلطان جغرى وهو طفل له من العمر سنتان وأمره باصلاحها وقمع المفسدين بها فسار اليها

فى تعاقيب كالتماثيل أو كالـ*ـجن أو كالظباء أو كالحوار فاذا ما طمابه الجرى فالعقـ*ـبان ثم وى كواسر الاعسار
فلما كان فى الليلة الثانية
دعا بهما فقال عودا الى
ما كنتما عليه البارحة
واشرعا فى أخبار الحلائب
ومراتب الخيل فيها قال
الغلام يا أمير المؤمنين
أذكر قولا جامعا أخبرنى
به كلاب بن حمزة العقيلى
قال كانت العرب ترسل
خيلها عشرة عشرة أو أسفل
والقصب تسعة ولا يدخل
الحجر المجمر من الخيل
الاثمانية وهذه أسماؤها
الاول السابق وهو المجلى
قال أبو الهندام كلاب انما
سمى المجلى لانه جلى عن
صاحبه ما كان فيه من
الكرب والشدة وقال
الفراء انما سمى المجلى لانه
يجلى عن وجه صاحبه
والثانى المصلى لانه وضع
جحفلته على قطاة المجلى
وهى صلاة والصلا يجب
الذنب بعينه والثالث
المسلى لانه كان شريكا
فى السبق وكانت العرب
تعد من كل ما يحتاج ثلاثة
أولانه سلى عن صاحبه
بعض همه بالسبق والرابع
التالى سمى بذلك لانه تلا
هذا المسلى فى حال دون
غيره والخامس المرتاح
وهو المفتعل من الراحة
لان فى الراحة خمس
أصابع لا يعد منها غيرهن
واذا أومأت العرب من
العـدد الى خمس فتح الذى يومئ بها يده وفرق أصابعه الخمس وذلك أيضا ما يومؤن به من غير عقد الحساب ثم يكون بعدها الى أن

فأول ما اعتمده فيها أنه لما توسط بلاد الامير بلدجي وهو من كبار مماليك السلطان ملكشاه ومن جملة بلاده كليل وسرماه وكان متمكنا بتلك البلاد راسله جاولي ليحضر خدمة جغري ولد السلطان وعلم جغري ان يقول بالفارسية خذوه فلما دخل بلدجي قال جغري على عادته خذوه فاخذ وقتل ونهبت أمواله وكان لبلدجي من جملة حصونه قلعة اصطخر وهي من أمنع القلاع وأحصنها وكان بها أهله وذخائره وقد استناب في حفظها وزيرا له يعرف بالجهرمي فعصى عليه وأخرج اليه أهله وبعض المال ولم تزل في يد الجهرمي حتى وصل جاولي الى فارس فاخذها منه وجعل فيها أمواله وكان بفارس جماعة من أمراء الشوانكارة وهم خلق كثير لا يحصون ومقدمهم الحسن بن المبارز المعروف بخسرو وله فسا وغيرها فراسله جاولي ليحضر خدمة جغري فاجاب انني عبد السلطان وفي طاعته فاما الحضور فلا سبيل اليه لاني قد عرفت عادتك مع بلدجي وغيره ولكنني أحمل الى السلطان ما يؤثره فلما سمع جاولي جوابه علم أنه لا مقام له بفارس معه فاظهر العود الى السلطان وحمل أثقاله على الدواب وسار كانه يطلب السلطان ورجع الرسول الى خسرو فاخبره فاغتر وقعد للشرب وأمن وأما جاولي فانه عاد من الطريق الى خسرو جريدة في نفر يسير فوصل اليه وهو مخمور نائم فكبسه فانبهه أخوه فضلوه فلم يستيقظ فصب عليه الماء البارد فافاق وركب من وقته وانهزم وتفرق أصحابه ونهب جاولي ثقله وأمواله وأكثر القتل في أصحابه ونجا خسرو الى حصنه وهو بين جبلين يقال لاحدهما انج وسار جاولي الى مدينة فسا فتسلمها ونهب كثيرا من بلاد فارس منهم جهرم وسار الى خسرو وحصره مدة وضيق عليه فرأى من امتناع حصنه وقوته وكثرة ذخائره ما علم أن المدة تطول عليه فصالحه ليشتغل بباقي بلاد فارس ورحل عنه الى شيراز فاقام بها ثم توجه الى كازرون فملكها وحصر أبا سعد محمد بن مما في قلعته وأقام عليها سنتين صيفا وشتاء فراسله جاولي في الصلح فقتل الرسول فارسل اليه قوما من الصوفية فاطعمهم الهريسة والقطائف ثم أمر بهم فخيطت أدبارهم والقوا في الشمس فهلكوا ثم نفد ما عند أبي سعد فطلب الامان فامنه وتسلم الحصن ثم ان جاولي أساء معاملته فهرب فقبض على أولاده وبث الرجال في أثره فرأى بعضهم زنجيا يحمل شيأ فقال ما معك فقال زادي ففتشه فرأى دجاجا وحلواء السكر فقال ما هذا من طعامك فضربه فاقر على أبي سعد وانه يحمل ذلك اليه فقصدوه وهو في شعب جبل فاخذه الجندي وحمله الى جاولي فقتله وسار الى دارابجرد وصاحبها اسمه ابراهيم فهرب صاحبها منه الى كرمان خوفا منه وكان بينه وبين صاحب كرمان صهر وهو ارسلانشاه بن كرمانشاه بن ارسلان بك بن قاورت فقال له لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولي وطلب منه النجدة وسار جاولي بعد هربه منه الى حصار رتيل رننه يعني مضيق رننه وهو موضع لم يؤخذ قهرا قط لانه واد نحو فرسخين وفي صدره قلعة منيعة على جبل عال وأهل دارابجرد يتحصنون به اذا خافوا فاقاموا به وحفظوا أعلاه فلما رأى جاولي حصانته سار يطلب البرية نحو كرمان كاتما أمره ثم رجع من طريق كرمان الى دارابجرد مظهرا أنه عسكر الملك ارسلانشاه صاحب كرمان فلم يشك أهل الحصن انهم مددهم مع صاحبهم فاظهروا السرور وأذنوا له في دخول المضيق فلما دخله وضع السيف فيمن هناك فلم ينج غير القليل ونهب أموال أهل دارابجرد وعاد الى مكانه وراسل خسرو يعلمه انه عازم على التوجه الى كرمان ويدعوه اليه فلم يجد بدا من موافقته فنزل اليه طائعا وسار معه الى كرمان وأرسل الى صاحبها القاضي أبا طاهر عبد الله بن طاهر قاضي شيراز يأمره باعادة الشوانكارة لانهم رعية السلطان ويقول انه متى أعادهم عاد

تكون عشرة فيفتح الذي يومئ بها يديه جميعا ويقابل الخمس أصابع بالخمس فلما كان الخامس مثل خامسة الاصابع وهي الخنصر سمي مرتاحا وسمي السادس حظيا لان له حظا وقيل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس قصبة وهي آخر حظوظ خيل الحلبة فله حظ وسمي السابع العاطف لدخوله الجرة لانه قد عطف بشئ وان قل وحسن اذ كان قد دخل المجهود وسمي الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سموا الفلاة مفازة واللديغ سليما وكنوا الحبشي أبا البيضاء ونحو ذلك فكذلك سموا الخائب المؤمل أي أنه يؤمل وان كان خائبا لانه قرب من بعض ذوات الحظوظ بعد والتاسع اللطيم لانه لو رام الجرة للطم دونها لانه أعظم جرما من السابع والثامن والعاشر السكيت لان صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت حزنا وعيا فكانوا يجعلون في عنق السكيت حبلا ويحملون عليه قردا ويدفعون للقرد سوطا فيركضه القرد ليعير بذلك صاحبه وأنشد في ذلك الوليد بن حصن الكلبي

اذا أنت لم تسبق وكنت مخلفا ... سبقت اذا لم تدع بالقرد والحبل

وان تك حقا بالسكيت مخلفا ... فتورث مولاك المذلة بالنبل

أما ذكره النبل فان بعضهم كان يفعل ذلك ينصب فرسه ثم يرميه بالنبل حتى يتجعف وقد عن

عن قصد بلاده والا قصده فاعاد صاحب كرمان جواب الرسالة يتضمن الشفاعة فيهم حيث استجاروا به ولما وصل الرسول الى جاولي أحسن اليه وأجزل له العطاء وأفسده على صاحبه وجعله عينا له عليه وقرر معه اعادة عسكر كرمان ليدخل البلاد وهم غارون فلما عاد الرسول وبلغ السيرجان وبها عساكر صاحب كرمان ووزيره مقدم الجيش أعلم الوزير ما عليه جاولي من المقاربة وانه يفارق ما كرهوه وأكثر من هذا النوع وقال لكنه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وان اعداء جاولي طمعوا فيه بهذا العسكر والرأي ان تعاد العساكر الى بلادها فعاد الوزير والعساكر وخلت السيرجان وسار جاولي في أثر الرسول فنزل بفرج وهي الحد بين فارس وكرمان فحاصرها فلما بلغ ذلك ملك كرمان أحضر الرسول وأنكر عليه اعادة العسكر فاعتذر اليه وكان مع الرسول فراش لجاولي ليعود اليه بالاخبار فارتاب به الوزير فعاقبه فاقر على الرسول فصلب ونهبت أمواله وصلب الفراش وندب العساكر الى المسير الى جاولي فسار وافى ستة آلاف فارس وكانت الولاية التي هي الحد بين فارس وكرمان بيد انسان يسمى موسى وكان ذا رأي ومكر فاجتمع بالعسكر وأشار عليهم بترك الجادة المسلوكة وقال ان جاولي محتاط بها وسلك بهم طرقا غير مسلوكة بين جبال ومضايق وكان جاولي يحاصر فرج وقد ضيق على من بها وهو يدمن الشرب فسير أميرا في طائفة من عسكره ليلاقي العسكر المنفذ من كرمان فسار الامير فلم ير أحدا فظن انهم قد عادوا فرجع الى جاولي وقال ان العسكر كان قليلا فعاد خوفا منا فاطمأن حينئذ جاولي وأدمن شرب الخمر ووصل عسكر كرمان اليه ليلا وهو سكران نائم فايقظه بعض أصحابه وأخبره فقطع لسانه فاتاه غيره وأيقظه وعرفه الحال فاستيقظ وركب وانهزم وقد تفرق عسكره منهزمين فقتل منهم وأسر كثير وأدركه خسرو وابن أبي سعد الذي قتل جاولي أباه فسارا معه في أصحابهما فالتفت فلم ير معه أحدا من أصحابه الاتراك فخاف على نفسه منهما فقالا له انا لا نغدر بك ولن ترى منا الا الخير والسلامة وسارا معه حتى وصل الى مدينة فسا واتصل به المنهزمون من أصحابه وأطلق صاحب كرمان الاسرى وجهزهم وكانت هذه الوقعة في شوال سنة ثمان وخمسمائة وبينما جاولي يدبر الامر ليعاود كرمان ويأخذ بثاره توفي الملك جغري بن السلطان محمد وعمره خمس سنين وكانت وفاته في ذي الحجة سنة تسع وخمسمائة ففت ذلك في عضده فارسل ملك كرمان رسولا الى السلطان وهو ببغداد يطلب منه منع جاولي عنه فاجابه السلطان انه لا بد من ارضاء جاولي وتسليم فرج اليه فعاد الرسول في ربيع الاول سنة عشر وخمسمائة فتوفي جاولي فامنوا ما كانوا يخافونه فلما سمع السلطان سار عن بغداد الى أصبهان خوفا على فارس من صاحب كرمان

❁(ذكر فتح جبل وسلات وتونس)❁

في هذه السنة حصر عسكر علي بن يحيى صاحب افريقية مدينة تونس وبها أحمد بن خراسان وضيق على من بها فصالحه صاحبها على ما أراد وفيها فتح أيضا جبل وسلات بافريقية واستولى عليه وهو جبل منيع ولم يزل أهله طول الدهر يفتكون بالناس ويقطعون الطريق فلما استمر ذلك منهم سير اليهم جيشا فكان أهل الجبل ينزلون الى الجيش ويقاتلون أشد قتال فعمل قائد الجيش الحيلة في الصعود الى الجبل من شعب لم يكن أحد يظن انه يصعد منه فلما صار في أعلاه في طائفة من أصحابه ثار اليه أهل الجبل فصبر لهم وقاتلهم فيمن معه أشد قتال وتتابع الجيش في الصعود اليه فانهزم أهل الجبل وكثر القتل فيهم ومنهم من رمى نفسه فتكسر ومنهم من أفلت

فعل ذلك النعمان بفرسه النهب قال كلاب بن حمزة ولم نعلم أحدا من العرب في الجاهلية والاسلام وصف خيل الحلبة العشرة بأسمائها وصفاتها وذكرها على مراتبها غير محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان وكان بالجزيرة بالقرية المعروفة بحصن مسلمة من اقليم البلخ من كورة الرقة من ديار مضر فانه قال في ذلك

شهدنا الرهان غداة الرهان ... بجمعية ضمها الموسم

نقود اليها مقاد الجميع ... ونحن بصنعتها أقوم

غدونا بعودة كالقداح ... غدت بالسعود لها الانجم

مقابلة نسبة في الصريح ... فاهن لذا كرم الا كرم

كميت اذا ما تباطى يبل ... يفوت الحظوط اذا يلجم

فنهن أحوى عمر أغر ... وأجود ذو غرة أرثم

تلألأ في وجهه فرجة ... كأن تلألؤها المرزم

فقيدت لمذخور ما عندها ... المنتظري أنها تنجم

على ابن ستم صغار الشخوص ... نماهم لحام الى تنجم

كأنهم فوق أشباحها ... زرازير في نفق حوم

تصفت على الخيل في محضر ... يلي أمره ثقة مسلم

تراضوا به حكما بينهم ... فبالحق بينهم يحكم

وربك بالسيف عن ساعة ... من الناس كلهم أعلم

فقات ونحن على جدة ... من الارض نيرها مظلم

لقد فرغ الله مما يكون ❁ ومهما يكن فهو لا يكتم

فاقبل في أمرنا نافر ❁ كما يقبل الوابل المثجم

واحتمى جماعة كثيرة بقصر في الجبل فلما أحاط بهم الجيش طلبوا أن يرسل اليهم من يصلح حالهم فارسل اليهم جماعة من العرب والجند فثار بهم أولئك بالسلاح فقتلوا بعضهم وطلع الباقون الى أعلى القصر ونادوا أصحابهم من الجيش فاتوهم وقاتلوهم بعضهم من أعلى القصر وبعضهم من أسفله فاتى من فيه من أهل الجبل أيديهم فقتلوا كلهم

(ذكر الفتنة بطوس)

في هذه السنة في عاشوراء كانت فتنة عظيمة بطوس في مشهد على بن موسى الرضا عليه السلام وسببها ان علويا خاصم في المشهد يوم عاشوراء بعض فقهاء طوس فادى ذلك الى مضاربة وانقطعت الفتنة ثم استعان كل منهما بحزبه فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طوس وأحاطوا بالمشهد وخربوه وقتلوا من وجدوا فقتل بينهم جماعة ونهبت أموال جمة وافترقوا وترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمعات فيه فبنى عليه عضد الدين فرامرز بن على سورا منيعا يحتمى به من بالمشهد على من يريده بسوء وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وقعت النار في الحظائر المجاورة للمدرسة النظامية ببغداد فاحترقت الاخشاب التي بها واتصل الحريق الى درب السلسلة وتطاير الشرر الى باب المراتب فاحترقت منه عدة دور واحترقت خزانة كتب النظامية وسلمت الكتب لان الفقهاء لما أحسوا بالنار نقلوها وفيها توفي عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول أبو محمد الاندلسي السرقسطي وكان فقيها فاضلا ورد نحو العراق سنة خمسمائة وسار الى خراسان فسكن مرو الروذ فمات بها وله شعر حسن فمنه

ومهفهف يختال في أبراده * مرح القضيب اللدن تحت البارح
أبصرت في مرآة فكرى خده * فحكيت فعل جفونه بجوارحي
ما كنت أحسب ان فعل توهمي * يقوى تعديه فيجرح جارحي
لا غرو ان جرح التوهم خده * فالسحر يعمل في البعيد النازح

وفيها في شعبان توفي أبو القاسم على بن محمد بن أحمد بن بيان الرزاز ومولده في صفر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن مخلد وأبي القاسم بن بشران وفيها توفي أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني رئيس الشافعية بمرو ومولده سنة ست وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث الكثير وصنف وله فيه أمال حسنة وتكلم على الحديث فاحسن ماشاء وفيها توفي محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني أبو الخطاب الفقيه الحنبلي ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وتفقه على أبي يعلى بن الفراء

ثم دخلت سنة احدى عشرة وخمسمائة

(ذكر وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود)

في هذه السنة في الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي السلطان محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان وكان ابتداء مرضه في شعبان وانقطع عن الركوب وتزايد مرضه ودام وأرجف عليه بالموت فلما كان يوم عيد النحر حضر السلطان وحضر ولده السلطان محمود على السماط فنهبه الناس ثم أذن لهم فدخلوا الى السلطان محمد وقد تكلف القعود لهم وبين يديه سماط كبير فاكلوا وخرجوا فلما انتصف ذو الحجة أيس من نفسه فاحضر ولده محمودا وقبله وبكى كل واحد منهما وأمره ان يخرج ويجلس على تخت السلطنة وينظر في أمور الناس وعمره اذ ذاك قد زاد على أربع عشرة سنة فقال

كما رفض من سلكه المنظم أو السرب سرب القطا راعه * من الجوشوذانق مظلم
وأتبع فوضى ومرفضة
فواصل من كل سقط له
كان عنابيبها العندم
وللمرء من فرح ما نستثير
سنابكهن سنا يحزم
بخلى الاغر وصلى الكميت
وسلى فلم يذمم الادهم
وأردفها رابع تاليا
وأين من المنجد المتهم
وماذم مرتاحها خامسا
وقد جاء يقدم ما يقدم
وجاء الحظى لها سادسا
فاسهمه حظه المسهم
وسابعها العاطف المستخير
يكاد لحيرته يحرم
وجاء المؤمل فيها يخيب
وغنى له الطائر الاشيم
وجاء اللطيم لها تاسعا
فمن كل ناحية يلطم
يخب "السكيت على اثره
وذفراه من قبة أعظم
كأن جوانبه بين ذى
جمانة نيط بها مقحم
اذا قيل من رب ذا يجز
من الخزى بالصمت يستعصم
ومن لا يعد للحلاب الجواد
وشيك لعمرك ما يندم
وماذو اقتضاب لمحمولها
كمن ينتقيها ويستلزم
فرحنا بسبق شهر نابه
ونيل به الفخر والمغنم
وأحرزن عن قصبات الرهان
رغائب أمثالها تقسم
برود من القصب موشية
وأكسية الخز والملحم
فراحت عليهن منشورة
كأن حواشيهن الدم
ومن ورق صامت بدرة * ينوه بها الاغلب الاعصم ففضت لهن خواتيمها * وبدرتنا الدهر لا تختم

لو الده انه يوم غير مبارك يعني من طريق النجوم فقال صدقت ولكن على أبيك واما عليك فبارك بالسلطنة فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين وفي يوم الخميس الرابع والعشرين احضر الامراء وأعلموا بوفاته وقرئت وصيته الى ولده محمود يأمره بالعدل والاحسان وفي الجمعة الخامس والعشرين منه خطب لمحمود بالسلطنة وكان مولد السلطان محمد ثامن عشر شعبان من سنة أربع وسبعين وار بعمائة وكان عمره سبعا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وستة أيام وأول مادعى له بالسلطنة ببغداد في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وقطعت خطبته عدة دفعات على ماذكرناه ولقى من المشاق والاخطار مالا حد عليه فلما توفي أخوه بركيارق صفت له السلطنة وعظمت هيبته وكثرت جيوشه وأمواله وكان اجتمع الناس عليه اثنتي عشرة سنة وستة أشهر

(ذكر بعض سيرته)

كان عادلا حسن السيرة شجاعا فمن عدله انه اشترى مماليك من بعض التجار وأحالهم بالثمن على عامل خوزستان فاعطاهم البعض ومطل بالباقي فحضروا مجلس الحكم وأخذوا معهم غلمان القاضي فلما رآهم السلطان قال لحاجبه انظر ما حال هؤلاء فسألهم عن حالهم فقالوا لنا خصم يحضر معنا مجلس الحكم فقال من هو قالوا السلطان وذكروا قصتهم فاعلمه ذلك فاشتد عليه واكره وأمر باحضار العامل وأمره بايصال أموالهم والجعل الثقيل ونكل به حتى يمتنع غيره عن مثل فعله ثم انه كان يقول بعد ذلك لقد ندمت ندما عظيما حيث لم أحضر معهم مجلس الحكم فيقتدى بي غيري ولا يمتنع أحد عن الحضور فيه وأداء الحق ومن عدله انه كان له خازن يعرف بابي أحمد القزويني قتله الباطنية فلما قتل أمر بعرض الخزانة فعرض عليه فيها درج فيه جوهر كثير نفيس فقال ان هذا الجوهر عرضه على منذ أيام وهو في ملك أصحابه وسلمه الى خادم ليحفظه وينظر من أصحابه فيسلمه اليهم فسأل عنهم وكانوا تجارا غرباء وقد تيقنوا ذهابه وأيسوا منه فسكتوا فاحضرهم وسلمه اليهم ومن عدله انه أطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد ولم يعرف منه فعل قبيح وعلم الامراء سيرته فلم يقدم أحد منهم على الظلم وكفوا عنه ومن محاسن أعماله ما فعله مع الباطنية على ما نذكره

(ذكر حال الباطنية أيام السلطان محمد)

قد تقدم ذكر ما اعتمده من حصر قلاعهم ونحن نذكر ههنا زيادة اهتمامه بامرهم فانه رحمه الله تعالى لما علم ان مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثارهم واخراب ديارهم وملك حصونهم وقلاعهم جعل قصدهم دأبه وكان في أيامه المقدم عليهم والقيم بامرهم الحسن بن الصباح الرازي صاحب قلعة ألموت وكانت أيامه قد طالت وله منذ ملك قلعة ألموت ما يقارب ستا وعشرين سنة وكان المجاورون له في أقبح صورة من كثرة غزواته عليهم وقتله وأسره رجالهم وسبى نسائهم فسير اليه السلطان العساكر على ما ذكرناه فعادت من غير بلوغ غرض فلما اعضل داؤه ندب لقتاله الامير انوشتكين شيركير صاحب آبة وساوة وغيرهما فملك منهم عدة قلاع منها قلعة كلام ملكها في جمادى الاولى سنة خمس وخمسمائة وكان مقدمها يعرف بعلي بن موسى فامنه ومن معه وسيرهم الى ألموت وملك منهم أيضا قلعة بيرة وهي على سبعة فراسخ من قزوين وأمنهم وسيرهم الى ألموت أيضا وسار الى قلعة ألموت فيمن معه من العساكر وأمده السلطان بعدة من الامراء فحصرهم وكان هو من بينهم صاحب القريحة والبصيرة في قتالهم مع جودة رأى وشجاعة فبنى عليها مساكن يسكنها هو ومن معه وعين لكل طائفة من الامراء أشهرا يقيمونها فكانوا ينيبون

نوزعها بين خدامها * ونحن لها منهم أخدم وانا لنرتبط المربات في اللدنات فاترزم يعد لها المحض بعد الثليث
كما يصنع الصبية المعظم
ويخلطها بصميم العيال
بمن لم يخب وهو المحرم
مشاربها الصافيات العذاب
ومطعمها فهو المطعم
فهن باكناف أبياتنا
صوافن يصهان أو حوم
ومال محمد بن يزيد في كلمته
هذه الى انه لاحظ للثامن
وجعل للسابع حظا في
السبق والهندسة اجراء
الخيل وتجربتها فيما دون
الغاية وانما سميت الحلبة
حلبة لان العرب تحلب
اليها خيولها من كل مكان
(قال المتقى) أثبتنا ما يجرى
في هذه الاوقات ودوناه
فلم يزل الامعه في ذلك يجدد
لهما البر الى أن كان من
أمره ما قد اشتهر وقد تناهى
بنا الكلام الى هذا الموضع
من خلافة المتقى فلنذكر
الآن بعض من اشتهر
شعره في هذا الوقت
واستفاض في الناس
وظهر فمنهم أبو نصر القاسم
ابن أحمد الحروري وهو
أحد المطبوعين المجودين
في البديهة المعروفين بالغزل
فمن جيد شعره قوله
أضنى الهوى جسدى
وبدلني به
جسدا تكون من هوى
متجسد
مازال ابعاد الهوى عدمي الى
أن صرت لو أعدمته لم أوجد
ومن جيد شعره ما عاتب به ابن لنكك الشاعر وهو لم لا ترى لصداقتي تصديقا

وبعضرون وهو ملازم الحصار وكان السلطان ينقل اليه الميرة والذخائر والرجال فضاق الامر على الباطنية وعدمت عندهم الاقوات وغيرها فلما اشتد عليهم الامر نزلوا نساءهم وابناءهم مستأمنين ويسألون ان يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ويؤمنوا فلم يجابوا الى ذلك وأعادهم الى القلعة قصدا ليموت الجميع جوعا وكان ابن الصباح يجرى لكل رجل منهم فى اليوم رغيفا وثلاث جوزات فلما بلغ بهم الامر الى الحد الذى لا مزيد عليه بلغهم موت السلطان محمد فقويت نفوسهم وطابت قلوبهم ووصل الخبر الى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم وعزموا على الرحيل فقال شيركير ان رحلنا عنهم وشاع الامر نزلوا الينا وأخذوا ما أعددناه من الاقوات والذخائر والرأى أن نقيم على قلعتهم حتى نفتحها وان لم يكن المقام فلا بد من مقام ثلاثة أيام حتى ينفد ما ثقلنا وما أعددناه ونحرق ما نعجز عن حمله لئلا يأخذه العدو فلما سمعوا قوله علموا صدقه فتعاهدوا على الاتفاق والاجتماع فلما أمسوا رحلوا من غير مشاورة ولم يبق غير شيركير ونزل اليه الباطنية من القلعة فدافعهم وقاتلهم وحمى من تخلف من سوقة العسكر واتباعه ولحق بالعسكر فلما فارق القلعة غنم الباطنية ما تخلف عندهم

﴿ذكر حصار قابس والمهدية﴾

فى هذه السنة جهز على بن يحيى صاحب افريقية أسطولا فى البحر الى مدينة قابس وحصرها وسبب ذلك ان صاحبها رافع بن مكن الدهمانى أنشأ مركبا بساحلها ليحمل التجار فى البحر وكان ذلك آخر أيام الامير يحيى فلم ينكر يحيى ذلك جريا على عادته فى المداراة فلما ولى على الامر بعد أبيه أنف من ذلك وقال لا يكون لاحد من أهل افريقية ان يناوينى فى اجراء المراكب فى البحر بالتجار فلما خاف رافع ان يمنعه على التجأ الى اللعين رجار ملك الفرنج بصقلية واعتضد به فوعده رجار أن ينصره ويعينه على اجراء مركبه فى البحر وأنفذ فى الحال اسطولا الى قابس فاجتازوا بالمهدية فحينئذ تحقق على اتفاقهما وكان يكذبه فلما جاز اسطول رجار بالمهدية أخرج على اسطوله فى أثره فتوافى الجميع الى قابس فلما رأى صاحبها اسطول الفرنج والمسلمين لم يخرج مركبه فعاد اسطول الفرنج وبقى اسطول على يحصر رافعا بقابس مضيقا عليها ثم عادوا الى المهدية وتمادى رافع فى المخالفة لعلى وجمع قبائل العرب وسار بهم حتى نزل على المهدية محاصرا لها وخادع عليا وقال اننى انما جئت للدخول فى الطاعة وطلب من يسعى فى الصلح وافعاله تكذب أقواله فلم يجبه عن ذلك بحرف وأخرج العساكر وحملوا على رافع ومن معه حملة منكرة فالحقوهم بالبيوت ووصل العسكر الى البيوت فلما رأى ذلك النساء صحن وولولن فغارت العرب وعاودت القتال واشتد حينئذ الامر الى المغرب ثم افترقوا وقد قتل من عسكر رافع بشر كثير ولم يقتل من جند على غير رجل واحد من الرجالة ثم خرج عسكر على مرة أخرى فاقتتلوا أشد من القتال الاول كان الظهور فيه لعسكر على فلما رأى رافع انه لا طاقة له بهم رحل عن المهدية ليلا الى القيروان فمنعه أهلها من دخولها فقاتلهم أياما قلائل ثم دخلها فارسل على اليه عسكرا من المهدية فحصروه فيها الى ان خرج عنها وعاد الى قابس ثم ان جماعة من أعيان افريقية من العرب وغيرهم سألوا عليا فى الصلح فامتنع ثم أجاب الى ذلك وتعاهد عليه

﴿ذكر الوحشة بين رجار والامير على﴾

كان رجار صاحب صقلية بينه وبين الامير على صاحب افريقية مودة وكيدة الى ان أعان رافعا كما تقدم قبل فاستوحش كل منهما من صاحبه ثم بعد ذلك خاطبه رجار بما لم تجر عادتهم به وتأكدت

ذو العقل لا يرضى بوسم صداقة * حتى يرى لحقوقها تحقيقا فلمن يرجى الحب أن يدعى أخا وفيا ولم تدع الصديق صديقا وعلى الرفيق بأن يكون رفيقا ان غاب غاب محافظا أوحل كان مداعبا أوقال كان صدوقا

وفى هذا الشعر يقول

ويكاد من علق الهوى بفؤاده مما تفكر أن يرى زنديقا

وقوله

أعليك أعتب أم على الايام بدأت وكنت مؤكدا بتمام قطع التواصل قربنا بتواعد وقطعت أنت تواصل الاقلام هلا ألفت اذ الزمان مشتت الالف للارواح لا الاجسام

وفى هذا الشعر يقول

عذرا أباعيسى عسى لك فى القلا عذرا وذا علم بلا اعلام من غابت الاخبار عنه ودينه دين الامامة قال بالاوهام خذ من فرائدك الذى أعطيتنى فالدردرك والنظام نظامى حكم معانيها معانيك التى فصلتها الى والكلام كلامى

وشعره فى الهزل وغيره أكثر من أن نأتى عليه وأكثر الغناء المحدث فى وقتنا هذا من شعره وقد أشبع بموته وأن اليزيدى غرقه لانه كان هجاه وقيل بل هرب من البصرة ولحق بهجر ولجأ بأبى طاهر بن سليمان بن الحسن صاحب البحرين

(قال المسعودى) وقد أتينا على أخبار المتقى وما كان فى أيامه من الكوائن والاحداث على الشرح والايضاح فى الكتاب الاوسط الذى كتبناه هذا تاله وانما نذكر من

الوحشة

الوحشة فارسل رجار رسالة فيها خشونة فاحترز على منه وأمر بتجديد الاسطول واعداد الاهبة للقاء العدو وكاتب المرابطين بمراكش فى الاجتماع معه على الدخول الى صقلية فكف رجار عما كان يعتمده

﴿ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء ايلغازى عليها﴾

فى هذه السنة قتل لؤلؤ الخادم وكان قد استولى على قلعة حلب وأعمالها بعد وفاة الملك رضوان وولى اتابكية ولده الب ارسلان فلما مات أقام بعده فى الملك سلطانشاه بن رضوان وحكم فى دولته أكثر من حكمه فى دولة أخيه فلما كان هذه السنة سار منها الى قلعة جعبر ليجتمع بالامير سالم بن مالك صاحبها فلما كان عند قلعة نادر نزل يريق الماء فقصده جماعة من أصحابه الاتراك وصاحوا ارنب ارنب وأوهموا انهم يتصيدون ورموه بالنشاب فقتل فلما هلك نهبوا خزانته فخرج اليهم أهل حلب فاستعادوا ما أخذوه وولى أتابكية سلطانشاه بن رضوان شمس الخواص يار وقتاش فبقى شهرا وعزلوه وولى بعده أبو المعالى بن الملحى الدمشقى ثم عزلوه وصادروه وقيل كان سبب قتل لؤلؤ انه أراد قتل سلطانشاه كما قتل أخاه ألب أرسلان قبله ففطن به أصحاب سلطانشاه فقتلوه وقيل كان قتله سنة عشر وخمسمائة والله أعلم ثم ان أهل حلب خافوا من الفرنج فسلموا البلد الى نجم الدين ايلغازى فلما تسلمه لم يجد فيه مالا ولا ذخيرة لان الخادم كان قد فرق الجميع وكان الملك رضوان قد جمع فاكثر فرزقه الله غير أولاده فلما رأى ايلغازى خلو البلد من الاموال صادر جماعة من الخدم بمال صانع به الفرنج وهادنهم مدة يسيرة تكون بمقدار مسيره الى ماردين وجمع العساكر والعود فلما تمت الهدنة سار الى ماردين على هذا العزم واستخلف بحلب ابنه حسام الدين تمرتاش

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى رابع عشر صفر انخسف القمر انخسافا كليا وفى هذه الليلة هجم الفرنج على ربض حماة من الشام وقتلوا من أهلها ما يزيد على مائة رجل وعادوا وفيها فى يوم عرفة كانت زلزلة بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد وخربت ببغداد دور كثيرة بالجانب الغربى وفيها مات احمد العربى ببغداد وكان من عباد الله الصالحين له كرامات وقبره يزار بها وفى هذه السنة فى شوال توفى أبو على محمد بن سعد بن ابراهيم بن نبهان الكاتب وعمره مائة سنة وكان عالى الاسناد روى عن أبى على بن شاذان وغيره والحسن بن أحمد بن جعفر أبو عبد الله الشقاق الفرضى الحاسب وكان واحد عصره فى علم الفرائض والحساب وسمع الحديث من أبى الحسين بن المهتدى وغيره وفيها مات الكزايكس ملك القسطنطينية وملك بعده ابنه يوحنا وسلك سيرته وفيها مات دوقس انطاكية وكفى الله شره

﴿ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق وولاية البرسقى شحنكية بغداد﴾

لما توفى السلطان محمد وملك بعده ابنه محمود ودبر دولته الوزير الربيب أبو منصور أرسل الى الخليفة المستظهر بالله يطلب ان يخطب له ببغداد فخطب له فى الجمعة ثالث عشر المحرم وكان شحنة بغداد بهروز ثم ان الامير دبيس بن صدقة كان عند السلطان محمد مذ قتل والده على ما ذكرناه فاحسن اليه وأقطعه اقطاعا كثيرا فلما توفى السلطان محمد خاطب السلطان محمودا فى العود الى بلده الحلة فاذن له فى ذلك فعاد اليها فاجتمع عليه خلق كثير من العرب والاكراد

أخبارهم فى هذا الكتاب لما لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والايجاز وكذلك أتينا على خبر مقتل بجكم التركى وكان مقتله فى رجب سنة تسع وعشرين وثلثمائة وما كان من أمره مع الاكراد بناحية واسط وما كان من كونكار الديلمى واستيلائه على جيش بجكم وانحدار محمد بن رائق من الشأم ومحاربته كونكار بعكبرا ومخاتلته اياه ودخوله الحضرة وما كان بينهم من الوقعة بالحضرة الى أن انهزم كونكار واستولى محمد بن رائق على الامر وما كان من اليزيديين وموافاتهم الحضرة وخروج المتقى عنها مع محمد ابن رائق الموصلى فى كتابنا المترجم باخبار الزمان فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الكتاب والله الموفق للصواب

﴿ذكر خلافة المستكفى بالله﴾

وبويع المستكفى بالله وهو أبو القاسم عبد الله بن على المكتفى يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وخلع فى شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة لسبع بقين من هذا الشهر فكانت خلافته سنة وأربعة أشهر الا أياما وامه أم ولد

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

قد قدمنا عند ماذكرنا خلع المتقى لله أن المستكفى بويع له بالسبق على نهر عيسى من أعمال قادور بازاء القرية المعروفة بالسندية فى الوقت الذى سملت فيه عينا المتقى بايع له أبو

وغيرهم وكان آقسنقر البرسقي مقيما بالرحبة وهي اقطاعه وليس بيده من الولايات شئ فاستخلف عليها ابنه عز الدين مسعودا وسار الى السلطان محمد قبل موته عازما على مخاطبته في زيادة اقطاعه فبلغه وفاة السلطان محمد قبل وصوله الى بغداد وسمع مجاهد الدين بهروز بقربه من بغداد فأرسل اليه يمنعه من دخولها فسار الى السلطان محمود فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكية بغداد وهو بحلوان وعزل بهروز وكان الامراء عند السلطان يريدون البرسقي ويتعصبون له ويكرهون مجاهد الدين بهروز ويحسدونه لقربه وكان عند السلطان محمد وخافوا ان يزداد تقدما عند السلطان محمود وحكما فلما ولي البرسقي شحنكية بغداد هرب بهروز الى تكريت وكانت له ثم ان السلطان ولي شحنكية بغداد الامير منكوبرس وهو من أكابر الامراء وقد حكم في دولة السلطان محمود فلما أعطى الشحنكية سير اليها ربيبه الامير حسين بن أزبك أحد الامراء الاتراك وهو صاحب اسداباذ لينوب عنه ببغداد والعراق وفارق السلطان من باب همذان واتصل به جماعة الامراء البكجية وغيرهم فلما سمع البرسقي خاطب الخليفة المستظهر بالله ليأمره بالتوقف الى ان يكاتب السلطان ويفعل ما يرد به الامر عليه فأرسل اليه الخليفة فأجاب ان يرسم الخليفة بالعود عدت والا فلا بد من دخول بغداد فجمع البرسقي أصحابه وسار اليه فالتقوا واقتتلوا فقتل أخ لحسين وانهزم هو ومن معه وعادوا الى عسكر السلطان فكان ذلك في شهر ربيع الاول قبل وفاة المستظهر بالله بأيام

﴿ذكر وفاة المستظهر بالله﴾

في هذه السنة سادس عشر شهر ربيع الآخر توفي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله وكان مرضه التراقي وكان عمره احدى وأربعين سنة وستة أشهر وستة أيام وخلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما ووزر له عميد الدولة أبو منصور بن جهير وسديد الملك أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق الاصبهاني وزعيم الرؤساء أبو القاسم بن جهير ومجد الدين أبو المعالي هبة الله بن المطلب ونظام الدين أبو منصور الحسين بن محمد وناب عن الوزارة أمين الدولة أبو سعد بن الموصلايا وقاضي القضاة أبو الحسن علي بن الدامغاني ومضى في أيامه ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة وهم تاج الدولة تتش بن الب ارسلان والسلطان بركيارق ومحمد ابنا ملكشاه ومن غريب الاتفاق انه لما توفي السلطان الب ارسلان توفي بعده القائم بأمر الله ولما توفي السلطان ملكشاه توفي بعده المقتدي بأمر الله ولما توفي السلطان محمد توفي بعده المستظهر بالله

﴿ذكر بعض أخلاقه وسيرته﴾

كان رضي الله عنه لين الجانب كريم الاخلاق يحب اصطناع الناس ويفعل الخير ويسارع الى أعمال البر والمثوبات مشكور المساعي لا يرد مكرمة تطلب منه وكان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ الى سعاية ساع ولا ملتفت الى قوله ولم يعرف منه تلون وانحلال عزم بأقوال أصحاب الاغراض وكانت أيامه أيام سرور للرعية فكأنها من حسنها أعياد وكان اذا بلغه ذلك فرح به وسره واذا تعرض سلطان أو نائب له الى أذى أحد بالغ في انكار ذلك والزجر عنه وكان حسن الخط جيد التوقيعات لا يقاربه فيها أحد يدل على فضل غزير وعلم واسع ولما توفي صلى عليه ابنه المسترشد بالله وكبر أربعا ودفن في حجرة له كان يألفها ومن شعره قوله

أذاب حر الهوى في القلب ما جمدا * لما مددت الى رسم الوداع يدا

الوفاة تورون وسائر من حضره من القواد وأهل الدولة وأهل عصره من القضاة منهم القاضي أبو الحسن محمد بن الحسين ابن أبي الشوارب وجماعة من الهاشميين فصلى بهم في يومهم ذلك المغرب والعشاء وسار حتى نزل في يوم الاحد بالشماسية فلما كان في يوم الاثنين انحدر في الماء راكبا في الطيار الذي يسمى الغزالة وعليه قلنسوة طويلة محدودة ذكر أنها كانت لابيه المكتفي بالله وعلى رأسه تورون التركي ومحمد بن محمد بن يحيى شيرزاد وجماعة من غلمانه وسلم اليه المتقي ضريرا وأحمد بن يحيى القاضي مقبوضا عليه وحضر بعد ذلك سائر القضاة والهاشميين فبايعوا له واستوزر أبا الفرج محمد بن علي السامري مدة ثم غضب عليه وغلب على أمره محمد بن شيرزاد وجلس للناس وسأل عن القضاة وكشف عن أمر شهود الحضرة فأمر باسقاط بعضهم وأمر باستتابة بعضهم من الكذب وقبول بعضهم لاشياء كان قد علمها منهم قبل الخلافة فامتثل القضاة ما أمر به من ذلك واستقضى على الجانب الشرقي محمد بن عيسى المعروف بابن أبي موسى الحنفي وعلى الجانب الغربي محمد بن الحسن بن أبي الشوارب الاموي الحنفي فقالت العامة الى ههنا انتهى سلطانه وانتهى في الخلافة أمره ونهيه وقد كان بينه وبين الفضل بن المقتدر الذي يسمى بالمطيع قبل ذلك محاورة في دار ابن

وكيف

وكيف أسلك نهج الاصطبار وقد * أرى طرائق في مهوى الهوى قددا

قد أخلف الوعد بدر قد شغفت به * من بعد ما قد وفى دهري بما وعدا

ان كنت أنقض عهد الحب في خلدي * من بعد هذا فلا عاينته أبدا

﴿ذكر خلافة الامام المسترشد بالله﴾

لما توفي المستظهر بالله بويع ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس أحمد بن المستظهر بالله وكان ولي عهد قد خطب له ثلاثا وعشرين سنة فبايعه أخواه ابنا المستظهر بالله وهما أبو عبد الله محمد وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدي بأمر الله وغيرهم من الامراء والقضاة والائمة والاعيان وكان المتولي لاخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدامغاني وكان نائبا عن الوزارة فأقره المسترشد بالله عليها ولم يأخذ البيعة قاض غير هذا وأحمد بن أبي دواد فانه أخذها للواثق بالله والقاضي أبو علي اسمعيل بن اسحق أخذها للمعتضد بالله ثم ان المسترشد عزل قاضي القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر أبا شجاع محمد بن الربيب أبي منصور وزير السلطان محمود وكان والده خطب في معنى ولده حتى استوزر وقبض على صاحب المخزن أبي طاهر يوسف بن أحمد الخزي

﴿ذكر هرب الامير أبي الحسن أخي المسترشد وعوده﴾

لما اشتغل الناس ببيعة المسترشد بالله ركب أخوه الامير أبو الحسن بن المستظهر بالله سفينة ومعه ثلاثة نفر وانحدر الى المدائن وسار منها الى دبيس بن صدقة بالحلة فأكرمه دبيس وعلم منه وفاة المستظهر بالله وأقام له الاقامات الكثيرة فلما علم المسترشد بالله خبره أهمه ذلك وأقلقه وأرسل الى دبيس يطلب منه اعادته فأجاب بانني عبد الخليفة وواقف عند أمره ومع هذا فقد استذم بي ودخل منزلي فلا أكرهه على أمر أبدا وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي فقصد الامير أبا الحسن وتحدث معه في عوده وضمن له عن الخليفة كل ما يريده فاجاب الى العود وقال انني لم أفارق أخي لشر أريده وانما الخوف حملني على مفارقته فاذا أمنني قصدته وتكفل دبيس باصلاح الحال بنفسه والمسير معه الى بغداد فعاد النقيب وأعلم الخليفة الحال فأجاب الى ما طلب منه ثم حدث من أمر البرسقي ودبيس ومنكوبرس ما ذكرناه فتأخر الحال وأقام الامير أبو الحسن عند دبيس الى ثاني عشر صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثم سار عن الحلة الى واسط وكثر جمعه وقوي الارجاف بقوته وملك مدينة واسط وخيف جانبه فتقدم الخليفة المسترشد بالله بالخطبة لولي عهده ولده أبي جعفر المنصور وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة فخطب له ثاني ربيع الآخر ببغداد وكتب الى البلاد بالخطبة له وأرسل الى دبيس بن مزيد في معنى الامير أبي الحسن وانه الآن قد فارق جواره ومد يده الى بلاد الخليفة وما يتعلق به وأمره بقصده ومعاجلته قبل قوته فأرسل دبيس العساكر اليه ففارق واسط وقد تحير هو وأصحابه فضلوا الطريق ووصلت عساكر دبيس فصادفوهم عند الصبح فنهبوا أثقاله وهرب الاكراد من أصحابه والاتراك وعاد الباقون الى دبيس وبقي الامير أبو الحسن في عشرة من أصحابه وهو عطشان وبينه وبين الماء خمسة فراسخ وكان الزمان قيظا فأيقن بالتلف وتبعه بدويان فأراد الهرب منهما فلم يقدر فأخذاه وقد اشتد به العطش فسقياه وحملاه الى دبيس فسيره الى بغداد وحمله الى الخليفة بعد ان بذل له عشرين ألف دينار فحمل الى الدار العزيزة وكان بين خروجه عنها وعوده اليها أحد عشر شهرا ولما دخل على المسترشد بالله قبل قدمه وقبله المسترشد

والسمان وهو الذي يسمى بالشام الفتح فلما أجل المستكفي الى نهر عيسى ليبايع له هرب المطيع من داره وعلم أنه سيأتي عليه فلما استقرت للمستكفي طلب المطيع فلم يقف له على خبر فهدم داره وأتى على جميع ما قدر عليه من بستان وغيره (وذكر) أبو الحسن علي بن أحمد الكاتب البغدادي قال لما استخلف المستكفي ضم اليه تورون غلاما تركيا من غلمانه يقف بين يديه وكان للمستكفي غلام قد وقف على أخلاقه ونشأ في خدمته فكان المستكفي يميل الى غلامه وكان تورون يريد من المستكفي أن يقدم المضموم اليه على غلامه الاول فكان المستكفي يبعث بالغلام التركي في حوائجه اتباعا لمرضاة تورون فلا يبلغ له ما يبلغ غلامه (قال) وأقبل المستكفي يوما على محمد بن محمد بن يحيى بن شيرزاد الكاتب فقال له أتعرف خبر الحجاج بن يوسف مع أهل الشام قال لا يا أمير المؤمنين قال ذكروا أن الحجاج بن يوسف كان قد اجتبى قوما من أهل العراق وجد عندهم من الكفاية ما لم يجد عند مختصيه من الشاميين فشق ذلك على الشاميين وتكلموا فيه فبلغ اليه كلامهم فركب في جماعة من الفريقين وأوغل بهم في الصحراء فلاح لهم من بعد قطار ابل فدعا برجل من أهل الشام

طاهر وعداوة في اللعب بالحمام وتطييرها واللعب بالكباش والديوك

وبكاوأنزله دارا حسنة كان هو يسكنها قبل ان يلى الخلافة وحمل اليه الخلع والتحف الكثيرة وطيب نفسه وأمنه

﴿ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك الى العراق وما كان بينهما وبين البرسقى ودبيس﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى برز البرسقى ونزل باسفل الرقة فى عسكره ومن معه وأظهر أنه على قصد الحلة واجلاء دبيس بن صدقة عنها وجمع دبيس جموعا كثيرة من العرب والاكراد وفرق الاموال الكثيرة والسلاح وكان الملك مسعود ابن السلطان محمد بالموصل مع اتابكه أى ابه جيوش بك فأشار عليهما جماعة ممن عندهما بقصد العراق فانه لا مانع دونه فسارا فى جيوش كثيرة ومع الملك مسعود وزيره فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكى بن آقسنقر جد ملوكنا الآن بالموصل وكان من الشجاعة فى الغاية ومعهم أيضا صاحب سنجار وأبو الهيجاء صاحب اربل وكرباوى بن خراسان التركمانى صاحب البوازيج فلما علم البرسقى قربهم خافهم وكان البرسقى قديما قد جعله السلطان محمد أتابك ولده مسعود على ماذكرناه وانما كان خوفه من جيوش بك فلما قاربوا بغداد سار اليهم ليقاتلهم ويصدهم فلما علم مسعود وجيوش بك ذلك أرسلوا اليه الامير كرباوى فى الصلح وأعلمه أنهم انما جاؤا نجدة له على دبيس واصطلحوا وتعاهدوا واجتمعوا ووصل مسعود الى بغداد ونزل بدار المملكة ووصلهم الخبر بوصول الامير عماد الدين منكبرس المقدم ذكره فى جيش كثير فسار البرسقى عن بغداد نحوه ليحاربه ويمنعه عنها فلما علم به منكبرس قصد النعمانية وعبر دجلة هناك واجتمع هو ودبيس بن صدقة وكان دبيس قد خاف من الملك مسعود والبرسقى فبنى أمره على المحاجزة والملاطفة فاهدى الى مسعود هدية حسنة وللبرسقى وجيوش بك فلما وصله خبر وصول منكبرس راسله واستماله واستحلفه واتفقا على التعاضد والتناصر واجتمعا وكل واحد منهما قوى بصاحبه فلما اجتمعا سار الملك مسعود والبرسقى وجيوش بك ومن معهم الى المدائن للقاء دبيس ومنكبرس فلما وصلوا المدائن أتتهم الاخبار بكثرة الجمع معهما فعاد البرسقى والملك مسعود وعبرا نهر صرصر وحفظا المخاضات عليه ونهب الطائفتان السواد نهبا فاحشا نهر الملك ونهر صرصر ونهر عيسى وبعض دجيل واستباحوا النساء فأرسل المسترشد بالله الى الملك مسعود والبرسقى ينكر هذه الحال ويأمرهم بحقن الدماء وترك الفساد ويأمر بالموادعة والمصالحة وكان الرسل سديد الدولة بن الانبارى والامام الاسعد الميهنى مدرس النظامية فانكر البرسقى ان يكون جرى منهم شئ من ذلك وأجاب الى العود الى بغداد فوصل من أخبره ان منكبرس ودبيسا قد جهزا ثلاثة آلاف فارس مع منصور أخى دبيس والامير حسين بن ازبك ربيب منكبرس وسيراه وعبر عند درزيجان ليقطعوا المخاضة عند ديالى الى بغداد ليخلوها من عسكر يحميها ويمنع عنها فعاد البرسقى الى بغداد وعبر الجسر لئلا يخاف الناس ولم يعلموا الخبر وخلف ابنه عز الدين مسعودا على عسكره بصرصر واستصحب معه عماد الدين زنكى بن آقسنقر فوصل الى ديالى ومنع عسكر منكبرس من العبور فاقام يومين فاتاه كتاب ابنه عز الدين مسعود يخبره ان الصلح قد استقر بين الفريقين فانكسر نشاطه حيث جرى هذا الامر ولم يعلم به وعاد نحو بغداد وعبر الى الجانب الغربى وعبر منصور وحسين فسارا فى عسكرهما خلفه فوصلوا بغداد عند نصف الليل فنزلا عند جامع السلطان وسار البرسقى الى الملك مسعود فاخذ بركه

وماله

فقال له امض فاعرف ماهذه الاشباح واستقص أمرها فلم يلبث أن جاء وأخبره أنها ابل فقال أمحملة هى أم غير محملة قال لا أدرى ولكنى أعود وأتعرف ذلك وقد كان الحجاج أتبعه برجل آخر من أهل العراق وأمره بمثل ما كان أمر الشامى فلما رجع العراقى أقبل عليه الحجاج وأهل الشأم يسمعون فقال ماهى قال ابل قال وكم عددها قال ثلاثون قال وما تحمل قال زيتا قال ومن أين صدرت قال من موضع كذا قال ومن ربها قال فلان فالتفت الى أهل الشأم فقال ألام على عمرو ولومات أونأى لقل الذى يغنى غناءك ياعمرو فقال ابن شيرزاد فقد قال ياأمير المؤمنين بعض أهل الادب فى هذا المعنى

شر الرسولين من يحتاج مرسله
منه الى العود والامران سيان
كذاك ماقال أهل العلم فى مثل
طريق كل أخى جهل طريقان

قال المستكفى ما أحسن ماوصف البحترى الرسول بالذكاء بقوله

وكان الذكاء يبعث منه
فى سواد الامور شعلة نار

وعلم ابن شيرزاد استثقال المستكفى لغلام تورون فأخبر تورون بذلك فأعفاه منه وأزاله عن خدمته (وحدث) أبو اسحق ابراهيم بن اسحق المعروف بابن الوكيل البغدادى قال كان أبى قديما فى خدمة المكتفى

وماله وعاد الى بغداد نخيم عند القنطرة العتيقة وأصعد الملك مسعود وجيوش بك فنزلا عند البيمارستان وأصعد دبيس ومنكبرس نخيما تحت الرقة وأقام عز الدين مسعود بن البرسقى عند منكبرس منفردا عن أبيه وكان سبب هذا الصلح ان جيوش بك كان قد أرسل الى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود فوصل كتاب الرسول من العسكر يذكر أنه لقى من السلطان احسانا كثيرا وانه أقطعهم اذربيجان فلما بلغه رحيلكم الى بغداد اعتقد انكم قد عصيتم عليه فعاد عما كان استقر ويقول ان السلطان قد جهز عسكرا الى الموصل فوقع الكتاب بيد منكبرس فارسله الى جيوش بك وضمن له اصلاح السلطان له وللملك مسعود وكان منكبرس متزوجا بام الملك مسعود واسمها سرجهان وكان يؤثر مصلحته لذلك واستقر الصلح وخافا من البرسقى ان يمنع منه فاتفقا على ارسال العسكر الى درزيجان لينفذ فى مقابلته البرسقى ليخلو العسكر منه ويقع الاتفاق فكان الامر فى مسيره على ماتقدم وكان البرسقى محبوبا الى أهل بغداد لحسن سيرته فيهم فلما استقر الصلح ووصلوا الى بغداد تفرق عن البرسقى أصحابه وجموعه وبطل ما كان يحدث به نفسه من التغلب على العراق بغير أمر السلطان وسار عن العراق الى الملك مسعود فاقام معه واستقر منكبرس فى شحنكية بغداد وودعه دبيس بن صدقة وعاد الى الحلة بعد ان طالب بدار أبيه بدرب فيروز وكانت قد دخلت فى جامع القصر ببغداد فصولح عنها بمال وأقام منكبرس ببغداد يظلم ويعسف الرعية ويصادرهم فاختفى أرباب الاموال وانتقل جماعة الى حريم دار الخلافة خوفا منه وبطلت معايش الناس وأكثر أصحابه الفساد حتى ان بعض أهل بغداد زفت اليه امرأة تزوجها فعلم بعض أصحاب منكبرس فاتاه وكسر الباب وجرح الزوج عدة جراحات وابتنى بزوجته فكثر الدعاء ليلا ونهارا واستغاث الناس لهذه الحال واغلقوا الاسواق فأخذ الجندى الى دار الخلافة فاعتقل أياما ثم أطلق وسمع السلطان بما يفعله منكبرس ببغداد فارسل اليه يستدعيه ويحثه على اللحوق به وهو يغالط ويدافع وكلما طلبه السلطان لج فى جمع الاموال والمصادرات فلما علم أهل بغداد تغير السلطان عليه واستدعاءه اياه طمعوا فيه فسار حينئذ منكبرس عنهم خوفا ان يثوروا به وكفى الناس شره وظهر من كان مستترا

﴿ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين﴾

فى ذى الحجة من سنة احدى عشرة وخمسمائة توفى بغدوين ملك القدس وكان قد سار الى ديار مصر فى جمع الفرنج قاصدا لملكها والتغلب عليها وقوى طمعه فى الديار المصرية وبلغ مقابل تنيس وسبح فى النيل فانتقض جرح كان به فلما أحس بالموت عاد الى القدس فمات ووصى ببلاده للقمص صاحب الرها وهو الذى كان أسره جكرمش وأطلقه جاولى سقاوو واتفق ان هذا القمص كان قد سار الى القدس يزور بيعة قمامة فلما وصى اليه بالملك قبله واجتمع له القدس والرها وكان أتابك طغتكين قد سار عن دمشق لقتال الفرنج فنزل بين دير أيوب وكفر بصل باليرموك فخفيت عنه وفاة بغدوين حتى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوما وبينهم نحو يومين فأتته رسل ملك الفرنج يطلب المهادنة فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التى بينهم من جبل عوف والحنانة والصلت والغور فلم يجب الى ذلك وأظهر القوة فسار طغتكين الى طبرية فنهبها وماحولها وسار منها نحو عسقلان وكانت للمصريين وبها عساكرهم كانوا قد سيروها لما عاد ملك القدس المتوفى عن مصر وكانوا سبعة آلاف فارس فاجتمع بهم طغتكين وأعلمه المقدم عليهم ان صاحبهم تقدم اليه بالوقوف عند رأى طغتكين والتصرف على مايحكم به فاقاموا بعسقلان نحو شهرين

فلما كان من أمره ما اشتهر صرت فى خدمة أخيه عبد الله بن المكتفى فلما أفضت الخلافة اليه كنت أخص الناس به فرأيته فى بعض الايام وعنده جماعة من ندمائه ممن كان يعاشرهم قبل الخلافة من جيرانه بناحية دار ابن طاهر وقد تذاكروا الخمر وأفعالها وما قال الناس فيها من المنثور والمنظوم وما وصفت به فقال بعض من حضر ياأمير المؤمنين مارأيت أحدا وصف الخمرة بأحسن من وصف بعض من تأخر فانه ذكر فى بعض كتبه فى الشراب ووصفه انه ليس فى العالم شئ واحد أخذ من أمهاته الاربع فضيلتها وابتزها أكرم خواصها الا الخمرة فلها لون النار وهو أحسن الالوان ولدونة الهواء وهى ألين المجسات وعذوبة الماء وهى أطيب المذاقات وبرد الارض وهى ألذ المشروبات قال وهذه الاربع وان كن فى جميع المآكل والمشارب متركبة فليس الغالب عليه ماوصفنا من الغالب على الخمر قال واصفها فقد قلت فى اجتماع الصفات التى ذكرناها

لست أرى كالراح فى جمعها
لاربع هن قوام الورى
عذوبة الماء ولين الهوا
وسخنة النار وبرد الثرى

ولما كانت الراح بالموضع الذى وصفناها به من الفضل على سائر ماينال ويوصف من صنوف اللذات والممدح بها مما ينفع من فنون الشهوات قال فأما شعاع الخمر فانه يشبه

ولم يؤثروا في الفرنج أثرا فعاد طغتكين الى دمشق فأتاه الصريخ بان مائة وثلاثين فارسا من الفرنج أخذوا حصنا من اعماله يعرف بالحبس ويعرف بحصن جلدك سلمه اليهم المستحفظ به وقصدوا اذرعات فنهبوها فارسل اليهم تاج الملوك بوري بن طغتكين فانحاز واعنه الى جبل هناك فنازلهم فأتاه أبوه ونهاه عنهم فلم يفعل وطمع فيهم فلما أيس الفرنج قاتلوا قتال مستقتل فنزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة هزموهم بها وأسروا وقتلوا خلقا كثيرا وعاد الفل الى دمشق على أسوا حال فسار طغتكين الى حلب وبها ايلغازي فاستنجده وطلب منه التعاضد على الفرنج فوعده المسير معه فبينما هو بحلب أتاه الخبر بان الفرنج قصدوا حوران من أعمال دمشق فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا فاتفق رأي طغتكين وايلغازي على عود طغتكين الى دمشق وحماية بلاده وعود ايلغازي الى ماردين وجمع العساكر والاجتماع على حرب الفرنج فصالح ايلغازي من يليه من الفرنج على ما تقدم ذكره وعبر الى ماردين لجمع العساكر وكان ما نذكره سنة ثلاث عشرة ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة انقطع الغيث وعدمت الغلات في كثير من البلاد وكان أشده بالعراق فغلت الاسعار وأجلى أهل السواد وتقوت الناس بالنخالة وعظم الامر على أهل بغداد بما كان يفعله منكبرس بهم وفيها أسقط المسترشد بالله من الاقطاع المختص به كل جور وأمر ان لا يؤخذ الا ما جرت به العادة القديمة وأطلق ضمان غزل الذهب وكان صناع السقلاطون والممزج وغيرهم ممن يعمل منه يلقون شدة من العمال عليها وأذى عظيما وفيها تأخر مسير الحاج تأخرا أرجف بسببه بانقطاع الحج من العراق فرتب الخليفة الامير نظر خادم أمير الجيوش يمن وولاه من أمر الحج ما كان يتولاه أمير الجيوش واعطاه من المال ما يحتاج اليه في طريقه وسيره فادركوا الحج وظهرت كفاية نظر وفيها وصل مركبان كبيران فيهما أقوة ونجدة للفرنج بالشام فغرقا وكان الناس قد خافوا وأمن فيهما وفيها وصل رسول ايلغازي صاحب حلب وماردين الى بغداد يستنفر على الفرنج ويذكر ما فعلوا بالمسلمين في الديار الجزرية وانهم ملكوا قلعة عند الرها وقتلوا أميرها ابن عطير فسيرت الكتب بذلك الى السلطان محمود وفيها نقل المستظهر الى الرصافة وجميع من كان مدفونا بدار الخلافة وفيهم جدة المستظهر ام المقتدي وكان وفاتها بعد المستظهر ورأت البطن الرابع من أولادها وفيها كثر أمر العيارين بالجانب الغربي من بغداد فعبر اليهم نائب الشحنة في خمسين غلاما أترا كافقاتلهم فانهزم منهم ثم عبر اليهم من الغد في مائتي غلام فلم يظفر بهم ونهب العيارون يومئذ قطفتا وفي هذه السنة في شعبان توفي أبو الفضل بكر بن محمد بن علي بن الفضل الانصاري من ولد جابر بن عبد الله وهو من بلد بخارا وكان من أعيان الفقهاء الحنفية حافظا للمذهب وتوفي أبو طالب الحسين بن محمد بن علي بن الحسن الزينبي نقيب النقباء ببغداد في صفر واستقال من النقابة فوليها أخوه طراد وكان من أكابر الحنفية وروى الحديث الكثير وفيها في ذي الحجة توفي أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده الاصبهاني المحدث المشهور من بيت الحديث وله فيه تصانيف حسنة وفيها توفي أبو الفضل أحمد بن الخازن وكان أديبا ظريفا وله شعر حسن فمنه قوله وقد قصد زيارة صديق له فلم يره فادخله غلمانه الى بستان في الدار وحمام فقال في ذلك

بكل شيء نوري من شمس وقمر ونجم ونار وغير ذلك من الاشياء النورية فأما لونها فيحتمل أن يشبه بكل أحمر في العالم وأصفر من ياقوت وعقيق وذهب وغير ذلك من الجواهر النفيسة والحلي الفاخرة قال وقد شبهها الاولون بدم الذبيح ودم الجوف وشبهها غيرهم بالزيت والزازق وغيرهما وتشبيهها بالجوهر الاكرم أفضل لها وأحسن في مدحها قال فأما صفاؤها فيحتمل أن يشبه بكل ما يقع عليه اسم الصفاء وقد قال بعض الشعراء المتقدمين في صفائها

تريك القذى من دونها وهي دونه

وهذا أحسن ما قاله الشعراء في وصف الخمر قال وقد أتى أبو نواس في وصفها ووصف طعمها وريحها وحسنها ولونها وشعاعها وفعلها في النفس وصفة آلاتها وظروفها وأدنانها وحال المنادمات عليها والاصطباح والاغتباق وغير ذلك من أحوالها بما يكاد يسلو به باب وصفها لولا اتضاع الاوصاف لها واحتمالها اياها وأنها لا تكاد تحصر ولا يبلغ الى غاياتها قال وقد وصف أبو نواس نورها فقال

فكأنه في كفه * عش وراحته قمر

(وقال)

فعلت في البيت اذ مزجت * مثل فعل الصبح في الظلم * فاهتدى ساري الظلام بها * كاهتداء السفر بالعلم

وافيت

وافيت منزله فلم أر صاحبا * الا تلقاني بوجه ضاحك
والبشر في وجه الغلام نتيجة * لمقدمات ضياء وجه المالك
ودخلت جنته وزرت جحيمه * فشكرت رضوانا ورأفة مالك

﴿ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر عصيان الملك طغرل على أخيه السلطان محمود﴾

كان الملك طغرل بن محمد لما توفي والده بقلعة سرجهان وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة في المحرم واقطعه والده سنة أربع ساوة وآوة وزنجان وجعل أتابكه الامير شيركير الذي تقدم ذكره في حصار قلاع الاسماعيلية فازداد ملك طغرل بما فتحه شيركير من قلاعهم فارسل اليه السلطان محمود الامير كنتغدي ليكون اتابكا له ومدبرا لامره ويحمله اليه فلما وصل اليه حسن له مخالفة أخيه وترك المجيء اليه واتفقا على ذلك وسمع السلطان محمود الخبر فارسل شرف الدين أنوشروان ابن خالد ومعه خلع وتحف وثلاثون ألف دينار ووعد أخاه باقطاع كثير زيادة على ماله اذا قصده واجتمع به فلم تقع الاجابة الى الاجتماع وأجاب كنتغدي بانا في طاعة السلطان وأي جهة أراد قصدناها ومعنا من العساكر ما نقاوم بها من يرسم بقصده فبينما الخوض معهم في ذلك ركب السلطان محمود من باب همذان في عشرة آلاف فارس جريدة في جمادى الاولى وكتم مقصده وعزم على ان يكبس أخاه والامير كنتغدي فرأى احد خواصه تركيا من أصحاب الملك طغرل فاعلم السلطان به فقبض عليه فعلم رفيق كان معه الحال فسار عشرين فرسخا في ليلة ووصل الى الامير كنتغدي وهو سكران فايقظه بعد جهد واعلمه الحال فقصد الملك طغرل فعرفه ذلك واخذه مختفيا وقصد قلعة سميران فضلا عن الطريق الى قلعة سرجهان وكانا قد فارقاها وجمعا العساكر وكان ضلالهما هداية لهما الى السلامة فان السلطان محمودا جعل طريقه على سميران وقال انها حصنهما الذي فيه الذخائر والاموال واذا علما بوصوله الهاسار اليها فر بما صادفهما في الطريق فسلما منه بما ظناه عطبا لهما ووصل السلطان الى العسكر فكبسه ونهبه وأخذ من خزانة أخيه ثلثمائة ألف دينار وذلك المال الذي أنفذه له وأقام السلطان محمود بزنجان وتوجه منها الى الري ونزل طغرل من سرجهان ولحق هو وكنتغدي بكنجة وقصده أصحابه فقويت شوكته وتمكنت الوحشة بينه وبين أخيه محمود

﴿ذكر الحرب بين سنجر والسلطان محمود﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى كانت حرب شديدة بين سنجر وابن أخيه السلطان محمود ونحن نذكر سياقة ذلك فقد ذكرنا سنة ثمان وخمسمائة مسير السلطان سنجر الى غزنة وفتحها وما كان منه فيها ثم عاد عنها الى خراسان فلما بلغه وفاة أخيه السلطان محمد وجلوس ولده السلطان محمود في السلطنة وهو زوج ابنة سنجر لحقه حزن عظيم لموت أخيه وأظهر من الجزع والحزن ما لم يسمع بمثله وجلس للعزاء على الرماد وأغلق البلد سبعة أيام وتقدم الى الخطباء بذكر السلطان محمد بمحاسن أعماله من قتال الباطنية واطلاق المكوس وغير ذلك وكان سنجر يلقب بناصر الدين فلما توفي أخوه محمد تلقب بمعز الدين وهو لقب أبيه ملكشاه وعزم على قصد بلاد الجبل والعراق وما بيد محمود ابن أخيه فندم على قتل وزيره أبي جعفر محمد بن فخر الملك ابي المظفر بن نظام الملك وكان سبب قتله انه أوحش الامراء واستخف بهم فابغضوه وكرهوه وشكوا منه الى السلطان وهو بغزنة فاعلمهم انه يؤثر قتله وليس يمكنه فعل ذلك بغزنة وكان سنجر قد تغير على وزيره لاسباب منها انه

(وقال أيضا)

اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل في داج من الليل كوكبا * ترى حيثما كانت من البيت مشرقا * وما لم تكن فيه من البيت مغربا

(وقال أيضا)

وكأن شاربها لفرط شعاعها * في الكأس يكرع في ضياء مقباس

(وقال أيضا)

فقلت له ترفق بي فاني * رأيت الصبح من خلل الديار * فقال تعجبا مني أصبح * ولا صبح سوى ضوء العقار * وقام الى الدنان فسد فاها * فعاد الليل مصبوغ الازار

(وقال أيضا)

وحمراء قبل المزج صفراء دونه * كأن شعاع الشمس يلقاك دونها

(وقال)

كأن نارا بها محرشة * تهابها تارة وتخشاها

(وقال أيضا)

حمراء لولا انكسار الماء لاختطفت * نور النواظر من بين الحماليق

(وقال أيضا)

ينقض منها شعاع كلما مزجت * كالشهب تنقض في اثر العفاريت

(وقال)

عتقت في الدنان حتى استفادت * نور شمس الضحى وبرد الظلام

(وقال)

يجود دها حتى عيانا يرى لها * الى الشرف الاعلى شعاعا مطنبا

(وقال) قال ابغني المصباح قلت له اتئد * حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا

آشار عليه بقصد غزنة فلما وصل الى بست أرسل ارسلانشاه صاحبها الى الوزير وضمن له خمسمائة
ألف دينار ليثنى سنجر عن قصده فاشار عليه بمصالحته والعود عنه وفعل مثل ذلك بماوراء النهر
ومنها انه نقل عنه انه أخذ من غزنة أموالا جليلة عظيمة المقدار ومنها ما ذكر من ايحاشه الامراء
وغير هذه الاسباب فلما عاد الى بلخ قبض عليه وقتله وأخذ ماله وكان له من الجواهر والاموال
مالا حد عليه والذى وجد له من العين ألفا ألف دينار فلما قتله استوزر بعده شهاب الاسلام عبد
الرزاق ابن أخى نظام الملك ويعرف بابن الفقيه الا أنه لم تكن له منزلة ابن فخر الملك عند الناس فى
علو المنزلة فلما اتصل به وفاة أخيه ندم على قتله لانه كان يبلغ به من الاغراض والملك مالا يبلغه
بكثرة العساكر لميل الناس اليه ومحله عندهم ثم ان السلطان محمودا أرسل الى عمه سنجر شرف
الدين أنوشروان بن خالد وفخر الدين طغايرك بن اليزن ومعهما الهدايا والتحف وبذل له النزول
عن مازندران وحمل مائتى ألف دينار كل سنة فوصلا اليه وأبلغاه الرسالة فتجهز ليسير الى الرى
فاشار عليه شرف الدين أنوشروان بترك القتال والحرب فكان جوابه فى ذلك ان ولد أخى صبى
وقد تحكم عليه وزيره والحاجب على فلما سمع السلطان محمود بمسير عمه نحوه ووصول الامير أنز فى
مقدمته الى جرجان تقدم الى الامير على بن عمر وهو أمير حاجب السلطان محمد وبعده صار أمير
حاجب السلطان محمود بالمسير وضمن له جمعا كثيرا من العساكر والامراء فاجتمعوا فى عشرة
آلاف فارس فساروا الى ان قاربوا مقدمة سنجر التى عليها الامير أنز فراسله الامير على بن عمر
يعرفه وصية السلطان محمد بتعظيم سنجر والرجوع الى أمره ونهيه والقبول منه وانه ظن ان سنجر
يحفظ السلطنة على ولده السلطان محمود وأخذ عليها بذلك العهود فليس لنا أن نخالفه وحيث
جئتم الى بلادنا لانحتمل ذلك ولا نغضى عليه وقد علمت ان معك خمسة آلاف فارس فانا أرسل
اليك أقل منهم لتعلم انكم لا تقاومونا ولا تقوون بنا فلما سمع الامير أنز ذلك عاد عن جرجان ولحقه
بعض عسكر السلطان محمود فاخذوا قطعة من سواده وأسروا عدة من أصحابه وكان السلطان
محمود قد وصل الى الرى وهو بها وعاد الامير على بن عمر اليه فشكره على فعله واثنى عليه وعلى
عسكره الذين معه وأشير على السلطان محمود بملازمة الرى والمقام بها وقيل ان عساكر خراسان اذا
علموا اقامتك فيها لا يفارقون حدودهم ولا يتعدون ولا يتهم فلم يقبل ذلك وضجر من المقام وسار الى
جرجان ووصل السلطان محمود الامير منكبرس من العراق فى عشرة آلاف فارس والامير
منصور بن صدقة أخو دبيس والامراء البكجية وغيرهم وسار محمود الى همذان وتوفى بها وزيره
الربيب واستوزر أباطالب السميرمى وبلغه وصول عمه سنجر الى الرى فسار نحوه قاصدا قتاله
فالتقيا بالقرب من ساوة ثانى جمادى الاولى من السنة وكان عسكر السلطان محمود قد عرفوا
المفازة التى بين يدى عسكر سنجر وهى ثمانية أيام فسبقوهم الى الماء وملكوه عليهم وكان
العسكر الخراسانى فى عشرين ألفا ومعهم ثمانية عشر فيلا اسم كبيرها باذهو ومن الامراء الكبار
اولاد الامير أبى الفضل صاحب سجستان وخوارزمشاه محمد والامير أنز والامير قماج واتصل به
علاء الدولة كرشاسف بن فرامرز بن كاكويه صاحب يزد وصهر السلطان محمد وسنجر على
أختهما وكان أخص الناس بالسلطان محمد فلما ولى السلطان محمود تأخر عنه فاقطع بلده لقراجة
الساقى الذى صار صاحب بلاد فارس فسار حينئذ علاء الدولة الى سنجر وهو من ملوك الديلم
وعرف سنجر الاحوال والطرق الى قصد البلاد وما فعله الامراء من أخذ الاموال وما هم عليه
من اختلاف الاهواء وحسن قصد البلاد وكان عسكر السلطان محمود ثلاثين ألفا ومن الامراء

الكبار

الكبار الامير على بن عمر أمير حاجب والامير منكبرس وأتابكه غزغلى وبنو برسق وسنقر
البخارى وقراجة الساقى ومعه تسعمائة جمل من السلاح واستهان عسكر محمود بعسكر عمه بكثرتهم
وشجاعتهم وكثرة خيلهم فلما التقوا ضعفت نفوس الخراسانية لما رأوا هذا العسكر من القوة
والكثرة فانهزمت ميمنة سنجر وميسرته واختلط أصحابه واضطرب أمرهم وسار وا منهزمين
لا يلوون على شئ ونهب من أثقالهم شئ كثير وقتل أهل السواد كثيرا منهم ووقف سنجر بين
الفيلة فى جمع من أصحابه وبازائه السلطان محمود ومعه اتابكه غزغلى فالجأت سنجر الضرورة عند
تعاظم الخطب عليه أن يقدم الفيلة للحرب وكان من بقى معه قد أشاروا عليه بالهزيمة فقال اما
النصر او القتل وأما الهزيمة فلا فلما تقدمت الفيلة ورآها خيل محمود تراجعت باصحابها على
اعقابها فاشفق سنجر على السلطان محمود فى تلك الحال وقال لاصحابه لا تفزعوا الصبى بحملات
الفيلة فكفوها عنهم وانهزم السلطان محمود ومن معه فى القلب وأسر اتابكه غزغلى فكان يكاتب
السلطان و يعده أنه يحمل اليه ابن أخيه فعاتبه على ذلك فاعتذر بالعجز فقتله وكان ظالما قد بالغ
فى ظلم أهل همذان فعجل الله عقوبته ولما تم النصر والظفر للسلطان سنجر أرسل من أعاد
المنهزمين من أصحابه اليه ووصل الخبر الى بغداد فى عشرة أيام فارسل الامير دبيس بن صدقة الى
المسترشد بالله فى الخطبة للسلطان سنجر فخطب له فى السادس والعشرين من جمادى الاولى
وقطعت خطبة السلطان محمود وأما السلطان محمود فانه سار من الكسرة الى اصبهان ومعه وزيره
أبو طالب السميرمى والامير على بن عمر وقراجة وأما سنجر فانه سار الى همذان فرأى قلة عسكره
واجتماع العساكر على ابن أخيه فراسله فى الصلح وكانت والدته تشير عليه بذلك وتقول قد
استوليت على غزنة وأعمالها وماوراء النهر وملكت مالا حد عليه وقررت الجميع على أصحابه
فاجعل ولد أخيك كاحدهم وكانت والدة سنجر هى جدة السلطان محمود فاجاب الى قولها ثم كثرت
العساكر عند سنجر منهم البرسقى وكان عند الملك مسعود باذربيجان من حين خروجه عن بغداد الى
هذه الغاية فقوى بهم فعاد الرسول وابلغه عن الامراء الذين مع السلطان محمود انهم لا يصالحونه
حتى يعود الى خراسان فلم يجب الى ذلك وسار من همذان الى كرج واعاد مراسلة السلطان محمود فى
الصلح ووعده أن يجعله ولى عهده فاجاب الى ذلك واستقر الامر بينهما وتحالفا عليه وسار
السلطان محمود الى عمه سنجر فى شعبان فنزل على جدته والدة سنجر وأكرمه عمه وبالغ فى ذلك وحمل
له السلطان محمود هدية عظيمة فقبلها ظاهرا وردها باطنا ولم تقبل منه سوى خمسة أفراس عربية
وكتب السلطان سنجر الى سائر الاعمال التى بيده بخراسان وغزنة وماوراء النهر وغيرها من
الولايات بان يخطب للسلطان محمود بعده وكتب الى بغداد مثل ذلك وأعاد عليه جميع ما أخذ من
البلاد سوى الرى وقصد بأخذها ان تكون له فى هذه الديار لئلا يحدث السلطان محمود نفسه
بالخروج

﴿ذكر غزاة ايلغازى بلاد الفرنج﴾

فى هذه السنة سار الفرنج من بلادهم الى نواحى حلب فملكوا بزاعة وغيرها واخربوا بلد حلب
ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا واحدا وخافهم أهلها خوفا شديدا ولو مكنوا
من القتال لم يبق بها أحد لكنهم منعوا من ذلك وصانعوا الفرنج أهل حلب على ان يقاسموهم
على أملاكهم التى بباب حلب فارسل أهل البلد الى بغداد يستغيثون ويطلبون النجدة فلم يغاثوا
وكان الامير ايلغازى صاحب حلب ببلد ماردين يجمع العساكر والمتطوعة للغزاة فاجتمع عليه
نحو عشرين ألفا وكان معه أسامة بن المبارك بن شبل الكلابى والامير طغان أرسلان بن المكر

فسكبت منها فى الزجاجة شربة كانت لنا حتى الصباح صباحا قال وله فى هذا الفن أشياء كثيرة قد وصفها فى مشابهة
النار ومخالفة الانوار
والرفع للظلام وتصيير الليل
نهارا والظلم أنوارا مما هو
اغراق الواصف واشتطاط
المادح قال وليس الى صفة
لونها ونورها ما هو أحسن
مما وصفها اذ ليس بعد
الانوار شئ فى الحسن قال
فداخل المستكفى سرور
وفرح وابتهاج بما وصف
فقال ويحك فرج عنى من
هذا الوصف قال نعم ياسيدى
(قال) عبد الله بن محمد الناشى
وقد كان المستكفى ترك
النبيذ حتى أفضت الخلافة
اليه فدعا بها من وقته ودعا
الى شربها وقد كان
المستكفى حين أفضت
الخلافة اليه طلب الفضل
ابن المقتدر على حسب
ماقدمنا لما كان بينهما
من العداوة فيما ذكرنا وغير
ذلك مما عنه أعرضنا فهرب
الفضل وقيل انه هرب الى
أحمد بن بويه الديلمى منتصرا
وأحسن اليه أحمد ولم
يظهره فلما مات توزون
ودخل الديلمى الى بغداد
وخرج الاتراك عنها صار
الى ناصر الدولة أبى محمد
الحسن بن عبد الله بن
حمدان وانحدر معه هو
وابن عمه أبو عبد الله بن
العلاء فكان بينه وبين ابن
بويه الديلمى من الحرب
ماقد اشتهر وانحاز الديلمى الى الجانب الغربى ومعه المستكفى والمطيع مختف ببغداد والمستكفى يطلبه
أشد الطلب وأنزل المستكفى فى بيعة النصارى المعروفة بدرنا من الجانب الغربى فذكر أبو اسحق ابراهيم بن اسحق
المعروف بابن الوكيل
ومنزلته من خدمة
المستكفى ماقدمنا قال
كان المستكفى فى سائر
أوقاته فازعا وجلا من
المطيع أن يلى الخلافة
ويسلم اليه فيحكم فيه بما
يريده فكان صدره يضيق
لذلك فيشكو ذلك فى بعض
الاوقات الى من ذكرنا
ممن كان يألفه من ندمائه
فيشجعونه ويهونون عليه
أمر المطيع الى أن قال لهم
فى بعض الايام قد اشتهيت
أن نجتمع فى مكان كذا
وكذا فنتذاكر أنواع
الاطعمة وما قال الناس فى
ذلك منظوما فاتفق معهم
على ذلك فلما كان فى
اليوم الذى حضر وأقبل
المستكفى فقال هاتوا ما
الذى أعده كل واحد منكم
فقال واحد منهم قد حضر فى
ياأمير المؤمنين أبيات لابن
المعتز يصف سلة سكارج
كوامخ فقال
امتع بسلة قضبان أتتك وقد
حفت جوانبها الجامات
أسطار
فيها سكارج أنواع مصففة
حمر وصفر وما فيهن انكار
فيهن كامخ طرخون مبوهرة
وكامخ أحمر فيها وتيار
أعطته شمس الضحى لونا
يخالفه
كأنه من ضياء الشمس عطار
فيهن كامخ مرزنجوش قابله * من القرنفل نوع منه مختار وكامخ الدارصينى فليس له * فى الطعم شبه ولا فى لونه عار

كانه المسك ريحا فى تنسيمه ١٩٦ حريف فى طعمه والربع معطار وكامخ الزعتر البرى انه * لوناحكاه لدينا المسك والقار

صاحب بدليس وارزن وسار بهم الى الشام عازما على قتال الفرنج فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل سار واقتربوا قريبا من الاثارب بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس لها طريق الا من ثلاث جهات وفى هذا الموضع قتل شرف الدوله مسلم بن قريش وظن الفرنج ان أحدا لا يسلك اليهم لضيق الطريق فأخلدوا الى المطاولة وكانت عادة لهم اذا رأوا قوة من المسلمين وراسلوا ايلغازى يقولون له لا تتعب نفسك بالمسير الينا فنحن واصلون اليك فأعلم أصحابه بما قالوه واستشارهم فيما يفعل فأشاروا بالركوب من وقته وقصدهم ففعل ذلك وسار اليهم ودخل الناس من الطرق الثلاثة ولم تعتقد الفرنج ان أحدا يقدم عليهم لصعوبة المسلك اليهم فلم يشعروا الا وأوائل المسلمين قد غشيهم فحمل الفرنج حملة منكرة فولوا منهزمين فلقوا باقى العسكر متتابعة فعادوا معهم وجرى بينهم حرب شديدة وأحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم وأخذهم السيف من سائر نواحيهم فلم يفلت منهم غير نفر يسير وقتل الجميع وأسروا وكان فى جملة الاسرى نيف وسبعون فارسا من مقدميهم وحملوا الى حلب فبذلوا فى نفوسهم ثلاثمائة ألف دينار فلم يقبل منهم وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة واما سيرجال صاحب انطاكية فانه قتل وحمل رأسه وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الاول فمما مدح به ايلغازى فى هذه الوقعة قول العظيمى

قل ماتشاء فقولك المقبول * وعليك بعد الخالق التعويل
واستبشر القرآن حين نصرته * وبكى لفقد رجاله الانجيل

ثم تجمع من سلم من المعركة مع غيرهم فلقيهم ايلغازى أيضا فهزمهم وفتح منهم حصن الاثارب وزردنا وعاد الى حلب وقرر أمرها وأصلح حالها ثم عبر الفرات الى ماردين

﴿ذكر وقعة أخرى مع الفرنج﴾

فى هذه السنة سار جوسلين صاحب تل باشر فى جمع من الفرنج نحو مائتى فارس من طبرية فكبس طائفة من طيئ يعرفون ببنى خالد فأخذهم وأخذ غنائمهم وسألهم عن بقية قومهم من بنى ربيعة فأخبروه انهم من وراء الحزن بوادى السلالة بين دمشق وطبرية فقدم جوسلين مائة وخمسين فارسا من أصحابه وسار هو فى خمسين فارسا على طريق آخر وواعدهم الصبح ليكبسوا بنى ربيعة فوصلهم الخبر بذلك فأرادوا الرحيل فمنعهم أميرهم من بنى ربيعة وكانوا فى مائة وخمسين فارسا فوصلهم المائة وخمسون من الفرنج معتقدين ان جوسلين قد سبقهم أو سيدركهم فأضل الطريق وتساوت العدتان فاقتتلوا وطعنت العرب خيولهم فجعلوا أكثرهم رجالة وظهر من أميرهم شجاعة وحسن تدبير وجودة رأى فقتل من الفرنج سبعون وأسر اثناعشر من مقدميهم بذل كل واحد فى فداء نفسه مالا جزيلا وعدة من الاسرى واما جوسلين فانه ضل فى الطريق وبلغه خبر الوقعة فسار الى طرابلس فجمع بها جمعا وسرى الى عسقلان فأغار على بلدها فهزمه المسلمون هناك فعاد مفلولا

﴿ذكر قتل منكوبرس﴾

فى هذه السنة قتل الامير منكوبرس الذى كان شحنة بغداد وقد تقدم حاله وكان سبب قتله انه لما انهزم مع السلطان محمود وعاد الى بغداد نهب عدة مواضع من طريق خراسان وأراد دخول بغداد فسير اليه دبيس بن صدقة من منعه فعاد وقد استقر الصلح بين السلاطين سنجر ومحمود فقصد السلطان سنجر فدخل اليه ومعه سيف وكفن فقال له أنا لا أؤاخذ أحدا وسلمه الى السلطان

وكامخ الثوم لما أن بصرت به
أبصرت عطر اله بالاكل أمار
كأن زيتونها فيها ظلام دجى
فى الجيب منه من المحضور
أسفار
اذا تأملت مافيهن من بصل
كأنهن لحسن حشوه نار
وسلجم مستدير القد خالطه
طعم من الخل قد حازته
أسطار
كأن أبيضه فيه وأحمره
دراهم صففت فيهن دينار
فى كل ناحية منها يلوح لنا
نجم الينا بصفو الفجر نظار
كأنها زهرة البستان قابلها
بدر وشمس واظلام وأنوار
قال المستكفى تحضر هذه
الجونة بعينها على هذا
الوصف وهاتوا فليس
نأكل اليوم الا ما تصفون
فقال آخر من الجلساء
يا أمير المؤمنين لمحمود بن
الحسين الكاتب المعروف
بكشاجم فى صفة سلة نوادر
متى تنشط للاكل
فقد أصلحت الجونه
وقد زينها الطاهى
لنا أحسن ما زينه
فجاءت وهى من أطيـ
ـب ماتؤكل مشحونه
فمن جدى شويناه
وعصبنا مصارينه
ونضدنا عليه نه
نع الفلفل وطرخونه
وفرخ وافر الزور
أجدنالك تسفينه وطيهوج وفروج * أجدنالك تطجينه وسنبوسجة مقلو * ة فى اثر طرينه وجراما من البيض مجمود

الى جانب زيتونه * وأوساط سطيرات بزيت الماء مدهونه ١٩٧ يولدن لذى التخمـة جوعا ويشهينه ربوع بكسور الند

محمود وقال هذا مملوكك فاصنع به ماتريد فأخذه وكان فى نفسه منه غيظ شديد لاسباب منها انه لما توفى السلطان محمد أخذ سريته والدة الملك مسعود قهرا قبل انقضاء عدتها ومنها جراءته عليه واستبداده بالامور دونه ومسيره الى شحنكية بغداد والسلطان كاره لذلك لكنه لم يقدر على منعه ومنها مافعله بالعراق من الظلم الى غير ذلك فقتله صبرا وأراح العباد والبلاد من شره

﴿ذكر قتل الامير على بن عمر﴾

فى هذه السنة أيضا قتل الامير على بن عمر حاجب السلطان محمد وكان قد صار أكبر أمير مع السلطان محمود وانقادت العساكر له فحسده الامراء وأفسدوا حاله مع السلطان محمود وحسنوا له قتله فعلم فهرب الى قلعة برجين وهى بين بروجرد وكرج وكان بها أهله وماله وسار منها فى مائتى فارس الى خوزستان وكانت بيد أقبورى بن برسق وابنى أخويه أوغلى بن يلبكى وهندو بن زنكى فأرسل اليهم وأخذ عهودهم بأمانه وحمايته فلما سار اليهم أرسلوا عسكرا منعوه من قصدهم فلقوه على ستة فراسخ من تستر فاقتتلوا فانهزم هو وأصحابه فوقف به فرسه فانتقل الى غيره فتشبث ذيله بسرجه الاول فأزاله فعاود التعلق فابطأ فأدركوه وأسروه وكاتبوا السلطان محمودا فى أمره فأمرهم بقتله فقتل وحمل رأسه اليه

﴿ذكر الفتنة بين المرابطين وأهل قرطبة﴾

فى هذه السنة وقيل سنة أربع عشرة كانت فتنة بين عسكر أمير المسلمين على بن يوسف وبين أهل قرطبة وسببها ان أمير المسلمين استعمل عليها أبا بكر يحيى بن رواد فلما كان يوم الاضحى خرج الناس متفرجين فمد عبد من عبيد أبى بكر يده الى امرأة فأمسكها فاستغاثت بالمسلمين فأغاثوها فوقع بين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة ودامت جميع النهار والحرب بينهم قائمة على ساق فأدركهم الليل فتفرقوا فوصل الخبر الى الامير أبى بكر فاجتمع اليه الفقهاء والاعيان فقالوا المصلحة ان تقتل واحدا من العبيد الذين أثاروا الفتنة فأنكر ذلك وغضب منه وأصبح من الغد وأظهر السلاح والعدد يريد قتال أهل البلد فركب الفقهاء والاعيان والشبان من أهل البلد وقاتلوه فهزموه وتحصن بالقصر فحصروه وتسلقوا اليه فهرب منهم بعد مشقة وتعب فنهبوا القصر وأحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا أموالهم وأخرجوهم من البلد على أقبح صورة واتصل الخبر بأمير المسلمين فكره ذلك واستعظمه وجمع العساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم فاجتمع له منهم جمع عظيم فعبر اليهم سنة خمس عشرة وخمسمائة وحصر مدينة قرطبة فقاتله أهلها قتال من يريد ان يحمى دمه وحريمه وماله فلما رأى أمير المسلمين شدة قتالهم دخل السفراء بينهم وسعوا فى الصلح فأجابهم الى ذلك على ان يغرم أهل قرطبة المرابطين مانهبوه من أموالهم واستقرت القاعدة على ذلك وعاد عن قتالهم

﴿ذكر ملك على بن سكمان البصرة﴾

فى هذه السنة استولى على بن سكمان على البصرة وسبب ذلك ان السلطان محمدا كان قد أقطع البصرة الامير آقسنقر البخارى فاستخلف بها نائبا يعرف بسنقر البياتى فأحسن السيرة الى حد أن الماء بالبصرة ملح فأقام سفنا وجرارا للضعفاء والسابلة تحمل لهم الماء العذب فلما توفى السلطان محمد عزم هذا الامير سنقر على القبض على أمير اسمه غزغلى مقدم الاتراك الاسماعيلية وهو مذ كور وحج بالناس على البصرة عدة سنين وعلى أمير آخر اسمه سنقر الب وهو مقدم الاتراك البلدقية فاجتمعا عليه وقبضاه وقيداه وأخذا القلعة وما وجداه له ثم ان سنقر الب أراد قتله فمنعه

بالعنبر معجونه
وحريف من الخبز
به الاوساط مقرونه
وطلع كاللآلى فى
سموط العقد مكنونه
وخل ترعف الآنا
ف منه وهى مختونه
وباذنجان بوران
به نفسك مفتونه
وهليون وعهدى بـ
ـك تستعذب هليونه
ولوزينجة فى الدهـ
ـن والسكر مدفونه
وعندى لك رستيـ
ـة مطبوخ وقنينه
وساق واعد بالوصـ
ـل منه عطفة النونه
له شدة ألحاظ
وفى ألفاظه لينه
وقرى يغنيك
لحونا غير ملحونه
ألا يا من لمحزون
نأى عن دار محزونه
فاعذرك فى أن لا
ترى من سكره طينه
فقال المستكفى أحسنت
وأحسن القائل فيما وصف
ثم أمر باحضار كل ما يجرى
فى وصفه مما يمكن احضاره
ثم قال هاتوا من معه شئ فى
هذا المعنى فقال آخر فى
هذا المعنى لابن الرومى فى
صفة وسط
ياسائلى عن مجمع اللذات
سألت عنه أنعت النعات
فهاك ما أنشأته من قصه
مسلما من سوءنه ونقصه خذيا من يدالمأكل اللذيذ * جردقى خبز من السميذ لم ترعيناناظر مثليهما * فقشر الحرفين عن وجهيهما

غزغلى فلم يقبل منه فلما قتله وثب غزغلى على سنقر البـ فقتله ونادى فى الناس بالسكون واطمأنوا وكان أمير الحاج من البصرة هذه السنة أميرا اسمه على بن سكمان أحد الامراء البلدقية وكان فى نفس غزغلى عليه حقد حيث تم الحج على يده ولانه خاف ان يأخذ بثار سنقر البـ اذ هو مقدم البلدقية فارسل غزغلى الى عرب البرية يأمرهم بقصد الحجاج ونهبهم فطمعوا بذلك وقصدوا الحجاج فقاتلوهم وحماهم ابن سكمان وأبلى بلاء حسنا وجعل يقاتلهم وهو سائر نحو البصرة الى ان بقى بينه وبين البصرة يومان فارسل اليه غزغلى يمنعه من قصد البصرة فقصد العونى أسفل دجلة هذا والعرب يقاتلونه فلما وصل الى العونى حمل على العرب حملة صادقة فهزمهم وسار غزغلى الى على بن سكمان فى عدد كثير وكان على فى قلة فتحاربا واقتتلت الطائفتان فاصابت فرس غزغلى نشابة فسقط وقتل وسار على الى البصرة فدخلها وملك القلعة وأقر عمال آقسنقر البخارى ونوابه وكاتبه بالطاعة وكان عند السلطان وسأله ان يكون نائبا عنه بالبصرة فلم يجبه آقسنقر الى ذلك فطرد حينئذ نواب آقسنقر واستولى على البلد وتصرف تصرف الاصحاب مستبدا واستقر فيه وأحسن السيرة الى سنة أربع عشرة فسير السلطان محمود الامير آقسنقر البخارى فى عسكر الى البصرة فاخذها من على بن سكمان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أمر السلطان سنجر باعادة مجاهد الدين بهروز الى شحنكية العراق وكان بها نائب دبيس بن صدقة فعزل عنها وفيها فى ربيع الاول توفى الوزير ربيب الدولة وزير السلطان محمود ووزر بعده الكمال السميرمى وكان ولد ربيب الدولة وزير المسترشد فعزل واستعمل بعده عميد الدولة أبو على بن صدقة ولقب جلال الدين وهذا الوزير هو عم الوزير جلال الدين أبى الرضا صدقة الذى وزر للراشد والاتابك زنكى على ما نذكره وفيها ظهر قبر ابرهيم الخليل وقبور ولديه اسحق ويعقوب عليهم السلام بالقرب من البيت المقدس ورآهم كثير من الناس لم تبل أجسادهم وعندهم فى المغارة قناديل من ذهب وفضة هكذا ذكره حمزة بن أسد التميمى فى تاريخه والله أعلم وفيها فى المحرم توفى قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد الدامغانى ومولده فى رجب سنة تسع وأربعين وأربعمائة وولى القضاء بباب الطاق من بغداد الى الموصل وله من العمر ست وعشرون سنة وهذا شئ لم يكن لغيره ولما توفى ولى قضاء القضاة الاكمل أبو القاسم على ابن أبى طالب الحسين بن محمد الزينبى وخلع عليه ثالث صفر وفيها هدم تاج الخليفة على دجلة للخوف من انهدامه وهذا التاج بناه أمير المؤمنين المكتفى بعد سنة تسعين ومائتين وفيها تأخر الحج فاستغاث الناس وأرادوا كسر المنبر بجامع القصر فارسل الخليفة الى دبيس بن صدقة ليساعد الامير نظر على تسيير الحجاج فاجاب الى ذلك وكان خروجهم من بغداد ثانى عشر ذى القعدة وتوالت عليهم الامطار الى الكوفة وفيها أرسل دبيس بن صدقة القاضى أبا جعفر عبد الواحد بن أحمد الثقفى قاضى الكوفة الى ايلغازى بن ارتق بماردين يخطب ابنته فزوجها منه ايلغازى وحملها الثقفى معه الى الحلة واجتاز بالموصل وفيها فى جمادى الاولى توفى أبو الوفاء على ابن عقيل بن محمد بن عقيل شيخ الحنابلة فى وقته ببغداد وكان حسن المناظرة سريع الخاطر وكان قد اشتغل بمذهب المعتزلة فى حداثته على أبى الوليد فاراد الحنابلة قتله فاستجار بباب المراتب عدة سنين ثم أظهر التوبة حتى تمكن من الظهور وله مصنفات من جملتها كتاب الفنون

حتى اذا ما صار ناطفا طفا فضف على احداهما تأنفا من لحم فروج ولحم فرخ * تذوب جوذابا هما بالنفخ
واجعل عليها أسطرا من لوز
معارضات أسطرا من جوز
اكفا حها الجبن مع الزيتون
وشكلها النعنع بالطرخون
حتى ترى بينهما مثل اللبن
مقسومة كأنها وشى اليمن
واعمد الى البيض السليق الاحمر
فدرهم الوسط به ودنر
ورتب الاسطر بالملح ولا
تكثر ولا تزل معتدلا
وردد العينين فيه لحظا
فان للعينين منه حظا
ومتع العين به مليا
وأطبق الوسط وكل هنيا
وامسك بنابيك وأكدم كدما
تشرع فيما قد بنيت هدما
طورا ترى حلقة الدولاب
حروفه ودوره كالداب
وتارة مثل الرحى بلا سغب
قد شذبت عنها بنابيك الشذب
لهفى عليها وأنا الزعيم
بعدة شيطانها رجيم
وقال آخر يا أمير المؤمنين
لاسحق بن ابراهيم الموصلى
فى صفة سنبوسج
ياسائلى عن أطيب الطعام
سألت عنه أبصر الانام
اعمد الى اللحم اللطيف الاحمر
فدقه بالشحم غير مكثر
واطرح عليه بصلا مدورا
وكرنبا طرحا جنيا أخضرا
والق السذاب بعده موفرا
ودارصينى وكف كزبرا
وبعده شئ من القرنفل
وزنجبيل صالح وفلفل وكف كمون وشئ من مرى * ومل كفين بملح ندمى فدقه ياسيدى شديدا

﴿ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول كان المصاف بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود ومسعود حينئذ له الموصل واذربيجان وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك أتابك مسعود يحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة وكان غرضه ان يختلفوا فينال من الجاه وعلو المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السلاطين بركيارق ومحمد ابنى ملكشاه على ما ذكرناه وكان قسيم الدولة البرسقى أتابك الملك مسعود قد فارق شحنكية بغداد وقد أقطعه مسعود مراغة مضافة الى الرحبة وبينه وبين دبيس عداوة محكمة فكاتب دبيس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسقى وينسبه الى الميل الى السلطان محمود وبذل له مالا كثيرا على قبضه فعلم البرسقى ذلك ففارقهم الى السلطان محمود فاكرمه وأعلى محله وزاد فى تقديمه واتصل الاستاذ أبو اسمعيل الحسين ابن على الاصبهانى الطغرائى بالملك مسعود فكان ولده أبو المؤيد محمد بن أبى اسمعيل يكتب الطغراء مع الملك فلما وصل والده استوزره مسعود بعد ان عزل أبا على بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة بباب خوى فحسن ما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وظهر ما هم عليه من ذلك فبلغ السلطان محمود الخبر فكتب اليهم يخوفهم ان خالفوه ويعدهم الاحسان ان أقاموا على طاعته وموافقته فلم يصغوا الى قوله وأظهروا ما كانوا عليه وما يسرونه وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس وكان ذلك على تفرق من عساكر السلطان محمود فقوى طمعهم وأسرعوا السير اليه ليلقوه وهو مخف من العساكر فاجتمع اليه خمسة عشر ألف فارس أيضا اليهم فالتقوا عند عقبة اسداباذ منتصف ربيع الاول واقتتلوا من بكرة الى آخر النهار وكان البرسقى فى مقدمة السلطان محمود وأبلى يومئذ بلاء حسنا فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار وأسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم ومقدميهم واسر الاستاذ أبو اسمعيل وزير مسعود فامر السلطان بقتله وقال قد ثبت عندى فساد دينه واعتقاده فكانت وزارته سنة وشهرا وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل الى صنعة الكيمياء وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس أموالا لا تحصى واما الملك مسعود فانه لما انهزم أصحابه وتفرقوا قصد جبلا بينه وبين الوقعة اثنا عشر فرسخا فاختفى فيه ومعه غلمان صغار فارسل ركابيه عثمان الى أخيه يطلب له الامان فسار الى السلطان محمود واعلمه حال أخيه مسعود فرق له وبذل له الامان وامر آقسنقر البرسقى بالمسير اليه وتطييب قلبه واعلامه بعفوه عنه واحضاره فكان مسعود بعد ان أرسل يطلب الامان قد وصل بعض الامراء اليه وحسن له اللحاق بالموصل وكانت له ومعها اذربيجان وأشار عليه بمكاتبة دبيس بن صدقة ليجتمع به ويكثر جمعه ويعاود طلب السلطنة فسار معه من مكانه ووصل البرسقى فلم يره فأخبر بمسيره فسار فى أثره وعزم على طلبه ولو الى الموصل وجد فى السير فادركه على ثلاثين فرسخا من مكانه ذلك وعرفه عفو أخيه عنه وضمن له ما أراد وأعاده الى العسكر فامر السلطان محمود العساكر باستقباله وتعظيمه ففعلوا ذلك وأمر السلطان ان ينزل عند والدته وجلس له وأحضره واعتنقا وبكيا وانعطف عليه محمود ووفى له بما بذل له وخالطه بنفسه فى كل افعاله فعد ذلك من مكارم محمود وكانت الخطبة بالسلطنة لمسعود باذربيجان وبلد الموصل والجزيرة ثمانية وعشرين يوما واما اتابكه جيوش بك فانه سار الى عقبة اسداباذ وانتظر الملك مسعود فلم يره وانتظره بمكان آخر فلم يصل اليه فلما أيس منه سار الى

ثم اوقد النار له وقودا واجعله فى القدر وصب الماء * من فوقه واجعل له غطاء
حتى اذا الماء فنى وقلا *
ونشفته النار عنك كلا
فلفه ان شئت فى رقاق
ثم احكم الاطراف بالالزاق
أو شئت خذ جزأ من العجين
معتدل التفريك مستكين
فابسطه بالسويق مستديرا
ثم اظفرن أطرافه تظفيرا
وصب فى الطابق زيتا طيبا
ثم اقله بالزيت قليا عجبا
وضعه فى جام له لطيف
ووسطه من خردل حريف
وكله أكلا طيبا بخردل
فهو ألذ ما أكل المعجل
فقال آخر يا أمير المؤمنين
لمحمود بن الحسين بن
السندى كشاجم الكاتب
فى وصف هليون
لنا رماح فى أعاليها أود
مثقلات الجسم فتلا كالمسد
مستحسنات ليس فيها من عقد
لها رؤس طالعات فى جسد
مكسورة من صنعة الفرد الصمد
منتصبات كالقداح فى العمد
ثوب من السندس من فوق برد
قد أشربت حمرة لون يتقد
كأنها ممزوجة حمرة خد
قد فرضت حمرته كف حرد
تخالطنه حمرة خد ويد
كأنها فى صحن جام أو برد
منضدات كتناضيد الزرد
تسابغ العسجد حسنا منتضد
كأنها مطرف خز قد نضد
لو أنها تبقى على طول الابد
كانت فصوصا بخواتيم الحرد من فوقها مودى عليها بطرد يجول فى جانبها جزد مرد
مكشوفة من فوقها ثوب زبد

كأنه من فوقه حين لبد * شراك تبر أو لجين قد مسد فلو رآها عابد أو مجتهد * أفطر مما يشتهيها وسجد فلما فرغ منها قال

الموصل ونزل بظاهرها وجمع الغلات من السواد اليها واجتمع اليه عسكره فلما سمع بما فعله السلطان مع أخيه وانه عنده علم انه لامقام له على هذا الحال فسار كانه يريد الصيد فوصل الى الزاب وقال لمن معه انى قد عزمت على قصد السلطان محمود وأخاطر بنفسى فسار اليه فوصل وهو بهمذان ودخل اليه فطيب قلبه وأمنه وأحسن اليه واما دبيس فانه كان بالعراق فلما بلغه خبر انهزام الملك مسعود نهب البلاد وأخربها وفعل فيها الافاعيل القبيحة الى ان أتاه رسول السلطان محمود وطيب قلبه فلم يلتفت

﴿ذكر حال دبيس وما كان منه﴾

لما كان منه ببغداد وسوادها من النهب والقتل والفساد مالم يجر مثله أرسل اليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه ويأمره بالكف فلم يفعل فارسل اليه السلطان وطيب قلبه وأمره بمنع أصحابه عن الفساد فلم يقبل وسار بنفسه الى بغداد وضرب سرادقه بازاء دار الخلافة وأظهر الضغائن التى فى نفسه وكيف طيف برأس أبيه وتهدد الخليفة وقال انك أرسلت تستدعى السلطان فان أعدتموه والا فعلت وصنعت فأعيد جواب رسالته ان عود السلطان وقد سار عن همذان غير ممكن ولكنا نصلح حالك معه وكان الرسول شيخ الشيوخ اسمعيل فكف على ان تسير الرسل فى الاتفاق بينه وبين السلطان وعاد عن بغداد فى رجب ووصل السلطان فى رجب الى بغداد فارسل دبيس زوجته ابنة عميد الدولة بن جهير اليه ومعها مال كثير وهدية نفيسة وسأل الصفح عنه فأجيب الى ذلك على قاعدة امتنع منها ولزم لجاجه ونهب جشيرا للسلطان فسار السلطان عن بغداد فى شوال الى قصد دبيس بالحلة واستصحب ألف سفينة ليعبر فيها فلما علم دبيس مسير السلطان أرسل يطلب الامان فأمنه وكان قصده ان يغالطه ليتجهز فأرسل نساءه الى البطيحة وأخذ أمواله وسار عن الحلة بعد ان نهبها الى ايلغازى ملتجئا اليه ووصل السلطان الى الحلة فلم ير أحدا فبات بها ليلة واحدة وعاد وأقام دبيس عند ايلغازى وتردد معه ثم انه أرسل أخاه منصورا فى جيش من قلعة جعبر الى العراق فنظر الحلة والكوفة وانحدر الى البصرة وأرسل الى يرنقش الزكوى يسأله ان يصلح حاله مع السلطان فلم يتم أمره فارسل الى أخيه دبيس يعرفه ذلك ويدعوه الى العراق فسار من قلعة جعبر الى الحلة سنة خمس عشرة فدخلها وملكها وأرسل الى الخليفة والسلطان يعتذر ويعد من نفسه الطاعة فلم يجب الى ذلك وسيرت اليه العساكر فلما قاربوه فارق الحلة ودخل الى الازبر وهو نهر سنداد ووصل العسكر اليها وهى فارغة قد أجلى أهلها عنها وليس بها اقامة فكانت الميرة تنقل من بغداد وكان مقدم العسكر سعد الدولة يرنقش الزكوى فترك بالحلة خمسمائة فارس وبالكوفة جماعة أخرى تحفظ الطريق على دبيس وأرسل الى عسكر واسط يحفظ طريق البطيحة ففعلوا ذلك وعبر عسكر السلطان الى دبيس فبقى بين الطائفتين نهر يخاض فيه مواضع فتراسل يرنقش ودبيس واتفقا على ان يرسل دبيس أخاه منصورا رهينة ويلازم الطاعة ففعل وعاد العسكر الى بغداد سنة ست عشرة

﴿ذكر خروج الكرج الى بلاد الاسلام وملك تفليس﴾

فى هذه السنة خروج الكرج وهم الخزر الى بلاد الاسلام وكانوا قديما يغيرون فامتنعوا أيام السلطان ملكشاه الى آخر أيام السلطان محمد فلما كان هذه السنة خرجوا ومعهم قفجاق وغيرهم من الامم المجاورة لهم فتكاتب الامراء المجاورون لبلادهم واجتمعوا منهم الامير ايلغازى ودبيس بن صدقة وكان عنده والملك طغرل بن محمد وأتابكه كنتغدى وكان لطغرل

له المستكفى هذا مما يتعذر وجوده فى هذا الوقت بهذا الوصف فى هذا البلد الآن نكتب الى الاخشيد محمد بن طغج بحمل اليذامن ذلك البر من دمشق فانشدونا فيما يمكن وجوده قال آخر يا أمير المؤمنين لمحمد الوزير المعروف بالحافظ الدمشقى فى صفة أرزية

لله در أرزة وافى بها * طاه كحسن البدر وسط سماء
أنقى من الثلج المضاعف سحه * من صنعة الاهواء والانداء
وكأنها فى صحفة مقدودة * بيضاء مثل الدرة البيضاء
تهرب عيون الناظرين بضوئها * وتريك ضوء البدر وقت مساء
وكأن سكرها على أكنافها * نور تجسد فوقها بضياء

فقال آخر يا أمير المؤمنين أنشدت لبعض المتأخرين فى هريسة

ألذ ما يأكله الانسان * اذا أتى من صيفه نيسان
وكانت الجديان والخرفان * هريسة يصنعها النسوان
لهن طيب الكف والاتقان * يجمعن فيه الطير والجلان
وتلتقى فى قدرها الادهان * واللحم والالية والشحمان
وبعده أوزه السمان * والحنطة البيضاء والجلبان
وبعده الارز واللبان * جودها بطحنه الطحان
وبعده الملح وخولنجان * كأنها ريد وترسيان
تخجل من رؤيتها الالوان * اذا بدت يحبها الغلمان

بلد

تضمها الصحفة والخوان * وفوقها كالفنو خيزران * سكه سقف له حيطان * مقبب وماله أركان

بالداران ونقجوان الى أرس فاجتمعوا وساروا الى الكرج فلما قاربوا تفليس وكان المسلمون فى عسكر كثير يبلغون ثلاثين ألفا فالتقوا واصطف الطائفتان للقتال فخرج من القفجاق مائتا رجل فظن المسلمون انهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم ودخلوا بينهم ورموا بالنشاب فاضطرب صف المسلمين فظن من بعد انها هزيمة فانهزموا وتبع الناس بعضهم بعضا منهزمين ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضا فقتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكفار عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون فقتل أكثرهم وأسر وأربعة آلاف رجل ونجا الملك طغرل وايلغازى ودبيس وعاد الكرج فنهبوا بلاد الاسلام وحصروا مدينة تفليس واشتد قتالهم لمن بها وعظم الامر وتفاقم الخطب على أهلها ودام الحصار الى سنة خمس عشرة فملكوها عنوة وكان أهلها لما أشرفوا على الهلاك قد أرسلوا قاضيها وخطيبها الى الكرج فى طلب الامان فلم تصغ الكرج اليهما فاحرقوا بهما ودخلوا البلد قهرا وغلبة واستباحوه ونهبوه ووصل المستنفرون منهم الى بغداد مستنصرخين ومستنصرين سنة ست عشرة فبلغهم ان السلطان محمودا بهمذان فقصدوه واستغاثوا به فسار الى اذربيجان وأقام بمدينة تبريز شهر رمضان وأنفذ عسكرا الى الكرج وسيرد ذكر ما كان منهم ان شاء الله تعالى

﴿ذكر غزوات ايلغازى هذه السنة﴾

فى هذه السنة أرسل المسترشد بالله خلعا مع سديد الدولة ابن الانبارى لنجم الدين ايلغازى وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج ويأمره بابعاد دبيس عنه وسار أبو على بن عمار الذى كان صاحب طرابلس مع ابن الانبارى الى ايلغازى ليقيم عنده يعتبر الاوقات بما ينقم به عليه فاعتذر بابعاد دبيس ووعد به ثم سار الى الفرنج وكان قد جمع لهم جمعا فالتقوا بموضع اسمه ذات البقل من أعمال حلب فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر له ثم اجتمع ايلغازى وأتابك طغتكين صاحب دمشق وحصروا الفرنج فى معرة قنسرين يوما وليلة ثم أشار أتابك طغتكين بالافراج عنهم كيلا يحملهم الخوف على أن يستقتلوا ويخرجوا الى المسلمين فربما ظفروا وكان أكثر خوفه من دبر خيل التركمان وجودة خيل الفرنج فافرج لهم ايلغازى فساروا عن مكانهم وتخلصوا وكان ايلغازى لا يطيل المقام فى بلد الفرنج لانه كان يجمع التركمان للطمع فيحضر أحدهم ومعه جراب فيه دقيق وشاة ويعد الساعات لغنيمة يتعجلها ويعود فاذا طال مقامهم تفرقوا ولم يكن له من الاموال ما يفرقها فيهم

﴿ذكر ابتداء أمر محمد بن تومرت وعبد المؤمن وملكهما﴾

فى هذه السنة كان ابتداء أمر المهدى أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت العلوى الحسنى وقبيلته من المصامدة تعرف بهرغة فى جبل السوس من بلاد المغرب نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير ونذكر أمره وأمر عبد المؤمن هذه السنة الى آن فرغ من ملك المغرب لنتبع بعض الحادثة بعضا وكان ابن تومرت قد رحل فى شبيبته الى بلاد الشرق فى طلب العلم وكان فقيها فاضلا عالما بالشريعة حافظا للحديث عارفا بأصولى الدين والفقه متحققا بعلم العربية وكان ورعا ناسكا ووصل فى سفره الى العراق واجتمع بالغزالى والكيا واجتمع بابى بكر الطرطوشى بالاسكندرية وقيل انه جرى له حديث مع الغزالى فيما فعله بالمغرب من التملك فقال له الغزالى ان هذا لا ينتشى فى هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لامثالنا كذا قال بعض مؤرخى المغرب والصحيح انه لم يجتمع به فحج من هناك وعاد الى المغرب ولما ركب البحر من الاسكندرية مغربا غير المنكر

أبرزه اللاذ كل الولدان * يفتر من لهبها العينان
والمرء فيها فله مكان * يؤثرها الجائع والشبعان
ويشتهيها الاهل والضيفان * لها على أضرابها السلطان
تصفو بها العقول والاذهان * وانتفعت بأكلها الابدان
أبدعها فى عصرها ساسان * وأعجبت كسرى أنوشروان
اذا رآها الجائع الغرثان * لم يدط صبرا منها الجيعان

وقال آخر يا أمير المؤمنين لبعض المتأخرين فى صفة المضيرة

ان المضيرة فى الطعام * كالبدر فى ليل التمام
اشراقها فوق الموا * ئد كالضياء على الظلام
مثل الهلال اذا بدا * للناس فى خلل الغمام
فى صحفة مملوءة * للناس من جرع الهمام
قد أعجبت لابى هريـ * ـرة اذ أتت بين الطعام
حتى لقد مال الهوى * بهواه عن طلب الصيام
ولقد رأى فى أكلها * حظا فبادر بالقيام
ولقد تنكب ان يكو * ن مؤاكلا عند الامام
اذليس ثم مضيرة * تشفى السقيم من السقام
لاعذر فى اتيانها * من غير اتيان الحرام
فهى اللذيذة والغريـ * ـبة والعجيبة فى الانام

فقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسن فى صفة جوزابة

جوزابة من أرز فائق * مصفرة ٢٠٢ في اللون كالعاشق عجيبة مشرقة لونها * في كف طاه محكم حاذق نسيجة كالتبر في حمرة

في المركب وألزم من به بإقامة الصلاة وقراءة القرآن حتى انتهى الى المهدية وسلطانها حينئذ يحيى بن تميم سنة خمس وخمسمائة فنزل بمسجد قبلي مسجد السبت وليس له سوى ركوة وعصا وتسامع به أهل البلد فقصدوه يقرؤن عليه أنواع العلوم وكان اذا مر به منكر غيره وأزاله فلما كثر ذلك منه أحضره الامير يحيى مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه واحترمه وسأله الدعاء ورحل عن المدينة وأقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدة وسار الى بجاية ففعل فيها مثل ذلك فأخرج منها الى قرية بالقرب منها اسمها ملالة فلقيه بها عبد المؤمن بن علي فرأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالامر فسأله عن اسمه وقبيلته فأخبره انه من قيس عيلان ثم من بني سليم فقال ابن تومرت هذا الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ان الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قيس فقيل من أي قيس فقال من بني سليم فاستبشر بعبد المؤمن وسر بلقائه وكان مولد عبد المؤمن في مدينة تاجرة من أعمال تلمسان وهو من عائذ قبيل من كومية نزلوا بذلك الاقليم سنة ثمانين ومائة ولم يزل المهدي ملازما للامر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه الى أن وصل الى مراكش دار مملكة أمير المسلمين يوسف بن علي ابن تاشفين فرأى فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقه فزاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر أتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما هو في بعض الايام في طريقه اذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها ومعها من الجواري الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات وكانت هذه عادة الملثمين يسفر نساؤهم وجوههن ويتلثم الرجال فحين رأى النساء كذلك أنكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن وضرب هو وأصحابه دوابهن فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها فرفع أمره الى أمير المسلمين علي بن يوسف فأحضره وأحضر الفقهاء ليناظروه فأخذ يعظه ويخوفه فبكى أمير المسلمين وأمر أن يناظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة أدلته في الذي فعله وكان عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب فقال يا أمير المسلمين ان هذا والله لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يريد اثارة فتنة والغلبة على بعض النواحي فاقتله وتقلد في دمه فلم يفعل ذلك فقال اذ لم تقتله فاحبسه وخلده في السجن والا أثار شرا لا يمكن تلافيه فأراد حبسه فمنعه رجل من أكابر الملثمين يسمى بيان بن عثمان فأمر باخراجه من مراكش فسار الى أغمات ولحق بالجبل فسار فيه حتى لحق بالسوس الذي فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة أربع عشرة فأتوه واجتمعوا حوله وتسامع به أهل تلك النواحي فوفدوا عليه وحضر أعيانهم بين يديه وجعل يعظهم ويذكرهم بأيام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه فأقام على ذلك نحو سنة وتابعه هرغة قبيلته وسمى أتباعه الموحدين وأعلمهم ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدي الذي يملأ الارض عدلا وان مكانه الذي يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال أحدهم عبد المؤمن فقالوا لا يوجد هذا الا فيك فأنت المهدي فبايعوه على ذلك فانتهى خبره الى أمير المسلمين فجهز جيشا من أصحابه وسيرهم اليه فلما قربوا من الجبل الذي هو فيه قال لاصحابه ان هؤلاء يريدونني وأخاف عليكم منهم فالرأي أن أخرج بنفسي الى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم فقال له ابن توفيان من مشايخ هرغة هل تخاف شيئا من السماء فقال لا بل من السماء تنصرون فقال ابن توفيان فليأتنا كل من في الارض ووافقه جميع قبيلته فقال المهدي ابشروا بالنصر والظفر بهذه

وردية من صنعة الخالق
بسكر الاهواز مصنوعة
فطعمها أحلى من الرائق
غريقة في الدهن رجراجة
تزور بالنفخ من الرائق
لينة ملمسها زبدة
وريحها كالعنبر الفائق
كأنها في جامها اذ بدت
تزهر كالكوكب في الغاسق
عقيقة صفرتها فاقع
في جيد خود بضة عاتق
أحلى من الامن أتى موهنا
الى فؤاد قلق خافق
(وقال آخر يا أمير المؤمنين
معي لبعض المحدثين في صفة
جوزابة أخرى)
وجوزابة مثل لون العقيق
وفي الطعم عندي كطعم
الرحيق
من السكر المحض معمولة
ومن خالص الزعفران
السحيق
مغرقة بشحوم الدجاج
وبالشحم أكرم بها من غريق
لذيذة طعم اذا استعملت
وفي اللون منها كلون الخلوق
عليها اللآلي من فوقها
تضم جوانبها ضم ضيق
تردها في الانا نفخه
وما في حلاوتها من مطيق
(وقال آخر يا أمير المؤمنين
لمحمود بن الحسين كشاجم
في صفة قطائف)
عندي أصحابي اذا اشتد
السغب
قطائف مثل أضابير الكتب
كأنه اذا ابتدى من كثب * كوافر النحل بياضاق نقب قد مج دهن اللوز مما قد شرب * وابتل مما عام فيه ورسب

الشرذمة

وجاء ماء الورد فيه وذهب * فهي عليه حبب فوق حبب اذا رآه واله القلب طرب ٢٠٣ * مدرج تدريج أبناء الكتب

الشرذمة وبعد قليل تستأصلون دولتهم وترثون أرضهم فنزلوا من الجبل ولقوا جيش أمير المسلمين فهزموهم وأخذوا أسلابهم وقوي ظنهم في صدق المهدي حيث ظفروا كما ذكر لهم وأقبلت اليه أفواج القبائل من الحلل التي حوله شرقا وغربا وبايعوه وأطاعه قبيلة هنتاتة وهي من أقوى القبائل فأقبل عليهم واطمأن اليهم وأتاه رسل أهل تينمال بطاعتهم وطلبوه اليهم فتوجه الى جبل تينمال واستوطنه وألف لهم كتابا في التوحيد وكتابا في العقيدة ونهج لهم طريق الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن وهو يحرضهم على قتال عدوهم واخراج الاشرار من بين أظهرهم وأقام بتينمال وبنى له مسجدا خارج المدينة فكان يصلي فيه الصلوات هو ومن معه عنده ويدخل البلد بعد العشاء الآخرة فلما رأى كثرة أهل الجبل وحصانة المدينة خاف أن يرجعوا عنه فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح ففعلوا ذلك عدة أيام ثم انه أمر أصحابه ان يقتلوهم فخرجوا عليهم وهم غارون فقتلوهم في ذلك المسجد ثم دخل المدينة فقتل فيها وأكثر وسبى الحريم ونهب الاموال فكان عدة القتلى خمسة عشر ألفا وقسم المساكن والارض بين أصحابه وبنى على المدينة سورا وقلعة على رأس جبل عال وفي جبل تينمل أنهار جارية وأشجار وزروع والطريق اليه صعب فلا جبل أحصن منه وقيل انه لما خاف أهل تينمال نظر فرأى كثيرا من أولادهم شقرا زرقا والذي يغلب على الآباء السمرة وكان لامير المسلمين عدة كثيرة من المماليك الفرنج والروم يغلب على ألوانهم الشقرة وكانوا يصعدون الجبل في كل عام مرة ويأخذون مالهم فيه من الاموال المقررة لهم من جهة السلطان فكانوا يسكنون بيوت أهله ويخرجون أصحابها منها فلما رأى المهدي أولادهم سألهم مالي أراكم سمر الالوان وأرى أولادكم شقرا زرقا فأخبروه خبرهم مع مماليك أمير المسلمين فقبح الصبر على هذا وأزرى عليهم وعظم الامر عندهم فقالوا له فكيف الحيلة في الخلاص منهم وليس لنا بهم قوة فقال اذا حضروا عندكم في الوقت المعتاد وتفرقوا في مساكنكم فليقم كل رجل منكم الى نزيله فليقتله واحفظوا جبلكم فانه لا يرام ولا يقدر عليه فصبروا حتى حضر أولئك العبيد فقتلوهم على ما قرر لهم المهدي فلما فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من أمير المسلمين فامتنعوا في الجبل وسدوا ما فيه من طريق يسلك اليهم فقويت نفس المهدي بذلك ثم ان أمير المسلمين أرسل اليهم جيشا قويا فحصروهم في الجبل وضيقوا عليهم ومنعوا عنهم الميرة فقلت عند أصحاب المهدي الاقوات حتى صار الخبز معدوما عندهم وكان يطبخ لهم كل يوم من الحسا ما يكفيهم فكان قوت كل واحد منهم ان يغمس يده في ذلك الحسا ويخرجها فما علق عليها قنع به ذلك اليوم فاجتمع أعيان أهل تينمل وأرادوا اصلاح الحال مع أمير المسلمين فبلغ الخبر بذلك المهدي بن تومرت وكان معه انسان يقال له أبو عبد الله الونشريشي يظهر البله وعدم المعرفة بشيء من القرآن والعلم وبزاقه يجري على صدره وهو كأنه معتوه ومع هذا فالمهدي يقربه ويكرمه ويقول ان لله سرا في هذا الرجل سوف يظهر وكان الونشريشي يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم في السر بحيث لا يعلم أحد ذلك منه فلما كان سنة تسع عشرة وخاف المهدي من أهل الجبل خرج يوما لصلاة الصبح فرأى الى جانب محرابه انسانا حسن الثياب طيب الريح فأظهر انه لا يعرفه وقال من هذا فقال أنا أبو عبد الله الونشريشي فقال له المهدي ان أمرك لعجب ثم صلى فلما فرغ من صلاته نادى في الناس فحضروا فقال ان هذا الرجل يزعم انه الونشريشي فانظروه وحققوا أمره فلما أضاء النهار عرفوه فقال له المهدي ما قصتك قال انني أتاني الليلة ملك من السماء فغسل قلبي وعلمني الله القرآن

أطيب منه أن تراه ينتهب
كل امرئ لذته فيما أحب
فأقبل المستكفي على معلم
كان يعلمه في صباه طيب
النفس وكان يضحك منه
ويستظرفه فقال له أنشدنا
ما سمعت فقال أنشدنا
أنت قال لا أدري ما قال
هؤلاء وما أنشدوا غير أني
مضيت في أمس يومنا هذا
أدور حتى أتيت باطرنجا
فرأيت رياضها فذكرت
من أمرها فقلت
نوم عينيك يا ابن وهب غرار
ولنار الهوى بقلبك نار
من حديث اني مررت بها يو
ما وقلبي من الهوى مستطار
وبها ترجمن ينادي علانا
قف فقد أدركت لدينا العقار
وتغنى دراج واستمطر اللهـ
ـو وجادت بنورها الازهار
فانثنينا الى رياض عيون
ناظرات مال بهن احورار
ومكان الجفون منها ابيضاض
ومكان الاحداق منها
اصفرار
بينما نحن عندها صرخ الور
د الينا يا معشر السمار
عندنا قهوة تغافل عنها
دهرها فالوجوه منها احمرار
وانثنينا للورد من غير أن نعـ
ـدو عن النرجس المضاعف
دار
فرأى النرجس الذي صنع الور
د فنادى مستنصرا بالبهار
ورأى الورد عسكرين من الصفـ * ـر فنادى بجاه الجلنار واستجاشا تفاح لبنان لما * بجيش من وطيبها الأوتار

والموطأ وغيره من العلوم والاحاديث فبكى المهدى بحضرة الناس ثم قال له نحن نمتحنك فقال افعل وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أى موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه والاصول فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان الله تعالى قد أعطانى نورا أعرف به أهل الجنة من أهل النار وآمركم ان تقتلوا أهل النار وتتركوا أهل الجنة وقد أنزل الله تعالى ملائكة الى البئر التى فى المكان الفلانى يشهدون بصدقى فسار المهدى والناس معه وهم يبكون الى تلك البئر وصلى المهدى عند رأسها وقال يا ملائكة الله ان أبا عبد الله الونشريشى قد زعم كيت وكيت فقال من بها صدق وكان قد وضع فيها رجالا يشهدون بذلك فلما قيل ذلك من البئر قال المهدى ان هذه مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة والمصلحة ان تطم لئلا يقع فيها نجاسة أو ما لا يجوز فالقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها ثم نادى فى أهل الجبل بالحضور الى ذلك المكان فحضروا للتمييز فكان الونشريشى يعمد الى الرجل الذى يخاف ناحيته فيقول هذا من أهل النار فيلقى من الجبل مقتولا والى الشاب الغر ومن لا يخشى فيقول هذا من أهل الجنة فيترك على يمينه فكان عدة القتلى سبعين ألفا فلما فرغ من ذلك أمن على نفسه وأصحابه واستقام أمره هكذا سمعت جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون فى التمييز وسمعت منهم من يقول ان ابن تومرت لما رأى كثرة أهل الشر والفساد فى أهل الجبل أحضر شيوخ القبائل وقال لهم انكم لا يصح لكم دين ولا يقوى الا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر واخراج المفسد من بينكم فابحثوا عن كل من عندكم من أهل الشر والفساد فانهوهم عن ذلك فان انتهوا والا فاكتبوا أسماءهم وارفعوها الى لانظر فى أمرهم ففعلوا ذلك وكتبوا له أسماءهم من كل قبيلة ثم أمرهم بذلك مرة ثانية وثالثة ثم جمع المكتوبات فأخذ منها ما تكرر من الاسماء فأثبتها عنده ثم جمع الناس قاطبة ورفع الاسماء التى كتبها ودفعها الى الونشريشى المعروف بالبشير وأمره ان يعرض القبائل ويجعل أولئك المفسدين فى جهة الشمال ومن عداهم من جهة اليمين ففعل ذلك وأمر ان يكتف من على شمال الونشريشى فكتفوا وقال ان هؤلاء أشقياء قد وجب قتلهم وأمر كل قبيلة ان يقتلوا أشقياءهم فقتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز ولما فرغ ابن تومرت من التمييز رأى أصحابه الباقين على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته فجهز منهم جيشا وسيرهم الى جبال اغمات وبها جمع من المرابطين فقاتلوهم فانهزم أصحاب ابن تومرت وكان أميرهم أبو عبد الله الونشريشى وقتل منهم كثير وجرح عمر الهنتاتى وهو من أكبر أصحابه وسكن حسه ونبضه فقالوا مات فقال الونشريشى أما انه لم يمت ولا يموت حتى يملك البلاد فبعد ساعة فتح عينيه وعادت قوته اليه فافتتنوا به وعادوا منهزمين الى ابن تومرت فوعظهم وشكرهم على صبرهم ثم لم يزل بعدها يرسل السرايا فى أطراف بلاد المسلمين فاذا رأوا عسكرا تعلقوا بالجبل فامنوا وكان المهدى قد رتب أصحابه مراتب فالاولى يسمون ايت عشرة يعنى أهل عشرة وأولهم عبد المؤمن ثم أبو حفص الهنتاتى وغيرهما وهم أشرف أصحابه وأهل الثقة عنده والسابقون الى متابعته والثانية ايت خمسين يعنى أهل خمسين وهم دون تلك الطبقة وهم جماعة من رؤساء القبائل والثالثة ايت سبعين يعنى أهل سبعين وهم دون التى قبلها وسمى عامة أصحابه والداخلين فى طاعته موحدين فاذا ذكر الموحدون فى أخبارهم فانما يعنى أصحابه وأصحاب عبد المؤمن بعده ولم يزل أمر ابن تومرت يعلو الى سنة أربع وعشرين فجهز المهدى جيشا كثيفا يبلغون أربعين ألفا أكثرهم رجالة وجعل عليهم الونشريشى وسير معهم عبد المؤمن فنزلوا وساروا الى مراكش

واستجاش الهار جيشا من ٢٠٤ الاتـ*ـرج فيه صغاره والكبار فرأيت الربيع فى عسكر الصفـ*ـر وقابى بشفه الاحرار
لبس الابحمرة من خدود من أناس بغوا علينا وجاروا فلم أر المستكفى منذ ولى الخلافة أشد سرورا منه فى ذلك اليوم وأجاز جميع من حضر من الجلساء والمغنين والملهين ثم أحضر ما حضره فى وقته من عين وورق عن ضيف الامر اليه فوالله ما رأيت له بعد ذلك يوما مثله حتى قبض عليه أحمد بن بويه الديلمى وسمل عينيه وذلك أن الحرب لما طالت بين أبى محمد الحسين بن عبد الله بن حمدان وكان فى الجانب الشرقى ومعه الاتراك وابن عمه الحسين بن سعيد ابن حمدان وابن أحمد بن بويه الديلمى فى الجانب الغربى والمستكفى معه اتهم الديلمى المستكفى بمساءلة بنى حمدان ومكاتبتهم بأخباره واطلاعهم على أسراره مع ما كان قد تقدم له فى نفسه فسمل عينيه وولى المطيع وأعمل الديلمى الحيلة فى البيات بالديلم فحملهم فى السفن مع بوقات ودبادب فى الليل وألقاهم فى مواضع كثيرة من الشارع الى الجانب الشرقى فتوجهت له على بنى حمدان الحيلة فخرجوا نحو الموصل من بعد أحداث كثيرة بين الاتراك وبينهم
ببلاد تكريت واستوثق الامر لاحمد بن بويه الديلمى وشرع فى عمارة البلد وسد البثوق على حسب ما نمو اليه من

فحصروها وضيقوا عليها وبها أمير المسلمين على بن يوسف فبقى الحصار عليها عشرين يوما فارسل أمير المسلمين الى متولى سجلماسة يأمره ان يحضر ومعه الجيوش فجمع جيشا كثيرا وسار فلما قارب عسكر المهدى خرج أهل مراكش من غير الجهة التى أقبل منها فاقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل فى أصحاب المهدى فقتل الونشريشى أميرهم فاجتمعوا الى عبد المؤمن وجعلوه أميرا عليهم ولم يزل القتال بينهم عامة النهار وصلى عبد المؤمن صلاة الخوف الظهر والعصر والحرب قائمة ولم تصل بالمغرب قبل ذلك فلما رأى المصامدة كثرة المرابطين وقوتهم أسندوا ظهورهم الى بستان كبير هناك والبستان يسمى عندهم البحيرة فلهذا قيل وقعة البحيرة وعام البحيرة وصاروا يقاتلون من جهة واحدة الى ان أدركهم الليل وقد قتل من المصامدة أكثرهم وحين قتل الونشريشى دفنه عبد المؤمن فطلبه المصامدة فلم يروه فى القتلى فقالوا رفعته الملائكة ولما جنهم الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القتلى الى الجبل

﴿ذكر وفاة المهدى وولاية عبد المؤمن﴾

لما سير الجيش الى حصار مراكش مرض مرضا شديدا فلما بلغه خبر الهزيمة اشتد مرضه وسأل عن عبد المؤمن فقيل هو سالم فقال ما مات أحد الامر قائم وهو الذى يفتح البلاد ووصى أصحابه باتباعه وتقديمه وتسليم الامر اليه والانقياد له ولقبه أمير المؤمنين ثم مات المهدى وكان عمره احدى وخمسين سنة وقيل خمسا وخمسين سنة ومدة ولايته عشرين سنة وعاد عبد المؤمن الى تينمال وأقام بها يتألف القلوب ويحسن الى الناس وكان جوادا مقداما فى الحروب ثابتا فى الهزاهز الى ان دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة فتجهز وسار فى جيش كثير وجعل يمشى مع الجبل الى ان وصل الى تادلة فمانعه أهلها وقاتلوه فقهرهم وفتحها وسائر البلاد التى تليها ومشى فى الجبال يفتح ما امتنع عليه وأطاعه صنهاجة الجبل وكان أمير المسلمين قد جعل ولى عهده ابنه سير فمات فاحضر أمير المسلمين ابنه تاشفين من الاندلس وكان أميرا عليها فلما حضر عنده جعله ولى عهده سنة احدى وثلاثين وجعل معه جيشا وصار يمشى فى الصحراء قبالة عبد المؤمن فى الجبال وفى سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المؤمن فى النواظر وهو جبل عال مشرف وتاشفين فى الوطأة ويخرج من الطائفتين قوم يترامون ويتطاردون ولم يكن بينهم لقاء ويسمى عام النواظر وفى سنة ثلاث وثلاثين توجه عبد المؤمن مع الجبل فى الشعراء حتى انتهى الى جبل كرباطة فنزل فى أرض صلبة بين شجر ونزل تاشفين قبالته فى الوطأة فى أرض لا نبات فيها وكان الفصل شاتيا فتوالت الامطار أياما كثيرة لا تقلع فصارت الارض التى فيها تاشفين وأصحابه كثيرة الوحل تسوخ فيها قوائم الخيل الى صدورها ويعجز الرجل عن المشى فيها وتقطعت الطرق عنهم فاوقدوا رماحهم وقرابيس سروجهم وهلكوا جوعا وبردا وسوء حال وكان عبد المؤمن وأصحابه فى أرض خشنة صلبة فى الجبل لا يبالون بشئ والميرة متصلة اليهم وفى ذلك الوقت سير عبد المؤمن جيشا الى وجرة من أعمال تلمسان ومقدمهم أبو عبد الله محمد بن رقو وهو من ايت خمسين فبلغ خبرهم الى محمد بن يحيى بن فانو متولى تلمسان فخرج فى جيش من الملثمين فالتقوا بموضع يعرف بخندق الخمر فهزمهم جيش عبد المؤمن وقتل محمد بن يحيى وكثير من أصحابه وغنموا ما معهم ورجعوا فتوجه عبد المؤمن بجميع جيشه الى غمارة فاطاعوه قبيلة بعد قبيلة وأقام عندهم مدة وما برح يمشى فى الجبال وتاشفين يحاذيه فى الصحارى فلم يزل عبد المؤمن كذلك الى سنة خمس وثلاثين فتوفى أمير المسلمين على بن يوسف بمراكش وملك بعده ابنه تاشفين فقوى طمع عبد المؤمن فى البلاد الا انه لم ينزل

أخباره واتصل بنا من أفعاله على بعد الدار وفساد السبل وانقطاع الاخبار وكوننا ٢٠٥ ببلاد مصر والشام (قال المسعودى)
ولم يتأت لنا من أخبار المستكفى مع قصر أيامه غير ما ذكرنا والله الموفق للصواب

﴿ذكر خلافة المطيع لله﴾

وبويع المطيع لله وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وقيل انه بويع فى جمادى الاولى من هذه السنة وغلب على الامر ابن بويه والمطيع فى يده لا أمر له ولا نهى ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر وقد كان أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد يدبر الامر بحضرة الديلمى فيما يأمر الوزارة برسم الكتبة ولم يخاطب بالوزارة الى أن استأمن الحسين بن على بن حمدان الى الجانب الغربى وخرج معه عند خروجه الى ناحية الموصل الى أن اتهمه بتغريته الاتراك عليه فسمل عينيه وقد قيل ان أبا الحسن محمد ابن على بن مقلة يعرض الكتب على الديلمى والمطيع ويتصرف برسم الكتبة لا برسم الوزارة فى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ولم نفرد بجوامع تاريخ المطيع بابا مفصلا عن أخباره كافرادنا لغيره
مما سلف ذكره فى هذا الكتاب لانا فى خلافته بعد (قال المسعودى) وقد كنا شرطنا فى صدر كتابنا هذا أن نذكر مقاتل آل

الصحراء وفي سنة ثمان وثلاثين توجه عبد المؤمن الى تلمسان فنازلها وضرب خيامه في جبل باعلاها ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد وكان بينهم مناوشة فبقوا كذلك الى سنة تسع وثلاثين فرحل عبد المؤمن عنها الى جبل تاجرة ووجه جيشا مع عمر الهنتاتي الى مدينة وهران فهاجمها بغتة وحصل هو وجيشه فيها فسمع بذلك تاشفين فسار اليها فخرج منها عمر ونزل تاشفين ظاهر وهران على البحر في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين فجاءت ليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة يعظمها أهل المغرب وبظاهر وهران ربوة مطلة على البحر وباعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون وهو موضع معظم عندهم فسار اليه تاشفين في نفر يسير من أصحابه متخفيا لم يعلم به الا النفر الذين معه وقصد التبرك بحضور ذلك الموضع مع أولئك الجماعة الصالحين فبلغ الخبر الى عمر بن يحيى الهنتاتي فسار لوقته بجميع عسكره الى ذلك المتعبد وأحاطوا به وملكوا الربوة فلما خاف تاشفين على نفسه ان يأخذوه ركب فرسه وحمل عليه الى جهة البحر فسقط من جرف عال على الحجارة فهلك ورفعت جثته على خشبة وقتل كل من كان معه وقيل ان تاشفين قصد حصنا هناك على رابية وله فيه بستان كبير فيه من كل الثمار فاتفق ان عمر الهنتاتي مقدم عسكر عبد المؤمن سير سرية الى ذلك الحصن يعلمهم بضعف من فيه ولم يعلموا ان تاشفين فيه فالقوا النار في بابه فاحترق فاراد تاشفين الهرب فركب فرسه فوثب الفرس من داخل الحصن الى خارج السور فسقط في النار وأخذ تاشفين فاعترف فارادوا حمله الى عبد المؤمن فمات في الحال لان رقبته كانت قد اندقت فصلب وقتل كل من معه وتفرق عسكره ولم يبق لهم جماعة وملك بعده أخوه اسحق بن علي ابن يوسف ولما قتل تاشفين أرسل عمر الى عبد المؤمن بالخبر فجاء من تاجرة في يومه بجميع عسكره وتفرق عسكر أمير المسلمين واحتمى بعضهم بمدينة وهران فلما وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف وقتل فيها ما لا يحصى ثم سار الى تلمسان وهما مدينتان بينهما شوط فرس احدهما تاجرت وبها عسكر المسلمين والآخر اقادير وهي بناء قديم فامتنعت اقادير وغلقت أبوابها وتأهب أهلها للقتال وأما تاجرت فكان فيها يحيى بن الصحراوية فهرب منها بعسكره الى مدينة فاس وجاء عبد المؤمن اليها فدخلها الموافرونها العسكر ولقيه أهلها بالخضوع والاستكانة فلم يقبل منهم ذلك وقتل أكثرهم ودخلها عسكره ورتب أمرها ورحل عنها وجعل على أقادير جيشا يحصرها وسار الى مدينة فاس سنة أربعين فنزل على جبل مطل عليها وحصرها تسعة أشهر وفيها يحيى بن الصحراوية وعسكره الذين فروا من تلمسان فلما طال مقام عبد المؤمن عمد الى نهر يدخل البلد فسكره بالاخشاب والتراب وغير ذلك فمنعه من دخول البلد وصار بحيرة تسير فيها السفن ثم هدم السكر فجاء الماء دفعة واحدة فخرب سور البلد وكل ما يجاور النهر من البلد وأراد عبد المؤمن ان يدخل البلد فقاتله أهله خارج السور فتعذر عليه ما قدره من دخوله وكان بفاس عبد الله بن خيار الجياني عاملا عليها وعلى جميع أعمالها فاتفق هو وجماعة من أعيان البلد وكاتبوا عبد المؤمن في طلب الامان لاهل فاس فاجابهم اليه ففتحوا له بابا من أبوابها فدخله عسكره وهرب يحيى بن الصحراوية وكان فتحها آخر سنة أربعين وخمسمائة وسار الى طنجة ورتب عبد المؤمن أمر مدينة فاس وأمر فنودي في أهلها من ترك عنده سلاحا وعدة قتال حل دمه فحمل كل من في البلد ما عندهم من سلاح اليه فأخذه منهم ثم رجع الى مكناسة ففعل باهلها مثل ذلك وقتل من بها من الفرسان والاجناد واما العسكر الذي كان على تلمسان فانهم قاتلوا أهلها ونصبوا المجانيق وابراج الخشب وزحفوا بالدبابات وكان المقدم على أهلها الفقيه عثمان فدام الحصار نحو سنة فلما اشتد الامر على أهل البلد اجتمع

أبي طالب ومن ظهر منهم في أيام بني أمية وبني العباس وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو ضرب ثم ذكرنا ما نأتي لذاكره من أخبارهم من قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (و بقي) علينا من ذلك ما لم نورده وقد ذكرناه في هذا الموضع وفاء بما تقدم من شرطنا في هذا الكتاب (فن) ذلك أنه قام بصعيد مصر أحمد بن عبد الله بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وذلك نحو سنة سبعين ومائتين وكان خروج ابن عبد الرحمن العمري على أحمد بن طولون بصعيد مصر وما كان من أمره الى أن قتل (ومن ذلك) ظهور ابن الرضا وهو محمد ابن جعفر بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في أعمال دمشق سنة ثلثمائة فكانت له مع أميرها أحمد ابن كيغلغ فقتل صبرا وقيل قتل في المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربي (وظهر) ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن علي بن محمد ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأخرج عنها المسودة وذلك في سنة احدى وثلثمائة وقد كان أقام في الديلم

جماعة

جماعة منهم وراسلوا الموحدين أصحاب عبد المؤمن بغير علم الفقيه عثمان وأدخلوهم البلد فلم يشعر أهله الا والسيف يأخذهم فقتل أكثر أهله وسبيت الذرية والحريم ونهب من الاموال ما لا يحصى ومن الجواهر ما لا تحد قيمته ومن لم يقتل بيع باوكس الاثمان وكان عدة القتلى مائة ألف قتيل وقيل ان عبد المؤمن هو الذي حصر تلمسان وسار منها الى فاس والله أعلم وسير عبد المؤمن سرية الى مكناسة فحصروها مدة ثم سلمها اليهم أهلها بالامان فوفوا لهم وسار عبد المؤمن من فاس الى مدينة سلا ففتحها وحضر عنده جماعة من أعيان سبتة فدخلوا في طاعته فاجابهم الى بذل الامان وكان ذلك سنة احدى وأربعين

﴿ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مراكش﴾

لما فرغ عبد المؤمن من فاس وتلك النواحي سار الى مراكش وهي كرسي مملكة الملثمين وهي من أكبر المدن وأعظمها وكان صاحبها حينئذ اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين وهو صبي فنازلها وكان نزوله عليها سنة احدى وأربعين فضرب خيامه في غربيها على جبل صغير وبنى عليه مدينة له ولعسكره وبنى بها جامعا وبنى له بناء عاليا يشرف منه على المدينة ويرى أحوال أهلها وأحوال المقاتلين من أصحابه وقاتلها قتالا كثيرا وأقام عليها أحد عشر شهرا فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد واشتد الجوع على أهله وتعذرت الاقوات عندهم ثم زحف اليهم يوما وجعل لهم كمينا وقال لهم اذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا وجلس هو بأعلى المنظرة التي بناها يشاهد القتال وتقدم عسكره وقاتلوا وصبروا ثم انهم انهزموا لاهل مراكش ليتبعوهم الى الكمين الذي لهم فتبعهم الملثمون الى ان وصلوا الى مدينة عبد المؤمن فهدموا أكثر سورها وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبل ليخرج الكمين فقال لهم اصبروا حتى يخرج كل طامع في البلد فلما خرج أكثر أهله أمر بالطبل فضرب وخرج الكمين عليهم ورجع المصامدة المنهزمون الى الملثمين فقتلوهم كيف شاؤا وعادت الهزيمة على الملثمين فمات في زحمة الابواب ما لا يحصيه الا الله سبحانه وكان شيوخ الملثمين يدبرون دولة اسحق بن علي بن يوسف لصغر سنه فاتفق ان انسانا من جملتهم يقال له عبد الله بن أبي بكر خرج الى عبد المؤمن مستأمنا وأطلعه على عوراتهم وضعفهم فقوى الطمع فيهم واشتد عليهم البلاء ونصب عليهم المنجنيقات والابراج وفنيت أقواتهم وأكلوا دوابهم ومات من العامة بالجوع ما يزيد على مائة ألف انسان فانتن البلد من ريح الموتى وكان بمراكش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدوا بهم فجاؤا اليهم نجدة فلما طال عليهم الامر راسلوا عبد المؤمن يسألون الامان فاجابهم اليه ففتحوا له بابا من أبواب البلد يقال له باب اغمات فدخلت عساكره بالسيف وملكوا المدينة عنوة وقتلوا من وجدوا ووصلوا الى دار أمير المسلمين فاخرجوا الامير اسحق وجميع من معه من أمراء المرابطين فقتلوا وجعل اسحق يرتعد رغبة في البقاء ويدعو لعبد المؤمن ويبكي فقام اليه الامير سير بن الحاج وكان الى جانبه مكتوفا فبزق في وجهه وقال تبكي على أبيك وأمك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين بدين فقام الموحدون اليه بالخشب فضربوه حتى قتلوه وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة وقدم اسحق على صغر سنه فضربت عنقه سنة اثنتين وأربعين وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرضت دولتهم وكانت مدة ملكهم سبعين سنة وولي منهم أربعة يوسف وعلي وتاشفين واسحق ولما فتح عبد المؤمن مراكش أقام بها واستوطنها واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فاكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها فلما كان بعد سبعة أيام أمر

والجبل سنين وهم جاهلية ومنهم مجوس فدعاهم الى الله تعالى فاستجابوا وأسلموا الا قليلا منهم في مواضع من بلاد الجبل والديلم في جبال شاهقة وقلاع وأودية ومواضع خشنة على الشرك الى هذه الغاية وبنى في بلادهم مساجد وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين وسالوس وغيرهما من بلاد طبرستان وقد كان بمدينة شالش حصن منيع وبنيان عظيم بنته ملوك فارس يسكن فيه الرجال المرابطون بازاء الديلم ثم جاء الاسلام فكان كذلك الى أن هدمه الاطروش والحسن بن القاسم الحسني الداعي وافى الري وذلك في سنة سبع عشرة وثلثمائة في جيوش كثيرة من الجبل والديلم ووجوههما فاخرج عساكر أحمد بن اسمعيل بن أحمد وصاحبه عنها واستولى عليها وعلى قزوين وزنجان وقم واغمار وغير ذلك مما اتصل بالري فكتب المقتدر كتابا الى نصر بن أحمد بن اسمعيل ابن أحمد صاحب خراسان ينكر عليه ذلك ويقول اني ضمنتك المال والدم فأهملت أمر الرعية وأضعفت البلد حتى دخلته المبيضة وألزمه اخراجهم عنه فوقع اختيار نصر صاحب خراسان على انفاذ رجل من أصحابه بالجبل يقال له اسفار بن شيرويه وأخرج معه ابن النساج وهو أمير من أمراء خراسان في جيش كثير ليحارب من مع الداعي وما كان بن كاكي من الديلم لما

بين الجبل والديلم من الضغائن والتنافر فسار اسفار بن شيرويه الجيلي فيمن معه من الجيوش الى حدود الري فكانت الوقعة

فنودي بأمان من بقي من أهلها فخرجوا فأراد أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع وأهل الاسواق من ننتفع به فتركوا وأمر باخراج القتلى من البلد فأخرجوهم وبنى بالقصر جامعا كبيرا وزخرفه فأحسن عمله وأمر بهدم الجامع الذي بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ولقد أساء يوسف بن تاشفين في فعله بالمعتمد بن عباد وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة أقبح مركب فلا جرم سلط الله عليه في أعقابه من اربى في الاخذ عليه وزاد فتبارك الحي الدائم الملك الذي لا يزول ملكه وهذه سنة الدنيا فأف لها ثم أف نسأل الله ان يختم أعمالنا بالحسنى ويجعل خير أيامنا يوم نلقاه بمحمد وآله

ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة

في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثمين الى دكالة فاجتمع اليه قبائلها وصاروا يغيرون على أعمال مراكش وعبد المؤمن لا يلتفت اليهم فلما كثر ذلك منهم سار اليهم سنة أربع وأربعين فلما سمعت دكالة بذلك انحشروا كلهم الى ساحل البحر في مائتي ألف راجل وعشرين ألف فارس وكانوا موصوفين بالشجاعة وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر وكان الموضع الذي فيه دكالة كثير الحجر والحزونة فكمنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن اذا سلكه فمن الاتفاق الحسن له انه قصدهم من غير الجهة التي فيها الكمناء فانحل عليهم ما قدروه وفارقوا ذلك الموضع فأخذهم السيف فدخلوا البحر فقتل أكثرهم وغنمت ابلهم وأغنامهم وأموالهم وسبي نساؤهم وذراريهم فبيعت الجارية الحسناء بدراهم يسيرة وعاد عبد المؤمن الى مراكش مظفرا منصورا وثبت ملكه وخافه الناس في جميع المغرب واذعنوا له بالطاعة

ذكر حصر مدينة كتندة

في هذه السنة يعني سنة أربع عشرة وخمسمائة خرج ملك من ملوك الفرنج بالاندلس يقال له ابن ردمير فسار حتى انتهى الى كتندة وهي بالقرب من مرسية في شرق الاندلس فحصرها وضيق على أهلها وكان أمير المسلمين علي بن يوسف حينئذ بقرطبة ومعه جيش كثير من المسلمين والاجناد المتطوعة فسيرهم الى ابن ردمير فالتقوا واقتتلوا أشد القتال فهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة وكثر القتل في المسلمين وكان فيمن قتل أبو عبد الله بن الفراء قاضي المرية وكان من العلماء العاملين والزهاد في الدنيا العادلين في القضاء

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كسر بلك بن ارتق عفراس الرومي وقتل من الروم خمسة آلاف رجل على قلعة سرمان من بلد ايدكان وأسر عفراس وكثيرا من عسكره وفيها أغار جوسلين الفرنجي صاحب الرها على جيوش العرب والتركمان وكانوا نازلين بصفين غربي الفرات وغنم من أموالهم وخيلهم ومواشيهم شيئا كثيرا ولما عاد خرب بزاعة وفيها انهزم أتابك طغتكين صاحب دمشق مدينة تدمر والشقيف وفيها أمر السلطان محمود الامير جيوش بك بالمسير الى حرب أخيه طغرل فسار اليه فسمع طغرل وأتابكه كنتغدي ذلك فسارا الى كنجة من بين يدي العسكر ولم يجر قتال وفيها في المحرم توفي خالصة الدولة أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب بن السيبي صاحب المخزن ببغداد وولي مكانه الكمال أبو الفتوح حمزة بن طلحة المعروف بابن البقشلام والد علم الدين الكاتب المعروف وفي

بين اسفار بن شيرويه الجيلي وبين ما كان بن كالي الديلمي فاستأمن أكثر أصحاب ما كان بن كالي الديلمي وقواده مثل مستر وتابعين وسليمان بن سلكه والاسكري ومرداد الاشكري وهشونه ابن أومكن في آخرين من قواد الجيلي فحمل عليهم ما كان في نفر يسير من غلمانه سبع عشرة حملة ومدت له عساكر خراسان ومن معه من الاتراك فولى ما كان ودخل بلاد طبرستان وانهزم الداعي بين يديه وما كان على حاميته فلحقته خيول خراسان والجبل والديلم والاتراك فيهم اسفار بن شيرويه ومضى ما كان لكثرة الخيول وانحاز الداعي وقد لحق بقرب بلاد طبرستان الى ناحية هنالك وقد تخلى عنه ما كان معه من الانصار فقتل هنالك ولحق ما كان بالديلم واستولى اسفار ابن شيرويه على بلاد طبرستان والري وجرجان وقزوين وزنجان وابهر وقم وهمذان والكرج ودعا لصاحب خراسان واستوثقت له الامور وعظمت جيوشه وكثرت عدته فتجبر وطغى وكان لا يدين بملة الاسلام وعصى صاحب خراسان وخالف عليه وأراد أن يعقد التاج على رأسه وينصب بالري سريرا من ذهب للملك ويتملك ما في يده مما قد ذكرنا من

جمادى

البلاد ويحارب السلطان وصاحب خراسان فسير المقتدر هرون بن غريب في الحال نحو قزوين فكانت له معه حروب

جمادى الاولى منها توفي أبو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري الامام ابن الامام وكان أخذ العلم من قرابته والطريقة أيضا ثم استفاد أيضا من امام الحرمين أبي المعالي الجويني وسمع الحديث من جماعة ورواه وكان حسن الوعظ سريع الخاطر ولما توفي جلس الناس في البلاد البعيدة للعزاء به حتى في بغداد برباط شيخ الشيوخ

ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة

ذكر اقطاع البرسقي الموصل

في هذه السنة في صفر أقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها وما ينضاف اليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الامير آقسنقر البرسقي وسبب ذلك أنه كان في خدمة السلطان محمود ناصحا له ملازما له في حروبه كلها وكان له الاثر الحسن في الحرب المذكورة بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود وهو الذي أحضر الملك مسعودا عند أخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولى عليها البرسقي وتقدم الى سائر الامراء بطاعته وأمره بمجاهدة الفرنج وأخذ البلاد منهم فسار اليها في عسكر كثير وملكها وأقام يدبر أمورها ويصلح أحوالها

ذكر وفاة الامير علي وولاية ابنه الحسن افريقية

في هذه السنة توفي الامير علي بن يحيى بن تميم صاحب افريقية في العشر الاخير من ربيع الآخر وكان مولده بالمهدية وقد تقدم من حروبه وأعماله ما يستدل به على علو همته ولما توفي ولي الملك بعده ابنه الحسن بعهد أبيه وقام بأمر دولته صندل الخصي لانه كان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة لا يستقل بتدبير الملك فقام صندل في الحفظ والاحتياط فلم تطل أيامه حتى توفي فوقع الاختلاف بين أصحابه وقواده كل منهم يقول أنا المقدم على الجميع وبيدي الحل والشد فلم يزالوا كذلك الى ان فوض أمور دولته الى قائد من أصحاب أبيه يقال له أبو عزيز بن موفق فصلحت الامور

ذكر قتل أمير الجيوش

في هذه السنة في الثالث والعشرين من رمضان قتل أمير الجيوش الافضل بن بدر الجمالي وهو صاحب الامر والحكم بمصر وكان ركب الى خزانة السلاح ليفرق على الاجناد على جاري العادة في الاعياد فسار معه عالم كثير من الرجالة والخيالة فتأذى بالغبار فأمر بالبعد عنه وسار منفردا معه رجلان فصادفه رجلان بسوق الصياقلة فضرباه بالسكاكين فجرحاه وجاء الثالث من ورائه فضربه بسكين في خاصرته فسقط عن دابته ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة وحملوه الى دار الافضل فدخل عليه الخليفة وتوجع له وسأله عن الاموال فقال اما الظاهر منها فأبو الحسن بن أسامة الكاتب يعرفه وكان من أهل حلب وتولى أبوه قضاء القاهرة وأما الباطن فابن البطائحي يعرفه فقال الاصدق فلما توفي الافضل نقل من أمواله ما لا يعلمه الا الله تعالى وبقي الخليفة في داره نحو أربعين يوما والكتاب بين يديه والدواب تحمل وتنقل ليلا ونهارا ووجد له من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة القليلة الوجود ما لا يوجد مثله لغيره واعتقل أولاده وكان عمره سبعا وخمسين سنة وكانت ولايته بعد أبيه ثمانية وعشرين سنة منها آخر أيام المستنصر وجميع أيام المستعلي الى هذه السنة من أيام الآمر وكان الاسماعيلية يكرهونه لاسباب منها تضييقه على امامهم وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم ومنها تركه معارضة أهل السنة في اعتقادهم والنهي عن معارضتهم واذنه للناس في اظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباء ببلاد

فانكشف هرون وقتل من أصحابه خلق كثير وذلك بباب قزوين وقد كان أصحاب قزوين عاونوا أصحاب السلطان فقتلوا منهم عدة فكانت لهم بعد هزيمة هرون بن غريب مع الديلم حروب وسار اليهم اسفار بن شيرويه فأتى على خلق عظيم بها وملك القلعة التي في وسط قزوين وتدعى بالفارسية مكثرين وهو الحصن الذي كان للمدينة أولا في نهاية المنعة مما كانت الفرس جعلته ثغرا بازاء الديلم وشحنته بالرجال لان الديلم والجبل منذ كانوا لم ينقادوا الى ملة ولا استحبوا شرعا ثم جاء الاسلام وفتح الله على المسلمين البلاد فجعلت قزوين للديلم ثغرا هي وغيرها مما أطاف ببلاد الديلم والجبل وقصدها المطوعة والغزاة فرابطوا وغزوا ونفروا منها الى ان كان من أمر الحسن بن علي العلوي الداعي والاطروش واسلام من ذكرنا من ملوك الجيل والديلم على يديه ما تقدم ذكره في صدر هذا الباب من خبره والآن فقد فسدت مذاهبهم وتغيرت آراؤهم وألحد أكثرهم

 وقد كان قبل ذلك جماعة من ملوك الديلم ورؤسائهم يدخلون في الاسلام وينصرون من

مصر وكان حسن السيرة عادلا حكي انه لما قتل وظهر الظلم بعده اجتمع جماعة واستغاثوا الى الخليفة وكان من جملة قولهم انهم لعنوا الافضل فسألهم عن سبب لعنهم اياه فقالوا انه عدل وأحسن السيرة ففارقنا بلادنا وأوطاننا وقصدنا بلده لعدله فقد أصابنا بعده هذا الظلم فهو كان سبب ظلمنا فأحسن الخليفة اليهم وأمر بالاحسان الى الناس ومنها ان صاحبه الآمر بأحكام الله صاحب مصر وضع عليه وسبب ذلك ما ذكرناه قبل ففسد الامر بينهما فاراد الآمر ان يضع عليه من يقتله اذا دخل عليه قصره للسلام أو في أيام الاعياد فنعه من ذلك ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد وهو الذي ولي الامر بعده بمصر وقال له في هذا الفعل شناعة وسوء سمعة لانه قد خدم دولتنا هو وأبوه خمسين سنة ولم يعلم الناس منهم الا النصح لنا والمحبة لدولتنا وقد سار ذلك في أقطار البلاد فلا يجوز ان يظهر منا هذه المكافأة الشنيعة ومع هذا فلا بد وان نقيم غيره مكانه ونعتمد عليه في منصبه فيتمكن مثله أوما يقاربه فيخاف ان نفعل به مثل فعلنا بهذا فيحذر من الدخول الينا خوفا على نفسه وان دخل علينا كان خائفا مستعدا للامتناع وفي هذا الفعل منهم ما يسقط المنزلة والرأى ان تراسل أبا عبد الله بن البطائحي فانه الغالب على أمر الافضل والمطلع على سره وتعده ان توليه منصبه وتطلب منه ان يدبر الامر في قتله لمن يقاتله اذا ركب فاذا ظفرنا بمن قتله قتلناه وأظهرنا الطلب بدمه والحزن عليه فنبلغ غرضنا ويزول عنا قبح الاحدوثة ففعلوا ذلك فقتل كما ذكرناه ولما قتل ولي بعده أبو عبد الله بن البطائحي الامر ولقب المأمون وتحكم في الدولة فبقي كذلك حاكما في البلاد الى سنة تسع عشرة فصلب كما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عصيان سليمان بن ايلغازي على أبيه)

في هذه السنة عصى سليمان بن ايلغازي بن ارتق على أبيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة حمله على ذلك جماعة ممن عنده فسمع والده الخبر فسار مجدا الوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذرا فأمسك عنه وقبض على من كان أشار عليه بذلك منهم أمير كان قد التقطه ارتق والد ايلغازي ورباه اسمه ناصر فقلع عينيه وقطع لسانه ومنهم انسان من أهل حماه من بيت قرناص كان قد قدمه ايلغازي على أهل حلب وجعل اليه الرياسة فجازاه بذلك وقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فمات وأحضر ولده وهو سكران فأراد قتله فنعه رقة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق فأرسل طغتكين يشفع فيه فلم يجبه الى ذلك واستناب بحلب سليمان بن أخيه عبد الجبار بن ارتق ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين

(ذكر اقطاع ميافارقين ايلغازي)

في هذه السنة أقطع السلطان محمود مدينة ميافارقين للامير ايلغازي وسبب ذلك انه أرسل ولده حسام الدين تمرتاش وعمره سبع عشرة سنة الى السلطان ليشفع في دبيس بن صدقة ويبذل عنه الطاعة وحمل الاموال والخيل وغيرها وان يضمن الحلة كل يوم بألف دينار وفرس وكان المتحدث عنه القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي بن القاسم ابن الشهرزوري فتردد الخطاب في ذلك ولم ينفصل حال فلما أراد العود أقطع السلطان أباه مدينة ميافارقين وكانت مع الامير سكمان صاحب خلاط فتسلمها ايلغازي وبقيت في يده ويد أولاده الى ان ملكها صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثمانين وخمسمائة وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى

(ذكر حصر بلك بن بهرام الرها وأسر صاحبها)

ظهر ببلاد طبرستان من آل أبي طالب مثل الحسن بن محمد بن زيد الحسيني وخرّب أسفار بن شيرويه قزوين لما كان من فعل أهلها ومعاونتهم أصحاب السلطان على رجاله وقلع أبوابها وسبا وأباح الفروج وسمع المؤذن يؤذن على صومعة الجامع فأمر أن ينكس منها على أم رأسه وخرّب المساجد ومنع الصلوات فاستغاث الناس في المساجد في أمصار المشرق واستفحل أمره وسار صاحب خراسان يريد الري لحرب أسفار بن شيرويه في عساكره وانفصل عن مدينة بخارى وهي دار مملكة صاحب خراسان في هذا الوقت وعبر نهر بلخ فنزل مدينة نيسابور وسار اسفار بن شيرويه الى الري وجمع عساكره وضم اليه رجاله من الاطراف وعزم على محاربة صاحب خراسان فأشار عليه وزيره وهو مطرف الجرجاني وكان يخاطب بالوزير الرئيس أن يلاطف صاحب خراسان ويراسله ويطمعه في المال واقامة الدعوة فان الحرب تارات وأوقاتها سجال والانفاق عليها من رأس المال فان جنح الى ما دعوته وراسلته به والا فالحرب بين يديك لان من معك من الاتراك أكثر فرسان خراسان انما هم رجاله وانما قد تملكتهم بالاحسان اليهم ولا يدري عليه اذا قرب منك صار وامع صاحبهم فقبل قوله وأمر

في

في هذه السنة سار بلك بن بهرام ولد أخي ايلغازي الى مدينة الرها فحصرها وبها الفرنج وبقي على حصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها فجاءه انسان تركماني وأعلمه ان جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع من عنده من الفرنج وهو عازم على كبسه وكان قد تفرق عن بلك أصحابه وبقي في أربعمائة فارس فوقف مستعدا لقتالهم وأقبل الفرنج فمن لطف الله تعالى بالمسلمين ان الفرنج وصلوا الى أرض قد نضب عنها الماء فصارت وحلا فغاصت خيولهم فيه فلم تتمكن مع ثقل السلاح والفرسان من الاسراع والجري فرماهم أصحاب بلك بالنشاب فلم يفلت منهم أحد وأسر جوسلين وجعل في جلد جمل وخيط عليه وطلب منه ان يسلم الرها فلم يفعل وبذل في فداء نفسه أموالا جزيلة واسرى كثيرة فلم يجبه الى ذلك وحمله الى قلعة خرتبرت فسجنه بها وأسر معه ابن خالته واسمه كليام وكان من شياطين الكفار وأسر أيضا جماعة من فرسانه المشهورين فسجنهم معه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفيت جدة السلطان محمود لابيه وهي والدة السلطان سنجر وكانت تركية تعرف بخاتون السفرية وكان موتها بمرو فجلس محمود ببغداد للعزاء بها وكان عزاء لم يشاهد مثله الناس وفيها توفي الخطير محمد بن الحسين الميبذي ببلاد فارس وهو في وزارة الملك سلجوق ابن السلطان محمد وكان قديما وزر للسلطانين بركيارق ومحمد وكان جوادا حليما سمع ان الابيوردي هجاه فلما سمع الهجو مضه فعض على ابهامه وصفح عنه وخلع عليه ووصله وفيها توفي الشهاب أبو المحاسن عبد الرزاق بن عبد الله وزير السلطان سنجر وهو ابن أخي نظام الملك وكان يتفقه قديما على امام الحرمين الجويني فكان يفتي ويوقع ووزر بعده أبو طاهر سعد بن علي بن عيسى القمي وتوفي بعد شهور فوزر بعده عثمان القمي وفيها في جمادى الاولى أوقع أتابك طغتكين بطائفة من الفرنج فقتل منهم وأسر وأرسل من الاسرى والغنيمة للسلطان وللخليفة وفيها انصدع الركن اليماني من البيت الحرام زاده الله شرفا من زلزلة وانهدم بعضه وتشعث بعض حرم النبي صلى الله عليه وسلم وتشعث غيره من البلاد وكان بالموصل كثير منها وفيها احترقت دار السلطان كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمد ففرغت قبل وفاته بيسير فلما كان الآن احترقت وسبب الحريق ان جارية كانت تختضب ليلا فاسندت شمعة الى الخيش فاحترق وعلقت النار منه في الدار واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجر ما لا حد عليه من الجواهر والحلي والفرش والثياب وأقيم الغسالون يخلصون الذهب وما أمكن تخليصه وكان الجوهر جميعه قد هلك الا الياقوت الاحمر وترك السلطان الدار لم تجدد عمارتها وتطير منها لان أباه لم يتمتع بها ثم احترق فيها من أموالهم الشئ العظيم واحترق قبلها باسبوع جامع أصبهان وهو من أعظم الجوامع وأحسنها أحرقه قوم من الباطنية ليلا وكان السلطان قد عزم على أخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق باشارة الوزير السميرمي عليه بذلك فتجدد من هذين الحريقين ما هاله واتعظ فاعرض عنه وفيها في ربيع الآخر انقض كوكب عشاء وصار له نور عظيم وتفرق منه أعمدة عند انقضاضه وسمع عند ذلك صوت هدة عظيمة كالزلزلة وفيها ظهر بمكة انسان علوي وأمر بالمعروف فكثر جمعه ونازع أمير مكة ابن أبي هاشم وقوي أمره وعزم على ان يخطب لنفسه فعاد ابن أبي هاشم وظفر به ونفاه عن الحجاز الى البحرين وكان هذا العلوي من فقهاء النظامية ببغداد وفيها ألزم السلطان أهل الذمة ببغداد بالغيار فجرى فيه مراجعات انتهت الى ان قرر عليهم للسلطان عشرون ألف دينار وللخليفة أربعة آلاف دينار وفيها حضر السلطان محمود وأخوه

بمكاتبته فلما وردت الكتب على صاحب خراسان أبى أن يقبل شيأ من ذلك وعزم على المسير اليه فأشار عليه وزيره أن يقبل منه وأن يرضى منه بما يحمل من الاموال واقامة الدعوة فان الحرب عثراتها الاتقال ولا يدري الى ما تؤول لان الرجل قوي بالمال والرجال فان هزم لم يكن في ذلك كبير فتح اذ كان رجلا من رجالك انتدبته لحرب عدوك وضممت اليه عساكرك وغلمانك فخالف عليك وان كانت وعائذ بالله عليك لم تستقل من ذلك فشاور صاحب خراسان ذوي الرأي من قواده وأصحابه فيما قال وزيره فسددوا رأيه وصوبوا قوله فجنح الى قولهم وما أشير عليه فأجاب اسفار بن شيرويه الى ما سأل وأعطاه ما طلب من عد شروط اشترطها عليه من حمل أموال وغير ذلك فلما ورد الكتاب على اسفار بن شيرويه قال لوزيره هذه أموال عظيمة قد اشترط علينا حملها ولا سبيل الى اخراجها من بيت المال فالواجب أن نستفتح خراج هذه البلاد فقال له وزيره ان في استفتاح الخراج في غير وقته مضرة على أرباب الضياع وخراب البلاد وخللا لكثير من أهل الخراج قبل ادراك غلاتهم قال له اسفار فما الوجه قال الوزير الخراج انما يخص بعض الناس من أرباب الضياع خاصة وههنا وجه يعم سائر الناس من أرباب الضياع وغيرهم من المسلمين وسائر

الملك مسعود عند الخليفة فخلع عليهما وعلى جماعة من أصحاب السلطان منهم وزيره أبو طالب السميرمى وشمس الملك عثمان بن نظام الملك والوزير أبو نصر أحمد بن محمد بن حامد المستوفى وعلى غيرهم من الامراء وفيها فى ذى القعدة وهو الحادى والعشرون من كانون الثانى سقط بالعراق جميعه من البصرة الى تكريت ثلج كثير وبقى على الارض خمسة عشر يوما وسمكه ذراع وهلكت أشجار النارنج والاترج والليمون فقال فيه بعض الشعراء

يا صدور الزمان ليس بوفر * ما رأيناه فى نواحى العراق
انما عم ظلمكم سائر الخلق فشابت ذوائب الآفاق

وفيها هبت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيام فاهلكت كثيرا من الناس وغيرهم من الحيوانات وفيها توفى أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى صاحب المقامات المشهورة وهزارسب بن عوض الهروى وكان قد سمع الحديث كثيرا

﴿ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر طاعة الملك طغرل لاخيه السلطان محمود﴾

وفى المحرم من هذه السنة اطاع الملك طغرل أخاه السلطان محمودا وكان قد خرج عن طاعته كما ذكرناه وقصد اذربيجان فى السنة الخالية ليتغلب عليها وكان اتابكه كنتغدى يحسن له ذلك ويقويه عليه فاتفق انه مرض وتوفى فى شوال سنة خمس عشرة وكان الامير آقسنقر الاحمديلى صاحب مراغة عند السلطان محمود ببغداد فاستأذنه فى المضى الى اقطاعه فاذن له فلما سار عن السلطان ظن انه يقوم مقام كنتغدى من الملك طغرل فسار اليه واجتمع به وأشار عليه بالمكاشفة لاخيه السلطان محمود وقال له اذا وصلت الى مراغة اتصل بك عشرة آلاف فارس وراجل فسار معه فلما وصلوا الى أردبيل أغلقت أبوابها دونهم فساروا عنها الى قريب تبريز فأتاهم الخبران السلطان محمود اسير الامير جيوش بك الى أذربيجان واقطعه البلاد وانه نزل مراغة فى عسكر كثيف من عند السلطان فلما تيقنوا ذلك عدلوا الى خونج وانتقض عليهم ما كانوا فيه وراسلوا الامير شيركير الذى كان أتابك طغرل أيام أبيه يدعونه الى انجادهم وقد كان كنتغدى قبض عليه بعد موت السلطان محمد على ما ذكرناه ثم أطلقه السلطان سنجر فعاد الى اقطاعه ابهر وزنجان وكاتبوه فأجابهم واتصل بهم وسار معهم الى ابهر فلم يتم لهم ما أرادوا فراسلوا السلطان بالطاعة فاجابهم الى ذلك فاستقرت القاعدة أول هذه السنة وتمت

﴿ذكر حال دبيس بن صدقة وما كان منه﴾

قد ذكرنا سنة أربع عشرة حال دبيس بن صدقة وصلحه على يد برنقش الزكوى ومقامه بالحلة وعود برنقش الى السلطان ومعه منصور بن صدقة أخو دبيس وولده رهينة فلما علم الخليفة بذلك لم يرض به وراسل السلطان محمودا فى ابعاد دبيس عن العراق الى بعض النواحى وتردد الخطاب فى ذلك وعزم السلطان على المسير الى همذان فاعاد الخليفة الشكوى من دبيس وذكر انه يطالب الناس بحقوده منها قتل أبيه وأن يحضر السلطان آقسنقر البرسقى من الموصل ويوليه شحنكية بغداد والعراق ويجعله فى وجه دبيس ففعل السلطان ذلك وأحضر البرسقى فلما وصل اليه زوجه والدة الملك مسعود وجعله شحنة بغداد وأمره بقتال دبيس ان تعرض الى البلاد وسار السلطان عن بغداد فى صفر من هذه السنة وكان مقامه ببغداد سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما فلما فارق بغداد والعراق تظاهر دبيس بأمور تأثر بها المسترشد بالله وتقدم الى البرسقى

بالمسير اليه وازعاجه عن الحلة فارسل البرسقى الى الموصل وأحضر عساكره وسار الى الحلة وأقبل دبيس نحوه فالتقوا عند نهر بشير شرقى الفرات واقتتلوا فانهزم عسكر البرسقى وكان سبب الهزيمة انه رأى فى ميسرته خللا وبها الامراء البكجية فامر بالقاء خيمته وان تنصب عند الميسرة ليقوى قلوب من بها فلما رأوا الخيمة وقد سقطت ظنوها عن هزيمة فانهزموا وتبعهم الناس والبرسقى وقيل بل أعطى رقعة فيها ان جماعة من الامراء منهم اسمعيل البكجى يريدون الفتك به فانهزم وتبعه العسكر ودخل بغداد ثانى ربيع الآخر وكان فى جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذب الدولة أحمد بن أبى الجبر وكان ناظرا بالبطيحة لريحان محكويه خادم السلطان لانها كانت من جملة اقطاعه وحضر أيضا المظفر بن حماد بن أبى الجبر وبينهما عداوة شديدة فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك فقتله المظفر ومضى الى واسط مختفيا وسار منها الى البطيحة وتغلب عليها وكاتب دبيسا وأطاعه وأما دبيس فانه لم يعرض لنهر ملك ولا غيره وأرسل الى الخليفة انه على الطاعة ولولا ذلك لاخذ البرسقى وجميع من معه وسأل ان يخرج الناظر الى القرى التى لخاص الخليفة لقبض دخلها وكانت الوقعة فى حزيران وحمى البلد فاحمد الخليفة فعله وترددت الرسل بينهما فاستقرت القاعدة ان يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين أبى على بن صدقة ليعود الى الطاعة فقبض على الوزير ونهبت داره ودور أصحابه والمنتمين اليه وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضا الى الموصل ولما سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة أخى دبيس وولده ورفعهما الى قلعة برجين وهى تجاور كرج ثم ان دبيسا أمر جماعة من أصحابه بالمسير الى اقطاعهم بواسط فساروا اليها فمنعهم اتراك واسط فجهز دبيس اليهم عسكرا مقدمهم مهلهل ابن أبى العسكر وأرسل الى المظفر بن أبى الجبر بالبطيحة ليتفق مع مهلهل ويساعده على قتال الواسطيين فاتفقا على ان تكون الوقعة تاسع رجب وأرسل الواسطيون الى البرسقى يطلبون منه المدد فامدهم بجيش من عنده وعجل مهلهل فى عسكر دبيس ولم ينتظر المظفر ظنا منه انه بمفرده ينال منهم ما أراد وينفرد بالفتح فالتقى هو والواسطيون ثامن رجب فانهزم مهلهل وعسكره وظفر الواسطيون وأخذ مهلهل أسيرا وجماعة من أعيان العسكر وقتل ما يزيد على ألف قتيل ولم يقتل من الواسطيين غير رجل واحد وأما المظفر بن أبى الجبر فانه أصعد من البطيحة ونهب وافسد وجرى من أصحابه القبيح فلما قارب واسطا سمع بالهزيمة فعاد منحدرا وكان فى جملة ما أخذ العسكر الواسطى من مهلهل تذكرة بخط دبيس يأمره فيها بقبض المظفر بن أبى الجبر ومطالبته باموال كثيرة أخذها من البطيحة فارسلوا الخط الى المظفر وقالوا هذا خط الذى تختاره وقد اسخط الله تعالى والخلق كلهم لاجله فمال اليهم وصار معهم فلما جرى على أصحاب دبيس من الواسطيين ما ذكرناه شمر عن ساعده فى الشر وبلغه ان السلطان كحل أخاه فجز شعره ولبس السواد ونهب البلاد وأخذ كل ما للخليفة بنهر ملك فاجلى الناس الى بغداد وسار عسكر واسط الى النعمانية فاجلوا عنها عسكر دبيس واستولوا عليها وجرى بينهم هنالك وقعة كان الظفر للواسطيين وتقدم الخليفة الى البرسقى بالتبريز الى حرب دبيس فبرز فى رمضان وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر قتل السميرمى﴾

وفى هذه السنة قتل الوزير الكمال أبو طالب السميرمى وزير السلطان محمود سلخ صفر وكان قد برز مع السلطان ليسير الى همذان فدخل الحمام وخرج بين يديه الرجالة والخيالة وهو فى موكب عظيم فاجتاز بسوق المدرسة التى بناها خمارتكين التتشى واجتاز فى منفذ ضيق فيه حظائر

المال من أهل هذه البلاد وغيرهم من الغرباء من غير ضرر عليهم ولا كثير مؤونة بل اعطاء شيء يسير وهو أن تجعل على كل رأس دينارا فيكون فى ذلك ما اشترط علينا من المال وزيادة عليه كثيرة فأمره اسفار بذلك فكتب أهل الاسواق والمحال من المسلمين وأهل الذمة حتى استوفى الاحصاء الى من فى الفنادق والخانات من الغرباء من التجار وغيرهم وحشر الناس الى دار الخراج بالرى وسائر أعمالها فطولبوا بهذه الجزية فمن أدى كتب له براءة بالاداء مختومة على حسب ما تكتب براءة أهل الذمة عند أدائهم الجزية فى سائر الامصار فأخبرنى جماعة من أهل الرى وغيرهم ممن طرأ عليهم من الغرباء والتجار والكتاب وغيرهم وأنا يومئذ بالاهواز وفارس أنهم أدوا هذه الجزية وأخذوا هذه البراءة بادائها فاجتمع من ذلك أموال عظيمة حمل منها ما اشترط حمله وكان الباقى من ذلك ألف ألف دينار ونيفا وقيل أضعاف ما ذكرنا على حسب الخلائق الذين بالرى وأعمالها ورجع صاحب خراسان الى بخارى وعظم أمر اسفار على خلاف ما عهد وبعث برجل من أصحابه يقال له مرداويج ابن زياد الى ملك من ملوك الديلم مما يلى قزوين وهو صاحب الطرم من أرض الديلم وهو ابن أسوار المعروف بالمسير بسلام الذى ولده فى هذا الوقت صاحب أذربيجان وغيرها ليأخذ عليه البيعة لاسفار بن شيرويه والعهد والدخول فى طاعته فسار مرداويج الى سلام فتشاكيا ما نزل بالاسلام من اسفار بن شيرويه واخرابه البلاد وقتله الرعية وتركه العمارة والنظر فى عواقب الامور فتحالفا وتعاقدا على التظافر على اسفار والتعاون على حربه وقد كان اسفار سار فى عساكره الى قزوين وقرب من نحو الديلم من أرض الطرم من مملكة ابن اسوار منتظرا لصاحبه مرداويج بن زياد وانه ان لم ينقد ابن اسوار الى طاعته ورجع اليه رسوله بما لا يحب وطئ بلاده وسلام هذا هو خال على بن دهشوذان المعروف بابن حسان ملك آخر من ملوك الديلم وهو الذى قتل بالرى قتله ابن اسوار هذا فى خبر يطول ذكره فلما قرب مرداويج من عساكر اسفار راسل قواده وكاتبهم فى معاونته على الفتك باسفار وأعلمهم مظافرة سلام عليه وقد كان القواد وسائر أصحابه سئموا وملوا دولته وكرهوا سيرته فأجابوا مرداويج الى ذلك فلما دنا من الجيش استشعر اسفار بن شيرويه البلاء وعلم توجه الحيلة عليه وان لا ناصر له من أصحابه ولا غيرهم لما تقدم من سوء سيرته فهرب فى نفر من غلمانه فوافى مرداويج وقد فاته اسفار فاستولى على الجيش وحاز الخزائن والاموال وأحضر

الشوك فتقدم أصحابه لضيق الموضع فوثب عليه باطني وضربه بسكين فوقعت في البغلة وهرب الى دجلة وتبعه الغلمان فخلا الموضع فظهر رجل آخر فضربه بسكين في خاصرته وجذبه عن البغلة الى الارض وضربه عدة ضربات وعاد أصحاب الوزير فحمل عليهم رجلان باطنيان فانهزموا منهما ثم عادوا وقد ذبح الوزير مثل الشاة فحمل قتيلا وبه نيف وثلاثون جراحة وقتل قاتلوه ولما كان في الحمام كان المنجمون يأخذون له الطالع ليخرج فقالوا هذا وقت جيد وان تأخرت يفوت طالع السعد فاسرع وركب وأراد ان يأكل طعاما فمنعوه لاجل الطالع فقتل ولم ينفعه قولهم وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر وانتهب ماله وأخذ السلطان خزانته ووزر بعده شمس الملك بن نظام الملك وكانت زوجة السميرمي قد خرجت هذا اليوم في موكب كبير معها نحو مائة جارية وجمع من الخدم والجميع بمراكب الذهب فلما سمعن بقتله عدن حافيات حاسرات وقد تبدلن بالعز هوانا وبالمسرة أحزانا فسبحان من لا يزول ملكه وكان السميرمي ظالما كثير المصادرة للناس سيء السيرة فلما قتل أطلق السلطان ما كان جدده من المكوس وما وضعه على التجار والباعة

(ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة على بن طراد)

في جمادى الاولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة وقد تقدم ذكره قبل واقيم نقيب النقباء شرف الدين على بن طراد الزينبي في نيابة الوزارة فارسل السلطان الى المسترشد بالله في معنى وزارة نظام الملك أبي نصر أحمد بن نظام الملك وكان أخا شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود فاجيب الى ذلك واستوزر في شعبان وكان قد وزر للسلطان محمد سنة خمسمائة ثم عزل ولزم دارا استجدها ببغداد الى الآن فلما خلع على نظام الملك وجلس في الديوان طلب ان يخرج ابن صدقة عن بغداد فلما علم ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة ان يسير الى حديثة عانة ليكون عند الامير سليمان بن مهارش فأجيب الى ما طلب وسار الى الحديثة فخرج عليه في الطريق انسان من مفسدي التركمان يقال له يونس الحرامي فاسره ونهب أصحابه فخاف الوزير ان يعلم دبيس فارسل الى يونس وبذل له مالا يأخذه منه للعداوة التي بينهما فقرر أمره مع يونس على ألف دينار يعجل منها ثلثمائة ويؤخر الباقي الى ان يرسله من الحديثة وراسل عامل بلد الفرات في تخليصه وانفاذ من يضمن الباقي الذي عليه فاعمل العامل الحيلة في ذلك فاحضر انسانا فلاحا وألبسه ثيابا فاخرة وطيلسانا وأركبه وسير معه غلمانا وأمره ان يمضي الى يونس ويدعي انه قاضي بلد الفرات ويضمن الوزير منه بما بقي من المال فسار السوادي الى يونس فلما حضر عند الوزير ويونس احترماه وضمن السوادي الوزير منه وقال له أقم عندك الى ان يصل المال مع صاحب لك تنفذه مع الوزير فاعتقد يونس صدق ذلك وأطلق الوزير ومعه جماعة من أصحابه فلما وصل الحديثة قبض على من معه منهم فاطلق يونس ذلك السوادي والمال الذي أخذه حتى أطلق الوزير أصحابه وعلم الحيلة التي تمت عليه ولما سار الوزير من عند يونس لقي انسانا أنكره فاخذه فرأى معه كتابا من دبيس الى يونس يبذل ستة آلاف دينار ليسلم الوزير اليه وكان خلاصه من أعجب الاشياء

(ذكر قتل جيوش بك)

في هذه السنة قتل الامير جيوش بك الذي كان صاحب الموصل وقد ذكرنا خروجه على السلطان محمود وعوده الى خدمته فلما رضي عنه أقطعه أذربيجان وجعله مقدم عسكره فجرى بينه وبين

وزير اسفار المعروف بطرف الجرجاني فاستخرج منه الاموال وأخذ البيعة على القواد والرجال وفرق فيهم الاموال من الارزاق والجوائز وزاد في ارزاقهم وأحسن اليهم بما لم يكونوا يعرفونه من اسفار ومضى اسفار الى نحو مدينة السارية من بلاد طبرستان فلم يجد له ملجأ يقصده وحار في أمره فرجع يريد قلعة من قلاع الديلم منيعة تعرف بقلعة ألموت وكان فيها شيخ من شيوخ الديلم يعرف بأبي موسى مع عدة من الرجال قبله ذخائر اسفار ابن شيرويه من خزائنه وأمواله وكان مرداويج لما توجه له ذلك وملك الجيش والاموال خرج يتصيد على أميال من قزوين نحو الطريق الذي سلكه اسفار ليستعلم أمره وأي البلاد سلك والى أي القلاع لجأ فمال الى القلعة فنظر الى خيل يسيرة في بعض الاودية فاسرع أصحابه نحوها ليأخذوا خبرها فوجدوا اسفار بن شيرويه في عدة يسيرة من غلمانه يؤم القلعة ليأخذ ماله فيها من الاموال ويجمع الرجال والديلم والجبل ويعود الى حرب مرداويج ابن زياد فأتي عليه مرداويج فلما وقعت عينه عليه نزل فذبحه من ساعته وأقبل رجال الديلم والجبل نحو مرداويج لما ظهر من بذله واحسانه الى جنده وتسامع الناس بادراره الارزاق على جنده فقصدوه من سائر الامصار فعظمت عساكره

جماعة

جماعة من الامراء منافرة ومنازعات فاغروا به السلطان فقتله في رمضان على باب تبريز وكان تركيا من مماليك السلطان محمد عادلا حسن السيرة ولما ولي الموصل والجزيرة كان الاكراد بتلك الاعمال قد انتشروا وكثر فسادهم وكثرت قلاعهم والناس معهم في ضيق والطريق خائفة فقصدهم وحصر قلاعهم وفتح كثيرا منها ببلد الهكارية وبلد الزوزان وبلد البشنوية وخافه الاكراد وتولى قصدهم بنفسه فهربوا منه في الجبال والشعاب والمضايق وأمنت الطرق وانتشر الناس واطمأنوا وبقي الاكراد لا يجسرون أن يحملوا السلاح لهيبته

(ذكر وفاة ايلغازي وأحوال حلب بعده)

في هذه السنة في شهر رمضان توفي ايلغازي بن ارتق بميافارقين وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين وملك ابنه سليمان ميافارقين وكان بحلب ابن أخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار ابن ارتق فبقي بها الى ان أخذها ابن عمه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة أقطع السلطان محمود الامير آقسنقر البرسقي مدينة واسط وأعمالها مضافا الى ولاية الموصل وغيرها مما بيده وشحنكية العراق فلما أقطعها البرسقي سير اليها عماد الدين زنكي ابن آقسنقر الذي كان والده صاحب حلب وأمره بحمايتها فسار اليها في شعبان وليها وقد ذكرنا اخبار زنكي في كتاب الباهر في ذكر ملكه وملك أولاده الذين هم ملوكنا الآن فينظر منه وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريبا من قلعة ذي القرنين وفيها زاد الفرات زيادة عظيمة لم يعهد مثلها فدخل الماء الى ربض قلعة جعبر وكان الفرات حينئذ بالقرب منها فغرق أكثر دوره ومساكنه وحمل فرسا من الربض وألقاه من فوق السور الى الفرات وفيها بنيت مدرسة بحلب لاصحاب الشافعي وفيها توفيت ابنة السلطان سنجر زوج السلطان محمود وفيها في شعبان قدم الى بغداد البرهان أبو الحسن على بن الحسين الغزنوي وعقد مجالس الوعظ في جميع المواضع وورد بعده أبو القاسم على بن يعلى العلوي ونزل رباط شيخ الشيوخ فوعظ في جامع القصر والتاجية ورباط سعادة وصار له قبول عند الحنابلة وحصل له مال كثير لانه أظهر موافقتهم وورد بعده أبو الفتوح الاسفرايني ونزل برباط شيخ الشيوخ أيضا ووعظ في هذه المواضع وفي النظامية وأظهر مذهب الاشعري فصار له قبول كثير عند الشافعية وحضر مجالسه الخليفة المسترشد بالله وسلم اليه رباط الارجونية والدة المقتدي بالله بدرب زاخي وفيها توفي عبد الله بن أحمد بن عمر أبو محمد السمرقندي أخو أبي القاسم بن السمرقندي ومولده بدمشق سنة أربع وأربعين وأربعمائة ونشأ ببغداد وسمع الصريفيني وابن النقور وغيرهما وسافر الكثير وكان حافظا للحديث عالما به وفي ذي الحجة توفي عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف أبو طالب ومولده سنة ست وثلاثين وأربعمائة وسمع البرمكي والجوهري والعشاري وكان ثقة حافظا للحديث

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة)

(ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دبيس)

في هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين دبيس بن صدقة وكان سبب ذلك ان دبيسا أطلق عفيفا خادم الخليفة وكان مأسورا عنده وحمله رسالة فيها تهديد للخليفة بارسال البرسقي الى قتاله وتقويته بالمال وان السلطان كحل أخاه وبالغ في الوعيد ولبس السواد وجز شعره وحلف لينهبن بغداد ويخربها فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة وغضب وتقدم الى البرسقي

وكثرت جيوشه واشتد أمره ولم يسعه ما في يديه من الامصار ولا كفى رجاله ما فيها من الاموال ففرق قواده الى بلاد فم وخرج أبو دلف الى البرج وهمذان والنهروزنجان فكان من أنفذ الى همذان ابن أخت له في جيش كثيف مع جماعة من قواده ورجاله وكان بها جيش السلطان مع أبي عبد الله محمد بن خلف الدينوري السرماني ومعه خفيف غلام أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان في جماعة من قواد السلطان فكانت لهم مع الديلم حروب متصلة ووقائع كثيرة وعاون أهل همذان أصحاب السلطان فقتل من رجال مرداويج خلق كثير من الديلم والجبل أربعة آلاف وقتل ابن أخت مرداويج صاحب الجيش المعروف بأبي الكراديس بن علي الطلحي وكان من وجوه قواد مرداويج وولت الديلم ومرداويج أوحش هزيمة فلما أتاه الخبر وضجت أخته ورأى ما نزل بها من أمر ولدها سار عن الري في جيوشه حتى نزل مدينة همذان على الباب المعروف بباب الاسد وانما سمي هذا الباب بباب الاسد لان أسدا من حجارة كان على أعمدة من هذا الباب على الطريق المؤدية الى الري وجادة خراسان أعظم ما يكون من الاسد كالثور العظيم كأنه أسد حي يدنو الانسان منه فيعلم أنه حجر قد صور أحسن صورة ومثل أقرب ما يكون من تمثيل الاسد فكان أهل همذان به يتوارثون

بالنبر الى حرب دبيس فبرز فى رمضان سنة ست عشرة وتجهز الخليفة وبرز من بغداد واستدعى العساكر فاتاه سليمان بن مهارش صاحب الحديثة فى عقيل وأتاه قرواش بن مسلم وغيرهما وأرسل دبيس الى نهر ملك فنهب وعمل أصحابه كل عظيم من الفساد فوصل أهله الى بغداد فامر الخليفة فنودى ببغداد لا يتخلف من الاجناد أحد ومن أحب الجندية من العامة فليحضر فجاء خلق كثير ففرق فيهم الاموال والسلاح فلما علم دبيس الحال كتب الى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضا عنه فلم يجب الى ذلك وأخرجت خيام الخليفة فى العشرين من ذى الحجة من سنة ست عشرة فنادى أهل بغداد النفير النفير الغزاة الغزاة وكثر الضجيج من الناس وخرج منهم عالم كثير لا يحصون كثرة وبرز الخليفة رابع عشرى ذى الحجة وعبر دجلة وعليه قباء أسود وعمامة سوداء وطرحة وعلى كتفه البردة وفى يده القضيب وفى وسطه منطقة جديد صينى ونزل الخيام ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك ونقيب الطالبيين ونقيب النقباء على بن طراد وشيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل وغيرهم من الاعيان وكان البرسقى قد نزل بقرية جهارطاق ومعه عسكره فلما بلغهم خروج الخليفة عن بغداد عادوا الى خدمته فلما رأوا الشمسة ترجلوا بأجمعهم وقبلوا الارض بالبعد منه ودخلت هذه السنة فنزل الخليفة مستهل المحرم بالحديثة نهر الملك واستدعى البرسقى والامراء واستحلفهم على المناصحة فى الحرب ثم ساروا الى النيل ونزلوا بالمباركة وعبى البرسقى أصحابه ووقف الخليفة من وراء الجميع فى خاصته وجعل دبيس أصحابه صفا واحدا ميمنة وميسرة وقلبا وجعل الرجالة بين يدى الخيالة بالسلاح وكان قد وعد أصحابه بنهب بغداد وسبى النساء فلما تراءت الفئتان بادر أصحاب دبيس وبين أيديهم الاماء يضربن بالدفوف والمخانيث بالملاهى ولم ير فى عسكر الخليفة غير قارئ ومسبح وداع فقامت الحرب على ساق وكان مع اعلام الخليفة الامير كرباوى بن خراسان وفى الساقة سليمان بن مهارش وفى ميمنة عسكر البرسقى الامير أبو بكر بن الياس مع الامراء البكجية فحمل عنتر بن أبى العسكر فى طائفة من عسكر دبيس على ميمنة البرسقى فتراجعت على أعقابها وقتل ابن أخ للامير أبى بكر البكجى وعاد عنتر وحمل حملة ثانية على هذه الميمنة فكان حالها فى الرجوع على أعقابها كحالها الاول فلما رأى عسكر واسط ذلك ومقدمهم الشهيد عماد الدين زنكى بن آقسنقر حمل وهم معه على عنتر ومن معه وأتوهم من ظهورهم فبقى عنتر فى الوسط وعماد الدين وعسكر واسط من ورائه والامراء البكجية بين يديه فاسر عنتر وأسر معه بريك بن زائدة وجميع من معهما ولم يفلت أحد وكان البرسقى واقفا على نشز من الارض وكان الامير آق بورى فى الكمين فى خمسمائة فارس فلما اختلط الناس خرج الكمين على عسكر دبيس فانهزموا جميعهم وألقوا نفوسهم فى الماء فغرق كثير منهم وقتل كثير ولما رأى الخليفة اشتداد الحرب جرد سيفه وكبر وتقدم الى الحرب فلما انهزم عسكر دبيس وحملت الاسرى الى بين يديه أمر الخليفة أن تضرب أعناقهم صبرا وكان عسكر دبيس عشرة آلاف فارس واثنى عشر ألف راجل وعسكر البرسقى ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل ولم يقتل من أصحاب الخليفة غير عشرين فارسا وحصل نساء دبيس وسراريه تحت الاسر سوى بنت ايلغازى وبنت عميد الدولة بن جهير فانه كان تركهما فى المشهد وعاد الخليفة الى بغداد فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة ولما عاد الخليفة الى بغداد ثار العامة بها ونهبوا مشهد باب التبن وقلعوا أبوابه فانكر الخليفة ذلك وأمر نظرا أمير الحاج بالركوب الى المشهد وتأديب من فعل ذلك وأخذ ما نهب ففعل وأعاد البعض وخفى الباقى عليه وأما دبيس بن صدقة فانه لما انهزم

أخبارهم عن أسلافهم مستفيضا فيهم أن الاسكندر بن فيلبس بنى همذان حين انصرف من بلاد خراسان ورجوعه من مطافه من الهند والصين وغيرهما وأن ذلك الاسد جعل طلسما للمدينة وسورها وأن خراب البلد وفناء أهله وهدم سوره والقتل الذريع يكون عند كسر ذلك الاسد وقلعه من موضعه وأن ذلك من وجه الديلم والجبل وكان أهل همذان يمنعون من يجتاز بهم من العساكر والسابلة والمتألفة من أحداثهم أن يقلبوا ذلك الاسد أو يكسروا شيأ منه ولم يكن ينقلب لعظمه وصلابة حجره الا بالخلق الكثير من الناس وقد كان عسكر مرداويج الذى سير مع ابن أخته نزلوا على هذا الباب وانبسطوا فى تلك الصحراء قبل الوقعة بينهم وبين أصحاب السلطان فقلب على ما ذكرهذا الاسد فكسر فكان من أمر الوقعة ما ذكرنا وذلك على طريق الولع من الديلم فلما سار مرداويج ونزل على هذا الباب ونظر الى مصارع أصحابه وقتل أهل همذان لابن أخته اشتد غضبه لذلك فكانت بينه وبين أهل همذان ثورة ثم ولى القوم وقد أسلمهم قبل ذلك أصحاب السلطان فدخلوا فقتلوا فى اليوم الاول فى قول المقلل من الناس على ما أدركه

نجا بفرسه وسلاحه وأدركته الخيل ففاتها وعبر الفرات فرأته امرأة عجوز وقد عبر فقالت له دبير جئت فقال دبير من لم يجئ واختفى خبره بعد ذلك وأرجف عليه بالقتل ثم ظهر أمره انه قصد غزية من عرب نجد فطلب منهم ان يحالفوه فامتنعوا عليه وقالوا انا نسخط الخليفة والسلطان فرحل الى المنتفق واتفق معهم على قصد البصرة وأخذها فسار والبهم ودخلوها ونهبوا أهلها وقتل الامير سخت كان مقدم عسكرها وأجلى أهلها فارسل الخليفة الى البرسقى يعاتبه على اهماله أمر دبيس حتى تم له من أمر البصرة ما أخربها فتجهز البرسقى للانحدار اليه فسمع دبيس ذلك ففارق البصرة وسار على البر الى قلعة جعبر والتحق بالفرنج وحضر معهم حصار حلب وأطمعهم فى أخذها فلم يظفروا بها فعادوا عنها ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد فاقام معه وحسن له قصد العراق وسنذكره سنة تسع وعشرين ان شاء الله تعالى

❁(ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب)❁

فى هذه السنة فى صفر ملك الفرنج حصن الاثارب من أعمال حلب وسبب ذلك انهم كانوا قد أكثروا قصد حلب وأعمالها بالاغارة والتخريب والتحريق وكان بحلب حينئذ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق وهو صاحبها ولم يكن له بالفرنج قوة وخافهم فهادنهم على ان يسلم الاثارب ويكفوا عن بلاده فاجابوه الى ذلك وتسلموا الحصن وتمت الهدنة بينهم واستقام أمر الرعية باعمال حلب وجلبت اليهم الاقوات وغيرها ولم تزل الاثارب بايدى الفرنج الى ان ملكها اتابك زنكى بن آقسنقر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

❁(ذكر ملك بلك حران وحلب)❁

فى هذه السنة فى ربيع الاول ملك بلك بن بهرام مدينة حران وكان حصرها فلما ملكها سار منها الى مدينة حلب وسبب مسيره اليها أنه بلغه ان صاحبها بدر الدولة قد سلم قلعة الاثارب الى الفرنج فعظم ذلك عليه وعلم عجزه عن حفظ بلاده فقوى طمعه فى ملكها فسار اليها ونازلها فى ربيع الاول وضايقها ومنع الميرة عنها وأحرق زروعها فسلم اليه ابن عمه البلد والقلعة بالامان غرة جمادى الاولى من السنة وتزوج ابنة الملك رضوان وبقى مالكها الى ان قتل على ما نذكره

❁(ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بافريقية)❁

قد ذكرنا ان الامير على بن يحيى صاحب افريقية لما استوحش من رجار صاحب صقلية جدد الاسطول الذى له وكثر عدده وعدده وكاتب أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين بمراكش بالاجتماع معه على قصد جزيرة صقلية فلما علم رجار ذلك كف عن بعض ما كان يفعله فاتفق ان عليا مات سنة خمس عشرة وولى ابنه الحسن وقد ذكرناه فلما دخلت سنة ست سير أمير المسلمين اسطولا ففتحوا نقوطرة بساحل بلاد قلورية فلم يشك رجار ان عليا كان سبب ذلك فجد فى تعمير الشوانى والمراكب وحشد فاكثر ومنع من السفر الى افريقية وغيرها من بلاد الغرب فاجتمع له من ذلك مالم يعهد مثله قيل كان ثلثمائة قطعة فلما انقطعت الطريق عن افريقية توقع الامير الحسن بن على خروج العدو الى المهدية فامر باتخاذ العدد وتجديد الاسوار وجمع المقاتلة فاتاه من أهل البلاد ومن العرب جمع كثير فلما كان فى جمادى الآخرة سنة سبع عشرة سار الاسطول الافرنجى فى ثلثمائة قطعة فيها ألف فرس وفرس واحد الا انهم لما ساروا من مرسى على فرقهم الريح وغرق منهم مراكب كثيرة ونازل من سلم منهم جزيرة قوصرة ففتحها وقتل من بها وسبى وغنموا وساروا عنها فوصلوا الى افريقية ونازلوا الحصن المعروف بالديماس أواخر جمادى

يعمل فيها ثلاثة أيام والنار والسبى ثم نادى برفع السيف فى اليوم الثالث وأمن بقيتهم ونادى أن تخرج شيوخ البلد ومستوروه اليه فلما سمعوا النداء أملوا الفرج فخرج من وثق بنفسه من الشيوخ وأهل الستر ومن لحق بهم فخرجوا الى المصلى فدخل اليه صاحب عذابه وكان يقال له الشقطينى فسأله عن أمره فيهم فامره أن يطوف بهم الديلم والجبل بحرابهم وخناجرهم فيوقع عليهم فاطافت بهم الرجال من الديلم فاتى على القوم جميعا وألحقوا بمن مضى منهم وبعث منها بقائد من قواده يعرف بابن علان القزوينى وكان يلقب بخواجه وذلك أن أهل خراسان اذا عظموا الشيخ فيهم سموه خواجه فى عسكر من عساكره الى مدينة الدينور ومن همذان اليها ثلاثة أيام فدخلها بالسيف وقتل من أهلها فى اليوم الاول سبعة عشر ألفا فى قول المقلل والمكثر يقول خمسة وعشرين ألفا فخرج اليه رجل من مشهورى أهل الدينور وصوفيتها وزهادها يقال له ممشاد وبيده مصحف قد نشره فقال لابن علان المعروف بخواجه أيها الشيخ اتق الله وارفع السيف عن هؤلاء المسلمين فبلا ذنب لهم ولا جناية يستحقون ما قد نزل بهم فأمر بأخذ المصحف

الاولى فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك والديماس حصن منيع فى وسطه حصن آخر وهو مشرف على البحر وسير الحسن من عنده من الجموع الى الفرنج وأقام هو بالمهدية فى جمع آخر يحفظها وأخذ الفرنج حصن الديماس وجنود المسلمين محيطة بهم فلما كان بعد ليال اشتد القتال على الحصن الداخل فلما كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمة ارتجت لها الارض وكبروا فوقع الرعب فى قلوب الفرنج فلم يشكوا ان المسلمين يهجمون عليهم فبادروا الى شوانيهم وقتلوا بايديهم كثيرا من خيولهم وغنم المسلمون منها أربعمائة فرس ولم يسلم معهم غير فرس واحد وغنم المسلمون جميع ما تخلف عن الفرنج وقتلوا كل من عجز عن الطلوع الى المراكب فلما صعد الفرنج الى مراكبهم أقاموا بها ثمانية أيام لا يقدرون على النزول الى الارض فلما أيسوا من خلاص أصحابهم الذين فى الديماس ساروا والمسلمون يكبرون عليهم ويصيحون بهم وأقامت عساكر المسلمين على حصن الديماس فى أمم لا يحصون كثرة فحصروه فلم يمكنهم فتحه لحصانته وقوته فلما عدم الماء على من به من الفرنج وضجروا من مواصلة القتال ليلا ونهارا فتحوا باب الحصن وخرجوا فقتلوا عن آخرهم وذلك يوم الاربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة وكانت مدة اقامتهم فى الحصن ستة عشر يوما ولما رجع الفرنج مقهورين أرسل الامير الحسن البشرى الى سائر البلاد وقال الشعراء فى هذه الحادثة فاكثروا وتركنا ذلك خوف التطويل

﴿ذكر استيلاء الفرنج على خرتبرت وأخذها منهم﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول استولى الفرنج على خرتبرت من بلاد ديار بكر وسبب ذلك أن بلك ابن بهرام بن أرتق كان صاحب خرتبرت فحصر قلعة كركر وهى تقارب خرتبرت فسمع الفرنج بالشام الخبر فسار بغدوين ملك الفرنج فى جموعه اليه ليرحله عنها خوفا ان يقوى بملكها فلما سمع بلك بقربه منه رحل اليه والتقيا فى صفر واقتتلا فانهزم الفرنج وأسر ملكهم ومعه جماعة من أعيان فرسانهم وسجنهم بقلعة خرتبرت وكان بالقلعة أيضا جوسلين صاحب الرها وغيره من مقدمى الفرنج كان قد أسرهم سنة خمس عشرة وسار بلك عن خرتبرت الى حران فى ربيع الاول فملكها فاعمل الفرنج الحيلة باستمالة بعض الجند فظهروا وملكوا القلعة فاما الملك بغدوين فانه اتخذ الليل جملا ومضى الى بلاده واتصل الخبر ببلك صاحبها فعاد فى عساكره اليها وحصرها وضيق على من بالقلعة واستعادها من الفرنج وجعل فيها من الجند من يحفظها وعاد عنها

﴿ذكر قتل وزير السلطان وعود ابن صدقة الى وزارة الخليفة﴾

فى هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك وقتله وسبب ذلك انه لما أشار على السلطان بالعود عن حرب الكرج وخالفه وكانت الخيرة فى مخالفته تغير عليه وذكره أعداؤه عنده بسوء ونبهوا على تهوره وقلة تحصيله ومعرفته بمصالح الدولة فقسد رأى السلطان فيه ثم ان الشهاب أبا المحاسن وزير السلطان سنجر كان قد توفى وهو ابن أخى نظام الملك ووزر بعده أبو طاهر القمى وهو عدو للبيت النظامى فسعى مع السلطان سنجر حتى أرسل الى السلطان محمود يأمره بالقبض على وزيره شمس الملك فصادف وصول الرسول وهو متغير عليه فقبض عليه وسلمه الى طغايرك فبعثه الى بلده خلخال فحبسه فيها ثم ان أبا نصر المستوفى الملقب بالعزيز قال للسلطان محمود لا نأمن ان يرسل السلطان سنجر يطلب الوزير ومتى انفذ اليه لا نأمن شرا يحدث منه وكان بينهما عداوة فأمر السلطان بقتله فلما دخل عليه السياف ليقتله قال امهلنى حتى أصلى ركعتين ففعل فلما صلى جعل يرتعد وقال للسياف سيفى أجود من

من يده فضربه بوجهه ثم أمر به فذبح وسبى وأباح الاموال والدماء والفروج وبلغت عساكر مرداويج وجنوده الى الموضع المعروف بالسحوس وهو فرز بين الجبل واعمال حلوان مما يلى العراق وذلك من بلاد طرز والمطامير ومرج القلعة فقتلوا وسبوا وغنم الاموال ثم ولت جيوشه راجعة وقد غنمت الاموال وقتلت الرجال وملكت الاولاد وأخذوا الغلمان وعلكوهم وسبوا من بلاد الدينور وقدسابين والربذة الى حيث ما بلغوا مما وصفنا من البلاد مما أدركه الاحصاء من الجوارى العتق العواتق والغلمان فى قول المقلل خمسين ألفا وفى قول المكثر مائة ألف فلما تم لمرداويج ما وصفنا وحملت اليه الاموال والغنائم بعث بها الى اصبهان بجماعة من قواده فى قطعة من عساكره فملكوها وأقيمت لهم الانزال والعلوفات وعمرت لهم قصور أحمد بن أبى دلف العجلى وهيئت له البساتين والرياض وزرع له فيها أنواع الرياحين على حسب ما كان فى آل عبد العزيز فسار مرداويج الى اصبهان فنزلها وهو فى نحو من خمسين ألفا وقيل أربعين سوى ماله بالرى وقم وهمذان وسائر أعماله من العساكر وقد كان أنفذ جماعة من قواده وعساكره مع أبى الحسن محمد بن وهبان الصنعانى وهو الذى استأمن بعد ذلك الى السلطان ثم قصد الى محمد بن

سيفك فاقتلنى به ولا تعذبنى فقتل ثانى جمادى الآخرة فلما سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل أخاه نظام الدين أحمد من وزارته وأعاد جلال الدين أبا على بن صدقة الى الوزارة وأقام نظام الدين بالمثمنة التى فى المدرسة النظامية ببغداد وأما العزيز المستوفى فانه لم تطل أيامه حتى قتل على ما نذكره جزاء لسعيه فى قتل الوزير

﴿ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج﴾

فى هذه السنة اشتدت نكاية الكرج فى بلد الاسلام وعظم الامر على الناس لاسيما أهل دربند شروان فسار منهم جماعة كثيرة من أعيانهم الى السلطان وشكوا اليه ما يلقون منهم واعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم فسار اليهم والكرج قد وصلوا الى شماخى فنزل السلطان فى بستان هناك وتقدم الكرج اليه فخافهم العسكر خوفا شديدا وأشار الوزير شمس الملك عثمان بن نظام الملك على السلطان بالعود من هناك فلما سمع أهل شروان بذلك قصدوا السلطان وقالوا له نحن نقاتل مهما أنت عندنا وان تأخرت عنا ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا فقبل قولهم وأقام بمكانه وبات العسكر على وجل عظيم وهم بنية المصاف فأتاهم الله بفرج من عنده وألقى بين الكرج والقفجاق اختلافا وعداوة فاقتتلوا تلك الليلة ورحلوا شبه المنهزمين وكفى الله المؤمنين القتال وأقام السلطان بشروان مدة ثم عاد الى همذان فوصلها فى جمادى الآخرة

﴿ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر﴾

فى هذه السنة وصل جمع كثير من لواتة من الغرب الى ديار مصر فافسدوا فيها ونهبوها وعملوا اعمالا شنيعة فجمع المأمون بن البطائحى الذى وزر بمصر بعد الافضل عسكر مصر وسار اليهم فقاتلهم فهزمهم وأسر منهم وقتل خلقا كثيرا وقرر عليهم خراجا معلوما كل سنة يقومون به وعادوا الى بلادهم وعاد المأمون الى مصر مظفرا منصورا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى صفر أمر المسترشد بالله ببناء سور بغداد وان يجبى ما يخرج عليه من البلد فشق ذلك على الناس وجمع من ذلك مال كثير فلما علم الخليفة كراهة الناس لذلك أمر باعادة ما أخذ منهم فسروا بذلك وكثر الدعاء له وقيل ان الوزير أحمد بن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار وقال نقسط الباقى على أرباب الدولة وكان أهل بغداد يعملون بانفسهم فيه وكانوا يتناوبون العمل يعمل أهل كل محلة منفردين بالطبول والزمور وزينوا البلد وعملوا فيه القباب وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت دار على بن أفلح وكان الخليفة يكرمه فظهر انهما عين لدبيس يطالعانه بالاخبار وجعل الخليفة نقابة العلويين الى على بن طراد نقيب العباسيين وفيها جمع الامير بلك عساكره وسار الى غزاة بالشام فلقيه الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم وأسر بشر كثير من مقدميهم ورجالتهم وفيها كان فى أكثر البلاد غلاء شديد وكان أكثره بالعراق فبلغ ثمن الكارة الدقيق الخشكار ستة دنانير وعشرة قراريط وتبع ذلك موت كثير وامراض زائدة هلك فيها كثير من الناس وفيها فى صفر توفى قاسم بن أبى هاشم العلوى الحسنى أمير مكة وولى بعده ابنه أبو فليتة وكان أعدل منه وأحسن سيرة فاسقط المكوس وأحسن الى الناس وفيها توفى عبد الله بن الحسن بن أحمد بن الحسن أبو نعيم بن أبى على الحداد الاصبهانى ومولده سنة ثلاث وستين وأربعمائة وهو من أعيان المحدثين سافر الكثير فى طلب الحديث وفيها سار طغتكين صاحب دمشق الى حمص فهجم المدينة ونهبها وأحرق كثيرا منها وحصرها وصاحبها قرجان بالقلعة

رائق وهو بالرقة من بلاد ديار مضر قبل دخول الشام ومحاربته الاخشيد محمد بن طغج فاحتال عليه رافع القرمطى وكان من قواد ابن رائق حتى فرق بينه وبين عسكره وغرقه فى الفرات وذلك نحو رحبة مالك بن طوق وقد أتينا على خبره وما كان من الحيلة فى أمره ومدة بقائه فى الماء مقيدا الى أن خرج ثم قتل بعد ذلك فى الكتاب الاوسط فى أخبار محمد بن رائق وسار ابن وهبان فيمن معه من العساكر الى أوسع كور الاهواز وذلك على طريق مناذر والعش ونوح واحتوى على هذه البلاد وجبى أموالها وحمل ذلك الى مرداويج فتكبر وعظمت جيوشه وأمواله وعساكره وضرب سريرا من الذهب رصع له بالجوهر وعملت له بدلة وتاج من الذهب وجمع فى ذلك أنواع الجواهر وقد كان سأل عن تيجان الفرس وهيآتها فصورت له ومثلت فاختار منها تاج أنوشروان بن قباذ (وكان) نمى اليه من كتابه ومن أطاف به من أتباعه من دهاة العالم وشياطينه أن الكواكب ترى شعاعاتها الى بلاد أصبهان فيظهر بها ديانة وينصب بها سرير ملك ويجبى له كنوز الارض وأن الملك الذى يليها يكون مصفر الرجلين ويكون من صفته كيت وكيت وأن مدة عمره فى الملك كذا وكذا ثم يتلوه من بعده فى هذه المملكة أربعون ملكا

فاستمد صاحبها طغان ارسلان فسار اليه في جمع كثير فعاد طغتكين الى دمشق وفيها التقى أسطول مصر أسطول البنادقة من الفرنج فاقتتلوا وكان الظفر للبنادقة وأخذ من أسطول مصر عدة قطع وعاد الباقي سالما وفيها سار الامير محمود بن قراجة صاحب حماه الى حصن افامية فهجم على الربض بغتة فأصابه سهم من القلعة في يده فاشتد ألمه فعاد الى حماه وقلع الزج من يده ثم عملت عليه فمات منه واستراح أهل عمله من ظلمه وجوره فلما سمع طغتكين صاحب دمشق الخبر سير الى حماه عسكرا فملكها وصارت في جملة بلاده ورتب فيها واليا وعسكرا لحمايتها

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة

ذكر قتل بلك بن بهرام بن ارتق وملك تمرتاش حلب

في هذه السنة في صفر قبض بلك بن بهرام بن ارتق صاحب حلب على الامير حسان البعلبكي صاحب منبج وسار اليها فحصرها فملك المدينة وحصر القلعة فامتنعت عليه فسار الفرنج اليه ليرحلوه عنها لئلا يقوى بأخذها فلما قاربوه ترك على القلعة من يحصرها وسار في باقي عسكره الى الفرنج فلقيهم وقاتلهم فكسرهم وقتل منهم خلقا كثيرا وعاد الى منبج فحصرها فبينما هو يقاتل من بها أتاه سهم فقتله لا يدرى من رماه واضطرب عسكره وتفرقوا وخلص حسان من الحبس فكان حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق مع ابن عمه بلك فحمله مقتولا الى ظاهر حلب وتسلمها في العشرين من ربيع الاول من هذه السنة وزال الحصار عن قلعة منبج وعاد اليها صاحبها حسان واستقر تمرتاش بحلب واستولى عليها ثم انه جعل فيها نائبا له يثق اليه ورتب عنده ما يحتاج اليه من جند وغيرهم وعاد الى ماردين لانه رأى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج وكان رجلا يحب الدعة والرفاهة فلما عاد الى ماردين أخذت حلب منه على ما نذكره ان شاء الله تعالى

ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام

كانت مدينة صور للخلفاء العلويين بمصر ولم تزل كذلك الى سنة ست وخمسمائة فكان بها وال من جهة الافضل أمير الجيوش وزير الآمر باحكام الله العلوي يلقب عز الملك وكان الفرنج قد حصروها وضيقوا عليها ونهبوا بلدها غير مرة فلما كان سنة ست تجهز ملك الفرنج وجمع عساكره ليسير الى صور فخافهم أهل صور فارسلوا الى أتابك طغتكين صاحب دمشق يطلبون منه ان يرسل اليهم أميرا من عنده يتولاهم ويحميهم وتكون البلد له وقالوا له ان أرسلت الينا واليا وعسكرا والا سلمنا البلد الى الفرنج فسير اليهم عسكرا وجعل عندهم واليا اسمه مسعود وكان شهما شجاعا عارفا بالحرب ومكايدها وأمده بعسكر وسير اليهم ميرة ومالا فرقه فيهم وطابت نفوس أهل البلد ولم تغير الخطبة للآمر صاحب مصر ولا السكة وكتب الى الافضل بمصر يعرفه صورة الحال ويقول متى وصل اليها من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها اليه ويطلب ان الاسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوة فشكره الافضل على ذلك وأثنى عليه وصوب رأيه فيما فعله وجهز اسطولا وسيره الى صور فاستقام أحوال أهلها ولم يزل كذلك الى سنة ست عشرة بعد قتل الافضل فسير اليها اسطولا على جاري العادة وأمر المقدم على الاسطول ان يعمل الحيلة على الامير مسعود الوالي بصور من قبل طغتكين ويقبض عليه ويتسلم البلد منه وكان السبب في ذلك ان أهل صور أكثروا الشكوى منه الى الآمر باحكام الله صاحب مصر بما يعتمده من مخالفتهم والاضرار بهم فسار الاسطول فأرسى عند صور فخرج مسعود اليه للسلام

وقربواله الزمان في ذلك وحددوه وتقربوا اليه بأشياء من هذه المعاني مما مال اليه هواه واستدعاه منهم واستهواه وأنه المصفر الرجلين الذي يملك الارض وكان معه من الاتراك نحو أربعة آلاف مماليك دون من في عسكره من الاتراك مع ما عنده من الامراء والاتراك وكان سيء الصحبة لهم كثير القتل فيهم فعملوا على قتله وتحالفوا وقد كان على المسير الى مدينة السلام والقبض على الملك وتولية أصحابه مدن الاسلام بأسرها في شرق البلاد وغربها مما في يد ولد العباس وغيرهم فأقطع الدور ببغداد لاهله ولم يشك أن الامر في يده والملك له فخرج ذات يوم الى الصيد وهو فرح مسرور لما قد تم له من الامر وتأتى له من الملك فدخل الحمام بعد رجوعه في قصر أحمد بن عبد العزيز ابن أبي دلف العجلي باصبهان فدخل اليه غلام من وجوه الاتراك وهو بجكم وكان من خواص الغلمان ومعه ثلاثة نفر من وجوه الاتراك أرى أحدهم توزون مدبر الدولة بعد بجكم فقتلوه فخرج بجكم ومن معه وقد كان أعلم الاتراك بذلك فكانوا له متأهبين فركبوا من فورهم وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة في بخلافة الراضي وتفرق الجيش عند وقوع الفتنة ونهب بعض الناس بعضا وأخذت الخزائن وانتهبت الاموال

على

على المقدم عليه فلما صعد الى المركب الذي فيه المقدم اعتقله ونزل البلد واستولى عليه وعاد الاسطول الى مصر وفيه الامير مسعود فأكرم وأحسن اليه وأعيد الى دمشق واما الوالي من قبل المصريين فانه طيب قلوب الناس وراسل طغتكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد وان سبب ما فعل هو شكوى أهل صور من مسعود فأحسن طغتكين الجواب وبذل من نفسه المساعدة ولما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوي طمعهم فيها وحدثوا نفوسهم بملكها وشرعوا في الجمع والتأهب للنزول عليها وحصرها فسمع الوالي بها للمصريين الخبر فعلم أنه لا قوة له ولا طاقة على دفع الفرنج عنها لقلة من بها من الجند والميرة فارسل الى الآمر بذلك فرأى أن يرد ولاية صور الى طغتكين صاحب دمشق فارسل اليه بذلك فملك صور ورتب بها من الجند وغيرهم ما ظن فيه كفاية وسار الفرنج اليهم ونازلوهم في ربيع الاول من هذه السنة وضيقوا عليهم ولازموا القتال فقلت الاقوات وسئم من بها القتال وضعفت نفوسهم وسار طغتكين الى بانياس ليقرب منهم ويذب عن البلد ولعل الفرنج اذا رأوا قربه منهم رحلوا فلم يتحركوا ولزموا الحصار فأرسل طغتكين الى مصر يستنجدهم فلم ينجدوه وتمادت الايام وأشرف أهلها على الهلاك فراسل حينئذ طغتكين صاحب دمشق وقرر الامر على ان يسلم المدينة اليهم ويمكنوا من بها من الجند والرعية من الخروج منها بما يقدرون عليه من أموالهم ورحالهم وغيرها فاستقرت القاعدة على ذلك وفتحت أبواب البلد وملكه الفرنج وفارقه أهله وتفرقوا في البلاد وحملوا ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه ولم يعرض الفرنج الى أحد منهم ولم يبق الا الضعيف الذي عجز عن الحركة وملك الفرنج البلد في الثالث والعشرين من جمادى الاولى من السنة وكان فتحه وهنا عظيما على المسلمين فانه من أحصن البلاد وأمنعها فالله يعيده الى الاسلام ويقر أعين المسلمين بفتحه بمحمد وآله

ذكر عزل البرسقي عن شحنكية العراق وولاية يرنقش الزكوي

في هذه السنة عزل البرسقي عن شحنكية العراق ووليها سعد الدولة يرنقش الزكوي وسبب ذلك ان البرسقي نفر عنه المسترشد بالله فارسل الى السلطان محمود يلتمس منه ان يعزل البرسقي عن العراق ويعيده الى الموصل فاجابه السلطان الى ذلك وأرسل الى البرسقي يأمره بالعود الى الموصل والاشتغال بجهاد الفرنج فلما علم البرسقي الخبر شرع في جباية الاموال ووصل نائب يرنقش فسلم اليه البرسقي الامر وأرسل السلطان ولدا له صغيرا مع أمه الى البرسقي ليكون عنده فلما وصل الصغير الى العراق خرجت العساكر والمراكب الى لقائه وحملت له الاقامات وكان يوم دخوله يوما مشهودا وتسلمه البرسقي وسار الى الموصل وهو ووالدته معه ولما سار البرسقي الى الموصل كان عماد الدين زنكي بن آقسنقر بالبصرة قد سيره البرسقي اليها ليحميها فظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس ولم يزل يقصد العرب ويقاتلهم في حللهم حتى أبعدوا الى البر فارسل اليه البرسقي يأمره باللحاق به فقال لاصحابه قد ضجرنا مما نحن فيه كل يوم للموصل أمير جديد ونريد نخدمه وقد رأيت ان أسير الى السلطان فأكون معه فاشاروا عليه بذلك فسار اليه فقدم عليه باصبهان فأكرمه وأقطعه البصرة وأعاده اليها

ذكر ملك البرسقي مدينة حلب

في هذه السنة في ذي الحجة ملك آقسنقر البرسقي مدينة حلب وقلعتها وسبب ذلك ان الفرنج لما ملكوا مدينة صور على ما ذكرناه طمعوا وقويت نفوسهم وتيقنوا الاستيلاء على بلاد الشام واستكثروا من الجموع ثم وصل اليهم دبيس بن صدقة صاحب الحلة فاطمعهم طمعا ثانيا لاسيما

ثم ان الجبل والديلم ثابوا واجتمعوا وتشاوروا وقالوا ان بقينا على ما نحن عليه من التحزب بغير رئيس ننقاد اليه هلكنا فاجتمع أمرهم على مبايعة وشمكير أخي مرداويج وتفسير مرداويج معلق الرجال وقد يكتب مرداويج بالزاي فبايعوا وشمكير بعد أن تفرق كثير من الجيش ففرق فيهم كثيرا مما بقي من الاموال وأحسن اليهم وتوجه فيمن معه من العساكر الى الري فنزلها وسار بجكم التركي فيمن معه من الاتراك وقد جمعوا أنفسهم الى أن يخلصوا من الديلم وسار الى بلاد الدينور فجبى منها الخراج وأخذ كثيرا من الاموال وسار الى النهروان على أقل من يومين من مدينة السلام فراسل الراضي وكان الغالب على أمره الساجة وعدة من الغلمان الحجرية فأبوا أن يتركوه يصل الى الحضرة خوفا أن يغلب على الدولة فمضى بجكم لما منع من الحضرة الى واسط الى محمد بن رائق وكان مقيما بها فأدناه وحباه وغلب عليه وقوي أمر بجكم واصطنع الرجال وضعف أمر ابن رائق عنه فكان من أمره ما قد اشتهر وقد قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من اختفائه وخروج بجكم مع الراضي الى الموصل ومعهم علي بن خلف بن طباب الى ديار بني حمدان من بلاد الموصل وديار ربيعة وظهور محمد بن رائق ببغداد ومعاونة الغوغاء له ومسيره الى دار السلطان

الحضرة ومن تبعه من الجبل والقرامطة مثل رافع وعمارة وغيرهما وكانوا

فى حلب وقال لهم ان أهلها شيعة وهم يميلون الى لاجل المذهب فتى رأونى سلموا البلد الى
وبذل لهم على مساعدته بذولا كثيرة وقال اننى أكون ههنا نائبا عنكم ومطيعا لكم فساروا معه
اليها وحصروها وقاتلوا قتالا شديدا ووطنوا انفسهم على المقام الطويل وانهم لا يفارقونها حتى
يملكوها وبنوا البيوت لاجل البرد والحر فلما رأى أهلها ذلك ضعفت نفوسهم وخافوا الهلاك
وظهر لهم من صاحبهم تمرتاش الوهن والعجز وقلت الاقوات عندهم فلما رأوا مادفعوا اليه من
هذه الاسباب أعملوا الرأى فى طريق يتخلصون به فرأوا انه ليس لهم غير البرسقى صاحب
الموصل فارسلوا اليه يستنجدونه ويسألونه المجىء اليهم ليسلموا البلد اليه فجمع عساكره
وقصدهم وأرسل الى من بالبلد وهو فى الطريق يقول اننى لا أقدر على الوصول اليكم والفرنج
يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابى وصار أصحابى فيها لاننى لا أدرى مايقدره الله تعالى اذا أنا
لقيت الفرنج فان انهزمنا منهم وليست حلب بيد أصحابى حتى احتمى انا وعسكرى بها لم يبق منا
أحد وحينئذ تؤخذ حلب وغيرها فاجابوه الى ذلك وسلموا القلعة الى نوابه فلما استقروا فيها
واستولوا عليها سار فى العساكر التى معه فلما أشرف عليها رحل الفرنج عنها وهو يراهم فاراد
من فى مقدمة عسكره ان يحمل عليهم فنعهم هو بنفسه وقال قد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم
والمصلحة تركهم حتى يتقرر أمر حلب ونصلح حالها ونكثر ذخائرها ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم
فلما رحل الفرنج خرج أهل حلب ولقوه وفرحوا به وأقام عندهم حتى أصلح الامور وقررها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة انقطعت الامطار فى العراق والموصل وديار الجزيرة والشام وديار بكر وكثير من
البلاد فقلت الاقوات وغلت الاسعار فى جميع البلاد ودام الى سنة تسع عشرة وفيها وصل
منصور بن صدقة أخو دبيس الى بغداد تحت الاستظهار فرض بها فاحضر الخليفة الاطباء
وأمرهم بمعالجته وأحضره عنده وجعل فى حجرة وأدخل أصحابه اليه وفيها سار دبيس من الشام
بعد رحيله عن حلب وقصد الملك طغرل فاغراه بالخليفة وأطمعه فى العراق وكان مانذكره سنة
تسع عشرة ان شاء الله تعالى وفيها مات الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية صاحب ألموت
وقد تقدم من أخباره مايعلم به محله من الشجاعة والرأى والتجربة وفيها أيضا توفى داود ملك
الابخاز وشمس الدولة بن نجم الدين ايلغازى وفيها ثار أهل آمد بمن فيها من الاسماعيلية وكانوا
قد كثروا فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل فضعف أمرهم بها بعد هذه الوقعة وفيها فى صفر توفى محمد
ابن مرزوق بن عبد الرزاق الزعفرانى وهو من أصحاب الخطيب البغدادى وفيها توفى أحمد
ابن على بن برهان أبو الفتح الفقيه المعروف بابن الحمامى لان أباه كان حماميا وكان حنبليا تفقه على
ابن عقيل ثم صار شافعيا وتفقه على الغزالى والشاشى

﴿ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر وصول الملك طغرل ودبيس بن صدقة الى العراق وعودهما عنه﴾

قد ذكرنا مسير دبيس بن صدقة الى الملك طغرل من الشام فلما وصل اليه لقيه وأكرمه وأحسن
اليه وجعله من أعيان خواصه وامرائه فحسن اليه دبيس قصد العراق وهون أمره عليه وضمن
له انه يملكه فسار معه الى العراق فوصلوا دقوقا فى عساكر كثيرة فكتب مجاهد الدين بهروز من
تكريت يخبر الخليفة خبرهما فتجهز للمسير ومنعهما وأمر يرنقش الزكوى شحنة العراق ان يكون
مستعدا للحرب وجمع العساكر والامراء البكجية وغيرهم فبلغت عدة العساكر اثنى عشر ألفا

وقتله لابن بدر الشرابى وخروجه من
أنصاره ومسيره الى ديار
مصر ونزوله الرقة وما كان
بينه وبين غمير ومخول
بانس المؤنسى وحملته
ومسيره الى جند قنسرين
والعواصم واخراجه طريفا
اليشكرى عنها وتوليه
الثغر الشامى (وقد أتينا)
فى الكتاب الاوسط الذى
كتابنا هذا تال له والاوسط
لكتابنا أخبار الزمان ومن
أباده الحدثان من الامم
الماضية والاجيال الخالية
والممالك الدائرة على ما كان
منه ومحاربته الاخشيد
ابن محمد بن طغج بالعريش
من بلاد مصر وانكشافه
ورجوعه الى دمشق وما
كان من قتله لاخيه
الاخشيد محمد بن طغج
باللجون من بلاد الاردن
وما كان قبل وقعة العريش
بينه وبين عبد الله بن طغج
وما كان معه من القواد
وانكشافهم عنه واستئمان
من استأمن منهم اليه
مثل محمد بن بكسين الخاصة
وبكير الخاقانى غلام خاقان
المفلحى وغيرهما وغير ذلك
من أخباره وأخبار غيره
وذكرنا مقتل طريف
اليشكرى فى سنة ثمان
وعشرين وثلثمائة على باب
طرسوس وما كان من
وقيعته مع الثملية وهم
غلمان ثميل الخادم فأغنى
ذلك عن اعادته مبسوطا فى هذا الكتاب وانما تغلغل بنا الكلام فى التصنيف فيما ذكرنا من أخبار الديلم والجبل سوى

سوى الرجالة وأهل بغداد وفرق السلاح وبرز خامس صفر وبين يديه أرباب الدولة رجالة
وخرج من باب النصر وكان قد أمر بفتحه تلك الايام وسماه باب النصر ونزل صحراء الشماسية
ونزل يرنقش عند السبتى ثم سار فنزل الخالص تاسع صفر فلما سمع طغرل بخروج الخليفة عدل
الى طريق خراسان وتفرق أصحابه فى النهب والفساد ونزل هو رباط جلولاء فسار اليه الوزير
جلال الدين بن صدقة فى عسكر كثير فنزل الدسكرة وتوجه طغرل ودبيس الى الهارونية وسار
الخليفة فنزل بالدسكرة هو والوزير واستقر الامر بين دبيس وطغرل ان يسيرا حتى يعبرا ديالى
وتامرا ويقطعا جسر النهروان ويقيم دبيس ليحفظ المعابر ويتقدم طغرل الى بغداد فيملكها
وينهبها فسارا على هذه القاعدة فعبرا تامرا ونزل طغرل بينه وبين ديالى وسار دبيس على أن يلحقه
طغرل فقدر الله تعالى ان الملك طغرل لحقه حمى شديدة ونزل عليهم من المطر مالم يشاهد وامثله
وزادت المياه وجاءت السيول والخليفة بالدسكرة وسار دبيس فى مائتى فارس وقصد معبرة
النهروان وهو تعبان سهران وقد لقى هو وأصحابه من المطر والبلل ما آذاهم وليس معهم
مايأكلون ظنا منهم أن طغرل وأصحابهم يلحقونهم فتأخر والماذكرناه فنزلوا جياعا قد نالهم البرد
وقد طلع عليهم ثلاثون جملا تحمل الثياب المخيطة والعمائم والاقبية والقلانس وغيرها من
الملبوس وتحمل أيضا أنواع الاطعمة المصنوعة قد حملت من بغداد الى الخليفة فاخذ دبيس الجميع
فلبسوا الثياب الجدد ونزعوا الثياب الندية وأكلوا الطعام وناموا فى الشمس مما نالهم تلك الليلة
وبلغ الخبر أهل بغداد فلبسوا السلاح وبقوا يحرسون الليل والنهار ووصل الخبر الى الخليفة
والعسكر الذين معه ان دبيسا قد ملك بغداد فرحل من الدسكرة ووقعت الهزيمة على العسكر الى
النهروان وتركوا أثقالهم ملقاة بالطريق لا يلتفت اليها أحد ولولا أن الله تعالى لطف بهم بحمى
الملك طغرل وتأخره والا كان قد هلك العسكر والخليفة أيضا وأخذوا وكان السواقى مملوءة
بالوحل والماء من السيل فتمزقوا ولو لحقتهم مائة فارس لهلكوا ووصلت رايات الخليفة ودبيس
وأصحابه نيام وتقدم الخليفة وأشرف على ديالى ودبيس نازل غرب النهروان والجسر ممدود شرق
النهروان فلما أبصر دبيس شمسة الخليفة قبل الارض بين يدى الخليفة وقال أنا العبد المطرود
فليعف امير المؤمنين عن عبده فرق الخليفة له وهم بصلحه حتى وصل الوزير ابن صدقة فثناه
عن رأيه وركب دبيس ووقف بازاء عسكر يرنقش الزكوى يحادثهم ويتماجن معهم ثم أمر
الوزير الرجالة فعبروا اليه ومدوا الجسر آخر النهار فسار حينئذ دبيس عائدا الى الملك طغرل وسير
الخليفة عسكرا مع الوزير فى أثره وعاد الى بغداد فدخلها وكانت غيبته خمسة وعشرين يوما ثم ان
الملك طغرل ودبيسا عادا وسارا الى السلطان سنجر فاجتازا بهمذان فقسطا على أهلها مالا
كثيرا وأخذوه وعاثوا فى تلك الاعمال فبلغ خبرهم السلطان محمودا فجد السير اليهم فانهزموا من
بين يديه وتبعتهم العساكر فدخلوا خراسان الى السلطان سنجر وشكيا اليه من الخليفة ويرنقش
الزكوى

﴿ذكر فتح البرسقى كفرطاب وانهزامه من الفرنج﴾

فى هذه السنة جمع البرسقى عساكره وسار الى الشام وقصد كفرطاب وحصرها فملكها من الفرنج
وسار الى قلعة عزاز وهى من أعمال حلب من جهة الشمال وصاحبها جوسلين فحصروها
فاجتمعت الفرنج فارسها وراجلها وقصدوه ليرحلوه عنها فلقيهم وضرب معهم مصافا واقتتلوا
قتالا شديدا صبروا كلهم فيه فانهزم المسلمون وقتل منهم وأسر كثير وكان عدد القتلى أكثر من

وما كان من أمر اسفار بن شيرويه ومرداويج عند ذكرنا لآل أبى طالب وأمر الداعى الحسن بن القاسم الحسنى صاحب
طبرستان ومقتله وخبر
الاطروش الحسن بن
على بن الحسن (قال
المسعودى) وقد أتينا على
ذكر سائر الاحداث
والكوائن فى أيام من ذكرنا
من الخلفاء والملوك فى كتابنا
أخبار الزمان والاوسط
وذكرنا فى هذا الكتاب
مايكتفى به الناظر فيه وانتهى
التصنيف فيه الى هذا
الوقت وهو جمادى الاولى
سنة ست وثلاثين وثلثمائة
ونحن بفسطاط مصر
والغالب على أمر الدولة
والحضرة أبو الحسن أحمد
ابن بويه الديلمى المسمى
معز الدولة وأخوه الحسن
ابن بويه صاحب بلاد
أصبهان وكور الاهواز
وغيرها المسمى ركن الدولة
وأخوهما الاكبر والرئيس
المعظم على بن بويه الملقب
بعميد الدولة المقيم بأرض
فارس والمدبر منهم لامر
المطيع أحمد بن بويه معز
الدولة وهو المحارب لليزيديين
بأرض البصرة والمطيع
معه على حسب ماينمو الينا
من أخبارهم ودللنا فى
كتابنا هذا بالقليل على
الكثير وبالجزء القليل
على الجليل الخطير وذكرنا
فى كل كتاب من هذه
الكتب مالم نذكره فى
الآخر الا مالا يسع تركه
ولم نجد بدا من ايراده لما دعت الحاجة الى وصفه وأتينا على أخبار أهل كل عصر وماحدث فيه من الاحداث وما كان فيه من

ألف قتيل من المسلمين وعاد منهزما الى حلب فخاف بها ابنه مسعودا وعبر الفرات الى الموصل ليجمع العساكر ويعاود القتال وكان مانذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر قتل المأمون بن البطائحى﴾

فى هذه السنة فى رمضان قبض الآمر باحكام الله العلوى صاحب مصر على وزيره أبى عبدالله ابن البطائحى الملقب بالمأمون وصلبه واخوته وكان ابتداء أمره أن أباه كان من جواسيس الافضل بالعراق فمات ولم يخلف شيأ فتزوجت أمه وتركته فقيرا فاتصل بانسان يتعلم البناء بمصر ثم صار يحمل الامتعة بالسوق الكبير فدخل مع الحمالين الى دار الافضل أمير الجيوش مرة بعد أخرى فرآه الافضل خفيفا رشيقا حسن الحركة حلو الكلام فاعجبه فسأل عنه فقيل هو ابن فلان فاستخدمه مع الفراشين ثم تقدم عنده وكثرت منزلته وعلت حالته حتى صار وزيرا وكان كريما واسع الصدر قتالا سفاكا للدماء وكان شديد التحرز كثير التطلع الى أحوال الناس من العامة والخاصة من سائر البلاد مصر والشام والعراق وكثر الغمازون فى أيامه وأما سبب قتله فانه كان قد أرسل الامير جعفرا أخا الامر ليقتل الآمر ويجعله خليفة وتقررت القاعدة بينهما على ذلك فسمع بذلك أبو الحسن بن أبى أسامة وكان خصيصا بالآمر قريبا منه وقد ناله من الوزير أذى واطراح فحضر عند الآمر وأعلمه الحال فقبض عليه وصلبه وهذا جزاء من قابل الاحسان بالاساءة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة توفى شمس الدولة سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر وتعرف قديما بقلعة دوس وفيها قتل القاضى أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروى بهمذان قتله الباطنية وكان قد مضى الى خراسان فى رسالة الخليفة الى السلطان سنجر فعاد فقتل وكان ذا مروءة غزيرة وتقدم كثير فى الدولة السلجوقية وفى هذه السنة توفى هلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد وهو من ولد بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو سعد طاف البلاد وسمع وقرأ القرآن وكان موته بسمرقند

﴿ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة﴾

﴿ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالاندلس﴾

فى هذه السنة عظم شأن ابن ردمير الفرنجى بالاندلس واستطال على المسلمين فخرج فى عساكر كثيرة من الفرنج وجاس فى بلاد الاسلام وخاضها حتى وصل الى قريب قرطبة وأكثر النهب والسبى والقتل فاجتمع المسلمون فى جيش عظيم زائد الحد فى الكثرة وقصدوه فلم يكن لهم به طاقة فتحصن منهم فى حصن منيع له اسمه ارنيسول فحصروه وكبسهم ليلا فانهزم المسلمون وكثر القتل فيهم وعاد الى بلاده

﴿ذكر قصد بلاد الاسماعيلية بخراسان﴾

فى هذه السنة أمر الوزير المختص أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو الباطنية وقتلهم أين كانوا وحيثما ظفر بهم ونهب أموالهم وسبى حريمهم وجهز جيشا الى طريثيث وهى لهم وجيشا الى بيهق من أعمال نيسابور وكان فى هذه الاعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز ومقدمهم بها انسان اسمه الحسن بن سمين وسير الى كل طرف من أعمالهم جمعا من الجند ووصاهم أن يقتلوا من لقوهم منهم فقصد كل طائفة الى الجهة التى سيرت اليها فاما القرية التى

الكوائن الى وقتنا هذا مع ما أسلفناه فى هذا الكتاب من ذكر البر والبحر والعامر منهما والغامر والملوك وسيرها والامم وأخبارها وأرجو أن يفسح الله تعالى لنا فى البقاء ويمدنا بالعمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنونا من الاخبار وأنواعا من ظرائف الآثار على غير نظم من التأليف ولا ترتيب من التصنيف على حسب مايسنح من فوائد الاخبار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الاخبار ومختلط الآثار تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا بما تقدم من تصنيفنا وجميع ما أوردناه فى هذا الكتاب لا يسع ذوى الدراية جهله ولا يعذر فى تركه والتغافل عنه فمن عد أبواب كتابى هذا ولم يمعن النظر فى قراءة كل باب منه لم يبلغ حقيقة ماقلنا ولا عرف للعلم مقداره فلقد جمعنا فيه فى عدة السنين باجتهاد وتعب عظيم وجولان فى الاسفار وطواف فى البلدان من الشرق والغرب وكثير من الممالك غير مملكة الاسلام فمن قرأ كتابنا هذا فليتدبره بعين المحبة وليتفضل هو باصلاح ما أنكر منه مما غيره الناسخ وصحفه الكاتب وليرع لى نسبة العلم وحرمة الادب وموجبات الرواية مما تجشمت من التعب فيها فان منزلتى فيه وفى نظمه وتأليفه بمنزلة من وجد جوهرا

باعمال

باعمال بيهق فقصدها العسكر فقتلوا كل من بها وهرب مقدمهم وصعد منارة المسجد وألقى نفسه منها فهلك وكذلك العسكر المنفذ الى طريثيث قتلوا من أهلها فاكثروا وغنموا من أموالهم وعادوا

﴿ذكر ملك الاسماعيلية قلعة بانياس﴾

فى هذه السنة عظم أمر الاسماعيلية بالشام وقويت شوكتهم وملكوا بانياس فى ذى القعدة منها وسبب ذلك ان بهرام ابن أخت الاسداباذى لما قتل خاله ببغداد كما ذكرناه هرب الى الشام وصار داعى الاسماعيلية فيه وكان يتردد فى البلاد ويدعو أوباش الناس وطغامهم الى مذهبه فاستجاب له منهم من لا عقل له فكثر جمعه الا انه يخفى شخصه فلا يعرف وأقام بحلب مدة ونفق على ايلغازى صاحبها وأراد ايلغازى ان يعتضد به لاتقاء الناس شره وشر أصحابه لانهم كانوا يقتلون كل من خالفهم وقصد من يتمسك بهم وأشار ايلغازى على طغتكين صاحب دمشق بان يجعله عنده لهذا السبب فقبل رأيه وأخذه اليه فاظهر حينئذ شخصه وأعلن دعاوته فكثر اتباعه من كل من يريد الشر والفساد وأعانه الوزير أبو طاهر بن سعد المرغينانى قصدا للاعتضاد به على ما يريده فعظم شره واستفحل أمره وصار اتباعه أضعاف ما كانوا فلولا ان عامة دمشق يغلب عليهم مذاهب أهل السنة وانهم يشددون عليه فيما ذهب اليه لملك البلد ثم ان بهرام رأى من أهل دمشق فظاظة وغلظة عليه فخاف عاديتهم فطلب من طغتكين حصنا يأوى اليه هو ومن اتبعه فاشار الوزير بتسليم قلعة بانياس اليه فسلمت اليه فلما سار اليها اجتمع اليه أصحابه من كل ناحية فعظم حينئذ خطبه وجلت المحنة بظهوره واشتد الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدين لاسيما أهل السنة والستر والسلامة الا انهم لا يقدرون على ان ينطقوا بحرف واحد خوفا من سلطانهم أولا ومن شر الاسماعيلية ثانيا فلم يقدم أحد على انكار هذه الحال فانتظروا بهم الدوائر

﴿ذكر قتل البرسقى وملك ابنه عز الدين مسعود﴾

فى هذه السنة ثامن ذى القعدة قتل قسيم الدولة آقسنقر البرسقى صاحب الموصل بمدينة الموصل قتلته الباطنية يوم جمعة بالجامع وكان يصلى الجمعة مع العامة وكان قد رأى تلك الليلة فى منامه ان عدة من الكلاب ثاروا به فقتل بعضها ونال منه الباقى ما آذاه فقص رؤياه على أصحابه فأشاروا عليه بترك الخروج من داره عدة أيام فقال لا أترك الجمعة لشئ أبدا فغلبوا على رأيه ومنعوه من قصد الجمعة فعزم على ذلك فأخذ المصحف يقرأ فيه فأول ما رأى وكان أمر الله قدرا مقدورا فركب الى الجامع على عادته وكان يصلى فى الصف الاول فوثب عليه بضعة عشر نفسا عدة الكلاب التى رآها فجرحوه بالسكاكين فجرح هو بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله وكان مملوكا تركيا خيرا يحب أهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله وكان من خير الولاة يحافظ على الصلوات فى أوقاتها ويصلى من الليل متهجدا وحكى لى والدى رحمه الله عن بعض من كان يخدمه قال كنت فراشا معه فكان يصلى كل ليلة كثيرا وكان يتوضأ هو بنفسه ولا يستعين باحد ولقد رأيته فى بعض ليالى الشتاء بالموصل وقد قام من فراشه وعليه فرجية صغيرة وبيده ابريق فمشى نحو دجلة ليأخذ ماء فمنعنى البرد من القيام ثم اننى خفته فقمت بين يديه لآخذ الابريق منه فمنعنى وقال يا مسكين ارجع الى مكانك فانه برد فاجتهدت لآخذ الابريق فلم يعطنى وردنى الى مكانى ثم توضأ وقام يصلى ولما قتل كان ابنه عز الدين مسعود بحلب يحفظها من الفرنج فارسل اليه

منثورا ذا أنواع مختلفة وفنون متباينة فنظم منها سلكا واتخذ عقدا نفيسا ثمينا باقيا لطلابه وليعلم من نظر فيه أنى لم أنتصر فيه لمذهب ولا تحيزت الى قول ولا حكيت عن الناس الا مجالس أخبارهم ولم أعرض فيه لغير ذلك فلنذكر الآن الباب الثانى من جامع التاريخ على حسب ماقدمنا الوعد بايراده فى صدر هذا الكتاب

﴿ذكر جامع التاريخ الباقى من الهجرة الى هذا الوقت﴾

وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة الذى فيه انتهينا من الفراغ من هذا الكتاب قد أفردنا فيما سلف من هذا الكتاب بابا للتاريخ فى تاريخ العالم والانبياء والملوك الى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه الى هجرته ثم ذكرنا هجرته الى وفاته وأيام الخلفاء والملوك الى هذا الوقت على حسب مايوجبه الحساب ومافى كتب السير وأصحاب التواريخ ممن عنى باخبار الخلفاء والملوك ولم نعرض فيما ذكرنا من ذلك لما فى كتب الزيجات مما ذكره أصحاب النجوم على حسب مايوجبه تاريخهم فلنذكر فى هذا الباب جميع ما أثبتوه فى كتب زيجات النجوم من الهجرة الى هذا الوقت المؤرخ ليكون ذلك أكثر لفائدة الكتاب وأجمع لمعرفة تباين أصحاب التواريخ من الاخباريين والمنجمين وما اتفقوا عليه من ذلك فالذى وجدناه من ذلك فى كتاب الزيجات أن الابتداء فى يوم الجمعة مستهل المحرم سنة احدى للتروية وذلك يوم ستة عشر من تموز سنة تسعمائة وثلاثة وثلاثين لذى القرنين وكانت هجرة النبى

أصحاب أبيه بالخبر فسار الى الموصل ودخلها أول ذى الحجة وأحسن الى أصحاب أبيه بها وأقر وزيره المؤيد أبا غالب بن عبد الخالق بن عبد الرزاق على وزارته وأطاعه الامراء والاجناد وانحدر الى خدمة السلطان محمود فأحسن اليه وأعاده ولم يختلف عليه أحد من أهل بلاد أبيه ووقع البحث عن حال الباطنية والاستقصاء عن أخبارهم فقيل انهم كانوا يجلسون الى اسكاف بدرب ايليا فأحضر ووعد الاحسان ان أقر فلم يقر فهدد بالقتل فقال انهم وردوا من سنين لقتله فلم يتمكنوا منه الى الآن فقطعت يداه ورجلاه وذكره ورجم بالحجارة فمات ومن العجب ان صاحب انطاكية أرسل الى عز الدين بن البرسقى يخبره بقتل والده قبل ان يصل اليه الخبر وكان قد سمعه الفرنج قبله لشدة عنايته بمعرفة الاحوال الاسلامية ولما استقر عز الدين فى الولاية قبض على الامير بابكر بن ميكائيل وهو من أكابر الامراء وطلب منه ان يسلم ابن أخيه قلعة اربل الى الامير فضل وأبى على ابنى أبى الهيجاء وكان ابن أخيه قد أخذها منه سنة سبع عشرة فراسل ابن أخيه فسلم اربل الى المذكورين

﴿ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود﴾

كان قد جرى بين يرنقش الزكوى شحنة بغداد وبين نواب الخليفة المسترشد بالله نفرة تهدده الخليفة فيها فخافه على نفسه فسار عن بغداد الى السلطان محمود فى رجب من هذه السنة وشكا اليه وحذره جانب الخليفة وأعلمه انه قد قاد العساكر ولقى الحروب وقويت نفسه ومتى لم تعاجله بقصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعا ومنعك عنه وحينئذ يتعذر عليك ما هو الآن بيده فتوجه السلطان نحو العراق فأرسل اليه الخليفة يعرفه ما البلاد وأهلها عليه من الضعف والوهن بسبب دبيس وافساد عسكره فيها وان الغلاء قد اشتد بالناس لعدم الغلات والاقوات لهرب الأكرة عن بلادهم ويطلب منه أن يؤخر هذه الدفعة الى ان ينصلح حال البلاد ثم يعود اليها فلا مانع له عنها وبذل له على ذلك مالا كثيرا فلما سمع السلطان هذه الرسالة قوى عنده ما قرره الزكوى وأبى أن يجيب الى التأخر وصمم العزم وسار اليها مجدا فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو وأهله وحرمه ومن عنده من أولاد الخلفاء الى الجانب الغربى فى ذى القعدة مظهرا للغضب والانتزاح عن بغداد ان قصدها السلطان فلما خرج من داره بكى الناس جميعهم بكاء عظيما لم يشاهد مثله فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه وبلغ منه كل مبلغ فأرسل يستعطف الخليفة ويسأله العود الى داره فأعاد الجواب انه لا بد من عودك هذه الدفعة فان الناس هلكى بشدة الغلاء وخراب البلاد وانه لا يرى فى دينه ان يزداد ما بهم وهو يشاهدهم فان عاد السلطان والا رحل هو عن العراق لئلا يشاهد ما يلقى الناس بمجىء العساكر فغضب السلطان لقوله ورحل نحو بغداد وأقام الخليفة بالجانب الغربى فلما حضر عيد الاضحى خطب الناس وصلى بهم فبكى الناس لخطبته وأرسل عفيفا الخادم وهو من خواصه فى عسكر الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فأرسل السلطان اليه عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان له حينئذ البصرة وقد فارق البرسقى واتصل بالسلطان فأقطعه البصرة فلما وصل عفيف الى واسط سار اليه عماد الدين فنزل بالجانب الشرقى وكان عفيف بالجانب الغربى فأرسل اليه عماد الدين يحذره القتال ويأمره بالانتزاح عنها فأبى ولم يفعل فعبر اليه عماد الدين واقتتلوا فانهزم عسكر عفيف وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر مثلهم

صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة سنة احدى بعد ان مضى منها شهران وثمانية أيام فمكث بها حتى قبض صلى الله عليه وسلم تسع سنين واحدى عشر شهرا واثنين وعشرين يوما فذلك عشر سنين وشهران (أبو بكر) الصديق رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام فذلك اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوما فذلك اثنتان وعشرون سنة (عثمان بن عفان) رضى الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وتسعة عشر يوما (على) بن أبى طالب رضى الله عنه أربع سنين وسبعة أشهر فذلك تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة عشر يوما والى بيعة معاوية ابن أبى سفيان ستة أشهر وثلاثة أيام فذلك أربعون سنة وشهران وعشرون يوما (معاوية) بن أبى سفيان رضى الله عنه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما فذلك تسع وخمسون سنة وستة أشهر وخمسة وعشرون يوما (يزيد) بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر (معاوية) بن يزيد بن معاوية ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما (مروان) بن الحكم أربعة أشهر (عبد الله) ابن الزبير ثمان سنين وخمسة أشهر (عبد الملك) بن مروان حتى قتل ابن الزبير سنة وشهرين وستة أيام ﴿ذكر أيام بنى مروان﴾ عبد الملك بن مروان بن الحكم اثنتى عشرة سنة وأربعة أشهر وخمسة أيام (الوليد) بن عبد الملك تسع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما (سليمان) بن عبد الملك سنتين وسبعة أشهر وعشرين يوما

وتغافل

وتغافل عن عفيف حتى نجا للمودة كانت بينهما ثم ان الخليفة جمع السفن جميعها اليه وسد أبواب دار الخلافة سوى باب النوبى وأمر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبق من حواشى الخليفة بالجانب الشرقى سواه ووصل السلطان الى بغداد فى العشرين من ذى الحجة ونزل بباب الشماسية ودخل بعض عسكره الى بغداد ونزلوا فى دور الناس فشكا الناس ذلك الى السلطان فأمر باخراجهم وبقى فيها من له دار وبقى السلطان يراسل الخليفة بالعود ويطلب الصلح وهو يمتنع وكان يجرى بين العسكرين مناوشة والعامة من الجانب الغربى يسبون السلطان أفحش سب ثم ان جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة ونهبوا التاج وحجر الخليفة أول المحرم سنة احدى وعشرين وضج أهل بغداد من ذلك فاجتمعوا ونادوا الغزاة فأقبلوا من كل ناحية ولما رآهم الخليفة خرج من السرادق والشمسة على رأسه والوزير بين يديه وأمر بضرب الكوسات والبوقات ونادى بأعلى صوته يالهاشم وأمر بتقديم السفن ونصب الجسر وعبر الناس دفعة واحدة وكان له فى الدار ألف رجل مختفين فى السراديب فظهروا وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب فأسر منهم جماعة من الامراء ونهب العامة دار وزير السلطان ودور جماعة من الامراء ودار عزيز الدين المستوفى ودار الحكيم أوحد الزمان الطبيب وقتل منهم خلق كثير فى الدروب ثم عبر الخليفة الى الجانب الشرقى ومعه ثلاثون ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد وأمر بحفر الخنادق فحفرت بالليل وحفظوا بغداد من عسكر السلطان ووقع الغلاء عند العسكر واشتد الامر عليهم وكان القتال كل يوم عليهم عند أبواب البلد وعلى شاطئ دجلة وعزم عسكر الخليفة على ان يكبسوا عسكر السلطان فغدر بهم الامير أبو الهيجاء الكردى صاحب اربل وخرج كأنه يريد القتال فالتحق هو وعسكره بالسلطان وكان السلطان قد أرسل الى عماد الدين بواسط يأمره أن يحضر هو بنفسه ومعه المقاتلة فى السفن وعلى الدواب فى البر فجمع كل سفينة فى البصرة الى بغداد وشحنها بالرجال المقاتلة وأكثر من السلاح وأصعد فلما قارب بغداد أمر كل من معه فى السفن وفى البر بلبس السلاح واظهار ما عندهم من الجلد والنهضة فسارت السفن فى الماء والعسكر فى البر على شاطئ دجلة قد انتشروا وملؤا الارض برا وبحرا فرأى الناس منظرا عجيبا كبر فى أعينهم وملأ صدورهم وركب السلطان والعسكر الى لقائهم فنظروا الى ما لم يروا مثله وعظم عماد الدين فى أعينهم وعزم السلطان على قتال بغداد حينئذ والجد فى ذلك فى البر والماء فلما رأى الامام المسترشد بالله الامر على هذه الصورة وخروج الامير أبى الهيجاء من عنده أجاب الى الصلح وترددت الرسل بينهما فاصطلحا واعتذر السلطان مما جرى وكان حليما يسمع سبه باذنه فلا يعاقب عليه وعفا عن أهل بغداد جميعهم وكان أعداء الخليفة يشيرون على السلطان باحراق بغداد فلم يفعل وقال لا تساوى الدنيا فعل مثل هذا وأقام ببغداد الى رابع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وحمل الخليفة من المال اليه كل ما استقرت القاعدة عليه وأهدى له سلاحا وخيلا وغير ذلك ثم مرض السلطان ببغداد فأشار عليه الاطباء بمفارقتها فرحل الى همذان فلما وصلها عوفى

﴿ذكر مصاف بين طغتكين أتابك والفرنج بالشام﴾

فى هذه السنة اجتمعت الفرنج وملوكها وقمامصتها وكنودها وساروا الى نواحى دمشق فنزلوا

(عمر) بن عبد العزيز بن مروان سنتين وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما (يزيد) بن عبد الملك أربع سنين ويوما واحدا (هشام) بن عبد الملك تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام فذلك مائة سنة وأربعة وعشرون سنة وثلاثة أشهر وستة أيام (الوليد) ابن يزيد بن عبد الملك حتى قتل سنة وشهرين وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرون يوما وكانت الفتنة بعد مقتله بشهرين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وثمانية أشهر واثنتان وعشرون يوما (يزيد) بن الوليد بن عبد الملك شهرين وسبعة أيام فذلك مائة وخمس وعشرون سنة وأحد عشر شهرا ويوم واحد (ابراهيم) ابن الوليد بن عبد الملك حتى خلع شهرين وأحد عشر يوما فذلك مائة سنة وست وعشرون سنة وشهر واثنا عشر يوما (مروان) بن محمد حتى قتل خمس سنين وشهرين فذلك مائة سنة واحدى وثلاثون سنة وثلاثة أشهر واثنا عشر يوما

﴿ذكر الخلفاء من بنى هاشم﴾

أبو العباس عبد الله بن محمد أربع سنين وثمانية أشهر ويومين فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة واحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما حتى انتهت البيعة الى المنصور أربعة عشر يوما فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية وعشرون يوما (أبو جعفر) عبد الله بن محمد المنصور احدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وستة أيام حتى انتهى الخبر الى المهدى اثنى عشر يوما فذلك مائة وسبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا

وثمانية عشر يوما (المهدى) عشر سنين وشهرا واحدا وخمسة أيام فذلك مائة وثمان وستون سنة وثلاثة عشر يوما حتى انتهى
الخبر الى الهادى ثمانية أيام فذلك مائة وثمان وستون سنة وشهر واحد ويوم واحد (الهادى) سنة وثلاثة أشهر فذلك مائة

برج الصفر عند قرية يقال لها شقحبا بالقرب من دمشق فعظم الامر على المسلمين واشتد خوفهم
وكاتب طغتكين أتابك صاحبها أمراء التركمان من ديار بكر وغيرها وجمعهم وكان هو قد سار عن
دمشق الى جهة الفرنج واستخلف بها ابنه تاج الملوك بورى فكان بها كلما جاءت طائفة أحسن
ضيافتهم وسيرهم الى أبيه فلما اجتمعوا سار بهم طغتكين الى الفرنج فالتقوا أواخر ذى الحجة
واقتتلوا واشتد القتال فسقط طغتكين عن فرسه فظن أصحابه انه قتل فانهزموا وركب
طغتكين فرسه ولحقهم وتبعهم الفرنج وبقى التركمان لم يقدروا أن يلحقوا بالمسلمين فى الهزيمة
فتخلفوا فلما رأوا فرسان الفرنج قد تبعوا المنهزمين وان معسكرهم وراجلهم ليس له مانع ولا حام
حملوا على الرجالة فقتلوهم ولم يسلم منهم الا الشريد ونهبوا معسكر الفرنج وخيامهم وأموالهم
وجميع ما معهم وفى جملته كنيسة فيها من الذهب والجوهر ما لا يقوم كثرة فنهبوا ذلك جميعه
وعادوا الى دمشق سالمين لم يعدم منهم أحد ولما رجع الفرنج من أثر المنهزمين ورأوا رجالتهم
قتلى وأموالهم منهوبة تموا منهزمين لا يلوى الاخ على أخيه وكان هذا من الغريب ان طائفتين
تنهزمان كل واحدة منهما من صاحبتها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة حصر الفرنج رفنية من أرض الشام وهى بيد المسلمين وضيقوا عليها فملكوها
وفيها توفى أبو الفتح أحمد بن محمد الغزالى الواعظ وهو أخو الامام أبى حامد محمد وقد ذمه أبو
الفرج بن الجوزى بأشياء كثيرة منها روايته فى وعظه الاحاديث التى ليست له بصحيحة والعجب انه
يقدح فيه بهذا وتصانيفه هو ووعظه محشو به ومملوء منه نسأل الله ان يعيذنا من الوقيعة فى الناس
ثم ياليت شعرى اما كان للغزالى حسنة تذكر مع ما ذكر من المساوى التى نسبها اليه لئلا ينسب
الى الهوى والغرض

﴿ثم دخلت سنة احدى وعشرين وخمسمائة﴾

﴿ذكر ولاية الشهيد اتابك زنكى شحنكية العراق﴾

فى هذه السنة فى ربيع الآخر أسند السلطان محمود شحنكية العراق الى عماد الدين زنكى بن
آقسنقر وكان سبب ذلك ان عماد الدين لما أصعد من واسط الى السلطان والجمع الذى ذكرناه وقام
فى حفظ واسط والبصرة وتلك النواحى القيام الذى عجز غيره عنه عظم فى صدر السلطان وصدور
أمرائه فلما عزم السلطان على المسير عن بغداد نظر فيمن يصلح ان يلى شحنكية العراق يأمن معه
من الخليفة فاعتبر امراءه وأعيان دولته فلم ير فيهم من يقوم فى هذا الامر مقام عماد الدين
فاستشار فى ذلك فكل أشار به وقالوا لا نقدر على رقع هذا الخرق واعادة ناموس هذه الولاية ولا
تقوى نفس أحد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكى فوافق ما عنده فاسند اليه الولاية
وفوضها اليه مضافة الى ماله من الاقطاع وسار عن بغداد وقد اطمأن قلبه من جهة العراق
فكان الامر كما ظن

﴿ذكر عود السلطان عن بغداد ووزارة أنوشروان بن خالد﴾

فى هذه السنة فى عاشر ربيع الآخر سار السلطان محمود عن بغداد بعد تقرير القواعد بها ولما
عزم على المسير حمل اليه الخليفة الخلع والدواب الكثيرة فقبل ذلك جميعه وسار ولما ابعد عن

وتسع وستون سنة وشهران
وستة عشر يوما (الرشيد)
ثلاثا وعشرين سنة وشهرين
وستة عشر يوما فذلك مائة
واثنتان وتسعون سنة
وخمسة أشهر وخمسة
عشر يوما (الامين) حتى
خلع وحبس ثلاث سنين
وخمسة وعشرين يوما
فذلك مائة وخمس وتسعون
سنة وستة أشهر واثنا
عشر يوما وأخرج وبويع
له وحارب وحوصر حتى
قتل سنة وستة أشهر وثلاثة
عشر يوما (المأمون)
عشرين سنة وخمسة
أشهر واثنين وعشرين
يوما فذلك مائتان وسبع
عشرة سنة وستة أشهر
وتسعة عشر يوما (المعتصم)
ثمان سنين وثمانية أشهر
ويوما فذلك مائتان وستة
وعشرون سنة وشهران
وتسعة عشر يوما (الواثق)
خمس سنين وتسعة أشهر
وخمسة أيام فذلك مائتان
واحدى وثلاثون سنة
وأحد عشر شهرا وأربعة
وعشرون يوما (المتوكل)
أربع عشرة سنة وتسعة
أشهر وسبعة أيام فذلك
مائتان وست وأربعون سنة
وتسعة أشهر ويوم واحد
(المنتصر) ستة أشهر فذلك
مائتان وسبعة وأربعون سنة وثلاثة اشهر ويوم واحد الى أن انحدر المستعين الى مدينة السلام سنتين وتسعة أشهر بغداد
وثلاثة أيام فذلك مائتان وخمسون سنة وأربعة عشر يوما والى أن خطب للمعتز بمدينة السلام احد عشر شهرا وعشرين يوما فذلك

مائتان واحدى وخمسون سنة وأربعة أيام والى أن خلع ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما فذلك مائتان وأربعة
وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة وعشرون يوما والى بيعة المهتدى يومين فذلك مائتان وأربع وخمسون سنة وسبعة

بغداد قبض على وزيره أبى القاسم على بن القاسم الانسابادى فى رجب لانه اتهمه بممالأة
المسترشد بالله لقيامه فى أمره واتمام الصلح مقاما ظاهرا اثره فسعى به أعداؤه فلما قبض عليه أرسل
السلطان الى بغداد أحضر شرف الدين انوشروان بن خالد وكان مقيما بها فلما علم بذلك جاءته
الهدايا من كل أحد حتى من الخليفة وسار عن بغداد خامس شعبان فوصل الى السلطان وهو
باصبهان فخلع عليه خلع الوزارة وبقى فيها نحو عشرة أشهر ثم استعفى منها وعزل نفسه وعاد الى
بغداد فى شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة واما الوزير أبو القاسم فانه بقى مقبوضا الى ان
خرج السلطان سنجر الى الرى سنة اثنتين وعشرين فاخرجه من الحبس فى ذى الحجة وأعاده الى
وزارة السلطان محمود وهى الوزارة الثانية

﴿ذكر وفاة عز الدين بن البرسقى وولاية عماد الدين زنكى الموصل واعمالها﴾

فى هذه السنة توفى عز الدين مسعود بن البرسقى وهو صاحب الموصل وكان موته بمدينة الرحبة
وسبب مسيره اليها انه لما استقامت أموره فى ولايته وراسل السلطان محمودا وخطب له ولاية
ما كان أبوه يتولاه من الموصل وغيرها فاجاب السلطان الى ما طلب فرتب الامور وقررها فكثر
جنده وكان شجاعا شهما فطمع فى التغلب على بلاد الشام فجمع عساكره وسار الى الشام يريد قصد
دمشق فابتدأ بالرحبة فوصل اليها ونازلها وقام بحاصرها فاخذه مرض حاد وهو محاصر لها فتسلم
القلعة ومات بعد ساعة فندم من بها على تسليمها اليه ولما مات بقى مطروحا على بساط لم يدفن
وتفرق عنه عسكره ونهب بعضهم بعضا فشغلوا عنه ثم دفن بعد ذلك وقام بعده أخ له صغير واستولى
على البلاد مملوك للبرسقى يعرف بالجاولى ودبر أمر الصبى وأرسل الى السلطان يطلب ان يقرر
البلاد على ولد البرسقى وبذل الاموال الكثيرة على ذلك وكان الرسول فى هذا الامر القاضى بهاء
الدين أبو الحسن على بن القاسم الشهرزورى وصلاح الدين محمد أمير حاجب البرسقى فحضرا دركاه
السلطان ليخاطبا فى ذلك وكانا يخافان جاولى ولا يرضيان بطاعته والتصرف بما يحكم به فاجتمع
صلاح الدين ونصير الدين جقر الذى صار نائبا عن اتابك عماد الدين بالموصل وكان بينهما مصاهرة
وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وأفشى اليه سره فخوفه نصير الدين من جاولى وقبح عنده طاعته
وقرر فى نفسه انه انما ابقاه وامثاله لحاجته اليهم ومتى أجيب الى مطلوبه لا يبقى على أحد منهم
وتحدث معه فى المخاطبة فى ولاية عماد الدين زنكى وضمن له الولايات والاقطاع الكثيرة وكذلك
للقاضى بهاء الدين الشهرزورى فاجابه الى ذلك واحضره معه عند القاضى بهاء الدين وخاطباه فى
هذا الامر وضمنا له كل ما أراده فوافقهما على ما طلبا وركب هو وصلاح الدين الى دار الوزير
وهو حينئذ شرف الدين انوشروان بن خالد وقالا له قد علمت أنت والسلطان ان ديار الجزيرة
والشام قد تمكن الفرنج منها وقويت شوكتهم بها فاستولوا على اكثرها وقد أصبحت ولايتهم من
حدود ماردين الى عريش مصر ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين وقد كان البرسقى مع شجاعته
وتجربته وانقياد العساكر اليه يكف بعض عاديتهم وشرهم فمذ قتل ازداد طمعهم وهذا ولده
طفل صغير ولا بد للبلاد من رجل شهم شجاع ذى رأى وتجربة يذب عنها ويحفظها ويحمى
حوزتها وقد أنهينا الحال لئلا يجرى خلل أو وهن على الاسلام والمسلمين فيختص اللوم بنا ويقال
لم لا أنهيتم الينا جلية الحال فرفع الوزير قولهما الى السلطان فاستحسنه وشكرهما عليه وأحضرهما

أشهر (المهتدى) احد عشر
شهرا وثمانية وعشرين
يوما فذلك مائتان وخمس
وخمسون سنة وستة أشهر
وسبعة عشر يوما (المعتمد)
ثلاثا وعشرين سنة وثلاثة
أيام فذلك مائتان وثمان
وثمانون سنة وثلاثة أشهر
واثنان وعشرون يوما
(المعتضد) حتى خلع احدى
وعشرين سنة وشهرين
وخمسة أيام فذلك ثلثمائة
سنة وست عشرة سنة وتسعة
عشر يوما (ابن المعتز)
حتى خلع يومين فذلك
ثلثمائة سنة وستة عشر
سنة واحدى وعشرون
يوما (المقتدر) حتى قتل
ثلاث سنين وتسعة أشهر
وثمانية أيام فذلك ثلثمائة
وتسع عشرة سنة وعشرون
يوما (القاهر) حتى خلع سنة
وستة أشهر واثنى عشر
يوما فذلك ثلثمائة واحدى
وعشرون سنة وأربعة أشهر
وسبعة أيام (الراضى) ست
سنين وأحد عشر شهرا وثمانية
ايام فذلك ثلثمائة وثمانية
وعشرون سنة وسبعة
عشر يوما (المتقى) ثلاث
سنين وتسعة أشهر وستة
عشر يوما فذلك ثلثمائة
واثنتان وثلاثون سنة
وشهر واحد وثلاثة أيام
(المستكفى) سنة وثلاثة أشهر فذلك ثلثمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة وسبعة أشهر واثنا عشر يوما (المطيع لله) الى غرة جمادى الاولى
سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلثمائة وخمسة وثلاثون سنة وأربعة أشهر الا ثلاث ليال

واستشارهم فيمن يصلح للولاية فذكر جماعة منهم عماد الدين زنكى وبذلا عنه تقربا الى خزانة السلطان مالا جليلا فاجاب السلطان الى توليته لما يعلمه من كفايته لما يليه فاحضره وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها وسار فبدأ بالبوازيج ليملكها ويتقوى بها ويجعلها ظهره لانه خاف من جاولى انه ربما صده عن البلاد فلما دخل البوازيج سار عنها الى الموصل فلما سمع جاولى بقربه من البلد خرج الى تلقيه ومعه جميع العسكر فلما رآه جاولى نزل عن فرسه وقبل الارض بين يديه وعاد فى خدمته الى الموصل فدخلها فى رمضان وأقطع جاولى الرحبة وسيره اليها وأقام بالموصل يصلح أمورها ويقرر قواعدها فولى نصير الدين دزدارية القلعة بالموصل وجعل اليه سائر دزدارية القلاع وجعل صلاح الدين محمدا أميرا حاجبا وبهاء الدين قاضى قضاة بلاده جميعها وزاده أملاكا واقطاعا واحتراما وكان لا يصدر الا عن رأيه فلما فرغ من أمر الموصل سار عنها الى جزيرة ابن عمر وبها مماليك البرسقى فامتنعوا عليه فحصرهم وراسلهم وبذل لهم البذول الكثيرة ان سلموا فلم يجيبوه الى ذلك فجد فى قتالهم وبينه وبين البلد دجلة فامر الناس فالقوا أنفسهم فى الماء ليعبروه الى البلد ففعلوا وعبر بعضهم سباحة وبعضهم فى السفن وبعضهم فى الاكلاك وتكاثروا على أهل الجزيرة وكانوا قد خرجوا عن البلد الى أرض بين الجزيرة ودجلة تعرف بالزلاقة ليمنعوا من يريد عبور دجلة فلما عبر العسكر اليهم قاتلوهم ومانعوهم فتكاثر عسكر عماد الدين عليهم فانهزم أهل البلد ودخلوه وتحصنوا باسواره واستولى عماد الدين على الزلاقة فلما رأى من بالبلد ذلك ضعفوا ووهنوا وأيقنوا أن البلد يملك سلما أو عنوة فارسلوا يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وكان هو أيضا مع عسكره بالزلاقة فسلموا البلد اليه فدخله هو وعسكره ثم ان دجلة زادت تلك الليلة زيادة عظيمة لحقت سور البلد وصارت الزلاقة ماء فلو أقام ذلك اليوم لغرق هو وعسكره ولم ينج منهم احد فلما رأى الناس ذلك أيقنوا بسعادته وأيقنوا ان امرا هذا بدايته لعظيم ثم سار عن الجزيرة الى نصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش صاحب ماردين فلما نازلها سار حسام الدين الى ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن ارتق وهو صاحب حصن كيفا وغيرها فاستنجده على اتابك زنكى فوعده النجدة بنفسه وجمع عسكره وعاد تمرتاش الى ماردين وأرسل رقاعا على أجنحة الطيور الى نصيبين يعرف من بها من العسكر انه وابن عمه سائران فى العسكر الكثير اليهم وازاحة عماد الدين عنهم ويأمرهم بحفظ البلد خمسة أيام فبينما اتابك فى خيمته اذ سقط طائر على خيمة تقابله فامر به فصيد فرأى فيه رقعة فقرأها وعرف ما فيها فامر ان يكتب غيرها يقول فيها اننى قصدت ابن عمى ركن الدولة وقد وعدنى النصرة وجمع العساكر وما يتأخر عن الوصول اكثر من عشرين يوما ويأمرهم بحفظ البلد هذه المدة الى ان يصلوا وجعلها فى الطائر وأرسله فدخل نصيبين فلما وقف من بها على الرقعة سقط فى أيديهم وعلموا انهم لا يقدرون ان يحفظوا البلد هذه المدة فارسلوا الى الشهيد وصالحوه وسلموا البلد اليه فبطل على تمرتاش وداود ما كانا عزما عليه وهذا من غريب ما يسمع فلما ملك نصيبين سار عنها الى سنجار فامتنع من بها عليه ثم صالحوه وسلموا البلد اليه وسير منها الشحن الى الخابور فملكه جميعه ثم سار الى حران وهى للمسلمين وكانت الرها وسروج والبيرة وتلك النواحى جميعها للفرنج وأهل حران معهم فى ضر عظيم وضيق شديد لخلو البلاد من حام يذب عنها وسلطان يمنعها فلما قارب حران خرج أهل البلد

(قال المسعودى) وسنو الهجرة قرية وبين هذا التاريخ وتاريخ أصحاب الاخبار والسير تفاوت من زيادات الشهور والايام ومعولنا فيما ذكرنا من التاريخ من الهجرة الى هذا الوقت على ما وجدنا فى كتب الزيجات وكان أهل هذه الصناعة يراعون هذه الاوقات ويحيطون علما بها على التحديد والذى نقلناه من التاريخ فمن زيج أبى عبد الله محمد ابن جابر البتانى وغيره من الزيجات الى هذا الوقت فأما ما قدمنا ذكره فى هذا الوقت من الهجرة الى هذا الوقت فانا نعيد ذكره مفصلا فى هذا الكتاب لكى يقرب تناوله على الطالب له ولا يبعد عما ذكرناه من الزيجات (ذلك صح) من تاريخ أصحاب السير والاخبار من اهل النقل والآثار أنه بعث صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم (أبو بكر) سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام (عمر) بن الخطاب عشر سنين وتسعة أشهر وأربع ليال (عثمان) بن عفان احدى عشرة سنة (على) ابن أبى طالب أربع سنين (الحسن) بن على ستة أشهر وعشرة أيام (معاوية) بن ابى سفيان سبع عشرة سنة وثمانية أشهر (يزيد) بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر الاثمان ليال (معاوية) بن يزيد شهرا واحدا واحد عشر يوما (مروان) بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيام (عبد الملك) بن مروان احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا (الوليد) بن عبد الملك سبع سنين وثمانية أشهر ويومين

وأطاعوه وسلموا اليه فلما ملكها ارسل الى جوسلين صاحب الرها وتلك البلاد وراسله وهادنه مدة يسيرة وكان غرضه أن يتفرغ لاصلاح البلاد وجند الاجناد وكان أهم الامور اليه ان يعبر الفرات الى الشام ويملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية فاستقر الصلح بينهم وأمن الناس ونحن نذكر ملك حلب ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قتل معين الملك أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر قتلته الباطنية وكان له فى قتالهم آثار حسنة ونية صالحة فرزقه الله الشهادة وفيها ولى السلطان شحنكية بغداد مجاهد الدين بهروز لما سار أتابك زنكى الى الموصل وفيها رتب الحسن بن سليمان فى تدريس النظامية ببغداد وفيها أوقع السلطان سنجر بالباطنية فى ألموت فقتل منهم خلقا كثيرا قيل كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس وتوفى هذه السنة على بن المبرك أبو الحسن المقرى المعروف بابن الفاعوس الحنبلى ببغداد فى شوال وكان صالحا وفى شوال توفى محمد بن عبد الملك بن ابراهيم بن أحمد أبو الحسن بن أبى الفضل الهمذانى الفرضى صاحب التاريخ

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك أتابك عماد الدين زنكى مدينة حلب)

فى هذه السنة أول المحرم ملك عماد الدين زنكى بن آقسنقر مدينة حلب وقلعتها ونحن نذكر كيف كان سبب ملكها فنقول قد ذكرنا ملك البرسقى لمدينة حلب وقلعتها سنة ثمان عشرة واستخلافه بها ابنه مسعودا ولما قتل البرسقى سار مسعود عنها الى الموصل وملكها واستناب بحلب أميرا اسمه قومان ثم انه ولى عليها أميرا اسمه قتلغ ابه وسيره بتوقيع الى قومان بتسليمها فقال بينى وبين عز الدين علامة لم أرها ولا أسلم الا بها وكانت العلامة بينهما صورة غزال وكان مسعود بن البرسقى حسن التصوير فعاد قتلغ ابه الى مسعود وهو يحاصر الرحبة فوجده قد مات فعاد الى حلب مسرعا وعرف الناس موته فسلم الرئيس فضائل بن بديع البلد وأطاعه المقدمون به واستنزلوا قومان من القلعة بعد ان صح عنده وفاة صاحبه مسعود وأعطوه ألف دينار فتسلم قتلغ القلعة فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين فظهر منه بعد أيام جور شديد وظلم عظيم ومد يده الى أموال الناس لاسيما التركات فانه أخذها وتقرب اليه الاشرار فنفرت قلوب الناس منه وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق الذى كان قديما صاحبها فاطاعه أهلها وقاموا ليلة الثلاثاء ثانى شوال فقبضوا على كل من كان بالبلد من أصحاب قتلغ ابه وكان أكثرهم يشربون فى البلد صبيحة العيد وزحفوا الى القلعة فتحصن قتلغ ابه فيها بمن معه فحصروه ووصل الى حلب حسان صاحب منبج وحسن صاحب بزاعة لاصلاح الامر فلم ينصلح وسمع الفرنج بذلك فتقدم جوسلين بعسكره الى المدينة فصونع بمال فعاد عنها ثم وصل بعده صاحب انطاكية فى جمع من الفرنج فخندق الحلبيون حول القلعة فمنع الداخل والخارج اليها من ظاهر البلد وأشرف الناس على الخطر العظيم الى منتصف ذى الحجة من السنة وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة فسير الى حلب الامير سنقر دراز والامير حسن قراقوش وهما من أكابر أمراء البرسقى وقد صاروا معه فى عسكر قوى ومعه التوقيع من السلطان بالموصل والجزيرة والشام فاستقر الامر ان يسير بدر الدولة بن عبد الجبار وقتلغ ابه الى الموصل الى عماد الدين فسارا

(سليمان) بن عبد الملك سنتين وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوما (عمر) بن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام (يزيد) بن عبد الملك أربع سنين وشهرا ويومين (هشام) بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر واحدى عشرة ليلة (الوليد) بن يزيد سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما (مروان) بن محمد خمس سنين وعشرة أيام (عبد الله) ابن محمد السفاح أربع سنين وتسعة أشهر (المنصور) اثنتين وعشرين سنة الا تسع ليال (المهدى) عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما (الهادى) سنة وستة أشهر (الرشيد) ثلاثة وعشرين سنة وستة أشهر (الامين) أربع سنين وستة أشهر (المأمون) احدى وعشرين سنة سواء (المعتصم) ثمان سنين وثمانية أشهر (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام (المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسع ليال (المنتصر) ستة أشهر (المستعين) ثلاث سنين وثمانية أشهر (المعتز) أربع سنين وستة أشهر (المهتدى) احد عشر شهرا (المعتمد) ثلاثا وعشرين سنة (المعتضد) تسع سنين وتسعة أشهر ويومين (المكتفى) ست سنين وسبعة أشهر ويومين (المقتدر) أربعا وعشرين سنة واحد عشر شهرا وستة عشر يوما (القاهر) سنة وستة أشهر وستة أيام (الراضى) ست سنين واحد عشر شهرا وثمانية أيام (المتقى) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما (المستكفى) سنة وثلاثة أشهر (المطيع) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما (ونحن نؤمل من الله)

اليه وأقام حسن قراقوش بحلب والياعليها ولاية مستعارة فلما وصل بدر الدولة وقتلغ ابه الى عماد الدين أصلح بينهما ولم يرد واحدا منهما الى حلب وسير حاجبه صلاح الدين محمد الباغيسياني اليها في عسكر فصعد الى القلعة ورتب الامور وجعل فيها واليا وسار عماد الدين زنكي الى الشام في جيوشه وعساكره فلك في طريقه مدينة منبج وبزاعة وخرج أهل حلب اليه فالتقوه واستبشروا بقدومه ودخل البلد واستولى عليه ورتب أموره وأقطع أعماله الاجناد والامراء فلما فرغ من الذي أراده قبض على قتلغ ابه وسلمه الى ابن بديع فكحله بداره بحلب فمات قتلغ ابه واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جعبر واستجار بصاحبها فأجاره وجعل عماد الدين في رياسة حلب أبا الحسن على بن عبد الرزاق ولولا ان الله تعالى من على المسلمين بملك أتابك بلاد الشام لملكها الفرنج لانهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية واذا علم ظهير الدين طغتكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها وأغار عليها فيضطر الفرنج الى الرحيل لدفعه عن بلادهم فقدر الله تعالى أنه توفي هذه السنة فخلا لهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة أهله فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين ففعل بالفرنج مانذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر قدوم السلطان سنجر الى الرى﴾

في هذه السنة خرج السلطان سنجر من خراسان الى الرى في جيش كثير وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة لما وصل اليه هو والملك طغرل على ماذكرناه لم يزل يطمعه في العراق ويسهل عليه قصده ويلقى في نفسه أن المسترشد بالله والسلطان محمودا متفقان على الامتناع منه ولم يزل به حتى أجابه الى المسير الى العراق فلما سار ووصل الى الرى وكان السلطان محمود بهمذان فأرسل اليه السلطان سنجر يستدعيه اليه لينظر هل هو على طاعته أم قد تغير على مازعم دبيس فلما جاءه الرسول بادر الى المسير الى عمه فلما وصل اليه أمر العسكر جميعه بلقائه وأجلسه معه على التخت وبالغ في اكرامه وأقام عنده الى منتصف ذي الحجة ثم عاد السلطان سنجر الى خراسان وسلم دبيسا الى السلطان محمود ووصاه باكرامه واعادته الى بلده ورجع محمود الى همذان ودبيس معه ثم سارا الى العراق فلما قاربا بغداد خرج الوزير الى لقائه وكان قدومه تاسع المحرم سنة ثلاث وعشرين وكان الوزير أبو القاسم الانساباذي قد قبض السلطان محمود عليه فلما اجتمع بالسلطان سنجر أمر باطلاقه فأطلقه وقرره سنجر في وزارة ابنته التي زوجها بالسلطان محمود فلما وصل معه الى بغداد أعاده محمود الى وزارته في الرابع والعشرين من المحرم وهي وزارته الثانية

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة ثامن صفر توفي أتابك طغتكين صاحب دمشق وهو مملوك الملك تتش بن ألب أرسلان وكان عاقلا خيرا كثير الغزوات والجهاد للفرنج حسن السيرة في رعيته مؤثرا للعدل فيهم وكان لقبه ظهير الدين ولما توفي ملك بعده ابنه تاج الملوك بورى وهو أكبر أولاده بوصية من والده له بالملك وأقر وزير أبيه أبا على طاهر بن سعد المزدقاني على وزارته وفيها مستهل رجب توفي الوزير جلال الدين أبو على بن صدقة وزير الخليفة وكان حسن السيرة جميل الطريقة متواضعا محبا لاهل العلم مكرما لهم وله شعر حسن فمنه في مدح المسترشد بالله

وجدت الورى كالماء طعما ورقة ❊ وان أمير المؤمنين زلاله

تعالى البقاء والزيادة في العمر لنزيد في هذا الكتاب مايحدث في أيامهم ومايكون في المستقبل من دوانهم فهذا جمل التاريخ من الهجرة الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة وقد أوردنا في الكتاب ماذكر الفريقان جميعا لكي لا يبعد فهم ذلك على مريده والطالب له ان شاء الله تعالى والتاريخ من المولد الى هذا الوقت معلوم ومن المبعث الى الوفاة معروف غير مجهول ولا يتعذر تناوله على ذي الدراية من هذا الكتاب الآن معول الناس أن بدء التاريخ من الهجرة على حسب مابينا فيما سلف في كتبنا من مشاورة عمر الناس في التاريخ عند حدوث بدئه وماقاله الناس من كل فريق منهم وأخذه بقول على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن يؤرخ بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وتركه أرض الشرك وان ذلك كان من عمر رضي الله عنه في سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة على حسب التنازع في ذلك والله أعلم

﴿ذكر تسمية من حج بالناس أول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة﴾

(قال المسعودي) فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة ورجع الى المدينة واستعمل عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية على مكة فحج بالناس سنة ثمان وقيل بل حج الناس أوزاعا ليس عليهم أحد ثم كانت سنة تسع فحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين خرج من المدينة مع ثلثمائة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين

وصورت

وصورت معنى العقل شخصا مصورا ❊ وان أمير المؤمنين مثاله

ولولا طريق الدين والشرع والتقى ❊ لقلت من الاعظام جل جلاله

وأقيم في النيابة بعده شرف الدين على بن طراد الزينبي ثم جعل وزيرا وخلع عليه آخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وعشرين ولم يوزر للخلفاء من بني العباس هاشمي غيره وفيها هبت ريح شديدة اسودلها الآفاق وجاءت بتراب أحمر يشبه الرمل وظهر في السماء أعمدة كأنها نار فخاف الناس وعدلوا الى الدعاء والاستغفار فانكشف عنهم مايخافونه

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة﴾

﴿ذكر قدوم السلطان محمود الى بغداد﴾

في هذه السنة في المحرم قدم السلطان محمود بغداد بعد عوده من عند عمه السلطان سنجر ومعه دبيس بن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله فتأخر دبيس عن السلطان ثم دخل بغداد ونزل بدار السلطان واسترضى عنه الخليفة فامتنع الخليفة من الاجابة الى ان يولى دبيس شيأ من البلاد وبذل مائة ألف دينار لذلك وعلم أتابك زنكي أن السلطان يريد أن يولى دبيس الموصل فبذل مائة ألف دينار وحضر بنفسه الى خدمة السلطان فلم يشعر السلطان به الا وهو عند الستر وحمل معه الهدايا الجليلة فأقام عند السلطان ثلاثة أيام وخلع عليه وأعاده الى الموصل وخرج السلطان يتصيد فعمل له شيخ المزرفة دعوة عظيمة امتار منها جميع عسكر السلطان وأدخله الى حمام في داره وجعل فيها عوض الماء ماء الورد فأقام السلطان الى رابع جمادى الآخرة وسار عنها الى همذان وجعل بهروز على شحنكية بغداد وسلمت اليه الحلة أيضا

﴿ذكر مافعله دبيس بالعراق وعود السلطان الى بغداد﴾

لما رحل السلطان الى همذان ماتت زوجته وهي ابنة السلطان سنجر وهي التي كانت تعنى بأمر دبيس وتدافع عنه فلما ماتت انحل أمر دبيس ثم ان السلطان مرض مرضا شديدا فأخذ دبيس ابنا له صغيرا وقصد العراق فلما سمع المسترشد بالله بذلك جند الاجناد وحشد وكان بهروز بالحلة فهرب منها فدخلها دبيس في شهر رمضان فلما سمع السلطان الخبر عن دبيس أحضر الاميرين قزل والاحمديلي وقال أنتما ضمنتماه بيسامني وأريده منكما فسار الاحمديلي الى العراق الى دبيس ليكف شره عن البلاد ويحضره الى السلطان فلما سمع دبيس الخبر أرسل الى الخليفة يستعطفه ويقول ان رضيت عني فانا أرد أضعاف ما أخذت وأكون العبد المملوك فتردد الرسل ودبيس يجمع الاموال والرجال فاجتمع معه عشرة آلاف فارس وكان قد وصل في ثلثمائة فارس ووصل الاحمديلي بغداد في شوال وسار في أثر دبيس ثم ان السلطان سار الى العراق فلما سمع دبيس بذلك أرسل اليه هدايا جليلة المقدار وبذل ثلثمائة حصان منعلة بالذهب ومائتي ألف دينار ليرضى عنه السلطان والخليفة فلم يجبه الى ذلك ووصل السلطان الى بغداد في ذي القعدة فلقيه الوزير الزينبي وأرباب المناصب فلما تيقن دبيس وصوله رحل الى البرية وقصد البصرة وأخذ منها أموالا كثيرة وما للخليفة وللسلطان هناك من الدخل فسير السلطان اثره عشرة آلاف فارس ففارق البصرة ودخل البرية

﴿ذكر قتل الاسماعيلية بدمشق﴾

بدنة ثم أرسل على أثره على بن أبي طالب رضي الله عنه فأدركه بالعرج ومعه سورة براءة فأذن بها يوم النحر عند العقبة فأقام أبو بكر الحج وخطب أبو بكر بمكة قبل التروية بيوم ويوم عرفة بعرفة ويوم النحر بمنى ثم كانت سنة عشر فحج بالناس سيد المرسلين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كانت سنة احدى عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم كانت سنة اثنتي عشرة فحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم كانت سنة ثلاث عشرة فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة أربع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم كانت سنة خمس عشرة فحج بالناس ثم كانت سنة ست عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة سبع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة ثمان عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة تسع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة عشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة احدى وعشرين فحج بالناس عمر ابن الخطاب ثم كانت سنة اثنتين وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة ثلاث وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم قتل رضي الله عنه آخر ذي الحجة ثم كانت سنة أربع وعشرين فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة خمس وعشرين فحج بالناس عثمان بن عفان الى سنة أربع وثلاثين ثم كانت سنة خمس وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس بأمر عثمان وهو محصور ثم كانت سنة ست وثلاثين

حج بالناس عبد الله بن عباس ثم كانت سنة سبع وثلاثين بعث علي بن أبي طالب على الموسم عبد الله بن العباس وبعث معاوية بن أبي سفيان سمرة الرهاوي فاجتمعا بمكة وتنازعا الامارة ولم يسلم أحدهما لصاحبه فاصطلحا على أن يصلي بالناس شيبة بن عثمان الحجبي ففعل ذلك ثم كانت سنة ثمان وثلاثين حج بالناس قثم بن عباس نائب مكة ثم كانت سنة تسع وثلاثين حج شيبة بن عثمان ثم كانت سنة أربعين والتنازع مع معاوية والحسن بن علي في الخلافة فحج بالناس المغيرة بن شعبة عن كتاب يقال انه افتعله فيما قيل ثم كانت سنة احدى وأربعين حج بالناس عتبة بن أبي سفيان ثم حج بعده مروان بن الحكم ثم كانت سنة أربع وأربعين حج معاوية بن أبي سفيان ثم كانت سنة خمس وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة ست وأربعين حج بالناس عتبة بن أبي سفيان ثم كانت سنة سبع وأربعين حج بالناس عتبة بن أبي سفيان ثم كانت سنة ثمان وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة تسع وأربعين حج بالناس سعيد بن العاص ثم كانت سنة خمسين حج بالناس معاوية بن أبي سفيان ثم كانت سنة اثنتين وخمسين حج بالناس سعيد ابن العاص عامين ثم كانت سنة أربع وخمسين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة خمس وخمسين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة ست وخمسين حج بالناس عتبة بن أبي سفيان ثم كانت سنة سبع وخمسين حج بالناس الوليد بن عتبة عامين ثم كانت سنة تسع وخمسين حج بالناس

قد ذكرنا فيما تقدم قتل ابراهيم الاسداباذي ببغداد وهرب ابن أخته بهرام الى الشام وملكه قلعة بانياس ومسيره اليها ولما فارق دمشق أقام له بها خليفة يدعو الناس الى مذهبه فكثروا وانتشروا وملك هو عدة حصون من الجبال منها القدموس وغيره وكان بوادي التيم من اعمال بعلبك أصحاب مذاهب مختلفة من النصيرية والدرزية والمجوس وغيرهم وأميرهم اسمه الضحاك فسار اليهم بهرام سنة اثنتين وعشرين وحصرهم وقاتلهم فخرج اليهم الضحاك في ألف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع السيف فيهم وقتل منهم مقتلة كثيرة وقتل بهرام وانهزم من سلم وعادوا الى بانياس على أقبح صورة وكان بهرام قد استخلف في بانياس رجلا من أعيان أصحابه اسمه اسمعيل فقام مقامه وجمع شمل من عاد اليه منهم وبث دعاته في البلاد وعاضده المزدقاني أيضا وقوى نفسه على ما عنده من الامتعاض بهذه الحادثة والهم بسببها ثم ان المزدقاني أقام بدمشق عوض بهرام انسانا اسمه أبو الوفا فقوى أمره وعلا شأنه وكثر أتباعه وقام بدمشق فصار المستولى على من بها من المسلمين وحكمه أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك ثم ان المزدقاني راسل الفرنج ليسلم اليهم مدينة دمشق ويسلموا اليه مدينة صور واستقر الامر بينهم على ذلك وتقرر بينهم الميعاد يوم جمعة ذكروه وقرر المزدقاني مع الاسماعيلية ان يحتاطوا ذلك اليوم بأبواب الجامع فلا يمكنون أحدا يخرج منه ليجيء الفرنج ويملكوا البلاد فبلغ الخبر تاج الملوك صاحب دمشق فاستدعى المزدقاني اليه فحضر وخلا معه فقتله تاج الملوك وعلق رأسه على باب القلعة ونادى في البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ستة آلاف نفس وكان ذلك منتصف رمضان من السنة وكفى الله المسلمين شرهم ورد على الكافرين كيدهم ولما تمت هذه الحادثة بدمشق على الاسماعيلية خاف اسمعيل والي بانياس أن يثور به وبمن معه من الناس فيهلكوا فراسل الفرنج وبذل لهم تسليم بانياس اليهم والانتقال الى بلادهم فاجابوه فسلم القلعة اليهم وانتقل هو ومن معه من أصحابه الى بلادهم ولقوا شدة وذلة وهوانا وتوفي اسمعيل أوائل سنة أربع وعشرين وكفى الله المؤمنين شرهم

﴿ ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم ﴾

لما بلغ الفرنج قتل المزدقاني والاسماعيلية بدمشق عظم عليهم ذلك وتأسفوا على دمشق حيث لم يتم لهم ملكها وعمتهم المصيبة فاجتمعوا كلهم صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من الفرنج وقمامصتهم ومن وصل اليهم في البحر للتجارة والزيارة فاجتمعوا في خلق عظيم نحو ألفي فارس وأما الراجل فلا يحصى وساروا الى دمشق ليحصروها ولما سمع تاج الملوك بذلك جمع العرب والتركمان فاجتمع معهم ثمانية آلاف فارس ووصل الفرنج في ذي الحجة فنازلوا البلد وأرسلوا الى أعمال دمشق لجمع الميرة والاغارة على البلاد فلما سمع تاج الملوك ان جمعا كثيرا قد سار والى حوران لنهبه واحضار الميرة سير أميرا من امرائه يعرف بشمس الخواص في جمع من المسلمين اليهم وكان خروجهم في ليلة شاتية كثيرة المطر ولقوا الفرنج من الغد فواقعوهم واقتتلوا وصبر بعضهم لبعض فظفر بهم المسلمون وقتلوهم فلم يفلت منهم غير مقدمهم ومعه أربعون رجلا وأخذوا ما معهم وهي عشرة آلاف دابة موقرة وثلثمائة أسير وعادوا الى دمشق لم يمسسهم قرح فلما علم من عليها من الفرنج ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب فرحلوا عنها شبه المنهزمين وأحرقوا ما تعذر عليهم حمله من سلاح وميرة وغير ذلك وتبعهم المسلمون والمطر شديد والبرد

عثمان بن أبي سعيد ثم كانت سنة ستين حج بالناس عمرو بن سعيد بن العاص ثم كانت سنة احدى وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ثم كانت سنة اثنتين وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ثم كانت سنة ثلاث وستين حج بالناس عبد الله بن الزبير الى سنة احدى وسبعين حج بالناس الحجاج بن يوسف وقتل عبد الله بن الزبير ثم كانت سنة أربع وسبعين حج بالناس الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة خمس وسبعين حج بالناس عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة ست وسبعين حج بالناس الى سنة ثمانين أبان بن عثمان بن عفان ثم كانت سنة احدى وثمانين حج بالناس سليمان بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة اثنتين وثمانين حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان ثم كانت سنة ثلاث وثمانين حج بالناس الى سنة خمس وثمانين هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوليد ابن مغيرة المخزومي ثم كانت سنة ست وثمانين حج بالناس العباس بن الوليد ابن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز بن مروان ثم كانت سنة ثمان وثمانين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة تسع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة احدى وتسعين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة اثنتين وتسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثلاث وتسعين حج بالناس عثمان بن الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة أربع وتسعين حج بالناس مسلمة بن عبد الملك ثم كانت

والبرد عظيم يقتلون كل من تخلف منهم فكثر القتلى منهم وكان نزولهم ورحيلهم في ذي الحجة من هذه السنة

﴿ ذكر ملك عماد الدين زنكي مدينة حماه ﴾

في هذه السنة ملك عماد الدين زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل مدينة حماه وسبب ذلك أنه عبر الفرات الى الشام وأظهر أنه يريد جهاد الفرنج وأرسل الى تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق يستنجده ويطلب منه المعونة على جهادهم فاجاب الى المراد وأرسل من أخذ له العهود والمواثيق فلما وصلت الموثقة جرد عسكرا من دمشق مع جماعة من الامراء وأرسل الى ابنه سونج وهو بمدينة حماه يأمره بالنزول الى العسكر والمسير معهم الى زنكي ففعل ذلك فساروا جميعهم فوصلوا اليه فاكرمهم وأحسن لقاءهم وتركهم أياما ثم انه غدر بهم فقبض على سونج ولد تاج الملوك وعلى جماعة الامراء المقدمين ونهب خيامهم وما فيها من الكراع واعتقلهم بحلب وهرب من سواهم وسار من يومه الى حماه فوصل اليها وهي خالية من الجند الحماة الذابين فملكها واستولى عليها ورحل عنها الى حمص وكان صاحبها قرجان بن قراجة معه في عسكره وهو الذي أشار عليه بالغدر بولد تاج الملوك فقبض عليه ونزل على حمص وحصرها وطلب من قرجان صاحبها ان يأمر نوابه وولده الذين فيها بتسليمها فارسل اليهم بالتسليم فلم يقبلوا منه ولا التفتوا الى قوله فاقام عليها محاصرا لها ومقاتلا لمن فيها مدة طويلة ثم لم يقدر على ملكها فرحل عنها عائدا الى الموصل واستصحب معه سونج بن تاج الملوك ومن معه من الامراء الدمشقيين وترددت الرسل في اطلاقهم بينه وبين تاج الملوك واستقر الامر على خمسين ألف دينار فاجاب تاج الملوك الى ذلك ولم ينتظم بينهم أمر

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة ملك بيمند صاحب انطاكية حصن القدموس من المسلمين وفي هذه السنة أيضا وثب الاسماعيلية على عبد اللطيف بن الخجندي رئيس الشافعية باصبهان فقتلوه وكان ذا رياسة عظيمة وتحكم كثير وفي هذه السنة توفي الامام أبو الفتح أسعد بن أبي نصر المهني الفقيه الشافعي مدرس النظامية ببغداد وله طريقة مشهورة في الخلاف وتفقه على أبي المظفر السمعاني وكان له قبول عظيم عند الخليفة والسلطان وسائر الناس وفيها توفي حمزة بن هبة الله بن محمد بن الحسن الشريف العلوي الحسني النيسابوري سمع الحديث الكثير ورواه ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وجمع مع شرف النسب شرف النفس والتقوى وكان زيدي المذهب

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمد خان وملك محمود بن محمد خان المذكور ﴾

في هذه السنة في ربيع الاول ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند وسبب ذلك أنه كان قد رتب فيها لما ملكها أولا ارسلان خان محمد بن سليمان بن بغراخان داود فاصابه فالج فاستناب ابنا له يعرف بنصرخان وكان شهما شجاعا وكان بسمرقند انسان علوي فقيه مدرس اليه الحل والعقد والحكم في البلد فاتفق هو ورئيس البلد على قتل نصرخان فقتلاه ليلا وكان أبوه محمد خان غائبا فعظم عليه واشتد وكان له ابن آخر غائب في بلاد تركستان فارسل اليه واستدعاه فلما قارب

بسمرقند خرج العلوى ورئيس البلد الى استقباله فقتل العلوى فى الحال وقبض على الرئيس وكان والده أرسلان خان قد أرسل الى السلطان سنجر رسولا يستدعيه ظنا منه ان ابنه لا يتم أمره مع العلوى والرئيس فتجهز سنجر وسار يريد سمرقند فلما ظفر ابن أرسلان خان بهما ندم على استدعاء السلطان سنجر فأرسل اليه يعرفه انه قد ظفر بالعلوى والرئيس وانه وابنه على الطاعة ويسأله العود الى خراسان فغضب سنجر من ذلك وأقام أياما فبينما هو فى الصيد اذ رأى اثنى عشر رجلا فى السلاح التام فقبض عليهم وعاقبهم فاقروا أن محمد خان أرسلهم ليقتلوه فقتلهم ثم سار الى سمرقند فملكها عنوة ونهب بعضها ومنع من الباقى وتحصن منه محمد خان ببعض تلك الحصون فاستنزله السلطان سنجر بامان بعد مدة فلما نزل اليه أكرمه وأرسله الى ابنته زوجة السلطان سنجر فبقى عندها الى ان توفى وأقام سنجر بسمرقند مدة حتى أخذ المال والسلاح والخزائن وسلم البلد الى الامير حسن تكين وعاد الى خراسان فلم يلبث حسن تكين ان مات فملك سنجر بعده عليها محمود بن محمد خان بن سليمان بن داود المقدم ذكره وقيل ان السبب غير ما ذكرناه وسيرد ذكره سنة ست وثلاثين للحاجة الى ذكره هناك

﴿ذكر فتح عماد الدين زنكى حصن الاثارب وهزيمة الفرنج﴾

لما فرغ عماد الدين زنكى من أمر البلاد الشامية حلب وأعمالها وما ملكه وقرر قواعده عاد الى الموصل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ثم أمرهم بالتجهز للغزاة فتجهزوا وأعدوا واستعدوا وعاد الى الشام وقصد حلب فقوى عزمه على قصد حصن الاثارب ومحاصرته لشدة ضرره على المسلمين وهذا الحصن بينه وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ بينها وبين انطاكية وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع أعمالها الغربية حتى على رحا لاهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق وكان أهل البلد معهم فى ضر شديد وضيق كل يوم قد أغاروا عليهم ونهبوا أموالهم فلما رأى الشهيد هذه الحال صمم العزم على حصر هذا الحصن فسار اليه ونازله فلما علم الفرنج بذلك جمعوا فارسهم وراجلهم وعلموا أن هذه وقعة لها ما بعدها فحشدوا وجمعوا ولم يتركوا من طاقتهم شيأ الا واستنفذوه فلما فرغوا من أمرهم ساروا نحوه فاستشار أصحابه فيما يفعل وكل أشار بالعود عن الحصن فان لقاء الفرنج فى بلادهم خطر لا يدرى على أى شئ تكون العاقبة فقال لهم ان الفرنج متى رأونا قد عدنا من أيديهم طمعوا وساروا فى أثرنا وخربوا بلادنا ولا بد من لقائهم على كل حال ثم ترك الحصن وتقدم اليهم فالتقوا واصطفوا للقتال وصبر كل فريق لخصمه واشتد الامر بينهم ثم ان الله تعالى أنزل نصره على المسلمين فظفروا وانهزم الفرنج أقبح هزيمة ووقع كثير من فرسانهم فى الاسر وقتل منهم خلق كثير وتقدم عماد الدين الى عسكره بالانجاز وقال هذا أول مصاف عملناه معهم فلنذقهم من بأسنا ما يبقى رعبه فى قلوبهم ففعلوا ما أمرهم ولقد اجتزت بتلك الارض سنة أربع وثمانين وخمسمائة ليلا فقيل لى ان كثيرا من العظام باق الى ذلك الوقت فلما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الحصن فتسلموه عنوة وقتلوا وأسروا كل من فيه وأخربه عماد الدين وجعله دكا وبقى الى الآن خرابا ثم سار منه الى قلعة حارم وهى بالقرب من انطاكية فحصرها وهى أيضا للفرنج فبذل له أهلها نصف دخل بلد حارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك وعاد عنهم وقد استدار المسلمون بتلك الاعمال وضعفت قوى الكافرين

سنة خمس وتسعين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة ست وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ثم كانت سنة سبع وتسعين حج بالناس سليمان بن عبد الملك ثم كانت سنة ثمان وتسعين حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد ابن أسيد بن العاص بن أمية ثم كانت سنة تسع وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ثم كانت سنة مائة حج بالناس أبو بكر أيضا ثم كانت سنة احدى ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة ثم كانت سنة اثنتين ومائة حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى ثم كانت سنة ثلاث ومائة حج بالناس عبد الله بن كعب بن عمير ابن سبع بن عوف بن نضر ابن معاوية النضرى ثم كانت سنة أربع ومائة حج فيها أيضا ثم كانت سنة خمس ومائة حج بالناس ابراهيم ابن هشام بن اسمعيل المخزومى ثم كانت سنة ست ومائة حج بالناس هشام ابن عبد الملك ثم كانت سنة سبع ومائة حج بالناس ابراهيم بن هشام المخزومى الى سنة اثنتى عشرة ومائة ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائة حج بالناس سليمان ابن هشام بن عبد الملك ثم كانت سنة أربع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم ابن العاص بن أمية ثم كانت سنة خمس عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل بن الوليد بن المغيرة ثم كانت سنة ست عشرة ومائة حج بالناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو ولى عهده ثم كانت سنة سبع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن

وعلموا

وعلموا ان البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم فى حساب وصار قصاراهم حفظ ما بايديهم بعد ان كانوا قد طمعوا فى ملك الجميع

﴿ذكر ملك عماد الدين زنكى أيضا مدينة سرجى ودارا﴾

لما فرغ من أمر الاثارب وتلك النواحى عاد الى ديار الجزيرة وكان قد بلغه عن حسام الدين تمرتاش ابن ايلغازى صاحب ماردين وابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب حصن كيفا قوارص فعاد اليهم وحصر مدينة سرجى وهى بين ماردين ونصيبين فاجتمع حسام الدين وركن الدولة وصاحب آمد وغيرهم وجمعوا خلقا كثيرا من التركمان بلغت عدتهم عشرين ألفا وساروا اليه فتصافوا بتلك النواحى فهزمهم عماد الدين وملك سرجى فحكى لى والدى قال لما انهزم ركن الدولة داود قصد بلد جزيرة ابن عمر ونهبه فبلغ الخبر عماد الدين فسار نحو الجزيرة وأراد دخول بلد داود ثم عاد عنه لضيق مسالكه وخشونة الجبال التى فى الطريق وسار الى دارا فملكها وهى من القلاع فى تلك الاعمال

﴿ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلوى﴾

فى هذه السنة ثانى ذى القعدة قتل الآمر باحكام الله أبو على بن المستعلى العلوى صاحب مصر خرج الى متنزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه لانه كان سئ السيرة فى رعيته وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعمره أربعا وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدى عبيد الله الذى ظهر بسجلماسة وبنى المهدية بافريقية وهو أيضا العاشر من الخلفاء العلويين من أولاد المهدى أيضا ولما قتل لم يكن له ولد بعده فولى بعده ابن عمه الميمون عبد المجيد ابن الامير أبى القاسم ابن المستنصر بالله ولم يبايع بالخلافة وانما بويع له لينظر فى الامر نيابة حتى يكشف عن حمل ان كان للآمر فتكون الخلافة فيه ويكون هو نائبا عنه ومولد الحافظ بعسقلان لان أباه خرج من مصر اليها فى الشدة فاقام بها فولد ابنه عبد المجيد هناك ولما ولى استوزر أبا على أحمد بن الافضل بن بدر الجمالى واستبد بالامر وتغلب على الحافظ وحجر عليه وأودعه فى خزانة ولا يدخل اليه الا من يريده أبو على وبقى الحافظ له اسم لا معنى تحته ونقل أبو على كل ما فى القصر الى داره من الاموال وغيرها ولم يزل الامر كذلك الى ان قتل أبو على سنة ست وعشرين فاستقامت أمور الحافظ وحكم فى دولته وتمكن من ولايته وبلاده

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة توفيت الخاتون ابنة السلطان سنجر وهى زوجة السلطان محمود وفيها قتل بيمند الفرنجى صاحب انطاكية وفيها توفى نصير الدين محمود بن مؤيد الملك بن نظام الملك فى شعبان ببغداد ووقع الحريق فى داره بعد وفاته وفى خطائر الحطب والسوق التتشى فذهب من الناس أموال كثيرة وفيها وزر الرئيس أبو الذواد المفرج بن الحسن بن الصوفى لصاحب دمشق تاج الملوك وفيها كان الرصد بالدار السلطانية شرقى بغداد تولاه البديع الاسطرلابى ولم يتم وفيها ظهر ببغداد عقارب طيارة ذوات شوكتين فنال الناس منها خوف شديد واذى عظيم وفيها فى ذى الحجة خرج الملك مسعود بن محمد من خراسان وكان عند عمه السلطان سنجر ووصل الى ساوة ووقع الارجاف ان عزمه على مخالفة أخيه السلطان محمود قوى وان عمه سنجر أمره بذلك فاستشعر

اسمعيل ثم كانت سنة تسع عشرة ومائة حج بالناس مسلمة بن هشام بن عبد الملك أبو شاكر وقيل بل مسلمة بن عبد الملك ثم كانت سنة عشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل ثم كانت سنة احدى وعشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل الى سنة أربع وعشرين ومائة ثم كانت سنة خمس وعشرين ومائة حج بالناس يوسف بن أخى الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة ست وعشرين ومائة حج بالناس عمر بن عبد الله ابن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسع وعشرين ومائة حج بالناس عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك ابن مروان وكان أبو حمزة المختار بن عوف الخارجى من الازد داعية المعروف بطالب الحق قد وقف وخرج تلك السنة فكلمه الناس حتى نزل عبد الواحد يصلى بالناس ويخرج الى منزله ثم كانت سنة ثلاثين ومائة حج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة احدى وثلاثين ومائة حج بالناس عروة بن محمد بن عطية السعدى بكتاب افتعله على لسان عمه عبد الملك بن محمد وهو والى الحجاز واليمن لمروان ابن محمد (قال المسعودى) فهذا آخر ما حج بنو أمية ثم كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة حج بالناس داود بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ثم كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة حج بالناس زياد بن عبد الله الحرثى ثم كانت سنة أربع وثلاثين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن على

السلطان محمود وسار عن بغداد الى همذان فلما وصل الى كرمانشاهان وصل اليه أخوه الملك مسعود وخدمه ولم يظهر للارجاف أثر فاقطعه السلطان مدينة كنجة واعمالها وسيره اليها وفيها كانت زلزلة عظيمة فى ربيع الاول بالعراق وبلاد الجبل والموصل والجزيرة نخربت كثيرا وفيها ملك السلطان محمود قلعة ألموت وفيها توفى ابراهيم بن عثمان بن محمد أبو اسحق الغزى من أهل غزة مدينة بفلسطين من الشام ومولده سنة احدى وأربعين وأربعمائة وهو من الشعراء المجيدين فمن قوله من قصيدة يصف فيها الاتراك

فى فتية من جيوش الترك ماتركت * للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

﴿وله فى الزهد﴾

انما هذه الحياة متاع * والسفيه الغوى من يصطفيها
مامضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى أنت فيها

وفيها توفى الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الدباس أبو عبد الله النحوى الشاعر المعروف بالبارع أخو أبى الكرم بن فاخر النحوى لامه ولد سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وله شعر مليح فمنه قوله

ردى على الكرى ثم اهجرى سكنى * فقد قنعت بطيف منك فى الوسن
لاتحسبى النوم قد أوحشت أطلبه * الا رجاء خيال منك يؤنسنى
تركتنى والهوى فردا أغالبه * ونام ليلك عن هم يؤرقنى

وهى طويلة وفيها توفى هبة الله بن القاسم بن محمد بن عطاء بن محمد أبو سعد المهروانى النيسابورى ومولده سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وكان محدثا حافظا صالحا

﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة﴾

﴿ذكر أسر دبيس بن صدقة وتسليمه الى عماد الدين زنكى﴾

فى هذه السنة فى شعبان أسر تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق الامير دبيس بن صدقة صاحب الحلة وسلمه الى أتابك الشهيد زنكى بن آقسنقر وسبب ذلك أنه لما فارق البصرة على ماذكرناه جاءه قاصد من الشام من صرخد يستدعيه اليها لان صاحبها كان خصيا فتوفى هذه السنة وخلف جارية سرية له فاستولت على القلعة ومافيها وعلمت انها لايتم لها ذلك الا بان تتصل برجل له قوة ونجدة فوصف لها دبيس بن صدقة وكثرة عشيرته وذكر لها حاله وماهو عليه بالعراق فارسلت تدعوه الى صرخد لتتزوج به وتسلم القلعة ومافيها من مال وغيره اليه فاخذ الادلاء معه وسار من أرض العراق الى الشام فضل به الادلاء بنواحى دمشق فنزل بناس من كلب كانوا شرقى الغوطة فاخذوه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق فحبسه عنده وسمع أتابك عماد الدين زنكى الخبر وكان دبيس يقع فيه وينال منه فارسل الى تاج الملوك يطلب منه دبيسا ليسلمه اليه ويطلق ولده ومن معه من الامراء المأسورين وان امتنع من تسليمه سار الى دمشق وحصرها وخربها ونهب بلدها فاجاب تاج الملوك الى ذلك وأرسل أتابك سونج بن تاج الملوك والامراء الذين معه وأرسل تاج الملوك دبيسا فايقن دبيس بالهلاك ففعل زنكى معه خلاف ماظن وأحسن اليه وحمل له

ابن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمس وثلاثين ومائة حج بالناس سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور وفيها بويع لابى جعفر المنصور ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائة حج بالناس اسمعيل بن على بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائة حج بالناس الفضل بن صالح بن على ثم كانت سنة تسع وثلاثين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة أربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة احدى وأربعين ومائة حج بالناس صالح بن على ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائة حج بالناس اسمعيل بن على ثم كانت سنة ثلاث وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة أربع وأربعين ومائة حج بالناس ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائة حج بالناس السرى بن عبد الله بن الحرث بن العباس بن عبد المطلب ثم كانت سنة ست وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن على بن على بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة سبع وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور وقيل محمد بن ابراهيم الامام وقتل فى سنة ثمان ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة خمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن على ثم كانت سنة احدى وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة ثلاث وخمسين

الاقوات والسلاح والدواب وسائر امتعة الخزائن وقدمه حتى على نفسه وفعل معه ما يفعل مع أكابر الملوك ولما سمع المسترشد بالله بقبضه بدمشق أرسل سديد الدولة بن الانبارى وأبا بكر ابن بشر الجزرى من جزيرة ابن عمر الى تاج الملوك يطلب منه ان يسلم دبيسا اليه لما كان متحققا به من عداوة الخليفة فسمع سديد الدولة بن الانبارى بتسليمه الى عماد الدين وهو فى الطريق فسار الى دمشق ولم يرجع وذم أتابك زنكى بدمشق واستخف به وبلغ الخبر عماد الدين فارسل الى طريقه من يأخذه اذا عاد فلما رجع من دمشق قبضوا عليه وعلى ابن بشر وحملوهما اليه فاما ابن بشر فاهانه وجرى فى حقه مكروه وأما ابن الانبارى فحبسه ثم ان المسترشد بالله شفع فيه فاطلق ولم يزل دبيس مع زنكى حتى انحدر معه الى العراق على مانذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود﴾

فى هذه السنة فى شوال توفى السلطان محمود ابن السلطان محمد بهمذان وكان قبل مرضه قد خاف وزيره أبو القاسم الانساباذى من جماعة من الامراء وأعيان الدولة منهم عزيز الدين أبو نصر أحمد ابن حامد المستوفى والامير أنوشتكين المعروف بشيركير وولده عمر وهو أمير حاجب السلطان وغيرهم فاما عزيز الدين فارسله مقبوضا عليه الى مجاهد الدين بهروز بتكريت ثم قتل بها وأما شيركير وولده فقتلا فى جمادى الآخرة ثم ان السلطان مرض وتوفى فى شوال وأقعد ولده الملك داود فى السلطنة باتفاق من الوزير أبى القاسم واتابكه آقسنقر الاحمديلى وخطب له فى جميع بلاد الجبل وأذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت فلما اطمأن الناس وسكنوا سار الوزير باموأله الى الرى فامن فيها حيث هى للسلطان سنجر وكان عمر السلطان محمود لما توفى نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته للسلطنة اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما وكان حليما كريما عاقلا يسمع مايكره ولا يعاقب عليه مع القدرة قليل الطمع فى أموال الرعايا عفيفا عنها كافا لاصحابه عن التطرق الى شئ منها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ثار الباطنية بتاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحين فبرأ أحدهما وتنسر الآخر وبقى فيه ألمه الا انه يجلس للناس ويركب معهم على ضعف فيه وفيها توفى الامير أبو الحسن بن المستظهر بالله أخو المسترشد بالله فى رجب وفيها فى شوال توفى الحسن بن سلمان بن عبد الله أبو على الفقيه الشافعى الواعظ مدرس النظامية ببغداد واصله من الزوزان والخطيب أبو نصر أحمد بن عبد القاهر المعروف بابن الطوسى خطيب الموصل توفى فى ربيع الاول وحماد بن مسلم الدباس الرحبى الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله أصحاب وتلامذة كثيرون ساروا ورأيت الشيخ أبا الفرج بن الجوزى قد ذمه وثلبه ولهذا الشيخ أسوة بغيره من الصالحين فان ابن الجوزى قد صنف كتابا سماه تلبيس ابليس لم يبق فيه على أحد من سادة المسلمين وصالحيهم وهبة الله محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانى الكاتب ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة سمع أبا على بن المهذب وأبا طالب بن غيلان وغيرهما وهو راوى مسند أحمد بن حنبل والغيلانيات وغيرها ومحمد بن الحسن بن على بن الحسن أبو غالب الماوردى ولد سنة خمسين وأربعمائة بالبصرة وسمع الحديث الكثير وروى سنن ابى داود

ومائة حج بالناس المهدى محمد بن عبد الله بن محمد بن على ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن على ثم كانت سنة ست وخمسين ومائة حج بالناس العباس ابن محمد بن على ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائة حج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائة حج بالناس ابراهيم بن يحيى أيضا ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائة حج بالناس يزيد بن منصور بن عبد الله ابن شهر بن يزيد بن مثوب الحميرى ثم كانت سنة ستين ومائة حج بالناس الهادى بن موسى بن المهدى وهو ولى عهد ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائة حج بالناس ابراهيم بن جعفر بن أبى جعفر ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائة حج بالناس على بن المهدى ثم كانت سنة أربع وستين ومائة حج بالناس صالح بن أبى جعفر ثم كانت سنة خمس وستين ومائة حج بالناس صالح أيضا ثم كانت سنة ست وستين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة سبع وستين ومائة حج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وستين ومائة حج بالناس على بن محمد المهدى ثم كانت سنة تسع وستين ومائة حج بالناس سليمان بن أبى جعفر المنصور ثم كانت سنة سبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة احدى وسبعين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن على ثم كانت سنة اثنتين وسبعين ومائة حج بالناس ثم كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد خرج محرما من عسكره الى

السجستاني وكان صالحا

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة)

(ذكر قتل أبي علي وزير الحافظ ووزارة يانس وموته)

في هذه السنة في المحرم قتل الافضل أبو علي بن الافضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ لدين الله العلوي صاحب مصر وسبب قتله أنه كان قد حجر على الحافظ ومنعه أن يحكم في شيء من الامور قليل أو جليل وأخذ ما في قصر الخلافة الى داره وأسقط من الدعاء ذكر اسمعيل الذي هو جدهم واليه تنسب الاسماعيلية وهو ابن جعفر بن محمد الصادق وأسقط من الاذان حي على خير العمل ولم يخطب للحافظ وأمر الخطباء أن يخطبوا له بالقاب كتبها لهم وهي السيد الافضل الاجل سيد مماليك أرباب الدول والمحامي عن حوزة الدين وناشر جناح العدل على المسلمين الاقربين والابعدين ناصر امام الحق في حالتي غيبته وحضوره والقائم بنصرته بماضي سيفه وصائب رأيه وتدبيره أمين الله على عباده وهادي القضاة الى اتباع شرع الحق واعتماده ومرشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه وارشاده مولى النعم ورافع الجور عن الامم ومالك فضيلتي السيف والقلم أبو علي أحمد بن السيد الاجل الافضل شاهنشاه أمير الجيوش وكان امامي المذهب يكثر ذم الآمر والتناقص به فنفر منه شيعة العلويين ومماليكهم وكرهوه وعزموا على قتله فخرج في العشرين من المحرم من هذه السنة الى الميدان يلعب بالكرة مع أصحابه فكمن له جماعة منهم مملوك افرنجي كان للحافظ فخرجوا عليه فحمل الفرنجي عليه فطعنه فقتله وحز رأسه وخرج الحافظ من الخزانة التي كان فيها ونهب الناس دار أبي علي وأخذ منها ما لا يحصى وركب الناس والحافظ الى داره فأخذ ما بقي فيها وحمله الى القصر وبويع يومئذ الحافظ بالخلافة وكان قد بويع له بولاية العهد وأن يكون كافلا لحمل ان كان للآمر فلما بويع بالخلافة استوزر أبا الفتح يانس الحافظي في ذلك اليوم بعينه ولقب أمير الجيوش وكان عظيم الهيبة بعيد الغور كثير الشر فخافه الحافظ على نفسه وتخيل منه يانس فاحتاط ولم يأكل عنده شيئا ولا شرب فاحتال عليه الحافظ بان وضع له في فراشه في بيت الطهارة ماء مسموما فاغتسل به فوقع الدود في سفله وقيل له متى قمت من مكانك هلكت فكان يعالج بان يجعل اللحم الطري في المحل فيعلق به الدود فيخرج ويجعل عوضه فقارب الشفاء فقيل للحافظ انه قد صلح وان تحرك هلك فركب اليه الحافظ كأنه يعوده فقام له ومشى بين يديه وقعد الحافظ عنده ثم خرج من عنده فتوفي من ليلته وكان موته في السادس والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ولما مات يانس استوزر الحافظ ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد وسيرد ذكر قتله سنة تسع وعشرين وانما ذكرت ألقاب أبي علي تعجبا منها ومن حماقة ذلك الرجل فان وزير صاحب مصر وحدها اذا كان هكذا فينبغي أن يكون وزير السلاطين السلجوقية كنظام الملك وغيره يدعون الربوبية على ان تربة مصر هكذا تولد ألا ترى الى فرعون يقول أنا ربكم الاعلى والى أشياء أخر لا نطيل بذكرها

(ذكر حال السلطان مسعود والملكين سلجوقشاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود)

لما توفي السلطان محمود ابن السلطان محمد وخطب ببلاد الجبل واذربيجان لولده الملك داود على

مكة ثم كانت سنة أربع وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد الى سنة تسع وسبعين ومائة ثم كانت سنة ثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن ٢٤٠ علي ثم كانت سنة احدى وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة اثنتين وثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى ثم كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة حج بالناس العباس بن محمد المهدي ثم كانت سنة أربع وثمانين ومائة حج بالناس ابراهيم بن المهدي ثم كانت سنة خمس وثمانين ومائة حج بالناس منصور بن المهدي ثم كانت سنة ست وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة سبع وثمانين ومائة حج بالناس عبد الله بن العباس بن علي وقيل منصور بن المهدي ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائة حج بالناس العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي ثم كانت سنة تسعين ومائة حج بالناس علي بن الرشيد ثم كانت سنة احدى وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ثم كانت سنة اثنتين وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله أيضا ثم كانت سنة ثلاث وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى ابن محمد بن علي ثم كانت سنة أربع وتسعين ومائة حج بالناس علي بن الرشيد ثم كانت سنة خمس وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى ثم كانت سنة ست وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن موسى الى ثمان وتسعين ثم كانت سنة تسع وتسعين ومائة حج بالناس

ما ذكرناه سار الملك داود من همذان في ذي القعدة من سنة خمس وعشرين الى زنجان فأتاه الخبر ان عمه السلطان مسعودا قد سار من جرجان ووصل الى تبريز واستولى عليها فسار الملك داود اليه وحصره بها وجرى بينهم ما قتال الى سلخ المحرم سنة ست وعشرين ثم اصطلحا وتأخر الملك داود مرحلة وخرج السلطان مسعود من تبريز واجتمعت عليه العساكر وسار الى همذان وأرسل يطلب الخطبة ببغداد وكانت رسل الملك داود قد تقدمت في طلب الخطبة فأجاب المسترشد بالله ان الحكم في الخطبة الى السلطان سنجر من أراد خطب له وأرسل الى السلطان سنجر أن لا يأذن لاحد في الخطبة فان الخطبة ينبغي أن تكون له وحده فوقع ذلك منه موقعا حسنا ثم ان السلطان مسعودا كاتب عماد الدين زنكي صاحب الموصل وغيرها يستنجده ويطلب مساعدته فوعده النصر فقويت بذلك نفس مسعود على طلب السلطنة ثم ان الملك سلجوقشاه ابن السلطان محمد سار به اتابكه قراجة الساقي صاحب فارس وخوزستان في عسكر كثير الى بغداد فوصل اليها قبل وصول السلطان مسعود ونزل في دار السلطان وأكرمه الخليفة واستحلفه لنفسه ثم وصل رسول السلطان مسعود يطلب الخطبة ويتهدد ان منعها فلم يجب الى ما طلبه فسار حتى نزل عباسية الخالص وبرز عسكر الخليفة وعسكر سلجوقشاه وقراجة الساقي نحو مسعود الى ان يفرغ من حرب اتابك عماد الدين زنكي وسار يوما وليلة الى المعشوق وواقع عماد الدين زنكي فهزمه وأسر كثيرا من أصحابه وسار زنكي منهزما الى تكريت فعبر فيها دجلة وكان الدزدار بها حينئذ نجم الدين أيوب فأقام له المعابر فلما عبر أمن الطلب وسار الى بلاده لاصلاح حاله وحال رجاله وهذا الفعل من نجم الدين أيوب كان سببا لاتصاله به والمصير في جملته حتى آل بهم الامر الى ملك مصر والشام وغيرهما على ما نذكره وأما السلطان مسعود فانه سار من العباسية الى الملكية ووقعت الطلائع بعضها على بعض ثم لم تزل المناوشة تجري بينه وبين أخيه سلجوقشاه يومين وأرسل سلجوقشاه الى قراجة يستحثه على المبادرة فعاد سريعا وعبر دجلة الى الجانب الشرقي فلما علم السلطان مسعود بانهزام عماد الدين زنكي رجع الى ورائه وأرسل الى الخليفة يعرفه وصول السلطان سنجر الى الري وانه عازم على قصد الخليفة وغيره وان رأيتم أن نتفق على قتاله ودفعه عن العراق ويكون العراق لوكيل الخليفة فانا موافق على ذلك فأعاد الخليفة الجواب يستوقفه وترددت الرسل في الصلح فاصطلحوا على أن يكون العراق لوكيل الخليفة وتكون السلطنة لمسعود ويكون سلجوقشاه ولي عهده وتحالفوا على ذلك وعاد السلطان مسعود الى بغداد فنزل بدار السلطان ونزل سلجوقشاه في دار الشحنكية وكان اجتماعهم في جمادى الاولى

(ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر)

لما توفي السلطان محمود سار السلطان سنجر الى بلاد الجبال ومعه الملك طغرل ابن السلطان محمد وكان عنده قد لازمه فوصل الى الري ثم سار منها الى همذان فوصل الخبر الى الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بوصوله الى همذان فاستقرت القاعدة بينهما على قتاله وان يكون الخليفة معهم وتجهز الخليفة فتقدم قراجة الساقي والسلطان مسعود وسلجوقشاه نحو السلطان سنجر وتأخر المسترشد بالله عن المسير معهم فأرسل الى قراجة وألزمه وقال ان الذي تخاف من سنجر

محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن علي ووثب ابن الافطس العلوي بمكة فقبض عليها فتنحى محمد بن داود ولم يمض الى عرفة وخرج الناس فوقفوا بغير امام فلما كانوا بالمزدلفة طلع عليهم ابن الافطس فأقام لهم باقي حجتهم ثم كانت ٢٤١ سنة مائتين حج بالناس المعتصم بن اسحق ثم كانت سنة احدى ومائتين حج بالناس اسحق ابن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتين ومائتين حج بالناس ابراهيم بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أول طالبي أقام للناس الحج في الاسلام على انه أقام متغلبا عليه لا مولى من قبل خليفة وكان ممن سعى في الارض بالفساد وقتل أصحاب ابراهيم بن عبيد الله الحجبي وغيره في المسجد الحرام ويزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي وغيره من أهل العبادة ثم كانت سنة ثلاث ومائتين حج بالناس سليمان بن عبد الله ابن جعفر بن سليمان بن علي ثم كانت سنة أربع ومائتين حج بالناس عبيد الله ابن الحسن بن عبيد الله ثم كانت سنة خمس ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن أيضا ثم كانت سنة ست وسبع ومائتين حج بالناس أبو عيسى بن الرشيد ثم كانت سنة ثمان ومائتين حج بالناس صالح ابن الرشيد ومعه زبيدة الى سنة عشر ومائتين ثم كانت سنة احدى عشرة ومائتين حج بالناس اسحق بن العباس بن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتي عشرة ومائتين حج بالناس المأمون ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائتين حج بالناس أحمد بن العباس ثم كانت سنة أربع عشرة ومائتين حج

بالناس عبيد الله بن عبد الله ثم كانت سنة خمس عشرة ومائتين حج بالناس عبد الله بن عبيد الله أيضا ثم كانت سنة ست عشرة ومائتين
حج بالناس ثم كانت سنة سبع ٢٤٢ عشرة ومائتين حج بالناس سليمان بن عبد الله بن على ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائتين

آجلا أنا أفعله عاجلا فبرز حينئذ وسار على تريث وتوقف الى أن بلغ الى خانقين وأقام بها وقطعت خطبة سنجر من العراق جميعه ووصلت الاخبار بوصول عماد الدين زنكى ودبيس بن صدقة الى قريب بغداد فأما دبيس فانه ذكر أن السلطان سنجر أقطعه الحلة وأرسل الى المسترشد بالله يضرع ويسأل الرضا عنه فامتنع من اجابته الى ذلك وأما عماد الدين زنكى فانه ذكر أن السلطان سنجر قد أعطاه شحنكية بغداد فعاد المسترشد بالله الى بغداد وأمر أهلها بالاستعداد للمدافعة عنها وجند أجنادا جعلهم معهم ثم ان السلطان مسعودا وصل الى دادمرج فلقيهم طلائع السلطان سنجر فى خلق كثير فتأخر السلطان مسعود الى كرمانشاهان ونزل السلطان سنجر فى اسداباذ فى مائة ألف فارس فسار مسعود وأخوه سلجوقشاه الى جبلين يقال لهما كاو وماهى فنزلا بينهما ونزل السلطان سنجر كنكور فلما سمع بانحرافهم أسرع فى طلبهم فرجعوا الى ورائهم مسيرة أربعة أيام فى يوم وليلة فالتقى العسكران بعولان عند الدينور وكان مسعود يدافع الحرب انتظارا لقدوم المسترشد فلما نازله السلطان سنجر لم يجد بدا من المصاف وجعل سنجر على ميمنته طغرل ابن أخيه محمد وقماج وأميرا ميران وعلى ميسرته خوارزمشاه اتسز بن محمد مع جمع من الامراء وجعل مسعود على ميمنته قراجة الساقى والامير قزل وعلى ميسرته يرنقش بازدار ويوسف جاووش وغيرهما وكان قزل قد واطأ سنجر على الانهزام ووقعت الحرب وقامت على ساق وكان يوما مشهودا فحمل قراجة الساقى على القلب وفيه السلطان سنجر فى عشرة آلاف فارس من شجعان العسكر وبين يديه الفيلة فلما حمل قراجة على القلب رجع الملك طغرل وخوارزمشاه الى وراء ظهره فصار قراجة فى الوسط فقاتل الى أن جرح عدة جراحات وقتل كثير من أصحابه وأخذ هو أسيرا وبه جراحات كثيرة فلما رأى السلطان مسعود ذلك انهزم وسلم من المعركة وقتل يوسف جاووش وحسين ازبك وهما من أكابر الامراء وكانت الوقعة ثامن رجب من هذه السنة فلما تمت الهزيمة على مسعود نزل سنجر وأحضر قراجة فلما حضر قراجة سبه وقال له يامفسد أى شئ كنت ترجو بقتالى قال كنت أرجو أن أقتلك وأقيم سلطانا أحكم عليه فقتله صبرا وأرسل الى السلطان مسعود يستدعيه فحضر عنده وكان قد بلغ جونج فلما رآه قبله وأكرمه وعاتبه على العصيان عليه ومخالفته وأعاده الى كنجة وأجلس الملك طغرل ابن أخيه محمد فى السلطنة وخطب له فى جميع البلاد وجعل فى وزارته أبا القاسم الانساباذى وزير السلطان محمود وعاد الى خراسان فوصل الى نيسابور فى العشرين من رمضان سنة ست وعشرين وأما المسترشد بالله فكان منه ما نذكره

﴿ذكر مسير عماد الدين زنكى الى بغداد وانهزامه﴾

لما سار المسترشد بالله من بغداد وبلغه انهزام السلطان مسعود عزم على العود الى بغداد فأتاه الخبر بوصول عماد الدين زنكى الى بغداد ومعه دبيس بن صدقة وكان السلطان سنجر قد كاتبهما وأمرهما بقصد العراق والاستيلاء عليه فلما علم الخليفة بذلك أسرع العود اليها وعبر الى الجانب الغربى وسار فنزل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمنارية من دجيل والتقيا بحصن البرامكة سابع عشر رجب فابتدأ زنكى فحمل على ميمنة الخليفة وبها جمال الدولة اقبال فانهزموا منه وحمل

حج بالناس صالح بن العباس ابن محمد ثم كانت سنة تسع عشرة ومائتين حج بالناس صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة عشرين ومائتين حج بالناس صالح بن العباس أيضا ثم كانت سنة احدى وعشرين ومائتين حج بالناس أيضا صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة اثنتين وعشرين ومائتين حج بالناس محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ثم كذلك الى سنة ست وعشرين ومائتين ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائتين حج بالناس جعفر المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائتين حج بالناس الى سنة خمس وثلاثين ومائتين محمد بن داود بن عيسى ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائتين حج بالناس محمد المنتصر ومعه جدته شجاع ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائتين حج بالناس على بن عيسى بن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائتين الى سنة احدى وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائتين حج بالناس الى سنة أربع وأربعين ومائتين عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وأربعين ومائتين

نظر

محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم الامام ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن محمد بن
ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمسين ومائتين حج بالناس جعفر ٢٤٣ بن الفضل بن موسى بن عيسى بن موسى

نظر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دبيس وأراد عماد الدين الصبر فرأى الناس قد تفرقوا عنه فانهزم أيضا وقتل من العسكر جماعة وأسر جماعة وبات الخليفة هنالك ليلته وعاد من الغد الى بغداد

﴿ذكر حال دبيس بعد الهزيمة﴾

وفيها عاد دبيس بعد انهزامه المذكور ولزم بلاد الحلة وتلك النواحى وجمع جمعا وكانت تلك الولاية بيد اقبال المسترشدى فأمده بعسكر من بغداد فالتقى هو ودبيس فانهزم دبيس واختفى فى أجمة هناك وبقى ثلاثة أيام لم يطعم شيأ ولم يقدر على التخلص منها حتى أخرجه حماس على ظهره ثم جمع جمعا وقصد واسط وانضم اليه عسكرها وبختيار وشاق وابن أبى الجبر ولم يزل فيها الى أن دخلت سنة سبع وعشرين فنفذ اليهم يرنقش بازدار واقبال الخادم المسترشدى فى عسكر فاقتتلوا فى الماء والبر فانهزم الواسطيون ودبيس وأسر بختيار وشاق وغيره من الامراء

﴿ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق﴾

فى هذه السنة فى رجب توفى تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق وسبب موته ان الجرح الذى كان به من الباطنية وقد ذكرناه اشتد عليه الآن وأضعفه وأسقط قوته فتوفى فى الحادى والعشرين من رجب ووصى بالملك بعده لولده شمس الملوك اسمعيل ووصى بمدينة بعلبك وأعمالها لولده شمس الدولة محمد وكان بورى كثير الجهاد شجاعا مقداما سد مسد أبيه وفاق عليه وكان ممدحا أكثر الشعراء مدائحه لاسيما ابن الخياط وملك بعده ابنه شمس الملوك وقام بتدبير الامر بين يديه الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق وهو حاجب أبيه واعتمد عليه وابتدأ أمره بالرفق بالرعية والاحسان اليهم فكثر الدعاء له والقصاد عليه

﴿ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن راس وحصره بعلبك﴾

فى هذه السنة ملك شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق حصن اللبوة وحصن راس وسبب ذلك انهما كانا لابيه تاج الملوك وفى كل واحد منهما مستحفظ يحفظه فلما ملك شمس الملوك بلغه ان أخاه شمس الدولة محمدا صاحب بعلبك قد راسلهما واستمالهما اليه فسلما الحصنين اليه وجعل فيهما من الجند ما يكفيهما فلم يظهر بذلك أثر بل راسل أخاه بلطف يقبح هذه الحال ويطلب ان يعيدهما اليه فلم يفعل فأغضى على ذلك وتجهز من غير أن يعلم أحد وسار هو وعسكره آخر ذى القعدة فطلب جهة الشمال ثم عاد مغربا فلم يشعر من بحصن اللبوة الا وقد نزل عليهم وزحف لوقته فلم يتمكنوا من نصب منجنيق ولا غيره فطلبوا الامان فبذله لهم وتسلم الحصن من يومه وسار من آخر النهار الى حصن راس فبغتهم وجرى الامر فيه على تلك القضية وتسلمه وجعل فيهما من يحفظهما ثم رحل الى بعلبك وحصرها وفيها أخوه شمس الدولة محمد وقد استعد وجمع فى الحصن ما يحتاج اليه من رجال وذخائر فحصرهم شمس الملوك وزحف فى الفارس والراجل وقاتله أهل البلد على السور ثم زحف عدة مرات فملك البلد بعد قتال شديد وقتلى كثيرة وبقى الحصن فقاتله وفيه أخوه ونصب المجانيق ولازم القتال فلما رأى أخوه شمس الدولة شدة الامر أرسل يبذل الطاعة ويسأل أن يقر على ما بيده وجعله أبوه باسمه فأجابه الى مطلوبه وأقر عليه بعلبك وأعمالها

ويلقب بساسان ثم كانت سنة احدى وخمسين ومائتين وقف بالناس اسمعيل بن يوسف العلوى المقدم ذكره فيما مضى من هذا الكتاب وبطل الحج الا يسيرا لان اسمعيل هذا طلع على الحاج وهم بعرفة فى جموعه فقتل من المسلمين خلقا عظيما حتى زعموا انه كان يسمع بالليل تلبية القتلى وكان شأنه فى الفساد عظيما ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى ابن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائتين حج بالناس عبد الله ابن محمد بن سليمان بن عبد الله الزينبى ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائتين حج بالناس على بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد ابن على ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائتين حج بالناس على بن الحسين أيضا ثم كانت سنة ست وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى ابن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل ابن العباس بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد ابن على ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائتين حج بالناس ابراهيم ابن محمد بن اسمعيل بن جعفر بن سليمان بن على بن بويه ثم كانت سنة ستين ومائتين حج بالناس ابن بويه أيضا ثم كانت سنة احدى

وتحالفوا وعاد شمس الملوك الى دمشق وقد استقامت له الامور

﴿ذكر الحرب بين السلطان طغرل والملك داود﴾

فى هذه السنة فى رمضان كانت الحرب بين الملك طغرل وبين ابن أخيه الملك داود بن محمود وكان سببها ان السلطان سنجر أجلس الملك طغرل فى السلطنة كما ذكرناه وعاد الى خراسان لانه بلغه أن صاحب ما وراء النهر أحمد خان قد عصى عليه فبادر الى العود لتلافى ذلك الخرق فلما عاد الى خراسان عصى الملك داود على عمه طغرل وخالفه وجمع العساكر باذربيجان وبلاد كنجة وسار الى همذان فنزل مستهل رمضان عند قرية يقال لها واهان بقرب همذان وخرج اليه طغرل وعبى كل واحد منهما أصحابه ميمنة وميسرة وكان على ميمنة السلطان طغرل بن برسق وعلى ميسرته قزل وعلى مقدمته قراسنقر وكان على ميمنة داود يرنقش الزكوى ولم يقاتل فلما رأى التركمان ذلك نهبوا خيمه وبركه جميعه ووقع الخلف فى عسكر داود فلما رأى اتابكه آقسنقر الاحمديلى ذلك ولى هاربا وتبعه الناس فى الهزيمة وقبض طغرل على يرنقش الزكوى وعلى جماعة من الامراء وأما الملك داود فانه لما انهزم بقى متحيرا الى أوائل ذى القعدة فقدم بغداد ومعه اتابكه آقسنقر الاحمديلى فاكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان وكان الملك مسعود بكنجة فلما سمع انهزام الملك داود توجه نحو بغداد على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة قبض المسترشد بالله على وزيره شرف الدين على بن طراد الزينبى واستوزر انوشروان بن خالد بعد ان امتنع وسأل الاقالة وفى هذه السنة قتل أحمد بن حامد بن محمد أبو نصر مستوفى السلطان محمود الملقب بالعزيز بقلعة تكريت وقد تقدم سبب ذلك سنة خمس وعشرين وفى المحرم منها قتل محمد بن محمد بن الحسين أبو الحسين بن أبى يعلى بن الفراء الحنبلى ومولده فى شعبان فى سنة احدى وخمسين وأربعمائة وسمع الحديث من الخطيب أبى بكر وابن الحسين بن المهتدى وغيرهما وتفقه قتله أصحابه غيلة وأخذوا ماله وفى جمادى الاولى توفى أحمد بن عبيد الله ابن كادش أبو العز العكبرى وكان محدثا مكثرا وتوفى فيها أبو الفضل عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وكان أديبا وله شعر حسن فنه ما كتبه الى جلال الدين بن صدقة الوزير

أمولانا جلال الدين يا من * أذكره بخدمتى القديمه
ألم تك قد عزمت على اصطناعى * فماذا صدعن تلك العزيمه

﴿ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة﴾

﴿ذكر ملك شمس الملوك بانياس﴾

فى هذه السنة فى صفر ملك شمس الملوك صاحب دمشق حصن بانياس من الفرنج وسبب ذلك ان الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه وعزموا على نقض الهدنة التى بينهم فتعرضوا الى أموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت وأخذوها فشكى التجار الى شمس الملوك فراسل فى اعادة ما أخذوه وكرر القول فيه فلم يردوا شيأ فحملته الانفة من هذه الحالة والغيظ على ان جمع عسكره وتأهب ولا يعلم أحد أين يريد ثم سار وسبق خبره أواخر المحرم من هذه السنة ونزل على بانياس أول

صفر

وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة أربع وستين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وسبعين ومائتين خمس عشرة سنة متوالية هرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة تسع وسبعين ومائتين حج بالناس الى سنة سبع وثمانين ومائتين تسع حجج متوالية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن داود بن عيسى ابن موسى ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائتين حج بالناس محمد بن هرون بن العباس بن ابراهيم بن عيسى ابن جعفر بن أبى جعفر المنصور ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائتين حج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد ابن على ولم يزل يحج بالناس كل سنة الى سنة خمس وثلثمائة ثم كانت سنة ست وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس بن محمد بن عيسى ابن سليمان بن محمد بن ابراهيم الامام وهو المعروف باخى أم موسى الهاشمية قهرمانة شغب أم المقتدر بالله ثم كانت سنة سبع وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس أيضا ثم كانت سنة ثمان وثلثمائة حج بالناس الى سنة احدى عشرة وثلثمائة اسحق بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد ثم كانت سنة اثنتى عشرة وثلثمائة حج بالناس الحسن ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة حج بالناس

صفر وقاتله لساعته وزحف اليه زحفا متتابعا وكانوا غير متأهبين وليس فيه من المقاتلة من يقوم به وقرب من سور المدينة وترجل بنفسه وتبعه الناس من الفارس والراجل ووصلوا الى السور فنقبوه ودخلوا البلد عنوة والتجأ من كان من جند الفرنج الى الحصن وتحصنوا به فقتل من البلد كثيرا من الفرنج وأسر كثيرا ونهبت الاموال وقاتل القلعة قتالا شديدا ليلا ونهارا فملكها رابع صفر بالامان وعاد الى دمشق فوصلها سادسه وأما الفرنج فانهم لما سمعوا نزوله على بانياس شرعوا يجمعون عسكرا يسيرون به اليه فاتاهم خبر فتحها فبطل ما كانوا فيه

﴿ذكر حرب بين المسلمين والفرنج﴾

فى هذه السنة فى صفر سار ملك الفرنج صاحب البيت المقدس فى خياله ورجالته الى أطراف أعمال حلب فتوجه اليه الامير اسوار النائب بحلب فيمن عنده من العساكر وانضاف اليه كثير من التركمان فاقتتلوا عند قنسرين فقتل من الطائفتين جماعة كثيرة وانهزم المسلمون الى حلب وتردد ملك الفرنج فى أعمال حلب فعاد أسوار وخرج اليه فيمن معه من العسكر فوقع على طائفة منهم فاوقع بهم وأكثر القتل فيهم والاسر فعاد من سلم منهزما الى بلادهم وانجبر ذلك المصاب بهذا الظفر ودخل أسوار حلب ومعه الاسرى ورؤس القتلى وكان يوما مشهودا ثم ان طائفة من الفرنج من الرها قصدوا أعمال حلب للغارة عليها فسمع بهم أسوار فخرج اليهم هو والامير حسان البعلبكى فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم فى بلد الشمال وأسروا من لم يقتل ورجعوا الى حلب سالمين

﴿ذكر عود السلطان مسعود الى السلطنة وانهزام الملك طغرل﴾

قد تقدم ذكر انهزام السلطان مسعود من عمه السلطان سنجر وعوده الى كنجة وولاية الملك طغرل السلطنة وانه تحارب هو والملك داود بن أخيه محمود وانهزام داود ودخوله بغداد فلما بلغ السلطان مسعودا انهزام داود وقصده بغداد سار هو الى بغداد أيضا فلما قاربها لقيه داود وترجل له وخدمه ودخلا بغداد ونزل مسعود بدار السلطنة فى صفر من هذه السنة وخاطب فى الخطبة له فاجيب الى ذلك وخطب له ولداود بعده وخلع عليهما ودخلا الى الخليفة فاكرمهما ووقع الاتفاق على مسير مسعود وداود الى اذربيجان وان يرسل الخليفة معهما عسكرا فساروا فلما وصلوا الى مراغة حمل آقسنقر الاحمديلى مالا كثيرا واقامة عظيمة وملك مسعود سائر بلاد اذربيجان وانهزم من بها من الامراء مثل قراسنقر وغيره من بين يديه وتحصن منه كثير منهم بمدينة أردبيل فقصدهم وحصرهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزم الباقون ثم سار بعد ذلك الى همذان لمحاربة أخيه الملك طغرل فلما سمع طغرل بقربه برز الى لقائه فاقتتلوا الى الظهر ثم انهزم طغرل وقصد الرى واستولى السلطان مسعود على همذان فى شعبان ولما استقر مسعود بهمذان قتل آقسنقر الاحمديلى قتله الباطنية فقيل ان السلطان مسعودا وضع عليه من قتله ثم ان طغرل لما بلغ قم عاد الى أصبهان ودخلها وأراد التحصن بها فسار اليه أخوه مسعود ليحاصره بها فرأى طغرل ان أهل أصبهان لا يطاوعونه على الحصار فرحل عنهم الى بلاد فارس واستولى مسعود على أصبهان وفرح أهلها به وسار من أصبهان نحو فارس يقتص أثر أخيه طغرل فوصل

أبو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد خليفة لعمه الحسن ثم كانت سنة أربع عشرة وثلثمائة حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن سليمان بن محمد الاكبر ثم كانت سنة خمس عشرة وثلثمائة حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد المعروف بابى أحمد الازرق خليفة الحسن بن عبد العزيز بن العباس ثم كانت سنة ست عشرة وثلثمائة حج بالناس أبو أحمد الازرق أيضا ثم كانت سنة سبع عشرة وثلثمائة دخل سليمان بن الحسن صاحب البحرين مكة وقد حضر عمر بن الحسن بن عبد العزيز المقدم نسبه اليه لاقامة الحج خليفة لابيه فكان من أمر الناس ما كان فيما قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ولم يتم حج فى موسم سنة سبع عشرة وثلثمائة هذه من أجل حادثة القرامطة لعنهم الله الا القوم بيسير غدر وافتتحهم دون امام وكانوا رجالة ثم كانت سنة ثمان عشرة وثلثمائة حج بالناس عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمى خليفة لابيه الحسن بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسع عشرة وثلثمائة حج بالناس فيها جعفر بن على بن سليمان خليفة الحسن بن عبد العزيز ثم كانت سنة عشرين وثلثمائة حج بالناس فيها عمر بن الحسن بن عبد العزيز خليفة لابيه أيضا ولم يزل يحج بالناس الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وهو على قضاء مكة فى هذا الوقت وهو جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثلثمائة واليه قضاء مصر وغيرها

(قال أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى رحمه الله) قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب أنواعا من الاخبار وفنونا من العلم

الى موضع بقرب البيضاء فاستأمن اليه أمير من أمراء أخيه معه أربعمائة فارس فامنه نخاف طغرل من عسكره ان ينحاز والى أخيه فانهزم من بين يديه وقصد الرى فى رمضان وقتل وزيره أبا القاسم الانساباذى فى الطريق وفى شوال قتله غلمان الامير شيركير الذى سعى فى قتله كما تقدم ذكره وسار السلطان مسعود يتبعه فلحقه بموضع يقال له ذكراور فوقع بينهما المصاف هناك فلما اشتبكت الحرب انهزم الملك طغرل فوقع عسكره فى أرض قد نضب عنها الماء وهى وحل فاسر منهم جماعة من الامراء منهم الحاجب تنكر وابن بغرا فاطلقهم السلطان مسعود ولم يقتل فى هذا المصاف الا نفر يسير ورجع السلطان مسعود الى همذان

﴿ تم الجزء العاشر ويليه الجزء الحادى عشر أوله ذكر حصر المسترشد بالله الموصل ﴾

من أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام والملوك وسيرها والامم وأخبارها وأخبار الارض والبحار وما فيها من العجائب والآثار وما اتصل بذلك ليستدل به على ما سلف من كتبنا ومدخلا الى ما تقدم من تصنيفنا فى أنواع العلوم مما قدمنا ذكره ولم نترك نوعا من العلوم ولا فنا من الاخبار ولا طريقا من الآثار الا أوردناه فى هذا الكتاب مفصلا أو ذكرناه مجملا أو أشرنا اليه بضرب من الاشارات أو لوحنا اليه بفحوى من ٢٤٦ العبارات من أخبار العجم والعرب والكوائن والاحداث فى سائر الامم فمن حرف شيأ من معنى هذا الكتاب أو أزال ركنا من مبناه أو طمس واضحة من معانيه أو لبس شاهرة من تراجمه أو غيره أو بدله أو انتحله أو اختصره أو نسبه الى غيرنا أو أضافه الى سوانا أو أسقط منه ذكرنا فوافاه من غضب الله وسرعة نقمته وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين وسلبه الله ما أعطاه وحال بينه وبين ما أنعم به عليه من قوة ونعمة مبدع السموات والارض من أى الملل كان والآراء انه على كل شئ قدير وقد جعلنا هذا التخويف فى أول كتابنا هذا وآخره وكذلك نقول فى سائر ما تقدم من تصنيفنا وتطمناه من تأليفنا فليراقب امرؤ ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير (وقد قدمنا الاعتذار فى مواضع مما سلف من هذا الكتاب من سهوان عرض أو تصحيف أو تغيير من الكاتب ان وقع ولما قد دفعنا اليه من الاسفار المتواترة والحركة المتصلة تارة مشرقين وتارة مغربين وطورا متيامنين وطورا متشائمين وما يلحقنا من سهو الانسانية ويصحبنا من عجز البشرية عن بلوغ الغاية وتقصى النهاية ولو كان لا يؤلف كتابا الا من حوى جميع العلوم اذن ما ألف أحد كتابا ولا تأتى له تصنيف لان الله عز وجل يقول وفوق كل ذى علم عليم جعلنا الله ممن يؤثر طاعته ويوفق لرشده ونسأله أن يمحو بخير شرا او بجد هزلا ثم يعود علينا بعد ذلك بعفوه ويتغمدنا بفضله انه جواد منان لا اله الا هو رب العرش العظيم